

جَدِّ الْأَنْوَارِ

الْجَامِعَةُ لِلدِّعْرِ الْخَبِيرِ الْأَمْتِ الْأَطْهَرِ

تَأْلِيفُ

الْعَلَمِ الْعَالَمَةِ الْمُجْتَهِدِ الْأَمْتِ الْمَوْلَى

الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ بَاقِرٍ الْمَجْلِسِيِّ

الْكِتَابُ الرَّابِعُ عَشَرَ

الْسَّمَاءُ وَالْعَالَمُ وَهُوَ يُشَقِّلُ عَلَى الْأَهْوَالِ الْقُرْشَ وَالْكَرْسِيَّ وَالْأَفْلاكِ

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ

طَبْعَةُ مَعْجَمَةِ وَمَرْبُوعَةٍ عَلَى مَسْبَرِ رَبِّبِ الصَّنَفِ

مَجَامِرُ الْأَخْبَارِ

الْجَامِعَةُ لِلدِّينِ الْخَبِيرِ الْأَمَّةِ لِطَهْرَانِ

تَأَلَّفَتْ

لِلْعَلَمَةِ الْعَلَامَةِ الْمُحْتَفِزِ الْأَمَّةِ الْمُؤَلِّفِ

الْشَيْخِ مُحَمَّدٍ بَاقِرٍ الْمُجَلِّسِيِّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)

الْكِتَابُ الرَّابِعُ عَشَرَ

السَّمَاءُ وَالْعَالَمُ وَمُقَوِّمَاتُهُ عَلَى هَذَا الْقُرْصِ وَالْكَرْسِيِّ وَالْأَفْلَاقِ

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ

طَبْعَةُ مَجْمَعَةِ دُرَرِ تَبَةِ عَلَيٍّ مَسْبُورِ تَلْبِ الصَّنِيفِ





جميع الحقوق محفوظة لمؤسسة

احياء الكتب الإسلامية

ايران قم المقدسه ارم ٤ پلاك ١٣٥

٠٠٩٨٢٥١ ٧٧١٩٦٥٧ - ٠٠٩٨٢٥١ ٢٩٣٦٣٥٢

عدد ٢٠٠٠

٣٣٠/٠٠٠ تومان

٩٧٨-٩٦٤-٢٥٩٢-٣٦٤

٩٧٨-٩٦٤-٢٥٩٢-٦٤٥٧

جواد رحمتی

روح افغانستانی

◆ بحار الانوار ج ١٤/١

◇ تأليف علامه مجلسي

◆ انتشارات نور وحي

◇ چاپخانه دفتر تليفات

◆ چاپ اول ١٣٨٨

◇ قيمت دوره

◆ شابک دوره

◇ شابک

◆ صفحه آرا

◇ ناظر چاپ

مجلسي، محمد باقر بن محمد تقی، ١٠٣٧-١١١١ ق.

[بحار الانوار]

بحار الانوار الجامعة الدرر اخبار الائمة الاطهار (عليه السلام) / تأليف

محمد باقر مجلسي؛ تحقيق مؤسسه احياء الكتب الاسلاميه. -

قم: نور وحي، ١٤٣٠ ق. = ١٣٨٨ ج ١٤/١

- (دوره 4 - 36 - 2592 - 964 - 978 ISBN

- (شابک 7 - 64 - 2592 - 964 - 978 ISBN

فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیما

کتابنامه. مندرجات: ج ١٤/١. السماء والعالم.

١. احاديث شيعه مقرر ١٢ ق. الف. موسسه احياء الكتب الاسلاميه.

ب. عنوان

٢٩٧/٢١٢

BP ١٣٦/ م ٣١٣٨٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا
مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَارَةً لَّنْ كَبُورًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَبِهِ ثَقَتِي

الحمد لله خالق الأرضين والسموات و سامك المسموكات و داحي المدحوات و مخرج عباده إلى النور من الظلمات مزوج الآباء العلوية أمهات السفليات و مثمر المواليد من أرحام الأسطقسات و مظهر الأنواع المتوالدة و المتولدة من مشاييم القابليات و الصلاة على أشرف الخلائق و البريات و عين أعيان المكونات و أفضل نتائج الآباء و الأمهات محمد المصطفى و أهل بيته الأقدسين الذين بهم جرت جميع النعم على الكائنات و بنورهم يهتدى إلى مناهج السعادات و بذكر شفاعتهم يشفى غليل صدور أرباب الجرائم و السيئات.

أما بعد فيقول أفقر العباد إلى عفو ربه الغافر محمد بن محمد تقي المدعو بياقر رزقهما الله السعادة في اليوم الآخر و ثبت أقدامهما في المزالق و المعائر هذا هو المجلد الرابع عشر من كتاب بحار الأنوار المسمى بكتاب السماء و العالم لاشتماله على كشف الغطاء عن غوامض أسرار الآيات و الروايات المتعلقة بخلق اللوح و القلم و العرش و الكرسي و الحجب و السراقات و السماوات و أصناف الملائكة و الكواكب و النجوم و صفاتها و أحكامها و آثارها و الأرضين و العناصر و المواليد من المعادن و النباتات و الحيوانات و خواصها و حلها و حرمتها و صيدها و ذبحها و منافع الأدوية و الثمار و الحشائش و العقاقير و خواصها و فوائدها و أحوال الإنسان و النفس و الروح و تشريح الأبدان و علم الطب و أحوال البقاع و البلدان و الأصقاع و سائر ما يتعلق بتلك الأعيان و هذا مما لم يسبقني إليه أحد من علمائنا و المخالفين و أرجو بفضلته سبحانه أن يكون مما تقر به أعين المؤمنين و يسخن^(١) عيون المنافقين و الملحدين و أستمد المعونة في ذلك من ربي جل شأنه ثم من موالي الأكرمين و حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ.

٢
٥٧

أبواب كليات أحوال العالم وما يتعلق بالسماويات

باب ١

حدوث العالم و بدء خلقه و كلفيته و بعض كليات الأمور

الآيات:

البقرة: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(١)

الأنعام: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَ جَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾^(٢)

الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾^(٣)

يونس: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾^(٤)

هود: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(٥)

الكهف: ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَ لَّا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَ مَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصَدًا﴾^(٦)

الأنبياء: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَ جَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٧)

الفرقان: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ نَحْنُ فَسَنَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾^(٨)

التنزيل: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾^(٩)

فصلت: ﴿قُلْ أَنْتُمْ لَكُمْ تَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِي مِنْ فَوْقِهَا وَ بَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَ هِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَ أَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَ رَبَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِعَصَافِحِ وَ حَفِظْنَا ذَلِكَ تَقْدِيرَ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾^(١٠)

ق: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَ مَا مَسْنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾^(١١)

- | | |
|----------------------------------|-----------------------------|
| (١) سورة البقرة، آية: ٢٩. | (٢) سورة الأعراف، آية: ٥٤. |
| (٣) سورة الأنعام، آية: ١. | (٤) سورة يونس، آية: ٣. |
| (٥) سورة هود، آية: ٧. | (٦) سورة الأنبياء، آية: ٣٠. |
| (٧) سورة السجدة، آية: ٤. | (٨) سورة ق، آية: ٣٨. |
| (٩) سورة النازعات، آية: ٢٧ - ٣٣. | (١٠) سورة الكهف، آية: ٥١. |
| (١١) سورة الفرقان، آية: ٥٩. | |

الحديد: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾^(١)
 النازعات: ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا مِّنَ السَّمَاءِ بَنَاهَا رَفَعَ سَمَكُهَا فَسَوَّاهَا وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ
 دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْغَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا مَتَّاعًا لَّكُمْ وَلِأَنبِيَائِكُمْ﴾^(٢)
 الأعلى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسُوَّىٰ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾^(٣)

تفسير: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ امتنان على العباد بخلق ما يتوقف عليه بقاؤهم و يتم به معاشهم ومعنى ﴿لَكُمْ﴾ لأجلكم و انتفاعكم في دنياكم باستعمالكم بها في مصالح أبدانكم بوسط أو غير وسط و في دينكم بالاستدلال و الاعتبار و التعرف بما يلائمها من لذات الآخرة و آلامها و هذا مما يستدل به على إباحة جميع الأشياء إلا ما أخرجه الدليل و ﴿ما﴾ يعم كل ما في الأرض لا الأرض إلا إذا أريد به جهة السفلى كما يراد بالسما جهة العلو ﴿جَمِيعًا﴾ حال عن الموصول الثاني ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي قصد إليها بإرادته من قولهم استوى إليه إذا قصده قصدا مستويا من غير أن يلوي على شيء و قيل استوى أي استولى و ملك قال الشاعر.

قد استوى بشر على العراق من غير سيف و دم مهران

والمراد بالسما الأجرام العلوية أو جهات العلو كما قيل

﴿فَسَوَّاهُنَّ﴾ أي عدلهن و خلقهن مصونة من العوج و الفطور و قيل هن ضمير السماء إن فسرت بالأجرام لأنها جمع أو في معنى الجمع و إلا فمبهم يفسره ما بعده كقولهم ربه رجلا ﴿سَمَاوَاتٍ﴾ بدل أو تفسير و السبع لا ينافي التسع التي أثبتوها أصحاب الأرصاء إذ الثامن و التاسع مسميان في لسان الشرع بالكرسي و العرش ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ قيل فيه تعليل كأنه قال و لكونه عالما بتلك الأشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الأكمل و الوجه الأنفع و الاستدلال بأن من كان فعله على هذا النسق العجيب و الترتيب الأتيق كان عليما و تدل الآية على حدوث السماوات بل الأرض أيضا كما سيأتي بيانه.^(٤)

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أخبر بأنه تعالى حقيق بالحمد و نبه على أنه المستحق له على هذه النعم الجسام حمد أو لم يحمد ليكون حجة على الذين هُمْ بِرَبِّهِمْ يَغْدِرُونَ و جمع السماوات دون الأرض و هي مثلهن لأن طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار و الحركات و قدمها لشرفها و علو مكانها ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ أي أنشأهما و الفرق بين ﴿خلق﴾ و ﴿جعل﴾ الذي له مفعول واحد أن ﴿خلق﴾ فيه معنى التقدير و ﴿جعل﴾ فيه معنى التضمين و لذلك عبر عن إحداث النور و الظلمة بالجعل تنبيها على أنهم لا يقيمون بأنفسهما كما زعمت الثنوية و جمع الظلمات لكثرة أسبابها و الأجرام الحاملة لها أو لأن المراد بالظلمة الضلال و بالنور الهدى و الهدى واحد و الضلال متعدد و تقديمها لتقدم الأعدام على الملكات.

﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ المشهور أن المراد بالأيام هنا مقدار أيام الدنيا و روي عن ابن عباس أنها من أيام الآخرة كل يوم منها أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ.

أقول: و بمثل هذا الخبر لا يمكن صرف الآية عن ظاهرها ثم إنه سبحانه إنما خلق في هذه المدة مع أنه كان قادرا على خلقها في طرفه عين إما لعبرة من خلقها من الملائكة إذ الاعتبار في التدرج أكثر كما ورد في الخبر أو ليعلم بذلك أنها صادرة من قادر مختار عالم بالمصالح و وجوه الأحكام إذ لو حصلت من مطبوع أو موجب لحصلت في حالة واحدة أو ليعلم الناس الثاني في الأمور و عدم الاستعجال فيها. كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام و لو شاء أن يخلقها في أقل من لمح البصر لخلق و لكنه جعل الأثناء^(٥) و المدارة مثالا لأمناته و إيجابا للحجة على خلقه. وأورد هنا إشكال و هو أن اليوم إنما يحصل بحركة الشمس و طلوعها و غروبها فما معنى اليوم هاهنا و يمكن أن يجاب بوجوه.

(١) سورة فصلت، آية: ٩ - ١٢.
 (٢) سورة الأعلى، آية: ١ - ٣.
 (٣) الأثناء: بفتح الهمزة اسم من الأبناء أي الإبطاء والتأخير. الصحاح ج ٦ ص ٢٧٧.
 (٤) سيأتي بعد قليل.
 (٥) سورة الحديد، آية: ٤.

الأول أن مناط تمايز الأيام و تقدرها إنما هو حركة الفلك الأعلى دون السماوات السبع و المخلوق في الأيام المتمايزة إنما هو السماوات السبع و الأرض و ما بينهما دون ما فوقهما و لا يلزم من ذلك الخلا لتقدم الماء الذي خلق منه الجميع على الجميع.

الثاني أن المراد بالأيام الأوقات كقوله تعالى ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْهُ يَوْمَئِذٍ بُرُّهُ﴾^(١).

الثالث أن المراد في مقدار ستة أيام و مرجع الجميع إلى واحد إذ قبل وجود الشمس لا يتصور يوم حقيقة فالمراد إما مقدار من الزمان مطلقاً أو مقدار حركة الشمس هذا القدر و على التقديرين إما مبني على كون الزمان أمراً موهوماً منتزعا من بقاءه سبحانه أو من أول الأجسام المخلوقة كالماء أو من الأرواح المخلوقة قبل الأجسام على القول به أو من الملائكة كما هو ظاهر الخبر الآتي و إما بالقول بخلق فلك متحرك قبل ذلك بناء على القول بوجود الزمان و أنه مقدار حركة الفلك فإن التجدد و التقضي و التصرم الذي هو منشأ تحقق الزمان عندهم في الجميع متصور.

وقال بعض الصوفية للزمان المادي زمان مجرد كالنفس للجسد و للمكان المادي مكان مجرد و هما عارضان للمجردات و لا يمكن فهمه و خارج عن طور العقل كسائر خيالاتهم و أقوالهم.

وعلى أي حال هذه الآية و ما سيأتي من أشباهها تدل على حدوث السماوات و الأرض و ما بينهما لأن الحادث في اليوم الأخير مثلاً مسبوق بخمسة أيام فيكون متناهي البقاء منقطع الوجود في جهة الماضي و الموجود في اليوم الأول زمان وجوده أزيد على الأخير بقدر متناهٍ فالجميع متناهي الوجود حادث فيرد على الحكماء كون الزمان أيضاً حادثاً متناهيًا لأنه عندهم مقدار حركة الفلك.

و أما ما ذكره الرازي في تفسيره من أن المراد بستة أيام ستة أحوال و ذلك لأن السماء و الأرض و ما بينهما ثلاثة أشياء و لكل واحد منهما ذات و صفة فنظراً إلى خلقه ذات السماء حالة و إلى خلقه صفاتها أخرى و نظراً إلى خلقه ذات الأرض و إلى صفاتها كذلك و نظراً إلى ذات ما بينها و إلى صفاتها أخرى^(٢) فهي ستة أشياء في ستة أحوال و إنما ذكر الأيام لأن الإنسان إذا رأى^(٤) إلى الخلق رآه فعلاً و الفعل ظرفه الزمان و الأيام أشهر الأزمنة و إلا فقبل السماوات لم يكن ليل و لا نهار و هذا مثل ما يقول القائل لغيره ﴿إِنْ يَوْمًا وَلِدَتْ فِيهِ كَانَ يَوْمًا مَبَارَكًا﴾ و قد يجوز أن يكون ولد ذلك ليلاً و لا يخرج عن مراده لأن المراد^(٥) الزمان الذي هو ظرف ولادته^(٦). فهو تكلف بعيد مستغنى عنه و ما ذكرنا أقرب إلى لفظ الآية الكريمة و أوفق بالمراد و سيأتي معاني «العرش» و «استوى عليه».

﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ قال البيضاوي أي قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لا أنه كان موضوعاً على متن الماء و استدلل به على إمكان الخلاء و أن الماء أول حادث بعد العرش من أجرام هذا العالم و قيل كان الماء على متن الريح و الله أعلم بذلك^(٧) انتهى و قال الطبرسي و في هذا دلالة على أن العرش و الماء كانا موجودين قبل خلق السماوات و الأرض و كان الماء قائماً بقدرة الله على غير موضع قرار بل كان الله يمسكه بكمال قدرته و في ذلك أعظم الاعتبار لأهل الإنكار و قيل المراد بقوله «عَرْشُهُ» بناؤه يدل عليه^(٨) ﴿وَمِمَّا يُعْرِشُونَ﴾ أي يبنون فالمعنى و كان بناؤه على الماء فإن البناء على الماء أبعد و أعجب عن أبي مسلم^(٩) انتهى.

و قال الرازي في تفسيره قال كعب خلق الله تعالى ياقوته خضراء ثم نظر إليها بالهيبة فصارت ماء يرتعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء قال أبو بكر الأصم و معنى قوله ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ كقولهم السماء على الأرض و ليس ذلك على سبيل كون أحدهما ملتصقاً بالآخر و كيف كانت الواقعة يدل^(١٠) على أن العرش و الماء كانا قبل السماوات و الأرض قالت المعتزلة و في الآية دلالة على وجود الملائكة قبل خلقهما لأنه لا يجوز أن. يخلق ذلك و لا أحد ينتفع بالعرش و الماء^(١١) انتهى.

(٢) كلمة: «خلق» ليست في المصدر.

(٤) في المصدر: «نظر» بدل «رأى».

(٦) التفسير الكبير ج ٢٥ ص ١٦٨.

(٨) في المصدر إضافة: «قوله».

(١٠) في المصدر: «فذلك يدل».

(١) سورة الأنفال، آية: ١٦.

(٣) في المصدر: «كذلك» بدل «أخرى».

(٥) في المصدر إضافة: «هو».

(٧) أنوار التنزيل ج ١ ص ٤٥٠.

(٩) مجمع البيان ج ٥ ص ١٤٤.

(١١) التفسير الكبير ج ١٧ ص ١٨٧.

وفي بعض الأخبار أن المراد حمل علمه و دينه الماء و ربما يؤول من قال بالهولي الماء بها.

﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي خلقهم لحكمة بالغة و هي أن يجعلها مساكين لعباده و ينعم عليهم فيها بفنون النعم و يكلفهم و يعرضهم لنواب الآخرة و لما أشبه ذلك اختبار المختبر قال ﴿لِيَبْلُوكُمْ﴾ أي ليفعل بكم ما يفعل المتبلي لأحوالكم كيف تعملون. و عن الصادق عليه السلام ليس يعني أكثركم عملا و لكن أصوبكم عملا و إنما الإصابة خشية الله و النية الصادقة.

﴿وَمَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال الطبرسي ره أي ما أحضرت إبليس و ذريته خلق السماوات و الأرض و لا خلق أنفسهم مستعينا بهم على ذلك و لا استعنت ببعضهم على خلق بعض و هذا إخبار عن كمال قدرته و استغناؤه عن الأنصار و الأعوان و يدل عليه قوله ﴿وَمَا كُنْتُ مَخْذُومًا لِلضَّالِّينَ عُقْدًا﴾ أي الشياطين الذين يضلون الناس أغوانا يعضدونني عليه و كثيرا ما يستعمل العضد بمعنى العون و قيل المعنى أنكم اتبعتم الشياطين كما يتبع من يكون عنده علم لا ينال إلا من جهته و أنا ما أطلعهم على خلق السماوات و لا على خلق أنفسهم و لم أعطهم العلم بأنه كيف يخلق الأشياء فمن أين يتبعونهم و قيل معناه ما أحضرت مشركي العرب و هؤلاء الكفار خلق السماوات و الأرض و لا^(١) بعضهم خلق بعض بل لم يكونوا موجودين فخلقهم فمن أين قالوا إن الملائكة بنات الله و من أين ادعوا ذلك^(٢) انتهى.

وزاد الرازي وجهين آخرين أحدهما أن الضمير عائد إلى الكفار الذين قالوا له عليه السلام إن لم تطرد عن^(٣) مجلسك هؤلاء الفقراء فلا^(٤) تؤمن بك فكأنه تعالى قال إن هؤلاء الذين أتوا بهذا الاقتراح الفاسد و التعتت الباطل ما كانوا شركائي في خلق^(٥) العالم و تدبير الدنيا و الآخرة بل هم كسائر الخلق فلم أقدموا على هذا الاقتراح^(٦) و نظيره إن من اقترح عليك اقتراحات عظيمة فإنك تقول له لست بسلطان البلد و لا وزير الملك^(٧) حتى تقبل منك هذه الاقتراحات.

و ثانيهما أن يكون المراد هؤلاء الكفار أيضا و يكون المعنى أنتم جاهلون بما جرى به القلم من أحوال السعادة و الشقاوة فكيف يمكنكم أن تحكموا لأنفسكم بالرفعة و الكمال و العلو و لغيركم بالذل و الدناءة^(٨) انتهى.

و روى العياشي عن الباقر عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال اللهم أعز الإسلام^(٩) بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام فأنزل الله هذه الآية بعينهما^(١٠). و في الكافي، عن الجواد عليه السلام أن الله تعالى لم يزل متفردا بوحدانيته ثم خلق محمدا و عليا و فاطمة فمكثوا ألف دهر ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها و أجرى طاعتهم عليها و فوض أمرها إليهم^(١١) الخبير. و هذا الخبر صريح في حدوث جميع أجزاء العالم.

﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال الطبرسي ره استفهام يراد به التقرير و المعنى أو لم يعلموا أن الله سبحانه الذي يفعل هذه الأشياء و لا يقدر عليها غيره فهو الإله المستحق للعبادة دون غيره ﴿أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ تقديرها كانتا ذاتي رتق^(١٢) و المعنى كانتا ملتزقتين منسدتين ففصلنا بينهما بالهواء عن ابن عباس و غيره^(١٣) و قيل كانت السماوات مرتتقة مطبقة ففتقناها سبع سماوات و كانت الأرض كذلك ففتقناها سبع أرضين عن مجاهد و السدي و قيل كانت السماء رتقا لا تمطر و الأرض رتقا لا تنبت ففتقنا السماء بالمطر و الأرض بالنبات عن عكرمة و عطية و ابن زيد و هو المروي عن أبي جعفر و أبي عبد الله^(١٤) انتهى.

وقال الرازي الروية إما بمعنى الإبصار^(١٥) أو العلم و الأول مشكل لأن القوم ما رأوها و لقوله تعالى ﴿وَمَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١٦) و الثاني أيضا مشكل لأن الأجسام قابلة للرتق و الفتق في أنفسها فالحكم

(١) في المصدر إضافة: «خلق أنفسهم أي وما أحضرت».

(٢) في المصدر: «من» بدل «عن».

(٣) في المصدر: «شركائي في تدبير» بدل «شركائي في خلق».

(٤) في المصدر: «ذرية المملكة» بدل «وزير الملك».

(٥) في المصدر: «الدين» بدل «الإسلام».

(٦) الكافي ج ١ ص ٤٤٠، حديث ٥.

(٧) في المصدر: عن ابن عباس، والحسن، والضحاك، وعطاء، وقناة.

(٨) مجمع البيان ج ٧ ص ٤٥.

(٩) سورة الكهف، آية: ٥١.

(١٠) مجمع البيان ج ٦ ص ٤٧٦.

(١١) في المصدر: «لم» بدل «فلا».

(١٢) في المصدر إضافة: «الفاسد».

(١٣) التفسير الكبير ج ٢١ ص ١٣٨ ملخصاً.

(١٤) تفسير العياشي ج ٢ ص ٣٢٨، حديث ٣٩.

(١٥) في المصدر: تقديره: كانتا ذاتي فجعلناها ذاتي فتق».

(١٦) في المصدر: «الرؤية» بدل «الإبصار».

عليها بالرتق أولا وبالفتق ثانيا لا سبيل إليه إلا السمع و المناظرة مع الكفار المنكرين للرسالة فكيف يجوز مثل هذا الاستدلال و دفع الإشكال بعد اختيار الثاني بوجوه. أحدها أنا ثبت نبوة محمد ﷺ بساتر المعجزات ثم نستدل بقوله ثم نجعلهما دليلا على حصول المصالح^(١) في العالم و انتفاء الفساد عنه و ثانيها أن نحمل الرتق و الفتق على إمكانهما و العقل يدل عليه لأن الأجسام يصح عليها الاجتماع و الافتراق فاختصاصها بالاجتماع دون الافتراق أو بالعكس يستدعي مخصصا و ثالثها أن اليهود و النصارى كانوا عالمين بذلك فإنه جاء في التوراة أن الله تعالى خلق جوهرة ثم نظر إليها بعين الهيبة فصارت ماء ثم خلق السماوات و الأرض^(٢) و فتق بينهما و كان بين عبدة الأوثان و بين اليهود نوع صداقة بسبب الاشتراك في عداوة محمد ﷺ فاحتج الله تعالى عليهم بهذه الحجة بناء على أنهم يقبلون قول اليهود في ذلك.

١٤
٥٧

ثم قال اختلف المفسرون في المراد من الرتق و الفتق على أقوال أحدها و ذكر الوجه الأول من وجوه الطبرسي ثم قال هذا القول يوجب أن خلق الأرض مقدم على خلق السماء لأنه تعالى لما فصل بينهما ترك الأرض حيث هي و أصدع الأجزاء السماوية قال كعب خلق الله السماوات و الأرضين^(٣) ملتصقتين ثم خلق ريحا توسطتهما ففتقتهما^(٤) ثم ذكر الثاني و الثالث و رجع الثالث بقوله تعالى ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الرَّجْعِ وَالْأَرْضَ ذَاتَ الصَّدْعِ﴾^(٥) و بقوله سبحانه ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾^(٦) ثم قال و رابعها قول أبي مسلم الأصفهاني قال يجوز أن يراد بالفتق الإيجاد و الإظهار كقوله ﴿فَاطْرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٧) فأخبر عن الإيجاد بلفظ الفتق و عن الحال قبل الإيجاد بلفظ الرتق. أقول: و تحقيقه أن العدم نفي محض فليس فيه ذوات متميزة و أعيان متباينة بل كأنه أمر واحد متصل متشابه فإذا وجدت الحقائق فعند الوجود و التكوين يتميز بعضها عن بعض فهذا الطريق جعل الرتق مجازا عن العدم و الفتق عن الوجود. و خامسها أن الليل سابق على النهار بقوله ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾^(٨) فكانت السماوات و الأرض مظلمة ففتقهما الله بإظهار النهار المبصرة^(٩) انتهى.

١٥
٥٧

و أقول سيأتي في الأخبار ما يؤيد الوجه الثالث و يومى بعض خطب أمير المؤمنين عليه السلام إلى الثاني كما ستعرف. و روى الكليني في الروضة عن عدة من أصحابه عن أحمد بن محمد بن خالد عن الحسن بن محبوب عن أبي حمزة الثمالي قال سأل نافع أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز و جل ﴿وَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ قال إن الله تبارك و تعالى أبط^(١٠) آدم إلى الأرض و كانت السماوات رتقا لا تمطر شيئا و كانت الأرض رتقا لا تنبت شيئا فلما تاب^(١١) الله عز و جل على آدم عليه السلام ففتقرت بالغمام ثم أمرها فأرخت عزاليها^(١٢) ثم أمر الأرض فأنبئت الأشجار و أثمرت الثمار و تفهقت بالأنهار فكان ذلك رتقها و هذا فتقها فقال نافع صدقت يا ابن رسول الله إلى آخر الخبر.^(١٣) و هذا يدل على الثالث.

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ قال الطبرسي أي و أحيينا بالماء الذي تنزله من السماء كل شيء حي و قيل و خلقنا من النطفة كل مخلوق و الأول أصح. و روى العياشي^(١٤) بإسناده عن الحسين^(١٥) بن علوان قال سئل أبو عبد الله عليه السلام عن طعم الماء فقال سل فتقها و لا تسأل تعنتا طعم الماء طعم الحياة قال الله سبحانه ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾. و قيل معناه و جعلنا من الماء حياة كل ذي روح و نماء كل نام فيدخل فيه الحيوان و النبات و الأشجار عن أبي مسلم^(١٦) ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي أفلا يصدقون بالقرآن و بما يشاهدون من الدليل و البرهان.

(٢) في المصدر إضافة: «منها».

(١) في المصدر: «النظام» بدل «المصالح».

(٤) في المصدر: «سطعنا ففتقنا بها».

(٣) في المصدر: «الأرض» بدل «الأرضين».

(٦) سورة الأنبياء، آية ٣٠.

(٥) سورة الطارق، آية: ١١ و ١٢.

(٨) سورة يس، آية: ٣٧.

(٧) سورة الإنعام، آية: ١٤.

(١٠) في المصدر: «لما أبط».

(٩) التفسير الكبير ج ٢٢ ص ١٦٢.

(١١) في المصدر: «فلما أن تاب».

(١٢) في المصدر: «عزاليها». والعزالي - بكسر اللام - جمع «العزلاء» - يفتح العين المهملة و سكن الزاي - ف المزةة الأسفل، الصحاح ج ٥

(١٣) روضة الكافي ص ١٢١ حديث ٩٣.

(١٤) ١٧٦٣.

(١٥) في المصدر: «الحسن» بدل «الحسين».

(١٦) لم نثر عليه في القسم المطبوع من تفسير العياشي.

(١٧) مجمع البيان ج ٧ ص ٤٥.

«الرَّحْمَنُ» قيل خبر للذي إن جعلته مبتدأ و لمحذوف إن جعلته صفة للحي أو بدل من المستكن في «أَشْتَوَى» وقرئ بالجر صفة للحي «فَسُئِلَ بِهِ خَيْرًا» أي فاسأل عما ذكر من الخلق و الاستواء عالما بخبرك بحقيقته و هو الله تعالى أو جبرئيل أو من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه و قيل الضمير للرحمن و المعنى أن أنكروا إطلاقه على الله فاسأل عنه من يخبرك من أهل الكتاب ليعرفوا ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا يجوز أن يكون الرحمن مبتدأ والخبر ما بعده و السؤال كما يعدى بعن لتضمنه معنى التفتيش يعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء وقيل إنه صلة خييرا.

«قُلْ أَنتَ كُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ» قال البيضاوي أي مقدار يومين أو بنوبتين و خلق في كل نوبة ما خلق في أسرع ما يكون و لعل المراد بالأرض ما في جهة السفلى من الأجرام البسيطة و من خلقها في يومين أنه خلق لها أصلا مشتركا ثم خلق لها صورا صارت لها أنواعا وكفرهم به لإحداهم في ذاته و صفاته «وَوَجَعَلُونَهُ أَزْوَاجًا» و لا يصح أن يكون له ند «وَذَلِكَ» الذي خلق الأرض في يومين «وَرَبُّ الْعَالَمِينَ» خالق جميع ما وجد من السمكات و مربيها «وَوَجَعَلْ فِيهَا رِزْقًا» استئناف غير معطوف على «خلق» للفصل بما هو خارج عن الصلة «وَمِنْ قَوْفِهَا» مرتفعة عليها ليظهر للنظار ما فيها من وجوه الاستبصار و تكون منافعها معرضة للطلاب.^(١)

أقول: و قال الرازي إذ لو جعلت تحتها لأوهم ذلك أنها أساطين تمسكها فجعلها فوقها ليرى الإنسان أن الأرض و الجبال أُنْقَال على أُنْقَال و كلها مفتقرة إلى مسك و حافظ و ليس ذلك إلا الله سبحانه.^(٢)

«وَوَازَكَ فِيهَا» قال البيضاوي أي و أكثر خيرها بأن خلق فيها أنواع النبات و الحيوانات «وَوَقَّدَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا» أي أقوات أهلها بأن عين لكل نوع ما يصلحه و يعيش به أو أقواتا تتشأ منها بأن خص حدوث كل قوت بقطر من أقطارها و قرئ «وَوَقَّسَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا» «فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ» أي في تتمة أربعة أيام كقولك سرت من البصرة إلى بغداد في عشر^(٣) و إلى الكوفة في خمس عشرة^(٤) و لعله قال ذلك و لم يقل في يومين للإشعار باتصالها لليومين^(٥) و الأولين و التصريح على الفذلكة.^(٦)

أقول: و قد يحمل على أن المراد أربعة أوقات و هي التي يخرج الله فيها أقوات العالم من الناس و البهائم و الطير و حشرات الأرض و ما في البر و البحر من الخلق من الثمار و النبات و الشجر و ما يكون فيه معاش الحيوان كله و هي الربيع و الصيف و الخريف و الشتاء و لا يخفى بعده عن السياق.

«سَوَاءً» أي استوت سواء بمعنى استواء و الجملة صفة أيام و يدل عليه قراءة يعقوب بالجر و قيل حال من الضمير في «أَقْوَاتَهَا» أو في «فِيهَا» و قرئ بالرفع على «هي سواء» «للسائلين» متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الأرض و ما فيها أو بمقدر أي قدر فيها الأقوات للسائلين.^(٧)

«ثُمَّ أَشْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ» قصد نحوها من قولهم استوى إلى مكان كذا إذا توجه إليه توجهًا لا يلوي على غيره «وَوَجَعَلْ دُخَانًا» قال البيضاوي أي أمر ظلماني و لعله أراد به مادته^(٨) و الأجزاء المتصغرة التي ركب منها^(٩).

و قال الطبرسي قال ابن عباس كانت بخار الأرض و قيل معناه ثم استوى أمره إلى السماء.^(١٠)

وقال الرازي و ذكر صاحب الأثر أنه كان عرش الله على الماء. منذ خلق^(١١) السماوات و الأرض فأحدث الله في ذلك الماء سخونة فارتفع منه زيد و دخان^(١٢) فبقي على وجه الماء فخلق الله تعالى فيه^(١٣) اليبوسة و أحدث منه الأرض و أما الدخان فارتفع و علا فخلق الله منه السماوات و اعلم أن هذه القصة غير موجودة في القرآن فإن دل عليها دليل صحيح قبلت^(١٤) و إلا فلا و هذه القصة مذكورة في أول الكتاب الذي تزعم اليهود أنه التوراة و فيه أنه تعالى خلق السماء من أجزاء مظلمة و هذا هو المعقول لأننا قد دللنا في المعقولات على أن الظلمة ليست كيفية

(٢) التفسير الكبير ج ٢٧ ص ١٠٢ ملخصاً.

(٤) في المصدر: إضافة: «يوماً».

(٦) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٣٤٩.

(٨) في المصدر: «أو الأجزاء».

(١٠) مجمع البيان ج ٩ ص ٦.

(١٢) في المصدر: «أما الزيد فيق».

(١٤) في المصدر: «قبل».

(١١) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٣٤٩.

(٣) في المصدر: «عشرة أيام».

(٥) في المصدر: «باليومين».

(٧) في المصدر إضافة: «لها».

(٩) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٣٤٩ و ٣٥٠.

(١١) في المصدر: «قبل خلق».

(١٣) في المصدر: «منه اليبوسة».

وجودية بل هي عبارة عن عدم النور فالله سبحانه لما خلق الأجزاء التي لا تتجزى قبل أن يخلق فيها كيفية الضوء كانت مظلمة عديمة النور ثم إذ ركبها وجعلها سماوات وكواكب وشمساً وقمرًا وأحدث صفة الضوء فيها فحينئذ صارت مستتيرة فثبت أن تلك الأجزاء حين قصد الله تعالى أن يخلق منها السماوات والشمس والقمر كانت مظلمة فصح تسميتها بالدخان لأنه لا معنى للدخان إلا أجزاء متفرقة غير متواصلة عديمة النور.^(١)

﴿قَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ آتِيَا﴾ قال البيضاوي أي بما خلقت فيكما من التأثير والتأثر وأبرز ما أودعتكما من الأوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة أو آتيا في الوجود على أن الخلق السابق بمعنى التقدير أو الترتيب للرتبة أو الإخبار أو إتيان السماء بحدوثها وإتيان الأرض أن تصير مدحوة أو ليأت كل منكما الأخرى في حدوث ما أريد توليده منكما ويؤيده قراءة «آتيا» من المواتاة أي ليوافق كل واحدة منكما أختها فيما أردت منكما «طَوْعًا أَوْ كَرْهًا» شتما ذلك أو أبيتما أو المراد إظهار كمال قدرته وجوب وقوع مراده لا إثبات الطوع والكره لهما و هما مصدران وقعا موقع الحال «قَالَتَا آتَيْنَا طَائِعِينَ» أي متقادين بالذات والأظهر أن المراد تصوير تأثير قدرته فيها وتأثرهما بالذات عنها وتمثيلها^(٢) بأمر المطاع وإجابة المطيع الطائع كقوله «كُنْ فَيَكُونُ» وما قيل إنه تعالى خاطبهما وأقدهما على الجواب إنما يتصور على الوجه الأول والأخير وإنما قال «طَائِعِينَ» على المعنى باعتبار كونهما مخاطبتين كقوله تعالى «سَاجِدِينَ».^(٣)

وقال الطبرسي قدس سره قال ابن عباس أتت السماء بما فيها من الشمس والقمر والنجوم وأتت الأرض بما فيها من الأنهار والأشجار والثمار وليس هناك أمر بالقول حقيقة ولا جواب لذلك القول بل أخبر سبحانه عن اختراعه السماوات والأرض وإنشائه لهما من غير تعذر ولا كلفة ولا مشقة بمنزلة ما يقال^(٤) افعل فيفعل من غير تلبث ولا توقف ولا تأن^(٥) فغير عن ذلك بالأمر والطاعة وهو كقوله «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَسْكُنَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»^(٦) وإنما قال «آتَيْنَا طَائِعِينَ» ولم يقل طاعتين لأن المعنى آتينا بمن قينا من العقلاء فغلب حكم العقلاء^(٧) وقيل إنه لما خاطبن خطاب من يعقل جمعن جمع من يعقل كما قال «وَكُلٌّ فِي فَكٍّ يَسْبَحُونَ».^(٨)

﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ قال البيضاوي أي فخلقهن خلقاً إبداعياً وأتقن. أمرهن والضمير للسما على المعنى^(٩) أو مبهم «وَسَبْعَ سَمَاوَاتٍ» حال على الأول وتمييز على الثاني «فِي يَوْمَيْنِ» قيل خلق السماوات يوم الخميس والشمس والقمر والنجوم يوم الجمعة «وَوَاحِي فِي كُلِّ سَبْعٍ أَمْرَهَا» شأنها وما يتأتى منها بأن حملها عليه اختياراً أو طبعاً وقيل أوحى إلى أهلها بأوامر^(١٠) «وَرَبَّانَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمَضَابِجٍ» فإن الكواكب كلها ترى كأنها تتلألأ عليها «وَوَحْفَظًا» أي وحفظناها من الآفات أو من المسترقة حفظاً وقيل مفعول له على المعنى كأنه قال خصصنا السماء الدنيا بمصابيح زينة وحفظاً «ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ» البالغ في القدرة والعلم.^(١١)

﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ قال الطبرسي أي تعب ونصب أكذب الله تعالى بهذا اليهود فإنهم قالوا استراح الله يوم السبت فلذلك لا نعمل فيه شيئاً.^(١٢)

وقال الرازي في تفسيره قال بعض المفسرين المراد من الآية الرد على اليهود حيث قالوا بدأ الله خلق العالم يوم الأحد وفرغ منه في ستة أيام آخرها يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستوى^(١٣) على عرشه فقال تعالى «وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ» رادا عليهم والظاهر أن المراد الرد على المشرك^(١٤) أي ما تعبنا بالخلق الأول حتى لا نقدر على الإعادة ثانياً وأما ما قاله اليهود ونقلوه من التوراة فهو إما تحريف منهم أو لم يعلموا تأويله وذلك لأن الأحد

(١) التفسير الكبير ج ٢٧ ص ١٠٤.

(٢) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٣٥٠.

(٣) عبارة: «ولا تأن» ليست في المصدر.

(٤) في المصدر إضافة: «عن قطرب».

(٥) جاء في هامش المطبوعة: أي كانت المناسب صيغة التثنية ولما كان منها أكثر اعتبر جانب المعنى، وإنما جمع على صيغة جمع العقلاء باعتبار جعلهما مخاطبتين (متن).

(٦) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٣٥٠.

(٧) في المصدر: «استلقى».

(٨) في المصدر إضافة: «والاستدلال يخلق السماوات والأرض وما بينهما وقوله تعالى: «وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ».

(٩) في المصدر: «وتمثيلها».

(١٠) في المصدر: «ما يقال للأمر».

(١١) سورة يس، آية: ٨٢.

(١٢) مجمع البيان ج ٩ ص ٦.

(١٣) في المصدر إضافة: «ونواهي».

(١٤) مجمع البيان ج ٩ ص ١٥٠.

والإنئين أزمته متميزة بعضها عن بعض فلو كان خلق السماوات ابتداء^(١) يوم الأحد لكان الزمان متحققا قبل الأجسام^(٢) و الزمان لا ينفك عن الأجسام فيكون قبل الأجسام أجسام أخر فيلزم القول بقديم العالم وهو مذهب الفلاسفة انتهى^(٣).

وأقول: تعيين تلك الأيام موجودة في الأخبار المعتمدة كما ستعرف وما توهم من لزوم قدم العالم خطأ كما عرفت سابقا أنه يمكن تصحيحه بوجود متعددة شيء منها لا يستلزم ذلك و أما تعيين الأيام فيمكن أن تقدر الأزمنة بحيث تكون بعد خلق الشمس و حركة الأفلاك و تعيين الأيام تلك الأزمان الماضية موافقة لهذه الأيام الستة بحيث إذا كانت الشمس متحركة فيها كانت تلك الأيام بعينها فتأمل.

«أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا» قال البيضاوي أي أصعب خلقا أم السَّاءُ ثم بين كيف خلقها و قال «بِنَاهَا» ثم بين البناء فقا (رَفَعَ سَدَكُهَا» أي جعل مقدار ارتفاعها من الأرض أو تخنها الذاهب في العلو رفيعا «فَسَوَّاهَا» أي فعدلها أو جعلها مستوية أو قسمتها بما به يتم كمالها من الكواكب و التدوير و غيرها من قولهم سوى فلان أمره إذا أصلحه «وَأَغَطَّشَ لَيْلَهَا» أي أظلمه منقول من غطش الليل إذا أظلم و أضاف^(٤) إليها لأنه يحدث بحركتها «وَأَخْرَجَ ضَخَاهَا» أي و أبرز ضوء شمسها كقوله تعالى «وَالشَّمْسُ وَضَخَاهَا»^(٥) يريد النهار «وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا» بسطها و مهدها للسكنى «وَأَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا» بتفجير العين «وَمَرْغَاهَا» أي و رعيها و هو في الأصل لمواضع الرعي و تجريد الجملة عن العاطف لأنها حال بإضمار قد أو بيان للدحو «وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا» أي أثبتها «وَمَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ» تمتعا لكم و لمواشيكم^(٦).

«الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى» أي خلق كل شيء فسوى خلقه بأن جعل له ما به يتأتى كماله و يتم معاشه «وَالَّذِي قَدَّرَ» أي قدر أجناس الأشياء و أنواعها و أشخاصها و مقاديرها و صفاتها و أفعالها و آجالها «فَقَدَرَهُ» فوجهه إلى أفعاله طبعاً أو اختياراً بخلق الميول و الإلهامات و نصب الدلائل و إنزال الآيات.

تحقيق في دفع شبهة

اعلم أن بعض الملاحدة أوردوا تناقضا بين آيات سورتي البقرة و السجدة و بين آيات سورة النازعات حيث زعموا أن الأولى تدل على تقدم خلق الأرض على السماء و الأخيرة على العكس و أجيب عنه بوجوه. أحدها أن خلق الأرض قبل السماء إلا أن دحوا متأخر عن خلق السماء و استشكل بوجهين الأول أن الأرض جسم عظيم فامتنع انفكاك خلقها عن التدحية فإذا كانت التدحية متأخرة عن خلق السماء كان خلقها لا محالة أيضا متأخرا عن خلق السماء. و الثاني أن الآية الأولى تدل على أن خلق الأرض و خلق كل ما فيها مقدم على خلق السماء و خلق الأشياء في الأرض لا يكون إلا بعد ما كانت مدحوة.

و أجيب عن الأول بأننا لا نسلم امتناع انفكاك خلق الأرض عن دحوا و المناقشة في إطلاق خلق الأرض على إيجادها غير مدحوة مناقشة لفظية و عن الثاني بأن قوله تعالى «وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا» يقتضي تقدم خلق السماء على دحو الأرض و لا يقتضي تقدم تسوية السماء على دحو الأرض فجاز أن تكون تسوية السماء متأخرة عن دحو الأرض فيكون خلق الأرض قبل السماء و خلق السماء قبل دحو الأرض و دحو الأرض قبل تسوية السماء فارتفع التنافي و يرد عليه أن الآية الثالثة تقتضي تقدم تسوية السماء على دحو الأرض و الثانية تقتضي تقدم خلق الأرض بما فيها على تسويتها سبع سماوات و خلق ما في الأرض قبل دحوا مستبعد و يمكن أن يجاب بأن المراد بالخلق في الأولى التقدير و هو شائع في العرف و اللغة و بأن المراد بخلق ما في الأرض خلق موادها كما أن خلق الأرض قبل دحوا عبارة عن مثل ذلك فتكون تسوية السماء متقدمة على دحو الأرض كما هو ظاهر الآية الثالثة أو بأن يفرق بين تسويتها المذكورة في الثالثة و بين تسويتها سبع سماوات كما في الأولى و حينئذ فتسويتها مطلقا متقدمة على دحو الأرض و تسويتها سبعا متأخرة عنه و لعل هذا أوفق في الجمع أو بأن يقال الفاء في قوله تعالى «فَسَوَّاهَا»

(١) في المصدر: «ابتدىء» بدل «ابتداء».

(٢) في المصدر: «ابتدىء» بدل «ابتداء».

(٣) في المصدر: «وإنما أضاف».

(٤) في المصدر: «وإنما أضاف».

(٥) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٥٦٦.

(٦) سورة الشمس، آية: ١.

بمعنى ثم والمشار إليه بذلك في قوله تعالى ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ هو بناء السماء وخلقها لا مجموع ما ذكر قبله أو بأن يقال كلمة «ثم» في الأولى للترتيب الذكري وتقديم خلق ما في الأرض في معرض الامتنان لمزيد الاختصاص فيكون خلق ما في الأرض بعد دحواها كما هو الظاهر وتسوية السماء متقدمة عليه وعلى دحو الأرض كما هو ظاهر الآية الثالثة لكن هذا لا يخلو من نوع منافرة لظاهر الآية الثانية وقد أوردنا بعض التوجيهات لها في شرح بعض الأخبار الآتية.

وقال البيضاوي كلمة «ثم» في آيتي البقرة والسجدة لتفاوت^(١) ما بين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الأرض كقوله تعالى ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لا للترابي في المدة^(٢) فإنه يخالف ظاهر قوله تعالى ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾^(٣) فإنه يدل على تأخر دحو الأرض المتقدم على خلق ما فيها عن خلق السماء وتسويتها إلا أن يستأنف^(٤) بدحيها مقدرا لنصب الأرض فعلا آخر دل عليه ﴿وَأَنْتُمْ أَشْدُّ حَقْلًا﴾^(٥) مثل تعرف الأرض وتدبر أمرها بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر^(٦) انتهى.

والوجه الثاني مما قد أجيب به عن أصل الإشكال أن يقال كلمة «بعد» في الآية الثالثة ليست للتأخر الزماني إنما هو على جهة تعداد النعم والإذكار. لها كما يقول القائل أليس قد أعطيتك وفعلت بك كذا وكذا وبعد ذلك خلطتك وربما يكون بعض ما تقدم في اللفظ متأخرا بحسب الزمان لأنه لم يكن الغرض الإخبار عن الأوقات والأزمنة بل المراد ذكر النعم والتنبيه عليها وربما اقتضت الحال إيراد الكلام على هذا الوجه.

والثالث ما ذكره الرازي وهو أن لا يكون معنى «دَحَاهَا» مجرد البسط بل يكون المراد أنه بسطها بسطا مهيأ لنبت الأوقات وهذا هو الذي بينه بقوله ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْغَاهَا﴾ وذلك لأن^(٧) الاستعداد لا يحصل للأرض إلا بعد وجود السماء فإن الأرض كالآم والسماء كالآب وما لم يحصل لم يتولد أولاد المعادن والنبات والحيوان.

والرابع ما ذكره أيضا وهو أن يكون قوله ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي مع ذلك كقوله ﴿عَتَلْ بَعْدَ ذَلِكَ رَنِيمَ﴾^(٨) أي مع ذلك وكقولك للرجل أنت كذا وكذا ثم أنت بعدها كذا لا تريد^(٩) الترتيب وقال تعالى ﴿فَكَرَّجَتْهُ إِلَى قَوْلِهِ﴾ ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(١٠) والمعنى وكان وهذا تقرير ما نقل عن ابن عباس وغيره قالوا في قوله ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ أي مع مياده دحاه^(١١).

أقول: وهذا قريب من الثاني ثم المشهور أن خلق الأرض قبل خلق السماء وهو الأظهر وقيل بالعكس نقل الواحد في البسيط عن مقاتل أنه قال خلق الله السماء قبل الأرض وتأويل قوله ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ ثم كان قد استوى وَهِيَ دُخَانٌ قبل أن يخلق الأرض فأضمر فيه كان كما قال تعالى ﴿فَالْوَاوِينَ يَسْرِقُ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾^(١٢) معناه إن يكن سرق^(١٣).

وقال الرازي المختار عندي أن يقال خلق السماء مقدم على خلق الأرض بقي أن يقال كيف تأويل هذه الآية يعني آية السجدة فنقول الخلق ليس عبارة عن التكوين والإيجاد والدليل عليه قوله تعالى ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١٤) فلو كان الخلق عبارة عن الإيجاد والتكوين لصار معنى الآية أوجده من تراب ثم قال له كن فيكون وهذا محال لأنه يلزم أنه تعالى قد قال شيء^(١٥) وجدكن وإذا ثبت هذا فنقول قوله ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ معناه أنه قضى بحدوثها في يومين وقضاء الله بأنه سيحدث كذا في مدة كذا لا يقتضي حدوث ذلك الشيء في الحال فقضاء الله بحدوث الأرض في يومين مقدم على إحداث السماء ولا يلزم منه تقدم

(٢) في المصدر: «في الوقت» بدل «في المدة».

(٤) في المصدر: «تستأنف» بدل «يستأنف».

(٦) أنوار التنزيل ج ١ ص ٤٨.

(٨) سورة القلم، آية: ١٣.

(١٠) سورة البلد، آية: ١٣ - ١٧.

(١٢) سورة يوسف، آية: ٧.

(١٤) سورة آل عمران، آية: ٥٩.

(١١) في المصدر: «لعله لتفاوت».

(٣) سورة النازعات، آية: ٣٠.

(٥) سورة النازعات، آية: ٢٧.

(٧) في المصدر: «لأن هذا الاستعداد».

(٩) في المصدر: «لا تريد به الترتيب».

(١١) التفسير الكبير ج ٣١ ص ٤٨ (نقل عنه ملخصاً).

(١٣) تجده في التفسير الكبير ج ٢٧ ص ١٠٥ باختلاف يسير.

(١٥) في المصدر: «الشيء الذي».

إحداث الأرض على إحداث السماء^(١) انتهى ولا يخفى ما فيه وستطلع على حقيقة الأمر في ضمن شرح الأخبار إن شاء الله تعالى.

الأخبار

١- النهج: [تهج البلاغة] قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له المعروف من غير رؤية والخالق من غير رؤية الذي لم يزل قائما دائما إذ لا سماء ذات أبراج ولا حجب ذات أرتاج ولا ليل داج ولا بحر ساج ولا جبل ذو فجاج ولا فيج ذو عوجاج ولا أرض ذات مهاد ولا خلق ذو اعتماد ذلك مبتدع الخلق ووارثه وإله الخلق ورازقه.^(٢)

بيان: من غير رؤية أي تفكر لأنه يستلزم الجهل السابق وحدث أمر فيه لم يكن والاستكمال بعد النقص الذي لم يزل قائما أي بذاته أو بأحوال الخلق وقد مر مرارا دائما أي باقيا بذاته من غير علة ذات أبراج أي بروج أو كواكب نيرة والحجب جمع الحجاب والمراد هنا ما سيأتي من الحجب النورانية التي تحت العرش أو السماوات عبر عنها بلفظين والأرتاج في بعض النسخ بكسر الهزة مصدر أرتج الباب أي أغلقه وفي بعضها بالفتح جمع رتج بالتحريك أو رتاج بالكسر والأول الباب العظيم والثاني الباب المغلق أو الذي عليه باب صغير والداجي المظلم والساجي الساكن والفجاج جمع الفج بالفتح وهو الطريق الواسع بين الجبلين والمهاد بالكسر الفرائش واعتمدت على الشيء اتكأت عليه وكل حي يعتمد على رجله في المشي وعلى غيرها ويمكن أن يراى به القوة والتصرف وأبدعت الشيء وأبدعته أي استخرجته وأحدثته والابتداع الخلق على غير مثال ووراثه أي الباقي بعد فناءهم والمالك لما ملكوا ظاهرا ولا يخفى صراحته في حدوث العالم.

٢- النهج: [تهج البلاغة] قال عليه السلام الأول قبل كل أول والآخر بعد كل آخر.^(٣)

بيان: الفرض إثبات الأولية والآخرة الحقيقيتين له سبحانه وظاهر الأول حدوث ما سواه واستدل بالثاني على ما ذهب إليه كثير من المتكلمين من انعدام العالم بأسره قبل قيام الساعة ويمكن أن يكون الآخرة باعتبار أن كل ما عداه في التغير والتحول من حال إلى حال كما ورد في الرواية وقبل أوليته بحسب الخارج وآخرته بحسب الذهن أو الآخر في سلسلة الافتقار لاحتياج الكل إليه سبحانه.

٣- النهج: [تهج البلاغة] قال عليه السلام الحمد لله الدال على وجوده بخلقه وبمحدث خلقه على أزليته.^(٤)

ومنه قال عليه السلام الحمد لله خالق العباد وناظر المهاد ومسيل الوهاد ومخصب النجاد ليس لأزليته ابتداء ولا لأزليته انقضاء هو الأول لم يزل والباقي بلا أجل إلى قوله عليه السلام قبل كل غاية ومدة وكل إحصاء وعدة إلى قوله عليه السلام لم يخلق الأشياء من أصول أزلية ولا من أوائل أبدية^(٥) بل خلق ما خلق فأقام حده وصور ما صور فأحسن صورته.^(٦)

بيان: الساطع الباسط والمسيل المجرى والوهاد جمع وهدة وهي الأرض المنخفضة وأخصب الله الأرض أي جعلها كثيرة العشب والكلأ والنجاد بالكسر جمع نجد بالفتح وهو المرتفع من الأرض ولا لأزليته انقضاء أي في جانب الأبد أي أزليته أزلية مقرونة بالأبدية ويمكن أن يكون إشارة إلى أن الأزلية تستلزم الأبدية إذ ما ثبت قدمه امتنع عدمه أو في جانب الأول إذا رجع الوهم إليه ولا يخفى دلالة تلك الفقرات على اختصاص الأزلية به وحدث ما سواه إذ ذكر الصفات المشتركة بينه وبين خلقه لا يناسب مقام المدح. ثم صرح عليه السلام بذلك بقوله لم يخلق الأشياء من أصول أزلية ردا على ما زعمته الحكماء من الهوى القديمة ونحو ذلك والأبد بالتحريك الدهر والدائم والقديم الأزلي كما ذكره في القاموس^(٧) وقبل الزمان الطويل الذي ليس بمحدود والظاهر أنه تأكيد وتفسير للمفردة الأولى ويحتمل أن يكون المراد الأمثلة التي يخلق الله تعالى الأشياء على حذوها وفي بعض النسخ بديه والبدى كرضي الأول من أوائل سابقة على إيجادها.

(٢) نهج البلاغة ص ١٢٢ - ١٢٣ الخطبة ٩٠.

(٤) نهج البلاغة ص ٢١٠ الخطبة ١٥٢.

(٦) نهج البلاغة ص ٢٢٢ الخطبة ١٦٣.

(١) التفسير الكبير ج ٢٧ ص ١٠٧.

(٣) نهج البلاغة ص ١٤٦ الخطبة ١٠١.

(٥) سيأتي في «بيان» المؤلف أن في بعض النسخ «بدية».

(٧) القاموس المحيط ج ٣ ص ٣٣٨.

٤- شرح النهج للكيدري: ورد في الخبر أن الله تعالى لما أراد خلق السماء والأرض خلق جوهرًا أخضر ثم ذوبه فصار ماء مضطربًا ثم أخرج منه بخارًا كال دخان فخلق منه السماء كما قال ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾^(١) ثم فلق تلك السماء فجعلها سبعًا ثم جعل من ذلك الماء زبدًا فخلق منه أرض مكة ثم بسط الأرض كلها من تحت الكعبة ولذلك تسمى مكة أم القرى لأنها أصل جميع الأرض ثم شق من تلك الأرض سبع أرضين وجعل بين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام وكذلك بين كل أرض وأرض وكذلك بين هذه السماء وهذه الأرض ثم بعث ملكًا من تحت العرش حتى نقل الأرض على منكبيه وعنقه ومد اليدين فبلغت إحداهما إلى المشرق والأخرى إلى المغرب ثم بعث لقرار قدم ذلك الملك بقرة من الجنة كان لها أربعون ألف قرن وأربعون ألف رجل ويد وبعث ياقوتا من الفردوس الأعلى حتى يوضع بين سنام تلك البقرة وأذنهما فاستقر قدما ذلك الملك على السنام والياقوت وإن قرون تلك البقرة لمرتفعة من أقطار الأرض إلى تحت العرش وإن مناخر أنوفها بإزاء الأرض فإذا تنفست البقرة مد البحر وإذا قبضت أنفاسها جزر البحر من ذلك ثم خلق لقرار قوائم تلك البقرة صخرة وهي التي حكى الله عن لقمان في قوله ﴿فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ﴾ فيزيد مقدار سعة تلك الصخرة سبع مرات على مقدار سبع سموات وسبع أرضين ثم خلق حوتا وهو الذي أقسم الله فقال ﴿ن وَالْقَلَمِ﴾^(٢) والنون الحوت وأمر تعالى بوضع تلك الصخرة على ظهر ذلك الحوت وجعل ذلك الحوت في الماء وأمسك الماء على الريح ويحفظ الله الريح بقدرته^(٣).

٥- النهج: [نهج البلاغة] والاحتجاج: في خطبة لأمر المؤمنين ﷺ الدال على قدمه بحدوث خلقه وبعثه خلقه على وجوده إلى قوله ﷺ مستشهد بحدوث الأشياء على أزليته^(٤).

٦- وفي خطبة أخرى مشهورة: لا تصحبه الأوقات ولا ترفده الأدوات سبق الأوقات كونه والعدم وجوده والابتداء أزله إلى قوله ﷺ لا يجري عليه السكون والحركة وكيف يجري عليه ما هو أجراه ويعود فيه ما هو أبداه ويحدث فيه ما هو أحدثه إذا لتفاوتت ذاته ولتجزأ كنهه ولا تمتنع من الأزل معناه إلى قوله ﷺ يقول لما^(٥) أراد كونه كن فيكون لا بصوت يقرع ولا نداء^(٦) يسمع وإنما كلامه سبحانه فعل منه أنشأه ومثله لم يكن من قبل ذلك كانتا ولو كان قديما لكان إلهًا ثانيًا لا يقال كان بعد أن لم يكن فتجري عليه الصفات المحدثات ولا يكون بينها وبينه فصل ولا له عليها فضل فيستوي الصانع والمصنوع ويتكافأ المبتدع والبديع خلق الخلائق على غير مثال خلا من غيره ولم يستعن على خلقها بأحد من خلقه وأنشأ الأرض فأمسكها من غير اشتغال وأرسلها على غير قرار وأقامها بغير قوائم ورفعها بغير دعائم وحصنها من الأود والاعوجاج ومنعها من التهافت والانفراج أرسى أوتادها وضرب أسداها واستفاض عيونها وخد أوديتها فلم يهن ما بناه ولا ضعف ما قواه إلى قوله ﷺ هو المفعلي لها بعد وجودها حتى يصير موجودها كمفقودها وليس فناء الدنيا بعد ابتدائها بأعجب من إنشائها واختراعها إلى قوله ﷺ وإنه^(٧) سبحانه يعود بعد فناء الدنيا وحده لا شيء معه كما كان قبل ابتدائها كذلك يكون بعد فنائها بلا وقت ولا مكان ولا حين ولا زمان عدمت عند ذلك الآجال والأوقات وزالت السنون والساعات فلا شيء إلا^(٨) الواحد القهار الذي إليه مصير جميع الأمور بلا قدرة منها كان ابتداء خلقها وبغير امتناع منها كان فناؤها ولو قدرت على الامتناع لدام بقاؤها لم يتكاده صنع شيء منها إذ صنعه ولم يؤده منها خلق ما برأه وخلقها^(٩) ولم يكونها لتشديد سلطان ولا لخوف من زوال ونقصان ولا للاستعانة بها على ند مكاث ولا للاحتراز بها من ضد مشاور ولا للازدياد بها في ملكه ولا لمكاثرة شريك في شركه ولا لوحشة كانت منه فأراد أن يستأنس إليها ثم هو يفتنيها بعد تكوينها لا لسأم دخل عليه في تصريفها وتديرها ولا لراحة واصله إليه ولا لثقل شيء منها عليه لم^(١٠) يمل طول بقائها فيدعوه إلى سرعة إنفائها لكنه سبحانه دبرها بلطفه وأمسكها بأمره وأتقنها بقدرته ثم يعيدها بعد الفناء من غير حاجة منه

(١) سورة فصلت، آية: ١١.

(٢) حدائق الحقائق ج ١ ص ١٣١-١٣٢ ذيل الخطبة الأولى.

(٣) نهج البلاغة ص ٢٦٩ الخطبة ١٨٥، والاحتجاج ج ١ ص ٤٨٠ الرقم ١١٧.

(٤) في المصدر: «لمن أراد» بدل «لما أراد».

(٥) في المصدر: «وإن الله».

(٦) في المصدر: «لأنه» بدل «لأنه».

(٧) في المصدر: «لأنه» بدل «لأنه».

(٨) سورة القلم، آية: ١.

(٩) في المصدر: «لأنه» بدل «لأنه».

(١٠) في المصدر: «لأنه» بدل «لأنه».

إليها ولا استعانة بشيء منها عليها ولا لاتصراف من حال وحشة إلى حال استئناس ولا من حال جهل وعى إلى علم^(١) والتماس ولا من فقر وحاجة إلى غنى وكثرة ولا من ذل وضعه إلى عز وقدره^(٢).

إيضاح الدال على قدمه بحدوث خلقه فيه وفيما بعده دلالة على أن علة الفاقة إلى المؤثر الحدوث وأنه لا يعقل التأثير في الأزلي القديم وكذا قوله مستشهد بحدوث الأشياء على أزليته.

لا تصحبه الأوقات يحتمل وجهين أحدهما نفي المصاحبة على الدوام بل وجوده سابق على الأزمان كالأزمانيات كما قال سيبك الأوقات كونه وثانيهما نفي الزمانية عنه سبحانه مطلقا كما ذهب إليه الحكماء من أن الزمان نسبة المتغير إلى المتغير ولا يكون فيما لا تغير فيه أصلا فالمراد بسبق كونه على الأوقات عدم لحوقها له وامتناع مقارنته سبحانه لها وربما يؤيد ذلك بقوله ﷺ وكيف يجري عليه ما هو أجراه فإنه ﷺ استدل على عدم جريان السكون والحركة عليه بأنه موجودهما فلا يكونان من صفاته الكمالية لأن الفعل لا يكون كمالا للفاعل واتصافه بهما لا على وجه الكمال يوجب التغير أو النقص وهذا جار في الزمان أيضا.

وكذا قوله و يعود فيه ما هو أبداه أي أظهره فقيل المعنى أنه سبحانه أظهر الحركة والسكون فكانا متأخرين عنه ذاتا فلو كانا من صفاته لزم أن يعود المتأخر و يصير متقدما لأن صفاته سبحانه عين ذاته فلا يجوز خلوه عنها في مرتبة الإظهار والإيجاد و يحدث فيه ما هو أحدثه لأن الشيء لا يكون فاعلا وقابلا لشيء واحد أو لما مر من لزوم الاستكمال بغيره والنقص في ذاته.

إذا لتفاوتت ذاته أي حصل الاختلاف والتغير في ذاته ولتجزأ كنهه أي كانت حقيقته ذات أجزاء وأبعاد لأن الحركة والسكون مستلزمان للتحيز المستلزم للجسمية أو لكان فيه ما به بالقوة وما به بالفعل ولا تمتنع من الأزل معناه أي ذاته المقصودة من أسمائه الحسنى والامتناع من الأزل للجسمية وحدوث ما لا ينفك عن الحركة والسكون لا بصوت يقرع أي يقرع الأسماع والقرع الدق وفي بعض النسخ على بناء المجهول أي يحصل من قرع شيء.

ومثله أي أقامه وقيل البارئ تعالى مثل القرآن لجبرئيل ﷺ بالكتابة في اللوح ويقال مثلته بين يدي أي أحضرته فلما كان الله تعالى فعل القرآن واضحا بينا كأن قد مثله للمكلفين انتهى والظاهر أن المراد أن قوله كن فيكون ليس المراد به الكلام الحقيقي الذي له صوت بل كناية عن تعلق الإرادة وتمثيل لحصول الأشياء بمحض إرادته بلا تأخر ولا توقف على أمر.

ولو كان قديما لكان إليها ثانيا هذا صريح في أن الإمكان لا يجمع القدم وأن الإيجاد إنما يكون لما هو مسبوق بالعدم فالقول بتعدد القدماء مع القول بإمكان بعضها قول بالنقيضين فتجري على المعلوم وفي بعض النسخ على المجهول عليه الصفات المحدثات في أكثر النسخ الصفات معرفة باللام فالمحدثات صفة له وفي بعضها بدون اللام على الإضافة وهو أنسب أي لو كان محدثا لجرت عليه صفات الأجسام المحدثه فلم يكن بينه وبينها فرق.

والفصل القطع والحاجز بين الشئيين والمبتدع في بعض النسخ على صيغة الفاعل وفي بعضها على صيغة المفعول فعلى الأول البديع بمعنى المبدع على بناء المفعول وعلى الثاني بمعنى المبدع على بناء الفاعل.

على غير مثال خلا أي مضى وسبق من غير اشتغال أي لم يشغله إسماها عن غيره من الأمور وأرساها أي أثبتها على غير قرار أي مقرر يتمكن عليه بل قامت بأمره لا على شيء بغير قوائم أي لا كدابة تقوم بقوائمها والدعامة بالكسر عماد البيت الذي يقوم عليه وحصنه تحصينا أي جملة منيما والأود بالتحريك الأعوجاج والعطف للتفسير والتهافت التساقط قطعة قطعة أوتادها أي جبالها التي هي للأرض بمنزلة الأوتاد وضرب أسدادها السد بالفتح وبالضم الجبل والحاجز بين

الشيثين و قيل بالضم ما كان مخلوقا لله تعالى و بالفتح ما كان من فعلنا و ضرب الأسد نصها يقال ضربت الخيمة أي نصبتها أو نصبتها كضرب الخراج و لعل المعنى خلق الجبال فيها و الأنهار التي هي كالحدود لها لتمييز بعضها عن بعض على حسب اقتضاء الحكمة الكاملة و قال الجوهري السد أيضا واحد السدود و هي السحاب السود عن أبي زيد.^(١)

و استفاض عيونها أي جعلها فائضة جارية و خد أوديتها أي شقها و منه الأخدود أي الحفرات المستطيلة في الأرض حتى يصير موجودها كمفقودها لعل المراد بالمفقود ما لم يوجد أصلا أي حتى يصير كأن لم يكن و يحتمل أن تكون الكاف زائدة و قوله ﷺ كما كان قبل ابتدائها إلى آخر الكلام صريح في حدوث ما سوى الله تعالى و ظاهره نفي الزمان أيضا قبل العالم و عدم زمانيته سبحانه إلى أن يحمل على الأزمنة المعينة من الليالي و الأيام و الشهور و السنين و يدل على فناء جميع أجزاء الدنيا بعد الوجود و هذا أيضا ينافي القدم لأنهم أطبقوا على أن ما ثبت قدمه امتنع عدمه و أقاموا عليه البراهين العقلية.

لم يتكأده في أكثر النسخ على صيغة التفاعل و في بعضها على صيغة التفعّل و كلاهما بمعنى نفي المشقة و في بعض النسخ لم يتكاره على صيغة التفاعل من الكره يقال فعل الأمر على تكره و تكاره أي على تسخط و عدم الرضا به و الغرض أنه سبحانه لم يكن مجبوراً مكرهاً في خلق الأشياء.

و آده الأمر يؤده ألقه و برأه أي خلقه و تشديد السلطان إحكام السلطنة و حفظها عن تطرق الخل فيها و الند بالكسر المثل قالوا و لا يكون الند إلا مخالفا و المكاثرة المغالبة بالكثرة و الضد بالكسر الظير و الكفو و قيل مثل الشيء و خلافة و هو من الأضداد و الثور بالفتح الهيجان و الوثب و ثاوره أي واثبه و الشرك بالكسر الاسم من شركته كعلمت في البيع و الميراث شركه و في النسخ في شركة بالتاء موضع الضمير و الاستئناس اتخاذ الأنيس ضد الاستيحاش و السأم بالتحريك الملل و التصريف التغيير و تحويل الشيء من حال إلى حال و من وجه إلى وجه و التقل بالكسر كما في بعض النسخ و كعنب كما في بعضها ضد الخفة و لم يمله على صيغة الإفعال أي لم يجعله ستما و في بعض النسخ و لا يمله و ذكر السرعة لأن الإفناء لا يستدعي زماناً طويلاً إذا كان عن قدرة كاملة أو لأنه إذا كان عن ملالة من البقاء يكون بسرعة.

و أنقنها أحكمها و الالتئاس الطلب و المراد طلب علم مجهول و الضعة بالفتح كما في النسخ و بالكسر انحطاط الدرجة ضد الرفعة و الضمير في قوله ﷺ يعبدها راجع إلى الدنيا كالضمان السابقة و جوز بعض شارحي النهج عودها إلى الأمور في قوله ﷺ إليه مصير جميع الأمور و على أي حال ظاهره اندام جميع المخلوقات حتى الأرواح و الملائكة ثم عودها فيدل على جواز إعادة المعدوم و قد سبق الكلام فيه في المجلد الثالث.

٧- التوحيد: والعينون: عن محمد بن علي ماجيلويه عن عمه محمد بن أبي القاسم عن أبي سميعة عن محمد بن عبد الله الخراساني عن الرضا ﷺ قال هو أين أين كان و لا أين و هو كيف وكيف كان و لا كيف^(٢) الخير.

٨- الاحتجاج: عن صفوان بن يحيى قال سألتني أبو قرّة المحدث^(٣) أن أدخله إلى أبي الحسن الرضا ﷺ فاستأذنته فأذن له فدخل و سأله عن مسائل فكان فيما سأله أخبرني جعلني الله فداك عن كلام الله لموسى و ساق الكلام إلى أن قال فما تقول في الكتب فقال التوراة و الإنجيل و الزبور و الفرقان و كل كتاب أنزل كان كلام الله أنزل للعالمين نورا و هدى و هي كلها محدثة و هي غير الله فقال أبو قرّة فهل يفنى^(٤) فقال أبو الحسن ﷺ أجمع المسلمون على أن ما سوى الله فان و ما سوى الله فعل الله و التوراة و الإنجيل و الزبور و الفرقان فعل الله ألم تسمع الناس يقولون رب

(٢) العينون ج ١ ص ١٣١، والتوحيد ص ٢٠١ باب ٣٦، حديث ٣.

(٤) في المصدر: «تفنى بدل «يفنى».

(١) الصحاح ج ٢ ص ٤٨٦.

(٢) في المصدر إضافة: «صاحب شبرمة».

القرآن وأن القرآن يقول يوم القيامة يا رب هذا فلان وهو أعرف به^(١) قد أظلمات نهاره وأسهرت ليله فشغني فيه وكذلك التوراة والإنجيل والزبور كلها محدثة مريوبة أحدثها من لئیس كَيْفَلِه شَيْءٌ هدى لِقَوْمٍ يَقُولُونَ فمن زعم أنهم لم يزلن فقد أظهر أن الله ليس بأول قديم ولا واحد وأن الكلام لم يزل معه وليس له بدء وليس بآله^(٢).

بيان: وليس له بدء أي ليس للكلام علة لأن القديم لا يكون مصنوعا وليس بآله أي والحال أنه ليس بآله فكيف لم يحتج إلى الصانع أو الصانع يلزم أن لا يكون إلها لوجود الشريك معه في القدم وفي بعض النسخ وليس بآله له أي يلزم أن لا يكون الله إلها للكلام لكونه معه دائما.

٩- [مهج الدعوات] بإسناده عن أحمد بن محمد بن غالب عن عبد الله بن أبي حبيبة و خليل بن سالم عن الحارث بن عمير عن جعفر بن محمد عن أبيه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال علمني رسول الله ﷺ هذا الدعاء وذكر له فضلا كثيرا^(٣) الحمد لله الذي لا إله إلا هو الملك الحق المبين المدير بلا وزير ولا خلق من عباده يستشير الأول غير مصروف والباقي بعد فناء الخلق العظيم الربوبية نور السماوات والأرضين و فاطرهما و مبتدعهما بغير عمد خلقهما فاستقرت^(٤) الأرضون بأوتادها فوق الماء ثم علا ربنا في السماوات العللى الرخمن على العرش استوى لهُ ما في السماوات وما في الأرض وما تحت الثرى إلى قوله أنت الله لا إله إلا أنت كنت إذ لم تكن سماء مبنية ولا أرض مدحية ولا شمس مضئية ولا ليل مظلم ولا نهار مضى ولا بحر لحي ولا جبل راس ولا نجم سار ولا قمر منير ولا ريح تهب ولا سحب يسكب ولا برق يلمع^(٥) ولا روح تتنفس ولا طائر يطير ولا نار تتوقد ولا ماء يطرد كنت قبل كل شيء و كنت كل شيء و ابتدعت كل شيء إلى آخر الدعاء^(٦).

١٠- ومنه: بإسناده ذكرها إلى ابن عباس وعبد الله بن جعفر عن أمير المؤمنين عليه السلام في الدعاء اليماني المعروف أنت الجبار القدوس الذي لم تزل أزليا دائما في الغيوب وحدك ليس فيها غيرك ولم يكن لها سواك^(٧).

١١- ومنه: في دعاء علمه جبرئيل النبي صلى الله عليهما الأول والآخِر والكائن قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكائن بعد فناء كل شيء^(٨).

١٢- التوحيد: عن محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن الصفار عن محمد بن عيسى عن سليمان الجعفري قال قال الرضا عليه السلام المشية^(٩) من صفات الأفعال فمن زعم أن الله لم يزل مريدا شائيا فليس بموحّد^(١٠).

بيان: لعل الشرك باعتبار أنه إذا كانت الإرادة والمشية أزليتين فالمراد والمشية أيضا يكونان أزليين ولا يعقل التأثير في القديم فيكون إلها ثانيا كما مر مرارا أو أنها لما لم يكونا عين الذات فكونهما دائما معه سبحانه يوجب إلهين آخرين بتقريب ما مر ويؤيد الأول. ما رواه في التوحيد أيضا عن عاصم بن حميد عن أبي عبد الله عليه السلام قال قلت له لم يزل الله مريدا فقال إن المرید لا يكون إلا لمراد معه بل لم يزل عالما قادرا ثم أراد^(١١).

١٣- التوحيد: بإسناده عن سلمان قال سألت الجائليق أمير المؤمنين عليه السلام أخبرني عن الرب أفي الدنيا هو أو في الآخرة قال علي عليه السلام لم يزل ربنا قبل الدنيا^(١٢) هو مدبر الدنيا وعالم بالآخرة^(١٣).

١٤- وبإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال الحمد لله الذي كان قبل أن يكون كان لم يوجد لوصفه كان ثم قال كان إذ لم يكن شيء ولم ينطق فيه ناطق فكان إذ لا كان^(١٤).

١٥- النهج: [تهج البلاغة] من خطبة له عليه السلام وكان من اقتدار جبروته و بديع لطائف صنعته أن جعل من ماء البحر

(١) في المصدر إضافة: «منه».

(٢) في المصدر إضافة: «بسم الله الرحمن الرحيم».

(٣) في المصدر إضافة: «وقتها فتأقلمت السماوات طائعات بأمره واستقرت».

(٤) في المصدر إضافة: «ولا رعد يسبح».

(٥) مهج الدعوات ج ١٠٧ و ١٠٨.

(٦) مهج الدعوات ص ٨٥، وفي: «الأول والآخِر الظاهر الباطن للكائن».

(٧) في المصدر إضافة: «والإرادة».

(٨) التوحيد ص ١٤٦ باب ١١، حديث ١٥.

(٩) التوحيد ص ١٣٦ باب ٤٨، حديث ٣.

(١٠) التوحيد ص ٥٩ و ٦٠ باب ٢، حديث ١٧.

(١١) التوحيد ص ٥٩ و ٦٠ باب ٢، حديث ١٧.

(١٢) التوحيد ص ٥٩ و ٦٠ باب ٢، حديث ١٧.

(١٣) التوحيد ص ٥٩ و ٦٠ باب ٢، حديث ١٧.

(١٤) التوحيد ص ٥٩ و ٦٠ باب ٢، حديث ١٧.

الزاخر المتراكم المتقاصف يبسا جامدا ثم فطر منه أطباقا ففتتها سبع سماوات بعد ارتاقها فاستمسكت بأمره وقامت على حده يحملها^(١) الأخضر المتعرج والقمقام المسخر قد ذل لأمره وأذعن لهيبته ووقف الجاري منه لخشيته وجبل جلا ميدها ونشوز متونها وأطواها فأرساها في مراسيها وألزمها قرارتها^(٢) فمضت رهوسها في الهواء ورست أصولها في الماء فانهد جبالها عن سهولها وأساخ قواعدها في متون أقطارها ومواقع أنصائها فأسهب قلالها وأطال أنشازها وجعلها للأرض عمادا وأرزا فيها أوتادا فسكنت على حركتها من أن تميد بأهلها أو تسبخ بحملها أو تزول عن مواضعها فسيحان من أمسكها بعد موجان مياها وأجمدها بعد رطوبة أكنافها فجعلها لخلقها مهادا وبسطها لهم فراشا فوق بحر لجي راكد لا يجري وقائم لا يسري تكررته الرياح العواصف وتمخضه الغمام الذوارف إن في ذلك لعبرة لمن يخشى^(٣)

بيان: الاعتبار على الشيء القدرة عليه والجبروت فعלות من الجبر وهو القهر والبديع بمعنى المبدع بالفتح واللطيف الدقيق وزخر البحر كمنع أي تملأ وارتفع والمتراكم المجتمع بعضه فوق بعض وتقاصف البحر تراجحت أمواجه وقال ابن أبي الحديد البيس بالتحريك المكان يكون رطبا ثم ببس قال الله تعالى ﴿فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا﴾^(٤) واليبس بالسكون اليابس خلقة يقال حطب يبس وهكذا يقول أهل اللغة وفيه كلام لأن الحطب ليس يابسا خلقة بل كان رطبا من قبل والأصوب أن يقال لا تكون هذه اللفظة محركة إلا في المكان خاصة^(٥) انتهى والجامد ضد الذائب والمراد باليبس الجامد الأرض والفطر بالفتح الخلق والإنشاء والأطباق بالفتح جمع طبق بالتحريك وهو غطاء كل شيء والطبق أيضا من كل شيء ما ساواه وقوله ﴿فتفتها﴾ إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَلَمْ يَزَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾^(٦) وقد مرت الوجوه في تفسيرها وهذا مما يؤيد بعضها فتذكر ويدل على حدوث السماوات وكونها أولي طبقات منصلة في الحقيقة متصلة في الصورة بعضها فوق بعض ففتقتها وفرقتها وبعدها بعضها عن بعض فحصلت سبع سماوات متميزات بينها أفضية للملائكة.

والاستمساك الاحتباس والاعتصام والغرض عدم تفرقها كان بعضها معتمص ببعض وقيامها على حده كناية عن وقوفها على ما حدها من المكان والمقدار والشكل والهيئة والنهايات والطباق وعدم خروجها عن تلك والضмир في حده راجع إلى الله أو إلى البيس.

وقال الكيدري والأخضر الماء والعرب تصفه بالخضرة^(٧) والمتعرج على صيغة اسم الفاعل كما في النسخ السائل من ماء أو دمع وفتح الجيم وسط البحر وليس في البحر ما يشبه ذكره الفيروزآبادي^(٨) وقال الجزري في حديث علي عليه السلام يحملها الأخضر المتعرج هو أكثر موضع في البحر ماء والميم والنون زائدتان ومنه حديث ابن عباس فإذا علمي بالقرآن في علم علي كالقراءة في المتعرج القراءة الغدير الصغير^(٩).

والقمقام بالفتح كما في النسخ وقد يضم البحر ويكون بمعنى السيد والأمر العظيم والعدد الكثير والمسخر في بعض النسخ بالخاء المعجمة وفي بعضها بالجيم في القاموس سجر النهر ملأه وتسجير الماء تفجيريه والضмир في قوله ﴿ففتتها﴾ منه راجع إلى ماء البحر أو إلى البيس الجامد فيكون الدخان الذي خلق منه السماوات مرتفعا منه وفي استمسكت إلى الأطباق أو إلى ما يرجع إليه الضمير في يحملها وهو اليبس الجامد والتأنيث لأن المراد به الأرض.

وأذعن له أي خضع واقتاد والجاري منه أي السائل بالطبع فوقوفه عدم جريانه طبعاً بإرادته

(٢) في المصدر: «قراراتها» بدل «قراراتها».

(٤) سورة طه، آية: ٧٧.

(٦) سورة الأنبياء، آية: ٣٠.

(٨) القاموس المحيط ج ١ ص ٣٩٦.

(١) في المصدر: «وأرسل أرضاً يحملها».

(٣) نهج البلاغة ص ٣٢٨ و ٣٢٩ الخطبة ٢١١.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ج ١١ ص ٥٢.

(٧) حدائق الحقائق ج ٢ ص ١٩٦ شرح الخطبة ٢٠١.

(٩) النهاية ج ١ ص ٢١٢.

سبحانه أو السائل منه قبل إرادته وأمره بالجمود. و يحتمل أن تكون الضمائر في ذل وأذن وقف راجعة إلى الأخضر أو القمام وهو أنسب بتذكير الضمير والجريان.

وجبل كنصر و ضرب أي خلق و الجلمد بالفتح و الجلمود بالضم الحجر العظيم الصلب و النشر بالفتح المكان المرتفع و الجمع نشوز بالضم و المتن ما صلب من الأرض و ارتفع و الطود بالفتح الجبل أو العظيم منه و الضمائر راجعة إلى الأرض المعبر عنها باليبس الجامد و أرساها أي أثبتها في مراسيها أي في مواضعها المعينة بمقتضى الحكم الإلهية و القرارة موضع القرار و رست أي ثبتت و في بعض النسخ رسبت يقال رسب كنصر إذا ذهب إلى أسفل و إذا ثبت و يقال نهد ثدي الجارية كمنع و نصر أي كعب و أشرف و السهل من الأرض ضد الحزن و ساخت قوائمها في الأرض تسوخ و تسيخ أي دخلت فيها و غابت و أساخها غيبتها و قواعد البيت أساسه و القطر بالضم الناحية أي غيب قواعد الجبال في متون نواحي الأرض و قيل أي في جوانب أقطارها و النصب بالفتح و يحرك العلم المنصوب و بالضم و يضمّتين كل ما جعل علما و كل ما عبد من دون الله و المراد بالأنصاب الجبال و بمواضعها الأمكنة الصالحة للجبال بمقتضى الحكمة و القلال بالكسر جمع قلة بالضم و هي أعلى الجبل أو أعلى كل شيء و الشاهق المرتفع أي جعل قلالها مرتفعة و إطالة الأنشاز مؤكدة لها و العماد بالكسر العنبرة التي يقوم عليها البيت و الأبنية الرفيعة و الظاهر أن المراد بجعلها للأرض عمادا ما يستفاد من الفقرة التالية و قيل المراد جعلها مواضع رفيعة في الأرض و أرز بتقديم الهملة كنصر و ضرب و علم أي ثبت و أرز بتشديد المعجمة أي أثبت و في أكثر النسخ بالتخفيف و فتح العين و في بعضها بالتشديد قال في النهاية في كلام علي عليه السلام أرزها فيها أو تاد أي أثبتها إن كانت الزاي مخففة فهي من أرزت الشجرة تأرز إذا أثبت^(١) في الأرض و إن كانت مشددة فهي من أرزت الجراد^(٢) إذا دخلت ذنبها في الأرض لتلقي فيها بعضها و رززت الشيء في الأرض رزأ أثبته فيها و حينئذ تكون الهمة زائدة^(٣) انتهى و قيل و روي أرز بالمد من قولهم شجرة أرزة أي ثابتة في الأرض.

فسكنت على حركتها أي حال حركتها التي هي من شأنها لأنها محمولة على سائل متموج كما قيل أو على أثر حركتها بتموج الماء من أن تميد أي تتحرك و تضطرب أو تسيخ بحملها أي تغوص بالماء مع ما عليها قال ابن أبي الحديد لو تحركت الأرض فإما أن تتحرك على مركزها أولا و الأول هو المراد بقوله عليه السلام تميد بأهلها و الثاني ينقسم إلى أن تنزل إلى تحت و هو المراد بقوله عليه السلام تسيخ بحملها و أن لا تنزل إلى تحت و هو المراد بقوله تنزل عن مواضعها^(٤) انتهى.

و يحتمل أن يراد بقوله عليه السلام تميد بأهلها تحركها و اضطرابها بدون الغوص في الماء كما يكون عند الزلزلة و بسوخها بحملها حركتها على وجه يغوص أهلها في الماء سواء كانت على المركز أم لا فتكون الباء للتعدية و بزوالها عن مواضعها خراب قطعاتها بالرياح و السيول أو بتفرق القطعات و انفصال بعضها عن بعض فإن الجبال كالعروق السارية فيها تضبطها عن التفرق كما سيأتي و يؤيده إيراد المواضع بلفظ الجمع.

وصيغة فعلان بالتحريك في المصدر تدل على الاضطراب و الثقل و التنقل كال ميدان و الزوان و الخفقان و لعل المراد بهذا الموجان ما كان غامرا للأرض أو أكثرها و إمساكها بخلق الجبال التي تقدم في الكلام و رطوبة أكتافها أي جوانبها لميدانها قبل خلق الجبال و المهاد بالكسر الفراش و الموضع بهاء للصبي و بوطأ و الفراش ما ييسط و اللجة بالضم معظم الماء و ركذ كنصر أي ثبت و سكن و سرى عرق الشجر كرمي أي دب تحت الأرض.

و قال الجوهري الكركرة تصريف الرياح السحاب إذا جمعت بعد تفرق و قال باتت تكرر كره الجنوب و أصله تكرر من التكرير و كركرته عني أي دفعته و رددته.^(٥)

(١) في المصدر: «ثبت» بدل «أثبت».

(٢) النهاية ج ١ ص ٣٧.

(٣) الصحاح ج ٢ ص ٨٠٥.

(٤) في المصدر إضافة: «ورزت».

(٥) شرح ابن أبي الحديد ج ١١ ص ٥٨.

والرياح العواصف الشديدة الهبوب ومخض اللبن يمحضه مثلثة أي أخذ زبده وفي النسخ الفتح والضم والقمام جمع غمامة وهي السحابة البيضاء أو الأعم وذرف الدمع كضرب أي سال وذرف عينه أي سال دمعها وذرف العين دمعها أي أسأله ومن يخشى العلماء كما قال سبحانه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(١) ويحتمل أن يكون التخصيص لأجل أن عدم الخشية يوجب عدم المبالاة بالعبر والانتفات إليها.

١٦- العلل: بإسناده عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال إن الله خلقني وعلياً وفاطمة والحسن والحسين ﷺ قبل أن يخلق الدنيا بسبعة آلاف عام قلت فإين كنتم يا رسول الله قال قدام العرش نسيح الله ونحمده ونقدسه ونمجده قلت على أي مثال قال أشباح نور^(٢) الخبر.

١٧- التوحيد: والعيون: عن محمد بن الحسن عن محمد بن عمرو^(٣) الكاتب عن محمد بن زياد القزمي عن محمد بن أبي زياد الجدي عن محمد بن يحيى العلوي عن الرضا ﷺ في خطبته الطويلة قال أول عبادة الله معرفته وأصل معرفة الله توحيده ونظام توحيد الله نفي الصفات عنه لشهادة العقول أن كل صفة وموصوف مخلوق وشهادة كل مخلوق^(٤) أنه لا خالقاً ليس بصفة ولا موصوف وشهادة كل صفة وموصوف بالاقتران وشهادة الاقتران بالحدث^(٥) وشهادة الحدث بالامتناع من الأزل الممتنع من الحدث إلى قوله سبق الأوقات كونه والعدم وجوده والابتداء أزله إلى قوله ففرق بها بين قبل وبعد ليعلم أن لا قبل له ولا بعد إلى قوله مخيرة بتوقيتها أن لا وقت لموقيتها إلى قوله له معنى الربوبية إذ لا مربوب وحققة الإلهية إذ لا مألوه ومعنى العالم إذ^(٦) لا معلوم ومعنى الخالق إذ^(٧) لا مخلوق وتأويل السمع ولا مسموع ليس منذ^(٨) خلق استحق معنى الخالق ولا بإحداثه البرايا استفاد معنى البرائية^(٩) كيف ولا تغيبه مذ ولا تدنيه قد ولا تحجبه لعل ولا يوقته^(١٠) متى ولا تشملها^(١١) حين ولا تقارنه^(١٢) مع إلى قوله فكل ما في الخلق لا يوجد في خالقه وكلما يمكن فيه يتمتع من صانعه لا تجري عليه^(١٣) الحركة والسكون وكيف يجري عليه ما هو أجراه أو يعود إليه^(١٤) ما هو ابتداءه إذا لتفاوتت ذاته ولتجزأكنهه ولا تمتنع من الأزل معناه إلى قوله ليس في محال القول حجة ولا في المسألة عنه جواب ولا في معناه لله^(١٥) تعظيم ولا في إبانته عن الخلق ضميم إلا بامتناع الأزلي أن يثنى ولما^(١٦) لا بد له أن يبدأ^(١٧) إلى آخر الخطبة.

الاحتجاج: مرسله مثله^(١٨)

مجالس ابن الشيخ: عن أبيه عن المفيد عن الحسن بن حمزة العلوي عن محمد بن عبد الله الحميري عن أبيه عن أحمد بن محمد بن عيسى عن مروك بن عبيد عن محمد بن زيد الطبري عن الرضا ﷺ مثله^(١٩)

مجالس المفيد: عن الحسن بن حمزة مثله^(٢٠)

بيان: قد مر شرح الخطبة في كتاب التوحيد^(٢١) وقد دلت على تنافي الحدوث أي المعلولية والأزلية وتأويل الأزلية بوجود الوجود مع بعده يجعل الكلام خالياً عن الفساد ودلالة سائر الفقرات ظاهرة كما فصلناه سابقاً وظاهر أكثر الفقرات نفي الزمانية عنه سبحانه وكذا قوله ﷺ إلا بالامتناع الأزلي أن يثنى يدل على امتناع تعدد القدماء وكذا الفقرة التالية لها.

(١) سورة فاطر، آية: ٢٨.

(٢) في العيون: «عمر» بدل «عمرو».

(٣) في العيون: «الحدوث بدل «الحدث» وكذا في ما بعد.

(٤) في المصدرين: «و» بدل «إذ».

(٥) في العيون: «مذ» بدل «منذ».

(٦) في التوحيد: «البرائية» بدل «البرائية».

(٧) في التوحيد: «ولا تحجبه لعل» ولا توقته متى» وفي العيون: «ويحجبه لعل ولا توقته متى».

(٨) في العيون: «يشمله بدل «تشمله».

(٩) في العيون: «عليها» بدل «عليه».

(١٠) في التوحيد: «له» بدل «لله».

(١١) التوحيد ص ٣٤ - ٤٠ باب ٢، حديث ١. العيون ج ١ ص ١٥٠ - ١٥٣ وفي: «يبتداء» بدل «يبدأ».

(١٢) الاحتجاج ج ٢ ص ٣٦٠ - ٣٦٥ الرقم ٢٨٣ باب احتجاج الرضا ﷺ.

(١٣) آمالي الطوسي ص ٢٢ - ٢٤ المجلس الأول، حديث ٢٨. (٢٠) مجالس المفيد ص ٢٥٣ - ٢٥٤ المجلس الثلاثون، حديث ٤.

(٢١) راجع ج ٤ ص ٢٧٧ - ٢٤٦ المطبوعة.

١٨- التوحيد: عن محمد بن الحسن عن الصفار و سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد بن عيسى و الهيثم بن أبي مسروق و محمد بن الحسين كلهم عن الحسن بن محبوب عن عمرو بن أبي المقدام عن إسحاق بن غالب عن أبي عبد الله عن أبياته عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ في بعض خطبه الحمد لله الذي كان في أزليته ^(١) وحدانيا إلى قوله ابتداء ما ابتدع و أنشأ ما خلق على غير مثال كان سبق لشيء ^(٢) مما خلق ربنا القديم بلطف ربوبيته و بعلم خبره فتق و بإحكام قدرته خلق جميع ما خلق ^(٣) الخبر.

١٩- و منه: عن علي بن أحمد الدقاق عن محمد بن أبي عبد الله الكوفي عن موسى بن عمران عن الحسين بن يزيد عن إبراهيم بن الحكم عن عبد الله بن جرير عن جعفر بن محمد عليه السلام أنه كان يقول الحمد لله الذي كان قبل أن يكون كان لم يوجد لوصفه كان بل كان أولا كائنا لم يكنه يكون مكون جل شأنه بل كون الأشياء قبل كونها فكانت كما كونها علم ما كان و ما هو كائن كان إذ لم يكن شيء و لم ينطق فيه ناطق فكان إذ لا كان ^(٤).

٢٠- و منه: عن أبيه عن محمد بن إدريس عن محمد بن أحمد عن سهل بن زياد عن أحمد بن بشر عن محمد بن جمهور العمي عن محمد بن الفضل عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال في الربوبية العظمى و الإلهية الكبرى لا يكون الشيء لا من شيء إلا الله و لا ينقل الشيء من جوهره إلى جوهر آخر إلا الله و لا ينقل الشيء من الوجود إلى العدم إلا الله ^(٥).

٢١- و منه: عن محمد بن إبراهيم الطالقاني عن الحسن بن علي العدوي عن الهيثم عبد الله الرماني عن الرضا عن أبياته عليه السلام قال خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس في مسجد الكوفة فقال الحمد لله الذي لا من شيء كان و لا من شيء كون ما كان ^(٦) مستشهد بحدوث الأشياء على أزليته و بظهورها على قدمته ^(٧) الخطبة.

٢٢- و منه: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن إبراهيم بن هاشم عن ابن أبي عمير عن منصور بن حازم قال قلت رأيت ما كان و ما هو كائن إلى يوم القيامة أليس كان في علم الله تعالى قال فقال بلى قبل أن يخلق السماوات والأرض ^(٨).

٢٣- و منه: عن الحسين بن أحمد بن إدريس عن أبيه عن محمد بن أحمد الأشعري عن علي بن إسماعيل و إبراهيم بن هاشم جميعا عن صفوان عن منصور بن حازم قال سألت أبا عبد الله عليه السلام هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله عز و جل قال لا بل كان في علمه قبل أن ينشئ السماوات و الأرض ^(٩).

٢٤- و منه: عن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب عن أحمد بن الفضل عن منصور بن عبد الله عن علي بن عبد الله عن الحسين بن بشار عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال إن الله ^(١٠) العالم بالأشياء قبل كون الأشياء إلى قوله فلم يزل الله عز و جل علمه سابقا للأشياء قديما قبل أن يخلقها فتبارك ربنا و تعالى علوا كبيرا خلق الأشياء و علمه بها سابق لها كما شاء كذلك لم يزل ربنا علما سميعا بصيرا ^(١١).

٢٥- و بهذا الإسناد عن علي بن عبد الله عن صفوان عن ابن مسكان قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الله تبارك و تعالى أكان يعلم المكان قبل أن يخلق المكان أم علمه عند ما خلقه و بعد ما خلقه فقال تعالى الله بل لم يزل عالما بالمكان قبل تكوينه كعلمه به بعد ما كونه و كذلك علمه بجميع الأشياء كعلمه بالمكان ^(١٢).

٢٦- و منه: عن علي بن أحمد الدقاق عن محمد بن أبي عبد الله الكوفي عن محمد بن إسماعيل البرمكي عن الفضل بن سليمان عن الحسين بن خالد قال قلت للرضا عليه السلام إن قوما يقولون إنه عز و جل لم يزل عالما بعلم و قادرا بقدرة و حيا بحياة و قديما بقدم و سميعا بسمع و بصيرا ببصر فقال عليه السلام من قال ذلك و دان به فقد اتخذ مع الله آلهة أخرى و ليس من ولايتنا على شيء ^(١٣).

(٢) في المصدر: «شيء» بدل «الشيء».

(٤) التوحيد ص ٥٩ - ٦٠ باب ٢، حديث ١٧.

(٦) في المصدر: «ما قد كان».

(٨) التوحيد ص ١٣٥ باب ١٠، حديث ٥.

(١٠) في المصدر: «إن الله تعالى هو العالم».

(١٢) التوحيد ص ١٣٧ باب ١٠، حديث ٩.

(١) في المصدر: «أزليته» بدل «أزليته».

(٣) التوحيد ص ٤٤ باب ٢، حديث ٤.

(٥) التوحيد ص ٦٨ باب ٢، حديث ٢٢.

(٧) التوحيد ص ٦٩ باب ٢، حديث ٢٦.

(٩) التوحيد ص ١٣٥ باب ١٠، حديث ٦.

(١١) التوحيد ص ١٣٦ باب ١٠، حديث ٨.

(١٣) التوحيد ص ١٣٩ باب ١١، حديث ٣.

٢٧- العيون: و التوحيد: عن جعفر بن علي بن أحمد الفقيه القمي عن الحسن بن محمد بن علي بن صدقة عن محمد بن عبد العزيز الأنصاري قال حدثني من سمع الحسن بن محمد التوفلي قال قال عمران الصابي للرضا عليه السلام أخبرني عن الكائن الأول و عما خلق قال عليه السلام سألت فافهم أما الواحد فلم يزل واحدا كائنا لا شيء معه بلا حدود ولا أعراض ولا يزال كذلك ثم خلق خلقا مبتدعا مختلفا بأعراض و حدود مختلفة لا في شيء أقامه ولا في شيء حده و لا على شيء حذاه و مثله له فجعل من بعد ذلك الخلق صفوة و غير صفوة و اختلافا و اشتلافا و ألوانا و ذوقا و طعما لا حاجة كانت منه إلى ذلك و لا لفضل منزلة لم يبلغها إلا به و لا رأى لنفسه فيما خلق زيادة و لا نقصا^(١) تعقل هذا يا عمران قال نعم و الله يا سيدي قال عليه السلام و اعلم يا عمران أنه لو كان خلق ما خلق لحاجة لم يخلق إلا من يستعين به على حاجته و لكان ينبغي أن يخلق أضعاف ما خلق لأن الأعوان كلما كثروا كان صاحبهم أقوى و الحاجة يا عمران لا تسعها^(٢) لأنه^(٣) لم يحدث من الخلق شيئا إلا حدثت فيه حاجة أخرى و لذلك أقول لم يخلق الخلق لحاجة و لكن نقل بالخلق بالحوائج^(٤) بعضهم إلى بعض و فضل بعضهم على بعض بلا حاجة منه إلى من فضل و لا نعمة منه على من أذل فلهذا خلق^(٥).

قال عمران يا سيدي ألا تخبرني عن حدود خلقه كيف هي و ما معانيها و على كم نوع تكون^(٦) قال قد سألت فافهم إن حدود خلقه على ستة أنواع ملموس و موزون و منظور إليه و ما لا وزن^(٧) له و ما لا ذوق له و هو الروح و منها منظور إليه و ليس له وزن و لا لمس و لا حس و لا لون^(٨) و التقدير و الأعراض و الصور و الطول و العرض و منها العمل و الحركات التي تصنع الأشياء و تعملها^(٩) و تغييرها من حال إلى حال و تزيدها و تنقصها و أما الأعمال و الحركات فإنها تنطلق لأنه^(١٠) لا وقت لها أكثر من قدر ما يحتاج إليه فإذا فرغ من الشيء انطلق بالحركة و بقي الأثر و يجري مجرى الكلام الذي يذهب و يبقى أثره قال له عمران يا سيدي ألا تخبرني عن الخالق إذا كان واحدا لا شيء غيره و لا شيء معه أليس قد تغير بخلقه الخلق قال له^(١١) الرضا عليه السلام لم يتغير عز و جل بخلق^(١٢) الخلق و لكن الخلق يتغير بتغييره.

قال عمران يا سيدي ألا تخبرني عن الله عز و جل هل يوحد بحقيقة أو يوحد بوصف قال عليه السلام إن الله المبدأ^(١٤) الواحد الكائن الأول لم يزل واحدا لا شيء معه فردا لا ثاني معه لا معلوما و لا مجهولا و لا محكما و لا متشابها و لا مذكورا و لا منسيا و لا شيئا يقع عليه اسم شيء من الأشياء^(١٥) و لا من وقت كان و لا إلى وقت يكون و لا بشيء قام و لا إلى شيء يقوم و لا إلى شيء استند و لا في شيء استكن و ذلك كله قبل الخلق إذ لا شيء غيره و ما أوقعت عليه من الكل فهي صفات محدثة و ترجمة يفهم بها من فهم.

و اعلم أن الإبداع و المشية و الإرادة معناها واحد و أسماؤها ثلاثة و كان أول إبداعه و إرادته و مشيته الحروف التي جعلها أصلا لكل شيء و دليلا على كل مدرك و فاصلا لكل مشكل و بتلك^(١٦) الحروف تفريق كل شيء من اسم حق أو^(١٧) باطل أو فعل أو مفعول أو معنى أو غير معنى و عليها اجتمعت الأمور كلها و لم يجعل للحروف في إبداعه لها معنى أو غير معنى و عليها اجتمعت الأمور كلها و لم يجعل للحروف في إبداعه لها معنى غير أنفسها بتناه^(١٨) و لا وجود لها لأنها مبدعة بالإبداع و النور في هذا الوضع أول فعل الله الذي هو نور السَّوَابِغِ وَ الْأَرْضِ و الحروف هي المفعول بذلك الفعل و هي الحروف التي عليها الكلام^(١٩) و العبارات كلها من الله عز و جل علمها خلقه و هي ثلاثة

- (١) في المصدرين: «نقصاناً» بدل «نقصاً».
(٢) في العيون إضافة: «كان».
(٣) من هنا أسقط شطر من الحديث.
(٤) عبارة: «وما لا وزن له» ليست في العيون.
(٥) في التوحيد: «تعملها» بدل «تعملها».
(٦) عبارة: «له» ليست في التوحيد.
(٧) في العيون: «بخلقه» بدل «بخلق».
(٨) في التوحيد: «من الأشياء غيره و كذا في العيون».
(٩) في التوحيد: «و» بدل «أو».
(١٠) في العيون إضافة: «مدار».
(١١) في المصدرين: «يسعها» بدل «تسعها».
(١٢) في العيون: «الحوائج» بدل «بالحوائج».
(١٣) في المصدر: «يتكون» بدل «تكون».
(١٤) في العيون إضافة: «ولا ذوق».
(١٥) في التوحيد: «الأنها» بدل «لأنه».
(١٦) في العيون إضافة: «قديم».
(١٧) في المصدرين: «المبدى» بدل «المبدأ».
(١٨) في التوحيد: «تلك» بدل «بتلك».
(١٩) في العيون: «تتناهى» بدل «بتناه».

كتاب السماء والعالم (١) / باب ١ / حدوث العالم و بدء خلقه و كيفيته و بعض

$$\frac{\partial \gamma}{\partial V}$$
$$\frac{\partial \tau}{\partial Y}$$

(٢) راجع «بيان» المؤلف بد هذا.

(٤) في العيون: «بغير» بدل «لغير».

(٦) في المصدرين: «بمعرفة» بدل «معرفة».

(۸) فی التوحید: «فلیس فی کل» بدل «ولیس فی».

(١٠) التوحيد ص ٤٣٠-٤٣٩ باب ٦٥، حديث ١ والعون ج ١ ص ١٦٩-١٧٦.

وما لا لون له وهو الروح وهو أظهر للمقابلة. والثالث ما يكون منظورا إليه ولا يكون ملموسا ولا محسوسا ولا موزونا ولا لون له كالهواء والسماء فالمراد بكونه منظورا إليه أنه يظهر للنظر بآثاره وقد يرى ولا لون له بالذات أو يراد به الجن والملك وأشباههما والظاهر أن قوله ولا لون زيد من النساخ. والرابع التقدير ويدخل فيه الصور والطول والعرض. والخاص الأعراس القارة المدركة بالحواس كاللون والضوء وهو الذي عبر عنه بالأعراض. والسادس الأعراس غير القارة كالأعمال والحركات التي تذهب هي وتبقى آثارها ويمكن تصوير التقسيم بوجوه آخر تركناها لمن تفكر فيه.

هل يوجد بحقيقة البقاء المهمة المشددة أي هل يتأتى توحيده مع تعقل كنه حقيقته أو إنما يوجد مع تعقله بوجه من وجوهه وصفة من صفاته وفي بعض النسخ بالجيم من الوجدان أي يعرف وهو أظهر فأجاب عليه بأنه سبحانه يعرف بالوجوه التي هي محدثة في أذهاننا وهي مفاتيح لحقيقته تعالى وما ذكره أولا لبيان أنه قديم أزلي والقديم يخالف المحدثات في الحقيقة وكل شيء غيره فهو حادث وقوله لا معلوما تفصيل وتعميم للثاني أي ليس معه غيره لا معلوم ولا مجهول والمراد بالمحكم ما يعلم حقيقته وبالمشابه ضده ويحتمل أن يكون إشارة إلى نفي قول من قال بقدم القرآن فإن المحكم والمتمشابه يطلق على آياته ولم يجعل للحروف في إبداعها معنى أي إنما خلق الحروف المفردة التي ليس لها موضوع غير أنفسها ولم يجعل لها وضعا ولا معنى ينتهي إليه و يوجد ويعرف بذلك الحرف ويحتمل أن يكون المراد بالمعنى الصفة أي أول ما خلقها كان غير موصوف بمعنى و صفة ينتهي إليها و يوجد لأنها كانت مبدعة بمحض الإبداع ولم يكن هناك شيء غير الإبداع والحروف حتى يكون معنى للحروف أو صفة لها والمراد بالنور الوجود إذ به تظهر الأشياء كما تظهر الموجودات للحس بالنور والإبداع هو الإيجاد والإيجاد تصوير الأشياء موجودة فالإبداع هو التأثير والحروف هي الأثر موجودة بالتأثير وبعبارة أخرى الحروف محل التأثير وعبر عنه بالمفعول والفعل والأثر هو الوجود.

فأما الخمسة المختلفة فيجوز كذا في أكثر النسخ أي إنما حدثت بأسباب وعلل من انحراف لهجات الخلق واختلاف منطقتهم لا ينبغي ذكرها وفي بعضها فيجوز البقاء من البحة وهي اللطفة في الصوت والأظهر أنه ذكر تلك الحروف فاشتبه على الرواة و صنفوها فالخمس الكاف في قولهم بگوئی تكلمم والجيم المنقوطة بثلاث نقاط كما في قولهم چه میگوئی والزاء في قولهم زاله والباء في قولهم پیاده و پیااله والتاء في الهندية ثم ركب الحروف وأوجد الأشياء وجعلها فعلا منه كما قال «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» فكان صنع وإيجاد للأشياء وما يوجد به هو المصنوع فأول صادر عنه تعالى هو الإيجاد وهو معنى لا وزن له ولا حركة وليس بمسموع ولا ملون ولا محسوس والخلق الثاني يعني الحروف غير موزون ولا ملون لكنها مسموعة موصوفة ولا يمكن إبصارها والخلق الثالث وهو ما وجد بهذه الحروف من السماوات والأرضين وغيرهما هي محسوسة ملموسة مدوقة مبصرة فالله مقدم بوجوده. على الإبداع الذي هو الخلق الأول لأنه ليس شيء قبله حتى يسبقه أيضا إبداع ولا كان شيء دائما معه والإبداع متقدم على الحروف لوجودها به ومعنى كون الحروف غير دالة على معنى غير نفسها هو أن الحروف المفردة إنما وضعت للتركيب وليس لها معنى تدل عليه إلا بعد التركيب.

قوله لا بل خلق ساكن أي نسبة وإضافة بين العلة والمعلول فكانه ساكن فيها أو عرض قائم بمحل لا يمكنه مفارقتها وقوله لا يدركه بالسكون أي أمر إضافي اعتياري يتنزه عن العقل ولا يشار إليه في الخارج ولا يدرك بالحواس وإن كان ما يتعلق به من المحسوسات وإنما قلنا إنه خلق لأن هذه النسبة والتأثير غيره تعالى وهو محدث ولا يمكن نفي الوجود عنه رأسا لأنه شيء حادث بعد أن لم يكن فله خروج عن كتم العدم ودخول في نحو من أنحاء الوجود وكل محدث معلول فلا يتوهم أنه خلق يحتاج إلى تأثير آخر وهكذا حتى يلزم التسلسل بل ليس في الحقيقة إلا الرب

ومخلوقه الذي أوجده والإيجاد معنى صار سببا لوجود العلول بتأثيره تعالى فكل شيء خلقه الله لم يعد ولم يتجاوز أن يصدق عليه إن الله خلقه فهذا هو معنى الإبداع لا غير وهذا المعنى يقع عليه حد وكل ما يقع عليه حد فهو خلق الله أو يقال أشار بقوله والله الذي أحدثه إلى رفع توهم أنه مع كونه موجودا حادثا لا يجوز أن يستند إليه تعالى لأنه حينئذ يجب أن يتعلق به إبداع آخر وهكذا إلى غير نهاية واستناد كل من هذه السلسلة موقوف على استناد سابقة فلا يحصل إلا بعد تحقق الأمور الغير المتناهية وهو محال فكذا الموقوف عليه فأثبت عليه السلام أولا استناده إليه تعالى من جهة أن الحادث بتبعية حادث آخر في مرتبته من محدث لا يتصور أن يكون مستندا إلى غيره ثم أيده ثانيا بنفي ثالث بينهما صالح لأن يستند إليه كما هو المفروض ثم أكد ثانيا بنفي ثالث صالح لذلك مطلقا بناء على أن الكلام في مطلق الإبداع ومن أفراد الإبداع الأول الذي لا يتصور تقدم شيء عليه سوى الله تعالى فسائر أفراد كذلك لعدم الفرق ضرورة ثم أوقفه رابعا بدفع توهم بعيد هو أن يكون مستندا إليه ولا يكون مخلوقا له بالإشارة إلى أن الاستناد وكل ما يعبر به عن هذا المعنى يرجع إلى معنى الخلق فلا يمكن أن يكون خلقه فتجاوز عن كونه مخلوقا له ثم أحكمه خامسا بدفع شبهة لزوم التسلسل بالفرق بين حقائق الموجودات وتفاوت مراتبها في مقتضيات وعدم جواز قياس بعضها على بعض في جميع الحالات ليسهل به التصديق بجواز أن يكون حكم الموجودات الرابطة مخالفا لحكم الموجودات الحقيقية فلا يلزم من ثبوت إبداع لها ثبوته للرابطة أيضا كما اشتهر أن الإرادة ليس لها إرادة أخرى فلا يلزم التسلسل ويمكن أن يحمل على الإشارة إلى دفع مثل هذا التسلسل باعتبار الفرق المذكور. ما روي في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال خلق الله المشية بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشية^(١) ثم أفاد عليه السلام سادسا ضابطة وعلامة لمعرفة خلقه تعالى تنميلا للمقصود وتأكيذا لصحته بأن كل ما لوجوده حد لم يكن قبله موجودا فلا بد له من أن يكون مخلوقا له تعالى لثبوت الإمكان ولزوم الاحتياج.

قوله عليه السلام وكان الذي خلق خلقين اثنين لعله إشارة إلى الخلق الأول وهي الحروف ففي خلقها يخلق شيئا من حروف وتحديد وتقدير قائم به وليس شيء من الحروف والعرض القائم به ذا لون ووزن وذوق وجعل أحدهما يدرك بالآخر أي الحروف تعرف بالحدود القائمة بها فيعرف بأنه شيء محدود والمعنى أنه لو لم يكن محددا لم يكن مدركا بالحواس وجعل الحرف وحد كليهما مدركين بنفسهما لا بآثارهما فإن الأمور المحسوسة إنما تدرك بأنفسها لا بآثارها ولم يخلق شيئا فردا عن الحدود والتقدير قائما بنفسه دون غيره أي من غير أن يخلق معه غيره كالحدود لأنه أراد أن يكون حروفا وأصواتا دالة على نفسه وإثبات وجوده وما يكون دالا على المعاني هاديا للناس إلى المعرفة لا يكون إلا محسوسا وكل محسوس يكون محددا والمعنى أنه أراد أن يكون محددا ليدل بكونه على هذه الحالة على إمكانه واقتضاه إلى الصانع فيكون بوجوده بنفسه دالا على الصانع لا باعتبار مدلوله ويحتمل أن يكون المراد بالتقدير أولا الإبداع أيضا والمحدث إنما يدرك ويظهر بالإبداع وفي كل خلق يحدث شيئا مبدع وإبداع متعلق به لكن في تطبيق ما بعده عليه يحتاج إلى نوع عناية تظهر بالتأمل الصادق وقد سبق الخبر بتمامه مع شرحه في المجلد الرابع وإنما أوردنا هنا ما يناسب المقام.

٢٨- العيون: والتوحيد: بالإسناد المتقدم عن الحسن بن محمد الثوفي في خبر طويل يذكر فيه مناظرة الرضا عليه السلام مع سليمان المروزي قال سليمان فإنه لم يزل مریدا قال عليه السلام يا سليمان فأرادته غيره قال نعم قال فقد أثبت معه شيئا غيره لم يزل قال سليمان ما أثبت فقال عليه السلام هي محدثة يا سليمان فإن الشيء إذا لم يكن أزليا كان محدثا وإذا لم يكن محدثا كان أزليا وجرى المناظرة إلى أن قال عليه السلام ألا تخبرني عن الإرادة فعل هي أم غير فعل قال بل هي فعل قال فهي محدثة لأن الفعل كله محدث قال ليست بفعل قال فمعه غيره لم يزل قال سليمان إنها مصنوعة قال فهي محدثة وساق الكلام إلى أن قال قال سليمان إنما غنيت أنها فعل من الله لم يزل قال عليه السلام ألا تعلم أن ما لم يزل لا

(١) الكافي ج ١ ص ١١٠ باب الإرادة أنها من صفات الفعل. حديث ٤.

يكون مفعولا و قديما حديثا في حالة واحدة فلم يحر جوابا ثم أعاد الكلام إلى أن قال ﷺ إن ما لم يزل لا يكون مفعولا قال سليمان ليس الأشياء إرادة و لم يرد شيئا قال ﷺ وسوست يا سليمان فقد فعل و خلق ما لم يرد^(١) خلقه و فعله و هذه صفة ما لا يدري ما فعل تعالى الله عن ذلك ثم أعاد الكلام إلى أن قال ﷺ فالإرادة محدثة و إلا فمعه غيره^(٢).
الاحتجاج: مرسلا مثله^(٣).

٥٨
٥٧

حكم ﷺ في هذا الخبر مرارا بأنه لا يكون قديم سوى الله وأنه لا يعقل التأثير بالإرادة والاختيار في شيء لم يزل معه.
٢٩- العيون: عن الحسن بن محمد بن سعيد الهاشمي عن فرات بن إبراهيم الكوفي عن محمد بن أحمد بن علي الهمداني عن العباس بن عبد الله البخاري عن محمد بن القاسم بن إبراهيم عن عبد السلام بن صالح الهروي عن الرضا عن أبياته ﷺ قال قال رسول الله ﷺ إن أول ما خلق الله عز و جل أرواحنا فانطقها بتوحيده و تحميده^(٤) ثم خلق الملائكة^(٥) الخبر.

٥٩
٥٧

٣٠- الكافي: عن محمد بن يحيى^(٦) عن ابن محبوب عن عبد الله بن سنان قال سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول إن الله خلق الخير يوم الأحد وما كان ليخلق الشر قبل الخير وفي يوم الأحد والإثنين خلق الأرضين وخلق أوقاتهما في يوم الثلاثاء وخلق السماوات في يوم الأربعاء ويوم الخميس وخلق أوقاتهما يوم الجمعة وذلك قول الله عزوجل «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ»^(٧)

العياشي: عن ابن سنان مثله إلا أن فيه و خلق يوم الأربعاء السماوات و خلق يوم الخميس أوقاتهما و الجمعة و ذلك قوله «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ» فلذلك أمسكت اليهود يوم السبت^(٨).

بيان: و ما كان ليخلق الشر قبل الخير لعل الغرض أنه سبحانه ابتدأ خلق الجميع يوم الأحد إذ خيرته تعالى تقتضي أن لا يقدم خلق الشر على خلق الخير و ابتدأ خلق الخير كان يوم الأحد فلم يخلق قبله شيء أصلا ثم أعلم أن مدلول هذا الخبر ينافي ما مر من الآيات الكريمة و ظواهرها من جهتين الأولى أن ظاهر الآية أن خلق أوقات الأرض و تقديرها كان في يومين و الخير يدل على أنه خلق أوقات الأرض في يوم و أوقات السماء في يوم و الثانية أن ظاهر الآية تقدم يومي خلق الأوقات على يومي خلق السماوات و الخير يدل على تأخر أحد يومي خلق الأوقات عنهما ويمكن أن يجاب عن الأولى بأن المراد بخلق أوقات السماء خلق أسباب أوقات أهل الأرض الكائنة في السماء من المطر و الثلج و الألواح التي يقدر فيها الأوقات و الملائكة الموكلين بها و يؤيده أن ليس لأهل السماء قوت و طعام و شراب ففي يوم واحد قدر الأسباب الأرضية لأوقات أهل الأرض و في يوم آخر قدر الأسباب السماوية لها و في الآية نسبهما إلى الأرض لكونهما لأهلها و في الخير فصل ذلك لبيان اختلاف موضع التقديرين و عن الثانية بنحو مما ذكره البيضاوي بأن لا تكون لفظة ثم للترتيب و التراخي في المدة.

٦٠
٥٧

و من غرائب ما سنح لي أني لما كتبت شرح هذا الخبر اضطجعت فرأيت فيما يرى النائم إنني أتفكر في هذه الآية فخطر ببالي في تلك الحالة أنه يحتمل أن يكون المراد بأربعة أيام تمامها لا تتمتها و يكون خلق السماوات أيضا من جملة تقدير أرزاق أهل الأرض فإنها من جملة الأسباب و محال بعض الأسباب كالملائكة العاملة و الألواح المنقوشة و الشمس و القمر و النجوم المؤثرة بكيفياتها كالحرارة و البرودة في الثمار و النباتات و تكون لفظة ثم في قوله تعالى «ثُمَّ اسْتَوَى» للترتيب في الأخبار لتفصيل ذلك الإجمال بأن يومين من تلك الأربعة كانا مصروفين في خلق السماوات و الآخرين في خلق سائر الأسباب و لو لا أنه سنح لي في هذه الحال لم أجسر على إثبات هذا

(١) في العيون: «يزل» بدل «يرد».

(٢) العيون ج ١ ص ١٨٣ - ١٨٩ مختصراً، و التوحيد ص ٤٤٥ - ٤٥١ باب ٦٦، حديث ١.

(٣) الاحتجاج ج ٢ ص ٣٦٥ - ٣٧٢ رقم ٢٨٤.

(٤) العيون ج ١ ص ٢٦٢.

(٦) في المصدر: «عنه» عن عبد الله بن سنان» و قبله «ابن محبوب» و قبله «محمد بن يحيى» عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب.

(٧) روضة الكافي ص ١٤٥، حديث ١١٧، و الآية من سورة الفرقان: ٥٩.

(٨) تفسير العياشي ج ٢ ص ١٤٠، حديث ٤، و الآية من سورة هود: ٧.

الاحتمال وإن لم يقصر عما ذكره المفسرون وبه يندفع الإشكالان وأما رواية العياشي فالظاهر أن فيها تصحيفا وتحريفا ولا تستقيم على وجهه.

٣١- تفسير علي بن إبراهيم: قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّد ﴿إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾^(١) ومعنى يومين أي وقتين ابتداء الخلق وانقضاءه ﴿وَجَعَلَ فِيهَا زَوَاجِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ أي لا تزول وتبقى^(٢) ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْإِنْسَانِ﴾^(٣) يعني في أربعة أوقات وهي التي يخرج الله فيها أقوات العالم من الناس والبهائم والطيور وحشرات الأرض وما في البر والبحر من الخلق والثمار والنبات والشجر وما يكون فيه معاش^(٤) الحيوان كله وهو الربيع والصيف والخريف والشتاء ففي الشتاء يرسل الله الرياح والأطمار والأنداء والطلول من السماء فيلقح الشجر ويسقي الأرض والشجر وهو وقت بارد ثم يجيء^(٥) بعده الربيع وهو وقت معتدل حار وبارد فيخرج الشجر ثماره والأرض نباتها فيكون أخضر ضعيفا ثم يجيء من بعده وقت الصيف وهو حار فينضج الثمار ويصلب الحبوب التي هي أقوات العباد وجميع الحيوان ثم يجيء من بعده وقت الخريف فيطيه ويرده ولو كان الوقت كله شيئا واحدا لم يخرج النبات من الأرض لأنه لو كان الوقت كله ربيعاً لم تنضج الثمار ولو كان تبلغ الحبوب ولو كان الوقت كله صيفا لاحترق كل شيء في الأرض ولم يكن للحيوان معاش ولا قوت ولو كان الوقت كله خريفا لم يتقدم شيء من هذه الأوقات لم يكن شيء يتقوت به العالم فجعل الله هذه الأوقات في هذه الأربعة الأوقات في الشتاء والربيع والصيف والخريف وقام به العالم واستوى وبقي وسمى الله هذه الأوقات ﴿أَيَّاماً سَوَاءً لِلْإِنْسَانِ﴾ يعني المحتاجين لأن كل محتاج سائل وفي العالم من خلق الله من لا يسأل ولا يقدر عليه من الحيوان كثير فهم سائلون وإن لم يسألوا وقوله ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي دبر وخلق وقد سئل أبو الحسن الرضا^(٦) عن كلم الله لا من الجن ولا من الإنس فقال السماوات والأرض في قوله ﴿أَتَيْنَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالْنَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^(٧) ﴿فَقَضَاهُنَّ﴾ أي خلقهن ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ يعني في وقتين ابتداء وانقضاء ﴿وَوُحِيَ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرُهَا﴾ فهذا وحى تقدير وتدبير.^(٨)

بيان: هذا التأويل للآية أقرب مما مر ولعله من بطون الآية ولا ينافي ظاهرها قوله أي لا تزول وتبقى أي المراد بالتقدير التقدير الدائمي ويحتمل أن يكون تفسير ﴿بَارَكَ فِيهَا﴾ قوله ﴿وَأَن لَّمْ يَسْأَلُوا﴾ أي هم سائلون بلسان افتقارهم واضطرارهم الرب سبحانه بسمع فيضه وفضله ورحمانيته ولسان الحال أبلغ من لسان المقال.

٣٢- التوحيد: عن علي بن أحمد الدقاق عن الكليني رفع الحديث إلى ابن أبي العوجاء حين كلمه أبو عبد الله^(٩) عاد إليه في اليوم الثاني ثم في اليوم الثالث فقال ما الدليل على حدوث الأجسام فقال إني ما وجدت شيئا صغيراً ولا كبيراً إلا وإذا ضم إليه مثله صار أكبر وفي ذلك زوال وانتقال عن الحالة الأولى ولو كان قديماً ما زال لا حال لأن الذي يزول ويحول يجوز أن يوجد ويبطل فيكون بوجوده بعد عدمه دخول في الحدث وفي كونه في الأزل دخوله في القدم^(١٠) ولن تجتمع صفة الأزل والعدم في شيء واحد فقال عبد الكريم هبك علمت في جري الحالتين والزمانين ما ذكرت واستدللت على حدوثها فلو بقيت الأشياء على صفرها من أين كان لك أن تستدل على حدوثها^(١١) فقال العالم^(١٢) إنما نتكلم على هذا العالم المصنوع^(١٣) فلو رفعتنا ووضعنا عالماً آخر كان لا شيء أدل على الحدث من رفعتنا إياه ووضعنا غيره ولكن أجيبك من حيث قدرت أن^(١٤) تلزمننا ونقول إن الأشياء لو دامت على صفرها لكان في اليوم أنه متى ما ضم شيء^(١٥) إلى مثله كان أكبر وفي جواز التغيير عليه خروجه من القدم كما أن في تغييره دخوله في الحدث ليس لك وراء شيء يا عبد الكريم فانقطع وخزي.^(١٦)

(١) سورة فصلت، آية: ٩. في المصدر: «لا يزول ولا يبقى».

(٢) سورة فصلت، آية: ١٠.

(٣) في المصدر: «في ليل الأرض الشجر وهو وقت بارد ثم يجيء».

(٤) في المصدر: «معاش».

(٥) في المصدر: «في ليل الأرض الشجر وهو وقت بارد ثم يجيء».

(٦) سورة فصلت، آية: ٩ - ١٢.

(٧) في المصدر: «حدثها» بدل «حدثها».

(٨) في المصدر: «حدثها» بدل «حدثها».

(٩) في المصدر: «الموضوع» بدل «الموضوع».

(١٠) في المصدر: «أنك».

(١١) في المصدر: «أنك».

(١٢) في المصدر: «إضافة: «منه».

الكافي: واحتجاج: مرفوعاً مثله. وفي الاحتجاج و لن تجتمع صفة الحدوث و القدم في شيء. (١)

بيان: قد مر الخبر بطوله و شرحه في كتاب التوحيد و فيه إجمال و يحتمل أن يراد فيه بكل من الحدوث و القدم الذاتي أو الزماني فإن كان المراد الأول كان الغرض إثبات أن الأجسام ممكنة الوجود مصنوعة معلولة تحتاج إلى صانع يصنعها و يوجددها و على الثاني يكون مبنياً على ما سبق في الأخبار الكثيرة أن كل قديم لا يكون إلا واجباً بالذات و المعلوم لا يكون إلا حادثاً بالزمان و هو أظهر و هكذا ففهم الصدوق و أورده في باب حدوث العالم و عقبه بالدلائل المشهورة عند المتكلمين على الحدوث و قبل حاصل استدلاله عليه السلام إنا راجع إلى دليل المتكلمين من أن عدم الانفكاك من الحوادث يستلزم الحدوث و إما إلى أنه لا يخلو إما أن يكون بعض تلك الأحوال الزائلة المتغيرة قديماً أو يكون كلها حوادث و هما محالان أما الأول فلما تقرر عندهم أن ما ثبت قدومه امتنع عدمه و أما الثاني فلاستحالة التسلسل في الأمور المتعاقبة و الأول أظهر.

٣٣- الكافي: عن أحمد بن مهران عن عبد العظيم الحسيني عن علي بن أسباط عن خلف بن حماد عن ابن مسكان عن مالك الجهنني قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز و جل ﴿وَلَمْ يَزَلِ الْإِنْسَانُ أَتَا خَلْقًا﴾ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا (٢) قال فقال لا مقدراً و لا مكوناً قال و سألته عن قوله عز و جل ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ (٣) قال كان مقدراً غير مذكور. (٤)

بيان: يدل ظاهراً على حدوث نوع الإنسان.

٣٤- تفسير علي بن إبراهيم: سميت مكة أم القرى لأنها أول بقعة خلقها الله من الأرض لقوله ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ (٥)

٣٥- العلل: و العيون: سأل الشامي أمير المؤمنين عليه السلام لم سميت مكة أم القرى قال عليه السلام لأن الأرض دحيت من تحتها و سأل عن أول بقعة بسطت من الأرض أيام الطوفان فقال له موضع الكعبة و كانت زبرجدة خضراء. (٦)

بيان: لعل المراد بأيام الطوفان أيام تموج الماء و اضطرابه قبل خلق الأرض.

٣٦- إرشاد القلوب: سئل أمير المؤمنين عليه السلام لم سميت مكة قال لأن الله مك الأرض من تحتها أي دحاهها. (٧)

٣٧- مجالس الصدوق: (٨) و التوحيد: (٩) و كنز الكراچكي، (١٠) و الاحتجاج: (١١) بأسانيدهم في مناظرة الصادق عليه السلام لابن أبي العوجاء قال عليه السلام هذا بيت استعبد الله به خلقه إلى قوله خلقه الله قبل دحو الأرض بألفي عام.

٣٨- العلل: و العيون: في علل ابن سنان عن الرضا عليه السلام علة وضع البيت وسط الأرض أنه الموضع الذي من تحته دحيت الأرض و كل ريح تهب في الدنيا فإنها تخرج من تحت الركن الشامي و هي أول بقعة وضعت في الأرض لأنها الوسط ليكون الفرض لأهل المشرق و المغرب في ذلك سواء. (١٢)

٣٩- العلل: عن محمد بن الحسن بن الوليد عن محمد بن يحيى و أحمد بن إدريس عن محمد بن أحمد الأشعري عن الحسن بن علي عن مروان بن مسلم عن أبي حمزة الثمالي قال قال أبو جعفر عليه السلام إن خلق البيت قبل الأرض (١٣) ثم خلق الله (١٤) الأرض من بعده فدحاهها من تحتها. (١٥)

الكافي: عن محمد بن يحيى عن محمد بن أحمد عن الحسن (١٦) بن علي عن عدة من أصحابنا عن الثمالي مثله. (١٧)

- (١) الكافي ج ١ ص ٧٦ باب حدوث العالم و إثبات المحدث، حديث ٢، الإحتجاج ج ٢ ص ٢٠٩ و ٢١٠ رقم ٢٢٠، وفي: «شيء واحد».
- (٢) سورة مريم، آية: ٦٧.
- (٣) سورة الإنسان، آية: ١.
- (٤) الكافي ج ١ ص ١٤٧ باب الباء، حديث ٥.
- (٥) تفسير القمي ج ٢ ص ٢٦٨، والآية من سورة الشورى: ٧.
- (٦) العيون ج ١ ص ٢٤١.
- (٧) إرشاد القلوب ج ٢ ص ٣٧٧، وفي: «مد» بدل «مك».
- (٨) أمالي الصدوق ص ٧١٥ مجلس ٩٠، حديث ٩٨٥.
- (٩) التوحيد ص ٢٥٣ باب ٢٦، حديث ٤.
- (١٠) كنز الفوائد ج ١ ص ٧٦.
- (١١) الإحتجاج ج ٢ ص ٢٠٧ - ٢٠٨ رقم ٢١٨، وفي: «عباده» بدل «خلق».
- (١٢) عند الشرائع ص ٥٩٣ - ٥٩٥ باب ٣٨٥، حديث ٤، و العيون ج ٢ ص ٩٠.
- (١٣) في المصدر: «إن الله خلق البيت قبل الخلق».
- (١٤) من المصدر.
- (١٥) علل الشرائع ص ٣٩٨ - ٣٩٩ باب ١٤٠، حديث ١.
- (١٦) في المصدر: «الحسين» بدل «الحسن».
- (١٧) الكافي ج ٤ ص ١٨٩ باب إن أول ما خلق الله من الأرضين، حديث ٥.

٤٠- العياشي: عن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال إنه وجد في حجر من حجرات البيت مكتوبا إني أنا الله ذو بكة خلقتها يوم خلقت السماوات والأرض و يوم خلقت الشمس والقمر ^(١) وحففتها بسبعة أملاك حفيفا. ^(٢)

٤١- الكافي: عن أحمد بن إدريس عن الحسين بن عبد الله عن محمد بن عيسى و محمد بن عبيد الله ^(٣) عن علي بن الحديد ^(٤) عن مرازم عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال الله تبارك و تعالى يا محمد إني خلقتك و عليا نورا يعني روحا بلا بدن قبل أن أخلق سماواتي و أرضي و عرشي ^(٥) و بحري ^(٦) الخبر.

٤٢- وعنه عن الحسين بن محمد عن المعلی عن عبد الله بن إدريس عن محمد بن سنان قال كنت عند أبي جعفر الثاني فأجريت اختلاف الشيعة فقال يا محمد إن الله تبارك و تعالى لم يزل متفردا بوحديته ثم خلق محمدا و عليا وفاطمة صلوات الله عليهم أجمعين فمكثوا ألف دهر ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها ^(٧) الحديث.

بيان: لم يزل متفردا بوحديته أي متفردا بأنه متوحد لا شيء معه أو الباء للسببية أي متفردا بسبب أنه كان واحدا من جميع الوجوه و ما كان كذلك فهو واجب بالذات فيجوز عليه القدم بخلاف غيره فإن القدم ينافي التكثر و الإمكان الذي هو لازمه فأشهدهم خلقها أي كانوا حاضرين عند خلقها عالمين بكيفيته ولذا قال تعالى في شأن إيليس و ذريته و أتباعه ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾ ^(٨) بعد قوله ﴿أَفَتَنْخِذُونَهُ ذُرِّيَّتَهُ أُولَئِكَ مِنْ دُونِي﴾ ^(٩) إشارة إلى أن المستحق للولاية و المتابعة من كان شاهدا خلق الأشياء عالما بحقائقها و كفياتها و صفاتها و الغيوب الكامنة فيها و المستنبطة منها.

٤٣- التوحيد: عن علي بن أحمد الدقاق عن محمد بن جعفر الأسدي عن محمد بن إسماعيل البرمكي عن الحسين بن الحسن عن أبي سميعة عن إسماعيل بن أبان عن زيد بن جبير عن جابر الجعفي قال جاء رجل من علماء أهل الشام إلى أبي جعفر عليه السلام فقال جئت أسألك عن مسألة لم أجد أحدا يفسرها لي و قد سألت ثلاثة أصناف من الناس فقال كل صنف غير ما قال الآخر فقال أبو جعفر عليه السلام و ما ذلك فقال أسألك ما أول ما خلق الله عز و جل من خلقه فإن بعض من سألته قال القدرة و قال بعضهم العلم و قال بعضهم الروح فقال أبو جعفر عليه السلام ما قالوا شيئا أخبرك أن الله علا ذكره كان و لا شيء غيره ^(١٠) عزيزا و لا عز لأنه كان قبل عزه و ذلك قوله ﴿شِبْخَانَ رَبِّكَ رَبَّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ^(١١) و كان خالقا و لا مخلوق فأول شيء خلقه من خلقه الشيء الذي جميع الأشياء منه و هو الماء فقال السائل فالشيء ^(١٢) خلقه من شيء أو من لا شيء فقال خلق الشيء لا من شيء كان قبله و لو خلق الشيء من شيء إذا لم يكن له انقطاع أبدا و لم يزل الله إذا و معه شيء و لكن كان الله و لا شيء معه فخلق الشيء الذي جميع الأشياء منه و هو الماء. ^(١٣)

بيان: قوله فإن بعض من سألته قال القدرة لعل هذا القائل زعم أن صفاته تعالى زائدة على ذاته مخلوقة له كما ذهب إليه جماعة من العامة و سيأتي برواية الكليني القدر فلمعه توهم أن تقديره تعالى جوهر أو يكون مراده بالقدرة اللوح الذي أثبت الله تعالى فيه تقديرات الأمور و كذا القول بأن أول المخلوقات العلم مبني على القول بمخلوقية الصفات و في الكافي مكانه القلم و هو موافق لبعض ما سيأتي من الأخبار و سنذكر وجه الجمع بينها و بين غيرها قوله عليه السلام لأنه كان قبل عزه لعل المراد أنه كان غالبا و عزيزا قبل أن يظهر عزه و غلبته على الأشياء بخلقها و لذا قال رَبُّ الْعِزَّةِ إذ فعلية العزة و ظهورها مسبب عنه و المعنى و لا عز لغيره فالمراد بالعزة في الآية عزة المخلوقات و

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص ١٨٧، حديث ٩٧.

(٤) في المصدر: «حديث».

(٦) الكافي ج ١ ص ٤٤٠ باب مولد النبي عليه السلام حديث ٣.

(٨) سورة الكهف، آية: ٥١.

(١٠) في المصدر إضافة: «وكان».

(١٢) من المصدر.

(١) في المصدر إضافة: «وخلقت الجليلين».

(٣) في المصدر: «عبدالله» بدل «عبيدالله».

(٥) من المصدر.

(٧) الكافي ج ١ ص ٤٤١ باب مولد النبي عليه السلام حديث ٥.

(٩) سورة الكهف، آية: ٥٠.

(١١) سورة الصافات، آية: ١٨٠.

(١٣) التوحيد ص ٦٦ باب ٢، حديث ٢.

في الكافي ولا أحد كان قبل عزه وذلك قوله^(١) أي لم يكن أحد قبل عزه يكون عزه به واستدل عليه بقوله رَبِّ الْوَيْدِ إِذْ هُوَ يَدِلُّ عَلَى أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ سَبَّحَ كُلُّ عِزَّةٍ فَلَوْ كَانَ عِزُّهُ بغيره كان ذلك الغير رَبِّ الْوَيْدِ وهذا الخبر نص صريح في الحدوث ولا يقبل التأويل بوجه.

٤٤- الاحتجاج: وتفسير الإمام أبي محمد العسكري: عن آبائه عليهم السلام قال احتج رسول الله ﷺ على الدهرية فقال ما الذي دعاكم إلى القول بأن الأشياء لا بدء لها وهي دائمة لم تزل ولا تزال فقالوا لأننا لا نحكم إلا بما شاهدنا^(٢) ولم نجد للأشياء حدثاً فحكمنا بأنها لم تزل ولم نجد لها انتضاء وفناء^(٣) فحكمنا بأنها لا تزال فقال رسول الله ﷺ أفوجدتم لها قدماً أم وجدتم لها بقاء أبداً^(٤) فإن قلتم إنكم وجدتم ذلك أنهضتم^(٥) لأنفسكم أنكم لم تزالوا على هيئكم وعقولكم بلا نهاية ولا تزالون كذلك ولئن قلتم هذا دفعتم العيان وكذبكم العالمون الذين يشاهدونكم قالوا بل لم نشاهد لها قدماً ولا بقاء أبداً^(٦) قال رسول الله ﷺ فلم صرتم بأن تحكموا بالبقاء والقدم^(٧) لأنكم لم تشاهدوا حدوثها وانتضاءها أولى من تارك التميز لها مثلكم فيحكم لها بالحدوث والانتضاء والانتقطاع لأنه لم يشاهد لها قدماً ولا بقاء أبداً^(٨) أو لستم تشاهدون الليل والنهار وأحدهما بعد الآخر فقالوا نعم فقال أترونها لم يزالا ولا يزالان فقالوا نعم فقال أفيجوز عندكم اجتماع الليل والنهار فقالوا لا فقال ﷺ فإذا ينقطع أحدهما عن الآخر فيسبق أحدهما ويكون الثاني جارياً بعده قالوا كذلك هو فقال قد حكمتم بحدوث ما تقدم من ليل ونهار ولم تشاهدوها فلا تنكروا^(٩) الله قدره ثم قال ﷺ أقولون ما قبلكم من الليل والنهار متناه أم غير متناه فإن قلتم إنه غير متناه فقد وصل^(١٠) إليكم آخر بلا نهاية لأوله وإن قلتم إنه متناه^(١١) فقد كان ولا شيء منهما^(١٢) قالوا نعم قال لهم أقلت إن العالم قديم ليس بمحدث^(١٣) وأنتم عارفون بمعنى ما أقرتم به وبمعنى ما جددتموه قالوا نعم قال رسول الله ﷺ فهذا الذي نشاهده^(١٤) من الأشياء بعضها إلى بعض يفتر^(١٥) لأنه لا قوام للبعض إلا بما يتصل إليه كما^(١٦) ترى البناء محتاجاً بعض أجزائه إلى بعض وإلا لم يتسق ولم يستحكم وكذلك سائر ما نرى^(١٧) قال فإن^(١٨) كان هذا المحتاج بعضه إلى بعض لقوته وتماه هو القديم فأخبروني أن لو كان محدثاً كيف كان يكون وكيف إذا كانت تكون صفته قال فيهنوا وعلموا أنهم لا يجدون للمحدث صفة يصفونه بها إلا وهي موجودة في هذا الذي زعموا أنه قديم فوجموا وقالوا سننظر في أمرنا^(١٩) الخبر.

بيان: ذهبت الدهرية إلى أن العالم قديم زمني وقالوا إن الأشياء دائمة الوجود لم تزل ولا تزال بل بعضهم أنكروا الحوادث اليومية أيضاً وذهبوا إلى الكمون والبروز لتصحيح قدم الحوادث اليومية وأنكروا وجود ما لم تدركه الحواس الخمس ولذا أنكروا وجود الصانع لعدم إدراك الحواس له تعالى وقالوا وجود الموجودات من الطبائع المتعاقبة لا إلى نهاية إذا تقرر هذا فاعلم أن الظاهر أن المطلوب أولاً إثبات الحدوث الزمني فإن الظاهر من البدء الزماني ويؤيده قوله وهي دائمة لم تزل ولا تزال.

وقوله أفوجدتم إلى قوله أقولون ما قبلكم من الليل والنهار إبطال إنكارهم وجود ما لا تدركه الحواس وإثبات لوجود الإيمان بالغيب عند قيام البرهان وذلك لأنهم يحكمون بالقدم ويتقدم الليل والنهار في الأزمنة الماضية وعدم اجتماعهما فيها مع أنهم لم يشاهدوا شيئاً من ذلك فيلزمهم أن يعترفوا بوجود ما يغيب عن حواسهم ويحتمل أن يكون إلى قوله أو لستم تشاهدون الليل

(٢) في الاحتجاج: «بما نشاهد».

(١) روضة الكافي ص ٩٤، حديث ٦٧.

(٤) في الاحتجاج: «أبد الأبد»، وفي التفسير: «أبد الآبادة».

(٦) في الاحتجاج: «الأبد» بدل «الآبدين»، وفي التفسير: «الآبادة».

(٥) في التفسير: «أثبتتم» بدل «أنهضتم».

(٨) في التفسير: «الآبادة».

(٧) في الاحتجاج: «بالقدم والبقاء دائماً».

(١٠) في المصدرين: «فكيف» بدل «فقد».

(٩) في المصدرين: «لله».

(١٢) في التفسير إضافة: «أم غير».

(١١) في التفسير إضافة: «أم غير».

(١٤) في الاحتجاج: «تشاهدونه».

(١٣) في الاحتجاج: «غير محدث».

(١٦) في التفسير: «يتصل به، ألا ترى».

(١٥) في التفسير: «مفتقر».

(١٨) في المصدرين: «فإذا» بدل «فإن».

(١٧) في التفسير: «ترونها» بدل «ترى».

(١٩) الاحتجاج ج ١ ص ٣٤-٣٨ رقم ٢٠، تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص ٥٣٤-٥٣٧.

والنهار إثباتا للحدوث الزمني جدلا بأنهم كما يحكمون بالقدم لعدم مشاهدة الحدوث يلزمهم أن يحكموا بالحدوث لأنهم لم يشاهدوا القدم والبقية لإثبات الإيمان بالغيب أو البقية لإثبات الحدوث بالدليل المشهور عند المتكلمين من عدم الانفكاك عن الحوادث أو أن الحكم بحدوث كل ليل ونهار يكفي لاحتياجها إلى الصانع ولا ينفع قدم الطبيعة ومن قوله أقولون ما قبلكم إلى قوله ﷺ أفلتم إثبات لانتقطاع الليل والنهار من جهة الماضي لاستحالة ما لا نهاية له وهو انتقطاع الزمان ويلزم منه انتقطاع الحركات وحدوث الأجسام والأعراض القائمة بها ومن قوله أفلتم إثبات لإمكان العالم المستلزم لوجود الصانع تعالى شأنه.

و يحتمل أن يكون ﷺ تدرج في الاحتجاج فنزلهم أولا عن مرتبة الإنكار إلى الشك ثم أخذ في الاحتجاج فمن قوله أقولون إلى آخر الكلام يحتمل أن يكون دليلا واحدا حاصله أنه لا يخلو من أن يكون الزمان متناهيا أو غير متناه وعلى الأول لا بد للأشياء لحدوثها من صانع فقله فقد كان ولا شيء منها أي كان الصانع قبل وجود شيء منها ثم أبطل الثاني بأنكم إنما حكمتهم بقدمها لثلا يحتاج إلى صانع والعقل يحكم بأن ما يوجب الحكم في الحادث بالحاجة إلى الصانع يحكم في القديم أيضا ويحتمل أن يكون إلى آخر الكلام دليلين وقد فصلنا الكلام فيه في المجلد الرابع فلا نعيد هنا ودلالته على الحدوث على كل الوجوه ظاهرة.

٤٥- تفسير علي بن إبراهيم: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾^(١) وذلك في مبدأ^(٢) الخلق أن الرب تبارك وتعالى خلق الهواء ثم خلق القلم فأمره أن يجري فقال يا رب بما أجري فقال بما هو كائن ثم خلق الظلمة من الهواء وخلق النور من الهواء وخلق الماء من الهواء وخلق العرش من الهواء وخلق العقيم من الهواء وهو الريح الشديدة وخلق النار من الهواء وخلق الخلق كله من هذه الستة التي خلقت من الهواء فسلط العقيم على الماء فضربت فأكثرت الموج والزبد وجعل يثور دخانه في الهواء فلما بلغ الوقت الذي أراد قال للزبد اجمد فجمد فقال للموج اجمد فجمد فجعل الزبد أرضا وجعل الموج جبالا رواسي للأرض فلما أجمدهما قال للروح والقدرة سويا عرشي علي^(٣) السماء فسويا عرشه على السماء وقال للدخان اجمد فجمد ثم قال له ازفر فزفر فناداها والأرض جميعا ﴿أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا نَافِثَيْنِ فَفَضَّاهُنَّ سَنَعةً سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾^(٤) ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾^(٥) فلما أخذ في رزق خلقه خلق السماء وجناتها والملائكة يوم الخميس وخلق الأرض يوم الأحد وخلق دواب البر والبحر يوم الإثنين وهما اليومان اللذان يقول الله عز وجل ﴿إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾^(٦) وخلق الشجر ونبات الأرض وأنهارها وما فيها والهوام في يوم الثلاثاء وخلق الجن وهو أبو الجن يوم السبت وخلق الطير في يوم الأربعاء وخلق آدم في ست ساعات من يوم الجمعة ففي هذه الستة أيام^(٧) خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا^(٨)

بيان: يوم السبت ليس في بعض النسخ وهو أظهر وعلى تقديره وإن كان خلاف المشهور يمكن أن لا يكون الجمعة محسوبا في الستة لتأخره عن خلق العالم أو لم يحسب خلق الجن من خلق العالم بأن المراد بالعالم ما يشاهد ويرى ويكون ذكر الملائكة استطرادا لشرهم أو يكون بناء الحساب على التلخيص بأن يكون ابتداء الخلق من ظهر يوم السبت وانتهاءه عند ظهر يوم الجمعة فيكون ستة أيام على حساب أهل النجوم ويؤيده قوله في ست ساعات وعلى التقادير لا يخلو عن غرابة وسيأتي بعض القول في ذلك.

٤٦- التفسير: عن أبيه عن علي بن الحكم عن سيف بن عميرة عن أبي بكر الحضرمي عن أبي عبد الله ﷺ قال خرج هشام بن عبد الملك حاجا ومعه الأبرش الكلبي فلحقا أبا عبد الله ﷺ في المسجد الحرام فقال هشام للأبرش

(١) سورة هود: آية: ٧. (٢) في المصدر: «مبتدأ» بدل «مبدأ».

(٣) في المصدر: «الي السماء» وكذا في الموضع الآخر.

(٤) سورة الطلاق، آية: ١٢. (٥) سورة فصلت، آية: ٩.

(٦) سورة فصلت، آية: ٩. (٧) تفسير القمي ج ١ ص ٣٢١ - ٣٢٢.

(٨) في المصدر: «الأيام».

تعرف هذا قال لا قال هذا الذي تزعم الشيعة أنه نبي من كثرة علمه فقال الأبرش لأسأله عن مسألة^(١) لا يجيبني فيها إلا نبي أو وصي نبي فقال هشام للأبرش وددت أنك فعلت ذلك فلقني الأبرش^(٢) أبا عبد الله عليه السلام فقال يا أبا عبد الله أخبرني عن قول الله عز وجل ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾^(٣) فما^(٤) كان رتقهما وما كان ففتحهما فقال أبو عبد الله عليه السلام يا أبرش هو كما وصف نفسه ﴿كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾^(٥) والماء على الهواء والهواء لا يحد ولم يكن يومئذ خلق غيرهما والماء يومئذ عذب فرات فلما أراد أن يخلق الأرض أمر الرياح فضربت الماء حتى صار موجا ثم أزيد فصار زبدا واحدا فجعله في موضع البيت ثم جعله جبلا من زبد ثم دعى الأرض من تحته فقال الله تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾^(٦) ثم مكث الرب تبارك وتعالى ما شاء فلما أراد أن يخلق السماء أمر الرياح فضربت البحور حتى أزيدتها^(٧) فخرج من ذلك الموج والزبد من وسطه دخان ساطع من غير نار فخلق منه السماء فجعل فيها البروج والنجوم ومنازل الشمس والقمر وأجراها في الفلك وكانت السماء خضراء على لون الماء العذب الأخضر^(٨) وكانت الأرض خضراء^(٩) على لون الماء وكانتا مرتوتين ليس لهما أبواب ولم يكن للأرض أبواب وهو الثبت ولم تمطر السماء عليها فتنبت ففتقت السماء بالمطر وفتقت الأرض بالنبات وذلك قوله عز وجل ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ فقال الأبرش والله^(١٠) ما حدثني بمثل هذا الحديث أحد قط أعد علي فأعاد عليه وكان الأبرش ملحدا فقال و^(١١) أنا أشهد أنك ابن نبي ثلاث مرات.^(١٢)

٤٧- ومنه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾^(١٣) قال في ستة أوقات «تُمْ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ» أي علا^(١٤) على العرش.^(١٥)

بيان: تأويل الأيام بالأوقات إما لعدم خلق الليل والنهار بعد فأول اليوم بمقداره أو المراد باليوم النوبة والمرة فيكون خلق كل منها في أسرع الأزمنة وعبر عنه باليوم مجازا كما قيل.

٤٨- العيون: عن محمد بن عمرو بن علي البصري عن محمد بن علي الواعظ^(١٦) عن عبد الله بن أحمد بن حنبل عن الطائي عن أبيه عن الرضا عن آيائه عليه السلام قال كان علي عليه السلام في جامع الكوفة إذ قام إليه رجل من أهل الشام فقال أخبرني عن أول ما خلق الله قال خلق النور قال فمم خلقت السماوات قال من بخار الماء قال فمم خلقت الأرض قال من زبد الماء قال فمم خلقت الجبال قال من الأمواج^(١٧) الخير.

بيان: يمكن أن يكون المراد بالنور نور النبي والأئمة عليه السلام كما ورد في أكثر الأخبار.

٤٩- التوحيد: عن علي بن أحمد الدقاق عن الكليني عن العلان عن محمد بن عيسى عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه قال اعلم علمك الله الخير أن الله تبارك وتعالى قديم والقدم صفة دلت العاقل على أنه لا شيء قبله ولا شيء معه في ديمومته^(١٨) فقد بان لنا بإقرار العامة^(١٩) معجزة الصفة أنه لا شيء قبل الله ولا شيء مع الله في بقاءه وبطل قول من زعم أنه كان قبله أو كان معه شيء وذلك أنه لو كان معه شيء في بقاءه لم يجز أن يكون خالقا له لأنه لم يزل معه فكيف يكون خالقا لمن لم يزل معه ولو كان قبله شيء كان الأول ذلك الشيء لا هذا وكان الأول أولى بأن يكون خالقا للثاني.^(٢٠)

(١) عبارة: «لأبرش» ليست في المصدر.

(٢) في المصدر: «فما كان» وفي الآتي «وبما كان».

(٣) سورة آل عمران، آية: ٩٦.

(٤) في المصدر: «على لون الماء الأخضر».

(٥) من المصدر.

(٦) تفسير القمي ج ٢ ص ٦٩.

(٧) في المصدر إضافة: «بقدرته».

(١) في المصدر: «مسائل».

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٣٠.

(٣) سورة هود، آية: ٧.

(٤) في المصدر: «أزيدت بها».

(٥) في المصدر: «غيره على لون الماء العذاب».

(٦) حرف: «و» ليس في المصدر.

(٧) سورة الأعراف، آية: ٥٤.

(٨) تفسير القمي ج ١ ص ٢٣٦.

(٩) في المصدر: «أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد بن جبلة الواعظ».

(١٠) عيون الأخبار ج ١ ص ٢٤٠ و ٢٤١.

(١١) في المصدر إضافة: «مع».

(١٢) في المصدر: «ديمومته».

(١٣) التوحيد ص ١٨٦ باب ٢٩، حديث ٢.

الكافي: عن علي بن محمد مرسلا عن أبي الحسن الرضا عليه السلام مثله^(١).

بيان: هذا الخبر صريح في الحدوث ومعلل وقد مر شرحه في كتاب التوحيد.

٥٠- التوحيد: والعيون: عن تميم بن عبد الله القرشي عن أبيه عن أحمد علي الأنصاري عن أبي الصلت الهروي قال سأل المأمون أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(٢) فقال إن الله تبارك وتعالى خلق العرش والماء والملائكة قبل خلق السماوات والأرض وكانت الملائكة تستدل بأنفسها وبالعرش والماء على الله عز وجل ثم جعل عرشه على الماء ليظهر بذلك قدرته للملائكة فتعلم^(٣) أنه على كل شيء قدير ثم رفع العرش بقدرته ونقله فجعله فوق السماوات السبع ثم^(٤) خلق السماوات والأرض في ستة أيام وهو مستول على عرشه وكان قادرا على أن يخلقها في طرفه عين ولكنه عز وجل خلقها في ستة أيام ليظهر للملائكة ما يخلقها منها شيئا بعد شيء فتستدل^(٥) بحدوث ما يحدث على الله تعالى ذكره مرة بعد مرة ولم يخلق الله العرش لحاجة به إليه لأنه غني عن العرش وعن جميع ما خلق لا يوصف بالكون على العرش لأنه ليس بجسم تعالى^(٦) عن صفة خلقه علوا كبيرا.

و أما قوله عز وجل ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ فإنه عز وجل خلق خلقه ليلبواهم بتكليف طاعته وعبادته لا على سبيل الامتحان والتجربة لأنه لم يزل عليهما بكل شيء.

فقال المأمون فرجت عني يا أبا الحسن فرج الله عنك^(٧).

٥١- العلل: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن محمد بن أحمد السيارى عن محمد بن عبد الله بن مهران الكوفي عن حنان بن سدير عن أبيه عن أبي إسحاق الليثي قال قال لي أبو جعفر عليه السلام يا إبراهيم إن الله تبارك وتعالى لم يزل عالما خلق^(٨) الأشياء لا من شيء ومن زعم أن الله عز وجل خلق الأشياء من شيء فقد كفر لأنه لو كان ذلك الشيء الذي خلق منه الأشياء قديما معه في أزليته وهويته كان ذلك^(٩) أزليا بل خلق الله عز وجل الأشياء كلها لا من شيء فكان مما خلق الله عز وجل أرضا طيبة ثم فجر منها ماء عذبا زلالا فعرض عليه^(١٠) ولتايا أهل البيت فقبلها^(١١) فأجرى ذلك الماء عليها سبعة أيام حتى طبخها وعما ثم تضب ذلك الماء عنها فأخذ من صفوة ذلك الطين طينا فجعله طين الأئمة عليه السلام ثم أخذ ثقل ذلك الطين فخلق منه شيعة^(١٢) الخبير.

٥٢- العلل: في خبر ابن سلام قال أخبرني عن أول يوم خلق الله عز وجل قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الأحد قال ولم سمي يوم الأحد قال لأنه واحد محدود قال فالثنين قال هو اليوم الثاني من الدنيا قال فالثلاثاء قال الثالث من الدنيا قال فالأربعاء قال اليوم الرابع من الدنيا قال فالخميس قال هو يوم خامس من الدنيا وهو يوم أنيس لعن فيه إبليس ورفع فيه إدريس قال فالجمعة قال هو يوم مجموع لهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ وَيَوْمٌ شَاهِدٌ وَمَشْهُودٌ قَالَ فَالسَّبْت قال يوم مسبوت وذلك قوله عز وجل في القرآن ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾^(١٣) فمن الأحد إلى الجمعة ستة أيام والسبت معطل^(١٤) الخبير.

بيان: قال في القاموس السبت الراحة والقطع^(١٥) وقال في النهاية قيل سمي يوم السبت لأن الله تعالى خلق العالم في ستة أيام آخرها الجمعة وانقطع العمل فسمي يوم السابع يوم السبت.^(١٦)

٥٣- الاحتجاج: عن هشام بن الحكم قال سأل الزنديق أبا عبد الله عليه السلام فقال من أي شيء خلق الله الأشياء قال عليه السلام

(١) الكافي ج ١ ص ١٢٠ باب الفرق ما بين المعاني التي تحت أسماء الله وأسماء المخلوقين حديث ٢.

(٢) سورة هود، آية: ٧.

(٣) في التوحيد: «في علموا».

(٤) في التوحيد: «هو» بدل «ثم».

(٥) في التوحيد: «تعالى».

(٦) عيون الأخبار ج ١ ص ١٣٤ و ١٣٥، والتوحيد ص ٣٢٠ و ٣٢١ باب ٤٩، حديث ٢.

(٧) في المصدر إضافة: «الشيء».

(٨) في المصدر: «قبلتها».

(٩) علل الشرائع ج ٢ ص ٦٠٧ و ٦٠٨ باب ٣٨٥: حديث ٨١.

(١٠) سورة ق، آية: ٣٨.

(١١) القاموس المحيط ج ١ ص ١٥٤.

(١٢) علل الشرائع ج ٢ ص ٤٧٠ و ٤٧١ باب ٢٢٢، حديث ٣٣.

(١٣) النهاية ج ٢ ص ٣٣١.

من لا شيء قال فكيف يجيء من لا شيء شيء قال ﷺ إن الأشياء لا تخلو أن تكون خلقت من شيء أو من غير شيء فإن كان خلقت من شيء كان معه فإن ذلك الشيء قديم والقديم لا يكون حديثاً ولا يفنى ولا يتغير ولا يخلو ذلك الشيء من أن يكون جوهرًا واحدًا ولونا واحداً فمن أين جاءت هذه الألوان المختلفة والجواهر الكثيرة الموجودة في هذا العالم من ضروب شتى ومن أين جاء الموت إن كان الشيء الذي أنشئت منه الأشياء حياً ومن أين جاءت الحياة إن كان ذلك الشيء ميتاً ولا يجوز أن يكون من حي وميت قديمين لم يزل لأن الحي لا يجيء منه ميت وهو لم يزل حياً ولا يجوز أيضاً أن يكون الميت قديماً لم يزل بما نسبوا^(١) من الموت لأن الميت لا قدرة له فلا بقاء قال فمن أين قالوا إن الأشياء أزلية قال هذه مقالة قوم جحدوا مدير الأشياء فكذبوا الرسل ومقاتلهم والأنبياء وما أنبتوا عنه وسماكتهم أساطير الأولين^(٢) و وضعوا لأنفسهم ديناً برأيهم^(٣) واستحسانهم.

إن الأشياء تدل على حدودها من دوران الفلك بما فيه وهي سبعة^(٤) أفلاك وتحرك الأرض ومن عليها وانقلاب الأزمنة واختلاف الوقت والحوادث التي تحدث في العالم من زيادة ونقصان وموت وبلاء واضطراب النفس إلى القرار بأن لها صناعاً ومديراً أما ترى الحلو يصير حامضاً والعذب مرا والجديد بالياً وكل إلى تغير وفناء وساق الحديث إلى أن قال قال الزنديق ومن زعم أن الله لم يزل ومنه طينة مؤذية فلم يستطع التفصي منها إلا بامتزاجه بها ودخوله فيها فمن تلك الطينة خلق الأشياء قال ﷺ سبحانه الله ما أعجز إلهاً يوصف بالقدرة لا يستطيع التفصي من الطينة إن كانت الطينة حية أزلية فكانا إلهين قديمين فامتزجا ودبرا العالم من أنفسهما فإن كان ذلك كذلك فمن أين جاء الموت والفناء وإن كانت الطينة ميتة فلا بقاء للميت مع الأزلي القديم والميت لا يجيء منه حي هذه مقالة الديسانية أشد الزنادقة قولاً.

ثم قال ﷺ في مواضع من هذا الخبر لو كانت قديمة أزلية لم تتغير من حال إلى حال^(٥) وإن الأزلي لا تغيره الأيام ولا يأتي عليه الفناء^(٦).

بيان: والقديم لا يكون حديثاً أي ما يكون وجوده أزلياً لا يكون محدثاً معلولاً فيكون الواجب الوجود بذاته فلا يعثره التغير والفناء وقد نسب إلى بعض الحكماء أنه قال المبدع الأول هو مبدع الصور فقط دون الهيولي فإنها لم تزل مع المبدع فأنكر عليه سائر الحكماء وقالوا إن الهيولي لو كانت أزلية قديمة لما قبلت الصور ولما تغيرت من حال إلى حال ولما قبلت فعل غيرها إذ الأزلي لا يتغير.

وقوله ﷺ فمن أين جاءت هذه الألوان المختلفة لعله مبني على ما زعموا من أن كل حادث لا بد له من منشأ ومبدأ يشاكله ويناسبه في الذات والصفات فالزعم ﷺ بحسب معتقده أو المراد أن الاحتياج إلى المادة إن كان لعجز الصانع تعالى عن إحداث شيء لم يكن فلا بد من وجود الأشياء بصفاتها في المادة حتى يخرجها منها وهذا محال لاستلزامه كون المادة ذات حقائق متباينة وانصافها بصفات متضادة وإن قلتم إنها مشتملة على بعضها فقد حكمت بإحداث بعضها من غير مادة فليكن الجميع كذلك وإن قلتم إن جوهر المادة يتبدل جواهر أخر وأعراضها أعراضاً أخرى فقد حكمت بفناء ما هو أزلي وهذا محال وبحدوث شيء آخر من غير شيء وهو مستلزم للمطلوب.

وأما ما ذكره ﷺ في الحياة والموت فيرجع إلى ما ذكرنا وملخصه أنه إما أن تكون مادة الكل حية بذاتها أو ميتة بذاتها أو تكون الأشياء من أصلين أحدهما حي بذاته والآخر ميت وهذا أيضاً يحتمل وجهين أحدهما أن يكون كل شيء مأخوذاً من كل من الحي والميت والثاني أن يكون الحي مأخوذاً من الحي والميت من الميت فأبطل ﷺ الأول بأنه لو حصل الميت بذاته عن الحي بذاته يلزم زوال الحياة الأزلية من هذا الجزء من المادة وقد مر امتناعه أو تبدل الحقيقة الذي يحكم

(٢) في المصدر: «بما هو به».

(٣) في المصدر: «بآرائهم».

(٤) في المصدر: «لو كان الإنسان أزلياً لم تحدث فيه الحوادث».

(٥) الإحتجاج ج ٢ ص ٢١٢ - ٢٤١ رقم ٢٢٣.

(٦) كلمة: «الأولين» ليست في المصدر.

(٧) في المصدر: «تسعة» بدل «سبعة».

العقل ضرورة بامتناعه و لو قيل بإعدام الحي و إنشاء الميت فيلزم المفسدة الأولى مع الإقرار بالمدعى و هو حدوث الشيء لا من شيء و بهذا يبطل الثاني و كذا الثالث لأن الجزء الحي من المادة يجري فيه ما سبق إذا حصل منه ميت و أشار إليه بقوله لأن الحي لا يجيء منه ميت و أشار إلى الرابع بقوله و لا يجوز أن يكون الميت قدما و به يبطل الثاني و الثالث أيضا و تقريره أن الأزلي لا بد أن يكون واجب الوجود بذاته كاملا بذاته لشهادة العقول بأن الاحتياج و النقص من شواهد الإمكان المحوج إلى المؤثر و الموجد فلا يكون الأزلي ميتا و ربما يحمل الحي في هذا الخبر على الموجود و الميت على الاعتباري المعدوم و الظاهر أن أكثر الكلام مبني على مقدمات موضوعة مسلمة عند الخصم و قد مر الخبر بتمامه و شرحه في الجملة في المجلد الرابع.

٥٤- التوحيد: عن أبيه و ابن عبدوس عن أبي قتيبة عن الفضل بن شاذان عن ابن أبي عمير قال قال موسى بن جعفر عليه السلام هو الأول الذي لا شيء قبله و الآخر الذي لا شيء بعده و هو القديم و ما سواه مخلوق محدث تعالى عن صفات المخلوقين علوا كبيرا. (١)

٥٥- ومنه: عن الفضل بن عباس الكندي عن محمد بن سهل عن عبد الله بن محمد البلوي عن عمارة بن زيد عن عبيد الله بن العلاء عن صالح بن سبيع عن عمرو بن محمد بن صعصعة عن أبيه عن محمد بن أوس (٢) عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة طويلة لم يخلق الأشياء من أصول أزلية و لا من أوائل كانت قبله بديلة بل خلق ما خلق و أتقن خلقه و صور ما صور فأحسن صورته الخبر. (٣)

٥٦- ومنه: عن محمد بن الحسن بن الوليد عن محمد بن يحيى العطار عن الحسين بن الحسن بن أبان عن محمد بن أورمة عن إبراهيم بن الحكم بن ظهير عن عبد الله بن جوين (٤) العبدى عن أبي عبد الله عليه السلام أنه كان يقول الحمد لله الذي كان إذ لم يكن شيء غيره و كون الأشياء فكانت كما كونها و علم ما كان و ما هو كائن. (٥)

٥٧- ومنه: عن محمد بن موسى بن المتوكل عن محمد العطار عن محمد بن أحمد عن عبد الله بن محمد عن علي بن مهزيار قال كتب أبو جعفر عليه السلام في دعاء يا ذا الذي كان قبل كل شيء ثم خلق كل شيء (٦) الخبر.

٥٨- ومنه: عن ابن المتوكل عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن الصقر بن دلف عن أبي الحسن الثالث عليه السلام قال يا ابن دلف إن الجسم محدث و الله محدثه و مجسمه (٧) الخبر.

٥٩- ومنه: عن محمد بن علي ماجيلويه عن عمه محمد بن أبي القاسم عن محمد بن علي الصيرفي عن علي بن حماد عن المفضل عن أبي عبد الله عليه السلام في كلام يصف فيه (٨) البارئ تعالى كذلك لم يزل و لا يزال أبد الأبدین و كذلك كان إذ لم تكن أرض و لا سماء و لا ليل و لا نهار و لا شمس و لا قمر و لا نجوم و لا سحب و لا مطر و لا رياح ثم إن الله تبارك و تعالى أحب أن يخلق خلقا يعظمون عظمته و يكبرون كبرياه و يجلون جلاله فقال كونا ظلين فكانا. (٩)

أقول: تمام الخبر في باب جوامع التوحيد.

٦٠- ومنه: عن ماجيلويه عن عمه عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي عن أبيه عن أحمد بن النضر عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال إن الله تبارك و تعالى كان و لا شيء غيره (١٠) الخبر.

٦١- ومنه: عن أبيه عن محمد العطار عن محمد الحسين بن أبي الخطاب عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال سمعته يقول كان و لا شيء غيره و لم يزل الله (١١) عالما بما كون فعلمه به قبل كونه كلمه به بعد ما كونه. (١٢)

(٢) في المصدر: «عن أبي المعتمر مسلم بن أوس».

(٤) في المصدر: «جرير» بدل «جوين».

(٦) التوحيد ص ٤٧ باب ٢، حديث ١١.

(٩) التوحيد ص ٢٨ باب ٩، حديث ٨.

(١١) في المصدر.

(١) التوحيد ص ٧٦ باب ٢، حديث ٣٢.

(٣) التوحيد ص ٧٨ باب ٢، حديث ٣٤.

(٥) التوحيد ص ٧٥ باب ٢، حديث ٢٩.

(٧) التوحيد ص ١٠٤ باب ٦، حديث ٢٠، وفيه: «ابن أبي دلف».

(٨) من المصدر.

(١٠) التوحيد ص ١٤٠ و ١٤١ باب ١١، حديث ٥.

(١٢) التوحيد ص ١٤٥ باب ١١، حديث ١٢.

٦٢- ومنه: عن علي بن أحمد الدقاق عن محمد بن جعفر الأسدي عن محمد بن بشر عن أبي هاشم الجعفري قال كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فسأله رجل فقال أخبرني عن الرب تبارك وتعالى له أسماء وصفات في كتابه فأسأله وصفاته هي هو فقال أبو جعفر عليه السلام إن لهذا الكلام وجهين إن كنت تقول هي هو ^(١) أنه ذو عدد وكثرة فتعالى الله عن ذلك وإن كنت تقول لم تزل هذه الصفات والأسماء فإن لم تزل يحتمل معنيين فإن قلت لم تزل عنده في علمه وهو مستحقها فنعم وإن كنت تقول لم تزل تصويرها وهجاؤها وتقطع حروفها فمعاذ الله أن يكون معه شيء غيره بل كان الله ولا خلق ثم خلقها وسيلة بينه وبين خلقه يتضرعون بها إليه ويعبدونه وهي ذكره وكان الله سبحانه ولا ذكر والمذكور بالذكر هو الله القديم الذي لم يزل و ^(٢) الأسماء والصفات مخلوقات والمعني بها هو الله ^(٣) الخبر. الاحتجاج: عن الجعفري مثله ^(٤).

الكافي: عن محمد بن أبي عبد الله رفعه إلى أبي هاشم الجعفري مثله ^(٥).

أقول: قد مر شرحه في كتاب التوحيد ودالته على المدعى صريحة.

٦٣- التوحيد: والكافي: روي أنه سئل أمير المؤمنين عليه السلام أين كان ربنا قبل أن يخلق سماء وأرضا فقال عليه السلام أين سؤال عن مكان وكان الله ولا مكان. ^(٦)

٦٤- الاحتجاج: سئل أبو الحسن علي بن محمد عليه السلام عن التوحيد فقل لم يزل الله وحده لا شيء معه ثم خلق الأشياء يديعا واختار لنفسه أحسن ^(٧) الأسماء أو لم تزل الأسماء والحروف معه قديمة فكتب لم يزل الله موجودا ثم كون ما أراد ^(٨) الخبر.

٦٥- التوحيد: عن علي بن أحمد الدقاق عن الكليني رفعه قال سأل ابن أبي العوجاء أبا عبد الله عليه السلام فقال ما الدليل على حدوث ^(٩) الأجسام فقال إني ما وجدت شيئا صغيرا ولا كبيرا إلا وإذا ضم إليه مثله صار أكبر وفي ذلك زوال وانتقال عن الحالة الأولى ولو كان قديما ما زال ولا حال لأن الذي يزول ويحول يجوز أن يوجد ويبطل فيكون بوجوده بعد عدمه دخول في الحدث وفي كونه في الأولى دخوله في العدم ولن تجتمع صفة الأزل والعدم في شيء واحد ^(١٠) الخبر.

٦٦- ومنه: عن محمد بن الحسن الصفار عن العباس بن معروف عن عبد الرحمن بن أبي نجران عن حماد بن عثمان عن عبد الرحيم قال كتبت على يدي عبد الملك بن أعين إلى أبي عبد الله عليه السلام جعلت فذاك اختلف الناس في القرآن فزعم قوم أن القرآن كلام الله غير مخلوق وقال آخرون كلام الله مخلوق فكتب عليه السلام القرآن كلام الله محدث غير مخلوق وغير أزلي مع الله تعالى ذكره وتعالى عن ذلك علوا كبيرا كان الله عز وجل ولا شيء غير الله معروف ولا مجهول وكان عز وجل ولا متكلم ولا مريد ولا متحرك ولا فاعل جل وعز ربنا فجميع هذه الصفات محدثة عند حدوث الفعل منه عز وجل ربنا والقرآن كلام الله غير مخلوق فيه خبر من كان قبلكم وخبر ما يكون بعدكم أنزل من عند الله على محمد رسول الله ﷺ ^(١١).

قال الصدوق رحمه الله معنى قوله عليه السلام غير مخلوق غير مكذوب ولا يعني به أنه غير محدث لأنه قد قال محدث غير مخلوق وغير أزلي مع الله تعالى ذكره ^(١٢) وإنا منعنا من إطلاق المخلوق عليه لأن المخلوق في اللغة قد يكون مكذوبا ويقال كلام مخلوق أي مكذوب قال الله تبارك وتعالى «إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا» ^(١٣) أي كذبا.

(٢) حرف: «و» ليس في المصدر.

(٤) الاحتجاج ج ٢ ص ٢٦٧ و ٢٦٨ الرقم ٣٢١.

(١) في المصدر إضافة: «أي».

(٣) التوحيد ص ١٩٣ باب ٢٩، حديث ٧.

(٥) الكافي ج ١ ص ١١٦ باب معاني الأسماء واشتقاقها، حديث ٧.

(٦) التوحيد ص ١٧٥ باب ٢٨، حديث ٤، الكافي ص ٨٩ باب الكون والسكان ذيل الحديث ٥.

(٧) كلمة: «أحسن» ليست في المصدر.

(٨) الاحتجاج ج ٢ ص ٤٨٠ الرقم ٣٢٥.

(١٠) التوحيد ص ٤٩٧ باب ٢، حديث ٦.

(١٢) التوحيد ص ٢٢٩ باب ٣٠، حديث ٧.

(٩) في المصدر: «حدث» بدل «حدث».

(١١) التوحيد ص ٢٢٦ و ٢٢٧ باب ٣٠، حديث ٧.

(١٣) سورة التكوين، آية: ١٧.

أقول: الظاهر أن فيه نوعاً من التقية أو الاتقاء لامتناع المخالفين من إطلاق هذا اللفظ على القرآن أشد الامتناع.
٦٧- قصص الراوندي: بإسناده إلى الصدوق عن أبيه وابن الوليد معا عن سعد بن عبد الله عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب عن ابن محبوب عن عمرو بن أبي المقدام عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال قال أمير المؤمنين عليه السلام إن الله لما خلق الأرضين خلقها قبل السماوات. (١)

أقول: تمامه في باب العوالم.

٦٨- البصائر: عن أحمد بن محمد وعبد الله بن محمد (٢) عن ابن محبوب عن ابن رثاب عن سدير قال سأل حمران أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى ﴿يَدْعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (٣) قال عليه السلام إن الله ابتدع الأشياء كلها على غير مثال كان (٤) وابتدع السماوات والأرض ولم يكن قبلهن سماوات ولا أرضون أما تسمع لقوله تعالى ﴿كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ (٥) (٦).
العياشي: عن حمران مثله. (٧)

٦٩- ثواب الأعمال: عن أبيه عن سعد عن أحمد بن محمد البرقي عن أبيه عن محمد بن سنان عن أبي (٨) العلاء عن أبي خالد الصيقل عن أبي جعفر عليه السلام قال إن الله عز وجل فوض الأمر إلى ملك من الملائكة فخلق سبع سماوات وسبع أرضين وأشياء فلما رأى الأشياء قد انقادت له قال من مثلي فأرسل الله عز وجل نورية من نار قال (٩) وما نورية من نار قال نار بمثل أنملة قال فاستقبلها بجميع ما خلق فتخللت لذلك حتى وصلت إليه لما أن أدخله العجب. (١٠)
المحاسن: عن أبيه عن ابن سنان مثله. (١١)

٧٠- ومنه: عن أبيه عن بعض أصحابه عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال إن الله تبارك وتعالى كان وليس شيء غيره نوراً لا ظلام فيه وصدقا لا كذب فيه وعلماً لا جهل فيه وحياة لا موت فيه وكذلك (١٢) لا يزال أبداً. (١٣)
٧١- العياشي: عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال كان الله تبارك وتعالى كما وصف نفسه وكان عرشه على الماء والماء على الهواء والهواء لا يجري ولم يكن غير الماء خلق والماء يومئذ عذب فمرات فلما أراد الله أن يخلق الأرض أمر الرياح الأربع ففصرن الماء حتى صار موجاً ثم أزيد زيادة واحدة فجعله في موضع البيت فأمر الله فصار جبلاً من زيد (١٤) ثم دحى الأرض من تحته ثم قال «إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ». (١٥)

٧٢- ومنه: عن عيسى بن أبي (١٦) حمزة قال قال رجل لأبي عبد الله عليه السلام جعلت فداك إن الناس يزعمون أن الدنيا عمرها سبعة آلاف سنة فقال ليس كما يقولون إن الله خلق لها خمسين ألف عام فتركها قاعاً فقرا خاوية عشرة آلاف عام ثم بدا لله بداء فخلق فيها خلقاً ليس من الجن ولا من الملائكة ولا من الإنس وقدر لهم عشرة آلاف عام فلما قربت آجالهم أفسدوا فيها فدمر الله عليهم تدميراً ثم تركها قاعاً فقرا خاوية عشرة آلاف عام ثم خلق فيها الجن وقدر لهم عشرة آلاف عام فيها فلما (١٧) قربت آجالهم أفسدوا فيها وسفكوا الدماء وهو قول الملائكة «أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ» كما سفكت بنو الجان فأهلكهم الله ثم بدا لله فخلق آدم وقرر (١٨) له عشرة آلاف وقد مضى من ذلك سبعة آلاف عام وماتان وأنتم في آخر الزمان. (١٩)

٧٣- تفسير الإمام: قال عليه السلام قال أمير المؤمنين عليه السلام قال رسول الله ﷺ في قوله عز وجل «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ

(١) قصص الأنبياء للراوندي ص ٣٥ و ٣٦ باب ١، حديث ١. (٢) عبارة: «عبد الله بن محمد» ليست في المصدر.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٧.

(٤) سورة هود، آية: ٧.

(٥) تفسير العياشي ج ١ ص ٣٧٣، حديث ٧٧.

(٦) في المصدر: «قلت» بدل «قال».

(٧) المحاسن ج ١ ص ٢١٤ باب عقاب العجب رقم ٣٩٩.

(٨) المحاسن ج ١ ص ٣٧٧ باب جوامع من التوحيد رقم ٨٢٩.

(٩) في المصدر: «الزيد» بدل «زيد».

(١٠) كلمة: «أبي» ليست في المصدر.

(١١) في المصدر: «قدّر» بدل «قرّر».

(١٢) تفسير العياشي ج ١ ص ٣١ - ٣٢، حديث ٨ والآية من سورة البقرة: ٣٠.

(١٣) تفسير العياشي ج ١ ص ١٨٦، حديث ٩١.

(١٤) كلمة: «فيها» ليست في المصدر.

(۱۳) تفسیر العیاشی، ج ۱ ص ۱۸۶، حدیث ۹۱.

بيان: أي خشية الله صار سببا لذوبان الدرة وصيرورها ماء كما سيأتي.

٧٨- تنبيه الخاطو: للورام عن ابن عباس عن أمير المؤمنين ﷺ قال إن الله تعالى أول ما خلق الخلق خلق نوراً^(٣) ابتدعه من غير شيء ثم خلق منه ظلمة وكان قديراً أن يخلق الظلمة لا من شيء كما خلق النور من غير شيء ثم خلق من الظلمة نوراً وخلق من النور ياقوتة غلظها كغلظ سبع سماوات وسبع أرضين ثم زجر الياقوتة فماعت لهيبته فصارت ماء مرتعداً ولا يزال مرتعداً إلى يوم القيامة ثم خلق عرشه من نوره وجعله على الماء وللعرش عشرة آلاف لسان يسبح الله كل لسان منها بعشرة آلاف لغة ليس فيها لغة تشبه الأخرى وكان العرش على الماء من دون^(٤) حجب الضباب.^(٥)

٧٩- تفسير الفرات: عن عبيد بن كثير معننا عن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ قال شهدت أبي عند عمر بن الخطاب وعنده كعب الأحبار وكان رجلاً قد قرأ التوراة وكتب الأنبياء ﷺ فقال له عمر يا كعب من كان أعلم بني إسرائيل بعد موسى بن عمران ﷺ قال كان أعلم بني إسرائيل بعد موسى بن عمران يوشع بن نون وكان وصي موسى بن عمران بعده وكذلك كل نبي خلا من بعده^(٦) موسى بن عمران كان له وصي يقوم في أمته من بعده فقال له عمر فمن وصي نبينا وغالما أبو بكر قال وعلي ساكت لا يتكلم فقال كعب مهلاً فإن السكوت عن هذا أفضل كان أبو بكر رجلاً خطاً^(٧) بالصلاح فقدمه المسلمون لصلاحه ولم يكن بوصي فإن موسى بن عمران لما توفي أوصى إلى يوشع بن نون فقبله طائفة من بني إسرائيل وأنكرت فضله طائفة وهي التي ذكر الله تعالى في القرآن ﴿فَأَمَّنْتُ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتُ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾^(٨) وكذلك الأنبياء السالفة والأمم الخالية لم يكن نبي إلا وقد كان له وصي يحسده قومه ويدفعون فضله فقال ويحك يا كعب فمن ترى وصي نبينا قال كعب معروف في جميع كتب الأنبياء والكتب المنزلة من السماء علي أخو النبي العربي ﷺ يعينه على أمره ويؤزره على من نواه^(٩) له زوجة مباركة و^(١٠) له منها إبنان يقتلها أمته من بعده ويحسدون^(١١) وصيه كما حسدت الأمم أوصياء أنبيائها فيدفعونه عن حقه ويقتلون من ولده بعده كحسد^(١٢) الأمم الماضية وقال فأنهم^(١٣) عندها وقال يا كعب لئن صدقت في كتاب الله المنزل قليلاً فقد^(١٤) كذبت كثيراً فقال كعب والله ما كذبت في كتاب الله قط ولكن سأنتني عن أمر لم يكن لي يد من تفسيره والجواب فيه فإني لأعلم أن أعلم هذه الأمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ بعد نبيها لأنني لم أسأله عن شيء إلا وجدت عنده كلاً^(١٥) تصدقه به التوراة وجميع كتب الأنبياء ﷺ فقال له عمر اسكت يا ابن اليهودي فوالله إنك لكثير التخرص بكذب^(١٦) فقال كعب والله ما علمت أنني كذبت في شيء من كتاب الله منذ جرى لله علي الحكم ولئن شئت لأتقين عليك شيئاً من علم التوراة فإن فهمته فأنت أعلم منه وإن فهم فهو أعلم منك فقال له عمر هات بعض هتاتك فقل كعب أخبرني عن قول الله ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ فإين كانت الأرض وأين كانت السماء وأين كان جميع خلقه فقال له عمر ومن يعلم غيب الله منا إلا ما سمعه رجل من نبينا قال ولكن إخال^(١٧) أبا حسن لو سئل عن ذلك لشرحه بمثل ما قرأناه في التوراة فقال له عمر فدونك إذا اختلف المجلس قال فلما دخل علي ﷺ علي عمر وأصحابه^(١٨) أرادوا إسقاط أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ فقال كعب يا أبا الحسن أخبرني عن قول الله تعالى في كتابه ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ قال أمير

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٥٤.

(٢) في المصدر: «قال صباح».

(٣) في المصدر: «إنه عز وجل خلق نوراً».

(٤) تنبيه الخواطر ج ٢ ص ٥ - ٦.

(٥) في المصدر: «خطي» بدل «خطا».

(٦) حرف: «و» ليس في المصدر.

(٧) في المصدر: «يحسد» بدل «يحسدون».

(٨) في المصدر إضافة: «فأنهم».

(٩) في المصدر: «علماً» بدل «كلاً».

(١٠) في المصدر: «الكذب» بدل «بكذب».

(١١) في المصدر: «أخاك».

(١٢) في المصدر: «فلما دخل علي عمر أصحابه».

المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام نعم كان عرشه على الماء حين لا أرض مدحية ولا سماء مبنية ولا صوت يسمع ولا عين تنبوع ولا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا نجم يسري ولا قمر يجري ولا شمس تضيء وعرشه على الماء غير مستوحش إلى أحد من خلقه يمجده نفسه و يقدها كما شاء أن يكون كان ثم بدله أن يخلق الخلق فضرِب بأمواج البحور فنار منها مثل الدخان كأعظم ما يكون من خلق الله فبنى بها سماء رتقا ثم دحا الأرض من موضع الكعبة وهي وسط الأرض فطبقت إلى البحار ثم افتقها بالبنيان وجعلها^(١) سبعا بعد إذ كانت واحدة ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَ هِيَ دُخَانٌ من ذلك الماء الذي أنشأ من تلك البحور فجعلها سبعا طباقا بكملة التي لا يعلمها غيره وجعل في كل سماء ساكنا من الملائكة خلقهم معصومين من نور من بحور عذبة وهو بحر الرحمة وجعل طعامهم التسبيح والتهليل والتقدس فلما قضى أمره. و خلقه استوى على ملكه فمدح كما ينبغي له أن يمدح ثم قدر ملكه فجعل في كل سماء شهبا معلقة كواكب كتعليق القناديل من المساجد لا يحصيها غيره تبارك وتعالى والنجم من نجوم السماء كأكبر مدينة في الأرض ثم خلق الشمس والقمر فجعلهما شمسين فلو تركهما تبارك وتعالى كما كان ابتدأهما في أول مرة لم يعرف خلقة الليل من النهار ولا عرف الشهر ولا السنة ولا عرف الشتاء من الصيف ولا عرف الربيع من الخريف ولا علم أصحاب الدين متى يحل دينهم ولا علم العامل متى يتصرف^(٢) في معيشته ومتى يسكن لراحته يذنه فكان الله تبارك وتعالى لرافته بعباده نظر^(٣) لهم فبعث جبرئيل عليه السلام إلى إحدى الشمسيين فسمح بها جناحه فأذهب منها الشعاع والنور وترك فيها الضوء فذلك قوله ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحْوُونا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّبَنَاتِنَا فَمَنْ لَمْ يَرْكَبْهُ وَنَعْلَمُوا عَذَابَ السَّيِّئِينَ وَالْجَنَابِ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلَيْنَا تَفْصِيْلًا﴾^(٤) وجعلهما يجريان في الفلك والفلك بحر^(٥) فيما بين السماء والأرض مستطيل في السماء استطالته ثلاثة فراسخ يجري في غمرة الشمس والقمر كل واحد منهما على عجلة يقودهما ثلاثمائة ملك بيد كل ملك منها عروة يجرونها في غمرة ذلك البحر لهم زجل بالتهليل والتسبيح والتقدس لو برز واحد منهما من غمر ذلك البحر لاحترق كل شيء على وجه الأرض حتى الجبال والصخور وما خلق الله من شيء فلما خلق الله السماوات والأرض والليل والنهار والنجوم والفلك وجعل الأرضين على ظهر حوت أثقلها فاضطربت فأنبتها بالجيال فلما استكمل خلق ما في السماوات والأرض يومئذ خالية ليس فيها أحد قال للملائكة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٦) فبعث الله جبرئيل عليه السلام فأخذ من أديم الأرض قبضة فجعلها بالماء العذب والمالح وركب فيه الطبايع قبل أن ينفخ فيه الروح فخلق من أديم الأرض فلذلك سمي آدم لأنه لما عجن بالماء استأدم فطرحه في الجبل كالجيل العظيم وكان إبليس يومئذ خازنا على السماء الخامسة يدخل في منخر آدم ثم يخرج من دبره ثم يضرب يده على بطنه فيقول لأبي أمر خلقت لئن جعلت فوقي لا أطعك وإن جعلت أسفل مني لا أعينك^(٧) فمكث في الجنة ألف سنة ما بين خلقه إلى أن ينفخ فيه الروح فخلق من ماء وطين ونور وظلمة وريح ونور من نور الله فأما النور فيورثه الإيمان وأما الظلمة فيورثه الكفر والضلالة وأما الطين فيورثه فيورثه الرعدة والضعف والافتشعار^(٨) عند إصابة الماء فبنت^(٩) به على أربع الطبايع على الدم والبلغم والمرار والريح فذلك قوله تبارك وتعالى ﴿وَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلٍ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا﴾^(١٠).

قال فقال كعب يا عمر بالله أعلم كعلم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فقال لا فقال كعب علي بن أبي طالب عليه السلام وصي الأنبياء ومحمد خاتم الأنبياء عليه السلام وعلي خاتم الأوصياء وليس على الأرض اليوم منقوسة إلا^(١١) علي بن أبي طالب أعلم منه والله ما ذكر من خلق الإنس والجن والسماء والأرض والملائكة شيئا إلا وقد قرأته في التوراة كما قرأ^(١٢) قال فما رني عمر غضب قط مثل غضبه ذلك اليوم.^(١٣)

(٢) في المصدر: «يتصرف» بدل «يتصرف».

(٤) سورة الإسراء: آية: ١٢.

(٦) سورة البقرة: آية: ٣٠.

(٨) في المصدر: «الافتشعار» بدل «الافتشعار».

(١٠) سورة مريم: آية: ٦٧.

(١٢) في المصدر: «قرأت» بدل «قرأ».

(١) في المصدر: «فخلقها» بدل «فجعلها».

(٣) في المصدر: «أرأف بعباده وأنظر».

(٥) في المخطوط: «يجري».

(٧) في المصدر: «لا أتيك» بدل «لا أعينك».

(٩) في المصدر: «فني بنت» بدل «فني بنت».

(١١) من المصدر.

(١٣) تفسير غرات ص ١٨٣ - ١٨٦ رقم ٢٣٥.

بيان: الخرص الكذب والقول بالظن والتخرص الافتراء بعض هتاتك أي شرورك أو كلماتك العجيبة ولكن إخال بكسر الهمزة وقد تفتح أي أظن ثم فتحها بالبيان لعل المراد جعل الفرج بين قطعاتها فصارت كالبيان أو جعل فيها البناء والعمارة فقسمت بالأقاليم على قول والجبل بالفتح الساحة وكان في الخبر تصحيفات وهو مشتمل على رموز ولعلنا نتكلم في بعض أجزائه في موضع يناسبه.

٨٠- الكافي: عن محمد بن الحسن عن سهل عن ابن محبوب عن عبد الرحمن بن كثير عن داود الرقي قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل «وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ» فقال ما يقولون قلت يقولون إن العرش كان على الماء والرب فوقه فقال كذبوا من زعم هذا فقد صير الله محمولا وصفه بصفة المخلوق ولزمه أن الشيء الذي يحمله أقوى منه قلت بين لي جعلت فداك فقال إن الله حمل دينه وعلمه الماء قبل أن تكون أرض أو سماء أو جن أو إنس أو شمس أو قمر فلما أراد أن يخلق الخلق نثرهم بين يديه فقال لهم من ربكم فأول من نطق رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام فقالوا أنت ربنا فحملهم العلم والدين ثم قال للملائكة هؤلاء حملة ديني وعلمي وأمنائي في خلقي وهم المستولون ثم قال لبني آدم أقرؤا لله بالربوبية ولهؤلاء النفر بالولاية والطاعة فقالوا نعم ربنا أقررنا فقال الله للملائكة اشهدوا فقالن الملائكة شهدنا على أن لا يقولوا غدا إنا كنا عن هذا غافلين أو يقولوا إنا أشرك آبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فَأَتَاهُمُ الْبُكُورُ بِغُلَامٍ كَرِيمٍ يا داود ولا يتنا مؤكدة عليهم في الميثاق. (١)

التوحيد: عن علي بن أحمد الدقاق عن محمد بن أبي عبد الله الكوفي عن محمد بن إسماعيل البرمكي عن جزعان (٢) بن نصر الكندي عن سهل مثله (٣).

بيان: ظاهره أن الله سبحانه أعطى الماء حالة صار قابلا لحمل دينه وعلمه ويحتمل أن يكون المعنى أنه لما كان الماء أول المخلوقات وكان الله تعالى جعله قابلا لأن يخرج منه خلقا يكونون قائلين لعلمه ودينه وكان يهيب أسباب خروجهم منه فكانه حمل دينه وعلمه الماء ومن يسلك مسلك الحكماء قد يؤول الماء بالعقل وقد يؤوله بالهيولي ونحن من ذلك بمعزل بفضل تعالى.

٨١- الكافي: عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن محمد بن داود عن محمد بن عطية قال جاء إلى أبي جعفر عليه السلام رجل من أهل الشام عن علمائهم فقال يا أبا جعفر جئت أسألك عن مسألة قد أعيت علي أن أجد أحدا يفسرها وقد سألت عنها ثلاثة أصناف من الناس فقال كل صنف منهم شيئا غير الذي قال الصنف الآخر فقال له أبو جعفر عليه السلام ما ذاك قال فإني أسألك عن أول ما خلق الله من خلقه فإن بعض من سألت قال القدر وقال بعضهم القلم وقال بعضهم الروح فقال أبو جعفر ما قالوا شيئا أخبرك أن الله تبارك وتعالى كان ولا شيء غيره وكان عزيزا ولا أحد كان قبل عزه وذلك قوله «سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ» (٤) وكان الخالق قبل المخلوق ولو كان أول ما خلق من خلقه الشيء من الشيء إذا لم يكن له انقطاع أبدا ولم يزل الله إذا ومع شيء ليس هو يتقدمه ولكنه كان إذ لا شيء غيره وخلق الشيء الذي جميع الأشياء منه وهو الماء الذي خلق الأشياء منه فجعل نسب كل شيء إلى الماء ولم يجعل للماء نسباً يضاف إليه وخلق الريح من الماء ثم سلط الريح على الماء فشقت الريح متن الماء حتى ثار من الماء زيد على قدر ما شاء أن يثور فخلق من ذلك الزيد أرضاً بيضاء تقية ليس فيها صعد ولا ثقب ولا صعود ولا هبوط ولا شجرة ثم طواها فوضعها فوق الماء ثم خلق الله النار من الماء فشقت النار متن الماء حتى ثار من الماء دخان على قدر ما شاء الله أن يثور فخلق من ذلك الدخان سماء صافية تقية ليس فيها صعد ولا ثقب (٥) وذلك قوله «وَأَمَّ السَّمَاءَ بَنَاهَا رَفَعَ سَكَكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَسَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا» (٦) قال ولا شمس ولا قمر ولا نجوم ولا سحب ثم طواها فوضعها فوق الأرض ثم نسب الخليقتين فرفع السماء قبل الأرض فذلك قوله عز ذكره «وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا» (٧) يقول بسطها.

(١) الكافي ج ١ ص ١٣٢ باب العرش والكرسي، حديث ٧.

(٢) في المصدر: «جزعان بن أبي نصر الكندي».

(٣) التوحيد ص ٣١٩ باب ٤٩، حديث ١.

(٤) سورة الصافات، آية: ١٨٠.

(٥) في المصدر: «تقية» بدل «تقية».

(٦) سورة النازعات، آية: ٢٧ - ٢٩.

(٧) سورة النازعات، آية: ٣٠.

قال فقال له الشامي يا أبا جعفر قول الله عز وجل ﴿وَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾^(١) فقال له أبو جعفر عليه السلام فلعلك تزعم أنهما كانتا رتقا ملتزمتين ملتصقتين ففتقت إحداهما من الأخرى فقال نعم فقال أبو جعفر عليه السلام استغفر ربك فإن قول الله عز وجل ﴿كَانَتَا رَتْقًا﴾ يقول كانت السماء رتقا لا تنزل المطر وكانت الأرض رتقا لا تنبت الحب فلما خلق الله تبارك وتعالى الخلق وبث فيها من كل دابة فتفتت السماء بالمطر والأرض بنبت الحب فقال الشامي أشهد أنك من ولد الأنبياء وأن علمك عليهم^(٢).

توضيح: قوله عليه السلام ولو كان أول ما خلق أي لو كان كما تزعمه الحكماء كل حادث مسبوقا بمادة فلا يتحقق شيء يكون أول الأشياء من الحوادث فيلزم وجود قديم سوى الله تعالى وهو محال فجعل نسب كل شيء إلى الماء أي بأن خلق جميعها منه لا بقوله ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾^(٣) لأنه ظاهره مختص بدوي الحياة إلا أن يقال المراد بكل شيء هنا أيضا ذوو الحياة أو يقال انتساب ذوي الحياة إليه مستلزم لانتساب غيرهم أيضا من العناصر لأنها جزء الحيوان ثم نسب الخليقتين أي رتبهما في الوضع وجعل إحداهما فوق الأخرى أو بين نسبة خلقهما في كتابه بقوله ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾^(٤) فيبين أن دحو الأرض بعد رفع السماء.

٨٢- الكافي: عن محمد بن أحمد بن محمد عن ابن محبوب عن العلاء بن رزين عن محمد بن مسلم والحجاء عن العلاء بن محمد بن مسلم قال قال لي أبو جعفر عليه السلام كان كل شيء ماء وكان عرشه على الماء فأمر الله جل وعز الماء فاضطرم نارا ثم أمر النار فخذت فارتفعت من خمودها دخان فخلق الله السماوات من ذلك الدخان وخلق الأرض من الرماد ثم اختصم الماء والنار والريح فقال الماء أنا جند الله الأكبر وقال الريح أنا جند الله الأكبر وقالت النار أنا جند الله الأكبر فأوحى الله عز وجل إلى الريح أنت جندي الأكبر^(٥).

بيان: وخلق الأرض من الرماد لعل المراد بقية الأرض التي حصلت بعد الدحو ويحتمل أيضا أن يكون الزبد المذكور في الأخبار الأخر مادة بعيدة للأرض بأن يكون الرماد تكون من الزبد ومن الرماد تكونت الأرض أو يكون الرماد أحد أجزاء الأرض مزج بالزبد فجعد الزبد بذلك المزج **تصلب.**

٨٣- الكافي: عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن ابن محبوب عن أبي جعفر الأحول عن سلام بن المستنير عن أبي جعفر عليه السلام قال إن الله عز وجل خلق الجنة قبل أن يخلق النار وخلق الطاعة قبل أن يخلق المعصية وخلق الرحمة قبل الغضب وخلق الخير قبل الشر وخلق الأرض قبل السماء وخلق الحياة قبل الموت وخلق الشمس قبل القمر وخلق النور قبل^(٦) أن يخلق الظلمة^(٧).

بيان: لعل المراد بخلق الطاعة تقديرها بل الظاهر في الأكثر ذلك والخلق بمعنى التقدير شائع والمراد بخلق الشر خلق ما يترتب عليه شر ظاهرا وإن كان خيره غالبا ووجوده صلاحا.

٨٤- الكافي: عن علي بن إبراهيم عن هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال النبي صلى الله عليه وآله ما خلق الله عز وجل خلقا إلا وقد أمر عليه آخر يغلبه فيه وذلك أن الله تبارك وتعالى لما خلق السحاب^(٨) السفلى فخرت وزخرت وقالت أي شيء يغلبني فخلق الأرض فسطحها على ظهرها فذلت ثم^(٩) إن الأرض فخرت وقالت أي شيء يغلبني فخلق الجبال فأثبتها على ظهرها أوتادا من أن تميد بما عليها فذلت الأرض واستقرت ثم إن الجبال فخرت على الأرض فشمخت واستطالت وقالت أي شيء يغلبني فخلق الحديد فقطعها فقرت الجبال وذلت ثم إن الحديد فخر على الجبال وقال أي شيء يغلبني فخلق النار فأذابت الحديد فذل الحديد ثم إن النار زفرت وشهقت وفخرت وقالت أي شيء يغلبني فخلق الماء فأطفأها فذلت النار ثم إن الماء فخر وزخر وقال أي

(٢) روضة الكافي ص ٩٤، حديث ٦٧.

(٤) سورة النازعات، آية: ٣٠.

(١) سورة الأنبياء، آية: ٣٠.

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٣٠.

(٥) روضة الكافي ص ٩٥، حديث ٦٨ و ص ١٥٣، حديث ١٤٢.

(٦) في المصدر: «قبل الظلمة».

(٨) روضة الكافي ص ١٤٥، حديث ١١٦.

(٩) في المصدر إضافة: «قال».

(٨) في المصدر: «البحار السفلى».

شيء يغلبني فخلق الريح فحركت أمواجه وأثارت ما في قعره وحبسته عن مجاريه فذل الماء ثم إن الريح فخرت وعصفت ولوحت^(١) أذيالها وقالت أي شيء يغلبني فخلق الإنسان فبنى واحتال واتخذ ما يستتر به من الريح وغيرها فذلت الريح ثم إن الإنسان طغى وقال من أشد مني قوة فخلق الله له الموت فقهره فذل الإنسان ثم إن الموت فخر في نفسه فقال الله عز وجل لا تفخر فإني ذابحك بين الفريقين أهل الجنة وأهل النار ثم لا أحبك أبدا فترجى وتخاف^(٢) وقال أيضا والحلم يغلب الغضب والرحمة تغلب السخط والصدقة تغلب الخطيئة ثم قال أبو عبد الله عليه السلام وما أنشبه هذا مما يغلب غيره^(٣).

إيضاح: في القاموس زخر البحر كمنع زخرا وزخورا وتزخر طما وتملأ والوادي مد جدا وارتفع والنبات طال والرجل بما عنده فخر^(٤) انتهى والظاهر أن هذه الجملة جرت على سبيل الاستعارة التمثيلية لبيان أن سوى الحق تعالى مهزول مغلوب عن غيره والله سبحانه هو الغالب القاهر لجميع ما سواه وأنه سبحانه بحكمته دفع في الدنيا عادية كل شيء بشيء ليستقيم للناس التعيش فيها والميل الحركة والاضطراب.

وقال الجوهري الزفير اغترق النفس للشدة والزفير أول صوت الحمار والشهيق آخره^(٥) وقال الفيروز آبادي زفر النار سمع لتوقدها صوت^(٦) قوله عليه السلام إن الماء فخر لعل المراد بالماء هاهنا المياه التي استكنت في الأرض وخلقت على وجهها ولذا قيد الماء في أول الخبر بالبحار السفلى وغلبة الأرض إنما هي عليها دون المياه الظاهرة فلا ينافي تأخر خلق هذا الماء عن كثير من الأشياء تقدم خلق أصل الماء وحقيقته على غيره من سائر الأشياء.

وقوله وعصفت أي اشتدت ولوحت أذيالها أي رفعتها وحركتها تبحترا وتكبيرا وهذا من أحسن الاستعارات فترجى أو تخاف أي لا أحبك فتكون حياتك رجاء لأهل النار وخوفا لأهل الجنة وذبح الموت لعل المراد به ذبح شيء يسمى بهذا الاسم ليعرف الفريقان رفع الموت عنهما عيانا إن لم تقل يتجسم الأعراض في تلك النشأة ويحتمل أن يكون هذا أيضا على الاستعارة التمثيلية.

٨٥- الاختصاص: قال يونس بن عبد الرحمن يوما لموسى بن جعفر عليه السلام أين كان ربك حيث^(٧) لا سماء مبنية ولا أرض مدحية قال كان نورا في نور ونورا على نور خلق من ذلك النور ماء منكذرا فخلق من ذلك الماء ظلمة فكان عرشه على تلك الظلمة قال إنما سألتك عن المكان قال كلما قلت أين فأين هو المكان قال وصفت فأجدت إنما سألتك عن المكان الموجود المعروف قال كان في علمه لعلمه فقصر علم العلماء عند علمه قال إنما سألتك عن المكان قال يا لكع أليس قد أجبتك أنه كان في علمه لعلمه فقصر علم العلماء عند علمه^(٨).

٨٦- سعد السعود: للسيد بن طاوس قال وجدت في صحف إدريس عليه السلام من نسخه عتيقة أول يوم خلق الله جل جلاله يوم الأحد ثم كان صباح يوم الإثنين فجمع الله جل جلاله البحار حول الأرض وجعلها أربعة بحار الفرات والنيل وسيحان وجيحان ثم كان مساء ليلة الثلاثاء فجاء الليل بظلمته وحشته ثم كان صباح يوم الثلاثاء فخلق الله جل جلاله الشمس والقمر وشرح ذلك وما بعده شرحا طويلا وقال ثم كان مساء ليلة الأربعاء فخلق الله ألف ألف صنف من الملائكة منهم على خلق القمام ومنهم على خلق النار متفواتين في الخلق والأجناس ثم كان صباح يوم الأربعاء فخلق الله من الماء أصناف البهائم والطيور وجعل لهم رزقا في الأرض وخلق النار العظام وأجناس الهوام ثم كان مساء ليلة الخميس فميز الله سباع الدواب وسباع الطير ثم كان صباح يوم الخميس فخلق الله ثمان جنات وجعل كل باب واحدة منهن إلى بعض ثم كان مساء ليلة الجمعة فخلق الله النور الزهراء وفتح الله مائة باب رحمة في كل باب جزء من الرحمة وكل بكل باب ألفا من ملائكة الرحمة وجعل رئيسهم كلهم ميكائيل فجعل آخرها بابا

(١) في المصدر: «أرخت» بدل «لوحت».

(٢) روضة الكافي ص ١٤٨، حديث ١٢٩.

(٣) الصالح ج ٢ ص ٦٧٠، وفيه إضافة: «لأن الزفير إدخال النفس والشهيق إخراجها».

(٤) القاموس المحيط ج ٢ ص ٤١.

(٥) في المصدر: «حين» بدل «حيث».

(٦) الاختصاص ص ٦٠.

(٧) في المصدر: «أرخت» بدل «لوحت».

(٨) روضة الكافي ص ١٤٨، حديث ١٢٩.

(٩) الصالح ج ٢ ص ٦٧٠، وفيه إضافة: «لأن الزفير إدخال النفس والشهيق إخراجها».

(١٠) القاموس المحيط ج ٢ ص ٤١.

(١١) في المصدر: «حين» بدل «حيث».

(١٢) الاختصاص ص ٦٠.

لجميع الخلائق يتراحمون به بينهم ثم كان صباح يوم الجمعة فتح الله أبواب السماء بالغيث وأهب الرياح وأنشأ السحاب وأرسل ملائكة الرحمة للأرض تأمر السحاب بمطر على الأرض وزهرت الأرض بنباتها وازدادت حسنا وبهجة وغشي الملائكة النور وسمى الله يوم الجمعة لذلك يوم أزهرو يوم المزيد وقال الله قد جعلت يوم الجمعة أكرم الأيام كلها وأحبها إلي ثم ذكر شرحا جليلا بعد ذلك ثم قال إن الأرض عرفها الله جل جلاله^(١) أنه يخلق منها خلقا فمنهم من يطيعه ومنهم من يعصيه فاقشـرت الأرض واستغـفت^(٢) الله وسألته أن لا يأخذ منها من يعصيه ويدخله النار وإن جبرئيل أتاها ليأخذ عنها^(٣) طينة آدم فسألته بعزة الله أن لا يأخذ منها شيئا حتى تتضرع إلى الله تعالى وتضرع^(٤) فأمره الله تعالى بالانصراف عنها فأمر الله ميكائيل^(٥) فاقشـرت وسألته وتضرعت فأمره الله تعالى بالانصراف عنها فأمر الله تعالى إسرئيل بذلك فاقشـرت وسألته وتضرعت فأمره الله تعالى بالانصراف عنها فأمر عزرائيل فاقشـرت وسألته وتضرعت فقال قد أمرني ربي بأمر أنا ماض له سره ذلك^(٦) أم ساءك قبض منها كما أمره الله ثم صعد بها إلى موقفه فقال الله له^(٧) كما وليت قبضا من الأرض وهي كارهة^(٨) كذلك تلي قبض أرواح كل من عليها وكلما قضيت عليه الموت من اليوم إلى يوم القيامة فلما غابت شمس يوم الجمعة خلق الله النعاس فغشا دواب الأرض وجعل النوم سباتا وسمى الليلة لذلك ليلة السبت وقال أنا الله لا إله إلا أنا خالق^(٩) كل شيء خلقت السماوات والأرض وما بينهنَّ وما تحثُّ الثرى في ستة أيام من شهر نيسان وهو أول شهر من شهور الدنيا وجعلت الليل والنهار وجعلت النهار نشورا ومعاشا وجعلت الليل لباسا وسكتا ثم كان صباح يوم السبت فميز الله لغات الكلام فسيح جميع الخلائق لعزة الله جل جلاله فتم خلق الله و تم أمره في الليل والنهار ثم كان صباح يوم الأحد الثاني اليوم الثامن من الدنيا فأمر الله ملكا فعجن طينة آدم فخلط بعضها ببعض ثم خمرها. أربعين سنة ثم جعلها لازبا ثم جعلها حماً مسنوناً أربعين سنة ثم جعلها صلصالاً كالفضة أربعين سنة^(١٠) ثم قال للملائكة بعد عشرين ومائة سنة مذ خمر طينة آدم «إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ» فقالوا نعم.

فقال في الصحف ما هذا لفظه فخلق الله آدم على صورته التي صورها في اللوح المحفوظ.

١٠٣
٥٧

يقول علي بن موسى بن طائوس فأسقط بعض المسلمين بعض هذا الكلام وقال إن الله خلق آدم على صورته فاعتقد التجسيم فاحتاج المسلمون إلى تأويلات الحديث ولو نقله بتمامه استغنى عن التأويل بتصديق وشهد العقل المستقيم^(١٠٠). وقال في الصحف ثم جعلها جسدا ملقى على طريق الملائكة الذي تصعد فيه إلى السماء أربعين سنة ثم ذكر تناسل الجن وفسادهم وهرب إبليس منهم إلى الله وسؤاله أن يكون مع الملائكة وإجابة سؤاله وما وقع من الجن حتى أمر الله إبليس أن ينزل مع الملائكة لطرد الجن فنزل وطردهم عن الأرض التي أفسدوا فيها وشرح كيفية خلق الروح في أعضاء آدم واستوائه جالسا وأمر الله الملائكة بالسجود فسجدوا له إلا إبليس كان من الجن فلم يسجد له فطس آدم فقال الله يا آدم قل الحمد لله رب العالمين فقال الحمد لله رب العالمين قال الله يرحمك الله لهذا خلقتك لتوحدني وتعبدني وتحمدني وتؤمن بي ولا تكفر بي ولا تشرك بي شيئا^(١١).

٨٧-أقول: قد مر تمامه في كتاب النبوة وكتاب الغيبة وجدت في بعض الكتب عن الصادق^(١٢) في كلام له فالزم ما أجمع عليه أهل الصفاء والنقاء من أصول الدين وحقائق اليقين والرضا والتسليم ولا تدخل في اختلاف الخلق فيصعب عليك وقد اجتمعت الأمة المختارة بأن الله واحد ليس كشيء شيء وأنه عدل في حكمه ويقطع ما يشاء ويحكم ما يريد ولا يقال له في شيء من صفته لم ولا كان ولا يكون شيء إلا بمشيئته وأنه قادر على ما يشاء صادق في وعده وعيده وأن القرآن كلامه وأنه كان قبل الكون والمكان والزمان وأن إحداثه وإنشاء غيره

١٠٤
٥٧

(١) في المصدر: «ولمعه لسان الحال».

(٢) في المصدر: «منها» بدل «عنها».

(٣) في المصدر: «ذلك».

(٤) في المصدر: «قبضها لله من الأرض وهي كارهة».

(٥) عبارة: «ثم جعلها» إلى «أربعين سنة» ليست في المصدر.

(٦) سعد السعود ص ٢٢-٢٤.

(٧) في المصدر: «أستغفت» بدل «استغفت».

(٨) في المصدر إضافة: «وسألته».

(٩) من المصدر.

(١٠) في المصدر: «أخلق» بدل «خالق».

(١١) هكذا في المطبوعة والمصدر.

سواء ما ازداد هو بإحداثة علما ولا ينقص بفنائه ملكه عز سلطانه وجل سبحانه فمن أورد عليك ما ينقض هذا الأصل فلا تقبله^(١) الخبر.

٨٨- الأخبار المسلسلات: لجعفر بن أحمد القمي قال حدثنا محمد بن علي بن الحسين و شبك بيدي قال شبك بيدي عتاب بن محمد بن عتاب^(٢) أبو القاسم قال شبك بيدي أحمد بن محمد بن عمار ببغداد و قال لنا شبك بيدي محمد بن همام العراقي قال شبك بيدي إسماعيل بن إبراهيم قال شبك بيدي عبد الكريم بن هشام قال شبك بيدي إبراهيم بن أبي يحيى قال شبك بيدي صفوان^(٣) بن سليمان قال شبك بيدي أيوب بن خالد قال شبك بيدي عبيد^(٤) الله بن رافع قال شبك بيدي أبو هريرة قال شبك بيدي رسول الله ﷺ وقال خلق الله الأرض يوم السبت والجماء يوم الأحد والبحر يوم الإثنين والمكروه يوم الثلاثاء والنور يوم الأربعاء والدواب يوم الخميس وآدم يوم الجمعة.^(٥) أقول: الحديث ضعيف مخالف للمشهور و سائر الأخبار فلا يعول عليه.

٨٩- كتاب زيد النوسي: عن عبيد بن زرارة قال سمعت أبا عبد الله^(٦) إذا أمات الله أهل الأرض لبث مثل ما كان الخلق و مثل ما أماتهم و أضعاف ذلك ثم أمات أهل السماء الدنيا ثم لبث مثل ما خلق الخلق و مثل ما أمات أهل الأرض و السماء الدنيا و أضعاف ذلك ثم أمات أهل السماء الثانية ثم لبث مثل ما خلق الخلق و مثل ما أمات أهل الأرض و السماء الدنيا و السماء الثانية و أضعاف ذلك ثم أمات أهل السماء الثالثة ثم لبث مثل ما خلق الخلق و مثل ما أمات أهل الأرض و السماء الدنيا و السماء الثانية و أضعاف ذلك ثم أمات أهل السماء الرابعة ثم لبث مثل ما خلق الخلق و مثل ما أمات أهل الأرض و مثل ما خلق الخلق و مثل ما أمات أهل السماء الخامسة ثم لبث مثل ما خلق الخلق و مثل ما أمات أهل الأرض و مثل ما أمات أهل السماء السادسة ثم لبث مثل ما خلق الخلق و مثل ما أمات أهل الأرض و مثل ما أمات أهل السماء السابعة و أضعاف ذلك ثم لبث مثل ما خلق الخلق و مثل ما أمات أهل السماء السابعة و أضعاف ذلك ثم أمات ميكائيل ثم لبث مثل ما خلق الخلق و مثل ذلك كله و أضعاف ذلك كله^(٧) ثم أمات جبرئيل ثم لبث مثل^(٨) ما خلق الخلق و مثل ذلك كله و أضعاف ذلك كله^(٩) ثم أمات ملك الموت قال ثم يقول تبارك و تعالي لمن الملك اليوم فيرد على نفسه لله الواحد القهار أين الجبارون أين الذين ادعوا معي إلها أين المتكبرون و نحو هذا ثم يلبث مثل ما خلق الخلق و مثل ذلك كله و أضعاف ذلك ثم يبعث الخلق أو^(١٠) يتنفع في الصور.

قال عبيد بن زرارة فقلت إن هذا الأمر كائن طولت ذلك فقال أرأيت ما كان قبل أن يخلق الخلق أطول أو ذا قال قلت ذا قال فهل علمت به قال قلت لا قال فكذاك هذا.^(١١)

بيان: الخبر صريح في الحدوث و قوله قلت ذا الظاهر أنه إشارة إلى المدة قبل خلق الخلق و يدل على الزمان الموهوم.

٩٠- النهج: [تبع البلاغة] روى مسعدة بن صدقة عن الصادق جعفر بن محمد^(١٢) أنه قال خطب أمير المؤمنين علي^(١٣) بهذه الخطبة على منبر الكوفة و ذلك أن رجلا أتاه فقال يا أمير المؤمنين صف لنا ربنا لنزداد له حبا و به معرفة فغضب^(١٤) و نادى الصلاة جامعة فاجتمع الناس عليه^(١٥) حتى غص المسجد بأهله فصعد المنبر و هو مغضب متغير اللون فحمد الله سبحانه و صلى على النبي ﷺ ثم قال:

- (١) لم نخر على هذا الكتاب.
(٢) في المصدر: «أيوب» بدل «صفوان».
(٣) في المصدر: «أيوب» بدل «صفوان».
(٤) في المصدر: «عبدالله».
(٥) المسلسلات ضمن جامع الأحاديث ص ٢٤١، حديث ٣.
(٦) من المصدر.
(٧) من المصدر.
(٨) من المصدر.
(٩) عبارة: «كله» ليست في المصدر.
(١٠) كتاب زيد النوسي ضمن كتاب الأصول الستة عشر ص ٤٧ و ٤٨.
(١١) كلمة: «عليه» ليست في المصدر.
(١٢) في المصدر: «عقاب».
(١٣) في المصدر: «عبدالله».
(١٤) من المصدر.
(١٥) من المصدر.
(١٦) في المصدر: «و» بدل «أو».

الحمد لله الذي لا يفره المنع^(١) ولا يكديه الإعطاء والجدود إذ كل معط منتقص سواء وكل مانع مذموم ما خلاه^(٢) هو المنان بفوائده النعم وعوائده المزيد والقسم عياله الخلاق ضمن أرزاقهم و قدر أوقاتهم ونهج سبيل الراغبين إليه والطالبين ما لديه وليس بما سئل بأجود منه بما لم يسأل الأول الذي لم يكن له قبل فيكون شيء قبله والآخر الذي ليس له بعد فيكون شيء بعده والراود أناسي الأبصار عن أن تناله أو تدركه ما اختلف عليه دهر فتختلف^(٣) منه الحال ولا كان في مكان فيجوز عليه الانتقال ولو وهب ما تنفست عنه معادن الجبال وضحت عنه أصداف البحار من فلز اللجين والعقيان ونشارة الدر وحصيد المرجان ما أثر ذلك في جوده ولا أنفد سعة ما عنده وكان عنده من ذخائر الإيعام ما لا تنفده مطالب الأنام لأنه الجواد الذي لا يغيضه سؤال السائلين ولا يبخله إلحاح الملحين فانظر أيها السائل فما ذلك القرآن عليه من صفته فأتم به واستضى بنور هدايته وما كلفك الشيطان علمه مما ليس في الكتاب عليك فرضه ولا في سنة النبي وأئمة الهدى أثره فكل علمه إلى الله سبحانه فإن ذلك منتهى حق الله عليك واعلم أن الراسخين في العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب الإقرار بجملتها ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب فمدح الله تعالى اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علما وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخا فاقصر على ذلك فلا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين هو القادر الذي إذا ارتمت الأوثام لتدرك منقطع قدرته وحاول الفكر المبرأ من خطر الوسواس أن يقع عليه من عميقات غيوب ملكوته وتولعت القلوب إليه لتجري في كيفية صفاته وغمضت مداخل العقول في حيث لا تبلغه الصفات لتنال^(٤) علم ذاته ردعها وهي تجوب مهاوي سدف الغيوب متخلصة إليه سبحانه وتعالى^(٥) فرجعت إذ جهبت معترفة بأنه لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته ولا تخطر ببال أولي الروايات خاطرة من تقدير جلال عزته الذي ابتدئ الخلق على غير مثال امتثله ولا مقدار احتذى عليه من خالق معبود كان قبله وأرانا من ملكوت قدرته وعجائب ما نطق به آثار حكمته واعتراف الحاجة من الخلق إلى أن يقيمها بمسالك قوته ما دلنا باضطرار قيام الحجة^(٦) على معرفته وظهرت في^(٧) البدائع التي أحدثها^(٨) آثار صنعه وأعلام حكمته فصار كل ما خلق حجة له ودليلا عليه وإن كان خلقا صامتا فحجته بالتدبير ناطقة ودلالته على المبدع قائمة فأشهد أن من شبهك بتباين أعضاء خلقك وتلاحم حقائق مفصلهم المحتجة لتدبير حكمتك لم يعقد غيب ضميره على معرفتك ولم يباشر قلبه اليقين بأنه لا تد لك وأنه لم يسمع تبرؤ التابعين من المتبوعين إذ يقولون تَالَهُ إِنْ كُنَّا لَقِي ضَلَالٌ مُبِينٌ إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ^(٩) كذب العادلون بك إذ شبهوك بأصنامهم ونحلوك حلية المخلوقين بأوھامهم وجزءوك تجزئة المجسمات بخواطرهم وقدروك على الخلقة المختلفة القوى بقرائع عقولهم فأشهد أن من ساواك بشيء من خلقك فقد عدل بك والعاقل بك كافر بما تنزلت به محكمات آياتك ونطقت به^(١٠) عنه شواهد حجج بيناتك وأنت الله الذي لم يتناه^(١١) في العقول فيكون في مهبط فكرها مكيفا ولا في روايات خواطرها^(١٢) محدودا مصرفا ومنها: قدر ما خلق فأحكم تقديره وديره فألطف تدبيره ووجهه لوجهه فلم يتعد حدود منزلته فلم يقصر دون الانتهاء إلى غايته ولم يستعصب إذ أمر بالمضي على إرادته وكيف وإنما صدرت الأمور عن مشيئة المنشي أصناف الأشياء بلا روية فكر آل إليها ولا قريحة غريزة أضمر عليها ولا تجربة أفادها من حوادث الدهور ولا شريك أعانها على ابتداء عجائب الأمور فتم خلقه وأذن لطاعته وأجاب إلى دعوته ولم يعترض دونه ريث المبطل ولا أناة المملوكي فأقام من الأشياء أودها ونهج حدودها ولاء بقدرته بين متضادها وصل أسباب قرائنها وفرقها أجناسا مختلفات في الحدود والأقدار والقراثر والهيئات بدايا خلائق أحكم صنعها وفطرها على ما أراد وابتدعها منها في صفة السماء: ونظم بلا تعليق رھوات فرجھا ولاحم صدوع انفرجھا وشج^(١٣) بينها وبين أزواجھا و

(٢) من المصدر.

(٤) في المصدر: «لتناول».

(٦) في المصدر إضافة: «له».

(٨) في المصدر: «أحدثتها».

(١٠) كلمة: «به» ليست في المصدر.

(١٢) في المصدر إضافة: «فتكون».

(١) في المصدر إضافة: والجمود».

(٣) في المصدر: «فيختلف».

(٥) عبارة: «وتعالى» ليست في المصدر.

(٧) كلمة: «في» ليست في المصدر.

(٩) سورة الشعراء: آية: ٩٨.

(١١) في المصدر: «تتناه».

(١٣) في المصدر: «ووشج».

دَلِّلْ لِلْهَاطِطِينَ بِأَمْرِهِ وَالصَّاعِدِينَ بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ حَزُونَ مَعْرَاجِهَا وَنَادَاهَا بَعْدَ إِذْ هِيَ دَخَانٌ فَالتَحَمَّتْ عَرَى أَشْرَاجِهَا وَفَتَقَ بَعْدَ الْارْتِاقِ صَوَامِتَ أَبْوَابِهَا وَأَقَامَ رَصْدًا مِنَ الشَّهْبِ الثَّوَابِقِ عَلَى تَقَابِهَا وَأَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تَمُورَ فِي خَرْقِ الْهَوَاءِ بَانِدَةً رَائِدَةً وَأَمْرَهَا^(١) أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ وَجَعَلَ شَمْسُهَا آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا وَقَمَرُهَا آيَةً مَحْوَةً مِنْ لِيلِهَا وَأَجْرَاهَا فِي مَنَاقِلِ مَجْرَاهَا وَقَدَرِ مَسِيرِهَا فِي مَدَارِجِ دَرَجَمَا لِيَمِيزَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بَعْدَ السَّنِينَ وَالحَسَابِ بِمَقَادِيرِهَا^(٢) ثُمَّ عَلَقَ فِي جَوْهَا فَلَكَهَا وَنَاطَ بِهَا زَيْتِنَهَا مِنْ خَفِيَّاتِ دَرَارِهَا وَمَصَابِيحِ كَوَاكِبِهَا وَرَمَى مُسْتَرْقِي السَّمْعِ بِثَوَاقِبِ شَهْبِهَا وَأَجْرَاهَا عَلَى إِذْلالِ تَسْخِيرِهَا مِنْ ثِبَاتِ ثَابِتِهَا وَمَسِيرِ سَاطِرِهَا وَهَبُوطِهَا وَصُعُودِهَا وَنَحُوسِهَا وَسُعُودِهَا.

مِنْهَا فِي صِفَةِ الْمَلَائِكَةِ ﷺ: ثُمَّ خَلَقَ سَبْحَانَهُ لِاسْكَانِ سَمَاوَاتِهِ وَعِمَارَةِ الصَّفِيحِ الْأَعْلَى مِنْ مَلَكُوتِهِ خَلَقَا بَدِيعًا مِنْ مَلَأْنِكَه مَلَأَ بِهِمْ فُرُوجَ فَجَاجِهَا وَحَشَا بِهِمْ فَتُوقَ أَجْوَانِهَا وَبَيْنَ فُجُوتِ تِلْكَ الْفُرُوجِ زَجَلَ السَّبْحِينَ مِنْهُمْ فِي حِظَازِ الْقُدُسِ وَسُتَرَاتِ الْحَجَبِ وَسَرَادِقَاتِ الْمَجْدِ وَوَرَاءَ ذَلِكَ الرَّجِيجِ الَّذِي تَسْتَكُ مِنْهُ الْأَسْمَاعُ سَبَحَاتِ نَوْرِ تَرْدَعِ الْأَبْصَارِ عَنْ بُلُوغِهَا فَتَفْتَقُ خَاسِئَةً عَلَى حُدُودِهَا أَنْشَأَهُمْ^(٣) عَلَى صُورِ مُخْتَلَفَاتٍ وَأَقْدَارِ مُتَفَوِّتَاتٍ أُولَى أَجْنَعَةٍ تَسْبِيحُ جَلَالِ عِزَّتِهِ لَا يَنْتَحِلُونَ مَا ظَهَرَ فِي الْخَلْقِ مِنْ صُنْعِهِ وَلَا يَدْعُونَ أَنَّهُمْ يَخْلُقُونَ شَيْئًا مَعَهُ مِمَّا انْفَرَدَ بِهِ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَفْعَلُونَ جَعَلَهُمْ^(٤) فِيمَا هُنَاكَ أَهْلَ الْأَمَانَةِ عَلَى وَحْيِهِ وَحَمَلَهُمْ إِلَى الْمُرْسَلِينَ وَدَانَعَ أَمْرَهُ وَنَهَيْهِ وَعَصَمَهُمْ مِنْ رَيْبِ الشُّبُهَاتِ فَمَا مِنْهُمْ زَانِعٌ عَنْ سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ وَأَمْدَمَهُمْ بِفُرَاقِ الْمَعُونَةِ وَأَشْعَرَ قُلُوبَهُمْ تَوَاضُعَ إِحْبَاتِ السَّكِينَةِ وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَابًا ذَلَالًا إِلَى تَاجِجِدِهِ وَنَصَبَ لَهُمْ مَنَارًا وَاضِحَةً عَلَى أَعْلَامِ تَوْحِيدِهِ لَمْ تَنْقَلِبْهُمْ مُؤَصِّرَاتِ الْأَثَامِ وَلَمْ تَرْتَحِلْهُمْ عَقَبَ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ وَلَمْ تَرْمِ الشُّكُوكَ بِنَوَازِعِهَا عَزِيمَةً إِيْمَانِهِمْ وَلَمْ تَعْتَرِكِ الظُّنُونِ عَلَى مَعَاقِدِ يَقِينِهِمْ وَلَا دَحْدَحَتِ قَادِحَةَ الْإِحْنِ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَلَا سَلَبَتْهُمْ الْحَيْرَةَ مَا لَاقَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بَضَائِرُهُمْ وَسَكَنَ بَعْظَمَتِهِ وَهَيْبَةَ جَلَالِهِ^(٥) فِي أُنْثَاءِ صُدُورِهِمْ وَلَمْ تَطْمَعْ فِيهِمُ الْوَسَاوِسُ فَتَقْتَرِعَ بِرَيْنِهَا عَلَى فِكْرِهِمْ مِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي خَلْقِ الْقِمَامِ الدَّلِجِ وَفِي عِظَمِ الْجِبَالِ الشَّمْعِ وَفِي قُتْرَةِ الظَّلَامِ الْأَيْهَمُ وَمِنْهُمْ مَنْ قَدَّ^(٦) خَرَقَتْ أَقْدَامُهُمْ تَخُومَ الْأَرْضِ السُّفْلَى فَهِيَ كَرَائِبَاتِ بَيْضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي مَخَارِقِ الْهَوَاءِ وَتَحْتَهَا رِيحُ هَفَافَةٍ تَجْبِسُهَا عَلَى حَيْثُ انْتَهَتْ مِنَ الْحُدُودِ الْمُتَنَاهِيَةِ قَدْ اسْتَفْرَعَتْهُمْ أَشْغَالُ عِبَادَتِهِ وَوَسَلَتْ حَقَائِقَ الْإِيْمَانِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ وَقَطَعَتْهُمُ الْإِيْقَانُ بِهِ إِلَى الْوَلَةِ إِلَيْهِ وَلَمْ تَجَاوِزْ رَغْبَاتِهِمْ مَا عِنْدَهُ إِلَى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ قَدْ ذَاقُوا حَالَةَ مَعْرِفَتِهِ وَشَرَبُوا مِنْ كَأْسِ^(٧) الرُّوبِيَةِ مِنْ مَحَبَّتِهِ وَتَمَكَّنَتْ مِنْ سُوْدِيَّاتِ قُلُوبِهِمْ وَشَيْجَةِ خَفِيفَتِهِ فَحَنُوا بِطُولِ الطَّاعَةِ اعْتِدَالَ ظُهُورِهِمْ وَلَمْ يَنْفَذْ طَوْلُ الرُّغْبَةِ إِلَيْهِ مَادَةَ تَضَرُّعِهِمْ وَلَا أَطْلَقَ عَنْهُمْ عَظِيمُ الزَّلْفَةِ رَيْقَ خُشُوعِهِمْ وَلَمْ يَتَوَلَّهِمُ الْإِعْجَابُ فَيَسْتَكْثِرُوا مَا سَلَفَ مِنْهُمْ وَلَا تَرَكَتْ لَهُمْ اسْتِكَانَةَ الْإِجْلَالِ نَصِيبًا فِي تَعْظِيمِ حَسَنَاتِهِمْ وَلَمْ تَجِرِ الْفُتُرَاتُ فِيهِمْ عَلَى طَوْلِ دَعْوِهِمْ وَلَمْ تَفْضُ رَغْبَاتِهِمْ فَيَخَالِفُوا عَنْ رَجَاءِ رَبِّهِمْ وَلَمْ تَجِفْ لَطُولُ الْمَنَاجَاةِ أَسْلَاتِ أَلْسِنَتِهِمْ وَلَا مَلِكَتُهُمُ الْأَشْغَالُ فَتَنْقَطِعَ بِهِمْسُ الْخَيْرِ^(٨) إِلَيْهِ أَصْوَاتُهُمْ وَلَمْ تَخْتَلِفْ فِي مَقَاوِمِ الطَّاعَةِ مَنَاجِيهِمْ وَلَمْ يَشْنُوا إِلَى رَاحَةِ التَّقْصِيرِ فِي أَمْرِهِ رَقَابَهُمْ وَلَا تَعْدُوا عَلَى عَزِيمَةِ جَدِّهِمْ بِلَادَةَ الْغَفْلَاتِ وَلَا تَنْتَضِلْ فِي هَمِّهِمْ خَدَائِعُ الشَّهَوَاتِ قَدْ اتَّخَذُوا ذَا الْعَرْشِ ذَخِيرَةً لِيَوْمِ فَاقَتِهِمْ وَيَسْمُوهُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْخَلْقِ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ رَغْبَتَهُمْ لَا يَقْطَعُونَ أَمَدَ غَايَةِ عِبَادَتِهِ وَلَا يَرْجِعُ بِهِمُ الْاسْتِهْتَارُ بِلُزُومِ طَاعَتِهِ إِلَّا إِلَى مَوَادٍ مِنْ قُلُوبِهِمْ غَيْرِ مُنْقَطَعَةٍ مِنْ رَجَائِهِ وَمَخَافَتِهِ لَمْ تَنْقَطِعْ أَسْبَابُ الشُّفَقَةِ مِنْهُمْ فَيَنُوتُوا فِي جَدِّهِمْ وَلَمْ تَأْسَرْهُمْ الْأَطْمَاعُ فَيُؤْثِرُوا وَشِيكَ السَّعْيِ عَلَى اجْتِهَادِهِمْ وَلَمْ يَسْتَغْظَمُوا مَا مَضَى مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَلَوْ اسْتَغْظَمُوا ذَلِكَ لَنَسَخَ الرِّجَاءُ مِنْهُمْ شَفَقَاتِ وَجْلِهِمْ وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي رَبِّهِمْ بِاسْتِحْوَاذِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَفْرَقْهُمْ سُوءُ التَّقَاطُعِ وَلَا تَوَلَّاهُمْ غِلُّ التَّحَاسُدِ وَلَا شَبَعَتُهُمْ^(٩) مُصَارِفُ الرِّيبِ وَلَا اقْتَسَمَتْهُمْ أَخْيَافُ الْهَمِّ فَهَمُّ أَسْرَاءِ إِيْمَانٍ لَمْ يَفْكَهْمُ مِنْ رَيْقَتِهِ زَيْغٌ وَلَا عُدُولٌ وَلَا وَنَى وَلَا فُتُورٌ وَلَيْسَ فِي أَطْبَاقِ السَّمَاوَاتِ مَوْضِعٌ إِهَابٍ إِلَّا وَ عَلَيْهِ مَلِكٌ سَاجِدٌ أَوْ سَاعٌ حَافِدٌ يَزِدَادُونَ عَلَى طَوْلِ الطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ عِلْمًا وَتَزْدَادُ عِزَّةُ رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ عَظْمًا.

(١) فِي الْمَصْدَرِ: «الْهَوَاءُ بِأَيْدِهِ وَأَمْرَهَا».

(٢) فِي الْمَصْدَرِ: «وَأَنْشَأَهُمْ».

(٣) فِي الْمَصْدَرِ: «وَمَا سَكَنَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَهَيْبَةِ جَلَالَتِهِ».

(٤) فِي الْمَصْدَرِ: «بِالْكَأْسِ».

(٥) فِي الْمَصْدَرِ: «وَلَا تَشْبَعَتْهُمْ».

(٦) فِي الْمَصْدَرِ: «بِالْكَأْسِ».

(٧) فِي الْمَصْدَرِ: «بِالْكَأْسِ».

(٨) فِي الْمَصْدَرِ: «بِالْكَأْسِ».

(٩) فِي الْمَصْدَرِ: «بِالْكَأْسِ».

ومنها في صفة الأرض ودحوها على الماء: كبس الأرض على مور أمواج مستتحلة ولجج بحار زاخرة تلتطم أواذي أمواجها وتضطفقت متقاذفات أثابجها وترغو زبدا كالفحول عند هياجها فخضع جماع الماء المتلاطم لشغل حملها وسكن هيح ارتمائه إذ وطئته بكلكلها وذل مستخذيا إذ تمعكت عليه بكواهلها فأصبح بعد اصطخاب أمواجه ساجيا مقهورا وفي حكمة الذل متقادا أسيرا وسكنت الأرض مدحوة في لجة تياره و ردت من نخوة بأوه واعتلته وشموخ أنفه و سمو غلوائه وكعته على كلفة جريته فهدم بعد نزقاته ولبد بعد زيفان وثباته فلما سكن هيح الماء من تحت أكتافها وحمل شواقي الجبال البذخ. على أكتافها^(١) فجر ينابيع العيون من عرائين أنوفها وفرقها في سهوب بيدها وأخاديدها و عدل حركاتها بالراسيات من جلاميدها وذوات الشناخيب الشم من صياخيدها فسكنت من الميدان برسوب^(٢) الجبال في قطع أديمها وتغلغلها متسربة في جوبات خياشيمها وركوبها أعناق سهول الأرضين و جرائيمها ونسج بين الجو وبينها وأعد الهواء متنسما لسكنها وأخرج إليها أهلها على تمام مرافقها ثم لم يدع جرز الأرض التي تقصر مياه العيون عن روايها ولا تجد جداول الأنهار ذريعة إلى بلوغها حتى أنشأ لها ناشئة سحب تحيي مواتها وتستخرج نباتها ألف غمامها بعد افتراق لمعة وتباين قزعه حتى إذا تمخضت لجة الزمن فيه والشمع برقة في كفه ولم ينم وميضه في كهنور ربابه ومتراكم سحابه أرسله سحا متداركا قد أسف هيدبه تمر به الجنوب درر أهاضيبه ودفع شأبيبه فلما ألقت السحاب برك بوانيتها وباع ما استقلت به من العب^(٣) المحمول عليها أخرج به من هوامل^(٤) الأرض النبات ومن زعر الجبال الأعشاب فهي تبهج بزيئة رياضها وتزدهي بما أليسته من ربط أزاهيرها و حلية ما شملت^(٥) به من ناضر أنوارها وجعل ذلك بلاغا للأنام و رزقا للأنعام و خرق الفجاج في آفاقها وأقام المنار للسالكين على جواد طرقها فلما مهد أرضه وأنفذ أمره اختار آدم ﷺ خيرة من خلقه وجعله أول جبلته وأسكن جنته^(٦) وأرغد فيها أكله وأوعز إليه فيما نهاه عنه وأعلمه أن في الإقدام عليه التعرض لمصيته والمخاطرة بمنزلته فأقدم على ما نهاه عنه موافاة لسابق علمه فأهبطه بعد التوبة ليعمر أرضه بنسله وليقيم الحجة به على عبادته ولم يخلهم بعد أن قبضه مما يؤكد عليهم حجة ربوبيته ويصل بينهم وبين معرفته بل تعاهدهم بالحجج على ألسن الخيرة من أنبيائه ومحملي ودائع رسالاته قرنا قرنا حتى تمت بنينا محمد ﷺ^(٧) حجته وبلغ المقطع عذره ونذره وقدر الأرزاق فكترها وقللها وقسمها على الضيق والسعة فعدل فيها ليبتلي من أراد بميسورها ومعسورها وليختبر بذلك الشكر والصبر من غنيها وفقيرها ثم قرن بسعتها عقابيل فاقتها وبسلامتها طوارق آفتها^(٨) وبفرج أفرحها غصص أترحها وخلق الآجال فأطالها وقصرها وقدمها وأخرها وصل بالموت أسبابها وجعله خالجا لأشطانها وقاطعا لمرائر قرانها^(٩) عالم السر من ضمائر المضمرين ونجوى المتخافتين وخواطر رجم الظنون وعقد عزيماث اليقين ومسارق إمياض الجفون وما ضمنت أكتاف القلوب وغيابات الغيوب وما أوصفت لاستراقه مصانئ الأسماك ومصايف الذر ومشاتي الهوام ورجع الحنين من المولهاث وهمس الأقدام ومنفسح الشمرة من ولائج غلف الأكمام ومنقع الوحوش من غيران الجبال وأوديتها ومختبأ البعوض بين سوق الأشجار وألحيتها ومفرز الأوراق من الأنقان ومحط الأمشاج من مسارب الأصلاب وناشئة الغيوم ومتلاحمها ودور قطر السحاب ومتراكمها وما تسفي الأعاصير بذيلوها وتعفو الأمطار بسيولها وعم نبات الأرض في كتيان الرمال ومستقر ذوات الأجنحة بذرى شناخيب الجبال وتغريد ذوات المنطق في دياجير الأوكار وما أوعته الأصداف وحضنت عليه أمواج البحار وما غشيته سدفة ليل أو ذر عليه شارق نهار وما اعتقت عليه أطباق الدياجير وسبحات النور وأثر كل خطوة وحس كل حركة ورجع كل كلمة وتحريك كل شفة ومستقر كل نسمة ومثقال كل ذرة وهامهم كل نفس هامة وما عليها من ثمر شجرة أو ساقط ورقة أو قرارة نطفة أو نقاعة دم ومضغة أو ناشئة خلق وسلالة لم تلحقه في ذلك كلفة ولا اعترضته في حفظ.

(١) في المصدر: «أكتافها».

(٢) في المصدر: «العب».

(٣) في المصدر: «هوامد».

(٤) في بعض النسخ من المصدر: «أسكنه».

(٥) في المصدر: «أفتاتها».

(١) في المصدر: «أكتافها».

(٢) في المصدر: «العب».

(٣) في المصدر: «سبقت».

(٤) من المصدر.

(٥) في المصدر: «أقرانها».

ما ابتدع من خلقه عارضة ولا اعتورته في تنفيذ الأمور وتدابير المخلوقين ملالة ولا فترة بل نفذ فيهم علمه وأحصاهم عدده^(١) وسعهم عدله وغمرهم فضله مع تصغيرهم عن كنه ما هو أهله.

اللهم أنت أهل الوصف الجميل والتعدد^(٢) الكثير أن تؤمل فخير مأمول وإن ترج فخير مرجو اللهم وقد بسطت لي لساناً^(٣) فيما لا أمدح به غيرك ولا أنتي به على أحد سواك ولا أوجهه إلى معادن الخيبة ومواضع الريبة وعدلت بلساني عن مذاتع الآدميين والثناء على المربوبين المخلوقين.

اللهم ولكل مثن على من أتى عليه مثوبة من جزاء أو عارفة من عطاء وقد رجوتك دليلاً على ذخائر الرحمة وكنوز المغفرة.

اللهم وهذا مقام من أفردك بالتوحيد الذي هو لك ولم ير مستحقاً لهذه المحامد والمادح غيرك وبه فاقه إليك لا يجبر مسكنتها إلا فضلك ولا ينعش من خلقتها إلا منك وجودك فهب لنا في هذا المقام رضاك وأغننا عن مد الأيدي إلى من^(٤) سواك إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^(٥)

التوحيد: عن علي بن أحمد الدقاق عن محمد بن جعفر الأسدي عن محمد بن إسماعيل البرمكي عن علي بن العباس عن إسماعيل بن مهرا عن إسماعيل بن الحق الجهمي^(٦) عن فرج بن فروة عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله عليه السلام مثله مع اختصار وقد مر في كتاب التوحيد^(٧).

بيان: قد مضى شرح أكثر أجزاء هذه الخطبة في كتاب التوحيد ولعل غضبه عليه السلام لعلمه بأن غرض السائل وصفه سبحانه بصفات الأجسام أو لأنه سأل بيان كنه حقيقته سبحانه أو وصفه بصفات أرفع وأبلغ مما تنطق به الكتاب والآثار لزعمه أنه لا يكفي في معرفته سبحانه ويؤيد كلا من الوجوه بعض الفقرات وجامعة منصوبة على الحالية أي عليكم الصلاة على رفع الصلاة كما حكى أو أحضروا الصلاة على نصيها جامعة لكل الناس وربما يقرأ برفعهما على الابتداء والخبرية وهذا النداء كان شائعاً في الخطوب الجليلة وإن كان أصله للصلاة.

لا يفره أي لا يكثره المنع أي ترك العطاء ولا يكديه الإعطاء أي لا يجعله قليل الخير مبطناً فيه يقال كدت الأرض إذا أطأ نباتها وأكدى فلان الأرض إذا جعلها كادية أو لا ترده كثرة العطاء عن عادته فيه من قولهم أكديت الرجل عن الشيء أي رددته عنه ذكره الجوهري وقال الكدية الأرض الصلبة وأكدى الحافر إذا بلغ الكدية فلا يمكنه أن يحفر وأكدى الرجل إذا قل خير^(٨) وانتقص يكون متعدياً ولازماً كنقص وهذا في النسخ على بناء المفعول والتعليل بالجليلين باللف والنشر المرتب أو المشوش لمطابقة الإعطاء والمنع في كل منهما وعلى التقديرين التعليل في الأولى ظاهر والفقرة الثانية ليست في نسخ التوحيد وهو الصواب وعلى تقديرها ففي أصل الجملة والتعليل بها معاً إشكال أما الأول فلأنه إن أريد بالمنع ما كان مستحسن أو الأعم فكيف يصح الحكم بكونه مذموماً وإن أريد به ما لم يكن مستحسن فلا يستقيم الاستثناء.

ويمكن أن يجاب باختيار الثاني من الأول أي الأعم ويقال المراد بالمذموم من أمكن أن يلحقه الذم فيصير حاصل الكلام أن كل مانع غيره يمكن أن يلحقه الذم بخلافه سبحانه فإنه لا يحتمل أن يلحقه بالمنع ذم أو يقال المانع لا يصدق على غيره تعالى إلا إذا بخل بما افترض عليه وإذا أطلق عليه سبحانه يراد به مقابل المعطي والمراد بالعنوان المعنى الشامل لهما.

و يدل عليه ما مر مروي عن الرضا عليه السلام أنه سئل عن الجواد فقال عليه السلام إن لكلامك وجهين فإن كنت تسأل عن المخلوق فإن الجواد هو الذي يؤدي ما افترض الله سبحانه عليه والبخل هو الذي يبخل بما افترض الله عليه وإن أردت الخالق فهو الجواد إن أعطى وهو الجواد إن منع لأنه إن أعطى عبداً أعطاه ما ليس له وإن منعه منعه ما ليس له.

(١) في المصدر: «عدده».

(٢) كلمة: «لساناً» ليست في المصدر.

(٣) نهج البلاغة ص ١٢٤ - ١٣١، الخطبة ٩١.

(٤) في المصدر: «إسحاق» بدل «الحق».

(٥) (٨) الصحاح ج ٤ ص ٢٤٧١.

(٦) التوحيد ص ٤٨ باب ٢، حديث ١٣.

(٧) في المصدر: «التعداد».

(٨) كلمة: «من» ليست في المصدر.

(٩) في المصدر: «إسحاق» بدل «الحق».

(١٠) (٨) الصحاح ج ٤ ص ٢٤٧١.

(١١) التوحيد ص ٤٨ باب ٢، حديث ١٣.

و أما الثاني فيحتمل أن تكون جملة مستقلة غير داخلية تحت التعليل مسوقة لرفع توهم ينشأ من التعليل بعدم الانتقاص بالإعطاء فإن لمتوهم أن يقول إذا لم ينقص من خزانته شيء، بالإعطاء فيجب أن لا يتصف بالمنع أصلاً و لو انصف به لكان مذموماً مع أن من أسماه تعالى المانع فرد ذلك الوهم بأن منعه سبحانه ليس للانتقاص بالإعطاء بل لقيح الإعطاء و عدم اقتضاء المصلحة له و مثل ذلك المنع لا يستتبع الذم و استحقاقه و لو حملت على التعليل فيمكن أن يكون من قبيل الاستدلال بعدم المعلول على عدم العلة فإن الوفور بالمنع أو إكداء الإعطاء علة للبلل التابع للخوف من الفاقة و هو علة لترتب الذم من حيث إنه نقص أو لانتقاضه المنع و رد السائل و نفي الذم يدل على عدم الوفور أو الإكداء المدعى في الجملتين المتقدمتين.

المنان بفوائد النعم المن يكون بمعنى الإنعام و بمعنى تعديد النعم و الأول هنا أظهر و ربما يحمل على الثاني فإن منه سبحانه حسن و إن كان في المخلوق صفة ذم و الفائدة الزيادة تحصل للإنسان من مال أو غيره و العائد المعروف و العطف و قيل عوائد المزيد و القسم معتادهما و المزيد الزيادة و لعل المراد به ما لا يتوهم فيه استحقاق العبد و القسم جمع القسمة و هي الاسم من قسمه كضربه و قسمه بالتشديد أي جزأه و عيال الرجال بالكسر أهل بيته و من يمونهم جمع عيل و جمعه عيائل. ضمن أرزاقهم أي كفلها و قدر أقواتهم أي جعل لكل منهم من القوت قدراً تقتضيه الحكمة و المصلحة و نهج سبيل الراغبين إليه نهجت الطريق أبنته و أوضحت و نهج السبيل لصالح المعاد كما أن ضمان الأرزاق لصالح المعاش و يحتمل الأعم ليس بما سئل إلخ عدم الفرق بينهما بالنظر إلى الجود لا يتنافى الحث على السؤال لأنه من معدات السائل لاستحقاق الإنعام لأن نسبته سبحانه إلى الخلق على السواء و إن استحق السائل ما لا يستحقه غيره بخلاف المخلوقين فإن السؤال يهيج جودهم بالطبع مع قطع النظر عن الاستعداد.

الأول الذي لم يكن له قبل فيكون شيء قبله قيل وجوده سبحانه ليس بزمني فلا يطلق عليه القبلية و البعدية كما يطلق على الزمانيات فمعناه الأول. الذي لا يصدق عليه القبلية ليمكن أن يكون شيء ما قبله و الآخر الذي لا يصدق عليه البعدية الزمانية ليمكن أن يكون شيء ما بعده و قد يحمل على وجه آخر و هو أنه لم يكن سبقه عدم فيقال إنه مسبوق بشيء من الأشياء إما المؤثر فيه أو الزمان المقدم عليه و إنه ليس بذات يمكن فناؤها و عدمها فيكون بعده شيء من الأشياء إما الزمان أو غيره و يمكن أن يكون المراد بالقبل الزمان المتقدم سواء كان أمراً موجوداً أو موهوماً و بالشيء موجوداً من الموجودات أي ليس قبله زمان حتى يتصور تقدم موجود عليه و كذا بقاء موجود بعده.

و الرادع أناسي الأبصار عن أن تتاله أو تدركه الأناسي بالتشديد جمع إنسان و إنسان العين المثال الذي يرى في السواد و لا يجمع على أناس كما يجمع الإنسان بمعنى البشر عليه و قيل الأناسي جمع إنسان العين مشدد و الآخر يشدد و يخفف و قرئ أناسي كثيراً بالتخفيف و ردعها أي منعها كناية عن عدم إمكان إحساسها له لأنه سبحانه ليس بجسم و لا جسماني و لا في جهة و نلت الشيء أصبته و أدركته أي تبعته فلفحته و المراد بالنيل الإدراك التام و بالإدراك غيره و يحتمل العكس و أن يكون العطف لتغاير اللفظين أو يكون إشارة إلى جهتين لامتناع الرؤية فالتبيل إشارة إلى استلزام كونه ذا جهة و جسمانيا و الإدراك إلى أنه يستلزم وجود كنه ذاته في الأذهان و هو ممتنع كما أشرنا إليه في كتاب التوحيد.

ما اختلف عليه دهر ظاهره نفي الزمانية عنه تعالى و يحتمل أن يراد به جريانه على خلاف مراده أحياناً و على وفق إرادته أحياناً حتى يلحقه ما يلحق الخلق من الشدة و الرخاء و النعم و البؤس و الصحة و السقم و نحو ذلك.

و لو وهب ما تنفس استعار التنفس هنا لإبراز المعادن ما يخرج منها كما يخرج الهواء من تنفس الحيوان و ضحكت عنه أي تفتحت و انشقت حتى ظهر و يقال للطلع حين تنشق الضحك بفتح الصاد و قد مر بيان لطف تلك التشبيهات.

والفلز بكسر الفاء واللام وتشديد الزاي الجواهر المعدنية كالذهب والفضة وفي الصحاح ما ينفيه الكثير مما يذاب من جواهر^(١) الأرض واللجين مصغرا الفضة والعقيان بالكسر الذهب الخالص وتثرت الشيء كصرت رميته متفرقا ونثارة الدر بالضم ما تثار منه والدر جمع درة وهي اللؤلؤة العظيمة أو مطلقا وحصد الزرع قطعه بالمنجل والحصيد المحصود والمراد بالمرجان إما صغار اللؤلؤ ووصفه بالحصيد لعله يناسب ما تذكره التجار أن الصدف كثيرا ما يغرز عرقه في أرض البحر فيحصده الغواصون ولذا قيل إنه حيوان يشبه النبات وقال بعض شارحي التهج كان المراد المتبدد من المرجان كما يتبدد الحب المحصود ويجوز أن يعنى المحكم من قولهم شيء مستحصد أي مستحكم قال و يروى و حصاء المرجان والحصاء الحصى وقال قوم هو البسد يعنى الحجر الأحمر وأنفذه أي أفناه وذخائر الإنعام ما بقي عنده من نعمه الجسام بعد العطايا المفروضة والمطالب جمع المطلب بمعنى المصدر لا يفيضه جاء متعديا كما جاء لازما ولا يخله أي لا يجعله بخيلا ويقال أيضا بخله تبخيلا إذا رماء بالبخل و روي على صيغة الإفعال أي لا يجده بخيلا والتعليل بقوله لأنه الجواد إما للجملة الشرطية بتواليها فالوجه في التعليل بنفي التبخييل ظاهر إذ لو أثر العطاء المفروض في جوده لبخله الإلحاح فإنه في الحقيقة منع التأثير في الجود فنفيه يدل على نفيه وإملاء ما لا ينفذه المطالب فوجه التعليل أن العادة قد جرت بلحوق البخل لمن ينفذ ما عنده بالمطلب وإن أمكن عقلا عدمه بأن يسمح بكل ما عنده فنفي التبخييل يدل على نفي الإنفاذ. فانظر أنها السائل إلخ الائتمام الاقتداء والأثر بالتحريك نقل الحديث وروايته وكل الأمر إليه وكلا وكولا سلمه وتركه يدل على المنع من الخوض في صفاته سبحانه ومن البحث عما لم يرد منها في الكتاب والسنة.

واعلم أن الراسخين في العلم إلى آخره الراسخ في العلم الثابت فيه واقتحم المنزل أي دخله بغتة ومن غير روية والسدد جمع سدة وهي باب الدار وضرب الباب نصبه ودون الشيء ما قرب منه قبل الوصول إليه والمتعمق في الأمر الذي يبالغ فيه و يطلب أقصى غايته وقدر الشيء مبلغه وتقديره أن تجعل له قدرا وتقيسه بشيء والمعنى لا تقس عظمة الله بمقياس عقلك ومقداره والظاهر أن المراد بإقرار الراسخين في العلم ومدحهم ما تضمنه قوله سبحانه ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ إِلَى قَوْلِهِ مَا يُدَّكِّرُ إِلَّا أُولَ الْأَلْبَابِ﴾^(٢) فأقارهم قولهم ﴿أَمَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ ومدح الله تعالى إياهم ذكر كلامهم المتضمن للإيمان والتسليم في مقام المدح أو تسمية ترك تعمقهم رسوخا في العلم فالعطف في قوله وسمى للتفسير أو الإشارة إلى أنهم أولو الألباب بقوله ﴿وَمَا يُدَّكِّرُ إِلَّا أُولَ الْأَلْبَابِ﴾ وحينئذ فالمراد بالمتشابه ما يشمل كنه ذاته وصفاته سبحانه مما استأنر الله بعلمه وعلى هذا فمحل الوقف في الآية ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ كما هو المشهور بين المفسرين والقراء تنفيذ اختصاص علم المتشابه به سبحانه وقوله ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ مبتدأ ﴿وَيَقُولُونَ﴾ خبره وهو بظاهر مناف لما دلت عليه الأخبار المستفيضة من أنهم ﷺ يعلمون ما تشابه من القرآن كما مر في كتاب الإمامة وعلى هذا فالوقوف على ﴿الْعِلْمِ﴾ وإليه ذهب أيضا جماعة من المفسرين فقوله ﴿يَقُولُونَ﴾ حال من الراسخين أو استئناف موضع لحالهم ويمكن الجمع بينهما بوجوه:

الأول: أن يكون ما ذكره ﷺ هنا مبنيا على ما اشتهر بين المخالفين إلزاما عليهم.

الثاني: أن يكون لآية ظهر و بطن أحدها أن يكون المراد بالمتشابه مثل العلم بكنهه الواجب وما استأنر الله عز وجل بعلمه من صفاته وكنه ذاته وأمثال ذلك مما تفرد سبحانه بعلمه وإليه يشير ظاهر هذا الكلام و ثانيهما أن يراد به ما علم الراسخون في العلم تأويله وإليه أشير في سائر الأخبار فيكون القارئ مخيرا في الوقف على كل من الموضعين.

الثالث: ما قيل إنه يمكن حمل حكاية قول الراسخين على اعترافهم وتسليمهم قبل أن يعلمهم

الله تأويل ما تشابه من القرآن فكأنه سبحانه بين أنهم لما آمنوا بجملة ما أنزل من المحكمات والمتشابهات ولم يتبعوا ما تشابه منه كالذين في قلوبهم زيغ بالتعلق بالظاهر أو بتأويل باطل فأتاهم الله علم التأويل وضمهم إلى نفسه في الاستثناء والاستئناف في قوة رفع الاستبعاد عن مشاركتهم له تعالى في ذلك العلم وبيان أنهم إنما استحقوا إضافة ذلك العلم باعتبارهم بالجهل وقصورهم عن الإحاطة بالمتشابهات من تلقاء أنفسهم وإن علموا التأويل بتعليم إلهي. وقد ورد عنه ﷺ أنه لما أخبر بعض الغيوب قال له رجل أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب فقال ﷺ ليس هو بعلم غيب وإنما هو تعلم من ذي علم. وقد مر بعض الكلام فيه في كتاب التوحيد.

إذا ارتمت يقال ارتعى القوم إذا تراموا بالنبال والأوهام خطرات القلب وفي اصطلاح المتكلمين إحدى القوى الباطنة شبه ﷺ جولان الأفكار وتعارضها بالتراخي والمنقطع موضع الانقطاع ويحتمل المصدر وحاولت الشيء أردته والخطر بالتسكين مصدر خطرله خاطر أي عرض في قلبه وروي من خطرات الوسواس والوسوسة حديث النفس والشيطان بما لا خير فيه ولا نفع والاسم الوسواس.

والملوكوت العز والسلطان وتولت إليه أي اشتد عشقها وحنت إليه والوله بالتحريك التحير وذهاب العقل من حزن أو فرح لتجري في كيفية صفاته أي لتجد مجرى ومسلكا في ذلك وغمض الشيء بالفتح والضم أي خفي مأخذه والغامض من الكلام خلاف الواضح ومداخل العقول طرق الفكر وفاعل تنال ضمير العقول أي إذا دقت وغمضت طرق العقول ووصلت إلى حد لا تبلغ الصفات لدقة تلك الطرق وخفائها أو إذا دقت وانتهت العقول إلى أنها لا تعتبر مع ملاحظة الحق صفة من صفاته كما قيل طالبة بذلك أن تصل إلى علم ذاته وفي بعض النسخ علم ذلك والأول أظهر.

ردعها الردع الرد والكف والجملة جزء للشرط السابق والضمير المنصوب راجع إلى الأوهام أو غيرها مما سبق وهي تجوب أي تقطع والواو للحال والمهاوي جمع مهواة وهي الحفرة أو ما بين الجيبلين والمراد هنا المهلكة والسدف جمع سدفة وهي القطعة من الليل المظلم ويطلق على الضياء أيضا وخلصته تخليصا نحيته فتخلص فقلوه متخلصة إليه أي متوجهة إليه بلكيتها متنتجة عن غيره وجهه كمنعه أي ضرب جهته فردة والجور العدول عن الطريق والاعتساف قطع المسافة على غير جادة معلومة والمراد بجور اعتسافها شدة جولانها في ذلك المسلك الذي لا جادة له ولا يقضي إلى المقصود والخطرة المنفية ما يكون مطابقا للواقع.

الذي ابتدع الخلق الابتداء الإنشاء والإحداث ومثال الشيء بالكسر صورته وصفته ومقداره وامتثله أي تبعه ولم يتجاوز عنه واحتذى عليه أي اقتدى به وقوله من خالق متعلق بمحذوف وهو صفة لمقدار أو لمثال أيضا كناشي والمراد بنفي امتثال المثال أنه لم يمثل لنفسه مثالا قبل شروعه في خلق العالم ليخلق العالم على هيئته ونفي احتذاء المقدار أنه لم يقتد بخالقه كان قبله فالظرف صفة للمقدار فقط ويحتمل أن يكون الثاني كالتأكيد للأول فالظرف صفة للمثال والمقدار معا ويكون المراد بالأول نفي الاقتداء بالغير في التصوير وبالتالي في التقدير أو يكون المراد بالمثال ما يرسم في الخيال من صورة المصنوع وهيئته ولم يكن على حذو فعل فاعل آخر لتزده عن الصور والخواطر فالظرف صفة لمقدار وصف الخالق بالمعبود لأنه من لوازمه أو لأنه لو كان كذلك لكان هو المعبود.

والمسالك بالكسر ما يسلك به وفيه دلالة على احتياج الباقي في بقائه إلى المؤثر وقوله ما دلنا مفعول ثان لأرانا واضطرار قيام الحجة عبارة عن إفادتها العلم القطعي بعد تحقق الشروط وارتفاع الموانع والظرف في قوله على معرفته متعلق بقوله دلنا وأعلام الحكمة ما يدل عليها والضمير في قوله فحجته يحتمل عوده إلى الخلق الصامت كالضمير في دلالته أو إلى الله سبحانه فأشهد وفي بعض النسخ بالواو بتباين المشبه به في الحقيقة هو الخلق وإنما أدخل الباء على التباين تنبيها على وجه الخطأ في التشبيه والتلاحم التلاصق والحقاق بالكسر جمع حقة بالضم وهي في الأصل وعاء من خشب وحقاق المفاصل النقر التي تتركز فيها العظام واحتجاها استثارها بالجلد واللحم

وقوله لتدبير متعلق بالمتحجة أي المستورة للتدبير الذي اقتضته الحكمة قليل ومن حكمة احتجائها أنها لو خلقت ظاهرة ليست رباطاتها فيتعذر تصرف الحيوان وكانت معرضة لأفات أو بالتباين والتلاحم. وقال بعض شارحي النهج^(١) ومن روى. المتحجة أراد أنها كالمستدل^(٢) على التدبير الحكمي من لدنه سبحانه^(٣) والعقد الشد وفاعل الفعل الموصول المشبه وغيب منصوب على المقعولة وهو كل ما غاب والضمير اسم من أضمرت في نفسي شيئا أو إضافة الغيب إلى الضمير من إضافة الصفة إلى الموصوف والمراد بغيب الضمير حقيقة عقيدته وباطنها لا ما يظهره منها لغيره أو يظهر له بحسب توهمه وفي بعض النسخ لم يعتقد على صيغة المجهول وغيب بالرفع والمباشرة لمس البشرة والفاعل اليقين وفي بعض النسخ قلبه بالرفع على أنه الفاعل واليقين بالنصب والأول أظهر والند المثل وإن في الآية مخففة من المثقلة ويظهر من كلامه ﷺ أن التسوية في الآية يشمل هذا التشبيه ولا يخص التسوية في استحقاق العبادة ككذب العادلون بك أي المسوون بك غيرك ونحلوك أي أعطوك حلية المخلوقين أي صفاتهم والتعير بالنحلة والحلية لزعم هؤلاء أنها كمال له عز وجل وجزءك أي أثبتوا لك أجزاء وخواطرهم ما يخطر ببالهم من الأوهام الفاسدة وقدرتك على الخلقة أي جعلوا لك قدرا في العظمة المعنوية كقدر الخلق فأثبتوا لك صفاتهم وقرائع عقولهم ما يستنبطونه بآرائهم والقريحة في الأصل أول ما يستنبط من البثر ومحكمات الآيات نصوص الكتاب وشواهد الحجج الأدلة العقلية ونطقها دلالتها القطعية أو الشواهد الهداة المبينون للحجج التي هي الأدلة وكأنه ضمن النطق معنى الكشف فعدي وعن وإضافة الحجج إلى البيّنات للمبالغة.

لم يتناه في العقول أي لم تفكر العقول بالنهاية والكنه بحيث لا تكون لك صفة وراء ما أدركنه أو لم تحط بك العقول فتكون محدودا متناهيا فيها ومهب الفكر هبوبها ولعله ﷺ شبه الحركات الفكرية بهبوب الرياح والأفكار بما تجمعها وتذروها من الحشائش إشعارا بضعفها وسفالة ما يحصل منها وقيل التناهي في العقل هو أن يدرك العقل الشيء مرسما في القوى الجزئية وهي مهاب الفكر التي ترسم فيها الصور وتزول كالريح الهابطة تمر بشيء وقيل مهاب الفكر جهاتها ورويات الخواطر ما يخطر بالبال بالنظر والفكر والمحدود المحاط بالحدود والمراد بالحدود ما يلزم الإحاطة التامة أو الصفات والكيفيات التي لا يتعدها المعلوم والمصرف القابل للتغير والحركة أو المحكوم عليه بالتجزئة والتحليل والتركيب.

قدر ما خلق فأحكم تقديره أي جعل لكل شيء مقدارا مخصوصا بحسب الحكمة أو هياكل شيء لما أراد منه من الخصائص والأفعال أو قدره للبقاء إلى أجل معلوم فأحكم أي أتقن والتدبير في الأمر النظر إلى ما تتول إليه عاقبته فألطف تدبيره أي أعمل فيه تدبيرات دقيقة لطيفة أو كانت تدبيراته مقرونة باللطف والرفق والرحمة على عباده وجهه لوجهته أي جعل كلا منها مهابة وميسرة لما خلق له كالحبوب للأكل والدواب للركوب وكل صنف من الإنسان لأمر من الأمور المصلحة للنظام ويحتمل أن يكون إشارة إلى أمكنتها والأول أعم وأظهر والوجهة بالكسر الناحية وكل أمر استقبلته وقصر السهم عن الهدف إذا لم يبلغه وقصرت عن الشيء أي عجزت عنه واستصعب الأمر علينا أي صعب والصعب غير المنقاد ومضى الشيء مضيا ومضوا أي نفذ ولم يمتنع وصدر كمقد رجوع وانصرف كرجوع الشاربة عن الماء والمسافرين عن مقصدهم ولما كانت الأمور لا مكانها محتاجة في الوجود إلى مشيئة فكانما توجهت إليها فرجعت فائزة بمقصدها والمشيئة الإرادة وأصلها المشيئة بالهمز.

آل إليها أي رجع والفريزة الطبيعة وقريحة الغريزة ما يستنبطه الذهن وقيل قوة الفكر للعقل أضمر عليها أي أخفاه في نفسه محتويا عليها والتجربة الاختبار مرة بعد أخرى ويقال أفدته ما لا أي أعطيته.

(٢) في شرح النهج: «المستدلة».

(١) هو ابن أبي الحديد.
(٢) شرح ابن أبي الحديد ج ٦ ص ٤١٤.

وأفدت منه مالا أخذته وحكى الجوهرى عن أبي زيد أفدت المال أعطيته غيرى وأفدته استفدته^(١) وابتداع الخلاق إحداثها فتم خلقه يمكن أن يراد بالخلق المعنى المصدري ويكون الضمير راجعا إليه سبحانه كالضمير في طاعته ودعوته أو إلى ما خلق المذكور سابقا وعلى الأول يكون في أذعن وأجاب راجعين إلى الخلق على الاستخدام أو إلى ما خلق ويمكن أن يراد به المخلوق وتمام مخلوقاته بإفاضته عليها ما يليق بها وتستعد له وإذعان ما خلق لطاعته وإجابته إلى دعوته إما بمعنى استعداد له لما خلق أو أنه تهيئته لنفوذ تقديراته وإرادته سبحانه فيه وفيه إشارة إلى قوله تعالى ﴿أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^(٢) وربما تحمل أمثالها على ظاهره بناء على أن لكل مخلوق شعورا كما هو ظاهر قوله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾^(٣)

واعترض الشيء دون الشيء أي حال بينه وبينه ودونه أي قبل الوصول إليه والضمير في دونه أيضا راجع إليه سبحانه ويحتمل أن يكون راجعا إلى مصدر أذعن وأجاب و الريث البطوة والأناة كفتاه الاسم من تأنى في الأمر أي تمكث ولم يعجل وتلكأ توقف وأبطأ.

فأقام من الأشياء أودها الأود بالحريك الاعوجاج وإقامته إعداد كل شيء لما ينبغي له أو دفع المفاسد التي تقتضيها الأشياء لو خليت وطباعها ونهج أي أوضح وحد الشيء منتهاه وأصل الحد المنع والفصل بين الشيئين ونهج الحدود قيل إيضاحه لكل شيء غايته وتيسيرها له أو المعنى جعل لكل شخص ونوع مشخصا ومميزا واضحا يمتاز به عن غيره فإن من أعظم المصالح وأعزها امتياز الأنواع والأشخاص بعضها عن بعض.

أقول: ويحتمل أن يكون المراد بالحدود حدود أمكنتها كمكان العناصر فإن لكل منها حدا لا تتجاوزه ولعله أنسب بما بعده.

ولاء أي جمع بين متضاداتها كجمع العناصر المتباينة في الكيفيات والصفات لحصول المزاج كالآلفة بين الروح والبدن.

وصل أسباب قرانته السبب في الأصل الجبل ويقال لكل ما يتوصل به إلى شيء «ووالقرينة» ففيلة بمعنى مفعولة وقرائن الأشياء ما اقترن منها بعضها ببعض وصل أسبابها ملزوم لاتصالها. وقال ابن ميثم القرائن النفوس^(٤) المقرونة بالأبدان واعتدال المزاج بسبب بقاء الروح أي وصل أسباب أنفسها بتعديل أمزجتها والمراد بالأجناس هنا أعم مما هو مصطلح المنطقيين وكذا المراد بالحدود غير ما هو المعروف عندهم وإن كان المقام لا يأباهما.

والفرائز الطبايع والقوى النفسانية والبدايا جمع بداية وهي الحالة العجيبة يقال أبدأ الرجل إذا تني بالامر المعجب والبدئية أيضا الحالة المبتدأة المبتكرة أي عجائب مخلوقات أو مخلوقات مبتدأة بلا اقتفاء مثال وهو خير مبتدأ محذوف أي هي بدايا والفسطر الابتداء والاختراع والابتداع كالتفسير له ونظم أي جمع وألف بلا تعليق أي من غير أن يعلق بعضها ببعض بخيط أو نحوه ورواهت فرجها الرهوة المكان المرتفع والمنخفض أيضا فنظما تسويتها وقال في النهاية في حديث علي ونظم رهاوت فرجها أي المواضع المفتحة^(٥) منها وهو مأخوذ من قولهم رها رجله رها أي فتح وفيه دلالة على أن السماء كانت ذات فرج وصدوع فنظما سبحانه وهو مناسب لما مر من أن مادتها الدخان المرتفع من الماء إذ مثل ذلك تكون قطعا وذات فرج وأول بعض الشارحين بتباين أجزاء المركب لو لا التركيب والتأليف أو بالفواصل التي كانت بين السماوات لو لا أن الصانع خلقها أكرأ^(٦) متماسة^(٧) وإنما اضطره إلى ذلك الاعتقاد بقواعد الفلاسفة وتقليدهم. وملاحظة الصدوع إلصاق الأجزاء ذوات الصدوع بعضها ببعض وإضافة الصدوع إلى الانفراج من

(١) الصحاح ج ٢ ص ٥٢١.
(٢) سورة الإسراء، آية: ٤٤.
(٣) في المصدر: «المتفتحة».
(٤) جاء في هامش المطبوعة: الأكر - بضم الهمزة وفتح الكاف - جمع «كرة» وهي كل جسم مستدير.
(٥) راجع شرح ابن ميثم ج ٢ ص ٣٤٦.
(٦) سورة فصلت، آية: ١١.
(٧) شرح ابن ميثم ج ٢ ص ٣٤٤، خطبة رقم ٨٩.

إضافة الخاص إلى العام ووشج بالتشديد أي شبك والضمير في بينها راجع إلى ما يرجع إليه الضمانر السابقة.

وقال ابن ميثم المراد بأزواجها نفوسها التي هي الملائكة السماوية بمعنى قرانها وكل قرين زوج أي ربط ما بينها وبين نفوسها بقبول كل جرم سماوي لنفسها^(١) التي لا يقبلها غيره.^(٢)

وأقول: القول بكون السموات حيوانات ذوات نفوس مخالف للمشهور بين أهل الإسلام بل نقل السيد المرتضى رضي الله عنه إجماع المسلمين على أن الأفلاك لا شعور لها ولا إرادة بل هي أجسام جمادية يحركها خالقها^(٣) ويمكن أن يراد بالأزواج الملائكة الموكلون بها أو القاطنون فيها أو المراد أشباهها من الكواكب والأفلاك الجزئية ويمكن حمل الفقرات السابقة أيضا على هذين الوجهين الأخيرين ويمكن أن يكون المراد بأزواجها أشباهها في الجسمية والإمكان من الأرضيات ويناسب ما جرى على الألسن من تشبيه العلويات بالآباء والسفليات بالأمهات.

وذلل لها بطين يقال ذلل البعير أي جعله ذلولا وهو ضد الصعب الذي لا يتقاد من الذل بالكسر وهو اللين والحرزوة خلاف السهولة والمعراج السلم والمصعد ونداء السماء إشارة إلى ما مر من قوله سبحانه **فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ إِنِّي نَادِيتُكَ وَأُكْرِهَاهُ**^(٤).

فالتحمت عرى أشراجها التحمت أي التزقت والتأمت وعرى العيبة هي الحلق التي تضم بعضها إلى بعض وتشد وتثقل والشرح بفتححتين عرى العيبة والجمع أشراج وقيل قد تطلق الأشراج على حروف العيبة التي تخاط ولعل هذا الالتحام كناية عن تمام خلقها وفيضان الصور السماوية عليها. وفتق بعد الارتقاق صوامت أبوابها فتق الثوب فتقا نقضت خياطته حتى انفصل بعضه عن بعض ورتقت الفتق رتقا أي سدته فارتقت والأبواب الصامته والمصمتة المغلقة منها وفتق صوامت الأبواب إما كناية عن إيجاد الأبواب فيها وخرقتها بعد ما كانت رتقا لا باب فيها أو فتح الأبواب المخلوقة فيها حين إيجادها وهذه الأبواب هي التي منها عروج الملائكة وهبوطها وصعود أعمال العباد وأذعيتهم وأرواحهم كما قال تعالى **«لَا تَفْتَحُ لَهُمُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ»**^(٥) والتي تنزل منها الأمطار كما أشار إليه بقوله **«فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ»**^(٦).

وأقام رسدا هو بالتحريك جمع راصد كخدم وخادم أو اسم جمع كما قيل ويكون مصدرا كالرصد بالفتح والراصد القاعد على الطريق منتظرا لغيره للاستلاب أو المنع والرصد الطريق والمكان يرصد فيه العدو وأرصدت له أعددت والثواب التي تتقب الشياطين أو الهواء أو يخبط الجو بضوئها والنقاب بالكسر جمع نقب بالفتح وهو الثقب والخرق والمراد إقامة الشهب الثواب لطرده الشياطين عن استراق السمع كما أشار إليه سبحانه بقوله **«وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَيْهًا بِرَّصْدٍ»**^(٧) ولا صراحة فيه بكون ذلك المنع مقارنا لإيجاد السماء حتى ينافي ما دل على حدوثها ويحتمل تخلل الرخصة بين المنعين أيضا.

وأسمكها من أن تمر أي تموج وتضطرب والخرق يكون بمعنى الثقب في الحائط والشق في الثوب وغيره وهو في الأصل مصدر خرقت إذا قطعتة ومزقته ويكون بمعنى القفر والأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح أي تهب وتشتد والهواء يقال للجسم الذي هو أحد العناصر ويقال لكل خال هواء كما قال سبحانه **«وَأَفْتَدَتْهُمْ هَوَاءٌ»**^(٨) أي خالية من العقل أو الخير والمراد بالمرور في خرق الهواء أما الحركة الطبيعية أو القسرية في الفواصل التي تحدث بحركتها في الجسم الذي هو أحد العناصر إذ لا دليل على انحصاره في الذي بين السماء والأرض أو حركتها في المكان الخالي الموهوم أو الموجود طبعاً أو قسراً أو حركة أجزائها فيما بين السماء والأرض والأيد

(١) في المصدر: «لنفسه».

(٢) لم نعر عليه في ما عندنا من كتب المرتضى هذا.

(٣) سورة الأعراف، آية: ٤٠.

(٤) سورة البجن، آية: ٩.

(٥) شرح ابن ميثم ج ٢ ص ٣٤٦، خطبة رقم ٨٩.

(٦) سورة فصلت، آية: ١١.

(٧) سورة القمر، آية: ١١.

(٨) سورة إبراهيم، آية: ٤٣.

بالتفتح القوة والظرف متعلق بالإمساك والاستسلام للاقتياد ويحتمل أن يكون الأمر كناية عن تعلق الإرادة كما مر.

آية مبصرة الآية العلامة والمبصر المدرك بالبصر وفست المبصرة في قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ بالبيئة الواضحة وبالمبصنة التي يبصر بها وبالمبصرة للناس من أبصرته فبصر وبالمبصر أهله كقولهم أجبن الرجل إذا كان أهله جنباً والمحو إذهاب الأثر وطس النور وفسر محو القمر بكونه مظلماً في نفسه غير مضي^(١) بذاته كالشمس وبنقصان نوره بالنظر إلى الشمس وبنقصان نوره شيئاً فشيئاً إلى المحاق.

و روي أن ابن الكواء سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن اللطخة التي في وجه القمر فقال ذاك محو آية الليل. ويمكن أن يكون لها مدخل في نقصان ضوء القمر من ليلها قيل من لابتداء الغاية أو لبيان الجنس ويتعلق بمحوه أو يجعل وقيل أراد من آيات ليلها.

و المنقل في الأصل الطريق في الجبل والمدرج المسلك ودرج أي مشى والدرج بالتحريك الطريق ودرجهما في بعض النسخ على لفظ التنشئة وفي بعضها مفرد ومناقلهما ومدارجهما منازلهما وبروجهما والظاهر أن التمييز والعلم غايتان لمجموع الأفعال السابقة فيكون إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّاعَاتِ وَالْجَنَابِ﴾^(٢) وإلى قوله عز وجل ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّاعَاتِ وَالْجَنَابِ﴾^(٣) ويحتمل أن يكون التمييز غاية للأول والعلم غاية للآخر أو الأخيرين فيكون نشرًا على ترتيب الف والظاهر كلامه عليه السلام تفسير الآيتين المفردتين في الآية الأولى بالشمس والقمر لا بالليل والنهار وإن كان المراد بالآيتين أولاً الليل والنهار وقيل المراد جعلناهما ذوي آيتين فتكون الشمس والقمر مقصودين بهما في الموضوعين والمراد بالحساب حساب الأعمار والآجال التي يحتاج إليه الناس في أمور دينهم ودنياهم ومقاديرهما مقادير سيرهما وتفاوت أحوالهما.

ثم علق في جوها فلعلها الظاهر أن كلمة ثم هنا للترتيب الذكري ولعل المعنى أنه أقر فلعلها في مكانه من الجواب قدرته ولا ينافي نفي التعليق في نظم الأجزاء كما سبق والجو الفضاء الواسع أو ما بين السماء والأرض والفلك بالتحريك مدار النجوم وقيل أراد بالفلك دائرة معدل النهار وقيل أراد به الجنس وهو أجسامها المستديرة التي يصدق عليها هذا الاسم وقيل الفلك هنا عبارة عن السماء الدنيا فيكون على وفق قوله سبحانه ﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾^(٤) والتوجيه مشترك وعلى المشهور من عدم كون جميعها في السماء الدنيا لعل الأظهر أن يراد بالفلك ما ارتكز فيه كوكب يتحرك بحركته وبالجو الفضاء الواسع الموهوم أو الموجود الذي هو مكان الفلك ووجه إضافته إليها واضح فإن الفلك من جملتها وكذا إضافة الفلك إليها ويحتمل حينئذ أن يراد بفلكلها المحيط المحرك لجملتها ويمكن على طريقة الاستخدام أو بدونه أن يراد بضمير السماء الذي أحاط بجميع ما ارتكزت فيه الكواكب المدير لها فيكون فلعلها في جوها ظاهر أو يراد بالسماء الأفلاك الكلية وبالفلك الأفلاك الجزئية الواقعة في جوفها وفي بعض النسخ علق في جوها فلعلها بدون الضمير وهو يناسب كون الكواكب كلها في فلك واحد.

وناط أي علق والدراي جمع دري وهو المضيء وكأنه نسب إلى الدر تشبيهاً به لصفاته وقال الفراء الكوكب الدرّي عند العرب هو العظيم المقدار^(٥) وقيل هو أحد الكواكب السبعة السيارة وفي النهاية^(٦) الكواكب الخمسة السيارة^(٧) ولا يخفى أن وصف الدراي بالخفيات ينافي القولين ظاهراً واستراق السمع الاستماع مختفياً بشواقب شهباء أي بشهبها الثاقبة تلميحاً إلى قوله سبحانه

(٢) سورة الإسراء: آية: ١٢.

(٤) سورة الصافات، آية: ٦.

(٦) في النهاية إضافة: «أحد».

(١) في المصدر: «مضيء».

(٣) سورة يونس، آية: ٥.

(٥) راجع معاني القرآن للفراء ج ٢ ص ٢٥٢.

(٧) النهاية ج ٢ ص ١١٣.

﴿إِلَّا مَنْ اشْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾^(١) وقوله ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾^(٢) والأذلال جمع ذل بالكسر يقال أمور الله جارية أذلها بالنصب وعلى أذلها أي مجاريها ويقال دعه على أذلاله أي على حاله وثبات الثواب بالنسبة إلى سير السيارات والمراد بالهبوط إما مقابل الشرف كما هو مصطلح المنجمين أو التوجه إلى حضيض الحامل أو التدبير أو التوجه إلى الغروب فإنه الهبوط حسا ويقابله الصعود والنحوس ضد السعود.

ثم خلق الظاهر أن كلمة ثم هنا للترتيب الحقيقي وسيأتي بعض الأخبار الدالة على تقدم خلق الملائكة على السماوات ويمكن الجمع بالتخصيص هاهنا بسكان السماوات الذين لا يفارقونها وعمارة المنزل جعله أهلا ضد الخراب الذي لا أهل له والصفوح السطح ووجه كل شيء عريض والصفوح أيضا اسم من أسماء السماء والمراد هنا سطح كل سماء ويقابله الصفوح الأسفل وهو الأرض أو فوق السماء السابعة أو فوق الكرسي والملكوت كرهوت العز والسلطان والفروج الأماكن الخالية والفج الطريق الواسع بين الجبلين وحشوت الوسادة بالقطن جعلتها مملوءة منه والفتق الشق والجو الفضاء الواسع وما بين السماء والأرض وهذا الكلام صريح في عدم تلاصق السماوات وفي تجسم الملائكة وأن ما بين السماوات مملوءة منهم وبه تندفع شبهة لزوم الخلأ كما ستعرف والفجوة الفرجة والموضع المتسع بين الشيتين وزجل المسيحين صوتهم الرفيع العالي والحظيرة في الأصل الموضع الذي يحاط عليه لتأوي إليه الغنم والإبل يقنها الحر والبرد والريح والقدس بالضم وبضمين الطهر اسم ومصدر والسترات بضمين جمع سترة بالضم وهو ما يستتر به كالستارة والحجاب ما احتجب به والسرادق الذي يمد فوق صحن البيت من الكرسف والمجد الشرف والعظمة والرجيح الزلزلة والاضطراب ومنه رجيج البحر.

تستك منه الأسماك أي تضم وفسروا السباحات بالنور والبهاء والجلال والعظمة وقيل سباحات الوجه محاسنه لأنك إذا رأيت الوجه الحسن قلت سبحان الله ولعل المراد بها الأنوار التي تحجب بها الأبصار ويعبر عنها بالحجب وردعه كمنعه كفه وردة والخاسي من الكلاب وغيرها المبعد لا يترك أن يدنو من الناس يقال خسأت الكلب أي طردته وأبعدته والضمر في حدودها راجع إلى السحاب وقيل أي تقف الأبصار حيث تنتهي قوتها لأن قوتها متناهية فإذا بلغت حدودها وقفت. أولي أجنحة تسبح جلال عزته إشارة إلى قوله تعالى ﴿أُولَى أُنْجُحَةٍ مَشْنَى وَثَلَاثَ رُبَاعٍ﴾^(٣) وتسبح في أكثر النسخ بالتشديد من التسبيح وهو التنزيه والتقديس من النقائص والجلال العظمة العزة القوة والشدّة والغلبة والجملة صفة لأولي أجنحة وفي بعض النسخ تسبح بالتخفيف من السباحة وخلال بالحاء المعجمة المكسورة وهو وسط الشيء أو جمع خلل بالتحريك وهو الفرجة بين الشيتين وفي بعضها خلال بحار عزته ولعل المراد بسباحتهم سيرهم في أطباق السماوات وفوقها أو عروجهم ونزولهم لأداء الرسائل وغيرها أو سيرهم في مراتب القرب بالعبادة والتسبيح.

لا يتحلون انتحل الشيء ونحله إذا ادعاه لنفسه وهو لغيره أي لا يدعون الربوبية لأنفسهم كما يدعيها البشر لهم ولأنفسهم فتكون هذه الفقرة. لنفي ادعاء الاستبداد والثانية لنفي ادعاء المشاركة أو الأولى لنفي ادعائهم الخالقية فيما لهم مدخل في وجوده بأمره تعالى والثانية لنفي ذلك فيما خلقه الله سبحانه بمجرد أمره وإرادته مكرمون بالتخفيف من الإكرام وقرئ بالتشديد من التكريم واللام في قوله بالقول عوض عن المضاف إليه أي لا يسبقون الله بقولهم بل هم تابع لقوله سبحانه كما أن علمهم تابع لأمره. جعلهم فيما هنالك لعله مخصوص ببعض الملائكة كما قال عز وجل ﴿اللَّهُ يَضْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾^(٤) ويكفي للنسبة إلى الجميع كون بعضهم كذلك وما هنالك عبارة عن مراتب الملائكة أو الأشغال والأمور المفوضة إليهم أو عن أربابها وأصحابها وفي قوله

(٢) سورة الصافات، آية: ١٠.

(٤) سورة الحج، آية: ٧٥.

(١) سورة الحجر، آية: ١٨.

(٣) سورة فاطر، آية: ١.

حملهم تضمين معنى البعث أو الإرسال ونحوه و عصمهم هذا يشمل جميعهم والرب الشك أو التهمة والزيغ العدول عن الحق والمرضاة ضد السخط والإمداد الإعانة والتقوية والفائدة ما استفدته من طريفة مال أو علم أو غيرهما والمعونة مفعلة بضم العين من استعان به فأعانه وقيل الميم أصلية مأخوذة من الماعون ولعل المعنى تأييدهم بأسباب الطاعات والقرابات والمعارف والألطف الصارفة لهم عن المعاصي.

وأشعر قلوبهم أي أزمهم مأخوذ من الشعار وهو ما يلبس تحت الدثار وقيل من الشعور بمعنى الإدراك يقال أشعره الأمر به أي أعلمه والتواضع التخاشع والتذلل وأخبت الرجل خضع لله وخشع قلبه والسكينة الطمأنينة والوقار والرزانة والمهابة والحاصل عدم انفكاكهم عن الخوف والخشوع والتذلل بضميتين جمع ذلول ضد الصعب ومجده أثنى عليه وعظمه والجمع للدلالة على الأنواع وفتح الأبواب كناية عن إلهامها وتسهيلها عليهم لعدم معارضة شيطان أو نفس أمارة بالسوء بل خلقهم خلقه يلتذون بها كما ورد أن شراهم التسييح وطعامهم التقديس والمنار جمع المنارة وهي العلامة وأصله النور ولذا أنتت الواضحة والأعلام جمع علم بالتحرير وهو الجبل الطويل أو ما يعلم به الشيء ونصب المنار لهم على الأعلام عبارة عن غاية ظهورها لعدم معارضته الشكوك والشبهات التي تكون للبشر ولوفور الدلائل لهم لقريرهم من ساحة عزه وملكوته ومشاهدتهم ما يخفى علينا من آثار ملكه وجبروته والمؤصرات المثقلات وعدمها لمصمتهم وعدم خلق الشهوات فيهم.

ورحل البعير وارتحله حظ عليه الرحل وهو مركب للبعير وفي الحديث ارتحلني ابني الحسن أي جعلني كالراحلة وركب على ظهري والارتحال أيضا الإزعاج والإشخاص والعقبة بالضم النوبة والجمع عقب كعرة وغرف والعقبة الليل والنهار لأنهما يتعاقبان قيل أي لم يؤثر فيهم ارتحال الليالي والأيام كما يؤثر ارتحال الإنسان البعير في ظهره حملا على الوجه الأول وعلى الثاني فالمعنى لم يزعجهم تعاقب الليالي والأيام ولم يوجب رحيلهم عن دارهم والغرض تنزيههم عما يعرض للبشر من ضعف القوي أو القرب من الموت بمرور الأزمنة والنوازع في بعض النسخ بالعين المهملة من نزع في القوس إذا جذبها ومدها ونوازع الشكوك الشبهات وقيل أي شهواتها والنزاعة المحركة وفي بعضها بالغين المعجمة كما في النهاية من نزع الشيطان بين القوم أي أفسد^(١) ويقال نزع الشيطان أي وسوس إليه والعزيمة ما وكدت رأيك وعزمك عليه والمعتك موضع القتال والاعتراك الازدحام والظن يكون بمعنى الاعتقاد الراجح غير الجازم وبمعنى الشك و يطلق على ما يشملهما ولعل الأخير هنا أظهر ومعقد الشيء موضع شدة يقال عقدت الحبل والبيع والعهد ويكون مصدرا والحاصل نفي تطرق الشبه والشكوك إلى عقائدهم البينة.

ولا قدحت يقال قدح بالزند كمنع أي رام الإبراء به وهو استخراج النار وربما يحمل على القدح بمعنى الطعن وهو بعيد والإحن جمع إحنة وهي الحقد والغضب أي لا يبش الغضب والعداوات الكامنة فتنة فيما بينهم والحيرة عدم الاهتداء إلى وجه الصواب ولاق الشيء بغيره أي لزم ومنه اللبقة للصوص المدادها والغرض نفي الحيرة عنهم في عقائدهم ويحتمل أن يكون المراد بالحيرة الولة لشدة الحب وكمال المعرفة كما سيأتي وفي الصحيفة السجادية ولا ينفلون عن الولة إليك^(٢) فالمعنى أن شدة ولهم لا توجب نقصا في معرفتهم وغفلة عن ملاحظة العظمة والجلال كما في البشر وأثناء الشيء تضاعيفه وجاء في أثناء الأمر أي في خلاله جمع ثني بالكسر.

فتنزع في بعض النسخ بالقاف من الاقتراع بمعنى ضرب القرعة والاختيار فالغرض نفي تناوب الوسواس وتواردها عليهم وفي بعضها بالفاء من فرعه أي علاه والأول أنسب بالطمع والرين بالنون كما في بعض النسخ الطبع والدنس والتغطية وران ذنبه على قلبه ربنا أي غلب وفي بعضها بالباء الموحدة والفكرة أعمال النظر في الشيء منهم أي من مطلق الملائكة والغمام والغمام جمع

الغمامة وهي السحابة والدلع جمع الدالح وهو الثقيل من السحاب لكثرة مائه والدلع أن يمشي البعير بالحمل وقد أثقله والشامخ من الجبال المرتفع العالي والفترة بالضم بيت الصائد الذي يتستر به عند تصيده من حص ونحوه ويجمع على قتر مثل غرفة وغرف ويطلق على حلقة الدرع والكوة النافذة والظلام ذهاب النور والأهيم الذي لا يهتدى فيه ومنه فلاة يهيماء قبل هذا النوع من الملائكة خزان المطر وزواجر السحاب ولعله شامل لمشعبي الثلج البرد والهالطين مع قطر المطر إذا نزل وإن كان السحاب مكانهم قبل النزول والموكلون بالجمال للمحفظ وسائر المصالح والساكنون في الظلمات لهذابة الخلق وحفظهم أو غير ذلك.

وأقول: يحتمل أن يكون المراد تشبيههم في لطفة الجسم بالسحاب وفي عظم الخلقة بالجمال وفي السواد بالظلمة بل هو عندي أظهر.

وتخوم الأرض بضم التاء معالها وحدودها وهي جمع تخوم بالضم أيضا وقيل واحدا تخم بالضم والفتح ^(١) وقيل ^(٢) التخم حد الأرض والجمع تخوم نحو فلس وفلوس وقال ابن الأعرابي وابن السكيت ^(٣) الواحد تخوم والجمع تخم مثل رسول ورسل ^(٤) وفي النسخ بالضم والرابية علم الجيش ومخارق المواضع التي تمكنت فيها تلك الرايات بخرق الهواء والريح الهفافة الطيبة الساكنة وقيل أي ليست بمضطربة فتزوج تلك الرايات بل هي ساكنة تحبسها حيث انتهت.

وقد استفرغتهم أشغال عبادته أي جعلتهم فارغين عن غيرها وحقائق الإيمان العقائد البقية التي تحقق أن تسمى إيمانا أو البراهين الموجبة له وفي بعض النسخ وسلت بالسین المشددة يقال وسل إلى الله توسيلا وتوسل أي عمل عملا تقرب به إليه وقطعهم الايقان به أي صرفهم عما سوى الوله وجههم إليه وهو في الأصل التحير من شدة الوجد أو ذهاب العقل والمراد عدم الالتفات إلى غيره سبحانه والرغبة الإرادة والسؤال والطلب والحرص على الشيء والطمع فيه والمعنى أن رغباتهم وطلباتهم مقصورة على ما عنده سبحانه من قربه وثوابه وكرامته ولعل الضمائر في تلك الفقرات راجعة إلى مطلق الملائكة كالفقرات الآتية والباء في قوله ^(٥) بالكأس إمّا للاستعانة أو بمعنى من وربما يضمن في الشرب معنى الالتذاذ ليتعدى بالياء والكأس الإبناء يشرب فيه أو ما دام الشراب فيه وهي مؤنثة والروية المروية التي تزيل العطش وسويداء القلب وسوداؤه حسبه والشويجة في الأصل عرق الشجرة يقال وشجت.

العروق والأغصان أي اشتبكت وحنيت الشيء أي عطفته وأفند الشيء أفنأه ومادة التضرع ما يدعو إليه وأطلق عن الأسير إذا حل أسرته والربة بالكسر في الأصل عروة في حل تجعل في عنق البهيمة أو يدها تمسكها وعدم نفاذ مادة التضرع فيهم لعدم تطرق النقص إلى علمهم بعظمة الله وبحاجتهم إليه وعدم الشواغل لهم عن ذلك وعدم انتهاء مراتب العرفان والقرب الداعيين لهم إلى التضرع والعبادة ومع ذلك لا يتطرق الضعف إلى قواهم فيقدر صعودهم في مدارج الطاعة يزداد قهرهم وكلما ازداد قهرهم تضاعف علمهم بعظمته سبحانه كما سيأتي الإشارة إليه ويقال تولأ أي اتخذها ولأ تولأ الأمر أي تقلده وعدم تولي الإعجاب كناية عن عدم الاستيلاء والإعجاب استعظام ما يده الإنسان فضيلة لنفسه ويقال أعجب زيد بنفسه على البناء للمفعول إذا ترفع و سر بفضائله وأعجبني حسن زيد إذا عجبته منه واستكثره عده كثيرا وما سلف منهم طاعتهم السالفة والاستكانة الذل والخضوع واستكانة الإجلال خضوعهم الناشئ عن ملاحظة جلال الله وعظمته والفترة مرة من الفتور وهو السكون بعد حدة واللين بعد شدة ودأب في أمره كمنع دوبا جد و تعب و غاض الماء غيضا ومغاضا قل ونقص والمناجاة المخاطبة سرا وأسلة اللسان طهره و مستدقه والهمس الصوت الخفي والجوار كغراب رفع الصوت بالدعاء والتضرع أي ليست لهم أشغال خارجة عن العبادة فتكون لأجلها أصواتهم المرتفعة خافية ساكنة وفي بعض النسخ همس

(١) القاموس المحيط ج ٤ ص ٨٤.

(٢) إصلاح المنطق ص ٨٩.

(٣) القائل هو أحمد بن محمد علي ومي المتوفي ٧٧٠ هـ

(٤) المصباح المنير ج ١ ص ٧٣.

الخير وفي بعضها يهمس الحنين و توجيههما لا يخلو من تكلف و مقاوم الطاعة صفوف العبادة جمع مقام و عدم اختلاف المناكب عبارة عن عدم تقدم بعضهم على بعض أو عدم انحرافهم و ثبتت الشيء ثنبا عطفته أثنائه أي كفه و ثبتته أيضا صرفته إلى حاجته و راحة التقصير الراحة الحاصلة بإقلال العبادة أو تركها بعد التعب و عدا عليه أي قهره و ظلمه و التبلد ضد التجلد و التحير و بلد الرجل بلادة فهو بليد أي غير ذكي و لا فطن و انتضل القوم و تناضلوا إذا رماو للمسبق و الهمة ما هم به من أمر ليفعل و خدائع الشهوات و ساسوها الصارفة عن العبادة و انتضالها تواردها و تائبها و الفاقة الفقر و الحاجة و يوم فاقتهم يوم قبض أرواحهم كما يظهر من بعض الأخبار و لا يسعد أن يكون لهم نوع من الثواب على طاعتهم بإزدياد القرب و إفاضة المعارف و ذكره سبحانه لهم و تعظيمه إياهم و غير ذلك فيكون إشارة إلى يوم جزائهم و يمموه أي تصدوه و الانقطاع إلى أحد صرف الوجه عن غيره و التوجه إليه و الضمير في رغبتهم إما راجع إلى الملائكة كضمير فاقتهم أو إلى الخلق أو إليهما على التنازع. و الأمد المنتهى و قد يكون بمعنى امتداد المسافة و يرجع يكون لازما و متعديا تقول رجع زيد و رجعت أنا و اهتر فلان بكذا و استهتر فهو مهتر به و مستهتر على بناء المفعول أي موع به لا يتحدث بغيره و لا يفعل غيره و المادة الزيادة المتصلة و كل ما أعنت به قوما في حرب أو غيره فهو مادة لهم و لعل المراد هنا بها المعين و المقوي و كلمة من في قوله من قلوبهم ابتدائية أي إلى مواد ناشئة من قلوبهم غير منقطعة و في قوله من رجائه بيانية فالمراد الخوف و الرجاء الباعثان لهم على لزوم الطاعة و يحتمل أن تكون الأولى بيانية أو ابتدائية و الثانية صلة للانقطاع و الغرض إثبات دوام خوفهم و رجائهم الواجبين لعدم انفكاكهم عن الطاعة بل لزيادتها كما يشعر به لفظ المواد و السبب كل ما يتوصل به إلى غيره و الشفقة الخوف و الونى الضعف و الفتور ولم تأسرهم أي لم تجعلهم أسراء و الايثار الاختيار و الوشيك القريب و السريع والمعنى ليسوا بأمورين في رتبة الطمع حتى يختاروا السعي القريب في تحصيل المطموع في الدنيا الفانية على اجتهداهم الطويل في تحصيل السعادة الباقية كما هو شأن البشر.

و استعظام العمل العجب المنهي عنه و نسخ الشيء إزالته و إبطاله و تغييره. و الراد بالرجاء هنا ما تجاوز الحد المطلوب منه و يعبر عنه بالاغترار و شققات الوجل تارات الخوف و مرانه لم يختلفوا في ربه أي في الإثبات و النفي أو في التعيين أو في الصفات كالتجرد و التجسم و كيفية العلم و غير ذلك و قيل أي في استحقاق كمال العبادة و يقال استحوذ عليه أي استولى و هو مما جاء على الأصل من غير إغفال و التقاطع التعادي و ترك البر و الإحسان و توليت الأمر أي قمت به و توليت فلانا اتخذته وليا أي محبا و ناصرنا و الغل الحقد و الشعبة من كل شيء الطائفة منهم و شعبتهم أي فرقته و في بعض النسخ تشعبتهم على الفعل و الأول أظهر و الرب جمع ربية بالكسر و هو الشك أو هو مع التهمة و مصارفها وجوها و طرقها من الأمور الباطلة التي تصرف إليها الأذهان عن الشبه أو وجوه انصراف الأذهان عن الحق بالشبه أو الشكوك و الشبه أنفسهم و اقتسموا المال بينهم أي تقاسموه و أخياف الهمم مختلفها و أصله من الخيف بالتحريك و هو زرقه إحدى العينين و سواد الأخرى في الفرس وغيره و منه قيل لإخوة الأم أخياف لأن آباءهم شتى و الهمة بالكسر ما عزمت عليه لتفعله و قيل أول العزم والفرض نفي الاختلاف بينهم و التعادي و التفرق بعروض الشكوك و اختلاف العزائم أو نفي الاختلاف عنهم و بيان أنهم فرقة واحدة لبراءتهم عن الرية و اختلاف الهمم. و الزيف الجور و العدول عن الحق و في التفرع دلالة على أن الصفات السابقة من فروع الإيمان أو لوازمه و المطبق محركة في الأصل الشيء على مقدار الشيء مطابقا له من جميع جوانبه كإلغاء له و منه الحمى المطبقة و الجنون المطبق و السماوات أطباق لأن كل سماء طبق لما تحتها و الإهاب ككتاب الجلد و الحافد المسرع و الخفيف في العمل و يجمع على حقد بالتحريك و يطلق على الخدم لإسراعهم في الخدمة و العزة القوة و الغلبة و العظم كعنب خلاص الصغر مصدر عظم و في بعض النسخ بالضم و هو اسم من تعظم أي تكبر و دحوها على الماء أي بسطها و كبس الرجل رأسه في قميصه إذا أدخله فيه و كبس البئر و النهر طمهما بالتراب و ملأهما قال بعض شارحي النهج

كبس الأرض أي أدخلها الماء بقوة واعتماد شديد^(١) و مور الأمواج أي تحركها واضطرابها واستفعل الأمر أي تفاقم واشتد وقيل أمواج مستفحلة أي هائجة هيجان الفحول وقيل أي صالته واللجة بالضم معظم الماء ومنه بحر لحي وزخر البحر مد وكثر ماؤه وارتفعت أمواجه والسطم ضرب الخد بالكف مفتوحة والتظمت الأمواج وتلاطمت ضرب بعضها بعضاً والأذى بالمد والتشديد الموج الشديد والجمع أواذي والصفق الضرب يسمع له صوت والصفق الرد واصطفقت الأمواج أي ضرب بعضها بعضاً وردها والتقاذف الترامي بقوة والشيخ بتقديم التاء المثلثة على الباء الموحدة وشيخ البحر بالتحريك معظمه ووسطه وقيل أصله ما بين الكاهل إلى الظهر والمراد أعالي الأمواج والرياء بالضم صوت الإبل والزبد بالتحريك الذي يعلو السيل وقيل زبدا منصوب بمقدر أي ترغو قاذفة زبداً.

واقول: الظاهر أن ترغو من الرغبة مثله وهي الزبد يعلو الشيء عند غلبانه يقال رغو اللبن أي صارت له رغو ففيه تجريد ولا ينافيه التشبيه بالفحل والفحل الذكر من كل حيوان وأكثر ما يستعمل في الإبل وهاج الفحل ثار واشتهى الضراب وخضع أي ذل وجماح الماء غلبانه من جمع الفرس إذا غلب فارسه ولم يملكه وھیج الماء ثورانه وفورته والارتماء الترامي والتقاذف وارتماء الماء تلاطمه وأصل الوطء الدوس بالقدم والكلكل الصدر وذل أي صار ذليلاً أو ذلولاً ضد الصعب وفي بعض النسخ كل أي عرض له الكلال من كل السيف إذا لم يقطع والمستخذي بغير همز كما في النسخ الخاضع والمنقاد وقد يهمز على الأصل وتمعكت مستعار من تمعكت الدابة أي تمرغت في التراب والكاهل ما بين الكتفين فأصبح بعد اصطخاب أمواجه ساجيا اصطخاب افعال من الصخب وهو كثرة الصباح واضطراب الأصوات والساجي الساكن والحكمة محركة. حديدية في اللجام وتكون على حنك الفرس تمنعه من مخالفة راكبه.

ثم إنه أورد هنا إشكالاً وهو أن كلامه ﷺ يشعر بأن هيجان الماء وغلبانه وموجه سكن بوضع الأرض عليه وهذا خلاف ما نشاهده ويقضيه العقل لأن الماء الساكن إذا جعل فيه جسم ثقيل اضطرب وتموج وصعد علواً فكيف الماء المتعوج يسكن بطرح الجسم الثقيل فيه.

وأجيب بأن الماء إذا كان تموجه من قبل ريح هائجة جاز أن يسكن هيجانه بجسم يحول بينه وبين تلك الريح ولذلك إذا جعلنا في الإناء ماء وروحنا بمروحة فإنه يتحرك فإن جعلنا على سطح الماء جسماً يملأ حافات الإناء وروحنا بالمروحة فإن الماء لا يتحرك لأن ذلك الجسم قد حال بين الهواء المحتلب بالمروحة وبين سطح الماء فمن الجائز أن يكون الماء في الأول هائجاً لأجل ريح معرّكة له فإذا وضعت الأرض عليه حال بين سطح الماء وبين تلك الريح وسيأتي في كلامه ﷺ ذكر هذه الريح حيث قال اعنقم مهبطاً إلى آخر ما سيأتي والأولى أن يقال إن غرضه ﷺ ليس نفي التموج مطلقاً بل نفي التموج الشديد الذي كان للماء إذ حملته سبحانه على متن الريح العاصفة والزعرع القاصفة بقدرته الكاملة وأنشأ ريحاً لمخضه مخض السقاء فكانت كرة الساء تندفق من جميع الجوانب وترد الريح أوله على آخره وساجيه على مائره كما سيأتي في كلامه ﷺ ثم لما كبس الأرض بحيث لم يحط الماء بجميعها فلا ريب في انقطاع الهبوب والتمويج من ذلك الجانب المماس للأرض من الماء وأيضاً لما منعت الأرض سيلان الماء من ذلك الجانب إذ ليست الأرض كالهواء المنفق المتحرك الذي كان ينتهي إليه ذلك الحد من الماء كان ذلك أيضاً من أسباب ضعف التموج وقلة التلاطم وأيضاً لما تفرقت كرة الماء في أطراف الأرض ومال الماء بطبعه إلى المواضع المنخفضة من الأرض وصار البحر الواحد المجتمع بحاراً متعددة وإن اتصل بعضها ببعض وأحاطت السواحل بأطراف البحار بحيث منعت الهبوب إلا من جهة السطح الظاهر سكنت الفورة الشديدة بذلك التفرق وقلة التمعق وانقطاع الهبوب فكل ذلك من أسباب السكون الذي أشار إليه ﷺ.

وأقول: مما بين ذلك أنه إذا فرضنا حوضاً يكون فرسخاً في فرسخ و قدرنا بناء عمارة عظيمة في وسطه فلا ريب في أنه يقل بذلك أمواجه وكلما وصل موج من جانب من الجوانب إليه يرتدع و يرجع ثم إن هذه الوجوه إنما تبدي جرباً على قواعد الطبيعيين و خيالاتهم الواهية و إلا فبعد ما ذكره ﷺ لا حاجة لنا إلى إبداء وجه بل يمكن أن يكون لخلق الأرض و كبسها في الماء نوع آخر من التأثير في سكونه لا تحيط به عقولنا الضعيفة.

و قال ابن ميثم مقتضى الكلام أن الله تعالى خلق الماء قبل الأرض ^(١) و سكن بها مستفحل أمواجه و هذا مما شهد به البرهان العقلي فإن الماء لما كان حاوياً لأكثر الأرض كان سطحه الباطن المماس لسطحه الظاهر مكاناً لها و ظاهر أن للمكان تقدماً طبيعياً ^(٢) باعتبار ما على المتمكن فيه و إن كان اللفظ يعطي تقدم خلق الماء على خلق الأرض تقدماً زمانياً كما هو المقبول عند السامعين ^(٣) انتهى. و لا يخفى بعد أمثال تلك التأويلات الباردة في تلك العبارات الظاهرة الدلالة على التقدم و الحدوث الزمانيين كما ستعرف إن شاء الله تعالى.

و سكنت الأرض مدحوة أي مبسوطة و لا ينافي الكروية و قيل هو من الدحو بمعنى القذف و الرمي و اللجة معظم الماء كما مر و التيار الموج و قيل أعظم الموج و لجته أعماقه و النخوة الاختخار و التعظم و الأنفة و الحمية و البأو الرفعة و التعظم و الكبير و الاعتلاء التيه و الترفع و شمع بأنفه أي تكبر من شمع الجبل إذا ارتفع و السمو العلو و غلواء الشباب أوله و شرته و الغرض بيان سكون الأرض في الماء المتلاطم و منها إياه عن توجوه و هيجانه و كعمت البعير أي شددت فمه إذا هاج بالكعام ككتاب و هو شيء يجعل في فيه و الكظة بالكسر ما يعتري الممتلئ من الطعام و الجرية بالكسر حالة الجريان أو مصدر و كظة الجرية ما يشاهد من الماء الكثير في جريانه من الثقل و همدت الريح سكنت و همود النار خمودها و نزق الفرس كسمع و نصر و ضرب نزقا و نزوقا نزوا و وثب و النزقات دفعاته و نزق الغدير امتلأ إلى رأسه و على هذا فالهمود بمعنى الغور و الأول أظهر و الزيفان بالتحريك التبختر في المشي من زاف البعير يزيّف إذا تبختر و في بعض النسخ و لبد بعد زيفان و ثباته يقال لبد بالأرض كنصر إذا لزماها و أقام و منه اللبد ككتف لمن لا يبرح منزله و لا يطلب معاشاً و يروى و لبد بعد زيفان بتقديم الفاء على الياء و هو شدة هبوب الريح يقال زفت الريح السحاب إذا طردته و الزيفان بالفتح القوس السريعة الإرسال للسهم و الوثبة الطفرة و هيج الماء ثورانه و فورته و أكتافها أي جوانبها و نواحيها و شواقي الجبال عواليها و الباذخ العالي و البينوع ما انفجر من الأرض من الماء و لعله اعتبر فيه الجريان بالفعل فيكون من إضافة الخاص إلى العام أو التكرير للمبالغة و قبل البينوع الجدول الكثير الماء فلا يحتاج إلى تكلف و عشرين الأنف أوله تحت مجتمع الحاجبين و الظاهر أن ضمير أنوفها راجع إلى الأرض كالضمائر السابقة و اللاحقة و استعار لفظ العينين و الأنف لأعالي رءوس الجبال و إنما خص الجبال بتفجر العيون منها لأن العيون أكثر ما يتفجر من الجبال و الأماكن المرتفعة و أثر القدرة فيها أظهر و نفعها أتم و السهب الفلاة البعيدة الأكتاف و الأطراف و البيد بالكسر جمع ببداء و هي الفلاة التي يبید سالكها أي يهلكه و الأخاديد جمع أخدود و هو الشق في الأرض و المراد بأخاديدها مجاري الأنهار و لعل تعديل الحركات بالراسيات أي الجبال الثابتات جعلها عديلاً للحركات بحيث لا تغلبه أسباب الحركة فيستفاد سكونها فالباء صلة لا سببية أو المعنى سوى الحركات في الجهات أي جعل الميول متساوية بالجبال فسكنت لعدم المرجح فالباء سببية و يحتمل أن يكون المراد أنه جعلها بالجبال بحيث قد تتحرك للزلازل و قد لا تتحرك و لم يجعل الحركة. غالبية على السكون مع احتمال كونها دائماً متحركة بحركة ضعيفة غير محسوسة و من ذهب إلى استناد الحركة السريعة إلى الأرض لا يحتاج إلى تكلف و الجلاميد جمع جلمد و جلمود أي الصخور و الشناخيب جمع شنخوب بالضم

(٢) كلمة: «طبيعياً» ليست في المصدر.

(١) في المصدر إضافة: «ثم دعاها في».

(٣) شرح ابن ميثم ج ٢ ص ٣٧٢.

أي رءوس الجبال العالية والشم المرتفعة العالية والصياخيد جمع صيخود وهي الصخرة الشديدة والميدان بالتحريك التحرك والاضطراب ورسب في الماء كنصر وكرم رسوبا ذهب سفلا وجبل راسب أي ثابت والقطع كمنب جمع قطعة بالكسر وهي الطائفة من الشيء ويروى يسكون الطاء وهو طنفسة الرحل قيل كأنه جعل الأرض ناقة وجعل لها قطعاً وجعل الجبال في ذلك القطع والأديم الجلد المديبوع وأديم السماء والأرض ما ظهر منها ورسوب الجبال في قطع أديمها دخولها في أعماقها.

والتغلغل الدخول والسرب بالتحريك بيت في الأرض لا منفذ له يقال تسرب الوحش وانسرب في جحره أي دخل والجوبة الحفرة والفرجة والخيشوم أقصى الأنف والسهل من الأرض ضد الحزن وجرثومة الشيء بالضم أصله وقيل التراب المجتمع في أصول الشجر وهو أنسب ولعل المراد بجراثيمها المواضع المرتفعة منها ومقادير الكلام أن الأرض كانت متحركة مضطربة قبل خلق الجبال فسكنت بها وظاهره أن لفوذ الجبال في أعماق الأرض وظهورها وارتفاعها عن الأرض كليهما مدخلا في سكنها وقد مر بعض القول في ذلك في كتاب التوحيد وسيأتي بعضه في الأبواب الآتية إن شاء الله.

وفسح له كمنع أي وسع ولعل في الكلام تقدير مضاف أي بين منتهى الجو وبينها أو المراد بالجو منتهاه أعني السطح القعر للسماء والمتنسم موضع التنسم وهو طلب النسيم واستنشاقه وفادته ترويح القلب حتى لا يتأذى بغلبة الحرارة ومرافق الدار ما يستعين به أهلها ويحتاج إليه في التعيش وإخراج أهل الأرض على تمام مرافقتها إيجادهم وإسكانهم فيها بعد تهيئة ما يصلحهم بمعاشهم والتزود إلى معادهم والجرز بضمين الأرض التي لا نبات بها ولا ماء والرابية ما ارتفع من الأرض وكذلك الربوة بالضم والجدول كجعفر النهر الصغير والذريعة الوسيلة ناشئة السحاب أول ما ينشأ منه أي يبتدئ ظهوره ويقال نشأت السحاب إذا ارتفعت والغمام جمع الغمامة بالفتح فيهما وهي السحابة البيضاء واللمع كصرد جمع لمعة بالضم وهي في الأصل قطعة من النبات إذا أخذت في اليبس كأنها تلمع وتضيء^(١) من بين سائر البقاع والقرزع جمع قرعة بالتحريك فيهما وهي القطعة من الغيم وتباين القرزع تباعدها والمخض بالفتح تحريك السقاء الذي فيه اللبن ليخرج زبدته وتمخضت أي تحركت واللجة معظم الماء والمزن جمع المزنة بالضم فيهما وهي الغيم وقيل السحابة البيضاء وضمير فيه راجع إلى المزن أي تحركت فيه اللجة المستودعة فيه واستعدت للنزول والتمتع البرق ولمع أي أضاء وكففه حواشيه وجوانبه وطرف كل شيء كفة بالضم وعن الأصمعي^(٢) كل ما استطال كحاشية الثوب والرمل فهو كفة بالضم وكل ما استدار ككفة الميزان فهو كفة بالكسر ويجوز فيه الفتح وميض البرق لبعانه ولم يمت أي لم ينقطع ولم يفتر والكنهور كسفرجل قطع من السحاب كالجبال وقيل المتراكم منه والريباب كسحاب الأبيض منه وقيل السحاب الذي تراه كأنه دون السحاب وقد يكون أسود وقد يكون أبيض جمع ربابة والمتراكم والمرتكم المجتمع وقيل الميم بدل من الباء كأنه ركب بعضه بعضا والسح الصب والسيلان من فوق والمتدارك من الدرك بالتحريك وهو الحاق يقال تدارك القوم إذا لحق آخرهم أولهم وأسف الطائر إذا دنا من الأرض وهيبه ما تهدب منه أي تدلى كما تتدلى هذب العين ومرى الناقة يمر بها أي مسح ضرعها حتى درلنها وعدي هاهنا إلى مفعولين وروي تمرى بدون الضمير والجنوب بالفتح الريح مهبها من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا وهي أدر للمطر والدرر كمنب جمع درة بالكسر أي الصب والاندفاق وقيل الدرر الدار كقوله تعالى «فَيَمْعًا» أي قائما والهضب المطر ويجمع على أهضاب ثم على أهاضيب كقول وأقوال وأقاويل والدفعة من المطر بالضم ما انصب مرة والش أييب جمع شؤبوب وهو ما ينزل من المطر دفعة بشدة والبرك الصدر والبواني قوائم الناقة وأركان البنية وقال بعض شراح النهج بوانها بفتح النون تثنية بوان على فعال

بكسر الفاء وهي عمود الخيمة والجمع بون ومن روى بوانها أراد لوصفها من قولهم قوس بانية إذا التصقت بالوتر والرواية الأولى أصح^(١) انتهى وفي النسخ القديمة المصححة على صيغة الجمع وفي النهاية فسر البواني على أركان البنية^(٢) وفي القاموس بقوائم الناقة^(٣) وعلى التقادير الإضافة لأدنى ملابس وفي الكلام تشبيه السحاب بالناقة المحمول عليها والخيمة التي جر عموها والبعاع كسحاب تقل السحاب من المطر واستقلت أي نهضت وارتفعت واستقلت به حملته ورفعته والعب الحمل والثقل بكسر الجيم والهوامد من الأرض التي لا نيات بها والزعر بالتحريك قلة الشعر في الرأس يقال رجل أزعر والأزعر الموضع القليل النبات والجمع زعر بالضم كأحمر وحر والمراد هاهنا القليلة النبات من الجبال تشبيها بالرءوس القليلة الشعر والعشب بالضم الكلال الرطب وبهج كمنع وفرح وسر وقال بعض الشراح من رواه بضم الهاء أراد يحسن ويلمع من البهجة أي الحسن^(٤) والروضة من العشب الموضع الذي يستنقع فيه الماء واستراض الماء أي استنقع وتزدهي أي تتكبر وتفتخر افتعال من الزهو وهو الكبر والفخر والريط جمع ربطة بالفتح فيهما كل ملاء ليست بلفقين أي قطعتين كلها نسج واحد وقطعة واحدة وقيل كل ثوب رقيق لين والأزاهير جمع أزهار جمع زهرة بالفتح وهي النبات ونوره وقيل الأصفر. منه وأصل الزهرة الحسن والبهجة والحلية بالكسر ما يتزين به من مصوغ الذهب والفضة والمعدنيات ما سبط به أي أعلقت على بناء المجهول من التفعيل وفي بعض النسخ الصحيحة بالشين المعجمة والشميط من النبات ما خالط سواده التور الأبيض وأصله الشمط بالتحريك وهو بياض الرأس يخالط سواده والنضارة الحسن والطراوة والتور بالفتح الزهر أو الأبيض منه والبلاغ بالفتح ما يتبلغ به ويتوسل إلى الشيء المطلوب والفاق النواحي والمنار جمع منارة وهي العلامة والمراد هاهنا ما يهتدي به السالكون من الجبال والتلال أو النجوم والأول هنا أظهر والجادة وسط الطريق ومعظمه ومهد الشيء وسعه وبسطه ومهد الأمر سواه وأصلحه ولعل المراد هنا إتمام خلق الأرض على ما تقتضيه المصلحة في نظام أمور ساكنيها وقيل يحتمل أن يراد بتمهيد الأرض جعلها مهادا أي فراشا كما قال جلي وعلا ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهَادًا﴾^(٥) أو جعلها مهدا أي مستقرا كالمهد للضيبي كما قال سبحانه ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهَادًا﴾^(٦)

وفنفاذ الأمر إمضاؤه وإجراؤه والخيرة كعنية المختار والجبلة بكسر الجيم والباء وتشديد اللام والخلفة والطبيعة وقيل في قوله تعالى ﴿وَالْجِبَلِ الْأَوَّلِينَ﴾^(٧) أي ذوي الجبل والجبلة أن يكون من قبيل الخلق بمعنى المخلوق وقيل الجبل الجماعة من الناس والمراد بأول الجبل أول شخص من نوع الإنسان ردا على من قال يقدم الأنواع المتوالدة وأرغد الله عيشه أي جعله واسعا طيبا والأكل بضمين الرزق والحظ قال الله تعالى ﴿وَكُلًّا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾^(٨) وأوعزت إلى فلان في فعل أو ترك أي تقدمت والمراد النهي عن الأكل من الشجرة وخطر بنفسه وماله أي أشفاهما على خطر وأفاهما في مهلكة والضمير في منزلته راجع إلى آدم ويحتمل رجوعه إليه سبحانه كضمير مصيئته على الظاهر.

قوله ﴿وَإِذَا مَوَاتَ قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ لَا يَجُوزُ أَنْ يَنْتَسِبَ لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ لِيَكُونَ عَذْرًا وَعِلَّةٌ لِلْفَعْلِ بَلْ عَلَى الْمَصْدَرِيَةِ الْمُحْضَةِ كَأَنَّهُ قَالَ فَوَافِي^(٩) بِالْمَعْصِيَةِ مَوَافَاةً وَطَائِقُ بِهَا سَابِقُ الْعِلْمِ مَطَابِقَةٌ فَاهْطِطْ بَعْدَ التَّوْبَةِ هُوَ صَرِيحٌ فِي أَنَّ الْإِهْبَاطَ كَانَ بَعْدَ التَّوْبَةِ^(١٠) فَمَا يَظْهَرُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ مِنْ

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٦ ص ٤٤٤.

(٢) النهاية ج ١ ص ١٦٤، وفيه «والبواني في الأصل: أضلاع الصدر، وقيل: الاكتاف والقوائم».

(٣) القاموس المحيط ج ٤ ص ٣٠٧.

(٤) سورة طه، آية: ٥٣.

(٥) سورة البقرة، آية: ٣٥.

(٦) سورة البقرة، آية: ٣٥.

(٧) سورة الشعراء، آية: ١٨٤.

(٨) في المصدر: «فوافي».

(٩) شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٧ ص ٤ و ٥.

عكس ذلك لعله محمول على التوبة الكاملة أو على القبول و يقال بتأخره عن التوبة و قد تقدم تأويل تلك المعصية و أضرابها في المجلد الخامس.

مما يؤكده عليهم لعل التعبير بلفظ التأكيد لكون معرفة الرب سبحانه فطرية أو لوضوح آيات الصنع في الدلالة على الخالق جل ذكره أو للأمرين و قال في المغرب تعهد الضيعة و تعاهدها أتاها و أصلها و حقيقته جدد العهد بها و القرن أهل كل زمان مأخوذ من الاقتران فكانه المقدار الذي يقتدر فيه أهل ذلك الزمان في أعمارهم و أحوالهم فقيل أربعون سنة و قيل ثمانون سنة و قيل مائة و قال الزجاج الذي عندي و الله أعلم أن القرن أهل كل مدة كان فيها نبي أو طبقة من أهل العلم سواء قلت السنوات أو كثرت و مقطوع الشيء آخره كأنه قطع من هناك و عذر الله ما بين للمكلفين من الأعذار في عقوبته لهم إن عصوه و نذره ما أنذرهم به من الحوادث و من أنذره على لسانه من الرسل كذا قيل و قيل هما مصدران بمعنى الإعذار و الإنذار و المراد ختم الرسالة بنبيينا ﷺ.

و قدر الأرزاق لما كان المتبادر من القسمة البسط على التساوي بين ما.

أراد به ذكر الكثير و القليل ثم لما كان ذلك موهبا للجور دفع الوهم بذكر العدل و نبه على وجه الحكمة بذكر الابتلاء و الاختبار و روي فعديل بالشديد و التعديل التقويم و المال واحد و الابتلاء الامتحان و الميسور و المعسور مصدران بمعنى العسر و اليسر كالمفتون بمعنى الفتنة و يتمتع عند سيبويه مجيء المصدر على مفعول قال الميسور الزمان الذي يوسر فيه و الاختبار فيه سبحانه صورته و غنيها و فقيرها نشر على ترتيب اللف على الظاهر و الضمير فيها إلى الأرزاق و في الإضافة توسع و يحتمل عوده إلى الأشخاص المفهوم من المقام أو إلى الدنيا أو إلى الأرض و لعل إحداها أنسب ببعض الضمائر الآتية. و العقابيل جمع عقبول و عقبولة بالضم و هي قروح صغار تخرج بالشفة غب الحمى و بقايا المرض و في تشبيه الفاقة و هي الفقر و الحاجة و أشارها بالعقابيل من اللطف ما لا يخفى لكونها مما يقبح في المنظر و تخرج في العضو الذي لا يتيسر سترها عن الناس و تشتمل على فوائد خفية و كذلك الفقر و ما يتبعه و أيضا تكون غالبا بعد التلذذ بالعلم و طوارق الآفات متجددات المصائب و ما يأتي منها بغتة من الطروق و هو الإتيان بالليل و الفرج جمع فرجة و هي التفصي من الهم و فرجة الحائط أيضا و الفرج السرور و النشاط و الفتنة بالضم ما اعترض في الحلق و النزح بالتحريك الهم و الهلاك و الانقطاع أيضا و الأجل محركة مدة الشيء و غاية الوقت في الموت و حلول الدين و تعليق الإطالة و التقصير على الأول واضح و أما التقديم و التأخير فيمكن أن يكون باعتبار أن لكل مدة غاية و حينئذ يرجع التقديم إلى التقصير و الإطالة إلى التأخير و يكون العطف للتفسير تأكيدا و يحتمل أن يكون المراد بالتقديم جعل بعض الأعمار سابقا على بعض و تقديم بعض الأمم على بعض مثلا فيكون تأسيسا و يمكن أن يراد بتقديم الأجل قطع بعض الأعمار لبعض الأسباب كقطع الرحم مثلا كما ورد في الأخبار و بتأخيرها مدتها لبعض الأسباب فيعود الضمير في قدمها و آخرها إلى الأجل بالمعنى الثاني على وجه الاستخدام أو نوع من التجوز في التعليق كما مر و السبب في الأصل الحبل يتوسل به إلى الماء و نحوه ثم توسعوا فيه و اتصال أسباب الأجل أي أسباب انقضائها أو أسباب نفسها على المعنى الثاني بالموت واضح و يحتمل أن تكون الأسباب عبارة عن الأجل بالمعنى الأول.

و خالجا أي جاذبا و الشطن بالتحريك الحبل و أشطان الأجل التي يجذبها الموت هي الأعمار شهت بالأشطان لطولها و امتدادها و المرائر جمع مرير و مريرة و هي الحبال المفتولة على أكثر من طاق ذكره في النهاية^(١) و قيل الحبال الشديدة القتل و قيل الطول الدقاق منها و الأقران جمع قرن بالتحريك و هو في الأصل حبل يجمع به البعيران و لعل المراد برائر أقران الأجل الأعمار التي يرجى امتدادها لقوة المزاج و البنية و نحو ذلك و كلمة من في قوله من ضمائر المضمرين بيانية و الضمائر الصور الذهنية المكنونة في المدارك و التجوى اسم يقام مقام المصدر و هو

المسارة والخواطر ما يخطر في القلب من تدبير أمر ونحو ذلك ورجم الظنون كل ما يسبق إليه
الظن من غير برهان أو مسارعة والحدِيث المَرَجْم الذي لا يدرى أحمق هو أم باطل وعقده كل
شيء بالضم الموضوع الذي عقد منه وأحكم ومسارِق العيون النظرات الخفية كأنها تسترق النظر
لإخفائها وأومضت المرأة إذا سارقت النظر وأومض البرق إذا لمع خفيفاً ولم يعترض في نواحي
الغيم والجفن بالفتح غطاء العين من أعلى وأسفل وجمعه جفون وأجفن وأجفان والمقصود
إحاطة علمه سبحانه بكل معلوم جزئي وكلي رداً على من قصر علمه على البعض كالكليات و
الأكنان والأكنة جمع الكن بالكسر وهو اسم لكل ما يستتر فيه الإنسان لدفع الحر والبرد من
الأبنية ونحوها وستر كل شيء وفاؤه كما قال تعالى ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾^(١) وقال
ابن أبي الحديد و يروى أكنة القلوب وهي غلفها وأغطيها و^(٢) قال الله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى
قُلُوبِهِمُ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾^(٣)

و غياية البئر قعره وأصغى أي استمع وأصغى إليه أي مال بسمعه نحوه واستراق السمع الاستماع
في خفية و صاخ و أصاخ له أي استمع ومصائح الأسماك خروقها التي يستمع بها والذر صغار
التمل ومصابها المواضع التي تصيف فيها أي تقيم فيها بالصف ومشاتي الهوام مواضع إقامتها
بالشتاء والهامة كل ذات سم يقتل وما لا يقتل فهو السامة كالعقرب وقد يقع الهوام على ما يدب
من الحيوان كالحشرات والخنين شدة البكاء وصوت الطرب عن حزن أو فرح ورجعه ترجيعه و
ترديده وقيل أصل الخنن ترجيع النافثة صوتها أتر ولدها والمولهاة النوق وكل أنثى حيل بينها و
بين أولادها وفي بعض النسخ المولهاة وأصل الوله زوال العقل والتحير من شدة الوجد والهمس
أخفى ما يكون من صوت القدم أو كل صوت خفي والمنفسح موضع موضع الثمرة موضع
نموها في الأكمام ويروى متفسخ بالخاء المعجمة وتشديد السين والتاء مصدراً من تفسخت
الثمره إذا انقطعت والوليجة الدخيلة والبطانة. وقال ابن أبي الحديد الولائج المواضع الساترة و
الواحد^(٤) وليجة وهي كالكهف يستتر فيها^(٥) المارة من مطر أو غيره^(٦) والغلف بضمة وبضمين
جمع غلاف ككتاب ويوجد في النسخ على الوجهين والكم بالكسر وعاء الطلع وغطاء النور و
جمعه أكمام وأكمة وكلمة من على ما في الأصل بيانية أو تبعية وعلى الرواية صلة أو
بيانية والمنقمع على زنة المفعول من باب الانفعال موضع الاختفاء كما في أكثر النسخ وفي بعضها
من باب التنقل بمعناه والغيران جمع غار وهو ما ينحت في الجبل شبه المغارة فإذا اتسع قيل كهف
وقيل الغار الجحر يأوي إليه الوحش أو كل مطمئن في الأرض أو المنخفض من الجبل. والبغوض
البق وقيل صفارها والواحدة بهاء ومختبأ البغوض موضع اختفائه والسوق جمع ساق والألحية
جمع للحاء ككساء وهو قشر الشجر وعرزه في الأرض كضربه أدخله وثبته ومغرز الأوراق
موضع وصلها والأفنان جمع فنن بالتحريك وهو الفصن والحط الحدر من علو إلى سفلى و
الأشجاج قيل مفرد وقيل جمع مشج بالفتح أو بالتحريك أو مشيج على فصيل أي المختلط قيل في
قوله تعالى مِّنْ نُّطْفَةٍ أَشْجَاجٍ^(٧) أي أخلاط من الطبايع من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة و
قيل من الأجزاء المختلفة في الاستعداد وقيل أشجاج أي أطوار طوراً نظفة وطوراً علقه وهكذا و
قيل أي أخلاط من ماء الرجل وماء المرأة وسيأتي الكلام فيه وكلامه^(٨) يؤيد ببعض الوجوه
الأولة كما لا يخفى.

و المسارب المواضع التي ينسرب فيه المني أي يسيل أو ينسرب فيها المني أي يخفي من قولهم
انسرب الوحشي إذا دخل في جحره واختفى أو مجاري المني من السرب بمعنى الطريق والمراد
أوعيتها من الأضلاب أو مجاريها وتفسير المسارب بالأخلاط التي يتولد منها المني كما احتمله

(١) سورة النحل، آية: ٨١. (٢) من المصدر.

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٧ ص ٢٥، والآية من سورة الأنعام: ٢٥.

(٤) في المصدر: «الواحدة». (٥) في المصدر: «في».

(٦) شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٧ ص ٢٧. (٧) سورة الإنسان، آية: ٢.

ابن ميثم بعيد والمراد بمحط الأمشاج مقر النطفة من الرحم أو من الأصلاب على بعض الوجوه في المسارب فتكون كلمة من تبعية لعل الأول أظهر.

والناشئة من السحاب أول ما ينشأ منه ولم يتكامل اجتماعه أو المرتفع منه ومتلاحم الغيوم ما التصق منها بعضها ببعض والدور السيلان والقطر بالفتح. المطر والواحدة قطرة والسحاب جمع سحابة ومتراكمها المجتمع المتكاثف منها وفي بعض النسخ وتراكها.

وسفت الريح التراب تسفيه أي ذرته ورمته به أو حملته والأعاصير جمع الإعصار وهو بالكسر الريح التي تهب صاعدا من الأرض نحو السماء كالعمود وقيل التي فيها نار وقيل التي فيها العصار وهو الغبار الشديد وذبولها أطرافها التي تجرها على الأرض ولطف الاستعارة ظاهر وعفت الريح الأثر إذا طمسته ومحته وعفي الأثر إذا انمحى يتعدى ولا يتعدى والعموم السباحة وسير السفينة والابل وبنات الأرض بتقديم الباء على ما في أكثر النسخ الحشرات والهوام التي تكون في الرمال وغيرها كاللحكة والعصاية وغيرها وحركتها في الرمال لعدم استقرارها تشبه السباحة وفي بعض النسخ بتقديم التون فالمراد حركة عروقها في الرمال كأرجل السابحين وأيديهم في الماء والكثبان بالضم جمع الكثيب وهو التل من الرمل والمستقر موضع الاستقرار ويحتمل المصدر. وذروة الشيء بالضم والكسر أعلاه وغرد الطائر كغرح وغرد تغريدارف صوته وطرب به وذوات المنطق من الطيور ما له صوت وغناء كان غيره أبكم لا يقدر على المنطق والدياجير جمع ديجور وهو الظلام والمظلم والإضافة على الثاني من إضافة الخاص إلى العام والوكر بالفتح عش الطائر وما أوعته الأصداف أي ما حفظته وجمعتها من اللآلي والحضن بالكسر ما دون الإبط إلى الكشح أو الصدر أو العضدان وما بينهما وحض الصبي كنصر جعله في حضنه وما حضنته الأمواج العنبر والمسك وغيرها وما غشيت أي غطته والسدفة بالضم الظلمة وذرت الشمس أي طلعت وشرقت الشمس وأشرقت أي أضاءت وما اعتقبت أي تعاقبت وجاءت واحدة بعد أخرى والأطباق جمع طبق بالتحريك وهو غطاء كل شيء وتارات الظلمة تستر الأشياء كالأغطية وسبحات النور مرآته وسبحات وجه الله أنواره. وقال ابن أبي الحديد ليس يعني بالسبحات هاهنا ما يعني به في قوله سبحات وجه ربنا لأنه هناك بمعنى الجلالة وهاهنا بمعنى ما يسبح عليه النور أي يجري من سبوح الفرس وهو جريه^(١) والمتعاقبان النور والظلمة أي ما تغطي ظلمة بعد نور ونور بعد ظلمة ويحتمل أن يراد تعاقب أفراد كل منهما وأثر القدم علامته التي تبقى في الأرض والخطوة المشية والحس الصوت الخفي ورجع الكلمة ما ترجع به من الكلام إلى نفسه وتردده في فكر أو جواب الكلمة أو ترديد الصوت وترجييعه عند التلفظ بالكلمة أو إرجاع النفس للتلفظ بكلمة بعد الوقف على كلمة والرجع يكون لازما ومتعديا والنسمة محركة الإنسان أو كل دابة فيها روح ومستقر النسمة إما الصلب أو الرحم أو القبر أو مكانه في الدنيا أو في الآخرة أو الأعم ومثال الذرة وزنها لا المثال المعروف كما قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾^(٢) والهمهمة الصوت الخفي أو ترديد الصوت في الحلق أو تردد الصوت في الصدر من الهم كل نفس هامة أي ذات همة تعزم على أمر والوصف للتعميم وما عليها أي على الأرض بقرينة المقام كقوله تعالى ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾^(٣) والنطفة ماء الرجل والماء الصافي قل أو كثر ويطلق على قليل ماء في دلو أو قربة والأول أظهر في المقام وقرارتها موضعها الذي تستقر فيه وأصل القرارة المطمئن من الأرض يستقر فيه ماء المطر وجمعها القرار وتقاعة كل شيء بالضم الماء الذي ينقع فيه. وقال الشراح التقاعة قرة يجتمع فيها الدم^(٤) والمضغة بالضم القطعة من اللحم قدر ما يعضغ وناشئة الخلق الصورة ينشأها سبحانه في البدن أو الروح التي ينفخها فيه والسلالة بالضم ما استل واستخرج من شيء وفي الكلام إشارة إلى قوله سبحانه ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ

(١) سورة النساء، آية: ٤٠.

(٢) شرح التهج لابن أبي الحديد ج ٧ ص ٣٠.

(٣) سورة الرحمن، آية: ٢٦.

(٤) راجع شرح ابن ميثم ج ٢ ص ٣٧٠.

طِين إلى قوله ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ^(١) ثم الغرض من ذكره هذه الأشياء التخصيص على عموم علمه سبحانه مع الإشارة إلى أصناف خلقه وأنواع برتيه وعجائب ربيوته فإن الدليل على علمه بها خلقه لها وحفظه وتربيته لكل منها وإظهار بدائع الحكمة في كل صفة من أوصافها وحال من أحوالها كما قال سبحانه «أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ»^(٢) لم يلحقه في ذلك المشار إليه إما العلم بالجزئيات المذكورة وإما خلق الإشارة المذكورة قبل تفصيل المعلومات أو فيها أيضا كما قلنا إن الغرض ليس محض تعلق العلق بها كلفة أي مشقة ولا اعترضته أي منعتة والعارضة ما يستقبلك من شيء يمنعك عن مسيرك ولا اعترضته قبل اعترضته أحاطت به وفي اللغة اعترضوا الشيء أي تداولوه وتناوبوه وفي تنفيذ الأمور أي إخراجها وإمضائها والتدبير النظر في عاقبة الأمر أو الفعل عن روية والمراد هنا إمضاء الأمور على وفق المصلحة والعلم بالعواقب والملائة السامة والضجر وقرر عن العمل انكسر حدته ولأن بعد شدته بل نفذ فيهم علمه أي أحاط علمه بظواهرهم وبواطنهم وفي بعض النسخ نغذهم على الحذف والإيصال والعد مصدر عدته وفي بعض النسخ عدده وغمرهم أي غطاهم وسترهم وشملهم فضله وكنه الشيء نهايته وحقيقته والوصف الجميل ذكر الفضائل والتعداد بالفتح مصدر للمبالغة والتكثير وقال الكوفيون أصله التفضيل الذي يفيد المبالغة قلبت باؤه ألفا والكسر شاذ والأمل ضد اليأس وخير خبر مبتدأ محذوف وكذلك أكرم والبسط النشر والتوسيع وكلمة في إما زائدة أو للظرفية المجازية والمفعول محذوف أي بسطت لي القدرة أو الكلام فيما لا أمدح به غيرك والغرض شكره سبحانه على فضيلة البلاغة والعلم به سبحانه ومدانحه والتوفيق على قصر المدح على الله جل شأنه والخيبة الحرمان والمخلوقون هم معادنها لأن عطايهم قليلة فانية مع أنهم لا يعطون غالبا وهم مواضع الريبة أي التهمة والشك لعدم الوثوق بإعطائهم وعدم الاعتماد عليهم في رعاية مصلحة في المنع والله سبحانه لا يمنع إلا لمصلحة تعود إلى السائل ويدخر مع ذلك له أضعاف ما سأل في الدار الباقية.

والثبوت الثواب والجزاء المكافأة على الشيء والعارفة الإحسان دليلا على ذخائر الرحمة أي هاديا إلى أسبابها بالتوفيق والتأييد وذخائر الرحمة عظام العطايا وأصل الذخيرة المختار من كل شيء أو ما يدهه الرجل ليوم حاجته وهذا مقام اسم مكان ويحتمل المصدر والمحمدة بفتح العين وكسرها مصدر حمده كسمعه والفاقة الفقر والجبر في الأصل إصلاح العظم المكسور والمسكنة الخضوع والذلة وقلة المال وسوء الحال ونعشه رفعه والخلة بالفتح الفقر والحاجة وضميرا مسكنتها وخلصنا راجعان إلى الفاقة وفي الإضافة توسع والمن العطاء ومد الأيدي كناية عن الطلب وإظهار الحاجة والتقدير مبالغة في القادر.

وإنما بسطنا الكلام بعض البسط في شرح هذه الخطبة لكونها من جلال الخطب وذكرنا جميعها لذلك وكون أكثرها متعلقا بمطالب هذا المجلد وتفريقها على الأبواب كان يوجب تقويت نظام البلاغة وكمالها كما فوت السيد^(٣) ره كثيرا من فوائد الخطبة باختصارها واختيارها وأما دلالتها على حدوث السماء والأرض والملائكة وغير ذلك فغير خفي على المتأمل فيها.

٩١-الكافي: عن محمد بن علي بن معمر عن محمد بن علي عن عبد الله بن أيوب الأشعري عن عمرو الأوزاعي عن عمرو بن شمر عن سلمة بن كهيل عن أبي الهيثم بن التيهان أن أمير المؤمنين عليه السلام خطب الناس بالمدينة فقال: الحمد لله الذي لا إله إلا هو كان حيا بلا كيف ولم يكن له كان إلى قوله ولا قوي بعد ما كون شيئا ولا كان ضعيفا قبل أن يكون شيئا ولا كان مستوحشا قبل أن يبتدع شيئا ولا يشبه شيئا ولا كان خلوا^(٤) من الملك قبل إنشائه ولا يكون خلوا منه بعد ذهابه كان إلها حيا بلا حياة ومالكا قبل أن يكون ينشئ شيئا ومالكا بعد إنشائه للكون.^(٥)

(١) سورة المؤمنون، آية: ١٢ - ١٤.
(٢) راجع الخطبة في نهج البلاغة ص ١٢٤-١٣٦، خطبة ٩١.
(٣) الكافي ج ٨ ص ٣١، حديث ٥.
(٤) في المصدر: «عن» بدل «من».
(٥) سورة الملك، آية: ١٤.

ومنه: عن محمد بن يحيى عن أحمد بن موسى^(١) عن الحسين بن سعيد عن القاسم بن محمد عن علي بن أبي حمزة عن أبي بصير عن أبي جعفر^(٢) مثله.
التوحيد: عن أحمد بن محمد بن يحيى عن أبيه مثله^(٣).

بيان: ولم يكن له كان ظاهره نفي الزمان عنه تعالى وإن احتمل أن يكون كان اسما بمعنى الكون على لغة من يقلب الواو والياء الساكنين أيضا مع انفتاح ما قبلهما ألفا ثم لا يخفى دلالة سائر الفقرات على حدوث ما سواه سبحانه قوله ولا كان خلوا من الملك قبل إنشائه الملك يكون بمعنى السلطنة وبمعنى المملكة فيحتمل أن يكون المراد عند ذكره أولا وعند إرجاع الضمير إليه ثانيا هو المعنى الأول أو في الأول الأول وفي الثاني الثاني على طريقة الاستخدام ويكون الضمير راجعا إلى الله بالإضافة إلى الفاعل ولا يلائم الأخير الفقرة التالية.

٩٢-الكافي: عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن محبوب عن محمد بن النعمان أو غيره عن أبي عبد الله^(٤) أنه ذكر هذه الخطبة لأمر المؤمنين^(٥) يوم الجمعة الحمد لله أهل الحمد و وليه و منتهى الحمد و محله البديء البديع إلى قوله الذي كان في أوليته متقادما و في ديموميته مستيطرا خضع الخلائق لوحديته و ربوبيته و قديم أزليته و دانوا لدوام أبديته^(٦).

بيان: المتسيطر المتسلط.

٩٣-الكافي: عن عدة من أصحابه عن أحمد بن محمد بن خالد عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن أبي الحسن الموصلي عن أبي عبد الله^(٧) قال جاء خبر من الأحبار إلى أمير المؤمنين^(٨) فقال يا أمير المؤمنين متى كان ربك فقال له ثكلتك أمك و متى لم يكن حتى يقال متى كان كان ربي قبل القبل بلا قبل و بعد البعد بلا بعد و لا غاية و لا منتهى لغايته انقطعت الغايات عنده فهو منتهى كل غاية^(٩).

٩٤-ومنه: عن علي بن محمد رفعه عن زرارة قال قلت لأبي جعفر^(١٠) كان الله^(١١) ولا شيء قال نعم كان ولا شيء قلت فأين كان يكون قال وكان متكئا فاستوى جالسا وقال أحلت^(١٢) يا زرارة وسألت عن المكان إلا ذا مكان^(١٣).

بيان: أحلت أي تكلمت بالمحال.

٩٥-الكافي: عن محمد بن الحسن بن سهل بن زياد عن محمد بن إسماعيل عن محمد بن زيد قال جئت إلى الرضا^(١٤) أسأله عن التوحيد فأملى علي الحمد لله فاطر الأشياء إنشاء و مبتدعها ابتداء^(١٥) بقدرته و حكمته لا من شيء فيبطل الاختراع و لا لعل فلا يصح الابتداع^(١٦) الخبر.

العلل: عن محمد بن علي ماجيلويه عن محمد بن يحيى العطار عن سهل مثله^(١٧).

التوحيد: عن محمد بن الحسن بن الصغار عن سهل مثله^(١٨).

٩٦-الكافي: عن علي بن إبراهيم عن محمد بن خالد الطيالسي عن صفوان عن ابن مسكان عن أبي بصير قال سمعت أبا عبد الله^(١٩) يقول لم يزل الله عز وجل ربنا و العلم ذاته و لا معلوم و السمع ذاته و لا مسموع و البصر ذاته و لا مبصر و القدرة ذاته و لا مقدور فلما أحدث الأشياء وقع العلم منه على المعلوم و السمع على المسموع و البصر على المبصر و القدرة على المقدور قال قلت فلم يزل الله متحركا قال فقال تعالى الله عن ذلك إن الحركة صفة محدثة بالفعل قال^(٢٠) قلت فلم يزل الله متكلما قال^(٢١) فقال إن الكلام صفة محدثة ليست بأزلية كان الله عز وجل ولا متكلما^(٢٢).

(١) في المصدر: «أحمد بن محمد بن عيسى».

(٢) التوحيد ص ١٧٣ باب ٢٨، حديث ٢.

(٣) الكافي ج ١ ص ٨٩ باب الكون و المكان، حديث ٥.

(٤) الكافي ج ١ ص ٩٠ باب الكون و المكان، حديث ٧.

(٥) في المصدر: «أبتداء».

(٦) الكافي ج ١ ص ١٠٥ باب النهي عن الجسم و الصورة، حديث ٣.

(٧) علل التراجع ج ١ ص ٩ باب ٩، حديث ٣.

(٨) التوحيد ص ٩٨ باب ٦، حديث ٥.

(٩) من المصدر.

(١٠) من المصدر.

(١١) من المصدر.

(١٢) من المصدر.

(١٣) من المصدر.

(١٤) من المصدر.

(١٥) من المصدر.

(١٦) من المصدر.

(١٧) من المصدر.

(١٨) من المصدر.

(١٩) من المصدر.

(٢٠) من المصدر.

(٢١) من المصدر.

(٢٢) من المصدر.

التوحيد: عن محمد بن علي ماجيلويه عن علي بن إبراهيم مثله. (١٦)

١٦٢
٥٧

٩٧- الكافي: عن محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال سمعته يقول كان الله ^(١٧) ولا شيء غيره و لم يزل عالما ^(١٨) فعلمه به قبل كونه كعلمه به بعد كونه. (١٩)

٩٨- ومنه: عن محمد بن يحيى عن سعد بن عبد الله عن محمد بن عيسى عن أيوب بن نوح أنه كتب إلى أبي الحسن عليه السلام يسأله عن الله عز وجل أكان يعلم الأشياء قبل أن خلق الأشياء وكونها أو لم يعلم ذلك حتى خلقها وأراد خلقها وكونها فعلم ما خلق عند ما خلق و ما كون عند ما كون فوق بخطه عليه السلام لم يزل الله عالما بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء كعلمه بالأشياء بعد ما خلق الأشياء. ^(٢٠)

التوحيد: عن أحمد بن محمد بن يحيى عن أبيه مثله. (٢١)

٩٩- الكافي: عن علي بن محمد عن سهل بن زياد عن جعفر بن محمد بن حمزة قال كتبت إلى الرجل عليه السلام أسأله أن مواليك اختلفوا في العلم فقال بعضهم لم يزل الله عالما قبل فعل الأشياء و قال بعضهم لا نقول لم يزل عالما لأن معنى يعلم يفعل فإن أثبتنا العلم فقد أثبتنا في الأزل معه شيئا فإن رأيت جعلني الله فداك أن تعلمني من ذلك ما أقف عليه و لا أجوزه فكتب عليه السلام بخطه لم يزل الله تعالى عالما تبارك و تعالى ذكره. (٢٢)

بيان: قد مر شرح هذا الخبر و يدل زائدا على ما سبق في الأخبار على أنه كان معلوما عند الأصحاب أنه لا يجوز أن يكون شيء مع الله في الأزل و لما توهما أن العلم يستلزم حصول صورة نقوا العلم في الأزل لئلا يكون معه تعالى غيره قياسا على الشاهد فلم يتعرض عليه السلام لإبطال توهمهم و أثبت العلم القديم له تعالى و بالجملة هذه الأخبار صريحة في أن المخلوقات كلها مسبوقة بعدم يعلمها سبحانه في حال عدها.

١٦٣
٥٧

١٠٠- الكافي: عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن الحسين بن سعيد عن القاسم بن محمد عن عبد الصمد بن بشير عن فضيل سكرة قال قلت لأبي جعفر عليه السلام جعلت فداك إن رأيت أن تعلمني هل كان الله جل وجهه يعلم قبل أن يخلق الخلق أنه وحده فقد اختلف مواليك فقال بعضهم قد كان يعلم قبل أن يخلق شيئا من خلقه و قال بعضهم إنما معنى يعلم يفعل فهو اليوم يعلم أنه لا غيره قبل فعل الأشياء فقالوا إن أثبتنا أنه لم يزل عالما بأنه لا غيره فقد أثبتنا معه غيره في أزليته فإن رأيت يا سيدي أن تعلمني ما لا أعدوه إلى غيره فكتب ما زال الله عالما تبارك و تعالى ذكره. ^(٢٣)

التوحيد: عن أحمد بن محمد بن يحيى العطار عن أبيه مثله. (٢٤)

١٠١- الكافي: عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن الحسين بن سعيد عن النضر بن سويد عن عاصم بن حميد عن أبي عبد الله عليه السلام قال قلت لم يزل الله مريدا قال إن المريد لا يكون إلا لمراد معه لم يزل الله عالما قادرا ثم أراد. ^(٢٥)

١٠٢- ومنه: عن أحمد بن إدريس عن الحسين بن عبد الله عن محمد بن موسى بن عمرو و الحسن بن علي بن عثمان عن ابن سنان قال سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام هل كان الله عز وجل عارفا بنفسه قبل أن يخلق الخلق قال نعم قلت يراها و يسمعها قال ما كان محتاجا إلى ذلك لأنه لم يكن يسألها و لا يطلب منها هو نفسه و نفسه هو قدرته نافذة فليس يحتاج أن يسمى نفسه لكن ^(٢٦) اختار لنفسه أسماء لغيره يدعو بها ^(٢٧) الخير.

١٦٤
٥٧

-
- (١٥) الكافي ج ١ ص ١٠٧ باب صفات الذات، حديث ١.
(١٧) في المصدر إضافة: «عز وجل».
(١٩) الكافي ج ١ ص ١٠٧ باب صفات الذات، حديث ٢.
(٢١) التوحيد ص ١٤٥ باب ١١، حديث ١٣.
(٢٣) الكافي ج ١ ص ١٠٨ باب صفات الذات، حديث ٦.
(٢٤) التوحيد ص ١٤٥ باب ١١، حديث ١١، وفي: «فضيل بن سكرة» بدل «فضيل سكرة».
(٢٥) الكافي ج ١ ص ١٠٩ باب الإرادة أنها من صفات الفعل و سائر صفات الفعل، حديث ١.
(٢٦) الكافي ج ١ ص ١١٣ باب حدوث الأسماء، حديث ٢.
(٢٧) في المصدر: «ولكنه».

التوحيد والعيون ومعاني الأخبار: عن أبيه عن أحمد بن إدريس مثله. (١)

١٠٣- الكافي: محمد بن يحيى ومحمد بن (٢) عبد الله جميعا رفعاه إلى أبي عبد الله (عليه السلام) أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قام خطيبا فقال الحمد لله الواحد الأحد الصمد المتفرد الذي لا من شيء كان ولا من شيء خلق ما كان إلى قوله ولم يتكأده صنع شيء كان إنما قال لما شاء كن فكان ابتدع ما خلق بلا مثال سبق ولا تعب ولا نصب وكل صانع شيء فمن شيء صنع والله لا من شيء صنع ما خلق وكل عالم فمن بعد جهل تعلم والله لم يجهل ولم يتعلم أحاط بالأشياء علما قبل كونها فلم يزد بكونها علما علمه قبل أن يكونها كعلمه بها (٣) بعد تكوينها إلى قوله الواحد الأحد الصمد المبيد للأبد والوارث للأمد الذي لم يزل ولا يزال وحدانيا أزليا قبل بدء الدهور وبعد صروف الأمور (٤) الخير.

ثم قال الكليني ره هذه الخطبة من مشهورات خطبه (عليه السلام) حتى لقد ابتدأها العامة وهي كافية لمن طلب علم التوحيد إذا تدبرها وفهم ما فيها إلى أن قال ألا ترون إلى قوله لا من شيء كان ولا من شيء خلق ما كان فنفي بقوله لا من شيء كان معنى الحدوث وكيف أوقع على ما خلقه (٥) صفة الخلق والاختراع بلا أصل ولا مثال نفيا لقول من قال إن الأشياء كلها محدثة بعضها من بعض وإبطالا لقول الثنوية الذين زعموا أنه لا يحدث شيئا إلا من أصل ولا يدبر إلا باحتذاء المثل (٦) فدفع (عليه السلام) بقوله لا من شيء خلق ما كان جميع حجج الثنوية وشبههم لأن أكثر ما تعتمد الثنوية في حدوث العالم أن يقولوا لا يخلو من أن يكون الخالق خلق الأشياء من شيء أو من لا شيء فقولهم من شيء خطأ وقولهم من لا شيء مناقضة وإحالة لأن من يوجب شيئا ولا شيء ينفيه فأخرج أمير المؤمنين (عليه السلام) هذه اللفظة على أبلغ الألفاظ وأصحها وقال (عليه السلام) لا من شيء خلق ما كان فنفي من إذ كانت توجب شيئا ونفي الشيء إذ كان كل شيء مخلوقا محدثا لا من أصل أحدثه الخالق كما قالت الثنوية إنه خلق من أصل قديم فلا يكون تدبير إلا باحتذاء مثال (٧).

التوحيد: عن علي بن أحمد الدقاق عن محمد الأسدي وأحمد بن يحيى بن زكريا القطان عن بكر بن عبد الله بن حبيب عن تميم بن بهلول عن أبيه عن أبي معاوية عن الحصين بن عبد الرحمن عن أبيه وعن أحمد بن محمد بن الصقر عن محمد بن العباس بن بسام عن سعيد بن محمد البصري عن عمرة بنت أوس (٨) عن الحصين بن عبد الرحمن عن أبيه عن الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) مثله. (٩)

١٠٤- الكافي: وعنه عن محمد بن أبي عبد الله رفعه عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال قال أمير المؤمنين (عليه السلام) لذعبل إن ربي لطيف اللطافة لا يوصف باللفظ (١٠) قبل كل شيء لا يقال شيء قبله إلى قوله لا تحويه الأماكن ولا تضمنه الأوقات إلى قوله سبق الأوقات كونه والعدم وجوده والابتداء أزله إلى قوله ففرق بين قبل وبعد ليعلم أن لا قبل له ولا بعد له وشاهده بفرائضها أن لا غريزة لمفرزها مخبرة بتوقيتها أن لا وقت لموقيتها حجب بعضها عن بعض ليعلم أن لا حجاب بينها وبين خلقه كان ربا إلا لا مربوب وإله إلا لا مألوه وعالما إلا لا معلوم وسميعا إلا لا مسموع. (١١)

بيان: ظاهر قوله (عليه السلام) ففرق بين قبل وبعد أنه سبحانه ليس بزمان أصلا ويحتمل أن يكون المعنى جعل حدوث كل شيء متوقفا بوقت ليعلم أنه لا ابتداء لوجوده أو جعل الأشياء بعضها علنة لبعض ليعلم أن لا علنة له وهما بعيدان والأخير أبعد وكذا قوله أن لا وقت لموقيتها ظاهره نفي الزمان وإن احتمل الوجه الثاني وكذا قوله أولا لا تضمنه الأوقات يدل على ذلك وإن احتمل أن يراد به لم يكن قبله وبعد زمان فيكون قد تضمنه وقد مر الكلام في قوله سبق الأوقات كونه ودلالة سائر الفقرات على حدوث ما سواه سبحانه ظاهرة.

١٠٥- الكافي: عن علي بن محمد عن سهل بن زياد عن شباب الصيرفي عن علي بن سيف بن عميرة عن إسماعيل

(١) التوحيد ص ١٩١ و ١٩٢ باب ٢٩، حديث ٤، و عيون الأخبار ج ١ ص ١٢٩ ومعاني الأخبار ص ٢ باب معنى الاسم، حديث ٢، مع اختلاف في الروايات ففي التوحيد والعيون: «المسين بن عبيد الله» بدل «المسين بن عبد الله»، وفي التوحيد والعيون ومعاني الأخبار: «الحسن بن علي بن أبي عثمان» بدل «الحسن بن علي بن عثمان» وفي العيون: «موسى بن عمر» بدل «موسى بن عمرو».

(٢) في المصدر إضافة: «أبي».

(٣) كلمة: «بها» ليست في المصدر.

(٤) في المصدر: «علني ما أحدثه».

(٥) الكافي ج ١ ص ١٣٦ باب جوامع التوحيد.

(٦) في المصدر: «مثال».

(٧) في نسختين من المصدر: «بنت أويس».

(٨) في المصدر إضافة: «إلى قوله».

(٩) الكافي ج ١ ص ١٢٨ باب جوامع التوحيد، حديث ٤.

بن قتيبة عن أبي عبد الله عليه السلام قال خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس بالكوفة فقال الحمد لله الملهم عباده حمده و فاطرهم على معرفة ربوبيته الدال على وجوده بخلقه و بحدوث خلقه على أنزه إلى قوله و لا أمد لكونه و لا غاية لبقائه.^(١)

١٠٦- قال: و رواه محمد بن الحسين عن صالح بن حمزة عن فتح بن عبد الله مولى بني هاشم قال كتبت إلى أبي إبراهيم عليه السلام أسأله عن شيء من التوحيد فكتب إلي بخطه الحمد لله الملهم عباده حمده و ذكر مثل ما رواه سهل إلى قوله أول الديانة معرفته و كمال معرفته توحيده و كمال توحيده نفي الصفات عنه بشهادة كل صفة أنها غير الموصوف و شهادة الموصوف أنه غير الصفة و شهادتهما جميعاً بالتثنية الممتنع منه الأزل إلى قوله عالم إذ لا معلوم و خالق إذ لا مخلوق و رب إذ لا مروب و كذلك يوصف ربنا و فوق ما يصفه الوصفون.^(٢)

التوحيد: عن علي بن أحمد الدقاق عن محمد بن جعفر الأسدي عن محمد بن إسماعيل البرمكي عن علي بن عباس عن جعفر بن محمد الأشعري عن فتح بن يزيد الجرجاني عن الرضا عليه السلام مثله.^(٣)

١٠٧- الكافي: عن عدة من أصحابه عن أحمد بن محمد بن خالد عن أبيه عن أحمد بن النضر و غيره عن ذكره عن عمرو بن ثابت عن رجل سماء عن أبي إسحاق السبيعي عن الحارث الأعور قال خطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال الحمد لله الذي لا يموت و لا تنقضي عجائبه لأنه كل يوم هو في شأن من إحداث بدیع لم يكن إلى قوله ليست له^(٤) في أوليته نهاية و لا آخريته حد و لا غاية الذي لم يسبقه وقت و لم يتقدمه زمان إلى قوله الأول قبل كل شيء و لا قبل له و الآخر بعد كل شيء و لا بعد له إلى قوله أتقن ما أراد خلقه من الأشياء كلها لا بمثال سبق إليه و لا لغوب دخل عليه في خلق ما خلق لديه ابتداء ما أراد ابتداءه و أنشأ ما أراد إنشاءه على ما أراد من الشقلين^(٥) ليعرفوا بذلك ربوبيته^(٦) الخطبة.

التوحيد: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد بن خالد مثله.^(٧)

١٠٨- تفسير الفرات: عن جعفر بن محمد القزاري بإسناده عن قبيصة الجعفي قال دخلت على الصادق عليه السلام و عنده جماعة فسلمت و جلست و قلت أين كنتم قبل أن يخلق الله سماء مبنية و أرضاً مدحية أو ظلمة أو نوراً^(٨) قال يا قبيصة كنا أشباح نور حول العرش نسبح الله قبل أن يخلق آدم بخمسة عشر ألف عام^(٩) الخير.

١٠٩- كتاب تأويل الآيات: نقل من كتاب المعراج للصدوق ره بإسناده عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يخاطب علياً عليه السلام يا علي إن الله تبارك و تعالى كان و لا شيء معه فخلقني و خلقك زوجين^(١٠) من نور جلاله فكنا أمام عرش رب العالمين نسبح الله و نقدره و نحمده و نهله و ذلك قبل أن يخلق^(١١) السماوات و الأرضين^(١٢) الخير.

١١٠- كتاب المقتضب: عن سلمان الفارسي ره قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله يا سلمان خلقتني الله من صفاء نوره فدعاني فأطعته فخلق^(١٣) من نوري علياً فدعا^(١٤) فأطاعه فخلق من نوري و نور علي فاطمة فدعاها فأطاعته فخلق مني و من علي و من فاطمة الحسن و الحسين فدعاها فأطاعاه ثم خلق^(١٥) من نور الحسين تسعة أئمة فدعاهم فأطاعوه قبل أن يخلق الله سماء مبنية أو أرضاً مدحية أو هواء أو ماء أو ملكاً أو بشراً و كنا نعلمه أنواراً نسبحه و نسمع له و نطيع^(١٦) الخير.

الاختصاص: بإسناده إلى سلمان مثله.^(١٧)

١١١- كتاب رياض الجنان: لفضل الله الفارسي بإسناده عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله خلقنا الله نحن حيث لا سماء مبنية و لا أرض مدحية و لا عرش و لا جنة و لا نار كنا نسبحه^(١٨) الخير.

- (١) الكافي ج ١ ص ١٣٩ باب جوامع التوحيد، حديث ٥.
- (٢) الكافي ج ١ ص ١٤٠ باب جوامع التوحيد، حديث ٦.
- (٣) التوحيد ص ٥٦، باب ٢، حديث ١٤.
- (٤) كلمة: «له» ليست في المصدر.
- (٥) في المصدر إضافة: «من الجن والإتس».
- (٦) الكافي ج ١ ص ١٤١ باب جوامع التوحيد، حديث ٧.
- (٧) التوحيد ص ٣٩ باب ٢، حديث ١.
- (٨) في المصدر: «وطوداً أو ظلمة و نوراً».
- (٩) تفسير فرات الكوفي ص ٥٥٢ رقم ٧٠٧.
- (١٠) في بعض النسخ من المصدر: «روحين».
- (١١) في المصدر: «خلق».
- (١٢) تأويل الآيات الظاهرة ص ٧٤٩.
- (١٣) في بعض النسخ في المصدر: «وخلق» بدل «فخلق» في المواضع الثلاثة.
- (١٤) في المصدر إضافة: «التي طاعته».
- (١٥) في المصدر إضافة: «منا و».
- (١٦) مقتضب الآخر ص ٦ باختصار.
- (١٧) الاختصاص ص ٢٠٧ و ٢٠٨.
- (١٨) لم نشر على كتاب رياض الجنان هذا.

١١٢- وبإسناده إلى جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قال قال يا جابر كان الله ولا شيء غيره ولا معلوم ولا مجهول فأول ما ابتدأ من خلق خلقه أن خلق محمد عليه السلام وخلق أهل البيت معه من نور عظمته فأوقفنا اظلة خضراء بين يديه حيث لا سماء ولا أرض ولا مكان ولا ليل ولا نهار ولا شمس ولا قمر يفصل نورنا من نور ربنا كشعاع الشمس من الشمس نسبح الله ونقدسه ونحمده ونعبده حق عبادته ثم بدا لله أن يخلق المكان فخلقها وكتب على المكان لا إله إلا الله محمد رسول الله علي أمير المؤمنين وصيه به أيده ونصرته ثم خلق الله العرش فكتب على سرادقات العرش مثل ذلك ثم خلق الله السماوات فكتب على أطرافها مثل ذلك ثم خلق الجنة والنار فكتب عليهما مثل ذلك ثم خلق الملائكة فأسكنهم السماء ثم خلق الهواء فكتب عليه مثل ذلك ثم خلق الجن فأسكنهم الهواء ثم خلق الأرض فكتب على أطرافها مثل ذلك فبذلك يا جابر قامت السماوات بغير عمد وثبتت الأرض ثم خلق الله آدم من أديم الأرض ثم ساق الحديث الطويل إلى قوله فنحن أول خلق الله وأول خلق عبد الله وسبحه ونحن سبب الخلق وسبب تسييحهم وعبادتهم من الملائكة والآدميين ^(١) تمام الخبر.

١١٣- وبإسناده عن المفضل أنه سأل الصادق عليه السلام ما كنتم قبل أن يخلق الله السماوات والأرضين قال كنا أنوارا حول العرش نسبح الله ونقدسه حتى خلق الله سبحانه الملائكة ^(٢) الخبر.

١١٤- وعن أحمد بن حنبل عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الرحمن قبل أن يخلق عرشه بأربعة عشر ألف عام ^(٣).

١١٥- وبإسناده إلى الصدوق وبإسناده إلى عبد الله بن المبارك عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام قال قال أمير المؤمنين عليه السلام إن الله خلق نور محمد صلى الله عليه وآله قبل المخلوقات بأربعة عشر ألف سنة وخلق معه اثني عشر حجاباً ^(٤).

١١٦- وبإسناده عن جابر بن عبد الله قال قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله أول شيء خلق الله تعالى ما هو فقال نور نبيك يا جابر خلقه الله ثم خلق منه كل خير ^(٥) الخبر بطوله.

١١٧- وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله أول ما خلق الله نوري ففتق منه نور علي ثم خلق العرش واللوح والشمس وضوء النهار ونور الأبصار والعقل والمعرفة ^(٦) الخبر.

١١٨- كتاب الوصية للمسعودي بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام قال خطب فقال الحمد لله الذي توحيد بصنع الأشياء وفطر أجناس البرايا على غير أصل ولا مثال سبقه في إنشائها ولا أعانه معين على ابتدائها بل ابتداعها بلطف قدرته فامتثلت بمشيئته ^(٧) خاضعة ذليلة مستحذنة لأمره الواحد الأحد الدائم بغير حد ولا أمد ولا زوال ولا نفاذ وكذلك لم يزل ولا يزال لا تغيره الأزمنة ولا تحيط به الأمكنة ولا تبلغ صفاته الألسنة ولا يأخذه نوم ولا سنة لم تره العيون فتخبر عنه برؤية ولم تهجم عليه العقول فتوهم كنه صفته ولم تدرك كيف هو إلا بما أخبر عن نفسه ليس لقضائه مرد ولا لقوله مكذب ابتدع الأشياء بغير تفكر ولا معين ولا ظهير ولا وزير فطرها بقدرته وصيرها إلى مشيئته فصاغ ^(٨) أشباحها وبرأ أرواحها واستنبت أجناسها خلقاً مبروءاً مذروءاً في أطوار السماوات والأرضين لم يأت بشيء على غير ما أراد أن يأتي عليه ليري عبادته آيات جلاله وآلانه فسيحانه لا إله إلا هو الواحد القهار وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليماً اللهم فمن جهل فضل محمد صلى الله عليه وآله فاني مقر بأنك لا سطحت أرضاً ولا برأت خلقاً حتى أحكمت خلقه من نور سبقت به السلالة وأنشأت له آدم جزماً فأدعته منه قراراً مكيناً ومستودعاً مأموناً إلى آخر الخطبة الطويلة ^(٩).

١١٩- الكافي: عن عدة من أصحابه عن أحمد بن محمد بن خالد عن أبيه عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال المشية محدثة ^(١٠).

(١) لم نثر على الرياض هذا. (٢) لم نثر على الرياض هذا.

(٣) لم نثر على الرياض هذا. (٤) لم نثر على الرياض هذا.

(٥) لم نثر على الرياض هذا. (٦) لم نثر على الرياض هذا.

(٧) في المصدر: «لمشيته». (٨) في المصدر: «صيرها بمشيئته وصاغ».

(٩) إنبات الوصية ص ١٢٣.

(١٠) الكافي ج ١ ص ١١٠ باب الإرادة من صفات الفعل وسائر صفات الفعل. حديث ٧.

بيان: إذا كانت المشية محدثة وجميع الأشياء موجودة بالمشية فهي أولى بالحدوث.

١٢٠-المتنجد: في دعاء يوم الأحد أنت الله الحي الأول الكائن قبل جميع الأمور والمكون لها بقدرتك والعالم بمصادرها كيف تكون أنت الذي سموت بعركك في الهواء لعلو مكانك و سددت الأبصار عنه بسلامة نورك واحتجبت عنهم بعظيم ملكك وتوحدت فوق عرشك بقهرك وسلطانك ثم دعوت السماوات إلى طاعة أمرك فأجبن مدعيات إلى دعوتك واستقرت على غير عمد من خيفتك وزينتها للناظرين وأسكنتها العباد المسيحين وفتت الأرضين فسطحتها لمن فيها مهادا وأرسيتهما بالجيال أوتادا فرسخ سخنها^(١) في الثرى وعلت ذراها في الهواء فاستقرت على الرواسي الشامخات وزينتها بالنبات وخفتت عنها بالإحياء والأموات^(٢) إلى آخر الدعاء.

١٢١- وفي دعاء ليلة الإثنين وعلوت بعركك على العالمين وأعمرت سماواتك بالملائكة المقربين وعلمت تسبيح الأولين والآخرين وانقادت لك الدنيا والآخرة بأزمتهما وحفظت السماوات والأرض بمقاليدهما^(٣) وأدعنت لك بالطاعة ومن فوقها وأبت حمل الأمانة من شفقتها وقامت بكلماتك في قرارها واستقام البحرين مكانهما واختلف الليل والنهار كما أمرتهما وأحصيت كل شيء منها عددا وأحطت بهما علما خالق الخلق ومصطفيه ومهيمنه ومنشئه وبارئه وذارته أنت كنت وحدك لا شريك لك إله واحد وكان عرشك على الماء من قبل أن تكون أرض ولا سماء ولا شيء مما خلقت فيها^(٤) بعزتك كنت تدعى^(٥) بديعا مبتدعا كينونا كائنا مكونا كما سميت نفسك ابتدأت^(٦) الخلق بعظمتك وديرت أمورهم بعلمك إلى آخر الدعاء^(٧).

١٢٢- وفي دعاء ليلة الثلاثاء يجول حول^(٨) أركان عرشك النور والوقار من قبل أن تخلق السماوات والأرض وكان عرشك على الماء وكريسيك يتوقد نورا وسراذك سراقق النور والعظمة والإكليل المحيط به هيكل السلطان والعزة والمدحة لا إله إلا أنت رب العرش العظيم إلى آخر الدعاء^(٩).

١٢٣- وفي دعاء ليلة الخميس خلقت^(١٠) خلقك فكل مشيتك أنتك بلا لغوب وكان عرشك على الماء والظلمة على الهواء والملائكة يحملون عرشك عرش النور والكرامة يسبحون بحمدك إلى قوله كنت قبل جميع خلقك^(١١).

١٢٤- الإقبال: في دعاء ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان لا إله إلا الله مدبر الأمور ومصرف الدهور وخالق الأشياء جميعا بحكمته دالة على أزليته وقدمه^(١٢) الدعاء.

١٢٥- وفي وداع شهر رمضان نقلا من كتب الدعوات الحمد لله الذي لا يدرك العلماء علمه إلى قوله خلق خلقه من غير أصل ولا مثال بلا تعب ولا نصب ولا تعليم ورفع السماوات الموطودات بلا أصحاب ولا أعوان وبسط الأرض على الماء^(١٣) بغير أركان علم بغير تعليم وخلق بلا مثال علمه بخلق قبل أن يكونهم كعلمه بهم بعد تكوينه لهم إلى قوله الحمد لله الذي كان إذ لم تكن أرض مدحية ولا سماء مبنية ولا جبال مرسية ولا شمس تجري ولا قمر يسري ولا ليل يدجي ولا نهار يضحي إلى آخر الدعاء^(١٤).

١٢٦- بإسناده عن التلعكبري بإسناده إلى أيامن^(١٥) بن سلمة عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام في دعاء يوم عرفة أنت الكائن قبل كل شيء والمكون لكل شيء إلى قوله الحمد لله الذي كان عرشه على الماء حين لا شمس تضيء ولا قمر يسري ولا بحر يجري ولا رياح تذري ولا سماء مبنية ولا أرض مدحية ولا ليل يجن ولا نهار يكن ولا عين تتبع ولا صوت يسمع ولا جبل مرسى ولا سحب منشأ ولا إنس مبروء ولا جن مذروء ولا ملك كريم ولا شيطان رجيم ولا ظل ممدود ولا شيء معدود^(١٦).

(٢) مصباح المتنجد ص ٤٤٤.

(٤) في المصدر: «فيها».

(٦) في المصدر: «ابتدعت».

(٨) في المصدر: «فحول» بدل «يجول حول».

(١٠) في المصدر إضافة: «جميع».

(١٢) إقبال الأعمال ج ١ ص ٤٥٩ باب ٢٥ مقطع من الدعاء.

(١٤) إقبال الأعمال ج ١ ص ٤٣٦ - ٤٣٧ باب ٣٤ ملخصاً.

(١٦) إقبال الأعمال ج ٢ ص ١٢٠ و ١٢٢ و ١٢٣ باب ٣ ملخصاً.

(١) في المصدر: «سختها».

(٣) في المصدر: «بمقاليدها».

(٥) في المصدر إضافة: «قديماً».

(٧) مصباح المتنجد ص ٥٩١.

(٩) مصباح المتنجد ص ٤٦١.

(١١) مصباح المتنجد ص ٤٨٠ - ٤٨١.

(١٣) في المصدر: «على الهواء».

(١٥) في المصدر: «أياس بن سلمة الأكوخ عن أبيه».

و في دعاء آخر ليوم عرفة و لك الحمد قبل أن تخلق شيئا من خلقك و على بدء ما خلقت إلى انتضاء خلقك. (١)
١٢٧- و في دعاء الأضحى برواية مرسله و أنت البديع قبل كل شيء. (٢)

بيان: ولا نهار يكن بضم الياء و كسر الكاف أي يدعو إلى الكن لحرارة الشمس في الصباح كنتت الشيء سترته و صنته من الشمس (٣) أو يفتح الكاف أي يستر بظلمة الليل أو يفتح الباء و كسر الكاف أي يستر الناس بظنونه كأنه لباس لهم لإحاطته بهم و الكنة بالكسر البياض أيضا أو بتخفيف النون من الوكن وهو السير الشديد أو من وكن الطائر ببيضه يكنه أي حضنه ولا يخلو أكثرها من بعد.

١٢٨- البلد الأمين: من أدعية الأسبوع للسجدة الحمد لله الأول قبل الأشياء و الأحياء. (٤)

١٢٩- و عن أمير المؤمنين عليه السلام الحمد لله الذي لا من شيء كان (٥) و لا من شيء كون ما كان مستشهدا (٦)
بحدوث الأشياء على أزليته و بظهورها على قدمته كفى بإتقان الصنع له آية و بحدوث الفطر عليه قدمه. (٧)

١٣٠- و في دعاء ليلة السبت الأول الكائن و لم يكن شيء من خلقك أو يعاين شيء من ملكك إلى قوله خلقت السماوات و الأرض فراشا و بناء فسويت السماء منزلا رضيته لجلالك و وقارك و عزتك و سلطانك ثم جعلت فيها كرسيك و عرشك إلى قوله و أنت الله الحي قبل كل شيء (٨) و القديم قبل كل قديم. (٩)

١٣١- المهجج [مهج الدعوات] و البلد: عن الكاظم عليه السلام كنت إذ لم تكن شيء و كان عرشك على الماء إذ لا سماء مبنية و لا أرض مدحية و لا شمس تضيء و لا قمر يجري و لا كوكب دري و لا نجم يسري و لا سحابة منشأة و لا دين معلومة و لا آخره مفهومة و تبقى وحدك (١٠) كما كنت وحدك علمت ما كان قبل أن يكون. (١١)

١٣٢- الخصال و معاني الأخبار: بإسناده المتصل إلى سفیان الثوري عن الصادق عن آبائه عن علي عليه السلام قال إن الله تبارك و تعالى خلق نور محمد قبل أن يخلق السماوات و الأرض و العرش و الكرسي و اللوح و القلم و الجنة و النار قبل أن يخلق آدم و نوحا و إبراهيم و إسماعيل و إسحاق و يعقوب و موسى و عيسى و داود و سليمان و قبل أن يخلق الأنبياء كلهم بأربعمئة ألف سنة و أربع و عشرين ألف سنة (١٢) إلى آخر الخبر.

١٣٣- العلل للصديق: بإسناده إلى معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه و آله قال إن الله خلقتني و عليا و فاطمة و الحسن و الحسين قبل أن يخلق الدنيا بسبعة آلاف عام قلت فآين كنتم يا رسول الله قال قدام العرش نسبح الله ونحمده و نقده و نمجده قلت على أي مثال قال أشباح نور (١٣) الخبر.

١٣٤- نفسير فوات بن إبراهيم: بإسناده عن أبي ذر ر في خبر طويل في وصف المعراج ساقه إلى أن قال قلت يا ملائكة ربي هل تعرفونا حق معرفتنا فقالوا يا نبي الله و كيف لا نعرفكم و أنتم أول ما خلق الله خلقكم أشباح نور من نوره و جعل لكم مقاعد في ملكوت سلطانه و عرشه على الماء قبل أن تكون السماء مبنية و الأرض مدحية ثم خلق السماوات و الأرض (١٤) في ستة أيام ثم رفع العرش إلى السماء السابعة فاستوى على عرشه و أنتم أمام عرشه تسبحون و تقدسون و تكبرون ثم خلق الملائكة من بدو ما أراد من أنوار شتى (١٥) الخبر.

١٣٥- النهج: [نهج البلاغة] فمن خطبة له عليه السلام يذكر فيه ابتداء خلق السماوات و الأرض و خلق آدم عليه السلام الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون و لا يحصي نعمه (١٦) العادون و لا يؤدي حقه المجتهدون الذي لا يدركه بعد الهمم و لا

(١) إقبال الأعمال ج ٢ ص ١٦٤ باب ٣ مقطع من الدعاء. (٢) إقبال الأعمال ج ٢ ص ٢٢٦ باب ٤ مقطع من الدعاء.

(٣) الصالح ج ٤ ص ٢١٨٩.

(٤) البلد الأمين ص ٨٧.

(٥) في المصدر: «مستشهد».

(٦) في المصدر: «حي» بدل «شيء».

(٧) في المطبوعة: «ولا دين» و ما اقتباه في المصدرين.

(٨) في المصدر: «ولا دين» و ما اقتباه في المصدرين.

(٩) في المصدر: «ولا دين» و ما اقتباه في المصدرين.

(١٠) في المصدر: «ولا دين» و ما اقتباه في المصدرين.

(١١) في المصدر: «ولا دين» و ما اقتباه في المصدرين.

(١٢) في المصدر: «ولا دين» و ما اقتباه في المصدرين.

(١٣) في المصدر: «ولا دين» و ما اقتباه في المصدرين.

(١٤) في المصدر: «ولا دين» و ما اقتباه في المصدرين.

(١٥) في المصدر: «ولا دين» و ما اقتباه في المصدرين.

(١٦) في المصدر: «ولا دين» و ما اقتباه في المصدرين.

(١) إقبال الأعمال ج ٢ ص ١٦٤ باب ٣ مقطع من الدعاء.

(٢) إقبال الأعمال ج ٢ ص ٢٢٦ باب ٤ مقطع من الدعاء.

(٣) الصالح ج ٤ ص ٢١٨٩.

(٤) في المصدر: «مستشهد».

(٥) في المصدر: «حي» بدل «شيء».

(٦) في المصدر: «ولا دين» و ما اقتباه في المصدرين.

(٧) في المصدر: «ولا دين» و ما اقتباه في المصدرين.

(٨) في المصدر: «ولا دين» و ما اقتباه في المصدرين.

(٩) في المصدر: «ولا دين» و ما اقتباه في المصدرين.

(١٠) في المصدر: «ولا دين» و ما اقتباه في المصدرين.

(١١) في المصدر: «ولا دين» و ما اقتباه في المصدرين.

(١٢) في المصدر: «ولا دين» و ما اقتباه في المصدرين.

(١٣) في المصدر: «ولا دين» و ما اقتباه في المصدرين.

(١٤) في المصدر: «ولا دين» و ما اقتباه في المصدرين.

(١٥) في المصدر: «ولا دين» و ما اقتباه في المصدرين.

(١٦) في المصدر: «ولا دين» و ما اقتباه في المصدرين.

يناله غوص الثفن الذي ليس نصفه حد محدود ولا نعت موجود ولا وقت معدود ولا أجل ممدود فطر الخلائق بقدرته ونشر الرياح برحمته وتبد بالصخور ميدان أرضه أول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيد كمال توحيد الإخلاص له وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه ومن ثناه فقد جزأه ومن جزأه فقد جهله^(١) ومن أشار إليه فقد حده ومن حده فقد عده ومن قال قيم فقد ضمنه ومن قال علام فقد أخلى منه كائن لا عن حدث موجود لا عن عدم مع كل شيء لا بمقارنته وغير كل شيء لا بمزايلة فاعل لا بمعنى الحركات والآلة بصير إذ لا منظور إليه من خلقه متوحد إذ لا سكن يستأنس به ولا يستوحش لفقده أنشأ الخلق إنشاء وابتدأه ابتداء بلا روية أجالها ولا تجربة استفادها ولا حركة أحدثها ولا هامة نفس اضطرب فيها أحال الأشياء لأوقاتها ولا م بين مختلفاتها وعرز غرائزها وأزما أشباحها عالما بها^(٢) قبل ابتدائها ومحيطا بحدودها وانتهائها عارفا بقرائنها وأحائها ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء وشق الأرجاء وسكانك الهواء فأجرى فيها ماء متلاطما تياره متراكما زخاره حملة على متن الريح العاصفة والزعرع القاصفة فأمرها برده وسلطها على شده وقرنها على^(٣) حده الهواء من تحتها فتق والماء من فوقها دقيق ثم أنشأ سبحانه ريحا اعتقم مهبها وأدام مربها وأعصف مجراها وأبعد منشأها فأمرها بتصفيق الماء الزخار وإثارة موج البحار فمخضته مخض السقاء وعصفت به عصفها بالقضاء ترد أوله على آخره وساجيه على مائره حتى عب عبابه ورمى بالزبد ركامه فرفعه في هوا منتفق وجو منفق فسوى منه سبع سماوات جعل سفلاهن موجا مكفوقا وعليهن سقفا محفوظا وسمكا مرفوعا بغير عمد يدعما ولا دسار ينتظمها ثم زينها بزينة الكواكب وضيء التواقب فأجرى فيها سراجا مستطيرا وقمرأ منيرا في فلك دائر وسقف سائر ورقم مائر ثم فتق ما بين السماوات العلى فلأهن أطوارا من ملائكة منهم سجود لا يركعون وركوع لا ينتصبون وصافون لا يتزايلون ومسبحون لا يسأمون لا يغشاهم نوم العيون ولا سهو العقول ولا فترة الأبدان ولا غفلة النسيان ومنهم أمناء على وحيه وأسنه إلى رسله ومختلفون بقضائه وأمره ومنهم الحفظة لعباده والسدنة لأبواب جنانهم ومنهم الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم والمارقة من السماء العليا أعناقهم والخارجة من الأقطار أركانهم والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم ناكسة دونهم^(٤) أبصارهم متلفعون تحته بأحتجتهم مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة وأستار القدرة لا يتوهمون ربهم بالتصوير ولا يجرون عليه صفات المصنوعين ولا يحدونه بالأماكن ولا يشيرون إليه بالنظار.^(٥)

مطالب السؤل: لابن طلحة مثله بأدنى تغيير.^(٦)

إيضاح: قد مضى شرح أكثر فقرات هذه الخطبة في كتاب التوحيد ونشر هنا إلى بعض ما يناسب المقام المدحة بالكسر الحالة التي تكون المادح عليها في مدحه والإضافة للاختصاص الخاص أي المدحة اللائقة بعزة جلاله ولعل المراد عجز جميع القائلين وإن اجتمعوا والاجتهاد السعي البليغ في العبادة وظاهر قوله ولا وقت معدود ولا أجل ممدود نفي الزمان مطلقا عنه تعالى كالمكان ويمكن حملهما على الأزمنة المعدودة المتناهية ولعل الأول للماضي والثاني للمستقبل والفطر الابتداء والاختراع وأصله الشق ونشر الرياح بسطها وكل ما جاء في القرآن بلفظ الرياح فهو للرحمة وما ورد في العذاب فهو بلفظ المفرد ولعل إشارة إلى قلة العذاب وسعة الرحمة ويمكن أن يراد بالرحمة هذا المطر كما قال سبحانه ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾^(٧) وقرئ بالياء والنون وقيل زعمت العرب أن السحاب لا تلقح إلا من رياح مختلفة فيمكن أن يكون المراد بالنشر ذلك وقال الفراء النشر من الرياح الطبية اللينة التي تنشى السحاب^(٨) والتعميم أولى لأن رياح الرحمة كثيرة منها اللواقح وسهيجة السحب الماطرة و

(١) في المصدر إضافة: «و من جهله فقد أشار إليه».

(٢) من المصدر.

(٣) في المصدر: «إلى» بدل «على».

(٤) نهج البلاغة ص ٣٩-٤٣، خطبة ١.

(٥) مطالب السؤل ج ١ ص ١٦١، علما بأنه تأتي الخطبة تقرأ عن نهج البلاغة ص ٣٩-٤٣.

(٦) معاني القرآن ج ١ ص ٣٨١.

(٧) سورة الأعراف، آية: ٥٧.

الحابسة لها بين السماء والأرض والعاصرة لها حتى تمطر والمجرية للجواري في البحار وغيرها وتود الشيء بالتخفيف أي جعله محكما مثبتا بالتود والصخور جمع الصخرة وهي الحجر العظيم الصلب والميدان بالتحريك التحرك والاضطراب وقد مر تحقيق ذلك وسيأتي بعضه.

وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه لعل مناسبة الإخلاص لنفي الصفات أن الإخلاص في العبادة بالنظر إلى عامة الخلق هو أن لا يقصدوا في عبادتهم غيره تعالى من المخلوقين والنظر إلى الخواص أن يعرفوا الله بحسب وسعهم وطاقتهم بالوحدانية ثم يعبدونه فمن عبد الله وحده بزعمه وزعم أن له صفات زائدة فلم يعبد إلها واحدا بل ألهة كثيرة بل لم يعبد الله أصلا. كما مر في الخبر من عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك ومن عبد المعنى بإيقاع الأسماء عليه بصفاته التي وصف بها نفسه فعقد عليه قلبه ونطق به لسانه في سر أمره وعلايته فأولئك أصحاب أمير المؤمنين حقا. وقال ابن ميثم المراد بالمعرفة المعرفة التامة التي هي غاية العارف في مراتب السلوك وأوليئها في العقل لكونها علّة غائية وبين الترتيب بأن المعرفة تتراد بالعبادة وتلقى الأوامر بالقبول فيستعد السالك أولا بسببها للتصديق بوجوده يقينا ثم لتوجيهه ثم للإخلاص له ثم لنفي ما عداه عنه فيغرق في تيار بحار العظمة وكل مرتبة كمال لما قبلها إلى أن تتم المعرفة المطلوبة له بحسب ما في وسعه وبكمال المعرفة يتم الدين وينتهي السفر إلى الله تعالى^(١) وما ذكرنا أنسب كما لا يخفى.

كائن لا عن حدوث موجود لا عن عدم ظاهره الاختصاص به سبحانه وحدث ما سواه وكذا قوله ﷺ متوحد إذ لا سكن يستأنس به يدل على حدوث العالم والإنشاء الخلق والفرق بينه وبين الابتداء بأن الإنشاء كالخلق أعم من الابتداء قال تعالى ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ﴾^(٢) والابتداء الخلق من غير سبق مادة ومثال وإن لم يفهم هذا الفرق من اللغة لحسن التقابل حينئذ وإن أمكن التأكيد وهامة النفس اهتمامها بالأمور وقصدها إليها والاضطراب الحركة والحركة في الهامة الانتقال من رأي إلى رأي أو من قصد أمر إلى قصد أمر آخر يحصل صورة وفي بعض النسخ ولا همة نفس بالكسر.

أحال الأشياء لأوقاتها في أكثر النسخ بالحاء المهملة إما من الإحالة بمعنى التحويل أي نقل كلا منها إلى وقتها فاللام بمعنى إلى والتعليل كما قيل بعيد وإما من قولهم حال في متن فرسه أي وثب فعدى بالهزمة أي أقر الأشياء في أوقاتها كمن أحال غيره على فرسه كما قيل ولا يخفى بعده ولعله بمعنى الحوالة المعروفة أظهر وفي بعض النسخ الصحيحة بالجيم كأنه سبحانه حرك الأشياء ورددتها في العدم حتى حضر وقتها وفي الاحتجاج^(٣) أجل بالجيم المشددة أي آخر ولام بين مختلفاتها أي جعلها ملتزمة مؤتلفة كما ألف بين العناصر المتخالفة في الطباع وبين النفوس والأبدان وغرز غرازها وأزرها أسناخها الغريزة الخلق والطبيعة والسنخ بكسر السين وسكون النون الأصل وفي بعض النسخ أشباحها جمع الشبح محرّكة أي أشخاصها وتغريز الفرائز إيجادها أو تخصيص كل غريزة خاصة لها أو من تغريز العود في الأرض ليشر على ما قيل والضمير المنصوب في أزرها راجع إلى الأشياء كالسوايق والمعنى جعلها بحيث لا يفارقها أصولها أو جعل الأشخاص لازمة للكليات على النسخة الأخيرة أو راجع إلى الفرائز أي جعل كل ذي غريزة أو كل شخص بحيث لا يفارقه غريزته غالبا أو مطلقا.

عالمها قبل ابتدائها العامل في عالمها وما بعدها إما ألزم أو الأفعال الثلاثة الأخيرة على الترتيب أو الأربعة أو العامل في الجميع قوله أنشأ وابتدأ بقرينة قوله قبل ابتدائها.

محيطا بحدودها وانتهائها لعل المراد بالحدود الأطراف والتشخيصات أو الحدود الذهنية وبالانتهاء الانتهاء اللازم للمحدود أو انقطاع الوجود عارفا بقرائن أي ما يقترن بها على وجه

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ج ١ ص ١٢١ ملخصاً.

(٢) سورة الرحمن، آية: ١٤.

(٣) راجع الإحتجاج ج ١ ص ٤٧٤.

التركيب أو المجاورة أو العروض وأحناها هي جمع حنو أي الجانب وأحناء الوادي معاطفه ويدل على جواز إطلاق العارف عليه سبحانه ومنعه بعضهم ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء وشق الأرجاء وسكانك الهواء الفتق بالفتح الشق والجو ما بين السماء والأرض وقيل الفضاء الواسع والأرجاء جمع الرجا مقصورا وهي الناحية والسكاك والسكاكة بضمهما الهواء الملاقي غنان السماء وقال في النهاية السكاك والسكاكة الجو وهو ما بين السماء والأرض. ومنه حديث علي عليه السلام شق الأرجاء وسكانك الهواء. وسكانك جمع سكاكة كذؤابة وذوئب^(١) والهواء بالمد ما بين السماء والأرض ويقال كل خال هواء ومنه قوله تعالى ﴿وَأَفْتَدَتْهُمْ هَوَاءٌ﴾^(٢) وكلمة ثم هنا إما للترتيب الذكري والتدرج في الكلام يكون لوجوه منها الانتقال من الإجمال إلى التفصيل ومنها الاهتمام بتقديم المؤخر أو المقارن لوجه آخر ويستعمل الفاء أيضا كذلك كما مر مرارا وإما بمعنى الواو المفيدة لمطلق الجمع كما قيل في قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَهْتَدَى﴾^(٣) وعلى التقديرين لا ينافي كون الماء أول المخلوقات كما سيأتي والمراد بفتق الأجواء إيجاد الأجسام في الأمكنة الخالية بناء على وجود المكان بمعنى البعد وجواز الخلاء أو المراد بالجو البعد الموهوم أو أحد العناصر بناء على تقدم خلق الهواء كما هو الظاهر مما سنورده من تفسير علي بن إبراهيم وهذا الكلام لا تصريح فيه بالصادر الأول وسيأتي الكلام فيه إن شاء الله وقوله وشق الأرجاء كالتفسير لفتق الأجواء أو المراد بالأرجاء الأمكنة والأفضية وبالأجواء عنصر الهواء وقوله وسكانك الهواء بالنصب كما في كثير من النسخ معطوف على فتق الأجواء أي أنشأ سبحانه سكانك الهواء والبحر كما في بعض النسخ أظهر عطفا على الأجواء أي أنشأ فتق سكانك الهواء قال ابن ميثم فإن قلت إن الأجواء والأرجاء وسكانك الهواء أمور عدمية فكيف تصح نسبتها إلى الإنشاء عن القدرة قلت إن هذه الأشياء عبارة عن الخلاء والأحياء والخلاف في أن الخلاء والحيز والمكان هل هي أمور وجودية أو عدمية مشهور فإن كانت وجودية كانت نسبتها إلى القدرة ظاهرة ويكون معنى فتحها وشقها شق عدم عنها وإن كانت عدمية كان معنى فتحها وشقها ونسبتها إلى القدرة تقديرها وجعلها أحياءا للماء ومقرها لها^(٤) لأنه لما كان تميزها عن مطلق الهواء والخلاء بإيجاد الله فيها الماء صار تعيينها بسبب قدرته تعالى فتصح نسبتها إلى إنشائه فكان^(٥) سبحانه شقها وفتحها بحصول الجسم فيها.

وروي أن زرارة وهشاما اختلفا في الهواء أهو مخلوق أم لا فرجع بعض موالي جعفر بن محمد عليه السلام إليه ذلك فقال له إني متحير وأرى أصحابنا يختلفون فيه فقال عليه السلام ليس هذا بخلاف يؤدي إلى الكفر والضلال. وأعلم أنه عليه السلام إنما أعرض عن بيان ذلك لأن أولياء الله الموكلين بإيضاح سبيله^(٦) وتثبيت خلقه على صراطه المستقيم لا يلتفتون بالذات إلا إلى أحد أمرين أحدهما ما يؤدي إلى الهدى أداء ظاهرا واضحا والثاني ما يصرف عن الضلال ويرد إلى سواء السبيل. وبيان أن الهواء مخلوق أو غير مخلوق لا يفيد كثير فائدة في أمر المعاد فلا يكون الجهل به مما يضر في ذلك فكان تركه^(٧) والاشتغال بما هو أهم منه أولى^(٨).

فأجرى فيها ماء متلاطما تياره متراكما زخاره اللطم في الأصل الضرب على الوجه باطن الراحة وتلاطمت الأمواج ضرب بعضها كأنه يلطمه والتيار موج البحر ولجته وتراكم الشيء اجتمع وزخر البحر مد وكثر ماؤه وارتفعت أمواجه أي أنه سبحانه خلق الماء المتلاطم الزخار في الأمواج وخلاه وطبعه أولا فجرى في الهواء ثم أمر الريح برده وشده كما يدل عليه قوله عليه السلام بعد ذلك حتى تظهر قدرته.

حمله على متن الريح العاصفة والزعرع القاصفة المتن من كل شيء ما ظهر منه والمتن من الأرض

(٢) سورة إبراهيم، آية: ٤٣.

(٤) في المصدر: «له».

(٦) في المصدر: «سبيله».

(٨) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ج ١ ص ١٤٠ - ١٤١.

(١) النهاية: ج ٢ ص ٣٨٥.

(٣) سورة طه: آية: ٨٢.

(٥) في المصدر: «فكأنه».

(٧) في المصدر: «ترك بيانه» بدل «تركه».

ما ارتفع منه و صلب و عصفت الريح اشتد هبوبها و الزعزعة تحريك الشيء ليقلمه و يزيله و ربح زعزع و زعازع أي يزعزع الأشياء و قصفه كضربه قصفا كسره و قصف الرد و غيره اشتد صوته أي جعل الريح حال قصفها حاملة له فكان متحركا بحركتها أو جعل الريح التي من شأنها المصف و القصف و هذه الريح غير الهواء المذكور أولا كما سيأتي. في قول الصادق عليه السلام في جواب الزنديق الريح على الهواء و الهواء تمسكه القدرة. فيمكن أن تكون مقدمة في الخلق عليه أو متأخرة عنه أو مقارنته له و يمكن أن يكون المراد بها ما تحرك منه كما هو المشهور.

فأمرها برده و سلطها على شدة و قرنها إلى حده أي أمر الريح أن تحفظ الماء و ترده بالمنع عن الجري الذي سبقت الإشارة إليه بقوله فأجرى فيها ماء فكان قبل الرد قد خلى و طبعه أي عن الجري الذي يقتضيه طبعه و قواها على ضبطه كالشيء المشدود و جعلها مقرونة إلى انتهائه محيطه به و لعل المراد بالأمر هنا الأمر التكويني كما في قوله ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١) و قوله ﴿كُونُوا قِرَدَةً﴾^(٢) قال الكيديرى^(٣) قوله فأمرها مجاز لأن الحكيم لا يأمر الجماد به^(٤) الهواء من تحتها فتيق و الماء من فوقها دقيق أي الهواء الذي هو محل الريح مفتوق أي مفتوح منبسط من تحت الريح الحاملة للماء و الماء دقيق من فوقها أي مصبوب مندق و الغرض أنه سبحانه بقدرته ضبط الماء المصبوب بالريح الحاملة له كما ضبط الريح بالهواء المنبسط و هو موضع العجب.

ثم أنشأ سبحانه ريحا اعتمقم مهبها و أدام مرهبها الظاهر أن هذه الريح غير ما جعلها الله محلا للماء بل هي مخلوقة من الماء كما سيأتي في الرواية و الاعتقام أن تحفر البئر فإذا قربت من الماء احتفرت بئرا صغيرا بقدر ما تجد طعم الماء فإن كان عذبا حفرت بقيتها و يكون اعتمقم بمعنى صار عقيما و منه الرِّيحُ العَقِيمُ و في العين الاعتقام الدخول في الأمر و قال ابن ميثم تبعاً للكيديرى^(٥) الاعتقام الشد و العقد^(٦) و لم تجده في كتب اللغة و المهب مصدر بمعنى الهبوب أو اسم مكان و على الأول في الإسناد توسع و رب يأتي بمعنى جمع و زاد و لزم و أقام قيل المعنى أن الله تعالى أرسلها بمقدار مخصوص تقتضيه الحكمة و لم يرسلها مطلقا بل جعل مهبها ضيقا كما يحفر البئر الصغير في الكبير و قيل المعنى جعلها عقيمة لا تلحق و هذا إنما يصح لو كان الاعتقام بهذا المعنى متعديا أو كان مهبها مرفوعا و في النسخ منصوب و قيل و روي أعقم فيصح و يحتمل أن يكون بمعنى شد مهبها و عقده على ما تقتضيه الحكمة و المصلحة و قيل على تقدير كون اعتمقم بالثاء المراد أنه أدخل مهبها من العوائق و أنه أرسلها بحيث لا يعرف مهبها من مرهبها و هو كما ترى و معنى إدامة مرهبها جعلها ملازمة لتحريك الماء و إدامة هبوبها و في بعض النسخ مذهبها بالدال أي جريها.

و أعصف مجراها أي جريانها أو أسند إلى المحل مجازا و أبعد منشأها أي أنشأها من مبدأ بعيد و لعل أدخل في شدتها و المنشأ في بعض النسخ بالهمزة على الأصل و في بعضها بالآلف للازدواج فأمرها بتصفيق الماء الزخار الصفق الضرب الذي يسمع له صوت و التصفيق أيضا كذلك لكن مع شدة و إثارة. موج البحار أي تهيجها فمخضته مخض السقاء المخض تحريك السقاء الذي فيه اللبن ليخرج زبده عصفها بالفضاء أي عصفها شديدا لأن العصف بالفضاء يكون أشد لعدم المانع و الساجي الساكن و المائر المتحرك يقال مار الشيء مورا أي تحرك و جاء و ذهب و به فسر قوله تعالى ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾^(٧) و قال الضحاک أي تموج موجا و العباب بالضم معظم الماء و كثرته و ارتفاعه و عب عبابه أي ارتفع و عب النبات إذا طال و ركام الماء بالضم ما تراكم منه و اجتمع بعضه فوق بعض.

فرقمه في هواء مفتق أي رفع الله ذلك الزبد بأن جعل بعضه دخانا في هواء مفتوق مفتوح بخلق ما

(١) سورة البقرة، آية: ٦٥.

(١١) سورة يس، آية: ٨٢.

(٢) في المطبوعة: «الكيديرى» ولم نعر عليه في حقائق الحقائق و عثرنا عليه في منهاج البراعة، وعلى هذا الأساس أقبنا «الراوندي» في المتن بدل «الكيديرى».

(٤) منهاج البراعة ج ١ ص ٥٨.

(٥) حقائق الحقائق ج ١ ص ١٢٩.

(٦) راجع شرح التلحاح لابن ميثم ج ١ ص ١٤٤.

(٧) سورة الطور، آية: ٩.

خلق سابقاً أو يرفع ذلك الدخان وفي جو منفهق والانفهاق الاتساع والانفتاح قال ابن ميثم إن القرآن الكريم نطق بأن السماء تكونت من الدخان وكلامه ﷻ ناطق بأنها تكونت من الزبد وما ورد في الخبر أن ذلك الزبد هو الذي تكونت منه الأرض فلا بد من بيان وجه الجمع بين هذه الإشارات فنقول وجه الجمع بين كلامه ﷻ وبين لفظ القرآن الكريم ما ذكره الباقر ﷻ وهو قوله فخرج^(١) من ذلك الموج والزبد دخان ساطع من وسطه من غير نار فخلق منه السماء ولا شك أن القرآن الكريم لا يريد بلفظ الدخان حقيقته لأن ذلك إنما يكون عن النار واتفق المفسرون على أن هذا الدخان لم يكن عن نار بل عن تنفس الماء وتبخيره بسبب تجمعه فهو إذا استعارة للبخار الصاعد من الماء وإذا كان كذلك فنقول إن كلامه ﷻ مطابق للفظ القرآن الكريم وذلك أن الزبد بخار يتصاعد على وجه الماء عن حرارة حركته إلا أنه ما دامت الكثافة غالبية عليه وهو باق على وجه الماء لم ينفصل فإنه يخص باسم الزبد وما لطف وغلب عليه الأجزاء الهوائية فانفصل خص باسم البخار وإذا كان الزبد بخاراً والبخار هو المراد بالدخان في القرآن الكريم كان مقصده ومقصد القرآن واحداً فكان البخار المنفصل هو الذي تكونت عنه^(٢) الأرض وهو الزبد وأما وجه المشابهة بين الدخان والبخار الذي صحت لأجله استعارة لفظه له فهو أمران أحدهما حسي وهو الصورة المشاهدة من الدخان والبخار حتى لا يكاد يفرق بينهما في الحس البصري والثاني معنوي وهو كون البخار أجزاء مائية خالطت الهواء بسبب لطافتها عن حرارة الحركة كما أن الدخان كذلك ولكن عن حرارة النار فإن الدخان أيضاً أجزاء مائية انفصلت عن جرم المحترق بسبب لطافتها عن حر النار فكان الاختلاف بينهما ليس إلا بالسبب فلذلك صح استعارة اسم أحدهما للآخر وبالله التوفيق. (٣)

جعل سفاهن موجاً مكفوفاً وعليهن سقفاً محفوظاً وسمكا مرفوعاً الكف المنع والسقف معروف وقال الجوهري^(٤) وغيره السقف اسم للسماء والمعروف هاهنا أنسب وسمك البيت سقفه وسمك الله السماء سمكا رفعها والمسموكات السماوات أي جعل السماء السفلى موجاً ممنوعاً من السيلان إما بإمسأكه بقدرته أو بأن خلق تحته وحوله جسماً جامداً يمنع عن الانتشار والسيلان أو بأن أجمدها بعد ما كانت سيالة وظاهر هذا الكلام وغيره من الأخبار اختصاص الحكم بالسماء الدنيا قال الكيدري رحمه الله شبه السماء الدنيا بالموج لصفائهما وارتفاعهما أو أراد أنها كانت في الأول موجاً ثم عقدها والمكفوف الممنوع من السقوط^(٥) وقال ابن ميثم شبهها بالموج في الارتفاع واللون الموهوم^(٦) وقيل شبهت به لارتداد الكواكب حساً ولعل المراد بحفظ العليا إمساكها عن النقص والهدم والسقوط والخرق إلا بأمره سبحانه وقال أكثر شارحين أي عن الشياطين وهو لا يناسب العليا بل السفلى ويناسب أن يكون المراد بقوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾^(٧) السماء العليا ويخطر بالبال وجه آخر وهو أن يكون المراد أنه تعالى جعل الجهة السفلى من كل من السماوات مواجهة متحركة واقعاً أو في النظر والجهة العليا منها سقفاً محفوظاً تستقر عليه الملائكة ولا يمكن للشياطين خرقها فيكون ضمير زينها وسائر الضمائر راجعة إلى المجموع فيناسب الآية المتقدمة وهو قوله سبحانه ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدًا﴾^(٨) وقد يمر بالخطر وجه آخر يناسب قواعد الهيئة وهو أنه ﷻ شبه السماء الدنيا بالموج المكفوف لكون الحركة الخاصة للقر أسرع من جميع الكواكب فكانه دائماً في الموج ومع ذلك لا تسقط وصف العليا بالمحفوظية لأنه أبطأها بالحركة الخاصة فكانها محفوظة ثابتة وعلى الطريقة السابقة يمكن أن يكون المراد بالسفلى من كل منها خوارج مراكزها وتداويرها وبالعليا

(١) في المصدر: «في خرج».

(٢) في المصدر إضافة: «السماوات والذي لم ينفصل هو الذي تكونت عنه».

(٤) الصراح ج ٣ ص ١٣٧٥.

(٥) شرح النهج لابن ميثم ج ١ ص ١٤١ - ١٤٢.

(٦) شرح النهج لابن ميثم ج ١ ص ١٤٧.

(٧) حدائق الحقائق ج ١ ص ١٣٠.

(٨) سورة الأنبياء، آية: ٧.

(٩) سورة الأنبياء، آية: ٣٢.

منها مثلثاتها فالأول مواجهة لسرعة حركتها و البواقي محفوظة لبطنها لكن هذان الوجهان بعيدان عن لسان الشرع ومقاصد أهله والوجه الأول مما أبدعنا لا يخلو من قوة ولطافة.

بغير عمد يدعها ولا دسار ينظمها العمد بالتحريك جمع كثرة لعمود البيت وكذا العمد بضميتين و جمع القلة أعمدة وقال الخليل في العين العمد بضميتين جمع عماد والأعمدة جمع عمود من حديد أو خشب^(١) و يظهر من تذكير الفعل أنه من أسماء الجمع والدعم بالفتح أن يعيل الشيء فتدعمه بدعاً كما تدعّم عروش الكرم ونحوه ليصير له مساكاً والدعامة الخشبة التي يدعم بها وفي أكثر النسخ على بناء المجرّد مفتوحة العين وهو أظهر وفي بعضها يدعمها بتشديد الدال على بناء الافتعال من الادعاع بمعنى الاتكاء والدسار بالكسر السمار و جمعه دسر ونظم اللؤلؤ جمعه في السلك وفي بعض النسخ ينظمها وهو أيضاً جاء متعدياً والضميران المنصوبان راجعان إلى السماوات أو إلى العليا أو إلى السفلى بقرينة قوله ثم زينها بزينة الكواكب حيث إن الظاهر إرجاع الضمير فيه إلى السفلى ليكون أوفق بقوله تعالى ﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾^(٢) لكنه بعيد لفظاً وإرجاع الضمير إلى الجميع أظهر وتزيين البعض تزيين للجميع وهذا مما يقرب الوجه الذي ذكرنا أولاً والزينة إما مصدر أو اسم ما يزان به كالليقة لما يلاق به أي يصلح به المداد قال في الكشف قوله تعالى ﴿بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ يحتملها فعلى الأول إما من إضافة المصدر إلى الفاعل بأن تكون الكواكب مزينة للأفلاك أو إلى المفعول بأن زين الله الكواكب وحسنها لأنها إنما زينت السماء لحسنها في أنفسها وعلى الثاني فأضافتها إلى الكواكب بيانية^(٣) وتوئين الزينة كما قرئت الآية به ليس موجوداً في النسخ وزينة الكواكب للسماء إما لوضوئها أو للأشكال الحاصلة منها كالثرى والجوزاء ونحوهما أو باختلاف أوضاعها بحركتها أو لرؤية الناس إياها مضئية في الليلة الظلماء أو للجميع وقوله تعالى ﴿بِتَضَائِيحِ﴾ في موضع آخر مما يؤيد بعض الوجوه وسيأتي القول في محال الكواكب في محله.

وضياء الثواقب المراد بها إما الكواكب فيكون كالتفسير لزينة الكواكب والكواكب ثواقب أي مضئية كأنها تنقب الظلمة بوضوئها أو الشهب التي ترمى بها الشياطين فتنبق الهواء بحركتها والظلمة بنورها فأجرى فيها سراجاً مستطيراً وقمرًا منيراً وفي بعض النسخ وأجرى بالواو والمراد بالسراج الشمس كما قال تعالى ﴿سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ قبل^(٤) لما كان الليل عبارة عن ظل الأرض وكانت الشمس سبباً لزواله كان شبيهاً بالسراج في ارتفاع الظلمة به والمستطير المنتشر الضوء واستطارت تفرق و سطع وأثار الشيء واستنار أي أضاء وقبل ما بالذات من النور ضوء وما بالعرض نور كما قال سبحانه ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾^(٥) وقيل لأن النور أضعف من الضوء والاحتمالات. في الضمانات السابقة جارية هنا وإن كان أظهر عند الأكثر رجوعه إلى السفلى.

في فلك دائر الطرف إما بدل عن فيها فيفيد حركة السفلى أو العليا أو الجميع على تقادير إرجاع الضمير بالحركة اليومية أو الخاصة أو الأعم وإما في موضع حال عن المنصوبين فيمكن أن يكون المراد بالفلك الدائر الأفلاك الجزئية والفلك بالتحريك كل شيء دائر ومنه فلكة المغزل بالنسكين ويقال فلك ثدي المرأة تقليداً إذا استدار.

وسقف سائر ورقيم مائر الرقيم في الأصل الكتاب فاعيل بمعنى مفعول قال ابن الأثير منه حديث علي رضي الله عنه في صفة السماء سقف سائر ورقيم مائر يريد به وشي السماء بالنجوم^(٦) والمائر المتحرك وليس هذا بالمور الذي قال الله تعالى ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾^(٧) وهاتان الفقرتان أيضاً تدلان على حركة السماء لكن لا تنافي حركة الكواكب بنفسها أيضاً كما هو ظاهر الآية.

(٢) سورة الصافات، آية: ٦.

(٤) سورة الفرقان، آية: ٦١.

(٦) النهاية ج ٢ ص ٢٥٤.

(١) كتاب العين ج ٢ ص ٥٧.

(٣) الكشف ج ٤ ص ٣٤.

(٥) سورة يونس، آية: ٥.

(٧) سورة الطور، آية: ٩.

ثم فتق ما بين السماوات العلوى فملاهن أطوارا من ملائكته الظاهر أن كلمة ثم للترتيب المعنوي فيكون فتق السماوات بعد خلق الشمس والقمر بل بعد جعلها سبعا وخلق الكواكب فيه و يحتمل أن يكون للترتيب الذكري والظاهر أن المراد بفتقها فصل بعضها عن بعض فيؤيد بعض محتلات الآية كما أشرنا إليه سابقا ويدل على بطلان ما ذهبه الفلاسفة إليه من تماس الأفلاك وعدم الفصل بينها بهواء ونحوه والأطوار جمع طور بالفتح وهو في الأصل التارة قال الله تعالى ﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ أَطْوَارًا﴾^(١) قيل أي طورا نقطة وطورا علقه وطورا مضغة وقيل أي حالا بعد حال وقيل أي خلقكم مختلفين في الصفات أغنياء وفقراء وزمنى وأصحاء ولعل الأخير هنا أنسب ولو كانت الملائكة مخلوقة قبل السماوات كما هو ظاهر بعض الأخبار الآتية فقبل فتقها كانوا في مكان آخر يعلمه الله.

منهم سجود لا يركعون وركوع لا ينتصبون وصافون لا يتزايلون ومسيحون لا يسأمون السجود والركوع هنا جمع ساجد وراكع وفاعل الصفة يجمع على فعول إذا جاء مصدره عليه أيضا والانتصاب القيام والصف ترتيب الجمع على خط كالصف في الصلاة والحرب وقال أبو عبيدة^(٢) كل شيء بين السماء والأرض لم يضم قطريه فهو صاف ومنه قوله تعالى ﴿وَ الطُّيُورُ صَافَاتٍ﴾^(٣) أي نشرت أجنحتها وبالوجهين فسر قوله تعالى ﴿وَ الصَّافَاتِ صَفًّا﴾^(٤) والتزاييل التباين والتفارق والسأمة الملالة والضجر.

لا يقشاهم نوم العيون ولا سهو العقول ولا فترة الأبدان ولا غفلة النسيان غشيه كعلمه إذا جاءه أي لا يعرضهم والفترة الانكسار والضعف وظاهر الكلام اختصاص الأوصاف بهذا الصف ويمكن أن يكون التخصيص بها جميعا أو ببعضها لأمر آخر غير الاختصاص ومنهم أمناء على وحيه الوحي في الأصل أن يلقي الإنسان إلى صاحبه شيئا بالاستتار والإخفاء ويكون بمعنى الكتابة والإشارة والرسالة والسنة إلى رسله أي رسلا إليهم كما قال تعالى ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾^(٥) و مختلفون بقضائه أي مقتضياته كما يأتون به في ليلة القدر وغيرها وأمره أي أحكامه أو الأمور المقدرة كما قال تعالى ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾^(٦) فالأحكام داخله في السابقتين ويمكن تخصيص الأخير بغير الوحي. أي يختلفون لتمشية قضائه وأمره وتسيب أسبابها.

ومنهم الحفظة لعباده لعل المراد غير الحافظين عليهم الذين ذكرهم الله في قوله ﴿وَإِنْ عَلَيْنَا لَخَافِطِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾^(٧) بل من ذكرهم بقوله سبحانه ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ يَمِينِهِ وَخَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(٨) ويمكن أن يكون المراد في كلامه الكاتبين للأعمال بتقدير مضاف وربما يفهم من بعض الأخبار اتحاد الصنفين والسدنة لأبواب الجنان هم المتولون لأموال الجنان وفتح أبوابها وأغلقها وأصل السدنة في الكعبة وبيت الأصنام.

ومنهم الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم وفي بعض النسخ في الأرض أقدامهم وهو أظهر والجمع على الأول إما باعتبار القطعات والباق أو لأن كلا من الأرضين السبع موضع قدم بعضهم والوصف على الأول بالقياس على سائر الطبقات وعلى الثاني بالقياس إلى السماء والمارقة أي الخارجة يقال مرق السهم من الرمية إذا خرج من الجانب الآخر من السماء العليا أي السابعة أعناقهم والخارجة من الأقطار أي من جوانب الأرض أو جوانب السماء أركانهم أي جوارحهم فهذا بيان لضخامتهم وعرضهم والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم لعل المراد بالمناسبة القرب والشبهاء في العظم ويمكن أن يراد بها التماس فالمراد بهم حملة العرش ناكسة دونه أي دون العرش أبصارهم والتناكس المطاطى رأسه وفي إسناده إلى الأبصار دلالة على عدم التفاهم في النكس

(١) سورة نوح، آية: ١٤.

(٢) هو: ممر بن المثنى البصري النحوي اللغوي المتوفي عام ٢٠٩ أو ٢١١ هـ.

(٣) سورة النور، آية: ٤١.

(٤) سورة الصافات، آية: ١.

(٥) سورة الحج، آية: ٧٥.

(٦) سورة الفرقان، آية: ١٠ و ١١.

(٧) سورة الرعد، آية: ١١.

يمينا وشمالا متلفعون تحته بأجنحتهم اللفاح ثوب يجلب به الجسد كله كساء كان أو غيره وتلفع بالثوب إذا اشتمل به وبين من دونهم أي سائر الملائكة أو البشر أو الجن أو الأعم وفي بعض النسخ ناكسة ومضروبة ومتلفعين بنصب الجميع.

لا يتوهمون ربه بالتصوير أي بأن يشبوا لله صورة والغرض تقديس الملائكة عن إثباتهم لوازم الجسمية والإمكان له سبحانه والتعريض والتوبيخ للمشبهين من البشر والنظائر جمع نظيرة وهي المثل والشبه في الأشكال والأخلاق والأفعال والنظير المثل في كل شيء وفي بعض النسخ بالنواظر أي بالأبصار أي لا يجوزون عليه الرؤية وفي بعضها بالمواطن أي الأمكنة.

١٣٦- النهج: تهج البلاغة في وصية أمير المؤمنين عليه السلام للحسن عليه السلام قال ولكنه إله واحد كما وصف نفسه ولا يضافه في ملكه أحد ولا يزول أبداً ولا يزل أولاً ^(١) قبل الأشياء بلا أولية وآخر ^(٢) بعد الأشياء بلا نهاية ^(٣).

١٣٧- تأويل الآيات الظاهرة: نقلا من كتاب الواحدة عن الحسن بن عبد الله الكوفي عن جعفر بن محمد البجلي ^(٤) عن أحمد ^(٥) بن حميد عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال قال أمير المؤمنين عليه السلام إن الله تبارك وتعالى أحد واحد تفرد ^(٦) في وحدانيته ثم تكلم بكلمة فصارت نورا ثم خلق بذلك ^(٧) النور محمداً عليه السلام وخلقني وذررتي ثم تكلم بكلمة فصارت روحا فأسكنه الله في ذلك النور وأسكنه في أبداننا فتحن روح الله وكلماته وبنا احتجب عن خلقه فما زلنا في ظلة خضراء حيث لا شمس ولا قمر ولا ليل ولا نهار ولا عين تطرف نعبده ونقدسه ونمجده ^(٨) ونسبحه قبل أن يخلق الخلق ^(٩) الخبر.

١٣٨- مصباح الأنوار: بإسناده عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله قال إن الله خلقني وخلق عليا وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق آدم حين لا سماء مبنية ولا أرض مدحية ولا ظلمة ولا نور ولا شمس ولا قمر ولا نار ^(١٠) فقال العباس فكيف كان بدء خلقكم يا رسول الله فقال يا عم لما أراد الله أن يخلقنا تكلم بكلمة فخلق منها نورا ثم تكلم بكلمة أخرى فخلق منها روحا ثم خلط ^(١١) النور بالروح فخلقني وخلق عليا ^(١٢) وفاطمة والحسن والحسين فكانت نسبه حين لا تسبيح ونقدسه حين لا تقديس فلما أراد الله تعالى أن ينشئ خلقه ^(١٣) فتق نوري فخلق منه العرش فالعرش من نوري ^(١٤)، ونوري من نور الله ونوري أفضل من ^(١٥) العرش ثم تقق نور أخني علي فخلق منه الملائكة فالملائكة ^(١٦) من نور علي ونور الله وعلي ^(١٧) أفضل من الملائكة ثم تقق نور ابنتي فخلق منه ^(١٨) السماوات والأرض فبالسماوات والأرض من نور ابنتي فاطمة ونور ابنتي فاطمة من نور الله وابتني فاطمة أفضل من السماوات والأرض ثم تقق نور ولدي الحسن وخلق منه ^(١٩) الشمس والقمر فالشمس والقمر من نور ولدي الحسن ونور الله والحسن أفضل من الشمس والقمر ثم تقق نور ولدي الحسين فخلق منه الجنة والحدود العين فبالجنة والحدود العين من نور ولدي الحسين ونور الله ولدي الحسين أفضل من نور الجنة والحدود العين ^(٢٠) الخبر.

١٣٩- الكافي: عن أحمد بن إدريس عن حسين بن عبيد الله ^(٢١) عن محمد بن عيسى ومحمد بن عبد الله عن

(١) في المصدر: «لا» بدل «ولا».

(٢) في المصدر: «آخر».

(٣) في المصدر إضافة: «عن أحمد بن محمد البرقي، عن عبد الرحمن بن أبي نجران».

(٤) في المصدر: «عاصم» بدل «أحمد».

(٥) في بعض النسخ من المصدر: «من تلك».

(٦) تأويل الآيات الظاهرة ص ١٢١.

(٧) في المصدر: «ولا جنة ولا نار ولا شمس ولا قمر» بدل «ولا شمس ولا قمر ولا نار».

(٨) في المصدر: «فمزج» بدل «ثم خلط».

(٩) في المصدر: «الضئنة» بدل «خلقته».

(١٠) في المصدر: «خير من نور» بدل «أفضل من».

(١١) في المصدر: «و نور علي أخني» بدل «وعلي».

(١٢) في المصدر إضافة: «نور».

(١٣) في المصدر: «عبد الله».

(١٤) في المصدر: «أول».

(١٥) نهج البلاغة ص ٣٩٦، رسالة رقم ٣١.

(١٦) في المصدر: «وتفرد».

(١٧) عبارة: «ونمجد» ليست في المصدر.

(١٨) في المصدر: «وأخي علي» بدل «وخلق عليا».

(١٩) في المصدر: «من نور العرش فنور العرش من نوري».

(٢٠) في المصدر: «فمن نور الملائكة» بدل «فالملائكة».

(٢١) في المصدر إضافة: «نور».

(٢٢) مصباح الأنوار ج ١ ورقة ٥٦ باب الثالث باختلاف غير ما ذكر.

علي بن حديد عن مرزوم عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال الله تبارك الله و تعالى يا محمد إني خلقتك و عليا نورا يعني روحا بلا بدن قبل أن أخلق سماواتي و أرضي و عرشي و بحري فلم تزل تهللي و تمجديني ثم جمعت روحكما فجعلتهما واحدة فكانت تمجديني و تقدسني و تهلليني ثم قسمتها ثنتين و قسمت الثنتين ثنتين فصارت أربعة محمد واحد و علي واحد و الحسن و الحسين ثنتان ثم خلق الله فاطمة من نور ابتدأها روحا بلا بدن ثم مسحنا بيمينه فأضى نوره فيها.^(١)

بيان: بلا بدن أي أصلاً أو بلا بدن عنصري بل بدن مثالي و ظاهره تجسم الروح و ربما يؤول الخلق هنا بالتقدير قبل أن أخلق بحسب الزمان الموهوم و قيل بحسب الرتبة تهللي بلسان الجسد المثالي أو بلسان الحال ثم جمعت روحكما كأن المراد جعل مادة بدنهما في صلب آدم عليه السلام فكانت تمجديني أي بنفسها أو بتوسط الطينات المقدسات ثم قسمتها ثنتين أي في عبد المطلب إلى عبد الله و أبي طالب ثم قسم الثنتين بعد انتقالها إلى علي و فاطمة ثنتين أي في الحسنين كما تدل عليه أخبار كثيرة و قال بعض المحدثين من الأمور المعلوم أن جعل المجردين واحداً متنع و كذلك قسمة المجرد فينبغي حمل الروح هنا على آلة جسمانية نورانية منزهة عن الكثافة البدنية^(٢) و قال بعض الأفاضل المراد بخلق الروحين بلا بدن خلقهما مجردين و جمعهما و جعلهما واحدة جمعهما في بدن مثالي نوراني لاهوتي و بتقسيمهما تفريقهما و جعل كل واحد منهما في بدن شهودي جسماني و استحالة تعلق الروحين ببدن واحد إنما هي في الأبدان الشهودية لا في الأبدان المثالية اللاهوتية^(٣) انتهى.

وإطلاق المسح و اليمين هنا على الاستعارة إذ مرید اللطف بغيره بمسحه بيمينه أو اليمين كتابة عن الرحمة كما حققنا في قولهم عليه السلام و الخير في يديك^(٤) أنه يمكن أن يكون المعنى أن النفع و الضر الصادرين منك كليهما حكمة و مصلحة و رحمة فالتنع منسوب إلى اليمين و الضر إلى الشمال فأضى نوره فينا أي أوصله إلينا أو وصل إلينا و قيل اتسع فينا قال في المصباح الفضاء بالمد المكان الواسع و فضا المكان فضا من باب قد اتسع فهو فضاء و أفضى الرجل بيده إلى الأرض مسحاً بباطن راحته قال ابن فارس^(٥) و غيره و أفضى إلى امرأة بأشراها و جامعها و أفضيت إلى الشيء و وصلت إليه و السر^(٦) أعلمته به^(٧) انتهى و النور العلم و سائر الكلمات.

١٤٠- الكافي: عن الحسين بن محمد عن المعلى عن عبد الله بن إدريس عن محمد بن سنان قال كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فأجريت اختلاف الشيعة فقال يا محمد إن الله تبارك و تعالى لم يزل متفرداً بوحديته ثم خلق محمدًا و علياً و فاطمة فمكثوا ألف دهر ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها و أجرى طاعتهم عليها و فوض أمورها إليهم فهم يحلون ما يشاءون و يحرمون ما يشاءون و لن يشاءوا إلّا أن يشاء الله تبارك و تعالى ثم قال يا محمد هذه الديانة التي من تقدمها مرق و من تخلف عنها محق و من لزمها لحق خذها إليك يا محمد.^(٨)

١٤١- و منه: عن علي بن محمد عن سهل بن زياد عن محمد بن علي بن إبراهيم عن حماد عن المفضل قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام كيف كنتم حيث كنتم في الأظلة فقال يا مفضل كنا عند ربنا ليس عنده أحد غيرنا في ظلة خضراء نسبحة و تقدسه و نهله و نمجده و لا من^(٩) ملك مقرب و لا ذي روح غيرنا حتى بدا له في خلق الأشياء فخلق ما شاء كيف شاء من السلائكة و غيره ثم أنهى علم ذلك إلينا.^(١٠)

بيان: في الأظلة أي في عالم الأرواح أو المثال أو الذر كنا عند ربنا أي مقربين لديه سبحانه

(١) الكافي ج ١ ص ٤٤٠ مولد النبي عليه السلام و وفاته، حديث ٣. (٢) لم نعر على كتاب هذا المحدث.
(٣) لم نعر على كتاب هذا الفاضل.
(٤) راجع ج ١ ص ٣٦٧ من المطبوعة.
(٥) مجمل اللغة ج ٤ ص ١٠٣.
(٦) المصباح المنير ج ٢ ص ٤٧٦.
(٧) الكافي ج ١ ص ٤٤١ باب مولد النبي عليه السلام و وفاته، حديث ٥.
(٨) في المصدر: «وما من».
(٩) الكافي ج ١ ص ٤٤١ باب مولد النبي عليه السلام و وفاته، حديث ٧.

بالقرب المعنوي أو كنا في علمه وملحوظين بعنايته في طلة خضراء الظلة بالضم ما يستظل به و شيء كالصفة يستمر به من الحر والبرد ذكره الفيروز آبادي^(١) وكأن المراد ظلال العرش قبل خلق السماوات والأرض وقيل أي في نور أخضر والمراد تعلقهم بذلك العالم لا كونهم فيه ويحتمل أن يكون كناية عن معرفة الرب سبحانه كما سيأتي في باب العرش إن شاء الله أي كانوا مغشورين في أنوار معرفته تعالى مشعورين به إذ لم يكن موجود غيره وغيرهم حتى بدله في خلق الأشياء أي أراد خلقه ثم أنه أي أبغ وأوصل علم ذلك أي حقائق تلك المخلوقات وأحكامها إلينا.

١٩٧
٥٧
١٤٢-الكافي: عن أحمد بن إدريس عن الحسين بن عبد الله الصغير عن محمد بن إبراهيم الجعفري عن أحمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن عمر بن علي بن أبي طالب عن أبي عبد الله عليه السلام قال إن الله كان إذ لا كان فخلق الكان والمكان وخلق نور الأنوار الذي نورت منه الأنوار وأجرى فيه من نوره الذي نورت منه الأنوار وهو النور الذي خلق منه محمدا وعلياً فلم يزلوا نورين أولين إذ لا شيء كون قبلهما فلم يزلوا يسجريان طاهرين مطهرين في الأصلاب الطاهرة حتى افترقا في أظهر طاهرين في عبد الله وأبي طالب^(٢).

بيان: إذ لا كان يعني لم يكن شيء من الممكنات وكأنه مصدر بمعنى الكائن كالقيل والقال ولعل المراد بنور الأنوار أولا نور النبي صلى الله عليه وآله إذ هو منور أرواح الخلائق بالعلوم والكمالات والهدايات والمعارف بل سبب لوجود الموجودات وعلّة غائية لها وأجرى فيه أي في نور الأنوار من نوره الذي نورت منه الأنوار أي نور ذاته سبحانه من إفاضته وهداياته التي نورت منها الأنوار كلها حتى نور الأنوار المذكور أولا وهو النور أي نور الأنوار المذكور أولا إذ لا شيء كون قبلهما أي قبل نورهما الذي خلقا منه أو سوى ذلك النور أولا شيء من ذوات الأرواح أظهر طاهرين أي في زمانهما.

١٩٨
٥٧
١٤٣-الكافي: عن أحمد بن إدريس عن الحسين بن عبد الله عن محمد بن عبد الله عن محمد بن سنان عن الفضل عن جابر بن يزيد قال قال لي أبو جعفر عليه السلام يا جابر إن الله أول ما خلق خلق محمدا وعترته الهداة المهتدين فكانوا أشباح نور بين يدي الله قلت وما الأشباح قال ظل النور أبدان نورانية بلا أرواح وكان مؤيدا بنور واحد^(٣) وهي روح القدس فيه كان يعبد الله وعترته ولذلك خلقهم حلما علماء بررة أصفاء يعبدون الله بالصلاة والصوم والسجود والتسبيح والتهليل ويصلون الصلوات ويحجون ويصومون^(٤).

أقول: قد مضى شرح تلك الأخبار وما يضاهاها في المجلد السادس والسابع والتاسع والأخبار الدالة على أن أول الموجودات أرواحهم^(٥) كثيرة ويمكن الاستدلال بها على حدوث الجميع بانضمام ما سيأتي من الأخبار الدالة على أن الفاصلة بين خلق الأرواح والأجساد بزمان متناه إذ الزائد على المتناهي بزمان متناه يكون لا محالة متناهيا. ١٤٤- وقال أبو الحسن البكري^(٦) أستاذ الشهيد الثاني ره في كتاب الأنوار روي عن أمير المؤمنين أنه قال كان الله ولا شيء معه فأول ما خلق نور حبيبه محمد صلى الله عليه وآله قبل خلق الماء والعرش والكرسي والسماوات والأرض واللوح والقلم والجنة والنار والملائكة وآدم وحواء بأربعة وعشرين وأربعمائة ألف عام^(٧) فلما خلق الله تعالى نور نبينا محمد صلى الله عليه وآله بقي ألف عام بين يدي الله عز وجل واقفا يسبحه ويحمده والحق تبارك وتعالى ينظر إليه ويقول يا عبيدي أنت المراد والمريد^(٨) وأنت خيرتي من خلقي وعزتي وجلالي لولاك ما خلقت الأفلاك من أحبك أحبته ومن أبغضك أبغضته فتلا نوره وارتفع شعاعه فخلق الله منه اثني عشر حجابا أولها حجاب القدرة ثم حجاب العظمة ثم حجاب العزة ثم حجاب الهيبة ثم حجاب الجبروت ثم حجاب الرحمة ثم حجاب النبوة ثم حجاب الكبرياء ثم حجاب المنزلة ثم حجاب الرفعة ثم حجاب السعادة ثم حجاب الشفاعة ثم إن الله تعالى أمر نور رسول

(١) القاموس المحيط ج ٤ ص ١٠.

(٢) الكافي ج ١ ص ٤٤١ باب مولد النبي صلى الله عليه وآله ووفاته، حديث ٩.

(٣) في المصدر: «بروح واحدة بدل «بنور واحد».

(٤) هو أبو الحسن أحمد بن عبيد الله بن محمد البكري.

(٥) في المصدر: «والنار والحجاب والسحاب وآدم وحواء بأربعة آلاف عام».

(٦) في المصدر: «وأنا المريد».

الله ﷻ أن يدخل في حجاب القدرة^(١) فدخل وهو يقول سبحان العلي الأعلى وبقي على ذلك اثني عشر ألف عام ثم أمره أن يدخل في حجاب العظمة فدخل وهو يقول سبحان عالم السر وأخفى أحد عشر ألف عام ثم دخل في حجاب العزة وهو يقول سبحان الملك المنان عشرة آلاف عام ثم دخل في حجاب الهيبة وهو يقول سبحان من هو غني لا يفتر تسعة آلاف عام ثم دخل في حجاب الجبروت وهو يقول سبحان الكريم الأكرم ثمانية آلاف عام ثم دخل في حجاب الرحمة وهو يقول سبحان رب العرش العظيم سبعة آلاف عام ثم دخل في حجاب النبوة وهو يقول سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَشًا يَصِفُونَ ستة آلاف عام ثم دخل في حجاب الكبرياء وهو يقول سبحان العظيم الأعظم خمسة آلاف عام ثم دخل في حجاب المنزلة وهو يقول سبحان العليم الكريم أربعة آلاف عام ثم دخل في حجاب الرفعة وهو يقول سبحان ذي الملك والملكوت ثلاثة آلاف عام ثم دخل في حجاب السعادة وهو يقول سبحان من يزيل الأشياء ولا يزول أنفي عام ثم دخل في حجاب الشفاعة وهو يقول سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ألف عام.

قال الإمام علي بن أبي طالب ﷻ ثم إن الله تعالى خلق من نور محمد ﷺ عشرين بحرا من نور في كل بحر علوم لا يعلمها إلا الله تعالى. ثم قال لنور محمد ﷺ انزل في بحر العز فزل ثم في بحر الصبر ثم في بحر الخشوع ثم في بحر التواضع ثم في بحر الرضا ثم في بحر الوفاء ثم في بحر الحلم ثم في بحر التقى ثم في بحر الخشية ثم في بحر الإنابة^(٢) ثم في بحر العمل ثم في بحر المزيد ثم في بحر الهدى^(٣) ثم في بحر الصيانة ثم في بحر الحياة^(٤) حتى تقلب في عشرين^(٥) بحرا فلما خرج من آخر الأبحر قال الله تعالى يا حبيبي ويا سيد رسلي ويا أول مخلوقاتي ويا آخر رسلي أنت الشفيع يوم المحشر فخر النور ساجدا ثم قال^(٦) فقطرت منه قطرات كان عددها مائة ألف وأربعة وعشرين ألف قطرة فخلق الله تعالى من كل قطرة من نوره نبيا من الأنبياء فلما تكاملت الأنوار صارت تطوف حول نور محمد ﷻ كما تطوف الحجاج حول بيت الله الحرام وهم يسبحون الله ويحمدونه^(٧) ويقولون سبحان من هو عالم لا يجهل سبحان من هو عليم^(٨) لا يعجل^(٩) سبحان من هو غني لا يفترقنا فناداهم الله تعالى تعرفون من أنا فسبق نور محمد ﷻ قبل الأنوار ونادي أنت الله الذي لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك رب الأرباب وملك الملوك فإذا بالنداء من قبل الحق أنت صفوي وأنت حبيبي وأنت خير خلقي أمتك خير أمة أخرجت للناس ثم خلق من نور محمد ﷻ جوهرة وقسمها قسمين فنظر إلى القسم الأول بعين الهيبة فصار ماء عذبا ونظر إلى القسم الثاني بعين الشفقة فخلق منه العرش فاستوى على وجه الماء فخلق الكرسي من نور العرش وخلق من نور الكرسي اللوح وخلق من نور اللوح القلم وقال له اكتب توحيد^(١٠) بقي القلم ألف عام سكران من كلام الله تعالى فلما أفاق قال اكتب قال يا رب وما أكتب قال اكتب لا إله إلا الله محمد رسول الله فلما سمع القلم اسم محمد ﷻ خر ساجدا وقال سبحان الواحد القهار سبحان العظيم الأعظم^(١١) ثم رفع رأسه من السجود وكتب لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم قال يا رب ومن محمد الذي قرنت اسمه باسمك وذكره بذكرك قال الله تعالى له يا قلم فلولا ما خلقتك ولا خلقت خلقي إلا لأجله فهو بشير ونذير وسراج منير وشفيع وحبيب فعند ذلك انشق^(١٢) القلم من حلاوة ذكر محمد ثم قال القلم السلام عليك يا رسول الله فقال الله تعالى وعليك السلام مني ورحمة الله وبركاته فلأجل هذا صار السلام سنة والرد فريضة ثم قال الله تعالى اكتب قضائي وقدري وما أنا خالقه إلى يوم القيامة ثم خلق الله ملائكة يصلون على محمد وآل محمد ويستغفرون لأمته إلى يوم القيامة ثم خلق الله تعالى من نور محمد ﷻ الجنة وزينها بأربعة أشياء التعظيم والجلالة والسخاء والأمانة وجعلها لأوليائه وأهل طاعته ثم نظر إلى باقي الجوهرة بعين الهيبة فاذابت فخلق من دخانها السماوات ومن زيدها الأرضين فلما خلق الله تبارك وتعالى الأرض صارت تموج

(٢) في المصدر إضافة: «ثم في بحر العلم».

(٤) في المصدر إضافة: «ثم في بحر التقوى».

(٦) في المصدر: «قام وهو عرقان» بدل «قال».

(٨) في بعض النسخ المخطوطة: «حليم».

(٩) ساقطة من المصدر.

(١١) في المصدر إضافة: «والبحار».

(١) وقع هنا في المصدر سقط وكذا في ما بعد.

(٣) في المصدر: «الهناء» بدل «الهدى».

(٥) في المصدر: «في ثمانية وعشرين».

(٧) في المصدر: «يقصدونه» بدل «يحمدونه».

(٩) عبارة: «سبحان من هو عالم لم يجهل سبحان من هو عليم لا يعجل».

(١٠) في المصدر إضافة: «وعظمتي».

(١٢) في المصدر: «نطق» بدل «انشق».

بأهلها كالسفينة فخلق الله الجبال فأرساها بها ثم خلق ملكا من أعظم ما يكون في القوة فدخل تحت الأرض^(١) ثم لم يكن لقدمي الملك قرار فخلق الله صخرة عظيمة وجعلها تحت قدمي الملك ثم لم يكن للصخرة قرار فخلق لها ثورا عظيما لم يقدر أحد ينظر إليه لعظم خلقته وبريق عينه حتى لو وضعت البحار كلها في إحدى سمخيه ما كانت إلا كخردلة ملقاة في أرض فلاة فدخل الثور تحت الصخرة وحملها على ظهره وقرونه واسم ذلك الثور لهوتا ثم لم يكن لذلك الثور قرار فخلق الله له حوتا عظيما واسم ذلك الحوت بهموت فدخل الحوت تحت قدمي الثور فاستقر الثور على ظهر الحوت فالأرض كلها على كاهل الملك والملك على الصخرة والصخرة على الثور والثور على الحوت والحوت على الماء والماء على الهواء والهواء على الظلمة ثم انقطع علم الخلائق عما تحت الظلمة ثم خلق الله تعالى العرش من ضياءين أحدهما الفضل والثاني العدل ثم أمر الضياءين فانتفسا بنفسين فخرج منهما أربعة أشياء العقل والحلم والعلم والسخاء. ثم خلق من العقل الخوف وخلق من العلم الرضا ومن الحلم المودة ومن السخاء المحبة ثم عجن هذه الأشياء في طينة محمد ﷺ ثم خلق من بعدهم أرواح المؤمنين من أمة محمد ﷺ ثم خلق الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والضياء والظلام وسائر الملائكة من نور محمد ﷺ فلما تكاملت الأنوار سكن نور محمد ﷺ تحت العرش ثلاثة وسبعين ألف عام ثم انتقل نوره إلى الجنة فبقي سبعين ألف عام ثم انتقل إلى سدرة المنتهى فبقي سبعين ألف عام ثم انتقل نوره إلى السماء السابعة ثم إلى السماء السادسة ثم إلى السماء الخامسة ثم إلى السماء الرابعة ثم إلى السماء الثالثة ثم إلى السماء الثانية ثم إلى السماء الدنيا فبقي نوره في السماء الدنيا إلى أن أراد الله^(٢) أن يخلق آدم ﷺ إلى آخر ما مر في المجلد السادس^(٣)

١٤٥- كتاب أبي سعيد عباد العصفري: عن عمرو بن أبي المقدام عن أبي حمزة قال سمعت علي بن الحسين ﷺ يقول إن الله خلق محمدا وعلياً وأحد عشر من ولده من نور عظمتهم فأقامهم أشباحا في ضياء نوره يعبدونه قبل خلق الخلق يسبحون الله ويقدسونه وهم الأئمة من ولد رسول الله ﷺ^(٤)

١٤٦- ومنه: عن عمرو عن أبيه عن أبي جعفر ﷺ قال خلق الله أرض كربلاء قبل أن يخلق أرض الكعبة بأربعة وعشرين ألف عام وقدها وبارك عليها فما زالت قبل^(٥) خلق الله الخلق مقدسة مباركة ولا تزال كذلك حتى يجعلها الله أفضل أرض في الجنة وأفضل منزل ومسكن يسكن الله فيه أوليائه في الجنة^(٦)

ومنه: عن رجل عن أبي الجارود عن علي بن الحسين ﷺ مثله^(٧)

١٤٧- الكافي: عن محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن محمد بن سنان عن محمد بن عمران العجلي قال قلت لأبي عبد الله ﷺ أي شيء كان موضع البيت حيث كان الماء في قول الله عز وجل وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ^(٨) قال كانت^(٩) مهاة بيضاء يعني درة^(١٠)

بيان: قال الجوهري المهاة بالفتح البلور^(١١)

١٤٨- الكافي: عن علي بن محمد عن سهل بن زياد عن منصور بن العباس عن صالح اللادي عن أبي عبيد الله ﷺ قال إن الله عز وجل دحا الأرض من تحت الكعبة إلى منى ثم دحاها من منى إلى عرفات ثم دحاها من عرفات إلى منى فالأرض من عرفات وعرفات من منى ومنى من الكعبة^(١٢)

بيان: قوله ثم دحاها من عرفات إلى منى أي دحا السطح الظاهر من الأرض من عرفات إلى

(١) في المصدر إضافة: «وأخرج يدا له بالشرق ويدا له بالمغرب ثم أوصاه أن يمشي في الأرض»

(٢) من المصدر.

(٤) كتاب أبي سعيد عباد العصفري ضمن الأصول الستة عشر ص ١٠٠

(٥) في المصدر إضافة: «أن».

(٦) كتاب أبي سعيد العصفري ضمن الأصول الستة عشر ص ١٠٠

(٨) سورة هود، آية ٩.

(٩) في المصدر: «أن».

(١٠) الكافي ج ٤ ص ١٨٨ باب أول ما خلق الله من أناس

(١١) الصحاح ج ٤ ص ٢٤٩٩، وفيه: «المهاة - بالفتح - مصدر دحا»

(١٢) الكافي ج ٤ ص ١٨٩ باب أول ما خلق الله في الأرضين، حديث ٣.

منهاها ثم ردها من تحت الأرض لحصول الكروية إلى منى ولم يذكر ﷺ كيفية إتمامه لظهوره أو المعنى أنه ردها من جهة التحت إلى الجانب الآخر ثم إلى الكعبة ثم تم أطراف الكرة من جهة الفوق إلى منى ليتم كلها وأما ما تكلف بعض أفاضل المعاصرين حيث قرأ منى أخيراً بفتح الميم بمعنى قدر أي إلى آخر ما قدره الله من منتهى الأرض فلا يخفى عليك بعده.

١٤٩- الكافي: عن عدة من أصحابه عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن سيف بن عميرة عن أبي زرارة التميمي عن أبي حسان عن أبي جعفر ﷺ قال لما أراد الله عز وجل أن يخلق الأرض أمر الرياح فضربن وجه الماء حتى صار موجاً ثم أزيد فصار زبداً واحداً فجمعه في موضع البيت ثم جعله جبلاً من زيد ثم دحا الأرض من تحته و هو قول الله عز وجل ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ (١)

و رواه أيضاً عن سيف بن عميرة عن أبي بكر الحضرمي عن أبي عبد الله ﷺ مثله (٢).

١٥٠- الدر المنثور: للسيوطي بأسانيد عن مجاهد قال خلق الله الأرض قبل السماء فلما خلق الأرض ثار منها دخان فذلك قوله ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ يقول خلق سبع سموات بعضهم فوق بعض وسبع أرضين بعضهم تحت بعض (٣).

١٥١- ومنه: أيضاً بعده طرق عن ابن عباس وابن مسعود وناس من أصحاب رسول الله ﷺ في قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ قال إن الله كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ولم يخلق شيئاً قبل الماء فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء فسمى عليه فسماه سماء (٤) ثم أبس الماء فجعله أرضاً واحدة ثم فتقها فجعلها سبع أرضين في يومين في الأحد والإثنين فجعل الأرض على الحوت وهو الذي ذكره في قوله ﴿ن وَالْقَلَمِ﴾ (٥) والحوث في الماء على صفة (٦) والصفة على (٧) ملك والملك على صخرة والصخرة على الريح (٨) وهي الصخرة التي ذكرها لقمان ليست في السماء ولا في الأرض فتتحرك الحوت فاضطرب فتزلزلت الأرض فأرسي عليها الجبال فقرت (٩) فذلك قوله ﴿وَجَعَلْ لَهَا زَوَاسِيَ﴾ (١٠) ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ (١١) وخلق الجبال فيها وأقوات أهلها وشجرها وما ينبغي لها في يومين في الثلاثاء والأربعاء وذلك قوله ﴿أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ إِلَى قَوْلِهِ وَبَارَكَ فِيهَا﴾ (١٢) يقول أنبت فيها شجرها ﴿وَوَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ وأهلها (١٣) ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ﴾ (١٤) يقول من سأل فهكذا الأمر ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ (١٥) فكان ذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس فجعلها سماء واحدة ثم فتقها فجعلها سبع سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ فِي الْخَمِيسِ وَالْجُمُعَةِ (١٦) لأنه جمع فيه خلق السماوات والأرض ﴿وَوُحِىَ فِي كُلِّ سَّمَاءٍ أَمْرُهَا﴾ (١٧) قال خلق في كل سماء خلقها من الملائكة والخلق الذي فيها من البحار والجبال البرد ما لا يعلم ثم زين السماء الدنيا بالكواكب فجعلها زينة وحفظاً من الشياطين فلما فرغ من خلق ما أحب استوى عَلَى الْعَرْشِ (١٨).

١٥٢- وعن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ يعني صعد أمره إلى السماء ﴿فَسَوَّاهُنَّ﴾ (١٩) يعني خلق سبع سَمَاوَاتٍ قال أجرى النار على الماء فبخر البحر فصعد في الهواء فجعل السماوات منه (٢٠).

١٥٣- وعن عبد الله بن عمرو قال لما أراد الله أن يخلق الأشياء إذ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وإذ لا أرض ولا سماء

(١) سورة آل عمران: آية: ٩٦.

(٢) الكافي ج ٤ ص ١٨٩ - ١٩٠ باب أول ما خلق الله من الأرضين، حديث ٧.

(٣) الدر المنثور ج ١ ص ٤٢ - ٤٣، والآية من سورة البقرة: ٢٩.

(٤) في المصدر: «فسما» بدل «فسمى عليه فسما».

(٥) في المصدر: «والماء على ظهر صفة».

(٦) في المصدر: «في» بدل «على».

(٧) سورة النمل، آية: ٦١.

(٨) سورة فصلت، آية: ٨ و ٩ وما بعدها ذيلها.

(٩) سورة فصلت، آية: ١٠.

(١٠) في المصدر إضافة: «إنما سمي يوم الجمعة».

(١١) الدر المنثور ج ١ ص ٤٣.

(١٢) الدر المنثور ج ١ ص ٤٣.

(٥) سورة القلم، آية: ١.

(٦) في المصدر إضافة: «ظهر».

(٧) في المصدر: «فالجبال تفتخر على الأرض» بدل «فقرت».

(٨) سورة النحل، آية: ١٥.

(٩) في المصدر: «يقول لأهلها» بدل «وأهلها».

(١٠) سورة فصلت، آية: ١١.

(١١) سورة فصلت، آية: ١٢.

(١٢) عبارة: «يعني صعد - إلى قوله - فسماهن» ليست في المصدر.



خلق الريح فسلطها على الماء حتى اضطربت أمواجه و أثار ركامه فأخرج من الماء دخاناً و طينا و زبدا فأمر الدخان فعلا و سما و نما فخلق منه السماوات و خلق من الطين الأرضين و خلق من الزبد الجبال. (١)

١٥٤- و عن أبي هريرة قال أخذ النبي ﷺ بيدي فقال خلق الله التربة يوم السبت و خلق فيها الجبال يوم الأحد و خلق الشجر يوم الإثنين و خلق المكروه يوم الثلاثاء و خلق النور يوم الأربعاء و بث فيها الدواب يوم الخميس و خلق آدم يوم الجمعة بعد العصر. (٢)

١٥٥- و عن النبي ﷺ قال دحيت الأرض من مكة و كانت الملائكة تطوف بالبيت و هي أول (٣) من طاف به و هي الأرض التي قال الله ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾. (٤)

١٥٦- و عن ابن عباس قال وضع البيت على الماء على أربعة أركان قبل أن يخلق الدنيا بألفي عام ثم دحيت الأرض من تحت البيت. (٥)

١٥٧- و عن مجاهد قال خلق الله موضع البيت الحرام من قبل أن يخلق شيئا من الأرض بألفي سنة و أركانه في الأرض السابعة. (٦)

١٥٨- و عن كعب الأحبار قال كانت الكعبة غشاء على الماء قبل أن يخلق الله السماوات و الأرض بأربعين سنة و منها دحيت الأرض. (٧)

١٥٩- و عن ابن عباس قال لما كان العرش على الماء قبل أن يخلق الله السماوات و الأرض بعث الله ريحا هفافة فصفت الريح الماء فأبرزت عن خشفة (٨) في موضع البيت كأنها قبة فدحا الله الأرض من تحتها فمادت ثم مادت فأوتدها الله بالجبال فكان أول جبل وضع فيها أبو قبيس فلذلك سميت أم القرى. (٩)

١٦٠- و عن مجاهد قال بدأ الله (١٠) بخلق العرش و الماء و الهواء و خلقت الأرض من الماء و كان بدء الخلق يوم الأحد و جمع الخلق يوم الجمعة (١١) و تهودت اليهود يوم السبت و يوم من الستة أيام كَأَلَفَ سَنَةً مِثْلًا تَعْدُونَ. (١٢)

١٦١- و عن عكرمة قال إن الله بدأ خلق السماوات و الأرض و ما بينهما يوم الأحد ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يوم الجمعة في ثلاث ساعات فخلق في ساعة منها الشمس كي يرغب الناس إلى ربهم في الدعاء و المسألة. (١٣)

١٦٢- و كتب يزيد بن (١٤) مسلم إلى جابر بن يزيد (١٥) يسأله عن بدء الخلق قال العرش و الماء و القلم و الله أعلم. (١٦)

١٦٣- و عن عمران بن الحصين عن النبي ﷺ قال كان الله قبل كل شيء وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ و كتب في اللوح المحفوظ ذكر كل شيء (١٧) الخبر.

١٦٤- و عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله ﷺ إِنْ اللَّهُ قَدَّرَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِينَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ وَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ. (١٨)

١٦٥- و عن ابن عباس أنه سئل عن قوله تعالى ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ على أي شيء كان الماء قال على متن الريح. (١٩)

١٦٦- و عن مجاهد في قوله ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ قبل أن يخلق شيئا. (٢٠)

- | | |
|--|---|
| (١) الدر المنثور ج ١ ص ٤٣. | (٢) الدر المنثور ج ١ ص ٤٣. |
| (٣) في المصدر: «في أول». | (٤) الدر المنثور ج ١ ص ٤٦، والآية من سورة البقرة: ٣٠. |
| (٥) الدر المنثور ج ١ ص ١٢٧. | (٦) الدر المنثور ج ١ ص ١٢٧. |
| (٧) الدر المنثور ج ١ ص ١٢٧. | (٨) في المصدر: «خشفة». |
| (٩) الدر المنثور ج ١ ص ١٢٨. | (١٠) في المصدر: «بدء الخلق». |
| (١١) في المصدر: «يوم الأحد و يوم الاثنين و الثلاثاء و الأربعاء و الخميس و جميع الخلق في يوم الجمعة». | (١٢) الدر المنثور ج ٣ ص ٩١. |
| (١٣) في المصدر: «يزيد بن أبي مسلم». | (١٤) الدر المنثور ج ٣ ص ٩١. |
| (١٥) الدر المنثور ج ٣ ص ٩١. | (١٦) الدر المنثور ج ٣ ص ٩١. |
| (١٧) الدر المنثور ج ٣ ص ٣٢٢. | (١٨) الدر المنثور ج ٣ ص ٣٢٢. |
| (١٩) الدر المنثور ج ٣ ص ٣٢٢. | (٢٠) الدر المنثور ج ٣ ص ٣٢٢. |

١٦٧- عن الربيع بن أنس قال كَانَ عَزَّشُهُ عَلَى الْمَاءِ لَمَّا خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَسَمَ ذَلِكَ الْمَاءَ قَسْمَيْنِ فَجَعَلَ نَصْفًا تَحْتَ الْعَرْشِ وَهُوَ الْبَحْرُ الْمَسْجُورُ فَلَا تَقْطُرُ مِنْهُ قَطْرَةٌ حَتَّى يَنْفِخَ فِي الصُّورِ فَيَنْزِلُ^(١)

١٦٨- عن عكرمة قال سئل ابن عباس عن الليل كان قبل أم النهار قال الليل ثم قرأ «أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْماً فَفَتَقْنَاهُمَا» فهل تعلمون كان بينهما إلا ظلمة^(٢)

١٦٩- عن النبي ﷺ في قوله «وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ» قال كل شيء خلق من الماء^(٣)

١٧٠- عن وهب قال قال عزيز رب أمرت الماء فجعد في وسط الهواء فجعلت منه سبعا وسميته السماوات ثم أمرت الماء بفتح عن^(٤) التراب وأمرت التراب أن يتميز من الماء فكان كذلك فسميت جميع ذلك الأرضين وجميع الماء البحار ثم خلقت من الماء أعشى أعين بصرتة ومنها أصم آذان أسعته ومنها ميت أنفُس أحييته خلقت ذلك بكلمة واحدة منها ما عيشه الماء ومنها ما لا صبر له على الماء خلقا مختلفا في الأجسام والألوان جنسته أجناسا وزوجته أزواجا و خلقت أصنافا وألهمته الذي خلقته ثم خلقت من التراب والماء دواب الأرض وماشيتها وسباعها فَمِنْهُمْ مَنْ يَنْشِي عَلَى ظِلِّهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْشِي عَلَى رِجْلَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْشِي عَلَى أَرْبَعٍ وَمِنْهُمْ الْعَظِيمُ وَالصَّغِيرُ ثُمَّ زَرَعْتَ فِي أَرْضِكَ كُلِّ نَبَاتٍ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ وَتَرَابٍ وَاحِدٍ^(٥) وَتَسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ فَجَاءَ عَلَى مَشْيَتِكَ مُخْتَلِفًا أَكَلَهُ وَلَوْهُ وَرِيحُهُ وَطَمَسَهُ مِنْهُ الْحَلَوُ وَمِنْهُ الْحَامِضُ وَالْمَرُّ وَالطَّيِّبُ وَرِيحُهُ وَالْمُتَنَّنُ وَالْقَبِيحُ وَالْحَسَنُ وَقَالَ عَزِيزُ يَارَبِّ إِنَّمَا نَحْنُ خَنَفٌ وَعَمَلُ يَدِكَ^(٦) خَلَقْتَ أَجْسَادَنَا فِي أَرْحَامِ أُمَّهَاتِنَا وَصَوَّرْتَنَا كَيْفَ تَشَاءُ بِقُدْرَتِكَ جَعَلْتَ لَنَا أَرْكَانًا وَجَعَلْتَ فِيهَا عِظَامًا وَشَفَقْتَ^(٧) لَنَا أَسْمَاعًا وَأَبْصَارًا ثُمَّ جَعَلْتَ لَهَا^(٨) فِي تِلْكَ الظُّلْمَةِ نُورًا وَفِي ذَلِكَ الضَّيْقِ سَعَةً وَفِي ذَلِكَ الْعَمْرِ رَوْحًا ثُمَّ هَيَّأْتَ لَهَا^(٩) مِنْ فَضْلِكَ رِزْقًا يَقْوِيهِ^(١٠) عَلَى مَشْيَتِكَ ثُمَّ وَعَظَّمْتَ بِكِتَابِكَ وَحُكْمَتِكَ ثُمَّ قَضَيْتَ عَلَيْهِ الْمَوْتَ لَا مُحَادَّةَ ثُمَّ أَنْتَ تَعِيدُهُ كَمَا بَدَأْتَهُ.

قال عزيز اللهم بكلمتك خلقت جميع خلقك فأنت على مشيتك لم تأن في ذلك مثونة ولم تصب فيه نصبا^(١١) كان عرشك على الماء والظلمة على الهواء والملائكة يحملون عرشك ويسبحون بحمدك والخلق مطيع لك خاشع من خوفك لا يرى فيه نور إلا نورك ولا يسمع فيه صوت إلا سمعك ثم فتحت خزانة النور وطريق الظلمة فكانا ليلا ونهارا يختلفان بأمرك^(١٢)

١٧١- وعن ابن عباس أن اليهود أتت النبي ﷺ فسألته عن خلق السماوات والأرض فقال خلق الله الأرض يوم الأحد والثنين وخلق الجبال وما فيها من منافع يوم الثلاثاء وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب فهذه أربعة فقال تعالى «قُلْ أَنتُمْ لَكَفَرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ إِلَى قَوْلِهِ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءٌ لِلْسَّائِلِينَ^(١٣)» وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات يقين منه فخلق في أول ساعة من هذه الثلاث الآجال حين يموت من مات وفي الثانية ألقى الآفة على كل شيء مما ينتفع به وفي الثالثة خلق آدم وأسكنه الجنة وأمر إبليس بالسجود له وأخرجه منها في آخر ساعة قالت اليهود ثم ما ذا يا محمد قال ثم استوى على العرش قالوا قد أصبت لو أتمت قالوا ثم استراح فغضب النبي ﷺ غضبا شديدا فنزل «وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُؤُفٍ فَاصِرٍ عَلَى مَا يَقُولُونَ»^(١٤)

١٧٢- عن ابن جريج في قوله «وَوَبَّرْنَا فِيهَا» قال كل شيء فيه منفعة لابن آدم فهو مبارك^(١٥)

١٧٣- وعن ابن عباس^(١٦) في قوله «وَوَدَّرْنَا فِيهَا أَقْوَاتَهَا» قال شق الأنهار وعرس الأشجار ووضع الجبال وأجرى البحار وجعل في هذه ما ليس في هذه وفي هذه ما ليس في هذه^(١٧)

(١) الدر المنثور ج ٣ ص ٣١٧.

(٤) في المصدر: «على» بدل «عن»

(٦) في المصدر: «يديك».

(٨) في المصدر: «لنا» بدل «لها».

(١٠) في المصدر: «مفواتا» بدل «يقويه».

(١٢) الدر المنثور ج ٥ ص ٦ و ٧.

(١٤) الدر المنثور ج ٥ ص ٣٦٠ والآية من سورة ق: ٣٨ و ٣٩.

(١٦) في المصدر: «ابن جريج» بدل «ابن عباس».

(١) الدر المنثور ج ٣ ص ٣٢٢.

(٣) الدر المنثور ج ٤ ص ٣١٧.

(٥) حرف: «و» ليست في المصدر.

(٧) في المصدر: «فتت» بدل «شقت».

(٩) في المصدر: «لنا» بدل «لها».

(١١) في المصدر: «ولم تعي منه نصبا».

(١٣) سورة فصلت: آية ٩ و ١٠.

(١٥) لم نهر عليه في الدر المنثور.

(١٧) الدر المنثور ج ٥ ص ٣٦٠.

١٧٤- وعن عكرمة في قوله تعالى ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ قال قدر في كل أرض شيئا لا يصلح في غيرها. (١)

١٧٥- وعن ابن جبير قال معاشها. (٢)

١٧٦- وعن الحسن قال أرزاقها. (٣)

١٧٧- وعن ابن عباس قال خلق الله السماوات من دخان ثم ابتدأ خلق الأرض يوم الأحد ويوم الإثنين وذلك قوله ﴿الَّذِينَ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ ثم قدر فيها أقواتها في يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء فذلك قوله ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلشَّانِلِينَ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ (٤) فمسكها وزينها بالنجوم والشمس والقمر وأجرهما في فللكهما وخلق فيها ما شاء من خلقه وملأته في (٥) يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق الجنة في يوم الجمعة وخلق آدم يوم الجمعة فذلك قول الله ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ (٦) و سبت كل شيء يوم السبت ف عظمت اليهود يوم السبت لأنه سبت (٧) فيه كل شيء و عظمت النصارى يوم الأحد لأنه ابتدأ فيه خلق كل شيء و عظم المسلمون يوم الجمعة لأن الله فرغ فيه من خلقه و خلق في الجنة رحمته و خلق فيه آدم و فيه هبط من الجنة إلى الأرض و فيه قبلت في الأرض توبته و هو أعظمها. (٨)

١٧٨- وعن عبد الله بن سلام قال إن الله ابتدأ الخلق وخلق الأرضين (٩) يوم الأحد والإثنين وخلق الأقوات والرواسي في يوم الثلاثاء والأربعاء وخلق السماوات في الخميس والجمعة إلى صلاة العصر وخلق فيها (١٠) آدم في تلك الساعة التي لا يوافقها عبد (١١) في صلاة يدعو ربه إلا استجاب له فهي ما بين صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس. (١٢)

١٧٩- وعن عكرمة أن اليهود قالوا للنبي ﷺ ما يوم الأحد قال فيه خلق الله الأرض وكسها قالوا الإثنين قال خلق فيه وفي الثلاثاء الجبال والماء وكذا وكذا و ما شاء الله قالوا فيوم الأربعاء قال الأقوات قالوا فيوم الخميس قال فيه خلق الله السماوات قالوا يوم الجمعة قال خلق في ساعتين الملائكة وفي ساعتين الجنة والنار وفي ساعتين الشمس والقمر والكواكب وفي ساعتين الليل والنهار قالوا السبت وذكروا الراحة فقال سبحانه الله فأنزل الله ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾. (١٣) وعن ابن عباس أيضا نحوه. ١٨٠- وعن ابن عمر (١٤) عن النبي ﷺ قال إن الله تعالى فرغ من خلقه في ستة أيام أولهن يوم الأحد والإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة. (١٥)

١٨١- وعن ابن عباس في قوله تعالى ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ قال قال للسماء أخرجي شمسك و قمرك و نجومك و للأرض (١٦) شققي أنهارك و أخرجي ثمارك فقالتا آتينا طائعتين. (١٧)

١٨٢- وعن ابن عباس أن رجلا قال له آياتان في كتاب الله تخالف إحداهما الأخرى فقال إنما أتيت من قبل رأيك اقرأ قال ﴿قُلِ الَّذِينَ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ حتى بلغ ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ (١٨) وقوله ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ (١٩) قال خلق الله الأرض قبل أن يخلق السماء ثم خلق السماء ثم دحا الأرض بعد ما خلق السماء و إنما قوله دحاهما بسطها. (٢٠)

بيان: في النهاية فيه كانت الكعبة خشعة على الماء فدحيت منها الأرض الخشعة أكمة لاطئة بالأرض والجمع خشع قيل هو ما غلبت عليه السهولة أي ليس بحجر ولا طين و يروى خشفة بالخاء والفاء وقال الخطابي الخشفة واحدة الخشف وهي الحجارة تنبت في الأرض نباتا. (٢١)

(٢) لم تعر عليه في الدر المنثور.

(١) الدر المنثور ج ٥ ص ٣٦٠.

(٤) سورة فصلت: آية: ١٠ - ١١.

(٣) الدر المنثور ج ٥ ص ٣٦١.

(٦) سورة السجدة: آية: ٤.

(٥) كلمة: «في» في الموضعين ليست في المصدر.

(٨) الدر المنثور ج ٥ ص ٣٦١.

(٧) في المصدر: «يسبت».

(١٠) كلمة: «فيها» ليست في المصدر.

(٩) في المصدر: «الأرض».

(١٢) الدر المنثور ج ٥ ص ٣٦١.

(١١) في المصدر إضافة: «يدعو ربه».

(١٤) في المصدر: «عباس» بدل «عمر».

(١٣) الدر المنثور ج ٥ ص ٣٦١، والآية من سورة ق: ٣٨.

(١٦) في المصدر: «وقال للأرض».

(١٥) الدر المنثور ج ٥ ص ٣٦١.

(١٨) سورة فصلت: آية: ٩ - ١١.

(١٧) الدر المنثور ج ٥ ص ٣٦١.

(٢٠) الدر المنثور ج ٦ ص ٣١٣.

(١٩) سورة النازعات: آية: ٣٠.

(٢١) النهاية ج ٢ ص ٣٤ - ٣٥، وفيه إضافة: «وتروى بالحاء المهملة وبالعين بدل الفاء».

١٨٣- مروج الذهب للمسعودي: عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عن أبيه عن أمير المؤمنين عليه السلام ^(١) قال إن الله حين شاء تقدير الخليقة وذرة البرية وإبداع المبدعات نصب الخلق في صور كالهباء قبل دحو الأرض ورفع السماء وهو في انفراد ملكوته وتوحد جبروته فأتاح نوراً من نوره فلمع وقبسا ^(٢) من ضيائه فسطع ثم اجتمع النور في وسط تلك الصور الخفية فوافق ذلك صورة نبينا محمد عليه السلام فقال الله عز من قائل أنت المختار المنتخب وعندك أستودع ^(٣) نوري وكنوز هدايتي ومن أجلك أسطح البطحاء وأرفع السماء وأمزج الماء ^(٤) وأجعل الثواب والعذاب ^(٥) والجنة والنار وأنصب أهل بيتك بالهداية ^(٦) وأوتيتهم من مكنون علمي ما لا يخفى ^(٧) عليهم دقيق ولا يغيبهم ^(٨) خفي وأجعلهم حجة على بريتي والمنهين على علمي ^(٩) ووجداني ثم أخذ الله سبحانه الشهادة للرؤية والإخلاص للوحدانية ^(١٠) فبعد أخذ ما أخذ من ذلك شاء ^(١١) ببصائر الخلق انتخاب محمد ^(١٢) وأراههم أن الهداية معه والنور له والإمامة في أهله ^(١٣) تقدماً لسنة العدل وليكون الإعذار مقدماً ثم أخفى الله الخليقة في غيبه وغيبها في مكنون علمه ثم نصب العوالم ^(١٤) وبسط الزمان و مرج الماء وأثار الزيد وأهّج الدخان فظفأ عرشه على الماء و سطح ^(١٥) الأرض على ظهر الماء ثم استجابهما إلى ^(١٦) الطاعة فأذعنا بالاستجابة ثم أنشأ ^(١٧) الملائكة من أنوار نبوة قد ابتدعها وأنوار اخترعها ^(١٨) و قرن بتوحيده نبوة نبيه محمد عليه السلام فشهرت نبوته في السماء قبل بعثته في الأرض فلما خلق الله آدم أبان له فضله للملائكة وأراه ما خصه به من سابق العلم من حيث عرفهم ^(١٩) عند استبائته إياه أسماء الأشياء فجعل الله آدم محراباً وكعبة ^(٢٠) وقيلة أسجد إليها الأنوار والروحانيين والأبرار ثم نبه آدم على مستودعه وكشف له خطر ما اتهمه على أن ساء ^(٢١) إماما عند الملائكة فكان حظ آدم من الخير إنباءه ونطقه بمستودع ^(٢٢) نورنا ولم يزل الله تعالى يخياً النور تحت الزمان إلى أن فصل محمداً عليه السلام في طاهر القنوت ^(٢٣) فدعا الناس ظاهراً وباطناً وندبهم سرا وإعلاناً واستدعى ^(٢٤) التنبيه على العهد الذي قدمه إلى الذر قبل النسل ومن وافقه قبس من مصباح النور المتقدم اهتدى إلى سره واستبان واضح أمره ومن ألبسته الغفلة استحق السخطة لم يهتد إلى ذلك ^(٢٥) ثم انتقل النور إلى غرائزنا ولعم مع أمتنا فنحن أنوار السماء وأنوار الأرض فينا النجاة ومنا مكنون العلم وإلينا مصير الأمور وبنا تقطع ^(٢٦) الحجج ومنا خاتم الأئمة ومنقذ الأمة وغاية النور ومصدر الأمور فنحن أفضل المخلوقين وأكمل الموجودين ^(٢٧) وحجج رب العالمين فلتنهأ النعمة من تمسك بولائنا وقبض عروتنا ^(٢٨)

بيان: أمزج الماء أي أخلطه بغيره فأخلق منه المركبات ويمكن أن يكون البراءة المهمة كقولہ تعالى ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ ^(٢٩) أي أحلاهما ببصائر الخلق أي لأن يجعلهم ذوي بصائر أو ملتبسا ببصائرهم وعلمهم والقنوت جمع قناة وقال الجوهري قناة الظهر التي تنتظم الفقار ^(٣٠) انتهى والإبلاس بمعنى الحيرة أو اليأس لازم واستعمل هنا متعدياً والظاهر أن فيه تصحيحاً كما في كثير من الفقرات الأخرى.

- (١) جاء هذا الإسناد في المصدر في نهاية الحديث هذا.
- (٢) في المصدر: «مستودع».
- (٣) في المصدر: «الغالب» بدل «العذاب».
- (٤) في المصدر: «ما لا يشكل» بدل «ما لا يخفى».
- (٥) في المصدر: «قدرتي» بدل «علمي».
- (٦) في المصدر: «شاب» بدل «شاء».
- (٧) في المصدر: «في آله».
- (٨) في المصدر: «فسطع».
- (٩) في المصدر: «على ظهر الماء وأخرج من الماء دخاناً فجعله سماءً ثم استجابهما إلى».
- (١٠) في المصدر: «إضافة لفظ الجلالة: «الله».
- (١١) في المصدر: «عرفه» بدل «عرفهم».
- (١٢) في المصدر: «عليه بعد ما ساء» بدل «على أن ساء».
- (١٣) في المصدر: «الخير ما أراه من مستودع» بدل «الخير إنباءه ونطقه بمستودع».
- (١٤) في المصدر: «إضافة «عليه السلام».
- (١٥) في المصدر: «ومبهدينا تقطع» بدل «وبنا تقطع».
- (١٦) مروج الذهب ج ١ ص ٤٢-٤٣.
- (١٧) الصحاح ج ٤ ص ٢٤٦٨.
- (١٨) سورة الرحمان، آية: ١٩.

١٨٤- الكافي: عن عدة من أصحابه عن سهل بن زياد عن محمد بن إسماعيل عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام قال إن الله تبارك وتعالى خلق الدنيا في ستة أيام ثم اختزلها عن أيام السنة فالسنة ثلاثمائة وأربع وخمسون يوما شعبان لا يتم أبداً ورمضان لا ينقص والله أبداً ولا تكون فريضة ناقصة إن الله عز وجل يقول ﴿وَلِكُمُوهَا الْعِدَّةُ﴾^(١) وشوال تسعة وعشرون يوما و ذو القعدة ثلاثون يوما لقول الله عز وجل ﴿وَوَاعِدْنَا مَوْسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ قَتْمٍ مِيفَاتٍ رَبِّهِ أَزْبَعِينَ لَيْلَةً﴾^(٢) و ذو الحجة تسعة وعشرون يوما والمحرم ثلاثون يوما ثم الشهور بعد ذلك شهر تام وشهر ناقص^(٣) الخبر.

١٨٥- الفقيه: بإسناده عن محمد بن يعقوب بن شعيب عن أبيه عن الصادق عليه السلام قال قلت له إن الناس يروون أن رسول الله ما صام من شهر رمضان تسعة وعشرين يوما أكثر مما صام ثلاثين قال كذبوا ما صام رسول الله عليه السلام إلا تاما ولا تكون الفرائض ناقصة إن الله خلق السنة ثلاثمائة وستين يوما وخلق السماوات والأرض في ستة أيام فحجزها من ثلاثمائة وستين يوما فالسنة ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوما وشهر رمضان ثلاثون يوما لقول الله عز وجل ﴿وَلِكُمُوهَا الْعِدَّةُ﴾ والكامل تام وشوال تسعة وعشرون يوما و ذو القعدة ثلاثون يوما لقول الله عز وجل ﴿وَوَاعِدْنَا مَوْسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ فالشهر هكذا ثم هكذا أي شهر تام وشهر ناقص وشهر رمضان لا ينقص أبداً وشعبان لا يتم أبداً.^(٤)

تبيين:

قال بعض المحققين^(٥) في علة تخصيص الستة أيام بخلق العالم ما حصله أن أفعاله سبحانه مبنية على الحكم والمصالح وأن حكمته اقتضت أن تكون أفعاله بالنسبة إلى مخلوقاته على قسمين قسم يصدر عنه في كل آن إرادة دفعية بدون توقفه على مادة أو مدة وقسم لا يصدر عنه إلا بعد مدة أجرى عاداته بحصول استعداد مادته له في تلك المدة على سبيل التدرج وأن خلق الماء الذي جعله مادة لسائر الأجسام والجسمانيات وما يشبهه من القسم الأول وخلق السماوات والأرضين وما في حكمهما من القسم الثاني وهذا حكم أطبق عليه جميع الملبين وكثير من قدماء الفلاسفة فما ذكره المفسرون من أن معنى خلق السماوات والأرض إبداعهما لا من شيء ليس بشيء ويدل عليه خطب أمير المؤمنين عليه السلام وغيرها.

ثم إن القسم الثاني يستدعي بالنسبة إلى كل مخلوق قدرا معينا من الزمان كما يرشد إليه تتبع الأزمنة المعينة التي جرت عاداته تعالى أن يخلق فيها أصناف النباتات من موادها العنصرية وأنواع الحيوانات من مواد نطفها في أرحام أمهاتها فعلى ذلك خلق السماوات والأرض من مادتها التي هي الماء بعد خصوص القدر المذكور من الزمان إنما هو من هذا القبيل وأما خصوص الحكمة الداعية إلى إجراء عاداته بخلق تلك الأمور من موادها على التدرج ثم تقدير قدر خاص وزمان محدود لكل منها فلا مطمع في معرفته فإنه من أسرار القضاء والقدر التي لا يمكن أن يحيط بها عقل البشر ولذلك كتم عنا بل عن بعض المقربين والمرسلين بل سد علينا وعليهم باب الفحص والتفتيش بالنهي الصريح الدال عليه كثير من القرآن والخبر.

ثم إن اليوم عبارة عن زمان تمام دورة للشمس بحركتها السريعة العادية الموسومة باليومية فكيف يتصور أن يكون خلق السماوات الحاملة للشمس وغيرها من الكواكب في عدة من الزمان المذكور وهل لا يكون تكون الدائر في زمان دورته مستلزما للدور المستحيل بالضرورة فقد ذكر ابن العربي^(٦) فيما ساء بالفتوحات إن اليوم وزمان دورة للفلك الأطلس فلا يكون منوطا بالشمس ولا بالسماوات السبع إنما المنوط بها الليل والنهار وما غير اليوم وفيه أنه اصطلاح مبني على أصول الفلسفة تأبى عنه اللغة والعرف المبني عليهما لسان الشريعة ولظهور ذلك أطبق المفسرون على تأويله إما بحمل تلك الأيام على زمان مساو لقدر زمانها وإما بحملها على أوقات أو مرات

(١) سورة البقرة: آية: ١٨٥.

(٢) الكافي ج ٤ ص ٧٨ باب نادر، حديث ٢.

(٣) من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ١١٠ و ١١١ باب ٥٨، حديث ٤٧٢.

(٤) لم تعرف اسم هذا المحقق.

(٥) هو محي الدين محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي المتوفي ٦٣٨ هـ.

(٦) سورة الأعراف، آية: ١٤٢.

متعددة بعدتها حتى يكون معنى خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ مثلا خلقها في مرتين مرة خلق أصلها و مرة تمييز بعض أجزائها عن بعض وتلك في السماوات وغيرها ولا يخفى أن شيئا من التأويلين ولا سيما الثاني لا يلائم تعيين خصوص يوم من أيام الأسبوع لخلق كل منها في الروايات وذلك ظاهر جدا وأيضاً يستبعد العقل جدا أن لا يمكن خلق الإنسان مثلا من نطفته عادة في أقل من ستة أشهر ويكون خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام مع أن الحال كما قال تعالى ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١) وأيضاً إخباره تعالى بخصوص قدر زمان لا بد له من نكتة أقل ما في الباب أن يكون من جهة قلته أو كثرته دخيلا في المطلوب ولا يتناسب شيء منهما هاهنا إذ لو كان لأجل معرفة العباد أنه تعالى قادر على خلق مثل السماوات والأرض في هذه المدة القليلة فمعلوم أن ذلك ليس له. وقع في هذا المطلوب بعد الإخبار بأمثال أن أمره إذا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ولو كان للامتنان عليهم بأن خلقه في تلك المدة المديدة كان لأجل تدبير ما يحتاجون إليه في أمور معاشهم ومعادهم فظاهر أن قدر ستة أيام لا يصلح لهذا المقصود فالوجه أن يفسر اليوم هاهنا والعلم عند الله وأهله بما فسر الله تعالى تارة بقوله ﴿وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾^(٢) وتارة بقوله ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾^(٣) وأخرى بقوله ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾^(٤) فإن القرآن يفسر بعضه بعضا وقد يعبر عن الأول باليوم الرباني وعن الثاني بيوم الله فعلى كل تقدير يكون ملائما لما نسب من خلق كل منها إلى يوم من الأسبوع في الروايات ويتم ما يقصر عنه عند حمله على اليوم الدنيوي من معنى الامتنان المقصود له تعالى في كثير من أمثال تلك الآيات ولعل حمله على الأول فيما نحن فيه أنسب وأقرب فتصويره على ذلك أن كل امتداد سواء كان قار الذات بالجسم أو غير قار الذات كالزمان ينبغي أن يقدر له أجزاء ولكل جزء منه أجزاء وهكذا إلى ما يحتاج التعبير عن قدر معين منها للتفصيل بدون كلفة وذلك كتقدير الفلك بالبروج والمنازل والدرجات وتقدير الزمان بالسنين والشهور والأيام والساعات وعلى هذا لا بعد في أن الحكمة الإلهية كانت اقتضت أن يقدر للزمان المتقدم على زمان الدنيا بل للزمان المتأخر عن زمانها أيضا بأمثال ما قدره لزمانها من السنين إلى الساعات لكن مع رعاية نوع مناسبة لهذه الأجزاء إلى المقدر بها فكما أن المناسب لزمان الدنيا أن يكون كل يوم منه بقدر دورة للشمس يجوز أن يكون المناسب للزمان المتقدم أن يكون كل يوم منه بقدر ألف سنة من زمان الدنيا وللزمان المتأخر أن يكون مساويا لخمسين ألف سنة منه فيكون ما أخبرنا به في الآيتين الأولىين حال الزمان المتقدم وفي الثالثة حال الزمان المتأخر فلا بد فيما يلوح من بعض الإشارات الماثورة من أنه تعالى كان قدر للزمان المتقدم أسابيع وسمى الأول من أيامها بالأحد والثاني بالإثنين وهكذا إلى السبت وكذلك قدر له شهورا تامة كل منها ثلاثون يوما سمي أولها بالبحر أو رمضان على اختلاف الروايات في أول شهور السنة وثانيها بصفر أو شوال وهكذا إلى ذي الحجة أو شعبان وعلى كل تقدير كان المجموع سنة كاملة موافقة لثلاثمائة وستين يوما ثم جعل أيام أسابيعنا وشهورنا موافقة لأيام تلك الأسابيع والشهور في المبدأ والعدة والتسمية وقد يساعد عليه ما في سورة التوبة من قوله تعالى ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾^(٥) فتستقيم بذلك أمثال ما روي أنه تعالى خلق الأرض والسماء في يوم الأحد أو خلق الملائكة في يوم الجمعة فلا يتوجه إشكال وجوب تأخر أصل اليوم فضلا عن خصوص الأحد عن خلق السماوات والأرض ولا إشكال لزوم خلق الملائكة فيما تأخر عن المتأخر عنه من السماوات والأرض على ما مر في حديث الرضا عليه السلام وتستقيم به أيضا أمثال ما روي أن دحو الأرض كان في ليلة خمس وعشرين من ذي القعدة بدون استبعاد وانتقاض للعقل من جهة أن تقدم امتياز تلك الشهور بعضها عن بعض وانضباطها بتلك الأسامي على دحو الأرض وما يتبعه من خلق الإنس بل الجن أيضا خلاف العادة.

ثم إنه يلوح^(٦) مما ذكره صاحب الملل والنحل^(٧) بقوله قد اجتمعت اليهود على أن الله تعالى لما فرغ من خلق الأرض استوى على عرشه مستلقيا على قفاه واضعا إحدى رجليه على الأخرى فقالت فرقة منهم إن الستة الأيام هي

(١) سورة غافر، آية: ٥٧.
(٢) سورة البقرة، آية: ٥.
(٣) سورة النوبة، آية: ٣٦.
(٤) الملل والنحل ج ١ ص ٢١٩.
(٥) سورة الحج، آية: ٤٧.
(٦) سورة المعارج، آية: ٤.
(٧) بقية كلام بعض المحققين.

السنّة آلاف سنة ف إنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّثْلًا تَعُدُّونَ وبالسَّير القمري وذلك ما مضى من لدن آدم ﷺ إلى يومنا هذا و به يتم الخلق ثم إذا بلغ الخلق إلى النهاية ابتداء الأمر و من ابتداء الأمر يكون الاستواء على العرش و الفراغ من الخلق و ليس ذلك أمرا كان و مضى بل هو في المستقبل إذا عددنا الأيام بالآلوف انتهى إن بعضا من الكتب السماوية كالنوراة كان متضمنا للإشارة إلى أن المراد بالأيام المخلوقة فيها السماوات والأرض هو الأيام الربانية و لكن اليهود لم يتفطنوا بكونها سابقة على زمان الدنيا و تعمدوا في تحريفها عن موضعها بتطبيقها على بعض أزمنة الدنيا تصحيفا لما سولته لهم أنفسهم من أن شريعة موسى ﷺ هي أول أوامره و شروعه في التكليف حتى لا يلزمهم الإقرار بنسخ شريعة سابقة مستلزم لإمكان وقوع مثله على شريعتهم أيضا فافهم.

و يظهر مما ذكره محمد بن جرير الطبري في أول تاريخه أن حمل تلك الأيام على الأيام الربانية أمر مقرر بين أهل الإسلام أيضا من قديم الأيام^(١) فإذا تأملت في مدارج ما صورناه و بيناه يظهر لك أن السماوات والأرض و ما بينهما المعبر عنها بالدنيا بمنزلة شخص مخلوق من نقطة هي الماء على طبق حصول استعداداته بالتدريج كما جرت به عادته تعالى في مدة مديدة هي على حسابنا ستة آلاف سنة قمرية موافقة لسنة أيام من الأيام الربانية فبعد تمام هذه المدة التي هي بمنزلة زمان الحمل لها تولدت كاملة بطالع السرطان و الكواكب في شرفها و حينئذ أخذت الشمس و القمر في حركتهما المقدرة لهما المنوطة بهما الليل و النهار و ذلك كان في يوم الجمعة كما مر وجهه و كان أيضا سادس شهر محرم الحرام أو رمضان المبارك عند ما مضت ثلاث ساعات و اثنتا عشرة دقيقة من نهاره و لا ينافي ذلك ما ورد في حديث الرضا ﷺ أنه كانت الشمس عند كيوئنتها في وسط السماء لأنه ﷺ في صدد تصوير وضع نهار أيام الدنيا حينئذ لا الأيام الربانية و ما نحن فيه مبني عليها فلا يلزم الموافقة هذا هو مبدأ عمر الدنيا و أما مبدأ خلقها من نطفتها فمقدم عليه بقدر ما عرفت من زمان حملها فكان مبدأ أول يوم الأحد من تلك الأيام غرة أحد الشهرين و لا شك بما نصب لنا من الدلالات البقينية أن لها أمدا مدودا و أجلا محدودا و يقرب احتمال أنه تعالى كان قدر لجملة زمانها من مبدأ خلقها إلى حلول أجلها سنة كاملة من السنين الربانية فجعل ستة أيام منها بإزاء خلقها و الباقية و هي ثلاثمائة و أربعة و خمسون يوما بإزاء عمرها و إنها كما مر مساوية لثلاثمائة و أربعة و خمسين ألف سنة من السنين القمرية الدنيوية يلوح ذلك من جملة روايات و عدة إشارات من الصادقين ﷺ:

منها: ما روي عن رسول الله ﷺ في فضل الجهاد و توابعه أن رباط يوم في سبيل الله خير من عبادة الرجل في أهله سنة ثلاثمائة و ستين يوما كل يوم ألف سنة^(٢) فإن الذكي يتفطن من الخصوصية المذكورة فيها لكل من السنة و اليوم بأن المراد بهما غير السنة و اليوم الدنويين إذ لا سنة في الدنيا بهذا العدد من الأيام فإنه لا يوافق شيئا من الشمسية و القمرية المعبرتين فيها و لا يوم من أيام الدنيا موافقا لذلك الامتداد من الزمان فيظن أن هذا التعبير كناية عن نهاية ما يتصور للرجل من العبادة و هو تمام زمان الدنيا.

و منها: ما رواه الصدوق في الفقيه^(٣) و الكليني في الكافي^(٤) ثم أورد الروايتين فقال وجه دلالة الحديثين على ما ذكرنا أن السنة الأولى فيه و هي المختزلة عنها الأيام الستة يجب أن تحمل على السنة الربانية لأن شيئا من السنة الشمسية و القمرية الدنويين لم يخلق ثلاثمائة و ستين يوما كما تقرر في موضعه و لأنه لو حملت على الدنيوية فإما أن تحمل الأيام الستة أيضا على الأيام الدنيوية فغاية ما يلزم من اختزالها عنها أن تكون السنة الأولى من سني عمر الدنيا ثلاثمائة و أربعة و خمسين يوما فلا يلزم هذا النقصان في جميع السنين و إما أن تحمل على الأيام الربانية فلا يتصور الاختزال المذكور حينئذ فإن يوما من تلك الأيام كألف سنة من تلك السنين فتحقق أن المراد بتلك السنة السنة الربانية على وفق ما بينا أن المراد بالأيام الستة الأيام الربانية و أما السنة الثانية في الحديثين فيجب أن تحمل على السنة الدنيوية المستتبعة لنقصان بعض شهورها و هو ظاهر فعلى هذا ما يفهم منه من تفرع النقصان في تلك السنة و شهورها على الاختزال المذكور يدل على أنه لو لم يختزل الأيام الستة المذكورة عن رأس السنة الربانية المذكورة بل وقع خلق الدنيا في زمان خارج عن تلك السنة متصل بها لكانت أيام السنة الدنيوية ثلاثمائة و ستين و

٢٢١
٥٧

٢٢٢
٥٧

كذا يدل على أن الأيام المختزلة لو كانت عشرة مثلاً لكانت أيام السنة الدنيوية ثلاثمائة وخمسين وعلى هذا القياس فيظهر بذلك أنه مبني على أن الحكمة الإلهية اقتضت مساواة الأيام الباقية بعد الاختزال من السنة الربانية مع أيام كل سنة من السنين الدنيوية فيفتنن الذكي من لزوم تلك السماوات بين هاتين الأيامين أنهما منسوبتان إلى شيء واحد فكما أن أيام السنة الدنيوية منسوبة إلى الدنيا ومحسوبة من عمرها كذلك الأيام الباقية المذكورة منسوبة إليها لأجل عمرها ويؤيده انتساب الأيام السنة المختزلة أيضاً إليها لأجل خلقها فبتين من مدارج ما قررنا سر هذا الاختزال وكونه على النحو المذكور أيضاً فإنه لو لم يقع أو وقع لا على النحو المذكور لكان يزيد ألف سنة من سني الدنيا على يوم من الأيام الربانية أو ينقص عنها وهو خلاف ما أخبرنا الله تعالى به من مساواتهما المبنية على حكمته ومصطلحه بلا شبهة.

ثم ليعلم أن كون السنة الدنيوية القمرية ثلاثمائة وأربعة وخمسين يوماً مبني على ما تعارف من إسقاط الكسر الناقص عن النصف في الحساب مساهلة فلا ينافي كونه في الحقيقة زائدة عليه بشماني ساعات مستوية وثمان وأربعين دقيقة على ما هو المضبوط بالأرصاء فعلى ذلك تكون بقية السنة الربانية التي بإزاء عمر الدنيا أيضاً زائدة بمثل تلك الساعات والدقائق بحكم المساواة المذكورة فيلزم من هذه الجهة أن يكون أيام السنة المختزلة لخلق الدنيا ناقصة عنها أيضاً بالقدر المذكور لتلا يلزم زيادة مجموعهما على ثلاثمائة وستين وقد أشرنا في تصوير زمان حمل الدنيا إلى هذه الدقيقة فتذكر. ^(١) انتهى كلامه رفع الله مقامه.

ولقد أحسن وأجاد وحقق وأفاد في إبداء هذا الوجه الوجه مع تأييده بما ذكر وبغيره من الأخبار المتقدمة عن مجاهد وغيره وبما رواه الصدوق ره في الفقيه وغيره في علة الصلوات الخمس. عن النبي ﷺ حيث قال وأما صلاة المغرب فهي الساعة التي تاب الله عز وجل فيها على آدم وكان بين ما أكل من الشجرة وبين ما تاب الله عز وجل عليه ثلاثمائة سنة من أيام الدنيا وفي أيام الآخرة يوم كآلف سنة ما بين العصر إلى العشاء. ^(٢) وقد أوردت مثله بأسانيد في المجلد الخامس وبما رواه السيوطي في الدر المنثور عن عكرمة قال سأل رجل ابن عباس ما هؤلاء الآيات ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ^(٣) و﴿يُذَبِّرُ الْأَرْضَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ^(٤) و﴿يَسْتَجْلِبُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ^(٥) قال يوم القيامة حساب خمسين ألف سنة وخلق السماوات والأرض في ستة أيام كل يوم ألف سنة و﴿يُذَبِّرُ الْأَرْضَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ^(٦) مقدار السير. ^(٧)

وعن عكرمة ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال هي الدنيا أولها إلى آخرها يوم مقداره خمسون ألف سنة ^(٨) لكن فيما زيف به بعض الوجوه الآخر نظر إذ بناء تحقيقه على تحقق الزمان الموهوم قبل خلق العالم وإن كان تقديره وقسمته بالأيام والساعات فيمكن أن يقال بعد خلق الكواكب وحركاتها وتعيين الليالي والأيام والشهور والأسابيع يمكن الرجوع القهقري وتعيين جميع ذلك في الأزمنة الماضية تقديراً وتكلف التقدير مشترك بين الوجهين مع أن هذا الوجه أوفق بظواهر أكثر الآيات والأخبار وأما أن السنة الأيام لا يكون مبالغة في جانب القلة إذا حملت على أيام الدنيا فليس كذلك بل في خلق السماوات والأرض مع وفور عظمتها واشتمالها على أنواع الحكم الدقيقة والمصالح الثابتة مما يدل على غاية القدرة والعلم والحكمة وأما أنه كان يمكن خلقهما في أقل من ذلك الزمان فبين الرضا عليه السلام الحكمة في ذلك فلعله سبحانه جمع بين الأمرين أي عدم الخلق دفعة وقلة الزمان رعاية للأمرين معاً وسائر ما ذكره قدس سره إما محض استبعاد أو مقايضة بعض المخلوقات ببعض وكلاهما مما لا وقع له في هذا المقام. وأما الاختزال فيمكن أن يكون غرضه عليه السلام الإشارة إلى علة شيوع هذا الاصطلاح أي إطلاق السنة في عرف الشرع والعرف العام على ثلاثمائة وستين مع أنها لا توافق السنة الشمسية ولا القمرية بأنها مطابقة للسنة الأولى من خلق العالم إذا حسبت من ابتداء الخلق وأما السنة القمرية فهي مبنية على حركة القمر بعد وجوده والسنة

(٢) من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ١٣٦ و ١٣٧، حديث ٦٤٢.

(٤) سورة السجدة، آية: ٥.

(٦) في المصدر: «قال ذلك».

(٨) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٦٤.

(١) لم نعرف اسم هذا المحقق.

(٣) سورة العنكبوت، آية: ٤.

(٥) سورة الحج، آية: ٤٧.

(٧) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٦٤.

المقدمة المصروفة في خلق العالم مختزلة منها و سيأتي لذلك مزيد تحقيق في محله إن شاء الله تعالى.

ثم اعلم أنه قد تكلم كثير من الناس من الفرق المتشعبة في قدر زمان عمر الدنيا فأكثر اليهود بل سائر أهل الكتاب مالوا إلى تقليده بأمور خطائية لا ترضيها العقول السليمة و جمهور الهنود بالغوا في تكثيره بخيالات حسابية تنفر عنها الطباع المستقيمة و أما مشاهير قدماء الحكماء و جماهير عظماء الأحكاميين فقد توسطوا في ذلك و لكن تفرقوا إلى أقوال شتى و حكى أبو معشر البلخي في كتابه المسمى بسر الأسرار^(١) عن بعض أهل هند أن الدور الأصغر ثلاثمائة و ستون سنة و الأوسط ثلاثة آلاف و ستمائة سنة و الأكبر ثلاثمائة و ستون ألف سنة و لعل المراد بالدور الأكبر زمان عمر الدنيا و بالسنة السنة الشمسية فيطبق ما اعتمد عليه جمع من أعلام المنجمين من قول حكماء فارس و بابل أن سني عمر العالم ثلاثمائة و ستون ألف سنة شمسية كل سنة ثلاثمائة و خمسة و ستون يوما و خمس عشرة دقيقة و اثنتان و ثلاثون ثانية و أربع و عشرون ثالثة و مستندهم في ذلك على نقل أبو معشر من أهل فارس أن الكواكب السبعة في أول خلق الدنيا كانت مجتمعة في أول الحمل و يكون اجتماعها في آخر زمان بقاءها في آخر الحوت و زمان ما بينهما ثلاثمائة و ستون ألف سنة من تلك السنين و أما مستندهم في الاجتماع المذكور على نحو ما تصوره في المقامين فغير معلوم.

ثم اعلم أن هذه الخيالات والروايات وإن لم يكن مبنية على أصل متين. لكنها مما يرفع استبعادات الأوهام عن الأخبار الواردة في الرجعة و طول امتداداتها فإنها أيضا داخله في زمان عمر الدنيا فإذا حسبت تلك الأزمان مع ما ورد في بعض الأخبار من أزمنة كون غير آدم وأولاده في الأرض يصير قريبا مما ذكر بعض هؤلاء الجماعة وبالجمله كل من الأمرين مما يصلح أن يصير سببا لرفع الاستبعاد عن الآخر.

ثم إن بعض المتصدين لحل هذا الخبر سلك مسلكا أوحش و أغرب حيث قال السنة في العرف تطلق على الشمسية التي هي عبارة عن عود الشمس بحركتها الخاصة لها إلى الوضع الذي فرض أولا كأول الحمل مثلا الذي يتساوى عند حلولها فيه زمان الليل و النهار تقريبا بعد أن كان الليل أطول في معظم المعمورة و على القمرية التي هي عبارة عن عود القمر إلى وضعه المفروض أولا مع الشمس في سمت الحركة اثنتا عشرة مرة كل مرة تسمى شهرا و قد علم بالتجربة و الرصد أن زمان الأولي يكون ثلاثمائة و خمسة و ستين يوما و كسرا من يوم و زمان الثانية ثلاثمائة و أربعة و خمسين يوما و كسرا و لو فرض فارض كون الشمس أسرع حركة بحيث تتم دورتها في ثلاثمائة و ستين بلا زيادة و نقصان و القمر بحاله يكون مقدار السنة القمرية أيضا ثلاثمائة و ستين يوما كل شهر ثلاثون يوما كما لا يخفى على المحاسب و حينئذ لم يكن اختلاف بين السنة القمرية و الشمسية لكن قد جعل الله سبحانه زمان الشمسية أكثر من ذلك بقریب من ستة أيام و زمان القمرية انقص بنحو ذلك لمصالح تعود إلى مخلوقاته في السماوات و الأرضين ينتظم بها النظام الأكمل الذي لا يعلم كنهه إلا هو فلعل هذا هو المراد من جعل السنة ثلاثمائة و ستين و حجز الستة الأيام عنها بل لا ينقبض العقل من أن يكون المراد بخلق السماوات و الأرض في ستة أيام ذلك أعني على اختلاف نظام لحركة السماويات خصوصا التيرين اللذين قدرت بهما الشهور و الأعوام و الليالي و الأيام و غير ذلك من مصالح الأنام قدر ذلك الاختلاف ستة أيام في كل سنة فليتفكر جدا في ذلك^(٢) انتهى.

وأورد عليه بوجوه:

الأول: أن كون سرعة الشمس على الوجه المذكور مستلزما لكون السنة القمرية أيضا ثلاثمائة و ستين يوما إنما يكون حقا إذا كان زيادة أيام الشمسية على ثلاثمائة و ستين موافقة لنقصان أيام القمرية عنه حقيقة و ليس كذلك فإن الأول لا يزيد على خمسة أيام و ربع يوم في شيء من الأرصاء المتداولة و الثاني يزيد على خمسة أيام و خمسة أثمان يوم بالاتفاق فأقل ما به التفاوت يزيد على تسع ساعات فالصواب أن تفرض سرعتها بقدر نصف التفاوت بين زمانى السنتين حتى يتساوى و يرتفع التفاوت عما بينهما بالكلية كما هو المقصور و ما يلزم حينئذ من عدم بلوغ شيء منهما إلى السنتين حقيقة بل يكون أقل منه بنحو خمس ساعات فالأمر فيه سهل فإنه لا ينافي إطلاق السنتين عليه عرفا.

الثاني: أن كون السنة ثلاثمائة وستين يوما في الحديث إخبار عن الواقع سواء حمل الخلق على معنى الإيجاد أو التقدير وعلى ما ذكره أمر فرضي لا وقوع له أصلا.

الثالث: أن المراد بالأيام المختزلة عن أيام السنة إذا كان هذه الأيام فكيف يتصور أن يكون بعضها لأجل الأرض وبعضها لأجل السماء كما يظهر من بعض الآيات بل غاية ما يتصور أن يكون لها مدخل في النظام المقصود بالنسبة إلى الجميع.

الرابع: أن هذا المعنى لهذه الأيام لا يوافق شيئا من الروايات الدالة على تعيين يوم من أيام الأسبوع لخلق كل من المخلوقات المذكورة.

١٨٦- مجمع البيان: نقلنا من تفسير العياشي بإسناده عن الأشعث بن حاتم قال كنت بخراسان حيث اجتمع الرضا عليه السلام والفضل بن سهل والمأمون في الإيوان الحيري بمرور فوضعت المائدة فقال الرضا عليه السلام إن رجلا من بني إسرائيل سألتني بالمدينة فقال النهار خلق قبل أم الليل فما عندكم قال^(١) فأدأروا الكلام ولم يكن عندهم في ذلك شيء فقال الفضل للرضا عليه السلام أخبرنا بها أصلحك الله قال نعم من القرآن أم من الحساب قال له الفضل من جهة الحساب فقال قد علمت يا فضل إن طالع الدنيا السرطان والكواكب في مواضع شرفها فزحل في الميزان والمشتري في السرطان والشمس في الحمل والقمر في الثور وذلك^(٢) يدل على كينونة الشمس في الحمل من^(٣) العاشر من الطالع في وسط السماء فالنهار خلق قبل الليل وأما في القرآن فهو^(٤) في قوله تعالى ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْتَبِي لها أَنْ تَذَرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾^(٥) أي قد سبقه النهار.^(٦)

كتاب النجوم: للسيد بن طاوس بأسانيده عن محمد بن إبراهيم النعماني عن محمد بن همام عن محمد بن موسى بن عبيد عن إبراهيم بن أحمد اليعقوبي عن ابن ذي العلمين مثله^(٧).

و بأسانيده إلى كتاب الواحدة لابن جمهور العمي بإسناده مثله.^(٨)

تحقيق و توضيح: اعلم أنه أورد على هذا الخبر إشكالات:

الأول أن الظلمة التي تحصل منها الليل عدم النور الذي يحصل منه النهار وعدم الحادث مقدم على وجوده.

والجواب أن الظلمة ليست عدما مطلقا بل عدم ملكة إذ هي عدم النور عما من شأنه أن يكون نيرا ومثله يمكن أن يكون مقدما ومؤخرا وأصل هنا أن أول خلق العالم هل كان نهارا أم ليلا.

الثاني أن عند خلق الشمس لا بد أن يكون في بعض الأرض ليلا وفي بعضها نهارا فلا تقدم لأحدهما على الآخر.

والجواب أن السؤال عن معظم المعمورة هل كان الزمان فيها ليلا أم نهارا فلا ينافي وجود الليل فيما يقاطرها.

الثالث ما المراد بطالع الدنيا فإن كل نقطة من نقاط الأرض لها طالع وكل نقطة من نقاط منطقة البروج طالع أفق من الآفاق.

والجواب أنه يمكن أن يكون المراد بطالع الدنيا طالع قبة الأرض أي موضع من الربع المسكون في وسط خط الإستواء يكون طوله من جانب المغرب على المشهور أو المشرق على رأي أهل الهند تسعين درجة وقد تطلق على موضع من الأرض يكون طوله نصف طول المعمورة منها أعني تسعين درجة وعرض نصف أرض المعمورة منها أي ثلاثة وثلاثين درجة تخميناً ومن خواص القبة أنه إذا وصلت الشمس فيها إلى نصف النهار كانت طالعة على جميع بقاع الربع المسكون نهارا

(١) في المصدر: «فذلك».

(٢) عبارة: «وأما في القرآن فهو» ليست في المصدر.

(٣) مجمع البيان ج ٨ ص ٤٢٥.

(٤) فرج المهرم ص ٩٦.

(١) من المصدر.

(٢) في المصدر: «في» بدل «من».

(٣) سورة يس، آية: ٤٠.

(٤) فرج المهرم ص ٩٥.

فظهرت النكتة في التخصيص ويمكن أن يكون الطالع هنا بالقياس إلى الكعبة لأنها وسط الأرض خلقا و شرعا و شرفا.

الرابع كون الكواكب في مواضع شرفها لا يستقيم على قواعد المنجمين واصطلاحاتهم إذ عطارد شرفه عندهم في السنبلة و شرف الشمس في الحمل و لا يبعد عطارد عن الشمس بهذا المقدار و لقد خبط الطبري و غيره في ذلك فحكموا بكون عطارد أيضا حينئذ في الدرجة الخامسة عشر من السنبلة تقلا من جماهير الحكماء.

والجواب أنه ﷺ يمكن أن يكون بنى ذلك على ما هو المقرر عنده لا ما زعمه المنجمون في شرف عطارد أو يقال إن عطارد مستثنى من ذلك و أحال ذلك على ما هو المعلوم عندهم أو يقال المراد بالكواكب الأربعة المفصلة اعتمادا على ذكرها بعده.

الخامس أن المقرر في كتب الأحكام في بحث القرائن أن السبعة كانت مجتمعة في أول الحمل و لو فرض أنهم أخطئوا في ذلك كان على الفضل و سائر الحضار المتدربين في صنعة النجوم أن يسألوا عن ذلك و يراجعوا فيه و لم ينقل منهم ذلك.

والجواب أنهم ليسوا متفقين في ذلك كما يظهر من الطبري و غيره فلعل الفضل و غيره ممن حضر المجلس كان يسلك هذا المسلك و ربما يقال لعل الراوي سها أو خبط في فهم كلامه ﷺ و كان ما قاله ﷺ هو أن الكواكب كانت مع الشمس في شرفها و الضمير في شرفها كان للشمس لا للكواكب فاشتبه عليه و زعم أن الضمير للكواكب ففصل كما ترى.

وأقول: على ما ذكرنا لا حاجة إلى تحريف الحديث و نسبة السهو إلى الراوي و ما ذكره ليس مستندا إلى حجة و أكثر أقوالهم في أمثال ذلك مستندة إلى أوها م فاسدة و خيالات واهية كما لا يخفى على من تتبع زبرهم.

قال أبو ريجان فيما عندنا من تاريخه في سياق ذكر ذلك و بكل واحد من الأدوار تجتمع الكواكب في أول الحمل بدءا و عودا و لكنه في أوقات مختلفة فلو حكم على أن الكواكب مخلوقة في أول الحمل في ذلك الوقت أو على أن اجتماعها فيه هو أول العالم أو آخره لتعرف دعواه تلك عن البيئة و إن كان داخلا في الإمكان و لكن مثل هذه القضايا لا تقبل إلا بحجة واضحة أو مخبر عن الأوائل و المبادئ موثق بقوله منقرر في النفس صحة اتصال الوحي و التأييد به فإن من الممكن أن تكون هذه الأجسام^(١) متفرقة غير مجتمعة وقت إبداع المبدع لها و إحداثه إياها و لها هذه الحركات التي أوجب الحساب اجتماعها في نقطة واحدة في تلك المدة^(٢) انتهى.

السادس أن الاستدلال بالآية لا يتم إذ يمكن أن يحمل قوله تعالى ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾^(٣) على أن الليل لا يأتي قبل وقته المقرر و زمانه المقدر كما أن الشمس لا تطلع قبل أوانها و كل من الليل و النهار لا يأتي أحدهما قبل تمام الآخر كما سيأتي بيانه في تفسير الآية.

والجواب أنه ﷺ بنى الاستدلال على ما علم من مراده تعالى في الآية و كان ﷺ عندهم مأمونا مصدقا في ذلك.

السابع أن ما تقدم تقلا من السيوطي عن ابن عباس ينافي ذلك حيث حكم بتقدم الليل على النهار و ما ينقل عن التوراة موافقا لذلك أيضا ينافية.

والجواب أن حديث ابن عباس لا يعارض به كلام الإمام ﷺ المنقول من الأصول المعتمدة و كذا نقل التوراة لم يشئت و لو ثبت فأكثرها محرفة لا يعتمد عليها و ربما يجاب بأن حدوث النور إنما هو بعد الظلمة فالظلمة مقدمة على النور لكن طالع خلق الدنيا يعني طالع دحو الأرض كان هو السرطان و الشمس حينئذ في الحمل في العاشر على ما ذكره الإمام ﷺ فأول الأوقات في دحو

(١) في المصدر: «الأجرام» بدل «الأجسام».

(٢) الآثار الباقية ص ٢٥ و ٢٦، القول على مائة التواريخ و اختلاف الأمم فيها.

(٣) سورة يس، آية: ٤٠.

الأرض هو الظهر و لذا سميت صلاة الظهر بالصلاة الأولى كما سميت بالوسطى أيضا عند كثير من العلماء و إنما فسر طالع الدنيا بطالع دحو الأرض لأن خلق الأرض مقدم على خلق السماء لكن دحوها مؤخر جمعا بين الآيات^(١) انتهى.

و أقول: يمكن حمله على ابتداء خلق الكواكب فإن حصول النهار إنما هو عنده و الحاصل أنه تم خلق أجزاء الدنيا حين كون السرطان على الأفق الشرقي بالنسبة إلى قبة الأرض فإذا رجعت على توالي البروج و عددت ستة من تحت الأرض و ثلاثة من فوقها كان العاشر و هو الحمل على سمت الرأس فإذا كانت الشمس فيه يكون. بالنسبة إلى أكثر المعمورة نهارا كما عرفت فالنهار في أول الخلق بالنسبة إلى المعمورة التي هي مسكن أشرف الخلق مقدم على الليل ثم إنه يحتمل أن يكون ذكر هذه المصطلحات التي لم تجر عاداتهم ﷺ بذكرها و إجراء الكلام على قواعد النجوم التي نفوها و زيفوها كما ستعلم إن شاء الله إلزاما على الفضل المشهور في تلك الصناعة و إظهارا لعلمهم ﷺ بجميع العلوم و الاصطلاحات و قد يقال إن تلك الكواكب لما كانت في ابتداء خلق العالم في مواضع مخصوصة مضبوطة عند أهل العلم أخذوا عن الأنبياء و الحجج ﷺ فبعد ما أخذ المنجمون بعض ذلك عنهم زعموا أنها لتلك الخصوصية كانت أحسن مواضع تلك الكواكب فسماها شرفا لها ثم سماوا المواضع التي تقابلها هبوطا لها توهمنا منهم أنها عند كونها فيها هابطة من تلك المنزلة و الشرف جدا و أما ما فات منهم أخذه عن أهل العلم كموضع عطارذ مثلا عينوه من عند أنفسهم بخيالات شغرية مذكورة في كتبهم.

ثم إن بعض الناس توهموا أن هذا الحديث مؤيد لكون اليوم من الزوال إلى مثله كما اعتبره من المنجمون لسهولة الحساب و لا يخفى و ههنا على أولي الأبواب و بعد التنبأ و التي فدالة الحديث على حدوث أكثر ما يزعمه الحكماء قديما من أجزاء العالم بين لا يحتاج إلى البيان.

١٨٧-كتاب المحتضر: للحسن بن سليمان مما رواه من كتاب الخطب لعبد العزيز بن يحيى الجلودي قال خطب أمير المؤمنين ﷺ فقال سلوني فإني لا أسأل عن شيء دون العرش إلا أجبت فيه^(٢) لا يقولها بعدي إلا جاهل مدع أو كذاب مفتر فقام رجل من جانب مسجده في عنقه كتاب كأنه مصحف و هو رجل آدم ضرب طوال جعد الشعر كأنه من مهودة العرب فقال رافعا صوته لعلي أيها المدعي ما لا يعلم و المقلد ما لا يفهم أنا السائل^(٣) فأجب فوثب به أصحاب علي و شيعته من كل ناحية فهموا به فنهروهم علي ﷺ فقال لهم دعوه و لا تعجلوه فإن الطيش لا تقوم به حجج الله و لا به تظهر براهين الله ثم التفت إلى الرجل و قال له سل بكل لسانك و ما في جوارحك فإني أجيبك إن الله تعالى لا تعتلج عليه الشكوك و لا يهيجه و سن فقال الرجل كم بين المغرب و المشرق قال علي ﷺ مسافة الهواء قال و ما مسافة الهواء قال علي ﷺ دوران الفلك قال الرجل و ما قدر دوران الفلك قال مسيرة يوم للشمس قال الرجل صدقت قال غمى القيامة قال علي قدر قصور المنية^(٤) و بلغ الأجل قال الرجل صدقت فكم عمر الدنيا قال علي يقال سبعة آلاف ثم لا تحديد قال الرجل صدقت فأين بكة من مكة قال علي مكة من أكناف الحرم و بكة موضع البيت قال فلم سميت مكة مكة قال لأن الله مك الأرض من تحتها قال فلم سميت بكة قال لأنها بكت رقاب الجبارين و عيون المذنبين قال صدقت و أين كان الله قبل أن يخلق عرشه قال علي سبحان من لا تدرك كنه صفته حملة العرش على قرب زمراتهم من كراسي كرامته و لا الملائكة المقربون من أنوار سبحات جلاله و يحكم لا يقال أين و لا ثم و لا فيم و لا لم و لا أنى و لا حيث و لا كيف قال الرجل صدقت فكم مقدار ما لبث الله عرشه على الماء من قبل أن يخلق الأرض و السماء قال أحسن أن تحسب قال نعم قال لعلك لا تحسن قال بلى إني لأحسن أن أحسب قال علي أفرايت لو كان صب خردل في الأرض حتى^(٥) سد الهواء و ما بين الأرض و السماء ثم أذن لملكك على ضعفك أن تنقله حبة حبة من مقدار المشرق إلى المغرب ثم مد في عمره و أعطيت القوة على ذلك حتى تنقله و

(٢) في المصدر إضافة: «كلمة».

(٤) في المصدر: «عند حضور المنية».

(١) لم نعر على هذا الكتاب.

(٣) في المصدر: «سائل».

(٥) من المصدر.

أحصىته لكان ذلك أيسر من إحصاء عدد أعوام ما لبث عرشه على الماء من قبل أن يخلق الأرض والسماء وإنما وصفت لك ببعض عشر عشر العشير من جزء مائة ألف جزء وأستغفر الله من القليل^(١) في التحديد قال فحرك الرجل رأسه وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.^(٢)

بيان: والضرب بسكون الراء الرجل الخفيف اللحم على مسافة الهواء هذه التهييمات في الأجوبة للتنبيه على عدم تكلف ما لم يؤمر الناس بعلمه وأنه لا فائدة للإنسان في علم حقائق الموجودات ومقاديرها كما تضعيف الفلاسفة فيها أعمارهم على قرب زمراتهم أي جماعاتهم.

٢٣٤
٥٧

تفهيم و تميم نفعه عميم بعون الله الواهب الكريم

اعلم أن المقصود الأصلي من هذا الباب أعني حدوث العالم لما كان من أعظم الأصول الإسلامية لا سيما الفرقة الناجية الإمامية وكان في قديم الزمان لا ينسب القول بالقدم إلا إلى الدهرية والملاحدة والفلاسفة المنكرين لجميع الأديان ولذا لم يورد الكليني ره وبعض المحدثين لذلك^(٣) باباً مفرداً في كتبهم بل أوردوا في باب حدوث العالم أخبار إثبات الصانع تعالى اتكالاً على أن بعد الإقرار بالحق جل وعلا لا مجال للقول بالقدم لاتفاق أرباب الملل عليه.

٢٣٤
٥٧

وفي قريب من عصرنا لما ولع الناس بمطالعة كتب المتفلسفين ورغبوا عن الخوض في الكتاب والسنة وأخبار أئمة الدين وصار بعد العهد عن أعصارهم^(٤) سبباً لهجر آثارهم وطمس أنوارهم واختلطت الحقائق الشرعية بالمصطلحات الفلسفية صارت هذه المسألة معترك الآراء ومصطدم الأهواء فمال كثير من المتسمين بالعلم المنتحلين للدين إلى شبهات المضلين وروجوها بين المسلمين فضلوا وأضلوا وطعنوا على اتباع الشريعة حتى ملوا وقلوا. حتى أن بعض المعاصرين^(٥) منهم يعضون بالنستهم ويسودون الأوراق بأقلامهم أن ليس في الحدوث إلا خبر واحد هو كان الله ولم يكن معه شيء ثم يؤولونه بما يوافق آراءهم الفاسدة فلذا أوردت في هذا الباب أكثر الآيات والأخبار المزيحة للشك والارتباب وقيمتها بمقاصد أتينة ومباحث دقيقة تأتي بينان شبههم من قواعدهم وتهزم جنود شكوكهم من مرادها تشييداً لقواعد الدين وتجنباً من مساخط رب العالمين كما روي. عن سيد المرسلين^(٦) إذا ظهرت البدع في أمتي فيلظهر العالم علمه وإلا فعليه نَعْتُهُ اللَّهُ وَالْمَلَأْنِيكَهُ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ^(٧).

المقصد الأول في بيان معاني الحدوث والقدم

المشهور أن للحدوث معنيين الذاتي والزمني والمستفاد من كلام الشيخ^(٨) أن معنى الحدوث هو المسبوقية بالعدم إما بالذات لا بالزمان وهو الحدوث الذاتي وإما بالزمان وهو الحدوث الزمني وهو المتبادر من لفظ الحدوث إذ المتبادر منه أنه لم يكن موجوداً فوجد.

٢٣٥
٥٧

وأورد عليه أن تقدم العدم على الوجود بالذات لا معنى له إذ التقدم بالذات مخصوص عندهم بالتقدم بالعلية فتقدم العدم بالعلية على الوجود يستلزم اجتماع النقيضين.

وقال المحقق الطوسي ره الحدوث هو المسبوقية بالغير وذلك الغير إن كان هو العلة فهو الحدوث الذاتي وإن كان عدماً فهو الحدوث الزمني.^(٩)

٢٣٦
٥٧

ويرد عليه أيضاً ما يرد على الأول لأن ذات المعلول يصدق عليها أنها ليست بموجودة في مرتبة ذات العلة ثم وجد المعلول بعد ذلك السلب لوجوب تقدم وجود العلة على وجود المعلول ولا يتصور في تقدم سلب وجود

(١) في المصدر: «التقليل». (٢) المحضّر ص ٨٧ - ٨٩.

(٣) أي للقول بالقدم.

(٤) جاء في المطبوعة نقلاً عن المخطوطة: «القاصرين» بدل «المعاصرين».

(٥) الكافي ج ١ ص ٥٤ باب البدع والرأي والمقاييس، حديث ٢، وفيه: «فمن لم يفعل» بدل «والإلّا».

(٦) راجع كلامه في الفصل الثاني من المقالة السادسة من إلهيات الشفاء ص ٢٦٦.

(٧) راجع تجريد الاعتقاد ضمن نصوص الدراسة ص ٥٧.

المعلول على وجوده إلا التقدم الذاتي المنحصر في التقدم بالعالية فيعود الإشكال وللقوم في هذا المقام اعتراضات وأجوبة لا يناسب مقصودنا من هذا الكتاب إيرادها وأكثرها مذكورة في حواشي المحقق الدواني وغيره على الشرح الجديد للتجريد^(١) وبالجملّة إطلاق الحدوث عليه محض اصطلاح لهم لا يساعده لغة ولا عرف وإنما مرجعه الأحقية أو إلى ترتب وجود المعلول على وجود العلة إذ العقل يحكم بأنه وجد فوجد.

وأثبت السيد الداماد ره قسماً ثالثاً وهو الحدوث الدهري حيث قال إن أنحاء العدم للممكن ثلاثة الأول العدم الذي هو الليس المطلق في مرتبة الذات وهو لكل ممكن موجود حين وجوده الثاني العدم المتمكّم وهو لكل حادث زماني قبل زمان وجوده الثالث العدم الصريح الدهري قبل الوجود قبلية غير متمكّم.

وليس شيء من العدمين الأولين هو العدم المقابل للوجود أما الأول فلأنه يجمع الوجود في الواقع ويسيقه بحسب الذات سبقاً ذاتياً وأما الثاني فلأنه مميّز لزمان الوجود ومن شرائط التناقض في الزمانيات وحدة الزمان فإذا إنما المقابل للوجود العدم الصريح الذي لا يتصور فيه حد و حد ولن يتميز فيه حال وحال ثم حقق في ذلك تحقيقاً طويلاً وحاصل كلامه أن أثبت للموجودات وعاءين آخرين سوى الزمان وهو الدهر والسرمد وقال نسبة المتغير إلى المتغير ظرفها الزمان ونسبة الثابت إلى المتغير ظرفها الدهر ونسبة الثابت إلى الثابت ظرفها السرمد. ونقل على ذلك شواهد كثيرة من الحكماء فمن ذلك قول الشيخ في التعليقات حيث قال:

تعليق: العقل يدرك ثلاثة أكوأ: أحدها الكون في الزمان وهو متى الأشياء المتغيرة التي يكون لها مبدأ و منتهى ويكون مبدؤه غير منتهاه بل يكون مقتضياً ويكون دائماً في السيلان وفي تقضي حال وتجدد حال الثاني كون مع الزمان و يسمى الدهر وهذا الكون محيط بالزمان وهو كون الفلك مع الزمان والزمان في ذلك الكون لأنه ينشأ من حركة الفلك وهو نسبة الثابت إلى المتغير إلا أن الوهم لا يمكن إدراكه لأنه رأى كل شيء في زمان ورأى كل شيء يدخله كان ويكون الماضي والحاضر والمستقبل ورأى لكل شيء متى إما ماضياً أو حاضراً أو مستقبلاً الثالث^(٢) كون الثابت مع الثابت و يسمى السرمد وهو محيط بالدهر.

تعليق: الوهم يثبت لكل شيء متى ومحال أن يكون للزمان نفسه متى.

تعليق: ما يكون في الشيء فإنه يكون محاطاً بذلك الشيء فهو يتغير بتغير ذلك الشيء فالشيء الذي يكون في الزمان يتغير بتغير الزمان ويلحقه جميع أعراض الزمان ويتغير عليه أوقاته فيكون هذا الوقت الذي يكون مثلاً مبدأ كونه أو مبدأ فعله غير ذلك الوقت الذي هو آخره لأن زمانه يفوت ويلحق وما يكون مع الشيء فلا يتغير بتغيره ولا تتناوله أعراضه.

تعليق: الدهر وعاء الزمان لأنه محيط^(٣) به.^(٤)

وبين في الشفاء أيضاً هذا المعنى ثم قال ولا يتوهم في الدهر ولا في السرمد امتداد وإلا لكان مقداراً للحركة ثم الزمان كمعلول الدهر والدهر كمعلول السرمد^(٥) وقال أيضاً في الشفاء إنه لا يكون في الزمان إلا الحركات والمتحركات أما الحركة فذلك لها من تلقاء جوهرها وأما المتحرك فمن تلقاء الحركة وأما سائر الأمور فإنها ليست في زمان وإن كانت مع الزمان فإن العالم مع الخردلة وليست في الخردلة إلى آخر ما قال^(٦) واستحسن ذلك المحقق الطوسي ره والسيد الشريف وغيرهما.

واعلم أن ما نحن بصدد إثباته لا يتوقف على تحقيق هذه الأمور فإن الذي ثبت بإجماع أهل الملل والنصوص المتواترة هو أن جميع ما سوى الحق تعالى أزمنة وجوده في جانب الأزل متناهية وفي وجوده^(٧) ابتداء والأزلية وعدم انتهاء الوجود مخصوص بالرب سبحانه سواء كان قبل الحوادث زمان موهوم أو دهر كما ستعرف إن شاء الله تعالى.

(١) راجع هوامش شرح التجريد للقوشجي ص ٤٢. (٢) في المصدر: «والثالث».

(٣) في المصدر: «محاط».

(٤) القيسات ص ٧ و ٨.

(٥) في المصدر: «للسرمد»، راجع القيسات ص ٨.

(٦) راجع القيسات ص ١٠١ نقلاً عن طبيعيات الشفاء.

(٧) في هامش المطبوعة نقلاً عن نسخة مخطوطة: «لوجوده» بدل «في وجوده».

المقصد الثاني في تحقيق الأقوال في ذلك

اعلم أنه لا خلاف بين المسلمين بل جميع أرباب الملل في أن ما سوى الرب سبحانه وصفاته الكمالية كله حادث بالمعنى الذي ذكرنا^(١) و لوجوده ابتداء بل عد من ضروريات الدين.

قال السيد الداماد في القبسات عليه إجماع جميع الأنبياء والأوصياء^(٢).

وقال صاحب الملل والنحل في كتاب نهاية الأقدام^(٣) وصححه المحقق الطوسي ره^(٤) مذهب أهل الحق من الملل كلها أن العالم محدث مخلوق له أول أحدثه الباري تعالى وأبدعه بعد أن لم يكن وكان الله ولم يكن معه شيء. ووافقهم على ذلك جمع من أساطين الحكمة وقدماء الفلاسفة مثل ثاليس وآنكساغورس وآنكسيماس من أهل ملطية و مثل فيثاغورس وأنباذقلس وسقراط وأفلاطون من أهل آفينية ويونان وجماعة من الشعراء والأوائل والنسك^(٥).

وإنما القول يقدم العالم وأزلية الحركات بعد إثبات الصانع والقول بالعلقة الأولى إنما ظهر بعد أرسطاطاليس لأنه خالف القدماء صريحا وأبدع هذه المقالة على قياسات ظنها حجة وبرهانا وصرح القول فيه من كان من تلامذته مثل الإسكندر الأفروديسي و ثامسطيوس و فروريوس و صنف برقلس المنتسب إلى أفلاطون في هذه المسألة كتابا أورد فيه هذه الشبهة^(٦).

وقال السيد الداماد ره من النقل الذائع الصحيح المتواتر أن أفلاطون و الستة الباقيين من الأساطين وغيرهم من القدماء على حدوث عالمي الأمر و الخلق بجميع أجزائه و أرسطو و تلامذته على قدمه^(٧) انتهى.

لكن الظاهر أنه كان مذهب أفلاطون حدوث الزمانيات فقط لاشتهار القول بقدم النفوس والبعد المجرد عنه و قال السيد ره في القبسات القول بقدم العالم نوع شرك^(٨) و قال في موضع آخر منه أنه إلحاد^(٩).

وقال الصدوق ره في كتاب التوحيد الدليل على أن الله عز وجل عالم قادر حي لنفسه لا يعلم و قدرة و حياة هو غيره أنه لو كان عالما بعلم لم يخل علمه من أحد أمرين إما أن يكون قديما أو حادثا فإن كان حادثا فهو جل ثناؤه قبل حدوث العلم غير عالم و هذا من صفات النقص و كل منقوص محدث بما قدمناه و إن كان قديما يجب^(١٠) أن يكون غير الله عز وجل قديما و هذا كفر بالإجماع^(١١).

وقال ره في سياق إبطال مذاهب الثنوية فأما ما ذهب إليه ماني و ابن ديسان من خرافاتهما في الامتزاج و دانت به المجوس من حماقاتها في أهرمن ففاسد بما به يفسد قدم الأجسام^(١٢).

وقد عقد في هذا الكتاب بابا لإثبات الحدوث و أورد فيه الدلائل المشهورة التي سنشير إلى بعضها و لم نورد هنا مخافة الإطناب و التكرار.

وقال فيما قال لأن المحدث هو ما كان بعد أن لم يكن و القديم هو الموجود لم يزل^(١٣) و قال في آخر الكلام هذه أدلة التوحيد الموافقة للكتاب و الآثار الصحيحة عن النبي و الأئمة عليهم السلام^(١٤).

وقال السيد المرتضى نقلا عن شيخه المفيد رفع الله شأنهما في الرد على أبي هاشم في القول بالحال فقال في أثناء كلامه و كره أن يثبت الحال شيئا فتكون موجودة أو معدومة و متى كانت موجودة لزمه على أصله و أصولنا جميعا أنها لا تخلو من القدم أو الحدوث و ليس يمكنه الإخبار عنها بالقدم ليخرج بذلك عن التوحيد و يصير بذلك أسوأ حالا من أصحاب الصفات و ساق الكلام إلى أن قال و القول بالهولي و قدم الطينة أعذر من هؤلاء القوم إن كان لهم عذر و لا عذر للجميع فيما ارتكبوا من الضلال لأنهم يقولون إن الهولي هو أصل العالم و إنه لم يزل قديما و

(١) ذكر - رحمه الله - في أول المقصد الأول من هذا الباب أن المتبادر من لفظ الحدوث هو أنه لم يكن موجوداً فوجد.

(٢) القبسات ص ٢٦.

(٣) نهاية الإقدام في علم الكلام ص ٥، القاعدة الأولى.

(٤) جاء هذا في القبسات ص ٣٠ نقلاً عن نهاية الإقدام.

(٥) راجع مصارع المصارع ص ١٤٨ بحث حدوث العالم.

(٦) القبسات ص ٣٠ نقلاً عن الملل والنحل ج ٢ ص ١٤٩.

(٧) القبسات ص ٢٤.

(٨) القبسات ص ٢٧١.

(٩) القبسات ص ٣٣٢.

(١٠) في المصدر: «وجب».

(١١) التوحيد ص ٢٢٣ باب أسماء الله، حديث ١٤.

(١٢) التوحيد ص ٢٦٩ باب الرد على الثنوية والزنادقة، حديث ٥.

(١٣) التوحيد ص ٣٠٤ باب إثبات حدوث العالم، حديث ٧.

(١٤) التوحيد ص ٣٠٣ باب إثبات حدوث العالم، حديث ٧.

الله تعالى محدث كما يحدث الصائغ من السبيكة خاتما والناسج من الغزل ثوبا والتجار من الشجر لوحا إلى آخر ما رد عليهم.^(١)

ونقل العلامة ره في المختلف عن الشيخ المفيد كلاما يدل على أن القول بالقدم ليس من مذاهب الملبين حيث قال وأما الصابئون فمنفردون بمذاهبهم ممن عددها لأن جمهورهم توحّد الصانع في الأزل ومنهم من يجعل معه هبولى في القدم صنع منها العالم فكانت عندهم الأصل ويعتقدون في الفلك وما فيه الحياة والنطق وأنه المدبر لما في هذا العالم والدال عليه وعظموا الكواكب وعبدوها من دون الله عز وجل وسأها بعضهم ملائكة وجعلها بعضهم آلهة وبنوا لها بيوتا للعبادات وهؤلاء على طريق القياس إلى مشركي العرب وعباد الأوثان أقرب من المجوس^(٢) إلى آخر ما قال مما يؤيد ما ذكرنا.

و شيخ الطائفة قدس الله لطيفه عقد في كتاب الاقتصاد فصلا في أن الله تعالى واحد لا ثاني له في القدم وأقام الدلائل على ذلك إلى أن قال فإذا ثبت ذلك بطل إثبات قديمين وإذا بطل وجود قديمين بطل قول الثنوية القائلين بالنور والظلمة وبطل قول المجوس القائلين بالله والشيطان وبطل قول النصارى القائلين بالتثليث على أن قول الثنوية يبطل من حيث دللتنا على حدوث الأجسام^(٣) وأثبت حدوث الأجسام بالدلائل المشهورة عند المتكلمين.

والسيد المرتضى ره في كتاب الغرر أورد دلائل على إبطال القول بالهبولى القديمة.^(٤)

وقال الشيخ المحقق أبو الفتح الكراجكي تلميذ السيد المرتضى قدس الله نفسهما في كتاب كنز الفوائد اعلم أيديك الله أن من الملاحظة فريقا يشتون الحوادث ومحدثها ويقولون إنه لا أول لوجودها ولا ابتداء لها ويزعمون أن الله سبحانه لم يزل يفعل ولا يزال كذلك وأن أفعاله لا أول لها ولا آخر فقد خالفونا في قولهم إن الأفعال لا أول لها إذ كنا نعتقد أن الله تعالى ابتدأها وأنه موجود قبلها وافقونا بقولهم إنه لا آخر لها لأنهم وإن ذهبوا في ذلك إلى بقاء الدنيا على ما هي عليه واستمرار الأفعال فيها وإنه لا آخر لها فإننا نذهب في دوام الأفعال إلى وجه آخر وهو تقضي أمر الدنيا وانتقال الحكم إلى الآخرة واستمرار الأفعال فيها من نعيم أهل^(٥) الجنة الذي لا ينقطع عن أهلها وعذاب النار الذي لا ينتضي عن المخلدين فيها فأفعال الله عز وجل من هذا الوجه لا آخر لها وهؤلاء أيديكم الله هم الدهرية القائلون بأن الدهر سرمدى لا أول له^(٦) ولا آخر وأن كل حركة تحرك بها الفلك فقد تحرك قبلها بحركة قبلها حركة^(٧) من غير نهاية وسيتحرك بعدها بحركة بعدها حركة لا إلى غاية وأنه لا يوم إلا وقد كان قبله ليلة ولا ليلة إلا وقد كان قبلها يوم ولا إنسان تكون إلا من نطفة ولا نطفة تكون إلا من إنسان ولا طائر إلا من بيضة ولا بيضة إلا من طائر ولا شجرة إلا من حبة ولا حبة إلا من شجرة وأن هذه الحوادث لم تزل تتعاقب ولا تزال كذلك ليس للماضي منها بداية ولا للمستقبل منها نهاية^(٨) وهي مع ذلك صنعة لصانع لم يتقدمها وحكمة من حكيم لم يوجد قبلها وأن الصنعة والصانع قديمان لم يزالا تعالى الله الذي لا قديم سواه وله الحمد على ما أسداه من معرفة الحق وأوله وأنا بعون الله أورد لك طرفا من الأدلة على بطلان ما ادعاه الملحدون وفساد ما انتحله الدهريون.^(٩)

أقول: ثم أورد رحمه الله أدلة شافية وأجوبة وافية وتحقيقات متينة وإلزامات رزينة سيأتي بعضها في محله ولم نورد هنا لأنها سنذكرها بوجه أخصر ثم ذكر مناظرته مع بعض القائلين بالقدم وأنه كتب ذلك إلى الشريف المرتضى ره وذكر الجواب الذي أوردته السيد في ذلك فمن أراد الاطلاع على جميع ذلك فليرجع إلى ذلك الكتاب.^(١٠)

وقال السيد المرتضى^(١١) ره في جواب سؤال ورد عليه في آية التطهير قال السائل وإذا كانت أشباحهم قديمة هم في الأصل طاهرون فأى رجس أذهب عنهم فقال السيد في تضايف جوابه وأما القول بأن أشباحهم قديمة

(١) لم نعرّض عليه في ما عندنا من كتب السيد المرتضى هذا. (٢) مختلف الشيعة ج ٤ ص ٤٣٢ كتاب الجهاد. أحكام أهل الذمة.

(٣) الاقتصاد ص ٧٩. فصل ٥. (٤) لم نعرّض عليه في نسختنا من الأمالي.

(٥) كلمة: «أهل» ليست في المصدر. (٦) عبارة: «قبلها حركة» ليست في المصدر.

(٧) في المصدر: «ليس للماضي فيها بداية ولا للمستقبل فيها نهاية».

(٨) كنز الفوائد ج ١ ص ٣٣ - ٣٤. (٩) كنز الفوائد ج ١ ص ٣٥ - ٤٦.

(١٠) كنز الفوائد ج ١ ص ٣٥ - ٤٦. (١١) وجدنا الكلام هذا ضمن جواب المسألة الأولى من المسائل الكبرى للمفيد.

فهو منكر لا يطلق و القديم في الحقيقة هو الله تعالى الواحد الذي لم يزل وكل ما سواه محدث مصنوع مبتدأ له أول إلى آخر ما قال ره. (١) ثم قال:

مسألة: اعترض فلسفي فقال إذا قلتم إن الله وحده لا شيء كان معه فالأشياء المحدثه من أي شيء كانت قلنا لهم (٢) مبتدعة لا من شيء فقال أحدثها معا أو في زمان بعد زمان فقال فإن قلتم معا فأوجدناكم (٣) أنها لم تكن معا و أنها أحدثت شيئا بعد شيء و إن قلتم أحدثها في زمان بعد زمان فقد صار له شريك. (٤)

والجواب: عن ذلك أن الله تعالى لم يزل واحدا لا شيء معه و لا ثاني له و ابتدأ ما أحدثه من غير زمان و ليس يجب إذا أحدث بعد الأول حوادث أن يحدثها في زمان و لو جعل لها زمانا لما وجب بذلك قدم الزمان إذ الزمان حركات الفلك و ما يقوم مقامها ما هو مقدارها في التوقيت فمن أين يجب عند هذا الفيلسوف أن يكون الزمان قديما إذا لم يوجد الأشياء ضربة واحدة لو لا أنه لا يعقل معنى الزمان إلى آخر ما أفاد في هذا المقام. (٥)

و قال المحقق الطوسي طيب الله روحه القدوسي في التجريد و لا قديم سوى الله تعالى (٦) و قال فيه وجود العالم بعد عدمه ينفي الإيجاب. (٧)

وقال ره في كتاب الفصول أصل قد ثبت أن وجود الممكن من غيره فعال إيجاده لا يكون موجودا لاستحالة إيجاد الموجود فيكون معدوما فوجود الممكن مسبوق بعدمه و هذا الوجود يسمى حدوثا و الموجود محدثا فكل ما سوى الواجب من الموجودات محدث و استحالة الحوادث لا إلى أول كما يقوله الفلسفي لا يحتاج إلى بيان طائل. بعد ثبوت إمكانها المقضي لحدوثها. ثم قال مقدمة كل مؤثر إما أن يكون أثره تابعا للقدرة و الداعي أو لا يكون بل يكون مقتضى ذاته و الأول يسمى قادرا و الثاني موجبا و أثر القادر مسبوق بالعدم لأن الداعي لا يدعو إلا إلى المعدم. (٨) و أثر الموجب يقارنه في الزمان إذ لو تأخر عنه لكان وجوده في زمان دون آخر فإن لم يتوقف على أمر (٩) غير ما فرض مؤثرا تاما (١٠) كان ترجيحاً من غير مرجح و إن توقف لم يكن المؤثر تاما و قد فرض تاما و هذا خلف ثم قال نتيجة الواجب المؤثر في الممكنات قادر إذ لو كان موجبا لكانت الممكنات قديمة (١١) و اللازم باطل لما تقدم فالمزوم مثله. (١٢)

و سئل السيد مهتار بن ستان العلامة الحلي ره في جملة مسائله ما يقول سيدنا في المتيثين الذين قالوا إن الجواهر و الأعراض ليست بفعل الفاعل و إن الجوهر جوهر في عدم كماً هو جوهر في الوجود فهل يكون هذا الاعتقاد الفاسد موجبا لتكفيرهم و عدم قبول إيمانهم و أفعالهم الصالحة و قبول شهادتهم و مناعتهم (١٣) أم لا يكون موجبا لشيء من ذلك و أي شيء يكون حكمهم في الدنيا (١٤) فأجاب ره بأنه لا شك في رداءة هذه المقالة و بطلان كلها لكن لا توجب تكفيرهم و لا عدم قبول إيمانهم و أفعالهم الصالحة و لا رد شهادتهم و لا تحريم مناعتهم و حكمهم في الدنيا و الآخرة حكم المؤمنين لأن الموجب للتكفير هو اعتقاد قدم الجوهر و هم لا يقولون بذلك لأن القديم يشترط فيه الوجود و هم لا يقولون بوجوده في الأزل لكن حصلت لهم شبهة في الفرق بين الوجود و الثبوت و جعلوا الثبوت أعم من الوجود و أكثر مشايخ المتكلمين من المعتزلة و الأشاعرة متهبتون فكيف يجوز تكفيرهم.

ثم قال السيد ره ما يقول سيدنا فيمن يعتقد التوحيد و العدل (١٥) و لكنه يقول بقدم العالم ما يكون حكمه في الدنيا و الآخرة فأجاب ره من اعتقد قدم العالم فهو كافر بلا خلاف لأن الفارق بين المسلم و الكافر ذلك و حكمه في الآخرة

(١) أجوبة المسائل العكبرية ضمن مصنفات المفيد ج ٦ ص ٢٦ و ٢٧.

(٢) في المصدر: «له».

(٣) في المصدر: «أوجدناكم».

(٤) في المصدر إضافة: «هو الزمان».

(٥) أجوبة المسائل العكبرية ضمن مصنفات المفيد ج ٦ ص ٦٥ و ٦٦.

(٦) تجريد الاعتقاد ضمن نصوص الدراسة ص ٤٤٦.

(٧) في المصدر: «مقدم».

(٨) كلمة: «تاما» ليست في المصدر.

(٩) فصول القائد ضمن نصوص الدراسة ص ٤٢٩.

(١٠) في المصدر: إضافة «والآخرة».

(١١) في المصدر: «والتبوء والإمامة».

(١٢) في المصدر: «والتبوء والإمامة».

حكم باقي الكفار بالإجماع^(١) والشيخ الجليل أبو الصلاح الحلبي صرح في تقريب المعارف بالحدوث وأقام الدلائل عليه^(٢) وكذا السيد الكبير ابن زهرة في كتاب غنية النزوع أورد الدلائل على ذلك^(٣).

وقال التوحيدي رة في كتاب الياقوت الأجسام حادثة لأنها إذا اختصت بجهة فهي إما للنفس ويلزم منه عدم الانتقال أو لغيره وهو إما موجب أو مختار والمختار قولنا والموجب يبطل بطلان التسلسل ولأنها لا تخلو من الأعراض. لحادثة لعدمها المعلوم والقديم لا بعدم لأنه واجب الوجود إذ لو كان وجوده جائزا لكان إما بالمختار وقد فرضناه قديما أو بالموجب ويلزم منه استمرار الوجود فالمقصود أيضا حاصل.^(٤)

وقال: للعلامة رة في شرحه هذه المسألة من أعظم المسائل في هذا العلم ومدار مسائله كلها عليها وهي المعركة العظيمة بين المسلمين وخصومهم واعلم أن الناس اختلفوا في ذلك اختلافا عظيما وضبط أقوالهم أن العالم إما محدث الذات والصفات وهو قول المسلمين كافة والنصارى واليهود والمجوس وإما أن يكون قديم الذات والصفات وهو قول أرسطو وثاوفريطس وثاميطوس وأبي نصر وأبي علي بن سينا فإنهم جعلوا السماوات قديمة بذاتها و صفاتها إلا الحركات والأوضاع فإنها قديمة بنوعها بمعنى أن كل حادث مسبوق بمثل إلى ما لا يتناهى وإما أن يكون قديم الذات محدث الصفات وهو مذهب انكساغورس وفيثاغورس وسقراط والثنوية ولهم اختلافات كثيرة لا تليق بهذا المختصر وإما أن يكون محدث الذات قديم الصفات وذلك مما لم يقل به أحد لاستحالة وتوقف جالينوس في الجميع.^(٥)

أقول: ثم ساق رة الكلام في الدلائل المذكورة في المتن وقال رة في شرح التجريد مثل ذلك ونسب القول بالحدوث إلى جميع أرباب الملل^(٦) وقال رة في كتاب نهاية المرام في علم الكلام قد اتفق المسلمون كافة على نفي قديم غير الله تعالى وغير صفاته وذهب الإمامية إلى أن القديم هو الله تعالى لا غير^(٧) وقال فيه أيضا القسمة العقلية منحصرة في أقسام أربعة.

الأول^(٨) أن يكون العالم محدث الذات والصفات وهو مذهب المسلمين وغيرهم من أرباب الملل وبعض قدماء الحكماء.

الثاني^(٩) أن يكون قديم الذات والصفات وهو قول أرسطو وجماعة من القدماء ومن المتأخرين قول أبي نصر الفارابي والرئيس قالوا السماوات قديمة بذواتها و صفاتها إلا الحركات والأوضاع فإنها قديمة بنوعها لا بشخصها والعناصر الهولى منها قديمة بشخصها و صورها الجسمية^(١٠) قديمة بنوعها لا بشخصها والصور النوعية قديمة بنسبها لا بنوعها ولا بشخصها.

الثالث^(١١) أن يكون قديم الذات محدثة^(١٢) الصفات وهو قول من تقدم أرسطو بالزمان كشاليس الملطي و انكساغورس وفيثاغورس وسقراط وجميع الثنوية كالمانيوية والديصانية والمرقوبية والماهانية ثم هؤلاء اختلفوا فرقتين فذهب بعضهم إلى أن تلك الذات القديمة كانت جسما ثم اختلف هؤلاء فزعم ثاليس أنه الماء لأنه قابل لكل الصور وزعم أنه إذا انجد صار أرضا وإذا لطف صار هواء ومن صفق^(١٣) الماء تكونت النار ومن النار تكون الدخان^(١٤) ومن الدخان تكونت السماء ويقال أنه أخذه من التوراة لأنه جاء في السفر الأول منه أن الله تعالى خلق جوهرًا فنظر نظر الهيئة فذابت أجزاؤه فصارت ماء ثم ارتفع بخار الدخان فخلق منه السماوات وظهر على وجه الماء زيد فخلق منه الأرض ثم أسساها بالبحال. وأما انكسيمائس فإنه زعم أن ذلك الجسم هو الهواء والنار تكونت من لطافته والماء والأرض من كثافته وتكونت الأشياء عنها بالتلطيف وقال آخرون إنه البخار وتكون الهواء والنار

(١) أجوبة المسائل المهتاتية ص ٨٨.

(٢) لم نعر على كلام ابن زهرة في المظان من غنية النزوع.

(٣) الياقوت ص ٣٣.

(٤) راجع كشف المراد ص ١٧٠ فصل ٣. المسألة السادسة.

(٥) نهاية المرام في علم الكلام - مخطوط - ج ١ ورقة ٤٣. البحث الثالث في أن القديم واحد.

(٦) في المصدر: «ب» بدل «الثاني».

(٧) في المصدر: «والصور الجسمية».

(٨) في المصدر: «ج» بدل «الثالث».

(٩) في المصدر: «صفرة».

(١٠) في المطبوعة: «محدث» وما اقتبناه من المصدر.

(١١) عبارة: «ومن النار تكونت الدخان» ليست في المصدر.

عنه بالتلطيف والماء والأرض بالتكليف وذهب أنوفلطيوس أنه النار وكونت الأشياء عنها بالتكاثف وحكي أيضا أنه زعم أن الأشياء إنما انتظمت بالبخت وجوهر البخت هو نظر عقلي ينفذ في الجوهر الكلي وأما انكساغورس فإنه قال ذلك الجسم هو الخليط الذي لا نهاية له وهو أجسام غير متناهية وفيه من كل نوع أجزاء صغيرة مثلا فيه أجزاء على طبيعة الخبز وأجزاء على طبيعة اللحم فإذا اجتمع من تلك الأجزاء شيء كثير فصار بحيث يحس ويرى ظن أنه حدث وهذا القائل بنى مذهبه على إنكار المزاج والاستحالة وقال بالكومن والظهور وزعم بعض هؤلاء أن ذلك الخليط كان ساكنا في الأزل ثم إن الله تعالى حركه فتكون منه هذا العالم. وذهب ديمقراطيس إلى أن أصل العالم أجزاء كثيرة كرية الشكل قابلة للقسم الوهمية دون. القسمة الانفكاكية متحركة لذاتها حركات دائمة ثم اتفق في تلك الأجزاء أن تصادمت على وجه خاص فحصل من تصادمها على ذلك الوجه هذا العالم على هذا الشكل فحدثت السماوات والعناصر ثم حدثت من الحركات السماوية امتزاجات هذه العناصر ومنها هذه المركبات ونقل الشيخ في الشفاء عنه أنه قال إن هذه الأجزاء إنما تتخالف بالشكل وإن جوهرها جوهر واحد والطبع وإنما تصدر عنها أفعال مختلفة لأجل الأشكال المختلفة وقالت النونية أصل العالم هو النور والظلمة والفرقة الثانية الذين قالوا أصل العالم ليس بجسم وهم فريقان.

الأول الجرمانية وهم الذين أثبتوا القدماء الخمسة البارئ تعالى والنفس والهوى والذهب والخلاء^(١) قالوا البارئ تعالى في غاية التمام في العلم والحكمة لا يعرض له سهو ولا غفلة^(٢) يفيض عنه العقل كفيض النور عن القرص وهو يعلم الأشياء علما تاما وأما النفس فإنه يفيض عنه الحياة فيض النور عن القرص لكنها جاهلة لا تعلم الأشياء ما لم تمارسها وكان البارئ تعالى عالما بأن النفس تستميل إلى التعلق بالهوى وتعشقه وتطلب اللذة الجسمية وتكره مفارقة الأجساد^(٣) وتسي نفسا ولما كان من شأن البارئ تعالى الحكمة التامة عمد إلى الهوى بعد تعلق النفس بها فركبها ضروبا من التركيب مثل السماوات والعناصر وركب أجسام الحيوانات على الوجه الأكمل والذي بقي فيها من الفساد غير ممكن الزوال. ثم إن الله تعالى أفاض على النفس عقلا وإدراكا وصار ذلك سببا لتذكرها عالمها وسببا لعلمها بأنها لا تنفك عن الآلام ما دامت في العالم الهولائي وإذا عرفت النفس هذا عرفت أن لها في عالمها الذات الخالية عن الألم اشتاقت إلى ذلك العالم وعرجت بعد المفارقة وبقيت هناك أبد الآباد في نهاية البهجة والسعادة قالوا وبهذا الطريق زالت الشبهات الدائرة بين الفلاسفة القائلين بالقدم وبين المتكلمين القائلين بالحدث^(٤).

الفريق الثاني أصحاب فيثاغورس وهم الذين قالوا المبادئ هي الأعداد المتولدة من الوحدات لأن قوام المركبات بالبسائط وهي أمور كل واحد منها واحد في نفسه ثم تلك الأمور إما أن تكون لها جهات^(٥) وراء كونها وحدات أو لا يكون فإن كان الأول كانت مركبة لأن هناك تلك الماهية مع تلك الوحدة وكلامنا ليس في المركبات بل في مبادئها وإن كان الثاني كان مجرد وحدات وهي لا بد وأن تكون مستقلة بأنفسها وإلا لكانت مفتقرة إلى الغير فيكون ذلك الغير أقدم منها وكلامنا في المبادئ المطلقة وهذا خلف فإن الوحدات أمور قائمة بأنفسها فإن عرض الوضع للوحدة صارت نقطة وإن اجتمعت نقطتان حصل الخط فإن اجتمع خطان حصل السطح فإن اجتمع سطحان حصل الجسم فظهر أن مبدأ الأجسام الوحدات ونقل أيضا عنه أن الوحدة تنقسم إلى وحدة بالذات غير مستفادة من الغير وهو الذي لا تقابلها الكثرة وهو المبدأ الأول وإلى وحدة مستفادة من الغير وهي مبدأ الكثرة وليست بداخلة فيها بل يقابلها الكثرة ثم يتألف منها الأعداد وهي مبادئ الموجودات وإنما اختلف الموجودات في طبائعها لاختلاف الأعداد بخواصها^(٦).

الرابع^(٧) أن يكون العالم قديم الصفات محدث الذات وهو محال لم يقل به أحد لقضاء الضرورة بطلانه وأما جالينوس فإنه كان متوقفا في الكل^(٨) انتهى.

(١) في المصدر: «الخلاء».

(٢) في المصدر: «بالحدث».

(٣) في المصدر: «مفارقة الأجسام».

(٤) في المصدر: «لها ماهيات».

(٥) في المصدر: «بدل الرابع».

(٦) في المصدر: «مخطوط ج ٣ ورقة ٣٣٤ - ٣٣٥ البحث السادس في حدوث الأجسام».

(٧) في المصدر: «الخلاء».

(٨) في المصدر: «مفارقة الأجسام».

(٩) في المصدر: «لها ماهيات».

(١٠) في المصدر: «بدل الرابع».

(١١) في المصدر: «مخطوط ج ٣ ورقة ٣٣٤ - ٣٣٥ البحث السادس في حدوث الأجسام».

و إنما أوردنا هذه المذاهب السخيفة ليعلم أن أساطين الحكماء تمسكوا بهذه الخرافات و تفوهوا بها و يتبعهم أصحابهم و يعظمونهم و إذا سمعوا من أصحاب الشريعة شيئا مما أخذوه من كتاب الله و كلام سيد المرسلين و الأئمة الراشدين ﷺ ينكرون و يستهزئون قائلينهم الله أنى يؤفكون.

٢٥٢
٥٧

وقال المحقق الدواني في أنموذجه و قد خالف في الحدوث الفلاسفة أهل الملل الثلاث فإن أهلها مجمعون على حدوثه بل لم يشذ من الحكم بحدوثه من أهل الملل مطلقا إلا بعض المجوس و أما الفلاسفة فالمشهور أنهم مجمعون على قدمه على التفصيل الآتي و نقل عن أفلاطون القول بحدوثه و قد أوله بعضهم بالحدوث الذاتي ثم قال فنقول ذهب أهل الملل الثلاث إلى أن العالم ما سوى الله تعالى و صفاته من الجواهر و الأعراض حادث أي كائن بعد أن لم يكن بعدية حقيقة لا بالذات فقط بمعنى أنها في حد ذاتها لا تستحق الوجود فوجودها متأخر عن عدمها بحسب الذات كما تقوله الفلاسفة و يسمونه الحدوث الذاتي على ما في تقرير هذا الحدوث على وجه يظهر به تأخر الوجود عن عدمه من بحث دقيق أوردناه في حاشية شرح التجريد. و ذهب جمهور الفلاسفة إلى أن العقول و الأجرام الفلكية و نفوسها قديمة و مطلق حركاتها و أوضاعها و تخيلاتنا أيضا قديمة فإنها لم تخل قط عن حركة و وضع و تخيل لجزئيات الحركة و بعضهم يشبّهونها بها بسبب استخراج الأوضاع الممكنة من القوة إلى الفعل و حدوث مناسبة لها بمبدئها الكامل من جميع الوجوه كمالات تفيض على نفوسها من المبادئ لكن محققهم على ما ذكره أبو نصر و أبو علي في تعليقاتها نقلا عن أرسطاطاليس ذهبوا إلى أن المطلوب لها نفس الحركة و بها يتم التشبيه بمبادئها فإنها بالفعل من حيث الذات و سائر الصفات إلا ما يتعلق بالحركة من الأوضاع الجزئية فإنها لا تحتل الثبات بالشخص فاستحفظ نوعها تميما للتشبيه بالمبادئ التي هي بالفعل من جميع الوجوه و لما كان التشبيه لازما للحركة جعلها الغاية المطلوبة باعتبار اللازم و العنصرية بموادها و مطلق صورها الجسمية و النوعية و مطلق أعراضها قديمة عندهم^(١) لأن مذهبهم أنه بالفكر تتعدم الصورة الواحدة و تحدث الانتتان و باتصال المنفصل تنعدم الانتتان و تحدث واحدة نعم الإشراقيون منهم على بقاء الصورة الجسمية مع طريان الانفصال و الاتصال و أما النفوس الناطقة الإنسانية فيعظمهم قائل بقدمها و ربما ينقل عن أفلاطون و هذا مخالف لما ينقل عنه من حدوث العالم و المشاءون منهم و معظم من عداهم على حدوثها^(٢).

٢٥٣
٥٧

و قال نحو من ذلك في كتاب شرح العقائد العنصرية و قال فيه المتبادر من الحدوث الوجود بعد أن لم يكن بعدية زمانية و الحدوث الذاتي مجرد اصطلاح من الفلاسفة و قال و المخالف في هذا الحكم الفلاسفة فإن أرسطاطاليس و أتباعه ذهبوا إلى قدم العقول و النفوس الفلكية و الأجسام الفلكية بموادها و صورها الجسمية و النوعية و أشكالها و أضوائها و العنصرية بموادها و مطلق صورها الجسمية لا لأشخاصها و صورها النوعية قبل بجنسها فإن صور خصوصيات أنواعها لا يجب أن تكون قديمة و الظاهر من كلامهم قدمها بأنواعها ثم قال و نقل عن جالينوس التوقف و لذلك لم يعد من الفلاسفة لتوقفه فيما هو من أصول الحكمة عندهم^(٣) انتهى.

و لنكتف بما أوردنا من كلام القوم في ذلك و إيراد جميعها أو أكثرها يوجب تطويلا بلا طائل و يستنبط مما أوردنا أحد الدلائل على الحدوث فإنه ثبت بنقل المخالف و المؤلف اتفاق جميع أبواب الملل مع تباين أهوائهم و تضاد آرائهم على هذا الأمر و كلهم يدعون و وصول ذلك عن صاحب الشرع إليهم و هذا مما يورث العلم العادي يكون ذلك صادرا عن صاحب الشريعة مأخوذا عنه و ليس هذا مثل سائر الإجماعات المنقولة التي لا يعلم المراد منها و تنتهي إلى واحد و تبعه الآخرون و لا يخفى الفرق بينهما على ذي مسكة من العقل و الإنصاف.

المقصد الثالث في كيفية الاستدلال بما تقدم من النصوص

فأقول: إذا أمنت النظر فيما قدمناه و سلكت مسلك الإنصاف و نزلت عن مطية التعنت و الاعتساف حصل لك القطع من الآيات المتظافرة و الأخبار المتواترة الواردة بأساليب مختلفة و عبارات متفنتة من اشتغالها على بيانات شافية و أدلة وافية بالحدوث بالمعنى الذي أسلفناه و من تتبعت كلام العرب و موارد استعمالهم و كتب اللغة يعلم أن

٢٥٤
٥٧

(١) في المصدر إضافة: «لا أقول إلا الصورة الجسمية بشخصها قديمة عندهم».

(٢) أنموذج العلوم ضمن «رسائل ثلاث» ص ٢٨٤ - ٢٨٦. (٣) شرح العقائد العنصرية ص ٥٥ - ٦١.

الإيجاد والإحداث والخلق والفطر والإبداع والاختراع والصنع والإبداء لا تطلق إلا على الإيجاد بعد العدم.^(١) قال المحقق الطوسي ره في شرح الإشارات إن أهل اللغة فسروا الفعل بإحداث شيء وقال أيضاً الصنع إيجاد شيء مسبوق بالعدم وفي اللغة الإبداع الإحداث ومنه البدعة لمحدثات الأمور وفسروا الخلق بإبداع شيء بلا مثال سابق وقال ابن سينا في رسالة الحدود الإبداع اسم مشترك لمفهومين أحدهما تأسيس شيء لا عن شيء ولا بواسطة^(٢) والمفهوم الثاني أن يكون للشيء وجود مطلق عن سبب بلا متوسط وله في ذاته أن يكون موجوداً وقد أفقد في ذاته إفتقاده تاماً.^(٣)

ونقل في الملل والنحل عن ثاليس الملطي أنه قال الإبداع هو تأسيس ما ليس بأبسط فإذا كان مؤسس الأيسات^(٤) فالتأسيس لا من شيء متقادم^(٥) انتهى.

ومن تتبع الآيات والأخبار لا يبقى له ريب في ذلك كقوله لا من شيء فيبطل الاختراع ولا لعل فلا يصح الإبداع^(٦) مع أنه قد وقع التصريح بالحدوث بالمعنى المعهود في أكثر النصوص المتقدمة بحيث لا يقبل التأويل وانضمام الجميع بعضها مع بعض يحصل القطع بالمراد ولذا ورد أكثر المطالب الأصولية الاعتقادية كالمعاد الجسماني وإمامة أمير المؤمنين عليه السلام وأمثالهما في كلام صاحب الشريعة بعبارات مختلفة وأساليب شتى ليحصل الجزم بالمراد من جميعها مع أنها اشتملت على أدلة مجتمعة من تأمل فيها يحصل له القطع بالمقصود ألا ترى إلى قولهم^(٧) في مواضع لو كان الكلام قديماً لكان إلهاً ثانياً^(٨) وقولهم وكيف يكون خالقاً لمن لم يزل معه^(٩) إشارة إلى أن الجعل لا يتصور للقديم لأن تأثير العلة إما إفاضة أصل الوجود وإما إفادة بقاء الوجود واستمرار الجعل الأول والأول هي العلة الموجدة والثاني هي المبقية والموجود الدائمي محال أن تكون له علة موجدة كما تحكم به الفطرة السليمة سواء كان بالاختيار أو بالإيجاب لكن الأول أوضح وأظهر.

ومما ينبه عليه أن في الحوادث المشاهدة في الآن الأول تأثير العلة هو إفاضة أصل الوجود وفي كل آن بعده من آتات زمان الوجود تأثير العلة هو إبقاء الوجود واستمرار الجعل الأول ولو كان ممكن دائمي الوجود فكل آن يفرض من آتات زمان وجوده الغير المتناهي في طرف الماضي فهو أن البقاء واستمرار الوجود ولا يتحقق أن إفاضة أصل الوجود فجميع زمان الوجود هو زمان البقاء ولا يتحقق أن ولا زمان للإيجاد وأصل الوجود قطعاً.

فنقول في توجيه الملازمة في الخبر الأول لو كان الكلام الذي هو فعله تعالى قديماً دائمي الوجود لزم أن لا يحتاج إلى علة أصلاً أما الموجدة فلما مر وأما المبقية فلأنها فرع الموجدة فلو انتفى الأول انتفى الثاني بطريق أولى والمستغنى عن العلة أصلاً هو الواجب الوجود فيكون إلهاً ثانياً وهو خلاف المفروض أيضاً لأن المفروض أنه كلام الواجب وفعله سبحانه ومثله يجري في الخبر الثاني. ويؤيده ما روي في الكافي وغيره في حديث الفرجة عن الصادق عليه السلام حيث قال للزندقي ثم يلزمك إن ادعيت اثنين فرجة ما بينهما حتى يكونا اثنين فصارت الفرجة ثالثاً بينهما قديماً معها فيلزمك ثلاثة^(١٠) الخبر. حيث حكم على الفرجة من جهة القدم بكونه إلهاً ثالثاً واجب الوجود.

إذا تقرر هذا فاعلم أن علة الحاجة إلى المؤثر حينئذ يمكن أن تكون هي الإمكان لأن مصداق مفهوم الإمكان حينئذ منحصر في الحوادث والفرد المفروض أنه قديم لا يصدق عليه الإمكان في نفس الأمر بل من أفراد الممتنع لاستلزامه التسلسل المستحيل مطلقاً كما سيحيى والممتنع بالذات قد يكون مركباً كالمجموع المركب من الضدين والتقيضين ويمكن أن تكون علة الحاجة إلى المؤثر هي الحدث أو الإمكان بشرط الحدوث وقد ذهب إلى كل منها جماعة وأحد الأخيرين هو الظاهر من أكثر الأخبار كما أومأنا إليه في بعضها ومنها حديث الرضا عليه السلام في علة خلق السماوات والأرض في ستة أيام.^(١١)

(١) شرح الإشارات والتبهيّات ج ٣ ص ١٢٠.

(٢) في المصدر: «الأيسات».

(٣) راجع ج ٤ ص ٢٣٢، وأيضاً ج ٥٨ ص ١٦١ من المطبوعة نقلاً عن أصول الكافي ج ١ ص ١٠٥.

(٤) ملل والنحل ج ٢ ص ٦٢.

(٥) مرّ هذا في ج ٤ ص ٢٥٥ من المطبوعة نقلاً عن الإحتجاج.

(٦) مرّ هذا في ج ٤ ص ١٧٦ من المطبوعة نقلاً عن التوحيد والعيون.

(٧) الكافي ج ١ ص ٨١ كتاب التوحيد باب حدوث العالم، حديث ٥.

(٨) راجع ج ٣ ص ٣١٧ من المطبوعة نقلاً عن التوحيد والعيون.

(٩) رسالة الحدود ضمن رسائل الشيخ الرئيس ص ١١٨.

ويدل عليه ما روي عن الرضا عليه السلام أنه دخل عليه رجل فقال يا ابن رسول الله ما الدليل على حدوث العالم قال إنك لم تكن ثم كنت وقد علمت أنك لم تكون نفسك ولا كونك من هو مثلك. (١) فإن الظاهر أن مراد السائل من حدوث العالم إثبات الصانع بناء على التلازم بينهما بقرينة الجواب واستدل بوجود المخاطب بعد عدمه أي حدوثه الزماني على الصانع تعالى.

ومن الدلائل على الحدوث ما يدل على أوليته تعالى فإن الأولية مفسرة بأنه سبحانه قبل كل شيء.

ومنها الآيات والأخبار الدالة على فناء جميع الموجودات وقد مر بعضها هنا وبعضها في المجلد الثالث وذلك بضم مقدمة مسلمة عند القائلين بالقدم وهي أن ما ثبت قدمه امتنع عدمه.

وقد روي في الاحتجاج في حديث الزنديق الذي سأل الصادق عليه السلام عن مسائل أنه قال فيتلاشى (٢) الروح بعد خروجه (٣) عن قالبه أم هو باق قال: بل (٤) باق إلى وقت ينفخ في الصور فعند ذلك تبطل الأشياء وتنفى فلا حس يبقى ولا محسوس ثم أعيدت الأشياء كما بدأها يدبرها (٥) وذلك أربعمائة سنة يثبت (٦) فيها الخلق وذلك بين النفختين. (٧)

ويدل على حدوث السماوات والآيات والأخبار الدالة على انشقاقها وانفطارها وطبها وانتشار الكواكب منها بما مر من التقريب وقد مضى جميع ذلك في المجلد الثالث.

ومنها الآيات والأخبار الدالة على خلق السماوات والأرض في ستة أيام لأن الحادث في اليوم الأخير مسبق بخمسة أيام فيكون منقطع الوجود في الماضي والموجود في اليوم الأول زمان وجوده أزبد على زمان الأخير بقدر متناه فالجميع متناهي الوجود حادث فيكون الزمان الموجود الذي يثبتونه أيضاً متناهي لأنه عندهم مقدار حركة الفلك وقد مر تأويل الأيام وكيفية تقديرها في تفسير الآيات.

وإذا أظنت خبراً بما نقلنا من الآيات والأخبار المتواترة الصريحة فهل يجترئ عاقل استشم رائحة من الدين أن يعرض عن جميع ذلك وينذها وراء ظهره تقليداً للفلاسفة واتكالا على شبهاتهم الكاسدة ومذاهبهم الفاسدة وستعرف أنها أوهن من بيت العنكبوت بفضل الحي الذي لا يموت.

قال المحقق الدواني في أمودجه بعد ما تكلم في شبهاتهم لا يذهب عليك أنه إذا ظهر الخلل في دلائل قدم العالم وثبت بالتواتر وإخبار الأنبياء الذين هم أصول (٨) البرايا وإجماع أهل الملل على ذلك وقد نطق به الوحي الإلهي على وجه لا يقبل التأويل إلا بوجه بعيد تنتفر (٩) عنه الطبائع السليمة والأذهان المستقيمة فلا محيص عن اتباع الأنبياء في ذلك والأخذ بقولهم كيف وأساطين الفلاسفة ينسبون أنفسهم إليهم وينسبون أصول مقالاتهم على ما يزعمون أنها مأخوذة منهم (١٠) فإذاً تقليد هؤلاء الأعظم الذين اصطفاهم الله تعالى وبعثهم لتكميل العباد والإرشاد إلى صلاح المعاش والمعاد وقد أذعن لكلهمم الفلاسفة أولى وأحرى من تقليد الفلاسفة الذين هم معترفون برجحان الأنبياء عليهم السلام ويتركون بالانتساب إليهم ومن العجب العجائب أن بعض المتفلسفة يتمادون في غيهم (١١) ويقولون إن كلام الأنبياء مؤول ولم يريدوا به ظاهره مع أنا نعلم أنه قد نطق القرآن المجيد في أكثر المطالب الاعتقادية بوجه لا يقبل التأويل أصلاً كما قال الإمام الرازي لا يمكن الجمع بين الإيمان بما جاء به النبي ﷺ وإنكار الحشر الجسماني فإنه قد ورد (١٢) من القرآن المجيد التصريح به بحيث لا يقبل التأويل أصلاً.

وأقول: لا يمكن الجمع بين قدم العالم والحشر الجسماني أيضاً لأن النفوس الناطقة لو كانت غير متناهية على ما هو مقتضى القول بقدم العالم امتنع الحشر الجسماني عليهم لأنه لا بد في حشرهم جميعاً من أبدان غير متناهية و

(١) راجع ج ٣ ص ٣٦ من المطبوعة تفلأ عن التوحيد والأمالى والعيون.

(٢) في المصدر: «يتلاشى».

(٣) في المصدر: «خروجه».

(٤) في المصدر: «هو».

(٥) في المصدر: «يسبب» بدل «يثبت».

(٦) في المصدر: «صفوة» بدل «أصول».

(٧) في المصدر: «أصلاً» بدل «متناهي».

(٨) في المصدر: «أعنيهم» بدل «غيبهم».

(٩) في المصدر: «في مواضع».

(١٠) في المصدر: «يبنو» بدل «تتفرق».

(١١) في المصدر: «أعنيهم» بدل «غيبهم».

أمكنة غير متناهية و قد ثبت أن الأبعاد متناهية ثم التأويلات التي يتمحلونها في كلام الأنبياء عسى أن يتأتى مثلها في كلام الفلاسفة بل أكثر تلك التأويلات من قبيل المكابرات للسوفسطائية فإننا نعلم قطعاً أن المراد من هذه الألفاظ الواردة في الكتاب والسنة هي معانيها المتعارفة عند أهل اللسان فإننا كما لا نشك في أن من يخاطبنا بالاستفسار عن مسألة الجزء الذي لا يتجزأ لا يريد بذلك الاستفسار عن حال زيد مثلاً في قيامه وقعوده كذلك لا نشك في أن المراد بقوله تعالى ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾^(١) هو هذه المعاني الظاهرة لا معنى آخر من أحوال المعاد الروحاني الذي يقول به الفلاسفة.

وبالجملة: فنصوص الكتاب يجب الحمل على ظاهرها^(٢) والتجاوز عن هذا النهج غي و ضلال و التزامه طريق أهل الكمال^(٣) انتهى.

ولقد أحسن وأجاد لكن ما يظهر من كلامه من أن النصوص الواردة في الحدوث قابلة للتأويل البعيد ليس كذلك بل إن كان بعضها قابلاً فالمجموع يفيد القطع بالمقصور ولعله إنما قال ذلك لعدم اطلاعه على نصوص أئمة الهدى^(٤) أو لعدم اعتقاده بها كما هو ظاهر حاله وإن أشعر بالتدين بالحق في بعض المواضع وأما منافاة القول بالقدم مع الحشر الجسماني فإنما يتم لو ذهبوا إلى عدم تناهي عدد النفوس ووجوب تعلق كل واحدة بالأبدان لا على سبيل التناسخ كما ذهب إليه أرسطو ومن تأخر عنه أما لو قيل بقدمها وحدوث تعلقها بالأبدان كما ذهب إليه أفلاطون ومن تبعه فإنه ذهب إلى قدم النفس وحدها وحدوث سائر العالم وتناهي الأبدان أو قيل بجواز تعلق نفس واحدة بأبدان كثيرة غير متناهية على سبيل التناسخ وأن في المعاد يرجع النفس مع بدن واحد فلا يتم أصلاً.

نعم القول بقدم النفوس البشرية بالتنوع وحدوثها بحدوث الأبدان على سبيل التعاقب وعدم تناهيها كما ذهب إليه المشاءون على ما نقل عنهم المتأخرون مما لا يجتمع مع التصديق بما جاء به النبي ﷺ بل الأنبياء^(٥) من وجوه آخر أيضاً.

الأول: التصديق بوجود آدم و حواء على ما نطق به القرآن والسنة المتواترة مشروحاً.

الثاني: أنهم ذهبوا إلى قدم هيولي العناصر بالشخص وتعاقب صور غير متناهية عليها فلا بد لهم من القول بتكون أبدان غير متناهية من حصص تلك الهيولي وتعلق صور نفوس غير متناهية بكل حصّة منها وعندهم أيضاً أنه لا يمكن اجتماع صورتين في حصّة من تلك الهيولي دفعة فيلزمهم اجتماع نفوس غير متناهية في بدن واحد إن اعترفوا بالمعاد الجسماني إلى غير ذلك من المفاسد تركناها روما للاختصار.

المقصد الرابع

في ذكر نيز من الدلائل العقلية على هذا المقصد وإن كان خارجاً عن مقصود الكتاب تشييداً لهذا المقصد من كل باب وإن أفضى إلى بعض الإطناب. و هو مشتمل على مطالب:

المطلب الأول: في إبطال التسلسل مطلقاً و هو مفترى إلى تمهيد مقدمات:

الأولى: ما ذكره السيد ره في القيسات و هو أن الحكم المستوعب الشمول لكل واحد^(٦) إذا صح على جميع تقادير الوجود لكل من الآحاد^(٧) منفرداً كان عن غيره أو ملحوظاً على الاجتماع كان سحب^(٨) ذيله على المجموع الجملي أيضاً من غير امتراء وإن اقتص بكل واحد بشرط الانفراد كان حكم الجملة غير حكم الآحاد^(٩).

فإنه إذا كان سلسلة فرد منها أبيض فالجملة أيضاً أبيض وإذا كان لكل جزء مقدار فللكل أيضاً كذلك إلى غير ذلك من الأمثلة المنبهة على المطلب وإذا كان فرد متناهية لم يلزم أن يكون المجموع متناهية وإذا كان كل جزء من الأجزاء

(١) سورة يس، آية: ٧٨ - ٧٩.

(٢) في المصدر: «يجب حملها على ظاهرها ما لم يمنع عنه مانع قوي من برهان عقلي أو قرينة صارقة عن الحمل على الظاهر».

(٣) أنموذج العلوم ضمن «ثلاث رسائل» ص ٣١٨ - ٣١٩.

(٤) في المصدر إضافة: «واحد».

(٥) في المصدر: «مطلقاً».

(٦) في المصدر: «ينسحب».

(٧) القيسات ص ٢٢٩.

لا يتجزأ غير منقسم لا يكون الكل غير منقسم وإذا كان كل فرد من أفراد السلسلة واجبا بالذات لا يلزم أن تكون الجملة واجبا بالذات لأن في تلك للانفراد مدخلا وتأثيرا.

الثانية: ما أشار إليه المحقق الدواني وغيره وهي أن العقل قد يحكم على الإجمال حكما كليا بالديهية أو الحدس على كل فرد وعلى كل جملة سواء كانت متناهية أو غير متناهية وإن كان لو لاحظ التفصيل ابتداء توقف في بعض الأفراد والجملة كما يحكم العقل مجملا بأن كل موجد يجب أن يتقدم على الموجد من غير تفصيل بين موجد نفسه وموجد غيره ثم يثبت به أن الماهية لا يجوز أن تكون علة لوجودها وهذا جار في جميع كبريات الشكل الأول بالنسبة إلى الأصغر انتهى.

وبهذا يمكن تميم البرهان السلمي بأن كل بعد من الأبعاد المفروضة فيه يجب أن يوجد فيما فوقه فكذا الكل الغير المتناهي.

الثالثة: اعلم أن من النسب والإضافات ما هي فرع اعتبار العقل وانتزاعه حتى لو لم يعتبرها العقل لم يتحقق في نفس الأمر أصلا وذلك إنما يكون إذا كان الموصوف أو الاتصاف والنسبة والإضافة اعتباريا محضا يتوقف تحققه على اعتبار العقل وفرضه ومنه العدد إذا كان معروضه غير موجود فإن العدد عرض لا يتحقق إلا بتحقق معروضه وهو المعدود ومنه وجود الوجود ولزوم اللزوم وهكذا لأن الموصوف والمنتزع عنه فيهما لا يتحقق إلا بعد الانتزاع وتوجه العقل إليه قصدا وبالذات فإن الموصوف لا يتحقق إلا بهذا ومنه النسب الاعتبارية المحضة والانطباقات الحاصلة بين آحاد السلسلتين إذا كانت باعتبار هذه الوجوه كانت اعتبارية محضة تقطع بانقطاع الاعتبار ومن الاتصافات والنسب ما ليست كذلك ولا يتوقف على اعتبار وفرض بل هي متحققة في الواقع بدون فرض فافرض مثل لوازم الماهية والاتصافات الخارجية والنفس الأمرية فإننا نحزم بديهية أن العدد موصوف بالزوجية أو الفردية والسماء موصوفة بالفوقية بالنسبة إلى الأرض والأب بالابوة والابن بالبنوة وإن لم يفرض العقل بل انتزاع العقل تابع لما هو متحقق في الواقع وإلا صح انتزاع كل أمر من كل شيء والمنهيات عليه كثيرة لا تحفى فظهر أن انتزاع العقل وصحة حكمه تابع وفرع للواقع وليس لفرض العقل مدخل في صحة هذه الأمور وتحققها وهذا القدر كاف في دفع الاعتراضات الواردة على البراهين الآتية ولنشرع في إيراد البراهين على وجه الاختصار وإن كانت مذكورة في كتب القوم.

الأول: برهان التطبيق وهو أم البراهين وله قرارات:

الأول: لو تسلسلت أمور مترتبة إلى غير نهاية بأي وجهه من وجوه الترتيب اتفق كالترتيب الوضعي والطبيعي أو بالعلية أو بالزمان وسواء كانت عددا أو زمانا أو كما قارا أو معدودا أو حركة أو حوادث متعاقبة فنفرض من حد معين منها على سبيل التصاعد مثلا سلسلة غير متناهية ومن الذي من فوق الأخير أيضا سلسلة أخرى ولا شك في أنه يتحقق هناك جملتان إحداها جزء للأخرى ولا في أن الأول من إحداها منطبق على الأول من الأخرى والثاني على الثاني في نفس الأمر وهكذا حتى يستغرق التطبيق كل فرد فرد بحيث لا يشذ فرد فإن كان في الواقع بإزاء كل واحد من الناقصة واحد من الزائدة لزم تساوي الكل والجزء وهو محال أو لا يكون فقد وجد في الزائدة جزء لا يكون بإزائه من الناقصة شيء ففتناهى الناقصة أولا ويلزم تنهاى الزائدة أيضا لأن زيادتها بقدر متناه هو ما بين المبدئين وقد فرضناهما غير متناهيين وهذا خلف.

واعلم أنه لا حاجة في التطبيق إلى جذب السلسلة الناقصة أو رفع التامة وتحريكهما عن موضعهما حتى تحصل نسبة المحاذاة بين آحاد أجزاء السلسلتين ويحصل التطبيق باعتبار هذه النسبة بل النسب الكثيرة في الواقع متحققة بين كل واحد من آحاد إحدى السلسلتين مع آحاد السلسلة الأخرى بلا تعمل من العقل فإنه للأول من السلسلة التامة نسبة إلى الأول من الناقصة وهو الخامس من السلسلة الأولى بعد إسقاط أربعة من أولها وللثاني من الأولى إلى السادس من الثانية وللثالث من الأولى إلى السابع من الثانية تلك النسبة بعينها وهكذا في جميع آحاد السلسلتين على التوالي حتى يستغرق وكذا الأول من السلسلتين موصوف بالأولية والثاني بالثانوية والثالث بالثالثية وهكذا وباعتبار كل من تلك النسب والمعاني تنطبق السلسلتان في الواقع كل جزء على نظيره على التوالي ولما كان أول الناقصة منطبقا على أول الزائدة وتاليها على تاليها وهكذا على التوالي كل على نظيره حتى يستغرق الكل ولا

يمكن فوات جزء من البين لترتب الجملتين واتساقهما فلا بد أن يتحقق في الزائدة جزء لا يوجد في الناقصة نظيره وإلا لتساوى الجزء والكل فيلزم انقطاع الناقصة وزيادة الزائدة بقدر متناه.

واعترض على هذا الدليل بالنقض بمراتب العدد وكل متناه بمعنى لا يقف كأجزاء الجسم ومثل اللزوم ولزوم اللزوم وهكذا والإمكان ونظائرها فإن الدليل يجري فيها.

والجواب: أن غير المتناهي اللاقيقي يستحيل وجود جميع أفرادها بالفعل لاستحالة وجود غير المتناهي بل لأن حقيقة اللاقيقية تقتضي ذلك فإنه لو خرج جميع أفرادها إلى الفعل ولو كانت غير متناهية يقف ما فرضنا أنه لا يقف ويلزم في أجزاء الجسم الجزء الذي لا يتجزأ وفي المراتب العددية أن لا يتصور فوقه عدد آخر وهو خلاف البديهية بل مفهوم الجميع ومفهوم اللايقف متنافيان كما قرره في موضعه.

إذا تقرر هذا فنقول لعله يكون وجود جميع الأفراد خارجا وهنا مستحيلا نعم يمكن ملاحظتها إجمالا في ضمن الوصف العنوانى فلا يجري فيه البرهان وإنما يتم النقض لو ثبت أن جميع مراتب الأعداد المستحيلة الخروج إلى الفعل موجودة مفصلا مرتبا في الواقع.

وإن أورد النقض بتحقيقها في علمه سبحانه فالجواب أن علمه سبحانه مجهول الكيفية لا تمكن الإحاطة به وأنه مخالف بالنوع لعلومنا وإنما يتم النقض لو ثبت تحقق جميع شرائط البرهان في علمه تعالى وفي المعلومات باعتبار تحققه في هذا النحو من العلم وهو ممنوع وفي خبر سليمان المروزي في البدء^(١) إساءة إلى حل هذه الشبهة لمن فهمه وقد مر في المجلد الثاني^(٢) والرابع^(٣).

الثاني: لو كانت الأمور الغير المتناهية ممكنة لأمكن وقوع كل واحد من إحدى السلسلتين بإزاء واحد من الأخرى على سبيل الاستغراق إلى آخر الدليل وهذا التقرير جار في غير المرتبة أيضا لكنه في المرتبة المتسقة أظهر ومنع الإمكان الذاتي مكابرة وكيف يتوقف الذكي في أن القادر الذي أوجده أولا مرتبا يمكنه أن يوجد مرة أخرى مرتبا منطبقا وأن يرتب الغير المرتبة وإنكاره تحكم ومنعة مكابرة.

الثالث: ما قرره المحقق الطوسي وذهب الفاضل الدواني ولا يرد عليه الشيء من الإيرادات المشهورة ويكون الانطباق فيه انطباقا برهانيا لا مجال لتشكيك الوهم فيه وتقع فيه الزيادة والنقصان في الجهة التي فرض فيها عدم التناهي وهو أن يقال تلك السلسلة المرتبة علل ومعلولات بلا نهاية في جانب التصاعد مثلا وما خلا المعلول الأخير علل غير متناهية باعتبار ومعلولات غير متناهية باعتبار فالمعلول الأخير مبدأ لسلسلة المعلولية والذي فوقه مبدأ لسلسلة العلية فإذا فرضنا تطبيقهما بحيث ينطبق كل معلول على علته وجب أن تزيد سلسلة المعلولية على سلسلة العلية الواحد من جانب التصاعد ضرورة أن كل علة فرضت لها معلولية وهي بهذا الاعتبار داخلية في سلسلة المعلول والمعلول الأخير داخل في جانب المبدأ في سلسلة المعلول دون العلة فلما لم تكن تلك الزائدة بعد التطبيق من جانب المبدأ كانت في الجانب الآخر لا محالة لامتناع كونها في الوسط لاتساق النظام فيلزم الانقطاع وأن يوجد معلول بدون علة سابقة عليه تأمل فإنه دقيق وجرى هذا الدليل في غير سلسلة العلل والمعلولية من الجمل المترتبة فإن كل جملة فإن أحادها موصوفة في الواقع بالسابقة والمسبوقية بأي نوع كان من السبق وبغيرها من النسب الواقعية المتضاربة.

البرهان الثاني: برهان التضايغ وتقريره لو تسلسلت العلل إلى غير نهاية لزم زيادة عدد المعلولية على عدد العلية والتالي باطل بيان الملازمة أن أحاد السلسلة ما عدا المعلول الأخير لها عليه ومعلولية فيتكافى عددهما ويتساوى فيما سواه وبقيت معلولية المعلول الأخير زائدا فيزيد عدد المعلوليات الحاصلة في السلسلة على عدد العمليات الواقعة فيها بواحد وهذا الدليل يجري في كل سلسلة يتحقق فيها الإضافة في كل فرد منها في الواقع لا بحسب اختراع العقل وجريناه في المقادير المتصلة مشكل فإن إثبات إضافة في كل حد من الحدود المفروضة فيها في الواقع مشكل اللهم إلا أن يقال كل جزء من أجزاء المقدار المتصل متصف في الواقع لا بمجرد الفرض بصفات

(١) راجع التوحيد للصدوق ص ٤٤١ باب ذكر مجلس الرضا ع مع سليمان المروزي متكلم خراسان عند المأمون في التوحيد حديث ١.

(٢) راجع ج ٤ ص ٩٥ من المطبوعة. (٣) راجع ج ١٠ ص ٣٢٩ من المطبوعة.

حقيقية يتصف باعتبارها بالتقدم والتأخر بحسب الوضع وهما متضايقان ويؤيد ذلك أنهم قد صرحوا بأن أجزاء الأجسام موجودة في الواقع بوجود الكل وليست القسمة إيجاد للجزئين من كتم العدم بل تمييز وتعيين حد بين الجزئين الموجودين فيه وفيه أنه يلزم انتهاء أجزاء الجسم ويلزم الجزء الذي لا يتجزأ.

ثم اعلم أن هذا البرهان في التسلسل في أحد الجانبين فقط ظاهر وأما في التسلسل في الجانبين فقد يتوهم عدم جريانه فيه ودفعه أنا إذا أخذنا معلولا معينا ثم تصاعدنا أو تسافلنا يجب أن يكون المتضايقان الواقعا في تلك السلسلة متساويين ويتم الدليل ضرورة أن مضاياف العلية الواقعة في تلك القطعة هو المعلولية الواقعة فيها لا ما يقع فيما تحت القطعة من الأفراد مثلا إذا كان زيد علة لعمره وعمره لبكر فمضاياف معلولية عمرو هو علية زيد لا غير بل الاثنان منها على التوالي متضايقان تتحقق بينهما إضافة شخصية لا تتحقق في غيرهما فالمضاياف للمعلول الأخير المأخوذ في تلك القطعة هي علية القرينة التي فوقها لا غير فافهم والاعتراضات الواردة على هذا الدليل من اعتبارية المتضايقين وغيرها مدفوعة بما مهدنا من المقدمات بعد التأمل فلا نطيل الكلام بالتعرض لدفعها.

البرهان الثالث: ما أبداه بعض الأركياع من المعاصرين^(١) وسماه برهان العدد والمعدود وهو عندي متين وتقريره أنه لو تحققت أمور غير متناهية سواء كانت مجتمعة في الوجود أو لا وسواء كانت مترتبة أم لا تحقق لها عدد لأن حقيقة العدد هي مجموع الوحدات ولا ريب في تحقق الوحدات وتحقق مجموعها في السلسلة فتعرض العدد للجملة لا محالة إذ لا حقيقة للعدد إلا مبلغ تكرار الوحدات ويظهر من التأمل في المقدمات ذلك المطلوب أيضا كما لا يخفى وكل مرتبة يمكن فرضها من مراتب الأعداد على سبيل الاستغراق الشمولي فهي متناهية لأنه يمكن فرض مرتبة أخرى فوقها وإلا لزم أن تتف مراتب العدد وهو خلاف.

البدية بل هي محصورة بين حاصرين أحدهما الوحدة والآخر تلك المرتبة المفروضة أخيرا فالمعدود أيضا وهو مجموع السلسلة الغير المتناهية أيضا متناهية لأنه لا يمكن أن يعرض للمجموع بحيث لا يشذ منه فرد إلا مرتبة واحدة من مراتب العدد من جهة واحدة وكل مرتبة يمكن فرضها فهي متناهية كما مر نعم لو أمكن فرض جميع المراتب اللايقينية للعدد وأمكن تصور خروج جميع المراتب اللايقينية إلى الفعل وأمكن عروض أكثر من مرتبة واحدة للعدد للجملة الواحدة من جهة واحدة أمكن عروض العدد الغير المتناهي لهذه الجملة لكنه محال لأنه لا يمكن أخذ المجموع من الأمور اللايقينية ولا يتصور خروج الجميع إلى الفعل ولو على سبيل التعاقب وإلا لزم أن يقف وهذا خلف وقد التزمه النظام في أجزاء الجسم بل نقول مفهوم اللايقينية ومفهوم المجموع متنافيان كما قرر في محله. وهذا البرهان واضح المقدمات يجري في المجتمعة والمتعاقبة والمترتبة وغير المترتبة بلا تأمل وكذا جريان برهاني التطبيق والتضاياف ظاهر بعد الرجوع في المقدمات الممهدة والنظر الجميل في التقريرات السابقة وذهب المحقق الطوسي ره في التجريد إلى جريان التطبيق والتضاياف فيها وقال في نقد المحصل بعد تزييف أدلة المتكلمين على إبطال التسلسل في المتعاقبة فهذا حاصل كلامهم في هذا الموضع وأنا أقول إن كل حادث موصوف بكونه سابقا على ما بعده ولاحقا بما قبله والاعتباران مختلفان فإذا اعتبرنا الحوادث الماضية المبتدئة من الآن تارة من حيث كل واحد منهما سابق وتارة من حيث هو بعينه لاحق كانت السوابق واللاحق المتباينتان بالاعتبار متطابقتين في الوجود لا نحتاج في تطابقهما إلى توهم تطبيق ومع ذلك يجب كون السوابق أكثر من اللواحق في الجانب الذي وقع النزاع فيه فإذا النواحق متناهية في الماضي لوجوب انقطاعها قبل انقطاع السوابق والسوابق زائدة عليها بمقدار متناه فتكون متناهية أيضا^(٢) انتهى.

واعترض عليه بأن في التطبيق لا بد من وجود الأحاد على نحو التعدد والامتياز أما في الخارج فليس وأما في الذهن فكذلك لعجز الذهن عن ذلك وكذا لا يمكن للعقل تحصيل الامتياز وجود كل واحد في الأوقات السابقة على زمان التطبيق لا يفيد لأنه يرجع إلى تطبيق المعدوم فإن الوجود ضروري عند التطبيق وأيضا لا بد في الانطباق من وجود مجموع الأحاد وذلك المجموع لا يمكن وجودها لأن ذلك المجموع لم يكن موجودا قبل الحادث الأخير و

(١) لم نعرف هذا البعض.

(٢) تلخيص المحصل ص ٢٠٩ مسألة اختلاف أهل العالم في حدوث الأجسام.

بعده لم يبق شيء منه موجودا والقول بوجودها في مجموع الأوقات على سبيل التدرج كالحركة القطعية يدفعه أن وجود الكل في جميع الأوقات على هذا النحو يستلزم وجود الكل بدون شيء من أجزائه وفيه بحث إذ يكفي لوجود هذا الكل وجود أجزائه في أجزاء زمان الكل^(١) انتهى.

والتحقيق أن الموجود قد يوجد في ظرف الزمان وهو الدفعيات وقد يوجد في نفس الزمان وهو التدرجيات والأمر التدريجي مجموعها موجودة في مجموع زمان وجودها على سبيل الانطباق وليس المجموع موجودا في أبعاد الزمان ولا في آن من الآتات فإن سئل الحركة في اليوم هل هي موجودة في آن من آتات اليوم المفروض أو شيء من ساعاته فالجواب أنها ليست بموجودة أصلا بل هي مجموع اليومين وقد بين ذلك بوجه شاف في مظانه و انطباق الحوادث المتعاقبة الزمانية بعضها على بعض من قبيل الثاني فالتطبيق موجود في كل زمان لا في آن فان و الانطباق حكمه حكم المنطيقين كانطباق الحركة على الزمان و انطباق الحركة على المسافة وهذا ظاهر ألا ترى أن الكرة المدحرجة على سطح مستو تنطبق دائرة من محيط الكرة على المسافة جزما و انطباقها لا يمكن أن يكون في آن لأنه لا يمكن التماس بين المستدير والمستوي إلا بنقطة فظهر أن انطباقهما تدريجي في كل الزمان أو لا تعلم أن الحركة و الزمان متطابقان تدريجا في كل زمان الحركة و لو لم ينطبق الزمان على الحركة لم يكن مقدارا لها سواء كانا موجودين في الخارج أو لا.

٢٦٩
٥٧

ويمكن الجواب أيضا على القول بعدم وجود الزمانيات بأنه لا شك أن الآحاد المتعاقبة من إحدى السلسلتين منطبقة في الواقع على آحاد السلسلة الأخرى اللتين كانتا هما معا في الوجود في أزمنة وجودهما وإن لم يكونا موجودين حال حكمنا و وجودهما حال الحكم غير لازم في جريان البرهان بل وجودهما حين الانطباق وليس من قبيل تطبيق المعلوم على المعلوم بل من قبيل الحكم بانطباق المعلوم في حال الحكم على المعلوم الموجودين معا في حال الانطباق و ذلك مثل سائر الأحكام الصادقة على الأمور الماضية.

وقيل أيضا إن التطبيق يتوقف على الترتيب و هو يتوقف على تحقق أوصاف و نسب و إضافات يسلكها في سلك الترتيب و في المتعاقبة لا يوجد ذلك فإن فيما عدا الحادث الأخير لا يوجد شيء من طرفي النسبة و في الحادث الأخير لا يوجد إلا طرف واحد فلا يتحقق النسبة أيضا ضرورة أنها فرع المنتسبين.

فإن قلت لعل الاتصاف في الذهن كما قالوا في اتصاف أجزاء الزمان بالتقدم و التأخر.

قلت: لما كانت الحوادث لا نهاية لها فلا يمكن التفصيل في الأذهان و المبادئ العالية و الوجود الإجمالي غير كاف لعدم الامتياز فيه^(٢) انتهى.

والجواب: أنه يحزم العقل بأن حوادث زمان الطوفان في الخارج قبل حوادث زمان البعثة و قبل الحادث اليومي بلا ريب و لا يتفرع على اعتبار العقل كيف و هم معترفون بأن الحادث المتقدم علة معدة للحادث المتأخر بالعلية و المعلولية الخارجية فإن العلة ما لم توجد في الخارج من حيث إنها علة لم يوجد المعلول في الخارج و هما متضايغان فظهر أن النسبة بالعلية و المعلولية متحققة بين المعلول و العلة المعدة و وجودها السابق و عدمها علة فتحققت النسبة بين المعلوم و الموجود والحق أن طرفي النسبة لا يمكن أن يكونا معدومين بالعدم المطلق و إذا تحققت نوع تحقق لم يجتمعا في الوجود فإن العقل يجوز تحقق النسبة بينهما و لم ينقبض عنه و من تصور حقيقة وجود الأعراض التدريجية تصور كيفية النسبة بين أجزائها المتعاقبة و قل استبعاده و أذعن بها.

٢٧٠
٥٧

ثم إن النسبة بالتقدم و التأخر بين أجزاء الزمان في الواقع من غير فرعية و لا اعتبار العقل و تصوره و اتصافها بالصفات الثبوتية و الحكم بالأحكام النفس للأمرية بل الخارجية المستلزمة لثبوت المتيقن له في الواقع مما لا يشك فيه أحد و ليس من الأحكام المتفرعة على اعتبار العقل الحاصلة بعد فرضه و ليس يحصل بالفعل إلا بعد الفرض فإنه لو كان كذلك لكان حكم العقل بأن هذا الجزء متقدم و ذاك متأخر في الخارج من الأحكام الكاذبة لأنه في الخارج ليس كذلك في الحقيقة ألا ترى أنه يصح الحكم على الدورات الغير المتناهية من الحركة و الزمان بالتقدم و التأخر و

القسمة والانتزاع الإجمالي غير كاف لاتصاف كل جزء جزء بالتقدم والتأخر والتفصيل يعجز عنه العقل عندهم فكيف تكون هذه الاتصافات بعد فرض الأجزاء كما ذهبوا إليه.

وقد ذهب بعض المحققين^(١) في جواب شك من قال لم تصف هذا الجزء من الزمان بالتأخر وذاك بالتقدم إلى أن هذه الاتصافات مستندة إلى هويات الأجزاء وتشخصاتها الحاصلة لها فكما أنه لا يصح السؤال بأن زيدا لم صار زيدا وعمرا عمرا لا يصح السؤال بأنه لم صار أمس أمس واليوم اليوم وذهبوا أيضا إلى أن اختلاف أجزاء الفلك بالقطب والمنطقة مستند إلى هوية الأجزاء ليس بفرض فإرض بل موجودة فيه حقيقة لكن الأجزاء وهوياتها موجودة بوجود الكل بوجود واحد وكما أن أجزاء الجسم وتشخصاتها موجودة بوجود الجسم وبوجود قار كذلك أجزاء الزمان والحركة موجودة بوجود الكل بوجود تدريجي بلا تفاوت والمناقشة في هذه ناشئة من عدم تصور الوجود التدريجي كما ينبغي فلا ينافي اتصال الزمان والحركة إذا كانت موجودة بوجود واحد فإن هذا النوع من الاختلاف لا يستلزم القسمة بالفعل والانفصال بعد الاتحاد بوجود الكل.

ثم إنهم قاطبة صرحوا بأن الصفة لا يجب تحققها في ظرف الاتصاف والمحكوم به لا يجب وجوده في الحكم مع أنه نسبة وذهبوا أيضا إلى تساوي نسبة الممكن إلى طرفي الوجود والعدم وإلى صحة الاتصاف بنحو العمى من الأمور العدمية في الخارج إلى غير ذلك من النظائر ولا يخفى أنه يمكن إجراء جميع ما ذكرنا في جريان هذا الدليل في المتعاقبة في جريان سائر البراهين فيها فلا تظيل الكلام بالتعرض لخصوص كل منها.

البرهان الرابع: ما أورده الشيخ الكراچكي في الكنز بعد ما أورد برهان التطبيق بوجه مختصر أتفق قال دليل آخر على تناهي ما مضى وهو أنه قد مضت أيام وليالي وقفنا اليوم عند آخرها فلا يخلو أن تكون الأيام أكثر عددا من الليالي أو الليالي^(٢) من الأيام أو يكونا في العدد سواء فإن كانت الأيام أكثر من الليالي تناهي الليالي لأنها أقل منها و اقتضى ذلك تناهي الأيام أيضا لبطان اتصالها قبل الليالي بغير ليالي بينها فوجب على هذا الوجه تناهيهما معا وإن كانت الليالي أكثر من الأيام كان الحكم فيهما نظير ما قدما من تناهي الأول فتنتهى الأيام لزيادة الليالي عليها و يقتضي ذلك تناهي الليالي أيضا لما مر فيلزم تناهيهما معا وإن كانت الأيام والليالي في العدد سواء كانا بمجموعهما أكثر عددا من أحدهما بانفراده وهذا يشهد بتناهيهما إذ لو كان كل واحد منهما في نفسه غير متناه ما تصورت العقول عددا أكثر منه وقد علمنا أن الأيام مع الليالي جميعا أكثر عددا من أحدهما وهذا موضع عن تناهيهما وبهذا الدليل نعلم أيضا تناهي جميع ما مضى من الحركات والسكنات ومن الاجتماعات والافتراقات ومن الطيور والبيض والشجر والحب وما يجري مجرى ذلك^(٣) انتهى.

ثم اعلم أنه يمكن إبطال ما ادعوه من التسلسل في الأمور المتعاقبة بل في غير المرتبة أيضا بوجوه أخرى نذكر بعضها.

الأول أنهم قالوا بالحوادث الغير المتناهية التي كل سابق منها علة معدة للاحق على سبيل الاستغراق وأن إيجاد الواجب تعالى لكل منها مشروط بالسابق تحقيقا للإعداد وتصحيحا لارتباط الحادث بالقديم وأنه تعالى ليس بموجب تام لواحد منها إذا تقرر هذا فنقول لو تسلسلت المعدات على ما ذهبوا إليه لا إلى نهاية لزم أن يكون وجوب كل واحد منها وجوبا شرطيا بمعنى أنه يجب كل منها بشرط وجوب سابقة ولا ينتهي إلى الوجوب القطعي البت الذي يكون تعالى موجبا له لذاته بدون شرط لأنه عندهم أنه تعالى ليس بموجب تام لكل واحد من المعدات بل الحوادث مطلقا وتأثيره تعالى في كل منها موقوف على تأثيره في معد سابق عليه لا إلى نهاية فوجب كل منها وجوب شرطي لا يجب حتى يجب سابقة والوجوب الشرطي غير كاف لتحقيق واحد منها فإنه بمنزلة قضاي شرطية غير متناهية مقدم كل لاحق تال لسابقه فإنه ما لم ينته إلى وضع مقدم لم ينتج شيئا ولو توقف تأثير الواجب في كل حادث وإيجاده إياه على إيجاد حادث آخر ولم تجب لذاتها تلك الإيجادات لكان يجوز للواجب ترك إيجاد الحوادث بالكلية وما لم يتمتع هذا الاحتمال في نفس الأمر لم يجب واحد منها في الواقع لأن وجوب كل حادث إنما

(٢) في المصدر إضافة: «أكثر».

(١) لم نعرف اسم هذا البعض.

(٣) كنز الفوائد ج ١ ص ٣٦ ملخصاً.

هو بشرط إيجاد حادث آخر و هكذا الكلام في ترك الإيجاد رأسا و ما لم يمتنع جميع أنحاء ارتفاعاته و عدماته في الواقع لم يجب وجوده.

٢٧٤
٥٧

وتوهم بعضهم أنه لا يمكن ارتفاعه ارتفاع جميع الحوادث لاستلزامه ارتفاع الطبيعة القديمة المستندة بلا شرط إلى الواجب تعالى شأنه و هو مردود بأنه لا يقلل استناد. الطبيعة بلا شرط إلى الواجب جل شأنه لأن الطبيعة عندهم إذا كانت ذاتية لما تحتها فإما هي مجعولة بجعل ما هي ذاتية له بجعل واحد أو لا يمكن تعلق جعل على حدة بالطبيعة الكلية قطعاً و جعل كل فرد من أفراد الطبيعة عندهم إنما هو بشرط سبق معد نعم لو تحقق تأثير منفرد في الطبيعة وراء التأثير في الأفراد لوجب أن يكون التأثير من الواجب فيها إما ابتداءً أو بواسطة قديمة و تأثير الواجب في القديم بلا واسطة و شرط أو بواسطة قديمة إنما هو منشأ استحالة انعدام القديم عندهم فظهر أن سلسلة الحوادث يجب أن تنتهي إلى حادث يجب وجوده عن الواجب بلا شرط معد فتقطع سلسلة الحوادث به لأنه لا يجوز تقدم شرط أو معد من الحوادث عليه و كذا يمكن إجراء كثير من براهين إثبات الواجب التي لا يتوقف على إبطال الدور و التسلسل هنا بأدنى تصرف لا يخفى على الفطن اللبيب فإن تأثير الواجب تعالى عندهم في كل حادث يتوقف على معد و وجود الواجب مع عدم المعد في حكم قوة فرض عدمه تعالى و العياذ بالله في عدم التأثير و العلة التامة عندهم هو الواجب مع المعد و مجموع المركب من الواجب و الممكن ممكن فالعلل التامة لجميع الحوادث الغير المتناهية ممكنات فكما لا ينفع التزام التسلسل في مسألة إثبات الواجب لا ينفع التزامه هنا أيضاً إذ الأدلة الدالة على إثبات الواجب بدون التمسك بإبطال التسلسل يجري هنا أيضاً بأدنى تفاوت.

٢٧٥
٥٧

الثاني أن نقول على تقدير تسلسل الحوادث على سبيل التعاقب يلزم أن يتقدم على كل حادث من الحوادث على سبيل الاستغراق عدم أزلي لحادث حادث و الحادث الأول و الثاني يجتمعان في عدم إذ يوجد في الواقع مرتبة من المراتب كانا معدومين فيها و اجتمع معهما عدم الحادث الثالث ضرورة أن عدم كل حادث أزلي و أن عدم الحادث المتأخر و إن كان أطول امتداداً من الحادث المتقدم إلا أن الكل متحقق في ظرف الزمان إذ طبيعة الزمان أزلية عندهم و الأعدام كلها أزلية فلا بد من اجتماعها قطعاً في زمان ما و يجتمع مع هذه الأعدام الثلاث عدم الحادث الرابع و هكذا على ترتيب الآحاد على التوالي فإما أن يستغرق هذا الاجتماع إعدام جميع الآحاد فيكون جميع الحوادث معدوماً في مرتبة ما من المراتب الواقعية فتأخر جميع الحوادث عن تلك المرتبة الواقعية و يكون الجميع معدوماً في تلك المرتبة فيكون لها مبدأ و انقطاع و هو المطلوب و إن لم يستغرق فينتهي إلى حادث معين لا يجتمع عنده مع عدم ما قبله من الحوادث إما لأن هذا الحادث لا يسبقه عنده فيكون قديماً بالشخص و إما لأن الحادث الذي قبله لا يسبقه عدم أزلي فيكون ذلك قديماً ضرورة أنه لو تقدمها عدم أزلي يجب اجتماعهما مع ما تأخر عنهما فتقطع سلسلة الحوادث على أي تقدير.

٢٧٦
٥٧

لا يقال: كل جملة متناهية يجتمع في عدم و يتحقق عدم سابق على الجميع و أمّا جملة الحوادث الغير المتناهية فلا. لأننا نقول: قد بينا أن هذا الحكم مستغرق لجميع الآحاد على التوالي و قد مر في المقدمات المسهدة أن أمثال هذه الأحكام على كل فرد تسري إلى الجملة فلا مجال لهذا التوهم.

ولك أن تقول هاهنا سلسلتان إحداها سلسلة وجودات الحوادث و الأخرى سلسلة عدماتها فإذا أخذنا مجموع الوجودات بحيث لا يشذ عنها فرد و كذا العدميات فلا شك أن جملة العدميات بحيث لا يشذ فرد مقدمة على جملة الوجودات لتقدم كل فرد منها على نظيره و عديله و مثل هذا الحكم يسري من الآحاد إلى الجملة و لأن جملة العدميات لما كان كل فرد منها أزلياً و جملة الحوادث حادثة و تقدم الأزلي على الحادث ضرورية و لا شبهة في إمكان أخذ المجموع بحيث لا يشذ فإنه ليس من قبيل الجملة اللاقفية التي لا يمكن فيها أخذ المجموع بحيث لا يشذ و قد أخذوا جملة الممكنات في دليل إثبات الواجب فيكون ممكناً فلا يكون في تلك المرتبة شيء من الحوادث و هو الانقطاع.

ولنا أيضاً أن نقول يتقدم على كل حادث عدم أزلي هو عدم لهذا الحادث و ينعدم معه جميع ما بعده من الحوادث التي هو معد لها و سبق هذا عدم يستوعب جميع آحاد سلسلة الحوادث و حكم الآحاد يسري إلى الجملة فيلزم عدم

مجموع الحوادث رأساً و انقطاعها أو نقول مجموع الحوادث واحد شخصي لأن كل جزء منه واحد شخصي و حادث أيضاً لأن جميع أجزائه حادث فيلزم الانقطاع و نقول أيضاً السلسلة المذكورة معدات عندهم و المعد يعتبر وجوده و عدمه في المعلول المتأخر و كلاهما سابق عليه فنأخذ سلسلة العدمات اللاحقة السابقة على وجود المعلولات و نقول إما أن يستغرق سبق كل فرد من العدمات لكل فرد من وجودات الحوادث النظر على النظر فيلزم تقدم جملة سلسلة العدمات إذا أخذنا بحيث لا يشذ منها شيء على سلسلة وجودات الحوادث و هو يستلزم الانقطاع و تقدم عدم اللاحق على الموجود و هذا خلف و إن لم يستغرق فينتهي إلى فرد لا يسبقه عدم المعد فتقطع سلسلة المعدات.

وعلى هذه التقريرات لا يتوجه ما قيل إن الأزل ليس وقتاً محدوداً تجتمع فيه العدمات وغيرها بل مرجعه إلى أن قبل كل حادث حادث إلى غير نهاية وهكذا عدم الحوادث و لا محذور فيه لأن اجتماع عدم الأزلي الغير المتناهي في الماضي في زمان مع عدم تنامي الزمان عندهم مع مثله بالغاً ما بلغ سواء كانت الأعدام متناهية أم لا بديهي و لا يلزمنا تعيين زمان معين للأزل و كذا ما قيل و إن تحقق في الأزل عدم الحوادث لكنه عدم كل حادث مقرون بوجود حادث تقدم على ذلك الحادث أبداً فلا يتحقق وقت ينتهي فيه جميع الموجودات و يبقى صرف عدم و هذا مع أنه مدفوع بما قررنا لو تم فهو فساد آخر نشأ من عدم تنامي الحوادث إذ جميع المفاسد التي ذكرنا إنما نشأت من الحوادث إلى غير نهاية. و يمكن أن يقال أيضاً إن الحادث اليومي مسبوق بعدم معدة و بعدم معد معدة و هكذا إلى غير نهاية و عدم المعد البعيد بواسطة أطول امتداداً من عدم المعد القريب و المعد البعيد بواسطتين أطول منهما و المعد الأبعد بثلاث وسائط أطول من الثلاثة و كلما تمتد سلسلة المعدات تتزايد امتداد الأعدام اللاحقة للمعدات فلو ذهبت السلسلة إلى غير نهاية لزم أن يمتد عدم اللاحق لا إلى نهاية مع أنه عدم لاحق مسبوق بوجود المعد و استحالة ظاهرة و هذا برهان لطيف قوي لا يرد عليه ما يرد على برهان السلم لأن جميع الأعدام الغير المتناهية جزء للعللة التامة للحادث اليومي مجتمعة و وجودات المعدات متحققة في الواقع متميزة بخلاف برهان السلم لأن ازدياد الانفراج هنا على سبيل اللاتيف و موقوف على فرض النقاط في السابقين.

الثالث قال بعض المحققين إن الأمور الغير المتناهية مطلقاً يستلزم الأمور الغير المتناهية المترتبة و يلزم منه تنامي النفوس و حدوثها على بعض الوجوه كما سلف بيانه أن المجموع متوقف على المجموع إذا أسقط منه واحد و ذلك المجموع على مجموع أقل منه بواحد و هكذا إلى غير نهاية فيجري التطبيق و التضاييف بين المجموعات الغير المتناهية إذ هي أمور موجودة مترتبة.^(١)

المقصد الخامس

في دفع بعض شبه الفلاسفة الدائرة على أسنة المناققين و المشككين القاطعين لطريق الطالبين للحق و اليقين، و فيه مراد:

المروء الأول: قالوا إذا لاحظنا الواجب تعالى شأنه في طرف و جميع ما عداه بحيث لا يشذ منها شيء في طرف آخر فحينئذ إما أن يكون الواجب سبحانه علّة تامة لشيء ما أو لا و بعبارة أخرى جميع ما لا بد منه في وجود شيء ما سواء كان ذلك الشيء الإرادة الزائدة أو غيرها إما ذاته تعالى أو لا و على الأول يكون ذلك الشيء معه دائماً في الأزل لاستحالة تخلف المعلول عن العللة التامة و على الثاني يستحيل وجود شيء ما أبداً لاستحالة التغير في ذاته تعالى و بعبارة أخرى و بوجه أبسط و هو أن يقال ذات الواجب تعالى إما أن يستجمع جميع شرائط التأثير في الأزل أو لا و على الأول يلزم قدم الأول بالضرورة لامتناع التخلف عن الموجب التام و على الثاني توقف وجود الأثر و هو العالم على شرط حادث و ننقل الكلام إليه حتى يلزم التسلسل.

أما على سبيل الاجتماع: و هو باطل بما مر و أيضاً نقول إذا أخذنا مجموع تلك الشروط بحيث لا يشذ عنها شرط فإما أن يتوقف وجودها على شرط آخر غير ذات الواجب تعالى خارج عن مجموع الشروط فلم يكن ما

فرضناه جميعا جميعا وهذا خلف أو لا يتوقف فيكون الذات وحده مستقلا بإيجاد ذلك المجموع فاما أن يكون اجتماعها في آن حدوث الأثر فيلزم إما حدوث الواجب بالذات وإما تخلف الشروط عن موجبها التام وكلاهما محالان أو يكون اجتماعها في الأزل فيلزم قدم أشخاص غير متناهية من العالم هي الشروط بل والمشروط وجوده بها أيضا وإلا لزم تخلف المشروط عن موجب التام وهو الواجب مع جميعها إذ المفروض عدم شرط خارج عن المجموع.

أو على سبيل تعاقب تلك الشروط: إما في الحدوث مع اجتماعها في البقاء فتجتمع في آن الحدوث أمور غير متناهية مرتبة موجودة وتجري فيها براهين إبطال التسلسل بالاتفاق على أنه يلزم حينئذ قدم نوع الفعل وطبيعته وهو مطلوب في الجملة وإما على سبيل تعاقبها حدوثا وبقاء بأن لا يجتمع اثنان منها في الوجود في زمان ولا في آن فتكون طبيعة العالم قديمة محفوظة بتعاقب تلك الأفراد الغير المتناهية وتلك الأمور إنما يكون تعاقبها على مادة قديمة فيلزم أيضا قدم شخص هو المادة ولكونها لا تنفك عن الصورة يكون الجسم قديما أيضا أو يقال لا يجوز وجود الشرائط على التعاقب أيضا فإن الفاعل لما توقف تأثيره في كل من الشرائط على شرط آخر فهو في حد ذاته متساوي النسبة إلى طرفي الإيجاد وتركه فيتساوى فرض وجوده بحيث لا يوجد منه شيء من تلك الشروط أصلا وفرض وجوده موحدا له فلا يرجع أحد الطرفين على الآخر إلا لأمر خارج ونقل الكلام إليه حتى يظهر أنه يجب أن يكون بين البارئ تعالى والحوادث توسط أمر واحد ذاتا تتكرر إضافاته ونسبه فيكون قديما بالذات وحادثا بالإضافة وهو الحركة فأوجبوا وجود حركة قديمة بل وجود جسم قديم هو المتحرك بتلك الحركة وادعوا أنها حركة الفلك الأعظم فيكون قديما وكذا ما في جوفه لامتناع الخلاء ولأن الحركة الواحدة البسيطة كما لا تختلف ذاتها لا تختلف إعداداتها للمادة الواحدة لتشابه أجزائها في الحقيقة وأثبتوا حركات مختلفة وأفلاكا كثيرة يحصل من اجتماعها واختلافها سرعة وبطء وجهة وأوضاع مختلفة من المقارنات والمقابلات والترييعات والتسديسات والتثليثات وغير ذلك فتتظم بها سلسلة الحوادث عندهم.

وهذه الشبهة بتلك التقريرات أقوى شكوكهم وللتضي عنها طرق.

الطريق الأول: ما هو المشهور بين المتكلمين وهو أن يقال إنهم يقولون بقدم العالم لزعمهم لزوم توسط أمر ذي جهتي استمرار وتجدد بين الحادث اليومي والقديم لئلا يلزم التخلف عن العلة التامة ونحن نقول إنه الزمان ولا يلزم القدم لكونه أمرا اعتباريا انتزاعيا وأدلة وجوده مدخولة ولا نقول بانتزاعه من موجود ممكن حتى يلزم القدم أيضا بل هو منتزع من بقاءه تعالى فكما أنهم يصححون ربط الحادث بالقديم بالحركة والزمان كذلك نصحه أيضا بالزمان وكون الزمان مقدار حركة الفلك ممنوع بل نعلم بديهية أنه إذا لم يتحرك الفلك مثلا يتوهم هذا الامتداد المسمى بالزمان والقول بأنه لعله من بديهية الوهم لا يصحى إليه.

ثم إن الزمان وإن كان وهما فمعلوم أنه ليس وهما اختراعيا بل وهما نفس أمري ومثل هذا الوهمي يصح أن يكون منشأ للأمور الموجودة في الخارج لا بأن يكون فاعلا لها بل دخيلا فيها مع أن محققي الفلاسفة وافقونا على كون الزمان الممتد المتصل أمرا انتزاعيا مرتسما في الخيال وخالقونا فيما هو منشأ لانتزاعه فقالوا بوجود أمر قديم سرمدى في الخارج لا امتداد له ولا تقدر واعتقدوا أن له جهتي استمرار وتنقل كالحركة التوسيطية وسموه بالآن السيال وزعموا أن ذلك الأمر يفعل باستمراره وسيلانه في الخيال أمرا ممتدا متصلا غير قار الأجزاء في الوجود الفرضي الخارجي أو في حدوث الارتسام كالحركة بمعنى القطع وسموه بالزمان بمعنى القطع كل ذلك من غير ضرورة ولا برهان يدل على ذلك الأمر البسيط في الخارج فإن الشيخ لم يزد في الشفاء على تحرير الدعوى وإعادته بعبارات متكررة في فصول شتى ولا نقل عن السابقين عليه دليل في هذا الباب واقتضى المقلدون أثرهم بحسن الظن بهم وليت شعري إذا قنعوا بالتقليد فلم لم يقلدوا من قلدهم الله تقليده وتصديقه على أن العقل المستقيم ينقبض عن وجود ذلك الأمر في الخارج بل يمكن إبطاله أيضا بوجوه ليس هذا مقام إيرادها مع أنه على هذا القول يرد عليهم ما يرد علينا.

وما قيل من أن الزمان الموهوم لا تمايز بين أجزائه وطلب الترجيح فيما بينه غير معقول مدفوع بما من أنه وإن لم يكن موجودا لكنه من الأمور الواقعية التي يحكم العقل عليها بتلك الأحكام حكما واقعيا مع أنه لو كان وهما

محضا لا يترتب عليه حكم لا يتحقق التخلف أيضا إذا لم يتخلل زمان بين العلة و أول المعلولات أصلا حتى يسأل عن الترجيح بين أجزائه فيلزم الترجيح بلا مرجح و الامتداد المتهم محض اختراع الوهم حينئذ.

وحاصل الجواب حينئذ: أنا نختار أنه ليس في الأزل مستجمعا لشرائط التأثير قوله توقف على شرط حادث قلنا هو تمام قطعة من الزمان يتوقف عليها وجود العالم و يرتبط به الحادث بالقديم على نحو ما التزمه الفلاسفة في الحركة إلا أن توسط الحركة يستدعي قدم الحركة التوسطية السرمدية بل قدم المتحرك بها بل سائر الأجسام على ما عرفت و في هذا المسلك لا يلزم شيء من ذلك لأن الزمان و إن كان من الأمور المتحققة في نفس الأمر لكنه ليس من الموجودات الخارجية و لا مما ينتزع من حركة أو جسم حتى يلزم من تحققه في الأزل قدمه أو قدم منشأ انتزاعه بل إنما ينتزع من ذات الأول تعالى و ما قيل من أن حقيقة الزمان هي التقضي و الاستمرار الممتد فلو كان انتزاعيا لكان منتزعا مما يناسبه و يشابه مهيته كالحركة القطعية التي هي أمر تدريجي متصل غير قار ووجود الواجب سبحانه أمر ثابت لا يتصور فيه شائبة تدريج و انقسام فأى مناسبة بينه و بين ما ينتزع منه فجوابه أن ما ادعيت من لزوم تحقق المناسبة بين كل انتزاعي و منشأ انتزاعه حكم غير بين و لا مبين و لئن سلمنا لزومه فهو لا ينحصر فيما نفهمه من الزمان من معنى التجدد و الاتصال و لعله تتحقق مناسبة ما بينهما من جهة أخرى خفية عن إدراكنا و عدم الوجدان لا يعطي العدم ألا ترى أن أكثر الانتزاعات كالزوجية و الفردية و الفوقية و التحتية و غيرها ينتزع من محالها و لا يحكم وجداننا بتحقق مناسبات تفصيلية بين كل منتزع و ما ينتزع منه وذلك إما لعدم لزوم تحققها في الواقع أو لعدم اطلاعنا على تفاصيلها وأيا ما كان فليكن الأمر فيما نحن بصده كذلك على أنه يرد مثل ذلك على الفلاسفة أيضا إذ الزمان والحركة بمعنى القطع منتزعان عندهم من الآن السيال والحركة التوسطية مع مباينتهما فيما ذكره المورد من الأوصاف.

وكذا ما قيل من أن اتصافه تعالى بالبقاء يتوقف على تحقق زمان إذ المفهوم منه وجود أمر في آن مسبوق بوجود ذلك الأمر في آن آخر يتقدمه فلو كان الزمان منتزعا من الذات المتصفة بالبقاء لزم الدور مدفوع بأن هذه العبارة صدرت منهم مسامحة و اتكالا على وضوح الأمر بل المنشأ لانتزاع الزمان هو وجوده سبحانه الذي يتمتع عليه طريان العدم بمدخلية هذا الوصف و ظاهر أن هذا الوصف ثابت له سبحانه في ذاته من غير توقف على اعتبار بقاء أو زمان أو غير ذلك لأن هذا الوصف من لوازم الوجود الذاتي الذي هو عين ذاته أو أمر لا يحتاج ثبوته للذات إلى أمر سوى الذات و مجرد الاستلزام بين الوصف المذكور و البقاء غير كاف فيما المعترض بصده كما لا يخفى فإن انتزاع البقاء بالمعنى المذكور عن الذات متأخر عن ثبوت هذا الوصف بل عن انتزاع الزمان أيضا.

و أورد عليه أيضا أنه لو كان منتزعا منه سبحانه لكان صفة له كما هو شأن سائر ما ينتزع منه كالعلم و الإرادة و القدرة و الخلق و غير ذلك من المعاني المصدرية و التالي باطل لأنه سبحانه لا يتصف بالزمان لا بالحمل مواطة و هو ظاهر و لا اشتقاقا لأنه ليس بزماني كما أنه ليس بمكاني كما تشهد به العقول السليمة و النصوص الواردة عن الصادقين عليه السلام.

وأجيب عنه أولا بأننا لا نسلم أن كل ما ينتزع من شيء يجب أن يكون صفة له لأن مناط كون شيء صفة لشيء هو وجود العلاقة الناعتية بينهما وكون انتزاع شيء من شيء مطلقا مستلزما لوجود تلك العلاقة غير بين و لا مبين ومن تصدى له فعليه البيان وأما ثانيا فلأننا لو سلمنا ذلك نقول ما ورد من النصوص من أنه ليس بزماني ولا مكاني معناه أنه كما لا يحيط به مكان حتى يكون طرفا له مشتملا عليه كذلك لا يحيط به زمان حتى يتقدم عليه جزء من ذلك الزمان أو يتأخر عنه جزء آخر منه فيكون وجوده مقارنا لحد خاص من الزمان مسبوqa بحد آخر منه خال عن وجوده فيكون ذلك الحد ماضيا بالنسبة إلى وجوده الحق و سابقا على حد آخر كذلك حتى يكون مستقبلا بالقياس إليه و أما مقارنة الحق القديم للزمان و تحققة معه في نفس الأمر من الأزل إلى الأبد فلا شك في صحته و وقوعه و يكفي في اتصافه تعالى بالزماني تحقق المعنى الثاني و ليس لمفهوم لفظ الزماني لغة و لا اصطلاحا اختصاص بما يقارنه الزمان على النحو الأول و أما اتصافه سبحانه بالمكاني فإنه إنما منع لأنه لم يتحقق المقارنة بين ذاته تعالى و بين المكان بشيء من المعنيين لا بمعنى إحاطة المكان به و لا بمعنى مقارنة وجوده لوجوده أزلا و أبدا و لا شك أن اتصافه سبحانه بالزماني بهذا المعنى مما لا ينكره العقل و لا النقل بل ما ورد في النصوص من توصيفه بالباقي و

الدائم والسرمدى والأزلى والأبدى مما يشهد بصدقه ويؤذن بأن النصوص الدالة على نفي اتصافه بالزمانى إنما المراد بها نفي إحاطة الزمان بوجوده الحق على ما هو شأنه مع المتغيرات الحادثة في حد منه دون حد أو أنه لا يتقدر وجوده سبحانه بالليل والنهار والشهور والسنين.

الطريق الثانى بناء الجواب على عدم كونه سبحانه زمانيا كما أومأنا إليه سابقا وعليه شواهد كثيرة من الأخبار أشرنا إلى بعضها في مواضعها وقد مر كثير منها في كتاب التوحيد نحو ما رواه الصدوق عن الصادق عليه السلام قال إن الله تبارك وتعالى لا يوصف بزمان ولا مكان ولا حركة ولا انتقال ولا سكون بل هو خالق الزمان والمكان والحركة والسكون تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ^(١) وما رواه عن أبي إبراهيم عليه السلام أنه قال إن الله تبارك وتعالى لم يزل بلا زمان ولا مكان وهو الآن كما كان ^(٢) والخبر وفي خبر آخر عنه إن الله لا يوصف بمكان ولا يجري عليه زمان ^(٣) وفي الكافي وغيره في أخبار كثيرة والله لا يوصف بخلقه ^(٤) وروي عن سيد الشهداء عليه السلام في بعض خطبه ليس عن الدهر قدمه ^(٥) إذ الظاهر أن المراد أن قدمه سبحانه ليس قدما زمانيا ينشأ من مقارنة الزمان أبدا وقد مر قول أمير المؤمنين عليه السلام الذي ليس له وقت محدود ولا أجل محدود ولا نعت محدود ^(٦) وفي النهج لم يسبق له حال حالا فيكون أولا قبل أن يكون آخرا ويكون ظاهرا قبل أن يكون باطنا ^(٧) وقد مر. وقوله عليه السلام لا تصحبه الأوقات ^(٨) وقوله عليه السلام ما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال ^(٩) وقوله عليه السلام ليس لصفته حد محدود ولا نعت موجود ولا وقت محدود ولا أجل ممدود ^(١٠)

وفي التوحيد عن الكاظم عليه السلام أن الله لا يوصف بزمان ولا مكان ^(١١)

وعن أمير المؤمنين عليه السلام لم يختلف عليه حقب الليالي والأيام ^(١٢)، وعنه عليه السلام لا يزال وحدانيا أزليا قبل بدو الدهور وبعد صرف الأمور ^(١٣) وقد مر أيضا قوله عليه السلام أنه يعود بعد فناء الدنيا وحده لا شيء معه كما كان قبل ابتدائها كذلك يكون بعد فنائها بلا وقت ولا مكان ولا حين ولا زمان ^(١٤) وقد مر أيضا في حديث ذعلب لا تضمنه الأوقات إلى قوله مخبرة بتوقيتها أن لا وقت لموتها ^(١٥) وفي خطبة أخرى سبق الأوقات كونه والابتداء أثره إلى قوله كيف يجري عليه ما هو أجراه ^(١٦) وفي خطبة أخرى لا يقال له متى ولا يضرب له أمد بحتى ^(١٧) وقد مر في خطبة الرضا عليه السلام لا تصحبه الأوقات إلى قوله ففرق بها بين قبل وبعد ليعلم أن لا قبل له ولا بعد إلى قوله مخبرة بتوقيتها أن لا وقت لموتها إلى قوله ولا توقته متى ولا تشملته حين ولا تقارنه مع إلى قوله فكل ما في الخلق لا يوجد في خالقه وكل ما يمكن فيه يتمتع من صناعته ولا تجري عليه الحركة والسكون وكيف يجري عليه ما هو أجراه ويعود فيه ما هو ابتدأه ^(١٨) وعن الباقر عليه السلام لم يكن له كان ^(١٩) وأمثال هذه كثيرة قد مر أكثرها وظاهر الجميع بل صريح بعضها نفي كونه سبحانه زمانيا وكذا يدل على ذلك ما ينفي عنه سبحانه المقادير فإن الظاهر أن الزمان أيضا من المقادير وكذا ما يدل على استحالة التغير وتجدد الحال عليه تعالى فما يدل على خلاف ذلك مثل قوله تعالى ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ^(٢٠) وقوله ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ^(٢١) وأمثال ذلك مما مر بعضها فيمكن حملها

(١) راجع ج ٣ ص ٣٠٩ من المطبوعة. (٢) راجع ج ٣ ص ٢٢٧ من المطبوعة.

(٣) راجع ج ٣ ص ٣١٥ من المطبوعة.

(٤) راجع أصول الكافي ج ١ ص ٩٤ باب النهي عن الكلام في الكيفية، حديث ٩٤.

(٥) تعف العقول ص ١٧٤، وعنه في ج ٤ ص ٣٠١ من المطبوعة.

(٦) راجع ج ٤ ص ٢٦٩ من المطبوعة باختلاف، وراجع أيضا نهج البلاغة ص ٣٩ خطبة ١٠، مع تقديم وتأخير.

(٧) نهج البلاغة ص ٩٦ خطبة ٦٥. (٨) راجع ج ٤ ص ٢٢٩ من المطبوعة.

(٩) راجع ج ٤ ص ٢٧٤ من المطبوعة. (١٠) التوحيد ص ١٨٣، حديث ٢٠.

(١١) التوحيد ص ٥٠، حديث ١٣، وعنه في ج ٤ ص ٢٧٤ م المطبوعة.

(١٢) التوحيد ص ٤٣ باب التوحيد ونفي التشبيه، حديث ٣.

(١٣) راجع ج ٤ ص ٢٥٦ من المطبوعة، ونهج البلاغة ص ٢٧٦ خطبة ١٨٦.

(١٤) راجع ج ٤ ص ٣٠٥ من المطبوعة، وفيه: «لا تصحبه» يدل «لا تضمنه» علما بأنه قد جاء في الكافي ج ١ ص ١٣٩ باب جوامع التوحيد

حديث ٤ مثل ما في المتن. (١٥) نهج البلاغة ص ٢٣٢ خطبة ١٦٣.

(١٦) راجع ج ٤ ص ٢٢٩ من المطبوعة نقلا عن التوحيد والعيون.

(١٧) راجع ج ٣ ص ٣٢٦ و ج ٤ ص ٢٩٩ من المطبوعة. (١٨) سورة الرحمن، آية: ٢٩.

على ضيق العبارة فإن أهل اللغة لا يفهمون التجرد من الزمان و وضعوا الألفاظ للمعاني المتعارفة بينهم و إما لتفهم عامة الناس فإن تصور التجرد عن الزمان صعب يحتاج إلى لطف قريحة و إما أن يكون من قبيل قوله تعالى ﴿هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ (٢٢) و يكون المعية مع الزمان كالمعية مع المكان بل المكانيات و إما أن يقال المنفي عنه تعالى هو الزمان بالذات و المثبت هو الزمان بالعرض كما يفهم من كلام السيد الشريف في معنى السرمد و إما أن يكون من قبيل نفي الزمان و إثبات الثمرة كما في سائر الصفات فإن الآلة متنفية و ثمرة السمع و البصر و غيرها ثابتة و كذا مبدأ اشتقاق الرحمة و الغضب و اللطف و غيرها متنفية و ثمراتها ثابتة فالزمان منفي عنه تعالى و ثمرته ثابتة من توصيف أفعاله سبحانه بأوصاف الزمانيات من التعاقب و الترتيب و وقوعه في اليوم دون أمس إلى غير ذلك إما في الأفعال في أنفسها أو بالنسبة إليها بلا تغير في ذاته تعالى و تجدد و تصرف بالنسبة إليه سبحانه و كون بعضها بالفعل و بعضها بالقوة له تعالى و لا استبعاد فيه فإن جميع الأمور الإلهية غريبة عجيبة لا تدركها الأبصار و لا يخطر ببال أولي الرويات خاطرة من تقدير جلالة و لا يصل إليه آليات البشر بالتفكير بل ترجع خاشعة حسيرة و نهاية علم الراسخين في العلم الاعتراف بالعجز عن إدراك حقيقتها و كيفيتها فليس لدوامه سبحانه امتداد و طول يمكن انطباقه على الزمان حقيقة بقاء الممكنات المنطبقة على قطعة من الزمان بل الله تعالى فوق ما يصفه الواصفون و لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.

و يؤيد بعض هذه الوجوه ما رواه الكليني و الصدوق في الكافي و المجالس بإسنادهما عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في خطبة الوسيلة إن قيل كان فعلي تأويل أزلية الوجود و إن قيل لم يزل فعلي تأويل نفي العدم. (٢٣)

و في الكافي في خطبة له عليه السلام أنه أزاله نبيه لمجاول الأفكار و دوامه ردع لطامحات العقول قد حسر كنهه نوافذ الأبصار و قمع وجوده جوائل الأوهام. (٢٤) و النبهة بضم النون و سكون الهاء اسم من نهاء ضد أمره و المجايل جمع مجول بفتح الميم و هو مكان الجولان أو زمانه و الجوائل جمع جائلة من الجولان.

و اعلم أن عقل العقلاء في هذه المسألة متحير فكثير من المحققين أثبتوا له سبحانه زمانا و قالوا إنه موهوم انتزاعي نفس أمرى ينتزع من بقائه سبحانه كما عرفت و أكثر الحكماء و المحققين ذهبوا إلى استحالة عروض الزمان و متى لواجب تعالى و للعقول المجردة في الذات و الفعل التي كمالاتها بالفعل على زعم الحكماء و قال أرسطو في أنولوجيا الشيء الزمان لا يكون إلا في الزمان الذي وافق أن يكون فيه فأما الفاعل الأول فقد كان لأنه ليس هناك زمان فإن الشيء الملاقي في الزمان المستقبل قائم هناك فلا محالة أنه هناك يكون موجودا قائما كما سيكون في المستقبل فالأشياء إذن عند البارئ جل ذكره كاملة تامة زمانية كانت أو غير زمانية و هي عنده دائما و كذلك كانت عنده أولا كما تكون عنده أخيرا و قال الأشياء هناك دائم لا يتغير بل على حال واحد. و قال أيضا لا ينبغي لسامع قول الفيلسوف يعني شيخه أفلاطون أن ينظر إلى لفظه فيتوهم عليه أنه قال إن البارئ خلق الخلق في زمان فإنه إنما اضطر الأولون إلى ذكر زمان في بدء الخلق لأنهم أرادوا وصف كون الأشياء فاضطروا أن يدخلوا الزمان في وصفهم للكون و في وصف الخليقة التي لم تكن في زمان البتة لأن المرء إذا أراد أن يبين العلة اضطر إلى ذكر الزمان لأنه لا بد لليلة أن تكون قبل المعلول فيتوهم المتوهم أن القليلة هي الزمان و ليس ذلك كذلك انتهى.

وقيل ولعله لهذا الوجه وقعت الألفاظ الموهمة للزمان في كلام الشارع.

أقول: وكذلك صرح الشيخ بأنه تعالى ليس بزماني في تعليقاته و الشفاء كما مر بعض كلماته (٢٥) و الفارابي في الفصوص (٢٦) و التعليقات و شيخ الإشراق و العلامة الشيرازي و شارح التلويحات و فخر الدين الرازي و المحقق الدواني. (٢٧)

و قال المحقق الطوسي ره في نقد المحصل و أما البارئ تعالى و كل ما هو علة الزمان أو شرط وجوده فلا يكون

(٢١) سورة الأعراف، آية: ٥٤. (٢٢) سورة الحديد، آية: ٤.

(٢٣) الكافي ج ٨ ص ١٨، حديث ٤، و أمالي الصدوق ص ٣٢٠ مجلس ٥٢، حديث ٨.

(٢٤) الكافي ج ١ ص ١٤٠، حديث ٥. (٢٥) مَرْفُوعٌ فِي ج ٥٨ ص ٢٣٦ من المطبوعة.

(٢٦) فصوص الحكم ص ١٠١ فصل ٧٠.

(٢٧) سيأتي في كلامه بعد هذا نقلاً عن شرح العقائد الضدية ص ٧٨.

في الزمان ولا معه إلا في التوهم حيث يقيسها الوهم إلى الزمانيات^(١) والعقل كما يأتي عن إطلاق التقدم المكاني كذلك يأتي عن إطلاق التقدم الزماني بل ينبغي أن يقال إن للبارئ تعالى تقدماً خارجاً عن القسامين وإن كان الوهم عاجزاً عن فهمه وقال أيضاً في جواب الأسئلة القنوية لما نفوا عنه الكون في المكان جعلوا نسبة جميع الأماكن إليه نسبة واحدة متساوية ولما نفوا عنه الكون في الزمان جعلوا نسبة جميع الأزمنة حالها وماضيها ومستقبلها إليه نسبة واحدة متساوية^(٢).

وقال رد في شرح رسالة العلم^(٣) أزيلته تعالى إثبات سابقة له على غيره ونفي المسبوقية عنه ومن تعرض للزمان أو الدهر أو السرد في بيان الأزلية فقد ساق مع غيره في الوجود^(٤) انتهى واعلم أن تسليم الحكماء لهذا الأصل بل تجويز العقل على سبيل الاحتمال كاف لحل بعض شبهاتهم على الحدوث وقيل ومما يدل من جهة العقل على استحالة عروض الزمان له تعالى أن الزمان حقيقته تجدد شيء وتقضي شيء وتصرمه وهذا ظاهر عند العقل ومبين مشروحاً في الكتب وتجدد شيء وانقضاء شيء آخر محال على الله تعالى كما يدل عليه العقل والنقل^(٥) انتهى. وإذا تمهد هذا مع ما نقلنا سالفاً من تحقيق الدهر والسرد نقول في دفع شبههم على تقدير الحدوث لا نسلم لزوم التخلف عن العلة التامة وإنما يتصور التخلف لو كانت العلة زمانية. وجدت العلة في زمان ولم يوجد المعلول معه في ذلك الزمان وهنا لعل العلة أو المعلول كليهما لم يكونا زمانيين أما العلة فقد مر وأما المعلول فالكلام في الصادر الأول وهناك لم يوجد زمان وزماني أصلاً ولا شيء إلا الواحد القهار وبالجملة إذا كانت العلة والمعلول كلاهما زمانيين يجب أن يجمعهما آن أو زمان وإلا فلا ونظيره التخلف المكاني فإنه لو كانا مكانيين يتصور الاجتماع والاتراق والماسة واللاماسة وأما إذا لم يكن أحدهما أو كلاهما مكانيين لم يتصور أمثال هذه الأمور وكذا إنما يتصور الترجيح بلا مرجح إذا كان تحقق زمان وقع أمر في جزء منه دون جزء وصدر المعلول من العلة مرة ولم يصدر مرة أخرى وقبل خالق العالم الزمان والزمانيات معدومة مطلقاً ونفي صرف لا يجري فيه أمثال هذه الأوهام الكاذبة المخترعة الناشئة من الألفة بالزمان والمكان ولعل يذهب بعض الأوهام إلى أن العالم لم وجد في المكان الذي فيه الآن ولم يوجد فوقه أو تحته أو غيرهما من الجهات إلى غير ذلك من الأوهام والخيالات الواهية والواجب جل شأنه مقدس عن أمثال هذه الأمور ولا يبلغ إلى كنه عظمتها وجلاله عقل عاقل وذهن ذاهن ولا يحوم حول كبرياته فكر مخلوق وما قيل إننا نجزم بأن بعض الأمور مقدم على بعض وأن بعضها مع بعض ولو لم يكن الامتداد كذلك بل ولو لم يكن فلك ولا حركة ولا ليل ولا نهار فمصنوع ومثل هذا ما يقال في الامتداد المكاني إننا نجزم بتقدم بعض الحدود على البعض بالتقدم والتأخر الوضعي والرتبي ولو لم يكن جسم ومتمكن به يشبثون البعد الموهوم الغير المتناهي الذي هو الخلاء ولعل توهم هذين الامتدادين مما يحكم به الوهم على الإلف والعادة لا أصل لهما أصلاً فصاحب هذا المسلك يقول بأن الزمان والحركات وسلسلة الحوادث كلها متناهية في طرف الماضي وأن جميع الممكنات ينتهي في جهة الماضي في الخارج إلى عدم مطلق ولا شيء بحيث لا امتداد فيه ولا تكمم ولا تدريج ولا قارية ولا سيلان وقبل ابتداء الموجودات لا شيء إلا الواحد القهار وقوله ينتهي الموجودات إلى عدم مطلق وكذا قوله قبل ابتداء الموجودات لا شيء محض من ضيق العبارة ولا تتصور الثقلية والانتهاء إلى عدم حقيقة ونظير تناهي الزمان والامتداد الغير القار تناهي المكان والأبعاد القارة فإن الأبعاد القارة والأمكنة تنتهي إلى عدم المطلق للأبعاد والجسمانيات ولا يتصور وراء آخر الأجسام بعد ولا فضاء لا بعد موجود ولا موهوم حتى أنه لو مد أحد يده فيه لا يتحرك يده ولا يلج فيه لا لوجود جسم لا يمكن خرقه ولا لمصادم يمنعها بل للعدم المطلق للبعد والفضاء وقد روي عن الصادق عليه السلام أنه قال بعد عد أجسام العالم ولا وراء ذلك سعة ولا ضيق ولا شيء يتوهم^(٦) فكذا الحال في انقطاع الزمان وجميع الموجودات الممكنة في جهة الماضي لا يتصور فيه امتداد أصلاً لا موجود كما زعم الحكماء ولا موهوم كما توهمه المتكلمون فلا يمكن فيه حركات كما استدلل به الحكماء

(١) تلخيص المحصل ص ١٢٨ مسألة كل محدث مسبوق بمادة. (٢) أجوبة مسائل القنوي - مخطوط - المسألة الرابعة.

(٣) راجع الذريعة ج ١٣ ص ٢٨٧.

(٤) شرح رسالة العلم - مخطوط - ورقة ٣٩، المسألة الثالثة والعشرون.

(٥) لم نعر على هذا القائل. (٦) راجع ج ١٠ ص ١٨٨ من المطبوعة.

على عدم تنامي الزمان بل لا شيء مطلق و عدم صرف و لما ألفت الناس بالأبعاد القارة و جسم خلف جسم تعسر تصور: عدمه على بعض المتكلمين و ذهب إلى الأبعاد الموهومة الغير المتناهية و قال بالخلاء و كذا لما شاهدوا موجودا قبل موجود و زمانا قبل زمان صعب عليهم تصور الاشياء المحض فذهب طائفة من الحكماء إلى لا تنامي الزمان الموجود و طائفة من المتكلمين إلى لا تنامي الزمان الموهوم و لكن تصور اللازمان المطلق أصعب من تصور الامكان و يحتاج إلى زيادة دقة و لطف قريحة.

وأقول: وهذا الجواب في غاية المتانة واختاره السيد المرتضى والشيخ الكراچكي^(١) وغيرهما قال السيد في جواب شبهة القائل بالقدم في تضاعيف كلامه غير أن الصانع القديم يجب أن تتقدم صناعته بما إذا قدرناه أوقاتا وأزمانا كانت غير متناهية ولا محصورة فدل على أنه لا يقول بقدم الزمان بل يقدره ويفرضه وقد مضى تصريحه رضي الله عنه بحدوث الزمان وأنه سبحانه ابتدأ ما أحدثه من غير زمان وأن الزمان مقدار حركة الفلك في المقصد الثاني^(٢).

و قال الكراچكي اعلم أن الملاحدة لما لم تجد حيلة تدفع بها وجوب تقدم الصانع على الصنعة قالت إنه متقدم عليها تقدم رتبة لا تقدم زمان فيجب أن نطالبهم بمعنى تقدم الرتبة و قد سمعنا قوما منهم يقولون إن معنى ذلك أنه الفعل فيها و المدبر لها فأسألناهم هل يدافع ذلك عنها حقيقة الحدث فعادوا إلى الكلام الأول من أن كل واحد من أجزاء الصنعة محدث فأعدنا عليهم ما سلف حتى لزمهم الإقرار بحدث الكل و طالبناهم بحقيقة المحدث و القديم فلم يجدوا مهربا من القول بتقدم القديم في الوجود على المحدث التقدم المفهوم المعلوم الذي يكون أحدهما به موجودا و الآخر معدوما و لسنأقول إن هذا التقدم موجب للزمان لأن الزمان أحد الأفعال و الله تعالى متقدم لجميع الأفعال و ليس أيضا من شرط التقدم و التأخر في الوجود أن يكون ذلك في زمان لأن الزمان^(٣) نفسه قد يتقدم بعضه على بعض و لا يقال إن ذلك مقتضى لزمان آخر و الكلام في هذا الموضوع جليل و من فهم الحق فيه سقطت عنه شبه كثيرة.

وقال ره بعد إيراد جواب السيد عن شبهة القائل بالقدم و جميع ما تضمنته من إطلاق القول بأن بين القديم و أول المحدثات أوقاتا لا أول لها فإنما المراد به تقدير أوقات دون أن يكون القصد أوقاتا في الحقيقة لأن الأوقات أفعال و قد ثبت أن للأفعال أولا فلو قلنا إن بين القديم و أول الأفعال أوقاتا في الحقيقة لناقضناه و دخلنا في مذهب خصمنا نعوذ بالله من القول بهذا ثم قال و قال بعض أهل العلم لا ينبغي أن نقول بين القديم و بين المحدث لأن هذه اللفظة إنما تقع بين شيئين محدودين و القديم لا أول له و الواجب أن نقول إن وجود القديم لم يكن عن عدم و ساق الكلام إلى أن قال و لسنأريد بذلك أنه كان قبل أن فعل مدة يزيد امتدادها لأن هذا هو الحدث و التجدد و هو معنى الزمان و الحركة فإن قال قائل إنه لا يثبت في الأوهام إلا هذا الامتداد قيل له ليس بحيث^(٤) يجب إذا ثبت في الوهم أن يكون صحيحا أليس عندكم أنه ليس خارج العالم خلاء و ذلك غير متوهم و ساق إلى أن قال ثم يقال لهم أرأيتم لو قال لكم قائل ليس يثبت في وهمي^(٥) موجود ليس في جهة فيجب أن يكون البارئ جل و عز في جهة أليس يكون الجواب أن يقال إنما يثبت ذلك في الوهم متى فرضتموه جسما فأما متى فرضتموه غير جسم و لا متحيز فإنه لا يثبت ذلك في الوهم فهكذا يكون جوابنا لكم قال ثم قال هذا المتكلم فإن قالوا إذا لم تثبتوا مدة مديدة قبل الفعل فقد قلتم إن البارئ سبحانه لم يتقدم فعله قبل بل نقول إنه يتقدم على معنى أن وجوده قارن عدم فعله ثم قارن وجود فعله و قولنا ثم يترتب على عدم الفعل لا غيره.

أقول: و تكلم في ذلك كثيرا إلى أن قال و هذه الطريقة التي حكيتها هي عندي قاطعة لمادة الشبهة كافية في إثبات الحجة على المدل^(٦) بها و هي مطابقة لاختيار أبي القاسم البلخي لأنه لا يطلق القول بأن بين القديم و أول المحدثات مدة و يقول إنه قبلها بمعنى أنه كان موجودا ثم وجدت و هو معنى ما ذكره هذا المتكلم في قوله إن وجوده قارن عدم فعله ثم قارن وجود فعله فهو على هذا الوجه قبل أفعاله.

ثم قال و اعلم أيذك الله أن العبارات في هذه المواضع تضيق عن المعاني و تدعو الضرورة إلى النطق بما عهد و

(١) لاحظ العبارة الآتية نقلًا عن كنز القوائد للكراچكي هذا. (٢) راجع ج ٥٨ ص ٢٤٤ من المطبوعة.

(٤) كلمة: «بحيث» ليست في المصدر.

(٦) في المصدر: «المستدل».

(٥) في المصدر: «ذهني».

وجد في الشاهد وإن لم يكن المراد حقيقته في المتعارف ويجوز ذلك إذا كان مؤديا لحقيقة المعنى إلى النفس كقولنا قبل وبعد وكان ثم فليس المعهود في الشاهد استعمال هذه الألفاظ إلا في الأوقات والمدد فإذا قلنا إن الله تعالى كان قبل خلقه ثم أوجد خلقه فليس هذا التقديم والتأخير مفيدا لأوقات ومدد وقد يتقدم الأوقات بعضها على بعض بأنفسها من غير أن يكون لها أوقات أخر وكذلك ما يطلق به اللفظ من قولنا إن وجود الله قبل وجود خلقه فليس الوجود في الحقيقة معنى غير الموجود وإنما هو اتساع في القول والمعنى مفهوم معقول^(١) انتهى.

وقال الشيخ المفيد ره في كتاب المقالات الوقت هو ما جعله الموقت وقتا للشيء وليس هو بحدث مخصوص والزمان اسم يقع على حركات الفلك فلذلك لم يكن الفعل محتاجا في وجوده إلى وقت ولا زمان وعلى هذا القول سائر الموحدين^(٢) انتهى.

وإنما أوردت كلام هؤلاء الأجلاء لئلا يتوهم أن هذا القول مستحاث مخالف لمذهب الإمامية ولم يقل به القدماء بل الظاهر من كلام أكثر القدماء ذلك والله يعلم حقيقة الحال.

الطريق الثالث: أن إمكان وجود المعلول معتبر وهو من شرائط قبول المعلول للوجود لا من شرائط تسامية الفاعل في التأثير لكونه من متممات ذات المعلول المفتقر إلى المؤثر ويجوز أن يكون بعض أنحاء الوجود بالنسبة إلى مهية واحدة ممكنا دائما وبعض آخر متمنعا بالذات دائما كما بين في محله ومثل هذا لا يستلزم تغييرا أصلا لا من طرف العلة ولا من طرف المعلول حتى نطلب له سببا بل أبدا هذا النحو من الوجود ممكن وذاك متمنع إذا تقرر هذا فنقول لعل الوجود الدائمي لا تقبله الماهية الممكنة أصلا وقد مر من الأخبار والمؤيدات العقلية ما يؤكد و سيظهر تأييد آخر من جواب النقض على دليلهم وبالجمله يجب عليهم إثبات أن الممكن يقبل الوجود الأزلي حتى يتم دليلهم ودونه خبط القطار.

الطريق الرابع: النقض بالحوادث اليومية فإننا نقول لو كان الواجب تعالى في طرف وجميع ما عداه بحيث لا يشذ منها شيء في طرف أخر فإما أن يكون ذاته تعالى وحده علة تامة لشيء ما أو لا يكون وعلى الأول يلزم قدم شيء ما وعلى الثاني يلزم أن لا يوجد شيء أبدا ثم نأخذ الصادر الأول معه تعالى ونقول الواجب مع هذا الصادر إما أن يكونا علة تامة لشيء ما مما عداهما أو لا ويلزم قدم الصادر الثاني وهكذا في الصادر الثالث والرابع حتى ينتهي إلى الحادث اليومي ولا يتفعهم توسط الزمان والحركة والاستعداد.

قال المحقق الدواني في بحث إعادة المعدوم إذا اقتضى ذات الشيء في الأزل وجوده فيما لا يزال يلزم كونه موجودا في الأزل فيما لا يزال ويلزم اجتماع أجزاء الزمان انتهى وتفصيله أنه إذا أخذنا من العلة الأولى ثم لاحظنا الأشياء على سبيل التنازل فلا بد من أن تنتهي نوبة الإيجاد إلى الزمان والحركة لأنهما من جملة الممكنات فلا بد من أن يكونا في سلسلة المعلولات ولا شك في أن كل مرتبة منها علة تامة للاحقها وقديمة عندهم فعلة الزمان والحركة تامة مستقلة بلا مشاركة حادث أصلا فيلزم انقطاعهما واجتماع أجزاءهما و قدم جميع الحوادث لأن العلة إذا كانت علة لجميع أجزائها فظاهر وأما إذا لم تكن بل تكون علة لجزء ما منها ثم يكون ذلك الجزء معدا لجزء أخر وهكذا فلأن ذلك الجزء وإن كان قصيرا جدا فهو قابل للقسمة إلى أجزاء بعضها متقدم وبعضها متأخر فيلزم اجتماع أجزاء هذا الجزء فيلزم اجتماع هذا الجزء اجتماع أجزاء الجزء الذي يليه وهكذا وأنت خيرير بأن الأخذ من الحادث اليومي على سبيل التصاعد والقول بأن كل سابق معد لاحقه إلى غير نهاية تدليس محض.

وتمسك بعضهم لدفع هذا الإشكال بالحركة التوسيطية والآن السبيل لأنهما ذات جهتين الاستمرار والتجدد فمن جهة الاستمرار صدرتا عن القديم ومن جهة التجدد صارتا واسطتين في صدور الحادث عن القديم وفيه أنه لو تم هذا لزم إمكان حدوث جميع أجزاء العالم بهذا الوجه فلا يلزم القدم الشخصي في شيء من أجزاء العالم وهو خلاف مذهبهم مع أنه لنا أن ننقل الكلام إلى جهة التجدد فإن كانت موجودة في الواقع فيعود الكلام السابق بعينه وإذا لم تكن موجودة فلا يمكن أن يصير واسطة.

و قال الغزالي ردا لجوابهم إن هذه الحركة مبدأ للحوادث إما من حيث إنها مستمرة أو من حيث إنها متجددة فإن كان من حيث إنها مستمرة فكيف صدر من مستمر متشابه الأجزاء شيء في بعض الأحوال دون بعض وإن كانت من حيث إنها متجددة فما سبب تجدها في أنفسها فتحتاج إلى سبب آخر و يتسلسل و اعترض عليه بأن هذا التسلسل عندهم جائز لعدم وجوب اجتماع الآحاد هاهنا.^(١)

و قال المحقق الدواني في شرح العقائد في دفعه إن التجدد عبارة عن انقضاء شيء و حدوث شيء آخر فإذا عدم جزء من الحركة فلا بد لعدمه من علة حادثة و تلك العلة إما أمر موجود أو عدم أمر أو بعضها موجود و بعضها عدم أمر موجود و على الأول نقل الكلام إلى علة ذلك الأمر و هكذا حتى يلزم التسلسل في الأمور الموجودة المجتمعة المترتبة و على الثاني فيكون ذلك عدم عدم جزء من أجزاء علة وجوده ضرورة أن ما لا يكون وجوده علة لوجود أمر لا يكون عدمه علة لعدمه فيلزم التسلسل في الموجودات التي هذه الأعدام أعدام لها و على الثالث لا بد أن يكون أحد القسمين من الأمور الموجودة و تلك الأعدام أو كلاهما غير متناه و على الوجهين يلزم التسلسل في الأمور الموجودة المترتبة المجتمعة و الحاصل أنه يلزم التسلسل في الأمور الموجودة المترتبة المجتمعة إما في حال وجوده السابق أو حال عدمه اللاحق لأن عدمه إن كان بسبب أمر موجود أو عدمه بسبب عدم يستلزم حدوث أمر موجود كعدم عدم المانع المستلزم لوجود المانع يلزم التسلسل في الموجودات المترتبة المجتمعة الحادثة في حال عدمه و إن كان بسبب عدم أمر موجود لا يستلزم أمرا موجودا لزم التسلسل المذكور وقت وجود ذلك. الحادث و قس عليه الشق الثالث.

فإن قلت: على تقدير أن يكون عدم كل جزء مستندا إلى عدم عدم المانع المستلزم لوجود المانع لا يلزم الترتيب^(٢) بين تلك الموانع حتى يلزم التسلسل المستحيل بل لا يلزم اجتماع تلك الموانع في الوجود أيضا لجواز أن يكون حدوثها و لو في آن كافيا في انتفاء ما هي مائعة عنه.

قلت تلك الموانع متعاقبة في الحدوث فإن اجتمعت في الوجود لزم التسلسل المستحيل لأن آحادها مترتبة في الحدوث و^(٣) بحسب الزمان و مجتمعة في الوجود فيجري فيه التطبيق و لا يقدح فيه عدم ترتبها بحسب الذات كما لا يخفى على ذي فطرة سليمة فإننا نأخذ السلسلة المبتدأة من الحادث في اليوم و نطبقها على السلسلة المبتدأة من الحادث بالأمس و نسوق البرهان و إن لم تجتمع في الوجود نقلنا الكلام إلى علة عدمها حتى يلزم التسلسل المستحيل في الموجودات الحادثة وقت عدمها أو وقت وجودها فإن علة عدم كل مانع إما عدم عدم المانع المستلزم لوجود المانع أو عدم جزء من أجزاء علته و على الأول يلزم وجود الموانع المترتبة في الحدوث الغير المتناهية و على الثاني يلزم أن يكون تحقق ذلك المانع موقوفا على أمور موجودة غير متناهية مترتبة فيلزم التسلسل المستحيل في أسباب وجوده^(٤) انتهى.

و أنت خير بأنه على سبيل الماشاة مع الحكماء و إلا فقد ببناء و بين هو نفسه أيضا ببعض الوجوه التي ذكرنا أن التسلسل مطلقا محال سواء كانت متعاقبة أو مجتمعة فظهر أن لا مخلص للحكماء إلا بالتزام أن إمكان نحو الوجود معتبر في جانب المعلول و لا يضر في تمامية العلة فلما استحال اجتماع أجزاء الحركة و الزمان لكونهما غير قارين وقع التخلف و صاروا واسطتين بين العلة القديمة و المعلول الحادث و هو بعينه الجواب عن أصل الدليل و الحاصل أنهم بأي وجه يستندون الحادث إلى القديم فلنا أن نسند جميع العالم إلى الواجب تعالى بلا فرق.

و قد يقرر النقض بعبارة أخرى و هي أنه يرد على ما قرروه من كون الحادث اليومي مرتبطا بالآزلي بسبب توسط أمر شخصي له جهتا استمرار و تجدد و هو الحركة الوسطية السردية إذ هي باعتبار استمرارها تصدر عن القديم و باعتبار تجدد ذاتها تكون سببا للحادث أنه حينئذ تكون العلة التامة لوجود الحادث أمرا تدريجيا واقعا في زمان غير متناه من جانب الأزل و يكون الحادث الذي هو معلوله موجودا في الآن الذي هو طرف لذلك الزمان و ما هذا إلا تخلفا للمعلول عن علته التامة إذ لا معنى للتخلف إلا كون ظرف وجود المعلول مغايرا لظرف وجود العلة فقد وقعوا فيما هربوا عنه من لزوم التخلف.

(٢) في المصدر: «الترتيب».

(١) تهافت الفلاسفة ص ٩٤ و ٩٥ يتصرف.

(٤) شرح العقائد العنصرية ص ٨٩ - ١٠٤.

(٣) حرف: «و» ليس في المصدر.

و أجيّب عنه بأن التخلّف المستحيل هو ما استلزم الترجيح بلا مرجح و ذلك إنّما يتصور بأن يتخلّل زمان بين وجود العلة و وجود معلوله إذ حينئذ يتوجه السؤال بأنّه لم لم يوجد المعلول في جزء آخر من ذلك الزمان المتخلّل و وجد في الحد الذي وجد فيه مع أنّ الإيجاب الحاصل من العلة متساوي النسبة إلى الزمانين و فيما نحن فيه ليس كذلك إذ لم يتخلّل بين وجودي العلة و المعلول زمان بل كان وجود المعلول في آن هو طرف لزمان وجود العلة و حينئذ لم يتوجه لا بأن يقال لم لم يوجد المعلول في حد آخر غير ما وجد فيه يكون ذلك الحد بعد زمان وجود العلة لانتفاء زمان متخلّل يفرض فيه حد بينهما و لا بأن يقال لم لم يوجد المعلول في آن قبل الآن الذي هو الطرف من آتات زمان وجود العلة إذ في شيء من تلك الآتات لم تخرج العلة التدريجية بتمامها من القوة إلى الفعل و وجود المعلول يتوقف على تمامها.

قيل وبهذا الجواب وإن اندفع المحذور المذكور فيما إذا كان المعلول آنيا وعلته زمانية لكن لا تنحسم مادة الإشكال في المعلول الذي هو تدريجي بيان ذلك أن الواسطة التدريجية التي قرروها مشتملة على أجزاء تحليلية وقطعات يحكم العقل على كل منها بالكون بعد أن لم يكن فلا بد فيها من القول بكون كل سابقة من القطعات شرطا لوجود اللاحقة حتى يصح ارتباطها بالقديم وكون تلك القطعات غير موجودة على سبيل الجزئية بالفعل لا يقدح فيما قلنا كما تشهد به الفطرة السليمة على أن كتب الفلاسفة مملوءة بما يصرح بذلك و لا شك أن الجواب المذكور لا ينفع بدفع التخلّف هاهنا إذ يتوجه أن يقال إن القطعة السابقة إذا وجدت بتمامها في مجموع زمان و كانت تمامها علة موجبة للاحقه فلم لم توجد اللاحقة في الآن الذي هو طرف لذلك الزمان أو لم يقع في نفس الزمان الذي هو ظرف لوجود علتها حتى تكون القطعتان من الحركة التي إحداها علة و الأخرى معلولة متطابقتين في الزمان متوافقتين في الأخذ و الترك فإنه كما أن العلة زمانية الوجود فكذلك معلولها و كما أن العلة لم تخرج من القوة إلى الفعل في شيء من الآتات المفروضة في زمان وجوده فكذلك المعلول فكما أنه إذا انقضى مجموع ذلك الزمان تم وجود العلة في مجموعها صح كون مجموعها كذلك بلا تقدم للعلة على المعلول بالزمان و إذا لم يقع المعلول كذلك بل وجد في مجموع زمان آخر يتصل بالأول لم يكن ذلك إلا تخلفا.

و الجواب: بأنه لو وجدت القطعة اللاحقة على أحد الوجهين اللذين ذكرتهما لزم كون الحركة قار الذات و ماهية الحركة لا تحتل هذا النحو من الوجود فلم يكن ما فرضته حركة حركة و بأن الاحتمال الثاني يستلزم اجتماع المثلين في محل واحد هو المتحرك و هو محال على ما بين في محله.

مدفوع: بأن ما يدفع التخلّف المستحيل الذي حقيقته تحقق ظرفين في نفس الأمر يتصور وجود المعلول في كل منهما و يكون تمامية العلة و شرائطها و إيجابها متحققة فيهما بلا تفاوت و يكون مع ذلك وجود المعلول واقعا في أحدهما على سبيل الترجيح من غير مرجح هو الجواب إما بانحصار الظرف في واحد كالمعلول الآتي الواقع في طرف زمان العلة أو ببيان مرجح مختص بأحد الطرفين حتى تكون العلة في أحدهما لم تتم و لم توجد بعد و تمت في الآخر و استجمعت شرائط التأثير فخص وجود المعلول بالثاني ليس إلا.

ولا شك في أن الجوابين المذكورين لا يفيدان شيئا من هاتين الإفادتين بل ليس حاصلهما إلا أن عدم وقوع تخلف المحال لما استلزم محالا آخر هو اجتماع المثلين أو انقلاب ماهية الحركة فلا محالة وقع التخلّف و أنت خبير بأن استلزام عدم التخلّف للمحالين المذكورين لا يصير رافعا لوصف الاستحالة عن التخلّف المتمتع في بدهة العقول و لا مجوزا لوقوعه بل حاصل هذا الكلام في الحقيقة ليس إلا مغالطة أئزمت كون الواقع ظرفا لأحد المحالات إما المحالين المذكورين أو التخلّف و لا محيص عن هذا الإشكال إلا بأن يقال القطعة اللاحقة كما توقف وجودها على السابقة توقف على أمر آخر هو الأجزاء التحليلية المفروضة في نفس اللاحقة كهذا النصف و ذاك النصف منها و بذلك يظهر أنه لا يمكن وجود اللاحقة في نفس زمان السابقة لتوقف اللاحقة حينئذ على أجزاء لم يشرع بعد في الخروج من القوة إلى الفعل أصلا و فيه بعد كلام و الأصل ما قدمناه من أن عذر الاستحالة مشترك كما عرفت و هذا الوجه الأخير أيضا يمكن إجراؤه في الزمان الموهوم كما عرفت.

الطريق الخامس: ما ذكره المحقق الدواني و هو اختيار أنه لم يكن جميع ما لا بد منه في وجوده متحققا في

الأزل إذ من جملته تعلق الإرادة بوجوده في الأزل و لم تتعلق الإرادة بوجوده في الأزل بل بوجوده فيما لا يزال من الأوقات الآتية لحكمة ومصلحة^(١) ولا يرد أن التعلق الأزلي بوجوده إما أن يكون متصفا للعلّة أم لا وعلى الأول يلزم وجوده في الأزل لامتناع التخلف وعلى الثاني يحتاج المعلول إلى أمر آخر سوى هذا التعلق وهو خلاف المفروض على أننا ننقل الكلام إلى هذا الأمر لأننا نقول القدرة تؤثر على وفق الإرادة وقد تعلقّت الإرادة بوجوده في وقت معين فلا يوجد إلا فيه.

فإن قيل: لا بد من اختيار أحد شقي التردد الذي أوردناه.

قلنا: إن أردتم أنه متمم لعلّة وجوده في الأزل فنختار أنه ليس كذلك وإن أردتم أنه متمم لعلّة وجوده فيما لا يزال فنختار أنه كذلك ولا يلزم أزليته ولا احتياجه إلى أمر آخر كما أن الفاعل المختار إذا أراد إيجاد جسم ما على صفة معينة كالطول مثلا أو القصر يوجد المعلول بهذه الصفة فكذا هاهنا لما تعلق إرادة الفاعل المختار بوجود الحادث لم يتصور إلا كونه حادثا والحاصل أن المعلول إنما يوجد بإرادة الفاعل المختار على النحو الذي تعلق به إرادته سواء كان مقارنا لوجوده أو متأخرا عنه.

وقد يقال إن الأزل فوق الزمان ومعنى كون الشيء أزليا أن يكون سابقا على الزمان فالواجب تعالى لما كان متعاليا عن الزمان لا يوصف بكونه في الزمان كما لا يوصف بكونه في المكان فلا شيء غيره في الأزل وإنما يوجد ما يوجد^(٢) حسب ما تعلق به الإرادة الأزلية من تخصيصها الأزلي بأوقاتها والزمان من جملة الممكنات وقد تعلقّت الإرادة الأزلية بوجوده المتناهي وليس الله تعالى متقدما عليه بالزمان إذ الواجب تعالى ليس بزماني حتى يقال أنه متقدم على غيره بالزمان.

فإن قيل^(٣): لا شبهة في أن الإرادة القديمة بذاتها ليست كافية في وجود الممكن وعلى فرض أن تكون كافية يلزم قدم الممكن فلا بد من تعلقها وحينئذ لا يخلو هذا التعلق من أن يكون حادثا أو قديما وعلى الأول يلزم التسلسل لأننا ننقل الكلام إلى سبب هذا التعلق حتى يلزم التسلسل وعلى الثاني قدم الممكن الذي تعلق به الإرادة. فقد أجيب عنه تارة بأن التعلق أمر عديمي فلا يحتاج إلى أمر يخصه بوقت دون وقت ولئن سلم فالتسلسل في الأمور الاعتبارية وهي التعلقات غير ممتنع وأنت تعلم أن اختصاص كل صفة سواء كانت وجودية أو عدمية بوقت يحتاج إلى مخصص بالبدئية وأما التسلسل في التعلقات بأن يكون مخصص تعلق الإرادة بذلك الوقت تعلق الإرادة بتعلق الإرادة في ذلك الوقت وهكذا حتى تكون إرادة وجود الممكن في ذلك الوقت لأنه أراد إرادة وجوده في ذلك الوقت وأراد إرادة إرادة وجوده في ذلك الوقت لأنه أراد إرادة تلك الإرادة وهكذا فيتسلسل تعلقات الإرادة من جانب المبدأ وينتهي من الجانب الآخر إلى إرادة ذلك الممكن وحينئذ تكون الحال كما تقول به الفلاسفة من تعاقب الاستعدادات الغير المتناهية حتى ينتهي إلى الاستعداد القريب الذي يلي المعلول فقد قيل عليه أنه باطل مع قطع النظر عن جريان التطبيق فيه لأنه يلزم انحصار الأمور الغير المتناهية بين حاصرين وهما نفس الإرادة وتعلقها الذي يلي الممكن.

أقول: وأنت تعلم أنه لا انحصار هنا بين حاصرين أصلا بل ذات الإرادة محفوظة في جميع المراتب وتوارد عليها تعلقات مرتبة غير متناهية على نحو تعاقب الاستعدادات الغير المتناهية على المادة فليست الإرادة ولا العرید طرف السلسلة كما ليست المادة طرف السلسلة فالقول بالانحصار هنا وهم ظاهر الفساد وإن ظهر عن بعض من يعقد عليه الأنامل بالاعتقاد^(٤) انتهى.

وأورد عليه إيرادات لا طائل في إيرادها وهي مع أجوبتها مذكورة في كتب القوم.

الطريق السادس: ما ذكره المحقق الطوسي ره في التجريد وهو أن التخلف عن العلة التامة إنما يستحيل إذا أمكن وجود ظرفين يمكن تحقق المعلول في كل منهما ومع ذلك خص وجود المعلول بالآخر منهما من غير تفاوت

(١) عبارة: «ما يوجد» ليست في المصدر.

(٢) شرح العقائد العنصرية ص ٦٩ - ٨٢.

(٣) عبارة: «لحكمة ومصلحة» ليست في المصدر.

(٤) بقية كلام المحقق الدواني.

في أجزاء العلة و شرائط إيجابها بالنسبة إلى الوقتين^(١) و هاهنا ليس كذلك إذ الوقت من جملة أجزاء العالم فلا وقت قبل حدوث العالم حتى يسأل عن حدود ذلك الوقت وأنه لم يقع العلول في تلك الحدود و وقع فيما وقع فيه ولما كان هذا الوجه بعد التحقيق يرجع مآله إلى ما حورنا في الطريق الثاني لم نتعرض لبسط القول فيه.

المقصود الثاني: دفع شبهة أخرى لهم و هي أن العالم ممكن و إمكان وجوده أزلي إذ لو كان مستعنا في الأزل و صار ممكنا لزم الانقلاب المحال و إذا أمكن وجوده في الأزل و البارئ تعالى قادر كامل في تأثيره جواد محض لا يفيد إلا ما ينبغي لا لعوض و لا لغرض فما أوجد العالم إلا لوجوده الذي هو مقتضى ذاته فوجب أن يوجد العالم أزلا. و الجواب أن يقال ما أردت بقولك و البارئ تعالى قادر كامل في تأثيره إن أردت أنه لا نقص في ذاته و صفاته الكمالية كقدرته و علمه و إرادته و في اقتضاء ذاته القديمة إفاضة الخير و الجود فذلك مسلم و لا يلزم منه وجوب إيجاد العالم أزلا لجواز توقف الإيجاد على شرط يقتضيه العلم بالأصلح و إن أردت به أن الفاعل في الأزل مستجمع لشروط التأثير فهو ممنوع و السند ما مر و الحاصل أن مقتضى كونه كاملا جوادا في ذاته أن لا ينفك عن ذاته إفادة ما ينبغي و لا نسلم أن وجود العالم في الأزل كذلك إذ ما ينبغي عبارة عما هو أصلح بالنظام بحسب علمه القديم و الأصلح إنما هو وجود العالم فيما لا يزال.

و قال بعض المحققين في الجواب عن هذه الشبهة إنها مبنية على استلزام أزلية الإمكان إمكان الأزلية وهو ممنوع فإن معنى الأول استمرار إمكان الشيء و جواز وجوده و معنى الثاني جواز أن يوجد الشيء وجوداً مستمراً أزلاً وأبداً و ظاهر أن استلزام الأول للثاني ليس مما لا يطلب له دليل و استدل عليه بأنه إذا استمر الإمكان أزلاً لم يكن في ذاته مانع من الوجود في شيء من أجزاء الأزل فعدم منعه أمر مستمر في جميع أجزاء الأزل فإذا نظر إلى ذاته جاز له الاتصاف بالوجود في كل جزء منها لا بدلاً فقط بل و معاً أيضاً و هو إمكان اتصافه بالوجود المستمر الأزلي فآلية الإمكان استلزمت إمكان الأزلية و فيه نظر إذ قوله و معاً أيضاً ممنوع بل و قوله جاز له الاتصاف بالوجود في كل جزء منها أيضاً ممنوع فإن الآليات يتمتع بوجودها في الزمان و أيضاً ما ذكره منقوض بالحركة التوسيطية الآخذة من مبدأ معين فإنها ممكنة أزلاً و لا يمكن لها الوجود أزلاً لوجود مبدأ لها فرضا انتهى.

وأقول: و يظهر من أجوبة سائر الشبه أجوبة أخرى لهذه الشبهة تركناها للمتأمل الفطن.

الموصد الثالث: دفع الشبهة التي أوردها صاحب المحاكمات و هي أنه لا يجوز أن يكون فعله تعالى معدوما ثم يوجد إذ العدم الصريح لا تمييز فيه حتى يكون إمساك الفاعل من^(٧) إيجاده في بعض الأحوال أولى من إيجاده في بعض و حتى يكون الصدور من الفاعل في بعض الأحوال أولى من صدوره في بعض بل لو كان صدوره واجبا كان في جميع الأحوال أولا صدوره كان في جميع الأحوال فيلزم إما قدم الفعل أو عدمه بالمرة و هذا بالحقيقة رد على من قال إنما حدث في الوقت لأنه كان أصلح لوجوده أو كان ممكنا فيه و تقييد العدم بالصريح احتراز عن العدم الحادث المسبوق بالمادة^(٨) انتهى كلامه.

والجواب: أنه لا شك أن جميع المعلولات قديمها وحديثها معدوم مطلق في مرتبة وجود العلة فكيف تعلق الجعل بالممكنات دون الممتنعات وكيف تعلق بالقديم وهو معدوم مطلق في هذه المرتبة وكيف تعلق الجعل بالقديم ولم يتعلق بالحوادث إلا بعد مدة غير متناهية فالحق أن التميز العلمي في علمه تعالى كاف في الجميع وإن كانت في الخارج معدومة صرفة فهو سبحانه يعلم في ذاته الجميع ممكنها وممتنعها مطلقاً أو على بعض أنحاء الوجود ويريد ما أراد منها على الوجه الذي تقتضيه الحكمة والمصلحة وتؤثر القدرة على وفق الإرادة فيوجد العالم على النظام الذي وجد بلا تغير في ذاته وصفاته الذاتية وإنما التغير والتفاوت فيما عداه بالإمكان والامتناع والتقدم والتأخر والصفر والكبر إلى غير ذلك من وجوه التفاوت ولا يمكن للعقول إدراك كنه تأثيراته وإيجاداته تعالى شأنه كما يستفاد من الخطب والأخبار المأثورة عن الأئمة الأطهار عليهم السلام والسؤال بأنه لم يخلق العالم قبل هذا

(١) لم نعتز على هذا النص في تجريد الاعتقاد، راجع منه: الفصل الثالث في العلة و المعلوم.

(٢) في المصدر: «عن» بدل «من».

(٣) المحاكمات - على هامش الاشارات والتنبيهات - ج ٣ ص ١٣٢، النمط الخامس.

أو بعد ذلك أو فوق الفضاء الذي هو الآن فيه أو تحته أو يمينه أو يساره أو قدامه أو خلفه أو أصغر أو أكبر أو المواد بحيث تقبل الاستعدادات على نحو آخر فهو من هذر السؤال و قد ظهر الفرق بين أزلية الإمكان وإمكان الأزلية و أن الإمكان الذاتي من متممات ذات المعلول المحتاج و من مصححات المعلولية و مكملات الاحتياج إلى العلة على سبيل لوازم الصاحية المعلولية و ذاتياتها و ليس ملحوظا في طرف العلة التامة المفتقرة إليها و قد مر ما يمكن استنباط أجوبة أخرى منه لهذه الشبهة فتفتن.

المصدر الرابع: دفع شبهة أخرى لهم و هي أن الزمان لو كان حادثا لكان معدوما قبل وجوده قبلية انفكاكية لا يجمع بحسبها القبل البعد في الواقع و هذه قبلية معروضا بالذات أجزاء الزمان بعضها بالنسبة إلى بعض و لا يوصف بها ما عدا الزمان إلا بالعرض من جهة مقارنة الزمان فإذن يلزم وجود الزمان على تقدير عدمه و هذا خلف و يمكن بمثل هذا البيان إثبات امتناع العدم اللاحق على الزمان فثبت سرديته.

و مما ينه أن هذا البيان مغالطة هو أن الزمان إما أن يكون مستندا إلى الواجب بلا واسطة فيكون هو الصادر الأول و هو خلاف معتقدهم و إما أن يكون بواسطة علة ممكنة و لا شك أن هذه العلة ممكنة لذاتها و بالنسبة إلى الزمان الذي هو معلولها لأن بالمعلول لا تجب العلة و لا يصير منشأ لوجب علته فظهر أن علة الزمان ممكنة بالذات و بالنسبة إلى الزمان أيضا و عدم الممكن بالوصف المذكور لا يلزم من فرضه محال أصلا فإذا فرضنا انعدام علة الزمان فإما أن يبقى الزمان موجودا بلا علة مبقية و هو محال لأن علة الحاجة إلى المؤثر عندهم هو إمكان المعلول وحده و إما أن ينعدم الزمان أيضا و هو محال عندهم و اقتضاه هذا الدليل فإن مذهبهم أن العدم بعد الوجود محال بالذات على الزمان و إنما الممكن بالنظر إلى الزمان هو العدم رأسا و ابتداء و أما العدم بعد الوجود فلا يجوزونه و يصرحون بامتناعه بالذات.

والجواب: عن أصل الدليل أنا لا نسلم أن العدم الصرف الذي صورناه قبل العالم يمكن أن يتصف بشيء كيف و هو نفي صرف و لا شيء محض في الواقع نعم بعد وجود العالم و تحقق الموجودات ربما يمكن سريان بعض هذه الأحكام إلى العدم و لو سلم فلا نسلم أن منشأ استحالة اجتماعه مع الوجود اللاحق هو انتصافه بالسبق بل يجوز أن يكون لأنها متقابلان بالإيجاب و السلب و لأجل هذا التقابل لا يجتمعان و لو سلم فلا نسلم أن مثل هذا السبق لا يعرض إلا للزمان و دون إثباته خبط القناد و غاية ما لزم من دليلهم على تقدير تسليمه أن هذا النوع. من السبق يعرض للزمان بالذات و أما إثبات أنه لا يعرض لغير الزمان إلا بواسطة فلا سبيل لهم إليه.

والمشهور بين المتكلمين في جواب هذا الدليل إثبات قسم آخر للسبق سموه بالسبق بالذات و هو في مقام المنع حسن و إن أريد إثباته فمشكل قال المحقق الطوسي ره في قواعد العقائد التقدم يكون بالذات كتقدم الموجد على ما يوجد^(١) أو بالطبع كتقدم الواحد على الاثنين أو بالزمان كتقدم الماضي على الحاضر أو بالشرف كتقدم العالم على المتعلم^(٢) أو بالوضع كتقدم الأقرب إلى مبدأ^(٣) على الأبعد و المتكلمون يزيدون على ذلك التقدم بالرتبة كتقدم الأمس على اليوم.^(٤)

و قال الرازي في الأربعين إنا ثبت نوعا آخر من التقدم وراء هذه الأقسام الخمسة و الدليل عليه أنا ببديهة العقل نعلم أن الأمس متقدم على اليوم و ليس تقدما بالعلية و لا بالذات و لا بالشرف و لا بالمكان و لا يمكن أن يكون تقدما بالزمان و إلا لزم أن يكون ذلك الزمان حاصلا في زمان آخر ثم الكلام في الزمان الثاني كما في الأول فيفرضي إلى أن تحصل أزمنة لا نهاية لها دفعة واحدة و يكون كل منها طرفا للآخر و ذلك محال فهو تقدم خارج عن هذه الأقسام فنقول تقدم عدم العالم على وجوده و تقدم وجود الله على وجود العالم يكون على هذا الوجه و يزول الإشكال^(٥) انتهى.

وأقول: لهم شبهة واهية أخرى يظهر جوابها للمتأمل فيما أوردناه و أنت بعد ما أحطت خبرا بما حققناه و تركت

(١) في المصدر: «يوجد».

(٢) عبارة: «إلى مبدأ» ليست في المصدر.

(٣) قواعد العقائد - مع تلخيص المحصل - ص ٤٣٨.

(٤) الأربعين في أصول الدين ص ٢٦، المقدمة الثانية.

(٥) في المصدر: «كتقدم المعلم على متعلمه».

تقليد السادة والكبراء و التمسك بالشكوك و الأهواء لا أظنك تستريب في قوة دلائل الحدوث و ضعف شبه القدم ولو لم تكن أقوى فلا ريب في أنها متعارضة فلو كانت متكافئة أيضا كيف تجترئ على مخالفة الكتب السماوية والأخبار المتواترة النبوية و الآثار المتظافرة المأثورة عن الأئمة الهادية و العترة الطاهرة الذين هم معادن الحكمة والوحي والإلهام وبعثهم الله لتكميل الأنعام لشبه واهية اعترف مبدؤها بضعفها حيث قال الشيخ^(١) و أرسطو^(٢) إنها مسألة جدلية الطرفين فيا إخوان الدين و خلان اليقين إن لم يغلب على قلوبكم الرين فافتحوا العين و ارفعوا العناد من البين و انظروا بأبصار مكحولة بالإنصاف مشفية من رمد التعصب و الاعتساف فتكونوا في أصول الدين من أصحاب اليقين و تدخلوا في حزب الأنبياء و الأوصياء و الصديقين و لا تعتمدوا على أصولكم و لا تتكلموا على عقولكم لا سيما في المقاصد الدينية و المطالب الإلهية فإن بديهة العقل كثيرا ما تشبه ببديهة الوهم و المألوفات الطبيعية بالأموال يقينية و المنطق لا يفي بتصحيح مواد الأقيسة و زن أفكارك بميزان الشرع المبين و مقياس الدين المتين و ما تحقق صدوره عن الأئمة الراسخين صلوات الله عليهم أجمعين لئلا تكون من الهالكين.

تكملة

اعلم أن العلماء اختلفوا في أول المخلوقات و اختلف الأخبار أيضا في ذلك فالحكماء يقولون أول المخلوقات العقل الأول ثم العقل الأول خلق العقل الثاني و الفلك الأول و هكذا إلى أن انتهى إلى العقل العاشر فهو خلق الفلك التاسع و هيرولي العناصر و جماعة منهم يقول بأن تلك العقول وسائط لإيجاده تعالى و لا مؤثر في الوجود إلا الله و كل ذلك مخالف لما ظهر و تبين من الآيات و الأخبار و أجمع عليه المليون.

وأما غيرهم فقبل أولها الماء كما يدل عليه أكثر الأخبار المتقدمة ونقلنا ذلك سابقا عن ثالث المصطفى ورأيت في كتاب علل الأشياء^(٣) المنسوب إلى بليناس الحكيم أنه قال إن الخالق تبارك و تعالى كان قبل الخلق و أراد أن يخلق الخلق فقال ليكن كذا و كذا فكانت هذه الكلمة علة الخلق و سائر المخلوقات معلول و كلام الله عز و جل أعلى و أعظم و أجل من أن يكون شيئا تدركه الحواس لأنه ليس بطبيعة و لا جوهر و لا بارد و لا رطب و لا يابس ثم قال بعده إن أول ما حدث بعد كلام الله تعالى الفعل فدل بالفعل على الحركة و دل بالحركة على الحرارة ثم لما نقصت الحرارة جاء السكون عند فئانها فدل بالسكون على البرد ثم ذكر بعد ذلك أن طبائع العناصر الأربعة إنما كانت من هاتين القوتين أعني الحر و البرد قال و ذلك أن الحرارة حدث منها اللين و من البرودة اليابس فكانت أربع قوى مفردات فامتزج بعضها ببعض فحدث من امتزاجها الطبائع و كانت هذه الكيفيات قائمة بأنفسها غير مركبة فمن امتزاج الحرارة و اليابس حصلت النار و من الرطوبة و البرد حدث الماء و من الحرارة و الرطوبة حدث الهواء و من امتزاج البرد و اليابس حصلت الأرض ثم قال إن الحرارة لما حركت طبيعة الماء و الأرض تحرك الماء للطفة عن ثقل الأرض و انقلب ما أصابه من الحر فصار بخارا لطيفا هوائيا رقيقا روحانيا و هو أول دخان طلع من أسفل الماء و امتزج بالهواء فقسما إلى العلو لخفته و لطافته و بلغ الغاية في صعوده على قدر قوته و نفرت من الحرارة ثم وقف فكان منه الفلك الأعلى و هو فلك زحل ثم حركت النار الماء أيضا فطلع منه دخان هو أقل لطفا مما صعد أولا و أضعف فلما صار بخارا سما إلى العلو بجوهره و لطافته و لم يبلغ فلك زحل لقلته لطافته عما قبله فكان منه الفلك الثاني و هو فلك المشتري و هكذا بين طلوع الدخان مرة مرة و تكون الأفلاك الخمسة الباقية عنه ثم قال و الأفلاك السبعة بعضها في جوف بعض و بين كل فلكين منها هواء واسع مملوء أجزاء لا تتحرك.

و نقل صاحب الملل و النحل عن فلوطرخيس أيضا من الحكماء القدماء أنه قال أصل المركبات هو الماء فيإذا تخلخل صافيا و جدت النار و إذا تخلخل و فيه بعض الثقل صار هواء و إذا تكاثف تكاثفا ميسوبا بالغا صار أرضا^(٤)

(١) عذابن سينا مسألة: «العالم أزلي أم ليس بأزلي» من المسائل الجدلية الطرفين راجع الفصل الثامن من المقالة الأولى من فن الجدل من منطق الشفاء ج ٣ ص ٧٦.

(٢) راجع رأي أرسطو هذا في القياسات ص ٢٥ نقلًا عن التعليم الأول من فن الجدل من كتاب أرسطو.

(٣) لم نعر على كتاب علل الأشياء هذا.

(٤) الملل و النحل ج ٢ ص ٩٦.

وقد مر نقلا من التوراة أن مبدأ الخلق جوهر خلقه الله ثم نظر إليه نظرة الهيبة فذابت أجزاؤه فصارت ماء إلى آخر ما مر^(١) وقريب منه ما رواه العامة عن كعب^(٢) أنه قال إن الله خلق ياقوته خضراء ثم نظر إليها بالهيبة فصارت ماء يرتعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء كما قال تعالى ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾^(٣). وقيل أول المخلوقات الهواء كما دل عليه ما ذكره علي بن إبراهيم في تفسيره^(٤) والظاهر أنه أخذ من خبر لكن لا تعارض به الأخبار الكثيرة المسندة ومع صحته يمكن الجمع بحمل أولية الماء على التقدم الإضافي بالنسبة إلى الأجسام المشاهدة المحسوسة التي يدركها جميع الخلق فإن الهواء ليس منها ولذا أنكر وجوده جماعة.

وقيل أول المخلوقات النار كما مر وقد مر في بعض الأخبار أن أول ما خلق الله النور وفي بعضها نور النبي ﷺ وفي بعضها نوره مع أنوار الأئمة^(٥) وفي بعض الأخبار العامة عن النبي ﷺ أول ما خلق الله روجي فيمكن أن يكون المراد بالجميع واحدا ويكون خلق الأرواح قبل خلق الماء وسائر الأجسام وتكون أولية الماء بالنسبة إلى العناصر والأفلاك فإن بعض الأخبار يدل على تقدم خلق الملائكة على خلق العناصر والأفلاك كما مر ودلت الأخبار الكثيرة على تقدم خلق أرواحهم وأنوارهم ﷺ على كل شيء.

وروى الكليني وغيره بأسانيدهم الكثيرة عن أبي عبد الله^(٦) أنه قال إن الله خلق العقل وهو أول خلق من الروحانيين عن يمين العرش من نوره^(٧) والخبر وهذا لا يدل على تقدم العقل على جميع الموجودات بل على خلق الروحانيين ويمكن أن يكون خلقها متأخرا عن خلق الماء والهواء وأما خبر أول ما خلق الله العقل فلم أجده في طرقنا وإنما هو في طرق العامة وعلى تقديره يمكن أن يراد به نفس الرسول ﷺ لأنه أحد إطلاقات العقل على أنه يمكن حمل العقل على التقدير في بعض تلك الأخبار كما هو أحد معانيه وكذا حديث أول ما خلق الله القلم يمكن حمله على الأولوية الإضافية بالنسبة إلى جنسه من الملائكة أو بعض المخلوقات كما يدل عليه خبر عبد الرحيم القصير الآتي في بابها.

فائدة جلية

اعلم أنه أورد إشكال في آيات سورة السجدة حيث ظاهرها كون خلق السماوات والأرض وما بينهما في ثمانية أيام مع أن سائر الآيات تدل على خلقها في ستة أيام والثاني ظاهر والأول لأنه قال سبحانه أولا ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾^(٨) وقال بعده ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ تَحْتِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ وقال بعد ذلك ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ فيصير المجموع ثمانية ويمكن التفتي عن ذلك بوجوه:

الأول: ما مر وهو المشهور بين المفسرين أن المراد بقوله ﴿أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ﴾ في تمتة أربعة أيام بأن يكون خلق الأرض في يومين منها وتقدير الأقوات فيها أو هو مع جعل الرواسي من فوقها والبركة فيها في يومين آخرين ويؤيده كثير من الأخبار المتقدمة.

الثاني: ما ذكره بعض الأفاضل ممن كان في عصرنا رة في شرحه على الكافي أن أربعة أيام مخصوصة بخلق ما على الأرض أولها بخلق الرواسي والثاني بخلق البركة والثالث والرابع بخلق الأقوات التي هي عبارة عن خلق الماء والمرعى المذكورين في سورة النازعات بقوله تعالى ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءً وَمَرْغَاهَا﴾^(٩) وأن اليومين اللذين خلق فيهما الأرض متحدان مع ما خلق فيهما السماوات إلا أن الخلق في اليوم الأول متعلق بأصل السماوات والأرض وفي اليوم الثاني بتمييز بعض أجزائها عن بعض فيصدق أن السماوات مخلوقة في يومين والأرض في يومين ولا تزيد أيام خلق المجموع على الستة^(١٠).

(٢) راجع ج ٥٨ ص ١٠ من المطبوعة.

(٤) تفسير القمي ج ١ ص ٣٢١.

(٦) سورة فصلت، آية: ١٢.

(٨) لم نعر على شرح الكافي هذا.

(١) لم نعر عليه في ما مر.

(٣) سورة هود، آية: ٧.

(٥) الكافي ج ١ ص ٢١ كتاب العقل والجهل، حديث ١٤.

(٧) سورة النازعات، آية: ٣١.

الثالث: ما ذكرناه في تأويل خبر الكافي بأن يكون يوما خلق السماوات داخلين في الأربعة فتذكر. (١)

الرابع: ما ذكره بعض المحققين من المعاصرين (٢) وهو أن يكون الأيام الأربعة بل اليومان الأخيران أيضا في سورة السجدة غير الأيام الستة التي في سائر السور ويؤيده تغيير الأسلوب بإيراد لفظ الخلق في سائر الآيات ولفظ الجعل والبركة والتقدير والقضاء سبعا في السجدة ويؤيده لفظ «مَا يَبَيِّنُهُمَا» في آيات سور الفرقان والتنزيل وق فإنه سواء كان خلق الأرض وبعض ما عليها في أربعة أيام وخلق السماوات في يومين أو خلق ما على الأرض في أربعة أيام وخلق السماوات والأرض في يومين كما في التأويلين السابقين لا يبقى لخلق ما بين السماوات والأرض كالهواء وما فيها من كائنات الجو وقت فينبغي أن يحمل على أن خلق السماوات في يومين وخلق الأرض في يومين غيرهما وخلق ما بينهما في يومين غير الأربعة فيبلغ ستة كما هو ظاهر الآيات قسم في هذه الستة ما ذكره تعالى في سورة النازعات بقوله «أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمَكُهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا» (٣) فيكون كل ما ذكره فيها متصلا به بقوله «وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْغَاهَا وَالْجِبَالُ أَوْشَاهَا» (٤) في يوم آخر أو أيام أخر غير الستة المذكورة ويؤيده ما روي أن دحو الأرض كان بعد خلقها بألفي سنة (٥) فعلى ذلك لا يبعد أن يكون خلق ما سوى المذكورات كتقدير الأقوات وسائر المخلوقات التي لا تعد ولا تحصى في أيام أخر كيف وما في السماوات كالملائكة وما في تحت الأرض كالصخرة والديك والحوث وغيرها المذكورات في حديث زينب العطار (٦) غير السماوات والأرض وما بينهما كما يرشد إليه التسييح المأثور المشهور سبحانه الله رب السماوات السبع ورب الأرضين السبع وما فيهن وما بينهن وما تحتهن (٧) فيكون خلقها في غير الستة المذكورة فلا حاجة إلى تكلف لإدخال زمان تقدير الأقوات وجعل الرواسي مثلا في زمان خلق السماوات والأرض وما بينهما حتى لا يزيد زمان خلق المجموع على ستة أيام وأما الروايات التي أريد بها التأويل فحملها على أن يكون المراد بها التحيين النوعي في أيام خلق كل من المذكورات فيها فلا ينافي أن يكون خلق الأشجار مثلا في أربعة أيام والمياه في أربعة أخرى وكذا خلق الشمس والقمر مثلا في جمعة وكل من النجوم والملائكة و آدم ﷺ في جمعات أخر فلا يلزم الاتحاد الشخصي ولا التوالي في تلك الأيام كيف ولو لم تحمل على ذلك لما أمكن الجمع بينها وبين ما مر من الرضا ﷺ من أن خلق العرش والماء والملائكة قبل خلق السماوات والأرض وكذا بينها وبين ما لا ريب فيه لأحد من أن خلق الملائكة والجنان قبل خلق آدم ﷺ بدهور طويلة. وأما المنظومة المشهورة المنسوبة إلى أمير المؤمنين ﷺ من قوله:

لنعم اليوم يوم السبت حقا
ولسعيد إن أردت بلا استراء
تبدى الله في خلق السماء (٨)

لنعم اليوم يوم السبت حقا
وفسي الأحد البناء لأن فيه

حيث صرح فيها بأن خلق السماء في يوم الأحد فيمكن أن يجمع بينها وبين الروايات الدالة على أن خلقها في يوم الخميس بكون أصل خلقها في أحد ذينك اليومين وتمييز بعضها عن بعض في اليوم الآخر وما يلائم هذا الجمع وقوع السماء بلفظ المفرد في المنظومة و بلفظ الجمع في الروايات وإدراج لفظ الابتداء في المنظومة دون الروايات فيسهل بما ذكرنا طريق الجمع بين الروايات المتعارضة الظواهر في هذا الباب.

ونختم الكلام بذكر أقوال بعض من يعول على قوله من قدماء المؤرخين ليعلم اتفاق جميع فرق المسلمين على الحدوث قال السعدي ره وكان من علماء الإمامية في كتاب مروج الذهب اتفق أهل الملة (٩) جميعا من أهل الإسلام على أن الله خلق الأشياء على غير مثال وابتدعها من غير أصل ثم روي عن ابن عباس وغيره أن أول ما خلق الله عز وجل الماء فكان عرشه عليه فلما أراد أن يخلق السماء (١٠) أخرج من الماء دخانا فارتفع (١١) فوق الماء

(٢) لم نعر على اسم هذا المحقق.

(٤) سورة النازعات، آية: ٣٠ - ٣٢.

(٦) جاء الحديث هذا في ج ٦٠ ص ٨٣ من المطبوعة.

(٨) لم نعر عليه في نسخة من ديوانه ﷺ.

(١٠) في المصدر: «الخلق» بدل «السماء».

(١) راجع ج ٥٨ ص ٦٠ من المطبوعة.

(٣) سورة النازعات، آية: ٢٧ - ٢٩.

(٥) راجع ج ١٠ ص ٢١٠ من المطبوعة.

(٧) جاء التسييح هذا في ج ١٣ ص ١٤٤ من المطبوعة.

(٩) في المصدر: «العلم» بدل «الملة».

(١١) في المصدر إضافة: «الدخان».

فسمي السماء^(١) ثم أبس الماء فجعله أرضا واحدة ثم فتحها فجعلها سبع أرضين في يومين في الأحد والإنسين وخلق الأرض على حوت والحوت هو الذي ذكره الله في كتابه ﴿وَالْقَلَمَ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾^(٢) والحوت والماء على الصفا^(٣) والصفا على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة على الريح وهي الصخرة التي في القرآن ﴿فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ﴾^(٤) فاضطرب الحوت فتزلزلت الأرض فأرسي الله عليها الجبال فقرت^(٥) كما قال تعالى ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ وخلق الجبال فيها وخلق أقوات أهلها وشجرها^(٦) وما ينبغي لها في يومين في يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء كما قال تعالى ﴿إِنَّا أَنْكُرُوا بِأَيْدِي خَلْقِ الْأَرْضِ فِي يَوْمَيْنِ إِلَى قَوْلِهِ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَكَانَ ذَلِكَ الدِّخَانُ مِنْ نَفْسِ الْمَاءِ حِينَ تَنْفَسُ فَجَعَلَهَا سَماً واحدة ثم فتحها وجعلها سبعا في يومين في يوم الخميس ويوم الجمعة وإنما سمي بالجمعة لأنه جمع فيه خلق السماوات والأرض ثم قال تعالى ﴿وَوَاضَعِيَ فِي كُلِّ سَمَاءٍ اثْنَاهَا﴾ أي وجعل في كل سماء خلقها من الملائكة والجار والبرد ثم قال وما ذكرنا من الأخبار عن بدء الخليقة هو ما جاءت به الشريعة ونقله الخلف عن السلف والباقي عن الماضي عبرنا عنهم على ما نقل إلينا من ألفاظهم وجدنا في كتبهم من شهادة الدلائل بحدوث العالم وإيضاحها بكونه ولم تعرض لوصف قول من وافق ذلك وانتقاد إليه من السلف القائلين بالحدوث ولا الرد على من سواهم ممن خالف ذلك وقال بالقدم لذكرنا ذلك فيما سلف من كتبنا وتقدم من تصانيفنا^(٧) انتهى.

وقد ذكر أبو ریحان البيروني في تاريخه مدة عمر الدنيا وابتداء وجودها عن جماعة من المنجمين والحكماء وقطع لها بالابتداء واستدل عليه فلا تظليل الكلام بإيرادها.

وقال ابن الأثير في الكامل صح في الخبر عن رسول الله ﷺ فيما رواه عنه عبادة بن الصامت أنه سمعه يقول إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن وروي نحو ذلك عن ابن عباس وقال محمد بن إسحاق أول ما خلق الله تعالى النور والظلمة فجعل الظلمة ليلا أسود وجعل النهار نورا^(٨) مضيا والأول أصح^(٩) وعن ابن عباس أنه قال إن الله تعالى كان عرشه قبل أن يخلق شيئا فكان أول ما خلق القلم فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة قال ثم خلق بعد القلم الغمام وقيل ثم اللوح ثم الغمام ثم اختلف فيما خلق بعد الغمام فروى الضحاك عن ابن عباس أول ما خلق الله العرش فاستوى عليه وقال آخرون خلق الله الماء قبل العرش ثم خلق العرش فوضعه على الماء وهو قول أبي صالح عن ابن عباس وقول ابن مسعود وهب بن منبه وقيل إن الذي خلق بعد القلم الكرسي ثم العرش ثم الهواء ثم الظلمات ثم الماء فوضع عرشه عليه وقال وقول من قال إن الماء خلق قبل العرش أولى بالصواب لحديث ابن أبي رزين^(١٠) عن النبي ﷺ وقد قيل إن الماء كان على متن الريح حين خلق العرش قاله ابن جبير عن ابن عباس فإن كان كذلك فقد خلقا قبل العرش وقال ضمرة إن الله خلق القلم قبل أن يخلق شيئا بألف عام واختلفوا أيضا في اليوم الذي ابتدأ الله فيه خلق السماوات والأرض فقال عبد الله بن سلام وكعب والضحاك ومجاهد ابتدأ الخلق يوم الأحد وقال محمد بن إسحاق ابتدأ الخلق يوم السبت وكذلك قال أبو هريرة واختلفوا أيضا فيما خلق في كل يوم فقال ابن سلام إن الله تعالى بدأ الخلق يوم الأحد فخلق الأرضين يوم الأحد والإنسين وخلق الأقوات والرواسي في الثلاثاء والأربعاء وخلق السماوات في الخميس والجمعة وفرغ في آخر ساعة من الجمعة فخلق فيها آدم فتلک الساعة التي تقوم فيها الساعة ومثله قال ابن مسعود وابن عباس من رواية أبي صالح عنه إلا أنها لم يذكرها خلق آدم ولا الساعة وقال ابن عباس من رواية علي بن أبي طلحة عنه إن الله خلق الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ثم دحا الأرض بعد ذلك فذلك قوله ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾^(١١) وهذا القول عندي هو الصواب.

(١) في المصدر: «سما».

(٢) في المصدر: «والحوت في الماء، والماء على الصفا» بدل «والحوت والماء على الصفا».

(٣) في المصدر: «التي في القرآن حكاية عن قول لقمان لابنه: «يا بني إنها إن تكن مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة».

(٤) في المصدر إضافة: «الأرض».

(٥) مرجع الذهب ج ١ ص ٢٨ - ٤٢.

(٦) في المصدر إضافة: «للحديث».

(٧) سورة التازعات، آية: ٣٠.

(٢) سورة القلم، آية: ١.

(٣) في المصدر: «والحوت في الماء، والماء على الصفا» بدل «والحوت والماء على الصفا».

(٤) في المصدر: «سخرها» بدل «شجرها».

(٥) في بعض النسخ من المصدر: «وجعل النور نهرا».

(٦) في المصدر: «أبي رزين».

وقال ابن عباس أيضا من رواية عكرمة عنه إن الله وضع البيت على الماء على أربعة أركان قبل أن يخلق الدنيا بألفي عام ثم دحيت الأرض من تحت البيت. ومثله قال ابن عمر ورواه^(١) السدي عن أبي الصالح وعن أبي مالك عن ابن عباس وأبي مرة عن ابن مسعود في قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾^(٢) قال إن الله عز وجل كان غَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ولم يخلق شيئا غير ما خلق قبل الماء فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء فسماه عليه فسماه سماء ثم أبس الماء فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعل سبع أرضين في يومين يوم الأحد ويوم الإثنين فخلق الأرض على حوت والحيات النون الذي ذكره الله في القرآن ﴿وَالْقَلَمِ﴾^(٣) والحيات في الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة في الريح وهي الصخرة التي ذكرها لقمان ليست في السماء ولا في الأرض فتحرك الحيات واضطربت وتزلزلت الأرض فأرسي عليها الجبال فقرت والجبال تفخر على الأرض فذلك قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِي﴾^(٤) وقال ابن عباس والضحاك ومجاهد وكعب وغيرهم كل يوم من هذه الأيام الستة التي خلق الله فيها السماء والأرض كآلف سنة^(٥) انتهت.

وكلام سائر المؤرخين جار هذا المجرى ولا جدوى في إيرادها.

باب ٢

العوالم ومن كان في الأرض قبل خلق آدم ﷺ و
من يكون فيها بعد انقضاء القيامة وأحوال جابلقا
و جابر سا

الآيات: الفاتحة: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

الأعراف: ﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُّؤَسَّسٍ أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾^(٦).

وقال تعالى ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾^(٧).

تفسير: جمع «العالمين» يومي إلى تعدد العوالم كما سيأتي وإن أول بأن الجمعية باعتبار ما تحته من الأجناس المختلفة ﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُّؤَسَّسٍ أُمَّةً﴾ قال الطبرسي ره أي جماعة «يَهْدُونَ بِالْحَقِّ» أي يدعون إلى الحق ويرشدون إليه ﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ أي بالحق يحكمون ويعدلون في حكمهم واختلف في هذه الأمة من هم على أقوال: أحدها: أنهم قوم من وراء الصين بينهم وبين الصين واد جار من الرمل لم يغيروا ولم يبدلوا عن ابن عباس والسدي والربيع والضحاك وعطاء وهو المروي عن أبي جعفر ؑ قالوا وليس لأحد منهم مال دون صاحبه يمتطرون بالليل ويضحون بالنهار ويزرعون لا يصل إليهم منا أحد ولا منهم إلينا وهم على الحق.

قال ابن جريج بلغني أن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرا سبط منهم مما صنعوا واعتدروا وسألوا الله أن يفرق بينهم وبينهم ففتح الله لهم نفقا من الأرض فساروا فيه سنة ونصف سنة حتى خرجوا من وراء الصين فهم هناك حنفاء مسلمين^(٨) يستقبلون قبلتنا وقيل إن جبرئيل انطلق بالنبي ليلة المعراج إليهم فقرأ عليهم من القرآن عشر سور نزلت بمكة فآمنوا به وصدقوه وأمرهم أن يقيموا مكانهم ويتركوا السبت وأمرهم بالصلاة والزكاة ولم يكن نزلت فريضة غيرهما ففعلوا قال ابن عباس وذلك قوله ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ

(٢) سورة البقرة: آية: ٢٩.

(٤) سورة الرعد، آية: ٣.

(٦) سورة الأعراف، آية: ١٥٩.

(٨) في المصدر: «مسلمون».

(١) في المصدر: «ووري».

(٣) سورة القلم، آية: ١.

(٥) الكامل في التاريخ ج ١ ص ١٦ - ٢٠.

(٧) سورة الأعراف، آية: ١٨١.

اشْكُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جُنَّتْ بِكُمْ لَقِيفًا»^(١) يعني عيسى ابن مريم يخرجون معه و روى أصحابنا أنهم يخرجون مع قائم آل محمد ﷺ و روي أن ذا القرنين رآهم فقال لو أمرت بالمقام لسرني أن أقيم بين أظهركم. وثانيها: أنهم قوم من بني إسرائيل تمسكوا بالحق وبشرية موسى ﷺ في وقت ضلالة القوم وقتلهم أنبياءهم وكان ذلك قبل نسخ شريعتهم بشريعة عيسى ﷺ فيكون تقدير الآية «ومن قوم موسى أمة كانوا يهدون بالحق» عن العجاني. وثالثها: أنهم الذين آمنوا بالنبي ﷺ مثل عبد الله بن سلام و ابن سوريا وغيرهما و في حديث أبي حمزة الثمالي و الحكم بن ظهير أن موسى لما أخذ الألواح قال رب إني أجد^(٢) في الألواح أمة هي خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد قال رب إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون في الخلق السابقون في دخول الجنة فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد قال رب إني أجد في الألواح أنه كتبهم في صدورهم يقرءونها فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد قال رب إني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة و إن عملها كتبت له عشر أمثالها و إن هم بسيئة و لم يعملها لم تكتب عليه و إن عملها كتبت عليه سيئة واحدة فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد قال رب إني أجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول و الكتاب الآخر و يقاتلون الأعداء فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد قال رب إني أجد في الألواح أمة هم الشافعون و هم المشفوع لهم فاجعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد قال موسى ﷺ رب اجعلني من أمة أحمد.

قال أبو حمزة فأعطي موسى آيتين لم يعطها يعني أمة أحمد قال الله «يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَ بَكَلَامِي»^(٣) قال «وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَظْهَرُونَ» قال فرضي موسى كل الرضا. و في حديث غير أبي حمزة قال إن النبي ﷺ لما قرأ «وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَظْهَرُونَ»^(٤) قال هذه لكم و قد أعطي^(٥) قوم موسى مثلها^(٦) انتهى.

و أما الآية الثانية فالمشهور أنها لهذه الأمة و دلت الأخبار الكثيرة على أن المراد بهم الأئمة و شيعتهم كما مر في كتاب الإمامة. و قال الطبرسي ره قال الربيع بن أنس قرأ النبي ﷺ هذه الآية فقال إن من أمتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى ابن مريم و روى العياشي بإسناده عن أمير المؤمنين ﷺ أنه قال و الذي نفسي بيده لتفترق هذه الأمة على ثلاث و سبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة واحدة «وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَ بِهِ يَظْهَرُونَ» فهذه التي تتجو و روي عن أبي جعفر و أبي عبد الله ﷺ أنهما قالا نحن هم^(٧) انتهى.

وأقول: قال الرازي في تفسيره بوي أن بني آدم عشر الجن و الجن و بنو آدم عشر حيوانات البر و هؤلاء كلهم عشر الطيور و هؤلاء كلهم عشر حيوانات البحر و هؤلاء كلهم عشر ملائكة الأرض الموكلين بها و كل هؤلاء عشر ملائكة السماء الدنيا و كل هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية و على هذا الترتيب إلى السماء السابعة ثم الكل في مقابلة ملائكة الكرسي نزر قليل ثم كل هؤلاء عشر ملائكة سرادق واحد^(٨) من سرادقات العرش التي عددها ستمائة ألف طول كل سرادق و عرضه و سمكه إذا قوبلت به السماوات و الأرضون و ما فيها و ما بينهما^(٩) فإنها كلها تكون شيئا يسيرا و قدرا صغيرا و ما من مقدار موضع قدم إلا و فيه ملك ساجد أو رাকع أو قائم لهم زجل بالتسبيح و التقديس ثم كل هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر و لا يعرف^(١٠) عددهم إلا الله ثم مع هؤلاء ملائكة اللوح الذين هم أشياع إسرائيل ﷺ و الملائكة الذين هم جنود جبرئيل ﷺ و هم كلهم سامعون مطيعون لا يفترون مشغولون بعبادته سبحانه رطاب الألسنة بذكره و تعظيمه يتسابقون في ذلك منذ^(١١) خلقهم لا يستكبرون عن عبادته آناء الليل و النهار و^(١٢) لا يسأمون لا تحصى أجناسهم و لا مدة أعمارهم و لا كيفية عباداتهم^(١٣) و هذا تحقيق حقيقة ملكوته جل جلاله على ما قال «وَمَا يَعْلَمْ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ»^(١٤)

(٢) في المصدر: «لأجد» وكذا في ما بعد.

(٤) سورة الأعراف، آية: ١٨١.

(٦) مجمع البيان ج ٤ ص ٤٨٩.

(٨) في المصدر: «السرادق الواحدة».

(١٠) في المصدر: «مذ».

(١٢) في المصدر.

(١٣) في المصدر: «ولا يحصى أجناسهم و لا مدة أعمارهم و لا كيفية عبادتهم إلا الله تعالى».

(١٤) التفسير الكبير ج ١ ص ١٦٦ - ١٦٧، والآية من سورة المدثر: ٣١.

(١) سورة الإسراء، آية: ٨٠٤.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٤٤.

(٥) في المصدر: «وقد أعطي الله».

(٧) مجمع البيان ج ٤ ص ٥٠٣.

(٩) في المصدر: «وما فيها و ما بينها».

(١١) في المصدر: «ولا يعلم».

١- الخصال: عن محمد بن الحسن بن الوليد عن محمد بن الحسن الصفار عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب عن محمد بن عبد الله بن هلال عن العلا عن محمد بن مسلم قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول لقد خلق الله عز وجل في الأرض منذ خلقها سبعة عالمين ليس هم من ولد آدم خلقهم من أديم الأرض فأسكنهم فيها واحدا بعد واحد مع عالمه ثم خلق الله عز وجل آدم أبأ البشر ^(١) وخلق ذريته منه ولا والله ما خلقت الجنة من أرواح المؤمنين منذ خلقها ولا خلقت النار من أرواح الكفار والعصاة منذ خلقها عز وجل لعلمكم ترون أنه إذا ^(٢) كان يوم القيامة وصير الله أبدان أهل الجنة مع أرواحهم في الجنة وصير أبدان أهل النار مع أرواحهم في النار إن الله تبارك وتعالى لا يعبد في بلاده ولا يخلق خلقا يعبدونه ويوحدهون بلى والله ليخلق الله خلقا من غير فحولة ولا إناث يعبدونه ويوحدهون ويعظمه ويخلق لهم أرضا تحملهم وسماء تظلمهم أليس الله عز وجل يقول ﴿يَوْمَ تَبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ ^(٣) وقال الله عز وجل ﴿أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ^(٤).
العياشي: عن محمد مثله. ^(٥)

٢- الخصال: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن الحسن ^(٦) بن عبد الصمد عن الحسن ^(٧) بن أبي عثمان قال حدثنا العبادي ^(٨) بن عبد الخالق عن حدثه عن أبي عبد الله عليه السلام قال إن لله عز وجل اثني عشر ألف عالم كل عالم منهم أكبر من سبع سماوات وسبع أرضين ما يرى عالم منهم أن لله عز وجل عالما غيرهم وإني ^(٩) الحجة عليهم. ^(١٠)
مختبب البصائر: لسعد بن عبد الله عن الحسن بن عبد الصمد إلى آخر السند وعن محمد بن سنان عن المفضل عنه عليه السلام مثله. ^(١١)

٣- التوحيد والخصال: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن محمد بن عيسى عن الحسن بن محبوب عن عمرو بن شمر عن جابر بن يزيد قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ^(١٢) فقال يا جابر تأويل ذلك أن الله عز وجل إذا أفتى هذا الخلق وهذا العالم وسكن ^(١٣) أهل الجنة الجنة وأهل النار النار جدد ^(١٤) الله عز وجل عالما غير هذا العالم وجدد عالما ^(١٥) من غير فحولة ولا إناث يعبدونه ويوحدهون ويخلق ^(١٦) لهم أرضا غير هذه الأرض تحملهم وسماء غير هذه السماء تظلمهم لعلك ترى أن الله عز وجل إنما خلق هذا العالم الواحد أو ترى أن الله عز وجل لم يخلق بشرا غيركم بلى والله لقد خلق الله تبارك وتعالى ألف ألف عالم وألف ألف آدم وأنت ^(١٧) في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين. ^(١٨)

بيان: قوله عز وجل ﴿أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ المشهور أن هذه الآية لإثبات البعث وهو المراد بالخلق الجديد قال الطبرسي ره أي أفعجزنا حين خلقناهم أولا ولم يكونوا شيئا فكيف نعجز عن بعثهم وإعادةهم ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾ أي في ضلال وشك من إعادة الخلق جديد. ^(١٩)

والصوفية حملوه على تجدد الأمثال الذي قالوا به مخالفين لسائر العقلاء والمستدين ولعل التأويل الوارد في الخبر من بطون الآية والجمع بينه وبين ما سبق يمكن بأن يكون الأول محمولا على الأجناس وهذا على أنواع العوالم وعلى أي حال هذه الأخبار تدل على حدوث العالم لا على قدمه كما توهمه بعض القائلين به إذ الزمان المعدود بالكثرة لا يصير غير متناه.

(١) في المصدر: «أبأ هذا البشر».

(٢) سورة إبراهيم، آية: ٤٨.

(٣) الخصال ج ٢ ص ٣٥٨ - ٣٥٩ باب السبعة حديث ٤٥، والآية من سورة ق، آية: ١٥.

(٤) تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٣٨ حديث ٥٧.

(٥) في المصدر إضافة: «بن علي».

(٦) في المصدر: «أنا».

(٧) مختصر البصائر ص ١٣.

(٨) في الخصال: «وأسكن».

(٩) في التوحيد: «خلقنا».

(١٠) في المصدرين: «أنت» بدل «وأنت».

(١١) التوحيد ص ٢٧٧ باب ٣٨ حديث ٢، والخصال ج ٢ ص ٦٥٢ باب ما بعد ألف حديث ٥٤.

(١٢) مجمع البيان ج ٩ ص ١٤٤.

(١٣) في المصدرين: «وخلق».

(١٤) سورة ق، آية: ١٥.

(١٥) في الخصال: «أوجد».

(١٦) في المصدرين: «وخلق».

٤- تفسير علي بن إبراهيم: عن سعيد بن محمد عن بكر بن سهل عن عبد الغني بن سعيد عن موسى بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس في قوله ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال إن الله عز وجل خلق ثلاثمائة عالم وبضعة عشر عالماً خلف قاف وخلف البحار السبعة لم يعصوا الله طرفة عين قط ولم يعرفوا آدم ولا ولده كل عالم منهم يزيد من ثلاثمائة وثلاثة عشر مثل آدم وما ولد فذلك قوله ﴿إِنَّا أَنْشَأَ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (١).

٥- قصص الراوندي: بإسناده إلى الصدوق عن أبيه ومحمد بن الحسن بن الوليد معا عن سعد بن عبد الله عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب عن الحسن بن محبوب عن عمرو بن أبي المقدام عن جابر عن أبي جعفر (ع) قال سئل أمير المؤمنين (ع) هل كان في الأرض خلق من خلق الله تعالى يعبدون الله قبل آدم وذريته فقال نعم قد كان في السموات والأرض خلق من خلق الله يقدسون الله ويسبحونه ويعظمونه بالليل والنهار لَا يَقْتُزُونَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ لما خلق الأرضين خلقها قبل السموات ثم خلق الملائكة روحانيين لهم أجنحة يطفرون بها حيث يشاء الله فأسكنهم فيما بين أطباق السموات يقدسونه الليل والنهار واصطفى منهم إسرئيل وميكائيل وجبرئيل ثم خلق عز وجل في الأرض الجن روحانيين لهم أجنحة فخلقهم دون خلق الملائكة وحفظهم أَنْ يبلغوا مبلغ الملائكة في الطيران وغير ذلك فأسكنهم فيما بين أطباق الأرضين السبع وفوقهم يقدسون الله اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَقْتُزُونَ ثم خلق خلقاً دونهم لهم أبدان وأرواح بغير أجنحة يأكلون ويشربون تناسل أشباه خلقهم وليسوا بناس وأسكنهم أوساط الأرض على ظهر الأرض مع الجن يقدسون الله اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَقْتُزُونَ قال وكان الجن تطير في السماء فتلقى الملائكة في السموات فيسلمون عليهم ويزورونهم ويستريحون إليهم ويتعلمون منهم الخير.

ثم إن طائفة من الجن والناس الذين خلقهم الله وأسكنهم أوساط الأرض مع الجن تمردوا وعتوا عن أمر الله فمرحوا وبغوا في الأرض بغير الحق وعلا بعضهم على بعض في العتو على الله تعالى حتى سفكوا الدماء فيما بينهم وأظهروا الفساد وجحدوا ربوبية الله تعالى قال وأقامت الطائفة المطيعون من الجن على رضوان الله وطاعته وباينوا الطائفتين من الجن والناس الذين عتوا عن أمر الله تعالى قال فحط الله أجنحة الطائفة من الجن الذين عتوا عن أمر الله وتمردوا فكانوا لا يقدرون على الطيران إلى السماء وإلى ملاقات الملائكة لما ارتكبوا من الذنوب والمعاصي قال وكانت الطائفة المطيعة لأمر الله من الجن تطير إلى السماء الليل والنهار على ما كانت عليه وكان إبليس واسمه الحارث يظهر للملائكة أنه من الطائفة المطيعة ثم خلق الله تعالى خلقاً على خلاف خلق الملائكة وعلى خلاف خلق الجن وعلى خلاف خلق الناس يبدون كما يبدب الهوام في الأرض يأكلون ويشربون كما تأكل الأنعام من مراعي الأرض كلهم ذكران ليس فيهم إناث لم يجعل الله فيهم شهوة النساء ولا حب الأولاد ولا الحرص ولا طول الأمل ولا لذة عيش لا يلبسهم الليل ولا يغشاهم النهار وليسوا ببهائم ولا هوام لباسهم ورق الشجر وشربهم من العيون الغزار والأودية الكبار ثم أراد الله أَنْ يفرقهم فرقتين فجعل فرقة خلف مطلع الشمس من وراء البحر فكان لهم مدينة أنشأها تسمى جابرسا طولها اثنا عشر ألف فرسخ في اثني عشر ألف فرسخ وكون عليها سورا من حديد يقطع الأرض إلى السماء ثم أسكنهم فيها وأسكن الفرقة الأخرى خلف مغرب الشمس من وراء البحر وكون لهم مدينة أنشأها تسمى جابلقا.

طولها اثنا عشر ألف فرسخ في اثني عشر ألف فرسخ وكون لهم سورا من حديد يقطع إلى السماء فأسكن الفرقة الأخرى فيها لا يعلم أهل جابرسا بموضع أهل جابلقا ولا يعلم أهل جابلقا بموضع أهل جابرسا ولا يعلم بهم أهل أوساط الأرض من الجن والناس فكانت الشمس تطلع على أهل أوساط الأرضين (٢) من الجن والناس فينتفعون بحرهما ويستضيئون بنورها ثم تغرب في عين حمة فلا يعلم بها أهل جابلقا إذا غربت ولا يعلم بها أهل جابرسا إذا طلعت لأنها تطلع من دون جابرسا وتغرب من دون جابلقا فقيل يا أمير المؤمنين فكيف يبصرون ويحيون وكيف يأكلون ويشربون وليس تطلع الشمس عليهم فقال إنهم يستضيئون بنور الله فهم في أشد ضوء من نور الشمس ولا يرون أن الله تعالى خلق شمسا ولا قمرا ولا نجوما ولا كواكب ولا يعرفون شيئا غيره فقيل يا أمير

(١) تفسير علي بن إبراهيم القمي ج ٢ ص ٤٠٩، والآية من سورة التكاوير: ٢٩.

(٢) في المصدر: «الأرض».

المؤمنين فأبلى إبليس عنهم قال لا يعرفون إبليس ولا سمعوا بذكره لا يعرفون إلا الله وحده لا شريك له لم يكسب أحد منهم قط خطيئة ولم يقترب إنما لا يستقون ولا يهرمون ولا يموتون إلى يوم القيامة يعبدون الله لا يفترون الليل والنهار عندهم سواء.

وقال إن الله أحب أن يخلق خلقا وذلك بعد ما مضى للجن والناس سبعة آلاف سنة فلما كان من خلق الله أن يخلق آدم للذي أراد من التدبير والتقدير فيما هو مكونه في السماوات والأرضين كشط عن أطباق السماوات ثم قال للملائكة انظروا إلى أهل الأرض من خلقي من الجن والناس هل ترضون أعمالهم وطاعتهم لي فاطلعت^(١) ورأوا ما يعملون فيها من المعاصي وسفك الدماء والفساد في الأرض بغير الحق أعظموا ذلك وغضبوا لله وأسفوا على أهل الأرض ولم يملكوا غضبهم وقالوا يا ربنا أنت العزيز الجبار القاهر العظيم الشأن وهؤلاء كلهم خلقك الضعيف الذليل في أرضك كلهم يقتلون في قبضتك ويعيشون برزقك ويتمتعون بعافيتك وهم يعصونك بمثل هذه الذنوب العظام لا تغضب ولا تنتقم منهم لنفسك بما تسمع منهم وترى وقد عظم ذلك علينا وأكبرناه فيك قال فلما سمع الله تعالى مقالة الملائكة قال «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» فيكون حجتي على خلقي في أرضي فقالت الملائكة سبحانه ربنا «أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ» فقال الله تعالى يا ملائكتي «إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ» إني أخلق خلقا بيدي وأجعل من ذريته أنبياء ومرسلين وعبادا صالحين وأمة مهتدين^(٢) وأجعلهم خلفائي على خلقي في أرضي ينهونهم عن معصيتي وينذرونهم من عذابي ويهدونهم إلى طاعتي ويسلكون بهم طريق سبيلي أجعلهم حجة لي عذرا أو نذرا وأنفي الشياطين من أرضي وأظهرها منهم فأسكنهم في الهواء وأقنار الأرض وفي الفياقي فلا يراهم خلقي ولا يرون شخصهم ولا يجالسونهم ولا يخاطبونهم ولا يؤاكلونهم ولا يشاربونهم وأنفر مردة الجن العصاة من نسل بريتي وخلقي وخيرتي فلا يجاورون خلقي وأجعل بين خلقي وبين الجن حجابا فلا يرى خلقي شخص الجن ولا يجالسونهم ولا يشاربونهم ولا يتجهجون تهجمهم ومن عصاني من نسل خلقي الذي عظمته واصطفيته لغبني أسكنهم مساكن العصاة وأوردهم موردهم ولا أبالي فقالت الملائكة «وَلَا عَلَمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ» فقال للملائكة «إِنِّي خَالِقُ بَشَرٍ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ».

قال وكان ذلك من الله تقدمه للملائكة قبل أن يخلقه احتجا منه عليهم وما كان الله لغيره ما يقوم إلا بعد الحجة عذرا أو نذرا فأمر تبارك وتعالى ملكا من الملائكة فاعترف غرفة يمينه فصلصها في كفه فجمدت فقال الله عز وجل منك أخلق.^(٣)

إيضاح: أشباه خلقهم أي بالانس أو بعضهم ببعض أو بالإضافة أي أشباه خلق الجن فمرحوا بالحاء المهملة يقال مرح كفرح أي أشر وطر واختلا ونشط تخترا أو بالميم والمرج بالتحريك الفساد والقلق والاختلاط والاضطراب والفعل كفرح أيضا لا يلبسهم الليل لعل المعنى أنهم لم يكونوا يحتاجون في الليل إلى ستر وفي النهار إلى غشاء وستر أو أنهم لما لم تطلع عليهم الشمس لا ليل عندهم ولا نهار ويظهر من هذا الخبر أن جابلقا وجابرنا خارجا من هذا العالم خلق السماء الرابعة بل السابعة على المشهور وأهلها صف من الملائكة أو شبيه بهم واختصر الراوندي الخبر وتامه مر بسند آخر في المجلد الخامس.

٦- البصائر: عن يعقوب بن يزيد عن ابن أبي عمير عن رجاله عن أبي عبد الله عليه السلام يرفع الحديث إلى الحسن بن علي عليه السلام أنه قال إن له مدينتين إحداهما بالشرق والأخرى بالمغرب عليهما سوران من حديد وعلى كل مدينة ألف ألف مصراع من ذهب وفيها سبعين^(٤) ألف ألف لغة يتكلم كل لغة بخلاف لغة صاحبه وأنا أعرف جميع اللغات وما فيها وما بينهما وما عليهما حجة غيري والحسين أخي.^(٥)

(١) في المصدر إضافة: «الملائكة».

(٢) عبارة: «وأجعل من ذريته أنبياء» حتى «مهتدين» و«ليست في المصدر».

(٣) قصص الراوندي ص ٣٥-٤٠ باب ١ حديث ١. (٤) هكذا في المصدر.

(٥) بصائر الدرجات ص ٣٥٩ جزء ٧ باب ١٢.

و منه: عن أحمد بن الحسين عن أبيه بهذا الإسناد مثله.^(١)

٧- ومنه: عن محمد بن المعنى عن أبيه عن عثمان بن زيد عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال سألت عن قول الله عز وجل ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ﴾^(٢) قال فكنت مطرقاً إلى الأرض فرفع يده إلى فوق ثم قال لي ارفع رأسك فرفعت رأسي فنظرت إلى السقف قد انفجر حتى خلس بصري إلى نور ساطع حار بصري دونه قال ثم قال لي رأى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض هكذا^(٣) قال لي أطرق فأطرق ثم قال لي ارفع رأسك فرفعت رأسي فإذا السقف على حاله قال ثم أخذ بيدي وقام وأخرجني من البيت الذي كنت فيه وأدخلني بيتاً آخر فخلع ثيابه التي كانت عليه ولبس ثياباً غيرها ثم قال لي غض بصرك فغضضت بصري وقال لي لا تفتح عينك فلبثت ساعة ثم قال لي أتدري أين أنت قلت لا جعلت فذاك فقال لي^(٤) في الظلمة التي سلكها ذو القرنين فقلت له جعلت فذاك تأذن لي أن أفتح عيني فقال لي افتح فإنك لا ترى شيئاً ففتحت عيني فإذا أنا في ظلمة لا أبصر فيها موضع قدمي ثم سار قليلاً ووقف فقال لي هل تدري أين أنت قلت لا قال أنت واقف على عين الحياة التي شرب منها الخضر وخرجنا من ذلك العالم إلى عالم آخر فسلكتنا فيه فرأينا كهينة عالماً في بنائه ومسكنه وأهله ثم خرجنا إلى عالم ثالث كهينة الأول والثاني حتى وردنا خمسة عوالم قال ثم قال هذه ملكوت الأرض ولم يرها إبراهيم وإنما رأى ملكوت السماوات وهي اثنا عشر عالماً كل عالم كهينة ما رأيت كلما مضى منا إمام سكن أحد هذه العوالم حتى يكون آخرهم القائم في عالماً الذي نحن ساكنوه قال ثم قال لي غض بصرك فغضضت بصري ثم أخذ بيدي فإذا نحن في البيت الذي خرجنا منه فنزع تلك الثياب ولبس الثياب التي كانت عليه وعدنا إلى مجلسنا فقلت جعلت فذاك كم مضى من النهار قال ثلاث ساعات.^(٥)

بيان: ولم يرها إبراهيم أي كلها أو في وقت الاحتجاج على قومه وأهبا بعداً وكان في قراءتهم عليهم السلام والأرض بالنصب.

٣٢٨
٥٧

٨- البصائر: عن أحمد بن محمد عن جعفر بن محمد بن مالك الكوفي عن محمد بن عمار عن أبي بصير قال كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فركض برجله الأرض فإذا بحر فيه سفن من فضة فركب وركبت معه حتى انتهى إلى موضع فيه خيام من فضة فدخلها ثم خرج فقال رأيت الخيمة التي دخلتها أولاً فقلت نعم قال تلك خيمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأخرى خيمة أمير المؤمنين عليه السلام والثالثة خيمة فاطمة والرابعة خيمة خديجة والخامسة خيمة الحسن والسادسة خيمة الحسين والسابعة خيمة علي بن الحسين والثامنة خيمة أبي والتاسعة خيمتي وليس أحد منا يموت إلا وله خيمة يسكن فيها.^(١)

٩- ومنه: عن عبد الله بن محمد الحجال عن الحسن بن الحسين اللؤلؤي عن محمد بن سنان عن ابن مسكان عن سدير قال قال أبو جعفر عليه السلام يا أبا الفضل إني لأعرف رجلاً من^(٢) المدينة أخذ قبل مطلع الشمس وقبل غروبها^(٣) إلى الفتن التي قال الله ﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُّوسَىٰ أَمَةٌ يَهُدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَتَدَبَّرُونَ﴾ لمشجرة كانت فيما بينهم فأصلح بينهم.^(٤)

١٠- ومنه: عن محمد بن عبد الله عن إسماعيل بن موسى عن أبيه عن جده عن عمه عبد الصمد بن علي قال دخل رجل على علي بن الحسين عليه السلام فقال له علي بن الحسين من أنت قال أنا منجم قال فأنتم عراف قال فنظر إليه ثم قال هل أدلك على رجل قدم^(١) مذ دخلت علينا في أربع عشر عالماً كل عالم أكبر من الدنيا ثلاث مرات لم يتحرك من مكانه قال من هو قال أنا وإن شئت أنبأتك بما أكلت وادخرت في بيتك.^(٢)

٣٢٩
٥٧

١١- ومنه: عن محمد بن الحسين عن صفوان بن يحيى عن بعض رجاله عن أبي عبد الله عن أبيه عن علي بن الحسين عن أمير المؤمنين عليه السلام قال إن لله بلدة خلف المغرب يقال لها جابلقا وفي جابلقا سبعون ألف أمة ليس منها أمة

(١) بصائر الدرجات ص ٣٥٩ جزء ٧ باب ١٢ حديث ٥. (٢) سورة الأنعام، آية: ٧٥.

(٣) في المصدر إضافة: «ثم». (٤) في المصدر إضافة: «أنت».

(٥) بصائر الدرجات ص ٤٢٤ جزء ٨ باب ١٣ حديث ٤. (٦) بصائر الدرجات ص ٤٢٥ جزء ٨ باب ١٣ حديث ٥.

(٧) في المصدر إضافة: «أهل». (٨) في المصدر: «مقرها».

(٩) بصائر الدرجات ص ٤١٩ باب ١٢ حديث ٩، والآية من سورة الأعراف: ١٥٩.

(١٠) في المصدر: «قد مر». (١١) بصائر الدرجات ص ٤٢٠ جزء ٨ باب ١٠ حديث ١٣.

إلا مثل هذه الأمة فما عصوا الله طرفة عين فما يعملون عملا ولا يقولون قولا إلا الدعاء على الأولين والبراءة منهما والولاية لأهل بيت رسول الله ﷺ^(١).

١٢- ومنه: عن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الجريري عن أبي عمران الأرمي عن الحسين بن الجارود عن حدثه عن أبي عبد الله ﷺ قال إن من وراء أرضكم هذه أرضا بيضاء ضوؤها منها فيها خلق يعبدون الله لا يشركون به شيئا يتبرعون من فلان وفلان^(٢).

١٣- ومنه: عن أحمد بن موسى عن الحسين بن موسى الخشاب عن علي بن حسان عن عبد الرحيم بن كثير عن أبي عبد الله ﷺ قال إن من وراء عين شمسكم هذه أربعين عين شمس فيها خلق كثير وإن من وراء قمركم أربعين قمرا فيها خلق كثير لا يدرون أن الله خلق آدم أم لم يخلقه ألهموا إلهاما لعنة فلان وفلان^(٣).

١٤- ومنه: عن سلمة بن الخطاب عن سليمان بن سماعة وعبد الله بن محمد عن عبد الله بن القاسم عن سماعة يرفعه إلى الحسن وأبي الجارود وذكره عن أبي سعيد الهمداني قال قال الحسن بن علي ﷺ إن لله مدينة في المشرق ومدينة في المغرب على كل واحد سور من حديد في كل سور سبعون ألف مصراع يدخل من كل مصراع سبعون ألف لغة آدمي ليس منها لغة إلا مخالف الأخرى وما منها لغة إلا وقد علمناها وما فيها وما بينهما ابن نبي غيري وغير أخي وأنا الحجة عليهم^(٤).

١٥- ومنه: عن أحمد بن الحسين عن علي بن الزيات^(٥) عن عبيد الله بن عبد الله الدهقان عن أبي الحسن ﷺ قال سمعته يقول إن لله خلف هذا النطاق زبرجدة خضراء فمن خضرتها اخضرت السماء قال قلت وما النطاق قال الحجاب ولله وراء ذلك سبعون ألف عالم أكثر من عدد الإنس والجن وكلهم يعلم فلانا وفلانا^(٦).

بيان: لعل المراد بالنطاق الجبال المحسوسة لنا وبالزبرجدة جبل قاف أو المراد بالنطاق ذلك الجبل والزبرجدة خلفه ويحتمل على بعد السماء قال في النهاية في حديث العباس يمدح النبي ﷺ.

حتى احتوى بيتك المهيم من خندف علياء تحتها النطق

النطق جمع نطق وهي أعراض من جبال بعضها فوق بعض أي نواح وأوساط منها شبهت بالنطق التي تشد بها أوساط الناس^(٧) انتهى وفي بعض الكتب النطاق بالفاء جمع نقطة وهي الماء الصافي أي خلف البحار تفسيرها بالحجاب لأنها موانع من الوصول إلى ما وراءها لكنه بعيد.

أقول: أوردنا أخبارا كثيرة من هذا الباب في كتاب الحجة في باب أنهم الحجة على جميع العوالم.

١٦- جامع الأخبار: قال رسول الله ﷺ إن موسى سأل ربه عز وجل أن يعرفه بدء الدنيا منذ كم خلقت فأوحى الله تعالى إلى موسى تسألني عن غوامض علمي فقال يا رب أحب أن أعلم ذلك فقال يا موسى خلقت الدنيا منذ مائة ألف ألف عام عشر مرات وكانت خرابا خمسين ألف عام ثم بدأت في عمارتها فعمرتها خمسين ألف عام ثم خلقت فيها خلقا على مثال البقر يأكلون رزقي ويعبدون غيري خمسين ألف عام^(٨) ثم أمتهم كلهم في ساعة واحدة ثم خربت الدنيا خمسين ألف عام ثم بدأت في عمارتها فمكنت عامرة خمسين ألف عام ثم خلقت فيها بحرا فمكنت البحر خمسين ألف عام لا شيء مجابا من الدنيا يشرب^(٩) ثم خلقت دابة وسلطتها على ذلك البحر فشربته بنفس واحد ثم خلقت خلقا أصغر من الزنبرور وأكبر من البق فسلطت ذلك الخلق على هذه الدابة فلدغها وقتلها فمكنت الدنيا خرابا خمسين ألف عام ثم بدأت في عمارتها فمكنت خمسين ألف سنة ثم جعلت^(١٠) الدنيا كلها آجام القصب و خلقت السلاحف وسلطتها عليها فأكلتها حتى لم يبق شيء ثم أهلكتها في ساعة واحدة فمكنت الدنيا خرابا خمسين ألف

(١) بصائر الدرجات ص ٥١٠ جزء ١٠ باب ١٤ حديث ١.

(٢) بصائر الدرجات ص ٥١٠ جزء ١٠ باب ١٤ حديث ٣.

(٣) في المصدر: «زيات»، وفي أصول الكافي ج ٢ ص ٤٩٤: «علي بن الريان».

(٤) بصائر الدرجات ص ٥١٢ جزء ١٠ باب ١٤ حديث ٧.

(٥) بصائر الدرجات ص ٥١٢ جزء ١٠ باب ١٤ حديث ٧.

(٦) سبأني في «بيان» المؤلف بعد هذا أنه رحمه الله لم يعتد على هذه الرواية.

(٧) في المصدر إضافة: «منه».

(٨) في المصدر: «خلقت».

عام ثم بدأت في عمارتها فمكثت عامرة خمسين ألف عام ثم خلقت ثلاثين آدم^(١) ثلاثين ألف سنة من آدم إلى آدم ألف سنة فأفنيتهم كلهم بقضائي و قدري ثم خلقت فيها خمسين ألف مدينة من الفضة البيضاء و خلقت في كل مدينة مائة ألف قصر من الذهب الأحمر فملأت المدن خردلا عند الهواء يومئذ أذن من الشهد و أحلى من العسل و أبيض من الثلج ثم خلقت طيرا واحدا أعشى و جعلت طعامه في كل ألف^(٢) سنة حبة من الخردل أكلها حتى فنيته ثم خربتها فمكثت خرابا خمسين ألف عام ثم بدأت في عمارتها فمكثت عامرة خمسين ألف عام ثم خلقت أباك آدم ﷺ بيدي يوم الجمعة وقت الظهر و لم أخلق من الطين غيره و أخرجت من صلبه النبي محمدا.^(٣)

بيان: هذه من روايات المخالفين أوردتها صاحب الجامع فأوردتها و لم أعتمد عليها.

١٧- كتاب منتخب البصائر و كتاب المحتضر: عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد بن محمد بن عيسى و محمد بن عيسى القيطيني عن الحسين بن سعيد عن فضالة عن القاسم بن بريد عن محمد بن مسلم قال سألت أبا عبد الله ﷺ عن ميراث العلم ما مبلغه أجوامع ما هو^(٤) من هذا العلم أم تفسير كل شيء من هذه الأمور التي تتكلم فيها فقال إن لله عز و جل مدينتين مدينة بالمشرق و مدينة بالمغرب فيهما قوم لا يعرفون إبليس و لا يعلمون بخلق إبليس نلقاهم في كل حين فيسألونا عما يحتاجون إليه و يسألونا عن الدعاء فتعلمهم و يسألونا عن قائمتنا متى يظهر و فيهم عبادة و اجتهاد شديد و لمدينتهم أبواب ما بين المصراع إلى المصراع مائة فرسخ لهم تقديس و تمجيد و دعاء و اجتهاد شديد لو رأيتهم لاحتقرت عملكم يصلي الرجل منهم شهرا لا يرفع رأسه من سجدة طعامهم التسييح و لباسهم الورق^(٥) و وجوههم مشرقة بالنور إذا رأوا منا واحدا لحسوه^(٦) و اجتمعوا إليه و أخذوا من أثره من الأرض يتبركون به لهم دوي إذا صلوا كأشد من دوي الريح العاصف منهم جماعة لم يضعوا السلاح منذ كانوا ينتظرون قائمتنا يدعون الله عز و جل أن يرهم إياه و عمر أحدهم ألف سنة إذا رأيتهم رأيت الخشوع و الاستكانة و طلب ما يقربهم إلى الله عز و جل إذا احتسبنا عنهم ظنوا أن ذلك من سخط يتعاهدون أوقانتنا التي تأتيهم فيها لا يسألون و لا يفتشون يتلون كتاب الله عز و جل كما علمناهم و إن فيما تعلمهم ما لو تلي على الناس لكفروا به و لأنكروه يسألونا عن الشيء إذا ورد عليهم من القرآن لا يعرفونه فإذا أخبرناهم به أنشروا صدورهم لما يستمعون منا و سألوا لنا طول البقاء و أن لا يفقدونا و يعلمون أن المنة من الله عليهم فيما تعلمهم عظيمة و لهم خرجة مع الإمام إذا قام يسبقون فيها أصحاب السلاح و يدعون الله عز و جل أن يجعلهم ممن ينتصر بهم لدينه فيهم كهول و شبان إذا رأى شاب منهم الكهل جلس بين يديه جلسة العبد لا يقوم حتى يأمره لهم طريق هم أعلم به من الخلق إلى حيث يريد الإمام ﷺ فإذا أمرهم الإمام بأمر قاموا عليه أبدا حتى يكون هو الذي يأمرهم بغيره لو أنهم وردوا على ما بين المشرق و المغرب من الخلق لأفئوهم في ساعة واحدة لا يختل فيهم الحديد لهم سيوف من حديد غير هذا الحديد لو ضرب أحدهم بسيفه جلا لفته حتى يفصله و يغزو بهم الإمام ﷺ الهند و الديلم و الكرد و الروم و بربر و فارس و بين جابرسا إلى جابلقا و هما مدينتان واحدة بالمشرق و واحدة بالمغرب لا يأتون على أهل دين إلا دعوهم إلى الله عز و جل و إلى الإسلام و الإقرار بمحمد ﷺ و التوحيد و ولايتنا أهل البيت فمن أجاب منهم و دخل في الإسلام تركوه و أمروا عليه أميراً منهم و من لم يجب و لم يقر بمحمد ﷺ و لم يقر بالإسلام و لم يسلم قتلوه حتى لا يبقى بين المشرق و المغرب و ما دون الجبل أحد إلا آمن.^(٧)

١٨- البصائر للصفار: عن أحمد بن محمد بن الحسين عن أحمد بن إبراهيم عن عمار عن إبراهيم بن الحسين عن بسطام عن عبد الله بن بكير عن عمر بن يزيد عن هشام الجواليقي عن أبي عبد الله قال إن لله مدينة خلف البحر سعتها مسيرة أربعين يوما للشمس^(٨) فيها قوم لم يعصوا الله قط و لا يعرفون إبليس^(٩) إلى آخر الخبر.

بيان: كان حديث محمد بن مسلم حديثان سقط من الراوي أو الناسخ آخر الأول و أول الثاني و

(١) في المصدر إضافة: «في».

(٢) كلمة: «ألف» ليست في المصدر.

(٣) في المصدرين: «هو» بدل «ما هو».

(٤) جامع الأخبار ص ٣٤٥ و ٣٤٦ فصل ٨٣ حديث ٩٥٥.

(٥) في المصدرين: «الورع».

(٦) في منتخب البصائر: «واحد أحتشوه» بدل «واحد لحسوه».

(٧) مختصر البصائر ص ١٠ و ١١، والمختصر ص ١٠٣ - ١٠٤.

(٨) كلمة: «للشمس» ليست في المصدر.

(٩) بصائر الدرجات ص ٥١٠ باب ١٤ حديث ٤.

آخر الأول ما تقدم بهذا السند في كتاب الإمامة حيث قال من هذه الأمور التي يتكلم فيها الناس من الطلاق والفرائض فقال إن علياً عليه السلام كتب العلم كله القضاء والفرائض فلو ظهر أمرنا فلم يكن شيء إلا وفيه سنة نمضيها^(١)، وصدر الثاني ما ذكرناه برواية الصنفار^(٢).

واللحس أخذ الشيء باللسان ولعل المراد به هنا بيان اهتمامهم في أخذ العلم كأنهم يريدون أن يأخذوا جميع علمه كما أن من يلحس القصعة يأخذ جميع ما فيه وفي بعض النسخ لحسوه أي للاستفادة قوله لا يختل فيهم الحديد أي لا ينفذ إما افتعال من قولهم اختله بالرمح أي نفذه وانتظمه وتخلله به طعنة إثر أخرى أو من التخل بمعنى الخديعة مجازاً وفي بعض النسخ لا يحتك من الحك أي لا يعمل فيهم شيئاً قليلاً وفي بعضها لا يحيك بالياء من حاك السيف أي أثر وهو أظهر والمراد بالجل هو المحيط بالدنيا.

١٩- منتخب البصائر: عن سعد بن الحسين^(٣) بن عبد الصمد عن الحسن بن علي^(٤) عن ابن أبي عمير عن أبي الهيثم خالد الأرمي عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال إن لله عز وجل مدينة بالمشرق اسمها جابلقا لها اثنا عشر ألف باب من ذهب بين كل باب إلى صاحبه مسيرة فرسخ على كل باب برج فيه اثنا عشر ألف مقاتل يهللون الخيل ويشحذون السيوف والسلاح ينتظرون قيام قائمنا وإن لله عز وجل بالمغرب مدينة يقال لها جابرسا لها اثنا عشر ألف باب من ذهب بين كل باب إلى صاحبه مسيرة فرسخ على كل باب برج فيه اثنا عشر ألف مقاتل يهللون الخيل ويشحذون السلاح والسيوف^(٥) ينتظرون قائمنا وأنا الحجة عليهم^(٦).

بيان: الهلب بالضم ما غلظ من شعر أو شعر الذنب و هلبه تنف هلبه كهلبه ويقال شحذ السكين كمنع أي أحدها كأشحذها.

٢٠- الكافي: عن الحسين بن محمد عن المعلى عن أحمد بن محمد بن عبد الله عن العباس بن العلاء عن مجاهد عن ابن عباس قال سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن الخلق فقال خلق الله ألفاً ومائتين في البر وألفاً ومائتين في البحر وأجناس بني آدم سبعون جنساً والناس ولد آدم ما خلا يأجوج ومأجوج^(٧).

٢١- ومنه: عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن الحسن بن علي الوشاء عن عبد الله بن سنان عن أبي حمزة قال قال لي أبو جعفر عليه السلام ليلة وأنا عنده ونظر إلى السماء فقال يا أبا حمزة هذه قبة أبينا آدم عليه السلام وإن لله عز وجل سواها تسعة وثلاثين قبة فيها خلق ما عصوا الله طرفة عين^(٨).

٢٢- ومنه: عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن محمد عن أبي يحيى الواسطي عن عجلان بن^(٩) صالح قال دخل رجل على أبي عبد الله عليه السلام فقال له جعلت فداك هذه قبة آدم قال نعم ولله قباب كثيرة ألا إن خلف مغربكم هذا تسعة وثلاثون مغرباً أرضاً بيضاء مملوءة خلقاً يستضيئون بنوره لم يعصوا الله عز وجل طرفة عين ما يدرون خلق آدم أم لم يخلق يبرءون من فلان وفلان^(١٠).

٢٣- الخرائج: بإسناده عن محمد بن عيسى بن عبيد عن زكريا المؤمن عن حسان الجمال عن أبي داود السبيعي عن بريدة الأسلمي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال يا علي إن الله أشهدك معي سبعة مواطن فذكرها حتى الموطن الثاني فقال أتاني جبرئيل فأسري بي إلى السماء فقال أين أخوك فقلت أودعته^(١١) خلفي فقال ادع الله أن يأتيك به فدعوت الله فإذا أنت معي وكشط لي عن السماوات السبع والأرضين السبع حتى رأيت سكانها وعمارها وموضع كل ملك فيها فلم أر من ذلك شيئاً إلا وقد رأيته^(١٢).

(١) ذكره قبل البيان هذا برقم ١٨.

(٤) في المصدر إضافة: «ابن أبي عثمان».

(٦) مختصر البصائر ص ١٣.

(٨) روضة الكافي ص ٢٣١ حديث ٣٠٠.

(١٠) روضة الكافي ص ٢٣١ حديث ٣٠١.

(١) راجع ج ٢٦ ص ٢٣ من المطبوعة.

(٣) في المصدر: «الحسن».

(٥) عبارة: «والسيوف» ليست في المصدر.

(٧) روضة الكافي ص ٢٢٠ حديث ٢٧٤.

(٩) في المصدر: «أبي» بدل «بن».

(١١) في المصدر: «ودعته».

(١٢) الخرائج والبرائج ج ٢ ص ٨٦٨ حديث ٨٥ باب في نوادر المعجزات وفيه: «وقد رأيته كما رأيته».

٢٤- أقول روى البرسي في مشارق الأنوار عن الثمالي عن علي بن الحسين عليه السلام قال إن الله خلق محمداً وعلياً والطيبين من ذريتهما^(١) من نور عظمته وأقامهم أشباحاً قبل المخلوقات ثم قال أتظن أن الله لم يخلق خلقاً سواكم بلى والله لقد خلق الله ألف ألف آدم وألف ألف عالم وأنت والله في آخر تلك العوالم.^(٢)

٢٥- وروي من كتاب الواحدة عن الصادق عليه السلام أن لله مدينتين إحداهما بالمغرب والأخرى بالشرق يقال لهما جابلقا وجابرسا^(٣) طول كل مدينة منهما اثنا عشر ألف فرسخ في كل فرسخ باب يدخلون في كل يوم من كل^(٤) باب سبعون ألفاً ويخرج منها مثل ذلك ولا يعودون إلى^(٥) يوم القيامة لا يعلمون أن الله خلق آدم ولا إبليس ولا شمس ولا قمر هم والله أطوع لنا منكم يأتونا بالفاكهة في غير أوانها موكلين بلعنة فرعون وهامان وقارون.^(٦)

٢٦- وروي عن ابن عباس عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال إن من وراء قاف عالماً لا يصل إليه أحد غيري وأنا المحيط بما وراءه وعلمي به علمي بدنياكم هذه وأنا الحفيظ الشهيد عليها ولو أردت أن أجوب الدنيا بأسرها والسموات السبع والأرضين في أقل من طرفة عين لفعلت لما عندي من الاسم الأعظم وأنا الآية العظمى والمعجز الباهر.^(٧)

٢٧- وروي أيضاً قال قال أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم آه لو أجد له حملة قال فقام إليه رجل في عنقه كتاب فقال رافعا صوته أيها المدعي ما لا يعلم والمتكلم ما لا يفهم إني سائلك فأجب قال فوثب إليه أصحاب علي عليه السلام ليقتلوه فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام دعوه لأن حجج الله لا تقوم بالطيش ولا بالباطل تظهر براهين الله ثم التفت إلى الرجل وقال سل بكل لسانك فإني مجيب إن شاء الله فقال كم بين المشرق والمغرب فقال مسافة الهواء قال فكم^(٨) مسافة الهواء قال دوران الفلك فقال كم دوران الفلك قال مسيرة يوم للشمس قال الرجل صدقت فمتى القيامة قال عند حضور النية وبلوغ الأجل قال صدقت فكم عمر الدنيا قال يقال سبعة آلاف ثم لا تحديد قال صدقت فأين مكة من بكة قال مكة أكناف الحرم وبكة مكان البيت قال ولم سميت مكة مكة قال لأن الله مك الأرض من تحتها أي دحاها قال فلم سميت بكة قال لأنها بكت عيون الجبارين والمذنبين قال صدقت قال وأين كان الله قبل خلق^(٩) عرشه فقال أمير المؤمنين عليه السلام سبحانه من لا يدرك كنه صفته حملة عرشه على قرب زمراتهم من كراسي كرامته ولا الملائكة المقربون من أنوار سبحات جلاله ويحك لا يقال لم ولا كيف ولا أين ولا متى ولا بم ولا مم^(١٠) ولا حيث ولا أني^(١١) فقال الرجل صدقت فكم مقدار ما لبث العرش على الماء قبل خلق الأرض والسماء فقال أتحنس أن تحسب فقال نعم فقال أمير المؤمنين عليه السلام أفرأيت لو صبت^(١٢) في الأرض خردل حتى سد الهواء وملأ ما بين الأرض والسماء ثم أذن لك على ضعفك أن تنقله حبة حبة من المشرق إلى المغرب ثم مد لك في العمر حتى نقلته وأحصيته لكان ذلك أيسر من إحصاء ما لبث العرش على الماء قبل خلق الأرض والسماء وإنما وصفت لك جزءاً من عشر عشر ما لبث العرش على الماء قبل خلق الأرض والسماء وإنما وصفت لك جزءاً من عشر عشر من جزء من مائة ألف جزء وأستغفر الله من التقليل^(١٣) في التحديد قال فحرك الرجل رأسه وقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.^(١٤)

٢٨- المحتضر: بإسناده قال خطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال سلوني فإني لا أسأل عن شيء دون العرش إلا أجبت فيه لا يقولها بعدي إلا جاهل مدع أو كذاب مفتر فقام رجل ثم ذكر نحوه.^(١٥)

٢٩- وقال البرسي: روى الرازي في كتابه المسمى بمفاتيح الغيب قال قال رسول الله ﷺ ليلة أسري بي إلى السماء رأيت في السماء السابعة ميادين كميادين أرضكم هذه ورأيت أفواجاً من الملائكة يطيطون لا يقف هؤلاء لهؤلاء ولا هؤلاء لهؤلاء قال فقلت لجبرئيل من هؤلاء فقال لا أعلم فقلت من أين جاءوا فقال لا أعلم فقلت وأين

(١) عبارة: «من ذريتهما» ليست في المصدر.

(٢) في المصدر: «جابلقا وجابرسا».

(٣) في المصدر: «إلا».

(٤) مشارق أنوار اليقين ص ٤٣.

(٥) من المصدر.

(٦) عبارة: «ولا أني» ليست في المصدر.

(٧) في المصدر: «التقليل».

(٨) المختصر ص ٨٨ علماً بأنه قد مر تمام الخطبة هذه في ج ٥٨ ص ٢٣١ من المطبوعة نقلاً عن المختصر هذا.

(٩) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين ص ٤١.

(١٠) من المصدر.

(١١) مشارق أنوار اليقين ص ٤٢.

(١٢) في المصدر: «وما» بدل «فكم».

(١٣) عبارة: «ولا مم» ليست في المصدر.

(١٤) في المصدر: «صب».

(١٥) مشارق أنوار اليقين ص ٨٣ و ٨٢.

يمضون فقال لا أعلم فقلت سلمهم فقال لا أقدر ولكن سلمهم أنت يا حبيب الله قال فاعترضت ملكا منهم فقلت له ما اسمك فقال كيكائيل فقلت من أين أتيت فقال لا أعلم فقلت وأين تمضي فقال لا أعلم فقلت وكم لك في السير فقال لا أعلم غير أنني يا حبيب الله أعلم أن الله سبحانه يخلق في كل ألف سنة كوكبا وقد رأيت ستة آلاف كوكب خلقن وأنا في السير.^(١)

٣٠- النجوم: قال ذكر محمد بن علي مؤلف كتاب «الأنبياء والأوصياء» روي أن رجلا أتى علي بن الحسين عليه السلام وعنده أصحابه فقال له ممن^(٢) الرجل قال أنا منجم قاتف عرف فنظر إليه ثم قال هل أذكرك على رجل قد مر منذ يوم دخلت علينا في أربعة آلاف عالم قال من هو قال أما الرجل فلا أذكره ولكن إن شئت أخبرتك بما أكلت وادخرت في بيتك قال نبئتني قال أكلت في هذا اليوم حسبا فأما في بيتك فعشرون^(٣) ديناراً منها ثلاثة دنانير وأزنة فقال له الرجل أشهد أنك الحجة العظمى وأنتملأ الأغلى وكلمة التقوى فقال له وأنت صديق امتحن الله قلبك بالإيمان وأثبت^(٤).

بيان: أراد بالرجل نفسه عليه السلام والحسب تمر ينزع نواه ويدق مع أقط ويعجنان بالسمن ثم يدلك باليد حتى يبقى كالتريد والوازنة الكاملة الوزن أو الصحيحة الوزن التي توزن بها غيرها قال في المصباح المنير وزن الشيء نفسه ثقل فهو وزن.^(٥)

٣١- أقول: وجدت في كتاب من كتب قدماء الأصحاب في نوادر المعجزات^(٦) بإسناده إلى الصدوق عن محمد بن الحسن الصفار عن محمد بن زكريا عن أبي المعافا عن وكيع عن زاذان عن سلمان قال كنا مع أمير المؤمنين عليه السلام ونحن نذكر شيئا من معجزات الأنبياء فقلت له يا سيدي أحب أن تريني ناقة ثمود وشيئا من معجزاتك قال أفعل ثم وثب فدخل منزله وخرج إلي وتحت فرس أدهم وعليه قباء أبيض وقلنسوة بيضاء ونادى يا قنبر أخرج إلي ذلك الفرس فأخرج فرسا أغر أدهم فقال لي اركب يا أبا عبد الله قال سلمان فركبته فإذا له جناحان ملتصقان إلى جنبه فصاح به الإمام فلتحق في الهواء وكنت أسمع خفيق^(٧) أجنحة الملائكة تحت العرش ثم خطرنا^(٨) على ساحل بحر عجاج منقطع الأمواج فنظر إليه الإمام شزرا فسكن البحر فقلت يا سيدي سكن البحر من غليانه من نظرك إليه فقال يا سلمان حسبي^(٩) أني أمر فيه بأمر ثم قبض على يدي وسار على وجه الماء والفرسان يتبعاننا لا يقودهما أحد فوالله ما ابتلت أقدامنا ولا حوافر الخيل فعبرنا ذلك البحر وقعنا^(١٠) إلى جزيرة كثيرة الأشجار والأنهار والأطيار والأنهار وإذا شجرة عظيمة بلا ثمر بل ورد وزهر فزهرا بقضيب كان في يده فانشقت وخرج^(١١) منها ناقة طولها ثمانون ذراعا وعرضها أربعون ذراعا خلفها فصيل^(١٢) فقال لي ادن منها واشرب من لبنها فدنوت وشربت حتى رويت وكان أعذب من الشهد وألين من الزبد وقد اكتفيت قال هذا حسن قلت حسن يا سيدي قال تريد أن أريك أحسن منها فقلت نعم يا سيدي قال يا سلمان ناد اخرجي يا حسناء فناديت فخرجت ناقة طولها مائة وعشرون ذراعا وعرضها ستون ذراعا من الياقوت الأحمر وزمامها من الياقوت الأصفر وجنبها الأيمن من الذهب وجنبها الأيسر من الفضة وضرعها من اللؤلؤ الرطب فقال يا سلمان اشرب من لبنها قال سلمان فالتقت الضرع فإذا هي تحلب عسلا صافيا محضا فقلت يا سيدي هذه لمن قال هذه لك ولسان الشيعية من أوليائي ثم قال لها ارجعي فرجعت من الوقت وسار بي في تلك الجزيرة حتى ورد بي إلى شجرة عظيمة وفي أصلها مائدة عظيمة عليها طعام فتوح منه رائحة المسك وإذا بطائر في صورة النسر العظيم قال فوثب ذلك الطير فسلم عليه ورجع إلى موضعه فقلت يا سيدي ما هذه المائدة قال هذه مائدة منصوبة في هذا الموضع للشيعية من موالي إلى يوم القيامة فقلت ما هذا الطائر فقال ملك موكل بها فقلت وحده يا سيدي فقال يجتاز به الخضر في كل يوم مرة.

(١) مشارق أنوار اليقين ص ٨٤ - ٨٥. (٢) في المصدر: «من».

(٣) في المصدر: «وأذخرت عشرين» بدل «فأما في بيتك فعشرون».

(٤) فرج المهموم ص ١١١ وفيه: «فأثبت».

(٥) المصباح المنير ج ٢ ص ٦٥٨.

(٦) علما بأن الحديث هذا قد مر في ج ٤٢ ص ٥٠ من المطبوعة نقلاً عن بعض الكتب.

(٧) في المصدر: «خفيف».

(٨) في المصدر: «خشي».

(٩) في المصدر: «ودفعنا».

(١٠) في المصدر: «قلوص».

(١١) في المصدر: «وخرجت».

ثم قبض على يدي فسار بي إلى بحر ثان فعبنا وإذا بجزيرة عظيمة فيها قصر لبنه من الذهب ولبنه من الفضة البيضاء و شرفه العقيق الأصفر وعلى كل ركن من القصر سبعون صفًا^(١) من الملائكة فجلس الإمام على ذلك الركن وأقبلت الملائكة تأتي وتسلم عليه ثم أذن لهم فرجعوا إلى مواضعهم قال سلمان ثم دخل ﷺ إلى القصر فإذا فيه أشجار وأنهار وأطيار وألوان النبات فجعل الإمام يمشي فيه حتى وصل إلى آخره فوقف على بركة كانت في البستان ثم صعد إلى سطحه فإذا كراسي من الذهب الأحمر فجلس عليه وأشرنا منه فإذا بحر أسود يغطط بأمواله كالجبال الراسيات فنظر إليه شزرا فسكن من غليانه حتى كان كالذهب^(٢) فقلت يا سيدي سكن البحر من غليانه لما نظرت إليه قال حسبي^(٣) أني أمر فيه بأمر أتدري يا سلمان أي بحر هذا فقلت لا يا سيدي فقال هذا البحر الذي غرق فيه فرعون وقومه إن المدينة حملت على معاقل^(٤) جناح جبرئيل ثم رمى بها في هذا البحر فهوي لا تبلغ قراره إلى يوم القيامة فقلت يا سيدي هل سرنا فرسخين فقال يا سلمان لقد سرت خمسين ألف فرسخ ودرت حول الدنيا عشرين مرة فقلت يا سيدي فكيف هذا فقال يا سلمان إذا كان ذو القرنين طاف شرقها وغربها وبلغ إلى سد يأجوج ومأجوج فأني يتعذر علي وأنا أخو سيد المرسلين وأمين رب العالمين وحجته على خلقه أجمعين يا سلمان أما قرأت قول الله تعالى حيث قال «عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَن ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولِهِ»^(٥) فقلت بلى يا سيدي فقال يا سلمان أنا المرتضى من الرسول الذي أظهره على غيبه أنا العالم الرباني أنا الذي هون الله علي الشدائد وطوى لي البعيد قال سلمان فسمعت صائحا يصيح في السماء تسمع الصوت ولا ترى الشخص يقول صدقت صدقت أنت الصادق المصدق ثم وثب فركب الفرس وركبت معه وصاح به فتحلق في الهواء ثم حضرن بأرض الكوفة هذا وما مضى من الليل ثلاث ساعات فقال يا سلمان الوليل ثم^(٦) الوليل على من لا يعرفنا حق معرفتنا وأنكر ولايتنا يا سلمان أيما أفضل محمد أم سليمان بن داود قلت بل محمد فقال يا سلمان فهذا آصف بن برخيا قدر أن يحمل عرش بلقيس من اليمن إلى بيت المقدس في طرفه عين وعنده علم^(٧) الكتاب ولا أفعل ذلك وعندي علم مائة ألف كتاب وأربعة وعشرين ألف كتاب أنزل منها على شيث بن آدم خمسين صحيفة وعلى إدريس ثلاثين صحيفة وعلى إبراهيم عشرين صحيفة والتوراة والإنجيل والزبور فقلت صدقت يا سيدي قال الإمام ﷺ اعلم يا سلمان إن الشاك في أمورنا وعلومنا كالمرتضى في معرفتنا وحقوقنا وقد فرض الله عز وجل ولايتنا في كتابه وبين فيه ما أوجب العمل به وهو غير مكشوف^(٨)

بيان: قال في النهاية كان يخطر في مشيتي أي يتمايل ويمشي مشية المعجب^(٩) انتهى والفظطة اضطراب أمواج البحر والشزر نظر الغضبان بمؤخر العين.

وأقول: الخبر في غاية الغرابة ولا أعتمد عليه لعدم كونه مأخوذاً من أصل معتبر وإن نسب إلى الصدوق ره.

٣٢- البصائر: عن محمد بن الحسين عن علي بن سعدان عن عبد الله بن القاسم عن عمر بن أبان الكلبي عن أبان بن تغلب قال كنت عند أبي عبد الله ﷺ حيث دخل عليه رجل من علماء أهل اليمن فقال أبو عبد الله يا يمانى فيكم علماء قال نعم قال فأني شيء يبلغ من علم علمائكم قال إنه ليسير في ليلة واحدة مسيرة شهرين يزجر الطير ويقفو الآثار فقال له فعالم المدينة أعلم من عالمكم قال فأني شيء يبلغ من علم عالمكم بالمدينة قال إنه يسير في صباح واحد مسير سنة كالشمس إذا أمرت إنها اليوم غير مأمورة ولكن إذا أمرت تقطع اثني عشر شمساً واثني عشر قمراً واثني عشر مشرقاً واثني عشر مغرباً واثني عشر براً واثني عشر بحراً واثني عشر عالماً قال فما بقي في يدي اليماني فما درى ما يقول وكف أبو عبد الله ﷺ^(١٠)

بيان: لعل المراد بسير اليماني مسيرة شهرين الحكم بحسب النجوم في ليلة واحدة على قدر مسيرة شهرين من البلاد وأهلها ويؤيده أن في الاحتجاج هكذا إن عالمهم ليزجر الطير ويقفو الأثر

(١) في المصدر: «صفًا».

(٢) في المصدر: «خشي».

(٣) سورة الجن، آية: ٢٦ و ٢٧.

(٤) في المصدر إضافة: «من».

(٥) النهاية ج ٢ ص ٤٦.

(٦) في المصدر: «كل».

(٧) نوادر المعجزات ص ١٥ - ١٩.

(٨) بصائر الدرجات ص ٤٢١ جزء ٨ باب ١٢ حديث ١٤.

(٩) في المصدر: «كالمذهب».

(١٠) في المصدر: «المحامل».

في ساعة واحدة مسيرة شهر للمراكب المحث^(١) ولعل المراد بقفو الأثر الحكم بأوضاع النجوم وحركاتها وبزجر الطير ما كان بين العرب من الاستدلال بحركات الطيور وأصواتها على الحوادث.

٣٣- البصائر: عن الحسين^(٢) بن أحمد عن سلمة عن الحسن^(٣) بن علي بن يقاح عن ابن جبلة عن عبد الله بن سنان قال سألت أبا عبد الله عليه السلام فقال لي حوض ما بين بصرى إلى صنعاء أحب أن تراه قلت نعم جعلت فداك قال فأخذ بيدي وأخرجني إلى ظهر المدينة ثم ضرب برجله فنظرت إلى نهر^(٤) يجري لا يدرك حافته إلا الموضع الذي أنا فيه قائم فإنه شبيه بالجزيرة فكنت أنا وهو وقوفا فنظرت إلى نهر جانبه ماء أبيض من الثلج ومن جانبه هذا لبن أبيض من الثلج وفي وسط^(٥) خمر أحسن من الباقوت فما رأيت شيئا أحسن من تلك الخمر بين اللبن والماء فقلت له جعلت فداك من أين يخرج هذا وما مجراه فقال هذه العيون التي ذكرها الله في كتابه أنهار في الجنة عين من ماء وعين من لبن وعين من خمر تجري في هذا النهر ورأيت حافته^(٦) عليه شجر فيهن حور معلقات براء وسهن شعر ما رأيت شيئا أحسن منهن وبأيديهن آنية ما رأيت آنية أحسن منها ليست من آنية الدنيا فدنا من إحداهن فأومأ بيده لتسقيه فنظرت إليها وقد مالت لتغرف من النهر فمال الشجر معها فاغترفت فمال الشجرة معها ثم ناولته^(٧) فناولني فشربت فما رأيت شرابا كان ألين منه ولا أذ منه وكانت رائحته رائحة المسك فنظرت في الكأس فإذا فيه ثلاثة ألوان من الشراب فقلت له جعلت فداك ما رأيت كالأيوم قط ولا كنت أرى أن الأمر هكذا فقال لي هذا أقل ما أعدده الله لشيعتنا إن المؤمن إذا توفي صارت روحه إلى هذا النهر ورعت في رياضه وشربت من شرابه وإن عدونا إذا توفي صارت روحه إلى وادي يرهوت فأخلدت في عذابه وأطعمت من زقومه وأسقيت من حميمه فاستعذوا بالله من ذلك الوادي^(٨)

٣٤- ومنه: عن أحمد بن محمد عن ابن سنان عن أبي خالد وأبي سلام عن سورة عن أبي جعفر عليه السلام قال أما إن ذا القرنين قد خير بين السحابين فاختار الذلول ذخر لصاحبكم الصعب قال قلت وما الصعب قال ما كان من سحاب فيه رعد وصاعقة أو برق فصاحبكم يركبه أما إنه سيركب السحاب ويرقى في الأسباب أسباب السماوات السبع والأرضين السبع خمس عوامر واثنان خرابان^(٩)

٣٥- ومنه: عن أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن عثمان بن عيسى عن سماعة بن مهران عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال إن عليا عليه السلام ملك ما في الأرض وما تحتها فعرضت له السحابان الصعب والذلول فاختار الصعب وكان في الصعب ملك ما تحت الأرض وفي الذلول ملك ما فوق الأرض واختار الصعب على الذلول فدارت به سبع أرضين فوجد ثلاث خراب وأربع عوامر^(١٠)

٣٦- من بعض مؤلفات القدماء^(١١) من^(١٢) القاضي أبي الحسن الطبري عن سعيد بن يونس المقدسي عن المبارك^(١٣) عن خالص بن أبي سعيد عن وهب الجمال عن عبد المنعم بن سلمة عن وهب الرائد^(١٤) عن يونس بن مسيرة عن الشيخ المعتمر الرقي رفعه إلى أبي جعفر ميثم التمار قال كنت بين يدي مولاي أمير المؤمنين عليه السلام إذ دخل غلام وجلس في وسط المسلمين فلما فرغ من الأحكام نهض إليه الغلام وقال يا أبا تراب أنا إليك رسول جنتك برسالة تزعم لها الجبال من رجل حفظ كتاب الله من أوله إلى آخره وعلم علم القضايا والأحكام وهو أبلغ منك في الكلام وأحق منك بهذا المقام فاستعد للجواب ولا تزخرف المقال فلاح الغضب في وجه أمير المؤمنين عليه السلام وقال لعمار اركب جملك وطف في قبائل الكوفة وقل لهم أجيبوا عليا ليعرفوا الحق من الباطل والحلال والحرام والصحة والسقم فركب عمار فما كان إلا هنيهة حتى رأيت العرب كما قال الله تعالى «إِنْ كَانَتْ إِلَّا صِيحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ مِنَ

(١) في المصدر: «الحسن».

(١١) الإحتجاج ج ٢ ص ٢٥٢.

(٢) في المصدر إضافة: «يجري».

(٣) في المصدر: «الحسين».

(٤) في المصدر: «حافته».

(٥) في المصدر: «وسطه».

(٦) في المصدر إضافة: «فشربت ثم ناولها وأومأ إليها فمالت لتغرف فمال الشجرة معها ثم ناولته».

(٧) في المصدر إضافة: «فشربت ثم ناولها وأومأ إليها فمالت لتغرف فمال الشجرة معها ثم ناولته».

(٨) بصائر الدرجات ص ٤٢٣ جزء ٨ باب ١٣ حديث ١٣.

(٩) بصائر الدرجات ص ٤٢٩ جزء ٨ باب ١٤ حديث ٣.

(١٠) الظاهر هو نوادر المعجزات للطبري الإمامي.

(١١) في المصدر: «عن».

(١٢) في المصدر إضافة: «بن صافي».

(١٣) في نوادر: «الرائد».

الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونُ»^(١) فضاء جامع الكوفة و تكافئ الناس تكافئ الجراد على الزرع الغض في أوانه و نهض العالم الأروع و البطل الأنزع و رقي في المنبر و راقى^(٢) ثم تنحى فسكت جميع من في الجامع فقال رحم الله من سمع فوعى أيها الناس من^(٣) يزعم أنه أمير المؤمنين و الله لا يكون الإمام إماما حتى يحيي الموتى أو ينزل من السماء مطرا أو يأتي بما يشاكل ذلك مما يعجز عنه غيره و فيكم من يعلم أني الآية الباقية و الكلمة التامة و الحجة البالغة و لقد أرسل إلي معاوية جاهلا من جاهلية العرب عجر^(٤) في مقاله و أنتم تعلمون لو شئت لطحنت عظامه طحنا و نسفت الأرض من تحته نسفا و خسفتها عليه خسفا ألا إن احتمال الجاهل صدقة ثم حمد الله و أتى عليه و صلى على النبي ﷺ و أشار بيده إلى الجو فدمدم و أقبلت غمامة و علت سحابة و سمعنا منها نداء يقول السلام عليك يا أمير المؤمنين و يا سيد الوصيين و يا إمام المتقين و يا غياث المستغيثين و يا كنز المساكين و معدن الراغبين و أشار إلى السحابة فذنت قال ميش فرائت الناس كلهم قد أخذتهم السكرة فرفع رجله و ركب السحابة و قال لعمار اركب معي و قل ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَ مُرْسَاهَا﴾^(٥) فركب عمار و غابا عن أعيننا فلما كان بعد ساعة أقبلت سحابة حتى أظلت جامع الكوفة فالتفت فإذا مولاي جالس على ذكة القضاء و عمار بين يديه و الناس حافون به ثم قام و صعد المنبر و أخذ بالخطبة المعروفة بالشقشقية فلما فرغ اضطرب الناس و قالوا فيه أقاويل مختلفة فمنهم من زاده الله إيمانا و يقينا و منهم من زاده كفرا و طغيانا.

قال عمار قد طارت بنا السحابة في الجو فما كان هنيهة حتى أشرفنا على بلد كبير حوالها أشجار و أنهار فنزلت بنا السحابة و إذا نحن في مدينة كبيرة و الناس يتكلمون بكلام غير العربية فاجتمعوا عليه و لا ذوا به فوعظهم و أنذرهم بمثل كلامهم ثم قال يا عمار اركب ففعلت ما أمرني فأدرنا جامع الكوفة ثم قال لي يا عمار تعرف البلدة التي كنت فيها قلت الله أعلم و رسوله و وليه قال كنا في الجزيرة السابعة من الصين أخطب كما رأيته في الله تبارك و تعالى أرسل رسوله إلى كافة الناس و عليه أن يدعوهم و يهدي المؤمنين منهم إلى الصراط المستقيم و اشكر ما أوليتك من نعمة و اكنم من غير أهله فإن لله تعالى أطافا خفية في خلقه لا يعلمها إلا هو و من ارتضى من رسول ثم قالوا أعطاك الله هذه القدرة الباهرة و أنت تستنهض الناس لقتال معاوية فقال إن الله تعيدهم بمجاهدة الكفار و المنافقين و الناكثين و القاسطين و المارقين و الله لو شئت لمددت يدي هذه القصيرة في أرضكم هذه الطويلة و ضربت بها صدر معاوية بالشام و أجذب^(٦) بها من شاربه أو قال من لحيته فمد يده و ردها و فيها شعرات كثيرة فتعجبوا من ذلك ثم وصل الخبر بعد مدة أن معاوية سقط من سريه في اليوم الذي كان ﷺ مد يده و غشي عليه ثم أفاق و افتقد من شاربه و لحيته شعرات.

بيان: الأروع من الرجال الذي يعجبك حسنه و العجرفة الخرق و قلة المبالاة و يقال دمدم عليه أي كلمه مضطربا.^(٧)

٣٧- كتاب الحسين بن عثمان: عن أبي عبد الله ﷺ قال تقول الجنة يا رب ملأت النار كما وعدتها فاملأني كما وعدتني قال فيخلق الله خلقا يومئذ فيدخلهم الجنة ثم قال أبو عبد الله ﷺ طوبى لهم لم يروا أهوال الدنيا ولا غمومها.^(٨)
٣٨- الدر المنثور: عن ابن جريج في قوله ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ﴾ الآية قال بلغني أن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم و كفروا و كانوا اثني عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا و اعتذروا و سألو الله أن يفرق بينهم و بينهم ففتح الله لهم نفقا في الأرض فساروا فيه حتى خرجوا من وراء الصين فهم هنالك حنفاء مسلمين^(٩) يستقبلون قبلتنا. قال ابن جريج قال ابن عباس فذلك قوله ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِيَنبِيَ إِسْرَائِيلَ﴾^{٤٧} شاكسكنوا الأرض فإذا جاء غدا الآخرة جئنا بكم لقيفا^(١٠) و وعد الآخرة عيسى ابن مريم قال ابن عباس ساروا في السرب ستة و نصفا.^(١١)

(٢) في المصدر: «من المنبر مراق» بدل «في المنبر وراقى».

(٤) في المصدر: «ففسح في كلامه و عجر» بدل «عجر».

(٦) في المصدر: «و أخذت».

(١) سورة يس، آية: ٥٣.

(٣) في المصدر: «إن معاوية» بدل «من».

(٥) سورة هود، آية: ٤١.

(٧) نوادر المعجزات ص ٤٤ - ٤٧ رقم ١٦.

(٨) كتاب الحسين بن عثمان ضمن الأصول الستة عشر ص ١٠٩ - ١١٠.

(٩) هكذا في المطبوعة، وفي المصدر «مستقبلين» علما بأن هذا الحديث قد مر في أول الباب وفيه «مسلمون».

(١٠) سورة الإسراء، آية: ١٠٤.

(١١) الدر المنثور ج ٣ ص ١٣٦.

٣٩- و عن مقاتل قال إن مما فضل الله به محمدًا ﷺ أنه عاين ليلة المعراج قوم موسى الذين من وراء الصين و ذلك أن بني إسرائيل حين عملوا بالمعاصي و قتلوا الذين يأمرون بالقسط من الناس دعوا ربهم و هم بالأرض المقدسة فقالوا اللهم أخرجنا من بين أظهرهم فاستجاب لهم فجعل سربا في الأرض فدخلوا عليه^(١) و جعل معهم نهرا يجري و جعل لهم مصباحا من نور من بين أيديهم فساروا فيه ستة و نصفا و ذلك من بيت المقدس إلى مجلسهم الذي هم فيه فأخرجهم الله إلى الأرض تجتمع فيها الهوام و البهائم و السباع مختلطين بها ليست فيها ذنوب و لا معاص فاتاهم النبي ﷺ تلك الليلة و معه جبرئيل فآمنوا به و صدقوه و علمهم الصلاة و قالوا إن موسى قد شرهم به.^(٢)

٤٠- و عن السدي في قوله «وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَبْغِلُونَ» قال بينكم و بينهم نهر من سهل يعني من رمل يجري.^(٣)

٤١- و عن صفوان بن عمرو قال هم الذين قال الله «وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ» يعني سبطا^(٤) من أسباط بني إسرائيل يوم الملحمة العظمى ينصرون الإسلام و أهله.^(٥)

٤٢- و عن الشعبي قال إن لله عبادا من وراء الأندلس لا يرون أن الله عصاء مخلوق رضاضهم^(٦) الدر و الباقوت و جبالهم الذهب و الفضة لا يزرعون و لا يحصدون و لا يعملون عملا لهم شجر على أبوابهم لها أوراق عراض هي لبوسهم و لهم شجر على أبوابهم لها ثمر فمنها يأكلون.^(٧)

٤٣- و عن بعض أئمة الكوفة قال قام ناس من أصحاب رسول الله ﷺ فقصدهم ففعلوا فقال ما كنتم تقولون قالوا نظرنّا إلى الشمس فتفكرنا فيها من أين تجيء و أين تذهب و تفكرنا في خلق الله فقال كذلك فافعلوا و تفكروا في خلق الله و لا تفكروا في الله فإن الله تعالى وراء المغرب أرضا بيضاء بياضها و نورها مسيرة الشمس أربعين يوما فيها خلق من خلق الله لم يعصوا الله طرفة عين قبل يا نبي الله من ولد آدم هم قال ما يدرون خلق آدم أم لم يخلق قبل يا نبي الله فأين إبليس عنهم قال ما يدرون خلق إبليس أم لم يخلق.^(٨)

٤٤- و عن ابن عباس قال دخل علينا رسول الله ﷺ و نحن في المسجد خلق خلق فقال لنا فيم أنتم قلنا نتفكر في الشمس كيف طلعت و كيف غربت قال أحسنتم كونوا هكذا تفكروا في المخلوق و لا تفكروا في الخالق فإن الله خلق ما شاء لما شاء و تعجبون من ذلك أن من وراء قاف سبع بحار كل بحار خمسمائة عام و من وراء ذلك سبع أرضين يضيء نورها لأهلها و من وراء ذلك سبعين ألف أمة خلقوا على أمثال الطير هو و فرخه في الهواء لا يفترون عن تسيحة واحدة و من وراء ذلك سبعين ألف أمة خلقوا من ريع قطعاهم ريع و شرايبهم ريع و ثيابهم من ريع و آيتهم من ريع و دوابهم من ريع لا تستقر حوافر دوابهم إلى الأرض إلى قيام الساعة أعينهم في صدورهم ينام أحدهم نومة واحدة ينتبه و رزقه عند رأسه و من وراء ذلك ظل العرش و في ظل العرش سبعون ألف أمة ما يعلمون أن الله خلق آدم و لا ولد آدم و لا إبليس و لا ولد إبليس و هو قوله «وَيَخْلُقُ مَا لَمْ تَعْلَمُونَ»^(٩).

٤٥- و عن ابن عباس في قوله تعالى «وَالْأَرْضُ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ» قال الأنام المخلوق و هم ألف أمة ستمائة في البحر و أربعمائة في البر.^(١٠)

أقول: أوردت أخبارا كثيرة من هذا الباب في المجلد السابع في باب أنهم الحجة على جميع العوالم و جميع المخلوقات.

٤٦- و روى الكنعني و البرسي في فضل الدعاء المعروف بالجوشن الكبير بإسناديهما عن موسى بن جعفر عن آبائه عن النبي ﷺ أنه قال له جبرئيل و الذي بعثك بالحق نبيا إن خلف المغرب أرضا بيضاء فيها خلق من خلق الله يعبدونه و لا يعصونه و قد تمرزت لحومهم و وجوههم من البكاء فأوحى الله إليهم لم تكون و لم تعصوني

(١) الدر المنثور ج ٣ ص ١٣٦.

(٢) في المصدر: «سبطان».

(٣) الرضاض: ما دق من الحصى، الصحاح ج ٣ ص ١٠٧٧.

(٤) الدر المنثور ج ٦ ص ١٣٠.

(٥) الدر المنثور ج ٦ ص ١٤١، والآية من سورة الرحمن: ١٠.

(٦) في المصدر: «فيه».

(٧) الدر المنثور ج ٣ ص ١٣٦.

(٨) الدر المنثور ج ٣ ص ١٣٦.

(٩) الدر المنثور ج ٣ ص ١٣٦.

(١٠) الدر المنثور ج ٦ ص ١٣٠ والآية من سورة النحل: ٨.

طرفة عين قال نخشى أن يقضب الله علينا و يعذبنا بالنار قال علي عليه السلام قلت يا رسول الله ليس هناك إبليس أو أحد من بني آدم فقال والذي بعثني بالحق نبيا ما يعلمون أن الله خلق آدم و لا إبليس و لا يحصي عددهم إلا الله و مسير الشمس في بلادهم أربعون يوما لا يأكلون و لا يشربون^(١) الخبر.

تذنيب اعلم أن الأخبار الواردة في هذا الباب غريبة و بعضها غير معتبرة الأسانيد كروايات البرسي و جامع الأخبار و المأخوذ من الكتاب القديم و بعضها معتبرة مأخوذة من أصول القدماء و ليس ما تتضمنها بعيدا من قدرة الله تعالى.

و جابلقا و جابر سا ذكرهما اللغويون على وجه آخر قال الفيروز آبادي جابلق بفتح الباء و اللام أو سكنوها بلد بالمغرب و ليس وراءه إنسي^(٢) و جابلق بلد بالشرق^(٣) انتهى و يقال إن فيهما أو في إحداهما أصحاب القائم عليه السلام و الصوفية و المتألهون من الحكماء أولوا أكثر هذه الأخبار بعالم المثال قال شارح المقاصد ذهب بعض المتألهين من الحكماء و نسب إلى القدماء أن بين عالمي المحسوس و المعقول واسطة تسمى عالم المثل ليس في تجرد المجردات و لا في مخالطة الماديات و فيه لكل موجود من المجردات و الأجسام و الأغراض و الحركات و السكنات و الأوضاع و الهيئات و الطوم و الروائح مثال قائم بذاته معلق لا في مادة و محل يظهر للحس بمعونة مظهر كالمرأة و الخيال و الماء و الهواء و نحو ذلك و قد ينتقل من مظهر إلى مظهر و قد يبطل كما إذا فسدت المرأة و الخيال أو زالت المقابلة أو التخيل و بالجملة هو عالم عظيم الفسحة غير متناه يحذو حذو العالم الحسي في دوام حركة أفلاكه المثالية و قبول عناصره و مركباته أشار حركات أفلاكه و إشراقات العالم العقلي و هذا ما قال الأقدمون أن في الوجود عالما مقادريا غير العالم الحسي لا ينتهاى عجائبه و لا تحصى مدنه و من جملة تلك المدن جابلقا و جابر سا و هما مدينتان عظيمتان لكل منهما ألف باب لا يحصى ما فيها من الخلائق و من هذا عالم يكون فيه الملائكة و الجن و الشياطين و الغيلان لكونها من قبيل المثل أو النفوس الناطقة المفارقة الظاهرة فيها و به يظهر المجردات في صور مختلفة بالحسن و القبح و اللطافة و الكثافة و غير ذلك بحسب استعداد القابل و الفاعل و عليه بنوا أمر المعاد الجسماني فإن البدن المثالي الذي يتصرف فيه النفس حكمه حكم البدن الحسي في أن له جميع الحواس الظاهرة و الباطنة فيلذ و يتألم بالذات و الآلام الجسمانية و أيضا تكون من الصور المعلقة نورانية فيها نعيم السعداء و ظلمانية فيها عذاب الأشقياء و كذا أمر المنامات و كثير من الإدراكات فإن جميع ما يرى في المنام أو التخيل في القطة بل تشاهد في الأمراض و عند غلبة الخوف و نحو ذلك من الصور المقدارية التي لا تحقق لها في عالم الحس كلها من عالم المثل و كذا كثير من الغرائب و خوارق العادات كما يحكى عن بعض الأولياء أنه مع إقامته ببلدته كان من حاضري المسجد الحرام أيام الحج و أنه ظهر من بعض جدران البيت أو خرج من بيت مسدود الأبواب و الكواء و أنه أحضر بعض الأشخاص و الثمار أو غير ذلك من مسافة بعيدة جدا في زمان قريبة إلى غير ذلك و القائلون بهذا العالم منهم من يدعي ثبوته بالمكاشفة و التجارب الصحيحة و منهم من يحتج بأن ما يشاهد من تلك الصور الجزئية ليست عدا صرفا و لا من عالم الماديات و هو ظاهر و لا من عالم العقل لكونها ذوات مقدار و لا مرتسمة في الأجزاء الدماغية لا متنازع ارتسام الكبير في الصغير و لما كانت الدعوى عالية و الشبه واهية كما سبق لم يلتفت إليه المحققون من الحكماء و المتكلمين^(٤) انتهى.

و نقل بعضهم عن المعلم الأول^(٥) في الرد على من قال إن العالم الجسماني أكثر من واحد و قد قالت متألهو الحكماء كهرمس و أنبا ذقلس و فيثاغورس و أفلاطون و غيرهم من الأفاضل القدماء إن في الوجود عوالم أخرى ذوات مقادير غير هذا العالم الذي نحن فيه و غير النفس و العقل و فيها العجائب و الغرائب و فيها من البلاد و العباد و الأنهار و البحار و الأشجار و الصور المليحة و

٣٥٠
٥٧

٣٥١
٥٧

٣٥٢
٥٧

٣٥٣
٥٧

(١) مهج الدعوات ص ٢٢٨ خبر دعاء الجوشن، و راجع مشارق أنوار اليقين ص ٤٣.

(٢) القاموس المحيط ج ٣ ص ٢٢٤.

(٣) القاموس المحيط ج ٣ ص ٣٠٨.

(٤) شرح المقاصد ج ٣ ص ٣٧٢، المبحث الثالث من الفصل الثاني من المقالة الثانية.

(٥) هو أرسطو.

القيحية ما لا يتناهى ويقع هذا العالم في الإقليم الثامن الذي فيه جابلقا وجابرسا وهو إقليم ذات العجائب وهي في وسط ترتيب العوالم ولهذا العالم أفقان الأول وهو أطرف من الفلك الأقصى الذي نحن فيه وهو يقع من إدراك الحواس والأفق الأعلى يلي النفس الناطقة وهو أكثف منها والطبقات المختلفة الأنواع من اللطيفة والكثيفة والمتلذذة والمبهجة والمولمة والمزعجة لا يتناهى بينهما ولا يد لك من المرور عليه وقد يشاهد هذا العالم بعض الكهنة والسحرة وأهل العلوم الروحانية فعليك بالإيمان بها وإياك والإنكار.

وقال أرسطو في أنولوجيا من وراء هذا العالم سماء وأرض وبحر وحيوان ونبات وناس سماويون وكل من في هذا العالم الجسماني وليس هناك شيء أرضي والروحانيون الذي هناك ملائمون للإنس الذي هناك لا ينفر بعضهم عن بعض وكل واحد لا ينفر عن صاحبه ولا يضاده بل يستريح إليه. (١)

وقال صاحب الفتوحات في كل خلق الله تعالى عوالم يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ وخلق الله من جملة عوالمها عالما على صورنا إذا أبصرها العارف يشاهد نفسه فيها وقد أشار إلى ذلك عبد الله بن عباس فيما روي عنه في حديث هذه الكعبة وأنها بيت واحد من أربعة عشر بيتا وأن في كل أرض من الأرضين السبع خلقا مثلنا حتى أن فيهم ابن عباس مثلي وصدقت هذه الرواية عند أهل الكشف وكل منها حي ناطق وهي باقية لا تفتنى ولا تتبدل وإذا دخلها العارفون إنسا يدخلون بأرواحهم لا بأجسامهم فيتركون هياكلهم في هذه الأرض الدنيا ويتجردون وفيها مدائن لا تحصى وبعضها تسمى مدائن النور لا يدخلها من العارفين إلا كل مصطفى مختار وكل حديث وآية وردت عندنا مما صرفها العقل من ظاهرها وجدناها على ظاهرها في هذه الأرض وكل جسد يتشكل فيه الروحاني من ملك وجن وكل صورة يرى الإنسان فيها نفسه في النوم فمن أجساد هذه الأرض انتهى.

وأقول: ما أشبه هذه المزخرفات بالخرافات والخيالات الواهية والأوهام الفاسدة ولا يتوقف تصحيح شيء مما ذكره على القول بهذا المذهب السخيف وبسط القول فيه يؤدي إلى الإطباب وأما الأجساد المثالية التي قلنا بها فليس من هذا القليل كما عرفت تحقيقه في المجلد الثالث وأكثر أخبار هذا الباب يمكن حملها على ظواهرها إذ لم يدر أحد سوى الأنبياء والأوصياء ما حول جميع العوالم حتى يحكم بعدهما وما قاله الحكماء والرياضيون في ذلك فهو على الخرص والتخمين والله الهادي إلى الحق المبين.

تنبيه

قد يستدل على ثبوت عالم المثال بما رواه الشيخ البهائي ره في كتاب مفتاح الفلاح عند تأويل ما ورد في دعاء التعقيب يا من أظهر الجميل وستر القبيح عن الصادق عليه السلام أنه قال ما من مؤمن إلا وله مثال في العرش فإذا اشتغل بالكروك والسجود ونحوهما فعل مثاله مثل فعله فعند ذلك تراه الملائكة عند العرش ويصلون (٢) ويستغفرون له وإذا اشتغل العبد بمعصية أرحى الله تعالى على مثاله ستر التلا تطلع الملائكة عليها فهذا تأويل يا من أظهر الجميل وستر القبيح. (٣) انتهى.

وأقول: وإن أمكن تأويله على ما ذكره لكن ليس فيه دلالة على الخصوصيات التي أثبتوها ولا على عمومها في كل شيء وكذا الكلام فيما ورد من كون صورة أمير المؤمنين والحسين عليه السلام رؤية الرسول صلى الله عليه وآله و آدم عليه السلام أشباح الأئمة عليهم السلام عن يمين العرش وأمثال ذلك كثيرة والكلام في الجميع واحد ونحن لا ننكر وجود الأجسام المثالية وتعلق الأرواح بها بعد الموت بل نثبتها لدلالة الأحاديث المعتبرة الصريحة عليها بل لا يبعد عندي وجودها قبل الموت أيضا فتتعلق بها الأرواح في حال النوم وشبهه من الأحوال التي يضعف تعلقها بالأجساد الأصلية فيسير بها في عوالم الملك والملوك ولا أستبعد في الأرواح القوية تعلقها بالأجساد المثالية الكثيرة وتصرفها في جميعها

(٢) في المصدر: «فيصلون».

(١) لم نعر عليه في المظان من أنولوجيا.

(٣) مفتاح الفلاح ص ١٥٦.

في حالة واحدة فلا يستبعد حضورهم في آن واحد عند جمع كثير من المحضرين وغيرهم لكن على وجه لا ينافي القواعد العقلية والقوانين الشرعية وهذا المقام لا يسع لبسط القول فيها وبعض العقول القاصرة عن درك الحقائق الخفية ربما لم يحتملها فلذا طوبناها على غيرها والله الموفق لنيل غوامض الدقائق وسرها.

باب ٣

أنه لم سميت الدنيا والآخرة

- ١- العلل: عن علي بن أحمد بن محمد عن محمد بن يعقوب عن علي بن محمد بإسناده رفعه قال أتى علي بن أبي طالب عليه السلام يهودي فسأله عن مسائل فكان فيما يسأله ^(١) لم سميت الدنيا دنيا و لم سميت الآخرة آخرة فقال عليه السلام إنما سميت الدنيا دنيا لأنها أدنى من كل شيء و سميت الآخرة آخرة لأن فيها الجزاء والثواب. ^(٢)
- ٢- ومنه: فيما سأل يزيد بن سلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم سأله عن الدنيا لم سميت الدنيا قال لأن الدنيا دنية خلقت من دون الآخرة و لو خلقت مع الآخرة لم يفن أهلها كما لا يفنى أهل الآخرة قال فأخبرني لم سميت الآخرة آخرة قال لأنها متأخرة تجيء من بعد الدنيا لا توصف سنيتها و لا تحصى أيامها و لا يموت سكانها ^(٣) الخير.

٣٥٦
٥٧

بيان: قوله في الخبر الأول لأنها أدنى من كل شيء أي أقرب بحسب المكان أو بحسب الزمان أو أخس و أزدل علي وفق الخبر الثاني و قوله لأن فيها الجزاء لعله بيان لملزوم العلة أي لما كان فيها الجزاء و الجزاء متأخر عن العمل فلذا جعلت بعد الدنيا و سميت بذلك قال الله عز و جل ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾ ^(٤) يعني الدنيا من الدنو بمعنى القرب و قال سبحانه ﴿وَلَنَذِقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى﴾ ^(٥) و بالجملة الأدنى و الدنيا يصرفان على وجه فتارة يعبر به عن الأقل فيقابل بالأكثر و الأكبر و تارة عن الأزدل و الأحق فيقابل بالأعلى و الأفضل و تارة عن الأقرب فيقابل بالأنقى و تارة عن الأولى فيقابل بالآخرة و بجميع ذلك ورد التنزيل على بعض الوجوه و قال الجزري الدنيا اسم لهذه الحياة لبعدها الآخرة عنها. ^(٦)

باب ٤

القلم و اللوح المحفوظ و الكتاب المبين و الإمام المبين و أم الكتاب

الآيات:

- هود: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعُهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ^(٧).
طه: ﴿قَالَ لَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ ^(٨).
الحج: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ^(٩).
النمل: ﴿وَمَا مِنْ غَابِيَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ^(١٠).

٣٥٧
٥٧

(٢) علل الشرائع ج ١ ص ٢ باب ١ حديث ١.

(٤) سورة الأعراف، آية: ١٦٩.

(٦) النهاية ج ٢ ص ١٣٧.

(٨) سورة طه، آية: ٥٢.

(١٠) سورة النمل، آية: ٧٥.

(١) في المصدر: «سأله».

(٣) علل الشرائع ج ٢ ص ٤٧٠ باب ٢٢٢ حديث ٣٣.

(٥) سورة السجدة، آية: ٢١.

(٧) سورة هود، آية: ٦.

(٩) سورة الحج، آية: ٧٠.

- سبأ: ﴿لَا يُعْزَبُ عَنْهُ مِفْطَالٌ دَوْرَةٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾. (١)
 فاطر: ﴿وَمَا يَعْزُبُ مِنْ مَعْمَرٍ وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾. (٢)
 يس: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾. (٣)
 الزخرف: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾. (٤)
 ق: ﴿وَوَعَدْنَا كِتَابَ حَقِيقَةٍ﴾. (٥)
 الطور: ﴿وَكِتَابٍ مَشْهُورٍ فِي رَبِّي مَشْهُورٍ﴾. (٦)
 الحديد: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنْزِلَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لَكِنَّا تَأَسُّوْا عَلَيَّ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾. (٧)
 القلم: ﴿وَنَ الْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾. (٨)
 النبأ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾. (٩)
 البروج: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾. (١٠)

تفسير:

قال الطبرسي ره «كُلُّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ» هذا إخبار منه سبحانه أن جميع ذلك مكتوب في كتاب ظاهر وهو اللوح المحفوظ وإنما أثبت ذلك مع أنه عالم لذاته لا يعزب عن علمه شيء من مخلوقاته لما فيه من اللطف للملائكة أو لمن يخبر بذلك. (١١)

وقال ره في قوله سبحانه «عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي» أي أعمالهم محفوظة عند الله يجازيهم بها والتقدير علم أعمالهم عند ربي في كِتَابٍ يعني اللوح المحفوظ والمعنى أن أعمالهم مكتوبة مثبتة عليهم وقيل المراد بالكتاب ما تكتبه الملائكة ﴿لَا يُضِلُّ رَبِّي﴾ أي لا يذهب عليه شيء وقيل أي لا يخطئ ربي ﴿وَلَا يُنْسِي﴾ من النسيان أو بمعنى الترك. (١٢)
 وقال الرازي في قوله تعالى ﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾ في الكتاب قولان أحدهما وهو قول أبي مسلم إن معنى الكتاب الحفظ والضبط والشد يقال كتبت المذاكرة (١٣) إذا خرزتها فحفظت بذلك ما فيها ومعنى الكتاب بين الناس حفظ ما يتعاملون به فالمراد من قوله ﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾ أنه محفوظ عنده.

والثاني: وهو قول الجمهور إن كل ما يحدثه الله في السماوات والأرض كتبه (١٤) في اللوح المحفوظ (١٥) وهذا أولى لأن القول الأول وإن كان صحيحاً نظراً إلى الاشتقاق ولكن الواجب حمل اللفظ على المتعارف ومعلوم أن الكتاب هو ما تكتب فيه الأمور فكان حمله عليه أولى فإن قيل يومهم ذلك أن علمه مستفاد من الكتاب وأيضاً فأني فائدة في ذلك الكتاب فالجواب عن الأول أن كتبه تلك الأشياء في ذلك الكتاب مع كونها مطابقة للموجودات من أدل الدلائل على أنه سبحانه غني في علمه عن ذلك الكتاب وعن الثاني أن الملائكة ينظرون فيه ثم يرون الحوادث داخلة في الوجود على وفقه فصار ذلك دليلاً زائداً على كونه سبحانه عالماً بكل المعلومات وأما قوله ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ فعناه أن كتبه جملة الحوادث مع أنها من الغيب مما يتعذر على الخلق لكنها بحيث متى أرادها الله تعالى كانت يعبر (١٦) عن ذلك بأنه يسير وإن كان هذا الوصف لا يستعمل إلا فينا من حيث تسهل وتسهل علينا الأمور ويتعالى الله عن ذلك. (١٧)

(١) سورة سبأ: آية: ٣.

(٢) سورة يس: آية: ١٢.

(٣) سورة ق: آية: ٤.

(٤) سورة الزخرف: آية: ٤.

(٥) سورة الطور: آية: ٢ و ٣.

(٦) سورة القلم: آية: ١.

(٧) سورة النبأ: آية: ٢٩.

(٨) سورة البروج: آية: ٢١ و ٢٢.

(٩) مجمع البيان ج ٥ ص ١٤٤.

(١٠) المذاكرة - بفتح الميم - ما يوضع فيه الزاد، وخرزها - بالغاء المعجمة ثم الزاي المعجمة ثم الراء المعجمة - شدّها وإحكامها. وفي المصدر «كتبت المذاكرة أكتبها».

(١١) في المصدر إضافة: «قالوا».

(١٢) في المصدر: «فيغير».

(١٣) سورة فاطر: آية: ١١.

(١٤) سورة الزخرف: آية: ٤.

(١٥) سورة الطور: آية: ٢ و ٣.

(١٦) سورة القلم: آية: ١.

(١٧) سورة البروج: آية: ٢١ و ٢٢.

(١٨) مجمع البيان ج ٧ ص ١٣ ملخصاً.

(١٩) في المصدر: «فقد كتبه».

(٢٠) في المصدر: «فيغير».

وقال الطبرسي ره في قوله سبحانه ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ أَيْ خَصْلَةٍ غَائِبَةٍ﴾ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ يعني جميع ما أخفاه عن خلقه و غيبه عنهم ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ أي إلا و هو مبين في اللوح المحفوظ. (١)

﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ﴾ أي لا يفوته ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ يعني اللوح المحفوظ (٢) و في قوله ﴿وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُعْتَمَرٍ﴾ أي لا يمد في عمر معمر ﴿وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ﴾ أي من عمر ذلك المعمر بانتقضاء الأوقات عليه و قيل معناه و لا ينقص من عمر غير ذلك المعمر و قيل هو ما يعلمه الله إن فلانا لو أطاع لبقي إلى وقت كذا و إذا عصى نقص عمره فلا يبقى ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ أي إلا و ذلك مثبت في اللوح المحفوظ (٣)

وقال ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ﴾ أي أحصينا و عددنا كل شيء من الحوادث في كتاب ظاهر و هو اللوح المحفوظ و قيل أراد به صحائف الأعمال. (٤)

أقول: و قد ورد في كثير من الأخبار أن المراد بالإمام المبين أمير المؤمنين عليه السلام كما مر. ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي القرآن ﴿فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾ في اللوح المحفوظ فإنه أصل الكتب السماوية ﴿لَدُنَّا لَعَلِّي﴾ رفيع الشأن حكيم ذو حكمة بالغة كذا قيل و في كثير من الأخبار أن الضمير راجع إلى أمير المؤمنين عليه السلام و المراد بأم الكتاب السورة الفاتحة فإنه مكتوب فيها في قوله تعالى ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (٥) قالوا الصراط المستقيم هو أمير المؤمنين عليه السلام و معرفته و طريقته.

﴿وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ﴾ قال الطبرسي ره أي حافظ لعدتهم و أسمائهم و هو اللوح المحفوظ و قيل أي محفوظ عن البلى و الدروس و هو كتاب الحفظة. (٦)

﴿وَكِتَابٍ مُسْطُورٍ﴾ أي مكتوب ﴿فِي رَقٍّ مُنْشُورٍ﴾ (٧) و هو الكتاب الذي كتبه الله لملائكته في السماء يقرءون فيه ما كان و ما يكون و قيل هو القرآن مكتوب عند الله في اللوح (٨) و هو الرق المنشور و قيل هو صحائف الأعمال و قيل هو التوراة و قيل إنه القرآن يكتبه المؤمنون ﴿فِي رَقٍّ﴾ و ينشرونه لقراءته و الرق ما يكتب فيه. (٩)

و في قوله تعالى ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ مثل قحط المطر و قلة النبات و نقص الثمرات ﴿وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من الأمراض و الشلل بالأولاد ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ أي إلا و هو مثبت (١٠) في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق الأنفس ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ أي فعلنا ذلك لكي (١١) لا تحزنوا على ما يفوتكم من نعم الدنيا ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ أي بما أعطاكم الله منها و الذي يوجب نفى الأسى و الفرح من هذين أن الإنسان إذا علم أن ما فات منها ضمن الله تعالى العوض عليه في الآخرة فلا ينبغي أن يحزن لذلك و إذا علم أن ما ناله منها كلف الشكر عليه و الحقوق الواجبة فيه فلا ينبغي أن يفرح به و أيضا إذا علم أن شيئا منها لا يبقى فلا ينبغي أن يهتم له بل يجب أن يهتم لأمر الآخرة التي تدوم و لا تبعد. (١٢)

وقال البيضاوي ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ أي خلقها و الضمير للمصيبة أو للأرض أو للأنفس و قال في قوله ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا﴾ فإن من علم أن الكل مقدر هان عليه الأمر و فيه إشعار بأن فواتها يلحقها إذا خليت و طباعها و أما حصولها و بقاؤها (١٣) فلا بد لهما من سبب يوجدها و يبقياها و المراد منه نفى الأسى المانع من (١٤) التسليم لأمر الله و الفرح الموجب للبطر و الاختيال و لذلك عقبه بقوله ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (١٥) انتهى.

وقال الطبرسي ره اختلف في معنى نون فقيل هو اسم من أسماء السورة و قيل هو الحوت الذي عليه الأرضون عن ابن عباس و غيره و قيل هو حرف من حروف الرحمن في رواية أخرى عن ابن عباس و قيل هو الدواة عن الحسن

(٢) مجمع البيان ج ٨ ص ٣٧٧.

(٤) مجمع البيان ج ٨ ص ٤١٨.

(٦) مجمع البيان ج ٩ ص ١٤١.

(٨) في المصدر إضافة: «المحفوظ».

(١٠) في المصدر: «يعني إلا وهو مثبت مذکور».

(١٢) مجمع البيان ج ٩ ص ٢٤٠ ملخصاً.

(١٤) في المصدر: «عن».

(١) مجمع البيان ج ٧ ص ٢٣٢.

(٣) مجمع البيان ج ٨ ص ٤٠٣ ملخصاً.

(٥) سورة الحديد، آية: ٦.

(٧) عبارة: «في رق منشور» ليست في المصدر.

(٩) مجمع البيان ج ٩ ص ١٦٣.

(١١) في المصدر: «لثلاثة».

(١٣) في المصدر: «وليفاء».

(١٥) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٢٧٠ ملخصاً.

وغيره وقيل هو لوح من نور. وروي مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه قال هو نهر في الجنة قال الله له كن مداداً فجمد وكان أبيض من اللبن وأحلى من الشهد ثم قال للقلم اكتب فكتب القلم ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة. عن أبي جعفر الباقر عليه السلام وقيل المراد به الحوت في البحر وهو من آيات الله تعالى إذ خلقه من الماء فإذا فارق الماء مات كما أن حيوان البر إذا خالط الماء مات و«القلم» هو الذي يكتب به أقسم الله تعالى به لمنافع الخلق إذ هو أحد لسانَي الإنسان يؤدي عنه ما في جنانه ويبلغ البعيد عنه ما يبلغ القريب بلسانه وبه يحفظ أحكام الدين وبه تستقيم أمور العالمين وقد قيل إن البيان بيانان بيان اللسان وبيان البنان وبيان اللسان تدرسه الأعوام وبيان الأقلام باق على مر الأيام «وَمَا يَسْطُرُونَ» وما تكتبه الملائكة مما يوحى إليهم وما يكتبونه من أعمال بني آدم وقيل ما مصدرية (١) انتهى.

وقال الرازي والقلم فيه وجهان أحدهما أن المقسم به هو هذا الجنس وهو واقع على كل قلم في السماء وفي الأرض كما قال «وَرَبُّكَ الْأَكْزَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ» (٢) الثاني أن المقسم به هو القلم المعهود والذي جاء في الخبر أول ما خلق الله القلم قال ابن عباس أول ما خلق الله القلم ثم قال (٣) اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة قال وهو قلم من نور طوله كما بين السماء والأرض وروي مجاهد عنه قال إن أول ما خلق الله القلم فقال اكتب القدر فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة وإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه قال القاضي هذا الخبر يجب حمله على المجاز لأن القلم الذي هو آلة مخصوصة في الكتابة لا يجوز أن يكون حياً عاقلاً فيؤمر وينهى فإن الجمع بين كونه حيواناً مكلفاً وبين كونه آلة الكتابة محال قال بل المراد أنه تعالى أجراه بكل ما يكون وهو قوله «فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» (٤) فإنه ليس هناك أمر ولا تكليف بل هو مجرد نفاذ القدرة في المقدور من غير منازعة ولا مدافعة من الناس من زعم أن القلم المذكور هانها هو العقل وأنه شيء (٥) كالأصل لجميع المخلوقات قالوا والدليل عليه أنه روي في الأخبار أنه أول ما خلق الله وفي خبر آخر (٦) أن أول ما خلق الله العقل وفي خبر آخر أول ما خلق الله جوهرة فنظر إليها بعين الهيبة فذابت إلى آخر ما روى قالوا فهذه الأخبار مجموعها تدل على أن العقل والقلم وتلك الجوهرة التي هي أصل المخلوقات شيء واحد وإلا لتناقض (٧) انتهى.

أقول: ويمكن الجمع بوجوه أخرى كما مر.

«وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا» قال البياضوي «كتاباً» مصدر لأحصيناه فإن الإحصاء والكتابة مشاركان في معنى الضبط أو لفعله المقدّر أو حال بمعنى مكتوباً في اللوح أو صف الحفظه. (٨)

«فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ» قال الرازي أي محفوظ عن أن يمسه إلا المطهرون أو عن اطلاع الخلق عليه سوى الملائكة المقربين أو عن يجري فيه تغيير وتبديل ثم قال قال بعض المتكلمين إن اللوح شيء يلوح للملائكة فيقرءونه فلما كانت الأخبار والآثار واردة بذلك وجب التصديق (٩) به انتهى.

وأقول: ما ورد في الكتاب والسنة من أمثال ذلك لا يجوز تأويله والتصرف فيه بمحض استبعاد الوهم بلا برهان وحجة ونص معارض يدعو إلى ذلك وما ورد في بعض الأخبار أن اللوح والقلم ملكان لا يتنافى ظاهره كما لا يخفى ويظهر من الأخبار أن لله عز وجل لوحين اللوح المحفوظ وهو لا يتغير ولوح المحو والإثبات وفيه يكون البداء كما مر تحقيقه في بابيه ويومئ إليه قوله سبحانه «يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ» (١٠).

وذكر الرازي في المحو والإثبات وجوهاً إلى أن قال الثامن أنه في الأرزاق والرحم والمصابب يشتها في الكتاب ثم يزيلها بالدعاء والصدقة ثم قال وأما أم الكتاب فالمراد أصل الكتاب والعرب تسمي كل ما يجري مجرى الأصل أم (١١) ومنه أم الرأس للدماغ وأم القرى لمكة فكذا أم الكتاب هو الذي يكون أصلاً لجميع الكتب

(١) مجمع البيان ج ١٠ ص ٣٣٢ ملخصاً.
 (٢) في المصدر إضافة: «له».
 (٣) في المصدر إضافة: «هو».
 (٤) عبارة: «وفي خبر آخر أن أول ما خلق الله العقل» ليست في المصدر.
 (٥) التفسير الكبير ج ٢ ص ٥٨٩.
 (٦) التفسير الكبير ج ٣١ ص ١٢٦.
 (٧) في المصدر: «مجري الأصل للشيء أمه».
 (٨) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٥٨٩.
 (٩) سورة الرعد، آية: ٣٩.
 (١٠) سورة الفرقان، آية: ٤.

و فيه قولان الأول أن أم الكتاب هو اللوح المحفوظ وجميع حوادث العالم العلوي والسفلي مثبت فيه عن النبي ﷺ أنه قال كان الله و لا شيء^(١) ثم خلق اللوح و أثبت فيه جميع أحوال الخلق إلى يوم القيامة و على هذا التقدير عند الله كتابان أحدهما الكتاب الذي تكتبه الملائكة على الخلق و ذلك الكتاب محل المحو و الإثبات و الكتاب الثاني اللوح المحفوظ و هو الكتاب المشتمل على تعيين نفس^(٢) جميع الأحوال العلوية و السفلية و هو الباقي روى أبو الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال إن الله تعالى في ثلاث ساعات يقين من الليل ينظر في الكتاب الذي لا ينظر فيه أحد غيره فيمحو ما يشاء و يثبت ما يشاء.

و القول الثاني أن أم الكتاب هو علم الله فإنه تعالى عالم بجميع المعلومات من الموجودات و المعدومات و المعلومات و إن تغيرت إلا أن علم الله تعالى بها باق منزّه عن التغيير فالمراد بأم الكتاب هو ذلك^(٣) انتهى.

وقال الطبرسي ره في تضعيف الأقوال في ذلك الرابع أنه عام في كل شيء فيمحو من الرزق و يزيده فيه و من الأجل و يمحو السعادة و الشقاوة و روى عكرمة عن ابن عباس قال هما كتابان كتاب سوى أم الكتاب يمحو الله منه ما يشاء و يثبت و أم الكتاب لا يغير منه شيء و رواه عمران بن حصين عن النبي ﷺ ثم قال و أم الكتاب هو اللوح المحفوظ الذي لا يغير و لا يبدل لأن الكتب المنزلة انتسخت منه فالمحو و الإثبات إنما يقع في الكتب المنتسخة لا في أصل الكتاب عن أكثر المفسرين و قيل سمي أم الكتاب لأنه الأصل الذي كتب فيه أولا سيكون كذا و كذا لكل ما يكون فإذا وقع كتب أنه قد كان ما قيل إنه سيكون و الوجه في ذلك ما فيه من المصلحة و الاعتبار لمن تفكر فيه من الملائكة الذين يشاهدونه إذا قابلوا ما يكون بما هو مكتوب فيه و علموا أن ما يحدث على كثرته قد أحصاه الله و علمه قبل أن يكون مع أن ذلك أهول في الصدور و أعظم في النفوس حتى كان من تصوره و تفكر فيه مشاهد له^(٤) انتهى.

و اعلم أن للحكماء في تلك الأبواب خرافات تنتهي إلى المحالات ثم إلى الزندقة و الخروج عن مذاهب أرباب الديانات و ردوا في لباس التأويل أكثر الآيات و الروايات و إن زعموا تطبيقها عليها بأنواع التمحلات فبعضهم يقول القلم هو العقل الأول و جميع صور الأشياء حاصلة فيه على وجه بسيط عقلي مقدس عن شائبة كثرة و تفصيل و هو صورة القضاء الإلهي و هو بهذا الاعتبار يسمى بأم الكتاب و منه ينتقش في ألواح النفوس الكلية السماوية كما ينتسخ بالقلم في اللوح صور معلومة مضبوطة منطوقة بعللها و أسبابها على وجه كلي و هو قدره تعالى و من هذه النفوس الكلية ينتقش في قواها المنطبعة الخيالية نقوش جزئية متشكلة بأشكال و هيئات معينة على طبق ما يظهر في الخارج و هذا العالم هو لوح القدر كما أن عالم النفوس الكلية هو لوح القضاء و كل منهما بهذا الاعتبار كتاب مبين إلا أن الأول محفوظ من المحو و الإثبات و الثاني كتاب المحو و الإثبات و فيه يكون البدء لأن القوى المنطبعة الفلكية لم تحط بتفاصيل ما سيقع من الأمور دفعة واحدة لعدم تتهيأ بل إنما ينتقش فيها الحوادث شيئا فشيئا و جملة فحلمة مع أسبابها و عللها على نهج مستمر و نظام مستقر فإن ما يحدث في عالم الكون و الفساد إنما هو من لوازم حركات الأفلاك و نتائج بركاتهما فتعي يعلم أن كلما كان كذا كان كذا و مهما حصل العلم بأسباب حدوث أمر ما في هذا العالم حكمت بوقوعه فيه فينتقش فيها ذلك الحكم و ربما تأخر بعض الأسباب الموجب لوقوع الحادث على خلاف ما يوجبه بقية الأسباب لو لا ذلك السبب و لم يحصل لها العلم بذلك السبب بعد لعدم اطلاعها على سبب ذلك السبب ثم لما جاء أوانه و اطلعت عليه حكمت بخلاف الحكم الأول يمحو عنها نقش الحكم السابق و يثبت الحكم الآخر و لما كان أسباب هذا التخييل ينتهي إليه سبحانه نسب البدء إليها مع إحاطة علمه سبحانه بالكليات و الجزئيات جميعا أزلا و أبدا.

١- تفسير علي بن إبراهيم: عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام عن أبي عبد الله ﷺ قال أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فكتب ما كان و ما هو كائن إلى يوم القيامة^(٥)

٢- و منه: في قوله ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ قال اللوح المحفوظ له طرفان طرف على يمين العرش

(٢) في المصدر: «تعين» بدل «تعيين نفس».

(٤) مجمع البيان ج ٥ ص ٢٩٨.

(١) في المصدر إضافة: «معه».

(٣) التفسير الكبير ج ١٩ ص ٦٦ ملخصاً.

(٥) تفسير علي بن إبراهيم القمي ج ٢ ص ١٩٨.

و طرف على جبهة إسرائيل فإذا تكلم الرب جل ذكره بالوحي ضرب اللوح جبين إسرائيل فنظر في اللوح فيوحي بما في اللوح إلى جبرئيل.^(١)

٣- ومنه: عن أبيه عن ابن أبي عمير عن عبد الرحيم القصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال سألت عن «ن وَالْقَلَمِ» قال إن الله خلق القلم من شجرة في الجنة يقال لها الخلد ثم قال لنهر في الجنة كن مدادا فجمد النهر وكان أشد بياضا من الثلج وأحلى من الشهد ثم قال للقلم اكتب قال يا رب ما أكتب قال اكتب ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة فكتب القلم في رق أشد بياضا من الفضة وأصفى من الياقوت ثم طواه فجعله في ركن العرش ثم ختم على قم القلم فلم ينطق بعد ولا ينطق أبدا فهو الكتاب المكون الذي منه النسخ كلها أو لستم عربا فكيف لا تعرفون معنى الكلام وأحكم يقول لصاحبه انسخ ذلك الكتاب أو ليس إنما ينسخ من كتاب آخر^(٢) من الأصل وهو قوله «إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»^(٣)

بيان: هذا يدل على أن أولية خلق القلم إضافية لسبق خلق الجنة عليه.

٣٦٧
٥٧

٤- العلل: قال حدثنا علي بن حبشي بن قوتي فيما كتب إلي عن حميد^(٤) بن زياد عن القاسم بن إسماعيل عن محمد بن سلمة عن يحيى بن أبي العلاء الرازي أن رجلا دخل على أبي عبد الله عليه السلام فقال جعلت فداك أخبرني عن قول الله عز وجل «ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ»^(٥) وأخبرني عن قول الله عز وجل لا بليس «فَأَنذَرْتُكَ مِنَ الْمُنْظَرِ إِلَى يَوْمِ الْوُثْبِ الْمَعْلُومِ»^(٦) وأخبرني عن هذا البيت كيف صار فريضة على الخلق أن يأتيوه قال فالتفت أبو عبد الله عليه السلام إليه وقال ما سألتني عن مسألتك أحد قط قبلك إن الله عز وجل لما قال للملائكة «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً»^(٧) ضجت الملائكة من ذلك وقالوا يا رب إن كنت لا بد جاعلا في أرضك خليفة فاجعله منا من^(٨) يعمل في خلقك بطاعتك فرد عليهم «إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ» فظنت الملائكة أن ذلك سخط من الله عز وجل عليهم فلاذوا بالعرش يطوفون به فأمر الله عز وجل لهم ببيت من مرمر سقفه ياقوتة حمراء وأساطينه الزبرجد يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يدخلونه بعد ذلك إلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ قال و يوم الوقت المعلوم يَوْمُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ فيموت إبليس ما بين النفخة الأولى والثانية وأما «ن» فكان نهر في الجنة أشد بياضا من الثلج وأحلى من العسل قال الله عز وجل له كن مدادا فكان مدادا ثم أخذ شجرة فغرسها بيده ثم قال واليد القوة وليس بحيث تذهب إليه المشبهة ثم قال لها كوني قلما ثم قال له اكتب فقال يا رب ما أكتب قال^(٩) ما هو كائن إلى يوم القيامة ففعل ذلك ثم ختم عليه وقال لا تنطق إلى يوم الوقت المعلوم.^(١٠)

٣٦٨
٥٧

٥- معاني الأخبار: عن محمد بن هارون الزنجاني عن معاذ بن المثنى عن عبد الله بن أسماء عن جويرية^(١١) عن سفيان الثوري قال سألت جعفر بن محمد عليه السلام عن «ن» فقال هو نهر في الجنة قال الله عز وجل اجعد فجمد فصار مدادا ثم قال عز وجل للقلم اكتب فسطر القلم في اللوح المحفوظ ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة فالمداد مداد من نور والقلم قلم من نور واللوح لوح من نور قال سفيان فقلت له يا ابن رسول الله بين لي أمر اللوح والقلم والمداد فضل بيان وعلمي مما علمك الله فقال يا ابن سعيد لو لا أنك أهل للجواب ما أجبتك فنون ملك يؤدي إلى القلم وهو ملك والقلم يؤدي إلى اللوح وهو ملك واللوح يؤدي إلى إسرائيل وإسرائيل يؤدي إلى ميكائيل وميكائيل يؤدي إلى جبرئيل وجبرئيل يؤدي إلى الأنبياء والرسل قال ثم قال لي قم يا سفيان فلا آمن عليك.^(١٢)

٦- ومنه: عن أحمد بن الحسن القطان عن عبد الرحمن بن محمد الحنسي^(١٣) عن أحمد بن عيسى بن أبي مريم

(١) تفسير علي بن إبراهيم القمي ج ٢ ص ٤١٤ و ٤١٥ والآية من سورة البروج: ٢٦.

(٢) في المصدر: «أخذ» بدل «آخر».

(٣) تفسير علي بن إبراهيم القمي ج ٢ ص ٣٧٩ و ٣٨٠ والآية من سورة القلم: ١.

(٤) في المصدر: «جميل».

(٥) سورة القلم، آية: ١.

(٦) سورة الحجر، آية: ٣٨.

(٧) في المصدر: «مثن».

(٨) علل الشرائع ص ٤٠٢ باب ١٤٢ حديث ٢.

(٩) في المصدر: «جويرية».

(١٠) معاني الأخبار ص ٢٣ باب (معنى الحروف المقطعة في أوائل السور من القرآن) حديث ١.

(١١) في المصدر: «الحسيني».

عن محمد بن أحمد العزمي عن علي بن حاتم المنقري عن إبراهيم الكرخي قال سألت جعفر بن محمد عليه السلام عن اللوح والقلم فقال هما ملكان. (١)

٣٦٩
٥٧

٧- العياشي: عن محمد بن مروان عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى ﴿وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ قال ﴿نهر في الجنة أشد بياضا من اللبن قال فأمر الله القلم فجرى بما هو كائن وما يكون فهو بين يديه موضوع ما شاء منه زاد فيه وما شاء نقص منه وما شاء كان وما شاء لا يكون. أقول: تمامه في باب الطواف.

٨- الاختصاص: سأل ابن سلام النبي صلى الله عليه وآله عن ﴿وَالْقَلَمِ﴾ قال النون اللوح المحفوظ والقلم نور ساطع وذلك قوله ﴿وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ قال صدقت يا محمد فأخبرني ما طوله وما عرضه وما مداده وأين مجراه قال طول القلم خمسمائة سنة وعرضه مسيرة ثمانين سنة له ثمانون سنا يخرج المداد من بين أسنانه يجري في اللوح المحفوظ بأمر الله و سلطانه قال صدقت يا محمد فأخبرني عن اللوح المحفوظ مما هو قال من زمردة خضراء أجوافه اللؤلؤ بطانته الرحمة قال صدقت يا محمد قال فأخبرني كم لحظة لرب العالمين في اللوح المحفوظ في كل يوم وليلة قال ثلاثمائة وستون لحظة. (٢)

٩- العلل: عن أبيه عن محمد بن يحيى العطار عن الحسين بن الحسن بن أبان عن محمد بن أورمة عن النوفلي عن علي بن داود اليعقوبي عن الحسن بن مقاتل عمن سمع زرارة يقول سئل أبو عبد الله عن بدء النسل من آدم فقال فيما قال لم يختلف فقهاء أهل الحجاز ولا فقهاء أهل العراق أن الله عز وجل أمر القلم فجرى على اللوح المحفوظ بما هو كائن إلى يوم القيامة قبل خلق آدم بألفي عام وأن كتب الله كلها فيما جرى فيه القلم هذه الكتب (٣) المشهورة في هذا العالم التوراة والإنجيل والزبور والقرآن (٤) أنزلها الله من (٥) اللوح المحفوظ على رسله (٦) الخبر.

٣٧٠
٥٧

١٠- عقائد الصدوق: اعتقادنا في اللوح والقلم أنهما ملكان. (٧)
أقول: قال الشيخ المفيد ره اللوح كتاب الله كتب فيه ما يكون إلى يوم القيامة وهو قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَدِ الدُّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (٨) فاللوح هو الذكر والقلم هو الشيء الذي أحدث الله به الكتاب. (٩) في اللوح وجعل اللوح أصلا لتعرف الملائكة منه ما يكون (١٠) فإذا أراد الله تعالى أن يطلع الملائكة على غيب له أو يرسلهم إلى الأنبياء بذلك أمرهم بالاطلاع في اللوح فحفظوا منه ما يؤدونه إلى من أرسلوا إليه وعرفوا منه ما يعملون ولقد جاءت بذلك آثار عن النبي صلى الله عليه وآله وعن الأئمة عليهم السلام فأما من ذهب إلى أن اللوح والقلم ملكان فقد أبعد بذلك ونأى عن الحق إذ الملائكة لا تسمى ألواحاً ولا أقلاماً ولا يعرف في اللغة اسم ملك ولا بشر لوح ولا قلم. (١١)

بيان: الصدوق ره تبع فيما ذكره الرواية فلا اعتراض عليه مع أنه لا تنافي بين ما ذكر المفيد وبين ذلك إذ يمكن كونهما ملكين ومع ذلك يكون أحدهما آلة النقش والآخر منقوشا فيه ويحتمل أيضا أن يكون المراد بكونهما ملكين كون حامليهما ملكين مجازاً ولعل الإيمان بمثل ذلك على الإجمال أسلم من الخطأ والضلال.

١١- العقائد للصدوق: اعتقادنا في نزول الوحي من عند الله عز وجل أن بين عيني إسرائيل لوحاً فإذا أراد الله سبحانه أن يتكلم بالوحي ضرب الله ذلك (١٢) اللوح جبين إسرائيل فينظر فيه فيقرأ ما فيه فيلقيه إلى ميكايل و يلقيه ميكايل إلى جبرئيل فيلقيه جبرئيل إلى الأنبياء. (١٣)

(١) معاني الأخبار ص ٣٠ باب معنى اللوح والقلم حديث ١.

(٢) في المصدر إضافة: «الأربعة».

(٣) في المصدر: «عن».

(٤) علل الشرائع ج ١ ص ١٨ و ١٩ باب ١ حديث ٧.

(٥) في المصدر: «الكتابة».

(٦) اعتقادات للصدوق ضمن مصنفات الشيخ المفيد ج ٥ ص ٤٢.

(٧) سورة الأنبياء، آية: ١٠٥.

(٨) في المصدر إضافة: «من غيب أو وحي» بين مقوفتين.

(٩) عبارة: «الله ذلك» ليست في المصدر.

(١٠) الاختصاص ص ٤٩.

(١١) في المصدر: «الفرقان».

(١٢) علل الشرائع ج ١ ص ١٨ و ١٩ باب ١ حديث ٧.

(١٣) في المصدر: «الكتابة».

(١٤) تصحيح الاعتقاد ضمن مصنفات الشيخ المفيد ج ٥ ص ٧٤.

(١٥) الاعتقادات للصدوق ضمن مصنفات الشيخ المفيد ج ٥ ص ٨١.

١٢- الدر المنثور: عن أبي نعيم في الحلية عن علي عليه السلام مرفوعا قال الكرسي لؤلؤ و القلم لؤلؤ و طول القلم سبعةائة سنة و طول الكرسي حيث لا يعلمه إلا العالمون.^(١)

١٣- و عن ابن عباس قال إن أول ما خلق الله من شيء القلم فأمره أن يكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة و الكتاب عنده ثم قرأ ﴿وَإِنَّ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾.^(٢)

١٤- و عن جعفر بن محمد عليه السلام قال كنت مع أبي محمد بن علي فقال له رجل يا أبا جعفر ما بدء خلق هذا الركن فقال إن الله لما خلق الخلق قال ليني آدم أَسْتَشْ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى فَأَقْرَأُوا و أجرى نهرا أحلى من العسل و ألين من الزبد ثم أمر القلم فاستمد من ذلك النهر فكتب إقرارهم و ما هو كائن إلى يوم القيامة ثم أقم ذلك الكتاب هذا الحجر فهذا الاستلام الذي ترى إنما هوبيعة على إقرارهم الذي كانوا أقروا به.^(٣)

١٥- و عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق السماوات و الأرض و هو عنده فوق العرش الخلق منتهمون إلى ما في ذلك الكتاب و تصديق ذلك في كتاب الله ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾.^(٤)

١٦- و عن ابن سابط قال في أم الكتاب ما هو كائن إلى يوم القيامة و كل بما^(٥) فيه ثلاثة من الملائكة يحفظون فوكل جبرئيل بالوحي ينزل به إلى الرسل و بالهلاك إذا أراد أن يهلك قوما كان صاحب ذلك و وكل أيضا بالنصر في الحروب إذا أراد الله أن ينصر و وكل ميكائيل بالقرآن يحفظه^(٦) و وكل نبات الأرض أن يحفظه و كل ملك الموت يقبض الأنفس فإذا ذهبت الدنيا جمع بين حفظهم و حفظ أم الكتاب فوجدهما^(٧) سواء.^(٨)

١٧- و عن ابن جريج في قوله و إِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ قال الذكر الحكيم فيه كل شيء كان و كل شيء يكون و ما نزل من كتاب فتمته.^(٩)

١٨- و عن ابن عباس أنه سئل عن هذه الآية ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنَسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فقال إن أول ما خلق الله القلم ثم خلق النون و هي الدواة ثم خلق الألواح فكتب الدنيا و ما يكون فيها حتى تفتى من خلق مخلوق و عمل معمول من بر أو فجور^(١٠) و ما كان من رزق حلال أو حرام و ما كان من رطب و يابس ثم ألزم كل شيء من ذلك شأنه دخوله في الدنيا متى^(١١) و بقاؤه فيها كم و إلى كم يفتى ثم وكل بذلك الكتاب الملائكة و وكل بالخلق ملائكة فتأتي ملائكة الخلق إلى ملائكة ذلك الكتاب فينسخون^(١٢) ما يكون في كل يوم و ليلة مقسوم على ما وكلوا به ثم يأتون إلى الناس فيحفظونهم بأمر الله و يستبقونهم^(١٣) إلى ما في أيديهم من تلك النسخ فقام رجل فقال يا ابن عباس ما كنا نرى هذا تكتب الملائكة في كل يوم و ليلة فقال ابن عباس أستم قوما عربا ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنَسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ هل يستنسخ الشيء إلا من كتاب.^(١٤)

١٩- و عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله في قوله ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنَسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ قال هي أعمال أهل الدنيا الحسنات و السيئات تنزل من السماء كل غداة و عشية ما يصيب الإنسان في ذلك اليوم أو الليلة الذي يقتل و الذي يغرق و الذي يقع من فوق بيت و الذي يتردى من فوق جبل و الذي يقع في بئر و الذي يحرق بالنار فيحفظون عليه ذلك كله فإذا كان العشي صعدوا به إلى السماء فيجدونه كما في السماء مكتوبا في الذكر الحكيم.^(١٥)

و عن ابن عباس قال كتب في الذكر عنده كل شيء هو كائن ثم بعث الحفظة على آدم و ذريته فالحفظة ينسخون من الذكر ما يعمل العباد ثم قرأ ﴿هَذَا كِتَابُنَا يُنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنَسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.^(١٦)

(١) الدر المنثور ج ١ ص ٣٢٨.

(٢) الدر المنثور ج ٣ ص ١٤٤.

(٣) لم نثر عليه في الدر المنثور.

(٤) عبارة: «وكل نبات الأرض أن يحفظه» ليست في المصدر.

(٥) في المصدر: «وكل ثلاثة».

(٦) في المصدر: «أهل الكتاب فوجدوه».

(٧) الدر المنثور ج ٦ ص ١٣.

(٨) في المصدر: «فاجر».

(٩) في المصدر: «حي» بدل «متى».

(١٠) في المصدر: «وينسخون».

(١١) في المصدر: «ويستبقونهم».

(١٢) الدر المنثور ج ٦ ص ٣٧.

(١٣) الدر المنثور ج ٦ ص ٣٧.

٢٠- وعن ابن عباس أن الله جل ذكره خلق العرش فاستوى عليه ثم خلق القلم فأمره ليجري بأمره وعظم القلم ما بين السماء والأرض فقال القلم بما أجري يا رب قال بما أنا خالق وكائن في خلقي من قطر أو نبات أو نفس أو أثر يعني به العمل أو رزق أو أجل فجري القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة فأثبتته الله في الكتاب المكنون عنده تحت العرش وأما قوله ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فإن الله وكل ملائكة يستسخون من ذلك الكتاب كل عام في رمضان ليلة القدر ما يكون في الأرض من حدث إلى مثلها من السنة المقبلة فيعارضون به حفظه الله من العباد^(١) كل عشية خميس فيجدون ما رفع الحفظة موافقا لما في كتابهم ذلك ليس فيه زيادة ولا نقصان وأما قوله ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ فإن الله خلق لكل شيء ما يشاكله من خلقه وما يصلحه من رزقه وخلق البعير خلقا لا يصلح شيء من خلقه على غيره من الدواب وكذلك كل شيء من الدواب وخلق لدواب البر وطيرها من الرزق ما يصلحها في البر وخلق لدواب البحر وطيرها من الرزق ما يصلحها في البحر فلذلك قوله ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(٢)

٢١- وعن ابن عباس قال أول ما خلق الله القلم فتصور قلما من نور قليل له اجر في اللوح المحفوظ قال يا رب بما ذا قال بما يكون إلى يوم القيامة فلما خلق الله الخلق وكل بالخلق حفظة يحفظون عليهم أعمالهم فلما قامت القيامة عرضت عليهم أعمالهم وقيل ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ عرض بالكتابين فكانا سواء^(٣)

٢٢- وعن ابن عباس في قوله تعالى ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ قال إن مما خلق الله لوحا محفوظا من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور وعرضه ما بين السماء والأرض ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة يخلق في كل نظرة ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويدر ويهلك^(٤) ويفعل ما يشاء فذلك قوله ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾^(٥)

٢٣- وعن الربيع بن أنس في قوله تعالى ﴿إِنَّهُ لَفَرَّقَ أَرْكَامَ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ قال القرآن الكريم هو القرآن و الكتاب المكنون هو اللوح المحفوظ لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ قال الملائكة هم المطهرون من الذنوب^(٦)

٢٤- وعن عباد بن الصامت قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فجري بما هو كائن إلى الأبد^(٧)

٢٥- وعن معاوية بن قرة عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ قال لوح من نور وقلم من نور يجري بما هو كائن إلى يوم القيامة^(٨)

٢٦- وعن ابن عباس قال إن الله خلق النون وهي الدواة وخلق القلم فقال اكتب قال و ما أكتب قال اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة^(٩)

٢٧- وعنه قال قال رسول الله ﷺ النون اللوح المحفوظ والقلم من نور ساطع^(١٠)

٢٨- وعن النبي ﷺ قال إن أول شيء خلق الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة ثم قال له اكتب قال و ما أكتب قال ما كان و ما هو كائن إلى يوم القيامة من عمل أو أثر أو رزق أو أجل^(١١) فكتب ما يكون و ما هو كائن إلى يوم القيامة وذلك قوله ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ثم ختم على قم القلم فلم ينطق ولا ينطق إلى يوم القيامة ثم خلق الله العقل فقال و عزتي لأملكنك فيمن أحببت و لأتقننك فيمن أبغضت^(١٢)

٢٩- وعن قتادة والحسن قال النون الدواة^(١٣)

٣٠- وعن ابن عباس في الآية قال خلق الله القلم فقال اجر فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة ثم خلق الحوت و هي النون فكبس عليها الأرض ثم قال ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾^(١٤)

(١) الظاهر: على العباد.

(٢) لم نعر عليه في الدر المنثور.

(٣) في المصدر: «ويقل».

(٤) الدر المنثور ج ٦ ص ١٤٣.

(٥) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٥٠.

(٦) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٥٠.

(٧) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٥٠.

(٨) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٥٠.

(٩) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٥٠.

(١٠) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٥٠.

(١١) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٥٠.

(١٢) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٥٠.

(١٣) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٥٠.

(١٤) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٥٠.

- ٣١- وعن ابن عباس في قوله ﴿لَوْحٌ مَحْفُوظٌ﴾ قال أخبرت أنه لوح واحد فيه الذكر وأن ذلك اللوح من نور وأنه مسيرة ثلاثمائة سنة. (١)
- ٣٢- وعن ابن عباس قال خلق الله اللوح المحفوظ كمسيرة مائة عام فقال للقلم قبل أن يخلق الخلق اكتب علمي في خلقي فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة. (٢)
- ٣٣- وعن أنس قال رسول الله ﷺ إن لله لوحا من زبرجدة خضراء جعله تحت العرش وكتب فيه إني أنا الله لا إله إلا أنا خلقت بضعة عشر وثلاثمائة خلق من جاء مع شهادة أن لا إله إلا الله أدخل الجنة. (٣)
- ٣٤- وعن أنس قال قال رسول الله ﷺ إن بين يدي الرحمن تبارك وتعالى للوحا فيه ثلاثمائة وخمس عشرة شريعة يقول الرحمن وعزتي وجلالي لا يجيئني عبد من عبادي لا يشرك بي شيئا فيه واحدة منكن إلا أدخلته الجنة. (٤)
- ٣٥- وعن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ خلق الله لوحا من درة بياض دفتاه من زبرجدة خضراء كتابه من نور يلحظ إليه في كل يوم ثلاثمائة وستين لحظة يحيي ويميت ويخلق ويرزق ويعز ويزل ويفعل ما يشاء. (٥)

٣٦٦
٥٧

العرش والكرسي وحملتهما

باب ٥

الآيات:

- البقرة: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ (٦).
- الأعراف: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ (٧).
- يونس: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ (٨).
- هود: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ (٩).
- الرعد: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ (١٠).
- طه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ (١١).
- المؤمنون: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (١٢).
- الفرقان: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَنُلِيهِ خَيْرًا﴾ (١٣).
- النمل: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (١٤).
- التنزيل: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ (١٥).
- المؤمن: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ (١٦).
- الحديد: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ (١٧).

٢
٥٨

(١) الدر المنثور ج ٦ ص ٣٣٥، والآية من سورة البروج: ٢٢. (٢) الدر المنثور ج ٦ ص ٣٣٥.

(٣) الدر المنثور ج ٦ ص ٣٣٥ وفيه: «خلقت ثلاثمائة وبضعة عشر خلقاً من جاء بخلق منها مع شهادة أن لا إله إلا الله دخل الجنة».

(٤) الدر المنثور ج ٦ ص ٣٣٥.

(٥) الدر المنثور ج ٦ ص ٣٣٥، هذا آخر ما جاء في الجزء الرابع والخمسين من المطبوعة.

(٦) سورة البقرة، آية: ٢٥٥.

(٧) سورة الأعراف، آية: ٥٤.

(٨) سورة يونس، آية: ٣.

(٩) سورة هود، آية: ٧.

(١٠) سورة الرعد، آية: ٢.

(١١) سورة طه، آية: ٥.

(١٢) سورة المؤمنون، آية: ٨٦.

(١٣) سورة الفرقان، آية: ٥٩.

(١٤) سورة النمل، آية: ٢٦.

(١٥) سورة السجدة، آية: ٤.

(١٦) سورة غافر، آية: ٧.

(١٧) سورة الحديد، آية: ٤.

الحاقة: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾^(١)

تفسير: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ قال الطبرسي ره اختلف فيه على أقوال: أحدها وسع علمه السموات والأرض عن ابن عباس ومجاهد وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام ويقال للعلماء كراسي كما لهم أوتاد الأرض لأن بهم قوام الدين والدنيا وثانيها أن الكرسي هاهنا هو العرش عن الحسن وإنما سمي كرسيًا لتركب بعضه على بعض وثالثها أن المراد بالكرسي هاهنا الملك والسلطان والقدرة كما يقال اجعل لهذا الحائط كرسيًا أي عمادًا يعمد به حتى لا يقع ولا يميل فيكون معناه أحاطت قدرته بالسموات والأرض وما فيها ورابعها أن الكرسي سرير دون العرش وقد روي ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام وقريب منه ما روي عن عطاء أنه قال ما السموات والأرض عند الكرسي إلا كحلقة خاتم في فلاة وما الكرسي عند العرش إلا كحلقة في الفلاة^(٢) ومنهم من قال إن السموات والأرض جميعًا على الكرسي والكرسي تحت العرش^(٣) فالعرش فوق السموات. وروى الأصمعي بن نباتة أن عليًا عليه السلام قال السموات والأرض وما فيها من مخلوق في جوف الكرسي^(٤). وساق الحديث إلى آخره كما سيأتي في رواية علي بن إبراهيم.

٣
٥٨

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾^(٥) منهم من فسر العرش هنا بمعنى الملك قال القفال العرش في كلامهم هو السرير الذي يجلس عليه الملوك ثم جعل العرش كناية عن نفس الملك يقال ثل عرشه أي انتقص ملكه وقالوا استوى على عرشه واستقر على سرير ملكه^(٦) ومنهم من فسر العرش بالجسم الأعظم والاستواء بمعنى الاستيلاء كما مر.

قال الرازي في تفسيره اتفق المسلمون على أن فوق السموات جسمًا عظيمًا هو العرش واختلف في المراد بالعرش هنا فقال أبو مسلم المراد أنه لما خلق الله السموات والأرض سطحها ورفع سمكها فإن كل بناء يسمى عرشًا وبانيه يسمى عارشا قال تعالى ﴿وَمِمَّا يُعْرِشُونَ﴾^(٧) والاستواء على العرش هو الاستعلاء عليه بالقهر والمشهور بين المفسرين أن المراد بالعرش فيها الجسم العظيم الذي في السماء وقيل المراد من العرش الملك وملك الله تعالى عبارة عن مخلوقاته ووجود مخلوقاته إنما حصل بعد خلق السموات والأرض فلا جرم صح إدخال حرف ثم عليه والحاصل أن المراد استواؤه على عالم الأجسام بالقهر والقدرة والتدبير والحفظ يعني أن من فوق العرش إلى ما تحت الثرى في حفظه وتديره وفي الاحتياج إليه^(٨).

﴿فَسُئِلَ بِهِ خَبِيرٌ﴾^(٩) قال الطبرسي ره قيل أي فاسأل عنه خبيرًا والباء بمعنى عن والخبير هاهنا هو الله تعالى أو محمد صلى الله عليه وآله وقيل إن الباء على أصلها والمعنى فاسأل سؤالك^(١٠) أيها الإنسان خبيرًا يخبرك بالحق في صفته وقيل إن الباء فيه مثل الباء في قولك لقيت بفلان لثيًا إذا وصف شجاعته والمعنى إذا رأيته رأيت الشيء المشبه بأنه الخبير به^(١١).

٤
٥٨

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾^(١٢) قال الطبرسي ره عبادة لله وامتنانًا لأمره ﴿وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ يعني الملائكة المطيفين بالعرش وهم الكروبيون وسادة الملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾^(١٣) أي ينزهون ربهم عما يصفه به هؤلاء المجادلون وقيل يسبحونه بالتسبيح المعهود ويحمدونه على إنعامه ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أي وصدقونه^(١٤) ويعترفون بوجدانيته ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾ أي ويسألون الله المغفرة ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ من أهل الأرض أي صدقوا بوجدانية الله واعترفوا بالهيئة وبما يجب الاعتراف به^(١٥) وقال في قوله تعالى ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾^(١٦) يعني فوق الخلائق ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يعني يوم القيامة ﴿ثَمَانِيَةٌ﴾^(١٧) من الملائكة عن ابن زيد وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله أنهم اليوم

(١) سورة الحاقة، آية: ١٧.

(٢) في المصدر: «تحت الأرض كالعرش فوق السماء».

(٣) سورة الأعراف، آية: ٥٤.

(٤) لم نثر على كتاب القفال هذا. والنص موجود في التفسير الكبير ج ١٤ ص ١١٥.

(٥) سورة النحل، آية: ٦٨.

(٦) سورة الفرقان، آية: ٥٩.

(٧) مجمع البيان ج ٧ ص ١٧٦.

(٨) سورة الشورى، آية: ٥.

(٩) مجمع البيان ج ٨ ص ٥١٥.

(١٠) سورة الفرقان، آية: ٢٢.

(١١) في المصدر: «فلاة».

(١٢) مجمع البيان ج ١ ص ٣٦٢.

(١٣) التفسير الكبير ج ١٧ ص ١٣ و ١٤، اختصاراً.

(١٤) في المصدر: «سؤالك».

(١٥) سورة غافر، آية: ٧.

(١٦) في المصدر: «ويصدقون به».

(١٧) سورة الحاقة، آية: ١٧.

أربعة فإذا كان يوم القيامة أيدهم بأربعة أخرى^(١) فيكونون ثمانية. وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم إلا الله تعالى عن ابن عباس^(٢).

وقال الرازي نقل عن الحسن أنه قال لا أدري أنهم ثمانية أشخاص أو ثمانية آلاف يصفون وحمله على ثمانية أشخاص أولى لما روي أنهم ثمانية أملاك أرجلهم في تخوم الأرض السابعة والعرش فوق رؤسهم وهم يطوفون يسبحون وقيل بعضهم على صورة الإنسان وبعضهم على صورة الأسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة النسر وروي ثمانية أملاك على صورة الأوعال ما بين أظلافها إلى ركبها مسيرة سبعين عاما وعن شهر بن حوشب أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وأربعة تقول سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلكم بعد علمكم^(٣).

١- الخصال والمعاني والعياشي والدر المنثور: في حديث أبي ذر عن النبي ﷺ قال يا باذر ما السماوات السبع في الكرسي إلا حقلقة ملقاة في أرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحقلقة^(٤).

٢- الفقيه والعلل والمجالس للصدوق: روي عن الصادق ﷺ أنه سئل لم سمي^(٥) الكعبة كعبة قال لأنها مربعة فليل له ولم صارت مربعة قال لأنها بحذاء بيت^(٦) المعمور وهو مربع فليل له ولم صار البيت المعمور مربعا قال لأنه بحذاء العرش وهو مربع فليل له ولم صار العرش مربعا قال لأن الكلمات التي بني عليها الإسلام أربع سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر^(٧).

بيان وتأويل عليل: قال السيد الداماد ره في بعض تعليقاته على الفقيه العرش هو فلك الأفلاك وإنما حكم ﷺ بكونه مربعا لأن الفلك يتعين له بالحركة المنطقة والقطبان وكل دائرة عظيمة منصفة للكرة والفلك يتربع بمنطقة الحركة والدائرة المارة بقطبيها والعرش وهو الفلك الأقصى والكرسي وهو فلك التوابت يتربعان بمعدل النهار ومنطقة البروج والدائرة المارة بالقطب الأربعة وأيضا دائرة الأفق على سطح الفلك الأعلى يتربع بدائرة نصف النهار ودائرة المشرق والمغرب فيقع منها بينها أربعاء ويتعين عليها النقاط الأربع الجنوب والشمال والمشرق والمغرب والحكماء نزلوا الفلك منزلة إنسان مستلق على ظهره رأسه إلى الشمال وجلاه إلى الجنوب ويمينه إلى المغرب وشماله إلى المشرق وأيضا التربع والتسديس أول الأشكال في الدائرة على ما قد استبان في مظانه إذ التربع يحصل بقطرين متقاطعين على قوائم والتسديس بنصف قطر فإن وتر سدس الدور يساوي نصف القطر ورب الدور قوس تامة وما نقصت عن الربع فتمتها إلى الربع تمامها وأيضا الفلك الأقصى له مادة وصورة وعقل هو العقل الأول ويقال له عقل الكل ونفس هي النفس الأولى ويقال لها نفس الكل فيكون مربعا وأول المربعات في نظام الوجود وهناك وجه أخرى يضيق ذرع المقام عن بسطها فليتعرف^(٨) انتهى ولا يخفى عدم موافقتها لقوانين الشرع ومصطلحات أهل وسيأتي القول فيها وقد مر بعض ما يزيها.

٣- المتجهج والفقيه والتهذيب: في خطبة الاستسقاء الذي جعل السماوات لكرسيه^(٩) عماد والجبال^(١٠) أوتادا والأرض للعباد مهادا وملائكته على أرجائها وحمله عرشه على أمطائها وأقام بعزته أركان العرش وأشرك بضوته شعاع الشمس وأطفا^(١١) بشعائه^(١٢) ظلمة الغطش^(١٣) وفجر الأرض عيونا والقمر نورا والنجوم بهورا^(١٤).

(١) في المصدر: «آخرين».

(٢) التفسير الكبير ج ٣٠ ص ١٠٩ بتفسير يسير باللفظ.

(٤) معاني الأخبار ص ٣٣٣ باب (معنى تحية المسجد) حديث ١، والدر المنثور ج ١ ص ٣٢٨، وتفسير العياشي ج ١ ص ١٣٧ حديث ٤٥٥.

والخصال ج ٢ ص ٥٢٤ باب العشرين وما فوقه حديث ١٣. (٥) في العلل: «لم سميت».

(٦) في العلل والفقيه: «البيت».

(٧) الفقيه ج ٢ ص ١٢٤ باب ٦١ حديث ٥٤٠، ولم نثر عليه في مجالس الصدوق، والعلل ج ٣٩٨ باب ١٢٨ (العلقة التي من أجلها سميت الكعبة كعبة) حديث ٢.

(٨) لم نثر على هذه التعليقات على الفقيه.

(٩) في الفقيه: «والجبال للأرض».

(١٠) في الفقيه: «بشعائه».

(١١) في الفقيه: «وأخي».

(١٢) في المجتهد: «الغطش».

(١٣) في الفقيه ج ١ ص ٣٣٥ باب صلاة الاستسقاء حديث ١٥٠٤.

٤- الإقبال: عن التلعكبري بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام في دعاء يوم عرفة وأسألك بكل اسم هو لك وكل مسألة حتى ينتهي إلى اسمك الأعظم الأعظم الأكبر العلي الأعلى الذي استوتبت به على عرشك واستقلت به على كرسيك. (١)

٥- العقائد للصدوق: اعتقادنا في العرش أنه جملة جميع الخلق والعرش في وجه آخر هو العلم وسئل الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى» (٢) فقال استوى من كل شيء فليس شيء أقرب منه (٣) من شيء وأما العرش الذي هو جملة جميع الخلق فحملته ثمانية من الملائكة لكل واحد ثمان (٤) أعين كل عين طباق الدنيا واحد منهم على صورة بني آدم (٥) يسترزق الله تعالى لبني آدم واحد منهم على صورة الثور يسترزق الله تعالى للبهائم كلها واحد منهم على صورة الأسد يسترزق الله تعالى للنباتات واحد منهم على صورة الديك (٦) يسترزق الله تعالى للطيور فهم اليوم هؤلاء الأربعة فإذا كان يوم القيامة صاروا ثمانية وأما العرش الذي هو العلم فحملته أربعة من الأولين وأربعة من الآخرين فأما الأربعة من الأولين فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وأما الأربعة من الآخرين فمحمد وعلي والحسن والحسين عليهم السلام هكذا روي بالأسانيد الصحيحة عن الأئمة عليهم السلام في العرش وحملته وإنما صار هؤلاء حملة العرش الذي هو العلم لأن الأنبياء الذين كانوا قبل نبينا محمد عليه السلام على شرائع الأربع من الأولين (٧) نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ومن قبل هؤلاء الأربعة (٨) صارت العلوم إليهم وكذلك صار العلم بعد محمد عليه السلام وعلي والحسن والحسين إلى من بعد الحسين من الأئمة عليهم السلام. (٩)

أقول: قال الشيخ المفيد ره العرش في اللغة هو الملك قال:

إذا ما بنو مروان ثلث (١٠) عروشهم
يريد إذا ما بنو مروان هلك ملكهم وبادوا.

وقال آخر:

أظننت عرشك لا يزول ولا يغير.

يعني أظننت ملكك لا يزول ولا يغير وقال الله تعالى مخبرا عن واصف ملك ملكة سبأ «وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ» (١٢) يريد ولها ملك عظيم فعرش الله تعالى هو ملكه واستواؤه على العرش هو استيلاؤه على الملك والعرب تصف الاستيلاء بالاستواء قال:

قد استوى بشر على العراق
من غير سيف ودم مهبraq

يريد به قد استولى على العراق فأما العرش الذي تحمله الملائكة فهو بعض الملك وهو عرش خلقه الله تعالى في السماء السابعة وتعبد الملائكة بحمله وتعظيمه كما خلق سبحانه بيتا في الأرض وأمر البشر بقصد زيارته والحج إليه وتعظيمه وقد جاء الحديث أن الله تعالى خلق بيتا تحت العرش سماه البيت المعمور تحجه الملائكة في كل عام وخلق في السماء الرابعة بيتا سماه الضراح وتعبد الملائكة بحجه والتنظيم له والطواف حوله وخلق البيت الحرام في الأرض فجعله تحت الضراح وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال لو ألقى حجر من العرش لوقع على ظهر بيت المعمور ولو ألقى من البيت المعمور ل سقط على ظهر البيت الحرام ولم يخلق الله عرشا لنفسه يستوطنه تعالى الله عن ذلك لكنه خلق عرشا أضافه إلى نفسه تكرمة له وإعظاما وتعبد الملائكة بحمله كما

(١) الإقبال ج ٢ ص ١٢٤ و ١٢٥ باب الثالث في فوائد شهر ذي الحجة، والتذهيب ص ٣ باب ١٥١ ص ٨ صلاة الاستسقاء حديث ٣٢٨ والمجتهد ص ٥٢٧.
(٢) سورة طه، آية: ٥.

(٣) في المصدر: «إليه».

(٤) في المصدر: «منهم ثمانية».

(٥) في المصدر إضافة: «فهو».

(٦) عبارة: «من الأولين» ليست في المصدر.

(٧) الاعتقادات للشيخ الصدوق ضمن مصنفات المفيد ج ٥ ص ٤٥ و ٤٦ باب ٢٤.

(٨) قال الجوهري: «ثل الله عرشهم» أي هدم ملكهم، ويقال للقوم إذا ذهب عزهم، قد ثل عرشهم وقال: أودى فلان أي هلك.

(٩) في المصدر: «حمير».

(١٠) سورة النمل، آية: ٢٣.

خلق بيتا في الأرض ولم يخلقه لنفسه ولا يسكنه تعالى الله عن ذلك لكنه خلقه لخلقه وأضافه إلى نفسه إكراماً له وإعظاماً وتعبد الخلق بزيارته والحب إليه. فأما الوصف للعلم بالعرش فهو في مجاز اللغة دون حقيقتها ولا وجه لتأول قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(١) بمعنى أنه احتوى على العلم وإنما الوجه في ذلك ما تقدمناه والأحاديث التي رويت في صفة الملائكة الحاملين للعرش أحاديث أحاد وروايات أفراد لا يجوز القطع بها ولا العمل عليها والوجه الوقوف عندها والقطع على أن العرش في الأصل هو الملك والعرش المحمول جزء من الملك تعبد الله بحمله الملائكة على ما تقدمناه.^(٢)

٦- العقائد: اعتقادنا في الكرسي أنه وعاء جميع الخلق من العرش والسموات والأرض وكل شيء خلق الله تعالى في الكرسي وفي وجه آخر الكرسي^(٣) هو العلم وقد سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ قال علمه.^(٤)

٧- التوحيد: عن محمد بن إبراهيم بن إسحاق عن أحمد بن محمد بن أبي سعيد عن أحمد بن محمد بن عبد الله الصفدي عن محمد بن يعقوب العسكري وأخيه معاذ عن محمد بن سنان الحنظلي عن عبد الله بن عاصم عن عبد الرحمن بن قيس عن أبي هاشم الرماني عن زاذان عن سلمان الفارسي قال سأل الجاثليق أمير المؤمنين عليه السلام أخبرني عن ربك أيحمل أو يحمل فقال إن ربنا جل جلاله يحمل ولا يحمل قال النصراني كيف ذلك^(٥) ونحن نجد في الإنجيل ﴿و يحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾^(٦) فقال علي عليه السلام إن الملائكة تحمل العرش وليس العرش كما تظن كهيئة السرير ولكنه شيء محدود مخلوق مدبر وربك عز وجل ماله لا أنه عليه ككون الشيء على الشيء وأمر الملائكة بحمله فهم يحملون العرش بما أقدرهم عليه قال النصراني صدقت رحمك الله.^(٧)

٨- الكافي: عن عدة من أصحابه عن أحمد بن محمد البرقي رفعه قال سأل الجاثليق أمير المؤمنين عليه السلام فقال له أخبرني عن الله عز وجل يحمل العرش أو^(٨) العرش يحمله فقال أمير المؤمنين عليه السلام الله عز وجل حامل العرش والسموات والأرض وما فيهما وما بينهما ذلك قول الله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحْسِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زُلَّتَا إِنَّهُنَّ لَأَمْسَكُهُمَا مِنْ يَدَيْهِ إِنَّهُ كَانَ خَلِيفاً غَفُوراً﴾^(٩) قال فأخبرني عن قوله ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةَ﴾^(١٠) فكيف ذلك قلت إنه يحمل العرش والسموات والأرض فقال أمير المؤمنين عليه السلام إن العرش خلقه الله تبارك وتعالى من أنوار أربعة نور أحمر منه احمرت الحمرة ونور أخضر منه اخضرت الخضرة ونور أصفر منه اصفرت الصفرة ونور أبيض منه أبيض البياض وهو العلم الذي حمله الله الحملة وذلك نور من نور عظمتة فبعظمتة ونوره أبصر قلوب المؤمنين وبعظمتة ونوره عاداه الجاهلون وبعظمتة ونوره ابتغى من في السموات والأرض من جميع خلائقه إليه الوسيلة بالأعمال المختلفة والأديان المشبهة فكل شيء^(١١) محمول يحمله الله بنوره وعظمتة وقدرته لا يستطيع لنفسه ضرا ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً فكل شيء محمول والله تبارك وتعالى المسك لهما أن تزولا والمحيط بهما من شيء وهو حياة كل شيء ونور كل شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ عُلُوًّا كَبِيراً.

قال له فأخبرني عن الله عز وجل أين هو فقال أمير المؤمنين عليه السلام هو هاهنا وهاهنا وفوق وتحت ومحيط بنا ومعنا وهو قوله ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَافِعُهُمْ وَلَا خَفِيَّةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾^(١٢) فالكرسي محيط بالسموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى وإن تجهر بالقول فإنه

(٢) تصحيح الاعتقاد ضمن مصنفات ج ٥ ص ٧٧ و ٧٨.

(١) سورة طه، آية: ٥.

(٣) كلمة: «الكرسي» ليست في المصدر.

(٤) الاعتقادات للصدوق ضمن المجلد الخامس من مصنفات المفيد ص ٤٤ باب ١٣.

(٥) سورة الحاقة، آية: ١٧.

(٦) في المصدر: «أم».

(٧) التوحيد ص ٣١٦ باب ٤٨ حديث ٣.

(٨) سورة فاطر، آية: ٤١.

(٩) سورة الحاقة، آية: ١٧.

(١٠) سورة المجادلة، آية: ٧.

(١١) كلمة: «شيء» ليست في المصدر.

يَعْلَمُ السُّورَ وَأَخْفَى وَ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (١) فَالَّذِينَ يَخِيلُونَ الْعَرْشَ هُمَ الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ حَمَلَهُمُ اللَّهُ عِلْمَهُ وَ لَيْسَ يَخْرُجُ مِنْ (٢) هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ شَيْءٌ خَلَقَ اللَّهُ فِيهِ مَلَكُوتَهُ وَ هُوَ الْمَلَكُوتُ (٣) الَّذِي أَرَاهُ اللَّهُ أَصْفِيَاءَهُ وَ أَرَاهُ خَلِيلَهُ ﷺ فَقَالَ ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ لَيَكُونَنَّ مِنَ الْمُوقِّينَ﴾ (٤) وَ كَيْفَ يَحْمِلُ حَمْلَةَ الْعَرْشِ اللَّهُ وَ بِحَيَاتِهِ حَيَّتْ قُلُوبُهُمْ وَ بِنُورِهِ اهْتَدَوْا إِلَى مَعْرِفَتِهِ. (٥)

توضيح: الجائلي يفتح الشاء رئيس للنصارى في بلاد الإسلام بمدينة السلام ذكره الفيروز آبادي (٦) «أَنْ تَزُولَا» أي يمسكهما كراهة أن تزولا بالعدم و البطان أو يمنعهما و يحفظهما أن تزولا فإن الإمساك متضمن لل منع و الحفظ و فيه دلالة على أن الباقي يحتاج في بقاءه إلى المؤثر «إِنْ أَمْسَكْتَهُمَا» أي ما أمسكهما مِنْ أَحَدٍ «مِنْ بَعْدِهِ» أي من بعد الله أو من بعد الزوال و «مَنْ» الأولى زائدة للمبالغة في الاستغراق و الثانية للابتداء فأخبرني عن قوله لعله توهم المنافاة من جهتين: الأولى أن حملة العرش ثمانية و قلت هو سبحانه حامله و الثانية أن السماينة إذا حملوا عرشه فقد حملوه أيضا لأنه على العرش و قلت إنه حامل جميع ما سواه خلقه الله من أنوار أربعة.

أقول: قد تحيرت الأفهام في معنى تلك الأنوار التي هي من غوامض الأسرار فمنهم من قال هي الجواهر القدسية العقلية التي هي وسائط جوده تعالى و ألوانها كناية عن اختلاف أنواعها الذي هو سبب اختلاف الأنواع الرباعية في هذا العالم الحسي كالعناصر و الأخلاط و أجناس الحيوانات أغنى الإنسان و البهائم و السباع و الطيور و مراتب الإنسان أغنى الطبع و النفس الحساسة و النفس المتخيلة و العقل و أجناس المولدات كالمعدن و النبات و الحيوان و الإنسان و قيل إنه تمثيل لبيان تفاوت تلك الأنوار بحسب القرب و البعد من نور الأنوار فالنور الأبيض هو الأقرب و الأخضر هو الأبعد فكأنه ممتزج بضرب من الظلمة و الأحمر هو المتوسط بينهما ثم ما بين كل اثنين ألوان أخرى كألوان الصبح و الشفق المختلفة في الألوان لقرنها و بعدها من نور الشمس و قيل المراد بها صفاته تعالى فالأخضر قدرته على إيجاد الممكنات و إفاضة الأرواح التي هي عيون الحياة و منابع الخضرة و الأحمر غضبه و قهره على الجميع بالإعدام و التعذيب و الأبيض رحمته و لطفه على عباده قال تعالى «وَأَمَّا الَّذِينَ ابْتِئَتْ وَجُوهُهُمْ فَيُفِي رَحْمَتِ اللَّهِ» (٨)

و أحسن ما سمعته في هذا المقام ما استفدته من و الذي العلامة رفع الله في الجنان مقامه و ملخصه أن لكل شيء شيئا شبيها و مثالا في عالم الرؤيا و العوالم التي تطلع عليها الأرواح سوى عالم الحس و تظهر تلك الصور و المثل على النفوس مختلفة بحسب اختلاف مراتبها في الكمال فبعض النفوس تظهر لها صورة أقرب إلى ذي الصورة و بعضها أبعد و شأن المعبر الكامل أن ينتقل من تلك الصور إلى ما هي صور لها بحسب أحوال ذلك الشخص و لذا لا يطلع عليها كما ينبغي إلا الأنبياء و الأولياء ﷺ المطلعون على مراتب استعدادات الأشخاص و اختلافهم في النقص و الكمال فالنور الأصفر كناية عن العبادة و صورة لها كما هو المجرب في الرؤية أنه إذا رأى العارف في المنام صفة يوفق بعده لعبادة كما هو المشاهد في وجوه المتجهدين و قد ورد في الخبر أنه ألبسهم الله من نوره لما خلوا به و النور الأبيض العلم كما جرب أن من رأى في المنام لبنا أو ماء صافيا يفاض عليه علم خالص عن الشكوك و الشبهات و النور الأحمر المحبة كما هو المشاهد في وجوه المحبين عند طغيانها و جرب أيضا في الرؤيا و النور الأخضر المعرفة و هو العلم المتعلق بذاته و صفاته سبحانه

(١) سورة البقرة، آية: ٢٥٥.
(٢) عبارة: «وهو الملكوت» ليست في المصدر.
(٣) الكافي ج ١ ص ١٢٩ - ١٣٠ باب العرش و الكرسي حديث ١.
(٤) القاموس المحيط ج ٣ ص ٢٢٤.
(٥) سورة آل عمران، آية: ١٠٧.
(٦) في المصدر: «عن».
(٧) سورة الفاطر، آية: ٤١.
(٨) سورة الأنعام، آية: ٧٥.

كما هو مجرب في الرؤيا. ويؤمن إليه ما روي عن الرضا عليه السلام أنه سئل عما يروى أن محمدا عليه السلام رأى ربه في صورة الشاب الموفق في صورة أبناء ثلاثين سنة رجلاه في خضرة فقال عليه السلام إن رسول الله عليه السلام حين نظر إلى عظمة ربه كان في هيئة الشاب الموفق و سن أبناء ثلاثين سنة فقال الراوي جعلت فداك من كانت رجلاه في خضرة قال ذلك محمد عليه السلام كان إذا نظر إلى ربه بقلبه جعله في نور مثل نور الحجب حتى يستبين له ما في الحجب إن نور الله منه أخضر ومنه أحمر ومنه أبيض ومنه غير ذلك. ^(١) تمام الخير لأنه عليه السلام كان حينئذ في مقام كمال العرفان وخائضا في بحار معرفة الرحيم المنان وكانت رجلاه في الثور الأخضر وقائما في مقام من المعرفة لا يطبقها أحد من الملائكة والبشر وإنما عبروا بهذه العبارات والكنايات لقصور أفهامنا عن إدراك صرف الحق كما تعرض على النفوس الناقصة في المنام هذه الصور ونحن في منام طويل من الغفلة عن المعارف الربانية والناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا والأحوط في أمثال هذه الأخبار الإيمان بها مجملا ورد علمها إليهم عليه السلام.

ثم أعلم أنه على الوجه الأخير الضمير في قوله وهو العلم راجع إلى النور الأبيض وعلى سائر الوجوه راجع إلى العرش أي وقد يطلق العرش على العلم أيضا أو العرش المركب من الأنوار الأربعة هو العلم. أبصر قلوب المؤمنين أي ما أبصروا و علموا.

عاداه الجاهلون لأن الجهل مساوق الظلمة التي هي ضد النور والمعاداة إنما تكون بين الضدين كذا قيل والأظهر أن المراد به أن غاية ظهوره صارت سببا لخفائه كما قيل يا خفيا من فرط الظهور فإنه لو لم يكن للشمس غروب وأقول كان يشبهه على الناس أن ضوء النهار منها ولما كان شمس عالم الوجود في نهاية الاستواء والكمال أبدا و فيضه جار على المواد القابلة دائما يتوهم الملحد الجاهل أنها بأنفسها موجودة غنية عن العلة أو منسوبة إلى الدهر أو الطبيعة.

ابتغى أي طلب ولعل المعنى أن نوره سبحانه لما طلع على عالم الوجود و آثاره سبحانه ظهر في كل موجود طلبه جميع الخلق لكن بعضهم أخطأوا طريق الطلب وتعيين المطلوب فصاروا حيارى ففهم من يعبد الصنم لتوهمه أن مطلوبه هناك ومنهم من يعتقد الدهر أو الطبيعة لزعمه أن أحدهما إلهه ومديره فكل منهم يعلمون اضطرابهم إلى خالق و رازق و حافظ و مدير و يطلوبونه و يبتغون إليه الوسيلة لكنهم لضلالهم وعماهم خاطئون وعن الحق معرضون وهذا المعنى الذي خطر بالبال من غوامض الأسرار وله شواهد من الأخبار وإنما أومأنا إليه على الإجمال إذ بسط المقال فيه يؤدي إلى إبداء ما تأبى عنه الأذهان السقيمة لكن تستعذبه العقول المستقيمة.

الممسك لهما أي للسموات والأرض والمحيط بالجبر عطفًا على ضمير لهما ومن بيان له أي المسك للشئ المحيط بهما أو متعلق بقوله «أن تزولا» وقوله «من شيء» للتعميم ويجوز رفعه بالعطف على المسك ومن بيان لضمير بهما لقصد زيادة التعميم أو بيان لمحذوف يعني المحيط بهما مع ما حوته من شيء وهو حياة كل شيء أي من الحيوانات أو الحياة بمعنى الوجود والبقاء مجازًا ونور كل شيء أي سبب وجوده وظهوره فالكرسي يمكن أن يكون المراد تفسير الكرسي أيضا بالعلم «ولا يؤده» ^(٢) أي لا يتقل عليه هم العلماء إذا كان المراد بالعرش عرش العلم كان المراد بالأنوار الأربعة صنوف العلم وأنواعه ولا يخرج عن تلك الأنواع أحد وإذا كان المراد بالأنوار نور العلم والمجبة والمعرفة والعبادة كما مر فهو أيضا صحيح إذ لا يخرج شيء منها أيضا إذا من شيء إلا وله عبادة ومحبة ومعرفة وهو يسبح بحمده.

وقال الوالد ره الظاهر أن المراد بالأربعة العرش والكرسي والسموات والأرض ويحتمل أن يكون المراد بها الأنوار الأربعة التي هي عبارة عن العرش لأنه محيط على ما هو المشهور.

٩-الكافي: عن أحمد بن إدريس عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان بن يحيى قال سألتني أبو قرّة المحدث أن أدخله على أبي الحسن الرضا عليه السلام فاستأذنته فأذن لي فدخل فسأله عن الحلال والحرام ثم قال له أفتر أن الله محمول فقال أبو الحسن عليه السلام كل محمول مفعول به مضاف إلى غيره محتاج والمحمول اسم نقص في اللفظ والحامل فاعل وهو في اللفظ مدحة وكذلك قول القائل فوق وتحت وأعلى وأسفل وقد قال الله ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾^(١) ولم يقل في كتبه أنه المحمول بل قال إنه الحامل في البر والبحر والممسك السماوات والأرض أن تزولا والمحمول ما سوى الله ولم يسمع أحد آمن بالله وعظمته قط قال في دعائه يا محمول قال أبو قرّة فإنه قال ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾^(٢) وقال ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾^(٣) قال أبو الحسن عليه السلام العرش ليس هو الله والعرش اسم علم وقدرة وعرش فيه كل شيء ثم أضاف الحمل إلى غيره خلق من خلقه لأنه استعبد خلقه بحمل عرشه وهم حملة علمه وخلقاً يسبحون حول عرشه وهم يعملون بعلمه وملائكة يكتبون أعمال عباده واستعبد أهل الأرض بالطواف حول بيته والله على العرش استوى كما قال والعرش ومن يحمله ومن حول العرش والله الحامل لهم الحافظ لهم الممسك القائم على كل نفس وفوق كل شيء وعلى كل شيء ولا يقال محمول ولا أسفل قولاً مفرداً لا يوصل بشيء فيفسد اللفظ والمعنى قال أبو قرّة فتكذب بالرواية التي جاءت أن الله تعالى إذا غضب إنما يعرف غضبه أن الملائكة الذين يحملون العرش يجدون ثقله على كواهلهم فيخرون سجداً فإذا ذهب الغضب خف ورجعوا إلى مواقفهم فقال أبو الحسن عليه السلام أخبرني عن الله تبارك وتعالى منذ لعن إبليس إلى يومك هذا هو غضبان عليه فمتى رضي وهو في صفتك لم يزل غضبان عليه وعلى أوليائه وعلى أتباعه كيف تجترئ أن تصف ربك بالتغير من حال إلى حال وأنه يجري عليه ما يجري على المخلوقين سبحانه وتعالى لم يزل مع الزائلين ولم يستغفر مع المتغيرين ولم يتبدل مع المتبدلين ومن دونه في يده وتديره وكلهم إليه محتاج وهو غني عن سواه.^(٤)

بيان: والمحمول اسم نقص أي كل اسم مفعول دل على تأثر وتغير من غيره وفاقة إليه فهو اسم نقص كالمحفوظ والمربوب والمحمول وأمثالها لا كل ما هو على هذه الصيغة إذ يجوز إطلاق الموجود والمعبود والمحمود وأمثالها عليه تعالى وكذلك قول القائل فوق وتحت يعني أن مثل ذينك اللفظين في كون أحدهما اسم مدح والآخر اسم نقص قول القائل فوق وتحت فإن فوق اسم مدح وتحت اسم نقص وكذلك أعلى اسم مدح وأسفل اسم نقص وقوله ﴿خَلَقَ بِالْجَرِّ بِدَلْ غَيْرِهِ﴾ وأشار بذلك إلى أن الحامل لما كان من خلقه فيرجع الحمل إليه تعالى وهم حملة علمه أي وقد يطلق حملة العرش على حملة العلم أيضاً أو حملة العرش في القيامة هم حملة العلم في الدنيا وقوله ﴿خَلَقَ خَلْقًا وَمَلَائِكَةً مَعْقُوفَانِ عَلَى خَلْقِهِ﴾ أي استعبد خلقاً وملائكة والحاصل أنه تعالى لا يحتاج في حمل العرش إلى غيره بل استعبد أصناف خلقه بأنواع الطاعات وحملة العرش عبادتهم حمل العرش من غير حاجة إليهم وهم يعملون بعلمه أي بما أعطاهم من العلم ويحتمل أن يكون هذا مبنياً على كون العرش بمعنى العلم فحملة العرش الأنبياء والأوصياء ومن حول العرش الذين يأخذون العلم عنهم ويعلمون بالعلم الذي حملة الحملة فهم مطيعون بهذا العرش ومقتبسون من أنواره كما قال أي استواؤه سبحانه على العرش على النحو الذي قال وأراد من الاستواء النسبة أو الاستيلاء كما مر لا كما تزعمه المشبهة وقوله والعرش وما عطف عليه مبتدأ خبره محذوف أي محمول كلهم أو سواء في نسبتهم إليه سبحانه.

قولا مفرداً لا يوصل بشيء أي لا يقرن بقرينة صارفة عن ظاهره أو ينسب إلى شيء آخر على طريقة الوصف بحال المتعلق بأن يقال عرشه محمول أو أرضه تحت كذا أو جحيمة أسفل ونحو ذلك وإلا فيفسد اللفظ لعدم الإذن الشرعي وأسماؤه توقيفية وأيضاً هذا اسم نقص كما مر والمعنى لأنه يوجب نقصه وعجزه تعالى عن ذلك علواً كبيراً وهو في صفتك أي في صفك إياه أنه لم يزل غضباناً على الشيطان وعلى أوليائه والحاصل أنه لما فهم من كلامه أن الملائكة الحاملين للعرش

(٢) سورة الحاقة، آية: ١٧.

(١) سورة الأعراف، آية: ١٨٠.

(٣) سورة غافر، آية: ٧.

(٤) الكافي ج ١ ص ١٣٠ - ١٣٢ باب العرش والكرسي حديث ٢.

قد يكونون قانمين و قد يكونون ساجدين بطريان الغضب و ضده و حمل الحديث على ظاهره نبيه ﷺ على خطائه إلزاما عليه بقدر فهمه بأنه لا يصح ما ذكرت إذ من غضبه تعالى ما علم أنه لم يزل كغضبه على إبليس فيلزم أن يكون حملة العرش منذ غضب على إبليس إلى الآن سجدا غير واقفين إلى موافقهم فعلم أن ما ذكرته و فهمته خطأ و الحديث على تقدير صحته محمول على أن المراد بغضبه سبحانه إزال العذاب و بوجدان الحملة ثقل العرش اطلاعهم عليه بظهور مقدماته و أسبابه و بسجودهم خضوعهم و خشوعهم له سبحانه خشية و خوفا من عذابه فإذا انتهى نزول العذاب و ظهرت مقدمات رحمة اطمأنوا و رغبوا في طلب رحمته ثم بعد إلزامه ﷺ بذلك شرع في الاستدلال على تنزيهه سبحانه مما فهمه فقال كيف تجترئ أن تصف ربك بالتغير من حال إلى حال و هو من صفات المخلوقات و الممكنات لم يزل بضم الزاي من زال يزول و ليس من الأفعال الناقصة و وجه الاستدلال بما ذكره ﷺ قد مر مفصلا في كتاب التوحيد.

١٠- الدر المنثور: عن أبي ذر قال سئل النبي ﷺ عن الكرسي فقال يا أبا ذر ما السماوات السبع و الأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة و إن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة. (١)

١٧
٥٨

١١- عن ابن عباس و ابن مسعود قالا السماوات و الأرض في جوف الكرسي و الكرسي بين يدي العرش. (٢)
١٢- و عن ابن عباس قال إنما سمي العرش عرشا لارتفاعه. (٣)

١٣- و عن وهب قال إن الله تعالى خلق العرش و الكرسي من نوره و العرش ملتحق بالكرسي و الملائكة في جوف الكرسي و حول العرش أربعة أنهار نهر من نور يتلألأ و نهر من نار تلتظي و نهر من ثلج أبيض تلتحم منه الأبصار و نهر من ماء و الملائكة قيام في تلك الأنهار يسبحون الله و للعرش ألسنة بعدد ألسنة الخلق كلهم فهو يسبح الله و يذكره بتلك الألسنة. (٤)

١٤- و عن الشعبي قال قال رسول الله ﷺ العرش من ياقوتة حمراء و إن ملكا من الملائكة نظر إليه و إلى عظمته (٥) فأوحى الله إليه أني قد جعلت فيك قوة سبعين ألف ملك لكل ملك سبعون ألف ألف (٦) جناح فطر فطار الملك بما فيه من القوة و الأجنحة ما شاء الله أن يطير فوقف ففكره لم يرم. (٧)

١٨
٥٨

١٥- و عن حماد قال خلق الله العرش من زمردة خضراء و خلق له أربع قوائم من ياقوتة حمراء و خلق له ألف لسان و خلق في الأرض ألف أمة كل أمة تسبح الله بلسان من ألسن العرش. (٨)

١٦- و عن ابن عباس قال ما يقدر قد العرش إلا الذي خلقه و إن السماوات في خلق الرحمن (٩) مثل قبة في صحراء. (١٠)

١٧- و عن مجاهد قال ما أخذت السماوات و الأرض من العرش إلا كما تأخذ الحلقة من أرض الفلاة. (١١)

١٨- و عن كعب قال إن السماوات في العرش كالقنديل معلق بين السماء و الأرض. (١٢)

١٩- و عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد أقيمت بين ظهري فلاة من الأرض. (١٣)

٢٠- و عن وهب قال خلق الله العرش و للعرش سبعون ألف ساق كل ساق كاستدارة السماء و الأرض. (١٤)

٢١- و عن جابر أن النبي ﷺ قال أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام. (١٥)

(٢) الدر المنثور ج ١ ص ٣٢٨.

(٤) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٩٧.

(٦) كلمة: «ألف» ليست في المصدر.

(٨) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٩٧.

(١٠) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٩٧.

(١٢) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٩٧.

(١٤) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٩٨.

(١) الدر المنثور ج ١ ص ٣٢٨.

(٣) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٩٧.

(٥) في المصدر: «عظمه».

(٧) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٩٧.

(٩) في المصدر: «في خلق العرش».

(١١) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٩٧.

(١٣) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٩٨.

(١٥) الدر المنثور ج ٥ ص ٣٤٦. وفيه «سبعمائة سنة».

٢٢- وعن حسان^(١) بن عطية قال حملة العرش ثمانية أقدامهم مثبتة^(٢) في الأرض السابعة و رؤسهم قدجاوزت السماء السابعة وقرونهم مثل طولهم عليها العرش.^(٣)

٢٣- وعن زاذان قال حملة العرش أرجلهم في التخوم لا يستطيعون أن يرفعوا أبصارهم من شعاع النور.^(٤)

٢٤- وعن هارون بن رثاب^(٥) قال حملة العرش ثمانية يتجاوبون بصوت رخم يقول أربعة منهم سبكانك بحمدك على حلمك بعد علمك وأربعة منهم يقولون سبكانك وبحمدك على عفوك بعد قدرتك.^(٦)

٢٥- وعن وهب قال حملة العرش الذين يحملونه لكل ملك منهم أربعة وجوه وأربعة أجنحة جناحان على وجهه من أن^(٧) ينظر إلى العرش فيصق وجناحان يطير بهما أقدامهم في الثرى والعرش على أكتافهم لكل واحد منهم وجه ثور ووجه أسد ووجه إنسان ووجه نسر وليس لهم كلام إلا أن يقولوا قدوس الله القوي ملأت عظمته السماوات والأرض.^(٨)

٢٦- وعن وهب قال حملة العرش اليوم^(٩) أربعة فإذا كان يوم القيامة أيدوا بأربعة آخرين ملك منهم في صورة إنسان يشفع لبي آدم في أرزاقهم وملك^(١٠) في صورة نسر يشفع للطير في أرزاقهم وملك^(١١) في صورة ثور يشفع للبهائم في أرزاقها وملك في صورة أسد يشفع للسباع في أرزاقها فلما حملوا العرش وقعوا على ركبهم من عظمة الله فلقنوا لا حول ولا قوة إلا بالله فاستوتوا قياما على أرجلهم.^(١٢)

٢٧- وعن ميسرة قال لا تستطيع الملائكة الذين يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى مَا فَوْقَهُمْ مِنْ شِعَاعِ النَّورِ.^(١٣)

٢٨- وعن ابن عباس قال حملة العرش ما بين كعب^(١٤) أحدهم إلى أسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام وذكر أن خطوة ملك الموت^(١٥) ما بين المشرق والمغرب.^(١٦)

٢٩- وعن ميسرة قال حملة العرش أرجلهم في الأرض السفلى و رؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم أشد خوفا من أهل السماء السابعة وأهل السماء السابعة أشد خوفا من أهل السماء التي تليها والتي تليها^(١٧) أشد خوفا من التي تليها^(١٨)

٣٠- وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه فقال ما جمعكم فقالوا اجتمعنا نذكر ربنا ونفكر في عظمتهم فقال لن تدركوا التفكير في عظمتهم ألا أخبركم ببعض عظمة ربكم قيل بلى يا رسول الله قال إن ملكا من حملة العرش يقال له إسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله قدماء^(١٩) في الأرض السابعة السفلى ورأسه^(٢٠) في السماء السابعة العليا في مثله من خليفة ربكم تبارك وتعالى.^(٢١)

٣١- وعن ابن عباس في قوله «وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ»^(٢٢) قال يقال ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله ويقال ثمانية أملاك رؤسهم تحت العرش في السماء السابعة وأقدامهم في الأرض السفلى ولهم قرون كقرون الوعلة ما بين أصل قرن أحدهم إلى منتهاه^(٢٣) خمسمائة عام.^(٢٤)

٣٢- وعن الربيع قال ثمانية من الملائكة.^(٢٥)

(٢) في المصدر: «مقبة».

(٤) الدر المنثور ج ٥ ص ٣٤٦.

(١) في المصدر: «حبان».

(٣) الدر المنثور ج ٥ ص ٣٤٦.

(٥) في المصدر: «رباب».

(٦) الدر المنثور ج ٥ ص ٣٤٦، وقد ذكر التسيحان في المصدر بالتقديم والتأخير.

(٨) الدر المنثور ج ٥ ص ٣٤٦.

(٧) في المصدر: «على وجهه ينظر».

(١٠) في المصدر: «وملك منهم».

(٩) كلمة: «اليوم» ليست في المصدر.

(١٢) الدر المنثور ج ٥ ص ٣٤٧.

(١١) في المصدر: «وملك منهم».

(١٤) في المصدر: «تلك الملك» بدل «ملك الموت».

(١٣) في المصدر: «منكب».

(١٦) في المصدر: «و أهل السماء التي تليها».

(١٥) الدر المنثور ج ٥ ص ٣٤٧.

(١٨) في المصدر: «قد مرت قدماء» و مرق أي نفذ و خرج.

(١٧) الدر المنثور ج ٥ ص ٣٤٧.

(٢٠) الدر المنثور ج ٥ ص ٣٤٧.

(١٩) في المصدر: «و مرق رأسه».

(٢٢) في المصدر: «عند».

(٢١) سورة الحاقة، آية: ١٧.

(٢٤) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٦١.

(٢٣) في المصدر: «مسيرة خمسمائة عام».

(٢٥) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٦١.

٣٣- وعن ابن زيد قال لم يسم من حملة العرش إلا إسرأفيل و ميكائيل ليس من حملة العرش.^(١)

٣٤- وعن كعب قال لبنان أحد الثمانية تحمل العرش يوم القيامة.^(٢)

وعن مسيرة قال ثمانية أرجلهم في التخوم وروءوسهم عند العرش لا يستطيعون أن يرفعوا أبصارهم من شعاع النور.^(٣)
٣٥- المهبج: [مهبج الدعوات] في دعاء مروى عن موسى بن جعفر^(٤) يا من خافت الملائكة من نوره المتوقد حول كرسيه وعرشه صافون مسبحون طائفون خاضعون مذعنون الدعاء.^(٥)

٣٦- الإحتجاج: عن هشام بن الحكم قال سأل الزنديق أبا عبد الله^(٦) عن الكرسي أهو أعظم أم العرش فقال^(٧) كل شيء خلق الله في جوف الكرسي خلا^(٨) عرشه فإنه أعظم من أن يحيط به الكرسي.^(٩)

٣٧- تفسير علي بن إبراهيم: عن أبيه عن إسحاق بن الهيثم عن سعد بن طريف عن الأصمعي بن نباتة أن علياً^(١٠) سئل عن قول الله تبارك وتعالى ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾^(١١) قال السماوات والأرض وما فيهما من مخلوق في جوف الكرسي وله أربعة أملاك يحملونه بإذن الله فأما ملك منهم في^(١٢) صورة آدميين وهي أكرم الصور على الله وهو يدعو الله ويتضرع إليه ويطلب الشفاعة والرزق لبني آدم والملك الثاني في صورة الثور وهو^(١٣) سيد البهائم وهو يطلب إلى الله ويتضرع إليه ويطلب الشفاعة والرزق للبهائم^(١٤) والملك الثالث في صورة النسر وهو سيد الطير وهو يطلب إلى الله ويتضرع إليه ويطلب الشفاعة والرزق لجميع الطير والملك الرابع في صورة الأسد وهو سيد السباع وهو يرغب إلى الله ويتضرع إليه ويطلب الشفاعة والرزق لجميع السباع ولم يكن في هذه الصور أحسن من الثور ولا أشد انتصاباً منه حتى اتخذ الملائكة بني إسرائيل العجل^(١٥) فلما عكفوا عليه وعبدوه من دون الله خضض الملك الذي في صورة الثور رأسه استحياء من الله أن عيد من دون الله شيء يشبهه وتخوف أن ينزل به العذاب ثم قال^(١٦) إن الشجر لم يزل حصيداً كله حتى دعي للرحمن ولد عز^(١٧) الرحمن وجل أن يكون له ولد فكادت السماوات ينقطن منه وتتشقق الأرض وتخر الجبال هدأ فعند ذلك اقشعر الشجر وصار له شوك حذاراً أن ينزل به العذاب فما بال قوم غيروا سنة رسول الله^(١٨) وعدلوا عن وصيه^(١٩) لا يخافون أن ينزل بهم العذاب ثم تلا هذه الآية ﴿الَّذِينَ يَدُلُّوْنَ بَغْمَتِ اللَّهِ تُكْفَرُوا وَأَخْلَوْا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُؤَارِ جَهَنَّمَ تَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾^(٢٠)
ثم قال نحن والله نعمة الله التي أنعم الله بها على عباده بنا^(٢١) فاز من فاز.^(٢٢)

بيان: قد تحمل هؤلاء الحملة على أبواب الأنواع التي قال بها أفلاطون وأضرابه وما يظهر من صاحب الشريعة لا يناسب ما ذهبوا إليه بوجه كما لا يخفى على العارف بمصطلحات الفريقين.

٣٨- تفسير علي بن إبراهيم: عن أبيه عن النضر عن موسى بن بكر عن زرارة عن أبي عبد الله^(١) في قوله ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾^(٢) قال سألت أبا عبد الله^(٣) عن قول الله تعالى ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾^(٤) وسعن الكرسي أم الكرسي وسع السماوات والأرض قال بل الكرسي وسع السماوات والأرض والعرش وكل شيء خلق الله في الكرسي.^(٥)

بيان: لعل سؤال زرارة لاستعلام أن في قرآن أهل البيت ﴿كُرْسِيُّهُ﴾ منصوب أو مرفوع وإلا فعلى تقدير العلم بالرفع لا يحسن هذا السؤال لا سيما من مثل زرارة ويروى عن الشيخ البهائي ره أنه قال سألت عن ذلك والذي أجاب ره بأن بناء السؤال على قراءة وسع بضم الواو وسكون السين مصدراً مضافاً وعلى هذا يتجه السؤال وإني تصفحت كتب التجويد فما ظفرت على هذه القراءة

(١) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٦١.

(٢) مهبج الدعوات ص ٢٣٩.

(٣) الإحتجاج ج ٢ ص ٢٤٩ رقم ٢٢٣.

(٤) في المصدر: «الملك الأول في» بدل «ملك منهم في».

(٥) في المخطوطة والمصدر: «جميع البهائم».

(٦) في المصدر: «أعز».

(٧) سورة إبراهيم، آية: ٢٨ و ٢٩.

(٨) تفسير علي بن إبراهيم القمي ج ٢ ص ٨٥ و ٨٦.

(٩) تفسير علي بن إبراهيم القمي ج ١ ص ٨٥ باختلاف يسير.

(١٠) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٦١.

(١١) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٦١.

(١٢) في المصدر: «ما خلا عرشه».

(١٣) سورة البقرة، آية: ٢٥٥.

(١٤) من المصدر.

(١٥) في المصدر إضافة: «إلهياً».

(١٦) في المصدر: «وصيته» في حق علي والأئمة^(عليه السلام).

(١٧) في المصدر: «وينا».

(١٨) سورة البقرة، آية: ٢٥٥.

إلا هذه الأيام رأيت كتابا في هذا العلم مكتوبا بالخط الكوفي وكانت هذه القراءة فيه وكانت النسخة بخط مصنفه وقوله والعرش لعله منصوب بالعطف على الأرض أو مرفوع بالابتدائية فالمراد بالكرسي العلم أو بالعرش فيما ورد أنه محيط بالكرسي العلم وقيل العرش معطوف على الكرسي أي والعرش أيضا وسع السماوات والأرض فالمعنى أن الكرسي والعرش كلا منهما وسع السماوات والأرض فالمراد بكل شيء خلق الله كل ما خلق فيها.

٣٩- التوحيد: عن أحمد بن محمد بن يحيى العطار عن أبيه عن أحمد بن محمد بن عيسى عن عبد الله بن محمد الحجال عن ثعلبة بن ميمون عن زرارة قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل «وَسِعَ كُرْسِيُّهُ» ^(١) إلى قوله والعرش وكل شيء في الكرسي. ^(٢)

ومنه: عن محمد بن الحسن بن الوليد عن الحسن بن الحسن بن أبان عن الحسين بن سعيد عن فضالة عن ابن بكير عن زرارة مثله. ^(٣)

العياشي: عن زرارة مثله. ^(٤)

٤٠- تفسير علي بن إبراهيم: عن أبيه عن حماد بن عيسى عن إبراهيم بن عمر اليماني عن أبي الطفيل عن أبي جعفر عليه السلام قال جاء رجل إلى أبي علي بن الحسين عليه السلام فقال له إن ابن عباس يزعم أنه يعلم كل آية نزلت في القرآن في أي يوم نزلت وفيمن نزلت فقال أبي عليه السلام سله فيمن نزلت ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأصل سبيلا ^(٥) وفيمن نزلت ولا يتفقهكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم ^(٦) وفيمن نزلت يا أيها الذين آمنوا اضبطوا وصابروا ورابطوا ^(٧) فأثاه الرجل فسأله فقال وددت أن الذي أمرك بهذا واجهني به فأسأله عن العرش مم خلقه الله ^(٨) وكه هو وكيف هو فانصرف الرجل إلى أبي عليه السلام فقال أبي عليه السلام فهل أجابك بالآيات قال لا قال أبي لكن أجيبك فيها بعلم ونور غير المدعى ولا المتحل أما قوله ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأصل سبيلا ففيه نزلت وفي أبيه وأما قوله ولا يتفقهكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم ففي أبيه نزلت وأما الأخرى ففي ابنه ^(٩) نزلت وفيما ولم يكن الرباط الذي أمرنا به وسيكون ذلك من نسلنا الرباط ومن نسله الرباط وأما ما سأله عن العرش مم خلقه الله فإن الله خلقه أرباعا لم يخلق قبله إلا ثلاثة أشياء الهواء والقلم والنور ثم خلقه من ألوان أنوار مختلفة من ^(١٠) ذلك النور نور أخضر منه اخضرت الخضرة ونور أصفر منه اصفرت الصفرة ونور أحمر منه احمرت الحمرة ونور أبيض وهو نور الأنوار ومنه ضوء النهار ثم جعله سبعين ألف طبق غلظ كل طبق كأول العرش إلى أسفل السافلين ليس من ذلك طبق إلا يسبح بحمد ربه ويقده بأصوات مختلفة والسنة غير مشبهة لو أذن للسان واحد فأسمع شيئا مما تحته لهدم الجبال والمدائن والحصون وكشف البحار ولهلك ما دونه له ثمانية أركان يحمل كل ركن منها من الملائكة ما لا يحصي عددهم إلا الله يسبحون بالليل ^(١١) والنهار لا يفترون ولو أحس حس شيء مما فوقه ما قام لذلك طرفة عين بينه وبين الإحساس حجب الجبروت والكبرياء والعظمة والقدس والرحمة والعلم وليس وراء هذا مقال لقد طمع الحائر في غير مطعم أما إن في صلبه وديعة قد ذرئت لنار جهنم فيخرجون أقواما من دين الله وستصغ الأرض بدماء أفرأخ من أفرأخ آل محمد تنهض تلك الفراخ في غير وقت وتطلب غير مدرك ويرابط ^(١٢) الذين آمنوا ويصبرون ويصابرون حتى يحكم الله بينهم وبينهم هو خير الحاكمين. ^(١٣)

٤١- التوحيد: عن محمد بن الحسن بن الوليد عن محمد بن الحسن الصفار عن علي بن إسماعيل عن حماد بن عيسى عن إبراهيم بن عمر اليماني عن أبي الطفيل عن أبي جعفر عن علي بن الحسين عليه السلام قال إن الله عز وجل خلق العرش أرباعا وذكر مثله إلى قوله وليس بعد هذا مقال. ^(١٤)

(٢) التوحيد ص ٣٢٧ باب ٥٢ حديث ٤ - اختصره -

(٤) تفسير العياشي ج ١ ص ١٣٧ حديث ٤٥٤.

(٦) سورة هود، آية: ٣٤.

(٨) في المصدر: «ومتي خلق».

(١٠) في المصدر: «ومن».

(١٢) في المصدر: «ورابط».

(١٤) التوحيد ص ٣٢٦ باب ٥١ حديث ١.

(١) سورة البقرة، آية: ٢٥٥.

(٣) التوحيد ص ٣٢٨ باب ٥٢ حديث ٥.

(٥) سورة الإسراء، آية: ٧٢.

(٧) سورة آل عمران، آية: ٢٠٠.

(٩) في المصدر: «أبيه».

(١١) في المصدر: «الليل».

(١٣) تفسير علي بن إبراهيم القمي ج ٢ ص ٢٣ و ٢٤.

الكشي: عن جعفر بن معروف عن يعقوب بن يزيد عن حماد بن عيسى مثل ما رواه علي بن إبراهيم إلى آخر الخبر^(١).

وقال أيضا حدثني علي بن محمد بن قتيبة عن الفضل بن شاذان عن محمد بن أبي عمير قال جاء رجل إلى علي بن الحسين عليه السلام وذكر نحوه^(٢).

الإختصاص: عن جعفر بن الحسين عن محمد بن الحسن بن الوليد عن محمد بن الحسن الصفار عن علي بن إسماعيل عن حماد مثله^(٣).

بيان: غير المدعي أي بلا حقيقة والانتحال أن يدعي شعر غيره أو قوله لنفسه وفي رواية الكشي بعد ذلك أما الأولتان فنزلتا في أبيه وأما الأخيرة فنزلت في أبي وفيها وكذا في الإختصاص وفيه بعده ولم يكن الرباط الذي أمرنا به بعد وعلى التقادير يدل على أن العمى المذكور في الآية ليس عمى العين بل عمى القلب إذ العباس لم ينقل عماء بل عبد الله صار أعمى ففي ابنه نزلت لعل الظاهر ففي بنيه ويمكن أن يراد به الجنس أو أول من خرج منهم أي نزلت في المرابطة والانتظار الذي أمرنا به في دولة ذريته المملوثة فقله عليه السلام من نسله المرابط على التهكم أو بزعمهم فإنهم كانوا يترقبون الدولة في زمن بني أمية أو المراد المرابطة اللغوية لا المذكورة في الآية ويحتمل أن يكون المراد بالمرابط الخارج بالسيف والمرابط من الأئمة القائم عليه السلام ومنهم أولهم أو كلهم وفي القاموس ربطه شدة والرباط ما ربط به والمواظبة على الأمر وملازمة ثغر العدو كالمرابطة والمرابطة أن يربط كل من الفريقين خيولهم في ثغره وكل معد لصاحبه فسمي المقام في الثغر رباطا ومنه قوله تعالى ﴿وَ صَابِرُوا وَ رَابِطُوا﴾^(٤) انتهى^(٥) ولو أحس شيء مما فوقه لعل قوله مما فوقه مفعول أحس أي شيئا مما فوقه وفي الإختصاص ولو أحس شيئا مما فوقه أي حاس أو كل من الملائكة الحاملين وفي بعض النسخ ولو أحس حس شيء وفي بعضها ولو أحس حس شيئا وهو أظهر بينه وبين الإحساس أي بين الملك أو الحاس وبين إحساس ما فوقه حجب الجبروت والكبرياء أي الصورية أو المعنوية وليس وراء هذا مقال أي لا يمكن وصف ما وراء هذه الحجب لقد طمع الحائر أي ابن عباس وفي بعض النسخ الخائن وفي بعضها الخاسر في غير مطعم أي في أمر لا ينفع طعمه فيه وهو فوق مرتبته.

فيخرجون وفي الكشي يستخرجون أقواما من دين الله أفواجا كما دخلوا فيه والمراد بالأفراخ السادات الذين خرجوا وقتلوا لأنهم خرجوا في غير وقت الخروج وعند استقرار دولة المخالفين وتطلب غير مدرك على بناء المفعول أي ما لا يمكن إدراكه وفي الكشي غير ما تدرك وقد مرت الوجوه الكثيرة في تأويل الأنوار في كتاب التوحيد وفي هذا الباب أيضا فلا نعيدها هاهنا.

٤٢- التفسير ﴿وَالْمَلِكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ يَوْمَئِذٍ تَمْرُضُونَ﴾^(٦) قال حملة العرش ثمانية لكل واحد ثمانية أعين كل عين طباق الدنيا. وفي حديث آخر حملة العرش ثمانية أربعة من الأولين وأربعة من الآخرين فأما الأربعة من الأولين فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وأما الأربعة من الآخرين فمحمد وعلي والحسن والحسين ومعنى يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ يعني العلم^(٧).

٤٣- الخصال: عن محمد بن الحسن بن الوليد عن سعد بن عبد الله عن القاسم بن محمد الأصهباني عن سليمان بن داود عن حفص بن غياث قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول إن حملة العرش ثمانية لكل واحد منهم ثمانية أعين كل عين طباق الدنيا^(٨).

(١) اختيار رجال الكشي ص ٥٣ رقم ١٠٤.

(٢) اختيار رجال الكشي ص ٥٣ رقم ١٠٣.

(٣) الإختصاص ص ٧١-٧٣.

(٤) القاموس المحيط ج ٢ ص ٣٧٤.

(٥) سورة الحاقة، آية: ١٧.

(٦) تفسير علي بن إبراهيم القمي ج ٢ ص ٣٨٤.

(٧) الخصال ج ٢ ص ٤٠٧ باب الثمانية حديث ٤.

٤٤- ومنه: عن ابن الوليد عن الصفار مرسلًا قال قال الصادق عليه السلام إن حملة العرش ^(١) أحدهم على صورة ابن آدم يستترق الله لولد آدم والثاني على صورة الديك يستترق الله للطير والثالث على صورة الأسد يستترق الله للسباع والرابع على صورة الثور يستترق الله للبهائم ونكس الثور رأسه منذ عبد بنو إسرائيل العجل فإذا كان يوم القيامة صاروا ثمانية. ^(٢)

بيان: يمكن أن يكون الذي يستترق للطير شبيهًا بالنسر والديك معا فلذا شبه بهما.

٤٥- التوحيد: عن الحسين بن أحمد بن إدريس عن أبيه عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان عن عاصم بن حميد عن أبي عبد الله عليه السلام قال الشمس جزء من سبعين جزء من نور الكرسي والكرسي جزء من سبعين جزء من نور العرش والعرش جزء من سبعين جزء من نور الحجاب والحجاب جزء من سبعين جزء من نور الستر ^(٣) الخبر.

٤٦- التوحيد والمعاني: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن القاسم بن محمد عن سليمان بن داود المنقري عن حفص بن غياث قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿وَبَسَّطَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ^(٤) قال عمله. ^(٥)

٤٧- المعاني: عن أحمد بن الحسن عن عبد الرحمن بن محمد الحسيني ^(٦) عن أحمد بن عيسى بن أبي مريم عن محمد بن أحمد العزمي عن علي بن حاتم المنقري عن المفضل بن عمر قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العرش والكرسي ما هما فقال العرش في وجهه هو جملة الخلق والكرسي عاؤه وفي وجه آخر هو العلم الذي أطلع الله عليه أنبياءه ورسله وحججه والكرسي هو العلم الذي لم يطلع عليه أحدًا من أنبيائه ورسله وحججه عليه السلام. ^(٧)

٤٨- ومنه: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن موسى بن جعفر البغدادي عن محمد بن جمهور عن عبد الله بن عبد الرحمن عن محمد بن أبي حمزة عن أبي عبد الله عليه السلام قال من قال في كل يوم من شعبان سبعين مرة أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وأتوب إليه كتب في الأفاق المبين قال قلت وما الأفاق المبين قال قاع بين يدي العرش فيه أنهار تطرد فيه من القدحان عدد النجوم. ^(٨)

٤٩- التوحيد: عن محمد بن الحسن بن الوليد عن محمد بن الحسن الصفار عن يعقوب بن يزيد عن حماد عن رباعي عن الفضيل قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿وَبَسَّطَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ^(٩) قال يا فضيل السماوات والأرض وكل شيء في الكرسي. ^(١٠)

٥٠- ومنه: عن أبيه عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿وَبَسَّطَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ فقال السماوات والأرض وما بينهما في الكرسي والعرش هو العلم الذي لا يقدر أحد قدره. ^(١١)

٥١- ومنه: عن علي بن أحمد الدقاق عن محمد بن جعفر الأسدي عن محمد بن إسماعيل البرمكي عن الحسين بن الحسن عن أبيه عن حنان بن سدير قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العرش والكرسي فقال إن للعرش صفات كثيرة مختلفة له في كل سبب وصنع ^(١٢) في القرآن صفة على حدة فقلوه ﴿رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ يقول الملك العظيم وقوله ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ^(١٣) يقول على الملك احتوى وهذا ملك الكيفية في الأشياء ثم العرش في الوصل مفرد ^(١٤) من الكرسي لأنهما بابان من أكبر أبواب الغيوب وهما جميعا غيبان وهما في الغيب مقرونان لأن الكرسي هو الباب الظاهر من الغيب الذي منه مطلع البدع ومنها ^(١٥) الأشياء كلها والعرش هو الباب الباطن الذي يوجد فيه

(١) في المصدر إضافة: «ثمانية».

(٢) التوحيد ص ١٠٨ باب ٨ حديث ٣.

(٣) التوحيد ص ٣٢٧ باب ٥٢ حديث ١، ومعاني الأخبار ص ٣٠ باب معنى العرش والكرسي حديث ٢.

(٤) في المصدر: «الحسيني».

(٥) معاني الأخبار ص ٢٢٨ و ٢٢٩ باب (معنى العرش والكرسي) حديث ١.

(٦) سورة البقرة، آية: ٢٥٥.

(٧) التوحيد ص ٣٢٧ باب ٥٢ حديث ٢.

(٨) في المصدر: «وضع».

(٩) سورة طه، آية: ٥.

(١٠) في المصدر: «منه».

(١١) الخصال ج ٢ ص ٤٠٧ باب الثمانية حديث ٥.

(١٢) سورة البقرة، آية: ٢٥٥.

(١٣) معاني الأخبار ص ٢٩ باب (معنى العرش والكرسي) حديث ١.

(١٤) التوحيد ص ٣٢٧ باب ٥٢ حديث ٣.

(١٥) في المصدر: «وضع».

(١٦) في بعض النسخ وفي المصدر: «مفرد».

علم الكيف والكون والقدر والحد والأين والمشيئة وصفة الإرادة وعلم الألفاظ والحركات والترك وعلم العود والبدء فهما في العلم بابان مقرونان لأن ملك العرش سوى ملك الكرسي وعلمه أغيب من علم الكرسي فمن ذلك قال ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾^(١) أي صفته أعظم من صفة الكرسي وهما في ذلك مقرونان قلت جعلت فداك فلم صار في الفضل جار الكرسي قال ﷺ إنه صار جاره لأن علم الكيفية فيه وفيه الظاهر من أبواب البدء وأينيتها^(٢) وحد رتبتها وفتحها فهذان جاران أحدهما حمل صاحبه في الظرف وبمثل صرف العلماء وليستدلوا^(٣) على صدق دعواهما لأنه يختص برحمته من يشاء وهو القوي العزيز.

فمن اختلاف صفات العرش أنه قال تبارك وتعالى ﴿رَبُّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^(٤) وهو وصف عرش الوجودانية لأن قوماً أشركوا كما قلت لك قال تبارك وتعالى ﴿رَبُّ الْعَرْشِ رَبُّ الْوَحْدَانِيَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ وقوم وصفوه بيدين فقالوا ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾^(٥) وقوم وصفوه بالرجلين فقالوا وضع رجله على صخرة بيت المقدس فمنها ارتقى إلى السماء وصفوه^(٦) بالأنامل فقالوا إن محمداً ﷺ قال إني وجدت برد أنامله على قلبي فلمثل هذه الصفات قال ﴿رَبُّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^(٨) يقول رب المثل الأعلى عما به مثله وله المثل الأعلى الذي لا يشبهه شيء ولا يوصف ولا يتوهم فذلك المثل الأعلى وصف الذين لم يؤتوا من الله فوائد العلم فوصفوا ربهم بأدنى الأمثال وشبهوه بالمتشابه منهم فيما جعلوا^(٩) به فلذلك قال ﴿وَمَا أَوْثَقُ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١٠) فليس له شبه ولا مثل ولا عدل وله الأنشاء الحسن التي لا يسمى بها غيره وهي التي وصفها في الكتاب فقال قاذوؤها ﴿وَدَّرُوا الَّذِينَ يُلْجِدُونَ فِي أَسْنَانِهِ﴾^(١١) جهلا بغير علم فالذي يلحد في أسمائه جهلا^(١٢) بغير علم يشرك وهو لا يعلم ويكفر به وهو يظن أنه يحسن فلذلك قال ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾^(١٣) فهم الذين يلحدون في أسمائه بغير علم فيضعونها غير مواضعها.

يا حنان إن الله تبارك وتعالى أمر أن يتخذ قوم أولياء فهم الذين أعطاهم الفضل وخصهم بما لم يخص به غيرهم فأرسل محمداً ﷺ فكان الدليل على الله بإذن الله عز وجل حتى مضى دليلاً هادياً فقام من بعده وصيه ﷺ دليلاً هادياً على ما كان هو دل عليه من أمر ربه من ظاهر علمه ثم الأئمة الراشدون ﷺ^(١٤).

بيان: صفات كثيرة أي معان شتى وإطلاقات مختلفة ملك الكيفية في الأشياء أي كيفية ارتباطه سبحانه بمخلوقاته وتدبيره لها وعلمه بها ومباينته عنها ولذا وصف ذلك بالاستواء فليس بشيء أقرب من شيء ورحمته وعلمه وسع كل شيء ويحتمل أن يكون المراد تدبير صفات الأشياء وكيافيتها وأوضاعها وأحوالها ولعله أظهر ثم العرش في الوصل مفرد أي إذا عطف أحدهما على الآخر وصل بينهما في الذكر فالعرش مفرد عن الكرسي ومباين له وفي غير ذلك قد يطلقان على معنى واحد كالعلم وهما جميعاً غيبان أي غيبان عن الحواس قوله ﷺ لأن الكرسي هو الباب الظاهر يظهر منه مع غاية غموضه أن المراد بالكرسي والعرش هنا نوعان من علمه سبحانه فالكرسي العلم المتعلق بأعيان الموجودات ومنه يطلع ويظهر جميع الموجودات بحقائقها وأعيانها والأمور البديعة في السماوات والأرض وما بينهما والعرش العلم المتعلق بكيفيات الأشياء ومقاديرها وأحوالها وبدنها وعودها ويمكن أن يكون أحدهما عبارة عن كتاب المحو والاثبات والآخر عن اللوح المحفوظ قوله ﷺ لأن علم الكيفية أي أنهما إنما صارا جارين مقرونيين لأن أحدهما عبارة عن العلم المتعلق بالأعيان والآخر عن العلم المتعلق بكيفيات تلك الأعيان فهما مقرونان ومن تلك الجهة صح جعل كل منها طرفاً للآخر لأن الأعيان لما كانت محال للكيفيات فهي ظروفها وأوسع منها ولما كانت الكيفيات محيطية بالأعيان فكانها ظرفها وأوسع

(١) سورة النحل، آية: ٢٦.

(٢) في المصدر: «يستدلوا».

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٢٢، وسورة الزخرف، آية: ٨٢.

(٤) ما بين المعقوفين من المصدر.

(٥) سورة المائدة، آية: ٦٤.

(٦) في المصدر: «وقوم وصفوه».

(٧) سورة الأنبياء، آية: ٢٢.

(٨) في المصدر: «جهلوا».

(٩) سورة الإسراء، آية: ٨٥.

(١٠) سورة الأعراف، آية: ١٨٠.

(١١) كلمة «جهلاً» ليست في المصدر.

(١٢) سورة يوسف، آية: ١٠٦.

(١٣) التوحيد ص ٣٢٤ - ٣٢٥ باب ٥٠ حديث ١.

منها وبهذا الوجه يمكن الجمع بين الأخبار ولعل أشير إلى هذا بقوله أحدهما حمل صاحبه في الظرف بالطاء المعجمة أي بحسب الظرفية وفي بعض النسخ بالمهملة أي حيث ينتهي طرف أحدهما بصاحبه إذا قرئ بالتحرير وإذا قرئ بالسكون فالمراد نظر القلب وبمثل صرف العلماء أي علماء أهل البيت عليه السلام عبروا عن هذه الأمور بالعبارات المتصرفة المتنوعة على سبيل التمثيل والتشبيه فتارة عبروا عن العلم بالعرش وتارة بالكُرسي وتارة جعلوا العرش وعاء الكرسي وتارة بالعكس وتارة أرادوا بالعرش والكرسي الجسمين العظيمين وإنما عبروا بالتمثيل ليستدلوا على صدق دعواهما أي دعواهم لهما وما ينسبون إليهما وبيّنوا من غرائبهما وأسرارهما وفي أكثر النسخ وليستدلوا فهو عطف على مقدر أي لتفهيم أصناف الخلق وليستدلوا ولعل الأظهر دعواهم. قوله عليه السلام فمن اختلاف صفات العرش أي معانيه قال في سورة الأنبياء ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^(١) فالمراد بالعرش هنا عرش الودحانية إذ هي أنسب بمقام التنزيه عن الشريك إذ المذكور قبل ذلك ﴿أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يَنْشُرُونَ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَ اللَّهِ فَلَسَدْنَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^(٢) وقال سبحانه في سورة الزخرف ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^(٣) والمناسب هنا عرش القدس والتنزه عن الأشياء والأمثال والأولاد فالعرش في كل مقام يراد به معنى يعلمه الراسخون في العلم ثم إنه ظاهر الكلام يوهّم أن الظرف في قوله ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ متعلق بالعرش وهو بعيد بل الظاهر تعلقه بـسبحان وعلى ما قرنا عرفت أنه لا حاجة إلى ارتكاب ذلك و يدل الخير على أن خطاب ﴿وَمَا أَوْتَيْتُمْ﴾^(٤) متوجه إلى الساتنين عن الروح وأضرابهم لا إلى النبي صلى الله عليه وآله قوله عليه السلام من ظاهر علمه إنما خص بالظاهر لأن باطن علمه لا يطيقه سائر الخلق سوى أوصيائه عليهم السلام. واعلم أن هذا الخبر من التشابهات وغوامض المخبيات والظاهر أنه وقع من الرواة والنساج لعدم فهمهم معناه تصحيقات وتحريفات أيضا فلذا أجملت الكلام فيه وما ذكرته إنما هو على سبيل الاحتمال والله يعلم وحججه حقائق كلامهم عليهم السلام.

٥٢- العياشي: عن الأصبع قال سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن قول الله ﴿وَبِيعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾^(٥) فقال إن السماء والأرض وما فيهما من خلق مخلوق في جوف الكرسي وله أربعة أملاك يحملونه بإذن الله.^(٦)

٥٣- تفسير العسكري: قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله إن الله لما خلق العرش خلق له ثلاثمائة وستين ألف ركن و خلق عند كل ركن ثلاثمائة وستين ألف ملك لو أذن الله تعالى لأصرغهم فالتقم السماوات السبع والأرضين السبع ما كان ذلك بين لهواته إلا كالرمل في المغازة الفضفاضة فقال لهم الله يا عبادي احتملوا^(٧) عرشي هذا فتعاطوه فلم يطيقوا حمله ولا تحريكه فخلق الله عز وجل مع كل واحد منهم واحدا فلم يقدرُوا أن يزعموه فخلق الله مع كل واحد منهم عشرة فلم يقدرُوا أن يحركوه فخلق الله بعدد كل واحد منهم مثل جماعتهم فلم يقدرُوا أن يحركوه فقال الله عز وجل لجميعهم خلوه علي أسكنه بقدرتي فخلوه فأمكنه الله عز وجل بقدرته ثم قال لثمانية منهم احمलोهم أنتم فقالوا يا ربنا لم نطقه نحن وهذا الخلق الكثير والجم الغفير فكيف نطيعه الآن دونهم فقال الله عز وجل لأنني أنا الله المقرب للبعيد^(٨) والمذل للعبيد والمخفف للشديد والمسهل للعسير أفعل ما أشاء وأحكم ما أريد أعلمكم كلمات تقولونها يخف^(٩) بها عليكم قالوا وما هي قال تقولون بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد وآله الطيبين فقالوا فحملوه وخف على كواهلهم كشعرة نابتة على كاهل رجل جلد قوي فقال الله عز وجل لسائر تلك الأملاك خلوا على هؤلاء الثمانية عرشي ليحملوه وطوفوا أنتم حوله وسبحوني ومجدوني وقدسوني فأن الله القادر المطلق^(١٠) على ما أريتم وعلى كل شيء قدير.^(١١)

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٢٢ و ٢١.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٨٥.

(٣) سورة الزخرف، آية: ٨١ و ٨٢.

(٦) تفسير العياشي ج ١ ص ١٣٨ حديث ٤٥٨.

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٥٥.

(٨) في المصدر: «للعنيد».

(٧) في المصدر: «أحملوا».

(١٠) كلمة: «المطلق» ليست في المصدر.

(٩) في المصدر: «يخفف».

(١١) تفسير الإمام العسكري ص ١٤٦ - ١٤٨.

بيان: الفضاضة الواسعة ذكره الجوهري^(١) وقال الجدل الصلابة والجلادة تقول منه جلد الرجل بالضم فهو جلد.^(٢)

٥٤- روضة الواعظين: روى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده^(٣) أنه قال في العرش تمثال^(٤) ما خلق الله من البر والبحر^(٥) قال وهذا تأويل قوله ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾^(٦) وإن بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية خفكان الطير المسرع مسيرة ألف عام والعرش يكسى كل يوم سبعين ألف لون من النور لا يستطيع أن ينظر إليه خلق من خلق الله والأشياء كلها في العرش كحلقة في فلاة وإن لله تعالى ملكا يقال له خرقائيل^(٧) له ثمانية عشر ألف جناح ما بين الجناح إلى الجناح خمسمائة عام فخطر له خاطر هل فوق العرش شيء فزاده الله تعالى مثلها أجنحة أخرى فكان له ست وثلاثون ألف جناح ما بين الجناح إلى الجناح خمسمائة عام ثم أوحى الله إليه أيها الملك طر فطار مقدار عشرين ألف عام لم ينل رأس^(٨) قائمة من قوائم العرش ثم ضاعف الله له في الجناح والقوة وأمره أن يطير فطار مقدار ثلاثين ألف عام لم ينل أيضا فأوحى الله إليه أيها الملك لو طرت إلى نفخ الصور مع أجنحتك وقوتك لم تبلغ إلى ساق عرشي^(٩) فقال الملك سبحان ربي الأعلى فأنزل الله عز وجل ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾^(١٠) فقال النبي ﷺ اجعلوها في سجودكم^(١١)

٥٥- وروى من طريق المخالفين في قوله ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ قال ثمانية صفوف لا يعلم عددهم إلا الله لكل ملك منهم أربعة وجوه لهم قرون كقرون الوعلة^(١٢) من أصول القرون إلى مستهاها مسيرة خمسمائة عام والعرش على قرونهم وأقدامهم في الأرض السفلى ورءوسهم في السماء العليا ودون العرش سبعون حجابا من نور.^(١٣)

بيان: قال الجزري الوعل تبوس الجبل واحدها وعل بكسر العين ومنه الحديث في تفسير قوله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾^(١٤) قيل هي ثمانية أوعال أي ملائكة على صورة الأوعال.^(١٥)

٥٦- تأويل الآيات الظاهرة: نقلا من كتاب محمد بن العباس بن ماهيار عن جعفر بن محمد بن مالك عن أحمد بن الحسين العلوي عن محمد بن حاتم عن هارون بن الجهم عن محمد بن مسلم قال سمعت أبا جعفر^(١٦) يقول في قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾^(١٧) قال يعني محمدا وعليما والحسن والحسين ونوحا وإبراهيم وموسى وعيسى^(١٨).

٥٧- الإختصاص: عن ابن عباس قال سأل ابن سلام النبي ﷺ فكان فيما سأل ما الستة عشر وما الثمانية عشر قال ستة عشر صفا من الملائكة حافين من حول العرش وذلك قوله ﴿حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾^(١٩) وأما الثمانية عشر فثمانية عشر حجابا من نور معلق بين الكرسي والحجب ولو لا ذلك لذابت صم الجبال الشوامخ واحترقت الجن والإنس من نور الله قال صدقت يا محمد^(٢٠).

٥٨- في بعض الكتب عن علي بن الحسين^(٢١) أن في العرش تمثال جميع ما خلق الله.^(٢٢)

٥٩- المتجهد: في دعاء ليلة الجمعة اللهم رب النور العظيم رب الكرسي الواسع رب العرش العظيم ورب البحر المسجور الدعاء^(٢٣).

(٢) الصحاح ج ١ ص ٤٥٨.
(٤) في المصدر: «في البر والبحر».
(٦) في المصدر: «خرقائيل».
(٨) في المصدر: «إلى ساق العرش».
(١٠) روضة الواعظين ج ١ ص ٤٧.
(١٢) روضة الواعظين ج ١ ص ٤٧.
(١٤) النهاية ج ٥ ص ٢٠٧.
(١٦) سورة الزمر. آية: ٧٥.
(١٨) لم نثر على اسم الكتاب هذا.

(١) الصحاح ج ٢ ص ١٠٩٩.
(٣) في المصدر إضافة: «جميع».
(٥) سورة الحجر. آية: ٢١.
(٧) في المصدر: «رأسه».
(٩) سورة الأعلى. آية: ١.
(١١) في المصدر: «الوعل».
(١٣) سورة الحاقة. آية: ١٧.
(١٥) سورة غافر. آية: ٧.
(١٧) الإختصاص ص ٤٧.
(١٩) مصباح المتجهد ص ٢٦٣.

٦٠- وفي تعقيب صلاة أمير المؤمنين ﷺ وأسألك باسمك الذي خلقت به عرشك الذي لا يعلم ما هو إلا أنت إلى قوله وأسألك يا الله باسمك الذي تضع به سكان سمواتك واستقر به عرشك إلى قوله وأسألك باسمك الذي أمتت به عرشك وكرسيك في الهواء إلى قوله وأسألك باسمك الذي دعاك به حملة عرشك فاستقرت أقدامهم وحملتهم عرشك بذلك الاسم يا الله الذي لا يعلمه ملك مقرب ولا حامل عرشك ولا كرسيك إلا من علمته ذلك^(١).

٦١- بيان التنزيل: لابن شهر آشوب عن الصادق ﷺ أن بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية خفان الطير عشرة آلاف عام.^(٢)

تحقيق و توفيق:

اعلم أن ملوك الدنيا لما كان ظهورهم وإجراء أحكامهم على رعيتهما إنما يكون عند صعودهم على كرسي الملك وعروجهم على عرش السلطنة ومنهما تظهر آثارهم وتبين أسرارهم والله سبحانه لتقدسه عن المكان لا يوصف بمحل ولا مقر وليس له عرش ولا كرسي يستقر عليهما بل يطلقان على أشياء من مخلوقاته أو صفاته الكمالية على وجه المناسبة فالكرسي والعرش يطلقان على معان: أحدهما جسمان عظيمان خلقهما الله تعالى فوق سبع سموات و ظاهر أكثر الأخبار أن العرش أرفع وأعظم من الكرسي ويلوح من بعضها العكس والحكمة يزعمون أن الكرسي هو الفلك الثامن والعرش هو الفلك التاسع وظواهر الأخبار تدل على خلاف ذلك من كونهما مربعين ذاتي قوائم وأركان وربما يؤولان بالجهات والحدود والصفات التي بها استحقا التعظيم والتكريم ولا حاجة لنا إلى هذه التكاليف وإنما سمي بالاسمين لبروز أحكامه وتقديراته من عندهما وإحاطة الكرويين والمقربين وأرواح النبيين والأوصياء بهما وعروج من قربته من جنباه إليهما كما أن أوامر الملوك وأحكامهم وآثار سلطنتهم وعظمتهم تبدو منهما وتطيف مقربوا جنباهم وخواص ملكهم بهما وأيضاً لما كانا أعظم مخلوقاته الجسمانية وفيهما من الأنوار العجيبة والآثار الغريبة ما ليس في غيرهما من الأجسام فدلالتها على وجوده وعلمه وقدرته وحكمته سبحانه أكثر من سائر الأجسام فلذا خصا بهذين الاسمين من بينهما وحملتهما في الدنيا جماعة من الملائكة كما عرفت وفي الآخرة إما الملائكة أو أولو العزم من الأنبياء مع صفوة الأوصياء ﷺ كما عرفت ويمكن أن يكون نسبة الحمل إليهم مجازاً لقيام العرش بهم في القيامة وكونهم الحكام عنده والمقربين لديه.

و ثانيهما: العلم كما عرفت إطلاقهما في كثير من الأخبار عليه وقد مر الفرق بينهما في خبر معاني الأخبار وغيره وذلك أيضاً لأن منشأ ظهوره سبحانه على خلقه العلم والمعرفة وبه يتجلى على العباد فكأنه عرشه وكرسيه سبحانه وحملتهما نبينا وأئمتنا ﷺ لأنهم خزان علم الله في سمائه وأرضه لا سيما ما يتعلق بمعرفته سبحانه وثالثهما: الملك وقد مر إطلاقهما عليه في خبر حنان والوجه ما مر أيضاً.

ورابعهما: الجسم المحيط وجميع ما في جوفه أو جميع خلق الله كما ذكره الصدوق ره ويستفاد من بعض الأخبار إذ ما من شيء في الأرض ولا في السماء وما فوقها إلا وهي من آيات وجوده وعلامات قدرته وآثار وجوده وفيضه وحكمته فجميع المخلوقات عرش عظمته وجلاله وبها تجلى على العارفين بصفات كماله وهذا أحد المعاني التي خُطرت ببالي الفاتر في قولهم ﷺ وارتفع فوق كل منظر فتدبر.

و خامسها: إطلاق العرش على كل صفة من صفاته الكمالية والجلالية إذ كل منها مستقر لعظمته وجلاله وبها يظهر لعباده على قدر قابليتهم ومعرفتهم فله عرش العلم وعرش القدرة وعرش الرحمانية وعرش الرحيمية وعرش الوحدانية وعرش التنزه كما مر في خبر حنان وغيره وقد أول الوالد ره الخبر الذي ورد في تفسير قوله تعال (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) ^(٣) أن المعنى استوى من كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء أن المراد بالعرش هنا عرش الرحمانية والظرف حال أي الرب سبحانه حال كونه على عرش الرحمانية استوى من كل شيء إذ بالنظر

إلى الرحيمية التي هي عبارة عن الهدايا والرحمات الخاصة بالمؤمنين أقرب أو المراد أنه تعالى بسبب صفة الرحمانية حال كونه على عرش الملك والعظمة والجلال استوى نسبتة إلى كل شيء وحينئذ فائدة التقييد بالحال نفي توهم أن هذا الاستواء مما ينقص من عظمتة وجلاله شيئا.

وسادسها: إطلاق العرش على قلب الأنبياء والأوصياء عليهم السلام وكمل المؤمنين فإن قلوبهم مستقر محبته ومعرفته سبحانه. كما روي أن قلب المؤمن عرش الرحمن. وروي أيضا في الحديث القدسي لم يسعني سمائي ولا أرضي وسعني قلب عبدي المؤمن.

ثم اعلم أن إطلاقهما على بعض المعاني عند التصريح به أو إقامة القرائن عليه لا يتنافى وجوب الإذعان بالمعنى الأول الذي هو الظاهر من أكثر الآيات والأخبار والله المطلع على الأسرار.

باب ٦

الحجب والأستار والسرادات

١- التوحيد والخصال: عن أحمد بن الحسن القطان عن أحمد بن يحيى بن زكريا القطان عن بكر بن عبد الله عن تميم بن بهلول عن نصر بن مزاحم المنقري عن عمرو بن سعد عن أبي مخنف لوط بن يحيى عن أبي منصور عن زيد بن وهب قال سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن الحجب فقال أول الحجب سبعة غلظ كل حجاب منها مسيرة خمسمائة عام وبين كل حجابين مسيرة خمسمائة عام والحجاب الثاني سبعون حجابا بين كل حجابين مسيرة خمسمائة عام ^(١) حجبه كل حجاب منها سبعون ألف ملك قوة كل ملك منهم قوة الثقلين منها ظلمة ومنها نور ومنها نار ومنها دخان ومنها سحب ومنها برق ^(٢) ومنها رعد ومنها ضوء ومنها رمل ومنها جبل ومنها عجاج ومنها ماء ومنها أنهار وهي حجب مختلفة غلظ كل حجاب مسيرة سبعين ألف عام ثم سرادات الجلال وهي ستون ^(٣) سرادقا في كل سرادق سبعون ألف ملك بين كل سرادق وسرادق مسيرة خمسمائة عام ثم سرادق العز ثم سرادق الكبرياء ثم سرادق العظمة ثم سرادق القدس ثم سرادق الجبروت ثم سرادق الفخر ثم سرادق النور الأبيض ثم سرادق الوجدانية وهو مسيرة سبعين ألف عام ^(٤) ثم الحجاب الأعلى وانقضى كلامه عليه السلام وسكت فقال له عمر لا بقيت ليوم لا أراك فيه يا أبا الحسن. ^(٥)

قال الصدوق ره ليست هذه الحجب مضروبة على الله تعالى عن ذلك لأنه لا يوصف بمكان ولكنها مضروبة على العظمة العليا من خلقه التي لا يقادر قدرها غيره تبارك وتعالى. ^(٦)

بيان: قوله عليه السلام منها ظلمة لعل المراد من مطلق الحجب لا من الحجب المتقدمة كما يدل عليه قوله غلظ كل حجاب إلخ.

٢- المعاني: والخصال: عن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن المقرئ عن محمد بن إبراهيم الجرجاني عن عبيد الصمد بن يحيى الواسطي عن الحسن بن علي المدني عن عبد الله بن المبارك عن السفیان الثوري عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده عن ^(٧) علي بن أبي طالب عليه السلام قال إن الله تبارك وتعالى خلق نور محمد عليه السلام قبل أن خلق ^(٨) السماوات والأرض والعرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار وقبل أن خلق ^(٩) آدم ونوحا وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى وداود وسليمان وكل من قال الله عز وجل في قوله «وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ إِلَى قَوْلِهِ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» ^(١٠) وقبل أن خلق الأنبياء كلهم بأربعمئة ألف وأربع وعشرين ألف سنة وخلق عز وجل معه اثني عشر حجابا حجاب القدرة وحجاب العظمة وحجاب المنة و

(١) في الخصال: «وطوله خمسمائة عام».
(٢) في المخطوطة: «سبعون» وفي التوحيد كذلك.
(٣) التوحيد ص ٢٧٨ باب ٣٨ حديث ٣.
(٤) من المصدر.
(٥) في المعاني: «يخلق».
(٦) في التوحيد والخصال إضافة: «في سبعين ألف عام».
(٧) الخصال ج ٢ ص ٤٠١ باب السبعة حديث ١٠٩.
(٨) في المعاني: «يخلق».
(٩) سورة الأنعام، آية: ٨٤ - ٨٧.

حجاب الرحمة و حجاب السعادة و حجاب الكرامة و حجاب المنزلة و حجاب الهداية و حجاب النبوة و حجاب الرفعة و حجاب الهيبة و حجاب الشفاعة ثم حبس نور محمد ﷺ في حجاب القدرة اثني عشر ألف سنة و هو يقول سبحانه ربي الأعلى (١) و في حجاب العظمة أحد عشر ألف سنة و هو يقول سبحانه عالم السر و أخفى (٢) و في حجاب المنة عشرة آلاف سنة و هو يقول سبحانه من هو قائم لا يلهو و في حجاب الرحمة تسعة آلاف سنة و هو يقول سبحانه الرفيع الأعلى و في حجاب السعادة ثمانية آلاف سنة و هو يقول سبحانه من هو دائم (٣) لا يسهو و في حجاب الكرامة سبعة آلاف سنة و هو يقول سبحانه من هو غني لا يفتر و في حجاب المنزلة ستة آلاف سنة و هو يقول سبحانه ربي العلي (٤) الكريم و في حجاب الهداية خمسة آلاف سنة و هو يقول سبحانه ذي (٥) العرش العظيم و في حجاب النبوة أربعة آلاف سنة و هو يقول سبحانه رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ و في حجاب الرفعة ثلاثة آلاف سنة و هو يقول سبحانه ذي الملك و الملكوت و في حجاب الهيبة ألفي سنة و هو يقول سبحانه الله و بحمده و في حجاب الشفاعة ألف سنة و هو يقول سبحانه ربي العظيم و بحمده ثم أظهر عز و جل اسمه على اللوح فكان على اللوح منورا أربعة آلاف سنة ثم أظهره على العرش فكان على ساق العرش مئبنة سبعة آلاف سنة إلى أن وضعه الله عز و جل في صلب آدم ﷺ إلى آخر ما مر في المجلد السادس. (٦)

٣- تفسير علي بن إبراهيم: عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله ﷺ قال قال رسول الله ﷺ قال جبرئيل في ليلة المعراج إن بين الله و بين خلقه تسعين ألف حجاب و أقرب الخلق إلى الله أنا و إسرائيل و بيننا و بينه أربعة حجب حجاب من نور و حجاب من ظلمة و حجاب من الغمام و حجاب من ماء الخير. (٧)

٤- المجالس للصدوق: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي عن أبيه عن خلف بن حماد عن أبي الحسن العبيدي عن الأعمش عن عباية بن ربعي عن ابن عباس في ذكر خبر المعراج قال فعبر رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى الحجب و الحجب خمسمائة حجاب من الحجاب إلى الحجاب مسيرة خمسمائة عام الخير. (٨)

٥- التوحيد: عن الحسين بن أحمد بن إدريس عن أبيه عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان عن عاصم بن حميد عن أبي عبد الله ﷺ قال الشمس جزء من سبعين جزء من نور الكرسي و الكرسي جزء من سبعين جزء من نور العرش و العرش جزء من سبعين جزء من نور الحجاب و الحجاب جزء من سبعين جزء من نور الستر الخير. (٩)

٦- المتجهج: في تعقيب صلاة أمير المؤمنين ﷺ و أسألك بنور اسمك الذي خلقت به نور حجابك النور إلى قوله ﷺ و أسألك باسمك الزكي الطاهر المكتوب في كنه حجبك المخزون في علم الغيب عندك على سدة المنتهى و أسألك باسمك المكتوب على سراق السرائر إلى قوله باسمك الذي كتبه على حجاب عرشك و بكل اسم هو لك في اللوح المحفوظ. (١٠)

٧- الإقبال: في تعقيبات نوافل شهر رمضان روي عن أبي عبد الله ﷺ اللهم إني أسألك باسمك المكتوب في سراق المجد و أسألك باسمك المكتوب في سراق البهاء و أسألك باسمك المكتوب في سراق العظمة و أسألك باسمك المكتوب في سراق الجلال و أسألك باسمك المكتوب في سراق العزة (١١) و أسألك باسمك المكتوب في سراق السرائر السابق الفائق الحسن النضير و رب الملائكة الثمانية و رب العرش العظيم (١٢) الدعاء.

٨- الدر المنثور: للسيوطي نقلا من عدة كتب عن ابن عباس قال بين السماء السابعة إلى كرسيه سبعة آلاف نور. (١٣)

(١) في المعاني إضافة: «و بحمده» بين معقوفتين.

(٢) عبارة: «و أخفى» ليست في الخصال و المعاني.

(٣) في الخصال: «رب العلي» بدل «ربي العلي».

(٤) في الخصال: «رب العرش».

(٥) الخصال ج ٢ ص ٤٨١ و ٤٨٢ باب الاثني عشر حديث ٥٥، و معاني الأخبار ص ٣٠٦ - ٣٠٨ باب (معنى الأشياء التي أكرم الله تعالى نبيه ﷺ بها) حديث ١.

(٦) تفسير علي بن إبراهيم ج ٢ ص ١٠، وفيه «من الماء».

(٧) التوحيد ص ١٠٨ باب ٨ حديث ٣.

(٨) أمالي الصدوق ص ٤٣٥ مجلس ٥٦ حديث ٥٧٦.

(٩) مصباح المتجهج ص ٢٩٤ - ٢٩٦.

(١٠) في المصدر إضافة: «و أسألك باسمك المكتوب في سراق القدرة».

(١١) إقبال الأعمال ج ١ ص ٣٢٩ باب ٢٣ في وظائف الليلة التاسعة عشر.

(١٢) الدر المنثور ج ١ ص ٤٤.

٩- وعن أنس عن النبي ﷺ قال قال جبرئيل إن بيني وبين الرب لسبعين حجاباً من نار أو نور لو رأيت أُنَهاها لاحتَرقت. (١١)

١٠- وعن أبي هريرة أن رجلاً من اليهود أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله هل احتجب الله من خلقه بشيء غير السماوات قال نعم بينه وبين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجاباً من نور (١٢) وسبعون حجاباً من ظلمة وسبعون حجاباً من رفاف الإِسْتِبرق وسبعون حجاباً من رفاف السندس وسبعون حجاباً من در أبيض وسبعون حجاباً من در أحمر وسبعون حجاباً من در أصفر وسبعون حجاباً من در أخضر وسبعون حجاباً من ضياء وسبعون حجاباً من ثلج وسبعون حجاباً من ماء (١٣) وسبعون حجاباً من برد وسبعون حجاباً من عظمتِه (١٤) التي لا توصف قال فأخبرني عن ملك الله الذي يليه فقال النبي ﷺ إن الملك الذي يليه إسرَافيل ثم جبرئيل ثم ميكائيل ثم ملك الموت ﷺ (١٥).

١١- وعن مجاهد قال بين الملائكة وبين العرش سبعون حجاباً حجاباً (١٦) من نور وحجاباً (١٧) من ظلمة. (٨)

١٢- وعن سهل بن سعد وعبد الله بن عمرو قالوا قال رسول الله ﷺ دون الله سبعون ألف حجاب من نور وظلمة لا يسمع (٩) من نفس من حس تلك الحجب إلا زهقت نفسُه. (١٠)

١٣- شرح النهج: [نهج البلاغة] للكثيري عن النبي ﷺ في حديث المعراج قال فخرجت من سدرة المنتهى حتى وصلت إلى حجاب من حجب العزة ثم إلى حجاب آخر حتى قطعت سبعين حجاباً وأنا على البراق وبين كل حجاب وحجاب مسيرة خمسمائة سنة إلى أن قال ورأيت في عليين بحارا وأنواراً وحجاباً وغيرها لو لا تلك لاحترق كل ما تحت العرش من نور العرش قال وفي الحديث أن جبرئيل ﷺ قال لله دون العرش سبعون حجاباً لو دوننا من أحدها لأحرقتنا سباحات وجه ربنا. (١١)

فذلك: اعلم أنه قد تظافرت الأخبار العامة والخاصة في وجود الحجب والسرادات وكثرتها وفي القاموس السرادق الذي يمد فوق صحن البيت والجمع سرادات والبيت من الكرسف وبيت مسردق أعلاه وأسفله مشدود كله. (١٢) وفي النهاية السرادق كل ما أحاط بشيء من حائط أو مضرب أو خباء (١٣) انتهى وظاهر أكثر الأخبار أنها تحت العرش ويلوح من بعضها أنها فوقه ولا تنافي بينها. وروي من طرق المخالفين عن النبي ﷺ أن لله تبارك وتعالى سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفت لأحرقت سباحات وجهه ما دونه. وقال الجزري فيه أن جبرئيل قال لله دون العرش سبعون حجاباً لو دوننا من أحدها لأحرقتنا سباحات وجهه. (١٤) وفي حديث آخر حجاب النور أو النار لو كشفه لأحرقت سباحات وجهه كل شيء أدركه بصره. سباحات الله جلالة وعظمتُه وهي في الأصل جمع سبحة وقيل أضواء وجهه وقيل سباحات الوجه محاسنه لأنك إذا رأيت الحسن الوجه قلت سبحان الله وقيل معناه تنزيه له أي سبحان وجهه وقيل إن سباحات وجهه كلام معترض بين الفعل والمفعول أي لو كشفها لأحرق كل شيء (١٥) بصره كما تقول لو دخل الملك البلد لقتل العياذ بالله كل من فيه وأقرب من هذا كله أن المعنى لو انكشف من أنوار الله التي تحجب العباد عنه شيء لأهلك كل من وقع عليه ذلك النور كما خَرَّ مُوسَى صَعِيقاً وتقطع الجبال دكا لما تجلى الله سبحانه وتعالى.

وقال النووي في شرح صحيح مسلم سباحات بضم السين والباء أي نوره وآراد بالوجه الذات وبما انتهى إليه بصره جميع المخلوقات لأن بصره محيط بجميعها أي لو أزال المانع من رؤية أنواره لأحرق جلالة جميعهم. (١٦)

- (١) الدر المنثور ج ١ ص ٩٣.
- (٢) عبارة: «و سبعون حجاباً من ماء» ليست في المصدر.
- (٣) الدر المنثور ج ١ ص ٩٣.
- (٤) في المصدر: «حجاب».
- (٥) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٩٨.
- (٦) في المصدر: «ما يسمع».
- (٧) حقائق الحقائق في شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٤٦٢ و ٤٦٣.
- (٨) القاموس المحيط ج ٣ ص ٢٥٢ و ٢٥٣.
- (٩) في المصدر: «وجه ربنا».
- (١٠) شرح صحيح مسلم ج ٣ ص ١٣ - ١٤ باب معنى قول الله ﷻ «وقد رآه نزلت أخرى» ملخصاً.
- (١١) في المصدر إضافة: «أدركه».
- (١٢) النهاية ج ٢ ص ٣٥٩.
- (١٣) في المصدر إضافة: «أدركه».
- (١٤) شرح صحيح مسلم ج ٣ ص ١٣ - ١٤ باب معنى قول الله ﷻ «وقد رآه نزلت أخرى» ملخصاً.

والتحقيق أن تلك الأخبار ظهروا و بطنوا و كلاهما حق فأما ظهورها فإنه سبحانه كما خلق العرش و الكرسي مع عدم احتياجه إليهما كذلك خلق عندهما أستاذا و حجابا و سرادات و حشاها من أنوار الغريبة المخلوقة له ليظهر لمن يشاهدها من الملائكة و بعض النبيين و لمن يسمعها من غيرهم عظمة قدرته و جلال هيئته و سعة فيضه و رحمته و لعل اختلاف الأعداد باعتبار أن في بعض الإطلاقات اعتبرت الأنواع و في بعضها الأصناف و في بعضها الأشخاص أو ضم بعضها إلى بعض في بعض التعبيرات أو اكتفي بذكر بعضها في بعض الروايات و أما بطنها فلأن الحجب المانعة عن وصول الخلق إلى معرفة كنه ذاته و صفاته أمور كثيرة منها ما يرجع إلى نقص المخلوق وقواه و مداركه بسبب الإمكان و الافتقار و الاحتياج و الحدود و ما يتبع ذلك من جهات النقص و العجز و هي الحجب الظلمانية و منها ما يرجع إلى نوريته و تجرده و تقدسه و وجوب وجوده و كماله و عظمته و جلاله و سائر ما يتبع ذلك و هي الحجب التوراتية و ارتفاع تلك الحجب بنوعيه محال فلو ارتفعت لم يبق بغير ذات الحق شيء أو المراد بكشفها رفعها في الجملة بالتخلي عن الصفات الشهوانية و الأخلاق الحيوانية و التخلي بالأخلاق الربانية بكثرة العبادات و الرياضات و المجاهدات و ممارسة العلوم الحققة فترفع الحجب بينه و بين ربه سبحانه في الجملة فيحرق ما يظهر عليهم من أنوار جلاله تعيناتهم و إراداتهم و شهواتهم فيرون بعين اليقين كماله سبحانه و نقصهم و بقاءه و فناءهم و ذلهم و غناه و افتقارهم بل يرون وجودهم المستعار في جنب وجوده الكامل عدما و قدرتهم الناقصة في جنب قدرته الكاملة عجزا بل يتخلون عن إرادتهم و علمهم و قدرتهم فيتصرف فيهم إرادته و قدرته و علمه سبحانه فلا يشاءون إلا أن يشاء الله و لا يريدون سوى ما أراد الله و يتصرفون في الأشياء بقدرته الله فيحيون الموتى و يردون الشمس و يشقون القمر. كما قال أمير المؤمنين عليه السلام ما قلعت باب خبير بقوة جسمانية بل بقوة ربانية. و المعنى الذي يمكن فهمه و لا ينافي أصول الدين من الفناء في الله و البقاء بالله هو هذا المعنى و بعبارة أخرى الحجب التوراتية الموانع التي للعبد عن الوصول إلى قربه و غاية ما يمكنه من معرفته سبحانه من جهة العبادات كالزنا و العجب و البسمة و المرء و أشباهها و الظلمانية ما يحجبه من المعاصي عن الوصول إليه فإذا ارتفعت تلك الحجب تجلى الله له في قلبه و أحرق محبة ما سواه حتى نفسه عن نفسه و سيئاتي تمام القول في ذلك في كتاب الإيمان و الكفر إن شاء الله تعالى و كل ذلك لا يوجب عدم وجوب الإيمان بظواهرها إلا بمعارضة نصوص صحيحة صريحة صارفة عنها و أول الإلحاد سلوك التأويل من غير دليل و الله الهادي إلى سواء السبيل.

باب ٧

سورة الممتهى و معنى عليين و سجين

الآيات:

٤٨
٥٨

النجم: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ إِذْ يَخْشَى السِّدْرَةَ مَا يَخْشَى﴾ (١)
المطففين: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سَجِّينٍ وَمَا أَذْرَاكَ مَا سَجِّينٌ إِلَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ وَمَا أَذْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ كِتَابَ مَرْقُومٍ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (٢)
تفسير: قال الطبرسي ره ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ أي جبرئيل (٣) في صورته التي خلق عليها نازلا من السماء ﴿نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ وذلك أنه رآه مرتين على (٤) صورته ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ﴾ هي شجرة عن يمين العرش فوق السماء السابعة انتهى

(٢) سورة المطففين، آية: ٧ - ٢١.

(٤) في المصدر: «في».

(١) سورة النجم، آية: ١٣ - ١٦.

(٣) في المصدر: «أي رأى جبرائيل».

إليها علم كل ملك عن الكلبي ومقاتل وقيل إليها ينتهي ما يعرج إلى السماء وما يهبط من فوقها من أمر الله عن ابن مسعود والضحاك وقيل إليها ينتهي أرواح الشهداء وقيل إليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها وإليها ينتهي ما يعرج من الأرواح فيقبض منها والمنتهى موضع الانتواء وهذه الشجرة حيث تنتهي إليه الملائكة فأضيفت إليه وقيل هي شجرة طوبى عن مقاتل والسدرة هي شجرة النبق^(١) «عِندَهَا جَنَّةُ النَّارِ» أي جنة المقام وهي جنة الخلد وهي في السماء السابعة وقيل في السماء السادسة وقيل هي الجنة التي كان أوى إليها آدم وتصير إليها أرواح الشهداء عن الجبائي وقادة وقيل هي التي تصير إليها أهل الجنة عن الحسن وقيل هي التي يأوي إليها جبرئيل والملائكة عن عطاء عن ابن عباس «إِذْ يَفْشَى السَّدْرَةُ مَا يَفْشَى» قيل يغشاها الملائكة أمثال الغربان حتى يقعن على الشجرة عن الحسن ومقاتل. وروي أن النبي ﷺ قال رأيت على كل ورقة من أوراقها ملكا قائما يسبح الله تعالى. وقيل يغشاها من النور والبهاء والحسن والصفاء الذي يروق الأبصار ما ليس لوصفه منتهى عن الحسن وقيل يغشاها فراش من ذهب عن ابن عباس ومجاهد وكأنها ملائكة على صورة الفراش يعبدون الله تعالى والمعنى أنه رأى جبرئيل على صورته في الحال التي يفشى فيها السدرة من أمر الله ومن العجائب المنبهة على كمال قدرة الله تعالى ما يغشاها وإنما أبهم الأمر فيما يفشى لتعظيم ذلك وتغنيمه.^(٢)

«إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سَجِّينَ»^(٣) يعني كتابهم الذي فيه ثبت أعمالهم من الفجور والمعاصي عن الحسن وقيل معناه أنه كتب في كتابهم أنهم يكونون في سجين وهي في الأرض السابعة السفلى. عن ابن عباس ومجاهد وقادة وضحاك وعن البراء بن عازب قال قال رسول الله ﷺ سجين أسفل سبع أرضين. وقال شمر بن عطية جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار فقال أخبرني عن قول الله تعالى «إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سَجِّينَ» قال إن روح الفاجر يصعد بها إلى السماء فتأبى السماء أن تقبلها ثم يهبط بها إلى الأرض فتأبى الأرض أن تقبلها فتدخل تحت سبع أرضين حتى ينتهي بها إلى سجين وهو موضع جند إبليس والمعنى في الآية أن كتاب عملهم يوضع هناك وقيل إن سجين جب في جهنم مفتوح والفلق جب في جهنم مغطى رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ وقيل إن السجين اسم كتابهم وهو ظاهر التلاوة أي ما كتبه الله على الكفار بمعنى أوجبهم عليهم من الجزاء في هذا الكتاب المسمى سجيना ويكون لفظه من السجن الذي هو الشدة عن أبي مسلم.^(٤)

وقال «لَفِي عَلِّيْنِ»^(٥) أي مراتب عالية محفوفة بالجلالة وقيل في السماء السابعة وفيها أرواح المؤمنين وقيل في سدة المنتهى التي إليها ينتهي كل شيء من أمر الله تعالى وقيل عليون الجنة عن ابن عباس وقال الفراء في ارتفاع بعد ارتفاع لا غاية له وقيل هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيها عن ابن عباس في رواية أخرى. وعن البراء بن عازب عن النبي ﷺ قال في عليين في السماء السابعة تحت العرش.^(٦) وقال ابن عمر إن أهل عليين لينظرون إلى أهل الجنة من كذا فإذا أشرف رجل منهم أشرقت الجنة وقالوا قد اطلع رجل من أهل عليين.^(٧)

١- العلل: عن محمد بن موسى عن عبد الله بن جعفر الحميري عن أحمد بن محمد عن ابن محبوب عن مالك بن عطية عن حبيب السجستاني قال قال أبو جعفر ﷺ إنما سميت سدة المنتهى لأن أعمال أهل الأرض تصعد بها الملائكة الحافظة إلى محل السدرة قال والحفظة الكرام البررة دون السدرة يكتبون ما يرفعه إليهم الملائكة من أعمال العباد في الأرض فينتهي بها إلى محل السدرة.^(٨)
المحاسن: عن ابن محبوب مثله.^(٩)

٢- تفسير علي بن إبراهيم: عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام عن أبي عبد الله ﷺ قال قال رسول الله ﷺ

(١) مجمع البيان ج ٩ ص ١٧٥.

(٤) مجمع البيان ج ١٠ ص ٤٥٢.

(٦) مجمع البيان ج ١٠ ص ٤٥٥.

(٨) علل الشرائع ص ٥٧٦ باب ٣٨١ حديث ١.

(١) في المصدر: «التوبة».

(٣) سورة المطففين، آية: ٧.

(٥) سورة المطففين، آية: ١٨.

(٧) مجمع البيان ج ١٠ ص ٤٥٦.

(٩) المحاسن ج ٢ ص ٦١ حديث ١١٧٤.

لما أسري بي إلى السماء انتهيت إلى محل^(١) سدرة المنتهى وإذ^(٢) الورقة منها تظل أمة من الأمم فكتت من ربي كقاب^(٣) قوسين أو أدنى الخبر^(٤).

٣- ومنه: قال سدرة المنتهى في السماء السابعة وجنة المأوى عندها^(٥).

٤- ومنه: في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر^(٦) قال السجين الأرض السابعة وعليون السماء السابعة^(٦).

بيان: قال في النهاية فيه إن أهل الجنة ليرثون أهل عليين كما ترون الكوكب الدرّي في أفق السماء عليون اسم للسماء السابعة وقيل هو اسم لديوان الملائكة الحفظة ترفع إليه أعمال الصالحين من العباد وقيل أراد أعلى الأمكنة وأشرف المراتب وأقربها من الله تعالى في الدار الآخرة ويعرب بالحروف والحركات كقفسرين وأشباهاها على أنها جمع أو واحد^(٧) وقال سدرة المنتهى شجرة في أقصى الجنة إليها ينتهي علم الأولين والآخرين ولا يتعداها^(٨).

٥- الدر المنثور: عن ابن عباس سأل كعب الأحبار عن قوله «كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ»^(٩) قال إن روح الفاجر يصعد بها إلى السماء فتأبى السماء أن تقبلها فيهبط بها إلى الأرض فتأبى الأرض أن تقبلها فيدخل بها تحت سبع أرضين حتى ينتهي بها إلى سجين وهو موضع جند^(١٠) إبليس فيخرج لها من تحت جند^(١١) إبليس رق لهلاكه للحساب فذلك قوله «وَمَا أَذْرَاكَ مَا سِجِّينٌ كِتَابٌ مَرْقُومٌ» وقوله «كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ» قال إن روح المؤمن إذا قبضت عرج بها إلى السماء فتفتح لها^(١٢) أبواب السماء وتلقاها الملائكة بالبشرى حتى ينتهي بها إلى العرش وتخرج الملائكة فيخرج لها من تحت العرش رق فيرقم ويختم ويوضع تحت العرش لمعرفة النجاة لحساب^(١٣) يوم الدين وتشهد الملائكة المقربون فذلك قوله «وَمَا أَذْرَاكَ مَا عَلِيُّونَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ»^(١٤).

٦- وعن سعيد بن المسيب قال التقى سلمان وعبد الله بن سلام فقال أحدهما لصاحبه إن مت قبلي فالتقي فأخبرني ما صنع بك ربك وإن أنا مت قبلك لتتبعك فأخبرتك فقال عبد الله بن سلام كيف هذا^(١٥) أو يكون هذا قال نعم إن أرواح المؤمنين^(١٦) في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت ونفس الكافر في سجين^(١٧).

٧- وعن قتادة «كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ»^(١٨) قال عليون فوق السماء السابعة عند قائمة العرش اليمنى «كِتَابٌ مَرْقُومٌ» قال رقم لهم بخير «بَشَهِدَةُ الْمُقَرَّبُونَ» قال المقربون من ملائكة الله^(١٩).

٨- وعن الضحاك قال إذا قبض روح^(٢٠) المؤمن عرج^(٢١) به إلى السماء الدنيا فينطلق معه المقربون إلى السماء الثانية قال الأجلح فقلت وما المقربون قال أقربهم إلى السماء الثانية ثم الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة ثم السابعة حتى ينتهي به إلى سدرة المنتهى قال الأجلح قلت للضحاك ولم تسمى سدرة المنتهى قال لأنه ينتهي إليه كل شيء من أمر الله لا يعدوها فيقولون رب عبدك فلان وهو أعلم به منهم فيبعث إليهم بصك مختوم بأمنه^(٢٢) من العذاب وذلك قوله «كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ وَ مَا أَذْرَاكَ مَا عَلِيُّونَ كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ»^(٢٣).

٩- وعن ابن عباس سأل كعبا عن قوله تعالى «كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ» الآية قال إن المؤمن يحضره الموت ويحضره رسل ربه فلا هم يستطيعون أن يؤخروه ساعة ولا يعجلوه حتى تجيء ساعته فإذا جاءت ساعته

(١) كلمة: «محل» ليست في المصدر.

(٢) في المصدر: «فكتت منها كما قال الله» «كقاب قوسين أو أدنى».

(٣) تفسير علي بن إبراهيم القمي ج ٢ ص ٣٣٥.

(٤) تفسير علي بن إبراهيم القمي ج ٢ ص ٤١٠.

(٥) النهاية ج ٢ ص ٣٥٣.

(٦) في المصدر: «وهو خد إبليس». الخ: الطريق والجماعة والحفرة المستطيلة في الأرض كالخدة بالضم والقاموس المحيط ج ١ ص ٣٠١.

(٧) في المصدر: «فيخرج لها من تحت خد إبليس كتاباً فيختم ويوضع تحت خد إبليس لهلاكه».

(٨) من المصدر.

(٩) الدر المنثور ج ٦ ص ٣٢٤، والآية من سورة المطففين: ٧.

(١٠) في المصدر إضافة: «تكون».

(١١) سورة المطففين: آية: ١٨.

(١٢) في المصدر: «روح العبد المؤمن».

(١٣) في المصدر: «يأمنه».

(١٤) الدر المنثور ج ٦ ص ٣٢٦.

(١٥) في المصدر: «كيف يكون هذا؟».

(١٦) الدر المنثور ج ٦ ص ٣٢٦.

(١٧) في المصدر: «يعرج».

(١٨) الدر المنثور ج ٦ ص ٣٢٦.

قبضوا نفسه فدفعوه إلى ملائكة الرحمة فأروه ما شاء الله أن يروه من الخير ثم عرجوا بروحه إلى السماء فيشيعة من كل سماء مقربوها حتى ينتهوا به إلى السماء السابعة فيضعونه بين أيديهم لا ينتظرون به صلاتكم عليه فيقولون اللهم هذا عبدك فلان قبضنا نفسه فيدعون له بما شاء الله أن يدعو فنحن نحب أن تشهدنا^(١) اليوم كتابه فينشر كتابه من تحت العرش فيشتون اسمه فيه وهم شهداء^(٢) فذلك قوله ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُرْسَلُونَ﴾^(٣) وسأله عن قوله ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾^(٤) الآية قال إن العبد الكافر يحضره الموت ويحضره رسل الله فإذا جاءت ساعته قبضوا نفسه فدفعوه إلى ملائكة العذاب فأروه ما شاء الله أن يروه من الشر ثم هبطوا به إلى الأرض السفلى وهي سجين وهي آخر سلطان إبليس فأثبتوا كتابه فيها^(٥)

١٠-و عن عطاء بن يسار قال لقيت رجلا من حمير كان^(٦) علامة يقرأ الكتب فقلت له الأرض التي نحن عليها ما مكانها^(٧) قال هي على صخرة خضراء تلك الصخرة على كف ملك ذلك الملك قائم على ظهر حوت^(٨) قلت الأرض الثانية من سكانها قال ساكنها الريح العقيم لما أراد الله أن يهلك عادا أوحى إلى خزنتها أن افتحوا عليهم منها بابا قالوا يا ربنا مثل منخر الثور قال إذا تكفأ^(٩) الأرض ومن عليها فضيق ذلك حتى جعل مثل حلقة الخاتم فبلغت ما حدث الله قلت الأرض الثالثة من سكانها^(١٠) قال فيها حجارة جهنم قلت الأرض الرابعة من سكانها قال فيها كبريت جهنم قلت الأرض الخامسة من سكانها قال فيها عقارب جهنم قلت الأرض السادسة من سكانها قال فيها حيات جهنم قلت الأرض السابعة من سكانها قال تلك سجين فيها إبليس موثق^(١١) يد أمامه ويد خلفه ورجل أمامه ورجل خلفه كان يؤذي الملائكة فاستعدت عليه فسجن هنالك وله زمان يرسل فيه فإذا أرسل لم تكن فتنة الناس بأعيا عليهم من شيء^(١٢)

البیت المعمور^(١٣)

باب ٨

الآيات: الطور: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾.

تفسير: قال الطبرسي البيت المعمور هو بيت في السماء الرابعة بحيال الكعبة تعمره الملائكة بما يكون منها فيه من العبادة عن ابن عباس ومجاهد. وروي أيضا عن أمير المؤمنين عليه السلام قال ويدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه أبدا. وعن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله قال البيت المعمور في السماء الدنيا وفي السماء^(١٤) الرابعة نهر يقال له الحيوان يدخل فيه جبرئيل كل يوم طلعت فيه الشمس وإذا خرج انتفض انتفاضة جرت منه سبعون ألف قطرة يخلق الله من كل قطرة ملكا يؤمرون أن يأتوا البيت المعمور فيصلوا فيه فيفعلون ثم لا يعودون إليه أبدا. وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله البيت الذي في السماء يقال له الضراح وهو بقاء البيت الحرام لو سقط سقط عليه يدخله كل يوم ألف ملك لا يعودون إليه أبدا. وقيل البيت المعمور هو الكعبة البيت الحرام معمور بالحج والعمرة عن الحسن وهو أول مسجد وضع للعبادة في الأرض^(١٥).

١-محاسبة النفس: للسيد علي بن طائوس ره نقلا من كتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام لعبد العزيز الجلودي بإسناده قال سأل ابن الكواء أمير المؤمنين عليه السلام عن البيت المعمور والسقف المرفوع قال ويلك ذلك الضراح^(١٦) بيت في

(١) في المصدر: «يشهدنا».

(٢) سورة المطففين، آية: ٢٠ و ٢١.

(٣) الدر المنثور ج ٦ ص ٣٢٧.

(٤) في المصدر: «سكانها».

(٥) في المصدر: «حوت منظر بالساوات والأرض من تحت العرش».

(٦) في المصدر: «سكانها» وكذا في ما بعد.

(٧) الدر المنثور ج ٦ ص ٣٢٧.

(٨) في المصدر: «في السماء الدنيا».

(٩) في المصدر: «الضراح».

(١٠) في المصدر: «يشهدنا».

(١١) سورة المطففين، آية: ٢٠ و ٢١.

(١٢) الدر المنثور ج ٦ ص ٣٢٧.

(١٣) في المصدر: «سكانها».

(١٤) في المصدر: «حوت منظر بالساوات والأرض من تحت العرش».

(١٥) في المصدر: «سكانها» وكذا في ما بعد.

(١٦) الدر المنثور ج ٦ ص ٣٢٧.

(١٧) في المصدر: «في السماء الدنيا».

(١٨) في المصدر: «الضراح».

السماء الرابعة حيال الكعبة من لؤلؤة واحدة^(١) يدخله^(٢) كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى يوم القيامة فيه^(٣) كتاب أهل الجنة عن يمين الباب يكتبون أعمال أهل الجنة^(٤) وفيه كتاب أهل النار عن يسار الباب يكتبون أعمال أهل النار بأقلام سود فإذا كان مقدار العشاء ارتفع الملكان فيسمعون منهما^(٥) ما عمل الرجل فذلك قوله تعالى ﴿هَذَا كِتَابُنَا يُنْطَقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٦).

بيان: فيسمعون أي الملكة الذين عن يمين الباب و يساره منهما أي من الملكين الكاتبين ﴿هَذَا كِتَابُنَا﴾ قال الطبرسي ره يعني ديوان الحفظه ﴿يُنْطَقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ أي يشهد عليكم بالحق والمعنى يبينه بيان شافيا حتى كأنه ناطق ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٧) أي نستكتب الحفظه ما كنتم تعملون في دار الدنيا والاستنساخ الأمر بالنسخ مثل الاستكتاب^(٨) وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ يشهد بما قضى فيه من خير و شر وعلى هذا فيكون معنى ﴿نَسْتَنْسِخُ﴾ أن الحفظه تستنسخ الخزنة ما هو مدون عندها من أعمال^(٩) العباد وهو قول ابن عباس^(١٠).

٢-العلل: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد عن الحسن بن علي الوشاء عن أحمد بن عاتق عن أبي خديجة عن أبي عبد الله عليه السلام قال قلت له لم سمي البيت العتيق قال إن الله عز وجل أنزل الحجر الأسود لآدم من الجنة وكان البيت درة بيضاء فرفعه الله إلى السماء وبقي أسه فهو بحيال هذا البيت يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون إليه أبدا فأمر الله إبراهيم وإسماعيل ببيان البيت على القواعد وإنما سمي البيت العتيق لأنه أعتق من الفرق^(١١).

٣- تفسير علي بن إبراهيم: ﴿وَالْبَيْتِ الْمُعْتَمَرِ﴾^(١٢) قال هو في السماء الرابعة وهو الضراح يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه أبدا^(١٣).

٤-العلل: عن علي بن حاتم عن القاسم بن محمد عن حمدان بن الحسين عن الحسين بن الوليد عن أبي بكر عن حنان بن سدير عن أبي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليه السلام قال قلت له^(١٤) لم صار الطواف سبعة أشواط قال لأن الله تبارك وتعالى قال للملائكة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١٥) فردوا على الله تبارك وتعالى وقالوا ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾^(١٦) قال الله ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١٧) وكان لا يحجبهم عن نوره فعجبهم عن نوره سبعة آلاف عام فلاذوا بالعرش سبعة آلاف سنة فرحمهم و تاب عليهم وجعل لهم البيت المعمور الذي في السماء الرابعة فجعله مثابة وأمنأ ووضع البيت الحرام تحت البيت المعمور فجعله مثابة لِلنَّاسِ وَأَمْنًا فصار الطواف سبعة أشواط واجبا على العباد لكل ألف سنة شوطا واحدا^(١٨).

٥-العلل: في علل ابن سنان عن الرضا عليه السلام علة الطواف بالبيت أن الله تبارك وتعالى قال للملائكة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً فَالْوَا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ فردوا على الله تبارك وتعالى هذا الجواب فعلموا أنهم أذنبوا فندموا فلاذوا بالعرش واستغفروا فأحب الله عز وجل أن يتعبد بمثل ذلك العباد فوضع في السماء الرابعة بيتا بحذاء العرش يسمى الضراح ثم وضع^(١٩) في السماء الدنيا بيتا يسمى البيت المعمور بحذاء الضراح ثم وضع البيت بحذاء البيت المعمور ثم أمر آدم عليه السلام فطاف به فتاب الله عليه فجري ذلك في ولده إلى يوم القيامة^(٢٠).

(١) في المصدر: «لؤلؤة جَوْ».

(٢) في المصدر: «فيدخل».

(٣) كلمة: «فيه» ليست في المصدر.

(٤) في المصدر: «فيستسخون منهم».

(٥) محاسبة النفس لابن طارس ص ٤١ و ٤٢ باب ٥ والآية من سورة الجاثية: ٢٨.

(٦) سورة الجاثية: آية: ٢٨.

(٧) في المصدر: «أحوال».

(٨) علل الشرائع ص ٣٩٩ و ٣٩٨ باب ١٣٩ (العلقة التي من أجلها سمي البيت الحرام) حديث ١.

(٩) سورة الطور: آية: ٤.

(١٠) سورة البقرة: آية: ٣٠.

(١١) سورة البقرة: آية: ٣٠.

(١٢) سورة البقرة: آية: ١٧.

(١٣) سورة البقرة: آية: ١٧.

(١٤) سورة البقرة: آية: ١٧.

(١٥) سورة البقرة: آية: ١٧.

(١٦) سورة البقرة: آية: ١٧.

(١٧) سورة البقرة: آية: ١٧.

(١٨) سورة البقرة: آية: ١٧.

(١٩) سورة البقرة: آية: ١٧.

(٢٠) سورة البقرة: آية: ١٧.

(١) في المصدر: «لؤلؤة جَوْ».

(٢) في المصدر: «فيدخل».

(٣) كلمة: «فيه» ليست في المصدر.

(٤) في المصدر: «فيستسخون منهم».

(٥) محاسبة النفس لابن طارس ص ٤١ و ٤٢ باب ٥ والآية من سورة الجاثية: ٢٨.

(٦) سورة الجاثية: آية: ٢٨.

(٧) في المصدر: «أحوال».

(٨) علل الشرائع ص ٣٩٩ و ٣٩٨ باب ١٣٩ (العلقة التي من أجلها سمي البيت الحرام) حديث ١.

(٩) سورة الطور: آية: ٤.

(١٠) سورة البقرة: آية: ٣٠.

(١١) سورة البقرة: آية: ٣٠.

(١٢) سورة البقرة: آية: ١٧.

(١٣) سورة البقرة: آية: ١٧.

(١٤) سورة البقرة: آية: ١٧.

(١٥) سورة البقرة: آية: ١٧.

(١٦) سورة البقرة: آية: ١٧.

(١٧) سورة البقرة: آية: ١٧.

(١٨) سورة البقرة: آية: ١٧.

(١٩) سورة البقرة: آية: ١٧.

(٢٠) سورة البقرة: آية: ١٧.

٦- الكفعمي والبرسي: بإسناديهما عن موسى بن جعفر عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام عن النبي ﷺ قال قال جبرئيل والذي بعثك بالحق نبيا إن الله تعالى بنى في السماء الرابعة بيتا يقال له «البيت المعمور» يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك ويخرجون منه ولا يعودون إليه إلى يوم القيامة^(١) الخبر.

٧- الدر المنثور: قال أخرج الأزرقى عن علي بن الحسين عليه السلام أن رجلا سأله ما بدء هذا الطواف بهذا البيت لم كان^(٢) وحيث كان فقال أما بدء هذا الطواف بهذا البيت فإن الله قال لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً فقالت الملائكة أي رب أخليفة من غيرنا ممن يُقْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَيَتَحَادَسُونَ وَيَتَبَاغَضُونَ وَيَتَبَاغَوْنَ أي رب اجعل ذلك الخليفة منا فنحن لا نفسد فيها ولا نسفك الدماء ولا نتباغض ولا نتحاسد ولا نتباغى وَتَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَتُقَدِّسُ لَكَ وَنطيعك ولا نصيك قَالَ اللهُ تَعَالَى «إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ» قال فظننت الملائكة أن ما قالوا رد على ربهم عز وجل وأنه قد غضب عليهم من قولهم فلاذوا بالعرش^(٣) ثلاث ساعات فظفر الله إليهم فنزلت الرحمة عليهم فوضع الله سبحانه تحت العرش بيتا على أربع أساطين من زبرجد وغشاهن بياقوتة حمراء وسمي البيت الضراح ثم قال الله للملائكة طوفوا بهذا البيت ودعوا العرش فطافت الملائكة بالبيت وتركوا العرش فصار أهون عليهم وهو البيت المعمور الذي ذكره الله يدخله كل يوم وليلة سبعون ألف ملك لا يعودون فيه أبدا ثم إن الله تعالى بعث ملائكته فقال ابنوا لي بيتا في الأرض بمثاله وقدره فأمر الله سبحانه من في الأرض من خلقه أن يطوفوا بهذا البيت كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور^(٤).

٨- وعن مقاتل يرفع الحديث إلى النبي ﷺ أن آدم قال أي رب أعرف شقوتي لا أرى شيئا من نورك نعبده^(٥) فأنزل الله عليه البيت المعمور^(٦) على عرض البيت وموضعه من ياقوت الجنة ولكن طوله بين السماء والأرض وأمره أن يطوف به فأذهب عنهم الهم الذي كان قبل ذلك ثم رفع على عهد نوح عليه السلام^(٧).

٩- وعن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ البيت المعمور الذي في السماء يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون فيه إلى يوم القيامة^(٨) حذاء الكعبة الحرام^(٩) وعن أنس مثله^(١٠).

١٠- وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال في السماء الدنيا^(١١) بيت يقال له المعمور يحياي الكعبة وفي السماء الرابعة نهر يقال له الحيوان يدخله جبرئيل كل يوم فينغمس انغماسة ثم يخرج فينتفض انتفاضة يجري منه^(١٢) سبعون ألف قطرة يخلق الله من كل قطرة ملكا يؤمرون أن يأتوا البيت المعمور فيصلون فيفعلون ثم يخرجون فلا يعودون إليه أبدا ويولى عليهم أحدهم يؤمر أن يقف بهم في السماء موقفا يسبحون الله فيه إلى أن تقوم الساعة^(١٣).

١١- وعن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ البيت المعمور في السماء يقال له الضراح على مثل البيت الحرام^(١٤) لو سقط سقط عليه^(١٥) يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لم يروه^(١٦) قط وإن له في السماء حرمة على قدر حرمة مكة^(١٧).

١٢- وعن خالد بن مرة^(١٨) أن رجلا قال لعلي عليه السلام ما البيت المعمور قال بيت في السماء يقال له الضراح وهو

(١) لم نخر عليه في المظان من الصباح للكفعمي ولا في المظان من مشارق أنوار اليقين للطبرسي، علما بأن هذا الحديث جاء تامه في ج ٩٤ ص ٣٩٧ - ٤٠٢ من المطبوعة نقلًا عن مهج الدعوات ص ٢٢٧ - ٢٣٢.

(٢) في المصدر إضافة: «وإني».

(٣) في المصدر: «فلاذوا بالعرش ورفعوا رؤوسهم وإشاروا بالأصابع يتضرعون ويكون إشفاقاً لغضبه، فطافوا بالعرش ثلاث ساعات».

(٤) الدر المنثور ج ١ ص ١٢٨.

(٥) في المصدر: «بعد».

(٦) في المصدر: «البيت الحرام على عرض البيت الذي في الزمان».

(٧) الدر المنثور ج ١ ص ١٣٠.

(٨) في المصدر: «لا يعودون إليه أبدا» بدل «لا يعودون فيه إلى يوم القيامة».

(٩) الدر المنثور ج ٦ ص ١١٧، وليس فيه «حذاء الكعبة الحرام».

(١٠) الدر المنثور ج ٦ ص ١١٧.

(١١) كلمة: «الدنيا» ليست في المصدر.

(١٢) في المصدر: «يخر عنه» بدل «يجري منه».

(١٣) في المصدر إضافة: «بحياله».

(١٤) في المصدر: «لم يروه».

(١٥) في المصدر: «خالد بن عرفة».

بحيال الكعبة^(١) حرمة في السماء كحرمة البيت في الأرض يصلي فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة لا يعودون إليه أبداً.^(٢)

١٣- و عن أبي الطفيل أن ابن الكواء سأل علياً^{عليه السلام} عن البيت المعمور ما هو قال ذاك الضراح بيت فوق سبع سماوات تحت العرش يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه إلى يوم القيامة.^(٣)

١٤- و عن ابن عباس قال هو بيت حذاء العرش تعمره الملائكة يصلي فيه كل ليلة^(٤) سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يعودون إليه.^(٥)

١٥- و عن الضحاك قال أنزل من الجنة وكان يعمر بمكة فلما كان الفرق رفعه الله فهو في السماء السادسة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك.^(٦)

بيان: مقتضى الجمع بين الأخبار مع صحة جميعها القول بتحقيق البيت في جميع تلك المواضع و سيأتي كثير من الأخبار المتعلقة بالباب في باب الملائكة.

باب ٩ السماوات و كفياتها و عددها و النجوم و أعدادها و صفاتها و المجرة

الآيات:

الأنعام: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَ الْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.^(٧)
الأعراف: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾.^(٨)

الرعد: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾.^(٩)

الحجر: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ إِلَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ وَ لَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَ رَئِيسَآهَا لِلشَّاطِرِينَ وَ حَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ مِّمِينَ﴾.^(١٠)

النحل: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.^(١١) و قال ﴿وَ عَلَامَاتٍ وَ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾.^(١٢)
طه: ﴿تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَىٰ﴾.^(١٣)

الأنبياء: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا مُعْرِضُونَ﴾.^(١٤) و قال تعالى ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾.^(١٥)

الحج: ﴿وَيُفْسِكِ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾.^(١٦)

المؤمنون: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَ مَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾.^(١٧) و قال تعالى ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾.^(١٨)

- | | |
|--------------------------------|-----------------------------------|
| (١) في المصدر: «مكة من فوقها». | (٢) الدر المنثور ج ٦ ص ١١٧. |
| (٣) الدر المنثور ج ٦ ص ١١٧. | (٤) في المصدر: «يوم». |
| (٥) الدر المنثور ج ٦ ص ١١٧. | (٦) الدر المنثور ج ٦ ص ١١٧. |
| (٧) سورة الأنعام، آية: ٩٧. | (٨) سورة الأعراف، آية: ٤٠. |
| (٩) سورة الرعد، آية: ٢. | (١٠) سورة الحجر، آية: ١٤ - ١٨. |
| (١١) سورة النحل، آية: ٣. | (١٢) سورة النحل، آية: ١٦. |
| (١٣) سورة طه، آية: ٤. | (١٤) سورة الأنبياء، آية: ٣٢. |
| (١٥) سورة الأنبياء، آية: ١٠٤. | (١٦) سورة الحج، آية: ٦٥. |
| (١٧) سورة المؤمنون، آية: ١٧. | (١٨) سورة المؤمنون، آية: ٨٦ و ٨٧. |

الفرقان: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾. (١)
العنكبوت: ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾. (٢)
الروم: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾. (٣)
لقمان: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بَعَثَ عِندَ تَرَوْنَهَا﴾. (٤)
الصافات: ﴿وَرَبُّ الْمَشَارِقِ إِنَّا رَبُّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بَرِيَّةَ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى فَأَتَيْتُهُ شِهَابًا نَاقِبٌ﴾. (٥)

المؤمن: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَ السَّمَاءَ بِنَاءً﴾. (٦)
السجدة: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَ هِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَواتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَ رَبُّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِصَاصِيحَ وَ حِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾. (٧)

ق: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَ رَبَّيْنَاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾. (٨)
الذاريات: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْحُبُكِ﴾ (٩) و قال تعالى ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (١٠) و قال ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِمُونَ﴾. (١١)

الطور: ﴿وَالسَّغَفَرِ الْفُتُوحِ﴾ (١٢) و قال تعالى ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾. (١٣)
النجم: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ (١٤) و قال تعالى ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَى﴾. (١٥)
القمر: ﴿افْتَرَسَتْ السَّاعَةُ وَ انشَقَّ الْقَمَرُ﴾. (١٦)

الرحمن: ﴿السَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يُسْجَدَانِ وَ السَّمَاءُ رَفَعَهَا﴾ (١٧) و قال ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾. (١٨)

الواقعة: ﴿فَلَمَّا أَفَسِمَ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَفَسَمَ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾. (١٩)
الملك: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ اِزْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَ هُوَ حَسِيرٌ وَلَقَدْ رَبَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِصَاصِيحَ وَ جَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ الشَّعِيرِ﴾. (٢٠)

الحاقة: ﴿وَ انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾. (٢١)
المعارج: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾. (٢٢)
نوح: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَ جَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾. (٢٣)
الجن: ﴿وَ أَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِثًا حَرَسًا شَدِيدًا وَ شُهَبًا وَ أَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾. (٢٤)

- | | |
|--------------------------------|------------------------------|
| (١) سورة الفرقان، آية: ٦١. | (٢) سورة العنكبوت، آية: ٤٤. |
| (٣) سورة الروم، آية: ٢٥. | (٤) سورة لقمان، آية: ١٠. |
| (٥) سورة الصافات، آية: ٥ - ١٠. | (٦) سورة المؤمن، آية: ٦٤. |
| (٧) سورة فصلت، آية: ١١ و ١٢. | (٨) سورة ق، آية: ٦. |
| (٩) سورة الذاريات، آية: ٧. | (١٠) سورة الذاريات، آية: ٢٢. |
| (١١) سورة الذاريات، آية: ٤٧. | (١٢) سورة الطور، آية: ٥. |
| (١٣) سورة الطور، آية: ٩. | (١٤) سورة النجم، آية: ١. |
| (١٥) سورة النجم، آية: ٤٩. | (١٦) سورة القمر، آية: ١. |
| (١٧) سورة الرحمن، آية: ٥ - ٧. | (١٨) سورة الرحمن، آية: ٣٧. |
| (١٩) سورة الواقعة، آية: ٧٦. | (٢٠) سورة الملك، آية: ٣ - ٥. |
| (٢١) سورة الحاقة، آية: ١٦. | (٢٢) سورة المعارج، آية: ٨. |
| (٢٣) سورة نوح، آية: ١٥ و ١٦. | (٢٤) سورة الجن، آية: ٨ و ٩. |

- المرسلات: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾^(١).
 النبا: ﴿سَوَّيْنَاهَا فَوَقَّحَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾^(٢).
 التكويم: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُسْفَانِ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ﴾^(٣).
 الانفطار: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾^(٤).
 الإنشقاق: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ﴾^(٥).
 البروج: ﴿وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾^(٦).
 الطارق: ﴿وَ السَّمَاءِ وَ الطَّارِقِ وَ مَا أَذْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾^(٧).
 الغاشية: ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾^(٨).
 الشمس: ﴿وَ السَّمَاءِ وَ مَا بَنَاهَا﴾^(٩).

تفسير: ﴿جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ﴾^(١٠) أي خلقها لمنافعكم ﴿لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَ الْبَحْرِ﴾ قبل أي في ظلمات الليل في البر والبحر وإضافتها إليهما للملاسة أو في مشتبهات الطرق سماها ظلمات على الاستعارة وهو إفراء لبعض منافعها بالذكر بعد أن أجملها بقوله ﴿لَكُمْ﴾ وأولت النجوم في الأخبار بالأمّة الأخيارية فإنهم الهداة في ظلمات الفتن والشبهات ولا ينافي الظاهر ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ﴾ بينها فصلا فصلا ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فإنهم المتفتنون به. ﴿لَا تَنْفَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ أي لأدعيتهم وأعمالهم أو لأرواحهم كما تفتح لأعمال المؤمنين وأرواحهم ويدل على أن للسماء أبوابا وربما يحمل على المجاز ﴿يَبْعَثُ عَمِدَ تَرَوْنَهَا﴾ قال الرازي في قوله تَرَوْنَهَا أقوال الأول أنه كلام مستأنف والمعنى رفع السماوات بغير عمد ثم قال ﴿تَرَوْنَهَا﴾ أي وأنتم ترونها أنها^(١١) مرفوعة بلا عماد الثاني قال الحسن في الآية^(١٢) تقديم وتأخير تقديره رفع السماوات ترونها بغير عمد الثالث أن قوله ﴿تَرَوْنَهَا﴾ صفة للعمد والمعنى بغير عمد مرئية أي للسماوات عمد ولكننا لا نراها قالوا ولها عمد على جبل قاف وهو جبل من زبرجد محيط بالدنيا ولكنكم لا ترونه وهذا التأويل في غاية السقوط لأنه تعالى إنما ذكر هذا الكلام ليكون حجة على وجود الإله القادر ولو كان المراد ما ذكره ما تمت^(١٣) الحجة لأنه يقال إن السماوات لما كانت مستقرة على جبل^(١٤) فأي دلالة تبقى فيها^(١٥) على وجود الإله.

وعندي فيه وجه آخر أحسن من الكل وهو أن العماد ما يعتمد عليه وقد دللنا على أن هذه الأجسام إنما بقيت واقفة في الجو العالي بقدرة الله فحينئذ يكون عمدها هو قدرة الله تعالى فصح أن يقال رفع السماوات^(١٦) بغير عمد ترونها أي لها عمد في الحقيقة إلا أن تلك العمدة هي إمساك الله^(١٧) تعالى وحفظه وتديره وإبقاؤه إياها في الجو العالي وأنتم لا ترون ذلك التدبير ولا تعرفون^(١٨) كيفية ذلك الإمساك^(١٩) انتهى.

وأقول: هذا الوجه الأخير الذي يتيج به ونسبه إلى نفسه أورده شيخنا الطبرسي ره في مجمع البيان راويا عن ابن عباس ومجاهد.^(٢٠)

﴿وَ سَخَّرَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ﴾ فيه أنواع من الدلالة على وجود الإله الحق وحكمته وقدرته إذ أصل تلك الحركات

- (١) سورة المرسلات، آية: ٨ و ٩.
 (٢) سورة التكويم، آية: ١١ - ١٦.
 (٣) سورة الانفطار، آية: ١ و ٢.
 (٤) سورة البروج، آية: ١.
 (٥) سورة الغاشية، آية: ١٨.
 (٦) سورة الأنعام، آية: ٩٧.
 (٧) في المصدر: «في تقرير الآية».
 (٨) في المصدر: «إضافة: قاف».
 (٩) في المصدر: «السما».
 (١٠) في المصدر: «وأنهم لا يرون ذلك التدبير ولا يعرفون».
 (١١) مجمع البيان ج ٦ ص ٢٧٤.
 (١٢) سورة المرسلات، آية: ٨ و ٩.
 (١٣) سورة التكويم، آية: ١١ - ١٦.
 (١٤) سورة الانفطار، آية: ١ و ٢.
 (١٥) سورة البروج، آية: ١.
 (١٦) سورة الغاشية، آية: ١٨.
 (١٧) سورة الأنعام، آية: ٩٧.
 (١٨) في المصدر: «في تقرير الآية».
 (١٩) في المصدر: «إضافة: قاف».
 (٢٠) في المصدر: «السما».
 (٢١) في المصدر: «وأنهم لا يرون ذلك التدبير ولا يعرفون».
 (٢٢) مجمع البيان ج ٦ ص ٢٧٤.
 (٢٣) في المصدر: «قدرة».
 (٢٤) التفسير الكبير ج ١٨ ص ٢٣٢ و ٢٣٣.

السريعة واستمرارها وكونها على أقدار مخصوصة وكون بعضها مشرقية وبعضها مغربية وبعضها مائلة إلى الشمال وبعضها مائلة إلى الجنوب مما يدل دلالة قطعية على وجود قادر قاهر كامل في العلم والحكمة واللفظ والرحمة ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾.

قال الرازي فيه قولان الأول قال ابن عباس للشمس مائة وثمانون منزلا كل يوم لها منزل وذلك ^(١) في ستة أشهر ثم إنها تعود مرة أخرى إلى واحد واحد ^(٢) منها في ستة أشهر مرة ^(٣) أخرى وكذلك القمر له ثمانية وعشرون منزلا فالمراد بقوله ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هذا وتحقيقه أنه تعالى قدر لكل واحد من هذه الكواكب سيرا خاصا إلى جهة خاصة بمقدار خاص من السرعة والبطء ومتى كان الأمر كذلك لزم أن يكون لها بحسب كل لحظة ولمحة حال ^(٤) أخرى ما كانت حاصلة قبل ذلك والثاني المراد كونهما متحركين إلى يوم القيامة وعند مجيء ذلك اليوم تنقطع هذه الحركات ^(٥) بقوله تعالى ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ ^(٦) و﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ ^(٧) و﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ ^(٨) و﴿جُمُعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ ^(٩).

﴿يَذَرُ الْأُمُورَ﴾ ^(١٠) قال البيضاوي أي أمر ملكوته من الإيجاد والإعدام والإحياء والإماتة وغير ذلك ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ ينزلها وبينها مفصلة أو يحدث الدلائل بواحد ^(١١) بعد واحد ﴿لَعَلَّكُمْ يَلْقَاءُ رَبَّكُمْ تَوَقُّونَ﴾ لكي تفكروا فيها وتحققوا كمال قدرته فتعلموا أن من قدر على خلق هذه الأشياء وتديرها قدر على الإعادة والجزاء. ^(١٢)

قوله تعالى ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا﴾ ^(١٤) ظاهره جواز الخرق على الأفلاك وإن أمكن أن يكون من قبيل التعليق على المحال ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ ^(١٥) أكثر المفسرين حملوه على البروج الاثني عشر المعروفة وقيل هي الكواكب. قال الطبرسي ره أي منازل للشمس والقمر ﴿وَرَبَّيْنَاهَا لِلنَّاطِرِينَ﴾ بالكواكب النيرة عن أبي عبد الله عليه السلام وقيل البروج النجوم عن ابن عباس والحسن وقادة ﴿وَحَفِظْنَاهَا﴾ ^(١٦) أي ^(١٧) السماء ﴿مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ أي مرجوم مرمي بالشهاب ^(١٨) وقيل ^(١٩) ملعون مشنوم وحفظ السماء من الشيطان بالمنع حتى لا يدخلها ولا يبلغ إلى موضع يتمكن فيه من استراق السمع بما أعد له من الشهاب ﴿إِنَّا مَنَ شَرَقْنَا السَّمْعَ﴾ المراد بالسمع ^(٢٠) السمعوم والمعنى إلا من حاول أخذ مسموم من السماء في خفية ﴿فَأَتَيْنَهُ﴾ أي لحقه ﴿شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ أي شعلة نار ظاهر لأهل الأرض بين لمن رآه ونحن في رأي العين نرى كأنهم يرمون بالنجوم والشهاب عمود من نور يضيء ضياء النار لشدة ضيائه وروي عن ابن عباس أنه قال ^(٢١) كان في الجاهلية كهنة ومع كل واحد شيطان فكان يقعد من السماء مقاعد للسمع فيستمع من الملائكة ما هو كائن في الأرض فينزل ويخبر به الكاهن فيفشييه الكاهن إلى الناس فلما بعث الله عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات ولما بعث محمدا عليه السلام منعوا من السماوات كلها وحرست السماء بالنجوم والشهاب من معجزات نبينا عليه السلام لأنه لم ير قبل زمانه وقيل إن الشهاب يقتل ^(٢٢) الشياطين وقيل لا يقتلهم. ^(٢٣)

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ ^(٢٤) أي لأمر حق هو العبادة والمعرفة أو على مقدار وشكل وأوضاع

(١) كلمة: «واحد» ليست في المصدر.

(٤) في المصدر: «حالة».

(٦) في المصدر: «كما وصف الله تعالى ذلك في قوله».

(٨) سورة الانشقاق: آية: ١.

(١٠) التفسير الكبير ج ١٨ ص ٢٣٣ و ٢٣٤ والآية الأخيرة هي من سورة القيامة: ٩.

(١٢) في المصدر: «واحداً بعد واحد».

(١٤) سورة الحجر: آية: ١٤.

(١٦) سورة الحجر: آية: ١٧.

(١٨) في المصدر: «بالشهب».

(٢٠) في المصدر إضافة: «هنا».

(٢٢) في المصدر: «يعرق».

(٢٤) سورة الزمر: آية: ٥.

(١١) في المصدر إضافة: «بتم».

(٣) كلمة: «مرة» ليست في المصدر.

(٥) في المصدر إضافة: «و تبطل تلك السيرات».

(٧) سورة التكويد: آية: ١ و ٢.

(٩) سورة الانفطار: آية: ١.

(١١) سورة الرعد: آية: ٢ وما بعدها ذيلها.

(١٣) أنوار التنزيل ج ١ ص ٥٠٠.

(١٥) سورة الحجر: آية: ١٦.

(١٧) في المصدر: «وحفظنا أي».

(١٩) في المصدر إضافة: «رجيم».

(٢١) من المصدر.

(٢٣) مجمع البيان ج ٦ ص ٣٣١ و ٣٣١ ملخصاً.

وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته ﴿تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(١) منها أو مما يفتقر في وجوده أو بقاءه إليها وما لا يقدر على خلقها. ﴿وَعَلَّمَآتٍ﴾ عطف على قوله ﴿وَرَوَّاسٍ﴾ في قوله ﴿وَوَلَّى فِي الْأَرْضِ رَوَّاسٍ﴾^(٢) أي ألقى في الأرض وجعل فيها معالم تستدل به السابلة من جبل ومنهل وريح ونحو ذلك ﴿وَوَالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾^(٣) بالليل في البراري والبحار والمراد بالنجم الجنس وقيل التريا والفرقدان وبنات النعش والجدي قيل ولعل الضمير لقريش لأنهم كانوا كثير الأسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء في مساريهم بالنجوم وفي كثير من الروايات أن العلامات الأئمة عليهم السلام والنجم رسول الله ﷺ وضمير هم راجع إلى العلامات باعتبار المعنى والعلى جمع العليا تأنيث الأعلى أي السماوات الرفيعة العالية.

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفَافًا مَحْفُوظًا﴾^(٤) أي عن الوقوع بقدرته أو عن الفساد والانحلال إلى الوقت المعلوم بمشيته أو عن استراق السمع بالشهب ﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِنَا﴾ أي أحوالها الدالة على وجود الصانع وحدته وكمال قدرته وتناهي حكمته ﴿مُعْرِضُونَ﴾ غير متفكرين.

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ﴾^(٥) قال الطبرسي ره المراد بالطي هنا هو الطي المعروف فإن الله سبحانه يطوي السماء بقدرته وقيل إن طي السماء ذهابها عن الحسن ﴿كَطَيِّ السَّجِّ لِلْكُتُبِ﴾ السجل^(٦) صحيفة فيها الكتب وقيل^(٧) ملك يكتب أعمال العباد وقيل اسم كاتب كان للنبي ﷺ انتهى.

وأقول: تدل الآية على حدوث السماوات وإمكان خرقها وزوالها وتغير أحوالها رداً على الحكماء المنكرين لجميع ذلك.

﴿أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ﴾ قال البيضاوي من أن تقع أو كراهة أن تقع بأن خلقها على صورة متداعية إلى الاستسكان ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ أي إلا بمشيته وذلك يوم القيامة وفيه رد لاستسكانها بذاتها فإنها مساوية لساير الأجسام في الجسمية فتكون قابلة للميل الهابط قبول غيرها^(٨) انتهى.

﴿سَبْعَ طَرَائِقَ﴾^(٩) قال الرازي أي سبع سماوات وإنما قيل طرائق لتطابقها بمعنى كون بعضها فوق بعض يقال طارقت الرجل نعليه إذا طبق^(١٠) نعلا على نعل وطارق بين ثوبين إذا لبس ثوبا على^(١١) ثوب هذا قول الخليل والزجاج^(١٢) وقال الزجاج هو قوله ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾^(١٣) وقال علي بن عيسى سميت بذلك لأنها طرائق الملائكة^(١٤) في العروج والهبوط والطيران وقال آخرون لأنها طرائق الكواكب فيها مسيرها والوجه في إنعامه علينا بذلك أنه تعالى جعلها موضعا لأرزاقنا بإنزال الماء منها وجعلها مقرا للملائكة وأنها موضع الثواب ولأنها مكان إرسال الأنبياء ونزول الوحي وأما قوله ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ ففيه وجوه أحدها ما كنا غافلين بل كنا للخلق حافظين من أن تسقط عليهم السبع الطرائق^(١٥) فتهلكهم وثانيها إنما خلقناها فوقهم لتنزل عليهم الأرزاق والبركات منها^(١٦) وثالثها أننا خلقنا هذه الأشياء فدل خلقنا لها على كمال قدرتنا ثم بين كمال العلم بقوله ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ يعني عن أعمالهم وأقوالهم وضمايرهم وذلك يفيد نهاية الزجر ورابعها ما كنا عن خلق السماوات غافلين بل نحن لها حافظون لئلا تخرج عن التقدير الذي أردنا كونها عليه كقوله تعالى ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَافُتٍ﴾^(١٧) انتهى.

﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾^(١٨) قال الرازي البروج هي القصور العالية سميت بروج الكواكب^(١٩) به

- | | |
|---|-----------------------------------|
| (١) سورة النحل، آية: ١٥. | (٢) سورة النحل، آية: ١٦. |
| (٣) سورة النحل، آية: ١٦. | (٤) سورة النحل، آية: ١٥. |
| (٥) سورة الأنبياء، آية: ١٠٤ وما بعدها ذيلها. | (٦) من المصدر. |
| (٧) في المصدر إضافة: «أن السجل». | (٨) مجمع البيان ج ٧ ص ٦٦. |
| (٩) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٩٥. | (١٠) سورة المؤمنون، آية: ١٧. |
| (١١) في المصدر: «أطبق». | (١٢) في المصدر: «فوق ثوب». |
| (١٣) في المصدر إضافة: «والفراء». | (١٤) في المصدر: «كقوله». |
| (١٥) سورة الملك، آية: ٣. | (١٦) في المصدر: «للملائكة». |
| (١٧) في المصدر: «الطرائق السبع». | (١٨) في المصدر إضافة: «عن الحسن». |
| (١٩) التفسير الكبير ج ٢٣ ص ٨٧، والآية من سورة الملك: ٣. | (٢٠) سورة الفرقان، آية: ٦١. |

لأنها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها واشتقاق البرج من التبرج لظهوره وفيه قول آخر عن ابن عباس أن البروج هي الكواكب العظام والأول أولى والسراج الشمس انتهى (٢٢).

«بأمره» أي بمحض إرادته «وَرَبُّ الْمَشَارِقِ» (٢٣) قيل أي مشارق الكواكب أو مشارق الشمس في السنة وهي ثلاثمائة وستون يشرق كل يوم في واحد وبحسبها تختلف المغارب ولذلك اكتفي بذكرها مع أن الشروق أدل على القدرة وأبلغ في النعمة «إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ دُنيَا» (٢٤) أي القريب منكم «زِينَةُ الْكُؤَاكِبِ» أي بزينة هي الكواكب بالإضافة البينية أو البدلية على القراءتين «وَحِفْظًا» منصوب بإضمار فعله أو العطف على «زينة» باعتبار المعنى كأنه قال إنا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظًا من كُلِّ شَيْطَانٍ «نَارِدٍ» خارج من الطاعة يرمى بالشهب. (٢٥) «فَرَارًا» أي مستترا تستقرون عليه «وَالسَّمَاءَ بِنَاءً» (٢٦) أي وجعل السماء بناء مرتفعا فوقها ولو جعلها رتقا لما أمكن الخلق الانتفاع بما بينهما «كَيْفَ بَنَيْنَاهَا» أي رفعناها بلا عمد وَزَيَّنَّاها بالكواكب «وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ» (٢٧) أي فتوق كسائر الأبنية المبنية من الأحجار والنبات بل خلقها ملساء متصلة أو ليس لها فروج ظاهرة مرئية فلا ينافي الأبواب الكائنة فيها وقال الكسائي معناه ليس فيها تفاوت واختلاف.

قال الرازي قالت الفلاسفة الآية دالة على أن السماء لا تقبل الخرق وكذلك قالوا في قوله «هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ» و قوله «سَبْعًا شِدَادًا» (٢٨) وتعسفا فيه لأن قوله تعالى «وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ» صريح في عدم ذلك والإخبار عن عدم شيء لا يكون إخبارا عن عدم إمكانه فإن من قال ما لفلان مال لا يدل على نفي إمكانه ثم إنه تعالى بين خلاف قولهم بقوله «وَأِذَا السَّمَاءُ فُرُجَتْ» (٢٩) وقوله (٣٠) «وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ» (٣١) وقوله (٣٢) «فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ» (٣٣) في مقابلة قوله. «سَبْعًا شِدَادًا» (٣٤) قال (٣٥) «وَإِذَا انشَقَّتْ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ» (٣٦) إلى غير ذلك والكل في الرد عليهم صريح وما ذكره في الدلالة ليس بظاهر بل وليس له دلالة خفية أيضا وأما دليلهم المعقول فأضعف وأسف من تمسكهم بالمقول. (٣٧)

«ذَاتِ الْحُبُكِ» (٣٨) قال البيضاوي ذات الطرائق والمراد إما الطرائق المحسوسة التي هي مسير الكواكب أو المعقولة التي يسلكها النظار ويتوصل (٣٩) بها إلى المعارف أو النجوم فإن لها طرائق أو أنها تزينها كما تزين الموشى طرائق الوشي جمع حبيكة كطريقة وطرق أو حياك كمثال ومثل (٤٠).

قال الطبرسي ره أي ذات الطرائق الحسنة لكن لا ترى تلك الحبك لبعدها عنا وقيل ذات الخلق الحسن المستوي وقيل ذات الحسن والزينة عن علي عليه السلام انتهى (٤١).

وأقول: سيأتي تأويل آخر في الرواية عن الرضا عليه السلام (٤٢).

«وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ» (٤٣) أي أسباب رزقكم أو تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فإنه سبب الأنواء «وَمَا تُوعَدُونَ» من الثواب لأن الجنة فوق السماء السابعة أو لأن الأعمال وثوابها مكتوبة مقدرة في السماء «بِإِذْنِهِ» أي بقوة «وَأَنَا لَمُوسِعُونَ» أي لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الإنفاق أو لموسعون السماء أو ما بينها وبين الأرض أو الرزق وقيل أي قادرون على خلق ما هو أعظم منها «وَالسَّفَفِ الْمَرْفُوعِ» هو السماء عن علي عليه السلام «يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا» (٤٤) أي تدور دورانا وتضطرب وتموج وتحرك

- (٢١) عبارة: «سُتِيتْ بروج الكواكب به» ليست في المصدر.
(٢٢) سورة الصافات، آية: ٥.
(٢٣) سورة الصافات، آية: ٥.
(٢٤) في المصدر: «بالشهاب».
(٢٥) سورة ق، آية: ٦.
(٢٦) سورة المزلزلات، آية: ٩.
(٢٧) سورة الانفطار، آية: ١.
(٢٨) سورة العلق، آية: ١٦.
(٢٩) في المصدر: «وقال».
(٣٠) التفسير الكبير ج ٢٨ ص ١٥٥ و ١٥٦.
(٣١) في المصدر: «توصل».
(٣٢) مجمع البيان ج ٩ ص ١٥٣.
(٣٣) سورة الذاريات، آية: ٢٢.
(٣٤) التفسير الكبير ج ٢٤ ص ١٠٦.
(٣٥) سورة الصافات، آية: ٦.
(٣٦) سورة غافر، آية: ٦٤.
(٣٧) سورة يوسف، آية: ٤٨.
(٣٨) في المصدر: «وقال».
(٣٩) في المصدر: «قال».
(٤٠) سورة يوسف، آية: ٤٨.
(٤١) سورة الرحمن، آية: ٣٧.
(٤٢) سورة الذاريات، آية: ٧.
(٤٣) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٤٢٧.
(٤٤) راجع ج ٦٠ ص ٧٩ من المطبوعة.
(٤٥) سورة الطور، آية: ٩.

﴿وَالنَّجْمِ﴾ المراد جنس النجم أو الثريا فإنه غلب فيه و أول في بعض الأخبار بالرسول ﷺ ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ أي غرب أو انتثر يوم القيامة أو انقض أو طلع فإنه يقال ﴿هَوَىٰ هَوِيًّا﴾ بالفتح إذا سقط على الأرض أو إذا نسي و ارتفع و على الأخير معراجة أو نزوله ﷺ ﴿وَأَنَّهُ هَوَزَ رَبُّ الشَّعْرِىٰ﴾^(١) إنما خص بالذكر لأن خراقة كانت تعيدها.

﴿وَأَنشَأَ الْقَمَرَ﴾^(٢) قال الرازي المفسرون بأسره على أن المراد أن القمر انشق و حصل فيه الانشقاق و دلت الأخبار الصحاح عليه و إمكانية لا يشك فيه و قد أخبر عنه الصادق فيجب اعتقاد وقوعه و حديث امتناع الخرق و الانتقام حديث اللثام و قد ثبت جواز الخرق و التخريب على السماوات^(٣) انتهى.

﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾^(٤) أي يجريان بحساب معلوم مقدر في بروجهما و منازلهما و يتسق بذلك أمور الكائنات السفلية و تختلف الفصول و الأوقات و يعلم السنون و الحساب ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ﴾^(٥) المشهور أن المراد بالنجم النبات الذي ينجم أي يطلع من الأرض و لا ساق له و بالشجر الذي له ساق و قيل المراد بالنجم نجم السماء ﴿يَسْجُدَانِ﴾ أي يتقادان لله فيما يريد بهما طبعاً انقياد الساجد من المكلفين طوعاً ﴿وَالسَّاءَةُ رَفَعَهَا﴾ خلقها مرفوعة محلاً و مرتبة فإنها منشأ أفضيته و منزل أحكامه و محل ملائكته.

﴿فَإِذَا أَنشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾^(٦) يعني يوم القيامة ﴿فَكَانَتْ زُرْدَةً﴾ أي فصارت حمراء ثم تجري ﴿كَالدَّهَانِ﴾ و هو جمع الدهن عند انقضاء الأمر و قيل هي كالدهان التي تصب بعضها بألوان مختلفة و قيل الدهان الأديم الأحمر ﴿وَسَلَا أَقْسِمُ﴾^(٧) قيل إذا الأمر أوضح من أن يحتاج إلى قسم أو فاقسم و لا مزيدة للتأكيد أو فلأنا أقسم بحذف المبتدأ و أشيع فتحة لام الابتداء ﴿بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ أي بمساقطها و تخصيص المغارب لما في غروبها من زوال أثرها و الدلالة على وجود مؤثر لا يزول تأثيره أو بمنآزلها و مجاريها و قيل النجوم نجوم القرآن و مواقعها أوقات نزولها ﴿وَوَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَعْدُكَ عَظِيمٌ﴾^(٨) لما في المقسم به من الدلالة على عظم القدرة و كمال الحكمة و فرط الرحمة ﴿طِبَاقًا﴾ أي مطابقة بعضها فوق بعض مصدر طابقت. التعل إذا خصفتها طبقاً على طبق وصف به أو طوبقت طباقاً أو ذات طباق جمع طبق كجبل و جبال و قيل أراد بالمطابقة المشابهة أي يشبه بعضها بعضاً في الإحكام و الابتقان ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَافُوتٍ﴾ أي اختلاف و تناقض من طريق الحكمة بل ترى أفعاله كلها سواء في الحكمة و إن كانت متفاوتة في الصور و الهيئة و قيل معناه ما ترى يا ابن آدم في خلق السماوات من عيب و اعوجاج بل هي مستقيمة مستوية كلها مع عظمها ﴿فَإَرْجِعِ الْبَصَرَ﴾^(٩) أي فرد البصر و أدركها في خلق الله و استقص في النظر مرة بعد أخرى و التقدير انظر ثم ارجع النظر في السماء و قيل أي قد نظرت إليها مراراً فانظر إليها مرة أخرى متأملاً فيها لتعاني ما أخبرت به من تناسبها و استقامتها و اجتماعها ما ينبغي لها ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ أي شقوق و فتوق و قيل من وهي و خلل ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾^(١٠) أي ثم كرر النظر مرتين لأن من نظر في الشيء كره بعد أخرى بأن له ما لم يكن بائناً و قيل المراد بالثنية التكرير و التكرير كما في لبيك و سعيدك و لذلك أجاب الأمر بقوله ﴿يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ أي بعيداً عن إصابة المطلوب كأنه طرد عنه طرداً بالصغار و هو خسير قليل من طول المساعدة و كثرة المراجعة ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ أي بكواكب مضيئة إضاءة السراج.

و اعلم أن هاهنا إشكالا مشهورا و هو أنه اتفق أصحاب الهيئة على أنه ليس في السماء الأولى سوى القمر و سائر السيارات كل في فلك و الثوابت كلها في الثامن و الآية الكريمة تدل على أن كلها أو أكثرها في السماء الدنيا و أجيوب عنه بوجوه.

الأول: أن النسبة إليها أنه لما كانت ترى منها فكانت زينة لها كما أن السراج المرئي خلف الزجاج زينة لها أو لأنه بحسب الجنس لما كان يتوهم أنه فيها فكانت زينة لها و هذا الوجه و إن كان أوفق بأصولهم إلا أنه متضمن لتكلف كثير في الآيات.

- (١) سورة النجم، آية: ٤٩.
(٢) التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٢٨ ملخصاً.
(٣) سورة الرحمن، آية: ٥.
(٤) سورة الواقعة، آية: ٧٥.
(٥) سورة الواقعة، آية: ٧٦.
(٦) سورة الملك، آية: ٣.
(٧) سورة الرحمن، آية: ٥.
(٨) سورة الواقعة، آية: ٧٥.
(٩) سورة الملك، آية: ٣.
(١٠) سورة الملك، آية: ٤.

الثاني: ما ذكره الرازي في تفسيره و هو أنه لا يبعد وجود كرة تحت كرة القمر و تكون في البطء مساوية لكرة الثوابت و تكون الكواكب المركوزة فيما يقارن القطبين مركوزة في هذه الكرة السفلية إذ لا يبعد وجود كرتين مختلفتين بالصغر و الكبير مع كونهما متشابهتين في الحركة و على هذا التقدير لا يمتنع أن تكون هذه المصاييح مركوزة في السماء الدنيا فثبت أن مذهب الفلاسفة في هذا الباب ضعيف ^(١) انتهى.

وأقول: جملة القول في ذلك أن الحكماء أثبتوا أفلاكاً تسعة لأنهم وجدوا أولاً لجميع الكواكب حركة سريعة من المشرق إلى المغرب و هي التي بها يتحقق طلوعها و غروبها و بها يتحقق الليل و النهار و هي المسماة بالحركة اليومية و بالحركة الأولى و بحركة الكل فأثبتوا لها فلكا واحداً يشتمل على الجميع ثم وجدوا لكل واحد من الكواكب السبعة المعروفة بالسيارة حركة من المغرب إلى المشرق مخالفة لحركة آخر منها في السرعة و البطء فأثبتوا لكل واحدة منها فلكا ثم وجدوا لجميع الكواكب التي غير السبعة حركة واحدة غريبة بطيئة جداً فأثبتوا لها فلكا على حدة فصارت تسعة أفلاك لتسعة حركات و هي السماء بالأفلاك الكلية و أما ترتيب السيارات فالمشهور أن القمر في الفلك الذي هو أقرب إلينا ثم عطارد ثم الزهرة ثم الشمس ثم المريخ ثم المشتري ثم زحل ثم فلك الثوابت ثم الأطلس الذي هو غير مكوكب و ما ورد في لسان الشرع بلفظ السماوات ينزلونها على أفلاك السيارات و بلفظ الكرسي على فلك البروج و هو الثامن و بلفظ العرش على التاسع و استدلوها على الترتيب المذكور بأن زحل يكشف بعض الثوابت فيكون تحتها و ينكشف بالمشتري فيكون فوقه و المشتري ينكشف بالمريخ فهو فوقه و هذه الثلاثة تسمى علوية و أما كون الشمس تحتها فلأن لها اختلاف منظر دون العلوية و أما الزهرة و عطارد فلا جزم بكونهما تحت الشمس أو فوقها إذ لا يكشفها غير القمر و لا يدرك كشفها لشيء من الكواكب لاحتراقها عند مقارنتها و لا يعرف لهما اختلاف منظر أيضاً لأنهما لا يبعدان عن الشمس كثيراً و لا يصلان إلى نصف النهار و الآلة التي يعرف بها اختلاف المنظر. إنما تنصب في سطح دائرة نصف النهار فحكموا بكونهما تحت الشمس استحساناً لتكون متوسطة بين الستة بمنزلة شمسة القلادة و أيدوا ذلك بمناسبات أخر و ذكر الشيخ ^(٢) و بعض من تقدمه أنه رأى الزهرة كشامة على وجه الشمس و بعضهم ادعى أنه رآها و عطارد كشامتين عليها و سميا سفليين لذلك و الزهرة منها فوق عطارد لانكشافها به و القمر تحت الكل لانكشاف الكل به.

و أما خصوص عدد التسعة فجزم الأكثر بأنه لا أقل منها و المحقق الطوسي ره جوز كونها ثمانية حيث قال في التذكرة و إسناد إحدى الحركتين الأوليين إلى المجموع لا إلى فلك خاص به لم يكن متمتعاً لكنهم لم يذهبوا إلى ذلك ^(٣) و قال صاحب التحفة إنني سمعت من الأستاذ أن جواز إسناد إحدى الأوليين إلى المجموع لا إلى فلك خاص بها معلل بجواز اتصال نفس بالثمانية و أخرى بالثامنة و تكون دوائر البروج و المنطقتان مفروضة على محدب الثامنة فقلت فعلى هذا يمكن أن تكون الأفلاك الكلية سبعة فقط بأن تفرض الثوابت مركوزة في ممثل زحل و دوائر البروج على محدبة متحركة بالحركة السريعة دون البطيئة و تتعلق نفس واحدة بمجموع السبعة و تحركه الحركة الأولى و نفس أخرى تعلقت بممثل زحل وحده و تحركه الحركة البطيئة و نفس الثانية تعلقت بخارجة و تحركه الحركة الخاصة و باقي الأفلاك الستة على حالها فاستحسنه و أثنى علي ^(٤) انتهى.

و قال المحقق الدواني يجوز أن تكون الأفلاك الكلية اثنتين بأن تفرض الأفلاك الخارجة المراكز كلها سوى خارج القمر في ثخن ممثل واحد بحيث لا تكون السطوح التي يشتملها بين الممثلات إلا بين ذلك الممثل و ممثل القمر فتتحصّر الأفلاك الكلية فيها انتهى ^(٥) هذا هو الكلام في جانب القلة و أما في جانب الكثرة فلا قطع لاحتمال أن يكون كل من الثوابت أو كل طائفة منها في فلك على حدة و أن يكون أفلاكاً كثيرة غير مكوكبة هذا ما ذكره في هذا الباب و ليرجع إلى ما يناسب الكتاب فنقول:

(١) التفسير الكبير ج ٣٠ ص ٦٠.

(٢) هو الشيخ أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا المتوفى عام ٤٢٧ هـ علماً بأن قطب الدين الشيرازي ذكر هذا المعنى في كتابه التحفة الشاهية

- مخطوط - في الفصل الخامس من الباب الأول. (٣) تذكرة الأفلاك مخطوط -

(٤) لم نعر على كتاب التحفة هذا. (٥) لم نعر على كلام المحقق الدواني هذا.

يمكن أن يكون أكثر الكواكب الثابتة و هي التي لم تكن في ممر السيارات في فلك من الأفلاك الجزئية للقمر مساوية حركته لحركة الثوابت فإنهم أثبتوا كلا من تلك الأفلاك الجزئية لدواع دعتهم إلى ذلك مع أنه تلزمهم على ذلك إشكالات لم يمكنهم حلها فلا مانع من إثبات فلك آخر لتصحيح ما في الآيات والأخبار بحيث لا يخالف قواعدهم المبنية على الظن والتخمين وبالقيد المذكور لا مانع من جهة الانكشاف أيضا.

الثالث: ما خطر بالبال القاصر و هو أن يكون جميع الأفلاك الثمانية التي أثبتوها لجميع الكواكب فلها واحدا مسمى بالسماء الدنيا و تكون غيرها ستة سماوات أخر غير مكوكبة كما أنهم يشبتون لكل من الكواكب أفلاكا كثيرة جزئية و يعدون الكل فلها واحدا كليا فلا ينافي شيئا من أصولهم و إنما يخالف مصطلحهم و لا عبرة بمخالفة الاصطلاح و قد ذهب بعض قدماء الحكماء أيضا إلى أن الثوابت في فلك القمر قال بليناس الحكيم في كتاب علل الأشياء هي سبعة أفلاك بعضها في جوف بعض و صارت الأفلاك في كل منها كوكب غير فلك القمر فإن الكواكب تبددت فيه و تقطعت لاختلاطها بكثرة الرياح الصاعدة إليه من قرب الأرض و قال في موضع آخر و أما سماء الدنيا فإنها تبددت كواكبها من قبل حبكها و تدرجها فتقلبت الكواكب فصارت متعلقة بتلك الدرج و قال عند ذكر الملائكة سكان فلك القمر من الرواحيين كثيرة رحمتهم قليلة شرورهم متعطفين على الحيوان مصلحين للنبات دائبين في مسرة بني آدم متصلين بهم فلا تصلهم ربما ظهروا لهم و كلموهم بلا هية منهم بالرحمة لهم و بألفة و هم مسلطون على السماء يحرسون السماء من شيطانك و ولده أن يسترقوا السمع من الملائكة الأعلى الرواحيين المتصلين بفلك الشمس و إن الرواحيين الموكلين بالشمس إذا طلعت الشمس من مشرقها كان عندهم الأحداث التي تحدث في العالم في ذلك اليوم كله فشيطانك و ولده يسترقون ما أوحى إلى أولئك الملائكة فالملائكة الذين في فلك القمر يحملون النجوم حتى يصير نارا ثم يجمعونهم بها. فيهربون منها إلى آخر ما قال.^(١)

الرابع أن يكون المراد بالكواكب في الآية الكريمة الشهب المنقضة قريبا منها و لما كانت ترى حسا على سطح السماء فهي زينة لها و تؤيده تمة الآية كما ستعرف.

الخامس: أن يكون المراد بالدنيا الدنو من الناحية العليا و العرش الأعلى فالمراد بها الفلك الثامن على سياق قوله تعالى ﴿وَدَنَا فَتَدَلَّى﴾^(٢) فإن ترتيب الأفلاك قد يبتدأ مما يليها فيكون فلك القمر أولها وأدناها وقد يبتدأ به من الجانب الأعلى ففلك الثوابت أول الأفلاك المكوكبة وأدناها من العرش ويرد عليه أن في لسان الشرع يعبر عنه بالكروسي كما مر. ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾^(٣) قال البيضاوي و جعلنا لها فائدة أخرى هي رجم أعدائكم بانتقاض الشهب المسببة عنها و قيل معناها^(٤) رجومنا و ظنونا لشياطين الإنس و هم المنجمون فالرجوم^(٥) جمع رجم بالفتح و هو مصدر سمي به ما يرجم به ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ في الآخرة بعد الإحراق بالشهب في الدنيا^(٦) انتهى و أقول على الاحتمال الرابع لا تحتاج إلى تكلف في ذلك.

﴿وَأَشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ قال الرازي لنزول الملائكة ﴿فَبِئْسَ يَوْمٌ ذَٰلِكُمْ وَ أَهْبَتْ﴾ أي مسترخية ساقطة القوة كَالْعَيْنِ الْمُنْتَوِشِ بعد ما كانت محكمة شديدة^(٧).

﴿كَالْمُهْلِ﴾ قيل كدودي الزيت و قيل كعكر القطران ﴿سَنَعِ سَمَواتٍ طِبَاقًا﴾ قال الرازي هذا يقتضي كون بعضها مطبقا^(٨) على البعض و هذا يقتضي أن لا يكون هاهنا فرج^(٩) فالملائكة كيف يسكنون^(١٠) و الجواب أن الملائكة أرواح و أيضا المراد من كونها طباقا كونها موازية^(١١) لا أنها متماسة^(١٢).

﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾^(١٣) قال البيضاوي أي في السماوات و هو في السماء الدنيا و إنما نسب إليهن لما بينهن من

(٢) سورة النجم: آية: ٥٣.

(٤) في المصدر إضافة: «وجعلناها».

(٦) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٥١٠ بتقديم و تأخير.

(٨) في المصدر: «مطبقة».

(١٠) في المصدر إضافة: «فيها».

(١٢) التفسير الكبير ج ٣٠ ص ١٤٠.

(١) لم نعر على كتاب علل الأشياء هذا.

(٣) سورة الملك، آية: ٥.

(٥) في المصدر: «والرجوم».

(٧) التفسير الكبير ج ٣٠ ص ١٠٨.

(٩) في المصدر: «بينهما».

(١١) في المصدر: «متوازية».

(١٣) سورة نوح، آية: ١٦.

الملازمة ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾ مثلها به لأنها تزيل ظلمة الليل عن وجه الأرض كما يزِيلها السراج عما حوله^(١).
﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾^(٢) أي طَلَبْنَا بلوغ السماء أو غيرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس ﴿حَرَسًا﴾ أي حراسا اسم جمع كالخدم ﴿شَدِيدًا﴾ قويا وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها ﴿وَشُهْبًا﴾ جمع شهاب وهو المضيء المتولد من النار ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾^(٣) أي مقاعد خالية عن الحرس والشهب أو صالحة للرصد والاستماع و﴿لِلسَّمْعِ﴾ صلة لنقعد أو صفة لمقاعد ﴿شِهَابًا رَصَدًا﴾ أي شهابا راصدا له ولأجله يمنعه عن الاستماع بالرجم أو ذوي شهاب راصدين على أنه اسم جمع للراصد.

﴿طَمَسَتْ﴾ أي محقت وأذهب نورها ﴿فَرَجَتْ﴾ أي شقت ﴿سَبْعًا شِدَادًا﴾^(٤) أي سبع سماوات أقوىاء محكمات لا يؤثر فيها مرور الدهور ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾^(٥) متلألئا وقادا أو بالغا في الحرارة والمراد الشمس وإذا النجوم انكدرت أي انقضت أو أظلمت ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾^(٦) أي قلعت وأزيلت كما يكشط الإهاب عن الذبيحة ﴿فَلَا أَمْسِمُ بِالْخُنُوسِ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ﴾^(٧) قال الرازي فيه قولان:

الأول وهو المشهور الظاهر أنها النجوم الخنس جمع خانس والخنوس الانقباض والاستخفاء تقول خنس^(٨) بين القوم وانخس والكنس جمع كانس وكانسة يقال كنس إذا دخل الكناس وهو مقر الوحش يقال كنست^(٩) الظباء في كناسها^(١٠) وتكنست المرأة إذا دخلت هودجها تشبه بالظبي إذا دخل الكناس ثم اختلوا في خنوس النجوم وكنوسها على ثلاثة أوجه فالقول الأول أن ذلك إشارة إلى رجوع الكواكب الخمسة السيارة واستقامتها فرجوعها هو الخنوس وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس ولا شك أن هذه حالة عجيبة وفيها أسرار عظيمة باهرة. والقول الثاني ما روي عن علي عليه السلام وغيره^(١١) أنها هي جميع الكواكب. وخنوسها عبارة عن غيوبتها عن البصر في النهار وكنوسها^(١٢) عن ظهورها للبصر في الليل أي تظهر في أماكنها كالوحش في كنسها والقول الثالث أن السبعة السيارة تختلف مطالعها ومغاربها على ما قال تعالى ﴿يَرْبُّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ ولا شك أن فيها مطالعا واحدا ومغربا واحدا هما أقرب المطالع والمغرب إلى سمت رأسنا^(١٣) ثم إنها تأخذ في التباعده من ذلك المطلع إلى سائر المطالع طول السنة ثم ترجع إليها^(١٤) فخنوسها عبارة عن تباعدها عن ذلك المطلع وكنوسها عبارة عن عودها إليه فعلى القول الأول يكون القسم واقعا بالخمس المتحيرة وعلى الثاني بجميع الكواكب وعلى الثالث بالسبعة السيارة.

والقول الثاني أنها بقر الوحش وقال ابن جبير هي الظباء وعلى هذا الخنس من الخنس في الأنف وهو تغيير فيه فإن البقر والظباء أنوفها على هذه الصفة والكنس جمع كانس وهي التي تدخل الكناس والقول هو الأول لأنه أنسب بما بعده^(١٥) ولأن محل قسم الله كلما كان أعظم وأعلى رتبة كان أولى^(١٦) انتهى.

وأقول: الخمسة المتحيرة هي ما خلا الشمس والقمر من السبعة السيارة وإنما سميت متحيرة لكونها في حركاتها الخاصة تارة مستقيمة ترى متحركة من المغرب إلى المشرق وتارة واقفة وتارة راجعة كالمتحير في أمره ولذا أثبتوا لها تدوير لظنهم عدم الاختلاف في حركات فلك واحد.

قوله تعالى ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾^(١٧) قال الرازي أي انشقت ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَشَرَتْ﴾^(١٨) إذ^(١٩) عند انقراض تركيب السماء لا بد من انتشار^(٢٠) الكواكب على تخوم الأرض^(٢١) والفلاسفة ينكرون إمكان الخرق والالتئام على

(١) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٥٣٠.

(٢) سورة الجن، آية: ٩.

(٣) سورة النبا: آية: ١٣.

(٤) سورة التكوين، آية: ١٥ و ١٦.

(٥) في المصدر: «كنس».

(٦) في المصدر: «وعطا و مقاتل و قتادة».

(٧) في المصدر: «روؤسا».

(٨) عبارة: «لأنه أنسب بما بعده» ليست في المصدر.

(٩) سورة الانفطار، آية: ١.

(١٠) في المصدر: «لأن».

(١١) في المصدر: «على الأرض».

(١٢) سورة الجن، آية: ٨.

(١٣) سورة يوسف، آية: ٤٨.

(١٤) سورة التكوين، آية: ١١.

(١٥) في المصدر إضافة: «من».

(١٦) في المصدر: «كنسها».

(١٧) في المصدر إضافة: «عبارة».

(١٨) في المصدر: «إليه».

(١٩) التفسير الكبير ج ٣ ص ٧١.

(٢٠) سورة الانفطار، آية: ٢.

(٢١) في المصدر: «انتشار».

الأفلاك و دليلنا على إمكان ذلك أن الأجسام متماثلة في كونها أجساما فوجب أن يصح على كل واحد منها ما يصح على الآخر و إنما قلنا إنها متماثلة لأنه يصح تقسيمها إلى السماويات و الأرضيات و مورد التقسيم مشترك بين القسمين فالعلويات و السفليات مشتركة في أنها أجسام و إنما قلنا إنه متى كان كذلك وجب أن يصح على العلويات ما يصح على السفليات لأن التماثلات حكمها واحد فما صح^(١) حكمه على كل واحد منها وجب أن يصح على الباقي^(٢).

وقال في قوله سبحانه ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾^(٣) قد مر شرحه في مواضع و عن علي عليه السلام أنها تنشق من المعجزة ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا﴾^(٤) أي استمعت له و المعنى أنه لم يوجد في جرم السماء ما يمنع من تأثير قدرة الله في شقها و تفريق أجزائها فكانت في قبول ذلك التأثير كالعبد الطائع الذي إذا ولي^(٥) عليه الأمر من جهة المالك أنصت له و أذعن و لم يمتنع فكذلك قوله ﴿فَأَلَّنَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^(٦) يدل على نفوذ القدرة في الإيجاد و الإبداع من غير مانع^(٧) أصلا كما أن قوله هاهنا ﴿وَ أَذْنَتْ لِرَبِّهَا﴾ يدل على نفوذ القدرة في التفريق و الإعدام و الإفناء من غير ممانعة أصلا و أما قوله ﴿وَوَحَقَّتْ﴾ فهو من قولك هو محقق بكذا و حقيق به يعني و هي حقيقة بأن تنقاد و لا تمتنع و ذلك لأنه جسم و كل جسم^(٨) ممكن لذاته و كل ممكن لذاته فإن الوجود و العدم بالنسبة إليه على السوية و كل ما كان كذلك فإن ترجيح^(٩) عدمه على وجوده لا بد و أن يكون بتأثير واجب الوجود و ترجيحه فيكون تأثير قدرته في إيجادها و إعدامها نافذا ساريا من غير ممانعة أصلا و أما الممكن فليس له إلا القبول و الاستعداد و مثل هذا الشيء حقيق به أن يكون قابلا للوجود تارة و للعدم أخرى من واجب الوجود^(١٠).

وقال في قوله تعالى ﴿وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾^(١١) ثلاثة أقوال أحدها أنها هي البروج الاثنا عشر^(١٢) و إنما حسن القسم بها لما فيها من عجب الحكمة و ذلك لأن سير الشمس فيها و لا شك أن مصالح العالم السفلي مرتبطة بسير الشمس فدل ذلك على أن لها صانعا حكيما و ثانيها أن البروج هي منازل القمر و إنما حسن القسم بها لما في سير القمر و حركته من الآثار العجيبة و ثالثها أن البروج هي عظام الكواكب سميت بروجها لظهورها^(١٣) انتهى.

و أقول: في بعض الأخبار تأويل السماء بسيد الأنبياء عليه السلام و البروج بالأمّة الاثني عشر عليه السلام.

﴿وَ السَّمَاءِ وَ الطَّارِقِ﴾^(١٤) قال الرازي أما الطارق فهو كل ما أتاك ليلا سواء كان كوكبا أو غيره ﴿وَ مَا أَذْرَاكَ مَا الطَّارِقِ﴾^(١٥) قال سفيان بن عيينة كل شيء في القرآن ﴿مَا أَذْرَاكَ﴾ فقد أخبر الرسول ﷺ به و كل شيء فيه ﴿مَا يُدْرِيكَ﴾ لم يخبر به كقوله ﴿وَ مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾^(١٦) ثم قال ﴿التَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾^(١٧) أي هو طارق رفيع الشأن و هو النجم الذي يهتدي به في ظلمات البر و البحر و يوقف به على أوقات الأمطار و وصف بكونه ثاقبا لوجوه أحدها أنه يشق الظلام بضوء ينفذ فيه و ثانيها أنه يطلع من المشرق نافذا في الهواء كالشيء الذي يشق الشيء و ثالثها أنه الذي يرمى به الشيطان فيثقبه أي ينفذ فيه و يحرقه و رابعها قال الفراء هو النجم المرتفع على النجوم و العرب تقول للطائر إذا لحق بطن السماء ارتفعا قد ثقب و اختلوا في النجم قال بعضهم أشير به إلى جماعة النجوم كما قيل ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ و قال آخرون إنه نجم بعينه قال ابن زيد إنه الثريا و قال الفراء إنه زحل لأنه يشق بنوره سمك سبع سماوات و قال آخرون إنه الشهب التي ترجم^(١٨) بها الشياطين لقوله تعالى ﴿وَأَتَيْنَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾^(١٩).

﴿وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ قال الطبرسي ره أي ذات المطر عن أكثر المفسرين و قيل يعني بالرجع شمسها و قمرها و نجومها تغيب ثم تطلع و قيل رجع السماء إعطاؤها الخير الذي يكون من جهتها حالا بعد حال على مرور الأزمان

(١) في المصدر: «فتمتي صح».

(٢) سورة الانشقاق، آية: ١.

(٣) في المصدر: «ورد».

(٤) في المصدر: «ممانعة».

(٥) في المصدر: «ترجيع وجوده على عدمه أو ترجيع عدمه على وجوده».

(٦) التفسير الكبير ج ٣١ ص ١٠٣ و ١٠٤ باختصار.

(٧) في المصدر إضافة: «هي مشهورة».

(٨) سورة الطارق، آية: ١.

(٩) سورة الشورى، آية: ١٧.

(١٠) في المصدر: «يرجم».

(١١) التفسير الكبير ج ٣١ ص ١٢٧ و ١٢٨، و الآية من سورة الحجر: ١٨.

(١٢) التفسير الكبير ج ٣١ ص ٧٦.

(١٣) سورة الانشقاق، آية: ٥.

(١٤) سورة فصلت، آية: ١١.

(١٥) في المصدر إضافة: «فهو».

(١٦) سورة البروج، آية: ١.

(١٧) التفسير الكبير ج ٣١ ص ١١٤.

(١٨) سورة الطارق، آية: ٢.

(١٩) سورة الطارق، آية: ٣.

فترجع بالغيث وأرزاق العباد وغير ذلك^(١) انتهى.

وأقول: لا يبعد أن يكون إشارة إلى رجوع المتحيرة كما عرفت.

﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِثَتْ﴾^(٢) أي رفعا بعيد المدى بلا إسكاف وبغير عمد ﴿وَمَا بَثَّاهَا﴾ أي ومن بناها.

تذييل: قال الرازي اعلم أن منافع النجوم كثيرة منها أنه زين الله السماء بها ومنها أنه يحصل بسببها في الليل قدر من الضوء ولذلك فإنه إذا تكاثفت السحاب في الليل عظمت الظلمة وذلك بسبب أن السحاب يحجب أنوارها ومنها أنه يحصل بسببها تفاوت في أحوال الفصول الأربعة فإنها أجسام عظيمة نورانية فإذا قاربت^(٣) الشمس كوكبا مسخنا في الصيف صار^(٤) أقوى حرا وهي مثل نار تظم إلى نار أخرى فإنه لا شك أنه يكون الأثر الحاصل من المجموع أقوى ومنها أنه تعالى جعلها علامات يهتدى بها في ظلمات البر والبحر على ما قال تعالى ﴿وَءَعْلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾^(٥) ومنها أنه تعالى جعلها رجوما للشياطين الذين يخرجون الناس من نور الإيمان إلى ظلمة^(٦) الكفر يروى أن السبب في ذلك أن الجن كانت تسمع بخبر السماء فلما بعث محمد ﷺ حرست السماء وصدت الشياطين فمن جاء منهم مسترقا للسمع رمي بشهاب فأحرقه لثلاثين نزل به إلى الأرض فيلقيه إلى الناس فيخلط على النبي أمره ويرتاب الناس بخبره وهذا هو السبب في انتقاض الشهب فهذا هو المراد من قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَاهَا رَجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾^(٧) ومن الناس من طعن في هذا من وجوه.

أحدها: أن انتقاض الكواكب مذكور في كتب قدماء الفلاسفة قالوا إن الأرض إذا سخنت بالشمس ارتفع منها بخار يابس فإذا بلغ النار التي دون الفلك احترق بها ففلك الشعلة هي الشهاب.

وثانيها: أن هؤلاء الجن كيف يجوز أن يشاهدوا واحدا وألفا من جنسهم يسترقون السمع فيحترقون ثم إنه^(٨) مع ذلك يعودون لمثل صفتهم^(٩) فإن العاقل إذا رأى الهلاك في شيء مرة ومرارا^(١٠) امتنع أن يعود إليه من غير فائدة. وثالثها: أنه يقال في ثخن السماء مسيرة خمسمائة عام فهؤلاء الجن إن نفذوا في جرم السماء وخرقوا اتصاله فهذا باطل لأنه تعالى نفى أن يكون فيها فطور على ما قال ﴿فَأَرْجِعْ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾^(١١) وإن كانوا لا ينفذون في جرم السماء فكيف يمكنهم أن يسمعوا أسرار الملائكة من ذلك البعد العظيم^(١٢) فلم لا يسمعون كلام الملائكة حال كونهم في الأرض.

ورابعها: أن الملائكة إنما اطلعوا على الأحوال المستقبلية إما لأنهم طالعوها من^(١٣) اللوح المحفوظ أو لأنهم يتلقونها من وحي الله تعالى إليهم وعلى التقديرين فلم لا يمسكون^(١٤) عن ذكرها حتى لا يتمكن الجن من الوقوف عليها. وخامسها: أن الشياطين مخلوقون من النار والنار لا تحرق النار بل تقويها فكيف يحتمل أن يقال الشيطان زجر من^(١٥) استراق السمع بهذه الشهب.

وسادسها: أنه إن كان هذا القذف لأجل النبوة فلم دام بعد وفاة الرسول ﷺ.

وسابعها: أن هذه الرجوم إنما تحدث بالقرب من الأرض بدليل أنها نشاهد حركاتها بالغة ولو^(١٦) كانت قريبة من الفلك لما شاهدنا حركاتها^(١٧) كما لم نشاهد حركات الكواكب وإذا ثبت أن هذه الشهب إنما تحدث بالقرب من الأرض فكيف يقال إنها تمنع الشياطين من الوصول إلى الفلك.

وثامنها: أن هؤلاء الشياطين لو كان يمكنهم أن ينقلوا أخبار الملائكة من المغيبات إلى الكهنة فلم لا ينقلون أسرار المؤمنين إلى الكفار حتى يتوسل الكفار بواسطة ووقوفهم على أسرارهم إلى إلحاق الضرر بهم.

(١) مجمع البيان ج ١٠ ص ٤٧٢.

(٢) سورة الفاشية: آية: ١٨.

(٣) في المصدر: إضافة: «الصف».

(٤) في المصدر: «ظلمات».

(٥) في المصدر: «إنهم».

(٦) في المصدر: إضافة: «وأنفأ».

(٧) سورة الملك: آية: ٣.

(٨) في المصدر: إضافة: «ثم إن جاز أن يسمعوا كلامهم من ذلك البعد العظيم».

(٩) في المصدر: «في».

(١٠) في المصدر: «فكيف يغل أن يقال إن الشياطين زجروا عن».

(١١) في المصدر: «بالغيث».

(١٢) في المصدر: «حركاتها».

و تأسعها: لم لم يمنعهم الله ابتداء من الصعود إلى السماء حتى لا يحتاج في دفعهم عن السماء إلى هذه الشهب. والجواب عن السؤال الأول: أنا لا ننكر أن هذه الشهب كانت موجودة قبل بعث النبي ﷺ^(١) وقد يوجد بسبب آخر وهو دفع الجن و زجرهم. يروى أنه قيل للزهرى أكان يرمى في الجاهلية قال نعم قال أفرأيت قوله تعالى ﴿أَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَفَنُسْتَمِعُ الْآنَ يَجِدُ لَهُ نِهَاباً رَصَداً﴾ قال غلظت و شدد أمرها حين بعث النبي ﷺ. والجواب عن السؤال الثاني: أنه إذا جاء القدر عمي البصر فإذا قضى الله على طائفة منهم الحرق لطغيانها و ضلالها قبض لها من الدواعي المطمعة في درك المقصود ما عندها يقدم^(٢) على العمل المفضي إلى الهلاك و البوار. والجواب عن السؤال الثالث: أن البعد بين الأرض و السماء مسيرة خمسمائة عام فأما ثخن الفلك فلعله لا يكون عظيماً.

والجواب عن السؤال الرابع: ما روى الزهرى عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ عن ابن عباس قال بينا رسول الله ﷺ جالساً في نفر من أصحابه إذ رمى بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في الجاهلية إذا حدث مثل هذا قالوا كنا نقول يولد عظيم أو يموت عظيم قال النبي ﷺ فإنها لا ترمى لموت أحد و لا لحياته و لكن ربنا تعالى إذا قضى الأمر في السماء سبحت حملة العرش ثم سبح أهل السماء و سبح كل سماء^(٣) حتى ينتهي التسبيح إلى هذه السماء و يستخير أهل السماء حملة العرش ما ذا قال ريكهم فيخبرونهم و لا يزال ينتهي ذلك الخبر من سماء إلى سماء إلى أن ينتهي الخبر إلى هذه السماء و يتخطف الجن فيرمون فما جاءوا به فهو حق و لكنهم يزيدون فيه.

والجواب عن السؤال الخامس: أن النار قد تكون أقوى من نار أخرى فالأقوى تبطل الأضعف. والجواب عن السؤال السادس: أنه إنما دام لأنه ﷺ أخبر ببطان الكهانة فلو لم يدم هذا القذف لعادت الكهانة و ذلك يقدح في خبر الرسول ﷺ عن بطان الكهانة.

والجواب عن السؤال السابع: أن البعد على مذهبا غير مانع من السماع فلعله تعالى أجرى عادته بأنهم إذا وقعوا في^(٤) تلك المواضع سمعوا كلام الملائكة.

والجواب عن السؤال الثامن: لعله تعالى أقدرهم على استماع الغيوب عن الملائكة و أعجزهم عن إيصال أسرار المؤمنين إلى الكافرين.

والجواب عن السؤال التاسع: أنه تعالى يَقْعُلُ مَا يَشَاءُ وَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ فهذا ما يتعلق بهذا الباب على سبيل الاختصار^(٥) انتهى.

وأقول: الأصوب في الجواب عن الثالث أن يقال قد ظهر أن للسماء أبواباً يصعد منها الملائكة و صعد منها نبيينا ﷺ و عيسى و إدريس ﷺ بل أجساد سائر الأنبياء و الأوصياء بعد وفاتهم على قول و قد ورد في الأخبار أن الجن كانوا يصعدون قبل عيسى ﷺ إلى ما تحت العرش و بعد بعثته كانوا يضعدون إلى الرابعة و بعد بعث النبي ﷺ منعوا عن صعود السماء مطلقاً بالشهب فصعدوهم إما من أبوابها أو لكونهم أجساماً لطيفة يمكنهم النفوذ في جرمها و لعل المراد بالظهور فيها أن ترى فيها شقوق و ثقب أو تنهدم و تتحلل أجزاؤها فلا إشكال في ذلك.

١- العلل و العيون و الخصال: في خبر الشامي عن أمير المؤمنين ﷺ أنه سأله مم خلق السماوات قال من بخار الماء و سأله عن سماء الدنيا مما هي قال من موج مكفوف و سأله كم طول الكواكب^(٦) و عرضه قال اثنا عشر فرسخاً في اثني عشر فرسخاً^(٧) و سأله عن ألوان السماوات السبع و أسمائها فقال له اسم السماء الدنيا رفيع و هي من ماء و دخان و اسم السماء الثانية قيوم و هي على لون النحاس و السماء الثالثة اسمها^(٨) الماروم و هي على لون الشبه و

(١) في المصدر: «لأسباب أخر إلا أن ذلك لا ينافي أنها بعد بعث النبي و السلام قد توجد».

(٢) في المصدر: «تقدم».

(٣) في المصدر: «سبح أهل كل سماء».

(٤) في المصدر: «وقفوا».

(٥) التفسير الكبير ج ٣٠ ص ٦٠-٦٢.

(٦) في العلل و العيون: «الكواكب».

(٧) في العلل: «المادون» بدل «الماروم».

(٨) إلى هنا ليس في الخصال.

السما الرابعة اسمها أرفلون^(١) وهي على لون الفضة والسما الخامسة اسمها هيعون^(٢) وهي على لون الذهب و السما السادسة اسمها عروس وهي ياقوتة خضراء والسما السابعة اسمها عجماء وهي درة بيضاء^(٣) الخير.

بيان: من موج مكثوف أي من جسم موج متنوع من السيلان بقدرته سبحانه أو بأن أجمدها بعد ما كانت سيالة ويحتفل أن يكون كناية عن كونها مخلوقة من جسم لطيف قد استقر في محله ولا ينزل ولا يسيل أو موجه كناية عن تالؤ الكواكب فيها بناء على أنها فيها ويمكن أن يكون المقدار المذكور للكوكب لأصفر الكواكب التي في المجرة إذ المرصودة منها على المشهور أكبر من ذلك بكثير بل ما سوى القمر والسفليين أكبر من الأرض بأضعافها وقد أول بعض السالكين مسالك الفلاسفة اختلاف الألوان الوارد في هذا الخبر باختلاف أنواعها وطبائعها فإنهم يقولون ليس للسموات لون كما ستعرف إن شاء الله وذكر السيد الداماد ره لتقدير الكواكب تأويلا غريبا أوردته في مقام آخر وإن كانت أقوالهم في أمثال ذلك لم تورث إلا ظنا.

٢- تفسير علي بن إبراهيم: عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله لما أسري بي إلى السماء رأيت في السماء السابعة بحارا من نور يتلأأ يكاد تالؤها يخطف بالابصار وفيها بحار من ظلمة^(٤) وبحار تلج ترعد^(٥) الخير.

بيان: ترعد أي يظهر منها صوت الرعد أو على بناء المجهول أي تضطرب.

٣- العلل: عن علي بن أحمد بن محمد عن الكليني عن إعلان رفعه قال سأل يهودي أمير المؤمنين عليه السلام لم سميت السماء سماء قال لأنها وسم الماء يعني معدن الماء^(٦) الخير.

بيان: فسر الوسم بالمعدن لأن معدن كل شيء علامة حصوله ولعله مبني على الاشتقاق الكبير لأن الوسم من معتل الفاء والسماء على المشهور من معتل اللام من السمو وهو الرفة أو هو على القلب كما أن الاسم أيضا من السمو.

٤- العلل: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي عن أبيه عن أحمد بن النضر عن محمد بن مروان عن جرير عن الضحاك بن مزاحم قال سئل علي عليه السلام عن الطارق قال هو أحسن نجم في السماء وليس يعرفه الناس وإنما سمي الطارق لأنه يشرق نوره سماء سماء إلى سبع سماوات ثم يشرق راجعا حتى يرجع إلى مكانه^(٧).

٥- الإحتجاج: عن الأصمغ قال سأل ابن الكواء أمير المؤمنين عليه السلام عن المجرة التي تكون في السماء قال هي شرج^(٨) في السماء وأمان لأهل الأرض من الفرق ومنه أغرق الله قوم نوح بناءً مُنْهَرِج^(٩) الخير.

بيان: الشرج اسم للمجرة ولعلهم شبهوها بالعرى التي في الكيس والعيبة تشد بها أو بمجرى الماء لأنها مجراه حقيقة كما في الخبر أو لأنها شبيهة بالنهر في وسط الوادي قال الفيروز أبادي الشرج محرقة العرى ومنفسخ الوادي ومجرة السماء وانشقاق في القوس والشرح الفرقة ومسيل ماء من الجرة إلى السهل وشد الخريطة^(١٠) وقال الجوهرى شرح العيبة بالتحريك عراها وقد أشرجت العيبة إذا دخلت بين أشراجها ومجرة السماء تسمى شرجا^(١١).

٦- تفسير علي بن إبراهيم: عن أبيه عن ابن أبي عمير عن حدثه عن أبي عبد الله عليه السلام في خبر إدريس عليه السلام قال ملك الموت غلظ السماء الرابعة مسيرة خمسمائة عام ومن السماء الرابعة إلى السماء الثالثة مسيرة خمسمائة

(١) في الخصال: «أرفلون».

(٢) الخصال ج ٢ ص ٣٤٤ و ٣٤٥ باب السبعة حديث ١١، و عيون الأخبار ج ١ ص ٢٤١، و علل الشرائع ص ٥٩٣ باب ٣٨٥ (نوادير العلل)

حديث ٤٤. في المصدر: «بحار مظلمة».

(٥) تفسير علي بن إبراهيم القمي ج ٢ ص ٩، وفيه: «ورعد» بدل «ترعد».

(٦) علل الشرائع ص ٢ باب ١ (العلقة التي من أجلها سميت السماء سماء) حديث ١.

(٧) علل الشرائع ص ٥٧٧ باب ٣٨٤ (العلقة التي من أجلها سمي الطارق طارقا) حديث ١.

(٨) في المصدر إضافة: «في».

(٩) الإحتجاج ج ١ ص ٦١٥ رقم ١٣٩.

(١٠) القاموس المحيط ج ١ ص ٢٠٢.

(١١) الصحاح ج ١ ص ٣٢٤.

عام ومن السماء الثالثة إلى الثانية مسيرة خمسمائة عام وكل سماء وما بينهما كذلك^(١) الخبر

٧- العلل: في خبر يزيد بن سلام أنه سأل النبي ﷺ ما بال النجوم تستبين صفارا وكبارا ومقدار^(٢) النجوم كلها سواء قال لأن بينهما وبين سماء الدنيا بحارا يضرب الريح أمواجهما فلذلك تستبين صفارا وكبارا ومقدار النجوم كلها سواء^(٣) الخبر.

بيان: لعل غرض السائل السؤال عن علة كون النجم الواحد يرى في بعض الأحيان أصغر وفي بعضها أكبر مع أن مقداره في جميع الأحوال واحد كما أن كلاً من الشمس والقمر إذا كان عند الأفق أو قريباً منه يرى أكبر منه إذا كان في قريب سمت الرأس لكثرة الأبخرة وانعطاف الأشعة البصرية عند وصولها إلى الملام الغليظ كما بين في علم المناظر ويحتمل أن تكون البحار كثابة عن الأبخرة.

٨- تفسير علي بن إبراهيم: عن أبيه ويعقوب بن يزيد عن ابن أبي عمير عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال أمير المؤمنين عليه السلام هذه النجوم^(٤) التي في السماء مدائن مثل المدائن التي في الأرض مربوطة كل مدينة إلى عمود من نور طول ذلك العمود في السماء مسيرة مائتين وخمسين سنة.^(٥)

أقول: سيجيء خبر الحسين بن خالد عن الرضا عليه السلام في باب صفة الأرضين.^(٦)

٩- التوحيد: عن محمد بن الحسن بن الوليد عن أحمد بن إدريس عن محمد بن أحمد الأشعري عن السيارى عن عبد الله بن حماد عن جميل قال سألت أبا عبد الله عليه السلام هل في السماء بحار قال نعم أخبرني أبي عن أبيه عن جده عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ إن في السماوات السبع لبحاراً عمق أحدها مسيرة خمسمائة عام^(٧) الخبر.

١٠- منتخب البصائر: عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن الحسين عن علي بن الريان عن عبيد الله بن عبد الله الدهقان عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال سمعته يقول إن لله خلف هذه النطاق زبرجدة خضراء منها اخضرت السماء قلت وما النطاق قال الحجاب ولله عز وجل وراء ذلك سبعون ألف عالم أكثر من عدد الجن والإنس وكلهم يلعن فلانا وفلانا^(٨).

١١- إرشاد المفيد: روى أبو بصير عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل أنه قال إذا قام القائم عليه السلام سار إلى الكوفة فهدم بها أربعة مساجد ولم يبق مسجد على أهل الأرض^(٩) له شرف إلا هدمها وجعلها جماء وسع الطريق الأعظم وكسر كل جناح خارج عن^(١٠) الطريق وأبطل الكنف واليازيب إلى الطرقات ولا يترك بدعة إلا أزالها ولا سنة إلا أقامها ويفتح^(١١) قسطنطينة والصين وجبال الديلم فيمكت على ذلك سبع سنين مقدار كل سنة عشر سنين من سنينكم هذه ثم يفعل الله ما يشاء قال قلت له جعلت فداك فكيف تطول السنون قال يأمر الله تعالى الفلك باللبوث وقلة الحركة فتطول الأيام لذلك والسنون قال قلت له إنهم يقولون إن الفلك إن تغير فسد قال ذلك قول الزنادقة فأما المسلمون فلا سبيل لهم إلى ذلك وقد شق الله القمر لنبيه ﷺ ورد الشمس من قبله ليوشع بن نون وأخبر بطول يوم القيامة وأنه كآلف سَنَةٍ مِثْلًا تَعْدُونَ^(١٢).

١٢- كتاب النجوم: روى ابن جمهور العمي في كتاب الواحدة في أوائل أخبار مولانا الحسن بن علي عليه السلام من خطبة له في صفة النجوم ما هذا لفظه ثم أجرى في السماء مصابيح ضوءها في مفتحة^(١٣) وحارثها بها وجال شهابها من نجومها^(١٤) الدراري المضئية التي لو لا ضوءها ما أنفذت^(١٥) أبصار العباد في ظلم الليل المظلم بأهواله^(١٦) المدلهم

(٢) في المصدر: «ومقدارها سواء».

(٤) في المصدر: «لهذه النجوم».

(٦) راجع ج ٦٠ ص ٧٤ من المطبوعة.

(٨) مختصر بصائر الدرجات ص ١٢.

(١٠) في المصدر: «في».

(١٢) إرشاد المفيد ج ٢ ص ٣٨٥.

(١) تفسير علي بن إبراهيم، التقي ج ٢ ص ٥١.

(٣) علل الشرائع ص ٤٧٠ باب ٢٢٢ (الواد) حديث ٣٣.

(٥) تفسير علي بن إبراهيم التقي ج ٢ ص ٢١٨ - ٢١٩.

(٧) التوحيد ص ١٨٢، باب ٣٨ حديث ٩.

(٩) في المصدر: «على وجه الأرض».

(١١) في المصدر: «يفتح».

(١٣) في المصدر: «حندسها».

(١٤) في المصدر: «وجعلها من حرسها من النجوم» بدل «وحارثها بها وجال شهابها من نجومها».

(١٥) في المصدر: «ما نفذت».

(١٦) في المصدر: «بمغالسه».

بحناده و جعل فيها أدلة على منهاج السبل لما أوجع إليه^(١) الخليفة من الانتقال و التحول و الإقبال و الإِدبار^(٢).
 ١٣- كتاب الغارات: لإبراهيم الفقي بإسناده عن أبي عمران الكندي قال سأل ابن الكواء أمير المؤمنين عليه السلام عن قوله تعالى ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْحُبُوبِ﴾^(٣) قال ذات الخلق الحسن قال فما المجرة قال يا ويلك سل تفقها و لا تسأل تنعت يا ويلك سل عما يعينك قال فو الله إن ما سألتك عنه ليعتني قال إنها شرح السماء و منها فتحت السماء ببناء مُنْهَرٍ زمن الفرق على قوم نوح عليه السلام قال فكم بين السماء و الأرض قال مد البصر و دعوة بذكر الله فيسمع لا تقول غير ذلك^(٤).

بيان: لا تقول غير ذلك أي لا نخبر الخلق بمقدار ذلك إذ لا مصلحة لهم في ذلك فيدل على أن التفكير في أمثال ذلك ممنوع منه و ليس كما تزعمه الفلاسفة أنها كمال النفس و لا بد للإنسان في تحصيل السعادات الأبدية من النظر فيها.

١٤- الغارات: بإسناده عن ابن نباتة قال سئل أمير المؤمنين عليه السلام بين السماء و الأرض قال مد البصر و دعوة المظلوم و سئل كم بين المشرق و المغرب قال يوم طراد الشمس و سئل عن المجرة فقال أبواب السماء فتحها الله على قوم نوح ثم أغلقها فلم يفتحها و سئل عن القوس فقال أمان الأرض كلها من الغرق إذا رأوا ذلك في السماء^(٥) الخير.

بيان: يوم طراد أي تام أو قصير أو يوم يجري فيه الشمس قال في القاموس الطريد من الأيام الطويل كالطراد و الطريدان الليل و النهار و كتاب^(٦) رمح قصير و مطاردة الأقران حمل بعضهم على بعض و هم فرسان الطراد و اطراد الأمر تبع بعضه بعضا و جرى^(٧) انتهى و اعلم أن الحكماء اختلفوا في المجرة فقيل احتراق حدث من الشمس في تلك الدائرة في بعض الأزمان السالفة و أورد عليه أنه مخالف لقواعدهم التي منها عدم كون الشمس موصوفة بالحرارة و الإحراق و منها عدم كون الفلك قابلا للتأثر و قيل بخار دخاني واقع في الهواء و أورد عليه بأنه لو كان كذلك لكان يختلف في الصيف و الشتاء و قيل هي كواكب صغار متقاربة متشابكة لا تتمايز حسابا بل هي لشدة تكاثفها و صغرها صارت كأنها لطخات سحابية و هذا أقرب الوجوه.

١٥- العلل: لمحمد بن علي بن إبراهيم معنى السماء أنها ارتفعت أي سمت من السمو و معنى الأرض أنها انخفضت و كل شيء انخفض فهو أرض^(٨).

١٦- الشهج: [نهج البلاغة] قال عليه السلام اللهم رب السقف المرفوع و الجو المكفوف الذي جعلته مغيضا لليل و النهار و مجرى للشمس و القمر و مختلفا للنجوم السيارة و جعلت سكانه سبطا من ملائكتك لا يسأمون من عبادتك و رب هذه الأرض التي جعلتها قرارا للأنام و مدرجا للهوام و الأنعام و ما لا يحصى مما يرى و مما لا يرى و رب الجبال الرواسي التي جعلتها للأرض أوتادا و للخلق اعتمادا^(٩).

بيان: السقف المرفوع السماء و الجو الهواء و ما بين السماء و الأرض و كفه أي جمعه و ضم بعضه إلى بعض و فسر بعضهم الجو المكفوف بالسماء أيضا و الظاهر أن المراد به هنا الهواء بين السماء و الأرض فإنه مكفوف بالسماء و قد ورد في الدعاء و سد الهواء بالسماء و غاض الماء بغيض غيضا نصب و قل و كون السماء مغيضا لليل و النهار و الشمس و القمر ظاهر لأنها فيها تغيب و أما الجو المكفوف فإن فسر بالسماء فظاهر أيضا و إن فسر بالهواء فلكون آثارها تظهر فيه و يرى بحسب الحس كذلك و قيل المراد به الهواء و الفضاء بين السماوات فإنه مكفوف بها و يمكن حمله على البعد الموجود أو الموهوم الذي هو مكان الفلك و كفه تحديدها و ضبطها بالسماوات و يمكن

(١) كلمة: «إليه» ليست في المصدر.

(٢) سورة الذاريات، آية: ٧.

(٣) الغارات ج ١ ص ١٨٨-١٨٩.

(٤) القاموس المحيط ج ١ ص ٣٢١.

(٥) نهج البلاغة ص ٢٤٥ خطبة ١٧١.

(٦) فرج المهموم ص ٩٦-٩٧ باب ٣.

(٧) الغارات، ج ١ ص ١٧٩-١٨٠.

(٨) في المصدر إضافة: «ومنتير».

(٩) لم نثر على كتاب العلل هذا.

جعل الموصول صفة لمجموع السقف والجو لاتصالهما بعدهما شيئا واحدا فإن المجموع محل لتلك الآثار. والأجرام في الجملة ومختلفا للنجوم السيارة وقال ابن ميثم المراد بالجو السماء و كونه مغيبا لليل والنهار لأن الفلك بحركته المستلزمة لحركة الشمس على وجه الأرض يكون سببا لغيوبة الليل وعن وجهها لغيوبة النهار فكان كالغيبض لهما^(١) وقيل جعلته مغيبا أي غيبة لهما وهي في الأصل الأجمة كما يجتمع فيها الماء فتسمى غيبة وينبت فيها الشجر كأنه جعل الفلك كالغيبضة والليل والنهار كالشجر النابت فيها وقال الكيدري في شرحه المغيبض الموضوع الذي يغيبض فيه الماء أي ينضب ويقط و جعل السماء والفلك^(٢) مغيبضا لليل والنهار مجازا أي ينقص الله الليل مرة والنهار أخرى وإن زاد في الآخر^(٣) وذلك بحسب جريان الشمس^(٤) وقال الجو المكفوف كأنه أراد الهواء المحدود الذي ينتهي حده إلى السماء والجو ما بين السماء والأرض كأنه كف أي منع من تجاوز حديه وقال أبو عمرو الجو ما اتسع من الأودية وكل مستدير فهو كفة بالكسر كأنه أراد الهواء الذي هو على هيئة المستدير لأنه داخل الفلك الكروي الشكل أو أراد بالجو الفلك العريض الواسع وبالمكفوف ما كان عليه كفة من المجرة والنيرات فيكون^(٥) من كفة الثوب أو أراد بالمكفوف الفلك المحكم الخلق الشديد المتبرئ عن الخلل والقطور من قولهم عيبة مكفوفة أي مشرحة مشدودة^(٦) انتهى.

والاختلاف التردد وحمله على اختلاف الفصول بعيد والسبط بالكسر الأمة والقبيلة.

لا يسأمون أي لا يملون قرارا أي محل استقرار ودرج كقعد أي مشى والهوام الحشرات وقال ابن ميثم قال بعض العلماء من أراد أن يعرف حقيقة قوله ﷺ مما يرى ومما لا يرى فليودع نارا صغيرة في فلاة في ليلة صيفية وينظر ما يجتمع عليها من غرائب أنواع الحيوان العجيبة الخلق لم يشاهدها هو ولا غيره^(٧) وأقول يحتمل أن يراد ما ليس من شأنه الرؤية لصغره أو لطافته كالملك والجن والاعتماد الاتكاء والانتكال إذ الجبال مساكن لبعضهم ومنها تحصل منافعهم.

١٧- النهج: [تهج البلاغة] عن نوف البكالي عن أمير المؤمنين ﷺ أنه قال في خطبة فمن شواهد خلقه خلق السماوات موطدات بلا عمد قائمات بلا سند دعاهن فأجبن طائعات مذعنات غير متلكنات ولا مبطنات ولو لا إقرارهن له بالربوبية وإذعانهن بالطواعية لما جعلهن موضعا لعرشه ولا مسكنا لملائكته ولا مصعدا للكلم الطيب والعمل الصالح من خلقه جعل نجومها أعلاما يستدل بها الحيران في مختلف فجاج الأقطار لم يمنع ضوء نورها ادلهام سجع الليل المظلم ولا استطاعت جلايب سواد الحنّاس أن ترد ما شاع في السماوات من تلالؤ نور القمر^(٨) إلى آخر الخطبة.

توضيح: المراد بشواهد الخلق آيات الإبداع وعلامات التدبير المحكم أو ما يشهد من الخلق بوجوده سبحانه وتدبيره وعلمه أو ما حضر من خلقه أي ظهر وجوده بحيث لا يمكن لأحد إنكاره من علامات التدبير ووطدت كوعدت أظدها طدة ووطدتها توطيدا إذا أثبتتها بالوطء أو غيره حتى تتصلب وتوطيد السماوات إحكام خلقها وإقامتها في مقامها على وفق الحكمة والعمد بالتحريك جمع عماد بالكسر وهو ما يسند به أو جمع عمود والسند بالتحريك ما استندت إليه واتكأت من حائط وغيره والطائع المتقاد السلس وأذن أي اتقاد ولم يستعص وتلكأ أي توقف واعتل والطواعية كثنائية الطاعة ولعل المراد بالملائكة المقربون أو الأكثر لأن منهم من يسكن الهواء والأرض والماء وصعود الكلم الطيب والعمل الصالح صعود الكتبة بصحائف أعمال العباد إلى السماوات وفيه إشارة إلى قوله سبحانه **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**^(٩)

(٢) في المصدر: «أو الفلك».

(٤) شرح النهج للكيدري ج ٢ ص ٦٢.

(٦) شرح النهج للكيدري ج ٢ ص ٦٣.

(٨) نهج البلاغة من ٢٦١ خطبة ١٨٢.

(١) شرح النهج لابن ميثم ج ٢ ص ٣٢٨.

(٣) في المصدر: «الأخرة».

(٥) في المصدر إضافة: «الكفة».

(٧) شرح النهج لابن ميثم ج ٢ ص ٣٢٨.

(٩) سورة فاطر، آية: ١٠.

وإجابتهن إشارة إلى قوله تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^(١) وقد مر الكلام في تأويل الآية وقيل هنا إقرارهن بالربوبية له راجع إلى شهادة حال الممكن للحاجة إلى الرب والالتقياد لحكم قدرته وظاهر أنه لو لا إمكانها وانفعالها عن قدرته وتديبره لم يكن فيها عرش ولم يكن مسكنًا للملائكة ولا مصعدًا للكلم الطيب والعمل الصالح من الخلق^(٢) انتهى. وأما تخصيصه ﷺ السماوات بالطاعة مع اشتراك الأرض لها في ذلك في الآية فلعله لكونها أكثر طاعة لكون مادتها أقبل أو لشرها والعلم بالتحريك ما يهتدى به والمختلف الاختلاف أي التردد أو موضعه أو هو من المخالفة والفتح الطريق الواسع بين جبلين و القطر الجانب والناحية فالمعنى يستدل بها الحيارى في التردد في فجاج الأنظار أو في اختلاف الفجاج الموجودة في الأنظار وذهب كل منها إلى جهة غير ما يذهب إليه الآخر كاختلاف القوم في الآراء والسجف بالكسر وبالفتح الستر والجلياب بالكسر ثوب واسع تغطي به المرأة ثيابها كالمحفة وقيل هو الخمار وقيل القميص والهندس كزبرج الشديد الظلمة وشاع الشيء يشيع أي ظهر وذاع وفشا وتلاأ القمر والبرق أي لمع.

١٨- كتاب المثنى بن الوليد الحنات: عن أبي بصير عن أبي عبد الله ﷺ قال سألت عن السماوات السبع فقال سبع سماوات ليس منها سماء إلا وفيها خلق وبينها وبين الأخرى خلق حتى ينتهي إلى السابعة قلت والأرض قال سبع منهن خمس فيهن خلق من خلق الرب واثنتان^(٣) هواء ليس فيهما شيء.^(٤)

١٩- كتاب زيد النرسي: عن أبي عبد الله ﷺ قال إذا نظرت إلى السماء فقل و ذكر الدعاء إلى قوله اللهم رب السقف المرفوع والبحر المكثوف والفلك المسجور والنجوم المسخرات ورب هور بن إيسية^(٥) صل على محمد وآل محمد وعافني من كل عقرب و حية إلى آخر الدعاء قال قلت وما هور بن إيسية قال كوكبة في السماء خفية تحت الوسطى من الثلاث الكواكب التي في بنات نعش المتفرقات ذلك أمان ما قلت.^(٦)

٢٠- الدر المنثور: نقلًا من سبعة من كتبهم عن ابن مسعود قال ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام^(٧) وما بين كل سماءين خمسمائة عام و غلط كل سماء وأرض^(٨) مسيرة خمسمائة عام وما بين السماء السابعة^(٩) إلى الكرسي مسيرة خمسمائة عام وما بين الكرسي والماء مسيرة خمسمائة عام والعرش على الماء.^(١٠)

٢١- الكافي: عن علي بن إبراهيم عن صالح بن السندي عن جعفر بن بشير عن عنبسة عن جابر عن أبي جعفر ﷺ قال إن الله عز ذكره إذا أراد فناء دولة قوم أمر الفلك فأمر السير فكانت على مقدار ما يريد.^(١١)

بيان: أمر الفلك لعله كناية عن تسبيب أسباب زوال دولتهم على الاستعارة التمثيلية ويحتمل أن يكون لكل دولة فلك سوى الأفلاك المعروفة بالحركات وقد قدر لدولتهم عدد من الدورات فإذا أراد الله إطالة مدتهم أمر بإبطائه في الحركة وإذا أراد سرعة فنائها أمر بإسراعه.

٢٢- الكافي: عن محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن عبد الرحمن بن أبي هاشم عن عنبسة بن بجاد العابد عن جابر عن أبي جعفر ﷺ قال كنا عنده وذكروا سلطان بني أمية فقال أبو جعفر ﷺ لا يخرج على هشام أحد إلا قتله قال وذكر ملكه عشرين سنة قال فجزعنا فقال ما لكم إذا أراد الله عز وجل أن يهلك سلطان قوم أمر الملك فأمر سفير الفلك فقدر على ما يريد^(١٢) الخبر.

٢٣- توحيد المفضل: قال قال الصادق ﷺ فكر يا مفضل في النجوم واختلاف مسيرها فبعضها لا تفارق مراكزها

(١) سورة فصلت، آية: ١١.

(٢) لم نعر على كتاب هذا القائل.

(٣) في المصدر: «اثنتان».

(٤) كتاب المثنى بن الوليد الحنات ضمن كتاب الأصول الستة عشر ص ١٠٥.

(٥) هكذا في المطبوعة، وفي المصدر: «هور بن أسية» وفي عودة القرب في حاشية مفاتيح الجنان ص ٣٢٣: «هود بن أسية».

(٦) كتاب زيد النرسي ضمن الأصول الستة عشر ص ٥٧.

(٧) في المصدر: «بين السماء والأرض خمسمائة عام».

(٨) عبارة: «غلط كل سماء وأرض» ليست في المصدر.

(٩) الدر المنثور ج ١ ص ٤٤.

(١٠) روضة الكافي ص ١٥٩ حديث ١٥٧.

(١١) روضة الكافي ص ٣٩٥ حديث ٥٩٣.

من الفلك ولا تسير إلا مجتمعة وبعضها مطلقة تنتقل في البروج وتفرق في مسيرها فكل واحد منها يسير سيرين مختلفين أحدهما عام مع الفلك نحو المغرب والآخر خاص لنفسه نحو المشرق كالنملة التي تدور على الرحي فالرحي تدور ذات اليمين والنملة تدور ذات الشمال والنملة في تلك^(١) تتحرك حركتين مختلفتين إحداهما بنفسها فتتوجه أمامها والأخرى مستكرهة مع الرحي تجذبها إلى خلفها فأسأل الزاعمين أن النجوم صارت على ما هي عليه بالإهمال من غير عمد ولا صانع لها ما منعها أن تكون كلها راتبة أو تكون كلها متنقلة فإن الإهمال معنى واحد فكيف صار يأتي بحركتين مختلفتين على وزن وتقدير فقي هذا بيان أن مسير الفريقين على ما يسيران عليه بعدهم والتدبير وحكمة وتقدير وليس بإهمال كما تزعمه المعطلة.

فإن قال قائل ولم صار بعض النجوم راتبا وبعضها متنقلا قلنا إنها لو كانت كلها راتبة لبطلت الدلالات التي يستدل بها من تنقل المتنقلة ومسيرها في كل برج من البروج كما قد يستدل على أشياء مما يحدث في العالم بتنقل الشمس والنجوم في منازلها ولو كانت كلها متنقلة لم يكن لمسيرها منازل تعرف ولا رسم يوقف عليه لأنه إنما يوقف بمسير المتنقلة منها لانتقلها^(٢) في البروج الراتبة كما يستدل على سير السائر على الأرض بالمنازل التي يجتاز عليها ولو كان تنقلها بحال واحدة لا تخطط نظامها وبطلت المآرب فيها ولما لقاتل أن يقول إن كينونيتها على حال واحدة توجب عليها الإهمال من الجهة التي وصفنا ففي اختلاف سيرها وتصرفها وما في ذلك من المآرب والمصلحة أبين دليل على العمد والتدبير فيها.

فكر في هذه النجوم التي تظهر في بعض السنة وتحتجب في بعضها كمثل ثريا والجوزاء والشعرين وسهيل فإنها لو كانت بأسرها تظهر في وقت واحد لم تكن لواحد فيها على حياله دلالات يعرفها الناس ويهتدون بها لبعض أمورهم كمعرفتهم الآن بما يكون من طلوع الثور والجوزاء إذا طلعت واحتجابها إذا احتجبت. فصار ظهور كل واحد واحتجابها في وقت غير الوقت الآخر لينتفع الناس بما يدل عليه كل واحد منها على حدته وكما جعلت الثريا وأشباهها تظهر حيناً وتحتجب حيناً لضرب من المصلحة كذلك جعلت بنات النعش ظاهرة لا تغيب لضرب آخر من المصلحة فإنها بمنزلة الأعلام التي يهتدي بها الناس في البر والبحر للطرق المجهولة وذلك أنها لا تغيب ولا تتوارى فهم ينظرون إليها متى أرادوا أن يهتدوا بها إلى حيث شاءوا وصار الأمران جميعاً على اختلافهما موجعين نحو الإرب والمصلحة وفيها^(٣) مآرب أخرى علامات ودلالات على أوقات كثيرة من الأعمال كالزراعة والغراس والسفر في البر والبحر وأشياء مما يحدث في الأزمنة من الأمطار والرياح والحر والبرد وبها يهتدي السائرون في ظلمة الليل لقطع القفار الموحشة واللجج الهائلة مع ما في ترددها في كبد السماء مقبلة ومدبرة ومشقة ومغربة من العبر فإنها تسير أسرع السير وأحدها أرايت لو كانت الشمس والقمر والنجوم بالقرب منا حتى يتبين لنا سرعة سيرها بكنه ما هي عليه ألم تكن ستخطف الأبصار بوهجها وشاعها كالذي يحدث أحياناً من البروق إذا توالى واضطربت^(٤) في الجو وكذلك أيضاً لو أن أناساً كانوا في قبة مكلفة بمصاييح تدور حولهم دورانا حثيثاً لحارت أبصارهم حتى يخيروا لوجوههم فانظر كيف قدر أن يكون مسيرها في البعد البعيد لكيلا تضر في الأبصار وتنكأ فيها وبأسرع السرعة لكيلا تتخلف عن مقدار الحاجة في مسيرها وجعل فيها جزء يسير من الضوء ليسد مسد الأضواء إذا لم يكن قمر ويمكن فيه الحركة إذا حدثت ضرورة كما قد يحدث الحادث على المسرء فيحتاج إلى التجافي في جوف الليل وإن لم يكن شيء من الضوء يهتدي به لم يستطع أن يبرح مكانه فتأمل اللطف والحكمة في هذا التقدير حين جعل للظلمة دولة ومدة لحاجة إليها وجعل خلالها شيء من الضوء للمآرب التي وصفنا.

فكر في هذا الفلك بشمسه وقمره ونجومه تدور على العالم في^(٥) هذا الدوران الدائم بهذا التقدير والوزن لما في اختلاف الليل والنهار وهذه الأزمان الأربعة المتوالية^(٦) على الأرض وما عليها من أصناف الحيوان والنبات من ضروب المصلحة كالذي بينت ولخصت لك أنفاً وهل يخفى على ذي لب أن هذا تقدير مقدر وصواب

(١) في المصدر: «بتنقلها».

(٢) في المصدر: «واضطربت».

(٣) في المصدر إضافة: «من التنبيه».

(١) في المصدر: «ذلك».

(٢) في المصدر: «وفيهما».

(٥) كلمة: «في» ليست في المصدر.

وحكمة من مقدر حكيم فإن قال قائل إن هذا شيء اتفق أن يكون هكذا فما منعه أن يقول مثل هذا في دولا ب تراه يدور و يسقي حديقة فيها شجر و نبات فترى كل شيء من آله مقدرًا بعضه يلقي بعضا على ما فيه صلاح تلك الحديقة و ما فيها و بم كان يثبت هذا القول لو قاله و ما ترى الناس كانوا قائلين له لو سمعوه منه فينكر^(١) أن يقول في دولا ب خشب مصنوع بحيلة قصيرة لمصلحة قطعة من الأرض إنه كان بلا صانع و مقدر و يقدر أن يقول في هذا الدولا ب الأعظم المخلوق بحكمة يقصر عنها أذهان البشر لصلاح جميع الأرض و ما عليها إنه شيء اتفق أن يكون بلا صنعة و لا تقدير لو اعتل هذا الفلك كما تعتل الآلات التي تتخذ للصناعات و غيرها أي شيء كان عند الناس من الحيلة في إصلاحه^(٢).

بيان: قوله ﷺ لا تفارق مراكزها لعل المراد أنه ليس لها حركة بيّنة ظاهرة كما في السيارات أو لا يختلف نسب بعضها إلى بعض بالقرب و البعد بأن تكون الجملة التالية مفسرة لها و يحتمل أن يكون المراد بمراكزها البروج التي تنسب إليها على ما هو المصطلح بين العرب من اعتبار محاذاة تلك الأشكال في الانتقال إلى البروج و إن انتقلت عن مواضعها و عليه ينبغي أن يحمل قوله ﷺ و بعضها مطلقة ينتقل في البروج أو على ما ذكرنا سابقا من كون انتقالها في البروج ظاهرة بيّنة يعرفه كل أحد و الأول أظهر كما سيظهر من كلامه ﷺ.

قوله ﷺ فإن الإهمال معنى واحد يحتمل أن يكون المراد أن الطبيعة أو الدهر اللذين يجعلونهما أصحاب الإهمال مؤثرين كل منهما أمر واحد غير ذي شعور و إرادة و لا يمكن صدور الأمرين المختلفين عن مثل ذلك كما مر أو المراد أن العقل يحكم بأن مثل هذين الأمرين المستقلين الجارين على قانون الحكمة لا يكون إلا من حكيم راعى فيهما دقائق الحكم أو العرّاد أن الإهمال أي عدم الحاجة إلى العلة و ترجح الأمر الممكن من غير مرجح كما تزعمون أمر واحد حاصل فيهما فلم صارت إحداهما راتبة و الأخرى متنقلة و لم لم يعكس الأمر و الأول أظهر كما لا يخفى قوله ﷺ بلطلت الدلالات ظاهره كون الأوضاع النجومية علامات الحوادث قوله ﷺ في البروج الراتبة يدل ظاهرا على ما أشرنا إليه من أنه ﷺ راعى في انتقال البروج محاذاة نفس الأشكال و إن أمكن أن يكون المراد بيان حكمة بطل الحركة ليصلح كون تلك الأشكال علامات للبروج و لو يقر بها منها لكنه بعيد قوله ﷺ و الشعريين قال الجوهري الشعري الكوكب الذي يطلع بعد الجوزاء و طلوعه في شدة الحر و هما الشعريان الشعري العبور التي في الجوزاء و الشعري القميصاء التي في الذراع تزعم العرب أنها أختا سهيل^(٣) انتهى و القفار جمع قفر و هو الخلاء من الأرض و خطف البرق البصر ذهب به و وهج النار بالتسكين توقدها و قوله حثيثا أي مسرعا و تجافى أي لم يلزم مكانه و برح مكانه زال عنه.

٢٤- المتزهج: في تعقيب صلاة أمير المؤمنين ﷺ و أسألك باسمك الذي أجريت به الفلك فجعلته معالم شمسه و قمره و كتبت اسمك عليه^(٤).

٢٥- الدر المنثور: للسيوطي نقلًا من تسعة عشر من كتبهم عن العباس بن عبد المطلب قال كنا عند النبي ﷺ فقال هل تدرون كم بين السماء و الأرض قلنا الله و رسوله أعلم قال بينهما مسيرة خمسمائة عام و من كل^(٥) سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة عام و كثف كل سماء خمسمائة سنة و فوق السماء السابعة بحر بين أعلاه و أسفله كما بين السماء و الأرض ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين ركبهن^(٦) و أظلافهن كما بين السماء و الأرض ثم فوق ذلك العرش بين أسفله و أعلاه كما بين السماء و الأرض^(٧).

٢٦- و من عدة كتب بأسانيدهم عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ ما بين السماء و الأرض مسيرة خمسمائة

(٢) توحيد المفضل ص ١٣٢ - ١٣٧.

(٤) مصباح التهجيد ص ٢٩٥.

(٦) في المصدر: «بين وركهن».

(١) في المصدر: «أفينكر».

(٣) الصحاح ج ٢ ص ٦٩٩.

(٥) في المصدر: «مسيرة» بدل «كل».

(٧) الدر المنثور ج ١ ص ٤٣.

عام و غلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام و ما^(١) بين السماء إلى التي تليها مسيرة خمسمائة عام^(٢) كذلك إلى السماء السابعة والأرضون مثل ذلك و ما بين السماء السابعة إلى العرش مثل جميع ذلك و لو فحرقتم لصاحبكم ثم دليتموه لوجدتم الله ثمة يعني علمه.^(٣)

٢٧- و بأسانيد أخرى عن النبي ﷺ قال كنا جلوسا مع رسول الله ﷺ فمرت سحابة فقال أتدرون ما هذه قالوا الله و رسوله أعلم قال هذه الغيابة^(٤) يسوقها الله إلى أهل بلد لا يعبدونه و لا يشكرونه هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله و رسوله أعلم قال فإن فوق ذلك^(٥) موج مكفوف و سقف محفوظ هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله و رسوله أعلم قال فإن فوق ذلك سماء^(٦) أخرى هل تدرون كم ما بينهما قالوا الله و رسوله أعلم قال فإن بينهما مسيرة خمسمائة عام حتى عد سبع سماوات بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله و رسوله أعلم قال فإن فوق ذلك العرش فهل تدرون كم ما^(٧) بينهما قالوا الله و رسوله أعلم قال فإن بين ذلك كما بين السماءين ثم قال هل تدرون ما هذه هذه أرض هل تدرون ما تحتها قالوا الله و رسوله أعلم قال أرض أخرى و بينهما مسيرة خمسمائة عام حتى عد سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة عام.^(٨)

٢٨- و عن عبد الله بن عمر أنه نظر إلى السماء فقال تبارك الله ما أشد بياضها و الثانية أشد بياضا منها ثم كذلك حتى بلغ سبع سماوات و خلق فوق السابعة الماء و جعل فوق الماء العرش و جعل فوق السماء الدنيا الشمس و القمر و النجوم و الرجوم.^(٩)

٢٩- و عن ابن عباس قال قال رجل يا رسول الله ما هذا السماء قال هذا موج مكفوف عنكم.^(١٠)

٣٠- و عن الربيع بن أنس قال السماء الدنيا موج مكفوف و الثانية مرمرة بياض و الثالثة حديد و الرابعة نحاس و الخامسة فضة و السادسة ذهب و السابعة ياقوتة حمراء و ما فوق ذلك صحاري من نور و ما يعلم^(١١) ما فوق ذلك إلا الله و ملك موكل بالحجب يقال له ميطاطروش.^(١٢)

٣١- و عن سلمان الفارسي ره قال السماء الدنيا من زمردة خضراء اسمها رقيقا^(١٣) و الثانية من فضة بياض و اسمها أذقلون^(١٤) و الثالثة من ياقوتة حمراء و اسمها قيدوم و الرابعة من درة بياض و اسمها ماعونا و الخامسة من ذهبة حمراء و اسمها ديقا^(١٥) و السادسة من ياقوتة صفراء و اسمها دفنا^(١٦) و السابعة من نور و اسمها عربيا.^(١٧)

٣٢- و عن علي بن أبي طالب قال اسم السماء الدنيا رفيع^(١٨) و اسم السابعة الضراح.^(١٩)

٣٣- و عن ابن عباس قال سيد السماوات السماء التي فيها العرش و سيد الأرضين الأرض التي أنتم عليها.^(٢٠)

٣٤- و عن الشعبي قال كتب ابن عباس إلى أبي الجحدر^(٢١) حين سأله عن السماء من أي شيء هي فكتب إليه أن السماء من موج مكفوف.^(٢٢)

٣٥- و عن جبة العرني^(٢٣) قال سمعت عليا عليه السلام ذات يوم يحلف و الذي خلق السماء من دخان و ماء.^(٢٤)

٣٦- و عن كعب قال السماء أشد بياضا من اللبن.^(٢٥)

(١) عبارة: «وغلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام، و ما» ليست في المصدر.

(٢) عبارة: «بين السماء إلى التي تليها مسيرة خمسمائة عام» ليست في المصدر.

(٣) الدر المنثور ج ١ ص ٤٤. (٤) في المصدر إضافة: «هذه روايا الأرض».

(٥) في المصدر إضافة: «سماء هل تدرون ما فوق ذلك قال الله و رسوله أعلم قال فإن فوق ذلك».

(٦) في المصدر إضافة: «هل تدرون ما فوق ذلك قالوا: الله و رسوله أعلم قال فإن فوق ذلك».

(٧) كلمة: «ما» ليست في المصدر.

(٨) الدر المنثور ج ١ ص ٤٤.

(٩) الدر المنثور ج ١ ص ٤٤.

(١٠) في المصدر: «ولا يعلم».

(١١) في المصدر: «رقيقا».

(١٢) في المصدر: «ريقا».

(١٣) الدر المنثور ج ١ ص ٤٤، وفيه: «عربيا».

(١٤) الدر المنثور ج ١ ص ٤٤، وفيه: «الضراح».

(١٥) في المصدر: «الجلد» بدل «الجحدر».

(١٦) في المصدر: «العوفي».

(١٧) الدر المنثور ج ١ ص ٤٤.

(١٨) الدر المنثور ج ١ ص ٤٤.

٣٧- وعن سفيان الثوري قال تحت الأرضين صخرة بلغنا أن تلك الصخرة منها خضرة السماء.^(١)

٣٨- وعن قتادة في قوله «فَتَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ»^(٢) قال بعضهم فوق بعض بين كل سماء من مسيرة خمسمائة عام.^(٣)

٣٩- وعن ابن جبير قال إن هرقل كتب إلى معاوية و قال إن كان بقي فيهم شيء من النبوة فسيخبروني عما أسألهم عنه قال و كتب إليه يسأله عن المجرة و عن القوس و عن البقعة التي لم تصبها الشمس إلا ساعة واحدة قال فلما أتى معاوية الكتاب و الرسول قال إن هذا شيء ما كنت أظن^(٤) أن أسأل عنه إلى يومي هذا من لهذا قالوا ابن عباس فطوى معاوية كتاب هرقل و بعث به إلى ابن عباس فكتب إليه أن القوس أمان لأهل الأرض من الفرق و المجرة باب السماء الذي يشق منه و أما البقعة التي لم تصبها الشمس إلا ساعة من نهار فالبحر الذي أفرج من^(٥) بني إسرائيل.^(٦)

٤٠- و عن أبي صالح في قوله «كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا»^(٧) قال كانت السماء واحدة ففتق منها سبع سماوات و كانت الأرض واحدة ففتق منها سبع أرضين.^(٨)

٤١- و عن الحسن و قتادة قالا كانتا جميعا ففصل الله بينهما بهذا الهواء.^(٩)

٤٢- و عن ابن جبير قال كانت السماوات و الأرضون ملتزقتين فلما رفع الله السماء و أبعداها^(١٠) من الأرض فكان فتحها الذي ذكره الله.^(١١)

٤٣- و عن ابن عباس في قوله تعالى «وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ»^(١٢) قال حسننها و استواؤها.^(١٣)

٤٤- و روي عنه أيضا أنه قال ذات البهاء و الجمال و إن بنيناها كالبرد المسلسل.^(١٤)

٤٥- و في رواية أخرى عنه ذات طرائق و الخلق الحسن.^(١٥)

٤٦- و عن علي عليه السلام قال هي السماء السابعة.^(١٦)

٤٧- و عن عكرمة ذات الخلق الحسن محبكة بالنجوم.^(١٧)

٤٨- و عن أبي الطفيل أن ابن الكواء سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن المجرة فقال هي شجر^(١٨) السماء و منها فتحت أبواب السماء بماء منهزم ثم قرأ «فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ»^(١٩)

٤٩- و عن ابن عباس في قوله «فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ» قال منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق سبع سماوات مقداره خمسين ألف سنة و يَوْمٌ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ يعني بذلك ينزل^(٢٠) الأمر من السماء إلى الأرض و من الأرض إلى السماء في يوم واحد فذلك مقداره ألف سنة لأن ما بين السماء و الأرض مسيرة خمسمائة عام.^(٢١)

٥٠- و عنه أيضا قال غلط كل أرض خمسمائة عام و بين كل أرض إلى أرض خمسمائة عام و من السماء إلى السماء خمسمائة عام و غلط كل سماء خمسمائة عام فذلك أربعة عشر ألف عام و بين السماء^(٢٢) و بين العرش مسيرة ستة و ثلاثين ألف عام فذلك قوله «فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»^(٢٣)

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٩.

(٤) في المصدر: «أوبه له».

(٦) الدر المنثور ج ١ ص ٤٤.

(٨) الدر المنثور ج ٤ ص ٣١٧.

(١٠) في المصدر: «وابترها».

(١٢) سورة الذاريات، آية: ٧.

(١٤) الدر المنثور ج ٦ ص ١١٢.

(١٦) راجع الدر المنثور ج ٦ ص ١١٢.

(١٨) في المصدر: «شرح».

(٢٠) في المصدر: «نزل».

(٢٢) في المصدر إضافة: «السابعة».

(٢٣) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٦٤.

(١) الدر المنثور ج ١ ص ٤٤.

(٣) الدر المنثور ج ١ ص ٦٩.

(٥) في المصدر: «عن».

(٧) سورة الأنبياء، آية: ٣٠.

(٩) الدر المنثور ج ٤ ص ٣١٧.

(١١) الدر المنثور ج ٤ ص ٣١٧.

(١٣) الدر المنثور ج ٦ ص ١١٢.

(١٥) الدر المنثور ج ٦ ص ١١٢.

(١٧) راجع الدر المنثور ج ٦ ص ١١٢.

(١٩) الدر المنثور ج ٦ ص ١٣٤، والآية من سورة القمر: ١١.

(٢١) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٦٤.

(٢٣) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٦٤ و فيه سقط من أوله و الآية من سورة المعارج: ٨.

- ٥١- وعن وهب قال مقدار ما بين أسفل الأرض إلى العرش خمسون ألف سنة.^(١)
- ٥٢- وعن الحسن في قوله ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾^(٢) قال بعضهم فوق بعض كل سماء^(٣) و أرض خلق و أمر.^(٤)
- ٥٣- وعن أبي ذر قال قرأ رسول الله ﷺ ﴿هَلْ أُنِى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾^(٥) حتى ختمها ثم قال إني أرى ما لا ترون و أسمع ما لا تسمعون أظن السماء و حق لها أن تنط ما فيها موضع أربع أصابع إلا و فيه ملك واضع جبهته ساجدا لله و الله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا و لبيكتم كثيرا و ما تلدذتم بالنساء على العرش و لخرجتم إلى الصدقات تجأرون إلى الله عز و جل.^(٦)
- ٥٤- وعن علي عليه السلام قال الشَّقَبُ الْمَرْفُوعُ السَّمَاءَ وَ الْبَيْتُ الْمَشْجُورُ بحر في السماء تحت العرش.^(٧)

بيان: قال في النهاية الوعول و الأوعال تيوس الجبل واحدها وعل بكسر العين و منه الحديث في تفسير قوله تعالى ﴿وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾^(٨) قيل ثمانية أوعال^(٩) أي ملائكة على صورة الأوعال انتهى قوله ﴿لوجدتم الله ثمة﴾ أي نسبته سبحانه إلى العرش و تحت الثرى و جميع الأماكن متساوية من حيث عدم حصوله بذاته في شيء منها و إحاطة علمه و قدرته بجميعها و قال الطيبي فيما رواه ﴿لو دلّيتم بحبل إلى الأرض السفلى ليهبط على الله﴾ دلّيتم أي أرسلتم و على الله أي على علمه و قدرته و سلطانه و في النهاية الغيبة كل شيء أظن الإنسان فوق رأسه كالسحابة و غيرها^(١٠) انتهى موج مكفوف قال الطيبي أي ممنوع من الاسترسال حفظها الله أن تقع على الأرض و هي معلقة بلا عمد كال موج المكفوف.

- ٥٥- الدر المنثور: عن علي عليه السلام في قوله ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ﴾^(١١) قال هي الكواكب تكتس بالليل و تخنس بالنهار فلا ترى.^(١٢)

- ٥٦- وعن علي عليه السلام في قوله ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ﴾^(١٣) قال خمسة أنجم زحل و عطارد و المشتري و بهرام و الزهرة ليس في الكواكب شيء يقطع المجرة غيرها.^(١٤)

- ٥٧- وعن ابن عباس قال الخنس نجوم تجري يقطعن المجرة كما يقطع الفرس.^(١٥)
- ٥٨- وعن ابن عباس في قوله ﴿بِالْخُنُوسِ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ﴾ قال هي النجوم السبعة زحل و بهرام و عطارد و المشتري و الزهرة و الشمس و القمر خنوسها رجوعها و كنوسها تغيبها بالنهار.^(١٦)

- ٥٩- وعن الأعمش قال كان أصحاب عبد الله يقولون في قوله تعالى ﴿وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ ذات القصور.^(١٧)
- ٦٠- وعن أبي صالح في قوله ﴿ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ قال النجوم العظام.^(١٨)

- ٦١- وعن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ سئل عن السماء ذات البروج فقال الكواكب و سئل^(١٩) ﴿الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ فقال الكواكب قيل فبروج مشيدة فقال القصور.^(٢٠)

- ٦٢- وعن قتادة في قوله ﴿وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾^(٢١) قال بروجها نجومها ﴿وَ الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾^(٢٢) قال يوم

(١) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٦٤.
(٢) في المصدر: «بين كل».
(٣) سورة الإنسان، آية: ١.
(٤) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٩٧، و ليس فيه عبارة: «إلى الله عز و جل»، علما بأن هذه العبارة جاءت في رواية أنس المذكورة في ج ٣ ص ٢٦٥ من المصدر.
(٥) سورة الواقعة، آية: ١٧.
(٦) النهاية ج ٣ ص ٤٠٣.
(٧) الدر المنثور ج ٦ ص ٣٢٠.
(٨) الدر المنثور ج ٦ ص ٣٢٠.
(٩) الدر المنثور ج ٦ ص ٣٢٠.
(١٠) الدر المنثور ج ٦ ص ٣٣١.
(١١) في المصدر إضافة: «عن».
(١٢) سورة البروج، آية: ١.
(١٣) سورة نوح، آية: ١٥.
(١٤) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٦٨.
(١٥) النهاية ج ٥ ص ٢٠٧.
(١٦) سورة التكوين، آية: ١٥.
(١٧) سورة التكوين، آية: ١٥.
(١٨) الدر المنثور ج ٦ ص ٣٢٠.
(١٩) الدر المنثور ج ٦ ص ٣٣١.
(٢٠) في المصدر إضافة: «عن».
(٢١) سورة البروج، آية: ١.
(٢٢) سورة البروج، آية: ٢.

القيامة ﴿وَوَ شَاهِدٌ مَّشْهُودٌ﴾^(١) قال يومان عظيمان عظمهما الله من أيام الدنيا كنا نحدث أن الشاهد يوم القيامة وأن المشهود يوم عرفة.^(٢)

٦٣- وعن الحسن في قوله ﴿وَوَ السَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ قال حبكت بالخلق الحسن ثم حبكت بالنجوم ﴿وَوَ السَّيُومِ الْمُتَوَعُّودِ﴾ قال يوم القيامة.^(٣)

٦٤- وعن مجاهد ﴿وَوَ السَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾^(٤) قال ذات النجوم ﴿وَوَ شَاهِدٌ مَّشْهُودٌ﴾^(٥) قال الشاهد ابن آدم والمشهود يوم القيامة.^(٦) ١٠٩
٥٨

فائدة: اعلم أن أصحاب الهيئة قالوا بعد مقر فلك القمر عن مركز العالم أحد وأربعون ألفاً وتسعمائة وستة وثلاثون فرسخاً وبعد محده الذي هو مماس لمقر فلك عطارد بزعمهم خمسة وثمانون ألف فرسخ وسبعمئة فرسخ وثلاث فراسخ وبعد مقر فلك الزهرة مائتان وخمسة وسبعون ألف فرسخ وثلاثمئة وثمانون فرسخاً وبعد مقر فلك الشمس ألف ألف فرسخ وثمانمئة وثمان وأربعون ألف فرسخ وثمانمئة وخمسة وثمانون فرسخاً وبعد مقر فلك المريخ ألف ألف فرسخ وسبعة وعشرون ألف فرسخ وتسعمائة وأربع وثلاثون فرسخاً وبعد مقر فلك المشتري أربعة آلاف ألف فرسخ وسبعمئة وسبعون ألف فرسخ وستمئة واثنان وسبعون فرسخاً وبعد مقر فلك زحل ثلاثة وعشرون ألف ألف فرسخ وتسعمائة وأحد وتسعون ألف فرسخ ومائتان وخمسة عشر فرسخاً وبعد مقر فلك الثوابت ثلاثة وثلاثون ألف ألف فرسخ وخمسمئة ألف وتسعة آلاف فرسخ ومائة وثمانية وثمانون فرسخاً وبعد مقر الفلك الأعلى ثلاثة وثلاثون ألف ألف فرسخ وخمسمئة وأربعة وعشرون ألف فرسخ وستمئة وتسعة فراسخ وبعد محذب الفلك الأعلى لا يعلمه أحد إلا الرب تبارك وتعالى ومن أوحى إليه.

وذكر وأن قطر القمر سبعمئة وأحد وثلاثون فرسخاً وجرمه سدس سبع جرم الأرض وقيل جزء من تسعة وثلاثين جزء منها وقطر العطارد مائة وتسعة فراسخ وجرمه جزء من اثني عشر ألف جزء وسبعمئة وتسعة وستين جزء من جرم الأرض وقطر الزهرة تسعمائة فرسخ وخمسة وستون فرسخاً وجرمه ثلث تسع جرم الأرض وقيل جزء من سبعة وثلاثين جزء من الأرض وقطر الشمس سبعة عشر ألف فرسخ وخمسمئة وثمانية وستون فرسخاً وجرمه ثلاثمئة وثمانية وعشرون ضعف جرم الأرض وقيل مائة وستة وستون ضعفاً وقطر المريخ ثلاثة آلاف فرسخ وسبعمئة وخمسة وتسعون فرسخاً وجرمه ثلاثة أضعاف جرم الأرض وقيل مثل الأرض ونصفها وقطر المشتري أربعة عشر ألف فرسخ وخمسمئة وستة وتسعون فرسخاً وجرمه مائة وثمان وثمانون ضعفاً من الأرض وقيل اثنتان وثمانون ضعفاً وثمانون فرسخاً وجرمه مائة واثنان وثمانون ضعفاً من الأرض وقيل سبع وسبعون ضعفاً والكواكب الغير المرصودة لا يعلم عددها إلا الله تعالى وحججه عليه السلام وما رصدوا منها ألف واثنان وعشرون كوكباً فأعظمها على ما ذكره بعضهم ثمانية وتسعون ضعفاً للأرض وسدسها وأصغرها عشرة أضعاف وثلث من الأرض وعلى ما ذكره آخرون أعظمها مائتان واثنان وعشرون ضعفاً من الأرض وأصغرها ثلاثة وعشرون ضعفاً منها ورتبوا أقدارها المختلفة في ست مراتب ينقص كل مرتبة عن صاحبتها في القطر بسدس فأولها أعظمها وفيها خمسة عشر كوكباً وفي الثانية خمسة وأربعون وفي الثالثة مائتان وثمانية وفي الرابعة أربعمئة وأربعة وسبعون وفي الخامسة مائتان وسبعة عشر وفي السادسة تسعة وأربعون وأربعة عشر خارجة عن المراتب تسعة خفية تسمى مظلمة وخمسة سحابة كأنها قطعة غيم وقد يزداد ثلاثة تسمى صغيرة ثم توهموا لتعريف هذه الكواكب صوراً تكون هي عليها أو فيما بينها أو بقرنها والصور ثمانية وأربعون إحدى وعشرون في الشمال واثنان عشرة على المنطة وهي صور البروج المشهورة و

١١٠
٥٨

١١١
٥٨

(٢) الدر المنثور ج ٦ ص ٣٣١.

(٤) سورة البروج، آية: ١.

(٦) الدر المنثور ج ٦ ص ٣٣١.

(١) سورة البروج، آية: ٣.

(٣) الدر المنثور ج ٦ ص ٣٣١.

(٥) سورة البروج، آية: ٢.

خمس عشرة في الجنوب هذا ما ذكره واستنبطه من قواعدهم والله تعالى يعلم حقائق الأمور. وقال بعضهم^(١) يسير الفلك الأعظم بمقدار ما يقول أحد واحد ألفا وسبعائة واثنين وثلاثين فرسخا من مقره والله تعالى يعلم ما يسير من محدبه وهو أسرع الحركات وحركته من المشرق إلى المغرب و يتم في يوم بليته دورا بالتقريب و قطباه يسميان بقطبي العالم ومنطقته تسمى بمعدل النهار وهي تقطع العالم بنصفين شمالي وجنوبي والصغار الموازية المرتسمة من تحرك النقاط عن جنبتيها تسمى بالمدارات اليومية وسائر الحركات الخاصة للكواكب من المغرب إلى المشرق على التوالي البروج وأبطؤها حركة فلك الثوابت ويوافقه جميع الممثلات ويقطع في كل خمسة وعشرين ألفا ومائتي سنة دورا ويقطع في كل سنة عشرة فراسخ ومع ذلك لا ترى حركتها في قريب من خمسين سنة بل ترى في تلك المدة كأنها ساكنة وقطباه يسميان بقطبي البروج ومنطقته بمنطقة البروج وفلك البروج وهي تقطع المعدل على نقطتين تسميان بالاعتدالين الربيعي والخريفي وأبعد أجزائها عنه بالاتقلايين الصيفي والشتوي وغاية هذين البعدين من الجانب الأقرب تسمى بالميل الكلي وهو بالرصد الجديد ثلاثة وعشرون جزء وثلاثون دقيقة وتقسم منطقة البروج بهذه النقاط الأربع أرباعا قطع الشمس لكل منها أحد الفصول الأربعة ولها دوائر صغار كالأولى التي تسمى بمدارات العرض وتوهما في كل ربع من تلك الأرباع نقطتين اتسم بها بثلاثة أقسام متساوية فحصلت البروج الاثنا عشر فالحمل والثور والجوزاء وريبعة والسرطان والأسد والسنبلة صيفية والميزان والمقرب والقوس خريفية والجدي والدلو والحوث شتوية فتحصل بالحركة الخاصة للشمس في هذه البروج الفصول الأربعة في كل سنة والقمر يقطع تلك البروج في سبعة وعشرين يوما وليلة وثلاث تقريبا والمطاردة والزهرة يقطعانها في سنة تقريبا والمريخ يقطعها في سنة وعشرة أشهر وأحد وعشرين يوما وليلة واثنين وعشرين ساعة وخمسين دقيقة والمشتري يقطعها في إحدى عشرة سنة وشهرين وثلاثة عشر يوما وليلة وإحدى عشرة ساعة وتسع دقائق وقال المحقق الطوسي ره في اثنتي عشرة سنة تقريبا وزحل يقطعها في ثلاثين سنة ويقال للشمس والقمر النيران ولزحل والمشتري العلويان ولعطاردة والزهرة السفليان وللمشتري والزهرة السعدان ولزحل والمريخ النحسان.

ثم إن القدماء قالوا^(٢) كل واحد من أفلاك الكواكب السبعة يشتمل على أفلاك أخر جزئية مفروزة عن كلها متحركة بحركة أخرى غير حركة الكل وذلك لأنه يعرض لها في حركاتها السرعة والبطء والتوسط بينهما وكذا الوقوف والرجوع والاستقامة وقد تكون حركة بعضها متشابهة حول نقطة أي يحدث عندها في أزمنة متساوية زوايا متساوية وقسبا^(٣) متساوية مع أنه يقرب منها تارة ويبعد عنها أخرى إلى غير ذلك من الاختلافات فأتبعوا لفلك الشمس فلها آخر شاملا للأرض مركزه خارج عن مركز العالم مائل إلى جانب من الفلك الكلي لها بحيث يماس محدب سطحه السطح الأعلى من الفلك الكلي على نقطة مشتركة بينهما تسمى الأوج ومقر سطحه السطح الأدنى منه على نقطة مشتركة تسمى الحضيض فيحصل بسبب ذلك جسمان متدرجا التخن إلى غاية هي ضعف ما بين المركزين أحدهما حاو للفلك الخارج المركز والآخر محوي فيه رقعة الحاوي مما يلي الأوج وغلظه مما يلي الحضيض ورقعة المحوي وغلظه بالعكس يقال لكل منهما المتمم وجرم الشمس مركز في ثخن الخارج عند منتصف ما بين قطبيه مماس لسطحيه على نقطتين وأفلاك كل من الكواكب العلوية والزهرة كذلك إلا أن لها تدويرا مركزية في خوارجها كارتكاز الشمس وهي فيها يماس سطح كل سطح تدويره على نقطة وكذلك فلك القمر إلا أن له فلكا آخر مركزه مركز العالم محيطا بالكل يسمى بالجوزهر وأما عطارد فمركز فلكه الذي في ثخنه الخارج غير مركز العالم و يسمى بالمدير وهو في ثخن فلكه الكلي الذي مركزه مركز العالم كالخارج في ثخنه على الرسم المذكور فله خارجان وأوجان وحضيضان وأربعة

(١) هو المولى الفيض الكاشاني في عين اليقين ملحق بعلم اليقين ص ٣٢٢.

(٢) راجع عين اليقين - ملحق علم اليقين - ص ٣٣٣.

(٣) القسي - بكسر القاف والسين وتشديد الياء - جمع قوس، وذكر الجوهري إن معاني القوس: برج في السماء، الصباح ج ٣ ص ٩٦٧.

متممات و تسمى الأفلاك الكلية بالمثلثات لمماثلتها لمنطقة البروج في المركز و الحركة و المنطقة و القطبين و تسمى الخواارج المراكز كلها سوى المدير بالحوامل و تسمى البعد الأبعد في التداوير بالذروة و الأقرب بالحضيض هذا ما ذكره القدماء في ذلك و أما المتأخرون فزادوا أفلاكاً جزئية أخرى لحل بعض ما لا ينحل من مشكلات هذا الفن لم تعرض لها و لا لذكر جهات حركات هذه الأفلاك و مقاديرها و أنظاها و دوائرها و مناطقها المذكورة في كتب القوم لأنها لا تناسب هذا الكتاب و كل ما ذكره مبنية على أوهام و خيالات يستقيم بعض الحركات بها و تحيروا في كثير منها و لا يعلمها بحقيقتها إلا خالفها و من خصه بعلمها من الأنبياء و الأوصياء عليه.

باب ١٠ الشمس والقمر وأحوالهما وصفاتهما والليل والنهار ما يتعلق بهما

الآيات:

البقرة: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾. (١)

آل عمران: ﴿يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَ يُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ﴾. (٢)

الأنعام: ﴿فَالْيَوْمِ الْإِصْبَاحِ وَ جَعَلَ اللَّيْلُ سَكَنًا وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾. (٣)

الأعراف: ﴿يُبْغِشِي اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيماً وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ النُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾. (٤)

يونس: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَ الْقَمَرُ نُورًا وَ قَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾. (٥)

و قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ النَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾. (٦)

الرعد: ﴿وَ سَخَّرَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى إِلَى قَوْلِهِ بُغْيَشِي اللَّيْلِ النَّهَارِ﴾. (٧)

إبراهيم: ﴿وَ سَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ دَائِبِينَ وَ سَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ﴾. (٨)

النحل: ﴿وَ سَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ النُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾. (٩)

الإسراء: ﴿وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ آيَتَيْنِ فَحَسْبُنَا آيَةُ اللَّيْلِ وَ جَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسَابَ وَ كُلُّ شَيْءٍ فَضْلُنَا تَفْصِيلاً﴾. (١٠)

الكهف: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَ جَذَاهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَ وَجَدَ عِنْدَهَا قَوْماً إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَ جَذَاهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سَبْطاً﴾. (١١)

الأنبياء: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ كُلٌّ فِي فَلَكَ يَسْبَحُونَ﴾. (١٢)

الحج: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ يُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَ أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾. (١٣)

(٢) سورة آل عمران: آية: ٢٧.

(٤) سورة الأعراف: آية: ٥٤.

(٦) سورة يونس: آية: ٦٧.

(٨) سورة إبراهيم: آية: ٣٣.

(١٠) سورة الإسراء: آية: ١٢.

(١٢) سورة الأنبياء: آية: ٣٣.

(١) سورة البقرة: آية: ١٨٩.

(٣) سورة الأنعام: آية: ٩٦.

(٥) سورة يونس: آية: ٥ و ٦.

(٧) سورة الرعد: آية: ٢ و ٣.

(٩) سورة النحل: آية: ١٢.

(١١) سورة الكهف: آية: ٨٦ - ٩٠.

(١٣) سورة الحج: آية: ٦١.

المؤمنون: ﴿وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١)
النور: ﴿يَقْبَلُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (٢)
الفرقان: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظَّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا ثُمَّ قَبَضْنَا إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَ النَّوْمَ سُبَاتًا وَ جَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ (٣)
وقال سبحانه ﴿يَبَارِكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَ جَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَ قَمَرًا مُنِيرًا وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ (٤)

النمل: ﴿أَمْثَلُ يُهْدِيكُم فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ﴾ (٥) و قال تعالى ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَ النَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٦)

القصص: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُم بَضَاءٌ أَفَلَا تَسْمَعُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُم بَلِيلٌ تُسْكِنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ وَ مِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٧)

العنكبوت: ﴿وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَاَنَّى يُؤْفِكُونَ﴾ (٨)
الروم: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ ابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (٩)

لقمان: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ يُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَ أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١٠)

فاطر: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ يُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾ (١١)

يس: ﴿وَ آيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ وَ الشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَ الْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ غَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَ لَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (١٢)

الصفات: ﴿وَ رَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ (١٣)

الزمر: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ بِحَقِّ يَكُونُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَ يَكُونُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ (١٤)

المؤمن: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَ النَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (١٥)

السجدة: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَ النَّهَارُ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَ لَا لِلْقَمَرِ وَ اسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِتِيَاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (١٦)

الرحمن: ﴿الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ (١٧) و قال تعالى ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَ رَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ قَسِيَّ الْآءِ رَبُّكُمَا تَكْذِبَانِ﴾ (١٨)

- | | |
|---------------------------------|---------------------------------|
| (١) سورة المؤمنون، آية: ٨٠. | (٢) سورة النور، آية: ٤٤. |
| (٣) سورة الفرقان، آية: ٤٥ - ٤٧. | (٤) سورة الفرقان، آية: ٦١ و ٦٢. |
| (٥) سورة النمل، آية: ٦٣. | (٦) سورة النمل، آية: ٨٦. |
| (٧) سورة القصص، آية: ٧١ - ٧٣. | (٨) سورة العنكبوت، آية: ٦١. |
| (٩) سورة الروم، آية: ٧٣. | (١٠) سورة لقمان، آية: ٢٩. |
| (١١) سورة فاطر، آية: ١٣. | (١٢) سورة يس، آية: ٣٧ - ٤٠. |
| (١٣) سورة الصفات، آية: ٥. | (١٤) سورة الزمر، آية: ٥. |
| (١٤) سورة المؤمن، آية: ٦١. | (١٥) سورة فصلت، آية: ٣٧. |
| (١٦) سورة الرحمن، آية: ٥. | (١٨) سورة الرحمن، آية ١٧ و ١٨. |

الحديد: ﴿يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ﴾. (١)

المعارج: ﴿فَلَمَّا أَقْسَمَ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾. (٢)

نوح: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾. (٣)

المدثر: ﴿كَذَٰلِكَ وَالْقَمَرَ وَاللَّيْلُ إِذَا دُبِّرَ وَالصُّبْحَ إِذَا أَشْفَرُ إِنَّهَا لَآخِذَى الْكُبْرَى﴾. (٤)

النبا: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾. (٥)

التكوير: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى وَاللَّيْلُ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾. (٦)

الفجر: ﴿وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَنشَرُ﴾. (٧)

الشمس: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاها وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَاها وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾. (٨)

الضحى: ﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾. (٩)

الفرقان: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾. (١٠)

تفسير:

﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْهَائِلَةِ﴾ (١١) قال البيضاوي سأله معاذ بن جبل و ثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبا و دقيقا كالخط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ فنزلت ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ (١٢) إنهم سألوا عن الحكمة في اختلاف حال القمر و تبدل أمره فأمره الله أن يجيب بأن الحكمة الظاهرة في ذلك أن يكون معالم للناس يوافقون (١٣) بها أمورهم و معالم للعبادات الموقته يعرف بها أوقاتها و خصوصا الحج فإن الوقت مراعى فيه أداء و قضاء و المواقيت جمع ميقات من الوقت (١٤).

وقال في قوله تعالى ﴿يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ﴾ (١٥) إيلاج الليل والنهار إدخال أحدهما في الآخر بالتعقيب أو الزيادة والنقص. (١٦)

و قال في قوله تعالى ﴿فَالْيَوْمِ الْآصِحاحِ﴾ (١٧) شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل أو عن بياض النهار أو شاق ظلمة الإصباح و هو الفجر الذي يليه و الإصباح في الأصل مصدر «أصبح» إذا دخل في الصبح (١٨) سمي به الصبح و قرئ بفتح الهزعة على الجمع «و جاعل الليل سكنا» يسكن إليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن إليه إذا أطمأن إليه استئناسا به أو يسكن فيه الخلق من قوله ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ و نصبه بفعل دل عليه «جاعل» لا به فإنه في معنى الماضي و يدل عليه قراءة الكوفيين «وَجَعَلَ اللَّيْلَ» حملا على معنى المعطوف عليه فإن فائق بمعنى فلق فلذلك قرئ به أو به على أن المراد منه جعل مستمر في الأزمنة المختلفة و على هذا يجوز أن يكون «وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ» عطفًا على محل الليل و يشهد له قراءة تهما بالجر و الأحسن نصبهما بجعل مقدر و قرئ بالرفع على الابتداء و الخبر محذوف أي مجعولان «حُسْبَانًا» أي على أدوار مختلفة تحسب بها الأوقات و يكونان علمي الحساب و هو مصدر حسب بالفتح كما أن الحسبان بالكسر مصدر حسب بالكسر و قيل جمع حساب كشهاب و شهبان «ذلك» إشارة إلى جعلهما حسابان أي ذلك السير بالحساب المعلوم «تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ» الذي قهرهما و سيرهما على الوجه المخصوص «أَعْلَمُ» بتدبيرهما و الأنفع من التدوير الممكنة لهما. (١٩)

(١) سورة الحديد، آية: ٦.

(٢) سورة نوح، آية: ١٦.

(٣) سورة النبا، آية: ٩ - ١٣.

(٤) سورة الفجر، آية: ١ - ٤.

(٥) سورة الضحى، آية: ١ - ٢.

(٦) سورة البقرة، آية: ١٨٩.

(٧) في المصدر: «يُوقِتُونَ».

(٨) سورة آل عمران، آية: ٢٧.

(٩) سورة الأنعام، آية: ٩٦.

(١٠) أنوار التنزيل ج ١ ص ٣١٢.

(١) سورة المعارج، آية: ٤٠.

(٢) سورة المدثر، آية: ٣٢ - ٣٥.

(٣) سورة التكوير، آية: ١ - ١٨.

(٤) سورة الشمس، آية: ١ - ٤.

(٥) سورة الفلق، آية: ١ - ٣.

(٦) سورة البقرة، آية: ١٨٩.

(٧) أنوار التنزيل ج ١ ص ١٠٨.

(٨) أنوار التنزيل ج ١ ص ١٥٥.

(٩) في المصدر: «في الصباح».

وفي قوله تعالى ﴿يُغْنِيهِ اللَّيْلُ النَّهَارَ﴾^(١) يغطي به و لم يذكر عكسه للعلم به أو لأن اللفظ يحتملها و لذلك قرئ ﴿يُغْنِيهِ اللَّيْلُ النَّهَارَ﴾ بنصب الليل و رفع النهار و قرأ حمزة و الكسائي و يعقوب و أبو بكر عن عاصم بالتشديد و في الردع للدلالة على التكرير ﴿يَظْلُمُهُ حَتِيئًا﴾ يعقبه سريعاً كالمطالب له لا يفصل بينهما شيء و الحثيث فاعيل من الحث و هو صفة مصدر محذوف أو حال من الفاعل بمعنى حاثاً أو المفعول بمعنى محثوثاً ﴿وَالشَّشْنَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ أي بقضائه و تصريفه و نصبها بالعطف على السماوات و نصب مسخرات على الحال و قرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء و الخبر^(٢) انتهى.

وقال الرازي في قوله سبحانه ﴿يَظْلُمُهُ حَتِيئًا﴾ أعلم أنه سبحانه وصف هذه الحركة بالسرعة و الشدة و ذلك هو الحق لأن تعاقب الليل و النهار إنما يحصل بحركة الفلك الأعظم و تلك الحركة أشد الحركات سرعة و أكملها شدة نى أن الباحثين عن أحوال الموجودات قالوا الإنسان إذا كان في العدو الشديد الكامل فإلى أن يرفع رجله و يضعها يتحرك الفلك الأعظم ثلاثة آلاف ميل و إذا كان الأمر كذلك كانت تلك الحركة في غاية السرعة و الشدة فلهذا السبب قال تعالى ﴿يَظْلُمُهُ حَتِيئًا﴾^(٣).

ثم قال في هذه الآية لطائف فالأولى أن الشمس لها نوعان من الحركة أحدهما حركتها بحسب ذاتها و هي إنما تتم في سنة كاملة و بسبب هذه الحركة تحصل السنة و الثاني حركتها بسبب حركة الفلك الأعظم و هذه الحركة تتم في اليوم بليته^(٤) إذا عرفت هذا فنقول الليل و النهار لا يحصلان بسبب حركة الشمس بل بحركة السماء الأقصى التي يقال لها العرش و لهذا السبب لما ذكر العرش بقوله ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ ربط به قوله ﴿يُغْنِيهِ اللَّيْلُ النَّهَارَ﴾^(٥) تنبيهاً على أن سبب حصول الليل و النهار هو حركة الفلك الأقصى لا حركة الشمس و القمر.

و الثانية: أنه تعالى لما شرح كيفية تخليق السماوات قال ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَنَواتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَنَاءٍ أَمْرَهَا﴾^(٦) فدلّت تلك الآية على أنه سبحانه خص كل ذلك بلطيفة نورانية ربانية من عالم الأمر ثم قال بعده ﴿وَاللَّهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ و هو إشارة إلى أن كل ما سوى الله إما من عالم الخلق أو من عالم الأمر أما الذي هو من عالم الخلق فالخلق عبارة عن التقدير و كل ما كان جسماً أو جسمانياً كان مخصوصاً بمقدار معين فكان من عالم الخلق و كل ما كان بريئاً عن الحجمية و المقدار كان من عالم الأرواح و من عالم الأمر فدل على أنه سبحانه خص كل واحد من أجرام الأفلاك و الكواكب التي هي من عالم الخلق بملك. من الملائكة و هم من عالم الأمر و الأحاديث الصحيحة مطابقة لذلك و هي ما روي من^(٧) الأخبار أن لله ملائكة يحركون الشمس و القمر عند الطلوع و الغروب^(٨) و كذا القول في سائر الكواكب و أيضاً قوله سبحانه ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾^(٩) إشارة إلى أن الملائكة الذين يقومون بحفظ العرش ثمانية ثم إذا دقت النظر قلت^(١٠) إن عالم الخلق في تسخير الله و عالم الأمر في تدبير الله و استيلاء الروحانيات على الجسمانيات بتقدير الله فلهذا المعنى قال ﴿وَاللَّهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾^(١١).

ثم كون الشمس و القمر و النجوم مسخرات بأمره يحتمل وجوهاً:
أحدها: أننا قد دللنا أن الأجسام متماثلة و متى كان كذلك كان اختصاص جسم الشمس بذلك النور المخصوص و الضوء الباهر و التسخين الشديد^(١٢) و التدبيرات العجيبة في العالم العلوي و السفلي لا بد و أن يكون لأجل أن الفاعل الحكيم و المقدر العليم خص ذلك الجسم بهذه الصفات^(١٣) فجسم كل واحد من الكواكب و النيرات كالسخر في قبول تلك القوى و الخواص عن قدرة المدبر الحكيم.

(١) أنوار التنزيل ج ١ ص ٤٤١ - ٤٤٢.

(٢) التفسير الكبير ج ١٤ ص ١١٨.

(٣) سورة الأعراف، آية: ٥٤.

(٤) في المصدر: «بليته».

(٥) سورة الأعراف، آية: ٥٤.

(٦) في المصدر: «في».

(٧) سورة الحاقة، آية: ١٧.

(٨) سورة الأعراف، آية: ٥٤.

(٩) في المصدر: «والتسخير الشديد و التأثير القاهر» بدل «والتسخين الشديد».

(١٠) في المصدر إضافة: «وهذه الأحوال».

(١١) سورة الأعراف، آية: ٥٤.

(١٢) في المصدر: «بليته».

(١٣) سورة فصلت، آية: ١٢.

(١٤) في المصدر: «و عند الغروب».

(١٥) في المصدر: «علمت».

وثانيها: أن يقال إن لكل واحد من أجرام الشمس والقمر والكواكب سيرا خاصا بطينا من المشرق إلى المغرب وسيرا آخر سريعا بسبب حركة الفلك الأعظم فالق سبحانه خص جرم الفلك الأعظم بقوة زائدة على^(١١) أجرام سائر الأفلاك باعتبارها صارت مستوية عليها قادرة على تحريكها على سبيل القهر من المشرق إلى المغرب فأجرام الأفلاك والكواكب صارت كالمسخرة لهذا القهر والقسر^(١٢).

أقول: ثم ذكر وجوها أخرى لا طائل تحتها وفيما نقل عنه أيضا مخالفات لأصول المسلمين ومناقشات لا يخفى على المتدبرين.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً﴾ قال البيضاوي أي ذات ضياء وهو مصدر كقيام أو جمع ضوء كسياط و سوط والياء فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير ضياء بهمزين في كل القرآن على القلب بتقديم اللام على العين ﴿وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ أي ذا نور أو سمي نورا للمبالغة وهو أعم من الضوء وقيل ما بالذات ضوء وما بالغرض نور وقد نبه سبحانه بذلك على أنه خلق الشمس نيرة بذاتها^(١٣) والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس^(١٤) ﴿وَوَدَّعَزَّ مَنَازِلَ﴾ الضمير لكل واحد أي قدر مسير كل واحد منها منازل أو قدره ذا منازل أو للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعانبة منازلها وإناطة أحكام الشرع به ولذلك علله بقوله ﴿لِتَعْلَمُوا عَظَمَةَ السَّيِّئِينَ وَالْحَسَنَاتِ﴾^(١٥) أي حساب الأوقات من الأشهر والأيام في معاملتكم وتصرفاتكم ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ إلا متلبسا بالحق مراعيًا فيه مقتضى الحكمة البالغة ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فإنهم المتفنعون بالتأمل^(١٦) فيها انتهى.

﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي مجيء كل منهما خلف الآخر أو اختلافهما بالزيادة والنقصان المستلزم لحصول الفصول الأربعة ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي من الكواكب والملائكة والموايد وأنواع الأرزاق والنعم ﴿وَالْآيَاتِ﴾ أي دلالات على وجود الصانع تعالى وعلمه وقدرته وحكمته ولطفه ورحمته ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ الشرك والمعاصي فإنهم المتفنعون بها ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ أي لسكونكم وراحتكم وراحة قواكم من التعب. والكلال ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ أي مضيئا تبصرون فيه ونسبة الإِبصار إليه على المجاز ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ أي للحجج سماع تدبر وتعقل ﴿وَوَسَّخَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ﴾^(١٧).

قال الرازي هذا الكلام اشتمل على نوعين من الدلالة الأولى الاستدلال على وجود الصانع القادر بحركات هذه الأجرام وذلك لأن الأجسام متماثلة فاخصاصها بالحركة الدائمة دون السكون لا بد له من مخصص وأيضا أن كل واحدة من تلك الحركات مختصة بكيفية معينة من البطء والسرعة فلا بد أيضا من مخصص وأيضا تقدير تلك الحركات بمقادير مخصوصة على وجه تحصل عوداتها ودوراتها متساوية بحسب المدة حالة عجيبة فلا بد فيه من مقدر وبعض تلك الحركات مشرقية وبعضها مغربية وبعضها مائلة إلى الشمال وبعضها إلى الجنوب وهذا أيضا لا يتم إلا بتدبير كامل وحكمة بالغة والنوع الثاني قوله ﴿كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وفيه قولان: الأول قال ابن عباس للشمس مائة وثمانون منزلا كل يوم لها منزل وذلك^(١٨) في ستة أشهر ثم إنها^(١٩) تعود مرة أخرى إلى واحد واحد منها في ستة أشهر مرة أخرى وكذلك القمر له ثمانية وعشرون منزلا فالمراد بقوله ﴿كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هذا. والثاني كونهما متحركين إلى يوم القيامة وعنده تنقطع تلك الحركات.^(٢٠)

وقال في قوله تعالى ﴿ذَاتِ بَيْنٍ﴾^(٢١) معنى الدءوب في اللغة مرور الشيء في العمل على عادة مطردة قال المفسرون معنا يدأبان في سيرهما وإنارتها وتأثيرها في إزالة الظلمة وفي إصلاح النبات والحيوان فإن الشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل ولو لا الشمس لما حصلت الفصول الأربعة ولولاها لاختلفت مصالح العالم بالكلية^(٢٢). وقال في قوله ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتِينَ﴾^(٢٣) فيه قولان الأول أن يكون المراد من الآيتين نفس الليل والنهار

(١) في المصدر: «بقوة سارية في».

(٢) في المصدر: «في ذاتها».

(٣) سورة يونس، آية: ٥.

(٤) سورة الرعد، آية: ٢.

(٥) كلمة: «مرة» ليست في المصدر.

(٦) سورة إبراهيم، آية: ٣٣.

(٧) سورة الإسراء، آية: ١٢.

(٨) التفسير الكبير ج ٤ ص ١١٨ - ١٢٠ باختصار.

(٩) في المصدر إضافة: «والاكتساب منها».

(١٠) أنوار التنزيل ج ١ ص ٤٢٨.

(١١) في المصدر إضافة: «بتم».

(١٢) التفسير الكبير ج ١٨ ص ٢٣٤ و ٢٣٥ ملخصاً.

(١٣) التفسير الكبير ج ١٩ ص ١٢٨.

والمعنى أنه تعالى جعلهما دليلين للخلق على مصالح الدين والدنيا أما في الدين فلأن كل واحد منهما مضاد للآخر معانده لفقونهما^(١) متعاقبين على الدوام من أقوى الدلائل على أنهما غير موجودين لذاتيهما بل لا بد لهما من فاعل يديرهما و يقدرهما بالمقادير المخصوصة و أما في الدنيا فلأن مصالح الدنيا لا تتم إلا بالليل والنهار فلو لا الليل لما حصل السكن والراحة و لو لا النهار لما حصل الكسب والتصرف في وجوه المعاش ثم قال تعالى ﴿فَقَحَّوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾^(٢) فعلى هذا القول تكون الإضافة للتبيين والتقدير فحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة الثاني أن يكون المراد وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فَمَحَّوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ و هي القمر في تفسير محو القمر قولان الأول المراد منه ما يظهر في القمر من الزيادة والنقصان في النور فيبدو في أول الأمر في صورة الهلال ثم لا يزال يتزايد نوره حتى يصير بدرا كاملا ثم يأخذ في الانتقاص قليلا قليلا و ذلك هو المحو إلى أن يعود إلى المحاق والثاني أن المراد من محو القمر الكلف الذي يظهر في وجهه يروى أن الشمس والقمر كانا سواء في النور والضوء فأرسل الله جبرئيل فأمر جناحه على وجه القمر فطمس عنه الضوء ومعنى المحو في اللغة إذهاب الأثر وأقول حمل المحو على الوجه الأول أولى لقوله ﴿لَتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ الآية لأن المحو إنما يؤثر في ابتغاء فضل الله إذا حملناه على زيادة نور القمر ونقصانه لأن بسبب حصول هذه الحالة تختلف أحوال نور القمر وأهل التجارب يبنوا أن اختلاف أحوال القمر في مقادير النور له أثر عظيم في أحوال هذا العالم ومصالحها^(٣) مثل أحوال البحار في المد والجزر و مثل أحوال البحار^(٤) على ما يذكره الأطباء في كتبهم و أيضا بسبب زيادة نور القمر ونقصانه تحصل الشهور و بسبب معاودة الشهور تحصل السنون العربية المبتنية^(٥) على رؤية الأهلة كما قال ﴿وَلِتَلْبَثُوا عَدَّةَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ﴾ وأقول أيضا لو حملنا المحو على الكلف الحاصل في وجه القمر فهو أيضا برهان قاطع^(٦) على صحة قول المسلمين في المبدأ والمعاد أما دلالة على صحة قولهم في المبدأ فلأن جرم القمر جرم بسيط عند الفلاسفة فوجب أن يكون متشابه الصفات فحصول الأحوال المختلفة الحاصلة بسبب المحو يدل على أنه ليس بسبب الطبيعة بل لأجل أن الفاعل المختار خصص بعض أجزائه بالنور القوي وبعض أجزائه بالنور الضعيف و ذلك يدل على أن مدبر العالم فاعل مختار لا موجب بالذات وآخر^(٧) ما ذكره الفلاسفة في الاعتذار عنه أنه ارتكز في وجه القمر أجسام قليلة الضوء مثل ارتكاز الكواكب في أجرام الأفلاك فلما كانت تلك الأجرام أقل ضوءا من جرم القمر لا جرم شوهدت تلك الأجرام في وجه القمر كالكلف في وجه الإنسان وهذا لا يفيد مقصود الخصم لأن جرم القمر لما كان متشابه الأجزاء فلم ارتكزت تلك الأجرام الظلمانية في بعض أجزاء القمر دون سائر الأجزاء وبمثل هذا الطريق يتمسك في أحوال الكواكب و ذلك لأن الفلك جرم بسيط متشابه الأجزاء فلم يكن حصول جرم الكواكب في بعض جوانبه أولى من حصوله في سائر الجوانب و ذلك يدل على أن اختصاص ذلك الكوكب بذلك الموضع المعين من الفلك لأجل تخصيص الفاعل المختار الحكيم^(٨)

و أما قوله ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾^(٩) ففيه وجهان: الأول أن معنى كونها مبصرة أي مضيئة و ذلك لأن الإضاءة سبب لحصول الإبصار فأطلق اسم الإبصار على الإضاءة إطلاقا لاسم السبب على السبب والثاني قال أبو عبيدة يقال قد أبصر النهار إذا صار الناس يبصرون فيه كقوله رجل مخبث إذا كان أصحابه خيلاء و رجل مضغف إذا كان دوابه^(١٠) ضغافا فكذا قوله ﴿وَالنَّهَارُ مُبْصِرٌ﴾^(١١) أي أهله بصره ﴿لَتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي لتبصروا كيف تتصرفون في أعمالكم ﴿وَلِتَلْبَثُوا عَدَّةَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ﴾ اعلم أن الحساب يبني على أربع مراتب الساعات والأيام والشهور والسنون فالعدد للسنين والحساب لما دون السنين و هي الشهور والأيام والساعات و بعد هذه المراتب الأربعة لا يحصل إلا التكرار كما أنهم رتبوا العدد على أربع مراتب الآحاد والعشرات والمئات والألوف وليس بعدها إلا التكرار^(١٢).

- (١) في المصدر: «مقائر له مع كونهما».
(٢) في المصدر: «مضاحه».
(٣) في المصدر: «المنية».
(٤) في المصدر: «عظيم قاهر» بدل «قاطع».
(٥) في المصدر: «وأحسن».
(٦) في المصدر: «ذرايه».
(٧) في المصدر: «وأحسن».
(٨) في المصدر: «ذرايه».
(٩) سورة الإسراء، آية: ١٢.
(١٠) سورة المؤمن، آية: ٦١.
(١١) سورة الإسراء، آية: ١٢.
(١٢) التفسير الكبير ج ٢٠ ص ١٦٤ - ١٦٦ باختصار.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾^(١) أي كل شيء بكم إليه حاجة في مصالح دينكم ودنياكم فصلنا وشرحنا^(٢) وقال في قوله سبحانه ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾^(٣) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم في عين حامية بالألف من غير همزة أي حارة. وعن أبي ذر قال كنت رديف رسول الله ﷺ على جمل فرأى الشمس حين غابت فقال أتدري يا أبا ذر أين تغرب هذه قلت الله ورسوله أعلم قال فإنها تغرب في عين حامية. وهي قراءة ابن مسعود وطلحة وأبو عمرو والباقر حَمِئَةٍ وهي قراءة ابن عباس واتفق أن ابن عباس كان عند معاوية فقرأ معاوية حامية^(٤) فقال ابن عباس حَمِئَةٍ فقال معاوية لعبد الله بن عمر كيف تقرأ فقال كما يقرأ أمير المؤمنين ثم وجه إلى كعب الأخير وسأله كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التوراة والحمة^(٥) ما فيه حمأة سوداء واعلم أنه لا تنافي بين الحمئة والحامية فجائز أن يكون الماء جامعاً للوصفين^(٦) ثم اعلم أنه ثبت بالدليل أن الأرض كره وأن السماء محيط بها ولا شك أن الشمس في **الملك** وأيضا قال وَجَدَهَا قَوْمًا ومعلوم أن جلوس القوم في قرن الشمس^(٧) غير موجود وأيضا فالشمس أكبر من الأرض مرات كثيرة فكيف يعقل دخولها في عين من عيون الأرض. إذا ثبت هذا فنقول في تأويله وجوه:

الأول: أن ذا القرنين لما بلغ موضعا ما في المغرب لم يبق بعده شيء من العمارات وجد الشمس كأنها تغرب في^(٨) وهذه مظلمة وإن لم يكن^(٩) كذلك في الحقيقة كما أن راكب البحر يرى الشمس كأنها تغرب^(١٠) في البحر إذا لم ير الشط وهي في الحقيقة تغيب وراء البحر ذكره الجبائي.

الثاني: أن بالجانب الغربي من الأرض مساكن يحيط البحر بها فالناظر إلى الشمس يتخيل كأنها تغيب في تلك البحار لا شك أن البحار الغربية قوية السخونة فهي حامية وهي أيضا حمئة لكثرة ما فيها من الباه وهي الحمأة السوداء فقولها ﴿تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ إشارة إلى أن الجانب الغربي من الأرض قد أحاط البحر به وهو موضع شديد السخونة.

الثالث: قال أهل الأخبار إن الشمس تغرب في عين حمئة كثيرة الحاء والحمأة وهذا في غاية البعد وذلك أنا إذا رصدنا كسوفاً قمرياً ورأينا أهل المغرب قالوا حصل هذا الكسوف أول الليل رأينا أهل المشرق قالوا حصل في أول النهار فعلمنا أن ما هو أول الليل عند أهل المغرب فهو أول النهار عند أهل المشرق بل ذلك الوقت الذي هو أول الليل عندنا فهو وقت العصر في بلد ووقت الظهر في بلد آخر ووقت الضحوة في بلد ثالث ووقت طلوع الشمس في بلد رابع ونصف الليل في بلد خامس وإذا كانت هذه الأحوال معلومة بعد الاستقراء والاختبار^(١١) وعلمنا أن الشمس طالعة ظاهرة في كل هذه الأوقات كان الذي يقال إنها تغيب في الطين والحمأة كلاماً على خلاف اليقين وكلام الله مبرأ عن البهمة^(١٢) فلم يبق إلا أن يضاف^(١٣) إلى التأويل الذي ذكرنا والضمير في قوله عِنْدَهَا عائد إلى الشمس لأن الإنسان لما تخيل أن الشمس تغرب هناك فكان سكان ذلك الموضع كأنهم سكنوا بالقرب من الشمس أو عائد إلى العين^(١٤). وقال في قوله ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ﴾^(١٥) أي وجد الشمس تطلع «عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا».

فيه قولان الأول أنه شاطئ بحر لا جبل ولا شيء يمنع من وقوع شعاع الشمس عليهم فلماذا السبب إذا طلعت الشمس دخلوا في أسراب واغلة في الأرض أو غاصوا في الماء فيكون عند طلوع الشمس يتعذر عليهم التصرف في المعاش وعند غروبها يشتغلون بتحصيل مهمات المعاش وحالهم بالضد من أحوال سائر الخلق. والقول الثاني: أن معناه لا ثياب لهم ويكونون كسائر الحيوانات عراة أبداً وفي كتب الهيئة أن حال أكثر الزنج كذلك وحال كل من سكن البلاد القريبة من خط الإستواء كذلك وذكر في كتب التفسير أن بعضهم قال سافرت حتى

(١) سورة الإسراء: آية: ١٢.
(٢) التفسير الكبير ج ٢ ص ١٦٦.
(٣) سورة الكهف: آية: ٨٦.
(٤) في المصدر إضافة: «بألف». (٥) في المصدر: «البحر الثاني». (٦) في المصدر إضافة: «عين». (٧) في المصدر: «تكن». (٨) في المصدر: «الاعتبار». (٩) في المصدر: «إلا أن يصار». (١٠) في المصدر: «إلا أن يصار». (١١) سورة الكهف: آية: ٩٠.
(١٢) في المصدر: «تكن». (١٣) في المصدر: «إلا أن يصار». (١٤) في المصدر: «عن هذه التهمة». (١٥) التفسير الكبير ج ٢١ ص ١٦٦ و ١٦٧.

جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء القوم فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم و ليلة قبلتكم وإذا أحدهم يفرش إحدى أذنيه و يلبس الأخرى فلما قرب طلوع الشمس سمعت صوتا كهينة الصلصلة فغشي علي ثم أقفت فلما طلعت الشمس إذا هي فوق الماء كهينة الزيت فأدخلوا في سربالهم^(١١) فلما ارتفع النهار جعلوا يصطادون السمك و يطرحونه في الشمس فينضج^(١٢)

﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾ أي كل منهما أو مع النجوم بقرينة الجمع في فلك واحد أو كل واحد منهما أو منها في فلك على حدة ﴿يَسْبَحُونَ﴾ أي يجرون قال الرازي لا يجوز أن يقول كل في فلك يسبحون إلا و يدخل في الكلام مع الشمس و القمر النجوم ليثبت معنى الجمع و الكل^(١٣).

ثم قال الفلك في كلام العرب كل شيء دائر وجمعه أفلاك و اختلف العقلاء فيه فقال بعضهم الفلك ليس بجسم وإنما هو مدار هذه النجوم و هو قول الضحاک و قال الأكثرون بل هي أجسام تدور النجوم عليها وهذا أقرب إلى ظاهر القرآن ثم اختلفوا في كيفيته فقال بعضهم الفلك موج مكفوف^(١٤) تجري الشمس والقمر والنجوم فيه و قال الكلبي ماء مكفوف أي مجموع تجري فيه الكواكب و احتج بأن السباحة لا تكون إلا في الماء قلنا لا نسلم فإنه يقال للفرس الذي يمد يديه في الجري سابع و قال جمهور الفلاسفة و أصحاب الهيئة إنها أجرام صلبة لا خفيفة و لا ثقيلة غير قابلة للخرق و الالتئام و النمو و الذبول. و الحق أنه لا سبيل إلى معرفة السماوات إلا بالخبر و اختلف الناس في حركات الكواكب و الوجوه الممكنة فيها ثلاثة فإنه إما أن يكون الفلك ساكنا و الكواكب تتحرك فيه كحركة السمكة في الماء الراكد و إما أن يكون الفلك متحركا و الكواكب تتحرك فيه أيضا إما مخالفا لجهة حركته أو موافقا لجهته إما بحركة مساوية لحركة الفلك في السرعة و البطء أو مخالفة و إما أن يكون الفلك متحركا و الكواكب ساكنة أما الرأي الأول فقالت الفلاسفة إنه باطل لأنه يوجب خرق الفلك^(١٥) و هو محال عندهم و أما الرأي الثاني فحركة الكواكب إن فرضت مخالفة لحركة الفلك فذاك أيضا يوجب الخرق و إن كانت حركتها إلى جهة حركة الفلك فإن كانت مخالفة لها في السرعة و البطء لزم الانخراق و إن استويا في الجهة و السرعة و البطء فالخرق أيضا لازم لأن الكواكب تتحرك بسبب حركته فبقى حركته الذاتية زائدة فيلزم الخرق فلم يبق إلا القسم الثالث و هو أن يكون الكواكب مغروزا في الفلك واقفا فيه و الفلك يتحرك فيتحرك الكواكب بسبب حركة الفلك و اعلم أن مدار هذا الكلام على امتناع الخرق على الأفلاك و هو باطل بل الحق أن الأقسام الثلاثة ممكنة و الله تعالى قادر على كل الممكنات و الذي يدل عليه لفظ القرآن أن تكون الأفلاك واقفة و الكواكب تكون جارية فيها كما تسبح السمكة في الماء و احتج ابن سينا على أن الكواكب أحياء ناطقة بقوله ﴿يَسْبَحُونَ﴾^(١٦) فإن الجمع بالواو و النون لا يكون إلا للعقلاء و بقوله تعالى ﴿وَ الشُّمُسُ وَالْقُرَرُ رَايَهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾^(١٧) و الجواب إنما جعل واو الضمير للعقلاء للوصف بفعلهم و هو السباحة. فإن قلت: لكل واحد من القمرين فلك على حدة فكيف قيل جميعهم يسبحون في فلك.

قلت: هذا كقوله كساهم الأمير حلة و قلدهم سيفاً أي كل واحد منهم^(١٨).

﴿وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾^(١٩) قال البيضاوي أي و يختص به تعاقبهما لا يقدر عليه^(٢٠) غيره فيكون ردا لنسبته إلى الشمس حقيقة أو مجازاً^(٢١) أو لأمره و قضائه تعاقبهما أو انتقاص أحدهما و ازدياد الآخر^(٢٢) وفي قوله سبحانه ﴿يَسْبَحُ لِلَّهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾ بالمعاقبة بينهما أو ينقص أحدهما و زيادة الآخر أو بتغير أحوالهما بالحر و البرد و الظلمة و النور أو ما يعم ذلك^(٢٣) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ فيما تقدم ذكره ﴿لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ لدلالته^(٢٤) على وجود الصانع القديم و كمال قدرته و إحاطة علمه و نفاذ مشيئته و تنزهه عن الحاجة و ما يفتني إليها لمن يرجع إلى بصيرة^(٢٥).

(١) في المصدر: «فأدخلونا سرباً لهم».

(٢) في المصدر: «و معنى الكل».

(٣) في المصدر: «الأفلاك».

(٤) سورة يوسف، آية: ٤.

(٥) التفسير الكبير ج ٢٢ ص ١٦٧ - ١٦٨ بتصرف.

(٦) في المصدر: «علي».

(٧) سورة المؤمنون، آية: ٨٠.

(٨) عبارة: «أو مجازاً» ليست في المصدر.

(٩) في المصدر: «بما يعم».

(١٠) أنوار التنزيل ج ٢ ص ١٢٧ و ١٢٨.

(١١) التفسير الكبير ج ٢١ ص ١٦٨ نقلاً بالمعنى.

(١٢) في المصدر: «ماء مجموع تجري».

(١٣) سورة يس، آية: ٤٠.

(١٤) التفسير الكبير ج ٢٢ ص ١٦٧ - ١٦٨ بتصرف.

(١٥) في المصدر: «علي».

(١٦) أنوار التنزيل ج ٢ ص ١١٠.

(١٧) في المصدر: «لدلالة - بفتح اللام -».

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَر إِلَى رَبِّكَ﴾^(١) أقول للعلماء في تأويل هذه الآية مسالك:

الأول ألم تنظر إلى صنع ربك كيف بسطه أو ألم تنظر إلى الظل كيف بسطه ربك فغير النظم إشعاراً بأن المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه وتصرفه على الوجه النافع بأسباب ممكنة على أن ذلك فعل الصانع الحكيم كالشاهد المرئي فكيف بالمحسوس منه أو ألم ينته علمك إلى أن ربك كيف مد الظل وهو فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو أطيب الأحوال فإن الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الهواء ويهر البصر ولذلك وصف به الجنة فقال ﴿وَوَظِلٌّ مَدْدُودٌ﴾^(٢) ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ أي ثابتاً من السكنى أو غير متقلص من السكون بأن يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ ذَلِيلًا﴾^(٣) فإنه لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوءها على بعض الأجرام إذ لا يوجد ولا يتفاوت إلا بسبب حركتها ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا﴾^(٤) أي أزلناه بإيقاع الشعاع موقعه ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾ أي قليلاً قليلاً حسب ما ترتفع الشمس لتنظم بذلك مصالح الكون و يحصل به ما لا يحصى من منافع الخلق و ﴿ثُمَّ﴾ في الموضعين لتفاضل الأمور أو لتفاضل مبادئ أوقات ظهورها.

الثاني: أن المعنى مد الظل لما بنى السماء بلاير ودحا الأرض تحتها وألقت عليها ظلها ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ ثَابِتًا﴾ على تلك الحال ثم خلق الشمس عليه ذليلاً أي مسلطاً عليهم مستتباً إياه كما يستتبع الدليل المدلول أو دليل الطريق من يهديه يتفاوت بحركتها ويتحول بتحولها ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ شيئاً فشيئاً إلى أن ينتهي نقصانه أو قبضاً سهلاً عند قيام الساعة يقبض أسبابه من الأجرام المظلة والمظل عليها وهذان الوجهان ذكرهما البيضاوي وغيره من المفسرين^(٥).

الثالث: أن يكون المراد بالظل الروح كما يطلق عالم الظلال على عالم الأرواح لأنها تابعة للبدن كالظل أو لكونها أجساماً لطيفة أو لتجردها إن قيل به ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ بعدم تعلقها بالأجساد والمراد بالشمس شمس الوجود وهو الرب تعالى لأنه دليل الممكنات إلى الوجود وسائر الكمالات وقبضه عبارة عن قبض الروح شيئاً فشيئاً إلى أن يموت الشخص وفي قوله ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ﴾ نوع التفاوت.

الرابع: أن يراد بالظل الأنبياء والأوصياء عليهم السلام فإنهم ظلالة سبحانه لكونهم تابعين لإرادته مستخلفين بأخلاقه و كونهم ظلل رحمته على عباده ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ أي لم يعيهم إلى الخلق ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ﴾ أي شمس الوجود ﴿عَلَيْهِ ذَلِيلًا﴾ أي لهم ذليلاً هادياً لهم إلى كمالهم وقبضه جذبهم إلى عالم القدس.

الخامس: أن يكون المراد بالظلال الأعيان الثابتة والحقائق الإمكانية على مذاق الصوفية ومدها عبارة عن الفيض الأقدس بزمعهم أي جعل الماهيات. ماهيات والشمس عبارة عن الفيض المقدس وهو إفاضة الوجود والقبض السيسر بزمعهم إشارة إلى تجدد الأمثال وإعدام كل شيء وإيجاده في كل آن وبه أولوا قوله سبحانه ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾^(٦) أيضاً وربما يحمل الظل على عالم المثال كما هو ذوق المتألهين من الحكماء وهذه احتمالات في هذه الآية التي هي من المتشابهات وما يعلم تأويلها إلا الله والراغبون في العلم و فسر علي بن إبراهيم الظل بما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.^(٧)

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾^(٨) قال الطبرسي ره أي غطاء ساتراً للأشياء بالظلام كاللباس الذي يشتمل على لابس فالله سبحانه ألبسنا الليل وغشانا به لنسكن فيه^(٩) ونستريح عن كد الأعمال ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ أي راحة لأبدانكم وقطعا لأعمالكم قال الزجاج السبات أن يتقطع عن الحركة والروح في بدنه ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ لاتنتشر الروح باليقظة فيه مأخوذ من نشور البعث وقيل لأن الناس ينتشرون فيه لطلب حوائجهم ومعايشهم فالنشور بمعنى النفرق لا ابتغاء الرزق عن ابن عباس.^(١٠)

﴿فَنَبِّأُكَ﴾ تفاعل من البركة معناه عظمت بركاته وكثرت عن ابن عباس والبركة الكثرة من الخير وقيل معناه تقدس وجل بما لم يزل عليه من الصفات ولا يزال كذلك فلا يشاركه فيها غيره وأصله من بروك الطير فكانه قال

- (١) سورة الفرقان. آية: ٤٥.
(٢) سورة الفرقان. آية: ٤٥.
(٣) سورة الفرقان. آية: ٤٦.
(٤) سورة ق. آية: ١٥.
(٥) أنوار التنزيل ج ٢ ص ١٤٣.
(٦) تفسير علي بن إبراهيم القمي ج ٢ ص ١١٥.
(٧) كلمة: «فيه» ليست في المصدر.
(٨) سورة الفرقان. آية: ٤٧.
(٩) مجمع البيان ج ٧ ص ١٧٣.
(١٠) سورة الفرقان. آية: ٣٠.

ثبت و دام فيما لم يزل و لا يزال عن جماعة من المفسرين و قيل معناه قام بكل بركة و جاء بكل بركة^(١) «الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا» يريد منازل النجوم السبعة السيارة و هي^(٢) الحمل و الثور و الجوزاء و السرطان و الأسد و السنبلة و الميزان و القرب و القوس و الجدي و الدلو و الحوت و قيل هي النجوم الكبار و سميت بروجاً لظهورها و «وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا» أي و خلق في السماء شمساً و من قرأ «سُورَةَ» أراد الشمس و الكواكب معها «وَقَرَأَ مُبِيرًا» أي مضياً بالليل إذا لم تكن شمس «وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً» أي يخلف كل واحد منهما صاحبه فيما يحتاج أن يعمل فيه فمن فاته عمل الليل استدركه بالنهار و من فاته عمل النهار استدركه بالليل و هو قوله «لَيْسَ أَزَادَ أَنْ يَذْكُرَ»^(٣) روي ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام قال يقضى صلاة الليل بالنهار^(٤) و قيل معناه أنه جعل كل واحد منهما مخالفاً لصاحبه فجعل أحدهما أسود و الآخر أبيض «لَيْسَ أَزَادَ أَنْ يَذْكُرَ» أي يفكر و يستدل بذلك على أن لهما مدبراً و مصرفاً لا يشبههما و لا يشبهانه فيوجه العبادة إليه «وَأَزَادَ شُكُورًا» أي أراد شكر نعمة ربه عليه فيهما و على القول الأول فمعناه أراد النافلة بعد أداء الفريضة^(٥)

«وَأَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ»^(٦) قال البيضاوي بالنجوم و علامات الأرض و الظلمات ظلمات الليالي و الإضافة^(٧) إلى البر و البحر للملاسة أو مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء و عمياء للتي لا منار بها^(٨) «لَيْسَ شُكُورًا فِيهِ»^(٩) بالنوم و القرار «وَالنَّهَارَ مُبِيرًا» أصله ليبصروا فيه فيبلغ فيه يجعل الإبصار حالا من أحواله المجموع عليها بحيث لا ينفك عنها^(١٠)

«سَرْمَدًا» أي دائماً من السرد و هو المتابعة و الميم مزيدة كميم دلامص «إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» بإسكان الشمس تحت الأرض أو تحريكها حول الأفق الغائر «مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ»^(١١) كان حقه هل إله فذكر بمن على زعمهم أن غيره آلهة «أَفَلَا تَسْمَعُونَ» سماع تدبر و استبصار «إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا»^(١٢) بإسكانها في وسط السماء أو تحريكها على مدار فوق الأفق «بَلَّيْلٌ تَشْكُونَ فِيهِ» استراحة عن متاعب الأشغال و لعله لم يصف الضياء بما يقابله لأن الضوء نعمة في ذاته مقصود بنفسه و لا كذلك الليل و لأن منافع الضوء أكثر مما يقابله و لذلك قرن به «أَفَلَا تَسْمَعُونَ» و بالليل «أَفَلَا تَبْصُرُونَ» لأن استفادة العقل من السمع أكثر من استفادته من البصر «لَيْسَ شُكُورًا فِيهِ» أي في الليل «وَلَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ» أي بالنهار بأنواع المكاسب «وَوَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» أي ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك فتشكروه عليها^(١٣)

«وَلَيَنْ سَأَلْتَهُمُ» المستول عنهم أهل مكة «لَيَقُولَنَّ اللَّهُ» لما تقرر في العقول من وجوب انتهاء الممكنات إلى واحد واجب الوجود^(١٤)

«وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ»^(١٥) منامكم في الزمانين لاستراحة القوى النفسانية و قوة^(١٦) القوى الطبيعية وطلب معاشكم فيها أو منامكم بالليل وابتغاكم بالنهار فلف وضم بين الزمانين والفعلين بعاطفين إشعاراً بأن كلا من الزمانين وإن اختلف بأحدهما فهو صالح للآخر عند الحاجة ويؤيده سائر الآيات الواردة فيه^(١٧)

«كُلٌّ يَجْرِي» أي كل من الثيرين يجري في فلكه «إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى» أي إلى منتهى معلوم الشمس إلى آخر السنة والقمر إلى آخر الشهور و قيل إلى يوم القيامة^(١٨)

(٢) عبارة: «وهي» ليست في المصدر.

(٤) في المجمع: «يقضى صلاة النهار بالليل و صلاة الليل بالنهار».

(٦) سورة النمل، آية: ٦٣.

(٨) أنوار التنزيل ج ٢ ص ١٨١.

(١٠) أنوار التنزيل ج ٢ ص ١٨٤.

(١٢) سورة القصص، آية: ٧٢.

(١٤) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٢١٣.

(١٦) في المصدر: «وتقوى».

(١٨) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٢١٣.

(١) مجمع البيان ج ٧ ص ١٦٠.

(٣) سورة الفرقان، آية: ٦٢.

(٥) مجمع البيان ج ٧ ص ١٧٨.

(٧) في المصدر: «وإضافتها».

(٩) سورة النمل، آية: ٨٦.

(١١) سورة القصص، آية: ٧١.

(١٣) أنوار التنزيل ج ٢ ص ١٩٨ - ١٩٩.

(١٥) سورة الروم، آية: ٢٣.

(١٧) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٢١٨ - ٢١٩.

وقال في قوله ﴿لَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾^(١) مدة دوره أو منتهاه أو يوم القيامة^(٢).

﴿نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ أي نزيله ونكشفه عن مكانه مستعار من سلخ الجلد ﴿فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾^(٣) أي داخلون في الظلام^(٤).

أقول: وفي الكافي عن الباقر عليه السلام يعني قبض محمد ﷺ وظهرت الظلمة فلم يبصروا فضل أهل بيته^(٥) و هو من بطون الآية.

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾^(٦) أي لحد معين ينتهي إليه دورها فشبّه بمستقر المسافرين إذا قطع مسيره أو لكبد السماء فإن حركتها فيه توجد إبطاء بل ورد في الرواية أن لها هناك ركوداً أو لاستقرار لها على نهج مخصوص أو لمنتهاى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فإن لها في دورها ثلاثمائة وستين مشرقاً ومغرباً يطلع كل يوم من مطلع ويغرب في مغرب ثم لا تعود إليهما إلى العام القابل أو لمتقطع جريها عند خراب العالم قال الطبرسي روي عن السجاد والباقر والصادق عليه السلام وابن عباس وابن مسعود وعكرمة وعطاء ﴿لا مستقر لها﴾ ينصب الرأى^(٧) ﴿وذلك﴾ الجري على هذا التقدير المتضمن للحكم التي تكل الفطن عن إحصائها ﴿تَقْدِيرِ الْعَزِيزِ﴾ الغالب بقدرته على كل مقدور ﴿الْعَلِيمِ﴾ المحيط علمه بكل معلوم.

﴿وَالْقَمَرُ قَدَرُنَاهُ مَنَازِلَ﴾^(٨) أي قدرنا مسيره منازل أو سيره في منازل و هي ثمانية وعشرون الشرطين و البطين والثريا والديبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعواء والسمالك والغفر والزباني والإكليل والقلب والشولة والتعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الأخبية وفرع الدلو المقدم وفرع الدلو المؤخر والرشاء وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة في واحدة منها فإذا كان في آخر منازلها هو الذي يكون فيه قبل الاجتماع دق واستقوس حتى غاد كالأجودون أي كالشمراخ المعوج القديم العتيق. و عن الرضا عليه السلام أنه يصير كذلك ستة أشهر. و سيأتي مزيد تحقيق لذلك في باب السنين والشهور إن شاء الله.

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا﴾^(٩) أي يصح ويتسهل لها ﴿أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ في سرعة سيره فإن ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان أو في آثاره ومنافعه أو مكانه بالنزول إلى محله وسلطانه فيطمس نوره ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ بأن يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آياتهما وهما نيران وبالسبق سبق القمر إلى سلطان الشمس فيكون عكسا للأول. وقد مر عن الرضا عليه السلام برواية العياشي أن المراد به أن النهار خلق قبل الليل. وسيأتي ما يشعر بذلك أيضاً.

﴿وَكُلٌّ﴾ أي كلهم والتنوين عوض المضاف إليه والضمير للشمس والأقمار فإن اختلاف الأحوال يوجب تعدداً ما في الذات أو إلى الكواكب فإن ذكرهما مشعر بها وقد مر معنى السباحة ﴿وَرَبَّ الْمَشَارِقِ﴾ قال البيضاوي أي مشارق الكواكب أو مشارق الشمس في السنة و هي ثلاثمائة وستون تشرق كل يوم في واحد وبحسبها تختلف المغارب ولذلك اكتفي بذكرها مع أن الشروق أدل على القدرة وأبلغ في النعمة وما قيل إنها مائة وثمانون إنما يصح لو لم تختلف أوقات الانتقال^(١٠).

﴿يَكُونُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُونُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ﴾^(١١) أي يغشى كل واحد منهما الآخر كأنه يلف عليه لف اللباس باللباس أو يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة أو يجعله كاراً عليه كروراً متتابعاً تابع أكوار العمامة ألا هو العزيز القادر على كل ممكن الغالب على كل شيء ﴿الْعَفَّازِ﴾ حيث لم يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنائع من الرحمة وعموم المنفعة^(١٢).

﴿لَنَسْكُنُوا فِيهِ﴾^(١٣) أي لتستريحوا فيه بأن خلقه بارداً مظلماً ليؤدي إلى ضعف المحركات^(١٤) و هدوء الحواس ﴿وَلَنَسْجُدَ لَهُ﴾

(١) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٢) سورة يس، آية: ٣٧.

(٣) روضة الكافي ص ٣٨٠ حديث ٥٧٤، و قوله: «هو من بطون الآية». من كلام المؤلف رحمه الله.

(٤) سورة يس، آية: ٣٨.

(٥) سورة يس، آية: ٣٩.

(٦) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٢٩٠.

(٧) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٣٢٠.

(٨) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٩) سورة يس، آية: ٣٧.

(١٠) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١١) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٢) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٣) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٤) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٥) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٦) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٧) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٨) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٩) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٢٠) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٢١) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٢٢) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٢٣) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٢٤) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٢٥) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٢٦) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٢٧) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٢٨) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٢٩) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٣٠) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٣١) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٣٢) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٣٣) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٣٤) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٣٥) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٣٦) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٣٧) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٣٨) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٣٩) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٤٠) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٤١) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٤٢) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٤٣) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٤٤) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٤٥) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٤٦) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٤٧) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٤٨) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٤٩) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٥٠) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٥١) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٥٢) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٥٣) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٥٤) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٥٥) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٥٦) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٥٧) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٥٨) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٥٩) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٦٠) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٦١) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٦٢) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٦٣) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٦٤) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٦٥) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٦٦) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٦٧) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٦٨) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٦٩) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٧٠) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٧١) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٧٢) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٧٣) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٧٤) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٧٥) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٧٦) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٧٧) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٧٨) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٧٩) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٨٠) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٨١) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٨٢) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٨٣) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٨٤) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٨٥) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٨٦) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٨٧) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٨٨) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٨٩) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٩٠) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٩١) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٩٢) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٩٣) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٩٤) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٩٥) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٩٦) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٩٧) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٩٨) سورة فاطر، آية: ١٣.

(٩٩) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٠٠) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٠١) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٠٢) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٠٣) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٠٤) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٠٥) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٠٦) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٠٧) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٠٨) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٠٩) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١١٠) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١١١) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١١٢) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١١٣) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١١٤) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١١٥) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١١٦) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١١٧) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١١٨) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١١٩) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٢٠) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٢١) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٢٢) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٢٣) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٢٤) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٢٥) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٢٦) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٢٧) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٢٨) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٢٩) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٣٠) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٣١) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٣٢) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٣٣) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٣٤) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٣٥) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٣٦) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٣٧) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٣٨) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٣٩) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٤٠) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٤١) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٤٢) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٤٣) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٤٤) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٤٥) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٤٦) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٤٧) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٤٨) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٤٩) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٥٠) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٥١) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٥٢) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٥٣) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٥٤) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٥٥) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٥٦) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٥٧) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٥٨) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٥٩) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٦٠) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٦١) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٦٢) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٦٣) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٦٤) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٦٥) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٦٦) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٦٧) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٦٨) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٦٩) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٧٠) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٧١) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٧٢) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٧٣) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٧٤) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٧٥) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٧٦) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٧٧) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٧٨) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٧٩) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٨٠) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٨١) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٨٢) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٨٣) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٨٤) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٨٥) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٨٦) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٨٧) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٨٨) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٨٩) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٩٠) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٩١) سورة فاطر، آية: ١٣.

(١٩٢) سورة فاطر، آية: ١٣.

النَّهَارُ مُبْصِرًا يَبْصِرُ فِيهِ أَوْ بِهِ وَإِسْنَادُ الْإِبْصَارِ إِلَيْهِ مَجَازٌ وَمِبَالِغَةٌ وَلِذَلِكَ عُدِلَ بِهِ عَنِ التَّعْلِيلِ إِلَى الْحَالِ (١٥).

﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ قَالَ الطَّبْرَسِيُّ رَهْ وَإِنْ كَانَ فِيهِمَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ لِأَنَّهُمَا لَيْسَا بِخَالِقَيْنِ ﴿وَأَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ وَتَأْنِيثُ الضَّمِيرِ لِأَنَّ غَيْرَ مَا يَعْقِلُ يَجْمَعُ عَلَى لَفْظِ التَّأْنِيثِ وَلِأَنَّهُ فِي مَعْنَى الْآيَاتِ ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِشَاءُ تَعْبُدُونَ﴾ أَيْ إِنْ كُنْتُمْ تَقْصِدُونَ عِبَادَتَكُمْ اللَّهَ كَمَا تَزْعُمُونَ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ دُونَ غَيْرِهِ. (١٦)

﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ (١٧) أَيْ يَجْرِيَانِ بِحَسَابِ (١٨) وَمَنَازِلَ لَا يَعْدُونَهَا وَهِيَ يَدْلَانِ عَلَى عِدَدِ الشُّهُورِ وَالسِّنِّينِ وَالْأَوْقَاتِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ (١٩) فَأَضْمَرَ يَجْرِيَانِ وَحَذَفَ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ وَتَحْقِيقَ مَعْنَاهُ أَنَّهُمَا يَجْرِيَانِ عَلَى وَتِيرَةٍ وَاحِدَةٍ وَحَسَابِ بَيْنَ مُتَقَى عَلَى الدَّوَامِ لَا يَقَعُ فِيهِ تَفَاوُتٌ فَالشَّمْسُ تَقْطَعُ بَرُوجَ الْفَلَكَ فِي ثَلَاثِمِائَةٍ وَخَمْسَةِ وَسْتِينَ يَوْمًا وَشَيْءٌ وَالْقَمَرُ فِي ثَمَانِيَةِ وَعِشْرِينَ يَوْمًا فَيَجْرِيَانِ أَبَدًا عَلَى هَذَا الْوَجْهِ وَإِنَّمَا خَصَّهْمَا بِالذِّكْرِ لِمَا فِيهِمَا مِنَ الْمَنَافِعِ الْكَثِيرَةِ لِلنَّاسِ مِنَ النُّورِ وَالضِّيَاءِ وَمَعْرِفَةِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَتَضَعُ النُّجُومَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَذَكَرَهُمَا لِيُبَيِّنَ النِّعَةَ بِهِمَا عَلَى الْخَلْقِ (٢٠). ﴿رَبُّ الشَّرَاقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ (٢١) أَيْ مَشْرِقِ الشِّتَاءِ وَالْمَغْرِبِ وَمَغْرِبِيهَا وَقِيلَ مَشْرِقِي الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَمَغْرِبِيهِمَا (٢٢).

﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ (٢٣) قِيلَ فِيهِ وَجُوهٌ أَحَدُهَا: أَنَّ الْمَعْنَى وَجَعَلَ الْقَمَرَ نُورًا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ يُضِيءُ ظَهْرُهُ لِمَا يَلِيهِ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَيُضِيءُ وَجْهُهُ لِأَهْلِ الْأَرْضِ وَكَذَلِكَ الشَّمْسُ. وَثَانِيهَا: أَنَّ مَعْنَى ﴿فِيهِنَّ﴾ مَعْنَى يَعْنِي وَجَعَلَ الْقَمَرَ مَعْنَى أَيْ مَعَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ نُورًا لِأَهْلِ الْأَرْضِ وَثَالِثُهَا: أَنَّ مَعْنَى ﴿فِيهِنَّ﴾ فِي حِيزِهِنَّ وَإِنْ كَانَ فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا كَمَا تَقُولُ إِنْ فِي هَذِهِ الدُّورِ لَبِثْنَا وَإِنْ كَانَتْ فِي وَاحِدَةٍ مِنْهَا لَأَنَّ مَا كَانَ فِي إِحْدَاهُنَّ كَانَ فِيهِنَّ وَكَمَا تَقُولُ آتَيْتُ بَنِي تَمِيمٍ وَإِنَّمَا آتَيْتُ بَعْضَهُمْ. ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾ أَيْ مَصْبَاحًا تُضِيءُ لِأَهْلِ الْأَرْضِ فَهِيَ سِرَاجُ الْعَالَمِ كَمَا أَنَّ الْمَصْبَاحَ سِرَاجُ الْإِنْسَانِ (٢٤).

وَقَالَ رَهْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿كَلَّا﴾ أَيْ حَقًّا وَقِيلَ مَعْنَاهُ لَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى مَا يَتَوَهَّمُونَهُ ﴿وَالْقَمَرُ﴾ أَقْسَمَ بِالْقَمَرِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ الْعَجِيبَةِ فِي طُلُوعِهِ وَغُرُوبِهِ وَمَسِيرِهِ وَزِيَادَتِهِ وَنَقْصَانِهِ (٢٥) ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا دَبَّرَ﴾ قَرَأَ نَافِعٌ وَحَمْزَةً وَفَحْصٌ وَيَعْقُوبٌ وَخَلْفٌ ﴿إِذَا بَغِيرَ أَلْفَ﴾ (٢٦) ﴿أُذْبِرَ﴾ بِالْأَلْفِ وَبِالْبَاقُونَ ﴿إِذَا﴾ بِالْأَلْفِ «دَبَّرَ» بَغِيرَ الْأَلْفِ فَعَلَى الْأَوَّلِ أَقْسَمَ بِاللَّيْلِ إِذَا وَلَّى وَذَهَبَ يُقَالُ دَبَّرَ وَأَدْبَرَ عَنْ قِتَادَةٍ (٢٧) وَقِيلَ دَبَّرَ إِذَا جَاءَ بَعْدَ غَيْرِهِ وَأَدْبَرَ إِذَا وَلَّى مَدْبِرًا فَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْمَعْنَى فِي ﴿إِذَا دَبَّرَ﴾ إِذَا جَاءَ اللَّيْلُ فِي أَثَرِ النَّهَارِ وَفِي ﴿إِذَا دَبَّرَ﴾ إِذَا وَلَّى اللَّيْلُ فَبَجَاءَ الصُّبْحُ عَقِيبَهُ وَعَلَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ فِيهِمَا (٢٨) لِقَتَانِ مَعْنَاهُمَا وَلَّى وَانْقَضَى ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا أَشْفَرَ﴾ أَيْ أَضَاءَ وَأَنَارَ وَقِيلَ مَعْنَاهُ إِذَا كَشَفَ الظَّلَامَ وَأَضَاءَ الْأَشْخَاصَ وَقَالَ قَوْمُ التَّقْدِيرِ فِي هَذِهِ الْأَقْسَامِ وَرَبُّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ لِأَنَّ الْيَمِينَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِاللَّهِ تَعَالَى ﴿إِنَّهَا﴾ أَيْ السَّقَرُ الَّتِي هِيَ النُّورُ (لَا تُحْدَى الْكَبِيرُ) أَيْ لِإِحْدَى الْعِظَامِ «وَالْكَبِيرُ» جَمْعُ الْكَبِيرِ (٢٩).

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ (٣٠) أَيْ رَاحَةً وَدَعَةً لِأَجْسَادِكُمْ أَوْ قِطْعًا لِأَعْمَالِكُمْ وَتَصَرُّفِكُمْ إِذْ لَيْسَ بِمَوْتٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَلَا مَخْرَجًا عَنِ الْحَيَاةِ وَالْإِدْرَاكِ ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ أَيْ غِطَاءً وَسِتْرَةً يَسْتَرُ كُلَّ شَيْءٍ بِظِلْمَتِهِ وَسَوَادِهِ ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ (٣١) أَيْ مَطْلَبَ مَعَاشٍ وَمِيتَغَاهُ أَوْ وَقْتَ مَعَاشِكُمْ لِتَتَصَرَّفُوا فِي مَعَاشِكُمْ ﴿وَبَيْنَنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا﴾ (٣٢) أَيْ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ شِدَادًا مُحْكَمَةً أَحْكَمْنَا صَنْعَهَا وَأَوْثَقْنَا بِنَاءَهَا ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ يَعْنِي الشَّمْسَ جَعَلَهَا سَبْحَانَهُ سَرَاجًا لِلْعَالَمِ وَقَادَا مَثَلَانَا بِالنُّورِ يَسْتَضِيئُونَ بِهِ قَالَ مِقَاتِلُ جَعَلَ فِيهِ نُورًا وَحَرًّا وَالْوَهْجُ مَجْمَعُ النُّورِ وَالْحَرِّ. (٣٣)

(١٥) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٣٤٤.

(١٧) سورة الرحمن، آية: ٥.

(١٩) في المصدر: «وقتاده» بدل «وغيره».

(٢١) سورة الرحمن، آية: ١٧.

(٢٣) سورة نوح، آية: ١٦.

(٢٥) مجمع البيان ج ١٠ ص ٣٩١.

(٢٧) مجمع البيان ج ١٠ ص ٣٩٠.

(٢٩) مجمع البيان ج ١٠ ص ٣٩١.

(٣١) سورة النبأ، آية: ١١.

(٣٣) مجمع البيان ج ١٠ ص ٤٢٢ ملخصاً.

(١٤) في المصدر: «الحركات».

(١٦) مجمع البيان ج ٩ ص ١٤ - ١٥.

(١٨) في المصدر: «بحسبان».

(٢٠) مجمع البيان ج ٩ ص ١٩٨.

(٢٢) مجمع البيان ج ٩ ص ٢٠١ نقلاً بالمعنى.

(٢٤) مجمع البيان ج ١٠ ص ٣٩١.

(٢٦) مجمع البيان ج ١٠ ص ٣٨٩.

(٢٨) في المصدر: «فهما».

(٣٠) سورة النبأ، آية: ٩.

(٣٢) سورة النبأ، آية: ١٢.

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾^(١) أي نهب^(٢) ضوؤها ونورها فأظلمت واضمحلت عن ابن عباس وغيره وقيل ألقيت ورمي بها وقيل جمع ضوؤها ولقت كما تلف العمامة. ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾^(٣) أي تساقطت وتناثرت يقال انكدر الطائر من الهواء إذا انقض وقيل تغيرت والأول أولى لقوله ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾^(٤) ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا غَشَّتْ﴾^(٥) أي إذا أدبر بظلامه عن علي^(٦) وقيل أقبل بظلامه وقيل أظلم ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾^(٧) أي إذا أسفر وأضاء والمعنى امتد ضوءه حتى يصير نهارا.^(٨)

﴿وَالْفَجْرُ﴾^(٩) أقسم سبحانه بفجر النهار وهو انفجار الصبح كل يوم وقيل فجر ذي الحجة وقيل فجر أول المحرم وقيل فجر يوم النحر وقيل أراد بالفجر النهار ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾^(١٠) يعني العشر من ذي الحجة وقيل العشر الآخر^(١١) من شهر رمضان وقيل عشر موسى للثلاثين ليلة التي أمتها الله بها ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَنسَرُ﴾^(١٢) أراد جنس الليالي أقسم بالليل إذا مضى بظلامه وقيل إنما أضاف اليسر^(١٣) إليه لأن الليل يسير بمسير الشمس في الفلك وانتقالها من أفق إلى أفق وقيل إذا ينسر إذا جاء وأقبل إلينا ويريد كل ليلة وقيل إنها ليلة المزدلفة وفيها يسري الحاج من عرفة إليها ويغدو منها إلى منى^(١٤) وأصل «يسر» يسري حذفت الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفاً ولرعاية القواصل. ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾^(١٥) أقسم سبحانه بالشمس لكثرة الانقاع بها وبضحيتها وهو امتداد ضوءها وانبساطه وقيل هو النهار كله وقيل حرها ﴿وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا﴾^(١٦) أي تبعها فأخذ من ضوءها وسار خلفها قالوا وذلك في النصف الأول من الشهر إذا غربت الشمس تلاها القمر في الإضاءة وخلفها في النور وقيل تلاها ليلة الهلال وهي أول ليلة من الشهر وقيل في الخامس عشر وقيل في الشهر كله فهو في النصف الأول يتلوها وتكون أمامه وهو وراءها وفي النصف الأخير يتلو غروبها بالطلوع ﴿وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا﴾^(١٧) أي جلى الظلمة وكشفها أو أبرز الشمس وأظهرها ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَنشَاهَا﴾ أي يغشى الشمس حتى تغيب فتظلم الآفاق ويلبسها سواده.^(١٨)

أقول: وقد مر تأويلها في الأخبار بأن الشمس رسول الله ﷺ به أوضح الله للناس دينهم والقمر أمير المؤمنين ﷺ تلا رسول الله ﷺ ونفثه بالعلم نفاً والليل أمة الجور الذين استبدوا بالأمم دون آل الرسول وجلسوا مجلساً كان آل الرسول أولى به منهم ففشوا دين الله بالظلم والجور والنهار الإمام من ذرية فاطمة ﷺ يسأل عن دين الله فيجلبه لمن سألته وقد مر شرحها وبيانها.

﴿وَالصُّبْحُ﴾^(١٩) قال الطبرسي ره أقسم سبحانه بضوء النهار كله من قولهم ضحي فلان للشمس إذا ظهر لها و يدل عليه قوله سبحانه في مقابلته ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى﴾^(٢٠) أي سكن واستقر ظلامه وقيل المراد بالضحي أول ساعة من النهار وقيل صدر النهار وهي الساعة التي فيها ارتفاع الشمس واعتدال النهار في الحر والبرد والشتاء^(٢١) والصف وقيل معناه ورب الضحي ورب الليل إذا سجي وقيل إذا سجي إذا أعطى^(٢٢) بالظلمة كل شيء وقيل إذا أقبل ظلامه.^(٢٣) ﴿يَرْبُّ الْفَلَقِ﴾^(٢٤) أي يربب الصبح وخالفه ومدبره ومطلعه متى شاء على ما يرى من الصلاح فيه ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾^(٢٥) من الجن والإنس وسائر الحيوانات وإنما سمي الصبح «فلقاً» لانفلاق عموده بالضياء عن الظلام وقيل

(١) سورة التكويد، آية: ١.

(٢) سورة التكويد، آية: ٢.

(٣) مجمع البيان ج ١٠ ص ٤٤٣ ملخصاً والآية من سورة الانقطار: ٢.

(٤) من المصدر.

(٥) مجمع البيان ج ١٠ ص ٤٤٦.

(٦) سورة الفجر، آية: ٢.

(٧) سورة الفجر، آية: ٤.

(٨) مجمع البيان ج ١٠ ص ٤٨٥ ملخصاً.

(٩) سورة الشمس، آية: ٢.

(١٠) مجمع البيان ج ١٠ ص ٤٩٨ ملخصاً.

(١١) في المصدر: «بنور».

(١٢) في المصدر: «في الشتاء».

(١٣) مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٠٤ و ٥٠٥.

(١٤) سورة الفلق، آية: ٢.

(١٥) سورة التكويد، آية: ١.

(١٦) سورة التكويد، آية: ٢.

(١٧) مجمع البيان ج ١٠ ص ٤٤٣ ملخصاً والآية من سورة الانقطار: ٢.

(١٨) من المصدر.

(١٩) سورة الفجر، آية: ٢.

(٢٠) سورة الفجر، آية: ٤.

(٢١) في المصدر: «السير».

(٢٢) سورة الشمس، آية: ٢.

(٢٣) سورة الشمس، آية: ٢.

(٢٤) سورة الضحى، آية: ٢.

(٢٥) في المصدر: «غطي».

(٢٦) سورة الفلق، آية: ١.

الفلق المواليه و جب في جهنم ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾^(١) أي و من شر الليل إذا دخل بظلامه فالمراد من شر ما يحدث في الليل من الشر و المكروه و إنما خص لأن الفساق يقدمون على الفساد بالليل و كذلك الهوام و السباع تؤذي فيه أكثر.^(٢)

١- الكافي: عن علي بن إبراهيم و عدة من أصحابه عن سهل بن زياد جميعا عن محمد بن عيسى عن يونس عن أبي الصباح الكناني^(٣) عن الأصمعي بن نباتة قال قال أمير المؤمنين عليه السلام إن للشمس ثلاثمائة و ستين برجاً كل برج منها مثل جزيرة من جزائر العرب فتتزلزل كل يوم على برج منها فإذا غابت انتهت إلى حد بطنان العرش فلم تزل ساجدة إلى الغد ثم ترد إلى موضع مطلعها و معها مكان يهتفان معها و إن وجهها لأهل السماء و قفاها لأهل الأرض و لو كان وجهها لأهل الأرض لأحرقت^(٤) الأرض و من عليها من شدة حرها و معنى سجودها ما قال سبحانه و تعالى ﴿وَاللَّهُ تَزَنُّ اللَّهُ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾.^(٥)

توضيح: ثلاثمائة و ستين برجاً لعل المراد بالبرج الدرجات التي تنتقل إليها بحركاتها الخاصة أو المدارات التي تنتقل إلى واحد منها كل يوم فيكون هذا العدد مبنياً على ما هو الشائع بين الناس من تقدير السنة به و إن لم يكن مطابقاً لشيء من حركتي الشمس و القمر مثل جزيرة من جزائر العرب أي نسبتها إلى الفلك نسبة جزيرة من الجزائر إلى الأرض أو الغرض التشبيه في أصل العظمة لا خصوص المقدار و المقصود بيان سرعة حركتها و إن كانت بطيئة بالنسبة إلى الحركة اليومية قال الفيروز آبادي جزيرة العرب ما أحاط به بحر الهند و بحر الشام ثم دجلة و الفرات أو ما بين عدن أبين إلى أطراف الشام طولا و من جدة إلى^(٦) ريف العراق عرضاً^(٧) فإذا غابت أي بالحركة اليومية إلى حد بطنان العرش أي وسطه و لعل المراد وصولها إلى دائرة نصف النهار من تحت الأرض فإنها بحذاء أوساط العرش بالنسبة إلى أكثر المعمورة إذ ورد في الأخبار أن العرش محاذ للكمة فلم تزل ساجدة أي مطيعة خاضعة متقادة جارية بأمره تعالى حتى ترد إلى مطلعها و المراد بمطلعها ما قدر أن تطلع منه في هذا اليوم أو ما طلعت فيه في السنة السابقة في مثله و قوله و معنى سجودها يحتمل أن تكون من تمتة الخبير لبيان أنه ليس المراد بالسجود ما هو المصطلح و لعل الأظهر أنه من كلام الكليني أو غيره من الرواة و سيأتي تفسير الآية في محله.

٢- الكافي: عن عدة من أصحابه عن أحمد بن محمد بن عيسى و أحمد بن محمد بن خالد جميعا عن الحسن بن محبوب عن إبراهيم بن مهزم عن رجل عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال إن الشمس تطلع و معها أربعة أملاك ملك ينادي يا صاحب الخير أتم و أبشر و ملك ينادي يا صاحب الشر انزع و أقصر و ملك ينادي أظط متفقا خلفا و آت ممسكا تلفا و ملك ينضحها بالماء و لو لا ذلك اشتعلت الأرض.^(٨)

بيان: يحتمل أن يكون النضح بالماء كناية عن بث الأجزاء المائية في الهواء بسبب الأنهار و البحار و الآبار و غيرها فإنه لولاها لكان تأثير الحرارة في الهواء و الأرض و الأبدان و الأشجار و النباتات أكثر و أقول قال السيد الداماد في بعض زبره فيما نقله رهط من المفسرين عن ابن عباس مما استفاد عن أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير قوله تعالى ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾^(٩) إن للشمس مائة و ثمانين منزلاً في مائة و ثمانين يوماً ثم إنها تعود مرة أخرى إلى واحد واحد منها في أمثال تلك الأيام و مجموع تلك الأيام سنة.^(١٠) و قال علامتهم المفسر الأعرج النيسابوري في تفسيره إن

(٢) مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٦٨ و ٥٦٩ ملخصاً.

(٤) في المصدر: «لا حترقت».

(٥) روضة الكافي ص ١٥٧ حديث ١٤٨ والآية من سورة الحج: ١٨.

(٦) القاموس المحيط ج ١ ص ٤٠٤.

(٧) سورة الرعد، آية: ٢.

(٨) الكافي ج ٤ ص ٤٢ باب الإنفاق حديث ١.

(١٠) لم نعرف هذا الكتاب.

(١) سورة الفلق، آية: ٣.

(٣) مرآة العقول ج ٢٦ ص ١٥

(٥) روضة الكافي ص ١٥٧ حديث ١٤٨ والآية من سورة الحج: ١٨.

(٦) في المصدر إضافة: «أطراف».

(٨) الكافي ج ٤ ص ٤٢ باب الإنفاق حديث ١.

(١٠) لم نعرف هذا الكتاب.



صح هذا عنه فلعله أراد تصاعدها على دائرة نصف النهار وتنازلها منها في أيام السنة أو أراد نزولها في فلكها الخارج المركز من الأوج إلى الحضيض ثم صعودها من الحضيض إلى الأوج فإن لها بحسب كل جزء من تلك الأجزاء في كل يوم من تلك الأيام تعديلا خاصا زائدا أو ناقصا^(١) ونحن نقول ذلك تجشم وتكلف بل أراد بمنازلتها في أيام السنة مداراتها اليومية بحسب أجزاء مدارها الذي عليه طول السنة بحركتها الخاصة فإن ذلك المدار في سطح منطقة البروج مقاطعا لمنطقة معدل النهار على تقطعي الاعتدالين وكل جزءين من أجزائه شماليين أو جنوبيين هما متساويا البعد عن إحدى تقطعي الانقلابين وبعدهما عن إحدى تقطعي الاعتدالين كبعد الآخر عن الأخرى فإنهما متحذان في المدار اليومي فالشمس بحسب كونها في أجزاء مدارها بحركتها الخاصة تعود بالحركة الشرقية في الربع الصيفي من أرباع السنة إلى مداراتها اليومية الربيعية وفي الربع الشتوي إلى مداراتها اليومية الخريفية ففي النصف الشتوي والربيعي من السنة تعود إلى مداراتها الخريفية والصيفية وفي النصف الصيفي والخريفي إلى مداراتها الربيعية والشتوية فاحفظ بذلك فإنه من بدائع الصنائع الإلهية.

٣- التوحيد والمجالس: للصدوق عن محمد بن موسى بن المتوكل عن محمد بن جعفر الأسدي عن موسى بن عمران النخعي عن النوفلي عن السكوني عن أبي نعيم البلخي عن مقاتل بن حيان عن عبد الرحمن بن أبزي^(٢) عن أبي ذر الغفاري قال كنت أخذنا بيد النبي ﷺ ونحن نتماشى جميعا فما زلنا ننظر إلى الشمس حتى غابت فقلت يا رسول الله أين تغيب قال في السماء ثم ترفع من سماء إلى سماء حتى ترفع إلى السماء السابعة العليا حتى تكون تحت العرش فتخر ساجدة فتسجد معها الملائكة الموكلون بها ثم تقول يا رب من أين تأمرني أن أطلع أمن مغربي أم من مطلعي فذلك قوله عز وجل ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾^(٣) يعني بذلك صنع الرب العزيز في ملكه^(٤) بخلقه قال فيأتيها جبرئيل بحلة ضوء من نور العرش على مقادير ساعات النهار في طوله في الصيف أو قصره في الشتاء أو ما بين ذلك في الخريف والربيع قال فليس تلك الحلة كما يلبس أحدكم ثيابه ثم تطلق بها في جو السماء حتى تطلع من مطلعها قال النبي ﷺ فكأنني بها قد حست مقدار ثلاث ليال ثم لا تكسى ضوء وتزمر أن تطلع من مغربها فذلك قوله عز وجل ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾^(٥) والقمر كذلك من مطلعته ومجراه في أفق السماء ومغربه وارتفاعه إلى السماء السابعة ويسجد تحت العرش وجبرئيل يأتيه بالحلة من نور الكرسي فذلك قوله عز وجل ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾^(٦) قال أبو ذر ره ثم اعتزلت مع رسول الله ﷺ فصلينا المغرب^(٧).

بيان: قد يحمل أكثر ما ورد في الخبر على الاستعارة التمثيلية والمجاز الشائع في كلام العرب والله يعلم حقائق الأمور.

٤- تفسير علي بن إبراهيم: عن أبيه عن ابن محبوب عن عبد الله بن يسار^(٨) عن معروف بن خربوذ عن الحكم بن المستنير عن علي بن الحسين ﷺ قال إن من الآيات التي قدرها الله للناس مما يحتاجون إليه البحر الذي خلقه الله بين السماء والأرض قال وإن الله قدر فيه مجاري الشمس والقمر والنجوم والكواكب ثم قدر ذلك كله على الفلك ثم وكل بالفلك ملكا معه سبعون ألف ملك فهم يديرون الفلك فإذا أداروه^(٩) دارت الشمس والقمر والنجوم والكواكب معه فنزلت في منازلها التي قدرها الله فيها ليومها وليلتها وإذا كثرت ذنوب العباد وأراد الله أن يستعيبهم بآية من آياته أمر الملك الموكل بالفلك أن يزيل الفلك الذي عليه مجاري الشمس والقمر والنجوم والكواكب فيأمر الملك أولئك السبعين الألف الملك^(١٠) أن يزيلوا الفلك عن مجاريه قال فيزيلونه فتصير الشمس في ذلك البحر الذي

(١) تفسير غرائب القرآن ج ٣ ص ١٣٧.

(٢) في المصدر: «أبي ذر».

(٣) سورة يس، آية: ٣٨.

(٤) في التوحيد إضافة: «العليم».

(٥) سورة التكوين، آية ١ و ٢.

(٦) التوحيد ص ٢٨٠ و ٢٨١ باب ٣٨ حديث ٧، والآمال للصدوق ص ٥٤٩ - ٥٥٠ مجلس ٧١ حديث ٧٣٢.

(٨) في المصدر: «سنان» بدل «يسار»، وفي نسخة «سيار».

(٩) عبارة: «أداروه» ليست في المصدر.

(١٠) في المصدر: «ألف ملك» بدل «الألف الملك».

يجري الفلك فيه فيطمس ضوؤها^(١) و يغير لونها فإذا أراد الله أن يعظم الآية طمست الشمس في البحر على ما يحب الله أن يخوف خلقه بالآية فذلك عند شدة انكساف الشمس وكذلك يفعل بالقمر فإذا أراد الله أن يخرجهما ويردهما إلى مجراهما أمر الملك الموكل بالفلك أن يرد الشمس إلى مجراها فيرد الملك الفلك إلى مجراه فتخرج من الماء وهي كدرة والقمر مثل ذلك.

١٤٨
٥٨

ثم قال علي بن الحسين عليه السلام أما إنه لا يفرغ لهما ولا يرهب إلا من كان من شيعةنا فإذا كان ذلك فافزعوا إلى الله و راجعوا^(٢) قال وقال أمير المؤمنين عليه السلام الأرض مسيرة خمسمائة عام الخراب منها مسيرة أربعمائة عام والعمران منها مسيرة مائة عام^(٣) والشمس ستون فرسخا في ستين فرسخا والقمر أربعون فرسخا في أربعين فرسخا بطونهما يضيئان لأهل السماء وظهورهما لأهل الأرض والكواكب كأعظم جبل على الأرض وخلق الشمس قبل القمر.

وقال سلام بن المستنير قلت لأبي جعفر عليه السلام لم صارت الشمس أحر من القمر قال إن الله خلق الشمس من نور النار وصفو الماء طبقا من هذا وطبقا من هذا صارت سبعة أطباق ألبسها لباسا من نار فمن هنالك صارت أحر من القمر قلت فالقمر قال إن الله خلق القمر من ضوء نور النار وصفو الماء طبقا من هذا وطبقا من هذا حتى إذا صارت سبعة أطباق ألبسها لباسا من ماء فمن هنالك صار القمر أبرد من الشمس^(٤).

الكافي: عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن محبوب عن عبد الله بن سنان عن معروف بن خربوذ عن الحكم بن المستورد عن علي بن الحسين عليه السلام مثله إلى قوله فإذا كان كذلك فافزعوا إلى الله عز وجل ثم ارجعوا إليه^(٥).

الفقيه: عنه عليه السلام مرسلًا مثله^(٦).

١٤٩
٥٨

توضيح: أن من الآيات كذا في الفقيه وبعض نسخ التفسير وفي بعضها الأوقات والأول أصوب وفي الكافي من الأقوات أي أسبابها قدر فيه أي في البحر أي عليه ومحاذيا له أو جعله بحيث يمكن أن يجري الكواكب فيه عند الحاجة وفي الكتابين^(٧) فيها فالمراد أيضا البحر بتأويل الآية ويمكن إرجاعه إلى الآيات أو إلى السماء وقدر ذلك أي الجريان كله على الفلك أي الفلك الأعظم أو فلك الكوكب والأول أظهر وفي الفقيه هكذا أمر الملك الموكل بالفلك أن يزيل الفلك عن مجاريه قال فيأمر الملك السبعين الألف الملك أن أزيلوا الفلك إلى قوله في ذلك البحر الذي كان فيه الفلك وفيهما فإذا أراد الله أن يجليهما ويردها إلى مجراها أمر الملك الموكل بالفلك أن يرد الفلك إلى مجراه فيرد الفلك وترجع الشمس إلى مجراها قال فتخرج وفي الفقيه أما إنه لا يفرغ للآيتين ولا يرهب إلا من كان من شيعةنا قوله عليه السلام أن يستعنتهم أي يطلب عتباهم ورجوعهم أو يحملهم على ما يوجب الرضا وفي القاموس العتب المودة والغضب^(٨) والعنبي الرضا واستعنته أعطاه العنبي كاعتبه وطلب إليه العنبي ضد^(٩) «وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُغْثِينَ»^(١٠) أي إن يستقبلوا ربهم لم يقلمهم أي لم يردهم إلى الدنيا قوله فيطمس ضوؤها أي بعض ضوئها قوله طمست الشمس أي كلها أو أكثرها بحسب ما يراه في تأديبهم من المصلحة قوله عليه السلام وهي كدرة أي بعد ما كانت كدرة أو تبقى فيها كدورة قليلة بعد الخروج أيضا في زمان قليل قوله عليه السلام إلا من كان من شيعةنا لأنهم يؤمنون بهذا وأما أكثر الخلق الذين يسندونهما إلى حركات الأفلاك فلا يرهبون لهما.

١٥٠
٥٨

تفصيل كلام لرفع أوهام:

اعلم أن الفلاسفة ذهبوا إلى أن جرم القمر مظلم كثيف صقيل يقبل من الشمس الضوء لكثافته و ينعكس عنه لصقافته فيكون أبدا المضيء من جرمه الكري أكثر من النصف بقليل لكون جرمه أصغر من جرم الشمس وقد ثبت في الأصول أنه إذا قبل الضوء كرة صغرى من كرة أعظم منها كان المضيء من الصغرى أعظم من نصفها وتفصل بين

١٥١
٥٨

- (١) في المصدر: «حرها».
- (٢) في المصدر: «وارجعوا» بدل «و راجعوا».
- (٣) من المصدر.
- (٤) روضة الكافي ص ٨٣ حديث ٤١.
- (٥) الفقيه ج ١ ص ٣٤٠ باب ٨١ - باب صلاة الكسوف والزلازل والرياح والظلم وعلتها - حديث ١٥٠٩.
- (٦) عبارة: «والغضب» ليست في المصدر.
- (٧) يعني الكافي والفقيه.
- (٨) القاموس المحيط ج ١ ص ١٠٤.
- (٩) في المصدر: «وارجعوا» بدل «و راجعوا».
- (١٠) سورة فصلت، آية: ٢٤.



المضيء والمظلم دائرة قريبة من العظيمة تسمى دائرة النور وتصل بين ما يصل إليه نور القمر من جرم القمر وبين ما لا يصل دائرة تسمى دائرة الرؤية وهي أيضا قريبة من العظيمة لما ثبت في ٢٤- من مناظر أقليدس أن ما يرى من الكرة يكون أصغر من نصفها و هاتان الدائرتان يمكن أن تتطابقا وقد تتفارقان إما متوازيتين أو متقاطعتين أو لا ذا ولا ذلك وقد ترخذاً عظيمنتين إذ لا تفاوت في الحس بين كل منهما وبين العظيمة ويجعل ما يقارب التطابق تطابقا فإذا اجتمعت الشمس والقمر صار وجهه المضيء إليها والمظلم إلينا وتطابق الدائرتان وهو المحاق فإذا بعد عنها يسيرا تقاطعت الدائرتان على حواد ومنفرجات فإذا بعد منها قريبا من اثنتي عشرة درجة يرى من وجهه المضيء ما وقع منه بين الدائرتين في جهة الحادثين اللتين إلى صوب الشمس وهو الهلال ولا تزال هذه القطعة تتزايد بتزايد البعد عن الشمس والحواد تعاضم والمنفرجات تتصاغر حتى يصير التقاطع بين الدائرتين على قوائم ويحصل التربع فيرى من الوجه المضيء نصفه ولا يزال يتزايد المرئي من المضيء ويتعاضم انفرج الزاويتين الأولتين إلى وقت الاستقبال فتطابق الدائرتان مرة ثانية ويصير الوجه المضيء إلينا وإلى الشمس معا وهو البدر ثم يقع التقارب فيعود تقاطع الدائرتين على المختلقات أولا ثم على قوائم ثانيا وحصل التربع الثاني ثم يثول الحال إلى التطابق فيعود المحاق وهكذا إلى ما شاء الله سبحانه.

والكسوف عندهم حالة تعرض للشمس من عدم الاستتارة والإنارة بالنسبة إلى الأبصار حين ما يكون من شأنها ذلك بسبب توسط القمر بينها وبين الأبصار وذلك إذا وقع القمر على الخط الخارج من البصر إلى الشمس ويسمى ذلك بالاجتماع المرئي ويكون لا محالة على إحدى العقدتين الرأس أو الذنب أو بقربهما بحيث لا يكون للقمر عرض مرئي بقدر مجموع نصف قطرة وقطر الشمس فلا محالة يحول بين الشمس وبين البصر ويحجب بنصفه المظلم نورها من الناظرين بالكل وهو الكسوف الكلي أو البعض فالجزئي و لكونه حالة تعرض للشمس لا في ذاتها بل بالنسبة إلى الأبصار جاز أن يتفق الكسوف بالنسبة إلى قوم دون قوم كما إذا سترت السراج بيدك بحيث يراه القوم أنت لا تراه وأن يكون كليا لقوم جزئيا لآخرين أو جزئيا للكل لكن على التفاوت وأما إذا كان عرض القمر المرئي بقدر نصف مجموع القطرين فيما بين جرم القمر ومخروط شعاع الشمس فلا يكون كسوف.

وأما خسوف القمر فيكون عندهم عند استقبال الشمس إذا كان على إحدى العقدتين أو بقربها بحيث يكون عرضه أقل من مجموع نصف قطرة وقطر مخروط ظل الأرض انحجبت بالأرض عن نور الشمس فيرى إن كان فوق الأرض على ظلامه الأصلي كلا أو بعضا وذلك هو الخسوف الكلي أو الجزئي وأما إذا كان عرضه عن منطقة البروج بقدر نصف القطرين فلا ينخسف.

إذا عرفت هذا فالكلام في هذا الخبر على وجوه:

الأول: أن يقال إن هذه مقدمات حديدية ظنية فإنه يمكن أن تكون هذه الاختلافات لجهة أخرى كما قال ابن هيثم في اختلاف تشكلات القمر إنه يجوز أن يكون ذلك لأن القمر كرة مضيئة نصفها دون نصف وإنها تدور على مركز نفسها بحركة متساوية لحركة فلكها فإذا كان نصفه المضيء إلينا فبدر أو المظلم قمحاق وفيما بينهما يختلف قدر ما تراه من المضيء وأيضاً يمكن أن يكون الفاعل المختار يحدث فيه نورا بحسب إرادته في بعض الأحيان ولا يحدث في بعضها فالحكم بطلان الخبر أو تأويله غير مستقيم.

الثاني: أنه يمكن أن يكون عند حدوث تلك الأسباب يقع المرور على البحر أيضا ويكون له أيضا مدخل في ذلك و امتناع الخرق والالتئام على الأفلاك وعدم جواز الحركة المستقيمة فيها و امتناع اختلاف حركاتها وأمثال ذلك لم يشتهوا إلا بشبهات واهية وخرافات فاسدة لا يخفى وهنأ على من تأمل بالانصاف فيها مع أن القول بها يوجب نفى كثير من ضروريات الدين من المعراج ونزول الملائكة وعروجهم و خرق السماوات وطبها وانتشار الكواكب و انكسافها في القيامة إلى غير ذلك مما صرح به في القرآن المجيد والأخبار المتواترة.

الثالث: ما ذكره الصدوق ره في الفقيه حيث قال إن الذي يخبر به المنجمون فيفتق على ما يذكرونه ليس من هذا الكسوف في شيء وإنما يجب الفرع فيه^(١) إلى المساجد والصلاة لأنه آية تشبه آيات الساعة^(٢).

وقال الشهيد ره في الذكرى في جملة فروع أوردها في أحكام صلاة الكسوف الرابع لو جامعت صلاة العيد بأن تجب بسبب الآيات المطلقة أو بالكسوفين نظرا إلى قدرة الله تعالى وإن لم يكن معتادا على أنه قد اشتهر أن الشمس كسفت يوم عاشوراء لما قتل الحسين عليه السلام كسفة بدت الكواكب فيها نصف النهار في ما رواه البيهقي وغيره وقد قدمنا أن الشمس كسفت يوم مات إبراهيم بن النبي عليه السلام وروى الزبير بن بكار في كتاب الأنساب أنه توفي في العاشر من شهر ربيع الأول وروى الأصحاب أن من علامات المهدي عليه السلام كسوف الشمس في النصف الأول من شهر رمضان إلى آخر ما قال ^(١).

١٥٣
٥٨

وأقول: رأيت في كثير من كتب الخاصة والعامة وقوع الكسوف والخسوف في يوم عاشوراء و ليلته. وروى الشيخ المفيد في الإرشاد بإسناده إلى الفضل بن شاذان عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن ثعلبة الأزدي قال قال أبو جعفر عليه السلام آيتان تكونان قبل القائم عليه السلام كسوف الشمس في النصف من شهر رمضان وخسوف القمر في آخره قال قلت يا ابن رسول الله تنكسف الشمس في نصف الشهر والقمر في آخره ^(٢) فقال أبو جعفر عليه السلام أنا أعلم بما قلت إنهما آيتان لم تكونا منذ هبط آدم عليه السلام ^(٣).

ورواه في الكافي عن عدة من أصحابه عن سهل بن زياد عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن ثعلبة بن ميمون عن بدر بن الخليل الأزدي قال كنت جالسا عند أبي جعفر عليه السلام فقال آيتان تكونان قبل قيام القائم لم تكونا منذ هبط آدم عليه السلام إلى الأرض تنكسف الشمس في النصف من شهر رمضان والقمر في آخره فقال رجل يا ابن رسول الله تنكسف الشمس في آخر الشهر والقمر في النصف فقال أبو جعفر عليه السلام إني أعلم ما تقول ولكنهما آيتان لم تكونا منذ هبط آدم عليه السلام ^(٤).
والأخبار في ذلك كثيرة أوردها في سائر المجلدات لا سيما في الثالث عشر.

١٥٤
٥٨

الرابع: ما أوله بعض المتفلسفين وهو أن المارد بالبحر في الكسوف ظل القمر وفي الخسوف ظل الأرض على الاستعارة ووجدت في بعض الكتب ^(٥) منظر لطيفة وقعت بين رجل من المدعين للإسلام يذكر هذا التأويل للخبر وبين رجل من براهمة الهند قال له حين سمع ذلك التأويل منه لا يخلو من أن يكون مراد صاحب شريعتك ما ذكرت أم لا فإن لم يكن مراده ذلك فالويل لك حيث اجتأرت على الله وعليه وحملت كلامه على ما لم يردده وافترت عليه وإن كان مراده ذلك فله غرض في التعبير بهذه العبارة ومصلحة في عدم التصريح بالمراد لقصور أفهام عامة الخلق عن فهم الحقائق فالويل لك أيضا حيث نقضت غرضه وأبطلت مصلحته وهتكت سره.

وأقول: هذا الكلام متين وإن كان قائله على ما نقل من الكافرين لأن عقول العباد قاصرة عن فهم الأسباب والمسببات وكيفية نزول الأنكال والعقوبات فإذا سمعوا المنجم يخبر بوقوع الكسوف أو الخسوف في الساعة القلانية بمقتضى حركات الأفلاك لم يخافوا عند ذلك ولم يفرغوا إلى ربهم ولم يرتدعوا به عن معصيته ولم يعدوه من آثار غضب الله تعالى لأنهم لا يعلمون أنه يمكن أن يكون الصانع القديم والقادر الحكيم لما خلق العالم وقدر الحركات وسبب الأسباب والمسببات وعلم بعلمه الكامل أحوالهم وأفعالهم في كل عصر وزمان وكل دهر وأوان وعلم ما يستحقون من التحذير والتنذير قدر حركات الأفلاك على وجه يطابق الخسوف والكسوف وغيرهما من الآيات بقدر ما يستحقونه بحسب أحوالهم من الإنذارات والعقوبات وهذا باب دقيق يعجز عنه أفهام أكثر الخلق وبالجملة الحديث وإن كان خيرا وأحدا غير نقي السند لكن لا يحسن الجرأة على رده وينبغي التسليم له في الجملة وإن صعب على العقل فهمه فإنه سبيل أبواب التسليم الثابتين على الصراط المستقيم.

١٥٥
٥٨

قوله عليه السلام والأرض مسيرة خمسمائة عام لعل المراد أنه إذا أراد إنسان أن يدور جميع الأرض ويطلع على جميع بقاعه الظاهرة والغائبة لا يكون إلا في خمسمائة سنة وكذا المعمور وغير المعمور إذ لو كان المراد المسير على عظمية محيطه بالأرض يكون ذلك في قليل من السنين إن كانت

(١) ذكرى الشيعة ص ٢٤٧ سطر ١٨.

(٢) في المصدر: «تنكسف الشمس في آخر الشهر والقمر في النصف».

(٣) إرشاد المفيد ج ٢ ص ٣٧٤.

(٤) روضة الكافي ص ٢١٢ حديث ٢٥٨.

(٥) لم نعر على هذا الكتاب.

مساحتهم المذكورة في كتبهم حقة لأنهم قالوا مساحة محيط دائرة عظيمة تفرض على الأرض ثمانية آلاف فرسخ فيمكن قطعه في ثلاث سنين تقريبا وكون الشمس ستون فرسخا لعله بالفراسخ السماوية أو المراد أن نسبتها إلى فلكها كنسبة تلك الفراسخ إلى الأرض وكذا القمر أو المراد به العدد الكثير عبر هكذا تقريبا إلى فهم السائل وكذا المراد بكون الكواكب كأعظم جبل أن نسبة كل منها إلى السماء كنسبة أعظم جبل إلى الأرض كل ذلك بناء على صحة ما ذكره أصحاب الهيئة وهو غير معلوم فإنهم عولوا في ذلك على مساحات وأرصاد تصدى جماعة من الكفرة لتحقيقتها وضبطها وخلق الشمس قبل القمر يدل على حدوثهما والله يعلم حقائق مخلوقاته ومن عرفهم تلك من حججه ﷺ.

٥- الكافي: عن عدة من أصحابه عن سهل بن زياد عن علي بن حسان عن علي بن أبي النوار عن محمد بن مسلم قال قلت لأبي جعفر ﷺ جعلت فداك لأي شيء صارت الشمس أشد حرارة من القمر فقال إن الله خلق الشمس من نور النار و صفو الماء طبقا من هذا وطبقا من هذا حتى إذا كانت سبعة أطباق ألبسها لباسا من نار فمن ثم صارت أشد حرارة من القمر قلت جعلت فداك والقمر قال (١) إن الله تعالى ذكره خلق القمر من ضوء (٢) نور النار و صفو الماء طبقا من هذا وطبقا من هذا حتى إذا كانت (٣) سبعة أطباق ألبسها لباسا من ماء فمن ثم صار القمر أبرد من الشمس. (٤)

العلل والخصال: عن محمد بن الحسن بن الوليد عن محمد بن يحيى العطار عن محمد بن أحمد الأشعري عن عيسى بن محمد عن علي بن مهزيار عن علي بن حسان عن أبي أيوب عن محمد بن مسلم مثله (٥).

١٥٦
٥٨

توضيح: قوله ﷺ حتى إذا كانت سبعة أطباق يحتمل أن يكون المعنى أن الطبقة السابعة فيها من نار فيكون حرارتها لجهتين لكون طبقات النار أكثر بوحدة وكون الطبقة العليا من النار و يحتمل أن يكون لباس النار طبقة ثامنة فتكون الحرارة للجهة الثانية فقط وكذا في القمر يحتمل الوجهين ثم إنه يحتمل أن يكون خلقهما من النار والماء الحقيقيين من صفوهما وأطفهما وأن يكون المراد جوهرين لطيفين مشابهيين لهما في الكيفية ولم يثبت امتناع كون العنصرين في الفلكيات بمرهان وقد دل الشرع على وقوعه في مواضع شتى.

٦- الإحتجاج: روى القاسم بن معاوية عن أبي عبد الله ﷺ أنه قال لما خلق الله عز وجل القمر كتب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله علي أمير المؤمنين وهو السواد الذي ترونه. (٦)

١٥٧
٥٨

٧- الخصال: عن علي بن أحمد بن موسى عن علي بن الحسن الهسجاني عن سعد (٧) بن كثير بن غفير عن ابن لهيعة و رشيد بن سعد عن حريز بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الجبلي عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي توفي فيه ادعوا إلي أخي قال فأرسلوا إلى علي ﷺ فدخل فوليا وجوههما إلى الحائط وردا عليهما ثوبا فأمر إليهما والناس محتشون وراء الباب فخرج علي ﷺ فقال له رجل من الناس أسر إليك نبي الله شيئا قال نعم أسر إلي ألف باب في كل باب ألف باب وقال وعيتي قال نعم وعقلته فقال فما السواد الذي في القمر قال إن الله عز وجل قال «وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحْوُنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً» قال له الرجل: غلبت يا علي. (٨)

بيان: فوليا أي النبي وعلي ﷺ ويقال احتوش القوم على فلان أي جعلوه وسطهم ويقال وعاء أي حفظه والظاهر أن السؤال كان عن علة الكلف في القمر فأجاب ﷺ بأنه إنما جعل فيه ذلك ليقبل نوره و يحصل الفرق بينه وبين الشمس فيمتاز الليل من النهار كما يدل عليه خبر ابن سلام (٩) فالمحو في الآية تقليل نور القمر بإحداث الكلف فيه و اعلم أنهم اختلفوا في سبب الكلف ف قيل

(١) في الخصال: «فالقمر؟ فقال:».

(٢) في العلل والخصال: «صارت».

(٣) روضة الكافي ص ٢٤١ حديث ٣٣٢.

(٤) علل الشرائع ص ٥٧٦ باب ٣٨٠ (العلة التي من أجلها صارت الشمس حارة تحرق) حديث ١، والخصال ج ١ ص ٣٥٦ و ٣٥٧ باب السبعة حديث ٣٩.

(٥) هكذا في المصدر.

(٦) الخصال ج ٢ ص ٦٤٣ باب ما بعد الألف حديث ٢٣، والآية من سورة الإسراء: ١٢.

(٧) سيأتي تحت رقم ٨ من هذا الباب.

خيال لا حقيقة له وأورد عليه بأنه يستحيل عادة توافق جميع الناس في خيال واحد لا حقيقة له و قيل هو شيع ما ينطبع فيه من السفليات من الجبال والبحار وغيرها وزيف بأنه لو كان كذلك لكان يختلف باختلاف القمر في قربه وبعده وانحرافه عما ينطبع فيه و قيل هو السواد الكائن في الوجه الآخر وأورد عليه بأنه لو كان كذلك لم ير متفرقا وقيل هو سحق النار للقمر وأجيب بأنه غير مماس للنار لأنه مركوز في تدوير هو في تخن حامل فيبينه وبين النار بعد بعيد ولو فرض أنه في حضيض التدوير مع كونه في حضيض الحامل لم يتصور هناك مماسة إلا بنقطة واحدة وأيضاً فهو غير قابل للتسخن عندهم فكيف ينسحق بها وقيل هو جزء منه لا يقبل النور كسائر أجزائه القابلة له وأورد عليه أنه مخالف لما ذهبوا إليه من بساطة الفلكيات فيبطل جميع قواعدهم المسنية على بساطتها وقيل هو وجه القمر فإنه مصور بصورة إنسان فله عينان وحاجبان وأنف وفم وأجيب بأنه لا فائدة في جعل هذه الأجزاء فيه وقيل هو أجسام سماوية مختلفة معه في تدويره غير قابلة للإنبارة حافظة لوضعها معه دائماً وهذا أقرب الوجه عندهم وكل ذلك قول بغير علم ولا نعلم من ذلك إلا أنه سبحانه خلقه كذلك والبحث عن سببه لا طائل تحته وسنذكر وجوهاً آخر بعد ذلك إن شاء الله.

٨- العيون والعلل: في خبر يزيد بن سلام أنه سأل النبي ﷺ ما بال الشمس والقمر لا يستويان في الضوء والنور قال لما خلقهما الله عز وجل أطاعا ولم يعصيا شيئاً فأمر الله عز وجل جبرئيل أن يحو ضوء القمر فمحا فأثر المحو في القمر خطوطاً سوداء ولو أن القمر ترك على حاله بمنزلة الشمس لم يمح لما عرف الليل من النهار ولا النهار من الليل ولا علم الصائم كم يصوم ولا عرف الناس عدد السنين وذلك قول الله عز وجل ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّلْبَصِيرَةِ لَنَبَيِّنَنَّ أَفْئِدَةً وَنَسْنِسَ لِّلْغَيْبِ﴾ (١) قال صدقت يا محمد فأخبرني لم سمي الليل ليلاً قال لأنه يلايل الرجال من النساء جعله الله عز وجل ألقاً ولباساً وذلك قول الله عز وجل ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ (٢) قال صدقت يا محمد (٣) الخبر.

بيان: يظهر من الخبر أن الليل مشتق من الملايلة وهي بمعنى الموافقة والموافقة والمشهور عند اللغويين عكس ذلك قال الفيروزآبادي لا يلته استجرته لليلة وعامله ملايلة كميامة. (٤)

٩- العلل والعيون: في خبر الشامي أنه سأل أمير المؤمنين ع عن طول الشمس والقمر وعرضها قال تسعمائة فرسخ (٥) الخبر.

١٠- الإحتجاج: عن الأصمعي قال سأل ابن الكواء أمير المؤمنين ع عن المحو الذي يكون في القمر قال ﷺ الله أكبر الله أكبر (٦) رجل أعمى يسأل عن مسألة عمية أما سمعت الله تعالى يقول ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ (٧) الخبر (٨).
العياشي: عن أبي الطفيل مثله (٩).

بيان: عن مسألة عمية أي غامضة مشتبهة يصعب فهمها.

١١- تفسير علي بن إبراهيم: في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر ع في قوله ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْفِي لَهَا أَن تَذَرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (١٠) يقول الشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل لا ينفي للشمس أن تكون مع ضوء القمر بالليل ولا يسبق الليل النهار يقول لا يذهب الليل حتى يدركه النهار ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يقول يجيء (١١) وراء الفلك بالاستدارة. (١٢)

(١) سورة الإسراء، آية: ١٢.

(٢) عجل الشرائع ص ٤٧٠ باب ٢٢٢ (النوادر) حديث ٣٣، ولم نشر عليه في العيون.

(٣) القاموس المحيط ج ٤ ص ٤٩.

(٤) عيون الأخبار ج ١ ص ٢٤١ وعلل الشرائع ص ٥٩٣ باب ٣٨٥ باب (نوادير العلل) حديث ٤٤.

(٥) في المصدر: «الله أكبر ثلاث مرات».

(٦) الإحتجاج ج ١ ص ٦١٥ رقم ١٣٩.

(٧) سورة يس، آية: ٤٠.

(٨) تفسير علي بن إبراهيم القمي ج ٢ ص ٢١٤.

(٩) في نسخة من المصدر: «يجري».

(١٠) سورة الإسراء، آية: ١٢.

(١١) في نسخة من المصدر: «يجري».

بيان: يجيء وراء الفلك لعل المعنى تابعا لسير الفلك فكأنه وراءه.

١٢- العيون: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن إبراهيم بن مهزيار عن أخيه علي عن أحمد بن محمد عن حماد بن عثمان عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال إذا كان يوم القيامة أتى بالشمس والقمر في صورة ثورين عقيرين^(١) فيقذفان بهما وبعن يعبدهما في النار وذلك أنهما عبدا فرضيا.^(٢)

بيان: قال في النهاية في حديث كعب بن الأشعث عن النبي صلى الله عليه وآله إن الشمس والقمر ثوران عقيران في النار قبل لما وصفهما الله تعالى بالسباحة في قوله ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(٣) ثم أخبر أنه يجعلهما في النار يعذب بهما أهلها بحيث لا يبرحانها صارا كأنهما زمان عقيران حكى ذلك أبو موسى وهو كما تراه^(٤) وقال العقير المنحور لأنهم كانوا إذا أرادوا^(٥) نحر البعير عقروه أي قطعوا إحدى قوائمه ثم نحره.

١٣- التفسير: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَحَوَّنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾^(٦) قال المصنف في القمر.^(٧)

١٤- الإحتجاج: عن هشام بن الحكم قال سألت الزنديق أبا عبد الله عليه السلام عن الشمس أين تغيب قال إن بعض العلماء قالوا^(٨) إذا انحدرت أسفل القبة دار بها الفلك إلى بطن السماء صاعدة أبدا إلى أن تنحط إلى موضع مطلعها يعني أنها تغيب في عين حامية ثم تخرق الأرض راجعة إلى موضع مطلعها فتحير تحت العرش حتى يؤذن لها بالطلوع و يسلب نورها كل يوم و تتجلل^(٩) نورا آخر قال فخلق النهار قبل الليل قال نعم خلق النهار قبل الليل والشمس قبل القمر والأرض قبل السماء^(١٠) الخير.

بيان: قوله عليه السلام صاعدة أشار عليه السلام بذلك إلى أن الشمس إذا غابت عندنا تطلع على قوم آخرين فهي عندهم صاعدة إلى أن تصل إلى قمة الرأس عندهم وهي قمة القدم عندنا ثم تنحط عندهم إلى أن تصل إلى مشرقنا وتحيرها وإذنها لعلها كنيان عن أنها مسخرة للرب متحركة بقدرته إذا شاء حركها ومتى شاء سكنها ففي كل آن من آتات حركتها في مطلع قوم و طلوها عليهم بإذنه وقدرته سبحانه ولو شاء لجعلها ساكنة ولما كان الباقي في البقاء محتاجا إلى المؤثر فهي في كل آن باعتبار إمكانها مسلوقة النور والصفات والوجود بحسب ذاتها وإنما تكتسب جميع ذلك من خالقها ومديرها فهي في جميع الأوقات والأزمان تحت عرش الرحمن وقدرته متحيرة في أمرها ساجدة خاضعة لربها تسأله بلسان إمكانها وافتقارها الإذن في طلوها وغروبها وتكسي حلة من نوره تعالى والقائلون بتجدد الأمثال يمكنهم التمسك بأمثال هذا الخبر لكن على ما حققناه لا دلالة لها على مذهبيهم وإنما أومأت لك إلى بعض الأسرار ليتمكنك فهم غوامض الأخبار وقد مر تحقيق خلق النهار قبل الليل في الباب الأول.

١٥- التوحيد: عن الحسين بن أحمد بن إدريس عن أبيه عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان عن عاصم بن حميد عن أبي عبد الله عليه السلام قال الشمس جزء من سبعين جزءا من نور الكرسي والكرسي جزء من سبعين جزءا من نور العرش والعرش جزء من سبعين جزءا من نور الحجاب والحجاب جزء من سبعين جزءا من نور السترة^(١١) الخير.

١٦- قصص الراوندي: بالإسناد إلى الصدوق عن محمد بن الحسن بن الوليد عن محمد بن الحسن الصفار عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحجاج عن العلاء عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال إن موسى سأل ربه أن يعلمه زوال الشمس فوكل الله بها ملكا فقال يا موسى قد زالت الشمس فقال موسى متى فقال حين أخبرتك وقد سارت خمسمائة عام.^(١٢)

(١) في المصدر: «عقيرين».

(٢) لم نثر عليه في العيون، وعثرنا عليه في علل الشرائع ج ٢ ص ٦٠٥ رقم ٧٨ باب (نوادر العلل).

(٣) سورة الأنبياء، آية: ٣٣.

(٤) النهاية ج ٣ ص ٢٧٥.

(٥) في المصدر: «أي الجزور المنحور». يقال جمل عقير وناقة عقير. قيل: كانوا إذا أرادوا.

(٦) سورة الإسراء، آية: ١٢.

(٧) في المصدر: «قال».

(٨) الإحتجاج ج ٢ ص ٢٤٩ رقم ٢٢٢.

(٩) في المصدر: «تجلل».

(١٠) الإحتجاج ج ٢ ص ١٠٨ باب ٨ حديث ٣.

(١١) قصص الراوندي ص ١٦١ في ذكر موسى بن عمران عليه السلام.

١٧- العياشي: عن أبي بصير عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ (١) قال هو السواد الذي في جوف القمر. (٢)

١٨- ومنه: عن نصر بن قابوس عن أبي عبد الله عليه السلام قال السواد الذي في القمر محمد رسول الله. (٣)

بيان: يحتمل أن يكون المراد أن هذا السواد لما كان من أعظم أسباب نظام العالم كما مر و العلة الثانية لخلق العالم ونظامه هو كونه يدل عليه أو أنه لما دل على حكمة الصانع وعدم توفيقه ما فيه صلاح الخلق و رسالته ﷺ أعظم المصالح فهو يدل عليه مع أنه لا حاجة إلى هذه التكلفات و يمكن حمله على الحقيقة.

١٦٢
٥٨

١٩- العياشي: عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال قال أمير المؤمنين عليه السلام تغرب الشمس في عين حامية في بحر دون المدينة التي تلي (٤) المغرب يعني جابلقا. (٥)

٢٠- كتاب النجوم للسيد بن طاوس بأسانيده إلى محمد بن إبراهيم النعماني في كتاب الدلائل عن محمد بن همام عن محمد بن موسى بن عبيد عن إبراهيم بن أحمد القيطيني قال حدثني أين ذي العلمين قال كنت واقفا بين يدي ذي الرئاستين بخراسان في مجلس المأمون و قد حضره أبو الحسن الرضا عليه السلام فجرى ذكر الليل و النهار و أهما خلق قبل فخاصوا في ذلك و اختلفوا ثم إذا الرئاستين سألا الرضاعن ذلك و عما عنده فيه فقال له أتجب أن أعطيك الجواب من كتاب الله أو من حسابك فقال أريده أولا من جهة الحساب فقال أليس (٦) تقولون إن طالع الدنيا (٧) السرطان و إن الكواكب كانت في شرفها قال نعم قال فزحل في الميزان و المشتري في السرطان و المريخ في الجدي و الزهرة في الحوت و القمر في الثور و الشمس في وسط السماء في الحمل (٨) و هذا لا يكون إلا نهارا قال نعم فمن كتاب الله قال قول الله عز و جل ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ (٩) أي النهار يسبقه.

قال السيد و رويانه أيضا بعدة أسانيد عن ابن جمهور العمي و كان عالما فاضلا في كتاب الواحدة قال و من مسائل ذي الرئاستين للرضا عليه السلام أنهم تذكروا بين يدي المأمون خلق الليل و النهار فبعض قال خلق الله النهار قبل الليل و بعض قال خلق الليل قبل النهار فرجعوا بالسؤال إلى أبي الحسن عليه السلام فقال إن الله جل ذكره خلق النهار قبل الليل و خلق الضياء قبل الظلمة فإن شئتم أوجدتكم (١٠) من القرآن و إن شئتم أوجدتكم (١١) من النجوم فقال ذو الرئاستين أوجدنا من الجهتين جميعا فقال أما النجوم فقد علمت أن طالع العالم السرطان ولا يكون ذلك إلا و الشمس في بيت شرفها في نصف النهار و أما القرآن ألم تسمع إلى قوله تبارك و تعالى ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ (١٢) الآية.

١٦٢
٥٨

٢١- ومنه: نقلا من كتاب ابن جمهور أيضا بإسناده أن أمير المؤمنين عليه السلام لما صعد المنبر و قال سلوني قبل أن تفقدوني قال فقام إليه رجل فسأله عن السواد الذي في القمر فقال عليه السلام أعمى سألت عن عيائه أما سمعت الله عز و جل يقول ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَ جَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ (١٣) و السواد (١٤) الذي تراه في القمر إن الله عز و جل خلق من نور عرشه شمسين فأمر جبرئيل فأمر جناحه الذي سبق من علم الله جلست عظمته لما أراد أن يكون من اختلاف الليل و النهار و الشمس و القمر و عدد الساعات و الأيام و الشهور و السنين و الدهور و الارتحال و النزول و الإقبال و الإديار و الحج و العمرة و محل الدين و أجر الأجير و عدد أيام الحبل (١٥) و المطلقة و المتوفى عنها زوجها و ما أشبه ذلك. (١٦)

بيان: الذي أي على الذي سبق في علم الله أن يكون قمرا و الظاهر أنه كان هكذا على أحدهما للذي سبق.

(١) سورة الإسراء، آية: ١٢. (٢) تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٨٣ حديث ٢٨.

(٣) تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٨٣ حديث ٢٩. (٤) في المصدر إضافة: «ما يلي».

(٥) تفسير العياشي ج ٢ ص ٣٥٠ حديث ٨٣. (٦) في المصدر: «السم».

(٧) في نسخة من المصدر: «العالم». (٨) في المصدر: «بالحمل».

(٩) سورة يس، آية: ٤٠. (١٠) في المصدر إضافة: «ذلك».

(١١) فرج المهرم ص ٩٥ - ٩٦ باب ٣ حديث ١٣ - ١٤، والآية من سورة يس ٤٠. (١٢) سورة الإسراء، آية: ١٢.

(١٣) سورة الإسراء، آية: ١٢. (١٤) في المصدر: «فالمحو السواد».

(١٥) في المصدر: «الحمل». (١٦) فرج المهرم ص ٩٧.

٢٢- الكافي: عن علي بن إبراهيم عن أخيه إسحاق بن إبراهيم عن محمد بن إسماعيل بن بزيع عن الرضا عليه السلام قال قلت له بلغني أن يوم الجمعة أقصر الأيام قال كذلك هو قلت جعلت فداك كيف ذلك قال إن الله تعالى يجمع أرواح المشركين تحت عين الشمس فإذا ركدت الشمس عذب الله أرواح المشركين بركود الشمس ساعة فإذا كان يوم الجمعة لا يكون للشمس ركود رفع الله عنهم العذاب لفضل يوم الجمعة فلا يكون للشمس ركود. (١)

٢٣- الإختصاص: عن محمد بن أحمد العلوي عن أحمد بن زياد عن علي بن إبراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس عن أبي الصباح الكناني قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾ (٢) الآية فقال إن للشمس أربع سجديات كل يوم و ليلة (٣) سجدة إذا صارت (٤) في طول السماء قبل أن يطلع الفجر قلت بلى جعلت فداك قال ذاك الفجر الكاذب لأن الشمس تخرج ساجدة و هي في طرف الأرض فإذا ارتفعت من سجودها طلع الفجر ودخل وقت الصلاة و أما السجدة الثانية فإنها إذا صارت في وسط القبة و ارتفع النهار ركدت قبل الزوال فإذا صارت بحذاء العرش ركدت و سجدت فإذا ارتفعت من سجودها زالت عن وسط القبة فيدخل وقت صلاة الزوال و أما السجدة الثالثة أنها إذا غابت من الأفق خرت ساجدة فإذا ارتفعت من سجودها زال الليل كما أنها حين زالت وسط السماء دخل وقت الزوال زوال النهار. (٥)

بيان: السجود في الآية بمعنى غاية الخضوع والتذلل والانتقاد سواء كان بالإرادة والاختيار أو بالقهر والاضطرار فالجمادات لما لم يكن لها اختيار وإرادة فهي كاملة في الانتقاد والخضوع لما أراد الرب تعالى منها فهي على الدوام في السجود والانتقاد للمعبود والتسبيح والتعظيم له سبحانه بلسان الذل والإمكان والافتقار وكذا الحيوانات العجم وأما ذوو العقول فلما كانوا ذوي إرادة واختيار فهم من جهة الإمكان والافتقار والانتقاد للأمور التكوينية كالجمادات في السجود والتسبيح. ومن حيث الأمور الإرادية والتكليفية منقسمون بقسمين منهم الملائكة وهم جميعا معصومون ساجدون متقادون من تلك الجهة أيضا ولعل المراد بقوله ﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ (٦) هم وأما الناس فهم قسمان قسم مطيعون من تلك الجهة أيضا ومنهم عاصون من تلك الجهة وإن كانوا مطيعين من الجهة الأخرى فلم يأت منهم غاية ما يمكن منهم من الانتقاد فلذا قسمهم سبحانه إلى قسمين فقال ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ (٧) فإذا حققت الآية هكذا لم تحتاج إلى ما تكلفه المفسرون من التفسيرات والتأويلات وسيأتي بعض ما ذكره في هذا المقام و أما الخير فلعله كان ثلاث سجديات أو سقط الرابع من النسخ ولعله بعد زوال الليل إلى وقت الطلوع أو قبل زوال الليل كما في النهار وإنما خص ﷺ بالسجود بهذه الأوقات لأنه عند هذه الأوقات تظهر للناس انقيادها لله لأنها تتحول من حالة معروفة إلى حالة أخرى و يظهر تغير تام في أوضاعها وأيضاً أنها أوقات معينة يترصد بها الناس لصلواتهم وصيامهم وسائر عباداتهم ومعاملاتهم وأيضاً لما كان هبوطها وانحدارها وأقولها من علامات إمكانها وحدوثها كما قال الخليل عليه السلام ﴿لَا أَحِبُّ إِلَّا قَلِيلِينَ﴾ (٨) خص السجود بتلك الأحوال أو بما يشرف عليها والله يعلم أسرار الآيات والأخبار وحججه الأبرار ﷺ.

٢٤- الإختصاص: قال الصادق عليه السلام إذا كان عند غروب الشمس وكل الله بها ملكا ينادي أيها الناس أقبِلوا على ربكم فإن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى وملك موكل بالشمس عند طلوعها ينادي يا ابن آدم لد الموت و ابن للخراب و اجمع للفناء. (٩)

٢٥- كتاب الغارات: لإبراهيم الثقفي رفعه إلى أبي عمران الكندري قال سأل ابن الكواء أمير المؤمنين عليه السلام عن

(١) فروغ الكافي ج ٣ ص ٤١٦ باب فضل يوم الجمعة وليته - حديث ١٤.

(٢) سورة الحج، آية: ١٨.

(٣) في المصدر إضافة: «في طرف الأفق حين يخرج الفلك من الأرض إذا رأيت البياض الضبي» بين معقوتين.

(٤) سورة الحج، آية: ١٨.

(٥) سورة الحج، آية: ١٨.

(٦) سورة الحج، آية: ١٨.

(٧) سورة الحج، آية: ١٨.

(٨) سورة الحج، آية: ١٨.

(٩) الإختصاص ص ٢٣٤.

السواد الذي في جوف القمر قال إن الله عز وجل يقول ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحْوُنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾^(١) السواد الذي في جوف القمر قال فكمن بين المشرق والمغرب قال مسيرة يوم للشمس تطلع من مطلعها فتأتي مغربها من حدثك غير ذلك كذبتك.^(٢)

٢٦- العلل: لمحمد بن علي بن إبراهيم قال العالم علة رد الشمس على أمير المؤمنين ع و ما طلعت على أهل الأرض كلهم أنه جلت الله السماء بالغمام إلا الموضع الذي كان فيه أمير المؤمنين ع وأصحابه فإنه جلاه حتى طلعت عليهم قال و العلة في قصر يوم الجمعة أن الله يجمع الأرواح الكفار والمشركون فيعذبهم تحت عين الشمس إلا يوم الجمعة فإنه ليس للشمس ركود ولا يعذب الكفار لفضل يوم الجمعة.^(٣)

٢٧- تفسير علي بن إبراهيم: في قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ غَادَ كَأَنَّ الْوُجُونَ الْقَدِيمَ﴾ قال العرجون طلع النخل وهو مثل الهلال في أول طلوعه. قال و حدثني أبي عن داود بن محمد النهدي^(٤) قال دخل أبو سعيد المكاربي على أبي الحسن الرضا ع فقال له أبلغ من قدرك أن تدعي ما ادعى أبوك فقال له الرضا ع ما لك أطفأ الله نورك و أدخل الفقر بيتك ما علمت أن الله أوحى إلى عمران أني واهب لك ذكرا فوهب له مريم و وهب لمريم عيسى فعيسى من مريم و مريم من عيسى و مريم و عيسى^(٥) واحد و أنا من أبي و أبي مني و أنا و أبي شيء واحد فقال له أبو سعيد فأسألك عن مسألة قال سل و لا إخالك تقبل مني و لست من غنمي و لكن هاتها فقال له ما تقول في رجل قال عند موته كل مملوك له قديم فهو حر لوجه الله قال نعم ما كان لسته أشهر فهو قديم و هو حر لأن الله يقول ﴿وَالْقَوْمَ قَدْ زَانَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ غَادَ كَأَنَّ الْوُجُونَ الْقَدِيمَ﴾^(٦) فما كان لسته أشهر فهو قديم و هو حر قال فخرج من عنده و افتقر و ذهب بصره ثم مات لعنه الله و ليس عنده مبيت ليلة.^(٧)

بيان: هذا التفسير للعرجون غريب لم أره في غير هذا الكتاب و لا يناسب وصفه بالقديم أيضا و في القاموس الطلع من النخل شيء يخرج كأنه نعلان مطبقان أو ما يبدو من ثمرته في أول ظهورها^(٨).

و أبو سعيد كان من الواقعة و كان ينكر إمامة الرضا ع و إطفاء النور كناية عن ذهاب العز أو ذهاب نور البصر و لعل جوابه ع مبني على أن الواقعة كانوا متمسكين بما روي عن الصادق ع أن القائم ع من ولدي فأجاب عن استدلالهم بأن ولد الولد أيضا ولد و لو سلم كونه مجازا فعلاقة المجاز هنا قوية للاتحاد في الكمالات و الأنوار و في القاموس خال الشيء خيلولة ظنه و تقول في مستقبله إخاله بكسر الألف و يفتح^(٩) في لغية^(١٠) قوله و لست من غنمي أي ممن يقول بإمامتي و من شيعتي و ليس عنده مبيت ليلة أي قوت ليلة.

٢٨- الفقيه: بإسناده عن محمد بن مسلم أنه سأل أبا جعفر ع عن ركود الشمس فقال يا محمد ما أصغر جنتك و أعضل مسألتك و إنك لأهل للجواب إن الشمس إذا طلعت جذبها سبعون ألف ملك بعد أن أخذ بكل شعاع منها خمسة آلاف من الملائكة من بين جاذب و دافع حتى إذا بلغت الجو و جازت الكوة قلبها ملك النور ظهر البطن فصار ما يلي الأرض إلى السماء و بلغ شعاعها تخوم الأرض^(١١) فعند ذلك نادى الملائكة سبحان الله و لا إله إلا الله و اتخذ لله الذي لم يتخذ صاحبة و لا ولدًا و لم يكن له شريك في الملك و لم يكن له ولي من الدن و كبره تكثيراً فقلت^(١٢) له جعلت فداك أحافظ على هذا الكلام عند زوال الشمس فقال نعم حافظ عليه كما تحافظ على عينك^(١٣) فإذا زالت الشمس صارت الملائكة من ورائها يسبحون الله في فلك الجو إلى أن تغيب.^(١٤)

(٢) الفارات ج ١ ص ١٧٩ و ١٨٠.

(٤) في المصدر: «الفهري».

(٦) سورة يس، آية: ٣٩.

(٨) القاموس المحيط ج ٣ ص ٦١.

(١٠) القاموس المحيط ج ٣ ص ٣٨٣.

(١٢) في المصدر: «فقلت له».

(١) سورة الإسراء، آية: ١٢.

(٣) لم نثر على كتاب اللؤلؤ لمحمد بن علي بن إبراهيم هذا.

(٥) في المصدر: «و مريم و عيسى شيء واحد».

(٧) تفسير علي بن إبراهيم القمي ج ٢ ص ٢١٥.

(٩) في المصدر: «تفتح».

(١١) في المصدر: «العرش».

(١٣) في المصدر: «عينيك».

(١٤) من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ١٤٥ باب ٣٤ (ركود الشمس) حديث ٦٧٤.

٢٩- وسئل الصادق عليه السلام عن الشمس كيف تركد كل يوم ولا يكون لها يوم الجمعة ركود قال لأن الله عز وجل جعل يوم الجمعة أضيئ الأيام فليل له ولم يجعله أضيئ الأيام قال لأنه لا يعذب المشركين في ذلك اليوم لرحمته عنده. (١)

بيان: الركود السكون والثبات ما أصغر جثتك تعجب من أن الإنسان مع هذا الصغر يطلب فهم معاني الأمور ودقاتها أو تأديب له بأنه لا ينبغي له أن يتكلف علم ما لم يؤمر بعلمه وقال في النهاية أصل الفضل المنع والشدة يقال أعزل بي الأمر إذا ضاقت عليك فيه الحيل ومنه حديث عمر أعوذ بالله من كل معضلة ليس لها أبو حسن وروي معضلة أراد المسألة الصعبة أو الخطة الضيقة المخارج من الإغصان أو التعضيل ويريد بأبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام (٢) بعد أن أخذ ليس في بعض النسخ بعد أن وعلى التقديرين يحتمل أن يكون خمسة آلاف من جملة السبعين أو غيرهم وإن كان الثاني على النسخة الأولى أظهر من بين جاذب ودافع على الأول يكون المعنى أن هؤلاء السبعين مردودون من بين جاذب يجذبها قدامها ودافع يدفعها من خلفها ومنقسمون إليهما أو الشمس كائنة بين جاذب ودافع من تلك السبعين فالمراد بالجذب أولا ما يصير سببا للحركة أعم من أن يكون بالجذب أو الدفع أو يكون نسبة الجذب إلى الجميع على المجاز وعلى الثاني فالمعنى أن الشمس واقعة بين جاذب من سبعين ألف ملك ودافع من خمسة آلاف وعلى الوجهين يحتمل أن يكون المراد بحركة الجذب الحركة اليومية السريعة على خلاف التوالي التابعة لحركة الفلك الأطلس التي يحصل اليوم والليل منها وبحركة الدفع حركة الفلك الرابع الذي فيه الشمس على التوالي البروج وهي بطيئة تقطع بها في كل سنة دورة فالمعنى أن الشمس إذا طلعت جذبتها الملائكة السبعون ألفا إلى المغرب بالحركة اليومية مع أنه أخذ بكل شعاع منها أو بمكان كل شعاع منها خمسة آلاف من الملائكة تدفعها إلى جانب المشرق بالحركة الخاصة بتفسير الشمس بقدر فضل ما بين الحركتين حتى إذا بلغت الجوأي وسط السماء مجازا وفي الأصل ما بين السماء والأرض وجازت الكوة في بعض النسخ بدون البناء وفي القاموس الكوة وبضم والكوة الخرق في الحائط أو التذكير للكبير والتأنيث للصغير والجمع كوى وكوا (٣) انتهى أي خرجت أشعة الشمس من الكوى المشرقية وذلك عند قرب الزوال وربما يؤول الكوة بدائرة نصف النهار على الاستعارة قلبها ملك النور ربما يؤول ذلك بأنه لما كانت الشمس صاعدة كان الجانب الذي منها يلي المشرق تحت الجانب الغربي منها فإذا جازت نصف النهار وانحدرت صار الأمر بالعكس وصار ما كان يلي الأرض أي الجانب الشرقي إلى السماء أي إلى جهة الفوق فلذا نسب إليه القلب ولا يخفى أنه على هذا يصير الكلام قليل الجدوى مع أن ظاهره غير ممتنع والتخوم جمع التخيم وهو منتهى كل قرية وأرض ولعل المراد بفلك الجو جو الفلك أي ما بين السماء الرابعة والخامسة.

ثم إنه يرد الإشكال على هذه الأخبار من وجوه الأول أن ركود الشمس حقيقة مخالف لما يشهد به الحس من عدم التفاوت في أجزاء النهار وقطع قسي مدارات الشمس والثاني أن الشمس في كل آن في نصف النهار لقوم فيلزم سكون الشمس دائما الثالث أن التفاوت بين يوم الجمعة وغيره أيضا مما يشهد الحس بخلافه الرابع أن حرارة الشمس ليس باعتبار جرمه حتى يقع تعذيب أرواح المشركين بتقريرهم من عين الشمس بل باعتبار انعكاس الأشعة عن الأجسام الكثيفة ولذا كلما بعد عن الأرض كان تأثير الحرارة فيه أخف.

ويمكن الجواب عن الأول والثالث بأنه يمكن أن يكون الركود قليلا لا يظهر في الآلات التي تعرف بها الساعات ولا يمكن الحكم على التواسع والعواشر وأقل منها على اليقين وإنما مبناهما على التخمين وعن الثاني بأنه يمكن أن يكون المراد نصف نهار موضع خاص كمكة أو المدينة أو قبة الأرض وأورد عليه بأنه يلزم أن يقع الركود في البلاد الآخر في الضحى أو في العصر ولا يلتزمه أحد وعن الرابع بأنه يمكن أن يكون للشمس حرارتان حرارة من جهة الجرم وأخرى من جهة الانعكاس وما قيل من أن الفلكيات لا تقبل تلك الكيفيات لم يثبت بدليل قاطع وربما يؤول

(١) من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ١٤٥ و ١٤٦ باب ٣٤ (ركود الشمس) حديث ٦٧٥.

(٢) القاموس المحيط ج ٤ ص ٣٨٦.

(٣) النهاية ج ٣ ص ٢٥٤.

الركود بوجهين الأول أنه عند القرب من نصف النهار يحس بحركة الشمس في غاية البطء، فكأنه ساكن فأطلق الركود عليه مجازاً أو بأنه يعدم الظل عند الزوال في بعض البلاد فلا حركة للظل حينئذ فركود الشمس ركود ظله و ما قبل من أن المراد ركود الظل بناء على ما تقرر من أن بين كل حركتين مستقيمتين سكون فلا بد من سكون بين زيادة الظل و نقصانه فلا يخفى بعد حمل الركود على مثل ذلك جداً مع أن نسبة الحركة إلى الظل مجاز بل هو إيجاد لبعض أجزاء الظل و إعدام له و على تقدير كونه حقيقة فليست بحركة مستقيمة الثاني أنه لما كانت أيام الراحة عند الناس سريعة الانقضاء و أيام الشدة طويلة فيوم الجمعة عند المشركين قصيرة لعدم تعذيبهم عند زوال الشمس فيه و سائر الأيام طويلة عندهم لتعذيبهم عند زواله فالمراد بقول السائل في الخبر الثاني كيف تركد ما معنى ركودها فأجاب رضي الله عنه بأن المراد هذا الركود و الضيق المجازيان و ربما يحمل ضيق الجمعة و قصره على أن أعمال المؤمنين فيه كثيرة لا يسع اليوم لها فكانه لا تركد فيه الشمس و لا يخفى بعد هذه الوجوه كلها و الأولى في أمثال ذلك عدم الخوض فيها و التسليم لها بأي معنى صدرت عنهم رضي الله عنه على تقدير صحتها فإنها من متشابهات الأخبار و معضلات الآثار و لا يعلم تأويلها إلا الله و الراسخون في العلم.

٣٠- الفقيه: بسنده الصحيح عن حريز بن عبد الله أنه قال كنت عند أبي عبد الله رضي الله عنه فسأله رجل فقال له جعلت فداك إن الشمس تنقض ثم تركد ساعة من قبل أن تزول فقال إنها تؤامر أتزول أم لا تزول. (١)

بيان: انقضاء الطائر هويها ليقع و هذا أسرع ما يكون من طيرانه و المراد هنا سرعة حركة الشمس عند الصعود و ركودها بطء حركتها و المؤامرة إما من الملائكة الموكلين بها أو هي استعارة تمثيلية شبهت حالة الشمس في سرعتها عند الصعود و ركودها ثم إسرائها في الهبوط بمن أنى سلطاناً قاهراً ثم أمره هل يذهب إلى حاجة أخرى أم لا و الغرض هنا ليس محض الاستعارة بل بيان أن جميع المخلوقات مقهورة بقهره سبحانه مسخرة لأمره و كل ما يقع منها بتقديره و تدبيره تعالى.

٣١- الفقيه: عن الصادق رضي الله عنه قال إن الله تبارك و تعالى أوحى إلى موسى بن عمران رضي الله عنه أن أخرج عظام يوسف رضي الله عنه من مصر و وعده طلوع القمر فأبطأ طلوع القمر عليه فسأل عن يعلم موضعه ف قيل له ها هنا عجوز تعلم علمه فبعث إليها فأتي بعجوز مقعدة عمياء فقال تعرفين قبر يوسف قالت نعم قال فأخبريني بموضعه قالت لا أفعل حتى تعطيني خصلاً تطلق رجلي و تعيد إلي بصري و ترد إلي شياي و تجعلني معك في الجنة فكبر ذلك على موسى رضي الله عنه فأوحى الله عز و جل إليه إنما تعطي علي فأعطها ما سألت ففعل فدلته على قبر يوسف رضي الله عنه فاستخرجه من شاطئ النيل في صندوق مرمر فلما أخرجه طلع القمر فحمله إلى الشام. (٢)

أقول: قد مر نقلاً عن العيون عن الرضا رضي الله عنه أنه قال احتبس القمر عن بني إسرائيل فأوحى الله عز و جل إلى موسى رضي الله عنه أن أخرج عظام يوسف من مصر و وعده طلوع القمر إذا أخرج عظامه فسأل موسى عن يعلم موضعه و ساق الخبر كما مر (٣).

بيان: يدل رداً على الفلاسفة على جواز الاختلاف في حركة الفلكيات و منعها عن الحركة بإذن خالق الأرضين و السماوات.

٣٢- المتهجد: روى محمد بن إسماعيل بن بزيع عن أبي الحسن الرضا رضي الله عنه قال قلت بلغني أن يوم الجمعة أقصر الأيام قال كذلك هو قلت جعلت فداك كيف ذاك قال قال أبو عبد الله رضي الله عنه إن الله يجمع (٤) أرواح المشركين تحت عين الشمس فإذا كدرت (٥) الشمس عذبت أرواح المشركين بركود الشمس فإذا كان يوم الجمعة رفع عنهم العذاب لفضل يوم الجمعة فلا يكون للشمس ركود. (٦)

(١) من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ١٤٦ باب ٣٤ (ركود الشمس) حديث ٦٧٦.

(٢) من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ١٢٣ و ١٢٤ باب ٢٧ (النوادر) حديث ٥٩٤.

(٣) عيون الأخبار ج ١ ص ٢٥٩ باب ٢٦ حديث ١٨. (٤) في المصدر إضافة: «فيه».

(٥) في المصدر: «ركبت». (٦) مصباح المتهجد ص ٢٨٣.

٣٣- توحيد المفضل: فكر يا مفضل في مقادير النهار والليل كيف وقعت على ما فيه صلاح هذا الخلق فصار منتهى كل واحد منهما إذا امتد إلى خمس عشرة ساعة لا يجاوز ذلك أفرأيت لو كان النهار يكون مقداره مائة ساعة أو مائتي ساعة ألم يكن في ذلك بوار كل ما في الأرض من حيوان و نبات أما الحيوان فكان لا يهدأ ولا يقر طول هذه المدة ولا البهائم كانت تمسك عن الرعي لو دام لها ضوء النهار ولا الإنسان كان يفتر عن العمل والحركة وكان ذلك سيهلكها^(١) أجمع ويؤديها إلى التلف وأما النبات فكان يطول عليه حر النهار وهج الشمس حتى يجف ويحترق وكذلك الليل لو امتد مقدار هذه المدة كان يعوق أصناف الحيوان عن الحركة والتصرف في طلب المعاش حتى تموت جوعا وتخذ الحرارة الطبيعية من النبات حتى يعفن ويفسد كالذي تراه يحدث على النبات إذا كان في موضع لا تطلع عليه الشمس.

اعتبر بهذا الحر والبرد كيف يتعاروان العالم ويتصرفان هذا التصرف من الزيادة والنقصان والاعتدال لإقامة هذه الأزمنة الأربعة من السنة وما فيهما من المصالح ثم هما بعد دباغ الأبدان التي عليها بقاؤها وفيها صلاحها فإنه لو لا الحر والبرد وتداولهما الأبدان لفست وأخوت وانتكست فكر في دخول أحدهما على الآخر بهذا التدريج والترسل فإنك ترى أحدهما ينقص شيئا بعد شيء والآخر يزيد مثل ذلك حتى ينتهي كل واحد منهما منتهاه في الزيادة والنقصان ولو كان دخول أحدهما على الآخر مفاجأة لأضر ذلك بالأبدان وأسقمها كما أن أحكم لو خرج من حمام حار إلى موضع البرودة لضربه ذلك وأسقم بدنه فلم جعل^(٢) الله عز وجل هذا الرسل^(٣) في الحر والبرد إلا للسلامة من ضرر المفاجأة ولم جرى الأمر على ما فيه السلامة من ضرر^(٤) المفاجأة لو لا التدبير في ذلك فإن زعم زاعم أن هذا الترسل في دخول الحر والبرد إنما يكون لإبطاء مسير الشمس في الارتفاع والانحطاط^(٥) سئل عن العلة في إبطاء مسير الشمس في ارتفاعها وانحطاطها فإن اعتل في الإبطاء ببعد ما بين المشرقين سئل عن العلة في ذلك فلا تزال هذه المسألة ترقى معه إلى حيث رقي من هذا القول حتى استقر على العدد والتدبير لو لا الحر لما كانت الشمار الجاسية المرأة تتضج فتلين وتعذب حتى يتفكه بها رطبة ويابسة ولو لا البرد لما كان الزرع يفرخ هكذا ويربع الربيع الكثير الذي يتسع للوقت وما يرد في الأرض للبذر أفلا ترى ما في الحر والبرد من عظيم الغناء والمنفعة وكلاهما مع غنائه والمنفعة فيه يؤلم الأبدان ويضعها وفي ذلك عبرة لمن فكر ودلالة على أنه من تدبير الحكيم في مصلحة العالم وما فيه.^(٦)

توضيح: قوله ﷺ لا يجاوز ذلك أي في معظم المعمورة وفي المصباح خوت الدار خلت من أهلها وخوت الإبل تخوية خمصت بطونها^(٧) وقال الفيروز آبادي خوت الدار تهدمت والنجوم خبا أمحلت فلم تمطر كأخوت وخوت^(٨) وقال المستنكث المهزول^(٩) وقال الترسل الرفق والتؤدة^(١٠) انتهى قوله ﷺ ببعد ما بين المشرقين أي المشرق والمغرب كناية عن عظم الدائرة التي يقطع عليها البروج أو مشرق الصيف والشتاء الأول أظهر قوله ﷺ الجاسية أي الصلبة حتى يتفكه بها أي يتمتع بها والربيع النماء والزيادة وقال الجوهري أمضني الجرح إمضاضا إذا وجعك وفيه لغة أخرى أمضني الجرح ولم يعرفها الأصمعي.^(١١)

٣٤- توحيد المفضل: قال قال الصادق ﷺ فإن قالوا فلم يختلف فيه أي في ذاته تعالى وصفاته^(١٢) قيل لهم لقصر الألفاظ^(١٣) عن مدى عظمتها وتعديها أقدارها في طلب معرفته وأنها تروم الإحاطة به وهي تعجز عن ذلك وما دونه فمن ذلك هذه الشمس التي تراها تطلع على العالم ولا يوقف على حقيقة أمرها ولذلك كثرت الأقاويل فيها واختلفت الفلاسفة المذكورون في وصفها فقال بعضهم هو فلك أجوف ملو نار له في مجيش بهذا الوهج والشعاع و

(٢) في المصدر: «يجعل».

(١) في المصدر: «تيكها».

(٣) في المصدر: «الترسل».

(٤) في المصدر: «ضرره».

(٥) في المصدر: «انحطاطها».

(٦) توحيد المفضل ص ١٣٧ - ١٤٠.

(٧) المصباح المنير ج ١ ص ١٨٥.

(٨) القاموس المحيط ج ٤ ص ٣٢٧ - ٣٢٨.

(٩) القاموس المحيط ج ١ ص ١٨٢.

(١٠) القاموس المحيط ج ٣ ص ٣٩٥.

(١١) الصالح ج ٢ ص ١٠٦.

(١٢) عبارة: «أي في ذاته تعالى وصفاته» ليست في المصدر.

(١٣) في المصدر: «الأرقام».

قال آخرون هو سحابة و قال آخرون هو جسم زجاجي يقبل نارية في العالم و يرسل عليه شعاعها و قال آخرون هو صفو لطيف ينعقد من ماء بحر و قال آخرون هو أجزاء كثيرة مجتمعة من النار و قال آخرون هو من جوهر خامس سوى الجواهر الأربع ثم اختلفوا في شكلها فقال بعضهم هي بمنزلة صفيحة عريضة و قال آخرون هي كالكرة المدرجة وكذلك اختلفوا في مقدارها فزعم بعضهم أنها مثل الأرض سواء و قال آخرون بل هي أقل من ذلك و قال آخرون بل هي أعظم من الجزيرة العظيمة و قال أصحاب الهندسة هي أضفاف الأرض مائة و سبعون مرة ففي اختلاف هذه الأقاويل منهم في الشمس دليل على أنهم لم يفقوا على الحقيقة من أمرها و إذا كانت هذه الشمس التي يقع عليها البصر و يدركها الحس قد عجزت العقول عن الوقوف على حقيقتها فكيف ما لطف عن الحس و استتر عن الوهم. (١)

بيان: أقول لعل ما ذكره ﷺ من قول أصحاب الهندسة قول بعض قدامائهم مع أنه قريب من المشهور كما عرفت و الاختلاف بين قدامائهم و متأخريهم في أشباه ذلك كثير.

٣٥- توحيد المفضل: قال قال الصادق ﷺ فكر يا مفضل في طلوع الشمس و غروبها لإقامة دولتي النهار و الليل فلو لا طلوعها لبطل أمر العالم كله فلم يكن الناس يسعون في معاشهم و يتصرفون في أمورهم و الدنيا مظلمة عليهم و لم يكونوا يتهنئون بالعيش مع قدومهم لذة النور و روحه و الإرب في طلوعها ظاهر مستغن بظهوره عن الإطباب في ذكره و الزيادة في شرحه بل تأمل المنفعة في غروبها فلو لا غروبها لم يكن للناس هدوء و لا قرار مع عظم حاجتهم إلى الهدوء و الراحة لسكون أبدانهم و جموع حواسهم و انبعاث القوة الهاضمة لهضم الطعام و تنفيذ الغذاء إلى الأعضاء ثم كان الحرص سيحلمهم (٢) من مداومة العمل و مطاولته على ما يعظم نكايته في أبدانهم فإن كثيرا من الناس لو لا جنوم هذا الليل لظلمت عليهم لم يكن لهم هدوء و لا قرار حرصا على الكسب و الجمع و الادخار ثم كانت الأرض تستحمي بدوام الشمس بضيائها و تحمي كل ما عليها من حيوان و نبات فقدرها الله بحكمته و تدبيره تطلع وقتا و تغرب وقتا بمنزلة سراج يرفع لأهل البيت تارة ليقتضوا حوائجهم ثم يغيب عنهم مثل ذلك ليهدوا و يقرأوا فصار النور و الظلمة مع تضادهما متقادين متظاهرين على ما فيه صلاح العالم و قوامه.

ثم فكر بعد هذا في ارتفاع الشمس و انحطاطها لإقامة هذه الأزمنة الأربعة من السنة و ما في ذلك من التدبير و المصلحة ففي الشتاء تعود الحرارة في الشجر و النبات فيتولد فيها مواد الثمار و يستكشف الهواء فينشأ منه السحاب و المطر و تشتد أبدان الحيوان و تقوى و في الربيع تتحرك و تظهر المواد المتولدة في الشتاء فيقطع النبات و تنور الأشجار و يهيج الحيوان للسفاد و في الصيف يحتدم الهواء فتتضج الثمار و تتحلل فضول الأبدان و يجف وجه الأرض فتهيأ للبناء و الأعمال و في الخريف يصفو الهواء و يرتفع الأمراض و تصح الأبدان و يمتد الليل و يمكن فيه بعض الأعمال لطوله و يطيب الهواء فيه إلى مصالح أخرى لو تقتصت لذكرها لطلال فيها الكلام.

فكر الآن في تنقل الشمس في البروج الاثني عشر لإقامة دور السنة و ما في ذلك من التدبير فهو الدور الذي تصح به الأزمنة الأربعة من السنة الشتاء و الربيع و الصيف و الخريف و يستوفيا على التمام و في هذا المقدار من دوران الشمس تدرك الغلات و الثمار و تنتهي إلى غاياتها ثم تعود فيستأنف النشوء و النمو ألا ترى أن السنة مقدار مسير الشمس من الحمل إلى الحمل فيالسنه و أخواتها يكال الزمان من لدن خلق الله تعالى العالم إلى كل وقت و عصر من غابر الأيام و بها يحسب الناس الأعمار و الأوقات الموقته للديون و الإجازات و المعاملات و غير ذلك من أمورهم و بمسير الشمس تكمل السنة و يقوم حساب الزمان على الصحة انظر إلى شروقها على العالم كيف دبر أن يكون فإنها لو كانت تبرز في موضع من السماء فتفت لا تعود لما وصل شعاعها و منفعتها إلى كثير من الجهات لأن الجبال و الجدران كانت تحجبها عنها فجعلت تطلع في أول النهار من المشرق فتشرق على ما قابلها من وجه المغرب ثم لا تزال تدور و تغشى جهة بعد جهة حتى تنتهي إلى المغرب فتشرق على ما استتر عنها في أول النهار فلا يبقى موضع من المواضع إلا أخذ بقسطه من المنفعة منها و الإرب التي قدرت له و لو تخلفت مقدار عام أو بعض عام كيف كان يكون حالهم بل كيف كان يكون لهم مع ذلك بقاء أفلا يرى الناس كيف هذه الأمور الجليلة التي لم تكن عندهم فيها حيلة فصار تجري على مجاريها لا تعتل و لا تتخلف عن مواقيتها لصلاح العالم و ما فيه بقاءه.

استدل بالقمر ففيه دلالة جلية تستعملها العامة في معرفة الشهور ولا يقوم عليه حساب السنة لأن دوره لا يستوفي الأزمنة الأربعة ونشوء الشار وتصرفها ولذلك صارت شهور القمر وسنوه تتخلف عن شهور الشمس وسنيها وصار الشهر من شهور القمر ينتقل فيكون مرة بالشتاء ومرة بالصيف فكر في إنارته في ظلمة الليل والإرب في ذلك فإنه مع الحاجة إلى الظلمة لهذه الحيوان وبرد الهواء على النبات لم يكن صلاح في أن يكون الليل ظلمة داجية لا ضياء فيها فلا يمكن فيه شيء من العمل لأنه ربما احتاج الناس إلى العمل بالليل لضيق الوقت عليهم في تقصي الأعمال بالنهار^(١) أو لشدة الحر وإفراطه فيعمل في ضوء القمر أعمالا شتى كحرث الأرض وضرب اللبن وقطع الخشب وما أشبه ذلك فجعل ضوء القمر معونة للناس على معاشهم إذا احتاجوا إلى ذلك وأنسا للسائرين وجعل طلوعه في بعض الليل دون بعض ونقص مع ذلك من نور الشمس وضياها لكيلا تنبسط الناس في العمل انبساطهم بالنهار ويمتعوا من الهدوء^(٢) والقرار فيهلكهم ذلك وفي تصرف القمر خاصة في مهله ومحافه وزيادته ونقصانه وكسوفه من التنبيه على قدرة الله خالقه المصروف له هذا التصريف لصلاح العالم ما يعتبر فيه المعتبرون.^(٣)

بيان: الدولة بالفتح والضم انقلاب الزمان ودالت الأيام دارت والله يداولها بين الناس وهذا كمنع هدها وهدها سكن ويقال نكيت في العدو نكاية إذا قتلت فيهم وجرحته وجثم الإنسان والطارث والنعام يجثم جثما وجثوما لم يبرح والمراد جثومهم في الليل والتظاهر التعاون ونور الشجر أي أخرج نوره وحدم النار شدة احتراقها والتقضي بلوغ أقصى الشيء ونهايته والغابر الباقي والماضي والمراد هنا الثاني وبزغت الشمس بزوغا شرقت أو البرزوغ ابتداء الطلوع وقال الجوهري اعتل عليه^(٤) واعتله إذا اعتاقه عن أمر انتهى وليلة داجية أي مظلمة.

٣٦- الصحيفة السجادية: صلوات الله على من ألهمها كان من دعائه ﷺ إذا نظر إلى الهلال أيها الخلق المطيع الدائب السريع المتردد في منازل التقدير المتصرف في فلك التدبير أمنت بمن نور بك الظلم وأوضح بك البهم وجعلك آية من آيات ملكه وعلامة من علامات سلطانه وامتchenk بالزيادة والنقصان والطلوع والأفول والإنارة والكسوف في كل ذلك أنت له مطيع وإلى إرادته سريع سبحانه ما أعجب ما دبر في أمرك وأطف ما صنع في شأنك جعلك مفتاح شهر حادث لأمر حادث إلى آخر الدعاء.^(٥)

تنوير:

اعلم أن الهلال إنما سمي هلالا لجريان عاداتهم برفع الأصوات عند رؤيته من الإهلال وهو رفع الصوت وقد اضطربوا في تحديد الوقت الذي يسمى فيه بهذا الاسم فقال في الصباح الهلال أول ليلة والثانية والثالثة ثم هو قمر^(٦) وزاد صاحب القاموس فقال الهلال غرة القمر أو لليلتين أو إلى ثلاث أو إلى سبع ولليلتين من آخر الشهر ست وعشرين وسبع وعشرين وفي غير ذلك قمر^(٧).

وقال في مجمع البيان اختلفوا في أنه إلى كم يسمى هلالا ومتى يسمى قمرًا فقال بعضهم يسمى هلالا لليلتين من الشهر ثم لا يسمى هلالا إلى أن يعود في الشهر الثاني وقال آخرون^(٨) يسمى هلالا ثلاث ليال ثم يسمى قمرًا وقال آخرون يسمى هلالا حتى يحجر وتحجيره أن يستدير بخط دقيق^(٩) وهذا قول الأصمعي وقال بعضهم يسمى هلالا حتى يبههر ضوءه سواد الليل ثم يقال قمر وهذا يكون في الليلة السابعة^(١٠) انتهى.

وقالوا إنما يسمى بعد الهلال قمرًا لبياضه فإن الأحمر هو الأبيض وقيل لأنه يقر الكواكب أي يغلبها بزيادة النور ويسمى في الليلة الرابعة عشر بدرًا قال في الصباح سمي بذلك لمبادرته الشمس في الطلوع كأنه يعجلها المغيب ويقال سمي^(١١) لتنامة^(١٢) انتهى أي تشبيهه بالبدر الكاملة وهي عشرة آلاف درهم.

(١) في المصدر: «في بعض الأعمال في النهار».

(٢) في المصدر: «الهدوء».

(٣) توحيد المفضل ص ١٢٨ - ١٣٢.

(٤) في المصدر إضافة: «بعلة».

(٥) الصحيفة السجادية ص ١٤٠ دعاءه ﷺ إذا نظر إلى الهلال.

(٦) الصباح ج ٣ ص ١٨٥١.

(٧) القاموس المحيط ج ٤ ص ٧١.

(٨) في المصدر: «بخطه دقيقة».

(٩) مجمع البيان ج ١ ص ٢٨٣.

(١٠) في المصدر إضافة: «بدرًا».

(١١) في المصدر إضافة: «بدرًا».

(١٢) الصباح ج ٢ ص ٥٨٧.

قال الشيخ البهائي ره يمتد وقت الدعاء بامتداد وقت التسمية هلالا و الأولى عدم تأخيرها عن الأولى عملا بالتعقبات المتفق عليه لغة و عرفا فإن لم يتيسر فعن الثانية لقول^(١) أهل اللغة بالامتداد إليها فإن فاتت فمن الثالثة لقول كثير منهم بأنها آخر لياليه.

و أما ما ذكره صاحب القاموس و شيخنا أبو علي^(٢) ره من إطلاق الهلال عليه إلى السابعة فهو خلاف المشهور لغة و عرفا و كأنه مجاز من قبيل إطلاقه عليه في اليلتين الأخيرتين^(٣) ثم قال و لو قيل بامتداد ذلك إلى ثلاث ليال لم يكن بعيدا فلو نذر قراءة دعاء الهلال عند رؤيته و قلنا بالمجازية فيما فوق الثلاث لم تجب عليه القراءة برويته فيما فوقها حملا للمطلق على الحقيقة و هل تشرع الظاهر نعم إن رآه في تمتة السبع رعاية لجانب الاحتياط فأما فيما فوقها فلا لأنه تشريع و لو رآه يوم الثلاثين فلا وجوب على الظاهر لعدم تسميته حينئذ هلالا^(٤).

قوله ﴿أَهِهَا الْخَلْقُ الْمَطْبَعُ الْخَلْقُ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرٌ بِمَعْنَى الْإِبْدَاعِ وَ التَّقْدِيرِ ثُمَّ اسْتَعْمَلَ بِمَعْنَى الْمَخْلُوقِ كَالرُّزْقِ بِمَعْنَى الْمَرْزُوقِ وَ إِطَاعَتِهِ كِتَابَةً عَنْ تَأْتِي كُلِّ مَا أَرَادَهُ سَبْحَانَهُ فِيهِ تَشْبِيهَا بِإِطَاعَةِ الْعَبْدِ لِعَوْلَاهُ الدَّائِبِ السَّرِيعِ يُقَالُ دَابُّ فُلَانٍ فِي عَمَلِهِ أَيْ جَدَّ وَ تَعَبٌ وَ جَاءَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَ سَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرَ ذَاتَيْنِ﴾^(٥) أَيْ مُسْتَمَرِّينَ فِي عَمَلِهِمَا عَلَى عَادَةٍ مُقَرَّرَةٍ جَارِيَةٍ قَالَ الشَّيْخُ الْبَهَائِيُّ رَه وَصَفَهُ ﴿الْقَمَرُ بِالسَّرْعَةِ رِمَا يُعْطَى بِحَسَبِ الظَّاهِرِ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ سُرْعَتُهُ بِاعْتِبَارِ حَرَكَتِهِ الذَّاتِيَّةِ الَّتِي يَدُورُ بِهَا عَلَى نَفْسِهِ وَ تَحْرُكِ جَمِيعِ الْكَوَاكِبِ بِهَذِهِ الْحَرَكَةِ مِمَّا قَالَ بِهِ جَمْعٌ غَيْرٌ مِنْ أَسَاطِينِ الْحُكَمَاءِ وَ هُوَ يَقْتَضِي كَوْنَ الْمَحْوِ الْمَرْتِي فِي وَجْهِ الْقَمَرِ شَيْئًا غَيْرَ ثَابِتٍ فِي جَرْمِهِ وَ إِلَّا لَتَبَدَّلَ وَضْعُهُ كَمَا قَالَهُ سُلْطَانُ الْمُحَقِّقِينَ فِي شَرْحِ الْإِشَارَاتِ^(٦) وَ الْأَظْهَرُ أَنْ مَا وَصَفَهُ بِهِ ﴿السَّرْعَةُ﴾ إِنَّمَا هُوَ بِاعْتِبَارِ حَرَكَتِهِ الْعَرْضِيَّةِ الَّتِي يَتَوَسَّطُ فَلَكَهَ فَإِنْ تِلْكَ الْحَرَكَةُ عَلَى تَقْدِيرِ وَجُودِهَا غَيْرَ مُحْسُوسَةٍ وَ لَا مَعْرُوفَةٍ وَ الْحَمْلُ عَلَى الْمُحْسُوسِ الْمُتَعَارِفِ أَوَّلَى وَ سُرْعَةُ حَرَكَةِ الْقَمَرِ بِالنِّسْبَةِ^(٧) إِلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ أَمَّا التَّوَابِتُ فَظَاهِرٌ لَكُونَ حَرَكَتِهَا مِنْ أَبْطَلِ الْحَرَكَاتِ حَتَّى أَنْ الْقَدَمَاءُ لَمْ يَدْرِكُوهَا وَ أَمَّا السَّيَّارَاتُ فَلَأَنْ زَحَلَ يَتِمُّ الدَّوْرَةُ فِي ثَلَاثِينَ سَنَةً وَ الْمُشْتَرِي فِي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً وَ الْمَرْيَخُ فِي سَنَةٍ وَ عَشْرَةُ أَشْهُرٍ وَ نَصْفٍ وَ كَلَّا مِنْ الشَّمْسِ وَ الزَّهْرَةِ وَ عَطَارِدٍ فِي قَرِيبٍ مِنْ سَنَةٍ وَ أَمَّا الْقَمَرُ فَيَتِمُّ الدَّوْرَةُ^(٨) فِي قَرِيبٍ مِنْ ثَمَانِيَةٍ وَ عَشْرِينَ يَوْمًا وَ لَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ وَصْفُهُ ﴿السَّرْعَةُ﴾ بِالْقَمَرِ بِالسَّرْعَةِ بِاعْتِبَارِ حَرَكَتِهِ الْمُحْسُوسَةِ عَلَى أَنَّهَا ذَاتِيَّةٌ لَهُ بِنَاءً عَلَى تَجْوِيزِ كَوْنَ بَعْضِ حَرَكَاتِ السَّيَّارَاتِ فِي أَفْلَاقِهَا مِنْ قَبِيلِ حَرَكَةِ الْحَيَّاتَانِ فِي الْمَاءِ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ وَ يُؤَيِّدُهُ ظَاهِرُ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(٩) وَ دَعْوَى امْتِنَاعِ الْخُرْقِ وَ الْإِثْمَانِ^(١٠) عَلَى الْأَفْلَاقِ لَمْ تَقْتَرِنْ بِالْيُوتِ وَ مَا لَفَقَهُ الْفَلَّاسَةُ لِإِبْثَاتِهَا أَوْ هُنَّ مِنْ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ لَا يَتَنَاهَى عَلَى عَدَمِ قَبُولِ الْفَلَاقِ بِأَجْزَائِهَا الْحَرَكَةَ^(١١) الْمُسْتَقِيمَةَ وَ دُونَ ثُبُوتِهِ خُرْطُ الْقَتَادِ وَ التَّنْزِيلِ الْإِلَهِيِّ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لَا مِنْ خَلْفِهِ نَاطِقٌ بِإِنْشِقَاقِهَا وَ مَا ثَبِتَ مِنْ مَعْرَاجِ نَبِيْنَا ﷺ بِجَسَدِهِ الْمَقْدَسِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَمُصَاعِدًا^(١٢) شَاهِدٌ بِإِنْخِرَاقِهَا^(١٣).

المتروك في منازل التقدير أي السائر في المنازل التي قدرها الله تعالى لها إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَ الْقَمَرَ قَدَرْنَا﴾ مَنَازِلَ^(١٤) و هي المنازل الثمانية والعشرون التي يقطعها في كل شهر بحركته الخاصة فيرى كل ليلة نازلا بقرب واحد منها قال نصير الملة والدين ره في التذكرة و أما منازل القمر فهي من الكواكب القريبة من منطقة البروج جعلها العرب علامات الأقسام الثمانية والعشرين التي قسمت المنطقة بها لتكون مطابقة لعدد أيام دور القمر^(١٥) و قال الخفري في شرحه والمراد من المنزل المسافة التي يقطعها القمر في يوم بيلته و منازل القمر عند أهل الهند سبعة

(١) في المصدر إضافة: «أكثر».

(٢) هو الفضل بن الحسن الطبرسي مؤلف مجمع البيان، وقد مر كلامه قبل قليل.

(٣) الحديقة الهلالية ص ٧٦ - ٧٧.

(٤) راجع شرح الإشارات والتنبهات ج ٣ ص ٢١٥.

(٥) في المصدر: «الدور».

(٦) ليس في المصدر.

(٧) في المصدر: «صاعدا».

(٨) سورة يس، آية: ٣٩.

(٩) الحديقة الهلالية، ٦٩.

(١٠) سورة إبراهيم، آية: ٣٣.

(١١) في المصدر: «بالظفر».

(١٢) سورة الأنبياء، آية: ٣٣.

(١٣) في المصدر: «للحركة».

(١٤) الحديقة الهلالية ص ٨٢ - ٨٣.

(١٥) تذكرة الأفلاك مخطوط -

وعشرون يوما بليته و ثلث فحذفوا الثلث لكونه أقل من النصف كما هو عادة أهل التنجيم و أما عند العرب فهي ثمانية و عشرون لا لأنهم تموا الثلث واحدا كما قال البعض بل لأنه لما كان سنوهم لكونها باعتبار الأهلة مختلفة الأوائل لوقوعها في وسط الصيف تارة و في وسط الشتاء أخرى احتاجوا إلى ضبط سنة الشمس لمعرفة فصول السنة حتى يشتغلوا في استقبال كل فصل منها بما يهيمهم فيه فنظروا إلى القمر فوجدوه يعود إلى وضع له من الشمس في قريب من الثلاثين يوما و يختفي في آخر الشهر ليلتين أو أكثر أو أقل فأسقطوا يومين من الثلاثين بقي ثمانية وعشرون و هو الزمان الواقع في الأغلب بين رؤيته بالعشيات في أول الشهر و رؤيته بالغدوات في آخره فقسما دور الفلك عليه فكان كل منزل اثنتي عشرة درجة و إحدى و خمسين دقيقة تقريبا أي ستة أسباع درجة فصب كل برج منزلا ن و ثلث ثم وجدوا الشمس تقطع كل منزل في ثلاثة عشر يوما بالتقريب فصار المنازل في ثلاثمائة و أربعة و ستين يوما لكن عود الشمس إلى كل منزل إنما يكون في ثلاثمائة و خمسة و ستين يوما فزادوا يوما في أيام منازل غفر و قد يحتاج إلى زيادة يومين للكبيسة حتى تصير أيامه خمسة عشر و يكون انقضاء أيام السنة الشمسية مع انقضاء أيام المنازل و رجوع الأمر إلى منزل جعل مبدأ ثم إنهم جعلوا علامات المنازل من الكواكب الظاهرة القريبة من المنطقة مما يقارب ممر القمر أو يحاذيه فيرى كل ليلة نازلا بقرب أحدها. فإن سترها يقال كفه فكافحه أي واجهه فغلبه و لا يتفاعل به و إن لم يستره يقال عدل القمر و يتفاعل به و إذا أسرع القمر في سيره فقد يخلي منزلا في الوسط و إذا أبطأ فقد يبقى ليلتين في منزل أول ليلتين في أوله و آخرهما في آخره و قد يرى في بعض الليالي بين منزلين و ما يقال في المشهور إن الظاهر من المنازل في كل ليلة يكون أربعة عشر و كذا الخفي و إنه إذا طلع منزل غاب رقبه و هو الخامس عشر من الطالع ظاهر الفساد لأنها ليست على نفس المنطقة و لا أبعاد ما بينهما متساوية و لهذا قد يكون الظاهر ستة عشر أو سبعة عشر. و يمكن أن يقال إن مرادهم من المنازل نفس المنازل لا علاماتها و حينئذ يصح الحكمان المذكوران و بمثل ما ذكر يعلم فساد ما هو المشهور أيضا من أن ستة بروج ظاهرة و ستة خفية فإنه أيضا إنما يصح بمقتضى الحساب في نفس البروج لا بحسب صورها من الثوابت لأنها لا تقسم المنطقة على سواء بحيث ينطبق أول صورة كل برج على أوله و آخرها على آخره و لعل مرادهم بذلك أن نصف البروج نفسها ظاهرة لا أن نصف صورها ظاهرة فيندفع الخلل عن هذا القول أيضا و العرب تسمي خروج المنزل من ضياء الفجر طلوعه و غروب رقبه وقت الصبح سقوطه و تسمي المنازل التي يكون طلوعها في مواسم المطر الأنواء و رقبها إذا طلعت في غير مواسم المطر البوارح و الأربعة الشمالية التي أولها الشرطين و آخرها السماك شامية و الباقية التي أولها الغفر و آخرها بطن الحوت يمانية^(١) انتهى.

و قال الشيخ البهائي ره الظاهر أن مراده عليه السلام بتردد القمر في منازل التقدير عوده إليها في الشهر اللاحق بعد قطعه إياها في السابق فتكون كلمة في بمعنى إلى و يمكن أن تبقى على معناها الأصلي بجعل المنازل ظرفا للتردد فإن حركته التي يقطع بها تلك المنازل لما كانت مركبة من شرقية و غربية جعل كأنه لتحركه فيها بالحركتين المختلفتين متردد يقدم رجل و يؤخر أخرى و أما على رأي من يمنع جواز قيام الحركتين المختلفتين بالجسم و يرى أن للنملة المتحركة بخلاف حركة الرحي سكنوا حال حركتها فتشبيهه بالمتروك أظهر^(٢).

المتصرف في فلك التدبير التصرف القلب إشارة إلى أن تقلباته و تغيراته بتدبير الحكيم الخبير و الفلك مجرى الكواكب سمي به تشبيها بفلكة المغزل في الاستدارة و الدوران قال أبو ريحان إن العرب و الفرس سلكوا في تسمية السماء مسلكا واحدا فإن العرب تسمي السماء فلكا تشبيها لها بفلكة الدولاب و الفرس سموها بلفتهم آسمان تشبيها لها بالرحى فإن آس هو الرحي بلسانهم و مان دال على التشبيه^(٣) انتهى.

و قال الشيخ البهائي ره المراد بفلك التدبير أقرب الأفلاك التسع إلى عالم العناصر أي الفلك الذي يتدبر^(٤) بعض مصالح عالم الكون و الفساد و قد ذكر بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى ﴿فَالْمَدْبَرَاتِ أَمْراً﴾^(٥) أن المراد بها

(١) لم نثر على شرح تذكرة الأفلاك للفخري هذا. (٢) الحديقة الهلالية ص ٨٥ - ٨٦.

(٣) جاءت هذه العبارة في الحديقة الهلالية ص ٨٦ نقلاً عن أبي ريحان البيروني. و نجد مضمونها بالفارسية في الفهم لأوائل صناعة التنجيم ص ٥٨.

(٤) في المصدر: «به تدبر».

(٥) سورة النازعات، آية: ٥.

الأفلاك و هو أحد الوجوه التي أوردتها الطبرسي^(١) ره و يمكن أن يكون على ضرب من المجاز كما يسمى ما يقطع به الشيء قاطعا و ربما يوجد في بعض النسخ المتصرف في فلك التدوير و هو صحيح أيضا و إن كانت النسخة الأولى أصح و المراد به رابع أفلاك القمر و هو الفلك الغير المحيط بالأرض المركز هو فيه المتحرك أسفل على التوالي البروج و أعلاه بخلافه مخالف لساير تدوير السيارة كل يوم ثلاث عشرة درجة و ثلاث دقائق و أربعاً و خمسين ثانية و هو مركز في ثخن ثالث أفلاكه المسمى بالحامل المبعاد مركزه عن مركز العالم بعشر درج المتحرك على التوالي كل يوم أربعاً و عشرين درجة و اثنتين و عشرين دقيقة و ثلاث و خمسين ثانية و هو واقع في ثخن ثاني أفلاكه المسمى بالمائل الموافق مركزه مركز العالم المماس مقعره بمحبد النار الفاضل عن الحامل الموافق له في ميل منطقتة عن منطقة البروج بمتممين متدرجي الرقة إلى نقطتي الأوج و الحضيض المتحرك على خلاف التوالي كل يوم إحدى عشرة درجة و تسع دقائق و سبع. ثوان و هو واقع في جوف أول أفلاكه المسمى بالجوزهر الموافق مركزه مركز العالم و منطقتة منطقة البروج المماس محدبه مقعر مثل عطارده المتحرك كالثاني كل يوم ثلاث دقائق و إحدى عشرة ثانية^(٢) ثم قال و لا يبعد أن تكون الإضافة في فلك التدبير من قبيل إضافة الظرف إلى المظروف كقولهم مجلس الحكم و دار القضاء أي الفلك الذي هو مكان التدبير و محله نظرا إلى أن ملائكة سماء الدنيا يدبرون أمر العالم السفلي فيه أو إلى أن كلا من السيارات السبع يدبر في فلكها أمرا هي مسخرة له بأمر خالقها و مبدعها كما ذكره جماعة من المفسرين في تفسير قوله تعالى ﴿فَالْمُدَبِّرَاتُ أَمْرًا﴾^(٣) و يمكن أن يراد بفلك التدبير مجموع الأفلاك الجزئية يتدبر بها الأحوال المنسوبة إلى القمر بأسرها و ينضبط بها الأمور المتعلقة بها بأجمعها حتى تشابه^(٤) حامله حول مركز العالم و محاذاة قطر تدويره نقطة سواء إلى غير ذلك و تلك الأفلاك الجزئية هي الأربعة السالفة مع ما زيد عليها لحل ذينك الإشكاليين و مع ما لعله يحتاج إليه أيضا في انتظام بعض أموره و أحواله التي ربما لم يطلع عليها الراصدون في أرصادهم و إنما يطلع عليها المؤيدون بنور الإمامة و الولاية و حينئذ يراد بالتدبير التدبير الصادر عن الفلك نفسه و يكون اللام فيه للعهد الخارجي أي التدبير الكامل الذي ينتظم به جميع تلك الأمور و لا يبعد أن يراد بفلك التدبير الفلك الذي يدبره القمر نفسه نظرا إلى ما ذهب إليه طائفة من أن كل واحد من السيارات السبع مدبر لفلكه كالقلب في بدن الحيوان قال سلطان المحققين في شرح الإشارات ذهب فريق إلى أن كل كوكب منها ينزل مع أفلاكه منزلة حيوان واحد ذي نفس واحدة تتعلق بالكوكب أول تعلقها و بأفلاكه بواسطة الكوكب كما تتعلق نفس الحيوان بقلبه أولا و بأعضائه الباقية بعد ذلك فالقوة المحركة منبثة عن الكوكب الذي هو كالقلب في أفلاكه التي هي كالجوارح و الأعضاء الباقية^(٥) انتهى كلامه زيد إكرامه و يمكن أن يكون هذا هو معنى ما أثبتته له^(٦) من التصرف في الفلك و الله أعلم بمقاصد أوليائه سلام الله عليهم أجمعين^(٦) انتهى.

و أقول: يمكن أن يكون في الكلام استعارة كما يقال بيت العز و دار الشرف تشبيها للتدبير بفلك هو مدبره و هذا النوع من الكلام شائع عند العرب و العجم ثم قال ره خطابا للقمر ﴿للقمر و نداؤه له و وصفه بالطاعة و الجد و التعب و التردد في المنازل و التصرف في الفلك ربما يعطي بظاهره كونه ذا حياة و إدراك و لا استبعاد في ذلك نظرا إلى قدرة الله تعالى إلا أنه لم يثبت بدليل عقلي قاطع يشفي العليل أو تقلي ساطع لا يقبل التأويل نعم أمثال هذه الظواهر ربما تشعره و قد يستند في ذلك بظاهر قوله تعالى ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(٧) فإن الواو و النون لا يستعملان حقيقة لغير العقلاء و قد أطبق الطبيعيون على أن الأفلاك بأجمعها حية ناطقة عاشقة مطيعة لمبدعها و خالقها و أكثرهم على أن غرضها من حركاتها نيل التشبه بخبايه و التقرب إليه جل شأنه و بعضهم على أن حركاتها لورود الشوارق القدسية عليها أنا فأنما فهي من قبيل هزة الطرب و الرقص الحاصل من شدة السرور و الفرح و ذهب جم غفير منهم إلى أنه لا ميت في شيء من الكواكب أيضا حتى أثبتوا لكل واحد منها نفسا على حدة تحركه حركة مستديرة على نفسه و ابن

(١) راجع كلام الطبرسي في مجمع البيان ج ١٠ ص ٤٣٠.

(٢) الحديقة الهلالية ص ٨٦ - ٨٧.

(٣) سورة النازعات، آية: ٥.

(٤) في المصدر إضافة: «حركة».

(٥) شرح الإشارات والتنبهات ج ٣ ص ٢١٥.

(٦) الحديقة الهلالية ص ٨٩ - ٩١.

(٧) سورة يس، آية: ٤٠.

سينا في الشفاء مال إلى هذا القول ورجحه^(١) وحكم به في النمط الخامس^(٢) من الإشارات^(٣) و لو قال به قائل لم يكن مجازفاً وكلام ابن سينا وأمثاله وإن لم يكن حجة يركن إليها الديانيون في أمثال هذه المطالب إلا أنه يصلح للتأييد ولم يرد في الشريعة المطهرة على الصاعد بها أفضل الصلوات وأكمل التسليمات ما ينافي هذا القول ولا قام دليل عقلي على بطلانه وإذا جاز أن يكون لمثل البعوضة والنملة فما دونهما حياة فأي مانع من أن يكون لتلك الأجرام الشريفة أيضاً ذلك وقد ذهب جماعة إلى أن لجميع الأشياء نفوساً مجردة ونطقاً وجعلوا قوله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾^(٤) محمولاً على ظاهره وليس غرضنا. من هذا الكلام ترجيح القول بحياة الأفلاك بل كسر سورة استبعاد المصيرين على إنكاره ورده وتسكين صولة المشنعين على من قال به أو جوزه^(٥) انتهى كلامه ره.

وأقول: هذا الترجيح الذي أبداه ره في لباس الاحتمال والتجوز مناف لسياق أكثر الآيات والأخبار الواردة في أحوال الكواكب والأفلاك ومسيرها وحركاتها والإشارات التي تمسك بها ظاهر من سياقها أنها من قبيل المجازات والاستعارات الشائعة في كلام البلغاء بل في أكثر المحاورات فإنهم يخاطبون الجمادات بخطاب العقلاء وغرضهم تفهيم غيرها كما في هذا الخطاب وخطاب شهر رمضان وداعه وخطاب البيت والمخاطب فيها حقيقة هو الله تعالى والغرض إظهار نعمه تعالى وشكره عليها ولم أر أحداً من المتكلمين من فرق المسلمين قال بذلك إلا بعض المتأخرين الذين يقلدون الفلاسفة في عقائدهم ويوافقون المسلمين فيما لا يضر بمقاصدهم قال السيد المرتضى ره في كتاب الفرر والدرر قد دلت الدلالة^(٦) الصحيحة الواضحة على أن الفلك وما فيه من شمس وقمر ونجوم غير متحرك لنفسه^(٧) ولا طبعه^(٨) على ما يهدي به القوم وأن الله تعالى هو المحرك له والمتصرف باختياره فيه^(٩) وقال ره في موضع آخر لا خلاف بين المسلمين في ارتفاع الحياة عن الفلك وما يشتمل عليه من الكواكب فإنها مسخرة مدبرة مصرفة وذلك معلوم من دين رسول الله ﷺ ضرورة^(١٠) كما سيأتي في باب النجوم^(١١)

أمنت بمن نور بك الظلم وأوضح بك البهم وجعلك آية من آيات ملكه وعلامة من علامات سلطانه النور والضوء مترادفان لغو وقد تسمى تلك الكيفية إن كانت من ذات الشيء ضوءاً وإن كانت مستفادة من غيره نوراً وعليه جرى قوله تعالى ﴿جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرُ نُورًا﴾^(١٢) والظلم جمع ظلمة وتجمع على ظلمات أيضاً وهي عدم الضوء عما من شأنه أن يكون مضيئاً والبهم كصرد جمع بهمة بالضم وهي ما يصعب على الحاسة إدراكه إن كان محسوساً وعلى الفهم إن كان معقولاً والآية العلامة والسلطان مصدر بمعنى الغلبة والتسلط وقد يجيء بمعنى الحجة والدليل لتسلطه على القلب وأخذ بهنائه قال البهائي ره لما افتتح ﷺ الدعاء بخطاب القمر وذكر أوصافه أراد أن يذكر جملاً أخرى من أحواله ناقلاً للكلام من أسلوب إلى آخر كما هو دأب البلغاء من تلوين الكلام وجعل تلك الجمل مع تضمنها لخطاب القمر وذكر أحواله موشحة بذكر الله سبحانه والثناء عليه جل شأنه تحاشياً عن أن يتماذى به الكلام خالياً عن ذكر المفضل المتعالم معبراً عن المنعم به جل شأنه بالموصول ليجعل الصلة مشعرة ببعض أحوال القمر ويعطف عليها الأحوال الآخر فتلام جمل الكلام ولا يخرج عن الغرض المسوق له من بيان تلك الأوصاف والأحوال واللام في الظلم للاستغراق أعني العرفي منه لا الحقيقي والمراد الظلم المتعارف تنويرها بالقمر من قبيل جمع الأمير الصاعقة ويمكن جعله للعهد الخارجي والحق أن لام الاستغراق العرفي ليست شيئاً وراء لام العهد الخارجي فإن المعروف بها هو حصة معينة من الجنس أيضاً غايته أن التعيين فيها نشأ من العرف والتكثير في قوله

(١) الشفاء - الطبيعيات - ج ٢ ص ٤٥ - ٤٧ الفصل السادس في حركات الكواكب، وفيه: «يجب أن يعتقد أيضاً أن الكوكب نفسه يجب أن يدور على نفسه».

(٢) في المصدر: «السادس».

(٣) راجع شرح الإشارات ج ٣ ص ١٥٤، النمط السادس.

(٤) سورة الإسراء، آية: ٤٤.

(٥) في المصدر: «الأدلة».

(٦) في المصدر: «طبيعية».

(٧) في المصدر: «بنفسه».

(٨) شرح القصيدة المذهبية ضمن رسائل الشريف المرتضى ج ٤ ص ٨٠.

(٩) مسألة في الرد على النجسين ضمن رسائل الشريف المرتضى ج ٢ ص ٣٠٣.

(١٠) يأتي كلام المرتضى رحمه الله في ج ٥٨ ص ٢٨١ من المطبوعة.

(١١) سورة يونس، آية: ٥.

آية يمكن أن يكون للنوعية كما في قوله تعالى ﴿وَعَلَىٰ أَيْسَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾^(١) والأظهر أن يجعل للتعظيم واحتمال التحقير ضعيف كما لا يخفى^(٢).

ثم قال ره الباء في قوله ﷺ نور بك الظلم إما للسببية أو لآلة ثم إن جعلنا الضوء عرضاً قائماً بالجسم كما هو مذهب أكثر الحكماء ومختار سلطان المحققين ره في التجريد^(٣) فالتركيب من قبيل سودت الشيء وبيضته أي صيرته متصفاً بالسواد والبياض وإن جعلناه جسماً كما هو مذهب القدماء من أنه أجسام صغار شفاقة تنفصل عن المضيء وتتصل بالمستضيء فالتركيب من قبيل لينته وتمرته أي صيرته ذالبن أو تمر وهذا القول وإن كان مستبعداً بحسب الظاهر إلا أن إبطاله لا يخلو. من إشكال كما أن إثباته كذلك ولعله ﷺ أراد بالظلم في قوله نور بك الظلم الأهوية المظلمة لا الظلمات أنفسها فإنها لا تتصف بالنور وتجويز كونه ﷺ أراد ذلك مبني على أن الهواء تتكيف بالضوء وهو مختلف فيه فالذين جعلوا اللون شرطاً في التكيف بالضوء منعوا منه ويجوز أن يريد بالظلم الأجسام المظلمة سوى الهواء وهذا أحسن لاستغنائه عن تجشم الاستدلال على قبول الهواء للضوء وسلامته عن شوب الخلاف ويمكن أن يكون مراده ﷺ بتووير الظلم إعدامها بإحداث الضوء في محالها وهذا يفتني على القول بأن الظلمة كيفية وجودية كما ذهب إليه جماعة وهذا الرأي وإن كان الأكثر على بطلانه إلا أن دلائله على إبطاله ليست بتلك القوة فهو باق على أصل الإمكان إلا أن يزود عنه قاطع البرهان فلو جوز مجوز احتمال كونه أحد محامل كلامه ﷺ لم يكن في ذلك حرج.^(٤)

و امتنك بالزيادة والنقصان والطلوع والأفول والإنارة والكسوف المهنة بفتح الميم وكسرها وإسكان الهاء الخدمة والذل والشقة والمأهن الخادم و امتنك استعمله في المهنة و طلوع الكوكب ظهوره فوق الأفق أو من تحت شعاع الشمس وأفوله غرويه تحته والكسوف زوال الضوء عن الشمس أو القمر للعارض المخصوص وقد يفسر الكسوف بحجب القمر ضوء الشمس عنا أو حجب الأرض ضوء الشمس عنه وهو تفسير للشيء بسببه وقال جماعة من أهل اللغة الأحسن أن يقال في زوال ضوء الشمس كسوف وفي زوال ضوء القمر خسوف فإن صح ما قاله فلعنه ﷺ أراد بالكسوف زوال الضوء المشترك بين الشمس والقمر لا المختص بالقمر وهو الخسوف ليكون خلاف الأحسن ولا يخفى أن امتنان القمر حاصل بسبب كثف الشمس أيضاً فإنه هو الساتر لها ولما كان شمول الكسوف للخسوف أشهر من العكس اختاره ﷺ ثم قال^(٥) أراد ﷺ بالزيادة والنقصان زيادة نور القمر ونقصانه بحسب ما يظهر للحس لا أن الزيادة والنقصان حاصلان له في الواقع لأن الأزيد من نصفه منير دائماً كما بين في محله وأما زيادته في الاجتماع ونقصانه في الاستقبال كما هو شأن الكرة الصغيرة المستديرة من الكبيرة حالتي القرب والبعد فليس الكلام فيها إنما الكلام في الزيادة والنقصان المسببين عن البعد والقرب المدركين بالحس وربما يترأى لبعض الأفهام من ظاهر قوله ﷺ و امتنك بالزيادة والنقصان أن زيادة نور القمر ونقصانه المحسوسين واقعان بحسب الحقيقة وحاصلان في نفس الأمر كما هو معتقد كثير من الناس وهذا وإن كان ممكناً نظراً إلى قدرة الله تعالى على أن يحدث في جرمه أول الشهر شيئاً يسيراً من النور ويزيده على التدريج إلى أن يصير بدراً ثم يسلبه عنه شيئاً فشيئاً إلى المحاق إلا أن حمل كلامه ﷺ على ما هو متفق عليه بين أساطين علماء الهيئة حتى عد من الحديسيات أليق وأولى وهم مع قطع النظر عما أوجب تحدسهم بذلك إنما اقتبسوا هذا العلم من أصحاب الوحي سلام الله عليهم كشيخ المدعو على لسانهم بهرمس وقد نقل جماعة من المفسرين منهم الشيخ الطبرسي^(٦) ره عند تفسير قوله تعالى ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ الآية^(٧) أن علم الهيئة كان معجزة له إلى آخر ما ذكره في ذلك^(٨).

ثم قال ره لا يخفى أن حكمهم بأن نور القمر مستفاد من الشمس ليس مستنداً إلى مجرد ما يشاهد من اختلاف تشكلاته النورية بقربه وبعده عن الشمس فإن هذا وحده لا يوجب ذلك الحكم قطعاً بل لا بد مع ذلك من ضم أمور

(١) سورة البقرة، آية: ٧. (٢) الحديقة الهلالية ص ٩٧ - ٩٩ بتصرف واختصار.

(٣) راجع تجريد الاعتقاد ضمن نصوص الدراسة ص ٤٥٧. (٤) الحديقة الهلالية ص ٩٧ - ١٠٤ ملخصاً.

(٥) أي قال البهائي رحمه الله، وقبله من كلام المجلسي رحمه الله.

(٦) راجع مجمع البيان ج ٦ ص ٥١٩. (٧) سورة مريم، آية: ٥٦.

(٨) الحديقة الهلالية ص ١٠٥ - ١٠٦.

آخر حصول الخسوف عند توسط الأرض بينه وبين الشمس إلى غير ذلك من الأمارات التي يوجب اجتماعها ذلك الحكم لجواز أن يكون نصفه مضيئاً من ذاته ونصفه مظلماً ويدور على نفسه كحركة^(١) فلكه فإذا تحرك بعد المحاق سيرا رأيناه هلالاً ويزداد فتراه بدرًا ثم يميل نصفه المظلم شيئاً فشيئاً إلى أن ينول إلى المحاق^(٢) ثم أفاد ره لعلك تقول عند ملاحظة قوله وامتتهنك بالزيادة والنقصان أن حصول الامتتهان للقمر بنقصان نوره ظاهر فما معنى حصول الامتتهان له بزيادة النور فأقول فيه وجهان الأول أنه كان أحد وجهيه مستتيراً بالشمس دائماً وكانت زيادة نوره إنما هي بحسب إحساننا فقط وقد سخره الأمر الإلهي لأن يتحرك في النصف الأول من الشهر على نهج لا يزيد به المنير منه في كل ليلة إلا شيئاً يسيراً لا يستطيع أن يتخطاه ولا يقدر على أن يتعاده أثبت^(٣) له الامتتهان بسبب إزاله و تسخير له لزيادة على هذا الوجه المقرر والنهج الخاص وقد شبه بعضهم حال القمر في ظهور القدر المرئي منه شيئاً فشيئاً في النصف الأول من الشهر إلى أن يصير بدرًا ثم استتاره شيئاً فشيئاً في النصف الثاني إلى أن يختفي بما إذا أمر السيد عبده بأن لا يكشف النقاب عن وجهه للناظرين إلا على التدريج شيئاً فشيئاً في مدة معينة وأنه متى انكشف وجهه بأجمعه فليبادر في الحال إلى ستره وإرخاء النقاب عليه شيئاً فشيئاً إلى أن يختفي بأجمعه عن الأبصار الوجه الثاني أن يكون مراده^(٤) الامتتهان بمجموع الزيادة والنقصان أعني التغير من حال إلى حال وعدم البقاء على شكل واحد ولعل هذا الوجه أقرب وهو جار فيما نسب^(٥) إليه من الطلوع والأفول والإنارة والكسوف ويمكن أن يوجه امتتهانه بالإنارة بوجه آخر وهو أن يراد بها إعطاؤه النور للغير كوجه الأرض مثلاً لا اتصافه هو بالنور فإن الإنارة والإضاءة كما جاء في اللغة لازمين جاءا متعددين أيضاً فحينئذ ينبغي أن يراد بالكسوف كسفه للشمس لitem المقابلة ويصير المعنى امتتهنك بأن تفيض النور على الغير تارة وتسلبه عنه أخرى ولو أريد المعنى الشامل للخسوف أو نفس الخسوف أيضاً لم يكن فيه بعد والله أعلم.^(٦)

ثم قال ره لما كانت الشمس ملازمة لمنطقة البروج وكانت أعظم من الأرض كان^(٧) المستتير بأشعتها أعظم من نصفها والمظلم أقل وحصل مخروط مؤلف من قطعتين يرسم إحداها من الخطوط الشعاعية الواصلة بين الشمس و سطح الأرض ويسمى مخروط النور والمخروط العظيم والأخرى من ظل الأرض وتسمى مخروط الظل والمخروط الصغير ويحيط به طبقة يشوبها ضوء مع بياض يسير ثم طبقة أخرى يشوبها مع ضوء يسير^(٨) حمرة وهذه الطبقات الثلاث تظهر للبصر في المشرق من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس بهذا الترتيب وبعكسه بعد غروبها في المغرب وقاعدة المخروط العظيم على كرة الشمس منصفة بمنطقة البروج وسهمه في سطحها وينتهي رأسه في أفلاك الزهرة عندكون الشمس في الأوج وفيما دونه في ما دونها وقاعدة المخروط الصغير صغيرة على وجه الأرض هي الفصل المشترك بين المنير منها والمظلم وهذان المخروطان يتحركان على سطح الأرض كأنهما جيلان شامخان يدوران حولها على التبادل أحدهما أبيض ساطع والآخر أسود حالك عليه ملابس متلونة ويتحرك الأبيض من المشرق إلى المغرب وهو النهار لمن هو تحته والأسود بالعكس وهو الليل لمن هو تحته فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ وإذا توهنا سطحاً كريا مركزه مركز العالم يمر بمركز القمر والمخروط الصغير فالدائرة الحادثة منه على جرم القمر تسمى صفحة القمر والحادثة على سطح المخروط دائرة الظل ومركزها على منطقة البروج فإذا عرفت هذا فإذا لاقى القمر مخروط الظل في الاستقبال وقعت صفحته كلها أو بعضها في دائرة الظل انقطعت الأشعة الشمسية عنه كلاً أو بعضاً وهو الخسوف الكلي أو الجزئي ولكون غاية عرض القمر وهي خمسة أجزاء أعظم من مجموع نصف قطري صفحته ودائرة الظل لم ينخسف في كل استقبال بل إذا كان عديم العرض أو كان عرضه وهو بعد مركزه عن مركز دائرة الظل أقل من نصفهما إذ لو كان.

مساوي لهما^(٩) ماس القمر محيط دائرة الظل من خارج على نقطة في جهة عرضه ولم ينخسف وإن كان أكثر

(١) في المطبوعة: «كحركة فلكه» بدل «بحركة مساوية لحركة فلكه»، وما أثبتناه من المصدر.

(٢) الحديقة الهلالية ص ١١٢.

(٣) الحديقة الهلالية ص ١١٤ - ١١٥.

(٤) جاء في هامش المصدر نقلاً عن هامش الأصل: «لما ثبت في الأجرام أن الشمس مائة وستة وستون مثلاً وربع أو ثلثي مثل الأرض، منه قدس سره».

(٥) ما بين المعقوفين من المصدر.

(٦) في المطبوعة: «لهما»، وما أثبتناه من المصدر.

فبطريق أولى أما إن كان العرض أقل من النصفين انخسف أقل من نصف قطره إن كان ذلك العرض أكثر^(١) من نصف قطر دائرة الظل و نصف قطره إن كان مساويا له لمرور دائرة الظل بمركز الصفحة حينئذ و أكثر منه^(٢) إن كان أقل منه و أكثر من فضل نصف قطر دائرة الظل على نصف قطر القمر و كله^(٣) غير^(٤) ما كثر إن كان مساويا لفضل نصف قطر دائرة الظل على نصف قطر القمر لمماسه القمر محيط الظل من داخل على نقطة في جهة عرضه و ما كثر بحسب ما يقع في دائرة الظل إن كان أقل من هذا الفضل و غاية المكث إذا كان عديم العرض و أول الخسوف يشبه أثرا دخانيا ثم يزداد تراكما بازدياد توغل القمر في الظل فإن كان عرضه أقل من عشر دقائق كان لونه أسود حالكا و إلى عشرين فأسود ضاربا إلى خضرة و إلى ثلاثين فألى حمرة و إلى أربعين فألى صفرة و إلى خمسين فأغبر و إلى ستين فأشهب و ابتداء الانجلاء من شرقي القمر كما أن ابتداء الخسوف كذلك.

ثم اعلم أن الأحوال^(٥) المشهورة الحاصلة للقمر كثيرة فبعضها يشاركه فيه سائر الكواكب كالإنارة و الطلوع و الأفول و نحوها و هي كثيرة و لا حاجة داعية إلى ضبطها و بعضها أمور تختص به و لا توجد في غيره من الكواكب و قد اعتنى أهل الهيئة بالبحث عنها و أشهرها ستة سرعة الحركة و اختلاف تشكيلاته النورية و اكتسابه النور من الشمس و خسوفه بحيلولة الأرض بينها^(٦) و حجبها لنورها بالكشف لها و تفاوت أجزاء صفحته في النور و هو المسمى بالمحو و هذه الأحوال الستة يمكن فهمها من كلامه ﷺ بعضها بالتصريح و بعضها بالتلويح أما سرعة حركته و اختلاف تشكيلاته فظاهر و أما كسفه الشمس و خسوفه فلما مر من حمل الكسوف في كلامه ﷺ على ما يشمل الآخرين معا و أما اكتسابه النور من الشمس فلدلالة اختلاف التشكلات مع الخسوف عليه فهذه الأمور الخمسة يفهم من كلامه ﷺ على هذا النهج و بقي الأمر السادس أعني تفاوت أجزائه في النور فإن في إشعار كلامه ﷺ به نوع خفاء و يمكن أن يومي إليه قوله ﷺ و امتهنك بالزيادة و النقصان فإن المراد زيادة النور و نقصانه و لا معنى لتفاوت أجزائه في النور إلا زيادته في بعض و نقصانه في بعض آخر كما لا يخفى فقد تضمن كلامه مجموع تلك الأحوال الستة المختصة بالقمر و قد مر الكلام في الأربعة الأول منها و بقي الكلام في الأخيرتين فنقول أما الكسوف فهو ذهاب الضوء عن جرم الشمس في الحس كلاً أو بعضاً لسر القمر وجهها الموجه لنا كلاً أو بعضاً و ذلك عند كونهما بحيث يمر خط خارج من البصر بهما إما مع اتحاد موضعيهما المرتين أو كان البعد بينهما أقل من مجموع نصفي قطريهما فلو تساويا ماسها و لا كسوف و إن زاد الأول فبالأولى فإن وقع مركزهما على الخط المذكور كسفها كلها بلا مكث إن كان قطرهما متساويين حساً و مع مكث إن كان قطرها^(٧) أصغر و بقي منها حلقة نورانية إن كان قطرها أعظم و إن لم يقعا على ذلك الخط كسف منها بعضها أبداً إلا إذا كان قطره أعظم حساً فقد يكسفها حينئذ كلاً و ربما تبقى منها حلقة نورانية مختلفة الشخ أو قطعة نعلية إن كان قطره أصغر و لما كان الكسوف غير عارض للشمس لذاتها بل بالقياس إلى رؤيتها بحسب كيفية توسط القمر بينها و بين الإبصار أمكن وقوعه في بقعة دون أخرى مع كون الشمس فوق أبقعها^(٨) و كونه في إحداهما^(٩) كلياً أو أكثر و في أخرى جزئياً أو أقل و ابتداء الكسوف من غربي الشمس كما أن ابتداء الانجلاء كذلك.^(١٠)

ثم قال ربه و أما محو القمر و هي الظلمة المحسوسة في صفحته فأمره ملتبس و الآراء فيه متشعبة و الأقوال متخالفة و أذكر منها خمسة: الأول: أنها آثار وجهه المظلم تأدت إلى وجهه المضيء و أورد عليه أنه لو كان كذلك لكانت أطرافه أشد ظلمة و أوساطه أشد ضوء.

الثاني: أنه أجرام مختلفة مركوزة مع القمر في تدويره غير قابلة للإنارة بالتساوي و هو مختار سلطان المحققين ربه

(١) في المصدر: «أكبر».

(٢) جاء في هامش المصدر نقلاً عن هامش المخطوطة: «أي وانخسف أكثر من نصفي قطره لأكله إن كان العرض أقل من نصف قطر دائرة الظل وأكثر من... عليه، منه قدس سره».

(٣) جاء في هامش المصدر نقلاً عن هامش المخطوطة: «أي والخسف كله حال كون الخسوف غير ما كثر، منه قدس سره».

(٤) جاء في هامش المصدر: «بالنصب حال من «كله»، منه قدس سره».

(٥) في المصدر: «وتبينه و تدوينه بدل «ثم اعلم أن».

(٦) في المصدر: «قطرها».

(٧) في المصدر: «أبقعها».

(٨) في المصدر: «إحداهما».

(٩) في المصدر: «إحداهما».

(١٠) التحديقة الهلالية ص ١١٧ - ١١٨.

في التذكرة و أورد عليه أن ما يتوسط بينه وبين الشمس من تلك الأجرام وكذا بيننا وبينه في كل زمان و وضع شيء آخر لتحرك التدوير على نفسه فكيف يرى دائما على. نهج واحد غير مختلف و قد يعتذر له بأن التفاوت المذكور لا يحس به في صفحة القمر لصغرهما و بعد المسافة.

الثالث: أن الأشعة تنعكس إليه من البحر المحيط أو كرة البخار لصقاتهما انعكاسا بينا و لا تنعكس لذلك من سطح الربع المكشوف لخشونته فيكون المستدير من وجهه بالأشعة النافذة إليه على الاستقامة و الأشعة المنعكسة تبعا^(١) أضوا من المستدير بالأشعة المستقيمة و المنعكسة من الربع المكشوف و هذا مختار صاحب التحفة و أورد عليه أن ثبات الانعكاس دائما على نهج واحد مع اختلاف أوضاع الأشياء المنعكس عنها من البخار و الجبال في جانبي المشرق و المغرب مستحيل و اعتذر له بما اعتذر لأستاذه ره.

الرابع: أن سطح القمر لما كان صقلا كالمرآة و الناظر يرى فيه صورة البحار و القدر المكشوف من الأرض و فيه عمارات و غياض و جبال و في البحار مراكب و جزائر مختلفة الأشكال و كلها تظهر للناظر أشباحا في صفحة القمر و لا يميز بينها بعدها و لا يحس منها إلا بخیال و كما لا يرى مواضع الأشباح في المرايا مضية فكذلك لا ترى تلك المواضع فيه براقه أو أنه ترى صورة العمارات و الغياض و الجبال مظلمة كما هي عليه في الليل و صورة البحار مضية أو بالعكس فإن صورتي الأرض و الماء منطبعان فيه كما أن الأرض لكثافتها تقبل ضوء الشمس أكثر مما يقبله الماء لطافته فكذا صورتاهما و هذا الوجه مختار الفاضل النيسابوري في شرح التذكرة و مال إليه أستاذنا المحقق البرجندي في شرح التذكرة أيضا و الإيراد و الاعتذار كما سبق.

الخامس: أن أجراما صغيرة نيرة مركوزة في جرم الشمس أو في فلكها الخارج المركز بحيث تكون متوسطة دائما بين الشمس و القمر و هي مانعة من وقوع شعاع الشمس على مواضع المحو من القمر و إنما قلنا نيرة لأنها لو كانت مظلمة فيرى المحو على وجه الشمس و المراد أنها نيرة تورا أقل من نور بقية أجزاء الشمس^(٢) و هذا الوجه للمدقق الخفري^(٣) و أقول فيه نظر فإن تلك الأجرام إن كانت صغيرة جدا تالات الخطوط الخارجة من حولها إلى القمر بالقرب منها و لم يصل ظلها إليه و إن كان لها مقدار يعتد به بحيث يصل ظلها إلى جرم القمر فوصله إلى سطح الأرض في بعض الأوقات كوقت الاستقبال أولى فكان ينبغي أن يظهر على سطح الأرض كما يظهر ظل القيم و نحوه و ليس فليس و الله أعلم بحقائق الأمور.^(٤)

ثم قال قدس الله لطيفه ما مر من أن اكتساب النور من الشمس مختص بالقمر لا يشاركه فيه غيره من الكواكب هو المشهور و عليه الجمهور فإنهم مطبقون على أن أنوار ما عداه من الكواكب ذاتية غير مكتسبة من الشمس و استدلوا على ذلك بأنها لو استفادت النور من الشمس لظهر فيه التشكلات البدرية و الهلالية بالبعد و القرب منها كما في القمر هكذا أورد صاحب التحفة فيها و في نهاية الإدراك و أقول فيه نظر فإن القائل باستفادتها النور من الشمس ليس عليه أن يقول بأن المستضيء منها إنما هو وجهها المقابل للشمس فقط ليلزمه اختلاف تشكلاته كالقمر بل له أن يقول بنفوذ الضوء في أعماقها كالمقطعة من البلور مثلا إذا وقع عليها ضوء الشمس فإن الناظر إليها من جميع الجهات يبرها مضية بأجمعها فتبر.

ثم إن صاحب التحفة أورد على الدليل المذكور أن اختلاف التشكلات إنما يلزم في السفيلين لا في بقية الكواكب التي فوق الشمس لكون وجهها المقابل لنا هو المقابل للشمس بخلاف القمر فيمكن أن يستفيد النور منها و لا يظهر فيها التشكلات الهلالية بالقرب من الشمس و ما يقال من أنه يلزم انخسافها في مقابلات الشمس مدفوع بأن ظل الأرض لا يصل إلى أفلاكها ثم إنه أجاب عن هذا الإيراد بأن تلك الكواكب إذا كانت على سمت الرأس غير قابلة للشمس و لا مقارنة لها لم يكن وجهها المقابل لنا هو المقابل لها بل بعضه و يلزم اختلاف التشكلات الهلالية ثم قال

(١) في المصدر: «مما».

(٢) من قوله: «و إنما قلنا نيرة» إلى قوله: «بقية أجزاء الشمس» ساقط من المصدر.

(٣) في المصدر إضافة: «أورده في» شرح التذكرة و «منتهى الإدراك» واستحسنه.

(٤) الحديقة الهلالية ص ١١٨ - ١٢١.

فإن قيل إنما لا يرى شيء منها هالاليا لخفاء طرفيه لصغر حجم الكواكب في المنظر و هو ظهوره من البعد المتفاوت مستديرا قلنا لو كان كذلك لرثي الكوكب في قرب الشمس أصغر منه في بعدها.

هذا كلامه وأقول فيه نظر لأن للخصم أن يقول إنما يلزم ذلك لو وقعت دائرة الرؤية فيها مقاطعة لدائرة النور و لم لا يجوز أن لا يقع أبدا إلا داخلها إما موازية لها إذا كان الكوكب على سمت الرأس في مقابلة الشمس أو غير موازية إما مماسة لها كما لعله يتفق في الترتيب أو غير مماسة كما في غيره و لا يندفع هذا إلا إذا ثبت تقاطع الدائرتين على سطح الكوكب كما في القمر و دون ثبوته خبط القناد^(١) و يمكن تقرير النظر بوجه آخر بأن يقال قرب الكواكب من الشمس على نحوين قرب كثير يوجب ظهور الصغر للحس و قرب قليل لا يوجب ذلك و الأول لا يكون إلا إذا كانت الشمس تحت الأفق و كان الكوكب قريبا من الأفق فلم لا يجوز أن يكون الكوكب حال القرب أصغر لكن تراكم البخار جبر ذلك الصغر فلم ير أصغر لذلك^(٢) ثم إن الذي ما زال يختلج بخاطري أن القول بعدم الفرق بين القمر و سائر الكواكب في أن أنوار الجميع مستفادة من الشمس غير بعيد عن الصواب و قد ذهب إلى هذا جماعة من أساطين الحكماء و وافقهم الشيخ السهروردي حيث قال في الهياكل إن الشمس^(٣) قاهر العتق^(٤) رئيس السماء فاعل النهار صاحب العجائب عظيم الهيئة الذي يعطي جميع الأجرام ضوءها و لا يأخذ منها هذا كلامه و قد ذهب الشيخ العارف محيي الدين أيضا إلى هذا القول و صرح به في الفتوحات المكية و وافقه جمع من الصوفية و الله أعلم بحقائق الأشياء^(٥) انتهى.

سبحانه ما أعجب ما دبر في أمرك و أطف ما صنع في شأنك سبحان^(٦) مصدر كغفران بمعنى التنزيه عن النقائص و لا يستعمل إلا محذوف الفعل منصوبا على المصدرية فسبحان الله معناه تنزيه الله كأنه قيل أسبحه سبحانا و أبرئه عما لا يليق بعز جلاله براءة.

قال الشيخ الطبرسي ره إنه صار في الشرع علما لأعلى مراتب التعظيم التي لا يستحقها إلا هو سبحانه و لذلك لا يجوز أن يستعمل في غيره تعالى و إن كان منزها عن النقائص و إلى كلامه هذا ينظر ما قاله بعض الأعلام من أن التنزيه المستفاد من سبحان الله ثلاثة أنواع تنزيه الذات عن نقص الإمكان الذي هو منبع السوء و تنزيه الصفات عن وصمة الحدوث بل عن كونها مغايرة للذات المقدسة و زائدة عليها و تنزيه الأفعال عن القبح و العبث بل عن كونها جالبة إليه تعالى نفعاً أو دافعة عنه سبحانه ضرا كأفعال العباد و ما في قوله ﷺ ما أعجب إما موصولة أو موصوفة أو استفهامية على الخلاف المشهور في ما التعجبية و هي مبتدأة و الماضي بعدها صلتها أو صفتها على الأولين و الخبر محذوف أي الذي أو شيء صيره عجبيا أمر عظيم أو كونها هو الخير على الأخير و ما في ما دبر مفعول أعجب و هي كأولوى على الأولين و العائد المفعول محذوف و الأمر و الشأن مترادفان.

جعلك مفتاح شهر حادث لأمر حادث فصل هذه الجملة عما قبلها للاختلاف خبرا و إنشاء مع كون السابقة لا محل لها من الإعراب و الشهر مأخوذ من الشهرة يقال شهرت الشيء شهرا أي أظهرته و كشفته و شهرت السيف أخرجه من الغلاف و تشبيهه الشهر في النفس بالبيت المقبول استعارة بالكناية و إثبات المفتاح له استعارة تخيلية و لا يخفى لطافة تشبيه الهلال بالمفتاح و الجار في قوله ﷺ لأمر حادث يتعلق بحادث السابق أي حدوث ذلك الشهر و تجدده لأمر حادث مجدد و يجوز تعلقه بجعل و تنكير أمر للإبهام و عدم التعيين أي أمر مبهم علينا حالة كما قاله في قوله تعالى «وَأُطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ»^(٧) إن المراد أرضا منكورة مجهولة.^(٨)

وأقول: يحتمل أن يكون المراد بالأمر الحادث ما نيط بالشهور من المصالح الدينية كالحج و الصوم و العدد و سائر العبادات المتعلقة بها و الدنيوية كالمعاملات و الديون و سائر الأمور المربوطة بها و قال الشيخ المتقدم^(٩) ره

(١) الحديقة الهلالية ص ١٢١ - ١٢٣

(٢) من قوله: «ويمكن تقرير النظر» إلى قوله: «فلم ير أصغر منه؟». ساقط من المصدر.

(٣) في المصدر: «إن رخش - يعني الشمس - بدل «إن الشمس».

(٤) في المصدر: «الغسق».

(٥) الحديقة الهلالية ص ١٢٣ - ١٢٤.

(٦) سورة يوسف، آية: ٩.

(٧) بقية كلام الشيخ البهائي.

(٨) الحديقة الهلالية ص ١٢٥ - ١٢٧.

(٩) أي الشيخ البهائي رحمه الله.

جعله مدخول. ما التعجبية فعلا دالا على التعجب بجوهر ينبت عن شدة تعجبه ﷺ من حال القمر وما دبره الله سبحانه فيه وفي أفلاكه بطائفت صنعه وحكمته وهكذا كل من هو أشد اطلاعا على دقائق الحكم المودعة في مصنوعات الله سبحانه فهو أشد تعجبا منها وأكثر استعظاما لها ومعلوم أن ما بلغ إليه علمه ﷺ من عجائب صنعه جل وعلا ودقائق حكمته في خلق القمر ونضد أفلاكه وربطه ما ربطه به من مصالح العالم السفلي وغير ذلك فوق ما بلغ إليه علم^(١) أصحاب الإرساد ومن يحذو حذوهم من الحكماء الراسخين بأضعاف مضاعفة مع أن الذي اطلع عليه هؤلاء من أحواله وكيفية أفلاكه وما عرفوه مما يرتبط به من أمور هذا العالم أمور كثيرة يحار فيها ذو اللب السليم قائلا «ربنا ما خلقت هذا باطلا»^(٢) وتلك الأمور ثلاثة أنواع. الأول: ما يتعلق بكيفية أفلاكه وعددها ونضدها وما يلزمه من حركاتها من الخسوف واختلاف التشكلات وتشابه حركة حاملة حول مركز العالم لا حول مركزه ومحاذة قطر تدويره نقطة سوى مركز العالم إلى غير ذلك مما هو مشروح في كتب الهيئة. الثاني: ما يرتبط بنوره من التغيرات في بعض الأجسام العنصرية كزيادة الرطوبات في الأبدان بزيادته ونقصانه بنقصانه وحصول البحارين للأمراض وزيادة مياه البحار والينابيع زيادة بينة في كل يوم من النصف الأول من الشهر ثم أخذها في النقصان يوما فيوما في النصف الأخير منه وزيادة أدمغة الحيوانات وألبانها بزيادة النور ونقصانه بنقصانه وكذلك زيادة البقول والثمار نموا ونضجا عند زيادة نوره حتى أن المزاويل لها يسمعون صوتا من الققاء والقرع والبطيخ عند تمدده وقت زيادة النور وكإبلاء نور القمر الكتان وصبغه بعض الثمار إلى غير ذلك من الأمور التي تشهد به التجربة قالوا وإنما اختص القمر بزيادة ما نبط به من أمثال هذه الأمور بين سائر الكواكب لأنه أقرب إلى عالم العناصر منها ولأنه مع قربه أسرع حركة فيمتزج نوره بأنوار جميع الكواكب ونوره أقوى من نورها فيشاركها شركة غالب عليها فيما نبط بنورها من المصالح بإذن خالقها ومبدعها جل شأنه الثالث ما يتعلق به من السعادة والنحوسة وما يرتبط به من الأمور التي هو علامة على حصولها في هذا العالم كما ذكره الديانيون من المنجمين ووردت ببعضه الشريعة المطهرة على الصاعد بها أفضل التسليمات. كما رواه الكليني ره عن الصادق ﷺ من سافر أو تزوج والقمر في القرب لم ير الحسنی.^(٣)

وعن الكاظم ﷺ من تزوج^(٤) في محاق الشهر فليسلم لسقط الولد.^(٥)

١٩٩
٥٨

وكما رواه الشيخ عن الباقر ﷺ أن النبي ﷺ بات ليلة عند بعض نسائه فانكشف القمر في تلك الليلة فلم يكن فيها شيء فقالت له زوجته يا رسول الله بأبي أنت وأمي كل هذا البفض فقال لها ويحك هذا الحادث في السماء فكرهت أن أتلدذ. وفي آخر الحديث ما يدل على أن المجامع في تلك الليلة إن رزق من جماعه ولدا وقد سمع بهذا الحديث لا يرى ما يجب.^(٦)

أقول: تمتة الدعاء سيأتي شرحها في مقام آخر أنسب من هذا المقام إن شاء الله تعالى.

٣٧- الصحيفة السجادية: صلوات الله على من ألهمها الحمد لله الذي خلق الليل والنهار بقوته وميز بينهما بقدرة وجعل لكل واحد منهما حدا محدودا وأمدام ممدودا يولج كل واحد منهما في صاحبه ويولج صاحبه فيه بتقدير منه للعباد فيما يغذوهم به وينشئهم عليه فخلق لهم الليل ليسكنوا فيه من حركات التعب ونهضات النصب وجعله لباسا ليلبسوا من راحته ومنامه فيكون ذلك لهم جساما وقوة ولينالوا به لذة وشهوة وخلق لهم النهار مبصرا ليبغوا فيه من فضله ولتسببوا إلى رزقه ويسرحوا في أرضه طلبا لما فيه نيل العاجل من دنياهم ودرك الآجل في أخراهم بكل ذلك يصلح شأنهم ويبلو أخبارهم وينظر كيف هم في أوقات طاعته منازل فروضه ومواقع أحكامه لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى اللهم فلك الحمد على ما فقلت لنا من الإصباح ومتعتنا به من ضوء النهار وبصرتنا به من مطالب الأقوات ووقيتنا فيه من طوارق الأوقات إلى آخر الدعاء.^(٨)

(١) كلمة: «علم» ليست في المصدر.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٩١.

(٣) روضة الكافي ص ٢٧٥ حديث.

(٤) في المصدر: «من أتى أهله في محاق الشهر».

(٥) في المصدر: «فلم يكن منه».

(٦) فروع الكافي ج ٥ ص ٤٩٩.

(٧) الحديث الهلالي ص ١٣٧ - ١٣٩.

(٨) الصحيفة السجادية ص ٣٢ من دعائه ﷺ عند الصبح والمساء.

بيان: خلق الليل والنهار بقوته الخلق يكون بمعنى الإيجاد وبمعنى التقدير وكل منهما هنا مناسب والجمع بينهما أيضا ممكن وخلق تعالى الليل والنهار بخلق الشمس مضنية غاية الإضاءة بحيث يغلب نورها نور سائر الكواكب ويخلق الهواء مظلما في نفسه قابلا للإضاءة ويخلق الأرض كثيفة قابلة للإضاءة بحيث تنعكس منها الأشعة وجعل الشمس متحركة حول الأرض فيطولوعها أو ظهور علامتها البينة يحصل النهار وبغروبها أو ذهاب حرمتها المشرقية يحصل الليل وتقدم الليل لتقدمه شرعا وعرفا كما عرفت أو لتقدم الظلمة على النور لكونها عدمية أو شبهة بالعدم أو للتأسي بالقرآن في أكثر مواضعه وميز بينهما بقدرته أي جعل كل واحد منهما ممتازا عن الآخر من حيث الصورة ومن حيث الخواص والآثار وقيل معناه أن الله تعالى لما قدر لكل يوم وليلة من أيام السنة الشمسية وليالها في كل بقعة من بقاع الأرض زمانا معيناً لا يزيد ولا ينقص أبدا فلا يدخل أحدهما في الآخر بأن يدخل الليل في النهار قبل تمامه وبالعكس فيمتاز كل واحد منهما عن الآخر أي لا يختلط أحدهما بالآخر لكن يمكن استفادة هذا المعنى من الفقرة الآتية والقدرة صفة نفسانية من شأنها الإيجاد والإحداث بها على وجه يتصور ممن قامت به الفعل بدلا عن الترك والترك بدلا عن الفعل والقوة تطلق على القدرة وعلى حالة يصح أن تصدر عن صاحبها أفعال شاقة وقد تطلق على حالة تكون مصدرا لحدوث أمر أو سببا له كالقوى الناطقة والنامية والباصرة والسماعة وأمثالها والباء في الموضعين للاستعانة أو للملازمة وجعل لكل واحد منهما حدا محدودا وأما ممدودا حد الشيء منقطع ومنتهاه والحد الحاجز بين الشيتين والمحدود المعين أو المميز عن غيره والأمد يطلق على الغاية وعلى الزمان الممتد والممدود المبسوط الممتد وفي بعض النسخ موقوتا. وهو قريب من المحدود والأظهر ممدودا وجعل الأمد بمعنى الامتداد ليكون تأسيسا.

يولج كل واحد منهما في صاحبه ويولج صاحبه فيه الإيلاج الإدخال وقد عرفت أن لا إيلاج كل واحد منهما في الآخر معنيين أحدهما يرجع إلى مجيء الليل بعد النهار ومجيء النهار بعد الليل وثانيهما يرجع إلى زيادة كل منهما ونقصان الآخر ويرد في خصوص هذه العبارة إشكال وهو أن الزيادة والنقص في كل منهما يستفاد من الفقرة الأولى فاي فائدة في الفقرة الثانية وأجيب عنه بوجوه:

الأول: ما ذكره الشيخ بهائي ره حيث قال مراده التنبيه على أمر مستغرب وهو حصول الزيادة والنقصان معا في كل من الليل والنهار في وقت واحد وذلك بحسب اختلاف البقاع كالشمالية عن خط الإستواء والجنوبية عنه سواء كانت مسكونة أو لا فإن صيف الشمالية شتاء الجنوبية وبالعكس فزيادة النهار ونقصانه واقعان في وقت واحد لكن في بقعتين وكذا زيادة الليل ونقصانه ولو لم يصح عليه بقوله ويولج صاحبه فيه لم يحصل التنبيه على ذلك بل كان الظاهر من كلامه عليه وقوع زيادة النهار في وقت ونقصانه في آخر وكذا الليل كما هو محسوس معروف بين الخاص والعام فالواو في قوله ويولج صاحبه فيه واو الحال بإضمار مبتدأ كما هو المشهور بين النحاة انتهى.

واقول: إنما قدر المبتدأ لأن الجملة الحالية إذا كانت مضارعا مثبتا يكون بالضمر وحده فإذا أضمر المبتدأ تصير جملة اسمية والاسمية الحالية تكون بالواو والضمر أو بالواو وحدها وقيل لا حاجة إلى تكلف الحالية بل مع العطف أيضا يستقيم هذا المعنى فكأنه قال كما يولج نهار النصف الأول من السنة في لياليها وليالي النصف الثاني في نهارها يولج أيضا ليالي النصف الأول في نهارها ونهار النصف الثاني في لياليها وذلك في الأفق المقابل لأنه يصير ثمة قوس الليل قوس النهار وبالعكس فالليل الذي يلج عندنا في النهار هو بعينه نهار ثمة قوس الليل قوس النهار وأبعد مما اعتبر أولا وهو أن البقاع الجنوبية أمرها على العكس باعتبار النصفين مطلقا من غير اعتبار كل يوم وليلة بعينه انتهى. وأقول: هذا المعنى إلى الحالية أحوج من الأول وإن كان يستقيم المعنيان بدونهما.

الثاني: ما قيل إن الجملة الأولى تدل على أن كلا منهما مولج في صاحبه والثانية على أن كلا منهما مولج فيه صاحبه وهذا معنى آخر غير الأول وهو وإن كان لازما للأول إلا أن التصريح بما علم ضمنا للاهتمام والمبالغة أمر شائع ذائع خصوصا فيما كان أمرا عظيما فيه قوام العالم ونظامه فإن

الليل والنهار من ضروريات مصالح هذا العالم و آيتان دالتان على وحدة الله سبحانه وكمال قدرته ولهذا كرر الله هذا المعنى في كتابه العزيز بلفظ الإيلاج وغيره.

الثالث: أن يكون التكرار للإشعار بتكرار هذا الأمر واستمراره كما يقال لهذا المعنى يفعل فلان و يفعل و يعطي و يعطي وهذا وجه وجيه.

الرابع: ما قيل إن دلالة إيلاج كل منهما في صاحبه على إيلاج صاحبه فيه من الخارج لا من اللفظ فإننا إذا علمنا في الخارج أن ليس لليل صاحب الإلتهار و لا للنهار صاحب الإلتهار علمنا من قوله يولج كل واحد منهما في صاحبه إيلاج الصاحب أيضا فيه و أما بالنسبة إلى اللفظ فلا دلالة له أصلا فإننا إذا قلنا يولج الليل في صاحبه و يولج النهار في صاحبه و لم يعلم من الخارج أن صاحبهما ما ذا فلا يعلم إيلاج صاحبه فيه البتة و نحتاج إلى ذكره و ترك العطف للاستئناف أو الحالية المقدرة و العود إلى المضارع للدلالة على الاستمرار التجديدي.

بتقدير منه للعباد الباء للسببية أو الملازمة و الأول أظهر و التنكير للتفخيم فيما يغذوهم به الظرف متعلق بتقدير أي جعل الله الخلق و التمييز و الإيلاج لتقدير عظيم في الشيء الذي يغذوهم به كما مر أن تعاقب الليل و النهار و اختلاف الفصول مما له مدخل عظيم في حصول الأغذية للعباد و ينشئهم عليه عطف على يغذوهم أي له مدخل في نشوئهم و نموهم كما مر ذكره فخلق لهم الليل الفاء للترتيب الذكري و هو عطف المفصل على المجرى ليسكنوا فيه من حركات التعب و نهضات النصب الإضافتان من إضافة السبب إلى المسبب أي. من فوائد الليل أن يسكنوا أي يستقروا و يستريحوا من الحركات الواقعة في النهار لتحصيل المعاش و غيره الموجبة للتعب و النهضات بالتحريك جمع نهضة يسكنون الهاء و هي المرة من نهض ينهض نهضا و نهوضا أي قام أي القيامات للأمور الشاقة و الترددات البدنية و الأشغال القلبية الواقعة في النهار التي هي سبب النصب بالتحريك أي الإعياء و العجز و يروى بهضات بالباء الموحدة و الظاء المعجمة من بهض الأمر أو الحمل كمنع أي غلبه و نقل عليه و لعلهما إشارتان إلى قوله تعالى ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ (١) و جعله لباسا ليلبسوا من راحته و منامه إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ (٢) و قد مر تفسيره و قال الزمخشري أي يستركم عن العيون إذا أردتم هربا من عدو أو بيتا له أو إخفاء ما لا تحبون الإطلاع عليه من كثير من الأمور (٣).

و يفهم منه معنى آخر و هو أنه تعالى لما جعل الليل سببا لأن يلبس العباد لباس الراحة و النوم فكأنه لباس و شبه الراحة و المنام و هو مصدر ميمي بمعنى النوم باللباس من حيث إن كل واحد منهما يغشاهم و يشتمل عليهم كاللباس كما قال تعالى ﴿فَإِذَا قَهَّ اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَ الْخَوْفِ﴾ (٤) و إضافة الراحة و المنام إلى ضمير الليل للاختصاص بمعنى اللام أي الراحة و المنام المختصين بالليل و يظهر من كلام ابن الحاجب أنه بمعنى في و أنكره أكثر المحققين و الظاهر أن من في قوله من راحته للتبعض لبيان أنه لم يخلق الليل ليصرفوا جميعه في الاستراحة و المنام بل ليستريحوا في بعضه و يعبدوه في بعضه و قيل من للابتداء لأن اللبس يبتدأ من جهة الراحة كما قال تعالى ﴿يَخْلُقُونَهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ (٥) بأن يكون من راحته صفة لموصوف محذوف يدل عليه يلبسوا أي ليلبسوا ثوبا من راحته أي الثوب الذي هو راحته و لا يخفى أن ما ذكرنا أظهر فيكون عطف على يلبسوا و التفرع بقاء لبيان أن لبس الراحة و المنام سبب للجسم و القوة و الجمال بالفتح الراحة بعد التعب يقال جم الفرس جما أي ذهب إعياءه.

ولبنالوا به أي يصيبوا بلبس لباس الراحة لذة و هي إدراك الملائم من حيث إنه ملائم و شهوة و هي مصدر شبهه كرضي أي أحبه و رغب فيه كاشتهاه و تشهاه و الحاصل ليصيبوا بسبب ذلك ما يلتذون به و يشتهونه أو المراد بهما الحاصل بالمصدر و لا يبعد أن يكون المراد لذة النوم و شهوة الجماع و

(٢) سورة النبأ: آية: ١٠.

(٤) سورة النحل: آية: ١١٢.

(١) سورة الأنعام: آية: ٩٦.

(٣) الكشاف ج ٤ ص ٦٨٥.

(٥) سورة الكهف: آية: ٣١.

يحتمل التعميم فيهما وخلق لهم النهار عطف على خلق لهم الليل مبصرا إسناد للفعل إلى الظرف ليتنوا أي يطلبوا فيه شيئا من فضل الله والمراد به نعم الله مطلقا لا الرزق فقط وإن فسر به قوله تعالى ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾^(١) لأن طلب الرزق المذكور بعد ذلك في قوله ﴿وَابْتَغُوا﴾ وليتسبوا إلى رزقه فذكره بعده من باب ذكر الخاص بعد العام للاهتمام بشأنه أي ليتوصلوا وطلبوا سببا من الأسباب المعهودة المشروعة إلى تحصيل رزقه أو ليصيروا سببا واسطة في تحصيله كما قال في مقام آخر تسببت بلطفك الأسباب.

و يسرحوا في أرضه يقال سرحت الدابة كمنع سرحا سامت و سرحتها سرحا أسمنتها و رعيتها يتعدى ولا يتعدى والمراد هنا الأول.

شبه ﴿سَبَّحُوا﴾ سيرهم في الأرض سفرا و حضرا بلا عائق كيف شاءوا آكلين ما اشتبهوا و شاربين ما شاءوا بسير الدابة في الأرض و سوما طلبا مفعول له لقوله يسرحوا و ما قبله من الفعلين و ما قيل من أنه متعلق بخلق الليل و خلق النهار أي طلب الله تعالى من خلقهما فوائد لعباده فلا يخفى بعده لما فيه نيل العاجل أي وصولهم إلى النفع العاجل أي الحاضر من دنياهم بيان للعاجل و في بعض النسخ في دنياهم فهو متعلق بالنيل و الدرك للحقوق و الوصول و الآجل خلاف العاجل في أخراهم متعلق بالدرك أو صفة للآجل أي النفع الآجل الكائن في أخراهم و الأخرى تأنيث الآخر أي الدار الأخرى غير الدنيا أو الأخيرة بكل ذلك متعلق يصلح و هو حال أي يصلح الله بكل من الليل و النهار و سائر الأمور المذكورة شأنهم هو بالهمز و قد يخفف الأمر و الحال أي أمورهم بحسب العاجل و الآجل و يبلو أخبارهم.

قال الزمخشري في قوله تعالى ﴿وَلَتَبْلُوكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَ الصَّابِرِينَ وَ نَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ﴾^(٢) أي ما يحكى عنكم و ما يخبر به من أعمالكم لنعلم حسنهما من قبيحها لأن الخبر على حسب المخبر عنه إن حسنا فحسن وإن قبيحا فقبيح^(٣) انتهى و معنى يبلو يختبر أي يعاملهم معاملة المختبر.

و ينظر كيف هم في أوقات طاعته أي كيف يصنعون في الأوقات التي وقتها لطاعتهم هل يطيعون أو يعصون و منازل فروضه أي أوقات فروض الله تعالى التي فرضها على العباد فالمراد المنازل التي ينزل فيها الفروض أو منازل المكلف و هي منسوبة إلى الفروض لحصول الفرض عندها أو هو من إضافة المشبه به إلى المشبه كالجين الماء تشبيها للفروض بالمنازل التي ينزلها المسافر حيث إن المسافر في سفره ينتظر المنزل قبل وصوله إليه و يتشوق له و إذا وصل إليه يفرح به و يفعل فيه ما ينبغي أن يفعل و يأنس به فينبغي للمكلف أن يكون بالنسبة إلى ما فرض الله عليه كذلك و على التقادير من قبيل ذكر الخاص بعد العام للاهتمام إذ الطاعة أعم من الفرض بمعانيه و يحتمل أن يراد بأوقات الطاعة العبادات الموقته و بمنازل الفروض غير الموقته أو بالعكس و الأحكام أعم منهما لشمولها للخمسة و إن كان شمولها للمباح لا يخلو من تكلف بأن يقال ينظر كيف هم فيه هل يعتقدونه مباحا أم يبتعدون تحريمه أو غير ذلك مع أنه يمكن جعل المباحات طاعات بالنيات كما سيأتي بيانه في محله و المراد بمواقع الأحكام الأمور التي تتعلق بها و هي أفعال المكلفين أو الأمانة و الأحوال التي تعرض فيها ليجزي الذين أساءوا^(٤) متعلق بما قبله من الأفعال الثلاثة أي إنما فعل تلك الأمور ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا﴾ أي عملوا السيئة بما عملوا أي يعقاب ما عملوا أو بمثل ما عملوا أو بسببه و يجزي الذين أحسنوا أي فعلوا الأعمال الحسنة بالحسنى أي بالثبوت الحسنى أو بأحسن من أعمالهم و جزائها أو بسبب الفعلة الحسنى فالباة في الموضوعين إما للصلة أو للسببية فالظرفان متعلقان بالجزاء و تعلقهما بأساءوا و أحسنوا كما توهم بعيد و أوسط التقادير الثلاثة المتقدمة أظهر لدلالته على جزاء السيئة بالمثل و الحسنة بأضعافها.

لهم أصله يا الله حذف حرف النداء و عوض عنه الميم المشددة فلك الحمد لما حمده سبحانه

(٢) سورة محمد، آية: ٣١.

(٤) سورة النجم، آية: ٣١.

(١) سورة الجمعة، آية: ١٠.

(٣) الكشف ج ٤ ص ٣٢٨.

على خلق مطلق الليل والنهار حمده تعالى على خصوص اليوم الذي هو فيه والنعم التي اشتمل عليها وتقديم الظرف للحصر على ما فلفت أي شققت لنا أي لاتنقاعنا من الإصباح وهو في الأصل مصدر أصبح أي دخل في الصباح سمي به الصبح ومنتعنا به أي على ما صيرتنا ذوي تمتع وانتفاع بسببه من ضوء النهار بالإضافة بتقدير اللام أو بيانية وبصرتنا أي على ما جعلتنا مبصرين له و بصراء به بسبب النهار من مطالب الأقوات بالإضافة البيانية أو اللامية أي المواضع التي يطلب منها القوت والأعمال التي هي مظنة حصوله والقوت ما يقوم به بدن الإنسان من الطعام ووقيتنا أي و على ما ووقيتنا منه في ذلك الصبح من طوارق الآفات بالإضافة البيانية أو إضافة الصفة إلى الموصوف والطارق في الأصل من يأتي بالليل لاحتياجه إلى طرق الباب غالبا ويستعمل غالبا في الشرور الواقعة بالليل وقد يعم بما يقع بالنهار أيضا فالمراد هنا آفات البارحة أو مطلقا ثم اعلم أن لفظة ما الظاهرة في الفقرة الأولى والمقدرة فيما بعدها من الجمل الثلاث موصولة وضمير به المذكور في الجملتين والمقدرة في غيرهما عائدا إليها ومن في المواضع الأربعة لبيان الموصول ويمكن أن تكون ما مصدرية في الجميع أو في سوى الأولى والضمائر راجعة إلى الإصباح أو لفظة فيكون من في قوله من مطالب بمعنى الباء كما في قوله تعالى ﴿يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾^(١) ثم الحمد في الفقرة الثانية يشمل المعيان أيضا فإنهم يتمتعون بضوء النهار لاستغلال البصراء بالمهمات والحوائح ومن جعلتها حوائج الأضرء وأما الثالثة فإن كان التنصير فيها من إبطار العين فهو لغيرهم وإن كان من البصيرة فيشملمهم وهذا يؤيد حمله على الأخير وأما شرح تنمة الدعاء فموضعه الفرائد الطريفة.^(٢)

٣٨- الدر المنثور: عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله ﷺ إن عيسى ابن مريم ﷺ قال يا معشر الحوارين الصلاة جامعة فخرج الحواريون في هيئة العبادة قد تضرعت البطون وغارت العيون واصفرت الألوان فسار بهم عيسى ﷺ إلى فلاة من الأرض فقام على رأس جرثومة فحمد الله وأثنى عليه ثم أنشأ يتلو عليهم من^(٣) آيات الله وحكمته فقال يا معشر الحوارين اسمعوا ما أقول لكم إني لأجد في كتاب الله المنزل الذي أنزله الله^(٤) في الإنجيل أشياء معلومة فاعملوا بها قالوا يا روح الله و ما هي قال خلق الليل ثلاث خصال و خلق النهار لسبع خصال فمن مضى عليه الليل والنهار و هو في غير هذه الخصال خاصه الليل والنهار يوم القيامة فخصاه خلق الليل لتسكن فيه العروق الفاترة التي أتعبتها في نهارك و تستغفر لذنبك الذي كسبته بالنهار^(٥) ثم لا تعود فيه و تقنت فيه فتوت الصابرين فثلث تنام و ثلث تقوم و ثلث تضرع^(٦) إلى ربك فهذا ما خلق له الليل و خلق النهار لتؤدي فيه الصلاة المفروضة التي عنها تسأل و بها تخاطب^(٧) و تبر^(٨) والديك و أن تضرب في الأرض تنبغي المعيشة معيشة يومك و أن تعودوا^(٩) فيه وليا لله كيما يتغمدكم^(١٠) الله برحمته و أن تشيعوا فيه جنازة كيما تتقلبوا مغفورا لكم و أن تأمروا بمعروف و أن تنهوا عن منكر فهو ذروة الإيمان و قوام الدين و أن تجاهدوا في سبيل الله تراحموا إبراهيم خليل الرحمن في قبته و من مضى عليه الليل والنهار و هو في غير هذه الخصال خاصه الليل والنهار يوم القيامة فخصاه^(١١) عند مليك مقتدر.^(١٢)

بيان: قال في النهاية فيه كانت في المسجد جراثيم أي كان فيها أماكن مرتفعة عن الأرض مجتمعة من تراب أو طين.^(١٣)

(١) سورة الشورى، آية: ٤٥.

(٢) لم يوجد شرح هذا الدعاء في نسختنا المعتمدة في الفرائد الطريفة للمؤلف، حيث لم يشرح رحمه الله في هذا الكتاب إلا ثلاثة أدعية من أول الصحيفة.

(٣) كلمة: «من» ليست في المصدر.

(٤) في المصدر: «في النهار».

(٥) في المصدر: «تضرع».

(٦) في المصدر: «تخاطب».

(٧) في المصدر: «تعود».

(٨) في المصدر: «وهو» بدل «فخصاه».

(٩) في المصدر: «يتغمدكم».

(١٠) الدر المنثور ج ٥ ص ٣٥٦ و ٣٥٧.

٣٩- الدر المنثور: عن ابن مسعود في قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾^(١) قال طلوع الشمس والقمر من مغربهما مقترنين كالبعيرين القرنين ثم قرأ ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾^(٢).

٤٠- وعن حذيفة قال سألت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله ما آية طلوع الشمس من مغربها فقال تطول تلك الليلة حتى تكون قدر ليلتين فيقوم الذين كانوا يصلون فيها فيعملون كما كانوا يعملون والنجوم مكانها لا تسري ثم يأتون فرشهم فيرقدون حتى تكل جنوبهم ثم يقومون فيصلون حتى يتناول عليهم الليل فيفرغ الناس فيبينما هم ينتظرون طلوع الشمس من مشرقها إذا هي طلعت من مغربها فإذا رآها الناس آمنوا ولا ينفعهم إيمانهم.^(٣) وروي مثله عن قتادة.^(٤)

٤١- وعن ابن عباس وفي روايته آية تلكم الليلة أن تطول كقدر ثلاث ليال.^(٥)

٤٢- وعن أبي ذر ربه قال كنت رد رسول الله ﷺ على حمار عليه برذعة أو قطيفة^(٦) وذاك عند غروب الشمس فقال يا باذر أتدري أين تغيب هذه قلت الله ورسوله أعلم قال فإنها تغرب في عين حائمة^(٧) تنطلق حتى تخر لربها ساجدة تحت العرش فإذا حان خروجها أذن لها فتخرج فتطلع فإذا أراد الله أن يطلعها من حيث تغرب حبسها فتقول يا رب إن مسيري بعيد فيقول لها اطلعي من حيث غربت فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل.^(٨)

٤٣- وعن عبد الله بن أوفى^(٩) قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ليايتين على الناس ليلة بقدر ثلاث ليال من لياليكم هذه فإذا كان ذلك يعرفها المصلون يقوم أحدهم^(١٠) فيقرأ حزيه ثم ينام ثم يقوم فيقرأ حزيه ثم ينام ثم يقوم فيبينما هم كذلك إذ ماج الناس بعضهم في بعض فقالوا ما هذا فيفزعون إلى المساجد فإذا هم بالشمس قد طلعت من مغربها فضج الناس ضجة واحدة حتى إذا صارت في وسط السماء رجعت وطلعت من مطلعها وحينئذ لا ينفع نفساً إيمانها.^(١١)

٤٤- وعن أنس عن رسول الله ﷺ قال إن الشمس والقمر والنجوم خلقن من نور العرش.^(١٢)

٤٥- وعن السدي في قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾^(١٣) قال لم يجعل الشمس كهية القمر لكي^(١٤) يعرف الليل من النهار وهو قوله ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ الآية.^(١٥)

٤٦- وعن ابن عباس قال وجوهما إلى السماوات وأقفيتهما إلى الأرض.^(١٦)

٤٧- وعن أبي ذر^(١٧) ربه قال كنت مع النبي ﷺ في المسجد عند غروب الشمس فقال يا باذر أتدري أين تغرب الشمس قلت الله ورسوله أعلم فقال إنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن في الرجوع فيؤذن لها^(١٨) فذلك قوله ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾.^(١٩)

٤٨- وعن ابن عباس أنه كان يقرأ ﴿لَا مُسْتَقَرَّ لَهَا﴾^(٢٠).

٤٩- وعن ابن عباس ﴿رَبِّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبِّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾^(٢١) قال للشمس مطلع في الشتاء ومغرب في الشتاء ومطلع في الصيف ومغرب في الصيف غير مطلعها في الشتاء وغير مغربها في الشتاء.^(٢٢)

(٢) الدر المنثور ج ٣ ص ٥٧ والآية من سورة القيامة: ٩.

(٤) الدر المنثور ج ٣ ص ٥٨، باختلاف.

(٦) في المصدر: «قطيفة».

(٨) الدر المنثور ج ٣ ص ٥٧ و ٥٨.

(١٠) في المصدر: «أحدهم».

(١٢) الدر المنثور ج ٣ ص ٩٢.

(١٤) في المصدر: «كي».

(١٦) الدر المنثور ج ٣ ص ٣٠٠.

(١٨) عبارة: «فتستأذن في الرجوع، فيؤذن لها» ليست في المصدر.

(٢٠) الدر المنثور ج ٥ ص ٢٦٣.

(٢٢) الدر المنثور ج ٦ ص ١٤٢.

(١) سورة الأنعام، آية: ١٥٨.

(٣) الدر المنثور ج ٣ ص ٥٧، باختلاف.

(٥) الدر المنثور ج ٣ ص ٥٨.

(٧) في المصدر: «حائمة».

(٩) في المصدر: «عبد الله بن أبي أوفى».

(١١) الدر المنثور ج ٣ ص ٥٨.

(١٣) سورة يونس، آية: ٥.

(١٥) الدر المنثور ج ٣ ص ٣٠٠ والآية من سورة الإسراء: ١٢.

(١٧) في المصدر: «يا باذر».

(١٩) الدر المنثور ج ٥ ص ٢٦٣ والآية من سورة يس: ٣٨.

(٢١) سورة الرحمن، آية: ١٧.

- ٥٠- وفي رواية أخرى عنه قال مشرق الفجر وشرق الشمس و مغرب الشمس ^(١) و مغرب الشفق ^(٢).
- ٥١- وعنه أيضا في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ ^(٣) قال للشمس كل يوم مطلع تطلع فيه و مغرب تغرب فيه غير مطلعها بالأمس و غير مغربها بالأمس ^(٤).
- ٥٢- وعن عكرمة قال هي المنازل التي تجري فيها الشمس والقمر ^(٥).
- ٥٣- وعن ابن عباس في قوله ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ ^(٦) قال وجهه يضيء السماوات وظهره يضيء الأرض ^(٧).
- ٥٤- وعن شهر بن حوشب قال اجتمع عبد الله بن عمرو بن العاص و كعب الأحبار و قد كان بينهما بعض العتب فتعابا فذهب ذلك فقال عبد الله بن عمرو للكعب سلمي عما شئت فلا تسألني عن شيء إلا أخبرتك بتصديق قولي من القرآن فقال له رأيت ضوء الشمس والقمر أهو في السماوات السبع كما هو في الأرض قال نعم ألم تروا إلى قول الله ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ ^(٨).
- ٥٥- وعن ابن عباس قال وجهه في السماء إلى العرش و قفاه إلى الأرض ^(٩).
- ٥٦- وعن عكرمة قال إنه يضيء نور القمر فيهن كلهن كما لو كان سبع زجاجات أسفل منهن شهاب أضاء كلهن فكذاك نور القمر في السماوات كلهن لصفائهن ^(١٠).
- ٥٧- وعن ابن عباس في قوله ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ ^(١١) قال خلق فيهن حين خلقهن ضياء لأهل الأرض و ليس في السماء من ضوئه شيء ^(١٢).
- ٥٨- وعن عطاء في قوله وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ^(١٣) قال يجعلان يوم القيامة ثم يقذفان ^(١٤) فيكون نار الله الكبرى ^(١٥).
- ٥٩- وعن ابن جريح قال كورا يوم القيامة ^(١٦).

٢١٣
٥٨

٦٠- العلل والعيون: في خبر الشامي عن الرضا عليه السلام أنه سأل رجل من أهل الشام أمير المؤمنين عليه السلام عن مسائل فكان فيما سأله أن سأل عن أول ما خلق الله تعالى قال خلق النور و سألته عن طول الشمس والقمر و عرضهما قال تسعمائة فرسخ في تسعمائة فرسخ ^(١٧).

بيان: أقول تمامه في كتاب الإحتجاج و قال السيد الداماد ره بعد إيراد الخبر بتمامه إنما هذه السؤالات عن أشياء وجدها السائلون من أهل الكتاب في الكتب السماوية المنزل على أنبيائهم فامتنحوا بها أمير المؤمنين عليه السلام و اختبروا بها علمه بالكتب الإلهية و الصحف السماوية و قوله عليه السلام أول ما خلق الله النور المعني به الجوهر المفارق الذي هو أول الأنوار العقلية. كما قال سيدنا رسول الله ﷺ أول ما خلق الله العقل. و أما قوله عليه السلام تسعمائة فرسخ في تسعمائة فرسخ قال المعني به مكعب تسعمائة فرسخ أي سبعة آلاف ألف فرسخ و تسعة و عشرون ألف ألف فرسخ المجتمع من ضرب تسعمائة فرسخ في تسعمائة فرسخ ثم ضرب تسعمائة فرسخ في مربعها الحاصل من ضربها في نفسها أي في ثمانمائة ألف فرسخ و عشرة آلاف فرسخ و الذي رآه بطول الشمس و عرضها المتساويين هو مساحة جميع سطحها المستدير المحيط بجرمها و كذلك ما يرام بطول القمر و عرضه و ليعلم أن ما نالته الحكماء التعليميون ببراينهم و أرصادهم و حصلته العلماء الرياضيون بحسبهم و حساباتهم في مقادير الأبعاد و الأجرام قد اختلف مذاهبهم فيه اختلافا كثيرا و ذلك إما

٢١٣
٥٨

(١) في المصدر: «مشرق النجم و مشرق الشفق «ورب المغربين» قال مغرب الشمس».

(٢) الدر المنثور ج ٦ ص ١٤٢.

(٣) سورة المعارج، آية: ٤٠.

(٤) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٦٧.

(٥) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٦٧.

(٦) سورة نوح، آية: ١٦.

(٧) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٦٩ من سورة نوح: ١٥ و ١٦.

(٨) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٦٩.

(٩) سورة نوح، آية: ١٦.

(١٠) سورة القيامة، آية: ٩.

(١١) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٨٨.

(١٢) علل الشرائع ص ٥٩٣ باب ٣٨٥ (نادر العلل) حديث ٤٤.

(١٣) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٨٨.

(١٤) في المصدر: «فيقذفان في البحر» بدل «ثم يقذفان».

(١٥) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٨٨.

لاختلافات في الآلات الرصدية أو لخلل و زلل في نصيها في مناصبها اللاتقة وإما لمساحات قل ما تخلو عنها حسابات الحاسبين ومساهلات قل ما تعرف عنها أرصاد الراصدين فلذلك كله ما قد اختلف أحكام الأرصاد و عز ما يتفق رصدان متفقان وبالجملة فإذا قد أفرت الجماهير أن بحث الأوائل أوفى فاعلمن أن بطليموس ومن في طبقته من الأوائل وجدوا بأرصادهم حصّة درجة واحدة من الدائرة العظمى تقع على سطح الأرض اثنين وعشرين فرسخا وتسع فرسخ فحكما أن ثلاثمائة وستين درجة وهي محيط الدائرة العظمى الأراضية ثمانية آلاف فرسخ وقد بين أرشميدس في مقالته في مساحة الدائرة أن محيط كل دائرة كمجموع ثلاثة أمثال قطرها و سبع قطرها على التقريب فيكون مقدار قطر الأرض ألفين وخمسمائة فرسخ وخمسة وأربعين فرسخا ونصف فرسخ تقريبا وقد بين فيها أيضا أن مسطح نصف القطر في نصف المحيط مساو لتكبير الدائرة فتستبين بقوة الخامس والعشرين من أولي كتاب الكرة والأسطوانة لأرشميدس أن السطح الذي يحيط به قطر الكرة في المحيط أعظم دائرة تقع فيها مساو للسطح المحيط بالكرة فإذا ضربت القطر في محيط الدائرة العظمى حصل تكبير سطح الأرض وهو عشرون ألف ألف فرسخ وثلاثمائة وثلاثة وستون ألف فرسخ وستمائة وستة وثلاثون فرسخا وأربعة أجزاء من أحد عشر جزءا من فرسخ وجدوا قطر الأرض مثل قطر جرم القمر ثلاث مرات وخمسي مرة فيكون مقدار جرم قطر القمر سبعمائة فرسخ وسبعة وأربعين فرسخا بالتقريب فمحيط دائرة عظمى قمرية أفان وثلاثمائة فرسخ وأحد وأربعون فرسخا ونصف فرسخ على التقريب فمساحة جميع سطح القمر ألف ألف فرسخ وسبعمائة ألف فرسخ وثلاثة وأربعون ألف فرسخ وثمانمائة فرسخ وخمسة وأربعون فرسخا وجدوا قطر جرم الشمس خمسة أمثال ونصف مثل لقطر الأرض إذا كانوا وجدوا قطر الشمس بنسبته إلى قطر الأرض كمجموع ثمانية عشر جزءا وأربعة أخماس جزء بالنسبة إلى مجموع ثلاثة أجزاء وخمسي جزء و خرج لهم من بعد القسمة خمسة ونصف فمقدار قطر الشمس أربعة عشر ألف فرسخ إلا فرسخين ونصف فرسخ فمحيط دائرة عظمى على جرم الشمس أربعة وأربعون ألف فرسخ تقريبا قريبا من التحقيق على ذلك التقدير فمساحة سطح جرم الشمس بناء على ذلك ستمائة ألف ألف فرسخ وستة عشر ألف ألف فرسخ ومجموع مساحة سطح الشمس والقمر جميعا ستمائة ألف ألف فرسخ وسبعة عشر ألف ألف فرسخ وسبعمائة ألف فرسخ وثلاثة وأربعون ألف فرسخ وثمانمائة فرسخ وخمسة وأربعون فرسخا واستخرجوا بحسبهم على ما قد استحصلته أرصادهم أن من الأرض إلى بعد الشمس الأوسط ألف ألف فرسخ وسبعة وثلاثين ألف فرسخ وثلاثمائة فرسخ وأحد^(١) وثمانين فرسخا بالتقريب وأن الشمس مائة وستة وستون مثلا وربع و ثمن مثل للأرض وستة آلاف وستمائة وأربعة وأربعون مثلا للقمر وأن الأرض تسعة وثلاثون مثلا و ربع مثل للقمر وقال قطب فلك التحصيل والتحقيق من العلماء المشهورة الجمهورية في طبيعيات كتاب درة التاج^(٢) أن الحكيم الفاضل مؤيد الدين العرضي^(٣) حقق الأمر تحقيقا لم يسبقه إليه أحد ولم يلحقه أحد وفيما نقل عنه أن جرم الشمس مائة وسبعة وستون مثلا لجرم الأرض و جرم الأرض أربعون مثلا لجرم القمر ثم إن هؤلاء الراصدين الحاسبين جعلوا البعد الأبعد لكل كوكب البعد الأقرب للكوكب الذي فوقه وكان من الواجب أن يجعل بعد محذب كل فلك بعد مقر الفلك الذي فوقه لكنهم لم يعتبروا أنصاف أقطار الكواكب و ثخن جواهر القمر وما يبقى من متمم عطارد بين أقرب أبعاده ومقر فلكه إذ لم يكن غرضهم الأصلي إلا الاطلاع على عظم هذه الأجرام الشريفة على الإجمال ليعلم أن قدرة مبدعها جلّت عظمتها على أقصى غايات الكمال لا استنبات معرفتها للذهن البشري على طباق ما في العين فإن عقول الحكماء وأفهام العقلاء لا تصادف ولا تلقى إلا راجعة عن ذلك بخفي حنين فلذلك تراهم يتساهلون كثيرا في الحساب مع أن إهمال ثانية واحدة يقضي إلى التباعد بمراحل عن الصواب ولقد أورد عليهم أن المسافة على ما في المجسطي وما في مرتبه بين محذب الفلك المائل للقمر ومقر فلك الشمس

ليست تسع تخفي فلك الزهرة و عطارد فضلا من أن يسعهما ما بين محدب جوزه القمر ومقر فلك الشمس والحق أن ذلك إنما نشأ من المساهلة في الحساب بإهمال الكسور و ما يسير مسيره و يجري مجراه فالراصد الفاضل الحاسب المهندس الكاشاني قد تشرع محل الإشكال في رسالة سلم السماء^(١) باستئناف الحساب على سبيل الاستقصاء من غير إهمال التواني بل الثوابت وأورد قطر جرم القمر على أنه سبعمائة و أحد و ثلاثون فرسخا و الصواب فيه ما أثبتناه و قطر الشمس سبعة عشر ألف و خمسمائة و ثمانية و ثلاثين فرسخا على أنه سبعة أمثال قطر الأرض إلا عشر مثل تقريبا و الذي يوجبه الاستقصاء أنه مثل قطر الأرض ست مرات و خمسة أسداس مرة و نصف عشر مرة و جرم القمر على أنه كجزء من اثنين و أربعين جزءا و سدس جزء من الأرض و الأحق فيه استبدال خمس مكان سدس و جرم الشمس على أنها ثلاثمائة و ستة و عشرون مثالا للأرض و الأحق في ذلك و خمس مثل أيضا تقريبا و إذا علم ذلك فليعلم أن ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام في جواب سؤال الشامي إنما هو علي مطابقة الشائع المعتر الذي اعتبرته الأوائل من الحكماء اليونانيين ثم استمر شيوعا و استقر اعتبارا في العصور و الدهور إلى هذه السنين الأخيرة لكنه لم يتساهل في الحساب و لم يهمل اعتبار الكسور فلمله عليه السلام اعتبر قطر الأرض أكثر مما هو المشهور بشيء يشير أو أنه عليه السلام اعتبر قطر الشمس ستة أمثال قطر الأرض كثمانية عشر بالنسبة إلى خمسة وهم قد اعتبروه بالنسبة إليه كثمانية عشر جزءا و أربعة أخماس جزء بالنسبة إلى ثلاثة أجزاء و خمسين جزءا و بالجملة على ما قاله عليه السلام يجب أن يؤخذ قطر الشمس على أنه خمسة عشر ألفا و مائتا فرسخ تقريبا و محيط دائرة عظمى شمسية على أنه سبعة و أربعون ألفا و سبعمائة فرسخ و أحد و سبعون فرسخا و نصف. فرسخ تقريبا ليس هو على البعد من التحقيق فإذا كان مجموع مضروب قطرها في محيط عظمها و هو مساحة جميع سطحها ما آتيناك في مساحة جميع سطح القمر مساويا لمكعب تسعمائة فرسخ على التقريب القريب من التحقيق جدا و الله سبحانه أعلم بأسرار كلام عبده و وليه و أخي رسوله و وصيه و باب علمه و عيبة حكيمته و لو رام رائد أن يتعرف سبيل الجواب على الاستقصاء الذي تولاها الراصد الحاسب الكاشي على سبيل التقريب قليل له ألف في تسعمائة ثم في حاصل الضرب.

وأقول: ذهب بخفي حنين مثل سائر في خيبة الإنسان عما يرجوه و قال الجوهري قال ابن السكيت عن أبي اليقظان كان حنين رجلا شديدا ادعى على^(٢) أسد بن هاشم بن عبد مناف فأتى عبد المطلب و عليه خفان أحمران فقال يا عم أنا ابن أسد بن هاشم فقال عبد المطلب لا و ثياب هاشم ما أعرف شمائل هاشم فيك فارجع فقالوا ذهب^(٣) حنين بخفيه فصار مثالا و قال غيره هو اسم إسكاف من أهل الحيرة ساومه أعرابي بخفين فلم يشتره^(٤) فغاضه ذلك و علق أحد الخفين في طريقه فتقدم فطرح الآخر و كمن له و جاء الأعرابي فرأى أحد الخفين فقال ما أشبه هذا بخف حنين لو كان معه آخر لاشترته فتقدم فرأى الخف الثاني مطروحا في الطريق فنزل و عقل بعيره و رجع إلى الأول فذهب الإسكاف براحلته و جاء إلى الحي بخفي حنين.^(٥)

علم النجوم و العمل به و حال المنجمين

باب ١١

الآيات:

الصافات: ﴿فَنَظَرَنَّا فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾.^(٦)

(١) لم نخر على رسالة سلم السماوات هذه.

(٢) في المصدر: «إلى».

(٣) في المصدر: «رجع».

(٤) في المصدر: «يشتريها».

(٥) الصالح ج ٤ ص ٢١٠ و ٢١٠٦.

(٦) سورة الصافات، آية: ٨٨ و ٨٩.

تفسير: استشكل السيد المرتضى ره في كتاب تنزيه الأنبياء في هذه الآية بوجهين أحدهما أنه حكى عن نبيه النظر في النجوم وعندكم أن الذي يفعله المنجمون في ذلك ضلال والآخر قوله «إِنِّي سَقِيمٌ» وذلك كذب ثم أجاب بوجوده.

الأول: أن إبراهيم عليه السلام كانت به علة تأتية في أوقات مخصوصة فلما دعوه إلى الخروج معهم نظر إلى النجوم ليعرف منها قرب نوبة علته فقال إني سقيم وأراد أنه حضر وقت العلة و زمان نوبتها و شارفت^(١) الدخول فيها و قد تسمي العرب المشارف للشيء باسم الداخل فيه كما قال تعالى «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ»^(٢)

فإن قيل لو أراد ما ذكرتموه لقال فنظر إلى النجوم لأن لفظة في لا تستعمل إلا فيمن ينظر كما ينظر المنجم. قلنا: حروف الصفات يقوم بعضها مقام بعض قال سبحانه «وَلَا صَلَّيْنَكُمْ فِي جُدُوعِ التَّخْلِ»^(٣) وإنما أراد على جذوعها.

الثاني: أنه يجوز أن يكون الله أعلمه بالوحي أنه سيمتحنه بالمرض في وقت مستقبل وإن لم يكن قد جرت بذلك المرض عادته وجعل تعالى العلامة على ذلك ظاهرا له من قبل النجوم إما لطلوع نجم على وجه مخصوص أو اقترانه بآخر فلما نظر إبراهيم عليه السلام في الأمانة التي نصبت له من النجوم قال إني سقيم تصديقا لما أخبره الله تعالى. الثالث: ما قاله قوم في ذلك إن من كان آخر أمره الموت فهو سقيم وهذا لأن تشبيه الحياة المفضية إلى الموت بالسقم من أحسن التشبيه.

الرابع: أن يكون قوله «إِنِّي سَقِيمٌ» معناه أنني سقيم القلب أو الرأي خوفا من إصرار قومه على عبادة الأصنام وهي لا تسمع ولا تبصر و يكون قوله «فَنَظَرُ نَظْرَةٍ فِي النُّجُومِ»^(٤) على هذا معناه أنه نظر و فكر في أنها محدثة مدبرة مصرفة و عجب كيف يذهب على العقلاء ذلك من حالها حين يعبدونها و يجوز أيضا أن يكون قوله «فَنَظَرُ نَظْرَةٍ فِي النُّجُومِ» معناه أنه شخص ببصره إلى السماء كما يفعل المفكر المتأمل فإنه ربما أطرق إلى الأرض و ربما نظر إلى السماء استعانة على فكره و قد قيل إن النجوم هاهنا نجوم النبت لأنه يقال لكل ما خرج من الأرض و غيرها و طلع أنه ناجم و نجم و يقال للجميع نجوم و يقولون نجم قرن الظبي و نجم ثدي المرأة و على هذا الوجه يكون إنما نظر في حال الفكر و الإطراق إلى الأرض فرأى ما نجم منها^(٥) و قيل أيضا إنه أراد بالنجوم ما نجم له من رأيه و ظهر له بعد أن لم يكن ظاهرا و هذا و إن كان يحتمله الكلام فالظاهر بخلافه لأن الإطلاق في قول القائل نجوم لا يفهم من ظاهره إلا نجوم السماء دون نجوم الأرض و نجوم الرأي و قال أبو مسلم الأصفهاني^(٦) إن معنى قوله «فَنَظَرُ نَظْرَةٍ فِي النُّجُومِ» أراد في القمر و الشمس لما ظن أنها آلهة في حال مهلة النظر على ما قصه الله تعالى من قصته في سورة الأنعام و لما استدلل بأقوالها و غروبها على أنها محدثة غير قديمة و لا آلهة و أراد بقوله «إِنِّي سَقِيمٌ» أنني لست على يقين من الأمر و لا شفاء من العلم و قد يسمى الشك بأنه سقم كما يسمى العلم بأنه شفاء ثم اعترض عليه بأنه مخالف لسياق الآيات^(٧) انتهى ملخص كلامه.

وأقول: يمكن أن يقال إن حرمة النظر في النجوم على الأنبياء و الأئمة العالمين بها حق العلم غير مسلم و إنما يحرم على غيرهم لعدم إحاطتهم بذلك و نقص علمهم كما ستعرف عند شرح الأخبار.

١- الإحتجاج: عن أبان بن تغلب قال كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه رجل من أهل اليمن فسلم عليه فرد أبو عبد الله عليه السلام فقال له مرحبا يا سعد فقال له الرجل بهذا الاسم سمتني أمي و ما أقل من يعرفني به فقال له أبو عبد الله عليه السلام صدقت يا سعد المولى فقال الرجل جعلت فداك بهذا^(٨) كنت ألقب فقال أبو عبد الله عليه السلام لا خير في القلب إن الله تبارك و تعالى يقول في كتابه «وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ»^(٩) ما صنعتك يا سعد فقال

(٢) سورة الزمر، آية: ٣٠.

(٤) سورة الصافات، آية: ٨٨.

(٦) للمزيد راجع طبقات المفسرين ج ٢ ص ١٠٩ رقم ٤٦٦.

(٨) في المصدر إضافة: «القلب».

(١) في المصدر: «و شارف».

(٣) سورة طه، آية: ٧١.

(٥) في المصدر: «فيها».

(٧) تنزيه الأنبياء ص ٢٥ - ٢٧.

(٩) سورة الحجرات، آية: ١١.

جعلت فذاك إننا من ^(١) أهل بيت ننظر في النجوم لا يقال إن باليمن أحدا أعلم بالنجوم منا فقال أبو عبد الله عليه السلام ^(٢) فكم ضوء المشتري ^(٣) على ضوء القمر درجة فقال اليماني لا أدري فقال أبو عبد الله عليه السلام صدقت فكم ^(٤) ضوء المشتري على ضوء عطارد درجة فقال اليماني لا أدري فقال أبو عبد الله عليه السلام صدقت ^(٥) فما اسم النجم الذي إذا طلع هاجت الإبل فقال اليماني لا أدري فقال أبو عبد الله عليه السلام صدقت ^(٦) فما اسم النجم الذي إذا طلع هاجت البقر فقال اليماني لا أدري فقال له أبو عبد الله عليه السلام صدقت فما اسم النجم الذي إذا طلع هاجت الكلاب فقال اليماني لا أدري فقال أبو عبد الله عليه السلام صدقت في قولك لا أدري فما زحل عندكم في النجوم فقال اليماني نجم نحس فقال أبو عبد الله عليه السلام لا تقل هذا فإنه نجم أمير المؤمنين عليه السلام وهو نجم الأوصياء عليه السلام وهو النجم الثاقب الذي قال الله في كتابه فقال اليماني فما معنى الثاقب فقال إن مطلعته في السماء السابعة فإنه تقب بضوئه حتى أضاء في السماء الدنيا فمن ثم سماه الله النجم الثاقب ثم قال يا أبا العرب عندكم عالم قال ^(٧) اليماني نعم جعلت فذاك إن باليمن قوما ليسوا كأحد من الناس في علمهم فقال أبو عبد الله عليه السلام وما يبلغ من علم عالمهم قال اليماني إن عالمهم ليزجر الطير ويقفو الأثر في ساعة واحدة مسيرة شهر للمراكب المحدث ^(٨) فقال أبو عبد الله عليه السلام فإن عالم المدينة أعلم من عالم اليمن قال اليماني وما يبلغ من علم عالم المدينة قال عليه السلام إن علم عالم المدينة ينتهي إلى أن لا يقفو الأثر ولا يزجر الطير ويعلم ما في اللحظة الواحدة مسيرة الشمس تقطع اثني عشر برجاً واثني عشر براً واثني عشر بحراً واثني عشر عالماً فقال له اليماني ما ظننت أن أحداً يعلم هذا وما يدرى ما كنته قال ثم قام اليماني ^(٩).

إيضاح: لا خير في اللقب أي في الألقاب الرديئة وذكره عليه السلام كان لبيان الإعجاز أو المنهي عنه التنازع بها أولاً فأمّا بعد الأشتهار فلا بأس للتعريف وغيره هاجت الإبل أي للسفاد قال الجوهري الهانج الفحل الذي يشتهي الضراب ^(١٠) انتهى وزجر الطير الحكم بصياحها وطيرانها على الحوادث نقولاً وتشوياً قال الجزري الزجر للطيور هو التيميم والتشويم بها والتفول ^(١١) بطيرانها كالسلاح والبارح وهو نوع من الكهانة والعيافة ^(١٢) انتهى والمراد بقفو الأثر إما ما كان شائعاً عند العرب من الاستدلال برؤية أثر القدم على تعيين الذهاب وأنه إلى أين ذهب كما فعلوا ليلة الغار أو الاستدلال بالعلامات والآثار والأوضاع الفلكية على الحوادث وقوله في ساعة واحدة مسيرة شهر أي يحكم في ساعة واحدة بتلك الأمور على حدوث الحوادث في مسافة وناحية تكون مسيرة شهر قوله عليه السلام إلى أن لا يقفو الأثر أي لا يحتاج في علمه بالحوادث إلى تلك الأمور بل يعلم في لحظة واحدة بما أعطاه الله من العلم ما يقع فيما تطلع عليه الشمس وتقطع وهي مقدار اثني عشر برجاً في السماء في يوم أو أصل البروج في سنة واثني عشر نوعاً من أنواع البراري وبحراً من أنسواع البحور واثني عشر عالماً من أصناف الخلق كما مر منها جابلقا وجابرسا فلفظة ما زائدة و يحتمل أن يكون المراد يعلم ما يحدث في اللحظة الواحدة في جميع تلك العوالم و يحتمل أن يكون يقطع بالياء أي يقطع العالم تلك العوالم بعلمه أو بطي الأرض كما سيأتي.

٢- الإحتجاج: عن سعيد بن جبير قال استقبل أمير المؤمنين عليه السلام دهقان من دهاقين الفرس فقال له بعد التهنية يا أمير المؤمنين تناحست النجوم الطالعات و تناحست السعود بالنحوس وإذا كان مثل هذا اليوم وجب على الحكيم الاختفاء ويومك هذا يوم صعب قد انقلب فيه كوكبان و انقذ من برجك النيران وليس الحرب لك بمكان فقال أمير المؤمنين عليه السلام ويحك يا دهقان المنبئ بالآثار المحذر من الأقدار ما قصة صاحب الميزان وقصة صاحب السرطان وكم

(١) في المصدر: «إننا» بدل «أنا من».

(٢) في المصدر إضافة: «فكم يزيد ضوء الشمس على ضوء القمر درجة؟ فقال اليماني: لا أدري فقال أبو عبد الله عليه السلام ؟ صدقت قال».

(٣) في المصدر: «فكم ضوء القمر يزيد على ضوء المشتري درجة؟».

(٤) في المصدر إضافة: «يزيد».

(٥) في المصدر: «قال: منكم ضوء عطارد يزيد درجة على ضوء الزهرة؟ قال اليماني: لا أدري قال أبو عبد الله صدقت».

(٦) في المصدر إضافة: «قال فما اسم النجم الذي إذا طلع هاجت الإبل فقال اليماني: لا أدري فقال له أبو عبد الله عليه السلام صدقت قال».

(٧) في المصدر: «فقال».

(٨) كلمة: «المحدث» ليست في المصدر.

(٩) (١٠) الصحاح ج ١ ص ٣٥٢.

(١١) (١٢) النهاية ج ٢ ص ٢٩٧.

(٩) الإحتجاج ج ٢ ص ٢٥٠ - ٢٥٣ رقم ٢٢٤.

(١١) من المصدر.

المطالع من الأسد و الساعات من المحركات^(١) و كم بين السراري و الداراي قال سأنظر و أوما بيده إلى كمه وأخرج منه أسطرلابا ينظر فيه فتسبم ﷺ فقال أتدري ما حدث البارحة وقع بيت بالعين و انفرج برج ماجين و سقط سور سرانديب^(٢) و انهزم بطريق الروم بأرمينية^(٣) و فقد ديان اليهود بأيلة^(٤) و هاج النمل بوادي النمل و هلك ملك إفريقية أكنت عالما بهذا قال لا يا أمير المؤمنين فقال البارحة سعد سبعون ألف عالم و ولد في كل عالم سبعون ألفا و الليلة يموت مثلهم و هذا منهم و أوما بيده إلى سعد بن مسعدة الحارثي و كان جاسوسا للخوارج في عسكر أمير المؤمنين ﷺ فظن الملعون أنه يقول خذوه فأخذ بنفسه فمات فخر الدهقان ساجدا فقال أمير المؤمنين ﷺ ألم أروك من عين التوفيق قال بلى يا أمير المؤمنين فقال أنا و صاحبي لا شرقي^(٥) و لا غربي نحن ناشئة القطب و أغلام الفلك أما قولك اتقدح من برجك النيران فكان الواجب^(٦) أن تحكم به لي لا علي أما نوره و ضياؤه فعندي و أما حريقه و لهبه فذهب^(٧) عني فهذه مسألة عميقة احسبها إن كنت حاسبا.^(٨)

بيان: ما قصة صاحب الميزان أي الكواكب التي الآن في برج الميزان أو الكواكب المتعلقة بتلك البرج المناسبة لها و كذا صاحب السرطان و كم المطالع من الأسد أي كم طلع من ذلك البرج الآن و الساعات أي كم مضى من الساعات من طلوع سائر المتحركات و لعل المراد بالسراري الكواكب الخفية تشبيها لها بالسرية و الداراي الكواكب الكبيرة المضيئة أو اصطلاحا في الكواكب لا يعرفها المنجمون و الغرض أنه لو كان هذا العلم خفا فإنما يمكن الحكم به بعد الإحاطة بجميع أوضاع الكواكب و أحوالها و خواصها في كل آن و زمان و المنجمون لم يرصدا من الكواكب إلا أقلها و مناط أحكامهم أوضاع السيارات فقط مع عدم إحاطتهم بأحوال تلك أيضا ثم نهه ﷺ على عدم إحاطته بذلك العلم أو عدم كفايته للعلم بالحوادث. بجهله بكثير من الأمور الحادثة و في القاموس بالطريق ككبريت القائد من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل^(٩) انتهى و ديان اليهود عالمهم و في بعض النسخ بأنون جمع ذن و هو الحب العظيم و صاحبي أي النبي ﷺ لا شرقي و لا غربي إيماء إلى قوله سبحانه ﴿لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ﴾^(١٠) و الغرض لسننا كسائر الناس حتى تحكم علينا بأحكامهم كالنجوم المنسوبة إلى العرب أو إلى الملوك أو إلى العلماء و الأشراف فإنا فوق ذلك كله نحن ناشئة القطب أي الفرقة الناشئة المنسوبة إلى القطب أي حقيقة لثباتهم و استقرارهم في درجات العز و الكمال أو كناية عن أنهم ﷺ غير منسوبين إلى الفلك و الكواكب بل هي منسوبة إليهم و سعادتها بسببهم و أنهم قطب الفلك إذ الفلك يدور بركتهم و هم أغلام الفلك بهم يتزين و يتبرك و يسعد ثم أُلزم ﷺ عليه في قوله اتقدح من برجك النيران بأن للنار جهتين جهة نور و جهة إحراق فنورها لنا و إحراقها على عدونا و يحتمل أن يكون المراد به أن الله يدفع ضررها عنا بتوسلنا به تعالى و توكلنا عليه فهذه مسألة عميقة أي كوننا ممتازين عن سائر الخلق في الأحكام أو كون النيران خيرا لنا و شرا لعدونا أو أن التوسل و الدعاء يدفع النحوس و البلاء مسألة عميقة خارجة عن قانون نجومك و حسابك و يبطل جميع ما تظن من ذلك.

٣- الإحتجاج: عن هشام بن الحكم قال سأل الزنديق أبا عبد الله ﷺ فقال ما تقول فيمن زعم أن هذا التدبير الذي يظهر في هذا^(١١) العالم تدبير النجوم السبعة قال ﷺ يحتاجون إلى دليل أن هذا العالم الأكبر و العالم الأصغر من تدبير النجوم التي تسبح في الفلك و تدور حيث دارت متعبة لا تفتقر و سائرة لا تقف ثم قال و إن كل نجم منها موكل مدير فهي بمنزلة العبيد المأمورين المنهيين فلو كانت قديمة أزلية لم تتغير من حال إلى حال قال فما تقول في علم النجوم قال هو علم قلت منافعه و كثرت مضراته لأنه لا يدفع به المقدور و لا يتقى به المحذور إن أخبر المنجم بالباء لم

(١) في نسخة من المصدر: «في الحركات».

(٢) في المصدر: «بأرمينية».

(٣) في المصدر: «فقال أمير المؤمنين ﷺ: أنا و أصحابي لا شرقيون و لا غربيون».

(٤) في المصدر إضافة: «عليك».

(٥) في المصدر: «فذهب».

(٦) القاموس المحيط ج ٣ ص ٢٢١.

(٧) الإحتجاج ج ١ ص ٥٥٨ - ٥٦٠ رقم ١٣٥.

(٨) سورة النور، آية: ٣٥.

(٩) كلمة: «هذا» ليست في المصدر.

ينجيه التحرز من القضاء وإن أخبر هو بخير لم يستطع تعجيله وإن حدث به سوء لم يمكنه صرفه والمنجم يضاد الله في علمه بزعمه أنه يرد قضاء الله عن خلقه^(١) الخبير.

٤- مجالس الصدوق: عن محمد بن علي ماجيلويه عن محمد بن أبي القاسم عن محمد بن علي القرشي عن نصر بن مزاحم عن عمر بن سعد عن يوسف بن يزيد عن عبد الله بن عوف بن الأحمر قال لما أراد الله أمير المؤمنين ﷺ المسير إلى النهروان أتاه منجم فقال له يا أمير المؤمنين لا تسر في هذه الساعة و سر في ثلاث ساعات يعضين من النهار فقال أمير المؤمنين ﷺ و لم ذاك قال لأنك إن سرت في هذه الساعة أصابك و أصاب أصحابك أذى و ضر شديد و إن سرت في الساعة التي أمرتك ظفرت و ظهرت و أصبت كل ما طلبت فقال له أمير المؤمنين ﷺ تدري ما في بطن هذه الدابة أذكر أم أنسى قال إن حسبت علمت قال له أمير المؤمنين ﷺ من صدقك على هذا القول فقد كذب بالقرآن قال الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٢) ما كان محمد ﷺ يدعي ما ادعيت أنزعك أنك تهدي إلى الساعة التي من سار فيها صرف عنه السوء و الساعة التي من سار فيها حاق به الضر من صدقك بهذا. فني بقولك عن الاستعانة بالله عز و جل في ذلك الوجه و أوجع إلى الرغبة إليك في دفع المكروه عنه و ينبغي له أن يوليكم الحمد دون ربه عز و جل فمن آمن لك بهذا فقد اتخذك من دون الله ندا و ضدا ثم قال اللهم لا طير إلا طيرك و لا خير إلا خيرك و لا إله غيرك بل نكذبك و نخالفك و نسير في الساعة التي نهيت عنها^(٣).

بيان: فقال له روي أن هذا القائل كان عفيف بن قيس أخا الأشعث و كان يتعاطى علم النجوم و يقال ظفر بمطلوبه كفرح أي فاز أنزع أي تقول و أكثر ما يستعمل في الباطل و الحديث الذي لا مستند له و حاق به الأمر أي لزمه و نزل به و الضر بالضم سوء الحال من صدقك على هذا القول فقد كذب بالقرآن لادعائه العلم الذي أخبر الله سبحانه أنه مختص به إذ ظاهر قوله تعالى ﴿عِنْدَهُ﴾ الاختصاص فإن قيل فقد أخبر النبي ﷺ و الأئمة ﷺ بالخمس المذكورة في الآية في مواطن كثيرة فكيف ذلك قلنا المراد أنه لا يعلمها أحد بغير تعليمه سبحانه و ما أخبروه من ذلك فإنما كان بالوحي و الإلهام أو التعلم من النبي ﷺ الذي علمه بالوحي لا يقال علم النجوم أيضا من هذا القبيل لما سيأتي من الأخبار الدالة على أن له أصلا وأنه مما علمه الله أنبياء فكيف يكون تصديق المنجم تكذيبا للقرآن لأننا نقول الذي سيظهر من الأخبار أن نوعا من هذا العلم حق بعلمه الأنبياء و الأوصياء ﷺ و أما أن ما في أيدي الناس من ذلك فلا كما ستبينه.

أن يوليكم الحمد على بناء الإفعال أو التفعيل أي يقربك من الحمد من الولي بمعنى القرب أو من قولهم ولاه الأمير عمل كذا أي قلده إياه أي يجعلك وليا للحمد و أهلا له أو من قولهم أوليته معروفا أي أنعمت عليه لا طير إلا طيرك لا طيرك إلا طيرك و هي التشؤم بالشيء أي لا تأثير للطيرة إلا طيرك أي قضاؤك و قدرك على المشاكلة و يدل على أن ضرر النجوم من جهة الطيرة و الضير الضرر.

٥- الخصال: عن محمد بن الحسن بن الوليد عن محمد بن الحسن الصفار عن العباس بن معروف عن الحسن بن علي بن فضال عن ظريف بن ناصح عن أبي الحصين قال سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول سئل رسول الله ﷺ عن الساعة فقال عند إيمان بالنجوم و تكذيب بالقدر^(٤).

بيان: يومن إلى أن الإيمان بالنجوم متضمن للتكذيب بالقدر.

٦- الخصال: عن أبيه عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن الحسن بن أبي الحسين الفارسي عن سليمان بن جعفر البصري عن عبد الله بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جعفر بن محمد عن آبائه عن علي ﷺ قال قال رسول الله ﷺ أربعة لا تزال في أمتي إلى يوم القيامة الفخر بالأحساب و الطعن في الأنساب و الاستسقاء بالنجوم و النياحة و إن النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقوم يوم القيامة و عليها سربال من قطران و درع من جرب^(٥).

(١) الاحتجاج ج ٢ ص ٢٤٠ - ٢٤٢. اختصاراً.

(٢) سورة لقمان، آية: ٣٤.

(٣) أمالي الصدوق ص ٥٠٠ و ٥٠١ مجلس ٦٤ حديث ٦٨٧.

(٤) الخصال ج ١ ص ٦٢ باب الاثنين حديث ٨٧.

(٥) الخصال ج ١ ص ٢٢٦ باب الأربعة حديث ٦٠.

بيان: الاستسقاء بالنجوم اعتقاد أن للنجوم تأثيرا في نزول المطر.

٧- الخصال: عن إبراهيم بن محمد بن حمزة بن عمارة عن سالم بن سالم وأبي عروبة معا عن أبي الخطاب عن هارون بن مسلم عن القاسم بن عبد الرحمن الأنصاري عن محمد بن علي عن أبيه عن الحسين بن علي عليه السلام قال نهى رسول الله ﷺ عن خصال إلى أن قال و عن النظر في النجوم. (١)

ومنه: عن محمد بن الحسن بن الوليد عن الصفار عن الحسن بن علي الكوفي عن إسحاق بن إبراهيم عن نصر بن قابوس قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول المنجم ملعون والكاهن ملعون والساحر ملعون والمغنية ملعونة ومن آواها وأكل كسبها ملعون.

وقال عليه السلام المنجم كالكاهن والكاهن كالساحر والساحر كالكاfer والكافر في النار.

قال الصدوق ره المنجم الملعون هو الذي يقول بقدم الفلك ولا يقول بمفلكه وخالفه عز وجل. (٢)

٨- البصائر: عن محمد بن عبد الله بن أحمد الرازي عن إسماعيل بن موسى عن أبيه عن جده عن عمه عبد الصمد بن علي قال دخل رجل على علي بن الحسين عليه السلام فقال له علي بن الحسين من أنت قال أنا منجم قال فأنت عراف قال فنظر إليه ثم قال هل أدلك على رجل قد مر مذ دخلت علينا في أربع عشر عاما كل عالم أكبر من الدنيا ثلاث مرات لم يتحرك من مكانه قال من هو قال أنا وإن شئت أنبأتك بما أكلت وما ادخرت في بيتك. (٣)

بيان: قال في النهاية فيه من أتى عرافا أو كاهنا أراد بالعرف المنجم أو الحازي (٤) الذي يدعي علم الغيب وقد استأثر الله به (٥) انتهى وقال الطيبي في شرح المشكاة هو قسم من الكهان يستدل على معرفة المسروق والضالة بكلام أو فعل أو حالته.

٩- البصائر: عن محمد بن الحسين عن علي بن سعدان عن عبد الله بن القاسم عن عمير بن أبان الكلبي عن أبان (٦) بن تغلب قال كنت عند أبي عبد الله عليه السلام حيث دخل عليه رجل من علماء أهل اليمن فقال أبو عبد الله عليه السلام يا يماني فيكم علماء قال نعم قال فأي شيء يبلغ من علم علمائكم قال إنه ليسير في ليلة واحدة مسيرة شهرين يزجر الطير ويقفو الآثار فقال له فعالم المدينة أعلم من عالمكم قال فأي شيء يبلغ من علم عالمكم بالمدينة قال إنه يسير في صباح واحد مسيرة سنة كالشمس إذا أمرت إنها اليوم غير مأمورة ولكن إذا أمرت تقطع اثني عشر شمسا واثني عشر قمرا واثني عشر مشرقا واثني عشر مغربا واثني عشر برا واثني عشر بحرا واثني عشر عالما قال فما بقي في يدي (٧) اليماني فما دري ما يقول وكف أبو عبد الله عليه السلام. (٨)

١٠- ومنه: عن أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن ابن أبي عمير عن أبي أيوب عن أبان بن تغلب قال كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل عليه رجل من أهل اليمن فقال له (٩) يا أخا أهل اليمن عندكم علماء قال نعم قال فما بلغ من علم عالمكم قال يسير في ليلة مسيرة شهرين يزجر الطير ويقفو الأثر فقال أبو عبد الله عليه السلام عالم المدينة أعلم من عالمكم قال فما بلغ من علم عالم المدينة قال يسير في ساعة من النهار مسيرة الشمس سنة حتى يقطع اثني عشر ألف عالم (١٠) مثل عالمكم هذا أما يعلمون أن الله خلق آدم ولا إبليس قال فيعرفونكم قال نعم ما افترض عليهم إلا ولايتا والبراءة من عدونا. (١١)

١١- المحاسن: عن أبيه عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة عن سفيان بن عمر قال كنت أنظر في النجوم فأعرفها وأعرف الطالع فدخلني من ذلك فشكوت ذلك إلى أبي عبد الله عليه السلام فقال إذا وقع في نفسك شيء فتصدق على أول مسكين أم امض فإن الله عز وجل يدفع عنك. (١٢)

(١) الخصال ج ٢ ص ٤١٧ و ٤١٨ باب التسعة حديث (١٠) باختصار.

(٢) الخصال ج ١ ص ٢٩٧ باب الخمسة حديث ٦٧.

(٣) البصائر الدرجات ص ٤٢٠ و ٤٢١ جزء ٨ باب ١٢ حديث ١٣.

(٤) النهاية ج ٣ ص ٢١٨.

(٥) في المصدر: «يد».

(٦) البصائر الدرجات ص ٤٢١ جزء ٨ باب ١٢ حديث ١٤.

(٧) كلمة: «عالم» ليست في المصدر.

(٨) البصائر الدرجات ص ٤٢١ جزء ٨ باب ١٢ حديث ١٥.

(٩) المحاسن ج ٢ ص ٨٦ حديث ١٢٢٨.

بيان: فيدخلني من ذلك أي هم أو حالة تمنعني عن التوجه إلى عمل لما أظن من نحوسة الساعة و يدل على أن أثر نحس الكواكب والأوضاع أو تأثير التطير بها يزول بالصدقة.

١٢- رسالة الاستخارات: للسيد بن طاوس قال ذكر الشيخ الفاضل محمد بن علي بن محمد في كتاب له في العمل ما هذا لفظه دعاء الاستخارة عن الصادق عليه السلام قوله بعد فراغك من صلاة الاستخارة تقول اللهم إنك خلقت أنوما يلجئون إلى مطالع النجوم لأوقات حركاتهم وسكونهم وتصرفهم وعقدهم وخلقتي أبراً إليك من اللجا إليها ومن طلب الاختيارات بها وأتقن أنك لم تطلع أحداً على غيبك في مواقعها ولم تسهل له السبيل إلى تحصيل أفاعيلها وأنك قادر على نقلها في مداراتها في مسيرها على السعود العامة والخاصة إلى النحوس ومن النحوس الشاملة والمفردة إلى السعود لأنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب ولأنها خلق من خلقك وصنعة من صنعك وما أسعدت من اعتمد على مخلوق مثله واستمد الاختيار لنفسه وهم أولئك ولا أشقيت من اعتمد على الخالق الذي أنت هو لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأسألك بما تملكه وتقدر عليه وأنت به مليء وعنه غني وإليه غير محتاج وبه غير مكترث من الخيرة الجامعة للسلامة والعافية والغنيمة لعبدك إلى آخر الدعاء^(١) وقد أوردناه في أبواب الاستخارات.

بيان: وعقدهم أي عزمهم أو إيقاعهم العقود وفي النهاية المليء بالهمز الثقة الغني وقد أولع الناس بترك الهمز وتشديد الياء^(٢) وقال ما أكثرته به أي ما أبالي^(٣)

١٣- النجوم: روينا بإسنادنا إلى الشيخ السعيد محمد بن رستم بن جرير الطبري الإمامي^(٤) عن الحسين بن عبد الله الجرمي^(٥) ومحمد بن هارون التلعكبري عن محمد بن أحمد بن محروم^(٦) عن أحمد بن القاسم عن يحيى بن عبد الرحمن عن علي بن صالح بن حي الكوفي عن زياد بن المنذر عن قيس بن سعد قال كنت كثيراً أسأير أمير المؤمنين عليه السلام إذا سار إلى وجه من الوجوه فلما قصد أهل النهروان وصرنا بالمدائن وكنت يومئذ مسائراً له إذ خرج إليه^(٧) قوم من أهل المدائن من دهاقينهم معهم براذين^(٨) قد جاءوا بها هدية إليه فقبلها وكان فيمن تلقاه دهقان من دهاقين المدائن يدعى سرفيل وكانت الفرس تحكم برأيه فيما مضى وترجع إلى قوله فيما سلف فلما بصر بأمرير المؤمنين عليه السلام قال له يا أمير المؤمنين لترجع عما قصدت قال ولم ذاك يا دهقان^(٩) قال يا أمير المؤمنين تناحست النجوم الطوالع فنحس أصحاب السعود وسعد أصحاب النحوس ولزم الحكيم في مثل هذا اليوم الاستخفاء والجلوس وإن يومك هذا يوم مميت قد اقترن فيه كوكبان قتالان وشرف فيه بهرام في برج الميزان وانتقدت من برجك النيران وليس الحرب لك بمكان فتبسم أمير المؤمنين عليه السلام ثم قال أيها الدهقان المنبئ بالأخبار والمحدث من الأقدار^(١٠) ما نزل البارحة في آخر الميزان وأي نجم حل في السرطان قال سأنظر ذلك واستخرج^(١١) من كفه أسطرلاباً وتقويماً قال له أمير المؤمنين عليه السلام أنت مسير الجاريات قال لا قال فأنت تقضي على الثابتات قال لا قال فأخبرني عن طول الأسد وتباعدة من المطالع والمراجع وما الزهرة من التوابع والجوامع قال لا علم لي بذلك قال فما بين السراري^(١٢) إلى الدراري وما بين الساعات إلى المعجرات^(١٣) وكم قدر شعاع الميبدرات^(١٤) وكم تحصل^(١٥) الفجر في الغدوات قال لا علم لي بذلك قال فهل علمت يا دهقان أن الملك اليوم انتقل من بيت إلى بيت بالصين وانتقل برج ماجين واحترق^(١٦) دور بالزنج وطفح جب سرانديب^(١٧) وتهدم حصن الأندلس وهاج نمل

(١) فتح الأبواب ص ١٩٨ و ١٩٩. (٢) النهاية ج ٤ ص ٣٥٢.

(٣) النهاية ج ٤ ص ١٦١.

(٤) هكذا في المطبوعة والمصدر. والصحيح «محمد بن جرير بن رستم» وهو ابن جرير الطبري الشيعي.

(٥) في المصدر: «الحري».

(٦) في المصدر: «محزوم».

(٧) في المصدر: «إيها».

(٨) براذين جمع «برذون» - بكسر الباء الموحدة - فتح الذال المعجمة - قال الجوهري - البرذون: الدابة، الصحاح ج ٥ ص ٢٠٧٨.

(٩) عبارة: «قال له يا أمير المؤمنين» حتى «يا دهقان» ليست في المصدر.

(١٠) في المصدر إضافة: «أندري».

(١١) في المصدر: «السواري».

(١٢) في المصدر: «الميدرات».

(١٣) في المصدر: «احترقت».

(١٤) في المصدر: «سرانديب».

(١٥) في المصدر: «سرانديب».

الشيخ^(١) و انهزم مراك الهندي^(٢) و فقد ديان^(٣) اليهود بأيلة و هدم^(٤) بطريق الروم برومية و عمي راعب^(٥) عمورية و سقطت شرافات^(٦) القسطنطينية أفعالم أنت بهذه الحوادث و ما الذي أحدثها شرقها أو غربها من الفلك قال لا علم لي بذلك قال و بأي الكواكب تقضي في أعلى القطب و بأيتها تنحس من تنحس قال لا علم لي بذلك قال فهل علمت أنه سعد اليوم اثنان و سبعون عالما في كل عالم سبعون عالما منهم في البر و منهم في البحر و بعض في الجبال و بعض في الغياض و بعض في العمران و ما الذي أسعدهم قال لا علم لي بذلك قال يا دهقان أظنك حكمت على اقتران المشتري و زحل لما استنارا لك في القسق و ظهر تلالؤ شعاع^(٧) المريح و تشريقه في السحر و قد سار فاتصل جرمه بجرم^(٨) تربع القمر و ذلك دليل على استحقاق^(٩) ألف ألف من البشر كلهم يولدون اليوم و الليلة و يموت مثلهم و أشار بيده إلى جاسوس في عسكره لمعاوية فقال و يموت هذا فإنه منهم فلما قال ذلك ظن الرجل أنه قال خذوه فأخذه شيء بقلبه و تكسرت نفسه في صدره فمات لوقته فقال^(١٠) يا دهقان ألم أرك غير التقدير في غاية التصوير قال بلى يا أمير المؤمنين قال يا دهقان أنا مخبرك أني و صبحي هؤلاء لا شرقيون و لا غربيون إنما نحن ناشئة القطب و ما زعمت أن الباردة انتقد من برجي^(١١) النيران فقد كان يجب أن تحكم معه لي لأن نوره و ضياه عندي فلهيه ذاهب^(١٢) عني يا دهقان هذه قضية عيص فاحسبها و ولدها إن كنت عالما بالأموار و الأوار قال لو علمت ذلك لعلمت أنك تحصي عقود القصب في هذه الأجمة و مضى أمير المؤمنين^(١٣) فهزم أهل النهروان و قتلهم و عاد بالغنمية و الظفر فقال الدهقان ليس هذا العلم بما في أيدي أهل زماننا هذا علم مادته من السماء^(١٤).

١٤- أقول: و روى السيد الخبر أيضا عن الأصبح بن نباتة قال لما رحل أمير المؤمنين^(١٥) من نهر بين^(١٦) أتيننا النهروان و قد قطع جسرها و سمرت سفنها فنزل صلى الله على محمد و عليه و قد سرح الجيش إلى جسر بوران و معه رجل من أصحابه و قد شك في قتال الخوارج فإذا برجل يركض فلما رأى أمير المؤمنين^(١٧) قال البشري يا أمير المؤمنين قال له و ما بشارك قال لما بلغ الخوارج نزولك الباردة نهر بين ولوا هارين قال علي^(١٨) أنت رأيتهم حين ولوا قال نعم قال علي^(١٩) كلا و الله لا عبروا^(٢٠) النهروان و لا تجاوزوا الأنثلات^(٢١) و لا النخيلات حتى يقتلهم الله على يدي عهد معهود و قدر مقدور و لا يقتلون منا عشرة و لا ينجو منهم عشرة إذ أقبل عليه رجل من الفرس^(٢٢) يقتدى برأيه في حساب النجوم لمعرفته بالطوالع و المراجع و تقويم القطب في الفلك و معرفته بالحساب و الضرب و الجبر و المقابلة و تاريخ السندآباد و غير ذلك و هو الدهقان فلما بصر بأمر المؤمنين^(٢٣) نزل عن فرسه و سلم عليه فقال له أيها الأمير ترجعن عما قصدت إليه و كان اسم الدهقان سرفيل سوار و كان دهقان من دهاقين المدائن فقال له أمير المؤمنين^(٢٤) و لم يا سرفيل سوار قال تناحست النجوم الطالعات و تباعدت النجوم الناحسات و لزم الحكيم في مثل هذا اليوم الاختفاء و القعود و يومك هذا مميت يقلب فيه رجمان و انكشفت فيه الميزان^(٢٥) و اقتدح من برجك النيران و ليس الحرب لك بمكان قال له أمير المؤمنين^(٢٦) أخبرني يا دهقان عن قصة الميزان و في أي مجرى كان برج السرطان قال سأنظر لك في ذلك ثم ضرب يده إلى كفه فأخرج منها زججا و أصطربا لا فتبسم أمير المؤمنين^(٢٧) ثم قال له يا دهقان أنت مسير الثابتات قال لا قال فأنت تقضي على الحادثات قال لا قال له يا دهقان فما ساعة الأسد من الفلك و ما له من المطالع و المراجع و ما الزهرة من التوابع و الجوامع قال لا علم لي أيها الأمير قال فعلى أي الكواكب تقضي على القطب و ما هي الساعات المتحركات و كم قدر الساعات المدبرات و كم تحصل^(٢٨) المقدرات قال لا علم لي بذلك قال له يا دهقان إن صح لك علمك علمت^(٢٩) أن الباردة انقلب بيت في الصين و انقلب

(٢) في المصدر: «الهند».

(٤) في المصدر: «و جدم».

(٦) في المصدر: «شرافات».

(٨) في المصدر: «بنجوم».

(١٠) في المصدر: «برج».

(١٢) فرج المهورم ص ١٠٢ - ١٠٤ باب ٣ حديث ٢٣.

(١٤) في المصدر: «ما عبروا».

(١٦) في المصدر: «الفرس» ليست في المصدر.

(١٨) في المصدر: «تحصيل».

(١) في المصدر: «الشيخ».

(٣) في المصدر: «ريان».

(٥) في المصدر: «راهب».

(٧) كلمة: «شعاع» ليست في المصدر.

(٩) في المصدر: «استخلاف».

(١١) في المصدر: «ذهب».

(١٣) في المصدر: «نهر برائا» و كذا في ما بعد.

(١٥) في المصدر: «الأنثلات».

(١٧) في المصدر: «يقلب فيه برجان» و انكشف فيه الميزان.

(١٩) كلمة: «علمت» ليست في المصدر.

بیتانین^(١) واحترقت دور الزنج وانحطم منار الهند و طفع جب سرانديب و هلك ملك إفريقية و انقض حصن أندلس و هاج نمل الشيخ و فقد ديان اليهود و جذم شطرنج الرومي بأرمينية و عتا عب عمورية و سقطت شرافات القسطنطينية و هاجت سباع البحر واثية على أهلها و رجعت رجال النوبة المراجيح و التقت الزرق مع الفيلة و طار الوحش إلى العلقين و هاجت الحيتان في الأخضرين و اضطربت الوحوش بالأتقنين أفانت علم بهذه الحوادث و ما أحدثها من الفلك شرقية أو غربية و من أي برج سعد صاحب النحس و أي برج انتحس صاحب السعد قال الدهقان لا علم لي بذلك قال فهل ذلك علمك أن اليوم فيه سعد سبعون عالما في كل عالم سبعون ألف عالم منهم في البحر و منهم في البر و منهم في الجبال و منهم في السهل و الغياض و الخراب و العمران فأين لنا ما الذي من الفلك أسعدهم قال الدهقان لا علم لي بذلك قال له يا دهقان أظنك حكمت على اقتران المشتري بزحل حين لاح لك في الفسق قد شارفها و اتصل جرمه بجرم القمر و ذلك دليل على استحقاق ألف ألف من البشر كلهم مولدون في يوم واحد و مائة ألف من البشر كلهم يموتون الليلة و غدا و هذا منهم و أوما بيده إلى سعد. بن مسعود الحارثي و كان في عسكره جاسوسا للخوارج فظن أن عليا عليه السلام يقول خذوا هذا قبض على فؤاده فمات في وقته فقال علي عليه السلام لم أرك عين التوفيق أنا و أصحابي هؤلاء لا شريقون و لا غريبون إنما نحن ناشئة القطب و أعلام الفلك و أما ما زعمت أن الباردة اقتدح من برجتي النيران فقد يجب عليك أن تحكم به لي لأن ضيائه و نوره عندي و لهبه و حريقه ذاهب عني فهذه قضية عميقة فاحسبها إن كنت حاسبا و اعرفها إن كنت عارفا بالأكوار و الأدوار و لو علمت ذلك لعلمت عدد كل قصبة في هذه الأجمة و كانت عن يمينه أجمة تصب فتشهد الدهقان و قال يا مولاي الذي فهم إبراهيم و موسى و عيسى و محمدا عليهم السلام مفهمهم^(٢) مفهمكما يا أمير المؤمنين فهو والله^(٣) المشار إليه و لا أثر بعد عين مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أن محمدا عبده و رسوله و أنك الإمام و الوصي المفترض الطاعة^(٤).

بيان: أكثر السؤالات المذكورة في الرواية على تقدير صحتها و ضبطها مبنية على اصطلاحات معرفتها مختصة بهم عليهم السلام أوردناها عليهم السلام لبيان عجزه و جهله و عدم إحاطة علمه بما لا بد منه في هذا العلم و كم تحصل الفجر في الغدوات يحتمل أن يكون المراد به زمان ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس فإن ذلك يختلف في الفصول و طفع جب سرنديب أي امتلأ و ارتفع و منه سكران طافع و الشيخ نبت معروف و يحتمل أن يكون المراد هنا الوادي الذي هو منبته و العمورية ماء للنصارى يغمسون فيه أولادهم و ما الذي أحدثها أي يزعمك شرقيتها أي الكواكب لم أرك غير التقدير بكسر الغين و فتح الياء أي التغيرات الناشئة من تقديرات الله تعالى و في بعض النسخ عين التقدير أي أصله هذه قضية عيص بالإضافة أي أصل في القاموس العيص بالكسر الأصل^(٥) و في بعض النسخ عويصة أي صعبة شديدة و ولدها بصيغة الأمر و تشديد اللام أي استنتج منها و العمورية مشددة الميم بلد بالروم و لعل المراد بالعب الماء العظيم و بعثه طغيانه و كثرته و المراجيح الحلماء^(٦) و الزرق كسكر طائر صياد ذكره الفيروزآبادي^(٧) و في حياة الحيوان طائر يصاد به بين الباز و الباشق و قيل هو الباز الأبيض^(٨) انتهى و القيلة بكسر الفاء و فتح الفاء جمع القيل فهو الله أي مفهمك الله المشار إليه بالدلائل و الآيات و لا أثر بعد عين أي لا أطلب الآثار و الدلائل و الأخبار على حقيقتك بعد ما عانيت.

أقول: و كان في الخبرين فيما عندنا من النسخ تصحيقات كثيرة تركناها كما وجدنا.

١٥- النجوم: رويت بعدة طرق إلى يونس بن عبد الرحمن في جامع الصغير بإسناده قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام جعلت فداك أخبرني عن علم^(٩) النجوم ما هو فقال هو علم من علم الأنبياء قال فقلت كان علي بن أبي طالب عليه السلام يعلمه^(١٠) فقال كان أعلم الناس به.^(١١)

(١) في المصدر: «آخر بدمانين».

(٢) في المصدر: «و هو الله».

(٣) في المصدر: «و هو الله».

(٤) القاموس المحيط ج ٢ ص ٣٢١.

(٥) و قال الجوهرى: راجحته فرجته، أي كنت أرزن منه، و قوم مراجيح في العلم الصحاح ج ١ ص ٣٦٤.

(٦) حياة الحيوان ج ١ ص ٥٣٣.

(٧) القاموس المحيط ج ٣ ص ٢٤٨.

(٨) في المصدر: «علوم».

(٩) في المصدر: «خبراً يعلمه» بدل «يعلمه».

(١٠) في المصدر: «خبراً يعلمه» بدل «يعلمه».

(١١) في المصدر: «خبراً يعلمه» بدل «يعلمه».

١٦- ومنه: نقلا من أصل من أصول أصحابنا اسمه كتاب التجمال بإسناده عن جميل عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام عمن ذكره (١٢) قال كان قد علم نبوة نوح عليه السلام بالنجوم. (١٣)

بيان: لعل من ذكره من باب الإرسال من أحد الرواة وضمير قال للإمام عليه السلام و علم بصيغة المعلوم والمعنى أنه عليه السلام أخبر بأن فلانا قد علم نبوة نوح بالنجوم ويحتمل أن يكون الإرسال من الإمام وضمير قال عائدا إلى من ذكره و علم على بناء المجهول وعلى الثاني ليس الإخبار من كلامه عليه السلام و الظاهر أنه من تصحيف النساخ وقوله عمن ذكره كان مقدما على قوله عن أبي جعفر عليه السلام و علم على بناء المجهول.

١٧- النجوم: وجدت في كتاب عتيق عن عطا قال قيل لعلي بن أبي طالب عليه السلام هل كان للنجوم أصل قال نعم نبي من الأنبياء قال له قومه إنا (١٤) لا نؤمن بك (١٥) حتى تعلمنا بدء الخلق و آجاله فأوحى الله عز و جل إلى غمامة فأمطرهم و استتق (١٦) حول الجبل ماء صاف ثم أوحى الله عز و جل إلى الشمس والقمر والنجوم أن تجري في ذلك الماء ثم أوحى الله عز و جل إلى ذلك النبي أن يرتقي هو و قومه على الجبل فارتقوا الجبل فقاموا على الماء حتى عرفوا بدء الخلق و آجاله (١٧) بمجاري الشمس والقمر والنجوم وساعات الليل والنهار و كان أحدهم يعلم متى يموت ومتى يمرض و من ذا الذي يولد له و من ذا الذي لا يولد له فيقول كذلك برهة من دهرهم ثم إن داود عليه السلام قاتلهم على الكفر فأخرجوا إلى داود في القتال من لم يحضره أجله و من حضر أجله خلفوه في بيوتهم فكان يقتل من أصحاب داود عليه السلام و لا يقتل من هؤلاء أحد فقال داود عليه السلام رب أقاتل على طاعتك و يقاتل هؤلاء على معصيتك يقتل أصحابي و لا يقتل من هؤلاء أحد فأوحى الله عز و جل إني كنت علمتهم بدء الخلق و آجاله و إنما أخرجوا إليك من لم يحضره أجله و من حضر أجله خلفوه في بيوتهم فمن ثم يقتل من أصحابك و لا يقتل منهم أحد قال داود عليه السلام يا رب على ما ذا علمتهم قال على مجاري الشمس والقمر والنجوم وساعات الليل والنهار قال فدعا الله عز و جل فحسب الشمس عليهم فزاد النهار و اختلطت الزيادة بالليل والنهار فلم يعرفوا قدر الزيادة فاختلط حسابهم و قال علي عليه السلام فمن ثم كره النظر في علم النجوم. (١٨)

١٨- الدر المنثور: قال قيل لعلي بن أبي طالب عليه السلام هل كان للنجوم أصل قال نعم كان نبي من الأنبياء يقال له يوشع بن نون فقال له قومه و ساق إلى قوله ثم أوحى الله إلى يوشع بن نون أن يرتقي إلى آخر الخبر. (١٩)

بيان: أن تجري في ذلك الماء يمكن أن يكون المراد جريان عكس الكواكب فيها فيكون الماء كالزجاج لهم لاستعلام مقدار الحركات أو خلق الله للكواكب أمثالا فأجراها في الماء على قدر حركة أصلها في السماء أو صفرها و أنزلها و أجراها فيه و في القاموس البرهة و يضم الزمان الطويل أو أعم (٢٠) انتهى فمن ثم كره أي من أجل أن الحساب اختلط فلا يمكنهم الحكم الواقعي على الكواكب و حركاتها فيكذبون أو من جهة أنه يصير سببا لترك الأمور الضرورية بسبب علمهم بما يترتب عليه والخبر ضعيف عامي و فيه إشكال آخر و هو أنهم لو كانوا بحسب تقدير الله تعالى و أحكام النجوم من الخارجين فلم لم يخرجوا و لو لم يكونوا فلم يكن ترك خروجهم بسبب ذلك و هذا من المسائل الغامضة من فروع مسألة القضاء والقدر والعقل قاصر عن فهمها.

١٩- النجوم: وأما دلالة النجوم على إبراهيم عليه السلام فقد روى صاحب كتاب التجمال أن أزرأ إبراهيم كان منجميا لنمرود و لم يكن يصدر إلا عن أمره فنظر ليلة في النجوم فأصبح و هو يقول لنمرود لقد رأيت في النجوم عجايا قال وما هو قال رأيت مولودا يولد في زماننا يكون هلاكنا على يديه و لا يلبث إلا قليلا حتى يحمل به قال فتعجب من ذلك ثم قال هل حملت به النساء بعد قال لا فحجب الرجال عن النساء و لم يدع امرأة إلا جعلها في المدينة و لا

(١٢) عبارة: «عثن ذكره» ليست في المصدر.

(١٤) كلمة: «أنا» ليست في المصدر.

(١٦) في المصدر إضافة: «ما».

(١٨) فرج المهوم ص ٢٢ و ٢٣ باب ١.

(٢٠) القاموس المحيط ج ٤ ص ٢٨٢.

(١١) فرج المهوم ص ٢ و ص ٢٤.

(١٣) فرج المهوم ص ٢٤ باب ١.

(١٥) في المصدر: «لك».

(١٧) في المصدر: «و آجالهم».

(١٩) الدر المنثور ج ٣ ص ٣٥.

يخلص إليها بعلمها قال فوقع آزر على أهله فحملت بإبراهيم فظن أنه صاحبه فأرسل إلى قوابل ذلك الزمان وكن أعلم الناس بالجنين ولا يكون في الرحم شيء إلا عرفته وعلمن به فنظرن فألزم ما في الرحم الظهر فقلن ما نرى في بطنها شيئاً قال وكان مما أوتي من العلم أن المولود سيحرق بالنار ولم يؤت علماً أن الله سينجيها منها.^(١)

أقول: ^(٢) ورويت هذا الحديث عن إبراهيم الخزاز عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام من أصل قرئ على هارون بن موسى التلعكبري ره وقد روى هذا الحديث علي بن إبراهيم في كتاب تفسير القرآن بأبسط من هذه الرواية ^(٣) ورواه أيضاً أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ^(٤) في الجزء الأول من تاريخه ورواه أيضاً سعيد بن هبة الله الراوندي في كتاب قصص الأنبياء ^(٥) ورواه الثعلبي في تفسيره وغيره من العلماء ومن أخبر النجمن عن نبوته ورسالته موسى بن عمران عليه السلام وقد تضمنت كتب التاريخ وغيرها من المصنفات ما يغني عن ذكر جميع الروايات فمن ذلك ما رواه الثعلبي في كتاب العرائس في المجالس فقال إن فرعون رأى في منامه أن ناراً قد أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقتها وأحرق القبط وترك بني إسرائيل فدعا فرعون السحرة والكهنة والمعبرين والمنجمين وسألهم عن رؤياه فقالوا له إنه يولد في بني إسرائيل غلام يسلبك ملكك ويغلبك على سلطانك ويخرجك و قومك من أرضك ويدل دينك وقد أظلك زمانه الذي يولد فيه ثم ذكروا ولادة موسى عليه السلام وما صنع فرعون في قتل ذكور الأولاد وليس في ذكر ذلك هاهنا ما يليق بالمراد وذكر حكم المنجمين بولادة موسى عليه السلام ونبوته الزمخشري في كتاب الكشاف وروى حديث دلالة النجوم على ولادة موسى عليه السلام وهب بن منبه في الجزء الأول من كتاب المبتدأ بأبسط من رواية الثعلبي وذكر أبو جعفر بن بابويه في كتاب النبوة في باب سياقه حديث عيسى ابن مريم عليه السلام فقال ما هذا لفظه وقد قدم عليها وقد من عظماء ^(٦) علماء المجوس زاترين معظمين لأمر ابنها و قالوا إنا قوم ننظر في النجوم فلما ولد ابنك طلع بمولده نجم من نجوم الملك فنظرنا ^(٧) فيه فإذا ملكه ملك نبوة لا يزول عنه ولا يفارقه حتى يرفعه إلى السماء فيجاور ربه عز وجل ما كانت الدنيا مكانها ثم يصير إلى ملك هو أطول وأبقى مما كان فيه فخرجنا من قبل المشرق حتى رفعنا إلى هذا المكان فوجدنا النجم متطلعاً عليه من فوقه فبدلك عرفنا موضعه وقد أهدينا له هدية جعلناها له قرباناً لم يقرب مثله لأحد قط وذلك أنا وجدنا هذا القربان يشبه أمره وهو الذهب والمر واللبان لأن الذهب سيد المتاع كله وكذلك ابنك هو سيد الناس ما كان حياً ولأن المر جبار الجراحات والجنون والعاهات كلها ولأن اللبان يبلغ دخانه السماء ولن يبلغها دخان شيء غيره وكذلك ابنك يرفعه الله عز وجل إلى السماء وليس يرفعه من أهل زمانه غيره.^(٨)

٢٠- ووجدت في كتاب دلائل النبوة جمع أبي القاسم الحسين بن محمد السكوني روى عن محمد بن علي بن الحسين عن الحسن بن عبد الله بن غانم عن هناد عن يونس عن أبي إسحاق عن صالح بن إبراهيم عن ^(٩) عبد الرحمن بن أسعد عن ابن مسيب ^(١٠) عن حسان بن ثابت قال إني والله لغلام يفعاء ^(١١) ابن سبع أو ثمان سنين أعقل كل ما سمعت إذ سمعت يهودياً وهو على أكمة يترى يصرخ يا معشر اليهود فلما اجتمعوا قالوا ويلك ما لك قال طلع نجم أحمد الذي يبعث به الليلة ووجدت كتاباً عندنا الآن اسمه كتاب اليد ^(١٢) الصيني عمله كشيئنا ^(١٣) ملك الهند يذكر فيه تفصيل دلالة النجوم على نبوة نبينا محمد عليه السلام ^(١٤).

أقول: قد أوردنا ما ذكره السيد من أمر هرقل وكسرى وإطلاعهما من جهة النجوم على نبوة نبينا عليه السلام في باب البشائر به وباب مولده.

ثم قال ^(١٥) وأما دلالة النجوم على ظهور المسلمين على ملوك الفرس فالأخبار يمكن أن يكون بها كثيرة في

(١) بقية كلام السيد ابن طاووس رحمه الله.

(٢) تاريخ الطبري ج ١ ص ١٤٤.

(٣) كلمة: «عظماء» ليست في المصدر.

(٤) فرج المهرج ص ٢٥ - ٢٨ باختلاف يسير.

(٥) في المصدر إضافة: «عن رجال من قومه».

(٦) في المصدر: «النداء».

(٧) فرج المهرج ص ٢٩.

(٨) فرج المهرج ص ٢٤ و ٢٥ باب ١.

(٩) تفسير القمي ج ١ ص ٢٠٦.

(١٠) قصص الأنبياء ج ١ ص ١٠٣ و ١٠٤.

(١١) في المصدر: «لا يفارقه» بدل «نجوم الملك».

(١٢) في المصدر: «بن» بدل «عن».

(١٣) في المصدر: «يفقه» بدل «يفعاء».

(١٤) في المصدر: «كشيئنا».

(١٥) أي قال السيد ابن طاووس.

التواريخ الكبيرة فمن ذلك ما ذكره الطبري في تاريخه فقال ولما أمر يزيد جرد رستم بالخروج من ساباط بعث إلى أخيه ينحو من الكتاب الأول زاد فيه فإن السمكة قد كدرت الماء وإن النعام قد حبست وحسنت الزهرة فاعتدل الميزان وذهب بهرام ولا أرى هؤلاء القوم إلا سيظهرون علينا وسيولون على ما يلىنا^(١) وإن أشد ما رأيت أن الملك قال لتسيرن إليهم أو لأسيرن إليهم أنا بنفسى وأنا سائر إليهم قال وكان الذي جراً يزيد جرد على إرسال رستم غلام جابان^(٢) منجم كسرى وكان من أهل فرات^(٣) بادقلي فأرسل إليه فقال ما ترى في مسير رستم وحرب العرب فخافه على الصدق فكذبه وكان رستم يعلم نحو ما علم ذلك المنجم فقتل عليه مسيره وخف على الملك لما غره به وقال إني أحب أن تخبرني بشيء أراه أطمئن له إلى قولك فقال الغلام لدربا الهندي سألني مسألة فقال أيها الملك يقبل طائر فيقع على إيوانك فيقع منه شيء في فيه هاهنا وخط دائرة فقال العبد صدق والطائر غراب والذي في فيه درهم وبلغ جابان أن الملك طلبه فأقبل حتى دخل عليه فسأله عما قال غلامه فحسبه فقال صدق ولم يصب هو عتقك والذي في فيه درهم فيقع منه على هذا المكان وكذب دربا ينزو الدرهم فيستقر هاهنا ودور دائرة أخرى فما قاموا حتى وقع على الشرافات عتقك فسقط منه درهم في الخط الأول فنزا فاستقر في الخط الآخر ونافر الهندي جابان حيث خطاه فأتى بقرعة تنوج فقال الهندي سخلتها غراء سوداء فقال جابان كذبت بل سوداء سفعاء فنحرت البقرة واستخرجت سخلتها فإذا ذنبها أبيض فقال جابان من هاهنا أتى دربا وشجعا على إخراج رستم فأمضاه ثم قال الطبري ما معناه أن جابان كتب إلى من يشفق عليه من العسكر يأمره بالدخول مع العرب فيما يريدون وأخبره أن ملك الفرس ذهب فقبل منه وكان الأمر كما اقتضاه دلالة النجوم من ظهور العرب على الفرس^(٤)

أقول: ثم ذكر دلالة النجوم على إمامة القائم عليه السلام ولادته على ما أوردها في باب ولادته عليه السلام.

بيان: قال في القاموس المعقوق طائر أبيض بسواد وبياض صوته العين والقاف^(٥) وقال أنتجت الفرس حان تناجها فهي تنوج لا منتج^(٦) وقال سفع الشيء أعلمه ووصمه والسفع بالضم السواد تضرب إلى الحمرة^(٧) وفي النهاية السفعة نوع من السواد مع لون آخر^(٨).

٢١- الكافي: عن عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد عن ابن فضال عن الحسن بن أسباط عن عبد الرحمن بن سيابة قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام جعلت فداك إن الناس يقولون إن النجوم لا يحل النظر فيها وهو^(٩) يعجبني فإن كانت تضرب بديني فلا حاجة لي في شيء يضرب بديني وإن كانت لا تضرب بديني فوالله إني لأشتهيها وأشتهي النظر فيها فقال ليس كما يقولون لا تضرب بدئك ثم قال إنكم تنظرون في شيء منها كثير لا يدرك وقليله لا ينتفع به تحسبون على طالع القمر ثم قال أتدري كم بين المشتري والزهرة من دقيقة قلت لا^(١٠) والله^(١١) قال أفندري كم بين الزهرة وبين القمر من دقيقة قلت لا والله قال أفندري كم بين الشمس وبين السكينة^(١٢) من دقيقة قلت لا والله ما سمعته من أحد من المنجمين قط قال أفندري كم بين السكينة^(١٣) وبين اللوح المحفوظ من دقيقة قلت لا ما سمعته من منجم قط قال ما بين كل واحد منهما إلى صاحبه ستين أو تسعين^(١٤) دقيقة شك عبد الرحمن ثم قال يا عبد الرحمن هذا حساب إذا حسبه الرجل ووقع عليه عرف القصبة التي في وسط الأجمة وعدد ما عن يمينها وعدد ما عن يسارها وعدد ما خلقها وعدد ما أمامها حتى لا يخفى عليه من قصب الأجمة واحدة^(١٥).

النجوم: بإسناده عن الكليني مثله ثم قال السيد وروى هذا الحديث أصحابنا في المصنفات والأصول ورواه محمد بن أبي عبد الله في أماليه ورواه محمد بن يحيى أخو مقلس عن حماد بن عثمان^(١٦).

- (١) في المصدر: «ما بأيدينا».
- (٢) في المصدر: «قرب».
- (٣) في المصدر: «قرب».
- (٤) فرج المهور ص ٣٥ و ٣٦ مع اختلاف.
- (٥) القاموس المحيط ج ٣ ص ٢٧٥.
- (٦) القاموس المحيط ج ٣ ص ٣٩ و ٤٠.
- (٧) النهاية ج ٢ ص ٣٧٤ وفيه: «السفعة نوع من السواد ليس بالكثير، و قيل هو سواد مع لون آخر».
- (٨) في المصدر: «وهي».
- (٩) عبارة: «والله» ليست في المصدر.
- (١٠) في المصدر: «السنبلة».
- (١١) في المصدر: «ستون أو سبعون».
- (١٢) فرج المهور ص ٨٥ و ٨٦ باب ٣ حديث ١.
- (١٣) في المصدر: «السنبلة».
- (١٤) روضة الكافي ص ١٩٥ حديث ٢٣٣.
- (١٥) في المصدر: «ما بأيدينا».
- (١٦) فرج المهور ص ٣٥ و ٣٦ مع اختلاف.

بيان: تحسبون على طالع القمر يظهر منه أنه كان مدار أحكام هؤلاء على حركات القمر وأوضاعه و كانوا لا يلتفتون إلى أوضاع سائر الكواكب كم بين المشتري و الزهرة أي بحسب الدرجات و الأوضاع الحاصلة من الحركات أو بعد فلك أحدهما عن الآخر و الأول أظهر و بين السكينة هو اسم كوكب غير معروف عند المنجمين له مدخل في الأحكام و في بعض النسخ السنبلة و الأول أنسب بقوله ما سمعته من منجم.

٢٢- النجوم: بإسناده عن الكليني في كتاب تغيير الرؤيا بإسناده عن محمد بن سام قال ^(١) قال أبو عبد الله عليه السلام قوم يقولون النجوم أصح من الرؤيا و ذلك كانت صحيحة حين لم يرد ^(٢) الشمس على يوشع بن نون و على أمير المؤمنين عليه السلام فلما رد الله عز و جل الشمس عليهما ضل فيها علوم علماء النجوم. ^(٣)

٢٣- الكافي: عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن جميل بن صالح عن أخيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال سئل عن النجوم فقال ما يعلمها إلا أهل بيت من العرب و أهل بيت من الهند. ^(٤)

النجوم: بإسناده عن الكليني مثله و زاد في آخره أولاد وصي إدريس عليه السلام ثم قال و روي هذا الحديث بإسناده إلى ابن أبي عمير من أصله عن أبي عبد الله عليه السلام. ^(٥)

بيان: أهل بيت من العرب أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله و لا يدل على جواز النظر فيه و العمل به بل على خلافها أدل لأن علم أكثر الخلق به ناقص فيكون حكمهم به قولاً بغير علم.

٢٤- الكافي: عن أحمد بن محمد و علي بن محمد جميعاً عن علي بن الحسن الميثمي ^(٦) عن محمد بن الخطاب الواسطي عن يونس بن عبد الرحمن عن أحمد بن عمر الحلبي عن حماد الأزدي عن هشام الخفاف قال قال أبو عبد الله عليه السلام كيف بصرك بالنجوم قال قلت ما خلفت بالعراق أبصر بالنجوم مني فقال كيف دوران الفلك عندهم قال فأخذت قلنسوتي من رأسي فأدرتها قال فقال لي إن كان الأمر على ما تقول فما بال بنات نعش و الجدي و الفرقدين لا يرون يدورون يوماً من الدهر في القبة قال قلت هذا و الله شيء لا أعرفه و لا سمعت أحداً من أهل الحساب يذكره فقال لي كم السكينة من الزهرة جزءاً في ضوئها قال قلت هذا و الله نجم ما سمعت به و لا سمعت أحداً من الناس يذكره قال سبحان الله فأسقطتم نجماً بأسره فعلى ما تحسبون ثم قال فكم الزهرة من القمر جزءاً في ضوئه قال فقلت هذا شيء لا يعلم إلا الله عز و جل قال فكم القمر جزءاً من الشمس في ضوئها قال قلت ما أعرف هذا قال صدقت ثم قال فما بال العسكرين يلتقيان في هذا حاسب و في هذا حاسب فيحسب هذا لصاحبه بالظفر ثم يلتقيان فيهمز أحدهما الآخر فأين كانت النجوم ^(٧) قال فقلت لا و الله ما أعلم ذلك قال فقال صدقت إن أصل الحساب حق و لكن لا يعلم ذلك إلا من علم مواليد الخلق كلهم. ^(٨)

بيان: فأدرتها لعله زعم أن حركة الفلك في جميع المواضع روحية ما بال العسكرين هذا دليل تام على خطأ المنجمين فإن ملكين إذا تقابلا و كان لكل منهما منجم فإنهما يختارن لهما ساعة واحدة و يحكم كل منهما لصاحبه بالظفر مع أنه يظفر أحدهما و ينهزم الآخر و ذلك لعدم إحاطتهم بارتباط النجوم بالأشخاص فإنه يمكن أن يكون لكل نجم مناسبة لشخص من الأشخاص يكون سعادته أو علوه علامة لغلبته أو يقال كما أن لتأثير الفواعل مدخلا في حدوث الحوادث فكذا لاستعداد القوابل مدخل فيه و هم على تقدير إحاطة علمهم بالأول لم يحط علمهم بالثاني كما قاله ابن سينا و سيأتي تفصيله في قصة هاروت و ماروت فقلوه عليه السلام لا يعلم ذلك إلا من علم مواليد الخلق يمكن أن يكون إشارة إلى الأول كما أن المنجمين يعتبرون طالع المولود في الأحكام أو إلى الثاني بأن يكون المراد بمواليدهم خصوصيات موادهم و استعداداتهم و قابلياتهم و أسباب ولادتهم و هذا علم لا يمكن الإحاطة به إلا بالوحي أو الإلهام من الخالق الحكيم و يمكن أن يكون

(١) في المصدر: محمد بن غانم.

(٢) فرج المهيوم ص ٨٦ و ٨٧ باب ٣ حديث ٢.

(٣) فرج المهيوم ص ٨٧ باب ٣ حديث ٣.

(٤) في المصدر: «التي».

(٥) روضة الكافي ص ٣٥١ و ٣٥٢ حديث ٥٤٩.

(٦) في المصدر: «التحوس».

(٧) في المصدر: «قبل أن ترده».

(٨) روضة الكافي ص ٣٣٠ و ٣٣١ حديث ٥٠٨.

المراد به أن من أحاط بذلك العلم يعلم به جميع مواليد الخلق و لما لم يعلم المنجمون جميع ذلك
ظهر أنهم لا يحيطون به علما وعلى التقادير ظاهره حقيقة هذا العلم و عدم جواز النظر فيه لسانر
الخلق لعدم إحاطتهم به و تضمنه القول بما لا يعلم والله يعلم.

٢٥- النجوم: وجدت في كتاب نواذر الحكمة تأليف محمد بن أحمد بن يحيى بن عمران بن عبد الله القمي رواه
عن الرضا عليه السلام قال قال أبو الحسن عليه السلام للحسن بن سهل كيف حسابك للنجوم فقال ما بقي منها شيء إلا و قد تعلمته
فقال أبو الحسن عليه السلام كم لنور الشمس على نور القمر فضل درجة و كم لنور القمر على نور المشتري فضل درجة و كم
لنور المشتري على نور الزهرة فضل درجة فقال لا أدري فقال ليس في يدك شيء هذا أيسر.^(١)

بيان: أي هذا أيسر شيء من هذا العلم.

٢٦- النجوم: وجدت في كتاب مسائل الصباح بن نصر^(٢) الهندي لمولانا علي بن موسى الرضا عليه السلام رواية أبي
العباس بن نوح و أبي عبد الله محمد بن أحمد الصفواني من أصل كتاب عتيق لنا الآن ربما كان قد كتب في حياتهما
بالإسناد المتصل فيه عن الريان بن الصلت و ذكر اجتماع العلماء بحضرة المأمون و ظهور حجته عليه السلام على جميع العلماء
و حضور الصباح بن نصر الهندي عند مولانا الرضا عليه السلام و سؤاله عن مسائل كثيرة منها سؤاله عن علم النجوم فقال عليه السلام
ما هذا لفظه هو علم في أصل صحيح ذكروا أن أول من تكلم في النجوم إدريس عليه السلام و كان ذو القرنين بها ماهرا و أصل
هذا العلم من عند الله عز و جل و يقال إن الله بعث النجم الذي يقال له المشتري إلى الأرض في صورة رجل فأتى
بلد العجم فعلمهم في حديث طويل فلم يستكملوا ذلك فأتى بلد الهند فعلم رجلا منهم فمن هناك صار علم النجوم
بها^(٣) و قد قال قوم هو علم^(٤) من علم الأنبياء خصوصا به لأسباب شتى فلم يستدرك^(٥) المنجمون الدقيق منها فشاؤوا
الحق بالكذب هذا آخر لفظ مولانا علي بن موسى الرضا عليه السلام في هذه الرواية الجليلة الإسناد و قوله عليه السلام حجة على
العباد و قوله عليه السلام ذكروا و يقال فإن عادته عليه السلام عند التيقن من المخالفين و العامة يقول نحو هذا الكلام^(٦) و تارة يقول
كان أبي يقول و تارة روي عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم^(٧).

بيان: أقول يحتمل أن يكون تصحيحه عليه السلام و إثباته لعلم النجوم تيقن لولوع المأمون بهذا العلم و
رغبته إليه فلذا عبر عليه السلام بهذه العبارات و في أكثر الأعصار المنجمون مقربون عند السلاطين و
الناس يتقون منهم مع أنه غير صريح في جواز التعليم و التعلم و العمل به.

٢٧- الكافي: عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن محبوب عن مالك بن عطية عن سليمان بن خالد قال سألت أبا
عبد الله عليه السلام عن الحر و البرد ممن^(٨) يكونان فقال لي يا أبا أيوب إن المريخ كوكب حار و زحل كوكب بارد فإذا بدا
المريخ في الارتفاع انحط زحل و ذلك في الربيع فلا يزالان كذلك كلما ارتفع المريخ درجة انحط زحل درجة ثلاثة
أشهر حتى ينتهي المريخ في الارتفاع و ينتهي زحل في الهبوط فيجلو المريخ فلذلك يشتد الحر فإذا كان في آخر
الصيف و أوان^(٩) الخريف بدا زحل في الارتفاع و بدا المريخ في الهبوط فلا يزالان كذلك كلما ارتفع زحل درجة
انحط المريخ درجة حتى ينتهي المريخ في الهبوط و ينتهي زحل في الارتفاع فيجلو زحل و ذلك في أول الشتاء و آخر
الصيف^(١٠) فلذلك يشتد البرد و كلما ارتفع هذا هبط هذا و كلما هبط هذا ارتفع هذا فإذا كان في الصيف يوم بارد فالفعل
في ذلك للقمر وإذا كان في الشتاء يوم حار فالفعل في ذلك للشمس هذا تقدير العزيز العليم و أنا عبد رب العالمين.^(١١)

بيان: أشكل على الناظرين في هذا الخبر حله من جهة أن حركتي زحل و المريخ الخاصتين غير
متوافقتين و لا مطابقتين لحركة الشمس و الفصول الحاصلة منها بوجه و يخطر بالبال حل يمكن
حمل الخبر عليه ليندفع الإشكال و هو أن يكون حرارة أحد الكوكبين و برودة الآخر بالخاصية لا

(١) فرج المهموم ص ٩٣ و ٩٤ باب ٣ حديث ١٢.

(٢) في المصدر: «نصر».

(٣) في المصدر: «بالهند».

(٤) في المصدر: «يدرك».

(٥) فرج المهموم ص ٩٤ و ٩٥.

(٦) في المصدر: «و أوأول».

(٧) في المصدر: «و أوأول».

(٨) روضة الكافي ص ٣٠٦ حديث ٤٧٤.

(٩) في المصدر: «نصر».

(١٠) كلمة «علم» ليست في المصدر.

(١١) في المصدر إضافة: «تارة».

(١٢) في المصدر: «مما».

(١٣) في المصدر: «الخريف».

بالكيفية من قبيل التأثيرات الناقصة التي تنسب إلى أوضاع الكواكب ويكون لكل منهما تدوير ويكون ارتفاع المريخ في تدويره إما مؤثرا ناقصا أو علامة لزيادة الحرارة ويكون ارتفاعه عند انحطاط زحل بحركة تدويره وانحطاطه مؤثرا ناقصا أو علامة لضعف البرودة فلذا يصير الهواء في الصيف حارا وفي الشتاء بعكس ذلك ولم يدل دليل على امتناعه كما أنهم يقولون في القمر إن قوته وارتفاعه مؤثر وعلامة لزيادة البرد والرطوبات وقد انتبأ أفلاكا كثيرة جزئية لكل من السيارات لضبط الحركات ومع ذلك يرد عليهم ما لا يمكنهم حله فلا ضير في أن تثبت فلكا آخر لتصحيح الخبر المنسوب إلى الإمام عليه السلام.

قوله فيجلى المريخ كذا في أكثر نسخ الكافي وهو إما من الجلاء بمعنى الخروج والمفارقة عن المكان أي يأخذ في الارتفاع أو من الجلاء بمعنى الوضوح والانكشاف وفي بعض نسخه يفعلو في الموضوعين وفي كتاب النجوم ^(١) فيلحق فيهما ولهما وجه قريب ولعل قوله عليه السلام وأنا عبد رب العالمين لحضور بعض الغلاة في ذلك المجلس قال ذلك ردا عليهم وقيل أول الكلام مبني على زعم المنجمين من تأثير الكواكب ورد ذلك آخر بقوله عليه السلام «هذا تقدير العزيز العليم» ^(٢) وحاصله أن المنجمين يعدون الشمس والمريخ حارين يابسين وزحل باردا يابسا والقمر باردا رطبا وغرضهم أن تأثيرها في السفليات كذلك وتخصيص المريخ وزحل بالذكر لكونهما من العلوية وهي أشرف عندهم والمراد بارتفاع مريخ وانحطاط زحل حسن حال الأول وسوء حال الثاني بزعمهم إذ الشمس من أول الحمل كلما ازداد ارتفاعا في الآفاق المائلة الشمالية اشتدت حرارة الهواء فارتفع مانع تأثير المريخ وقوي تأثيره وضعف تأثير زحل وكذا العكس.

٢٨- الكافي: عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي بصير ^(٣) عن أبي عبد الله عليه السلام قال إن آزر أبا إبراهيم كان منجما لئلمرد ولم يكن يصدر إلا عن أمره فنظر ليلة في النجوم فأصبح وهو يقول لئلمرد لقد رأيت عجبا قال وما هو قال رأيت مولودا يولد في أرضنا يكون هلاكنا على يديه ولا يلبث إلا قليلا حتى يحمل به قال فتعجب من ذلك وقال هل حملت به النساء قال لا قال فحجب النساء عن الرجال فلم يدعوا ^(٤) امرأة إلا جعلها في المدينة لا يخلطن بعلها ^(٥) ووقع آزر على أهله ^(٦) وعلقت بابراهيم عليه السلام فظن أنه صاحبه فأرسلوا ^(٧) إلى نساء من القوالب في ذلك الزمان لا يكون في الرحم شيء إلا علمن به فنظرن فألزم الله عز وجل ما في الرحم ^(٨) الظهر فقلن ما نرى في بطنها شيئا وكان فيما أوتي من العلم أنه سيحرق في النار ^(٩) ولم يؤت علم أن الله تبارك وتعالى سينجيها منها الخبر ^(١٠).

٢٩- الكافي: عن عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن الحسن بن علي بن عثمان عن أبي عبد الله المدائني عن أبي عبد الله عليه السلام قال إن الله عز وجل خلق نجما في الفلك السابع فخلق من ماء بارد و سائر النجوم الستة الجارية من ماء حار وهو نجم الأنبياء والأوصياء وهو نجم أمير المؤمنين عليه السلام يأمر بالخروج من الدنيا والزهد فيها ويأمر باقتراض التراب وتوسد اللين ولباس الخشن وأكل الجشيب وما خلق الله نجما أقرب إلى الله منه ^(١١).

بيان: يدل الخبر على أن المنجمين قد أخطأوا في طبائع الكواكب ومن ينسبونه إليها وفي سعدا ونحسها يأمر بالخروج من الدنيا لعل المراد أن من ينسب إليه هكذا حاله أو من كان هذا الكوكب طالع ولادته يكون كذلك أو أن المنسوين إلى هذا الكوكب يأمر بذلك.

أقول: فعلى الأول يمكن أن يقال لا تنافي بين ما ذكره المنجمون وبين ما ورد في الخبر لأن نحوسته بالنظر إلى أغراض أهل الدنيا وما يطلبون من عز الدنيا وفخرها وزخرفها وسعادته بالنظر إلى أغراض أهل الآخرة وما يطلبون من ترك الدنيا ولذاتها وشهواتها فتدبر.

(١) فرج الممهور ص ٩٠.

(٢) سورة يس، آية: ٣٨، وسورة فصلت، آية: ١٧.

(٣) في المصدر: «هشام بن سالم، عن أبي أيوب الخزاز، عن أبي بصير».

(٤) في المصدر: «فلم يدع».

(٥) في المصدر: «لا يخلطن إليها» بدل «لا يخلطن بعلها».

(٦) في المصدر: «فأرسل».

(٧) في المصدر: «بأهله».

(٨) في المصدر إضافة: «إلى».

(٩) في المصدر إضافة: «إلى».

(١٠) روضة الكافي ص ٣٦٦ - ٣٦٧ حديث ٥٥٨.

(١١) روضة الكافي ص ٢٥٧ حديث ٣٦٩.

٣٠- النجوم: روى معاوية بن حكيم عن محمد بن زياد عن محمد بن يحيى الخثعمي قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن النجوم حق هي قال لي نعم فقلت له وفي الأرض من يعلمها قال نعم وفي الأرض من يعلمها. (١)

قال السيد وروينا بإسنادنا إلى محمد بن يحيى الخثعمي من غير كتاب معاوية بن حكيم. (٢)

٣١- وروينا بإسنادنا عن معاوية بن حكيم في كتاب أصله حديثاً آخر عن أبي عبد الله عليه السلام قال في السماء أربعة نجوم ما يعلمها إلا أهل بيت من العرب وأهل بيت من الهند يعرفون منها نجماً واحداً فبذلك قام حسابهم. (٣)

٣٢- المناقب: لابن شهر آشوب عن أبي بصير قال رأيت رجلاً يسأل أبا عبد الله عليه السلام عن النجوم فلما خرج من عنده قلت له هذا علم له أصل قال نعم قلت حدثني عنه قال أحدثك عنه بالسعد (٤) ولا أحدثك بالنحس إن الله جل اسمه فرض صلاة الفجر لأول ساعة فهو فرض وهي سعد وفرض (٥) الظهر لسبع ساعات وهو فرض وهي سعد وجعل العصر تسع ساعات وهو فرض وهي سعد وجعل (٦) المغرب لأول ساعة من الليل وهو فرض وهي سعد والعمة ثلاث ساعات وهو فرض وهي سعد. (٧)

٢٥٠
٥٨

بيان: لعل غرضه عليه السلام أن ذلك العلم له أصل لكن لا ينبغي لك أن تطلب منه إلا قدر ما تعلم به أوقات الفرائض أو المعنى أن أوقات الفرائض لها سعادة لوقوع عبادة الله فيها.

٣٣- النجوم: روينا بأسانيد عن الحسين بن عبيد الله الغضائري وقلته من خطه من الجزء الثاني من كتاب الدلائل تأليف عبد الله بن جعفر الحميري بإسناده عن بياض السابري قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام إن لي في النظرة في النجوم لذة وهي معيبة عند الناس فإن كان فيها إثم تركت ذلك وإن لم يكن فيها إثم فإن لي فيها لذة قال فقال تعد الطوالع قلت نعم فعددها له فقال كم تسقي الشمس القمر من نورها قلت هذا شيء لم أسمع قط وقال وكم تسقي الزهرة الشمس من نورها قلت ولا هذا قال فكم تسقي الشمس من اللوح المحفوظ من نوره قلت وهذا شيء ما أسمع قط قال فقال هذا شيء إذا علمه الرجل عرف أوسط قصبة في الأجمة ثم قال ليس يعلم النجوم إلا أهل بيت من قريش وأهل بيت من الهند. (٨)

٣٤- ومنه: وجدت في كتاب (٩) عتيق اسمه كتاب التجل قال أبو أحمد عن حفص بن البختري قال ذكرت النجوم عند أبي عبد الله عليه السلام فقال ما يعلمها إلا أهل بيت بالهند وأهل بيت من العرب. (١٠)

٣٥- وفي الكتاب المذكور: أيضاً عن محمد وهارون ابني أبي سهل وكتبا إلى أبي عبد الله عليه السلام أن أبانا وجدنا كانا ينظران في النجوم فهل يحل النظر فيها قال (١١) نعم. (١٢)

٣٦- وفيه: أيضاً أنهما كتبا إليه نحن ولد بني نوبخت المنجم وقد كنا كتبنا إليك هل يحل النظر فيها فكتبت نعم والمنجمون يختلفون في صفة الفلك فبعضهم يقول إن الفلك فيه النجوم والشمس والقمر معلق بالسماء وهو دون السماء وهو الذي يدور بالنجوم والشمس والقمر والسماء فإنها لا تتحرك ولا تدور ويقولون دوران الفلك تحت الأرض وإن الشمس تدور مع الفلك تحت الأرض وتغيب (١٣) في المغرب تحت الأرض وتطلع بالفجرة من المشرق فكتب نعم (١٤) ما لم يخرج من التوحيد. (١٥)

٢٥١
٥٨

٣٧- ومن الكتاب المذكور أبو محمد عن الحسن بن عمر عن أبيه (١٦) عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى ﴿فِي يَوْمٍ نُخَسِّمُ مِصْرَ﴾ (١٧) قال كان القمر منحوساً بزحل. (١٨)

- (١) فرج المهور ص ٩١ حديث ٩.
- (٢) فرج المهور ص ٩١ و ٩٢ حديث ١٠.
- (٣) في المصدر: «و جعل».
- (٤) كلمة: «جعل» ليست في المصدر.
- (٥) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢٦٥ باب في علم الإمام الصادق عليه السلام.
- (٦) في المصدر: «أصل».
- (٧) فرج المهور ص ٩٧ و ٩٨ حديث ١٥.
- (٨) فرج المهور ص ٩٩ و ١٠٠ حديث ١٨.
- (٩) فرج المهور ص ١٠٠ حديث ١٩.
- (١٠) في المصدر إضافة: «يحل».
- (١١) عبارة: «عن أبيه» ليست في المصدر.
- (١٢) فرج المهور ص ١٠٠ حديث ٢١.
- (١٣) فرج المهور ص ٩٩ باب ٣ حديث ١٧.
- (١٤) في المصدر: «بالصعب».
- (١٥) كلمة: «جعل» ليست في المصدر.
- (١٦) في المصدر: «أصل».
- (١٧) في المصدر: «فتغيب» بدل [و] تغيب.
- (١٨) سورة القمر، آية: ١٩.

بيان: «معلق بالسماء» أي الفلك معلق بالسماء و لعل مرادهم بالسماء الفلك التاسع و بعدم حركتها أنها لا تتحرك بالحركات الخاصة للكواكب و قولهم دوران الفلك تحت الأرض يحتمل الخاصة و اليومية و الأعم و غرضهم أن الكواكب كما تتحرك تبعاً للأفلاك فوق الأرض فكذا تتحرك تحتها و قولهم و إن الشمس تدور مع الفلك أي بالحركة اليومية هذا ما خطر بالبال في تأويله و ظاهره أن الأفلاك غير السماوات و لعله كان ذلك مذهبا لجماعة كما ذهب إليه الكراچكي حيث قال في كنز الفوائد اعلم أن الأرض على هيئة الكرة و الهواء يحيط بها من كل جهة و الأفلاك تحيط بالجميع إحاطة استدارة و هي طبقات بعضها يحيط ببعض فمهما سبعة تختص بالنيرين و الكواكب الخمسة التي تسمى المتحيرة^(١) فالنيران هما الشمس و القمر و الخمسة هي زحل و المشتري و المريخ و الزهرة و عطارد فللك واحد منها فلك يختص به من هذه السبعة ففلك زحل أعلاها و فلك القمر أقربها من الأرض و فلك الشمس في وسطها و تحت فلك زحل^(٢) فلك المشتري ثم^(٣) المريخ و فوق القمر^(٤) فلك عطارد ثم فلك الزهرة و يحيط بهذه الأفلاك السبعة فلك الكواكب الثابتة و هي جميع ما يرى في السماء غير ما ذكرنا ثم الفلك المحيط الأعظم المحرك جميع هذه الأفلاك ثم السماوات السبع تحيط بالأفلاك و هي مساكن الأملاك و من رفعه الله تعالى إلى سمانه من أنبيائه و حججه^(٥) انتهى و هذا قول غريب لم أر به قائلا غيره و مخالفته لظاهر الآية أكثر من القول المشهور.

فكتب نعم أي يحل النظر فيها ما لم يخرج من التوحيد أي ما لم ينته إلى القول بتأثير الكواكب و أنها شريكة في الخلق و التدبير للرب سبحانه و الظاهر أن المراد بالنظر في النجوم هنا علم الهيئة و التفكير في كيفية دوران الكواكب و الأفلاك و قدر حركاتها و أشباه ذلك لا استخراج الأحكام و الإخبار عن الحوادث.

٣٨- النجوم: من كتاب نزهة الكرام و بستان العوام تأليف محمد بن الحسين بن الحسن السراوي^(٦) و هذا الكتاب خطه بالجمجمة تكلنا من نقله إلى العربية فذكر في أواخر المجلد الثاني منه ما هذا لفظ من أعربه^(٧) و روي أن هارون الرشيد بعث^(٨) إلى موسى بن جعفر^(٩) فأحضره^(٩) فلما حضر عنده قال إن الناس ينسبونكم يا بني فاطمة إلى علم النجوم و إن معرفتكم بها معرفة جيدة و فقهاء العامة يقولون إن رسول الله^(ﷺ) قال إذا ذكروا في أصحابي^(١٠) فاسكتوا و إذا ذكروا^(١١) القدر فاسكتوا و إذا ذكروا النجوم فاسكتوا و أمير المؤمنين^(عليه السلام) كان أعلم الخلائق بعلم النجوم و أولاده و ذريته الذين تقول الشيعة بإمامتهم كانوا عارفين بها فقال له الكاظم^(عليه السلام) هذا حديث ضعيف و إسناده مطعون فيه و الله تبارك و تعالى قد مدح النجوم و لو لا أن النجوم صحيحة ما مدحها الله عز و جل و الأنبياء^(عليهم السلام) كانوا عالمين بها و قد قال الله تعالى في حق إبراهيم خليل الرحمن^(عليه السلام) «وَ كَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ»^(١٢) و قال في موضع آخر «فَنَظَرُ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ»^(١٣) فلو لم يكن عالما بعلم النجوم ما نظر فيها و ما قال إنني سقيم و إدريس^(عليه السلام) كان أعلم أهل زمانه بالنجوم و الله تعالى قد أقسم بمواقع النجوم «وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَ تَلْمُزُونَ عَظِيمٌ»^(١٤) و قال في موضع آخر «وَ التَّارِغَاتِ غَرَفًا» إلى قوله فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا^(١٥) و يعني بذلك اثني عشر برجاً و سبعة سيارات و الذي يظهر بالليل و النهار بأمر الله عز و جل و بعد علم القرآن ما يكون أشرف من علم النجوم و هو علم الأنبياء و الأوصياء و ورثة الأنبياء الذين قال الله عز و جل «وَ عَلَامَاتٍ وَ بِالنُّجُومِ هُمْ يَهْتَدُونَ»^(١٦) و نحن نعرف هذا العلم و ما نذكره^(١٧) فقال له هارون بالله عليك يا

(١) في المصدر إضافة: «و السيارة».

(٢) في المصدر إضافة: «فلك».

(٣) في المصدر: «من أضروه» بدل «فأحضره».

(٤) في المصدر: «عزبه».

(٥) في المصدر: «من أضروه» بدل «فأحضره».

(٦) في المصدر: «إذا ذكر» و كذا في ما بعد.

(٧) في المصدر: «إذا ذكر» و كذا في ما بعد.

(٨) في المصدر: «إذا ذكر» و كذا في ما بعد.

(٩) في المصدر: «إذا ذكر» و كذا في ما بعد.

(١٠) في المصدر: «إذا ذكر» و كذا في ما بعد.

(١١) في المصدر: «إذا ذكر» و كذا في ما بعد.

(١٢) في المصدر: «إذا ذكر أصحابي».

(١٣) في المصدر: «أنفذ» بدل «بعث».

(١٤) في المصدر: «أنفذ» بدل «بعث».

(١٥) في المصدر: «إذا ذكر أصحابي».

(١٦) في المصدر: «إذا ذكر» و كذا في ما بعد.

(١٧) في المصدر: «إذا ذكر» و كذا في ما بعد.

(١٨) في المصدر: «إذا ذكر» و كذا في ما بعد.

(١٩) في المصدر: «إذا ذكر» و كذا في ما بعد.

(٢٠) في المصدر: «إذا ذكر» و كذا في ما بعد.

(٢١) في المصدر: «إذا ذكر» و كذا في ما بعد.

موسى هذا العلم لا تظهروه عند الجهال و عوام الناس حتى لا يشنعوا عليك و نفس العوام به و غط هذا العلم و ارجع إلى حرم جدك ثم قال له هارون و قد بقي مسألة أخرى بالله عليك أخبرني بها فقال له سل فقال له بحق القبر و المنبر و بحق قرباتك من رسول الله ﷺ أخبرني أنت متوت قبلي أو أنا أموت قبلك لأنك تعرف هذا من علم النجوم فقال له موسى آمني حتى أخبرك فقال لك الأمان فقال أنا أموت قبلك و ما كذبت و لا أكذب و وفاتي قريب. (١٨)

أقول: تمامه في أبواب تاريخ موسى ﷺ.

٣٩- ومنه: قال ووجدت في كتاب عتيق بإسناد متصل إلى الوليد بن جميع قال إن رجلا سأله عكرمة عن حساب النجوم فجعل الرجل يتحرج أن يخبره قال عكرمة سمعت ابن عباس يقول علم عجز الناس عنه وددت أني علمته. (١٩)

٤٠- ومنه: نقلا من كتاب ربيع الأبرار للزمخشري عن الوليد بن جميع قال رأيت عكرمة سأل رجلا عن علم النجوم و الرجل يتحرج أن يخبره فقال له عكرمة سمعت ابن عباس يقول علم عجز الناس عنه و لوددت أني علمته. (٢٠)

٤١- وأيضا فيه: عن ابن عباس علم من علم النبوة و ليتني كنت أحسنه. (٢١)

٢٥٤
٥٨

٤٢- ومنه: قال رويت عن محمد بن النجار في المجلد الحادي و العشرين من تذييله على تاريخ الخطيب في ترجمة علي بن طراد بإسناده إلى عكرمة قال قيل لابن عباس إن هاهنا رجلا يهوديا يتكهن (٢٢) قال فبعث إليه ابن عباس فجاء فقال يا يهودي بلغني أنك تخبر بالغيب فقال اليهودي أما الغيب فلا يعلم إلا الله و لكن إن شئت أخبرتك قال هات قال أنك ابن عشر سنين يختلف إلى الكتاب قال نعم قال فإنه يأتي غدا محموما من الكتاب و يموت يوم عاشره و أما أنت فلا تخرج من الدنيا حتى يذهب بصرك قال هذا (٢٣) أخبرتني عن ابني وعن نفسي فأخبرني عن نفسك قال أموت رأس السنة قال عكرمة فجاء ابن ابن عباس من الكتاب محموما ومات يوم عاشره فلما كان رأس السنة قال ابن عباس يا عكرمة انظر ما فعل اليهودي فأتيته أهله فقالوا مات أمس فما خرج ابن عباس من الدنيا حتى ذهب بصره. (٢٤)

بيان: الكتاب بضم الكاف و تشديد التاء الكتبه و يطلق على المكتب تسمية للمحل باسم الحال.

٤٣- النجوم: نقلا من كتاب ربيع الأبرار عن علي ﷺ من اقتبس علما من علم النجوم من حملة القرآن ازداد به إيمانا و يقينا ثم تلا ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾. (٢٥)

٤٤- و قال فيه أيضا، عن ميمون بن مهران إياكم و التأكيد بالنجوم فإنه علم من علوم النبوة. (٢٦)

و فيه أيضا عن علي ﷺ يكره أن يسافر الرجل أو يتزوج في محاق الشهر و إذا كان القمر في العقرب. (٢٧)

٤٥- و ذكر الخطيب في تاريخ بغداد، حديثا أسنده إلى تميم بن الحارث عن أبيه عن علي ﷺ أنه يكره أن يتزوج الرجل أو يسافر إذا كان القمر في محاق الشهر أو العقرب. (٢٨)

٤٦- و في كتاب ربيع الأبرار، فيما رواه عن مولانا علي ﷺ و يروى أن رجلا قال إني أريد الخروج في تجارة لي و ذلك في محاق الشهر فقال أتريد أن يحق الله تجارتك تستقبل هلال الشهر (٢٩) بالخروج. (٣٠)

٢٥٥
٥٨

٤٧- و فيه أيضا، كان علماء بني إسرائيل يسترون من العلوم علمين علم النجوم و علم الطب فلا يعلمونهما أولادهم لحاجة الملوك إليهما لثلا يكون سببا في صحة الملوك و الدنو منهم فيضمل دينهم. (٣١)

٤٨- ومنه: روى عبد الله بن الصلت في كتاب التواريخ من أصول الأخبار قال حملت الكتاب و هو الذي نقلته من العراق قال كتب معقلة بن إسحاق إلى علي بن جعفر رقعة يعلمه فيها أن المنجم كتب ميلاده و وقت عمره وقتا و قد قارب ذلك الوقت و خاف على نفسه فأحب أن يسأله أن يدلّه على عمل يعمله يتقرب به إلى الله عز و جل

- (١٧) في المصدر: «و ما ننكره».
- (١٩) فرج المهور ص ١١٠ حديث ٢٧.
- (٢١) فرج المهور ص ١١٢، حديث ٢٨.
- (٢٢) في المصدر إضافة: «و يخبر».
- (٢٤) فرج المهور ص ١١٠، حديث ٢٦.
- (٢٥) فرج المهور ص ١١٢، حديث ٢٩، و الآية من سورة يونس: ٦.
- (٢٦) فرج المهور ص ١١٢، حديث ٣٠.
- (٢٨) فرج المهور ص ١١٣.
- (٢٩) في المصدر: «استقبل الشهر».
- (٣١) فرج المهور ص ١١٣، حديث ٣٣.

فأوصل علي بن جعفر رقعة بعينها كتبها^(١) فكتب إليه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ متعني الله بك قرأت رقعة فلان^(٢) فأصابني والله ما أخرجني إلى بعض لائمتك سبحانه الله أنت تعلم حاله منا حقاً^(٣) ومن طاعتنا وأمورنا فما منعك من نقل الخبر إلينا نستقبل الأمر ببعض السهولة أو جعلته^(٤) أنه رأى رؤيا في منامه أو بلغ سن إليه^(٥) أو أنكسر شيئا من نفسه كان يدرك بها حاجته^(٦) وكان الأمر يخف وقوعه ويسهل خطبه ويحتسب هذه الأمور عند الله بالأمر نذكره في اللفظة^(٧) بأن ليس أحد يصلح لها^(٨) غيره واعتمادنا عليه على ما تعلم نحمد^(٩) الله كثيرا ونسأله^(١٠) الاستمتاع بنعمته وبأصلح الموالى^(١١) وأحسن الأعوان عوناً وبرحمته^(١٢) ومغفرته مر فلانا لا فجعلنا الله به بما يقدر عليه من الصيام على ما أصف إما كل يوم أو يوما لا أو ثلاثة في الشهر ولا يخلو كل يوم أو يومين من صدقة على ستين مسكينا أو ما يحركه عليه النية^(١٣) وما جرى وتم ويستعمل نفسه في صلاة الليل والنهار استعمالا شديدا وكذلك في الاستغفار وقراءة القرآن وذكر الله تعالى والاعتراف في القنوت بذنوبه ويستغفر الله منها ويجعل أبوابا في الصدقة والعق^(١٤) عن أشياء يسمها^(١٥) من ذنوبه ويخلص نيته في اعتقاد الحق ويصل رحمه وينشر الخير فيها ونرجو أن ينفعه مكانه منا^(١٦) وما وهب الله من رضاء عنه وحمدنا إياه فلقد والله ساءني أمره فوق ما أصف على أنه أرجو أن يزيد الله في عمره ويبطل قول المنجم فما أطلعته الله على الغيب^(١٧) والحمد لله.

وقد رأيت هذا الحديث في كتاب التوقيعات لعبد الله بن جعفر الحميري ره قد رواه عن أحمد بن محمد بن عيسى بإسناده إلى الكاظم^(١٨).

بيان: النسخة كانت في هذه الرواية سقيمة جدا ولم نجدها في مكان آخر نصلحها به فتركناها كما كانت.

٤٩- النجوم: روى محمد بن خالد البرقي في قصص الأنبياء فقال ما هذا لفظه عبد الله بن سنان عن عمار بن أبي معاوية قال وفتحت مدائن الشام على يد يوشع بن نون حتى انتهى إلى البلقاء فلقوا بها رجلا يقال له بالقي به سميت البلقاء فجعلوا يخرجون يقاتلونه لا يقتل منهم رجل فسأل^(١٩) ذلك فقيل إن في مدينته امرأة منجمة تستقبل الشمس بفرجها^(٢٠) ثم تحسب ثم يعرض عليها الخيل فلا يخرج يومئذ رجل^(٢١) حضر أجله فصلى يوشع بن نون ركعتين ودعا ربه أن يؤخر الشمس فاضطرب عليها الحساب فقالت لبالقي انظر ما يعرضون^(٢٢) عليك فأعطهم فإن حسابي قد اختلط علي قال فتصفيح الخيل فاخرجي فإنه لا يكون إلا يقتل قال فتصفيحت وأخرجت فقتلوا قتلا لم يقتله قوم فسألوا يوشع الصلح فأبى حتى يدفع إليه المرأة فأبى بالقي أن يدفعها فقالت ادفعني إليه فصالحها ودفعها إليه فقالت هل تجد فيما أوحى إلى صاحبك قتل النساء قال لا قالت أليس إنما تدعوني إلى دينك قال بلى قالت فأني قد دخلت في دينك هذا آخر لفظه في حديثه^(٢٣).

بيان: تستقبل الشمس بفرجها أي تواجهها لتعلم مقدار حركتها وهذه العبارة شائعة وقعت في مواضع منها ما ورد فيما يتشام به المسافرين والمرأة الشمطاء تلقى فرجها أي تواجهها.

(١) في المصدر: «رقعة التي كتبها إلى موسى بن جعفر عليه السلام».

(٢) كلمة: «حقاً» ليست في المصدر.

(٣) في المصدر: «أبى» بدل «إليه».

(٤) في المصدر: «تذكر» في اللفظ.

(٥) في المصدر: «فليحمد».

(٦) في المصدر: «و ما أصلح المولى».

(٧) في المصدر: «النسبة».

(٨) في المصدر: «يستبها».

(٩) في المصدر: «فما أطلعته على الغيب».

(١٠) في المصدر: «فسأله يوشع عن» بدل «فسأل».

(١١) في المصدر: «ببرجها» و سيأتي في «بيان المؤلف بعد هذا معنى «تستقبل الشمس بفرجها».

(١٢) في المصدر: «فلا تخرج يومئذ رجلاً».

(١٣) فرج المهورم ص ١٤٣ و ١٤٤.

(١٤) في المصدر: «يفرضون» بدل «يعرضون».

(١٥) من المصدر.

(١٦) من المصدر.

(١٧) في المصدر: «حتى لو نقلت» بدل «أو جعلته».

(١٨) عبارة: «كان يدرك بها حاجته» ليست في المصدر.

(١٩) في المصدر: «لنا» بدل «لها».

(٢٠) في المصدر: «و يسأله».

(٢١) في المصدر: «برحمته» بدل «و برحمته».

(٢٢) في المصدر: إضافة: «والنوبة».

(٢٣) في المصدر: «فتر جو أن ينفعه الله عز وجل لمكانه مثلاً».

(٢٤) فرج المهورم ص ١١٤ و ١١٥ باب ٤.

(٢٥) في المصدر: «يفرضون» بدل «يعرضون».

(٢٦) من المصدر.

(٢٧) في المصدر: «يستبها».

(٢٨) في المصدر: «فما أطلعته على الغيب».

(٢٩) في المصدر: «فسأله يوشع عن» بدل «فسأل».

(٣٠) في المصدر: «ببرجها» و سيأتي في «بيان المؤلف بعد هذا معنى «تستقبل الشمس بفرجها».

(٣١) في المصدر: «فلا تخرج يومئذ رجلاً».

(٣٢) فرج المهورم ص ١٤٣ و ١٤٤.

(٣٣) في المصدر: «يفرضون» بدل «يعرضون».

(٣٤) من المصدر.

(٣٥) في المصدر: «يستبها».

(٣٦) في المصدر: «فما أطلعته على الغيب».

(٣٧) في المصدر: «فسأله يوشع عن» بدل «فسأل».

(٣٨) في المصدر: «ببرجها» و سيأتي في «بيان المؤلف بعد هذا معنى «تستقبل الشمس بفرجها».

(٣٩) في المصدر: «فلا تخرج يومئذ رجلاً».

(٤٠) فرج المهورم ص ١٤٣ و ١٤٤.

(٤١) في المصدر: «يفرضون» بدل «يعرضون».

(٤٢) من المصدر.

(٤٣) في المصدر: «يستبها».

(٤٤) في المصدر: «فما أطلعته على الغيب».

(٤٥) في المصدر: «فسأله يوشع عن» بدل «فسأل».

(٤٦) في المصدر: «ببرجها» و سيأتي في «بيان المؤلف بعد هذا معنى «تستقبل الشمس بفرجها».

(٤٧) في المصدر: «فلا تخرج يومئذ رجلاً».

(٤٨) فرج المهورم ص ١٤٣ و ١٤٤.

(٤٩) في المصدر: «يفرضون» بدل «يعرضون».

(٥٠) من المصدر.

(٥١) في المصدر: «يستبها».

(٥٢) في المصدر: «فما أطلعته على الغيب».

(٥٣) في المصدر: «فسأله يوشع عن» بدل «فسأل».

(٥٤) في المصدر: «ببرجها» و سيأتي في «بيان المؤلف بعد هذا معنى «تستقبل الشمس بفرجها».

(٥٥) في المصدر: «فلا تخرج يومئذ رجلاً».

(٥٦) فرج المهورم ص ١٤٣ و ١٤٤.

(٥٧) في المصدر: «يفرضون» بدل «يعرضون».

(٥٨) من المصدر.

(٥٩) في المصدر: «يستبها».

(٦٠) في المصدر: «فما أطلعته على الغيب».

(٦١) في المصدر: «فسأله يوشع عن» بدل «فسأل».

(٦٢) في المصدر: «ببرجها» و سيأتي في «بيان المؤلف بعد هذا معنى «تستقبل الشمس بفرجها».

(٦٣) في المصدر: «فلا تخرج يومئذ رجلاً».

(٦٤) فرج المهورم ص ١٤٣ و ١٤٤.

(٦٥) في المصدر: «يفرضون» بدل «يعرضون».

(٦٦) من المصدر.

(٦٧) في المصدر: «يستبها».

(٦٨) في المصدر: «فما أطلعته على الغيب».

(٦٩) في المصدر: «فسأله يوشع عن» بدل «فسأل».

(٧٠) في المصدر: «ببرجها» و سيأتي في «بيان المؤلف بعد هذا معنى «تستقبل الشمس بفرجها».

(٧١) في المصدر: «فلا تخرج يومئذ رجلاً».

(٧٢) فرج المهورم ص ١٤٣ و ١٤٤.

(٧٣) في المصدر: «يفرضون» بدل «يعرضون».

(٧٤) من المصدر.

(٧٥) في المصدر: «يستبها».

(٧٦) في المصدر: «فما أطلعته على الغيب».

(٧٧) في المصدر: «فسأله يوشع عن» بدل «فسأل».

(٧٨) في المصدر: «ببرجها» و سيأتي في «بيان المؤلف بعد هذا معنى «تستقبل الشمس بفرجها».

(٧٩) في المصدر: «فلا تخرج يومئذ رجلاً».

(٨٠) فرج المهورم ص ١٤٣ و ١٤٤.

(٨١) في المصدر: «يفرضون» بدل «يعرضون».

(٨٢) من المصدر.

(٨٣) في المصدر: «يستبها».

(٨٤) في المصدر: «فما أطلعته على الغيب».

(٨٥) في المصدر: «فسأله يوشع عن» بدل «فسأل».

(٨٦) في المصدر: «ببرجها» و سيأتي في «بيان المؤلف بعد هذا معنى «تستقبل الشمس بفرجها».

(٨٧) في المصدر: «فلا تخرج يومئذ رجلاً».

(٨٨) فرج المهورم ص ١٤٣ و ١٤٤.

(٨٩) في المصدر: «يفرضون» بدل «يعرضون».

(٩٠) من المصدر.

(٩١) في المصدر: «يستبها».

(٩٢) في المصدر: «فما أطلعته على الغيب».

(٩٣) في المصدر: «فسأله يوشع عن» بدل «فسأل».

(٩٤) في المصدر: «ببرجها» و سيأتي في «بيان المؤلف بعد هذا معنى «تستقبل الشمس بفرجها».

(٩٥) في المصدر: «فلا تخرج يومئذ رجلاً».

(٩٦) فرج المهورم ص ١٤٣ و ١٤٤.

(٩٧) في المصدر: «يفرضون» بدل «يعرضون».

(٩٨) من المصدر.

(٩٩) في المصدر: «يستبها».

(١٠٠) في المصدر: «فما أطلعته على الغيب».

(١٠١) في المصدر: «فسأله يوشع عن» بدل «فسأل».

(١٠٢) في المصدر: «ببرجها» و سيأتي في «بيان المؤلف بعد هذا معنى «تستقبل الشمس بفرجها».

(١٠٣) في المصدر: «فلا تخرج يومئذ رجلاً».

(١٠٤) فرج المهورم ص ١٤٣ و ١٤٤.

(١٠٥) في المصدر: «يفرضون» بدل «يعرضون».

(١٠٦) من المصدر.

(١٠٧) في المصدر: «يستبها».

(١٠٨) في المصدر: «فما أطلعته على الغيب».

(١٠٩) في المصدر: «فسأله يوشع عن» بدل «فسأل».

(١١٠) في المصدر: «ببرجها» و سيأتي في «بيان المؤلف بعد هذا معنى «تستقبل الشمس بفرجها».

(١١١) في المصدر: «فلا تخرج يومئذ رجلاً».

(١١٢) فرج المهورم ص ١٤٣ و ١٤٤.

(١١٣) في المصدر: «يفرضون» بدل «يعرضون».

(١١٤) من المصدر.

(١١٥) في المصدر: «يستبها».

(١١٦) في المصدر: «فما أطلعته على الغيب».

(١١٧) في المصدر: «فسأله يوشع عن» بدل «فسأل».

(١١٨) في المصدر: «ببرجها» و سيأتي في «بيان المؤلف بعد هذا معنى «تستقبل الشمس بفرجها».

(١١٩) في المصدر: «فلا تخرج يومئذ رجلاً».

(١٢٠) فرج المهورم ص ١٤٣ و ١٤٤.

(١٢١) في المصدر: «يفرضون» بدل «يعرضون».

(١٢٢) من المصدر.

(١٢٣) في المصدر: «يستبها».

(١٢٤) في المصدر: «فما أطلعته على الغيب».

(١٢٥) في المصدر: «فسأله يوشع عن» بدل «فسأل».

(١٢٦) في المصدر: «ببرجها» و سيأتي في «بيان المؤلف بعد هذا معنى «تستقبل الشمس بفرجها».

(١٢٧) في المصدر: «فلا تخرج يومئذ رجلاً».

(١٢٨) فرج المهورم ص ١٤٣ و ١٤٤.

(١٢٩) في المصدر: «يفرضون» بدل «يعرضون».

(١٣٠) من المصدر.

(١٣١) في المصدر: «يستبها».

(١٣٢) في المصدر: «فما أطلعته على الغيب».

(١٣٣) في المصدر: «فسأله يوشع عن» بدل «فسأل».

(١٣٤) في المصدر: «ببرجها» و سيأتي في «بيان المؤلف بعد هذا معنى «تستقبل الشمس بفرجها».

(١٣٥) في المصدر: «فلا تخرج يومئذ رجلاً».

(١٣٦) فرج المهورم ص ١٤٣ و ١٤٤.

(١٣٧) في المصدر: «يفرضون» بدل «يعرضون».

(١٣٨) من المصدر.

(١٣٩) في المصدر: «يستبها».

(١٤٠) في المصدر: «فما أطلعته على الغيب».

(١٤١) في المصدر: «فسأله يوشع عن» بدل «فسأل».

(١٤٢) في المصدر: «ببرجها» و سيأتي في «بيان المؤلف بعد هذا معنى «تستقبل الشمس بفرجها».

(١٤٣) في المصدر: «فلا تخرج يومئذ رجلاً».

(١٤٤) فرج المهورم ص ١٤٣ و ١٤٤.

(١٤٥) في المصدر: «يفرضون» بدل «يعرضون».

(١٤٦) من المصدر.

(١٤٧) في المصدر: «يستبها».

(١٤٨) في المصدر: «فما أطلعته على الغيب».

(١٤٩) في المصدر: «فسأله يوشع عن» بدل «فسأل».

(١٥٠) في المصدر: «ببرجها» و سيأتي في «بيان المؤلف بعد هذا معنى «تستقبل الشمس بفرجها».

(١٥١) في المصدر: «فلا تخرج يومئذ رجلاً».

(١٥٢) فرج المهورم ص ١٤٣ و ١٤٤.

(١٥٣) في المصدر: «يفرضون» بدل «يعرضون».

(١٥٤) من المصدر.

(١٥٥) في المصدر: «يستبها».

(١٥٦) في المصدر: «فما أطلعته على الغيب».

(١٥٧) في المصدر: «فسأله يوشع عن» بدل «فسأل».

(١٥٨) في المصدر: «ببرجها» و سيأتي في «بيان المؤلف بعد هذا معنى «تستقبل الشمس بفرجها».

(١٥٩) في المصدر: «فلا تخرج يومئذ رجلاً».

(١٦٠) فرج المهورم ص ١٤٣ و ١٤٤.

(١٦١) في المصدر: «يفرضون» بدل «يعرضون».

(١٦٢) من المصدر.

(١٦٣) في المصدر: «يستبها».

(١٦٤) في المصدر: «فما أطلعته على الغيب».

(١٦٥) في المصدر: «فسأله يوشع عن» بدل «فسأل».

(١٦٦) في المصدر: «ببرجها» و سيأتي في «بيان المؤلف بعد هذا معنى «تستقبل الشمس بفرجها».

(١٦٧) في المصدر: «فلا تخرج يومئذ رجلاً».

(١٦٨) فرج المهورم ص ١٤٣ و ١٤٤.

(١٦٩) في المصدر: «يفرضون» بدل «يعرضون».

(١٧٠) من المصدر.

(١٧١) في المصدر: «يستبها».

(١٧٢) في المصدر: «فما أطلعته على الغيب».

(١٧٣) في المصدر: «فسأله يوشع عن» بدل «فسأل».

(١٧٤) في المصدر: «ببرجها» و سيأتي في «بيان المؤلف بعد هذا معنى «تستقبل الشمس بفرجها».

(١٧٥) في المصدر: «فلا تخرج يومئذ رجلاً».

(١٧٦) فرج المهورم ص ١٤٣ و ١٤٤.

(١٧٧) في المصدر: «يفرضون» بدل «يعرضون».

(١٧٨) من المصدر.

(١٧٩) في المصدر: «يستبها».

(١٨٠) في المصدر: «فما أطلعته على الغيب».

(١٨١) في المصدر: «فسأله يوشع عن» بدل «فسأل».

(١٨٢) في المصدر: «ببرجها» و سيأتي في «بيان المؤلف بعد هذا معنى «تستقبل الشمس بفرجها».

(١٨٣) في المصدر: «فلا تخرج يومئذ رجلاً».

(١٨٤) فرج المهورم ص ١٤٣ و ١٤٤.

(١٨٥) في المصدر: «يفرضون» بدل «يعرضون».

٥٠- نوادر الراوندي: بإسناده عن موسى بن جعفر عن أبيه عن جده عليه السلام قال كانت أرض بيني وبين رجل فأراد قسمتها وكان الرجل صاحب نجوم فنظر إلى الساعة التي فيها السعد فخرج فيها ونظر إلى الساعة التي فيها النحوس فبعث إلى أبي فلما اقتسما الأرض خرج خير السهمين لأبي فجعل صاحب النجوم يتعجب فقال له أبي ما لك فأخبره الخبر فقال له أبي فهلا أدلك على خير مما صنعت إذا أصبحت فتصدق بصدقة تذهب عنك نحس ذلك اليوم وإذا أمسيت فتصدق بصدقة تذهب عنك نحس تلك الليلة.^(١)

٥١- دعوات الراوندي: عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال كانت أرض بين أبي وبين رجل فأراد قسمتها وذكر نحوه^(٢) وقال عليه السلام في علم النجوم عندنا معرفة المؤمن من الكافر.^(٣)

بيان: لعلة عليه السلام قال ذلك عند ذكر علم النجوم لبيان إحاطة علمه بما يدعيه المنجمون وبغيره لا أنه عليه السلام كان يعرف ذلك من النجوم مع أنه يحمل ذلك أيضا لبيان تصور علمهم وعدم إحاطتهم به فإنهم لا يدعون علم أمثال ذلك من جهة النجوم.

٥٢- الإحتجاج والنهج: [تهج البلاغة] من كلام له قاله لبعض أصحابه لما عزم على المسير إلى الخوارج فقال له يا أمير المؤمنين إن سرت في هذا الوقت خشيت أن لا تغفر بمرادك من طريق علم النجوم فقال عليه السلام أنزعك أنك تهدي إلى الساعة التي من سار فيها صرف عنه السوء وتخوف^(٤) الساعة التي من سار فيها حاق به الضر فمن صدقك بهذا فقد كذب القرآن واستغنى عن الاستعانة بالله تعالى في نيل المحبوب ودفع المكروه وتبغني^(٥) في قولك للعامل بأمرك أن يوليكَ الحمد دون ربه لأنك بزعمك أنت هديته إلى الساعة التي نال فيها النفع وأمن فيها الضر ثم أقبل عليه السلام على الناس فقال أيها الناس إياكم وتعلم النجوم إلا ما يهتدي به في بر أو بحر فإنها^(٦) تدعو إلى كهانة^(٧) المنجم كالكاهن والكاهن كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النار سيروا على اسم الله وعونه.^(٨)

بيان: فمن صدقك بهذا كأنه أسقط السيد من الرواية شيئا كما هو دأبه وقد مر تمامه وعلى ما تقدم هذا إشارة إلى علم ما في بطن الدابة وإن لم يكن سقط هنا شيء فيحتمل أن يكون إشارة إلى دعواه علم الساعتين المنافي لقوله عز وجل ﴿وَمَا تَذَرِي نَفْسٌ مَا ذَا تُكْسِبُ غَدًا﴾^(٩) ولقوله سبحانه ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(١٠) وقوله جل وعلا ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعْلِمُهَا إِلَّا هُوَ﴾^(١١) وما أفاد مثل هذا المعنى ويمكن حمل الكلام على وجه آخر وهو أن قول المنجم بأن صرف السوء ونزول الضر تابع للساعة سواء قال بأن الأوضاع العلوية مؤثرة تامة في السفليات ولا يجوز تخلف الآثار عنها أو قال بأنها مؤثرات ناقصة ولكن باقي المؤثرات أمور لا يتطرق إليها التغير أو قال بأنها علامات تدل على وقوع الحوادث حتما فهو مخالف لما ثبت من الدين من أنه سبحانه يحوم ما يشاء ويشي وأنه يقبض ويبسط ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولم يفرغ من الأمر وهو تعالى كل يوم في شأن والظاهر من أحوال المنجمين السابقين وكلماتهم جلهم بل كلهم أنهم لا يقولون بالتخلف وقوعا أو إمكانا فيكون تصديقهم مخالفا لتصديق القرآن وما علم من الدين والإيمان من هذا الوجه ولو كان منهم من يقول بجواز التخلف ووقوعه بقدره الله واختياره وأنه تزول نحوسة الساعات بالتوكل والدعاء والتوسل والتصدق وينقلب السعد نحسا والتحسن سعدا وبأن الحوادث لا يعلم وقوعها إلا إذا علم أن الله سبحانه لم يتعلق حكمته بتبديل أحكامها كان كلامه عليه السلام مخصوصا بمن لم يكن كذلك فالمراد بقوله صرف عنه السوء و حاق به الضر أي حتما قوله في قولك أي على قولك أو بسبب قولك أو هي للظرفية المجازية إلا ما

(٢) دعوات الراوندي ص ١١٢ رقم ٢٥١.

(١) نوادر الراوندي ص ٥٣.

(٤) في النهج: «من الساعة».

(٣) دعوات الراوندي ص ١١٢ رقم ٢٥٢.

(٦) في الإحتجاج: «ينبغي» بدل «تبغني».

(٥) في الإحتجاج: «ينبغي» بدل «تبغني».

(٧) في النهج إضافة: «و».

(٨) الإحتجاج ج ١ ص ٥٦٠ رقم ١٣٦ وفيه زيادة: «ومضى فظفر بمراده عليه السلام».

(٩) سورة لقمان، آية: ٣٤.

(١٠) سورة النمل، آية: ٦٥.

(١١) سورة الأنعام، آية: ٥٩.

يَهْدِي بِهِ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ «وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ» (١).

والكهانة بالفتح مصدر قولك كهن بالضم أي صار كاهنا ويقال كهن بكنهن كهانة مثل كنب بكتب كتابة إذا تكهن والحرقة الكهانة بالكسر وهي عمل يوجب طاعة بعض الجن له بحيث يأتيه بالأخبار الغائبة وهو قريب من السحر قيل قد كان في العرب كهنة كشق وسطيح وغيرهما فمتهم من يزعم أن له تابعا من الجن ورنبا يلقي إليه الأخبار ومنهم من كان يزعم أنه يعرف الأمور بمقدّمات وأسباب يستدل بها على مواقفها من كلام من يسأله أو فعله أو حاله وهذا يخصونه باسم العراف كالذي يدعي معرفة الشيء المسروق ومكان الضالة ونحوهما ودعوة علم النجوم إلى الكهانة إما لأنه ينجر أمر المنجم إلى الرغبة في تعلم الكهانة والتكسب به أو ادعاء ما يدعيه الكاهن والسحر قيل.

هو كلام أو كتابة أو رقية أو أقسام أو عزائم ونحوها يحدث بسببها ضرر على الغير ومنه عقد الرجل عن زوجته وإلقاء البغضاء بين الناس ومنه استخدام الملائكة والجن واستئثار الشياطين في كشف الغائبات وعلاج المصاب واستحضارهم وتلبسهم ببدن صبي أو امرأة وكشف الغائب على لسانه (٢) انتهى والظاهر أنه لا يختص بالضرر وسيأتي بعض تحقيقه في باب هاروت وماروت (٣) وتمام تحقيقه في باب الكبائر (٤) وجه الشبه في تشبيه المنجم بالكاهن إما الاشتراك في الإخبار عن الغائبات أو في الكذب والإخبار بالظن والتخمين والاستناد إلى الأمارات الضعيفة والمناسبات السخيفة أو في العدول والانحراف عن سبيل الحق والتمسك في نيل المطالب ودرك المآرب بأسباب خارجة عن حدود الشريعة وصدّهم عن التوسل إلى الله تعالى بالدعاء والصدقة وسائر أصناف الطاعة أو في البعد عن المغفرة والرحمة ويجري بعض هذه الوجوه في التشبيه الأخيرين والمشبه به في التشبيهات أقوى ونتيجة الجميع دخول النار ويمكن أن يكون قوله والكافر في النار إشارة إلى وجه الشبه وإن كان بعيدا والمراد إما الخلود أو الدخول الأخير أظهر وإن كان تحقيقه في الكافر في ضمن الخلود.

وقال ابن ميثم ره في شرح هذا الكلام منه ﷺ اعلم أن الذي يلوح من سر نهي الحكمة النبوية عن تعلم النجوم أمران:

أحدهما: اشتغال متعلميها (٥) بها واعتماد كثير من الخلق السامعين لأحكامها فيما يرجون ويخافون عليه فيما يسند إليه الكواكب والأوقات والاشتغال بالفزع إليه وإلى ملاحظة الكواكب عن الفزع إلى الله تعالى والغفلة عن الرجوع إليه فيما يهم من الأحوال وقد علمت أن ذلك يضاد المطلوب الشارع إذ كان غرضه ليس إلا دوام التفات الخلق إلى الله وتذكرهم لمعبودهم بدوام حاجتهم إليه.

الثاني: أن الأحكام النجومية إخبارات عن أمور وهي تشبه الاطلاع على الأمور الغيبية وأكثر الخلق من العوام أو النساء والصبيان لا يميزون بينها وبين علم الغيب والإخبار به فكان تعلم تلك الأحكام والحكم بها سببا لضللال كثير من الخلق وموهنا لاعتقادهم في المعجزات إذ الإخبار عن الكائنات منها وكذا في عظمة بارئهم ويشككهم (٦) في عموم صدق قوله تعالى «قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ» (٧) «وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ» (٨) وقوله «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ» (٩) الآية فالمنجم إذا حكم لنفسه بأنه يصيب كذا فقد ادعى أن

(٢) لم نعر على هذا الكتاب.

(٤) راجع ج ٨٠ ص ٢٠٥ من المطبوعة.

(٦) في المصدر: «يسلكهم» بدل «يشككهم».

(٨) سورة الأنعام، آية: ٥٩.

(١) سورة الأنعام، آية: ٩٧.

(٢) راجع ج ٥٩ ص ٢٦٥ من المطبوعة.

(٥) في المصدر: «متعلميها».

(٧) سورة النمل، آية: ٦٥.

(٩) سورة لقمان، آية: ٣٤.

نفسه تعلم ما تكسب غدا وبأي أرض تموت و ذلك عين التكذيب للقرآن وكان هذين الوجهين هما المقضيان لتحريم الكهانة والسحر والعزائم ونحوها و أما مطابقة لسان الشريعة للعقل في تكذيب هذه الأحكام فبينها أن أهل النظر إما متكلمون فإما معتزلة أو أشعرية أما المعتزلة فاعتمادهم في تكذيب المنجم على أحد الأمرين أحدهما أن الشريعة كذبته و عندهم أن كل حكم شرعي فيشتمل على وجه عقلي وإن لم يعلم عين ذلك الوجه و الثاني مناقشة في ضبطه لأسباب ما أخبر عنه من كون أو فساد و أما الأشعرية فهم وإن قالوا لا مؤثر في الوجود إلا الله تعالى و زعم بعضهم أنهم خلصوا بذلك من إسناد التأثيرات إلى الكواكب إلا أنه لا مانع على مذهبه أن يجعل الله تعالى اتصال نجم بنجم أو حركته علامة على كون كائن أو فساد و ذلك مما لا يطل على المنجم قاعدة فيرجعون أيضا إلى بيان عدم إحاطته بأسباب كون ما أخبر عنه و مناقشته في ذلك و أما الحكماء فاعلم أنه قد ثبت في أصولهم أن كل كائن فاسد في هذا العالم فلا بد له من أسباب أربعة فاعلي و مادي و صوري و غائي أما السبب الفاعلي القريب فالحركات السماوية و الذي هو أسبق منها فالمحرك لها إلى أن ينتهي إلى الجود الإلهي المعطي لكل قابل ما يستحقه و أما سببه المادي فهو القابل لصورته و تنتهي القوابل إلى القابل الأول و هو مادة العناصر المشتركة بينها و أما الصوري فصورته التي تقبلها مادته و أما الغائي فهي التي لأجلها وجد أما الحركات السماوية فإن من الكائنات ما يحتاج في كونه إلى دورة واحدة للفلك و منها ما يحتاج إلى بعض دورة و منها ما يحتاج إلى جملة من أدواره و اتصالاته و أما القوابل للكائنات فقد تقرر عندهم أيضا أن قبولها لكل كائن معين مشروط باستعداد معين له و ذلك الاستعداد يكون بحصول صورة سابقة عليه و هكذا قبل كل صورة^(١) صورة معدة لحصول الصورة بعدها و كل صورة منها أيضا يستند إلى الاتصالات و الحركات الفلكية و لكل استعداد معين زمان معين و حركة معينة و اتصال معين يخصه لا يفي بدرعها القوة البشرية إذا عرفت ذلك فنقول الأحكام النجومية إما أن تكون جزئية أو كلية أما الجزئية فأن يحكم مثلا بأن هذا الإنسان يكون من حاله كذا و كذا و ظاهر أن مثل هذا الحكم لا سبيل له إلى معرفته إذ العلم به إنما هو من جهة أسبابه أما الفاعلية فأن يعلم أن الدورة المعنية أو الاتصال المعين سبب لملك هذا الرجل البلد المعين مثلا و أنه لا سبب فاعلي لذلك إلا هو و الأول باطل لجواز أن يكون السبب غير ذلك الاتصال أو هو مع غيره أقصى ما في الباب أن يقال إنما كانت هذه الدورة و هذا الاتصال سببا لهذا الكائن لأنها كانت سببا لمثله في الوقت الفلاني لكن هذا أيضا باطل لأن كونها سببا للكائن السابق لا يجب أن يكون لكونها مطلقا دورة و اتصالا بل لعله أن يكون لخصوصية كونها تلك المعنية التي لا تعود بعينها فيما بعد و حينئذ لا يمكن الاستدلال بحصولها على كون حادث^(٢) لأن المؤثرات المختلفة لا يجب تشابه آثارها و الثاني أيضا باطل لأن العقل يحزم بأنه لا اطلاع له على أنه لا مقتضى لذلك الكائن من الأسباب الفاعلة إلا الاتصال المعين وكيف و قد ثبت أن من الكائنات ما يفترق إلى أكثر من اتصال واحد و دورة واحدة أو أقل و أما القابلية فأن يعلم أن المادة قد استعدت لقبول مثل هذا الكائن و استجمعت جميع شرائط قبوله الزمانية و المكانية و السماوية و الأرضية و ظاهر أن الإحاطة بذلك غير ممكنة للإنسان.

و أما أحكامهم الكلية فكان كما^(٣) يقال كلما حصلت الدورة الفلانية كان كذا فالمنجم إنما يحكم بذلك الحكم عن جزئيات^(٤) من الدورات تشابهت آثارها فظنها متكررة و لذلك يعدلون إذا حقق القول عليهم إلى دعوى التجربة و قد علمت أن التجربة تعود إلى تكرار مشاهدات يضبطها الحس و العقل يحصل منها حكما كلياً كحكمه بأن كل نار محرقة فإنه لما أمكن للعقل استنباط الإحراق بواسطة الحس أمكنه الجزم الكلي بذلك فأما التشكلات الفلكية و الاتصالات الكوكبية المقترنة لكون ما يكون فليس شيء منها يعود بعينه كما علمت و إن جاز أن يكون تشكلات و عودات

(٢) في المصدر: «هذا الكائن» بدل «حادث».

(٤) في المصدر: «من» بدل «عن».

(١) من المصدر.

(٣) كلمة: «كما» ليست في المصدر.

مقاربة الأحوال ومتشابهة إلا أنه لا يمكن للإنسان ضبطها ولا الاطلاع على مقدار ما بينها من المشابهة والتفاوت وذلك أن حساب المنجم مبني على قسمة الزمان بالشهور والأيام والساعات والدرج والدقائق وأجزائها وتقسيم الحركة بإزائها ورفع بينهما^(١) نسبة عددية وكل هذه أمور غير حقيقية وإنما تؤخذ على سبيل التقريب أقصى ما في الباب أن التفاوت فيها لا يظهر في العدد المتقاربة لكنه يشبه أن يظهر في المدد المتباعدة ومع ظهور التفاوت في الأسباب كيف يمكن دعوى التجربة وحصول العلم الكلي الثابت الذي لا يتغير باستمرار أثرها على وتيرة واحدة؟

ثم لو سلمنا أنه لا يظهر تفاوت أصلاً إلا أن العلم يعود تلك الدورة لا يقتضي بمجرد العلم بعد الأثر السابق لتوقف العلم بذلك على عود أمثال الأسباب الباقية للأثر السابق من الاستعداد وسائر أسبابه العلوية والسفلية وعلى ضبطها فإن العلم التجريبي إنما يحصل بعد حصرها ليعلم عودها وتكررها وكل ذلك مما لا سبيل للقوة البشرية إلى ضبطه فكيف يمكن دعوى التجربة^(٢).

ثم قال واعلم أن الذي ذكرناه ليس إلا بيان أن الأصول التي يبني عليها الأحكاميون أحكامهم وما يخبرون به في المستقبل أصول غير موثوق بها فلا يجوز الاعتماد عليها في تلك الأحكام والحزم بها وهذا لا ينافي كون تلك القواعد مهيأة بالتقريب كقسمة الزمان وحركة الفلك والسنة والشهر واليوم مأخوذاً عنها حساب يبني عليه مصالح إما دينية كمعرفة أوقات العبادات كالصوم والحج ونحوها أو دنيوية كآجال المدائنات وسائر المعاملات كمعرفة الفصول الأربعة ليعمل في كل منها ما يليق به من الحرث والسفر وأسباب المعاش وكذلك معرفة قوانين تقريبية من أوضاع الكواكب وحركاتها يهتدي بقصدها وعلى سمتها المسافرون في بر أو بحر فإن ذلك القدر منها غير محرم بل لعله من الأمور المستحبة لخلو المصالح المذكورة فيه عن وجوه المفساد التي تشتمل عليها الأحكام كما سبق ولذلك امتن الله تعالى على عباده بخلق الكواكب في قوله «هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ»^(٣) وقوله «لَتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْجِنَابِ»^(٤).

أقول: وروى ابن أبي الحديد هذه الرواية بوجه آخر أبسط مما أورده السيد ره نقلاً من كتاب صفين لابن ديزيل مرسلًا قال عزم علي عليه السلام على الخروج من الكوفة إلى الحروية وكان في أصحابه منجم فقال له يا أمير المؤمنين لا تسر في هذه الساعة و سر على ثلاث ساعات مضين من النهار فإنك إن سرت في هذه الساعة أصابك وأصحابك أذى و ضر شديد وإن سرت في الساعة التي أمرتك بها ظفرت و ظهرت و أصبت ما طلبت فقال له علي عليه السلام أتدري ما في بطن فرسي هذا^(٥) أذكر أم أنسى قال إن حسبت علمت فقال عليه السلام فمن صدق بهذا فقد كذب بالقرآن قال الله تعالى «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ»^(٦) الآية ثم قال عليه السلام إن محمداً صلى الله عليه وآله ما كان يدعي علم ما ادعيت علمه أترعّم أنك تهدي إلى الساعة التي يصيب النفع من سار فيها و تصرف عن الساعة التي يحيق السوء بمن سار فيها فمن صدق بهذا فقد استغنى عن الاستعانة بالله جل و عز في صرف المكروه عنه و ينبغي للموقن بأمرك أن يوليكم الحمد دون الله جل جلاله لأنك بزعمك هديته إلى الساعة التي يصيب النفع من سار فيها و صرفته عن الساعة التي يحيق السوء بمن سار فيها فمن آمن بك في هذا لم آمن عليه أن يكون كمن اتخذ من دون الله ضداً و ندا اللهم لا طير إلا طيرك و لا ضير إلا ضيرك^(٧) و لا إله غيرك ثم قال بل نخالف و نسير في الساعة التي نهيتنا^(٨) ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس إياكم و التعلم للنجوم إلا ما يهتدى به في ظلمات البر والبحر إنما المنجم كالكاهن والكاهن كالكاfer والكافر في النار أما والله إن بلغني أنك تعمل بالنجوم لأخلدنك السجن أبداً ما بقيت و لأحرمنك العطاء ما كان لي سلطان ثم

(١) في المصدر: «ورفعهم بينها» بدل «ورفع بينهما».

(٢) شرح النج لابن ميثم ج ٢ ص ٢١٦ - ٢١٩.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٩٧.

(٤) شرح النج لابن ميثم ج ٢ ص ٢١٩ - ٢٢٠ والآية من سورة يونس: ٥.

(٥) في المصدر: «هذا» بدل «هذه».

(٦) سورة لقمان، آية: ٣٤.

(٧) في المصدر: «و لا ضَرُّ إلا ضرك» بدل «و لا ضير إلا ضيرك».

(٨) في المصدر إضافة: «عنها».

سار في الساعة التي نهاء عنه المنجم فظفر بأهل النهر و ظهر عليهم ثم قال لو سرننا في الساعة التي أمرنا بها المنجم لقال الناس سار في الساعة التي أمر بها المنجم وظفر و ظهر أما إنه ما كان لمحمد ﷺ منجم و لا لنا من بعده حتى فتح الله علينا بلاد كسرى و قيصر أيها الناس توكلوا على الله و ثقوا به فإنه يكفي ممن سواه. (١)

و أقول: قال السيد الجليل علي بن طائوس ره في كتاب النجوم بعد ما أورد هذه الرواية نقلا من النهج إنني رأيت فيما وقفت عليه في كتاب عيون الجواهر تأليف أبي جعفر محمد بن بابويه ره حديث المنجم الذي عرض لمولانا علي ﷺ عند مسيره إلى النهروان مسندا عن محمد بن علي ماجيلويه عن عمه محمد بن أبي القاسم عن محمد بن علي القرشي عن نصر بن مزاحم المقرئ عن عمر بن سعد عن يوسف بن يزيد عن عبد الله بن عوف بن الأحمر قال لما أراد أمير المؤمنين ﷺ المسير إلى النهروان أتاه منجم ثم ذكر حديثه فأقول إن في هذا الحديث عدة رجال لا يعمل علماء أهل البيت ﷺ على روايتهم و يمنع من يجوز العمل بأخبار الآحاد من العمل بأخبارهم و شهادتهم و فيهم عمر بن سعد بن أبي وقاص مقاتل (٢) الحسين ﷺ فإن أخباره و رواياته مهجورة و لا يلتفت عارف بحاله إلى ما يرويه أو يستند إليه ثم طعن في الرواية بأنها لو كانت صحيحة لكان ﷺ قد حكم في هذا على صاحبه الذي قد شهد مصنف نهج البلاغة أنه من أصحابه أيضا بأحكام الكفار إما بكونه مرتدا عن الفطرة فيقتله في الحال أو برده عن غير الفطرة فيتوبه أو يمنع من التوبة فيقتل لأن الرواية قد تضمنت أن المنجم كالكافر أو كان يجري عليه أحكام الكهنة أو السحرة لأن الرواية تضمنت أنه كالكاهن و الساحر و ما عرفنا إلى وقتنا هذا أنه حكم على هذا المنجم أحكام الكفار و لا السحرة و لا الكهنة و لا أبغده و لا عزه بل قال سيروا على اسم الله و المنجم من جعلتهم لأنه صاحبه و هذا يدل على تباعد الرواية من صحة النقل أو يكون لها تأويل غير ظاهرها موافق للعقل.

ثم قال و مما نذكره من التنبيه على بطلان ظاهر الرواية بتحريم علم النجوم قول الراوي فيها إن من صدقك فقد كذب القرآن و استغنى عن الاستعانة بالله و نعلم أن الطلائع للحروب يدلون على السلامة من هجوم الجيوش و كثير من النحوس و يبشرون بالسلامة و ما أزم من ذلك أن يوليهم الحمد دون ربه.

ثم إننا وجدنا في الدعوات الكثيرة التعوذ من أهل الكهانة و السحرة فلو كان المنجم مثلهم كان قد تضمن بعض الأدعية التعوذ منه و ما عرفنا في الأدعية التعوذ من النجوم و المنجم إلى وقتنا هذا و من التنبيه على بطلان ظاهر هذه الرواية أن الدعوات تضمن كثير منها و غيرها من صفات النبي ﷺ أنه لم يكن كاهنا و لا ساحرا و ما وجدنا إلى الآن و لا كان عالما بالنجوم فلو كان المنجم كالكاهن و الساحر ما كان يبعد أن يتضمنه بعض الروايات و الدعوات في ذكر الصفات (٣) انتهى.

و أقول: أما قدحه في سند الرواية فهي من المشهورات بين الخاصة و العامة و لذا أوردته السيد في النهج (٤) إذ دأبه فيه أن يروي ما كان مقبول الطرفين و ضعف سند الرواية التي أوردته الصدوق ره لا يدل على ضعف سائر الأسانيد و عمر بن سعد الذي يروي عنه نصر بن مزاحم ليس الملعون الذي كان محارب الحسين ﷺ كما يظهر من كتابه كتاب الصفيين الذي عندنا فإن أكثر ما رواه فيه رواه عن هذا الرجل و في كثير من المواضع عمرو مكان عمر و لم يكن الملعون من جملة.

رواة الحديث و حملة الأخبار حتى يروي عنه هذه الأخبار الكثيرة و أيضا رواية نصر عنه بعيد جدا فإن نصرا كان من أصحاب الباقر ﷺ و الملعون لم يبق بعد شهادة الحسين ﷺ إلا قليلا و الشواهد على كونه غيره كثيرة لا تخفى على المتدبر في الأخبار العارف بأحوال الرجال و هذا من السيد ره غريب و أما قوله إنه ﷺ لم يحكم بكفر المنجم فيرد عليه أن الظاهر من التشبيه بالكافر أنه ليس بكافر و إنما يدل على اشتراكه معه في بعض الصفات لا في جميع الأحكام حتى يقتله في الحال أو بعد امتناعه من التوبة على أنه ﷺ لم يشبهه بالكافر بل بالمشبه بالكافر و أما قوله و

(١) شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٦٩ و ٢٧٠.

(٢) في المصدر: «فأقال الحسين» علما بأنه سيأتي في كلام المؤلف بعد هذا أن نصر بن مزاحم لا يروي عن هذا الملعون. بل المقصود من «عمر بن سعد» غيره.

» (٣) فرج المهموم ص ٥٧ - ٥٩ بتصرف.

(٤) نهج البلاغة ص ١٠٥ خطبة ٧٩.

لا أبعد ولا عزه ففيه أنه قد ظهر مما رواه ابن أبي الحديد الإبعاد بالحبس المؤبد والتحريم من العطاء ولم يعلم أنه أصر المنجم على العمل بالنجوم بعد ذلك حتى يستحق تعزيراً أو نكالا وعدم اشتغال رواية السيد على هذه الزيادة لا يدل على عدمها فإن عادة السيد الاقتصاد على ما اختاره من كلامه ﷺ بزعمه لا استيفاء النقل والرواية مع أن عدم النقل في مثل هذا لا يدل على عدم كونه من أصحابه وبينهم لا يدل على كونه مرضيا فإن جيشه ﷺ كان مشتملا على كثير من الخوارج والمنافقين كالأشعث أخي هذا المنجم على ما ذكره السيد وغيره أنه كان غفيف بن قيس أبا الأشعث رأس المنافقين ومثير أكثر الفتن وأما قياسه على طلائع الحروب فالفرق بين الأمرين بين فإن ما يهدي إليه الطلائع ونحوهم ليست أمورا يترتب عليها صرف السوء ونيل المحبوب حتما بل يتوقف على اجتماع أمور كوجود الشرائط وارتفاع الموانع وكل ذلك لا يتيسر الظفر بها إلا بفضل مسبب الأسباب بخلاف ما ادعاه المنجم من أن الظفر يترتب حتما على الخروج في الساعة التي اختاره وأما عدم التعوذ من النجوم والمنجم فلأن المنجم إنما يعود ضرره إلى نفسه بخلاف الساحر والكاهن فإنه يترتب منهما ضرر كثير على الناس مع أن الدعاء الذي رواه السيد في كتاب الاستخارات^(١) وأوردناه في هذا الباب يتضمن البراءة إلى الله من اللجأ إلى العمل بالنجوم وطلب الاختيارات منها وأما عدم وصف النبي ﷺ بأنه لم يكن منجما لأن الكفار إنما كانوا يصفونه ﷺ بالسحر والكهانة والشعر فورد براءته عنها ردا عليهم ولم يكونوا يصفونه بالنجوم مع أنه كان عالما بالحق من علم النجوم وكان من فضائله.

٢٦٨
٥٨

٥٣- المكارم: في الحديث أنه نهي عن الحجامة في الأربعا إذا كانت الشمس في القرب.^(٢)

٥٤- الذهبية: عن الرضا ﷺ اعلم أن جماعهن والقمر في برج الحمل أو الدلو من البروج أفضل وخير من ذلك أن يكون في برج الثور لكونه شرف القمر.^(٣)

بيان: لعله قال ذلك موافقا لرأي المأمون ولما اشتهر في ذلك الزمان كما أشعر ﷺ به في تلك الرسالة.

٥٥- المهج: [مهج الدعوات] في حرز الجواد ﷺ وينبغي أن لا يكون طلوع القمر في برج القرب.^(٤)

٥٦- التهذيب: عن محمد بن علي بن محبوب عن أحمد بن الحسن بن علي عن علي بن يعقوب الهاشمي عن مروان بن مسلم عن ابن أبي يعفور عن أبي عبد الله ﷺ قال كسوف الشمس أشد على الناس والبهائم.^(٥)

بيان: هذا مما يوهن أن لأحوالها وأوضاعها تأثيرا في بعض الأشياء ويمكن أن يكون المعنى أنه علامة غضب الله عليهم أو أنهم يفرعون لذلك لحدوث الظلمة في غير وقتها.

٥٧- نوادر علي بن أسباط: عن إبراهيم بن محمد بن حمران عن أبيه عن أبي عبد الله ﷺ قال من سافر أو تزوج والقمر في القرب لم ير الحسن.^(٦)

الكافي: عن عدة من أصحابه عن أحمد بن محمد عن علي بن أسباط عن إبراهيم بن حمران عن أبيه مثله.^(٧)

بيان: الظاهر أن المراد بكون القمر في القرب هنا كونه محاذيا لكواكبه كما هو دأب العرب في البوادي وغيرها إذ لم يكن عندهم ضوابط البروج والانتقالات إليها والاستخراجات الشائعة في تلك الأزمان ولم يكن ذاهبهم ﷺ إحالة الناس في الأحكام التي تحتاج إليها عامة الخلق على ما لا يعرفه إلا الآحاد من العلماء لا سيما إذا لم يكن شائعا في تلك الأزمنة عند العلماء أيضا والكواكب الثابتة والأشكال التي سميت البروج بها قد انتقلت في زماننا عن البروج التي عينوها بمقدار برج تقريبا فالقرب في مكان القوس فظهر أن ما وقع في الشريعة أيضا لا يوافق قواعدهم المقررة عندهم.

٢٦٩
٥٨

(١) راجع فتح الأبواب ص ١٩٨ و ١٩٩.

(٢) لم نثر على هذه الفقرة في نسختنا من الرسالة الذهبية، علما بأنها قد جاءت في نسخة المؤلف رحمه الله راجع ج ٦٢ ص ٣٢٧ من المطبوعة.

(٣) مهج الدعوات ص ٣٩.

(٤) التهذيب ج ٣ ص ٢٩٢ باب ٢٧ صلاة الكسوف حديث ٨٨١.

(٥) نوادر علي بن أسباط ضمن الأصول الستة عشر ص ١٢٤.

(٦) روضة الكافي ٢٧٥، حديث ٤١٦.

٥٨- الخصال: عن محمد بن موسى بن المتوكل عن علي بن الحسين السعدآبادي عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي عن أبيه وغيره عن محمد بن سليمان الصنعاني عن إبراهيم بن الفضل عن أبان بن تغلب قال كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه رجل من أهل اليمن فسلم عليه فرد عليه السلام فقال ^(١) له مرحبا بك يا سعد فقال له الرجل بهذا الاسم سميتي أمي و ما أقل من يعرفني به فقال له أبو عبد الله صدقت يا سعد المولى فقال الرجل جعلت فداك بهذا كنت ألقب فقال له أبو عبد الله عليه السلام لا خير في القلب إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْقُسُوفُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ ^(٢) ما صنعتك ^(٣) يا سعد فقال جعلت فداك أنا من أهل بيت ننظر في النجوم لا نقول إن باليمن أحدا أعلم بالنجوم منا فقال أبو عبد الله عليه السلام فأسألك فقال اليماني سل عما أحببت من النجوم فإني أجيبك عن ذلك يعلم فقال أبو عبد الله عليه السلام كم ضوء الشمس على ضوء القمر درجة فقال اليماني لا أدري فقال له أبو عبد الله عليه السلام صدقت فكم ضوء القمر على ضوء الزهرة درجة فقال اليماني لا أدري ^(٤) فقال أبو عبد الله عليه السلام صدقت فكم ضوء المشتري على ضوء عطارد درجة فقال اليماني لا أدري فقال له أبو عبد الله عليه السلام صدقت فما اسم النجم الذي إذا طلع هاجت البقر فقال اليماني لا أدري فقال له أبو عبد الله عليه السلام صدقت في قولك لا أدري فما زحل عندكم في النجوم فقال اليماني نجم نحس فقال أبو عبد الله عليه السلام مه لا تقولن هذا فإنه نجم أمير المؤمنين عليه السلام وهو نجم الأوصياء وهو النجم الثاقب الذي قال الله عز وجل في كتابه قال اليماني فما يعني بالثاقب قال إن مطلعته في السماء السابعة وإنه ثقب بضوئه حتى أضاء في السماء الدنيا فمن ثم سماه الله عز وجل النجم الثاقب يا أبا أهل اليمن عندكم علماء فقال اليماني نعم جعلت فداك إن باليمن قوما ليسوا كأحد من الناس في علمهم فقال أبو عبد الله عليه السلام و ما يبلغ من علم عالمهم فقال له اليماني إن عالمهم ليزجر الطير ويقفو الأثر في الساعة الواحدة مسيرة شهر للراكب المجتهد فقال أبو عبد الله عليه السلام ^(٥) إن علم عالم المدينة ينتهي إلى حيث لا يقفو الأثر ويزجر الطير ويعلم ما في اللحظة الواحدة مسيرة الشمس تقطع اثني عشر برجاً واثني عشر برا واثني عشر بحراً واثني عشر عالماً قال فقال له اليماني جعلت فداك ما ظننت أن أحدا يعلم هذا أو يدري ما كنهه ثم قام اليماني فخرج ^(٦)

النجوم: قال السيد ره وجدت في كتاب عتيق تأليف علي بن عبد العزيز النيسابوري عن علي بن أحمد عن إبراهيم بن الفضل عن أبان بن تغلب وذكر نحوه إلا أن فيه سعيد مكان سعد في المواضع والزمني مكان المولى وفيه فما اسم النجوم التي إذا طلعت هاجت الإبل قال لا أدري قال فما اسم النجم الذي إذا طلع هاجت الكلاب قال لا أدري قال فما اسم النجم الذي إذا طلع هاجت البقر إلى آخر الخبر. ثم قال السيد ره ورويت هذا الحديث بأسانيد إلى أبان من كتاب عبد الله بن القاسم الحضرمي ^(٧)

٥٩- الكافي: عن عدة من أصحابه عن أحمد بن محمد بن خالد عن عثمان بن عيسى عن أبي إسحاق الجرجاني عن أبي عبد الله عليه السلام قال إن الله عز وجل جعل لمن جعل له سلطاناً أجلاً ومدة من ليال وأيام وسنين وشهور فإن عدلوا في الناس أمر الله عز وجل صاحب الفلك أن يبطئ بإدارته فطالت أيامهم ولياليهم وسنينهم وشهورهم وإن جاروا في الناس ولم يعدلوا أمر الله تبارك وتعالى صاحب الفلك فأسرع بإدارته فقصرت لياليهم وأيامهم وسنينهم وشهورهم وقد وفي له عز وجل بعدد الليالي والشهور ^(٨).

بيان: قدر الكلام في مثله.

٦٠- الكافي: عن محمد بن يحيى عن سلمة بن الخطاب و عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد جميعاً عن علي بن حسان عن علي بن عطية الزيات عن معلى بن خنيس قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن النجوم أحق هي فقال نعم إن الله عز وجل بعث المشتري إلى الأرض في صورة رجل فأخذ رجلاً من العجم فعلمه النجوم حتى ظن أنه قد بلغ ثم قال

(١) في المصدر: «وقال له» بدل «فقال له».

(٢) في المصدر: «ما صنعتك» بدل «ما صنعتك».

(٣) في المصدر إضافة: «فقال له أبو عبد الله عليه السلام صدقت فكم ضوء الزهرة على ضوء المشتري درجة؟ فقال اليماني لا أدري.

(٤) في المصدر: «فإن عالم المدينة أعلم من عالم اليمن» فقال اليماني: وما بلغ من علم عالم المدينة؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام.

(٥) الخصال ج ٢ ص ٤٨٩ و ٤٩٠ باب الاثني عشر، حديث ٦٨.

(٦) فرج المهور ص ٩٢ و ٩٣.

(٨) روضة الكافي ٢٧١، حديث ٤٠٠.

له انظر أين المشتري فقال ما أراه في النكح و ما أدري أين هو قال فنحاه و أخذ بيد رجل من الهند فعلمه حتى ظن أنه قد بلغ و قال انظر إلى المشتري أين هو فقال إن حسابي ليدل على أنك أنت المشتري و قال فشقق^(١) شهقة فمات و ورث علمه أهله فاعلم هناك^(٢).

بيان: في صورة رجل لعل المراد على تقدير صحة الخبر أن الله تعالى جعله في هذا الوقت ذاروح و حياة و علم و بعثه إلى الأرض ثلاثين مائتي من إجماع المسلمين على عدم حياة الأجسام الفلكية و شعورها و أما أنه كيف صار صغيرا بحيث وسعه الأرض و حضر عند الرجل فيمكن أن يكون على الكائنات أو على إعدام بعض الأجزاء سوى الأجزاء الأصلية التي بها تشخص الكوكب ثم إيجاد تلك الأجزاء و إعادتها كما أن الشخص تتبدل أجزاؤه من أول العمر إلى آخره و تشخصه محفوظ بالأجزاء الأصلية و ورث علمه أهله أي كتبه و ما علمهم قبل موته و الخير يدل على أن لهذا العلم أصلا و لا يدل على جواز النظر فيه و تعليمه و تعلمه و استخراج الأحكام منه لسانر الخلق و لعله يكون فتنة قصة هاروت و ماروت.

٦١- الفقيه: بسنده الحسن عن عبد الملك بن أعين قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام إني قد ابتليت بهذا العلم فأريد الحاجة فإذا نظرت إلى الطالع و رأيت الطالع الشر جلست و لم أذهب فيها و إذا رأيت الطالع الخير ذهبت في الحاجة فقال لي تقضي قلبت نعم قال أحرقت كتبك^(٣)
دعوات الراوندي: عن عبد الملك مثله^(٤).

بيان: قوله تقضي على بناء المعلوم أي تحكم بالحوادث و تخير بالأمر الآتية أو الغائبة أو تحكم بأن للنجوم تأثيرا أو أن لذلك الطالع أثرا أو على بناء المجهول أي إذا ذهبت في الطالع الخير تقضي حاجتك و تعتقد ذلك و الأول عندي أظهر و هذا خبر معتبر يدل على أظهر الوجوه على أن الإخبار بأحكام النجوم و الاعتناء بسعادة النجوم و الطوالع محرم يجب الاحتراز عنه.

٦٢- الفقيه: روي عن ابن أبي عمير أنه قال كنت أنظر في النجوم و أعرفها و أعرف الطالع فيدخلني من ذلك شيء فشكوت ذلك إلى أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام فقال إذا وقع في نفسك شيء فتصدق على أول مسكين ثم امض فإن الله عز و جل يدفع عنك^(٥).

النجوم: نقلا من الفقيه عن ابن أبي عمير و ذكر نحوه ثم قال لو لم يكن في الشيعة عارف بالنجوم إلا محمد بن أبي عمير عن محمد بن أذينة عن ابن أبي عمير و ذكر نحوه ثم قال لو لم يكن في الشيعة عارف بالنجوم إلا محمد بن أبي عمير لكان حجة في صحتها و بإاحتها لأنه من خواص الأئمة و الحجج في مذاهبها و روايتها^(٦).

بيان: أقول روى هذا الخبر البرقي في المحاسن عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة عن سفيان بن عمر كما مر^(٧) فظهر أن العارف بالنجوم لم يكن ابن أبي عمير بل رجلا مجهول الحال و وقع سقط من نسخ الفقيه و لو سلم فاجوابه عليه السلام يدل على أنه لما كان ابتلي بهذا العلم و كان في نفسه من ذلك شيء علمه عليه السلام ما يدفع ذلك من الصدقة كما يدفع به الطيرة التي لا أصل لها و لم يكن ابن أبي عمير رحمه الله معصوما حتى يكون فعله حجة.

٦٣- دلائل الإمامة: للطبري و كتاب النجوم، عن عبد الله بن محمد البلوي عن عمار^(٨) بن زيد المدني عن إبراهيم بن سعيد^(٩) و محمد بن مسعر عن محمد بن إسحاق صاحب المغازي عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن

(١) في المصدر: «قال وشقق» بدل «فشقق».

(٢) من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ١٧٥ باب ٦٨ «في الأيام و الأوقات التي يستحب فيها السفر و الأيام و الأوقات التي يكره فيها السفر» حديث ٧٧٩.

(٣) دعوات الراوندي ص ١١٢ رقم ٢٥٣.

(٤) من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ١٧٥ باب ٦٩ «افتتاح السفر بالصدقة» حديث ٧٨٣.

(٥) فرج المبهوم ص ١٢٤.

(٦) في المصدر: «عقارة» بدل «عقار».

(٧) فرج المبهوم ص ١٢٢.

(٨) المحاسن ج ٢ ص ٨٦، حديث ١٢٢٨.

(٩) في المصدر: «سعد» بدل «سعيد».

عباس قال مرت بالحسن بن علي عليه السلام بقرة فقال هذه حبلى بعجلة أنثى لها غرة في جبهتها ورأس ذنبها أبيض فانطلقنا مع القصاب حتى ذبحها فوجدنا العجلة كما وصف على صورتها فقلنا لو أنه ليس الله عز وجل يقول «وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ» (١) فكيف علمت قال إنا نعلم المخزون المكتوم الذي لم يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل غير محمد وذريته عليهم السلام (٢).

بيان: يدل على أنه ليس للمنجمين وأمثالهم علم بأمثال ذلك.

٦٤-الكافي: بسند فيه إرسال (٣) عن أبي عبد الله عليه السلام قال كان بيني وبين رجل قسمة أرض وكان الرجل صاحب نجوم وكان يتوخى ساعة السعود فيخرج فيها وأخرج أنا في ساعة النحوس فاقسمتنا فخرج لي خير القسمين فغضب الرجل يده اليمنى على اليسرى ثم قال ما رأيت كالأيوم قط قلت ويل الآخر ما ذاك قال إني صاحب النجوم (٤) أخرجتك في ساعة النحوس وخرجت أنا في ساعة السعود ثم قسمنا فخرج لك خير القسمين فقلت ألا أحدثك بحديث حدثني به أبي عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ من سره أن يدفع الله عنه نحس يومه فليفتح يومه بصدقة يذهب الله بها عنه نحس يومه ومن أحب أن يذهب الله عنه نحس ليلته فليفتح ليلته بصدقة يدفع الله عنه نحس ليلته (٥) وإني افتتحت خروجي بصدقة فهذا خير لك من (٦) النجوم (٧).

بيان: يدل على أنه لو كانت لها نحوسة فهي تندفع بالصدقة وأنه لا ينبغي مراعاتها بل ينبغي التوسل في دفع أمثال ذلك بما ورد عن المعصومين عليهم السلام من الدعاء والتصدق والتوكل وأمثاله.

٦٥-معاني الأخبار: عن القطان عن ابن زكريا عن ابن حبيب عن ابن بهلول عن أبيه عن عبد الله بن الفضل (٨) عن أبيه عن أبي خالد الكابلي عن علي بن الحسين عليه السلام قال الذنوب التي تظلم الهواء السحر والكهانة والإيمان بالنجوم والتكذيب بالقدر (٩) الخير.

بيان: ظلمة الهواء كناية عن التحير في الأمور أو شدة البلية وظهور آثار غضب الله في الجو.

٦٦-النجوم: روى الشيخ الفاضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي في كتاب العرائس إنما سمي إدريس لكثرة درسه للكتب وصحف آدم وشيث (١٠) وكان أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبس المخيط وأول من نظر في علم النجوم والحساب (١١).

قال السيد ره وذكر علي بن المرتضى في كتاب ديوان النسب فيما حكاه عن التوراة أن إدريس عليه السلام أول من خط بالقلم وأول من حسب حساب النجوم قال ورأيت في رسالة أبي إسحاق الطرسوسي إلى عبد الله بن مالك في باب معرفة أصل العلم ما هذا لفظه أن الله تبارك وتعالى أهبط آدم من الجنة وعرفه علم كل شيء فكان مما عرفه النجوم والطب قال وجدت في كتاب المنتخب من طريق أصحابنا في دعاء كل يوم من رجب ومعلم إدريس عدد النجوم والحساب والسنين والشهور والأزمان (١٢) وذكر عبد الله بن محمد بن طاهر في كتاب لطائف المعارف أول من أظهر علم النجوم ودل على تركيب (١٣) وقدر مسير الكواكب وكشف عن وجوه تأثيرها هرمس (١٤).

٦٧-الدر المنثور: عن قتادة قال إن الله إنما جعل هذه النجوم لثلاث خصال جعلها زينة للسماء وجعلها يهتدى بها وجعلها رجوماً للشياطين فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد فال رأيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلم (١٥) ما لا علم له به وإن ناساً جهلة بأمر الله قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة من أعرض بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ولعمري ما من نجم إلا يولد به الأحمر والأسود والطويل والقصير والحسن

(٢) دلائل الإمامة ص ١٧١، حديث ٨٩.

(١) سورة لقمان، آية: ٣٤.

(٣) في المصدر: «علي بن محمّد، عن أحمد بن محمّد، عن غير واحد، عن علي بن أسباط، عن رواه عن أبي عبد الله عليه السلام».

(٤) في المصدر: «نجوم» بدل «النجوم».

(٥) في المصدر إضافة: «علم».

(٦) في المصدر: «الفضل» بدل «الفضل».

(٧) في المصدر إضافة: «وابنه أنوش».

(٨) في المصدر: «الأيام» بدل «الأزمان».

(٩) فرج المهموم ص ٢٢.

(١٠) فرج المهموم ص ٢١ و ٢٢.

(١١) في المصدر: «ترتيبها» بدل «تركيب».

(١٢) في المصدر: «تكلف» وهو الصواب.



الديميم و لو أن أحدا علم الغيب لعلمه آدم الذي خلقه الله بيده و أسجد له ملائكته و علمه أسماء كل شيء. (١)

٦٨- و عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ تعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر و البحر ثم انتهوا. (٢)

٦٩- و عن مجاهد قال لا بأس أن يتعلم الرجل من النجوم ما يهتدي به في البر و البحر و يتعلم منازل القمر. (٣)

٧٠- و عن حميد الشامي قال النجوم هي علم آدم ﷺ. (٤)

٧١- و عن الحسن بن صالح قال سمعت عن ابن عباس أنه قال ذلك علم ضيعه الناس النجوم. (٥)

٧٢- و عن عكرمة أنه سأل رجلا عن حساب النجوم و جعل الرجل يتخرج أن يخبره فقال عكرمة سمعت ابن عباس يقول علم عجز الناس عنه وددت أني علمته.

قال الخطيب مراده الضرب المباح الذي كانت العرب تختص به. (٦)

٧٣- و عن عبد الله بن حفص قال خصت العرب بخصال بالكهانة و القيافة و العيافة و النجوم و الحساب فهدم الإسلام الكهانة و ثبت الباقي بعد ذلك. (٧)

٧٤- و عن القرطي قال و الله ما لأحد من أهل الأرض في السماء من نجم و لكن يتبعون الكهنة و يستخذون النجوم علة. (٨)

٧٥- و عن سمرة بن جندب أنه خطب فذكر حديثا عن رسول الله ﷺ أنه قال أما بعد فإن ناسا يزعمون أن كسوف الشمس و كسوف هذا القمر و زوال هذه النجوم عن مواضعها لموت رجال عظماء من أهل الأرض و إنهم قد كذبوا و لكنها آيات من آيات الله يعتبر بها عباده لينظر ما (٩) يحدث له منهم توبة. (١٠)

٧٦- و عن علي بن النعمان قال نهاني رسول الله ﷺ عن النظر في النجوم و أمرني بإسباغ الطهور. (١١)

٧٧- و عن أبي هريرة قال نهى رسول الله ﷺ عن النظر في النجوم. (١٢)

٧٨- و عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ إذا ذكر أصحابي فأمسكوا وإذا ذكر القدر فأمسكوا وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا. (١٣)

٧٩- و عن أنس قال قال رسول الله ﷺ أخاف على أمتي خصلتين تكذيبا بالقدر و تصديقا بالنجوم و في لفظ و حذقا بالنجوم. (١٤)

٨٠- و عن ابن عباس قال قال النبي ﷺ من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد. (١٥)

٨١- و عن ابن عباس قال إن قوما ينظرون في النجوم و يحسبون أبا جاد وما أرى للذين يفعلون ذلك من خلاق. (١٦)

٨٢- و عن ميمون بن مهران قال قلت لابن عباس أوصني قال أوصيك بتقوى الله و إياك و علم النجوم فإنه يدعو إلى الكهانة. (١٧)

٨٣- و عن الحسن بن علي قال لما فتح الله على نبيه ﷺ خبير دعا بقوسه فاتكأ على سبته و حمد الله و ذكر ما فتح الله عليه و نصره و نهى عن خصال عن مهر البغي و عن خاتم الذهب و عن الميائير الحمرة و عن لبس الثياب القسي و عن ثمن الكلب و عن أكل لحوم الحمر الأهلية و عن الصرف (١٨) الذهب بالذهب و الفضة بالفضة و (١٩) بينهما فضل و عن النظر في النجوم. (٢٠)

(١) الدر المنثور ج ٣ ص ٣٤.

(٢) الدر المنثور ج ٣ ص ٣٤.

(٣) الدر المنثور ج ٣ ص ٣٤.

(٤) الدر المنثور ج ٣ ص ٣٥.

(٥) الدر المنثور ج ٣ ص ٣٥.

(٦) الدر المنثور ج ٣ ص ٣٥.

(٧) الدر المنثور ج ٣ ص ٣٥.

(٨) الدر المنثور ج ٣ ص ٣٥.

(٩) الدر المنثور ج ٣ ص ٣٥.

(١٠) الدر المنثور ج ٣ ص ٣٥.

(١١) الدر المنثور ج ٣ ص ٣٥.

(١٢) الدر المنثور ج ٣ ص ٣٥.

(١٣) الدر المنثور ج ٣ ص ٣٥.

(١٤) الدر المنثور ج ٣ ص ٣٥.

(١٥) الدر المنثور ج ٣ ص ٣٥.

(١٦) الدر المنثور ج ٣ ص ٣٥.

(١٧) الدر المنثور ج ٣ ص ٣٥.

(١٨) الدر المنثور ج ٣ ص ٣٥.

(١٩) الدر المنثور ج ٣ ص ٣٥.

(٢٠) الدر المنثور ج ٣ ص ٣٥.

٨٤- وعن مكحول قال قال ابن عباس لا تعلم النجوم فإنها تدعو إلى الكهانة.^(١)

٨٥- وعن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله لقد طهر الله هذه الجزيرة من الشرك ما لم تظلمهم النجوم.^(٢)

٨٦- وعن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ إن متعلم حروف أبي جاد ليرى في النجوم ليس له عند الله خلاق يوم القيامة.^(٣)

بيان: قال الفيروز آبادي فال رأيه أخطأ و ضعف و قال عفت الطير أعينها عياقة زجرتها و هو أن يعتبر بأسمائها و مسافتها و أنوانها فيتسعد أو يتشأم و العائف المتكهن بالطير أو غيرها^(٤) و في النهاية الميثرة من مراكب العجم تعمل من حرير أو ديباج و تتخذ كالفراش الصغير و تحشى بقطن أو صوف يجعلها الراكب تحته على الرحال فوق الجمال و يدخل فيه مياثر السروج^(٥) و قال فيه أنه نهي عن لبس القسي هي ثياب من كتان مخلوط بحرير يؤتى بها من مصر نسبت إلى قرية على ساحل^(٦) البحر قريبا من تنيس يقال لها القس بفتح القاف و بعض أهل الحديث يكسرها و قيل أصل القسي القزي بالزاي منسوب إلى القز و هو ضرب من الإبريسم فأبدل من الزاي سينا و قيل منسوب إلى القس و هو الصقيع لبياضه^(٧) و الصقيع الساقط من السماء بالليل كأنه ثلج.

تذييل جليل و تفصيل جميل

نذكر فيه أقوال بعض أجلاء أصحابنا رضوان الله عليهم في حكم النظر في علم النجوم و الاعتقاد به و الإخبار عن الحوادث بسببه و رعاية الساعات المسعودة و المنحوسة بزعمهم و القول بتأثيرها ثم نذكر ما ظهر لنا من الأخبار السابقة في جميع ذلك.

قال الشيخ السعيد المفيد ره في كتاب المقالات على ما نقل عنه السيد بن طاوس ره في كتاب فرج المهموم بمعرفة علم النجوم و إن لم نجد فيما عندنا من نسخه^(٨) حيث قال أقول إن الشمس و القمر و سائر النجوم أجسام نارية لا حياة لها و لا موت و لا تميز خلقها الله تعالى لينتفع بها عباده و جعلها زينة لسمواته و آيات من آياته كما قال سبحانه ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَ الْقَمَرُ نُورًا وَ قَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْجِنَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٩) و قال تعالى ﴿وَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(١٠) و قال تعالى ﴿وَ عَلَامَاتٍ وَ بِاللَّجَجِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾^(١١) و قال تعالى ﴿وَ زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَضَابِيحٍ﴾^(١٢) فأما الأحكام على الكائنات بدلائلها أو الكلام على مدلول حركاتها فإن العقل لا يمنع منه و لسا ندفع أن يكون الله تعالى أعلمه بعض أنبيائه و جعله علما له على صدقه غير أنا لا نقطع عليه و لا نعتقد استمراره في الناس إلى هذه الغاية و أما ما نجده من أحكام المنجمين في هذا الوقت و أصابه بعضهم فيه فإنه لا ينكر أن يكون ذلك بضرب من التجربة و بدليل عادة و قد تختلف أحيانا و يخطئ المعتمد عليه كثيرا و لا يصح إصابتها فيه أبدا لأنه ليس بجار مجرى دلائل العقول و لا براهين الكتاب و أخبار الرسول ﷺ و هذا مذهب جمهور متكلمي أهل العدل و إليه ذهب بنو نوبخت من الإمامية و أبو القاسم و أبو علي من المعتزلة^(١٣) انتهى.

وقال الشيخ محمد بن الحسين الكيدري في شرح نهج البلاغة في تهجين أحكام النجوم كيف يمكن أن يكون الإنسان يعرف الحوادث و أسبابها في الحال^(١٤) حتى يعرف المسببات في المستقبل كما في الجزر و المد و من

- (١) الدر المنثور ج ٣ ص ٣٦.
- (٢) الدر المنثور ج ٣ ص ٣٦.
- (٣) الدر المنثور ج ٣ ص ٣٦.
- (٤) القاموس المحيط ج ٣ ص ١٨٥.
- (٥) النهاية ج ٥ ص ١٥٠ و ١٥١.
- (٦) في المصدر: «شاطيء» بدل «ساحل».
- (٧) النهاية ج ٤ ص ٥٩ و ٦٠.
- (٨) لم نعر على ما نقله ابن طاوس هذا في نسختنا المعتمدة من أوائل المقالات.
- (٩) سورة يونس، آية: ٥.
- (١٠) سورة النحل، آية: ١٦.
- (١١) سورة فصلت، آية: ١٢.
- (١٢) سورة الأعراف، آية: ٩٧.
- (١٣) فرج المهموم ص ٣٨.
- (١٤) في المصدر: «الأحوال» بدل «الحال».

ادعى أنه يعرف أسباب الكائنات فمقدماته ليست برهانية وإنما هي تجريبية أو شعرية أو خطائية مؤلفة من المشهورات في الظاهر أو المقبولات والمظنونات ومع ذلك فلا يمكنه أن يتعرض إلا لجنس من أجناس الأسباب وهو تعرض^(١) بعض الأسباب العلوية ولا يمكنه أن يتعرض لجميع الأسباب السماوية والقوابل وإذا تغيرت القوابل عن أحوالها تغير أثر الفاعل فيها فإن النار في الحطب اليابس مؤثرة تأثيراً لا تؤثر في الرماد وكذا معرفة بقائها على استعداد القبول شرط ويمكن أن يكون للقوابل عوائق فلا يعلم تلك الأسباب والمسببات إلا الله تعالى وأيضاً فإن المنجم يحكم على مفردات الكواكب ولا يحكم على جميعها مترجمة وكما أن أحكام مفردات الترياق وسائر المعاجين غير أحكام المركب الذي حصلت له صورة نوعية كذلك حكم الكواكب المركوزة في الأفلاك غير حكم أفرادها وإذا لم يمكن للمنجم الحكم إلا على المفردات كان الحكم ناقصاً غير موثوق به ثم إنه ربما يحصل التوأم في غشاء فيكشف عنهما فإذا فيه صبيان حيان وعلى قوانين الأحكاميين يجب أن يكونا مثلين في الصورة والعمر والحركات حتى لا يجوز أن يختلفا في شيء من الأشياء ولا يجوز أن يسكت أحدهما في وقت كلام الآخر ولا يقوم في وقت قعود الآخر ولا ينأى في وقت لا ينأى فيه الآخر وإذا دخلا بيتاً فيه باب ضيق فلا يمكنهما الدخول فإنه لا بد هاهنا من التقدم والتأخر ولا يجوز أن يمس إنسان أحدهما دون الآخر ولا يجوز أن يكون في التزويج امرأة أحدهما غير امرأة الآخر ولا أن يكون مكان أحدهما غير مكان الآخر في الأرض وهذا مما لا يخفى فساده وأيضاً فإن الحكم الكلي عند أكثرهم يغلب الجزئي ألا ترى أن طالع ناحية أو بلد إذا كان فاسداً فإنه لا يفيد عطية الكدخدأ^(٢) لإنسان فكيف يعتمد على الطوالع والاختيارات مع نفي العلم بالكليات ومن شنع قولهم أنهم يقولون إذا ولد للملك في حال ولد لسوقي ولد فإن الكواكب تدل لابن الملك بخلاف ما تدل لابن السوقي مع اتفاقهما في كمية العمر لأن هيلاهما وكدهاهما^(٣) لا يختلفان فإذا جاز أن تكون دلالة النجوم مختلفة في سعادة هذين الولدين فما أنكروا أن يكون مقادير أعمارهما أيضاً مختلفة واختلفوا في تقويم الكواكب باختلاف الزيجات ولا برهان على فساد بعضها و صواب بعضها فربما يوجد في تقويم الشمس من التفاوت خمس درج وتختلف درج الطوالع وبروج التحاويل بسبب ذلك فتفسد الأحكام.

ثم أورد عليهم كثيراً من الاختلافات والتناقضات لا تطيل الكلام بإيرادها.^(٤)

وقال الشيخ إبراهيم بن نوبخت في كتاب الياقوت قول المنجمين يبطله قدم الصانع واشتراط اختياره ويلزم عليهم أن لا يستقر الفعل على حال من الأحوال وقول أهل الطبايع يبطل بمثل ذلك.^(٥)

وقال العلامة ره في شرحه اختلف قول المنجمين على قسمين أحدهما قول من قال إن الكواكب السبعة حية مختارة والثاني قول من قال إنها موجبة والقولان باطلان أما الأول فلأنها أجسام محدثة فلا تكون آلهة ولأنها محتاجة إلى محدث غير جسم فلا بد من القول بالصانع وأما الثاني فلأن الكوكب المعين كالمرخ مثل إذا كان مقتضياً للحرب لزم دوام وقوع الهرج والمرج في العالم وأن لا يستقر أفعالهم على حال من الأحوال ولما كان ذلك باطلاً كان ما ذكره باطلاً وأما القائلون بالطبايع الذين يسندون الأفعال إلى مجرد الطبيعة فيبطل قولهم بمثل ذلك أيضاً فإن الطبيعة قوة جسمانية وكل جسم محدث فكل قوة حالة فهي محدثة فتفتقر إلى محدث غير طبيعته وإلا لزم التسلسل فلا بد من القول بالصانع سبحانه وتعالى.^(٦)

وقال السيد الشريف المرتضى ره في كتاب الغرر والدرر^(٧) في أجوبة المسائل السلارية حين سئل ره ما القول فيما يخبر به المنجمون من وقوع حوادث ويضيفون ذلك إلى تأثيرات النجوم وما المانع من أن تؤثر الكواكب على حد تأثير الشمس الأمانة فينا وإن كان تأثير الكواكب مستحيلاً فما المانع من أن تكون التأثيرات من فعل الله تعالى بمجرى العادة عند طلوع هذه الكواكب أو انتقالها فلينع ببيان ذلك فإن الأنفس إليه متشوقة وكيف تقول إن

(١) في المصدر: «يتعرض» بدل «تعرض».

(٢) في المصدر: «كدخدأ» بدل «كدخدأ».

(٣) الياقوت مع شرحه أنوار الملوك للعلامة ص ١٩٩.

(٤) أنوار الملوك ص ١٩٩ - ٢٠٠ المسألة السادسة عشر من المقصد الثالث عشر.

(٥) جاء كلام المرتضى هذا في «مسألة الرد على المنجمين» ضمن رسائل الشريف المرتضى.

(٦) كدخدأ: كلمة فارسية بمعنى رئيس القرية.

(٧) حقائق الحقائق ج ١ ص ٣٦٩ - ٣٧٣. ذيل خطبة ٧٩.

المنجمون حادسون مع أنه لا يفسد من أقوالهم إلا القليل حتى أنهم يخبرون بالكسوف و وقته و مقداره فلا تكون إلا على ما أخبروا به فأى فرق بين إخبارهم بحصول هذا التأثير في هذا الجسم و بين حصول تأثيرها في أجسامنا.

الجواب: اعلم أن المنجمين يذهبون إلى أن الكواكب تفعل في الأرض و من عليها أفعالا يسندونها إلى طباعها و ما فيهم من^(١) أحد يذهب إلى أن الله تعالى أجرى العادة بأن يفعل عند قرب بعضها من بعض أو بعده أفعالا من غير أن يكون للكواكب أنفسها تأثير في ذلك و من ادعى هذا المذهب الآن منهم فهو قائل بخلاف ما ذهبت القدماء في ذلك و متجمل بهذا المذهب عند أهل الإسلام و متقرب إليهم بإظهاره و ليس هذا بقول لأحد ممن تقدم و كان الذي كان يجوز أن يكون صحيحا و إن دل الدليل على فساد لا يذهبون إليه و إنما يذهبون إلى المحال الذي لا يمكن صحته و قد فرغ المتكلمون من الكلام في أن الكواكب لا يجوز أن تكون فينا فاعلة و تكلمنا نحن أيضا في مواضع على ذلك و بينا بطلان الطبايع الذين يهذون بذكرها و إضافة الأفعال إليها و بينا أن الفاعل لا بد أن يكون حيا قادرا و قد علمنا أن الكواكب ليست بهذه الصفة و كيف تفعل و ما يصحح الأفعال مفقود فيها و قد سطر المتكلمون طرقا كثيرة في أنها ليست بحية و لا قادرة أكثرها معترض و أشف ما قيل في ذلك أن الحياة معلوم أن الحرارة الشديدة كحرارة النار تنفيها و لا تثبت معها و معلوم أن حرارة الشمس أشد و أقوى من حرارة النار بكثير لأن الذي يصل إلينا على بعد المسافة من حرارة الشمس بشعاعها يماثل أو يزيد على حرارة النار و ما كان بهذه الصفة من الحرارة. يستحيل كونه حيا و أقوى من ذلك كله في نفي كون الفلك و ما فيه من شمس و قمر و كوكب أحياء السمع و الإجماع و أنه لا خلاف بين المسلمين في ارتفاع الحياة عن الفلك و ما يشتمل عليه من الكواكب و أنها مسخرة مدبرة مصرفة و ذلك معلوم من دين رسول الله ﷺ ضرورة و إذا قطعنا على نفي الحياة و القدرة عن الكواكب فكيف تكون فاعلة و على أننا قد سلمنا لهم استظهارها في الحجة أنها قادرة قلنا إن الجسم و إن كان قادرا فإنه لا يجوز أن يفعل في غيره إلا على سبيل التوليد و لا بد من وصلة بين الفاعل و المفعول فيه و الكواكب غير مماسة لنا و لا وصلة بينها و بيننا فكيف تكون فاعلة فينا فإن ادعى أن الوصلة بيننا هي الهواء فالهواء أولا لا يجوز أن يكون آلة في الحركات الشديدة و حمل الأثقال ثم لو كان الهواء آلة تحركنا بها الكواكب لوجب أن نحس بذلك و نعلم أن الهواء يحركنا و يصرفنا كما نعلم في غيرنا من الأجسام إذا حركناه بآلة على أن في الحوادث الحادثة فينا ما لا يجوز أن يفعل بآلة و لا يتولد عن سبب كالإرادات و الاعتقادات و أشياء كثيرة فكيف فعلت الكواكب ذلك فينا و هي لا تصح أن يكون مخترعة للأفعال لأن الجسم لا يجوز أن يكون قادرا إلا بقدرة و القدرة لا يجوز^(٢) لأمر يرجع إلى نوعها أن تخترع بها الأفعال فأما الأداة فليس تؤثرها الشمس على الحقيقة في وجوها و أبداننا و إنما الله تعالى هو المؤثر لها و فاعلها بتوسط حرارة الشمس كما أنه تعالى هو المحرق على الحقيقة بحرارة النار و الهاشم لما يهشمه الحجر بنقله و حرارة الشمس مسودة للأجساد من جهة معقولة مفهومة كما أن النار تحرق الأجسام على وجه معقول فأى تأثير للكواكب فينا يجري هذا المجرى في تمييزه و العلم بصحته فليشر إليه فإن ذلك مما لا قدرة عليه.

و مما يمكن أن يعتمد في إبطال أن تكون الكواكب فاعلة فينا^(٣) و مصرفة لنا أن ذلك يقتضي سقوط الأمر و النهي و الذم عنا و نكون معذورين في كل إساءة تقع منا و نجنيها بأيدينا و غير مشكورين على شيء من الإحسان و الإفضال و كل شيء نفسد به قول المجبرة فهو مفسد لهذا المذهب و أما الوجه الآخر و هو أن يكون الله تعالى أجرى العادة بأن يفعل أفعالا مخصوصة عند طلوع الكوكب أو غروبه و اتصاله أو مفارقتها و قد بينا أن ذلك ليس بمذهب المنجمين البتة و إنما يتجملون الآن بالنظائر به و أنه قد كان جائزا أن يجري الله تعالى العادة بذلك لكن لا طريق إلى العلم بأن ذلك قد وقع و ثبت و من أين لنا بأن الله تعالى قد أجرى العادة بأن يكون زحل أو المريخ إذا كان في درجة الطالع كان نحسا و أن المشتري إذا كان كذلك كان سعدا و أي سمع مقطوع به جاء بذلك و أي نبي خبر به و استفيد من جهته فإن عولوا في ذلك على التجربة بأنا جربنا ذلك و من كان قبلنا فوجدنا على هذه الصفة و إذا لم يكن موجبا وجب أن يكون معتادا قلنا و من سلم لكم صحة هذه التجربة و انتظامها و اطرادها و قد رأينا خطاكم أكثر من

(٢) في المصدر: «لا تجوز».

(١) كلمة: «من» ليست في المصدر.

(٣) كلمة: «فيها» ليست في المصدر.

صوابكم فيها وصدقكم أقل من كذبكم فالأنا نسبتم الصحة إذا اتفقت منكم إلى الاتفاق الذي يقع من المسمخن و المرجع فقد رأينا من يصيب من هؤلاء أكثر ممن يخطئ و هو على غير أصل معتد و لا قاعدة صحيحة فإذا قلتم سبب خطأ المنجم زلل دخل عليه في أخذ الطالع أو تسير الكواكب قلنا و لم لا كانت إصابته سببها التخمين و إنما كان يصح لكم هذا التأويل و التخريج لو كان على صحة أحكام النجوم دليل قاطع هو غير إصابة المنجم فاما إذا كان دليل صحة الأحكام الإصابة فالأنا كان دليل فسادها الخطأ فما أحدهما في المبالغة إلا كصاحبه.

و ما أقنع به القائلون بصحة الأحكام و لم يتحصل منهم عنه جواب أن قيل لهم في شيء بعينه خذوا الطالع واحكموا هل يؤخذ أو يترك فإن حكموا. إما بالأخذ أو الترك خولفوا و فعل خلاف ما خبروا به و قد أغضلهم هذه المسألة و اعتذروا عنها بأعذار ملفقة لا يخفى على عاقل سمعها بعدها من الصواب فقالوا في هذه المسألة يجب أن يكتب هذا المبطل بها ما يريد أن يفعل أو يخبر به غيره فإننا نخرج ما قد عزم عليه من أحد الأمرين و هذا التعليل منهم باطل لأنه إذا كان النظر في النجوم يدل على جميع الكائنات التي من جملتها ما يختاره أحدنا من أخذ هذا الشيء أو تركه فأي فرق بين أن يطوي ذلك فلا يخبر به و لا يكتبه حتى يقول المنجم ما عنده و بين أن يخبره^(١) به و يكتبه قبل ذلك و إنما فزعوا إلى الكتابة و ما يجري مجراها حتى لا يخالف المنجم فيما يذكره و يحكم به من أخذ أو ترك و لو كانت الأحكام صحيحة و فيها دلالة على الكائنات لوجب أن يعرف المنجم ما اختاره من أحد الأمرين على كل حال و لو نزلنا تحت حكمهم و كتبنا ما نريد أن نفعله لما وجدنا إصابتهم في ذلك إلا أقل من خطائهم و لم يزدوا فيه على ما يفعله المسمخن المرجع من غير نظر في طالع و لا غارب و لا رجوع إلى أصل و إلا فالبلوى بيننا و بينهم. و كان^(٢) بعض الرؤساء بل الوزراء ممن كان فاضلا في الأدب و الكتابة و مشغوقا بالنجوم عاملا عليها قال لي يوما و قد جرى حديث يتعلق بأحكام النجوم و رأى من مخائلي التعجب ممن يتشاغل بذلك و يفني زمانه به أريد أن أسألك عن شيء في نفسي فقلت سل عما بدا لك قال أريد أن تعرفني هل بلغ بك التكذيب بأحكام النجوم إلى أن لا تختار يوما لسفر و ليس ثوب جديد و توجه في حاجة فقلت قد بلغت إلى ذلك و الحمد لله و زيادة عليه و ما في داري تقويم و لا أنظر فيه و ما رأيت مع ذلك إلا خيرا ثم أقبلت عليه فقلت ندع ما يدل على بطلان أحكام النجوم مما يحتاج إلى ظن دقيق و روية طويلة و هاهنا شيء قريب لا يخفى على أحد ممن علت طبقتة في الفهم أو انخفضت خبرني لو فرضنا جادة مسلوكة و طريقا يمشي فيه الناس ليلا و نهارا و في محبته آبار مقاربة و بين بعضها و بعض طريق يحتاج سالكه إلى تأمل و توقف حتى يتخلص من السقوط في بعض. تلك الآبار هل يجوز أن تكون سلامة من يمشي في هذا الطريق من العميان كسلامة من يمشي فيه من البصراء و قد فرضنا أنه لا يخلو طريقة عين من المشاة فيه بصراء و عميان و هل يجوز أن يكون عطب البصراء يقارب عطب العميان أو سلامة العميان مقاربة لسلامة البصراء فقال هذا مما لا يجوز بل الواجب أن تكون سلامة البصراء أكثر من سلامة العميان و لا يجوز في مثل هذا التقارب فقلت إذا كان هذا محالا فأحيلوا نظيره و ما لا فرق بينه و بينه و أنتم تجيزون شبيه ما ذكرنا و عديله لأن البصراء هم الذين يعرفون أحكام النجوم و يميزون سعدا و نحسا و يتوقون بهذه المعرفة مضار الزمان و يتخطونها و يعتمدون منافعه و يقصدونها و مثال العميان كل من لا يحسن تعلم النجوم و لا يلتفت إليه من الفقهاء و أهل الديانات و العبادات ثم سائر العوام و الأعراب و الأكرد و هم أضعاف أضعاف من يراعي عدد النجوم و مثال الطريق الذي فيه الآبار الزمان الذي يمضي عليه الخلق أجمعون و مثال آباره مصائبه و نوائبه و محنه و قد كان يجب لو صح العلم بالنجوم و أحكامها أن تكون سلامة المنجمين أكثر و مصائبهم أقل لأنهم يتوقون المحن لعلهم بها قبل كونها و تكون محن كل من ذكرناه من الطبقات الكثيرة أوفر و أظهر حتى تكون السلامة هي الطريقة الغريبة و قد علمنا خلاف ذلك و أن السلامة أو المحن في الجميع مقاربة غير متفاوتة فقال ربما اتفق مثل ذلك فقلت له فيجب أن نصدق من خبرنا في ذلك الطريق المسلوك الذي فرضناه بأن سلامة العميان كسلامة البصراء و نقول لعل ذلك اتفق و بعد فإن الاتفاق لا يستمر بل ينقطع و هذا الذي ذكرناه مستمر غير منقطع فلم يكن عنده عذر صحيح.

و ما يفسد مذهب المنجمين و يدل على أن ما لعله يتفق لهم من الإصابة على غير أصل أنا قد شاهدنا جماعة من

الزرايين الذين لا يعرفون شيئا من علم النجوم ولا نظروا قط في شيء منه يصيبون فيما يحكمون به إصابات مستطرفة وقد كان المعروف بالشعراني الذي شاهدناه وهو لا يحسن أن يأخذ الأسطرلاب للطالع ولا نظر قط في زيج ولا تقويم غير أنه زكي حاضر الجواب فطن بالزرق معروف به كثير الإصابة وبلوغ الغاية فيما يخرج من الأسرار ولقد اجتمع يوما بين يدي جماعة كانوا عندي وكنا قد اعترضنا جهة نقصدها لبعض الأغراض فسألنا أحدا عما نحن بصدد فابتدأ من غير أخذ طالع ولا نظر في تقويم فأخبرنا بالجهة التي أردنا قصدنا ثم عدل إلى كل واحد من الجماعة فأخبره عن كثير من تفصيل أمره وأغراضه حتى قال لأحدهم وأنت من بين الجماعة قد وعدك واعد بشيء يوصله إليك وقلبك به متعلق وفي كمش شيء مما يدل على هذا وقد انقضت حاجتك وانتجرت وجذب يده إلى كمش فاستخرج ما فيه فاستحيا ذلك الرجل ووجم ومنع من الوقوف على ما في كمش بهجده فلم ينفعه ذلك وأعان الحاضرون على إخراج ما في كمش لما أسوسا بالإصابة من الزرق فأخرج من كمش رقاع كثيرة في جملتها صك على دار الضرب بصلة من خليفة الوزارة في ذلك الوقت فعجبنا مما اتفق من إصابته مع بعده من صناعة النجوم وكان لنا صديق يقول أبدا من أدل دليل على بطلان أحكام النجوم إصابة الشعراني.

وجرى يوما مع من يتعاطى علم النجوم هذا الحديث فقال عند المنجمين أن السبب في إصابة من لا يعلم شيئا من علم النجوم أن مولده وما يتولاها و يقتضيه كواكبها اقتضى له ذلك فقلت له لعل بظلميس وكل عالم من عامة المنجمين. ومصيب في أحكامه عليها إنما سبب إصابته مولده وما يقتضيه كواكبها من غير علم ولا فهم فلا يجب أن يستدل بالإصابة على العلم إذ كانت تقع من جاهل ويكون سببها المولد وإذا كانت الإصابة بالمواليد فالنظر في علم النجوم عبث ولعب لا يحتاج إليه لأن المولد إن اقتضى الإصابة أو الخطأ فالتعلم لا ينفع وتركه لا يضر وهذه علة تسري إلى كل صنعة حتى يلزم أن يكون كل شاعر مفلح وصانع حاذق وناسج للديباج موتق لا علم له بتلك الصناعة وإنما اتفقت الصنعة بغير علم لما تقتضيه كواكب مولده وما يلزم على هذا من الجهالات لا يحصى.

واعلم^(١) أن التعب بعلم مراكز الكواكب وأبعادها وأشكالها وتسيراتها متى لم يكن ثمرته العلم بالأحكام والاطلاع على الحوادث قبل كونها لا معنى له ولا غرض فيه لأنه لا فائدة في أن يعلم ذلك كله ويختص نفس العلم به وما يجري الاطلاع على ذلك إذا لم تعد المعرفة إلى العلم بالأحكام إلا مجرى العلم بعدد الحصى وكيل النوى ومعرفة أطوال الجبال وأوزانها وكما أن الغناء في تعرف ذلك عبث وسفه لا يجدي نفعاً فكذلك العلم بشكل الفلك وتسيرات كواكبها وأبعادها والمعرفة بزمان قطع كل كوكب للفلك وتفاصيلها فيه وما شقي القوم بهذا الشأن وأفنوا أعمارهم إلا لتقديريهم أنه يفضي إلى معرفة الأحكام فلا تغتر بقول من يقول منهم إننا ننظر في ذلك لشرف نفوسنا بعلم الهيئة ولطيف ما فيها من الأعاجيب فإن ذلك تجمل منهم وترب إلى أهل الإسلام ولو أن غرضهم معرفة الأحكام لما تنعوا بشيء من ذلك كله ولا كانت فيه فائدة ولا منه عائدة ومن أدل الدليل على بطلان أحكام النجوم أنا قد علمنا أن من جملة معجزات الأنبياء ﷺ الإخبار عن الغيوب وعد ذلك خارقاً للعادات كإحياء الميت وإبراء الأمم والأبرص ولو كان العلم بما يحدث طريقاً نجومياً لم يكن ما ذكرناه معجزاً ولا خارقاً للعادات^(٢) فكيف يشبه على مسلم بطلان أحكام النجوم وقد أجمع المسلمون قديماً وحديثاً على تكذيب المنجمين والشهادة بفساد مذاهبهم وبطلان أحكامهم ومعلوم من دين الرسول ﷺ ضرورة التكذيب بما يدعيه المنجمون والإزراء عليهم والتعجيز لهم وفي الروايات عنه ﷺ من ذلك ما لا يحصى كثرة وكذا عن علماء أهل بيته ﷺ وخيار أصحابه فما زالوا يبرءون من مذاهب المنجمين ويعدونهم ضلالاً ومحالاً وما اشتهر هذه الشهرة في دين الإسلام كيف يفتر بخلافه منتسب إلى الملة ومصل إلى القبلة فأما إصابته في الإخبار عن الكسوفات وما مضى في أثناء المسألة من طلب الفرق بين ذلك وبين سائر ما يخبرون به من تأثيرات الكواكب في أجسامنا فالفرق بين الأمرين أن الكسوفات واقتارانات الكواكب وانفصالها طريقة الحساب وتسير الكواكب وله أصول صحيحة وقواعد سديدة وليس كذلك ما يدعونه من تأثيرات الكواكب في الخير والشر والنفع والضرر ولو لم يكن في الفرق بين الأمرين إلا الإصابة الدائمة المتصلة في الكسوفات وما يجري مجراها فلا يكاد يبين فيها خطأ البتة وإن الخطأ المعهود الدائم إنما هو

في الأحكام الباقية حتى أن الصواب هو العزيز فيها و ما يتفق لعله فيها من الإصابة قد يتفق من المخمن أكثر منه فحمل أحد الأمرين على الآخر بهت و قلة دين^(١) انتهى كلامه ضاعف الله إنعامه.

ونقل عنه^(٢) السيد بن طاوس ره أنه كتب في أجوبة بعض ما سئل عنه قلنا إن الذي جاء بعلم النجوم من الأنبياء هو إدريس عليه السلام و إنما علم من جهته على الحد الذي ذكرناه و نعلم أنه لا يجوز كونها دلالة إلا على هذا الوجه فقط لأن الشيء إنما يدل على هذا الحد أو على الوجه الذي يدل الدليل العقلي عليه و قد بينا تعذر ذلك في النجوم فلم يبق إلا ما ذكرناه و القطع على أن كيفية دلالتها معلوم الآن غير ممكن لأن شريعة إدريس عليه السلام و ما علم من قبله كالمندرس فلا نعلم الحال فيه فإن كان بعض تلك العلوم قد بقي محفوظا عند قوم. تناقلوه و تداولوه لم نمنع أن يكون معلوما لهم إذا اتصل التواتر و إن لم يكن كذلك لم نمنع أن يكون العلم به و إن بطل و زال أن يكون أمارة يقتضي غالب الظن عند كثير منهم و هذا هو الأقرب فيما يتسكك به أهل النجوم لأنهم إذا تدبرت أحوالهم وجدتهم غير واثقين بما يحكمون و إنما يتقدم أحدهم في ذلك العلم كتقدم الطبيب في الطب فكما أن علوم الطب مبنية على الأمارات التي تقتضيها التجارب و غالب الظن فكذلك القول في علم النجوم إلا في أمور مخصوصة يمكن أن يعلم بضروب من الأخبار^(٣) انتهى.

و قال العلامة ره في كتاب منتهى المطلب التنجيم حرام و كذا تعلم النجوم مع اعتقاد أنها مؤثرة أو أن لها مدخلا في التأثير بالنفع و الضرر و بالجملة كل من يعتقد ربط الحركات النفسانية و الطبيعية بالحركات الفلكية و الاتصالات الكوكبية كافر و أخذ الأجرة على ذلك حرام و أما من يتعلم النجوم فيعرف قدر سير الكواكب و بعده و أحواله من التربع و الكسف و غيرهما فإنه لا بأس^(٤) به و نحوه قال في التحرير^(٥) و القواعد^(٦).

و قال الشيخ الشهيد ره في قواعده كل من اعتقد في الكواكب أنها مدبرة لهذا العالم و موجدة ما فيه فلا ريب أنه كافر و إن اعتقد أنها تفعل الآثار المنسوبة إليها و الله سبحانه هو المؤثر الأعظم كما يقوله أهل العدل فهو مخطئ إذ لا حياة لهذه الكواكب ثابتة بدليل عقلي و لا نقلي و بعض الأشعرية يكفرون هذا كما يكفرون الأول و أوردوا على أنفسهم عدم تكفير المعتزلة و كل من قال بفعل العبد و فرقوا بأن الإنسان و غيره من الحيوان يوجد فعله من أن التذلل ظاهر عليه فلا يحصل منه اهتضام لجانب الربوبية بخلاف الكواكب فإنها غائبة عنه فربما أدى ذلك إلى اعتقاد استقلالها و فتح باب الكفر و أما ما يقال من أن استناد الأفعال إليها كاستناد الإحراق إلى النار و غيرها من العاديات بمعنى أن الله تعالى أجرى عادته أنها إذا كانت على شكل مخصوص أو وضع مخصوص يفعل ما ينسب إليها و يكون ربط المسببات بها ك ربط مسببات الأدوية و الأغذية بها مجازا باعتبار الربط العادي لا الفعل الحقيقي فهذا لا يكفر معتقده و لكنه مخطئ أيضا و إن كان أقل خطاء من الأول لأن وقوع هذه الآثار عندها ليس بدائم و لا أكثر^(٧).

و قال ره في الدروس و يحرم اعتقاد تأثير النجوم مستقلة أو بالشركة و الإخبار عن الكائنات بسببها أما لو أخبر بجريان العادة أن الله تعالى يفعل كذا عند كذا لم يحرم و إن كره على أن العادة فيها لا تطرد إلا فيما قل و أما علم النجوم فقد حرمة بعض الأصحاب و لعله لما فيه من التعرض للمحظور من اعتقاد التأثير أو لأن أحكامه تخمينية و أما علم هيئة الأفلاك فليس حراما بل ربما كان مستحبا لما فيه من الإطلاع على حكم الله و عظم قدرته^(٨).

و قال المحقق الشيخ علي أجزل الله تشريفه التنجيم الإخبار عن أحكام النجوم باعتبار الحركات الفلكية و الاتصالات الكوكبية التي مرجعها إلى القياس و التخمين إلى أن قال و قد ورد عن صاحب الشرع النهي عن تعلم النجوم بأبلغ وجوهه إذا تقرر ذلك فاعلم أن التنجيم مع اعتقاد أن للنجوم تأثيرا في الموجودات السفلية و لو على جهة المدخلة حرام و كذا تعلم النجوم على هذا الوجه بل هذا الاعتقاد كفر في نفسه نعوذ بالله أما التنجيم لا على هذا الوجه مع التحرز عن الكذب فإنه جائز فقد ثبت كراهية التزيوج و سفر الحج في العقب و ذلك من هذا القبيل نعم هو مكروه و لا ينجر إلى الاعتقاد الفاسد و قد ورد النهي عنه مطلقا حسما للمادة^(٩).

(١) مسألة في الرد على النجمن ضمن رسائل المرتضى ج ٢ ص ٣٠١ - ٣١١.

(٢) أي نقل عن السيد المرتضى.

(٣) المطبوعة ضمن رسائل الشريف المرتضى ج ٢ ص ٣١١.

(٤) منتهى المطلب ج ٢ ص ١٠٤ من فروع كتاب التجارة.

(٥) تحرير القواعد ج ١ ص ١٦١.

(٦) قواعد الأحكام ج ١ ص ١٢١.

(٧) القواعد والفوائد ج ٢ ص ٣٥ - ٣٦.

(٨) الدروس الشرعية ج ٣ ص ١٦٥.

(٩) جامع المقاصد ج ٤ ص ٣١ - ٣٢. ملخصاً.

وقال الشيخ البهائي ره ما يدعيه المنجمون من ارتباط بعض الحوادث السفلية بالأجرام العلوية إن زعموا أن تلك الأجرام هي العلة المؤثرة في تلك الحوادث بالاستقلال أو أنها شريكة في التأثير فهذا لا يحل للمسلم اعتقاده و علم النجوم المبني على هذا كفر والعياذ بالله و على هذا حمل ما ورد في الحديث من التحذير عن علم النجوم والنهي عن اعتقاده صحته وإن قالوا إن اتصالات تلك الأجرام و ما يعرض لها من الأوضاع علامات على بعض حوادث هذا العالم مما يوجد الله سبحانه بقدرته وإرادته كما أن حركات النبط واختلافات أوضاعه علامات يستدل بها الطبيب على ما يعرض للبدن من قرب الصحة أو اشتداد المرض ونحو ذلك وكما يستدل باختلاج بعض الأعضاء على بعض الأحوال المستقبلية فهذا لا مانع منه ولا حرج في اعتقاده و ما روي من صحة علم النجوم وجواز نقله محمول على هذا المعنى^(١).

ثم قال ره الأمور التي يحكم بها المنجمون من الحوادث الاستقبالية أصول بعضها مأخوذة من أصحاب الوحي سلام الله عليهم وبعض الأصول يدعون فيها التجربة وبعضها مبني على أمور متشعبة لا تفي القوة البشرية في الأغلب^(٢) بضبطها والإحاطة بها. كما يؤول إلى قول الصادق عليه السلام كثير لا يدرك وقليل لا ينتج^(٣) فلذلك وجد الاختلاف في كلامهم وتطرق الخطأ إلى بعض أحكامهم ومن اتفق له الجري على الأصول الصحيحة صح كلامه و صدقت أحكامه لا محالة كما نطق به كلام الصادق عليه السلام في الرواية المذكورة قبيل هذا الفصل يعني رواية ابن سيابة^(٤) ولكن هذا أمر عزيز المنال لا يظفر به إلا القليل والله الهادي إلى سواء السبيل.

ولابن سينا^(٥) كلام في هذا الباب قال في فصل المبدأ والمعاد من إلهيات الشفاء^(٦) لو أمكن إنسانا من الناس أن يعرف الحوادث التي في الأرض والسماء جميعا وطبائعها لفهم كيفية ما يحدث في المستقبل وهذا المنجم القائل بالأحكام مع أن أوضاعه الأولى ومقدماته ليست مستندة إلى برهان بل عسى أن يدعي فيها التجربة أو الوحي وربما حاول قياسات شعرية أو خطابية في إثباتها فإنه إنما يعول على دلائل جنس واحد من أسباب الكائنات وهي التي في السماء على أنه لا يضمن من عنده^(٧) الإحاطة بجميع الأحوال التي في السماء ولو ضمن لنا في ذلك وفيه به لم يمكنه أن يجعلنا بحيث نقف على وجود جميعها في كل وقت وإن كان جميعها من حيث فعله وطبعه معلوما عنده ثم قال^(٨) في آخر كلامه فليس لنا إذن اعتماد على أقوالهم وإن سلمنا متبرعين أن جميع ما يعطوننا من مقدماتهم الحكيمة صادقة^(٩) انتهى.

وقال^(١٠) الشيخ أبو الفتح محمد بن علي الكراچكي ره في كتاب كنز الفوائد في الرد على من قال إن الشمس والقمر والنجوم علل موجبات كلاما طويلا الذيل يرجع حاصله إلى أن هذه الكواكب والأوضاع إن كانت عللا للحوادث فما الحاجة إلى الاطلاع على الأحكام وأخذ الطوالع عند المواليد وعمل الزوائج وتحاويل السنين مع أن الإنسان لا يقدر على أن يزيد فيه في سعده ولا أن ينقص به من نحسه وما أوجب مولده فهو كائن لا مغير له مع أنه إذا علم حصول سعادة قبل وقوعها يكون قلق النفس منقسم الخاطر يستبعد قرب الساعات ويستطيل قصر الأوقات تشوقا إلى ما يريد وتطلعا إلى ما وعد وفي ذلك ما يقطع عن منافعه ويقرر به عن حركاته في مصالحه ابتكالا على ما يأتيه وربما أخلف الوعد وتأخر السعد فليس جميع أحكامكم تصيب ولا القلط منكم بعجيب فتصير المنفعة مضرة وأما متوقع المنحسة فلا شك أنه قد تعجل الشدة رهبة من قدومها وعظم ملمع بهجومها وإن قلتم إن الإنسان يمكنه أن يحترز من المنحسة فيدفعها أو ينقص منها فقد أبطلتم دعوكم أنها مدبرة.

ثم قال وأنا أخبرك بعد هذا بطرق من بطلان أفعالهم ونكت من فساد استدلالهم اعلم أن تسمية البروج الاثني عشر بالحمل والثور والجوزاء وغيرها لا أصل لها ولا حقيقة وإنما وضعها الراصدون لهم فحصل متعارفا بينهم و

(٢) عبارة: «في الأغلب» ليست في المصدر.

(١) الحديقة الهلالية ص ١٣٩ - ١٤٠.

(٣) روضة الكافي ص ١٩٥، حديث ٢٣٣.

(٤) علما بأن البهائي ذكر رواية عبد الرحمن بن سيابة قبل هذا الفصل مباشرة نقلًا عن روضة الكافي ص ١٩٥، حديث ٢٣٣.

(٥) بقية الشيخ البهائي. (٦) رابع الشفاء - الإلهيات - ص ٤٤٠ المقالة العاشرة، الفصل الأول.

(٧) من المصدر ومن الشفاء.

(٨) أي قال ابن سينا.

(٩) الحديقة الهلالية ص ١٤١ و ١٤٢.

(١٠) رابع كنز الفوائد ج ٢ ص ٢٢٤ - ٢٣٨.

كذلك جميع الصور التي عن جنبي منطقة البروج والجميع ثمان وأربعون صورة عندهم مشهورة وعلماؤهم معترفون بأن ترتيب هذه الصور وتشبيهاها وقسمة الكواكب عليها وتسميتها صنعها حذاقهم الراصدون لها وقد ذكر هذا أبو الحسين عبد الرحمن بن عمر الصوفي وهو من جملتهم وله مصنفات لم يعمل مثلهما في عملهم وبينه في الجزء الأول من كتابه الذي عمله في الصور وقد ذكر رصد الأوائل منهم الكواكب وأنهم رتبوها في المقادير والعظم ست مراتب وبين أنهم الفاعلون لذلك وقال إنهم وجدوا من هذه الكواكب تسعمائة وسبعة عشر كوكبا ينظم منها ثمانية. وأربعون صورة كل صورة منها تشتمل على كواكبها وهي الصور التي أثبتها بطليموس في المجسطي بعضها في النصف الشمالي من الكرة وبعضها على منطقة البروج التي هي طريقة الشمس والقمر والكواكب السريعة السير وبعضها في النصف الجنوبي منها فسموا كل صورة منها باسم الشيء المشبه بها فبعضها على صورة الإنسان مثل كوكبة الجوزاء وكوكبة الجاني على ركبتيه وكوكبة العواء^(١) وبعضها على صورة الحيوانات البرية والبحرية مثل الحمل والثور والسرطان والأسد والعقرب والحوث والدب الأكبر والدب الأصغر وبعضها خارج عن شبه الإنسان وسائر الحيوانات مثل الإكليل والميزان وإنما فعلوا ذلك ليكون لكل كوكب اسم يعرف به متى أشاروا إليه لمعرفة أوقات الليل والطلوع في كل وقت وأشياء عظيمة المنفعة انتهى^(٢).

ثم قال الكراجكي وهو دليل واضح على أن الصور والأشكال والأسماء والألقاب ليست على سبيل الواجب والاستحقاق وإنما هي اصطلاح واختيار ولو غيرت عن ذلك إلى تشبيه آخر لأمكن وجاز ثم إنهم بعد هذه الحال جعلوا كثيرا من الأحكام مستخرجا من هذه الصور والأشكال ومنتسبا إلى الأسماء الموضوعية والألقاب حتى كأنها على ما ذكره بنحو واجب ودليل عقل ثبت فقالوا إن الحكم على الكسوف على ما حكاه ابن هنيث عن بطليموس أنه إذا كان البرج الذي يقع فيه الكسوف من ذوات الأجنحة مثل العذراء والرامي والدجاجة والنسر وما أشبهها كان الحادث في الطير الذي يأكله الناس وإن كان في صورة الحيوان مثل السرطان والدلفين كان الحادث في الحيوانات البحرية أو النهرية وفي هذه فضيحة عظيمة أما يعلم هؤلاء القوم أنهم الذين جعلوا ذوات الأجنحة بأجنحة والصور البحرية بحرية وأنه لو لا ما فعلوه لم يكن شيء مما ذكره فكيف صارت أفعالهم التي ابتدعوها وتشبيهاهم التي وضعوها موجبة لأن يكون حكم الكسوف مستخرجا منها وصادرا عنها وهذا يؤدي إلى أنهم المدبرون للعالم إذ كانت أفعالهم سببا لما توجيه الكوكب.

ثم أورد ره كثيرا من هذه الإلزامات المسكتة عليهم ثم قال والصور عندهم لا تثبت في مواضعها ولا تستقر على أقسامها وصورة الحمل التي يقولون إنها أول البروج قد سفل^(٣) إلى مكان البرج الثاني والحمل في الحوث إذ الثوابت متحركة عندهم بحركة بطيئة خفية ولخفاء حركتها سموها الثابتة وإن وجدوها في الأرصاد مختلفة وقال الصوفي في كتاب الصور إن مواضع هذه الصور التي على منطقة البروج كانت منذ ثلاثة آلاف سنة في غير هذه الأقسام وإن صورة الحمل كانت في القسم الأول وكان يسمى الأول من البروج الثور والثاني الجوزاء والثالث السرطان ولما جددوا الأرصاد في أيام طيموخارس وجدوا صورة الحمل قد انتقلت إلى القسم الأول من الأقسام الثاني عشر الذي هو بعد نقطة التقاطع غيروا أسمائها فسموا القسم الأول الحمل والثاني الثور والثالث الجوزاء قال ولا يخالفنا أحد في أن هذه الصور تنتقل حركاتها على مر الدهور على أماكنها حتى تصير صورة الحمل في القسم التاسع^(٤) الذي للميزان وصورة الميزان في القسم الأول الذي للحمل فيسمى أول البروج الميزان والثاني العقرب ثم مر في كلامه موضعا عما ذكرناه من تنقلها الموجب لتغير أسماء بروجها وهم مجمعون على أن الكوكبين المتقاربين المعروفين بالشرطين على قرني الحمل وهما أول منازل القمر فيجب أن يكونا أول البروج الثاني عشر ومن امتحنهما في وقتنا هذا وهو من سنة ثمان وعشرين وأربعمئة للهجرة الموافقة لسنة ألف وثلاثمائة وثمان وأربعين لذي القرنين وجد أحدهما في عشرين درجة من الحمل والأخرى في إحدى وعشرين منه أعني من البرج الأول فأبى برج من البروج الثاني عشر يبقى على صورة واحدة وكيف يثبت الحكم لأول البروج بأنه دال على الوحوش وعلى كل ذي ظلف وقد انتقلت إليه أكثر صورة الحوث وكذلك حال جميع البروج.

(٢) أي انتهى هذا المقطع من كلام الكراجكي.

(٤) في المص «لسابع» بدل «التاسع».

(١) عبارة: «وكوكبة العواء» ليست في المصدر.

(٣) في المطبوعة: «سفل» وما أبتداء في المصدر.

ثم ذكره كثيرا من أغلاطهم واشتباهااتهم إلى أن قال وأنا أذكر لك بعد هذا مقالتنا في النجوم وما نعتقده فيها لتعرف الطريقة في ذلك فتعتمد عليها اعلم أيذك الله أن الشمس والقمر والنجوم أجسام محدثة من جنس أجسام العالم مؤتلفة من أجزاء تحلها الأعراض وليست بفاعلة في الحقيقة ولا ناطقة ولا حية قادرة وقد قال شيخنا المفيد ره إنها أجسام نارية فأما حركتها فهي فعل الله تعالى فيها وهو المحرك لها وهي من آياته الباهرة في خلقه وزينة لسمائه وفيها منافع لعباده لا تحصى وبها يهتدي السائرون برا وبحرا قال الله تعالى ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾^(١) وفيها للخلق مصالح لا يعلمها إلا الله فأما التأثير المنسوب إليها فإنا لا ندفع كون الشمس والقمر مؤثرين في العالم ونحن نعلم أن الأجسام وإن كان لا يؤثر أحدها في الآخر إلا مع مساسة بينهما بأنفسهما أو بواسطة فإن للشمس والقمر شعاعا متصلا بالأرض وما عليها يقوم مقام المساسة وتصح به التأثيرات الحادثة ومن ذا الذي ينكر تأثير الشمس والقمر وهو موجود مشاهد وإن كان تأثير الشمس أظهر للحس وأبين من تأثير القمر في الأزمان والبلدان والنبات والحيوان فأما غيرهما من الكواكب فلسنا نجد لها تأثيرا نحس ولا تقطع على وجوبه بالعقل ولا هو أيضا من الممتنع المستحيل بل من الجائز في العقول لأن لها شعاعا متصلا بالأرض وإن كان دون شعاع الشمس والقمر فغير منكر أن يكون لها تأثير يخفى عن الحس خارج عن أفعال الخلق فإن كان لها تأثير كما يقال كان تأثيرها مع تأثير الشمس والقمر في الحقيقة من أفعال الله عز وجل وليس يصح إضافته إليها إلا على وجه التوسع والتجوز كما تقول أحرقت النار وبرد الثلج وقطع السيف وشح الحجر وفي الحقيقة أن النار أحرقت بها والثلج برد بها وقطع أيضا بالسيف وشح بالحجر وكذلك قولنا أحميت الشمس الأرض ونفعت الزرع وفي الحقيقة أن الله تعالى أحصى بها ونفع ومما يدل على أن الله تعالى يستعمل شيئا بشيء قوله عز وجل ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ نَزِيلًا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَنَزَاهُ مُضْفَرًا﴾^(٢) وقوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا بِقَالًا سُحُبًا فَلَيْدٍ مِّمَّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٣) وليس فيما ذكرناه رجوع إلى قول أصحاب الأحكام والإقرار بما أنكرناه عليهم في مقدم الكلام لأننا أنكرنا عليهم إضافتهم تأثيرات الشمس والقمر إليهما من دون الله سبحانه وقطعهم على ما جوزناه من تأثيرات الكواكب بغير حجة عقلية ولا سمعية وإضافتهم إلى جميع الأفعال في الحقيقة مع دعواهم لها بالحياة والقدرة فأنكرنا عليهم أن يكون الشمس والقمر أو شيء من الكواكب فاعلا لأفعالنا أو تكون حركته شيئا موجبا لوقوع الأفعال عنا لشهادة العقل الصحيح بأن أفعالنا لو كانت مخترعة فينا أو كائنة عن سبب أوجبها من غيرنا لم تقع بحسب قصدنا وإرادتنا وكانت لا فرق بينها وبين جميع ما يفعل فينا من صحتنا وسقمنا وتأليف أجسامنا وفي حصول الفرق دلالة على اختصاصها بنا وبرهان واضح على أنها حدثت عن قدرتنا وأنه لا سبب لها غير اختيارنا وأنكرنا عليهم قولهم إن الله لا يفعل في العالم فعلا إلا والكواكب دالة عليه فإن كل شيء تدل عليه فلا بد من كونه وهذا باطل لأنه لو ثبت لها تأثير أو دلالة فإن الله تعالى أجرى بذلك العادة وليس بمستحيل منه تغيير تلك العادة لما يراه من المصلحة وقد يصرف الله تعالى السوء عن عبده بدعوة ويزيد في أجله بصلة رحم أو صدقة هذا الذي ثبتت لنا عليه الأدلة وهو الموافق للشرعية وليس هو بلامن لما يدعيه المنجمون والحمد لله وأنكرنا عليهم اعتمادهم في الأحكام على أصول متناقضة ومقدمات مفتعلة ودعوا مظنونة وليس لهم على شيء منها بينة فإن كان لهذا العلم أصل صحيح على وجه يسوغ في العقل ويجوز فليس هو مما في أيديهم ولا من جملة دعاويهم وقد قال شيخنا المفيد. رحمه الله إن الاستدلال بحركات النجوم على كثير مما سيكون لا يمنع العقل منه ولنا نمنع أن يكون الله جل اسمه أعلمه بعض أنبيائه وجعله علما على صدقه^(٤) انتهى كلام الكراجكي ره.

وقال^(٥) شيخ المتكلمين محمود بن علي الحمصي ره في ذكر علم النجوم إننا لا نرد عليهم فيما يتعلق بالحساب في تسيير النجوم واتصالاتها التي يذكرونها فإن ذلك مما لا يهمننا ولا هو مما يقابل بإنكار ورد ثم قال ره في إنكار كون النجوم عللا موجبة يبطل ذلك بكل ما يبطل به دعوة المجربة بأننا غير مختارين.

(٢) سورة الزمر، آية: ٢١.

(٤) فرج المهوم ص ٦٠ - ٧٤ باختلاف كثير غير ما ذكر.

(١) سورة النحل، آية: ١٦.

(٣) سورة الأعراف، آية: ٥٧.

(٥) بقية كلام ابن طائوس.

ثم قال فإن قيل كيف تنكرون الأحكام و قد علمنا أنهم يحكمون بالكسوف والخسوف و رؤية الأهلة و يكون الأمر على ما يحكمون في ذلك و كذلك يخبرون عن أمور مستقبلية تجري على الإنسان و تجري تلك الأمور على ما أخبروا عنها فمع وضوح الأمر فيما ذكرناه كيف تدفع الأحكام.

قلنا إن أخبارهم عن الكسوف والخسوف و رؤية الأهلة فليس من الأحكام و إنما هو من باب الحساب إنما الحكم أن يقولوا إذا كان كسوف أو خسوف كان من الحوادث كذا و كذا.

ثم قال فأما الأمور المستقبلية التي يخبرون عنها فأكثرها لا تقع على ما يخبرون عنه و إنما يقع قليل منه بالاتفاق و مثل ذلك يتفق لأصحاب الفال و الزجر الذين لا يعرفون النجوم بل للعواجز اللواتي يتفالن بالأحجار و الذي قد يخبر المصروع و كثير من ناقصي العقول عن أشياء فيتفق وقوع ما يخبرون عنه^(١) انتهى.

و السيد الجليل النبيل علي بن طاسو ره لأئس قليل له بهذا العلم عمل في ذلك رسالة و بالغ في الإنكار على من اعتقد أن النجوم ذوات إرادة أو فاعلة أو مؤثرة و استدلل على ذلك بدلائل كثيرة و أيداه بكلام جم غفير من الأفاضل إلا أنه أنكر على السيد الأجل المرتضى ره في تحريمه و ذهب إلى أنه من العلوم المباحات و أن النجوم علامات و دلالات على الحادثات لكن يجوز للقادر الحكيم أن يغيرها بالبر و الصدقة و الدعاء و غير ذلك من الأسباب و الدواعي على وفق إرادته و حكمته و جوز تعليم علم النجوم و تعلمه و النظر فيه و العمل به إذا لم يعتقد أنها مؤثرة و حمل أخبار النهي و الذم على ما إذا اعتقدت ذلك ثم ذكر ره تأييدا لصحة هذا العلم أسماء جماعة من الشيعة كانوا عارفين به فقال إن جماعة من بني نوبخت كانوا علماء بالنجوم و قدوة في هذا الباب و وقفت على عدة مصنفات لهم في النجوم و أنها دلالات على الحادثات منهم الحسن بن موسى النوبختي^(٢) و من علماء المنجمين من الشيعة أحمد بن محمد بن خالد البرقي و ذكر النجاشي في كتبه كتاب النجوم و منهم أحمد بن محمد بن أحمد بن طلحة فقد عد الشيخ و النجاشي من كتبه كتاب النجوم و الشيخ النجاشي كان له تصنيف في النجوم و من المذكورين يعلم النجوم الجلودي البصري و منهم علي بن محمد بن العدوي الشمشاطي فإنه ذكر النجاشي أن له رسالة في إبطال أحكام النجوم و منهم علي بن محمد بن العباس فإن النجاشي ذكر في كتبه كتاب الرد على المنجمين و كتاب الرد على الفلاسفة و منهم محمد بن أبي عمير^(٣) و استدلل إلى الخبر السابق و قد عرفت ما فيه قال و منهم محمد بن مسعود العياشي فإنه ذكر في تصانيفه كتاب النجوم و منهم موسى بن الحسن بن عباس بن إسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت قال النجاشي كان حسن المعرفة بالنجوم و له مصنفات فيه و كان مع ذلك حسن العبادة و الدين و منهم أنفصل بن أبي سهل بن نوبخت وصل إلينا من تصانيفه ما يدل على قوة معرفته بالنجوم.^(٤) و ذكر عن العيون ما أورده في أبواب تاريخ الرضا^(٥) من أنه أخبر المأمون بخطئه المنجمين في الساعة التي اختاروها لولاية العهد فجزه المأمون و نهاء أن يخبر به أحدا فعلم أنه تعمد ذلك.^(٥) و منهم السيد الفاضل علي بن أبي الحسن العلوي المعروف بابن الأعلم و كان صاحب الزيج و منهم أبو الحسن التقيب الملقب بأب قيراط و منهم الشيخ الفاضل الشيعي علي بن الحسين بن علي السعودي مصنف كتاب مروج الذهب و منهم أبو القاسم بن نافع من أصحابنا الشيعة و منهم إبراهيم الفزاري صاحب القصيدة في النجوم و كان منجما للمنسور و منهم الشيخ الفاضل أحمد بن يوسف بن إبراهيم المصري كاتب آل طولون و منهم الشيخ الفاضل محمد بن عبد الله بن عمر البازيار القمي تلميذ أبي معشر و منهم الشيخ الفاضل أبو الحسين بن أبي الخضيب القمي^(٦) و منهم أبو جعفر السقاء المنجم ذكره الشيخ في الرجال^(٧) و منهم محمد بن أحمد بن سليم الجعفي مصنف كتاب الفاخر و منهم محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك المعروف بكشاجم ذكر ابن شهر آشوب أنه كان شاعرا منجما متكلم و منهم العفيف بن قيس أخو الأشعث ذكره المبرد و قد مر أنه قيل هو الذي أشار إلى أمير المؤمنين^(٨) بترك قتال الخوارج في الساعة التي أراد.

(١) فرج المهموم ص ٧٤ - ٧٧.

(٢) فرج المهموم ص ١٢٤ - ١٢٥.

(٣) فرج المهموم ص ١٢٥ - ١٢٩.

(٤) فرج المهموم ص ١٤٤.

(٥) فرج المهموم ص ١٢٢ - ١٢٣.

(٦) فرج المهموم ص ١٤٢.

(٧) فرج المهموم ص ١٤٣.

ثم قال رة ومن أدرسته من علماء الشيعة العارفين بالنجوم وعرفت بعض إصاباته الفقيه العالم الزاهد الملقب خطير الدين محمود بن محمد^(١) ومن رأيته الشيخ الفاضل أبو نصر الحسن بن علي القمي ثم عده من أشهر بعلم النجوم وقيل إنه من الشيعة فقال منهم أحمد بن محمد السجزي^(٢) والشيخ الفاضل علي بن أحمد العمراني^(٣) والفاضل إسحاق بن يعقوب الكندي قال ومن أشهر بالنجوم من بني العباس محمد بن عبد العزيز الهاشمي وعلي بن القاسم القصري^(٤) وقال رحمه الله وجدت فيما وقفت عليه أن علي بن الحسين بن بابويه القمي كان ممن أخذ طالع في النجوم وأن ميلاده بالسنة^(٥) ثم قال السيد رة روى الشيخ في اختيار الكشي في بيان حال أبي خالد السجستاني حمدويه وإبراهيم عن محمد بن عثمان قال حدثنا أبو خالد السجستاني أنه لما مضى أبو الحسن^(٦) وقف عليه ثم نظر في نجومه فزعم أنه قد مات فقطع على موته وخالف أصحابه. ثم قال رة ففي هذه عدة فوائد منها أن هذا أبو خالد كان واقفياً يعتقد أن أبا الحسن موسى^(٧) ما مات فذله الله تعالى بعلم النجوم على موته وقد كان هذا العلم سبب هدايته ومنها أنه كان من أصحاب الكاظم^(٨) ولم يبلغنا أنه أنكر عليه علم النجوم ومنها أنه لو علم أبو خالد أن علم النجوم منكر عند إمامه لما اعتمد عليه في عقيدته ومنها اختيار جدي الطوسي لهذا الحديث وتصحيحه. وقد تقدم ثنائوه رة على جماعة من العلماء بالنجوم ثم قال ومن أشهر بعلمه من بني نوبخت عبد الله بن أبي سهل^(٩) ومن العلماء بالنجوم محمد بن إسحاق النديم كان منجماً للعلوي المصري ومن المذكورين بالتصنيف في علم النجوم حسن بن أحمد^(١٠) بن محمد بن عاصم المعروف بالعاصمي المحدث الكوفي ثقة سكن بغداد فمن كتبه الكتب النجومية ذكر ذلك ابن شهر آشوب في كتاب معالم العلماء ومن أشهر بعلم النجوم من المنسويين إلى مذهب الإمامية الفضل بن سهل وزير المأمون فروى محمد بن عبدوس الجمشاري^(١١) وغيره ما معناه أنه لما وقع بين الأمين والمأمون ما وقع واضطربت خراسان وطلب جند المأمون أرزاقهم وتوجه علي بن عيسى بن ماهان من العراق لحرب المأمون وصعد المأمون إلى منظره للخوف على نفسه من جنده ومع الفضل وقد ضاق عليه مجال التدبير وعزم على مفارقة ما هو فيه أخذ الفضل طالعاه ورفع أضرلاباً وقال ما تنزل من هذه المنزلة إلا خليفة غالباً لأخيك الأمين فلا تعجل وما زال يسكنه ويثبته حتى ورد عليهم في تلك الساعة رأس علي بن عيسى وقد قتله طاهر وثبت ملكه وزال ما كان يخافه وظفر بالأمان وروي خبر آخر أيضاً مثل ذلك.^(١٢)

ثم قال ومن كان عالماً بالنجوم من المنسويين إلى الشيعة الحسن بن سهل ثم ذكر ما أخرجنا من العيون في أبواب تاريخ الرضا^(١٣) من حديث الحمام و قتل الفضل فيه^(١٤) ثم قال رأيته في كتاب الوزراء جمع عبد الرحمن بن المبارك أنه ذكر محمد بن سعيد أنه وجد على كتاب من كتب ذي الرئاستين بخطه هذه السنة الفلانية التي تكون فيها النكبة وإلى الله ترغب في دفعها وإن صح من حساب الفلك شيء فالأمر واقع فيها لا محالة ونسأل الله تعالى أن يختم لنا بخير بمنه وكان يعمل لذي الرئاستين تقويم في كل سنة فيوقع عليه هذا يوم يصلح لكذا ويجنب في هذا اليوم كذا فلما كان في السنة التي قتل فيها عرض عليه اليوم فجعل يوقع فيه ما يصلح^(١٥) حتى انتهى إلى اليوم الذي قتل فيه فقال أف لهذا اليوم ما أشره علي ورمى بالتقويم وروي عن أخت الفضل قالت دخل الفضل. إلى أمه في الليلة التي قتل في صبيحتها فقع إلى جانبها وأقبل يعظها ويعزيها عن نفسه ويذكرها حوادث الدهر وتقضي أمور العباد^(١٦) ثم قبل صدرها ونديها ودعها وداع المفاقر ثم قام فخرج وهو قلق منزعج لما دله عليه الحساب فجعل ينتقل من موضع إلى موضع ومن مجلس إلى مجلس وامتنع عليه النوم فلما كان في السحر قام إلى الحمام وقدر أن يجعل غمه وحرارته وكربه هو الذي دلت عليه النجوم وقدمت له بغلة فركبها وكان الحمام في آخر البستان فكبت به البغلة فسره ذلك وقدر أنها هي النكبة التي كان يتخوفها ثم مشى إلى الحمام ولم يزل حتى دخل الحمام فاغتسل فيه فقتل.^(١٧)

(١) فرج المهور ص ١٢٦. (٢) في المصدر: «السجزي» بدل «السجزي».

(٣) فرج المهور ص ١٢٧. (٤) فرج المهور ص ١٢٨.

(٥) فرج المهور ص ١٣٥. (٦) فرج المهور ص ١٣١.

(٧) لكن الذي جاء في معالم العلماء ص ١٦ هو «أحمد بن محمد بن عاصم بن عبد الله العاصمي» رجال النجاشي ص ٩٣-٩٤.

(٨) في المصدر: «الجمشاري». (٩) فرج المهور ص ١٣٢-١٣٣.

(١٠) فرج المهور ص ١٣٣-١٣٥. (١١) في المصدر إضافة: «وما يجنب».

(١٢) عبارة: «وتقضي أمور العباد» ليست في المصدر. (١٣) فرج المهور ص ١٣٥-١٣٦.

قال ومن المذكورين بعلم النجوم بوران بنت الحسن بن سهل وجدت في مجموع عتيق أن بوران كانت في المنزلة العليا بأصناف العلم لا سيما في النجوم فإنها برعت فيه وبلغت أقصى نهايته^(١) وكانت ترفع الأصطرلاب كل وقت وتنظر إلى مولد المعتمصم فعثرت يوما يقطع عليه سببه خشب فقالت لوالدها الحسن انصرف إلى أمير المؤمنين وعرفه أن الجارية فلانة قد نظرت إلى المولد ورفعت الأصطرلاب فدل الحساب والله أعلم أن قطعاً يلحق أمير المؤمنين من خشب في الساعة الفلانية من يوم بعينه^(٢) قال الحسن يا قرّة العين يا سيدة الحرائر إن أمير المؤمنين قد تغير علينا وربما أضفى إلى شيخك^(٣) بخلاف ما يقتضيه وجه المشورة والنصيحة قالت يا أبت وما عليك من نصيحة إمامك لأنه خطر بروح لا عوض منها فإن قبلها وإلا كنت قد أدت المفروض عليك قال فانصرف الحسن إلى المعتمصم وعرفه ما قالت بوران قال المعتمصم أيها الحسن أحسن الله جزاءها وجزاءك انصرف إليها وخصها عني بالسلام وأسأله ثانياً واحضر عندي اليوم الذي عينت عليه ولازمي حتى ينصرم اليوم ويذهب فلست أشاركك في هذه المشورة والتدبير أحداً من البشر قال فلما كان صباح ذلك اليوم دخل عليه الحسن فأمر المعتمصم حتى خرج كل من في المجلس وخلا إليه وأشار عليه أن ينتقل عن المجلس السقفي إلى مجلس ابن أرخى^(٤) يوجد فيه وزن درهم واحد من الخشب. وما زال الحسن يحدثه والمعتمصم يمازحه وينشطه حتى أظهر النهار وضربت نوبة الصلاة فقام المعتمصم ليتوضأ فقال الحسن لا تخرج أمير المؤمنين عن هذا المجلس ويكون الوضوء والصلاة وكل ما تريده فيه حتى ينصرم اليوم فجاء خادم ومعه المشط والسواك فقال الحسن للخادم امتشط بالمشط واستك بالسواك فامتنع وقال كيف أتناول آلة أمير المؤمنين قال المعتمصم ويلك امثل قول الحسن ولا تخالف ففعل فسقطت ثنياه وانتفخ دماغه وخر مغشياً عليه ورفع ميتاً وقام الحسن ليخرج فاستدعاه المعتمصم واحتضنه ولم يفارقه حتى قبل عينيه ورد على بوران أملاكاً وضياعاً وكان ابن الزيات حلها^(٥) عنها وذكر مثله برواية أخرى^(٦).

وروي من كتاب الوزراء لمحمد بن عبدوس عن إسماعيل بن صبيح قال كنت أكتب يوماً بين يدي يحيى بن خالد البرمكي فدخل عليه جعفر بن يحيى فلما رآه صاح وأعرض بوجهه عنه وقطب وكره رؤيته فلما انصرف قلت له أطل الله بقاءك تفعل هذا بابنك وحاله عند أمير المؤمنين حالة لا يقدم عليه ولداً ولا ولية فقال إليك عني أيها الرجل فوالله لا يكون هلاك أهل هذا البيت إلا بسببه فلما كان بعد مدة من ذلك دخل عليه أيضاً جعفر وأنا بحضرته ففعل مثل ما فعل الأول وأكدت عليه القول فقال أدن مني الدواة فأدنتها وكتب كلمات يسيرة في رقعة وختمها ودفعها إلي وقال بلى ليكن^(٧) عندك فإذا دخلت سنة سبع وثمانين ومائة ومضى^(٨) فانظر فيها فلما كان في صفر أوقع الرشيد بهم فنظرت في الرقعة فكان الوقت الذي ذكره^(٩) قال إسماعيل وكان يحيى أعلم الناس بالنجوم.

وروي أيضاً عن محمد بن عبدوس من كتاب الوزراء عن موسى بن نصر^(١٠) الوصيف عن أبيه قال غدوت إلى يحيى بن خالد في آخر أمرهم أريد عيادته من علة كان يجدها فوجدت في دهليزه بغلاً مسرجاً فدخلت إليه فكان يأنس بي ويفضي إلي يسره فوجدته مفكراً مبهوماً ورأيت مستخفياً مشتغلاً بحساب النجوم وهو ينظر فيه فقلت له إني لما رأيت بغلاً مسرجاً سرنى لأنني قدرت انصراف العلة وإن عزمك^(١١) الركوب ثم قد غمني ما أراه من همك^(١٢) قال فقال لي إن لهذا البغل قصة إني رأيت البارحة في النوم كأنني راكبه حتى وافيت رأس الجسر من الجانب الأيسر فوقفت فإذا صائح يصيح من الجانب الآخر شعر.

أنيس ولم يسمر بمكة سامر

كان لم يكن بين الحجون إلى الصفا

قال فضربت يدي على قبروس السرج وقلت شعر.

صروف الليالي والجدود العواثر

بلى نحن كنا أهلها فأبأدنا

(١) في المصدر: «غايته».

(٢) في المصدر: «أزجي» بدل «أرخى».

(٣) فرج المهور ص ١٣٧.

(٤) في المصدر إضافة: «الحرم».

(٥) في المصدر: «نصير» بدل «نصر».

(٦) في المصدر: «عزمك».

(٧) في المصدر: «غايته».

(٨) في المصدر: «شيء» بدل «شيخك».

(٩) في المصدر: «سلبها» بدل «حلها».

(١٠) في المصدر: «لكن».

(١١) فرج المهور ص ١٤٠.

(١٢) في المصدر: «قدرت إيقاف البغلة أو أن عزمك».

ثم انتهت^(١) فلجأت إلى أخذ الطالع فأخذته و ضربت الأمر ظهر البطن فوقفت على أنه لا بد من انقضاء مدتنا و زوال أمرنا قال فما كان يكاد يفرغ من كلامه حتى دخل عليه مسرور الخادم بخوان^(٢) مظافة و فيها رأس جعفر بن يحيى و قال له يقول لك أمير المؤمنين كيف رأيت نعمة الله في الفاجر فقال له يحيى قل له يا أمير المؤمنين أرى أنك أفسدت عليه دنياه و أفسد عليك آخرتك.^(٣)

ثم قال و ممن رأيت ذكره في علماء النجوم و إن لم أعلم مذهبه^(٤) إبراهيم بن السندي بن شاهك و كان منجما طبيبا متكلمًا و من العلماء بالنجوم عضد الدولة بن بويه و كان منسوبًا إلى التشيع و لعله كان يرى مذهب الزيدية و منهم الشيخ المعظم محمود بن علي الحمصي ره كما حكينا عنه^(٥) و منهم جابر بن حيان صاحب الصادق عليه السلام و ذكره ابن النديم في رجال الشيعة^(٦) و ممن ذكر بعلم النجوم من الوزراء أبو أيوب سليمان بن مخلد المورياني^(٧) و ممن ظهر منه العمل على النجوم البرامكة ذكر عبد الرحمن بن المبارك أن جعفرًا لما عزم على الانتقال إلى قصره الذي بناه و جمع المنجمين لا اختيار وقت ينتقل فيه فاختاروا له وقتًا من الليل فلما حضر الوقت خرج على حمار من الموضع الذي ينزله إلى قصره و الطرق خالية و الناس ساكنون فلما وصل إلى سوق يحيى رأى رجلاً يقول شعر.

يدبر بالنجوم و ليس يدري و رب النجم يفعل ما يريد

فاستوحش و وقف و دعا بالرجل فقال له أعد علي ما قلت فأعاده فقال ما أردت بهذا قال و الله ما أردت به معنى من المعاني لكنه عرض لي و جاء^(٨) على لساني فأمر له بدنانير.^(٩)

ثم ذكر ره إصابات كثيرة من المنجمين نقلًا من كتبهم و نقل من كتاب ربيع الأبرار أن رجلاً أدخل إصبعيه في حلقتي مقراض و قال للمنجم أيش ترى في يدي فقال خاتمي حديد و قال فقدت في دار بعض الرؤساء مشربة فضة فوجه إلى ابن ماهان يسأله فقال المشربة سرت نفسها فضحكت منه و اغتاظ و قال هل في الدار جارية اسمها فضة أخذت^(١٠) الفضة فكان كما قال و قال سعي بمنجم فأمر بصلبه فقيل له هل رأيت هذا في نجومك فقال رأيت ارتفاعًا و لكن لم أعلم أنه فوق خشية.^(١١)

و قال و من الملوك المشهورين بعلم النجوم و تقريب أهله المأمون و ذكر محمد بن إسحاق أنه كان سبب نقل كتب النجوم و أمثالها من بلاد الروم و نشرها بين المسلمين و ذكر المسعودي في حديث وفاة المأمون قال فأمرنا بإحضار جماعة من أهل الموضع فسألهم ما تفسير النديون^(١٢) فقالوا تفسيره مد رجليك فلما سمع المأمون بذلك اضطرب و تطير بهذا الاسم و قال سلوهم ما اسم هذا الموضع بالعربية قالوا اسمه بالعربية الرقة و كان فيما عمل من مولد المأمون أنه يموت بالرقة فلما سمع اسم الرقة عرف أنه الموضع الذي ذكر في مولده و أنه لا يموت إلا بالرقة فمات به كما اقتضت دلالة النجوم في طالع.^(١٣)

و ذكر محمد بن بابويه في دلائل النبوة أن بخت نصر لما رأى رؤياه أحضر من جملة العلماء أصحاب النجوم و ذكر التوخي في كتابه قال حدثني الصوفي النجم قال و كان أبو الحسين حاضرا و عضد الدولة يحدثني قال اعتلت علة صعبة أيس مني فيها الطبيب و أيس من نفسي و كان تحويل ستنى تلك في النجوم رديا جدا نحسا موحشا ثم زادت العلة علي فأمرت أن يحجب الناس كلهم لا يدخل إلي أحد بوجه و لا سبب إلا حاجب البويه^(١٤) في أوقات حتى منعت الطبيب عن الوصول ضجرا بهم بل بنفسي و يأسا من العافية فأقمت كذلك أياما ثلاثة و أربعة و أنا أبكي في خلوتي على نفسي إذ جاءني حاجب البويه فقال في الدار أبو الحسين الصوفي من الغداة يطلب الوصول و قد اجتهدنا به في الانصراف بكل رفق و جميل. فما فعل و قال لا بد من أن أصل و لم أحب أن أحدثه في الانصراف على أي وجه كان إلا

(١) في المصدر إضافة: «فلم شك أنا أردنا بالمعنى».

(٢) فرج المهوم ص ١٤١.

(٣) فرج المهوم ص ١٤٤ و ١٤٥.

(٤) فرج المهوم ص ١٤٧. وفيه «محمد» بدل «مخلد».

(٥) فرج المهوم ص ١٤٨.

(٦) فرج المهوم ص ١٩٢.

(٧) فرج المهوم ص ٢٠٧.

(٨) في المصدر: «بجونة» بدل «بخوان».

(٩) عبارة «وإن لم أعلم مذهبه» ليست في المصدر.

(١٠) فرج المهوم ص ١٤٦.

(١١) في المصدر: «لكنه» شيء عرض لي و جرى عليّ.

(١٢) في المصدر: «قالوا: نعم قال: فضة سرت» بدل «أخذت».

(١٣) في المصدر: «الديون».

(١٤) في المصدر: «النوبة».

بأمرك وقد عرفته بأنه قد رسم لي أن لا يصل إليه أحد من خلق الله أجمعين فقال الذي حضرت له بشارة ولا يجوز أن يتأخر وقوفه عليها فعرفه هذا عني واستأذنه لي في الوصول إليه فقلت له بضعيف صوت وكلام خفيف يريد أن يقول لي قد بلغ الكوكب الفلاني الموضع الفلاني ويهدي إلي من هذا الجنس ما يضيق به صدري ويزيد به همي و ما أقدر على سماع كلامك فانصرف فخرج الحاجب ورجع إلي مستعجلا وقال إما أن يكون أبو الحسين الصوفي قد جن أو معه أمر عظيم فإني قد عرفته بما قال مولانا فقال ارجع إليه وقل له والله لو أمرت بضرب عنقي ما انصرفت أو أصل إليك و والله ما أكلمك في معنى النجوم بكلمة واحدة فعجبت من ذلك عجباً شديداً مع علمي بعقل أبي الحسين وأنه مما لا يخرق معي في شيء وتطلعت نفسي إلى ما يقوله فقلت أدخله فلما دخل إلي قبل الأرض وبكى وقال أنت والله في عافية لا بأس عليك واليوم تبرا ومعى معجزة في ذلك^(١) فقلت له ما هي فقال رأيت البارحة في منامي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والناس يهرعون إليه يسألونه حوائجهم وكان قد تقدمت إليه وقلت يا أمير المؤمنين أنا رجل غريب في هذا البلد تركت نعمتي بالري وتجارتي وتعلقت بحب هذا الأمير الذي أنا معه و قد بلغ إلي حد الإياس من العلة وقد أشفقت أن أهلك بهلاكه فادع الله تعالى بالعافية له فقال تعني فناخسرو بن الحسن^(٢) بن بويه قلت نعم يا أمير المؤمنين فقال امض إليه غدا وقل له أنسيت ما أخبرتك به أمك عني في المنام الذي رأيته وهي حامل بك أليس قد أخبرتك بمدة عمرك وأنك ستعتل إذا بلغت كذا وكذا سنة علة يأس منها أطباؤك وأهلك ثم تبرا منها وأنت تصلح من هذه العلة غدا وتبرا وأرى صلاحك أن تركب وتعاود عادتك كلها في كذا وكذا يوما ولا قطع عليك قبل الأجل الذي خبرتك به أمك عني قال لي عضد الدولة وقد كنت أنسيت أن أمي قالت لي في المنام إذا بلغت هذه السنة اعتلت العلة التي قد ذكرتها حتى قال لي أبو الحسين الصوفي فعين سمعت الكلام حدثت لي في نفسي في الحال قوة لم يكن من قبل فقلت أقعدوني^(٣) فجاء الغلمان فأمسكوني حتى جلست على الفراش وقلت لأبي الحسين اجلس^(٤) وأعد الحديث فقد قويت نفسي فأعاده فتولدت لي شهوة الطعام فاستدعيت^(٥) الأطباء فأشاروا بتناول غذاء وصفوه عمل في الحال وأكلته ولم تنقض الحال في اليوم حتى بان لي في الصلاح أمر عظيم وأقبلت العافية فركبت وعاودت عاداتي في اليوم الذي قال أبو الحسين في المنام أن أركب فيه وكان عضد الدولة يحدثني وأبو الحسين يقول كذا والله كان وكذا قلت لمولانا وأعيد^(٦) بالله ما أحسن حفظه وذكر ما جرى حرفا بحرف ثم قال ما فاتني في نفسي من هذا المنام شيء كنت أشتهي الأشياء كنت أشتهي أن يكون فيه ميثبا وشيثا كنت^(٧) أشتهي أن لا يكون فيه فقلت يبلغ الله مولانا آماله ويحدث له كل ما يسر به ويصرف عنه كل ما لا يؤثر كونه ولم أزد على الدعاء فعلم غرضي وقال أما الذي كنت أشتهي أن لا يكون فيه فهو أنه وقف على أنني أملك حلبا ولو كان عنده أنني أملك شيئا مما تجاوز حلبي لقاله وكأني أخاف أن يكون هذا غاية حدي من تلك الناحية حتى أنه جاءني الخبر بأن سيف الدولة أظهر الدعوة لي بحلب وأعماله ودخل تحت طاعتي فذكرت المنام فتنفص علي لأجل هذا الاعتقاد وأما الذي كنت أشتهي أن يكون فيه فهو أنني أعلم من هذا الذي يملك من ولدي ويستقل الملك على يديه فدعوت له وقطعت الحديث بعدها بنحو سنتين وما تجاوزت دعوته أعمال حلب بوجه ولا سبب^(٨)

قال^(٩) وروى الحاكم النيسابوري في تاريخه بإسناده عن النبي ﷺ قال بعث تبع إلى مكة لنقل البيت إليه قال فابتلي بجسده فقال لمنجيه انظروا فنظروا فقالوا لعلك أردت بيت الله بشيء قال نعم أردت أن ينقل إلي قالوا إذا لا يكون ولكن أكسه وردهم من ذلك فردهم عن ذلك وكساه فبرأ^(١٠) انتهى ما أردت إيراده من كلام السيد ره.

وسأل السيد مهنا بن سنان العلامة ره ما يقول سيدنا فيما يقال إن كسوف الشمس بسبب حيولة جرم القمر بينه وبين الشمس وإن سبب خسوف القمر حيولة الأرض ويدل على ذلك ما يخبر به أهل التوقيت فيطبق أخبارهم وإذا كان الأمر على هذه الصورة فلم أمرنا بالخوف عند ذلك والفرع إلى الدعاء والصلاة في المساجد فأجاب ره استناد

(١) في المصدر إضافة: «من أمير المؤمنين عليه السلام».
 (٢) في المصدر: «أجلسوني».
 (٣) في المصدر: «أقعد» بدل «أجلس».
 (٤) في المصدر: «وأعيد».
 (٥) فرج المهورم ص ١٩٨ - ٢٠١.
 (٦) فرج المهورم ص ٢١٢.
 (٧) أي قال ابن طاوس.
 (٨) في المصدر إضافة: «من أمير المؤمنين عليه السلام».
 (٩) في المصدر: «أجلسوني».
 (١٠) في المصدر: «أقعد» بدل «أجلس».

الكسوف والخسوف إلى ما ذكره أدام الله أيامه مستند إلى الرصد وهو أمر ظني غير يقيني ولو سلم لم يضر في التكليف بالصلاة وسؤال الله في رد النور^(١) ويجوز أن يكون هذا الحادث سببا لتجدد حادث في الأرض من خير أو شر فجاز أن يكون العبادة رافعة لما ينط بذلك الحادث من الشر والخوف بسبب ذلك.

ثم سأل عن إخبار المنجمين وأصحاب الرمل بالأشياء المغيبة فأجاب بأن هذا كله تخمين لا حقيقة له وما يوافق قولهم من الحوادث فإنه يقع على سبيل الاتفاق وعلم الرمل ينسب إلى إدريس عليه السلام وليس بمحقق ولكنه جرى لنا وقائع غريبة عجيبية وامتحانات طابقت حكمه لكن لا يثمر ذلك علما محققا^(٢) انتهى.

وأقول: إذا أحطت خبرا بما تلونا عليك من الأخبار والأقوال لا يخفى عليك أن القول باستقلال النجوم في تأثيرها بل القول بكونها علة فاعلية بالإرادة والاختيار وإن توقف تأثيرها على شرائط كفر ومخالفة لضرورة الدين والقول بالتأثير الناقص يحتمل وجهين الأول: تأثيرها بالكيفية كحرارة الشمس وإضاءتها وسائر الكواكب وتبريد القمر فلا سبيل إلى إنكار ذلك لكن الكلام في أنها مؤثرات أو معدات لتأثير الرب سبحانه أو أنه تعالى أجرى العادة بخلق الحرارة أو الضوء عقيب محاذاة الشمس مثلا والأكثر على الأخير والثاني: كون حركاتها وأوضاعها ومقارنتها و اتصالها مؤثرة ناقصة في خلق الحوادث على أحد الوجوه الثلاثة المتقدمة فلا ريب أن القول به فسق وقول بما لا يعلم ولا دليل يدل عليه من عقل ولا نقل بل ظواهر الآيات والأخبار خلافه والقول به جرأة على الله. وأما أنه ينتهي إلى حد الكفر فيشكل الحكم به وإن لم يكن مستبعدا والكراحيكي ره لم يفرق فيما مر^(٣) بين هذا الوجه والوجه الأول وإنما النزاع في الثاني دون الأول وأما كونها أمارات وعلامات جعلها الله دلالة على حدوث الحوادث في عالم الكون والفساد فغير بعيد عن السداد وقد عرفت أن كثيرا من الأخبار تدل على ذلك وهي إما مفيدة للعلم العادي لكنه مخصوص ببعض الأنبياء والأئمة عليهم السلام ومن أخذها منهم لأن الطريق إلى العلم بعدم ما يرفع دلالتها من وحي أو إلهام والإحاطة بجميع الشرائط والموانع والقوابل مختصة بهم أو مفيدة للظن وقوع مدلولاتها مشروط بتحقق شروط ورفع موانع وما في أيدي الناس ليس ذلك العلم أصلا أو بعضه منه لكنه غير معلوم بخصوصه ولا يفيد العلم قطعا وإفادته نوعا من الظن مشكوك فيه.

وأما تعليمه وتعلمه والعمل به فأقسام منها استخراج التقاويم والإخبار بالأموال الخفية أو المستقبلية وأخذ الطوائع والحكم بها على الأعمار والأحوال والظاهر حرمة ذلك لشمول النهي له وما ورد أنها دلالات وعلامات لا يدل على التجويز لغير من أحاط علمه بجميع ذلك من المعصومين عليهم السلام وما دل على الجواز فأخبار أكثرها ضعيفة ويمكن حمل بعضها على التقية بشيوع العمل بها في زمن خلفاء الجور والسلاطين في أكثر الأعصار وتقرّب المنجمين عندهم وربما يومئ بعض الأخبار إليه ويمكن حمل أخبار النهي على الكراهة الشديدة والجواز على الإباحة أو حمل أخبار النهي على ما إذا اعتقد التأثير والجواز على عدمه كما فعله السيد بن طاوس ره وغيره لكن الأول أظهر وأحوط.

ومنها الاعتناء بالساعات المسعودة والمنحوسة واختيار الأول لارتكاب الأعمال والشروع فيها والاحتراز عن الثانية وهذا أيضا يحتمل الكراهة والحرمة وما ورد من رعاية العقرب والمحاق في التزويج والسفر فلا دلالة فيه على العموم مع أنك قد عرفت أن اصطلاح البروج في الأخبار الظاهر أنه غير اصطلاح المنجمين وأما سعادة الكواكب والبروج ونحوستها فتحتمل الأخبار الواردة فيها أمرين أحدهما أن يكون لها سعادة ونحوسة واقعية لكن ترتفع النحوسة بالتوكل والدعاء والصدقة والتوسل بالله تعالى ونحن إنما أمرنا بتلك الأمور لا برعاية الساعات وثانيهما أن يكون تأثيرها من جهة الطيرة لما اشتهر بين الناس من نحوسة تلك الساعات وإنما يتأثر بها من يتأثر من الطيرة ممن ضعف توكلهم واعتمادهم على ربهم ولهم عقول ضعيفة ونفوس دنية يتأثرون بأدنى شيء ويومئ إليه قول أمير المؤمنين عليه السلام عند خبر المنجم اللهم لا طير إلا طيرك فعلى الوجهين الأولي لمن قويت نفسه وصدق في

(١) في المصدر: «ولو سلم لم يضر في التكليف بالصلاة وسؤال الله ردّ النور. بأن أمثال هذه الأفعال مستندة إلى الله تعالى بالاختيار، فحُسن الدعاء والصلاة في طلب ردّ النور».

(٢) أجوبة المسائل المهنية الثالثة ص ١٤٤ و ١٤٥، مسألة ٩ و ١٠.

(٣) مّا نقله ابن طاوس عن كتاب كنز الفوائد للكراحيكي هذا قبل قليل علما بأننا لم نعرّض على ما مرّ من كلام الكراحيكي هذا في كنز الفوائد.

توكله على ربه أن لا يلتفت إلى أمثال ذلك ويتوسل بجانبه تعالى في جميع أموره و يطلب منه الخيرة. و قد روي عن الصادق عليه السلام أن الطيرة على ما جعلها إن هونتها تهونت وإن شددتها تشددت وإن لم تجعلها شيئاً لم تكن شيئاً. و عنه عن أبيه عليه السلام قال قال النبي صلى الله عليه وآله أوحى الله عز و جل إلى داود عليه السلام كما لا تضيق الشمس على من جلس فيها كذلك لا تضيق رحمتي على من دخل فيها و كما لا تضر الطيرة من لا يتطير منها كذلك لا ينجو من الفتنة المتطرون. و سيأتي القول فيها في الباب الآتي.

و منها تعليم هذا العلم بوجهيه المتقدمين و تعلمه و النظر و التفكير فيه و هو أيضا يحتمل الحرمة و الكراهة و احتمال الكراهة هنا أقوى مما سبق.

و منها علم الهيئة و النظر في هياث الأفلاك و حركاتها و جوازها لا يخلو من قوة إذا لم يعتقد فيه ما يخالف الآيات و الأخبار كتطبيق الأفلاك و لم يجزم بما لا برهان عليه و إنما قال به على سبيل الاحتمال و أما ما ذكره الشهيد ره من استحباب النظر في علم الهيئة^(١) فإنما هو إذا ثبتت مطابقة قواعده لما هي عليها في نفس الأمر و عدم اشتماله على قاعدة مخالفة لما ظهر من الشريعة و إلا فيكون بعضها داخلا في القول بغير علم أو فيما حرم اتباعه لمخالفة الشريعة و أما الآيات الدالة على التفكير في خلق السماوات و الأرض فالظاهر أن المراد بها التفكير فيها من جهة دلالتها على وجود الصانع و علمه و قدرته و حكمته لا من جهة نضدها و ترتيبها و كيفيات حركاتها و إن احتمل شمولها لها أيضا.

و منها الحكم بالكسوف و الخسوف و أوائل الأهلة و المحاق و أشباه ذلك فالظاهر جوازها و إن كان الأحوط اجتناب ذلك أيضا فإن الأحكام الشرعية فيها مبتنية على الرؤية لا على أحكام المنجمين بذلك و بالجملة ينبغي للمتدين المتبع لأهل بيت العصمة عليه السلام المدعي لكونه شيعة لهم مقتديا لأثارهم أن لا يتعرض لشيء من ذلك إلا في قليل منه يتعلق بمعرفة أوقات الصلوات و سائر العبادات و تعيين جهة القبلة و أشباه ذلك و لو كانت هذه العلوم و الأعمال مما له مدخلة في صلاح الدين لأمر أئمتنا عليه السلام شيعتهم بذلك و رغبوهم فيها و حثوهم عليها و علموهم قواعدها و لم ينقل من عادة أهل البيت عليه السلام و سيرتهم الرجوع إلى الساعات و استعلامها أو بيانها لشيعتهم و احترازهم عن ساعة بسبب أنها تحس بحسب النجوم بل كانوا يأمرونهم بالصدقة و الدعاء و التضرع و التوسل إلى الله سبحانه في الاحتراز عن البلايا و الآفات و المنحوسة من الساعات و في هذه الأزمان تركوا جميع ذلك و اكتفوا بالرجوع إلى التقاويم و أصحاب النجوم و اتكلوا عليها و أيضا لعلمهم بإخبار المنجمين بأوقات الكسوفات و الخسوفات لا يحصل لهم في وقوعها فزع و لا يتضرعون إلى الله في رفعها و دفع شرها مع أنه يصير في أكثر الناس سببا للقول بتأثير النجوم و حياتها و تدبيرها في العالم أعاذنا الله و سائر المؤمنين من ذلك و إنما أطبنا الكلام قليلا في هذا المقام لكثرة ولوع الناس بهذا العلم و العمل به و تقريبهم إلى الملوك بذلك فيوقعون الناس به في المهالك و الله العاصم من فتن المبتدعين و الهادي إلى الحق و اليقين.

باب ١٢

آخر في النهي عن الاستمطار بالأنواء و الطيرة و العدوى

الآيات:

النمل: ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَ بَعَثْنَا مَعَكَ فَالْطَّيْرُ كُفَّ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾^(٢)
يس: ﴿قَالُوا إِنَّا طَطَّيْرُنَا بِكُمْ لَيْنٌ لَمْ نَبْهَتْهُمُ أَنْ تَرْجُمْكُمْ وَ لِيَمْسَسَكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ إِنَّ دُكْرُكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾^(٣)

الواقعة: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ (١)

تفسير: ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِعَنِّكَ﴾ أي تشأنا بكم إذ تابعت علينا الشدائد من القحط وغيره و وقع بيننا الافتراق بما اخترعتم من دينكم ﴿قَالَ طَائِفٌ مِّنْكُم﴾ أي سبيكم الذي جاء منه شركم عند الله و هو قضاؤه و قدره أو أعمالكم السيئة المكتوبة عنده ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ أي تختبرون بتعاقب السراء و الضراء و فيه دلالة على أنه لا أصل للطيرة و أن ما يقع من الخير و الشر بقدر الله مترتباً على الأعمال الحسنة و السيئة كما قال ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ (٢) قال صاحب الكشف كان الرجل يخرج مسافراً فيمر بطير فيزجره و إن مر سانحاً تيمن و إن مر بارحاً تشأم فلما نسبوا الخير و الشر إلى الطائر استعير لما كان سبباً للخير و الشر و هو قدر الله و قسمته (٣) ﴿إِنَّا طَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ قال البضاوي تشأنا (٤) بكم و ذلك لاستغرابهم ما ادعوه و استباحهم له و تنفهم عنه ﴿لَنْ يَنْتَهُوا﴾ عن مقاتلهم هذه ﴿طَائِفٌ مِّنْكُمْ مَّعَكُمْ﴾ سبب شومكم معكم و هو سوء عقيدتكم و أعمالكم ﴿إِنْ دُكِّرْتُمْ﴾ وعظمت به و جواب الشرط محذوف مثل «تطيرتم» أو توعدتكم بالرجم و التعذيب ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ قوم عادتكم الإسراف في العصيان فمن ثم جاءكم الشوم أو في الضلال و لذلك توعدتكم و تشأتم بمن يجب أن يكرم و يتبرك به (٥)

٣١٣
٥٨

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ قال الطبرسي ره أي و تجعلون حظكم من الخير الذي هو كالرزق لكم أنكم تكذبون به و قيل و تجعلون شكر رزقكم التكذيب عن ابن عباس قال أصاب الناس عطش في بعض أسفاره فدعا الله فسقوا فسمع رجلاً يقول مطرنا بنوء كذا فنزلت الآية و قيل معناه و تجعلون حظكم من القرآن الذي رزقكم الله التكذيب به عن الحسن (٦) و قرأه علي (٧) و ابن عباس و رويت عن النبي (٨) و تجعلون شكركم (٩) فالمعنى تجعلون مكان الشكر الذي يجب عليكم التكذيب و قد يكون المعنى و تجعلون شكر رزقكم التكذيب (٨) قال ابن جني هو على و تجعلون بدل شكركم (٩)

١- تفسير علي بن إبراهيم: عن محمد بن أحمد بن ثابت عن الحسن بن محمد بن ساعة و أحمد بن الحسن القزاز جميعاً عن صالح بن خالد عن ثابت بن شريح عن أبان بن تغلب عن عبد الأعلى الثعلبي و لا أراني إلا و قد سمعته من عبد الأعلى عن أبي عبد الرحمن السلمي أن علياً (١٠) قرأ بهم الواقعة ﴿وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ فلما انصرف قال إني قد عرفت أنه سيقول قائل لم قرأ هكذا قراءتها إني سمعت رسول الله (١١) يقرأها كذلك و كانوا إذا مطروا قالوا مطرنا (١٢) بنوء كذا و كذا فأنزل الله ﴿وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ (١٣)

٢- و عن علي بن الحسين عن أحمد بن أبي عبد الله عن أبيه عن ابن أبي عمير عن أبي بصير عن أبي عبد الله (١٤) في قوله ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ (١٥) قال بل هي ﴿وَتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ (١٦)

٣١٤
٥٨

توضيح: قوله و لا أراني كلام ثابت أي أظن أنني سمعت الحديث من عبد الأعلى بغير توسط أبان و قال الجزري في النهاية فيه ثلاث من أمر الجاهلية الطعن في الأنساب و النياحة و الأنواء و قد تكرر ذكر النوء و الأنواء في الحديث و منه الحديث مطرنا بنوء كذا و الأنواء هي ثمان و عشرون منزلة ينزل القمر في كل ليلة في منزلة منها و منه قوله تعالى ﴿وَالْقَمَرُ قَدْرُ نَاهُ مَنَازِلَ﴾ (١٧) يسقط في المغرب كل ثلاث عشر ليلة منزلة مع طلوع الفجر و تطلع أخرى مقابلتها ذلك الوقت في المشرق فتقتضي جميعها مع انقضاء السنة و كانت العرب تزعم أن مع سقوط المنزلة و طلوع رقيبها يكون مطر و ينسبونه إليها فيقولون مطرنا بنوء كذا و إنما سمي نوءاً لأنه إذا سقط الساقط منها

(٢) سورة الشورى: آية: ٣٠.

(٤) في المصدر: «تشاء منا».

(٦) مجمع البيان ج ٩ ص ٢٢٦.

(٨) في المصدر إضافة: «فحذف المضاف و قال».

(١٠) في المصدر: «وكانوا إذا أمطروا قالوا: أمطرتنا».

(١٢) سورة الواقعة: آية: ٨٢.

(١٤) سورة يس: آية: ٣٩.

(١) سورة الواقعة: آية: ٨٢.

(٣) الكشف ج ٣ ص ٣٧١.

(٥) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٢٧٩.

(٧) مجمع البيان ج ٩ ص ٢٢٤.

(٩) مجمع البيان ج ٩ ص ٢٢.

(١١) تفسير القمي ج ٢ ص ٣٤٩ - ٣٥٠.

(١٣) تفسير القمي ج ٢ ص ٣٤٩ - ٣٥٠.

بالمغرب ناء الطالع بالمشرق يقال ناء ينوء نوء أي نهض و طلع و قيل أراد بالنوء الغروب و هو من الأضداد قال أبو عبيد لم نسع في النوء أنه السقوط إلا في هذا الموضع وإنما غلط النبي ﷺ في أمر الأنواء لأن العرب كانت تنسب المطر إليها فأما من جعل المطر من فعل الله تعالى وأراد بقوله مطرنا بنوء كذا أي في وقت كذا و هو هذا النواء الفلاني فإن ذلك جائز أي إن الله قد أجرى العادة أن يأتي المطر في هذه الأوقات^(١) انتهى. و قال ابن العربي من انتظر المطر منها على أنها فاعلة من دون الله أو يجعل الله شريكا فيها فهو كافر و من انتظره منها على إجراء العادة فلا شيء عليه^(٢) و قال النووي لكنه يكره لأنه شعار الكفر و موهم له^(٣)

٣- معاني الأخبار: عن ابن عقدة^(٤) عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن محمد بن حمران عن أبيه عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر^(٥) قال ثلاثة من عمل الجاهلية الفخر بالأنساب و الطعن في الأحساب و الاستسقاء بالأنواء.

قال الصدوق ره أخبرني محمد بن هارون الزنجاني عن علي بن عبد العزيز عن أبي عبيد أنه قال سمعت عدة من أهل العلم يقولون إن الأنواء ثمانية وعشرون نجما معروفة المطالع في أزمنة السنة كلها من الصيف و الشتاء و الربيع و الخريف يسقط منها في كل ثلاث عشرة ليلة نجم في المغرب مع طلوع الفجر و يطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته و كلاهما معلوم مسمى و انقضاء هذه الثمانية و العشرين كلها مع انقضاء السنة ثم يرجع الأمر إلى النجم الأول مع استئناف السنة المقبلة و كانت العرب في الجاهلية إذا سقط منها نجم و طلع آخر قالوا لا بد أن يكون عند ذلك رياح و مطر فينسبون كل غيث يكون عند ذلك إلى ذلك النجم الذي يسقط حينئذ فيقولون مطرنا بنوء الثريا و الدبران و السماك و ما كان من هذه النجوم فعلى هذا فهذه هي الأنواء واحدا نوء و إنما سمي نوءا لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق بالطلوع و هو ينوء نوءا و ذلك النهوض هو النوء فسمي النجم به و كذلك كل ناهض ينتقل بابطاء فإنه ينوء عند نهوضه قال الله تبارك و تعالى ﴿لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ﴾^(٥)

٤- و منه: عن محمد بن هارون الزنجاني عن علي بن عبد العزيز عن أبي عبيد القاسم بن سلام بأسانيد متصلة إلى النبي ﷺ قال نهى^(٦) عن ذبائح الجن و ذبائح الجن أن يشتري الدار أو يستخرج العين أو ما أشبه ذلك فيذبح له ذبيحة للطيرة.

قال أبو عبيد معناه أنهم كانوا يتطيرون إلى هذا الفعل مخافة إن لم يذبحوا أو يطعموا أن يصيبهم فيها شيء من الجن فأبطل النبي ﷺ هذا و نهى عنه^(٧).

٥- و قال^(٨) لا توردن^(٩) ذو عاعة على مصح يعني الرجل يصيب إبله الجرب أو الداء فقال لا توردنها^(٩) على مصح و هو الذي إبله و ماشيته صحاح بريئة من العاعة قال أبو عبيد وجهه عندي و الله أعلم أنه خاف أن ينزل بهذه الصحاح من الله عز و جل ما نزل بتلك فيظن المصح أن تلك أعدتها فيأثم في ذلك^(١٠).

٦- الخصال: عن أبيه عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن الحسن بن أبي الحسين الفارسي عن سليمان بن جعفر البصري عن عبد الله بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جعفر بن محمد عن آبائه عن علي^(١١) قال قال رسول الله ﷺ أربعة لا تزال في أمتي إلى يوم القيامة الفخر بالأحساب و الطعن في الأنساب و الاستسقاء بالنجوم و النياحة^(١٢) الخبر.

(١) النهاية ج ٥ ص ١٢٢.

(٢) شرح صحيح مسلم ج ٢ ص ٦١ باب كفر من قال مطرنا بالنوء.

(٣) في المصدر: «أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني، عن علي بن إبراهيم».

(٤) معاني الأخبار ص ٣٢٦ باب (معنى الأنواء) حديث ١، والآية من سورة القصص: ٧٦.

(٥) في المصدر: «ونهن».

(٦) معاني الأخبار ص ٢٨٢ باب (معنى المحاقلة و بيع الحصة و غير ذلك من المناهي).

(٧) في المصدر: «لا يوردن».

(٨) في المصدر: «لا يوردن».

(٩) معاني الأخبار ص ٢٨٢ باب (معنى المحاقلة و بيع الحصة و غير ذلك من المناهي).

(١٠) الخصال ج ١ ص ٢٢٦ باب الأربعة، حديث ٦٠.

٧- الخواص: روي أنه في وقعة تبوك أصاب الناس عطش فقالوا يا رسول الله لو دعوت الله لسقانا فقال ﷺ لو دعوت الله لسقيت قالوا يا رسول الله ادع لنا ليسقينا فدعا فسالت الأودية فإذا قوم على شفير الوادي يقولون مطرنا بنوء الذراع و بنوء كذا فقال رسول الله ﷺ (١) ألا ترون فقال خالد ألا أضرب أعناقهم فقال رسول الله ﷺ يقولون هكذا و هم يعلمون أن الله أنزله. (٢)

بيان: يدل على حرمة هذا القول أو الكراهة الشديدة وأنه لا يصير سببا للكفر مع عدم الاعتقاد بكونها مؤثرة وأن هذا الاعتقاد كفر يوجب الارتداد واستحقاق القتل.

٨- العياشي: عن يعقوب بن شبيب قال سألت أبا عبد الله ع عن قوله تعالى ﴿وَمَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ (٣) قال كانوا يقولون منظر بنوء كذا و بنوء كذا و منها أنهم كانوا يأتون الكهان فيصدقونهم بما يقولون. (٤)

بيان: قال الطبرسي ر في قوله تعالى ﴿وَمَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ اختلف في معناه على أقوال: أحدها: أنهم مشركو قريش كانوا يقرون بالله خالقا و محيا و مميتا و يعبدون الأصنام و يدعونها آلهة عن ابن عباس (٥) و ثانيها: أنها نزلت في مشركي العرب إذا سئلوا من خلق السماوات و الأرض و ينزل القطر (٦) قالوا الله ثم هم يشركون كانوا يقولون في تسليتهم لييك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه و ما ملك (٧) و ثالثها: أنهم أهل الكتاب آمنوا بالله و اليوم الآخر و التوراة و الإنجيل ثم أشركوا بإنكار القرآن و إنكار نبوة نبينا ﷺ و هذا القول مع ما تقدم رواه دارم بن قبيصة عن الرضا عن جده أبي عبد الله ع و رابعها: أنهم المناقون يظهرن الإيمان و يشركون في السر و خاصتها: أنهم المشبهة آمنوا في الجملة و أشركوا بالتفصيل عن ابن عباس أيضا و سادسها: أن المراد بالإشراك شرك الطاعة لا شرك العبادة أطاعوا الشيطان في المعاصي التي يرتكبونها مما أوجب الله عليها النار فأشركوا بالله في طاعته و لم يشركوا في عبادته (٨) فيعبدون معه غيره عن أبي جعفر ع و روي عن أبي عبد الله ع أنه قال قول الرجل لو لا فلان لهلكت و لو لا فلان لضاع عيالي جعل لله شريكا في ملكه يرزقه و يدفع عنه فقيل له لو قال لو لا أن من الله علي بفلان لهلكت قال لا بأس بهذا. و في رواية زرارة و محمد بن مسلم و حمران عنهما ع أنه شرك النعم. و روي محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الرضا ع قال إنه شرك لا يبلغ به الكفر. (٩) انتهى.

و أقول: ما ورد في الخبر قريب من الوجه الأخير و يدل على حرمة الاعتقاد بالتجوم و الكهانة.

٩- الكافي: عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن ابن محبوب عن النضر بن قرواش الجمال قال سألت أبا عبد الله ع عن الجمال يكون بها الجرب أعزلها من إبلي مخافة أن يعديها جربها و الدابة ربما صفرت لها حتى تشرب الماء فقال أبو عبد الله ع إن أعرابيا أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إنني أصيب الشاة و البقرة و الناقة بالثمن اليسير و بها جرب فأكره شراءها مخافة أن يعدي ذلك الجرب إبلي و غنمي فقال له رسول الله ﷺ يا أعرابي فمن أعدى الأول ثم قال رسول الله ﷺ لا عدوى و لا طيرة و لا هامة و لا شوم و لا صفر و لا رضاع بعد فصال و لا تعرب بعد هجرة و لا صمت يوما إلى الليل و لا طلاق قبل نكاح و لا عتق قبل ملك و لا يتم بعد إدراك. (١٠)

إيضاح: قوله ﷺ لا عدوى قال في النهاية فيه لا عدوى و لا صفر العدوى اسم من الإعداء كالعدوى و التقوى من الإدعاء و الاتقاء يقال أعداء الداء يعدي به إعداء و هو أن يصيبه مثل ما بصاحب الداء و ذلك أن يكون ببعير جرب مثلا فتنتقي مخالطته بإبل أخرى حذرا أن يتعدى إليها ما به من الجرب فيصيبها ما أصابه و قد أبطله الإسلام لأنهم كانوا يظنون أن المرض بنفسه يتعدى

(١) في المصدر إضافة: «لا هم».

(٢) الخواص و الجرائع ج ١ ص ٩٨ و ٩٩ فصل (في معجزات نبينا محمد صلى الله عليه و آله). حديث ١٦٠.

(٤) تفسير العياشي ج ٢ ص ١٩٩، حديث ٩١، باختلاف يسير.

(٦) في المصدر: «المطر» بدل «القطر».

(٨) في المصدر: «ولم يشركوا بالله شرك عبادة».

(١٠) الكافي ج ٨ ص ١٩٦، حديث ٢٣٤.

(٣) سورة يوسف، آية: ١٠٦.

(٥) في المصدر إضافة: «والجاني».

(٧) في المصدر إضافة: «عن الضحاك».

(٩) مجمع البيان ج ٥ ص ٢٦٧ و ٢٦٨.

فأعلمهم النبي أنه ليس الأمر كذلك وإنما الله تعالى هو الذي يعرض وينزل الداء ولهذا قال في بعض الأحاديث فمن أعدى البعير الأول أي من أين صار فيه الجرب (١) انتهى.

وأقول: يمكن أن يكون المراد نفي استقلال العدوى بدون مدخلية مشيئة تعالى بل مع الاستعاذة بالله يصرفه عنه فلا ينافي الأمر بالفرار من المجدوم وأمثاله لعامة الناس الذين لضعف يقينهم لا يستعينون به تعالى وتآثر نفوسهم بأمثاله. وقد روي أن علي بن الحسين عليه السلام أكل مع المجدومين ودعاهم إلى طعامه وشاركهم في الأكل مع أنه يمكن أن يكون من خصائصهم عليه السلام لأن الله يعصمهم عن الأمراض المشيئة التي توجب نفرة الناس عنهم وقيل الجذام مستثنى من هذه الكلية أي عدم العدوى وقال الطيبي في شرح المشكاة (٢) العدوى مجاوزة العلة أو الخلق إلى الغير وهو يزعم الطب في سبع الجذام والجرب والجذري والحصبة والبخر والرمذ والأمراض الوبائية فأبطله الشرع أي لا تسري علته إلى شخص وقيل بل نفي استقلال تأثيره بل هو متعلق بمشيئة الله تعالى ولذا منع من مقارنته كمقاربة الجدار المائل والسفينة المعيبة وأجاب الأولون بأن النهي عنها للشفقة خشية أن يعتقد حقيقته إن اغتف إصابة عاهته وأرى هذا القول أولى لما فيه من التوفيق بين الأحاديث والأصول الطبية التي ورد الشرع باعتبارها على وجه لا يناقض أصول التوحيد (٣) انتهى.

ولا طيرة هذه أيضا مثل السابقة والمراد به النهي عن التطير والتشؤم بالأمر التي يحترز منها العوام أو لا تأثير للطيرة مطلقا أو على وجه الاستقلال بل مع قوة النفس وعدم التأثر بها والتوكل على الله تعالى يرتفع تأثيرها ويؤيد الأخير ما سيأتي وما ورد في بعض الأخبار الدالة على تأثيرها في الجملة وما ورد في بعض الأدعية من الاستعاذة منها قال الجزري في النهاية الطيرة بكسر الطاء وفتح الياء وقد تسكن هي التشؤم بالشيء وهو مصدر تطير يقال تطير طيرة كتخير خيرة ولم يجئ من المصادر هكذا غيرهما وأصله فيما يقال التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرهما فكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم فنفاه الشرع وأبطله ونهى عنه وأخبر أنه ليس له تأثير في جلب نفع ودفع ضرر ومنه الحديث ثلاث لا يسلم منها أحد الطيرة والحسد والظن قيل فما صنع قال إذا تطيرت فامض وإذا حسدت فلا تبغ وإذا ظننت فلا تحقق (٤).

وقال في قوله ولا هامة الهامة الرأس واسم طائر وهو المراد في الحديث وذلك أنهم كانوا يتشاءمون بها وهي من طير الليل وقيل هي البومة وقيل إن العرب كانت تزعم أن روح القاتل الذي لا يدرك بشاره تصير هامة فتقول اسقوني اسقوني فإذا أدرك بشاره طارت وقيل كانوا يزعمون أن عظام الميت وقيل روحه تصير هامة ويسمونه الصدى فنفاه الإسلام ونهاهم عنه (٥) انتهى وقيل هي البومة إذا سقطت على دار أحدهم رآها ناعية له أو لبعض أهله وهو يتخفيف الميم على المشهور وقيل بتشديدها.

وقوله ولا شؤم وكان تأكيد لما سبق قال الجزري فيه أيضا قال إن كان الشؤم في شيء ففي ثلاث المرأة والدار والفرس أي إن كان ما يكره ويخاف عاقبته ففي هذه الثلاث وتخصيصها لها لأنه لما أبطل مذهب العرب في التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء ونحوهما قال فإن كانت لأحدهم دار يكره سكنها أو امرأة يكره صحبتها أو فرس يكره ارتباطها فليفارها بأن ينتقل عن الدار ويطلق المرأة ويبيع الفرس وقيل إن شوم الدار ضيقها وسوء جارها وشوم المرأة أن لا تدل وشوم الفرس أن لا يغزى عليها والواو في الشؤم همزة ولكنها خفت فصارت واوا وغلب عليها التخفيف حتى لم ينطق بها مهيوزة والشؤم ضد اليمين يقال تشأمت بالشيء وتمنت (٦) به انتهى وقيل شوم المرأة غلاء مهرها وسوء خلقها وقال الخطابي من العامة هو مستثنى من الطيرة أي هي

(٢) في المصدر: «المشكاة».

(٤) النهاية ج ٣ ص ١٥٢.

(٦) النهاية ج ٢ ص ٥١٠ - ٥١١.

(١) النهاية ج ٣ ص ١٩٢.

(٣) لم نعر على شرح المشكاة هذا.

(٥) النهاية ج ٥ ص ٢٨٣.

منهية إلا في الثلاثة فليفارقتها^(١) وقال الطيبي ليس هو من باب التطير بل إرشاد بأن من يكره واحدا من الثلاثة يفارقتها ولذا جعل منه فرضا يقول إن يكن الطيرة^(٢) انتهى.

وأقول: هذا الأخير أظهر وورد الخبر في أخبارنا أيضا كما سيأتي في كتاب النكاح إن شاء الله.

ولا صفر قال في النهاية كانت العرب تزعم أن في البطن حية يقال له الصفر تصيب الإنسان إذا جاع وتؤذيه وأنها تعدي فأبطل الإسلام ذلك وقيل أراد به النسب الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية وهو تأخير المحرم إلى صفر ويجعلون صفر هو الشهر الحرام فأبطله^(٣) انتهى وقيل هو الشهر المعروف زعموا أنه تكثر فيه الدواهي والفتن فنفاه الشارع ويحتمل أن يكون المراد هنا النبي عن الصفر بقرينة أنه ﷺ لم يذكر الجواب عنه وهو بعيد والظاهر أن الراوي ترك جواب الصفر ويظهر من بعض الأخبار كراهته.

ولا رضاع بعد فصال وفي سائر الروايات بعد فطام أي لا حكم للرضاع بعد الزمان الذي يجب فيه قطع اللبن عن الولد أي بعد الحولين فلا ينشر الحرمة ولا تعرب بعد هجرة أي لا يجوز للقوق بالأعراب وترك الهجرة بعدها وعد في كثير من الأخبار من الكبائر ولا صمت يوما إلى الليل أي لا يجوز التعبد بصوم الصمت الذي كان في الأمم السابقة فإنه منسوخ في هذا الشرع بدعة ولا طلاق قبل نكاح كأن يقول إذا تزوجت فلانة فهي طالق فلا يتحقق هذا الطلاق وكذا قوله لا عتق قبل ملك.

ولا يتم بعد إدراك أي ترتفع أحكام اليتيم من حجره ولاية الولي عليه وحرمة أكل ماله بغير إذن وليه وغيرها بعد بلوغه وستأتي تفاصيل تلك الأحكام في محالها إن شاء الله تعالى.

١٠-الكافي: عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن النوفلي عن السكوني عن أبي عبد الله ﷺ قال قال رسول الله ﷺ كفارة الطير التوكل.^(٤)

بيان: أي التوكل على الله يرفع ذنب ما خطر بالبال من التشؤم بالأشياء التي نهي عن التشؤم بها أو أنه يرفع تأثير ذلك كما ترفع الكفارة تأثير الذنب قال الجزري ومنه الحديث الطيرة شرك وما منا^(٥) إلا ولكن الله يذهب بالتوكل هكذا جاء الحديث^(٦) مقطوعا ولم يذكر المستثنى أي إلا وقد يعتريه التطير وتسبق إلى قلبه الكراهة فحذف اختصارا واعتمادا على فهم السامع وإنما جعل الطيرة من الشرك لأنهم كانوا يعتقدون أن التطير يجلب لهم نفعاً أو يدفع عنهم ضرراً إذا عملوا بموجبه فكانهم أشركوه مع الله تعالى في ذلك وقوله ولكن الله يذهب بالتوكل معناه أنه^(٧) إذا خطر له عارض التطير فتوكل على الله تعالى وسلم إليه ولم يعمل بذلك الخاطر غفر الله تعالى له^(٨) ولم يؤاخذ به.^(٩)

١١-الكافي: عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن عبد الله بن المغيرة عن عمرو بن حريث قال قال أبو عبد الله ﷺ الطيرة على ما تجعلها إن هوتها تهوت وإن شددتها تشددت وإن لم تجعلها شيئا لم تكن شيئا.^(١٠)

١٢-ومنه: عن علي بن أبيه عن ابن أبي عمير عن أبي مالك الحضرمي عن حمزة بن حمران عن أبي عبد الله ﷺ قال ثلاثة لم ينج منها نبي فمن دونه التفكر في الوسوسة في الخلق والطيرة والحسد إلا أن المؤمن لا يستعمل حسده.^(١١)

١٣-الخصال: عن أبيه عن أحمد بن إدريس ومحمد بن يحيى العطار جميعا عن محمد بن أحمد بن يحيى

(١) لم نثر على كتاب الخطابي هذا.

(٢) النهاية ج ٣ ص ٣٥.

(٣) من المصدر.

(٤) من المصدر.

(٥) من المصدر.

(٦) الكافي ج ٨ ص ١٩٧، حديث ٢٣٥.

(٧) الكافي ج ٨ ص ١٠٨، حديث ٨٦.

(٨) الكافي ج ٨ ص ١٠٨، حديث ٨٦.

الأشعري بإسناده يرفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال ثلاث لم يعر منها نبي فمن دونه الطيرة والحسد والتفكر في الوسوسة في الخلق.

قال الصدوق ره معنى الطيرة في هذا الموضع هو أن يتطير منهم قومهم فأما هم عليهم السلام فلا يتطيرون وذلك كما قال الله عز وجل عن قوم صالح عليه السلام «فَأَلَا أُنَبِّئُكُمْ أَنَّ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ مَكَّ قُلُوبًا مِثْلَ بَيْنِكُمْ لَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» الآية (٢) وأما الحسد في هذا الموضع هو أن يحسدوا لا أنهم يحسدون غيرهم وذلك كما قال الله عز وجل «وَأَمْ يَحْسَدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا» (٣) وأما التفكير في الوسوسة في الخلق فهو بلوَاهم عليهم السلام بأهل الوسوسة لا غير ذلك وذلك كما حكى الله عن وليد بن المغيرة المخزومي «إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ» (٤) يعني قال للقرآن إن هذا إلهًا يسخر يؤثر إن هذا إلهًا قول البشّر (٥).

بيان: ما ذكره الصدوق ره وجه متين في الخبر الذي رواه في الخصال وأما سائر الأخبار المروية من طرق الخاصة والعامة المشتملة على التيمات فهذا الوجه لا يجري فيها إلا بتكلف كثير والظاهر أن المراد بالطيرة فيها انفعال النفس عما يتشام به أو تأثيرها واقعا وحصول مقتضاها الأول في المعصومين عليهم السلام أظهر بأن يخطر ببالهم الشريعة ثم يدفعوا أثرها بالتوكل وهذا لا ينافي العصمة وأما الحسد فظاهرها أن الحسد المركوز في الخاطر إذا لم يظهره الإنسان لم يكن معصية ولا استبعاد فيه فإنه في أكثر الخلق ليس باختيار ويمكن أن يراد به ما يعم القطة ويكون هذه هي العاصلة فيهم وأما التفكير في الوسوسة في الخلق فيحتمل وجهين:

الأول: أن يراد به التفكير فيما يحصل في نفس الإنسان في خالق الأشياء وكيفية خلقها ومنها ربط الحوادث بالقديم وخلق أعمال العباد ومسألة القضاء والقدر والتفكر في الحكمة في خلق بعض الشرور في العالم كل ذلك من غير استقرار في النفس وحصول شك بسببها. كما روى الكليني بإسناده عن محمد بن حمران قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الوسوسة (٦) فقال لا شيء فيها تقول لا إله إلا الله. (٧)

وإسناده عن جميل بن دراج عن أبي عبد الله عليه السلام قال قلت له إنه يقع في قلبي أمر عظيم فقال قل لا إله إلا الله فقال جميل فكلما وقع في قلبي شيء قلت لا إله إلا الله فذهب عني. (٨)

وإسناده عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال يا رسول الله هلكت فقال له أتاك الخبيث فقال لك من خلقك فقلت الله فقال لك الله من خلقه فقال إي والذي يبعثك بالحق لكان كذا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ذاك والله محض الإيمان. قال ابن أبي عمير فحدث بذلك عبد الرحمن بن الحجاج فقال حدثني (٩) أبو عبد الله عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله إنما عني بقوله هذا والله محض الإيمان خوفة أن يكون قد هلك حيث عرض له ذلك في قلبه. (١٠)

وقد روت العامة في أصحابهم أنه سئل النبي صلى الله عليه وآله عن الوسوسة فقال تلك محض الإيمان. وفي رواية أخرى يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا وكذا حتى يقول من خلق ربك فإذ بلغ ذلك فليستعذ بالله وليتته.

الثاني: أن المراد بالخلق المخلوقات والتفكر فيهم بالوسوسة التفكير وحديث النفس بعبودهم وتفقيش أحوالهم ويؤيد هذا الوجه ما رواه الجزري في النهاية وتقلناه آنفا.

(٢) سورة النمل، آية: ١٨.

(١) سورة النمل، آية: ٤٧.

(٣) سورة النساء، آية: ٥٤.

(٤) سورة المدثر، آية: ١٨ - ١٩.

(٦) في المصدر إضافة: «وإن كثرت».

(٥) الخصال ج ١ ص ٨٩ - ٩٠ باب الثلاثة، حديث ٢٧.

(٧) الكافي ج ٢ ص ٤٢٤ باب «الوسوسة وحديث النفس»، حديث ١.

(٨) الكافي ج ٢ ص ٤٢٤ باب «الوسوسة وحديث النفس»، حديث ٢.

(٩) حديث أبي، عن أبي عبد الله.

(١٠) الكافي ج ٢ ص ٤٢٥ باب «الوسوسة وحديث النفس»، حديث ٣.

١٤-الخصال: عن أحمد بن محمد بن يحيى العطار عن سعد بن عبد الله عن يعقوب بن يزيد عن حماد بن عيسى عن حريز بن عبد الله عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ رفع عن أمتي تسعة الخطاء والنسيان وما أكرهوا عليه وما لا يعلمون وما لا يطيقون وما اضطروا إليه والحسد والطيرة والتفكر في الوسوسة في الخلق ما لم ينطق بشقة. (١)
الفقيه: عن النبي ﷺ مرسلًا مثله. (٢).

بيان: لعل قوله ﷺ ما لم ينطق بشقة قيد للثلاثة الأخيرة وقد مر شرح الخبر بتمامه في كتاب العدل.

١٥-الكافي: عن عدة من أصحابه عن أحمد بن محمد بن خالد عن بكر بن صالح عن سليمان الجعفري عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال الشؤم للمسافر في طريقه خمسة أشياء الغراب الناتق (٣) عن يمينه والناشر لذنبه والذئب العاوي الذي يعوي في وجه الرجل وهو مقع على ذنبه (٤) ثم يرتفع ثم ينخفض ثلاثا والظبي السانح عن (٥) يمين إلى شمال والبومة الصارخة والمرأة الشمطاء تلقى (٦) فرجها والأتان العضباء يعني الجدعاء فمن أوجس في نفسه منهن شيئا فليقل اعتصمت بك يا رب من شر ما أجد في نفسي (٧) فيصم من ذلك. (٨)

الخصال: عن محمد بن الحسن بن الوليد عن محمد بن الحسن الصفار عن أحمد بن محمد بن محمد مثله إلى قوله من شر ما أجد في نفسي فاعصمني من ذلك. (٩)

بيان: الشؤم للمسافر أي ما يتشأم به الناس وربما تؤثر بتأثر النفس بها ويدفع ضررها بالتوكل والدعاء المذكور في الخبر وغيره كما مر في الطيرة قوله ﷺ خمسة كذا في الخصال والمحاسن وأكثر نسخ الفقيه وفي بعضها سبعة وفي بعضها ستة وفي الفقيه والكلب الناشر وفي الخصال كالكافي والناشر فيكون نوعا آخر لشؤم الغراب وفي المحاسن (١٠) بدون الواو أيضا فيكون صفة أخرى للغراب فقد ظهر أن الظاهر على بعض النسخ ستة وعلى بعضها سبعة فالخمس إما من تصحيف النساخ أو مبني على عد الثلاثة المصوتة واحدة أو عد الكلب والذئب واحدا لأنهما من السباع والغراب والبوم واحدا لأنهما من الطير ويمكن عطف المرأة على بعض النسخ والأتان على بعضها على الخمسة فيكون أفراد الخمسة لشهرتها بينهم أو لزيادة شؤمها.

قوله ﷺ وهو مقع يقال أقعى الكلب إذا جلس على استه مفترشا رجليه وناصبا يديه والظاهر رجوع ضميري يرتفع وينخفض إلى الذئب ويقال إن هذا دأبه غالبا إذا لقي إنسانا يفعل ذلك لإثارة الغبار في وجهه وقبل هما يرجعان إلى صوته أو إلى ذنبه ولا يخفى بعدهما قوله ﷺ والظبي السانح قال في النهاية البارح ضد السانح فالسانح ما مر من الطير والوحش بين يديك من جهة يسارك إلى يمينك والعرب تنمين بذلك لأنه أمكن للرمي والصيد والبارح ما مر من يمينك إلى يسارك والعرب تطير به لأنه لا يمكنك أن ترميه حتى تنحرف (١١) ونحوه قال الجوهري (١٢) وغيره فالمراد بالسانح هنا المعنى اللغوي من قولهم سنح له أي عرض له وظهر وقال الكفعمي ره منهم من يتيمن بالبارح ويتشأم بالسانح كأهل الحجاز وأما التجديون فهم على العكس من ذلك.

والمرأة الشمطاء قال الجوهري الشمط يبيض شعر الرأس يخالط سواده والرجل أشمط والمرأة شمطاء (١٣) وقوله تلقى فرجها الظاهر عندي أنه كناية عن استقبالها إياك ومجيئها من قبل وجهك

(١) الخصال ج ٢ ص ٤١٧ باب التسعة، حديث ٩.

(٢) من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٣٦ باب ١٤ فيمن ترك الوضوء أو بعضه أو شك فيه، حديث ١٣٢.

(٣) في المصدر: «الناقع» بدل «الناتق».

(٤) في المصدر: «من» بدل «عن».

(٥) في المصدر: «تلقا» وكلا اللغتين فترهما المؤلف رحمه الله في «بيان» الآتي بعد هذا.

(٨) الكافي ج ٨ ص ٣١٤ و ٣١٥، حديث ٤٩٣.

(١٠) المحاسن ج ٢ ص ٨٤.

(٩) الخصال ج ١ ص ٢٧٢ باب الخمسة، حديث ١٤.

(١٢) الصحاح ج ١ ص ٣٧٦.

(١١) النهاية ج ١ ص ١١٤.

(١٣) الصحاح ج ٢ ص ١١٣٨.

فإن فرجها من قدامها وقال الفاضل أمين الدين الأسترآبادي ره الظاهر أن المراد من قوله تنلقاء فرجها أن تستقبلك بفرج خمارها فتعرف أنها شمطاء وقال غيره ممن لقيتها يحتمل أن يكون المراد افتراشها على الأرض من الإلقاء أو كناية عن كونها زانية ويحتمل أن يكون تتلقى فحذفت إحدى التاءين فالمراد مواجهتها لفرجها بأن تكون جالسة بحيث يواجه الشخص فرجها ولا يخفى بعد تلك الوجوه وركائنها والأثان العضباء المقطوعة الأذن ولذا فسرها بالجدعاء لئلا يتوهم أن المراد المشقوقة الأذن قال الجوهري ناقة عضباء أي مشقوقة الأذن^(١) وقال الفيروزآبادي العضباء الناقة المشقوقة الأذن ومن أذان الخيل الذي جاوز القطع ربعها^(٢) وقال الجعد كالمنع قطع الأنف أو الأذن أو اليد أو الشفة.^(٣)

١٦- الدر المنثور: عن ابن عباس قال مطر الناس على عهد رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر قالوا هذه رحمة وضعها الله وقال بعضهم لقد صدق نوء كذا فنزلت هذه الآية ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ حتى يبلغ^(٤) ﴿وَوَجَّعَلُونَ رَزَقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾.^(٥)

١٧- و عن ابن عباس أنه كان يقرأ وتجعلون شكركم أنكم تكذبون قال يعني الأثواء وما مطر قوم إلا أصبح بعضهم كافرا وكانوا يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا فأنزل الله ﴿وَجَّعَلُونَ رَزَقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾.^(٦)

١٨- و عن أبي خدره^(٧) قال نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار في غزوة تبوك ونزلوا^(٨) الحجر فأمرهم رسول الله ﷺ أن لا يحملوا من مائتها شيئا ثم ارتحل ثم نزل منزلا آخر وليس معهم ماء فمشكوا ذلك إلى النبي ﷺ فقام فضلى ركعتين ثم دعا فأرسل الله سحابة فأمرت عليهم حتى استقوا منها فقال رجل من الأنصار لآخر من قومه يتهم بالنفاق ويحك قد ترى ما دعا النبي ﷺ فأمر الله علينا السماء فقال إنما مطرنا بنوء كذا وكذا فأنزل الله ﴿وَجَّعَلُونَ رَزَقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾.^(٩)

١٩- و عن علي بن النبي ﷺ في قوله وَجَّعَلُونَ رَزَقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ قال شكركم تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا ونجم كذا وكذا.^(١٠)

٢٠- و عن أبي عبد الرحمن السلمي قال قرأ علي الواقعة في الفجر فقال وتجعلون شكركم أنكم تكذبون فلما انصرف قال إني قد عرفت أنه سيقول قائل لم قرأها هكذا إني سمعت رسول الله ﷺ يقولها كذلك كانوا إذا أمطروا^(١١) قالوا مطرنا بنوء كذا وكذا فأنزل الله وتجعلون شكركم أنكم إذا مطرتم به^(١٢) تكذبون.^(١٣)

٢١- و عن قتادة ﴿وَجَّعَلُونَ رَزَقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾^(١٤) قال أما الحسن فقال بش ما أخذ القوم لأنفسهم لم يرزقوا من كتاب الله إلا التكذيب قال وذكر لنا أن الناس أمحلوا على عهد نبي الله ﷺ فقالوا يا نبي الله لو استقيت لنا فقال عسى قوم أن سقوا أن يقولوا سقين بنوء كذا وكذا فاستسقى نبي الله ﷺ لهم فمطروا فقال رجل إنه قد كان بقي من الأثواء كذا وكذا فأنزل الله ﴿وَجَّعَلُونَ رَزَقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾.^(١٥)

٢٢- و عن أبي سعيد الخدري قال قال النبي ﷺ لو أمسك الله المطر عن الناس سبع سنين^(١٦) ثم أرسله لأصبحت طائفة كافرين قالوا هذه بنوء^(١٧) الدبران.^(١٨)

٢٣- و عن زيد بن خالد الجهني قال صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح من^(١٩) الحديبية في أثر سماء فلما

(٢) القاموس المحيط ج ١ ص ١٠٩.

(٤) في المصدر: «حتى بلغ».

(٦) الدر المنثور ج ٦ ص ١٦٢، والآية من سورة الواقعة: ٨٢.

(٨) في المصدر: «بالحجر».

(١٠) الدر المنثور ج ٦ ص ١٦٣.

(١٢) كلمة: «به» ليست في المصدر.

(١٤) في المصدر: «فقال» بدل «قال».

(١٦) عبارة: «سبع سنين» ليست في المصدر.

(١٨) الدر المنثور ج ٣ ص ١٦٣ و ١٦٤.

(١) الصحاح ج ١ ص ٨٤.

(٣) القاموس المحيط ج ٣ ص ٢١.

(٥) الدر المنثور ج ٦ ص ١٦٢، والآية من سورة الواقعة: ٨٢.

(٧) في المصدر: «مرزة» بدل «خدره».

(٩) الدر المنثور ج ٦ ص ١٦٣.

(١١) في المصدر: «إذا مطروا».

(١٣) الدر المنثور ج ٦ ص ١٦٣.

(١٥) الدر المنثور ج ٣ ص ١٦٣.

(١٧) في المصدر إضافة: «الذبح يعني».

(١٩) في المصدر إضافة: «زم».

سلم أقبل علينا فقال ألم تسمعوا ما قال ربكم في هذه الآية ما أنعمت على عبادي نعمة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين فأما من آمن بي وحمدني على سقايي فذلك الذي آمن بي وكفر بالكوكب^(١) ومن قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك الذي آمن بالكوكب وكفر^(٢) بي.

٢٤- وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال يوما لأصحابه هل تدرون ما ذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال إنه يقول إن الذين يقولون نستقي^(٣) بنجم كذا وكذا فقد كفر بالله وآمن بذلك النجم والذين يقولون سقانا الله فقد آمن بالله وكفر بذلك النجم.^(٤)

٢٥- وعن عبد الله بن سخير^(٥) أن سليمان بن عبد الملك دعاه فقال لو تعلمت علم النجوم فازددت إلى علمك فقال قال رسول الله ﷺ إن أخوف ما أخاف على أمتي التصديق بالنجوم والتكذيب بالقدر وظلم الأمة.^(٦)

٢٦- وعن جابر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول أخاف على أمتي ثلاثا استسقاء بالأثواء وحيف السلطان وتكذيبا بالقدر.^(٧)

٢٧- وعن معاوية الليثي قال قال رسول الله ﷺ يكون الناس مجدين فينزل الله عليهم رزقا من رزقه فيصبحون مشركين قيل له كيف ذاك يا رسول الله قال يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا.^(٨)

٢٨- وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال إن الله ليصبح القوم بالنعمة أو يمسهم بها فيصبح بها قوم كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا.^(٩)

٢٩- وعن ابن عباس قال ما مطر قوم إلا أصبح بعضهم كافرا يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وقرأ ابن عباس «و تجعلون شكركم أنكم تكذبون».^(١٠)

باب ١٣ ما يتعلق بالنجوم ويناسب أحكامها من كتاب دانيال ﷺ وغيره

١- قصص الراوندي: بإسناده عن الصدوق عن الحسين بن علي الصوفي عن حمزة بن القاسم العباسي عن جعفر بن محمد بن مالك الفزاري عن محمد بن الحسين بن زيد الزيات عن عمرو بن عثمان الخزاز عن عبد الله الفضل الهاشمي عن الصادق ﷺ قال كان في كتاب دانيال ﷺ أنه إذا كان أول يوم من المحرم يوم السبت فإنه يكون الشتاء شديد البرد كثير الريح يكثر فيه الجليد وتغلو فيه الحنطة وتقع فيه الوباء وموت الصبيان ويكثر الحمى في تلك السنة ويقل العسل وتكسر الكماة ويسلم الزرع من الآفات ويصيب بعض الأشجار آفة وبعض الكروم وتخضب السنة ويقع بالروم الموتان وغزوهم العرب ويكثر فيهم السبي والغنائم في أيدي العرب ويكون الغلبة في جميع المواضع للسلطان بمشية الله وإذا كان يوم الأحد أول المحرم فإنه يكون الشتاء صالحا ويكثر المطر ويصيب بعض الأشجار والزرع آفة ويكون أوجاع مختلفة وموت شديد ويقل العسل ويكثر في الهواء الوباء والموتان ويكون في آخر السنة بعض الغلاء في الطعام ويكون الغلبة للسلطان في آخره وإذا كان يوم الإثنين أول المحرم فإنه يكون الشتاء صالحا ويكون في الصيف حر شديد ويكثر المطر في أيامه ويكثر البقر والغنم ويكثر العسل ويرخص الطعام والأسعار في بلدان الجبال ويكثر الفواكه فيها ويكون موت النساء وفي آخر السنة يخرج خارجي على

(١) في المصدر إضافة: «أما».
(٢) في المصدر: «نستي» بدل «نستقي».
(٣) في المصدر: «محيريز» بدل «سخير».
(٤) الدر المنثور ج ٦ ص ١٦٤.
(٥) الدر المنثور ج ٦ ص ١٦٤.
(٦) الدر المنثور ج ٦ ص ١٦٤.
(٧) الدر المنثور ج ٦ ص ١٦٤.
(٨) الدر المنثور ج ٦ ص ١٦٤.
(٩) الدر المنثور ج ٦ ص ١٦٤.
(١٠) الدر المنثور ج ٦ ص ١٦٤.



السلطان بنواحي المشرق و يصيب بعض فارس غم و يكثر الزكام في أرض الجبل و إذا كان يوم الثلاثاء أول المحرم فإنه يكون الشتاء شديد البرد و يكثر الثلج و الجمد بأرض الجبل و ناحية المشرق و يكثر الغنم و العسل و يصيب بعض الأشجار و الكروم آفة و يكون بناحية المغرب و الشام آفة من حدث يحدث في السماء يموت فيه خلق و يخرج على السلطان خارجي قوي و تكون الغلبة للسلطان و يكون في أرض فارس في بعض الغلات آفة و تغلو الأسعار بها في آخر السنة و إذا كان يوم الأربعاء أول المحرم فإن الشتاء يكون وسطا و يكون المطر في القيط صالحا نافعا مباركا و تكثر الثمار و الغلات بالجيال كلها و ناحية جميع المشرق إلا أنه يقع الموت في الرجال في آخر السنة و يصيب الناس بأرض بابل و بالجيل آفة و يرخس الأسعار و تسكن مملكة العرب في تلك السنة و يكون الغلبة للسلطان و إذا كان يوم الخميس أول المحرم فإنه يكون الشتاء لنا و يكثر القمح و الفواكه و العسل بجميع نواحي المشرق و تكثر الحمى في أول السنة و في آخره و بجميع أرض بابل في آخر السنة و يكون للروم على المسلمين غلبة ثم تظهر العرب عليهم بناحية المغرب و يقع بأرض السند حروب و الظفر لملوك العرب و إذا كان يوم الجمعة أول المحرم فإنه يكون الشتاء بلا برد و يقل المطر و الأودية و المياه و تقل الغلات بناحية الجبال مائة فرسخ في مائة فرسخ و يكثر الموت في جميع الناس و يغلو الأسعار بناحية المغرب و يصيب بعض الأشجار آفة و يكون للروم على الفرس كرة شديدة. (١)

في علامات كسوف الشمس في الاثني عشر شهرا

إذا انكسفت الشمس في المحرم فإن السنة تكون خصيبة إلا أنه يصيب الناس أوجاع في آخرها و أمراض و يكون من السلطان ظفر و يكون زلزلة بعدها سلامة و إذا انكسفت في صفر فإنه يكون فزع و جوع في ناحية المغرب و يكون قتال في المغرب كثير ثم يقع الصلح في الربيع و الظفر للسلطان و إذا انكسفت في ربيع الأول فإنه يكون بين الناس صلح و يقل الاختلاف و الظفر للسلطان بالمغرب و يعز (٢) البقر و الغنم و يتسع في آخر السنة و يقع الوباء في الإبل بالبدو و إذا انكسفت في شهر ربيع الآخر فإنه يكون بين الناس اختلاف كثير و يقتل منهم خلق عظيم و يخرج خارجي على الملك و يكون فزع و قتال و يكثر الموت في الناس و إذا انكسفت في جمادى الأولى فإنه تكون السعة في جميع الناس بناحية المشرق و المغرب و يكون للسلطان إلى الرعية نظر و يحسن السلطان إلى أهل مملكته و يراعي جانبهم و إذا انكسفت في جمادى الآخرة فإنه يموت رجل عظيم بالمغرب و يقع ببلاد مصر قتال و حروب شديدة و يكون ببلاد المغرب غلاء في آخر السنة و إذا انكسفت في رجب فإنه تعمر الأرض و يكون (٣) أمطار كثيرة بالجيال و بناحية المشرق و يكون جراد بناحية فارس و لا يضرهم ذلك و إذا انكسفت في شعبان يكون سلامة في جميع الناس من السلطان و يكون للسلطان ظفر على أعدائه بالمغرب و يقع وباء في الجبال في آخر السنة و يكون عاقبته إلى سلامة و إذا انكسفت في شهر رمضان كان جملة الناس يطيعون عظيم فارس و يكون للروم على العرب كرة شديدة ثم يكون على الروم و يسبى منهم و يغنم و إذا انكسفت في الثوال فإنه يكون في أرض الهند و الزنج قتال شديد و يكثر نبات الأرض بالمشرق و إذا انكسفت في ذي القعدة فإنه يكون مطر كثير متواتر و يقع خراب بناحية فارس و إذا انكسفت في ذي الحجة فإنه يكون فيه رياح كثيرة و ينقص الأشجار و يقع بالأرض من المغرب سبع و خراب في كل أرض من ناحية المغرب و ينقص الطعام و يغلو عليهم و يخرج خارجي على الملك و يصيبه منه شدة و يقل طعام أهل فارس ثم يرخس في العام الثاني. (٤)

في علامات خسوف القمر طول السنة

إذا انكسفت القمر في المحرم فإنه يموت في المغرب (٥) رجل عظيم و ينتقص الفاكهة بالجيال و يقع في الناس حكة و يكثر الرمذ بأرض بابل و يقع الموت و يغلو أسعارها و يخرج خارجي على السلطان و الظفر للسلطان و يقتلهم و إذا انكسفت في صفر فإنه يكون جوع و مرض ببابل و بلادها حتى يتخوف على الناس ثم تكون أمطار كثيرة

(٢) في المصدر: «يضر» بدل «يعز».

(٤) قصص الراوندي ص ٢٣٤ - ٢٣٥.

(١) قصص الراوندي ص ٢٣٢ - ٢٣٤.

(٣) في المصدر: «تكون» بدل «يكون».

(٥) عبارة: «في المغرب» ليست في المصدر.

فيحسن نبات الأرض و حال الناس و يكون بالجبـال فاكهة كثيرة و إذا انكسف في شهر ربيع الأول فإنه يقع بالمغرب قتال و يصيب الناس يرقان و يكثر فاكهة البلاد بناحية ماء و يقع الدود في البقول بالجبـال و يقع خراب كثيرة بماء و إذا انكسف في شهر ربيع الآخر فإنه يكثر الأنداء بالجبـال و يكثر الخصب و المياه و تكون السنة مباركة و يكون للسلطان الظفر بالمغرب و إذا انكسف في جمادى الأولى فإنه تهراق دماء كثيرة بالبدو و يصيب عظيم الشام بلية شديدة و يخرج خارجي على السلطان و الظفر للسلطان و إذا انكسف في جمادى الآخرة فإنه تقل الأمطار و المياه بنيوى و يقع فيها جزع شديد و غلاء و يصيب ملك بابل إلى المغرب بلاء عظيم و إذا انكسف في رجب فإنه يكون بالمغرب موت و جوع و يكون بأرض بابل أمطار و يكثر و جع الأنف و العين في الأمصار و إذا انكسف في شعبان فإن الملك يقتل أو يموت و يملك ابنه و يغلو الأسعار و يكثر جوع الناس و إذا انكسف في شهر رمضان يكون بالجبـال برد شديد و ثلج و مطر و كثرت المياه و يقع بأرض فارس سباع كثيرة و يقع بأرض ماء موت كثير بالصبيان و النساء و إذا انكسف في شوال فإن الملك يغلب على أعدائه و يكون في الناس شر و بلية و إذا انكسف في ذي القعدة فإنه تفتح المدائن الشداد و تظهر الكنوز في بعض الأرضين و الجبال و إذا انكسف في ذي الحجة فإنه يموت رجل عظيم بالمغرب و يدعي فاجر الملك.

قال الراوندي ره و جميع ذلك إن صحت الروايات عن دانيال النبي ﷺ يجري مجرى الملاحم و الحوادث في الدنيا و علاماتها. و قد قال النبي ﷺ إذا أراد الله ب قوم خيراً أمطرهم بالليل و شمسهم بالنهار و قال ﷺ إذا غضب الله على أمة و لم ينزل بها العذاب غلت أسعارها و قصرت أعمارها و لم تريح تجارتها و لم تترك ثمارها و لم تغزر أنهارها و حبس عنها أمطارها و سلط عليها أشرارها و قال ﷺ إذا منعت الزكاة هلكت الماشية و إذا جار الحكام أمسك القطر من السماء و إذا خفرت الذمة نصر المشركون على المسلمين. و أمثلة ذلك كثيرة و الله أعلم بحقيقة ذلك. (٢)

بيان: قال في القاموس الجليل ما يسقط على الأرض من الندى فيجمد (٣) و قال الكـمـ نـبات معروف و الجمع أكـمـ و كـمـاء أو هي اسم للجمع أو هي للواحد و الكـمـ للجمع أو هي تكون واحدة و جمعا (٤) و قال بلاد الجبل مدن بين آذربيجان و عراق العرب و خوزستان و فارس (٥) و قال الماء قصبة البلد و الماهان الدينور و نهاوند أحدهما (٦) ماهة الكوفة و الآخر ماهة البصرة. (٧)

أقول: وجدت في بعض الكتب القديمة (٨) أخباراً طويلة في الملاحم و الأحكام تركتها لعدم الاعتماد على أسانيدها و إن كان مروياً بعضها عن الصادق ﷺ و بعضها عن دانيال ﷺ.

٢- الإختصاص: أعلم إذا قرنت الزهرة مع المريخ في برج واحد هلك ملك الروم أو يكون بالروم مصيبات عظيمة أو بـلايا و إذا قرنت مع زحل كان في العامة شدة و ضيق و إذا قرنت الزهرة (٩) المشتري أصاب الناس رخاء من العيش و إذا قرنت الزهرة (١٠) عطارد يكون إهراق الدماء و فتح عظيم و إذا قرن بهرام زحل (١١) في برج واحد ملك (١٢) حديث في أرض ذلك البرج و إذا اجتمع بهرام و المشتري (١٣) مات ملك عظيم الشأن و إذا اجتمع زحل و عطارد وقع في التجار الخوف و الحزن و كذلك في أهل الأدب و إذا اجتمع زحل و المشتري في برج واحد تغيرت الدنيا في سائر الأحوال و يتغير أمور الناس و تخرج الخوارج من النواحي كلها و خاصة من الجبلان و الديلم و الأكراد و يقتلون الناس قتلاً شديداً و يشتد الأمر عليهم من الخوف و الحزن و ترتفع السفلة شأنهم و تغير طبائع الناس كلهم و يذهب عنهم الحياء و الإنسانية (١٤) و يزيد فيهم كثرة الفساد خاصة في النساء و إسقاط الولادات أولاد

(٢) قصص الراوندي ص ٢٣٥ - ٢٣٧.

(٤) القاموس المحيط ج ١ ص ٢٨.

(٦) في المصدر: «إحداها ماء الكوفة والأخرى ماء البصرة».

(٨) لم نعرف هذا الكتاب.

(١٠) في المصدر إضافة: «مع».

(١) عبارة: «الأنف و» ليست في المصدر.

(٣) القاموس المحيط ج ١ ص ٢٩٤.

(٥) القاموس المحيط ج ٣ ص ٣٥٥.

(٧) قصص الراوندي ص ٢٣٥ - ٢٣٧.

(٩) في المصدر إضافة: «مع».

(١١) في المصدر: «مع زحل».

(١٢) بفتح اللام في الأول وكسرها في الثاني، وفي المصدر: «هلك ملك».

(١٣) في المصدر إضافة: «في برج واحد».

(١٤) في المصدر إضافة: و يطعم كل واحد في آخره».

الحرام وإهراق الدماء والقتل والجوع وإذا اجتمع المشتري والعطارد^(١) أصاب الأرض طاعون ويقع فيما بين الناس العداوة والبغض وإذا ركب القمر فوق زحل ذهب ملك ملك وإذا اجتمع بهرام وعطارد في العقرب فذلك آية قتل ملك بابل وإذا اجتمع المشتري والزهرة في العقرب فذلك آية فزع ومرض بأرض بابل وإذا اجتمع^(٢) الشمس وزحل في العقرب^(٣) في شولة العقرب فذلك آية اختلاف الروم وقتل ملكهم وإذا اجتمع المريخ وعطارد في شولة العقرب فذلك خراب بيت ملك بابل وإذا اجتمعت الشمس والقمر في شولة العقرب وبهرام في سرطان^(٤) فإن استطعت أن تتخذ سرباً لتدخل فيه فافعل وإذا اجتمعت الزهرة والمشتري فإن النساء يخشين أزواجهن عداوة وإذا نزل كيوان الطرفة أو الدبران وقع الطاعون بالعراق ومات كثير من الناس وإذا نزل الطرفة على آخره يكون في أرض العراق قتال وفتنة وإذا نزل النثرة بدلت أعمال العراق ولقوا بلاء وشدة وإذا نزل كيوان الغفر يكون بأرض العراق قتال وفتنة وإذا نزل كيوان جبهة وقع الموت في البقر والسباع والوحش وإذا نزل كيوان والمشتري الإكليل والقلب والشولة يقع في المشرق والمغرب طاعون شديد ويموت من الناس أناس كثير ويقع الفساد والبلايا في الأرض كلها ويكون بلايا عليهم كلها في الناس ويقتل الملوك والعلماء وترتفع سفلة من الناس.

واعلم أن مع الشمس كواكب لها أذناب بعضها فوق بعض فإذا بدا كوكب منها في برج من البروج وقع في أرض ذلك البرج شر وبلاء وفتنة وخلع الملوك وإذا رأيت كوكباً أحمر لا تعرفه وليس على مجاري النجوم ينتقل في السماء من مكان إلى مكان يشبه العمود وليس به فإن ذلك آية الحرب والبلايا وقتل العظماء وكثرة الشرور والهموم والآشوب في الناس.^(٥)

أقول: وكان في أصل الكتاب هكذا قول ونسخ من خط ابن الحسن بن شاذان رحمه الله.

بيان: لما ذكر الشيخ المفيد هذه الأحكام في الاختصاص أوردته ولم يستنده إلى رواية وأخذه من كتب أصحاب علم النجوم بعيد.

(١) في المصدر: «وعطارد».

(٢) عبارة: «و زحل في العقرب» ليست في المصدر.

(٤) في المصدر: «السرطان».

(٥) الاختصاص ص ١٦٠ - ١٦٢.

أبواب الأزمنة وأنواعها وساعاتها ونحوستها وسائر أحوالها

باب ١٤

السنين والشهور وأنواعهما والفصول وأحوالها

الآيات:

التوبة: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَغْلِبُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ إلى قوله تعالى ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُجْلُونَ غَامًا وَيُخَرِّمُونَهُ غَامًا لِيُؤْاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُجْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(١)

تفسير: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ﴾ قال الرازي: أعلم أن السنة عند العرب عبارة عن اثني عشر شهرا من الشهور القمرية والدليل عليه هذه الآية وأيضاً قوله ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِّينَ وَالْأَحْسَابِ﴾^(٢) فجعل تقدير القمر بالمنازل علة للسنتين^(٣) وذلك إنما يصح إذا كانت السنة معلقة بسير القمر وأيضاً قال تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْهَلَالَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾^(٤) وعند سائر الطوائف^(٥) عن المدة التي تدور الشمس فيها دورة تامة و السنة القمرية أقل من الشمسية بمقدار معلوم و بسبب ذلك النقصان تنتقل الشهور القمرية من فصل إلى فصل فيكون الحج واقعا في الشتاء مرة و في الصيف أخرى و كان يشق عليهم الأمر بهذا السبب و أيضاً إذا حضروا الحج حضروا للتجارة و ربما كان ذلك الوقت غير موافق لحضور التجار من الأطراف و كان يخل بأسباب تجارتهم بهذا السبب فلهذا السبب أقدموا على عمل الكبيسة على ما هو معلوم في علم الزيجات و اعتبروا السنة الشمسية و عند ذلك بقي زمان الحج مختصا بوقت معين فهو أخف لمصلحتهم^(٦) و انتفعوا بتجاراتهم و مصالحهم فهذا النسيء و إن صار سببا لحصول المصالح الدينية إلا أنه لزم منه تغير حكم الله تعالى لأنه لما خص الحج بأشهر معلومة على التعيين و كان بسبب النسيء يقع في سائر الشهور فتغير حكم الله لتكليفه^(٧) و الحاصل أنهم لرعاية مصالحهم في الدنيا سعا في تغيير أحكام الله و إبطال تكليفه فلهذا استوجبا الذم العظيم في هذه الآية^(٨) قال النيسابوري قال المفسرون إنهم كانوا أصحاب حروب و غارات و كان يشق عليهم مكث ثلاثة أشهر متوالية من غير قتل و غارة فإذا اتفق لهم في شهر منها أو في المحرم حرب أو غارة أخرؤا تحريم ذلك الشهر إلى شهر آخر قال الواحدي و أكثر العلماء على أن هذا التأخير كان من المحرم إلى صفر و يروى أنه حدث ذلك في كنانة لأنهم كانوا

٣٣٧
٥٨

٣٣٨
٥٨

(٢) سورة يونس: آية: ٥.

(٤) سورة البقرة: آية: ١٨٩.

(٦) في المصدر: «بوقت واحد معين موافق لمصلحتهم».

(٨) التفسير الكبير ج ١٦ ص ٥٠.

(١) سورة التوبة، آية: ٣٦ و ٣٧.

(٣) في المصدر إضافة: «والحساب».

(٥) في المصدر إضافة: «عبارة».

(٧) في المصدر: «تغير حكم الله و تكليفه».

فقرأ محابيح إلى الغارة وكان جنادة بن عرف الكناني مطاعا في قومه وكان يقوم على جمل في الموسم فيقول بأعلى صوته إن ألهكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ثم يقوم في القابل فيقول إن ألهكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والأكثرون على أنهم كانوا يحرمون من جملة شهور العام أربعة أشهر وذلك قوله ﴿لِيُؤْطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ (١) أي ليؤاقتوا العدة التي هي الأربعة ولا يخالفوا ولم يعلموا أنهم خالفوا ترك القتال وجوب التخصيص وذلك قوله تعالى ﴿فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ أي من القتال وترك الاختصاص (٢) قال ابن عباس إنهم ما أحلوا شهرا من الأشهر الحرم إلا حرموا مكانه شهرا آخر من الحلال ولم يحرموا شهرا من الحلال إلا أحلوا مكانه شهرا آخر من الحرم لأجل أن تكون عدة الحرم (٣) أربعة مطابقة لما ذكره الله تعالى (٤) وللآية تفسير آخر وهو أن يكون المراد بالنسيء كيس بعض السنين القمرية بشهر حتى يلتحق بالسنة الشمسية وذلك أن السنة القمرية أعني اثني عشر شهرا قمريا هي ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوما وخمس وسدس يوم على ما عرف من علم النجوم وعمل الزيجات والسنة الشمسية وهي عبارة عن عود الشمس من أية نقطة تفرض من الفلك إليها بحركتها الخاصة ثلاثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم إلا كسرا قليلا فالسنة القمرية أقل من السنة الشمسية بعشرة أيام وإحدى وعشرين ساعة وخمس ساعة تقريبا وبسبب هذا النقصان تنتقل الشهور القمرية من فصل إلى فصل فيكون الحج واقعا في الشتاء مرة وفي الصيف أخرى وكذا في الربيع والخريف وكان يشق الأمر عليهم إذ ربما كان وقت الحج غير موافق لحضور التجار من الأطراف فكان تختل أسباب تجارتهم ومعاشهم فلهذا السبب أقدموا على عمل الكيسة بحيث يقع الحج دائما عند اعتدال الهواء وإدراك الثمرات والغلات وذلك بقرب حلول الشمس نقطة الاعتدال الخريفي فكيسوا تسع عشرة سنة قمرية بسبعة أشهر قمرية حتى صارت تسع عشرة سنة شمسية فزادوا في السنة الثانية شهرا ثم في الخامسة ثم في السابعة ثم في العاشرة ثم في الثالثة عشر ثم في السادسة عشر ثم في الثامنة عشر وقد تعلموا هذه الصنعة من اليهود والنصارى فإنهم يفعلون هكذا لأجل أعيادهم فالشهر الزائد هو الكيس وسمي بالنسيء لأنه المؤخر والزائد مؤخر عن مكانه وهذا التفسير يطابق ما روي أنه ﷺ خطب في حجة الوداع وكان في جملة ما خطب به إلا أن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض اثني عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر (٥) بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الأشهر إلى ما كانت عليه وعاد الحج في ذي الحجة وبطل النسيء الذي كان في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة في نفس الأمر وكانت حجة أبي بكر قبلها في ذي القعدة التي سموها ذا الحجة وإنما لزم العتب عليهم في هذا التفسير لأنهم إذا حكموا على بعض السنين بأنها ثلاثة عشر شهرا كان مخالفا لحكم الله بأن عدة الشهور اثنا عشر شهرا أي لا تزيد ولا تنقص وإليه الإشارة بقوله ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ هَذَا الْقِسْمِ﴾ على هذا التفسير ويلزمهم أيضا ما لزمهم في التفسير الأول من تغيير أشهر الحرم عن أماكنها فتكون الإشارة إلى المجموع (٦) انتهى.

٣٤٠

٣٤٠

وقال الطبرسي ره ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (٧) أي عدد شهور السنة في حكم الله وتقديره ﴿إِثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ وإنما تعبد الله المسلمين أن يجعلوا سنتهم (٨) على اثني عشر شهرا ليوافق ذلك عدد الأهلة ومنازل القمر دون ما دان به أهل الكتاب والشهر مأخوذ من شهرة الأمر لحاجة الناس إليه في معاملاتهم ومحل ديونهم وحجهم وصومهم وغير ذلك من مصالحهم المتعلقة بالشهور وقوله ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ معناه (٩) ما كتب الله في اللوح المحفوظ وفي الكتب المنزلة على أنبيائه وقيل في القرآن وقيل في حكمه وقضائه عن أبي مسلم وقوله ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ متصل بقوله ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ والعامل فيها الاستقرار وإنما قال ذلك لأنه يوم خلق السماوات والأرض أجرى فيها الشمس والقمر وبمسيرهما تكون الشهور والأيام وبهما تعرف الشهور ﴿وَمِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ ثلاثة منها سرد ذو

(١) سورة التوبة، آية: ٣٧.

(٢) تفسير غرائب القرآن ج ٣ ص ٤٦٥.

(٣) في المصدر: «الحرم».

(٤) مضر - كسرد - قبيلة معروفة، ولعل إضافة رجب إليها لأجل أنهم كانوا يعظمونه دون غيرهم كما قيل.

(٥) تفسير غرائب القرآن المجلد ٣ ص ٤٦٥ - ٤٦٦.

(٦) في المصدر: «سنتهم».

(٧) سورة التوبة، آية: ٣٦.

(٨) في المصدر إضافة: «في».

القعدة و ذو الحجة والمحرم و واحد فرد و هو رجب و معنى «حرم» أنه يحرم^(١) انتهاك المحارم فيها أكثر مما يحرم في غيرها و كانت العرب تعظمها حتى لو أن رجلا لقي قاتل أبيه فيها لم يهجه لحرمتها و إنما جعل الله بعض هذه الشهور أعظم حرمة من بعض لما علم من المصلحة في الكف عن الظلم فيها لعظم منزلتها و لأنه ربما أدى ذلك إلى ترك الظلم أصلا لانطفاء النائرة و انكسار الحمية في تلك المدة فإن الأشياء تجر إلى أشكالها.

و شهور السنة: المحرم سمي بذلك لتحريم القتال فيه و صغر سمي بذلك لأن مكة تصغر من الناس فيه أي تخلو و قيل لأنه وقع وباء فيه فاصفرت وجوههم و قال أبو عبيد سمي بذلك لأنه صفرت فيه أوطابهم عن اللبن و شهرا ربيع سمي بذلك لإنبات الأرض و إمراعها فيهما و قيل لارتباع القوم أي إقامتهم و الجماديان سميتا بذلك لجمود الماء فيهما و رجب سمي بذلك لأنهم كانوا يرجبونه^(٢) و يعظمونه يقال رجبته و رجبته بالتخفيف و التشديد و قيل سمي بذلك لترك القتال فيه من قولهم رجل أرجب إذا كان أقطع لا يمكنه العمل. و روي عن النبي ﷺ أنه قال إن في الجنة نهرا يقال له رجب ماؤه أشد بياضا من الثلج و أحلى من العسل من صام يوما من رجب شرب منه. و شعبان سمي بذلك لشعب القبائل فيه. عن أبي عمرو و روى زياد بن ميمون أن النبي ﷺ قال إنما سمي شعبان لأنه يشعب فيه خير كثير لرمضان. و شهر رمضان سمي بذلك لأنه يرمض الذنوب و قيل سمي بذلك لشدة الحر و قيل إن رمضان من أسماء الله تعالى و شوال سمي بذلك لأن القبائل كانت تشول فيه أي تبرح عن أمكنتها و قيل لشولان الناقة^(٣) أدناها فيه و ذو القعدة سمي بذلك لقعودهم فيه عن القتال و ذو الحجة لقضاء الحج فيه.

«ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيُّمُ»^(٤) أي ذلك الحساب المستقيم الصحيح لا ما كانت العرب تفعله من النسيء و قيل معناه ذلك الحساب^(٥) المستقيم الحق و قيل معناه ذلك الدين تعبد به فهو اللازم «فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِ»^(٦) أي في هذه الأشهر كلها عن ابن عباس و قيل في هذه الأشهر^(٧) الحرم «أَنْفُسَكُمْ» بترك أوامر الله و ارتكاب نواهيه و إذا عاد الضمير إلى جميع الشهور فإنه يكون نهيا عن الظلم في جميع العمر و إذا عاد إلى الأشهر الحرم فائدة التخصيص أن الطاعة فيها أعظم ثوابا و المعصية أعظم عقابا و ذلك حكم الله في جميع الأوقات الشريفة و البقاع المقدسة^(٨) انتهى. أقول: و يحتمل أن يكون المراد فلا تظلموا أنفسكم في أمرهن بهتك حرمتهن.

و قال الطبرسي ره قال مجاهد كان المشركون يحجون في كل شهر عامين فحجوا في ذي الحجة عامين ثم حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين و كذلك في الشهور حتى وافقت الحجة التي قبل حجة الوداع في ذي القعدة ثم حج النبي ﷺ في العام القابل حجة الوداع فوافقت ذا الحجة فلذلك^(٩) قال النبي ﷺ في خطبته ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات و الأرض الخبر. أراد ﷺ بذلك أن الأشهر الحرم رجعت إلى مواضعها و عاد الحج إلى ذي الحجة و بطل النسيء.^(١٠)

«يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا» قال البيضاوي أي ضللا زائدا و قرأ حمزة و الكسائي و حفص «يضل» على البناء للمفعول «يُجْلَوْنَ غَامًا» أي يحلون النسيء^(١١) من الأشهر الحرم سنة و يحرمون مكانه شهرا آخر «وَيُخَرِّمُونَهُ غَامًا» فيتركونه على حرمة «لِيُؤَاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ»^(١٢) أي ليوافقوا عدة الأربعة المحرمة و اللام متعلقة بيجرمونه أو بما دل عليه مجموع الفعلين «فَيُجْلَوْنَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ» بمواطاة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت^(١٣) انتهى.

وأقول: لما كانت معرفة الأخبار المذكورة في هذا الباب و غيره متروكة على معرفة الشهور و السنين و مصطلحاتها قدما شيئا من ذلك فنقول لما احتاجوا في تقدير الحوادث إلى تركيب الأيام و كان أشهر الأجرام السماوية الشمس ثم القمر و كان دورة كل منهما إنما تحصل في أيام متعددة كانا متعينين بالطبع لاعتبار التركيب

(١) في المصدر: «يعظم» بدل «يحرم» و كذا في الموضع التالي. (٢) في المصدر: «أي» بدل «و».

(٣) في المصدر: «التوق» بدل «الناقة». (٤) سورة التوبة، آية: ٣٦.

(٥) في المصدر: «القضاء» بدل «الحساب». (٦) سورة التوبة، آية: ٣٦.

(٧) في المصدر: «الشهور» بدل «الأشهر». (٨) مجمع البيان ج ٥ ص ٢٧ و ٢٨.

(٩) في المصدر: «فوافقت في ذي الحجة فذلك حين». (١٠) مجمع البيان ج ٥ ص ٢٩.

(١١) في المصدر: «المنسي» بدل «النسي». (١٢) سورة التوبة، آية: ٣٧.

(١٣) أنوار التنزيل ج ١ ص ٤٠٤.

فصار القمر أصلاً في الشهر والشمس أصلاً في السنة ثم إن الظاهر من حال القمر ليس دوره في نفسه بل باعتبار تشكيلاته النورية فلذلك كان الشهر مأخوذاً منها وهي إنما تكون بحسب أوضاعه مع الشمس ويتم دوره إذا صار فضل حركة القمر على حركة الشمس الحقيقيين دوراً والعلم به متعذر لأنهما إذا اجتمعاً مثلاً بمقوميهما وعاد القمر بمقومه إلى موضع الاجتماع فقد سارت الشمس قوساً فإذا قطع القمر تلك القوس فقد سارت قوساً أخرى ومع تعذره مختلف لاختلاف حركتيهما بمقوميهما فلا يكون ذلك الفضل أمراً منضبطاً فمستعملو الشهر القمري من أهل الظاهر منهم من يأخذونه من يوم الاجتماع إلى يومه وهم اليهود والترك ومنهم من ليلة رؤية الهلال إلى ليلتها وهم المسلمون أو من تشكل آخر إلى مثله بحسب ما يصطلحون عليه واعتبار الاستهلال أولى لأنه أبين أوضاعه من الشمس وأقربها إلى الإدراك مع أن القمر في هذا الموضع كالموجود بعد العدم والمولود الخارج من الظلم لكن لما لم يكن لرؤية الأهلة حد لا يتعده لاختلافها باختلاف المساكن وحدة الأبصار إلى غير ذلك لم يلتفت إليها إلا في الأحكام الشرعية المبتنية على الأمور الظاهرة ومستعملوه من أهل الحساب يأخذون الدور من الفضل بين الحركتين الوسطيتين فيجدونه في تسعة وعشرين يوماً ونصف يوم ودقيقة واحدة وخمسين ثانية إذا جئز يوماً^(١) بيلته بستين دقيقة وكل دقيقة بستين ثانية وهذا هو الشهر القمري الاصطلاحي المبني على اعتبار سير الوسط في السيرين وإذا ضرب عدد أيامه في اثني عشر عدد أشهر السنة خرج أيام السنة القمرية الاصطلاحية وهو ثلاثمائة وأربع وخمسون يوماً وخمس وسدس يوم وهي ناقصة عن أيام السنة الشمسية بعشرة أيام وعشرين ساعة ونصف ساعة مستوية بالتقريب فيأخذون لشهر ثلاثين يوماً ولشهر آخر تسعة وعشرين يوماً وذلك لأنهم اصطالحوا على أخذ الكسر الزائد على النصف صحيحاً فأخذوا المحرم الذي هو أول شهور السنة القمرية ثلاثين يوماً لكون الكسر أزيد من النصف فصار صفر تسعة وعشرين لذهاب النصف عنه بما احتسب في المحرم فلم يبق إلا ضعف فضل الكسر الزائد على النصف أعني ثلاث دقائق وأربعين ثانية وهو غير ملتفت إليه لقصوره عن النصف وصار أول الربيعين ثلاثين يوماً وثانيهما تسعة وعشرين وعلى هذا الترتيب إلى آخر السنة فصار ذو الحجة تسعة وعشرين يوماً وخمس وسدس يوم وهما اثنتان وعشرون دقيقة لأنها الحاصلة من ضرب ما زاد في الكسر على النصف وهو دقيقة واحدة وخمسون ثانية في «اثني عشر» عدد الشهور وإذا فعل بشهور السنة الثانية مثل ما فعل بشهور الأولى اجتمع لذي الحجة في الثانية مثل ما مر فيصير المجموع أربعاً وأربعين دقيقة وهو زائد على النصف فيؤخذ ذو الحجة في السنة الثانية ثلاثين يوماً ويذهب في السنة الثالثة من الكسر اللازم بعد كل سنة ست عشرة دقيقة بما اعتبر في السنة السابقة وتبقى ست دقائق فتتضم إلى الكسر اللازم من السنة الرابعة فيصير المجموع ثمانين وعشرين دقيقة وهو أقل من النصف فإذا انضم إلى كسر السنة الخامسة صار مجموعهما خمسين دقيقة وهو أكثر من النصف فيجعل ذو الحجة في هذه السنة ثلاثين يوماً ويذهب من الكسر اللازم في السنة السادسة عشر دقائق وتبقى اثنتا عشرة دقيقة فينضم إلى كسر السنة السابعة ويصير المجموع أربعاً وثلاثين دقيقة فيؤخذ ذو الحجة فيها ثلاثين يوماً وعلى هذا القياس يؤخذ ذو الحجة ثلاثين يوماً في السنة العاشرة والثالثة عشرة والسادسة عشرة والثامنة عشرة والحادية والعشرين والرابعة والعشرين والسادسة والعشرين والتاسعة والعشرين ومن لم يعتبر في اعتبار الكسر مجاوزة النصف بل يكفي بالوصول إليه يجعل ذا الحجة في السنة الخامسة عشرة ثلاثين يوماً بدل السادسة عشرة وعلى التقديرين إذا أخذ ذو الحجة في السنة التاسع والعشرين ثلاثين يوماً بقي عليهم لتنام يوم اثنتان وعشرون دقيقة فينجز بالكسر اللازم في السنة الثلاثين ويتم عدد أيام الشهور بلا كسر في كل ثلاثين سنة ثم يستأنف والسبب في ذلك أن الكسر اللازم في سنة واحدة اثنتان وعشرون دقيقة كما مر ونسبته إلى ستين بالخمس والسدس وهما إنما يصحان من ثلاثين فتلاثون خمس يوم ستة أيام وثلاثون سدس يوم خمسة أيام والمجموع أحد عشر يوماً وتسمى هذه الأيام كبائس فسئوا الكبس على ترتيب بهزيجهج كادوط أو بهزيجوح كادوط على القولين المتقدمين هذا هو المشهور في الكبس وذكر شراح التذكرة نوعين آخرين من الكبس الأول: ما يفعله اليهود والترك فإنهم كانوا يردون السنين القمرية إلى السنين الشمسية بكبس القمرية في كل سنة أو ثلاث شهور

والثاني: ما تفعله العرب في الجاهلية من النسيء و هو أنهم كانوا يستعملون شهور الأهلة و كانوا جهجم الواقع في
عاشر ذي الحجة كما رسمه إبراهيم ؑ دائرا في الفصول كما في زماننا هذا فأرادوا وقوعه دائما في زمان إدراك
الغلات و القواكه و اعتدال الهواء أعني أوائل الخريف ليسهل عليهم السفر و قضاء المناسك فكان يقوم في الموسم
عند اجتماع العرب خطيب يحمد الله و يشفي عليه و يقول إني أزيد لكم في هذه السنة شهرا و هكذا أفعل في كل
ثلاث سنين. حتى يأتي حجكم في وقت يسهل فيه مسافرتكم فيوافقونه على ذلك فكان يجعل المحرم كيسا و يؤخر
اسمه إلى صفر و اسم صفر إلى ربيع الأول و هكذا إلى آخر السنة فكان يقع الحج في السنة القابلة في عاشر محرم و
هو ذو الحجة عندهم لأنهم لما سموا صفر بالمحرم و جعلوه أول السنة صار المحرم الآتي ذا الحجة و آخر السنة و
يقع في السنة محرمان أحدهما رأس السنة و الآخر النسيء و يصير شهورها ثلاثة عشر و على هذا يبقى الحج في
المحرم ثلاث سنين متوالية ثم ينتقل إلى صفر و يبقى فيه كذلك إلى آخر الأشهر ففي كل ست و ثلاثين سنة قمرية
تكون كيبستهم اثنا عشر شهرا قمريا و قيل كانوا يكبسون أربعاً و عشرين سنة باتني عشر شهرا و هذا هو الكبس
المشهور في الجاهلية و إن كان الأول أقرب إلى مرادهم و بالجملة إذا انقضت سنتان أو ثلاث و انتهت النوبة إلى
الكبس قام فيهم خطيب و قال إنما جعلنا اسم الشهر الفلاني من السنة الداخلة للذي بعده و حيث كانوا يزيدون
النسيء على جميع الشهور بالنوبة حتى يكون لهم في سنة محرمان و في أخرى صفران فإذا اتفق أن يتكرر في السنة
شهر من الأربعة الحرم نبأهم الخطيب بتكريره و حرم عليهم واحدا منهما بحسب ما تقتضيه مصالحهم و لما انتهى
النوبة في أيام النبي ﷺ إلى ذي الحجة و تم دور النسيء على الشهور كلها حج في السنة العاشرة من الهجرة بوقوع
الحج فيها في عاشر ذي الحجة و قال ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات و الأرض يعني به
رجوع الحج و أسماء الشهور إلى الوضع الأول ثم تلا قوله تعالى ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾^(١) إلى
آخر الآية^(٢) انتهى و أما السنة الشمسية فمأخوذة من عود الشمس إلى موضعها من فلك البروج المقضي لعود حال
السنة بحسب الفصول و يحصل ذلك في ثلاث مائة و خمسة و ستين يوما و ربع يوم إلا كسرا كما ذكره في التذكرة
والكسر عند بطليموس جزء واحد من ثلاث مائة جزء من يوم و يتم في أيام السنة المذكورة من الشهور القمرية
الوسطية اثني عشر شهرا و أحد عشر يوما إلا سبع دقائق و اثنتي عشرة ثانية و هذه المدة أعني اثني عشر شهرا قمريا
وسطيا تسمى سنة قمرية اصطلاحية و مستعملو السنة الشمسية لهم طرق الأولى: طريقة قدماء المنجمين فإنهم
يأخذون السنة من يوم تحل الشمس فيه نقطة بعينها كالا اعتدال الربيعي إلى مثل ذلك اليوم و يأخذون شهورها من
الأيام التي تحل فيها أمثال تلك النقطة من البروج فإن كانت النقطة التي هي مبدأ السنة الموافق لمبدأ الشهر الأول
أول برج كأول الحمل كانت أمثالها أوائل البروج الباقية و إن كانت عاشرة برج مثلا كانت أمثالها عواشر البروج
الثانية^(٣) الفرس القديم و ليس فيها كسور و كبائس و سنتهم ثلاثمائة و خمسة و ستون يوما و شهورهم ثلاثون
ثلاثون و يزيدون الخمسة في آخرها و يسمونها الخمسة المستترقة و هذه أسماء شهورهم فروردين ماه أردببهشت
ماه خرداد ماه تير ماه مرداد ماه شهریور ماه مهر ماه آبان ماه آذر ماه دي ماه بهمن ماه إسفندارمذ ماه و كان في
العهد القديم لهذا التاريخ كبسية و أنهم كانوا يجمعون الأرباع الزائدة و يؤخرونها إلى عشرين و مائة سنة و كانوا
يزيدون لذلك شهرا في سنة الإحدى و العشرين و المائة فتصير هذه السنة ثلاثة عشر شهرا و لهم في ذلك تفصيل
من دور الكبس و غير ذلك أعرضنا عن ذكرها و كان مبدأ هذا التاريخ من زمان جمشيد أو كيومرث و استمر إلى زمان
يزدجرد فلما انتهى ملكهم تركوا الكبس و كان بعض المنجمين يزيدون الخمسة المستترقة بعد آبان ماه و بعضهم بعد
إسفندارمذ ماه ففي كل أربع سنين أو خمس سنين تتقدم هذه السنة على السنة الشمسية بيوم الثالثة التاريخ الملكي
و هو منسوب إلى السلطان جلال الدين ملك شاه و السبب في وضعه أنه اجتمع في حضرته ثمانية من الحكماء منهم
الخيام فوضعوا تاريخا مبدؤه نزول الشمس أول الحمل و أول السنة يوم تكون الشمس في نصف نهاره في الحمل
سموه بالنيروز السلطاني فسنة شمسية حقيقية و كذا شهوره إذا اعتبرت بحلول الشمس في أوائل البروج كما فعله

(٢) لم نعر على شرح التذكرة هذا.

(١) سورة النوبة، آية: ٣٦.

(٣) في المصدر إضافة: «طريقة».

بعض المنجمين وإذا أخذت ثلاثين ثلاثين وألحقت الكسر بآخر السنة وكبس الكسر في كل أربع سنين أو خمس يوم ليوافق أول السنة دائما نزول الشمس الحمل كما فعله أكثر المنجمين كانت اصطلاحية وأسماء شهرها أسماء شهور الفرس القديم المتقدم وعليه بناء التقاويم الآن الرابعة التاريخ الرومي مبدؤه بعد اثنتي عشرة سنة شمسية من وفاة الإسكندر بن فيلقوس الرومي وسنه شمسية اصطلاحية هي ثلاثمائة وخمسة وستون يوما وربع تام وكذا شهورهم اصطلاحية شمسية وأسماء شهورهم وعددها هكذا تشرين الأول لا تشرين الآخر لكانون الأول لا كانون الآخر لا شباط كح آذار لا نيسان لا أيار لا حزيران لا تموز لا آب لا أيلول ل ومستمعلو هذا التاريخ يعدون أربعة منها ثلاثين وهي تشرين الآخر ونيسان وحزيران وأيلول والسبعة البقية غير شباط أحدا و ثلاثين و شباط في ثلاث سنين متوالية ثمانية وعشرين وفي الرابعة وهي سنة الكيسة تسعة وعشرين فالسنة عندهم ثلاثمائة وخمسة وستون و ربع كامل مع أن السنة الشمسية أقل من ذلك عندهم لكسر في الربع كما عرفت و وجدوا الكسر مختلفا في أرصادهم ففي رصد التبانتي ثلاثة عشرة دقيقة وثلاثة أخماس دقيقة وفي رصد المغربي اثنتا عشرة دقيقة وعلى رصد مراغة إحدى عشرة دقيقة وعلى رصد بعض المتأخرين تسع دقائق وثلاثة أخماس دقيقة وعلى رصد بطليموس أربع دقائق وأربعة أخماس دقيقة والفرس من زمان جمشيد أو قبله والروم من عهد إسكندر أو بعده كانوا يعتبرون الكسر ربعا تاما موافقا لرصد أبرخس فالشهور الرومية مبنية على هذا الاعتبار وهذا الرصد على ما وجدته سائر أصحاب الأرصاد فلا يوافق هذه السنة الشمسية و يمرور الأزمان تدور شهورها في الفصول و قال بعضهم في كل ثلاثين سنة تقريبا تتأخر سنتهم عن مبدأ السنة الشمسية يوم و أول سنتهم و هو تشرين الأول في هذه الأزمان يوافق تاسع عشر الميزان و أول نيسان في الدرجة الثالثة والعشرين من الحمل.

واعلم أن كثيرا من الأمور الشرعية منوطة بهذه الشهور من الأحوال والأعمال والآداب كالمطر في نيسان وآدابه ولا يعلم أن الشارع بناء على الفصول أو على الشهور ولعل الأول أظهر فيشكل اعتبار الشهور في تلك الأزمان إذ لعلهم أرادوا تعيين أوقات الفصول فعينوها بهذه الشهور لموافقتها لتلك الأوقات في تلك الأزمان لكن في بعض الأعمال التي في وقتها اتساع يمكن رعاية الاحتياط بحسب التفاوت بين الزمانين و إسقاطها في الوقت المشترك و ما لم يكن فيه اتساع بعلمها في اليومين معا.

ثم إن انقسام السنة الشمسية عند الروم إلى هذه الشهور الاثني عشر التي بعضها ثمانية وعشرون وبعضها ثلاثون وبعضها أحد وثلاثون إنما هو محض اصطلاح منهم لم يذكر أحد من المحصلين له وجه أو نكتة و ما توهم بعض المشاهير من أنه مبني على اختلاف مدة قطع الشمس كلا من البروج الاثني عشر ظاهر البطلان فإن الحمل والثور عندهم أحد وثلاثون والجوزاء اثنان وثلاثون والسرطان والأسد والسنبلة أحد وثلاثون والميزان والعقرب ثلاثون والقوس والجدي تسعة وعشرون والدلو والحوث ثلاثون و ظاهر أن الأمر في الشهور الرومية ليس على طبقها كيف و كانون الأول الذي اعتبروه أحد و ثلاثين هو بين القوس والجدي وكل منهما تسعة وعشرون.

ثم اعلم أن التاريخ تعيين يوم ظهر فيه أمر شائع كلمة أو دولة أو حدث فيه أمر هائل كطوفان أو زلزلة أو حرب عظيم لمعرفة ما بينه و بين أوقات الحوادث ولضبط ما يجب تعيين وقته في مستقبل الزمان و قد مرت الإشارة إلى تاريخ الروم والفرس و الشائع المستعمل في زماننا تاريخ الهجرة و سبب وضعه على ما نقل أنه دفع إلى عمر صك محله شعبان فقال أي شعبان هو هذا الذي نحن فيه أو الذي يأتينا أو أن أبا موسى كتب إليه أنه يأتينا من قبلك كتب لا نعرف كيف نعمل فيها قد قرأنا صكا محله شعبان فما ندري أي الشعبانين هو الماضي أو الآتي فجمع الصحابة و استشارهم فيما يضبط به الأوقات فقال له الهرمزان ملك الأهواز. و قد أسلم على يديه حين أسر و حمل إليه إن للعجم حسابا يسمونه ماهروز و أسنده إلى من غلب عليهم من الأكاسرة و بين كيفية استعماله فعرّبوا ماهروز بمورخ و جعلوا مصدره التاريخ فقال ابن الخطاب ضحوا للناس تاريخا نضبط به أوقاتهم فقال بعض الحاضرين من مسلمي اليهود لنا حساب مثله نسندة إلى إسكندر فما ارتضاه الصحابة و اتفقوا على أن يجعل مبدؤه هجرة النبي إذ بها ظهرت دولة الإسلام و كانت الهجرة يوم الثلاثاء لثمان خلون من شهر ربيع الأول و أول هذه السنة أعني المحرم كان يوم الخميس بحسب الأمر الأوسط و على قول أهل الحديث و يوم الجمعة بحسب الرؤية و حساب الاجتماعات فعمل

عليه في أكثر الأزياج إلا زيح المعبر فإنه عمل على يوم الخميس وكان اتفاقهم على ذلك في سنة سبع عشرة من الهجرة و مبادئ شهور تلك السنة على الروية و قد تكون تامة و أكثر المتواليه منها أربعة و قد تكون ناقصة و أكثر المتواليه منها ثلاثة.

و اعلم أن القوم تمسكوا في اختيار واقعة الهجرة بمبدأ التواريخ الإسلامية على سائر الوقائع المعروفة كالبعث و المولد بوجوه ضعيفة كقولهم إن البعث غير معلوم و المولد مختلف فيه و لا يخفى و hence فإنه لو أريد بذلك عدم اتفاقهم في شيء منهما على يوم معين من شهر معين فظاهر أن أمر الهجرة أيضا كذلك كما بيناه في محله مع أن العلم باليوم و الشهر لا مدخل له في المطلوب و هو ظاهر و إن أريد به اختلافهم في خصوص سنتيهما فكلا فإنه لا خلاف فيه في زماننا فضلا عن أوائل الإسلام و كذا الوجه الأخرى التي ذكروها في هذا الباب و لقد عثرت على خبر يصلح مرجحا و مخصصا لذلك قل من تفتظ به. و هو ما ورد في خبر الصحيفة الشريفة السجادية صلوات الله على من ألهمها حيث قال الصادق عليه السلام إن أبي حدثني عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله أخذته نعسة و هو على منبره فرأى في منامه رجلا ينزون على منبره نزو القردة يردون الناس على أعقابهم القهقري فاستوى رسول الله صلى الله عليه وآله جالسا و الحزن يعرف في وجهه فاتاه جبرئيل عليه السلام بهذه الآية ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ (١) الآية يعني بني أمية قال يا جبرئيل أعلي عهدي يكونون و في زماني قال لا و لكن تدور رحى الإسلام من مهاجرك فقلت بذلك عشرين ثم تدور رحى الإسلام على رأس خمس و ثلاثين من مهاجرك فقلت بذلك خمسا. (٢) إلى آخر الخبر فيدل على أن جعل مبدأ التاريخ من الهجرة مأخوذ من جبرئيل عليه السلام و مستند إلى الوحي السماوي و منسوب إلى الخبر النبوي و هذا يؤيد ما روي أن أمير المؤمنين عليه السلام أشار عليهم بذلك في زمن عمر عند تحيرهم و العلة الواقعية في ذلك يمكن أن تكون ما ذكر من أنها مبدأ ظهور غلبة الإسلام و المسلمين و مفتتح ظهور شرائع الدين و تخلص المؤمنين من أسر المشركين و سائر ما جرى بعد الهجرة من تأسيس قواعد الدين المبين.

و لنشرها هنا إلى فوائد:

الفائدة الأولى: أنه قد وردت أخبار كثيرة تدل على أن عدد أيام السنة ثلاثمائة و ستون كالأخبار الواردة في عدد الطواف المستحبة و كخبر الاختزال و غيرها و هي لا توافق شيئا من المصطلحات المتقدمة و لا السنين الشمسية و لا القمرية و يمكن توجيهه بوجوه الأول: أن يكون المراد بها السنة الإلهية كما مرت الإشارة إليه في الباب الأول الثاني: أن يكون المراد به السنة الأولى من خلق الدنيا بضم الستة المصروفة في خلق الدنيا إلى السنة القمرية الثالث: أن يكون مبنيا على بعض مصطلحات القدماء قال أبو ریحان البيروني في تاريخه سمعت أن الملوك البيشداية من الفرس و هم الذين ملكوا الدنيا بحذاقها كانوا يعملون السنة ثلاثمائة و ستين يوما كل شهر منها ثلاثون يوما بلا زيادة و نقصان و أنهم كانوا يكبسون في كل ست سنين بشهر و يسمنونها كيسة و في كل مائة و عشرين سنة شهرين أحدهما بسبب الخمسة أيام و الثاني بسبب ريع اليوم و أنهم كانوا يحفظون تلك السنة و يسمنونها المباركة و يشتغلون فيها بالعبادات و المصالح ثم قال بعد ذكر نسيء العرب و كبس أهل الكتاب و غيرهم و قد حكى أبو محمد التائب الأملي في كتاب الغرة عن يعقوب بن طارق أن الهند تستعمل أربعة أنواع من السدد أحدها: من عودة الشمس من نقطة من فلك البروج إليها بعينها و هي سنة الشمس و الثانية: طلوعها ثلاثمائة و ستين مرة و تسمى السنة الوسطى لأنها أكثر من سنة القمر و أقل من سنة الشمس و الثالثة: عودة القمر من الشرطين و هما رأس الحمل إليهما اثنتي عشرة مرة و هي سنة القمر المستعملة. (٣)

الفائدة الثانية: قال الرازي في قوله تعالى ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ فإن قالوا لم لم يقل ثلاثمائة و تسع سنين و ما الفائدة في قوله ﴿وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ قلنا قال بعضهم كانت المدة ثلاثمائة سنة من السنين الشمسية و ثلاثمائة و تسع سنين من القمرية و هذا مشكل لأنه لا يصح بالحساب هذا القول. (٤)

و روى الطبرسي ره و غيره أن يهوديا سأل علياً عليه السلام عن مدة لبثهم فأخبره بما في القرآن فقال إنا نجد في كتابنا ثلاثمائة فقال ذلك بسني الشمس و هذا بسني القمر. (١)

و تفصيل القول في ذلك أنه يمكن تقرير الإشكال الوارد على هذا التفسير الذي أوماً إليه الرازي بوجهين أحدهما: أن أيام السنة القمرية في مدة ثلاثمائة و تسع سنين إذا قسمت على ثلاثمائة تخرج حصّة كل سنة شمسية ثلاثمائة و أربعة و ستين يوماً و ثلثاً و عشرين ساعة مستوية و ستاً و خمسين دقيقة و ثمانين و ثلاثين ثانية و أربعة و عشرين ثالثة و لا يوافق ذلك شيئاً من الأرصاء المتداولة بل ناقص عن الجميع و ثانيهما: أن التفاوت المضبوط بين السنتين في مدة ثلاثمائة سنة يزيد على تسع سنين على جميع الأرصاء فإنه على رصد التبان مع أن مقتضاه أقل من سائر الأرصاء يبلغ إلى عشرة أيام و عشرين ساعة و ست و أربعين دقيقة و أربع و عشرين ثانية وإذا ضرب هذا المقدار من الزمان في ثلاثمائة و قسم الحاصل على مقدار السنة القمرية يزيد الخارج على تسع سنين قمرية بأربعة و سبعين يوماً و أربع ساعات و ثمان و أربعين دقيقة فكيف على سائر الأرصاء حتى أنه على رصد أبرخس المني عليه حساب الروم و الفرس من قديم الأيام بل المعروف بين جميع الطوائف في صدر الإسلام يزيد على تسع سنين بسبعة و سبعين يوماً و ثمانين و أربعين دقيقة فلا تستقيم الموافقة المستفادة من التفسير المذكور و الرواية المنقولة قد يجاب بأن عدم الاعتناء بالكسور القليلة في جنب أحاد الصحاح تارة بإسقاطها سيما إذا لم تبلغ النصف و تارة بإكمالها أي عداها تامة سيما إذا جاوزت النصف و كذا بالأحاد القليلة في جنب العشرات و العشرات القليلة في جنب المآت و هكذا أمر شائع و عرف عام في المحاورات الحسابية يبتنى عليه كثير من القرآن و الحديث كما سنشير إليه في حديث الصباح بن سيابة فلا بأس أن يخبر تعالى بأن مدة لبث أصحاب الكهف ثلاثمائة سنة بالشمسية أو ثلاثمائة و تسع سنين بالقمرية و كانت ناقصة عن الأولى حقيقة بمثل تلك الأيام القلائل أو كانت مطابقة لها و كانت زائدة على الثانية حقيقة بمثلها أو كان في الأول نقصان و في الثانية زيادة يصير المجموع مساوياً لمثل تلك الأيام فإن في رعاية مطابقة العرف في تلك المحاورات لمندوحة عن كذبها حتى أنه يمكن أن يقيد عرفاً أمثال ذلك بأنه كذلك بلا زيادة و لا نقصان اعتماداً على أن تحقق الزيادة و النقصان في عرف الحسابيين إنما هو بالصحاح أو ما في حكمها دون أمثال تلك الكسور.

و أقول: قد مر في المجلد التاسع في باب علم أمير المؤمنين عليه السلام بعض القول في ذلك. (٢)

الفائدة الثالثة: قد ورد في الأخبار بناء كثير من الأمور الشرعية من الصوم و غيره على عد شهر من الشهور القمرية تاماً و شهراً ناقصاً كعد الخمسة من شهر آخر مثله أو الستة في سنة الكبيسة و سيأتي بيانها و بسط القول فيها في كتاب الصيام إن شاء الله تعالى و عليه يبني ما روي أن يوم الأضحى يوم الصوم و يوم. عاشوراء يوم الفطر لكنه إنما يستقيم في سنة الكبيسة فإنه إذا كان أول شهر رمضان يوم السبت مثلاً كان أول شوال يوم الإثنين لأنه من الشهور التامة و أول ذي القعدة يوم الثلاثاء و أول ذي الحجة يوم الخميس فالأضحى يوم السبت موافقاً ليوم الصوم و ذو الحجة لما كان من الشهور الناقصة في غير سنة الكبيسة فالجمعة أول المحرم فعاشوراء يوم الأحد و هو لا يوافق يوم الفطر و في الكبيسة يوافقه لإتمام ذي الحجة فيها و يمكن أن يكون مبنياً على الغالب أو على ما إذا غمت الأملة كما عمل بها جماعة من الأصحاب على هذا الوجه أو على استحباب صوم يوم الشك فإن هذا الحساب متقدم على الرؤية غالباً و ما قيل في الخبر الأخير من أن المعنى أن العارفين يوم صومهم يوم عيدهم و يوم فطرهم يوم تعزيتهم فهو مما تضحك منه الثكلى و سيأتي مزيد تحقيقه في محله الأنسب.

و قال أبو ریحان في تاريخه يتقدمون بالشهر من عند رؤية الهلال و كذلك شرع في الإسلام كما قال الله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ (٣) ثم (٤) نبئت نابتة و نجمت ناجمة و نبغت فرقة جاهلية فنظروا إلى أخذهم بالتأويل و ميلهم إلى اليهود و النصارى فإن لهم جداول و حسابات (٥) يستخرجون بها شهورهم

(٢) راجع ج ٤٠ ص ١٨٧ - ١٨٩ من المطبوعة.

(٤) في المصدر إضافة: «مذ سنين».

(١) مجمع البيان ج ٦ ص ٤٦٣.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٨٩.

(٥) في المصدر: «حسابات» و كذا في ما بعد.

ويعرفون منها صيامهم و المسلمون مضطرون إلى رؤية الهلال و وحدوهم شاكين فيه مختلفين مقلدين بعضهم بعضا بعد استقراغهم أقصى الوسع في تأمل مواضعه و تخصص مواقعه ثم رجعوا إلى أصحاب الهيئة فالتفوا زيجاتهم و كتبهم مفتحة بمعرفة أوائل ما يراد من شهور العرب بصنوف الحسابات و أنواع الجداول فظنوا أنها معمولة لرؤية الأهلة و أخذوا بعضها و نسبوه إلى جعفر الصادق عليه السلام و أنه ^(١) سر من أسرار النبوة و تلك الحسابات مبنية على حركات الثيرين الوسطى دون المعدلة و معمولة على عد سنة القمر ثلاثمائة و أربعة و خمسين يوما و خمس و سدس و أن ستة أشهر من السنة تامة و ستة ناقصة و أن كل ناقص منها فهو تال تام على ما عمل عليه في الزيجات فلما قصدوا استخراج أول الصوم و أول الفطر بها خرجت قبل الواجب بيوم في أغلب الأحوال فأولوا قول النبي ﷺ صوموا ^(٢) لرؤيته و أفطروا لرؤيته بأن معناه صوموا الذي يرى الهلال في عشيته كما يقال تهيئوا لاستقباله فيقدم التهيؤ على الاستقبال قالوا و إن شهر رمضان لا ينقص من ثلاثين فأما أصحاب الهيئة و من تأمل الحال بعناية شديدة فإنهم يعلمون أن رؤية الهلال غير مطرد على سنن واحد لاختلاف حركة القمر المرئية بطيئة و سريعة و قربه من الأرض و بعده و صعوده في الشمال و الجنوب و هبوطه فيهما و حدوث كل واحد من هذه الأحوال له في كل نقطة من فلك البروج ثم بعد ذلك لما يعرض من سرعة غروب بعض القطع من فلك البروج و ببطء بعض و تغير ذلك على اختلاف عروض البلدان و اختلاف الأهوية إما بالإضافة إلى البلاد الصافية الهواء بالطبيع و الكدرة المختلطة بالبخارات دائما و المغبرة في الأغلب و إما بالإضافة إلى الأزمنة إذا غلظ في بعضها و رق في بعض و تفاوت قوى بصر الناظرين إليه في الحدة و الكلال و إن ذلك كله على اختلاف بصنوف الاقترانات كائنه في كل أول شهرين رمضان و شوال على أشكال غير معدودة و أحوال غير محدودة فيكون لذلك رمضان ناقصا مرة و تاما أخرى و إن ذلك كله يفتن بتزايد عروض البلدان و تناقصها فيكون الشهر تاما في البلدان الشمالية مثلا و ناقصا هو بعينه في الجنوبية منها و بالعكس ثم لا يجري ذلك فيها على نظم واحد بل لا يتفق فيها أيضا حالة واحدة بعينها لشهر واحد مرارا متوالية و غير متوالية فلو صح عملهم مثلا بتلك الجداول و اتفق مع رؤية الهلال أو تقدمه يوما واحدا كما أصلوا لاحتاجوا إلى إفرادها لكل عرض على أن اختلاف الرؤية ليس متولدا من جهة العرض فقط بل لاختلاف أطوال البلدان فيها أو فر نصيب فإذا ن لا يمكن ما ذكروه من تمام شهر رمضان أبدا و وقوع أوله و آخره في جميع المعمورة من الأرض متفقا كما يخرج الجدول الذي يستعملونه فأما قولهم إن مقتضى الخبر المأثور تقديم الصوم و الفطر على الرؤية فباطل و ذلك أن حرف اللام يقع على المستأنف كما ذكره و يقع على الماضي كما يقال كتب لكذا مضى من الشهر أي من عند مضى كذا فلا تتقدم الكتابة الماضي من الشهر و هذا هو مقتضى الخبر دون الأول. ألا ترى إلى ما روي عنه ﷺ أنه قال نحن قوم أميون لا نكتب و لا نحسب الشهر هكذا و هكذا و هكذا و كان يشير في كل واحدة منها بأصابعه العشر يعني تاما ثلاثين يوما ثم أعاد فقال هكذا و هكذا و هكذا و خنس إبهامه في الثالثة يعني ناقصة تسعة و عشرين يوما. فنص ﷺ نصا لا يخفى على أحد أن الشهر يكون تاما مرة و يكون ناقصا أخرى و أن الحكم جار عليه بالرؤية عليه دون الحساب بقوله لا نكتب و لا نحسب فإن قالوا عني أن كل شهر تام فإن تاليه ناقص كما يحسبه مستخرجو التواريخ كذبهم العيان إن لم ينكروه و عرف تمويههم الصغير و الكبير فيما ارتكبه على أن تمتة الخبر الأول يفصح باستحالة ما ادعوه. و هو قوله ﷺ صوموا لرؤيته و أفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فعدوا شعبان ثلاثين يوما. و في رواية أخرى فإن حال بينكم و بين رؤيته سبحانه أو قتام فأكملوا العدة ثلاثين. و ذلك أنه إذا عرف أن الهلال يرى إما بجداولهم و حسابهم أو بما يستخرجه أصحاب الزيجات و قدم الصوم أو الفطر على رؤيته لم يحتج إلى إتمام شعبان ثلاثين أو إكمال شهر رمضان ثلاثين إذا انطبقت الآفاق بسحاب أو غبار و لو كان أيضا شهر رمضان تاما أبدا ثم عرف أوله لاستغني به عن الرؤية لشوال مع ما روي في كتب الشيعة الزيدية أن الناس صاموا شهر رمضان على عهد أمير المؤمنين عليه السلام ثمانية و عشرين يوما فأمرهم بقضاء يوم واحد فقضوه و إنما اتفق ذلك لتوالي شهر شعبان و شهر رمضان عليهم ناقصين معا و كان حال بينهم و بين الرؤية لرأس شهر رمضان حائل فأكملوا العدة و تبين الأمر في آخره. و روي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال يصيب شهر رمضان ما يصيب سائر الشهور من

(١) في المصدر إضافة: «لرؤيته صوم اليوم».

(٢) في المصدر: «و زعموا أنه».

الزيادة والنقصان. وروي عنه أيضا أنه قال إذا حفظتم شعبان وغم عليكم فعدوا ثلاثين وصوموا. وروي عنه عليه السلام أيضا أنه سئل عن الأهلة فقال هي الشهور فإذا رأيت الهلال فصم وإذا رأيته فأفطر. فأما ما روي عن الصادق عليه السلام أنه قال إذا رأيت هلال رجب فعد تسعة وخمسين يوما ثم صم. وما روي عنه أنه قال إذا رأيت هلال شهر رمضان لرؤيته فعد ثلاثمائة وأربعة وخمسين يوما ثم صم في القابل فإن الله خلق السنة ثلاثمائة وستين يوما فاستثنى منها ستة أيام فيها خلق السماوات والأرض فليست في العدد. فلو صحت الرواية عنه لكان إخباره عن ذلك على أنه أكثرى^(١) الوجود في بقعة واحدة لا أنه مطرد في جميع البقاع كما ذكرنا وأما تعليل الأيام الستة بهذه العلة فتعليل ركيك يكذب الرواية وتبطل له صحتها وقد قرأت فيما قرأت من الأخبار أن أبا جعفر محمد بن سليمان عامل الكوفة من جهة المنصور حبس عبد الكريم بن أبي العوجاء وهو خال معن بن زائدة وكان من المانوية فكثر شفاعؤه بمدينة السلام وألحوا على المنصور حتى كتب إلى محمد بالكف عنه وكان عبد الكريم يتوقع ورود الكتاب في معناه فقال لأبي الجبار وكان منقطعا إليه إن أخرني الأمير ثلاثة أيام فله مائة ألف درهم فأعلم أبو الجبار محمدا فقال ذكرتيه و كنت نسيتي فإذا انصرفت من الجمعة فاذكريه فلما انصرف ذكره إياه فدعا به فأمر بضرب عنقه فلما أيقن أنه مقتول قال أما والله لئن قتلتموني لقد وضعت أربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال وأحل به الحرام ولقد فطرتكم في يوم صومكم وصومتكم في يوم فطركم ثم ضربت عنقه وورد الكتاب في معناه بعدة وما أحق هذا الرجل الملحد بأن يكون متولي هذا التأويل الذي ذهبوا إليه وأصله^(٢) انتهى وتمام القول فيه في كتاب الصوم.

الفائدة الرابعة اعلم أن ما ذكره من أن مدة الشهر القمري تسعة وعشرون يوما واثنى عشرة ساعة وأربع و أربعون دقيقة إنما هو باعتبار وضع القمر بالنسبة إلى الشمس إلى حصول مثل ذلك الوضع له فكان قدر مسير الشمس في هذا الزمان منضما إلى قدر دورته من نقطة معينة إليها وأما باعتباره في نفسه فإنه يتم دوره في مدة سبعة وعشرين يوما و ثلث يوم فالتفاوت بين الاعتبارين بيومين وأربع ساعات وأربع وأربعين دقيقة فلمداره بالاعتبار الأخير حدود ينزل في كل ليلة في أحدها إلى أن يرجع إلى الأول منها فهي حقيقة اثنان وثمانون منزلا في ثلاث دورات له لكان الكسر المذكور ولكن الناس تسامحوا فيه واصطلحوا على تقسيم كل دورة له إما إلى سبعة وعشرين منزلا كما اصطلاح عليه أهل الهند إسقاطا للكسر وإما إلى ثمانية وعشرين كما اصطلاح عليه العرب إتاما له وعلومها بالكواكب القريبة منها وقد مر ذكرها ونظموها بالفارسية على الترتيب هكذا:

اسماء منازل قمر نزد عرب	شرطين و بطين است و ثريا دبران
هقعه هنعه ذراع و نثره پس طرف	جبهه زبره صرقه و عوا پس از آن
پس سماك و غفر و زبانا اكيليل	قلب و شوله نعائم و ببلده بدان
سعد ذابح سعد بلع سعد سعود	باشد پس سعد اخيبه چارمشان
از فرع مقدم به مؤخر چه رسيد	آنكه برشاء شد كه باشد پايان.

فلأجل التفاوت المذكور بين الاعتبارين إذا فرضنا القمر بدرا في منزل معين في شهر معين فبعد إتمام دورة منه إليه يكون فيه بعينه في الشهر التالي ناقصا عن البديرة بحسب ذلك التفاوت وهكذا يزيد النقصان المذكور بعد كل دورة حتى يبلغ بعد ست دورات في المنزل المذكور بعد تمام الشهر السادس إلى مرتبة الهلالية وقس عليه عكسه فيبلغ بعد إتمام ست دورات أخر فيه إلى البديرة فعلى أي حالة يرى في منزل معين يرى فيه بعد ست دورات على الحالة المقابلة لها و بعد اثنتي عشرة دورة على الحالة الموافقة لها وهكذا دائما.

فإذا تمهد هذا فنقول قد عرفت ما ذكره بعض المفسرين في قوله تعالى ﴿وَ الْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ غَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾^(٣) و يرجع حاصله إلى أن القمر من أول ظهوره بالعشيات مستهلا إلى آخر رؤيته بالغدوات مستتيرا يسير جميع المنازل وفي آخرها يشبه بالعرجون القديم فيما يعرضه بسبب مرور الزمان كالدقة والانحناء قال الطبرسي ره في جامع الجوامع والمعنى قدرنا مسيره منازل و هي ثمانية وعشرون منزلا ينزل كل ليلة في

(١) في المصدر: «أكثر في» بدل «أكثرى».

(٢) الآثار الباقية ص ٦٤ - ٦٨.

(٣) سورة يس، آية: ٣٩.

واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر منها^(١) على تقدير مستو «حَتَّى غَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ» وهو عود العنق الذي تقدم عهده حتى ييس وتقرس وقيل إنه يصير كذلك في ستة أشهر قال الزجاج هو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف والقديم يدق وينحني ويصغر^(٢) فشبّه القمر به من ثلاثة أوجه^(٣) انتهى وقال الزمخشري بعد تفسير الآية بنحو مما مر وقيل أقل مدة الموصوف بالقدم الحول فلو أن رجلا قال كل مملوك لي قديم فهو حر أو كتب ذلك في وصيته عتق له من مضى له حول أو أكثر^(٤) انتهى.

وروى علي بن إبراهيم والطبرسي رحمهما الله وغيرهما أنه دخل أبو سعيد المكاربي على أبي الحسن الرضا ع فقال ما تقول في رجل قال عند موته كل مملوك لي قديم فهو حر لوجه الله فقال أبو الحسن ما ملكه لسته أشهر فهو قديم وهو حر قال وكيف صار ذلك قال لأن الله يقول «وَالْقَمَرَ قَدْرُنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى غَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ» سماه الله قديما ويعود كذلك لسته أشهر^(٥).

الخبر وفي الكافي هكذا قال نعم إن الله يقول في كتابه «حَتَّى غَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ» فما كان من ممالكه أتي له^(٦) ستة أشهر فهو حر^(٧) فظهر من سياق ما نقلناه من التفسير والحديث أن بين العامة والخاصة في المسألة المذكورة من العتق موضع وفاق هو أن حكمها مستنبط من الآية المذكورة وموضع خلاف هو أن العامة لم يجاوز نظرهم عما فيها من توصيف العرجون بالقديم فظنوا بمحض زعمهم أن ثبوت هذا الوصف له بعد أن يحول الحول فحكموا في المسألة على طبقه وأن الخاصة عرفوا بتفريع إمامهم الحكم فيها بستة أشهر على الآية أنه الحق الموافق لما تضمنه الكتاب فافتوا به لعدم احتياجهم معه إلى تعرف وجه استنباطه منها إذ لهم طرق في استخراج الأحكام والوقائع من الكلام المجيد لا سبيل لنا إلى معرفتها لكن ذكر بعض المحققين هنا^(٨) وجها دقيقا نورد هاهنا وهو أن عبارة «حَتَّى غَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ» المذكورة من الآية في الحديث للاحتجاج عليه مشتملة على عدة ألفاظ فابتدأوها المتكفل للدلالة على اعتبار انتهاء لما صوره تعالى فيها من سير القمر بالمطابقة متضمن للدلالة على اعتبار ابتداء له أيضا بالالتزام وذكر العود يدل على اتحادهما بمعنى أن ما اعتبره من منازل في هذا السير للابتداء اعتبره بعينه للانتهاء وتقيده في ضمن التشبيه بكونه هلالا في خصوص حال العود يدل على اعتبار كونه بدرا مقابلا لها في حال البداء المقابل له كما يتبادر من لفظ القمر أيضا سيما مع مقابلة الشمس من الطرفين والنكتة حينئذ في اعتبار هذا الترتيب في البداء والعود دون العكس أظهر من الشمس ثم توصيف المشبه به بالقدم يدل على اعتبار هذا الوصف أيضا في جملة وجوه الشبه بل هو أحق بالاعتبار لاختصاصه بالذكر وكونه مناطا لاسائر الوجوه كقولهم فلان كالبدر المنير أو كالأسد الغضبان فمجمل ما أوجز في تلك الكلمات التامات إنما يرى من حال سير القمر في منزله المقدرة له من أنه في أي منزل كان بدرا فيه في وقت يصير فيه بعينه هلالا شبيها بالعرجون القديم بعد دورات معدودة في أزمنة محدودة على تدرج خاص ونظام معين لا يتغير ولا يتبدل ولا يزيد ولا ينقص وهكذا حاله في جميع الأزمان من عجائب الآيات وغرائب التدبيرات فبذلك التصوير والتشبيه مع ما عرفت مما مهدناه من أن صيرورته هلالا في منزل كان فيه بدرا يتم بتمام الشهر السادس وحينئذ يتعرض للصفات المعبرة في المشبه به و من جملتها القدم تعرف أن الشيء إذا أتى له ستة أشهر صار موصوفا بالقدم وهذا هو المطلوب.

فإن قيل: مدة ستة دورات ناقصة عن ستة أشهر كما عرفت. قلنا: قد مر أنه شاع في عرف أهل الحساب عد ما زاد على النصف من الكسور. كاملا والنقصان هنا أقل من نصف شهر كما لا يخفى.

وربما يؤيد هذا الوجه بأن الخبر على ما رواه علي بن إبراهيم^(٩) ظاهره وصف القمر بالقديم إذ الظاهر رجوع الضمير في سماه إلى القمر بقرينة قوله ويعود كذلك.

(١) في المصدر: «عنه» بدل «منها».

(٢) جامع الجوامع ج ٢ ص ٣٢٠.

(٣) تفسير التمي ج ٢ ص ٢١٥ مجمع البيان ج ٨ ص ٤٢٤ و ٤٢٥ واللفظ له.

(٤) في المصدر: «أتي عليه» بدل «أتي له».

(٥) الكافي ج ٦ ص ١٩٥ باب نوادر من كتاب العتق، حديث ٦.

(٦) لم تعرف هذا البعض.

(٧) مَرَّ قَبْلَ قِيلِ.

وأقول: هذا وجه لطيف مشتمل على دقائق جلييلة لكنه في غاية البعد والتكلف والله يعلم حقائق كلامه . من خصه بمزيد الفضل من إنعامه.

الفائدة الخامسة: اعلم أن أصحابنا اتفقوا على أن ولادة نبينا ﷺ كانت في شهر ربيع الأول إما في السابع عشر منه كما هو المشهور أو في الثاني عشر كما اختاره الكليني ره وهو المشهور بين المخالفين وذكر الكليني وغيره أن الحمل به ﷺ كان في أيام التشريق^(١) فيلزم أن يكون مدة حملهم ﷺ إما ثلاثة أشهر أو سنة وثلاثة أشهر مع أن الأصحاب اتفقوا على أنه لا يكون الحمل أقل من ستة أشهر ولا أكثر من سنة ولم يذكر أحد من العلماء أن ذلك من خصائصه ﷺ والجواب: أن ذلك مبني على النسيء الذي حققناه في صدر الباب وذكرنا للنسيء ثلاثة معان أو مآثا إلى بعضها الأول: أنهم كبسوا تسع عشرة سنة تامة قمرية حتى صارت تسع عشرة سنة تامة شمسية على ترتيب بهزيجوح فدور النسيء على هذا الوجه تسع عشرة سنة تامة قمرية مكبوسة بسبعة أشهر تامة قمرية لأن تسع عشر منه وسبعة أشهر تامتين قمريتين تسع عشرة سنة تامة شمسية والشهر الزائد وهو الكبس يسمى النسيء لأنه المؤخر عن مكانه لأن المحرم لو سمي بذى الحجة صار صفر محرما فتأخر المحرم إلى مكان صفر والسنة التي يزيدون الشهر فيها هي السنة الكبيسة أي المدخولة الزائدة فيها من الكبس بمعنى الظم الثاني: أنهم كانوا يكبسون في كل ثلاث سنين شهرا فدور النسيء ست وثلاثون سنة تامة قمرية مكبوسة باثني عشر شهرا قمريا كذلك الثالث: أنهم كانوا يكبسون في كل سنتين شهرا فدور النسيء على هذا الوجه أربع وعشرون سنة تامة قمرية مكبوسة باثني عشر شهرا تاما قمريا وهذا الوجه أشهر موافقا لما ذكره الطبرسي وغيره وبالجمله أنهم كانوا يزيدون في بعض السنين شهرا ويتركون بعضها بحاله فيبعض سنتهم اثنا عشر شهرا وبعضها ثلاثة عشر شهرا والزيادة دائما تكون في آخر السنة التي ينتقل الحج بعدها من شهر إلى آخر لأن من شهر إلى مثله اثني عشر شهرا ومنه إلى ما يليه ثلاثة عشر شهرا والنسيء المشهور مبني على الأخير وربما يبنى على الأول والثاني أيضا فنقول على الوجه الثالث المشهور لما تبين أن الولادة في الربيع الأول إما في السابع عشر أو في الثاني عشر والوفاة إما في الثاني عشر منه كما اختاره الكليني^(٢) ره وفقا للمشهور بين العامة أو في الثامن والعشرين من الشهر قبله أعني صفر كما هو المشهور عند الإمامية والمشهور أن مدة حياته الشريفة ﷺ ثلاث وستون سنة تامة قمرية تحقيا على الأول وتقريبا على الثاني فمن جمادى الأخرى المؤخر عن ولادته ﷺ بثلاثة أشهر إلى ذي الحجة من حجة الوداع المقدم على وفاته ﷺ بمثل اثنا وستون سنة تامة قمرية وستة أشهر وهو ستون سنة تامة نسيئية لأن ستين سنة نسيئية زائدة على ستين سنة تامة قمرية بثلاثين شهرا لأن كل سنتين تامتين نسيئتين زائدة على سنتين تامتين قمريتين بشهر باعتبار انتقال الحج من شهر إلى آخر كما عرفت وثلاثون شهرا سنتان وستة أشهر فظهر أن من جمادى الثانية التي في خلال عام مولده إلى حجة الوداع ستون سنة تامة نسيئية وظهر أن الحج وقع في خلال عام مولده في جمادى الثانية إذ المفروض أن مبدأ كل سنة من السنين التامة النسيئية الحج الواقع في شهر ومنتهاها الحج الآخر الواقع في هذا الشهر أو في الشهر الآخر بعده فمبدأ الستين السنة النسيئية جمادى الثانية ومنتهاها ذو الحجة حجة الوداع فالستون السنة محصورة بين حجتين إحداها المبدأ والأخرى المنتهى فالحجج الواقعة في هذه المدة إحدى وستون حجة لأن كل سنة تامة نسيئية محصورة بين حجتين وكل حجة بداية سنة تامة نسيئية ونهاية سنة أخرى إلا حجة الوداع لأن النسيء انقطع عنده فهي نهاية سنة ستين النسيئية فقط والحجة الواقعة في خلال عام مولده هي الحجة الأولى الواقعة فيها لأن حجة الوداع كانت أولى حجة وقعت. في ذي الحجة كما مر والواقعة قبلها في الشهر السابقة كانت في ذي القعدة فالشهر الزائد في آخر سنة الستين والمزيد فيها شهر سنة الستين لا التي قبلها وكذا كل شفع من السنين النسيئية هي التي زيد في آخرها شهر وقد مر أن الزيادة تكون باعتبار انتقال الحج من شهر إلى آخر فلو كانت الحجة الواقعة في جمادى الثانية في خلال عام مولده ﷺ هي الحجة الثانية لزم أن تكون الحجة الواقعة بعدها التي هي مبدأ السنة الثانية من السنين النسيئية ومنتهى السنة الأولى قد وقعت في رجب لأن المفروض عدم وقوع

٣٧٢
٥٨

٣٧٣
٥٨

(١) الكافي ج ١ ص ٤٣٩ باب (مولد النبي صلى الله عليه وآله وفاته) من كتاب الحجة.

(٢) راجع الكافي ج ١ ص ٤٣٩ باب (مولد النبي صلى الله عليه وآله وفاته) من كتاب الحجة.

أزید من حجتین فی شهر وأن تكون الزیادة فی السنة الأولى لا فی الثانية و فی الوتر من السنین التامة النسیئیه لا فی الشفع وأن تكون حجة الدواع الحجة الثانية الواقعة فی ذی الحجة لا الأولى و هو خلاف المنقول و المروي فظهر أن الحجة الواقعة فی جمادی الثانية فی خلال عام مولده ﷺ كانت الحجة الأولى فالحمل به ﷺ فی أيام التشریق فی السنة السابقة فی جمادی الأولى فعدة الحمل عشرة أشهر بلا زیادة و لا نقصان أو زیادة یوم أو بنقصانه علی ما ذهب إلیه الكلینی و زیادة أيام علی المشهور من أن یوم الولادة السابع عشر و قد مر بعض القول منا فی ذلك فی المجلد السادس فی باب ولادته ﷺ و قد ذكرنا هنا جملة من القول فی الاختلاف الواقع فی یوم مولده ﷺ و لنذكر هنا أيضا بعض القول فیہ لما انتهى الکلام إلیه فإن الحدیث ذو شجون.

فاعلم أنه لا خلاف فی أن یوم الولادة الشریفة من أيام ربیع الأول فی عام الفیل قبل الهجرة بثلاث و خمسين سنة و إنما الخلاف فی أنه أي یوم من الشهر المذكور و لكن علماء الإمامیة رضوان الله علیهم متفقون علی كونه غیر خارج من الثاني عشر و السابع عشر فالمشهور السابع عشر قال الشیخ المفید ره فی المقنعة ولد ﷺ بمكة یوم الجمعة السابع عشر من شهر ربیع الأول فی عام الفیل و صدع بالرسالة فی یوم السابع و العشرین من رجب و له یومئذ أربعون سنة^(١) انتهى. و نحو ذلك قال شیخ الطائفة^(٢) و غیرهما من العلماء و المحدثین إلا ثقة الإسلام فی الکافی حیث قال ولد النبی لاثنتی عشرة لیلة مضت من شهر ربیع الأول فی عام الفیل یوم الجمعة مع الزوال و روي أيضا عند طلوع الفجر قبل أن یبعث بأربعین سنة^(٣) و هو موافق لما هو المشهور بین العامة فی الحرمین زاد الله فی شرفهما و غیرهما من بلاد المخالفین و هذا القول مع ندرته بیننا قد أید بوجوه.

الأول: أن وفاته ﷺ كانت فی یوم الإثنين بالاتفاق و كانت إما للیلین بقینا من شهر صفر كما هو المشهور بین الشیعة أو فی الثاني عشر من ربیع الأول كما فی الکافی و هو أيضا مشهور بین المخالفین و علی کل تقدیر یكون لا محالة غرة ربیع الأول فی السنة الحادیة عشر من هجرته الموافقة لوفاته ﷺ مطابقة لیوم الخمیس و یلزم منه بالبرهان الحسابی أن یكون غرة ربیع الأول فی سنة المولد یوم الإثنين أو یوم الثلاثاء إذ بین غرتی هذین الربیعین ثلاث و ستون سنة قمریة بلا زیادة و لا نقصان لعدم الخلاف فی مدة عمره ﷺ ثلاث و عشرون أو أربع و عشرون منها ذات کبیسة و الباقیة خالیة عنها و التردید باعتبار عدم العلم بمبدئ الكبائس و بعد طرح الأسبوعات التامة من کل سنة یبقى من ذوات الكبائس خمسة أيام و من غیرها أربعة أيام و هذا ظاهر فیجتمع من بقایا أسبوعات تلك السنین مائتان و خمسة و سبعون أو ستة و سبعون یوما و الباقی منها بعد طرح سبعة سبعة اثنان أو ثلاثة فیلزم من ذلك أن تكون غرة ربیع المولد یوما من الأسبوع مقدما علی یوم غرة ربیع الوفاة باثنين أو ثلاثة و كان هذا یوم الخمیس فكان ذلك یوم الإثنين أو الثلاثاء كما ذكرنا و كونه یوم الثلاثاء ساقط بالاتفاق لعدم إمكان مطابقة الثاني عشر و لا السابع عشر علی تقدیره لیوم الجمعة فتعین یوم الإثنين فیصادفه الثاني عشر دون السابع عشر و هو المطلوب.

والثانی: أن وفاة العسکری و انتقال الأمر إلی صاحب الزمان ﷺ باتفاق الكلینی و المفید رضي الله عنهما فی الکافی و الإرشاد كان فی یوم الجمعة ثامن شهر ربیع الأول سنة ستین و مائتین من الهجرة^(٤) فكانت غرة الشهر المذكور أيضا. و ما بین غرة هذا الربیع و ربیع المولد ثلاثمائة و اثنتا عشرة سنة كاملة فیظهر بالحساب المتقدم أن بقایا أسبوعات أيام تلك السنین أربعة أو خمسة أيام فتكون غرة ربیع المولد مقدما علی الجمعة بمثلها فیکون یوم الإثنين أو یوم الأحد و الثاني ساقط بالاتفاق و الأول مستلزم للمطلوب.

و الثالث: أن غرة محرم الحرام لسنة الهجرة مضبوطة عند أهل الهيئة و الحساب بأنها كانت یوم الخمیس بحسب الحساب و یوم الجمعة باعتبار رؤیة الهلال كما هو مذكور فی التحفة^(٥) و الزیج الجدید و كذا غرة رجب المرجب سنة المبعث مضبوط بأنها كانت یوم الإثنين كما یظهر مما رواه الشیخ فی المصباح من أن المبعث كان فی یوم السبت^(٦) و لم أطلع علی خلاف فیہ فیستفاد من هذین الضبطین أيضا دلیلان آخران علی هذا المطلوب.

(١) المقنعة ص ٤٥٦. (٢) راجع مصباح المتجهد ص ٧٩١.

(٣) الکافی ج ١ ص ٤٣٩ باب «مولد النبی صلی الله علیه و آله و وفاته».

(٤) الکافی ج ١ ص ٥٠٣، الإرشاد ج ٢ ص ٣٣٦. (٥) التحفة الشاهیة - مخطوط - الفصل الثالث عشر، الباب الثالث.

(٦) مصباح المتجهد ص ٨٢٥.

و الرابع: ذكر بعض الأفاضل ره أن غرة ربيع الأول فيما نحن فيه من الزمان سنة ثمان و ثمانين و ألف من الهجرة كانت يوم الثلاثاء بلا اشتباه و قد مضى حينئذ من غرة ربيع المولد ألف و مائة و أربعون سنة و من المقررات الحساية المعلومة لأهل الخبرة أن في كل ماتيتين و عشرة سنين يعود وضع أيام الأسابيع مع أيام الشهور العربية إلى ما كان ففي ألف و خمسين سنة يتم العود المذكور خمس مرات فيكفي لنا النظر في تتمتها و هي تسعون سنة ثلاث و ثلاثون منها ذات كبسة و سبع و خمسون بلا كبسة و قد عرفت أن الباقي من الأسبوعات كل من الأولى خمسة و من الثانية أربعة فمجموع البقايا ثلاثمائة و ثلاث و تسعون يوما و إذا طرحناه سبعة سبعة يبقى واحد فظهر أن غرة ربيع المولد مقدم على غرة ربيعنا بيوم و هذا كان يوم الثلاثاء فذلك كان يوم الإثنين و هو يستلزم المطلوب كما مر. ثم قال ره فإن قيل ذكر الشيخ في المصباح و غيره رواية مشتملة على تفسير المولد بالسابع عشر قلنا لكونها منافية لمقتضى هذه الدلائل الحساية الغير المشكوك فيها بل معارضة لما رواه أيضا في المصباح من موافقة المبعث يوم السبت لعدم إمكان اجتماعها على ما مر ينبغي حملها على أن لا يكون التفسير المذكور من كلام الإمام بل من كلام بعض الرواة لإزالة الإبهام عنها على حسب اعتقاده و مثل ذلك ليس بعزيز في الروايات.

ثم إذا اتقنت هذا المسلك يتبين لك الحق بمعونه في كثير مما وقع الخلاف فيه فمن ذلك أن الأمة بعد اتفاقهم على وقوع هجرة نبينا ﷺ من مكة إلى المدينة في السنة الرابعة عشر من المبعث اختلفوا في شهرها و يومها بالنسبة إلى الشهر و بالنسبة إلى الأسبوع فقيل يوم الإثنين السادس و العشرون من صفر و قيل ليلة الإثنين السابع و العشرون منه و قيل يوم الخميس أول ربيع الأول و قيل يوم الثلاثاء ثامنه و قيل يوم الإثنين بدون ذكر شهرها و قيل أول ربيع الأول بدون ذكر يومه و قيل الرابع منه و قيل العاشر منه كذلك فهذه أقوال ثمانية و لما عرفنا ما مر من مطابقة غرة المحرم سنة الهجرة ليوم الخميس أو الجمعة و اطلعنا على سائر التواريخ المعلومة و من جعلتها أن غرة ربيع المولد يوم الإثنين و أن بينها و بين غرة ربيع الهجرة ثلاثا و خمسين سنة و وجدناها مشتملة على أسابيع تامة بلا كسر و مستلزمة لموافقة غرتيها يوما حصل لنا بتلك المعارف العلم بتهاافت القولين الأولين لعدم موافقة السادس و العشرين و لا السابع و العشرين من صفر ليوم الإثنين و كذا بتهاافت القول الثالث و الرابع لعدم مطابقة أول ربيع الأول للخميس و لا الثامن منه للثلاثاء ثم نعلم بارتفاع احتمال الثلاثاء و الخميس من البين تعين يوم الإثنين موافقا لليوم الخامس المروي عن ابن عباس بل عن رسول الله ﷺ ثم بتعينه بطلان القولين الأخيرين لتنافيها ثم ببطلانها تعين أول ربيع الأول موافقا للقول السادس المنقول عن الشيخ المفيد^(١) ره فتبين لنا أن هجرته ﷺ كانت في يوم الإثنين أول ربيع الأول و الحمد لله.

ثم بعد هذا التحقيق إذا نظرنا في تاريخ وصوله ﷺ إلى المدينة و اختلاف القوم فيه فقيل لهلال ربيع الأول و قيل لليلتين خلتا منه و قيل لاثنتا عشرة مضت منه عرفنا بطلان القولين الأولين من طريق العادة فتعين القول الأخير. الذي ذهب إليه المفيد ره في حداثئ الرياض^(٢) و قد نقل ابن الجوزي في تليقه عن ابن سعد أنه هو المجمع عليه ثم بتعينه عرفنا أن ما نقله ابن الجوزي عن ابن عباس و غيره و ادعى صاحب روضة الصفا اتفاق أئمة الأخبار عليه من مصادقة يوم وصوله إلى المدينة ليوم الإثنين لا عبرة به لعدم إمكان اتفاق الأول و الثاني عشر من شهر في يوم فيكون وصوله ﷺ يوم الجمعة فظهر أيضا فساد ما نقله عن عروة أنه مكث بقبا ثلاث ليال ثم ركب يوم الجمعة فالمعتمد هو ما نقله عن الزهري أنه ﷺ نزل في بيت عمرو بن عوف بقبا فأقام به بضعة عشرة ليلة فإنه موافق. لما رواه الكليني في الروضة بإسناده عن سعيد بن المسيب عن علي بن الحسين ﷺ في ذكر إسلام علي ﷺ و موضع الحاجة منه قوله ﷺ حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة و خلف عليا ﷺ في أمور لم يكن يقوم بها أحد غيره و كان خروج رسول الله ﷺ من مكة في أول يوم من ربيع الأول و ذلك يوم الخميس من سنة ثلاث عشرة من المبعث و قدم المدينة لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول مع زوال الشمس فنزل بقبا فصلى الظهر ركعتين و العصر

(١) مسار الشيعة ضمن مجموعة نفيسة ص ٦٣.

(٢) نمر على كتاب الحداثئ هذا. علما بأن الأنفدي قال بشأنه «هو على طرز رسالة مسار الشيعة و لكن أكبر منه». رياض العلماء ج ٥ ص

ركعتين ثم لم يزل مقيماً ينتظر علياً عليه السلام يصلي الخمس صلوات ركعتين ركعتين وكان نازلاً على عمرو بن عوف فأقام عندهم بضعة عشر يوماً يقولون له أتقيم عندنا فنتخذ لك منزلاً ومسجداً فيقول لا إني أنظر علي بن أبي طالب وقد أمرته أن يلحقني ولست مستوطناً منزلاً حتى يقدم علي وما أسرع إن شاء الله تعالى أقدم علي عليه السلام والنبي صلى الله عليه وآله في بيت عمرو بن عوف فنزل معه ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما قدم علي عليه السلام تحول من بقاء إلى بني سالم بن عوف وعلي عليه السلام معه يوم الجمعة مع طلوع الشمس فخط لهم مسجداً ونصب قبلته فصلى بهم فيه الجمعة ركعتين وخطب خطبتين ثم راح من يومه إلى المدينة على ناقته التي كان قدّم عليها وعلي معه لا يفارقه يمشي بمشيهِ (١) الحديث. ولا يخفى أن فيه إشكالين أحدهما في قوله وذلك يوم الخميس لما عرفت أن أول ربيع الأول في سنة الهجرة يوم الإثنين والآخر في قوله من سنة ثلاث عشرة من المبعث لما عرفت أيضاً من الاتفاق على كونه في السنة الرابعة عشر منه ويمكن توجيه الأول بأن ذلك ليس إشارة إلى أول يوم ولا إلى خروج رسول الله صلى الله عليه وآله كما يتبادر إلى الأذهان بل إلى التخليف المذكور قبلهما ولعل هذا أقرب إلى ذلك لفظاً لكونه أبعد ومعنى لما نقل أنه صلى الله عليه وآله توقف بعد خروجه من مكة في الغار المشهور ثلاثة أيام وكان علي عليه السلام يصل إليه فيه سرا فإظهار أن تخليفه فيما أوصى إليه من أموره كان عند ارتحاله عنه فتدبر وتوجيه الثاني بأن الاتفاق على كونها في الرابعة عشر مبني على أن المبعث كان في رجب ومبدأ السنة عند العرب هو المحرم فما بعد المحرم إلى رجب من جملة السنة الثالثة عشر من المبعث وإن كان معدوداً عندهم من الرابعة عشر باعتبار مبدأ السنة فهما متوافقان معنى والمخالفة إنما هي في اللفظ فقط.

ومن ذلك اختلاف القوم بعد اتفاقهم على وقوع نص غدیر خم في ثامن عشر ذي الحجة من السنة العاشرة الهجرية في خصوص يوم الأسبوعي فنقل عن ابن مردويه (٢) وعن أخطب خوارزم (٣) مروياً عن أبي سعيد الخدري أنه كان يوم الخميس وقال بعض الشيعة إنه كان يوم الجمعة وما نقل في حبيب السير (٤) من اتفاق المورخين على أن يوم عرفة في حجة الوداع كان مطابقاً ليوم الجمعة مقتض للقول منهم بكونه يوم الأحد. وكذا ما يتوهم مما في كتاب الحجة من الكافي في أثناء رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام حيث قال بعد بيان نزول الصلاة والزكاة والصوم والحج ثم نزلت الولاية وإنا أثناء ذلك يوم الجمعة بعرفة أنزل الله عز وجل «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ» (٥) الحديث. وكونه توهماً لأنه لا يصح أن يكون المراد بلفظ عرفة هاهنا يوم عرفة لمكان الباء ولا الموقف لأن اسمه عرفات وإطلاق عرفة عليه شبيه بمولد كما في الصحاح (٦) والقاموس (٧) فإنها مستعملة فيه في كثير من روايات كتاب الحج من الكافي والفقهاء بل لظاهر الروايات عن أهل البيت عليهم السلام بأن نزولها ما بين مكة والمدينة بعد الانصراف من حجة الوداع موافقاً لما نقل في مجمع البيان عن الربيع بن أنس (٨) إما قبل وصوله إلى غدیر خم كما روي في تفسير علي بن إبراهيم عن أبي جعفر عليه السلام (٩) وإما بعده كما روي في مجمع البيان (١٠) وغيره عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام موافقاً لما رواه المخالفون عن أبي سعيد الخدري ووجه الجمع حمل النزول في الأول على تمهيد ما ينزل أو في الثاني على إقامة ما نزل بالتبليغ فلو كان هذا اللفظ هاهنا من كلام الإمام عليه السلام لاحتمل أن يكون عرفة بالضم إذ هي كما في القاموس اسم لثلاثة عشر موضعاً (١١) فلا يبعد أن يكون أحدها قريباً من غدیر خم هذا ولكن التحقيق أن ليس شيء من هذه الأيام الثلاثة موافقاً للتواريخ المضبوطة المعلومة مع اختلافها بالنسبة إليه قرباً وبعداً فإن أقربها منه غرة صفر في السنة الحادية عشرة من الهجرة سنة وفاة النبي صلى الله عليه وآله وهي كما ظهر مما مر كانت مطابقة للثلاثة فكانت غرة المحرم فيها موافقة للأحد أو الإثنين فكانت غرة ذي الحجة من السنة السابقة العاشرة من الهجرة غير خارجة عن الجمعة والسبت والأحد فكانت الثامن عشر منه لا يخلو من الإثنين والثلاثاء والأربعاء وإن أبعداها عنه غرة ذي الحجة من سنة سبع وثمانين وألف قبيل ما نحن فيه من الزمان وهي كانت يوم الخميس بحسب الحساب والرؤية

(١) روضة الكافي ص ٣٣٩، حديث ٥٣٦. (٢) راجع الفدير ج ١ ص ٤٤.

(٣) مثل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ٤٧ والمنقب له أيضاً ص ١٣٥ رقم ١٥٢.

(٤) تاريخ حبيب السير ج ١ ص ٤١٠ وقايعة السنة العاشرة من الهجرة.

(٥) الكافي ج ١ ص ٢٩٠ باب (ما نص الله ورسوله على الأئمة عليهم السلام واحداً واحداً)، والآية من سورة المائدة: ٣.

(٦) راجع الصحاح ج ٣ ص ١٤٠١. (٧) راجع القاموس المحيط ج ٣ ص ١٧٩.

(٨) مجمع البيان ج ٣ ص ١٥٩. (٩) تفسير القمي ج ١ ص ١٦٢.

(١٠) مجمع البيان ج ٣ ص ١٥٩. (١١) القاموس المحيط ج ٣ ص ١٨٠.

جميعا بلا اشتباه و غرة ذي الحجة من السنة العاشرة مقدمة عليها بألف و سبع و سبعين سنة تامة فبطريق الحساب الذي مر بيانه يكون الباقي منها بعد طرح أسبوعاتها ستة فتكون مطابقة للجمعة فكان ثامن عشرة مصادفا ليوم الإثنين فيدل كل من هذين التاريخين المعلومين على خلاف كل من الأقوال الثلاثة و يدل على تعيين رابع هو يوم الإثنين و يطابقه أيضا ما ضبط ابن الجوزي في التلخيص من أن قتل عثمان كان في يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس و ثلاثين فإن ما بينهما خمس و عشرون سنة كاملة و الباقي بعد طرح أسبوعاتها أربعة فإذا كان هذا يوم الجمعة فكان ذلك مقدما عليه بأربعة أيام فكان يوم الإثنين و يوافق أيضا ما ذكره الطبري في تاريخه من أن أول جمعة صلى علي ﷺ بالناس و خطب بهم بعد قتل عثمان كان مطابقا للخامس و العشرين من ذي الحجة^(١) كما لا يخفى.

فإن قلت الصدوق ره. قال في الفقيه و روي أنه ما طلعت الشمس في يوم أفضل من يوم الجمعة و كان اليوم الذي نصب فيه رسول الله ﷺ أمير المؤمنين ﷺ بغدير خم يوم الجمعة.^(٢) الحديث.

قلنا: أولا أن دأبه ره في هذا الكتاب أن يذكر ما لم يعتمد عليه من الروايات بهذا السياق.

و ثانيا: أن قوله و كان اليوم الذي إلى آخره يجوز أن يكون من عبارة الراوي أو من عبارته على طبق طريقتيه في هذا الكتاب من إدراج كلامه كثيرا بين الأحاديث بدون علامة فاصلة بينهما و يؤيدها أن مثل صدر هذا الحديث مروى في التهذيب و الكافي عن أبي بصير عن أبي عبد الله ﷺ بدون هذه التسمية^(٣) و في الكافي أيضا عن إبراهيم بن أبي البلاد عن بعض أصحابه عن أبي جعفر أو أبي عبد الله ﷺ مع تسمية أخرى.^(٤)

و ثالثا: أنه يمكن أن يوجه فيحمل اليوم الذي نصب فيه علي على اليوم الذي نزل فيه الأمر بالنصب المذكور أو على اليوم المقدر فيه ذلك و هو يوم الميثاق أو يقال أفاد ﷺ أحد هذين المعنيين بلفظ آخر فقلته بعض الرواة بهذا اللفظ على طبق وهمه فيطابق على الأول ما مر من رواية أبي الجارود و على الثاني ما روي في الباب المذكور من الكافي و التهذيب. عن أبي حمزة عن أبي جعفر ﷺ قال قال له رجل كيف سميت الجمعة قال إن الله عز و جل جمع فيها خلقه لولاية محمد ﷺ و وصيه في الميثاق فسماه يوم الجمعة لجمعه فيه خلقه.^(٥) الحديث فتأمل.

ومن ذلك أنهم بعد اتفاقهم على وقوع الواقعة العظمى بكرلاء في العاشر من المحرم سنة إحدى و ستين من الهجرة اختلفوا في يومه الأسبوعي فقبل كان يوم الجمعة و قبل يوم السبت و قبل يوم الإثنين و التواريخ المعلومة المضبوطة لا توافق شيئا منها فإن أقربها إلى يوم التقدير في السنة العاشرة و كونها مطابقة للإثنين على ما مر مستلزم لعدم خروج غرة المحرم في الحادية عشر عن السبت و الأحد و ما بين المحرمين خمسون سنة تامة و الباقي من أسبوعاتها واحد و يحتمل اثنين أيضا من جهة زيادة الكبائس لو فرضنا مثلا مبدأ الخمسين المذكور مطابقا لخامس الثلاثين المعبر فيها الكبائس لإحدى عشرة كما لا يخفى على أهل الخبرة فيلزم أن يكون غرة المحرم في سنة إحدى و ستين مؤخرة عن السبت أو الأحد بواحد أو اثنين فيكون موافقا للأحد أو الإثنين أو الثلاثاء فعاشره لا يخرج عن الثلاثاء و الأربعاء و الخميس و أبعد التواريخ المذكورة عنها غرة المحرم فينا نحن فيه من السنة الثامنة و الثمانين بعد الألف و هي كما ثبت بالحساب و الرؤية جميعا بلا اشتباه كانت يوم الجمعة و ما بين ذلك المحرمين ألف و سبع و عشرون سنة فإذا أسقطنا عنها ثمانمائة و أربعين أربع دورات تامة كل منها مائتان و عشرة سنين على ما مر وجهه يبقى مائة و سبع و ثمانون سنة و الباقي من أسبوعاتها خمسة مع احتمال أربعة أيضا من جهة نقصان الكبائس لو فرضنا مثلا مبدأ المدة المذكورة مطابقا لثالث الثلاثين المذكور فيلزم أن يكون غرة ذلك المحرم مقدمة على غرة محرم سنتنا بخمسة أو أربعة فكانت يوم الأحد أو الإثنين فعاشره لا يخرج عن الثلاثاء و الأربعاء و سائر التواريخ المعلومة أيضا دالة على مثل ما دل عليه هذان التاريخان من حال الأقوال المذكورة بالنسبة إلى القواعد الحسابية.

(١) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٧٠١.

(٢) من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٢٧٢ باب وجوب الجمعة و فضلها. حديث ١٢٣٩.

(٣) الكافي ج ٣ ص ٤١٣ باب فضل يوم الجمعة و ليلته. حديث ١. و التهذيب ج ٣ ص ٢ باب العمل في ليلة الجمعة و يومها. حديث ١.

(٤) الكافي ج ٣ ص ٤١٥ باب فضل يوم الجمعة و ليلته. حديث ١١.

(٥) الكافي ج ٣ ص ٤١٥ باب فضل يوم الجمعة و ليلته. حديث ٧. و التهذيب ج ٣ ص ٣ باب العمل في ليلة الجمعة و يومها حديث ٤. و فيه: «عن ابن أبي بختوم بدل «عن أبي حمزة».

فإن قلت: القول الأخير مضبوط في الكافي^(١) والثاني في إرشاد المفيد^(٢) على التعيين والثلاثة في مقننته^(٣) على التردد وبالجملته القدر المشترك بينهما هو مما اتفق عليه الشيخان الجليلان.
قلنا: اتفاقهما بل نقل كل منهما مقبول ما لم يظهر في خلافه ما لا يعتريه الشك والشبهة وأما مع ذلك فالعذر واضح وباب التأويل مفتوح والله أعلم بحقائق الأمور.

ومن ذلك أن ابن إدريس رده في سرائره بعد ذكر فضيلة أيام ذي الحجة وما وقع فيها قال وفي اليوم السادس والعشرين منه سنة ثلاث وعشرين من الهجرة طعن عمر بن الخطاب فينبغي للإنسان أن يصوم هذه الأيام فإن فيها فضلا كثيرا ونوابا جزيلا وقد تلبس^(٤) على بعض أصحابنا يوم قبض عمر بن الخطاب فيظن أنه اليوم التاسع من ربيع الأول وهذا خطأ من قائله بإجماع أهل التواريخ والسير وقد حقق ذلك شيخنا المفيد في كتاب التواريخ وذهب إلى ما نقلناه^(٥) انتهى.

ثم إن صاحب كتاب أنيس العابدين على طبق الكفعمي^(٦) في ذكر أعمال أيام ربيع الأول قال وتاسعه روى فيه صاحب مسار الشيعة أن من أتقى شيئا غفر له ويستحب فيه إطعام الإخوان وتطبيبهم والتوسعة في النفقة وليس الجديد والشكر والعبادة وهو يوم نفي الهموم وروي أنه ليس فيه صوم وجمهور الشيعة يزعمون أن فيه قتل عمر بن الخطاب وليس بصحيح ثم ذكر مضمون السرائر وكتاب التواريخ ثم قال وإنما قتل عمر يوم الإثنين لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة نص على ذلك صاحب الغرة وصاحب المعجم وصاحب الطبقات وصاحب كتاب مسار الشيعة وابن طائوس بل الإجماع حاصل من الشيعة والسنة على ذلك^(٧) انتهى.

وفيه: أن اليوم المذكور من ذي الحجة من السنة المذكورة لا يمكن كونه موافقا ليوم الإثنين بل الضوابط الحسابية على نحو ما مر تدل على أنه غير خارج عن الثلاثاء والأربعاء فالقول بهما مشتمل على التهاوت.

أقول: أكثر ذلك ذكره بعض أفاضل المدققين^(٨) ممن كان في عصرنا رده ولقد دق وأفاد وأحسن وأجاد لكن بعض المقدمات المذكورة مبتنية على أقوال بعض العلماء تبع فيها بعضهم بعضاً أخذاً من بعض المورخين فعدّها من الإجماعات وليس من الإجماع في شيء فلا يمكن القدح بها في الأخبار المعتبرة. وبعضها متفرعة على ما ظهر لهم من الأرصاد المختلفة في الكسور والكبائس مع أن حسابهم مبني على الأمر الأوسط في القمر وقد تتقدم الرؤية عليه بيومين وتتأخر بيومين لما مر أنه قد تتوالى أربعة من الشهور تامة وقد تتوالى ثلاثة من الشهور ناقصة مع أنه قد يمكن تأخر أول الشهور وتأخره بأكثر من ذلك لمانع غيم أو غيره فيمكن أن يكون ما ورد في الأخبار مبنيًا على حكم ظاهر الشرع لا على قوانين الهيئة ومع ذلك كله يصلح أن يكون مرجحاً لبعض الأقوال والأخبار المختلفة ولذا أطننا الكلام بذكرها وسنعيد القول في كل منها في باب إن شاء الله تعالى وقد مر الكلام في بعضها والله الموفق للحق والصواب.

١- مهج الدعوات: رويها من كتاب عبد الله بن حماد الأنصاري عن أبي عبد الله عليه السلام وذكر عنده حزيان فقال هو الشهر الذي دعا فيه موسى على بني إسرائيل فمات في يوم وليلة من بني إسرائيل ثلاثمائة ألف من الناس.^(٩)
٢- وفي حديث آخر من الكتاب المذكور عنه عليه السلام قال إن الله خلق الشهور وخلق حزيان وجعل الآجال فيه مقاربة.^(١٠)

ببيان: تقارب الآجال كناية عن كثرة الموت إما لأن أجل بعضهم يقرب من بعض أو لأن أجل كل منهم يقرب من ابتدائه وفي القاموس إذا تقارب الزمان لم تكدر رؤيا المؤمن تكذب المراد آخر الزمان واقترب الساعة لأن الشيء إذا قل تقاصرت أطرافه.^(١١)

(١) راجع الكافي ج ١ ص ٤٦٣ باب (مولد الحسين عليه السلام).
(٢) راجع الإرشاد للمفيد ج ٢ ص ٩٥.
(٣) المقننة ص ٤٦٧.
(٤) السرائر ج ١ ص ٤١٨ - ٤١٩ وفيه «إلى ما نقلناه».
(٥) لم نعر على كتاب أنيس العابدين هذا.
(٦) مصباح الكفعمي ص ٥١٠ - ٥١١.
(٧) لم نعرف هذا البعض.
(٨) مهج الدعوات ص ٣٥٧.
(٩) القاموس المحيط ج ١ ص ١١٩.

٣- الخصال: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي عن أبيه عن حماد بن عيسى عن الصباح بن سبابة عن أبي جعفر عليه السلام قال إن الله خلق الشهور اثني عشر شهرا و هي ثلاثمائة وستون يوما فحجر منها ستة أيام خلق فيها السماوات والأرضين فمن ثم تقاصرت الشهور. (١)

العلل: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن يعقوب بن يزيد عن حماد مثله. (٢)
العياشي: عن الصباح مثله. (٣)

٤- الفقيه: بإسناده عن محمد بن إسماعيل بن بزيع عن محمد بن يعقوب عن شعيب عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال قلت له إن الناس يروون أن رسول الله صلى الله عليه وآله ما صام من شهر رمضان تسعة وعشرين يوما أكثر مما صام ثلاثين قال كذبوا ما صام رسول الله صلى الله عليه وآله إلا تاما ولا تكون الفرائض ناقصة إن الله تعالى خلق السنة ثلاثمائة وستين يوما و خلق السماوات والأرض في ستة أيام فحجرتها (٤) من ثلاثمائة وستين يوما فالسنة ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوما و شهر رمضان ثلاثون يوما لقول الله عز وجل وَلِتَكْمِلُوا الْعِدَّةَ (٥) والكامل تام و شوال تسعة وعشرون يوما و ذو القعدة ثلاثون يوما لقول الله تعالى وَوَاعِدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً (٦) فالشهر هكذا ثم هكذا أي شهر تام و شهر ناقص و شهر رمضان لا ينقص أبدا و شعبان لا يتم أبدا. (٧)

توضيح: قد عرفت سابقا أن السنة القمرية تزيد على ثلاثمائة وأربعة وخمسين يوما بشمان ساعات و ثمان وأربعين دقيقة على ما هو المضبوط بالأرصاد فما في الخبر مبني على ما تعارف من إسقاط الكسر الناقص عن النصف في الحساب مساهلة فإن كان ثلاث مائة وستون بلا كسر فالسنة المختزلة ناقصة منها أيضا بالقدر المذكور و إلا فيحتمل تمامها.

٥- التهذيب: في الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سئل عن الأهلة فقال هي أهلة الشهور فإذا رأيت الهلال فصم و إذا رأيته فأفطر. (٨)

ومنه: بإسناده عن عبد الله بن سنان عنه عليه السلام مثله. (٩)

المقنعة: عن ابن مسكان عن أبي بصير عن الصادق عليه السلام مثله. (١٠)

بيان: «عن الأهلة» أي المذكورة في قوله تعالى يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ فاستدل عليه السلام بالآية على أن المدار في الأحكام الشرعية على الرؤية كما قال الشيخ ره في التهذيب المعترف في تعرف أوائل الشهور بالأهلة دون العدد علي ما يذهب إليه قوم من شذاذ المسلمين والذي يدل على ذلك قول الله عز وجل يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ (١١) فبين الله تعالى أنه جعل هذه الأهلة معتبرة في تعرف هذه الأوقات ولو كان الأمر على ما يذهب إليه أصحاب العدد لما كانت الأهلة مراعاة في تعرف هذه الأوقات (١٢) إذ كانوا يرجعون إلى العدد دون غيره و هذا خلاف التنزيل و الهلال إنما سمي هلالا لارتفاع الأصوات عند مشاهدتها بالذكر لها و الإشارة إليها بالتكبير أيضا و التهليل عند رؤيتها و منه قيل استهل الصبي إذا ظهر صوته بالصياح عند الولادة و سمي الشهر شهرا لاشتهاره بالهلال فمن زعم أن العدد للأيام و الحساب للشهور و السنين يعني في علامات الشهور عن الأهلة أبطل معنى سمات الأهلة و الشهور الموضوعة في لسان العرب على ما ذكرناه (١٣) انتهى.

(١) الخصال ج ٢ ص ٤٨٦ باب الاثني عشر، حديث ٦٢.

(٢) علل الشرائع ج ٥٥٨ باب ٣٤٧ «العله التي من أجلها تقاصرت الشهور»، حديث ١.

(٣) تفسير العياشي ج ٢ ص ١٢٠، حديث ٧.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٥) سورة الأعراف، آية: ١٤٢.

(٦) من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ١١٠ و ١١١ باب ٥٨ في النوادر، حديث ٤٧٢.

(٧) التهذيب ج ٤ ص ١٥٥ باب (علامة أول شهر رمضان)، حديث ٤٣٠.

(٨) التهذيب ج ٤ ص ١٦٣ باب (علامة أول شهر رمضان)، حديث ٤٥٩.

(٩) المقنعة ص ٢٩٦ باب ٢ من كتاب الصيام.

(١٠) (١١) سورة البقرة، آية: ١٨٩.

(١٢) في المصدر: «أوقات الحج وغيره مما يعثر فيه الوقت».

(١٣) التهذيب ج ٤ ص ١٥٤ باب (علامة أول شهر رمضان و آخره و دليل دخوله).

وأقول: يمكن المناقشة في بعض ما ذكره ره و سذكرها في محلها إن شاء الله.

٦- التهذيب: في الصحيح عن محمد بن عيسى قال كتب إليه أبو عمر^(١) أخيرني يا مولاي أنه ربما أشكل علينا هلال شهر رمضان فلا نراه ونرى السماء ليست علة فيفطر الناس ونظر معهم ويقول قوم من الحساب قبلنا أنه يرى تلك الليلة بعينها بمصر وإفريقية والأندلس فهل يجوز يا مولاي ما قال الحساب في هذا الباب حتى يختلف الفرض على أهل الأمصار فيكون صومهم خلاف صومنا وفطرهم خلاف فطرنا فوقع^(٢) لا تصومن الشك أنظر لرؤيته وصم لرؤيته.^(٣)

بيان: يظهر من كلامه^(٤) أن المدار على الرؤية واختلاف الفرض إن وقع الاختلاف في الرؤية غير ضائر.

٧- الإقبال: روينا بإسنادنا إلى علي بن فضال من كتاب الصيام بإسناده إلى ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله^(٥) قال شهر رمضان رأس السنة.^(٦)

٨- الفقيه: عن العبد الصالح^(٧) قال ادع بهذا الدعاء في شهر رمضان مستقبل دخول السنة وذكر أن من دعا به محتسبا مخلصا لم تصبه في تلك السنة فتنة ولا آفة وذكر الدعاء.^(٨)

٩- الكافي: و التهذيب، بسند فيه جهالة^(٩) عن أبي عبد الله^(١٠) قال «إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ»^(١١) فغرة الشهور شهر الله شهر رمضان^(١٢) و قلب شهر رمضان ليلة القدر و نزل القرآن في أول ليلة من شهر رمضان فاستقبل الشهر بالقرآن.^(١٣)

تبيين: فغرة الشهور أي أولها قال في النهاية غرة كل شيء أوله.^(١٤) وقد ورد في الأخبار أن أول السنة شهر رمضان أو المراد بها أفضلها وأكملها كما قال في النهاية كل شيء ترفع قيمته فهو غرة^(١٥) والغرة أيضا البياض^(١٦) فيحتمل ذلك أيضا أي منور بالأنوار المعنوية والأول أظهر والمشهور بين العرب أن أول سنتهم المحرم وهذه الأمور تختلف باختلاف الاعتبارات فيمكن أن يكون أول السنة الشرعية شهر رمضان ولهذا ابتدأ الشيخ به في المصباحين^(١٧) وأول السنة العرفية المحرم وأول سنة التقديرات ليلة القدر وأول سنة جواز الأكل والشرب شهر شوال كما روى الصدوق في العلل بإسناده إلى الفضل بن شاذان في علة صلاة العيد لأنه أول يوم من السنة يحل فيه الأكل والشرب لأن أول شهور السنة عند أهل الحق شهر رمضان^(١٨) وقال في علة اختصاص شهر رمضان بالصوم وفيه ليلة القدر التي هي خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ وفيها يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ وهو رأس السنة و يقدر فيها ما يكون في السنة من خير أو شر أو مضرة أو منفعة أول رزق أو أجل و لذلك سميت ليلة القدر.^(١٩)

وقال السيد بن طاوس ره في كتاب الإقبال و اعلم أي وجدت الروايات مختلفات في أنه هل أول السنة المحرم أو شهر رمضان لكنني رأيت من عمل من أدركته من علماء أصحابنا المعترين و كثيرا من تصانيف علمائهم الماضين أن أول السنة شهر رمضان على التبيين و لعل شهر الصيام أول العام في عبادات الإسلام و المحرم أول السنة في غير ذلك من التواريخ و مهام الأنعام لأن الله جل جلاله عظم شهر رمضان فقال جل جلاله «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَ

(١) في المصدر إضافة: «و».

(٢) التهذيب ج ٤ ص ١٥٩ باب (علامة أول شهر رمضان وآخره)، حديث ٤٤٦.

(٣) إقبال الأعمال ج ١ ص ٣٢ باب ٢ (في أن أول السنة شهر رمضان).

(٤) من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٦٣ باب ٣٠ ما يقال في أول يوم من شهر رمضان، حديث ٢٧١.

(٥) راجع رجال الطوسي ص ٢٦٨.

(٦) في المصدر: «شهر الله عز ذكره و هو شهر رمضان».

(٧) الكافي ج ٤ ص ٦٥ باب فضل شهر رمضان، حديث ١.

(٨) التهذيب ج ٣ ص ٣٥٤.

(٩) التهذيب ج ٣ ص ٣٥٢.

(١٠) علل الشرائع ص ٢٦٩ باب ١٨٢ «علل الشرائع وأصول الإسلام» حديث ٩ «جزء منه».

(١١) علل الشرائع ص ٢٧٠ باب ١٨٢ «علل الشرائع وأصول الإسلام»، حديث ٩ «جزء منه».

بَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ»^(١) فإسنان حال هذا التعظيم كالشاهد لشهر رمضان بالتقديم ولأنه لم يجر لشهر من شهور السنة ذكر باسمه في القرآن وتعظيم أمره إلا لهذا الشهر شهر الصيام وهذا الاختصاص بذكره كأنه ينبه والله أعلم على تقديم أمره ولأنه إذا كان أول السنة شهر الصيام وفيه ما قد اختلف به من العبادات التي ليست في غيره من الشهور والأيام فكان الإنسان قد استقبل أول السنة بذلك الاستعداد والاجتهاد فيرجى أن يكون باقي السنة جارياً على السداد والبراد وظاهر دلائل المعقول وكثير من المنقول أن ابتداءات الدخول في الأعمال هي أوقات التناهب والاستظهار لأوساطها وأواخرها على كل حال ولأن فيه ليلة القدر التي يكتب فيها مقدار الآجال وإطلاقي الآمال وذلك منه على أن شهر الصيام هو أول السنة فكانه فتح للعباد في أول دخولها^(٢) أن يطلبوا أطول أجالهم وبلوغ أمالهم ليدرکوا آخرها ويحمدوا مواردها ومصادرها. وروى محمد بن يعقوب وابن بابويه في كتابيهما واللفظ لابن يعقوب عن أبي عبد الله عليه السلام قال ليلة القدر هي أول السنة وهي آخرها^(٣) ولأن الإخبار بأن شهر رمضان أول السنة أبعد من التيقن وأقرب إلى مراد العترة النبوية وحسبك شاهداً وتنبهاً وأكد ما تضمنه الأدعية المنقولة في أول شهر رمضان بأنه أول السنة على التعيين والبيان^(٤).

١٠- الخصال: عن محمد بن علي ماجيلويه عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل «إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»^(٥) قال المحرم وصفر وربيع الأول وربيع الآخر وجمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجب وشعبان وشهر رمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة منها أربعة حرم عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من شهر ربيع الآخر^(٦).

بيان: الشهور المذكورة في هذا الخبر هي أشهر السباحة التي قال الله عز وجل «فَنَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ»^(٧) والمشهور أن ابتداءها يوم النحر إلى العاشر من ربيع الآخر وقيل من أول الشوال إلى آخر المحرم لأن الآية نزلت في شوال وقيل لعشر من ذي القعدة إلى عشر من ربيع الأول لأن الحج في تلك السنة كان في ذلك الشهر وعلى التقادير هي غير الأشهر الحرم وكانت مختصة بتلك السنة فهذا إما اصطلاح آخر للأشهر الحرم غير المشهور أو سقط من الخبر شيء وعله أظهر.

١١- الخصال: في خطبة النبي صلى الله عليه وآله في أيام التشريق أيها الناس إن الزمان قد استدار فهو اليوم كهية يوم خلق الله السماوات والأرضين وإن عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ رَجَبُ مَضْرٍ الَّذِي بَيْنَ جَمَادَى وَشَعْبَانَ وَذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمَحْرَمُ فَلَا تَطْلُبُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ فَإِنَّ النِّسْيَ زِيَادَةً فِي الْكَفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَجْلُوتُهُ عَامًا وَيَحْرَمُونَهُ عَامًا يُؤْطَاوُا عِدَّةً مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَكَانُوا يَحْرَمُونَ الْمَحْرَمَ عَامًا وَيَسْتَحِلُّونَ صَفْرًا وَيَحْرَمُونَ صَفْرًا عَامًا وَيَسْتَحِلُّونَ الْمَحْرَمَ^(٨).

بيان: قال في النهاية يقال رجب فلان مولاه أي عظمه ومنه سمي شهر رجب لأنه كان عظيم ومنه الحديث رجب مضر الذي بين جمادى وشعبان أضاف رجب إلى مضر لأنهم كانوا يعظمونه خلاف غيرهم وكانهم اختصاصاً به وقوله بين جمادى وشعبان تأكيد للبيان وإيضاح لأنهم كانوا ينسبونه ويؤخرونه من شهر إلى شهر فيتحول عن موضعه المختص به فبين لهم أنه الشهر الذي بين جمادى وشعبان لا ما كانوا يسمونه على حساب النسب^(٩).

١٢- الخصال: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن الحسين بن سعيد عن الحسين بن علي بن يقطين عن بكر

(٢) من المصدر.

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٥.

(٣) الكافي ج ٤ ص ١٦٠ باب (في ليلة القدر)، حديث ١١ ومن لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ١٠١ باب ٥٣ «في ليلة القدر»، حديث ٤٥٢.

(٥) سورة التوبة، آية: ٣٦.

(٤) إقبال الأعمال ج ١ ص ٣٢ - ٣٣.

(٧) سورة التوبة، آية: ٢.

(٦) الخصال ج ٢ ص ٤٨٩ باب الثاني عشر، حديث ٦٤.

(٩) النهاية ج ٢ ص ١٩٧.

(٨) الخصال ج ٢ ص ٤٨٧ باب الثاني عشر، حديث ٦٣.

بن علي بن عبد العزيز عن أبيه قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن السنة كم يوما هي قال ثلاثمائة وستون يوما منها ستة أيام خلق الله عز وجل فيها الدنيا فطرحته من أصل السنة فصارت السنة ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوما يستحب أن يطوف الرجل في مقامه بمكة عدد أيام السنة ثلاثمائة وستين أسبوعا فإن لم يقدر على ذلك طاف ثلاثمائة وستين شوطا. (١)

١٣- ومنه: عن محمد بن الحسن بن الوليد عن الحسين بن الحسن بن أبان عن الحسين بن سعيد عن فضالة عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال يستحب أن تطوف ثلاثمائة وستين أسبوعا عدد أيام السنة فإن لم تستطع فما قدرت عليه من الطواف. (٢)

١٤- العلل: عن أبي الهيثم عبد الله بن محمد عن محمد بن علي الصائغ عن سعيد بن منصور عن سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اشتد الحر فأبردوا بالصلاة فإن الحر من فيح جهنم واشتكت النار إلى ربها فأذن لها في نفسين (٣) نفس في الشتاء ونفس في الصيف فشدة ما يجدون من الحر من فيحها وما يجدون من البرد من زمهريرها. (٤)

بيان: الخبر عامي ضعيف وقال في النهاية فيه شدة الحر من فيح جهنم الفيح سطوع الحر وفورانه ويقال بالواو وفاحت القدر تفوح وتفيح إذا غلت وقد أخرجه مخرج التشبيه والتمثيل أي كأنه نار جهنم في حرها (٥) انتهى وقال الطيبي فأذن لها في نفسين يبين أن المراد به الحقيقة لا المجاز (٦) وقال الكرماني في شرح البخاري هو علة لشرعية الإبراد فإن شدته يسلب الخشوع أو لأنه وقت غضب الله لا ينبغي فيه الطلب بالنجاة إلا من أذن له انتهى وأقول سيأتي تمام القول فيه في كتاب الصلاة إن شاء الله.

١٥- العياشي: عن أبي جعفر عن رجل عن أبي عبد الله عليه السلام قال إن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام فالسنة تنقص ستة أيام. (٧)
أقول: وسيأتي فضائل الشهور وخواصها في الأبواب المناسبة لها في عرض الكتاب إن شاء الله تعالى.

فائدة:

قال أبو ریحان فأما العرب فإن شهورهم اثنا عشر أولها المحرم (٨) وقد قيل في علل أسامي هذه الشهور أقاويل منها أنه قيل في تسمية المحرم أنه لكونه من جملة الحرم و صفر لامتيازهم (٩) من فرقة تسمى صفرية و شهري ربيع للزهر والأنوار وتواتر الأندية والأمطار وهو نسبة إلى طبع الفصل الذي نسميه نحن الخريف وكانوا يسمونه ربيعا و شهري جمادى لجمود الماء و رجب لاعتمادهم الحركة فيه لا من جهة القتال والرجبة العماد ومنه قيل عذق مرجب و شعبان لشعب القبائل فيه و شهر رمضان للحجارة ترمض فيه من شدة الحر و شوال لارتفاع الحر وإدباره و ذو القعدة للزومهم منازلهم و ذو الحجة لحجهم فيه و توجد للشهور العربية أسامي آخر قد كان أوائلهم يدعونها بها و هي هذه المؤتمر ناخر خوان صوان حنتم زياء الأصم عادل نافق واغل هواع برك و قد توجد هذه الأسماء مخالفة لما أوردناه و مختلفة الترتيب كما نظمها أحد الشعراء.

بمؤتمر و ناجرة بدأنا
وبالزباء بإيدة تسليه
وواغلة و نائلة (١٠) جميعا
و بالخوان يتبعه الصوان
يعود أصم صم به الشنان
و عادلة فهم غرر حسان

(١) الخصال ج ٢ ص ٦٠٢ باب المائة فما فوق، حديث ٧.
(٢) الخصال ج ٢ ص ٦٠٢ باب المائة فما فوق، حديث ٨.
(٣) في المصدر: «النفسين» بدل «نفسين».
(٤) علل الشرائع ص ٢٤٧ باب ١٨١ علة كون الشتاء والصيف، حديث ١.
(٥) النهاية ج ٣ ص ٤٨٤.
(٦) لم نعر على شرح المشكاة للطبي هذا.
(٧) تفسير العياشي ج ٢ ص ١٢٠، حديث ٦.
(٨) في المصدر: «لامتيازهم» وفي نسخة مثل ما في المتن.
(٩) في المصدر: «نائلة» بدل «نائلة».

ومعاني هذه الأسماء على ما ذكر في كتب اللغة أما المؤتمر فمعناه أن يأتَمر بكل شيء مما تأتي به السنة من أقصيتها وأما ناجر فهو من النجر وهو شدة الحر وأما خوان فهو على مثال فعال من الخيانة وكذلك صوان على مثال فعال من الصيانة وهذه المعاني كانت اتفقت لهم عند أول التسمية وأما الزباء فهي الداهية العظيمة المتكاثفة سمي لكثرة القتال فيه وتكاثفه وأما البائد فهو أيضا من القتال إذ كان يبيد فيه كثير من الناس وجرى المثل بذلك العجب كل العجب بين جمادى ورجب وكانوا يستعملون فيه ويتوخون بلوغ ما كان لهم من الثأر والغارات قبل دخول رجب وهو شهر حرام وأما الأصم فلأنهم كانوا يكتفون عن القتال فلا يسمع فيه صوت سلاح وأما الواغل فهو الداخل على شراب ولم يدعوه وذلك لهجومه على شهر رمضان وكان يكثر في شهر رمضان شربهم للخمر لأن ما يتلوه هي شهور الحج وأما ناتل^(١) فهو ميكال للخمر سمي به لإفراطهم في الشرب وكثرة استعمالهم لذلك الميكال وأما العادل فهو من العدل لأنه من أشهر الحج وكانوا يشتغلون فيه عن الباطل وأما الرنة فلأن الأتعام كانت ترن فيه لقرب النحر وأما برك فهو لبروك الإبل إذا أحضرت المنحر وأحسن من النظم الذي ذكرنا نظم الصحاب إسماعيل بن عباد لها وهي هذه شعر.

أردت شهور العرب في جاهلية

فمؤتمر^(٢) يأتي ومن بعد ناجر

وخوان مع صوان^(٣) يجمع في شرك

حنين وزبا والأصم^(٤) وعادل^(٥)

ونافق^(٦) مع وغل^(٧) ورنة^(٨) مع برك^(٩)

انتهى^(١٠)

وأقول: في القاموس ناجر رجب أو صفر وكل شهر من شهور الصيف وقال الخوان كشداد ويضم شهر ربيع الأول^(١١) وقال زياكربى بلا لام جمادى الآخرة^(١٢) وقال حنين كأثير وسكيت وباللام فيهما اسمان لجمادى الأولى والآخرة^(١٣)

ثم قال أبو ريحان ذكر محمد بن دريد في كتاب الوشاح أن ثمود كانوا يسمون الشهور بأسماء أخر وهي هذه موجب وهو المحرم ثم موجر ثم مولد^(١٤) ثم ملزم ثم مصدر ثم هوبر ثم هوبل ثم موها ثم ديمر ثم دابر ثم حيفل ثم مسيل قال وإنهم كانوا يبتدئون من ديمر وهو شهر رمضان ولم تكن العرب تسمي أيامهم بأسماء مفردة كما سمتها الفرس غير أنهم أفردوا لكل ثلاث ليال من كل شهر من شهورهم أسماء على حدة مستخرجا من حال القمر وضوئه فيها فإذا ابتدءوا من أول الشهر فثلاث غرر جمع غرة وغرة كل شيء أوله وقيل لأن الهلال فيها يرى كالغرة ثم ثلاث نفل من قولهم تنفل إذا ابتدأ بالعطية من غير وجوب وبعضهم سمي هذه الثلاث الثانية شهب^(١٥) ثم ثلاث تسع

(١) في المصدر: «ناطل» بدل «ناتل».

(٢) قال الفيروزآبادي: مؤتمر: المحرم، القاموس المحيط ج ١ ص ٣٧٩.

(٣) هكذا في المطبوعة والمصدر، لكن جاء في التفهيم ج ٢٢٩ «بشان». قال الفيروزآبادي: بشأن - كغراب ورمضان شهر ربيع الآخر، القاموس المحيط ج ٤ ص ٢٠٣.

(٤) راجع «صميم» من القاموس المحيط ج ٤ ص ١٤٢.

(٥) هكذا في المطبوعة والمصدر، لكن قال الفيروزآبادي في «عذل» بالذال المعجمة: العاذل: اسم شعبان في الجاهلية أو شوال، القاموس المحيط ج ٤ ص ١٤.

(٦) هكذا في المطبوعة والمصدر، لكن قال الفيروزآبادي في «نتق» - بالنون والتاء والتاف - نائق - بلا لام - شهر رمضان، القاموس المحيط ج ٣ ص ٢٩٤.

(٧) هكذا في المطبوعة والمصدر. لكن قال الفيروزآبادي في «وعل» - بالعين المهملة - الوَعْل: اسم شوال - وكنتف - شعبان، القاموس المحيط ج ٤ ص ٦٦.

(٨) هكذا في المطبوعة والمصدر والظاهر أن الصحيح: «وورنة» قاله الفيروزآبادي في «ورن»: «ورنة: اسم ذي القعدة، القاموس المحيط ج ٤ ص ٢٧٧.

(٩) قال الفيروزآبادي: برك كزُفر - اسم ذي الحجة، القاموس المحيط ج ٣ ص ٣٠٤.

(١٠) الآثار الباقية ص ٦٠ - ٦٢. (١١) القاموس المحيط ج ٤ ص ٢٢٢.

(١٢) القاموس المحيط ج ٤ ص ٢٣١. كلمة «رن» - بالراء والنون -

(١٣) القاموس المحيط ج ٤ ص ٢١٩. (١٤) في المصدر: «مورد» بدل «مولد».

(١٥) في المصدر: «شهباء» بدل «شهب».

لأن آخر ليلة منها هي التاسعة وسمى بعضهم هذه الثلاث الثالثة البهر لأنه تبهر ظلمة الليل فيها ثم ثلاث عشر لأن أولها العاشرة ثم ثلاث بيض لأنها تبيض بطلوع القمر من أولها إلى آخرها ثم ثلاث درع لاسوداد أوائلها تشبيها بالشاء الدرعا والأصل هو التشبيه بالدرع الملبوس لأن لون رأس لابس يخالف لون سائر بدنه ثم ثلاث ظلم لإظلامها في أكثر أوقاتها ثم ثلاث حنادس وقيل لها أيضاً دهم لسوداها ثم ثلاث أدنى^(١) لأنها بقايا وقيل إن ذلك من سير الإبل وهو يقدم إحدى يديه ثم يتبعها الأخرى عجلة ثم ثلاث محاق لاتحاق القمر والشهر وخصوا من الشهر ليالي بأسماء مفردة كآخر ليلة منه فإنها تسمى السرار لاستمرار القمر وتسمى الفحمة أيضاً لعدم الضوء فيها ويقال لها البراء لتبرؤ الشمس فيها.

وكآخر الشهر فإنهم يسمونه النخيرة لأنه ينحرف فيه أي يكون في نحره وكالليلة الثالثة عشر فإنها تسمى السواء والرابعة عشر ليلة البدر لامتلاء القمر فيها وتمام ضوئه وكل شيء قد تم فقد بدر كما قيل للعشرة آلاف درهم بكرة لأنها تمام العدد ومنتهاه بالوضع لا بالطبع^(٢).

باب ١٥ الأيام والساعات والليل والنهار

١- الخصال: عن محمد بن موسى بن المتوكل عن علي بن الحسين السعدآبادي عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي عن أبيه عن ابن أبي عمير عن أبان عن أبي عبد الله عليه السلام قال ساعات الليل اثنتا عشرة ساعة وساعات النهار اثنتا عشرة ساعة وأفضل ساعات الليل والنهار أوقات الصلوات^(٣) ثم قال عليه السلام إنه إذا زالت الشمس فتحت أبواب السماء وهبت الرياح ونظر الله عز وجل إلى خلقه وإني لأحب أن يصعد لي عند ذلك إلى السماء عمل صالح ثم قال عليكم بالدعاء في أديار الصلوات^(٤) فإنه مستجاب^(٥).

٢- ومنه: عن أبيه عن محمد بن يحيى العطار عن محمد بن أحمد بن يحيى عن إبراهيم بن إسحاق عن محمد بن الحسن بن شمون عن أبي هاشم قال قلت لأبي الحسن الماضي عليه السلام لم جعلت صلاة الفريضة والسنة خمسين ركعة لا يزداد فيها ولا ينقص منها قال إن ساعة^(٦) الليل اثنتا عشرة ساعة وفيما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ساعة وساعات النهار اثنتا عشرة ساعة فجعل لكل ساعة ركعتين وما بين غروب الشمس إلى سقوط الشفق^(٧) غسق^(٨).

٣- العلل: عن أبيه إلى قوله عن أبي هاشم الخادم وذكر الحديث وزاد في آخره فجعل للفقس ركعة^(٩).

بيان: المراد بالركعة ركعتا الوتيرة فإنهما تعدان ركعة والمراد بالساعة في الخبرين الساعات المعوجة الزمانية كما سيأتي بيانها وعدم إدخال الساعتين في الليل والنهار مبني على اصطلاح خاص كان عند القدماء وأهل الكتاب ونقل أبو ریحان البيروني في القانون المسعودي عن براهمة الهند أن ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وكذلك ما بين غروب الشمس وغروب الشفق خارجان عن الليل والنهار بل هما بمنزلة الفصل المشترك بينهما^(١٠) وذكره البرجندي في بعض تعليقاته^(١١).

٤- العلل: في خبر ابن سلام سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم سمي الليل ليلاً قال لأنه يلايل الرجال من النساء جعله الله عز وجل ألفة ولباساً وذلك قول الله عز وجل ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾^(١٢).

(١) في المصدر: «دأدي» بدل «آدي».

(٢) الأثر الباقي ص ٦٣ - ٦٤. هذا آخر ما جاء في الجزء الخامس والخمسين من المطبوعة.

(٣) في المصدر: «الصلوة».

(٤) في المصدر: «ساعات».

(٥) الخصال ج ٢ ص ٤٨٨ باب الاتني عشر حديث ٦٥.

(٦) في المصدر: «القرص».

(٧) علل الشرائع ص ٣٢٧ باب ٢٣ حديث ١ مع اختلاف يسير.

(٨) القانون المسعودي ج ١ ص ٦٤. المقالة الأولى. الباب الرابع في تحديد الأيام والليل منها.

(٩) لم نثر على هذه التعليلات.

(١٠) علل الشرائع ص ٤٧٠ باب ٢٢٢ حديث ٣٣ والآتان من سورة النبأ: ١٠ - ١١.

بيان: الملايلة المعاملة ليلا كالمايومة المعاملة يوما و يظهر منه أن الليل من الملايلة مع أن الظاهر العكس ويمكن أن يكون تنبيها على أن أصل الليل الستر.

٥- العلل: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن إبراهيم بن هاشم عن التوفلي عن السكوني عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ لا تسبوا الرياح فإنها مأمورة ولا تسبوا الجبال ولا الساعات ولا الأيام ولا الليالي فتأثموا و ترجع عليكم^(١).

بيان: حاصله أن تلك الأمور إن كان فيها شر أو نحوسة أو ضرر فكل ذلك بتقدير خالقتها وهي مجبولة عليها فلعلها لعن من لا يستحقه ومن لعن من لا يستحقه يرجع اللعن عليه.

٦- تحف العقول: قال الحسن بن مسعود دخلت على أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام و قد نكيت^(٢) أصبعي و تلقاني راكب و صدم كتفي و دخلت في زحمة فخرقوا على بعض ثيابي فقلت كفاني الله شرك من يوم فما أشأمك فقال لي يا حسن هذا و أنت تغشانا ترمي بذهنبك من لا ذنب له قال الحسن فأثاب إلي عقلي و تبينت خطائي فقلت مولاي أستغفر الله فقال يا حسن ما ذنب الأيام حتى صرتم تتشأمون^(٣) بها إذا جوزيتهم بأعمالكم فيها قال الحسن أنا أستغفر الله أبدا و هي توبتي يا ابن رسول الله قال و الله ما ينفعكم و لكن الله يعاقبكم بذهمها على ما لا ذم عليها فيه أما علمت يا حسن أن الله هو المشيب و المعاقب و المجازي بالأعمال عاجلا و أجلا قلت بلى يا مولاي قال لا تعد و لا تجعل للأيام صنعا في حكم الله^(٤).

بيان: هذا أي تقول هذا و أنت تغشانا أي تدخل علينا فأثاب أي أرجع الإمام إلى عقلي و يدل على أنه ليس لحركات الأفلاك و حدوث الأزمنة مدخل في الحوادث و هذا لا ينافي ما وقع من التحرز عن بعض الساعات و الأيام للأعمال لأنها بأمره تعالى تحرزا عما قدر الله حدوثه فيها كما قال أمير المؤمنين عليه السلام أفر من قضاء الله إلى قدره.

٧- النهج: [نهج البلاغة] قال عليه السلام و قد سئل عن مسافة ما بين المشرق و المغرب مسيرة يوم للشمس^(٥).

بيان: لعل عدوله عليه السلام عن الجواب الحقيقي إلى الإقناعي للإشعار بقلة الفائدة في معرفة تلك المسافة نحو ما قيل في قوله تعالى ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾^(٦) أو لئلا يثابها على وجه لا يبقى للمناقضين من الحاضرين سبيل إلى الإنكار كما صرح عليه السلام به في جواب من سأل عن عدد شعر لحيته أو لعدم استعداد الحاضرين لفهمه بحجة و دليل و عدم المصلحة في ذكره بلا دليل.

٨- العلل: لمحمد بن علي بن إبراهيم قال علة فضل الليل على النهار أن بالليل يكون البيات و يرفع العذاب و تقل المعاصي و فيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر^(٧).

بيان: لعل المراد بالبيات البيوتة و النوم و الاستراحة أو البيات إلى الطاعات و الظاهر أنه كان السبات فضحفة النساخ قال الجوهري السبات النوم و أصله الراحة و منه قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾^(٨) و يرفع العذاب عذاب المخلوقين على الغالب.

٩- الكافي: عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن الحسن بن محبوب عن إسماعيل بن أبان عن عمرو بن عبد الله الثقيفي قال لما أخرج هشام بن عبد الملك أبا جعفر عليه السلام إلى الشام سأله عالم من علماء النصارى عن مسائل فكان فيما سأله أخبرني عن ساعة ما هي من الليل و لا من النهار أي ساعة هي فقال أبو جعفر عليه السلام ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس فقال النصارى فإذا لم تكن من ساعات الليل و لا من ساعات النهار فمن أي الساعات هي فقال أبو جعفر عليه السلام من ساعات الجنة و فيها نفيق مرضانا^(٩) الخير.

(١) علل الشرائع ٥٥٧ باب ٣٨٣ حديث ١.

(٢) في المصدر: «نكيت».

(٣) تحف العقول ص ٣٦١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٩.

(٥) الصحاح ج ١ ص ٢٥٠ و الآية من سورة النبأ: ٩.

(٦) في المصدر: «تتشأمون».

(٧) نهج البلاغة ص ٥٢٧ كلمة: ٢٩٤.

(٨) لم نثر على كتاب العلل هذا.

(٩) روضة الكافي ص ١٢٢ حديث ٩٤.

توضيح: قد عرفت أن هذا اصطلاح آخر في الليل و النهار و ساعاتهما كان معروفا بين أهل الكتاب فأجابه عليه السلام على مصطلحهم و الحاصل أن هذه الساعة لا تشبه شيئا من ساعات الليل و النهار بل هي شبيهة بساعات الجنة و إنما جعلها الله في الدنيا ليعرفوا بها طيب هواء الجنة و لطافته و اعتداله.

١٠- إرشاد القلوب: بإسناده رفعه إلى الكاظم عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال قال أمير المؤمنين عليه السلام إن الله تعالى فرض على أمة محمد عليه السلام في الليل و النهار خمس صلوات في خمسة أوقات اثنتان بالليل و ثلاث بالنهار ثم جعل هذه الخمس صلوات تعدل خمسين صلاة^(١) و جعلها كفارة خطاياهم^(٢) الخبر.

١١- الخصال: عن الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري عن عمه عن أبي إسحاق قال أُملي علينا تغلب^(٣) ساعات الليل الفسق و الفحمة و العشوة و الهدأة و السباح^(٤) و الجنع و الهزيع^(٥) و العفر^(٦) و الزلفة و السحرة و البهرة و ساعات النهار الراد و الشروق و المتنوع و الترجل^(٧) و الدلولك و الجنوح و الهجيرة^(٨) و الظهيرة و الأصيل و الطفل^(٩).

توضيح: قال الفيروز آبادي الفسق محرقة ظلمة أول الليل^(١٠) و قال الفحمة من الليل أوله أو أشد سواده أو ما بين غروب الشمس إلى نوم الناس خاص بالصف جمع فحام و فحوم^(١١) و قال العشوة بالفتح الظلمة كالعشاء ما بين^(١٢) أول الليل إلى ربه و العشاء أول الظلام أو من المغرب إلى العتمة^(١٣) أو من زوال الشمس إلى طلوع الفجر و العشية آخر النهار و العشاءان المغرب و العتمة و في الصباح المنير العشي قبل ما بين الزوال إلى الصباح^(١٤) و قبل العشي و العشاء من صلاة المغرب إلى العتمة و عليه قول ابن فارس العشاءان المغرب و العتمة قال ابن الأنباري العشية مؤنثة و ربما ذكرتها العرب و قال بعضهم العشية واحدة جمعها عشي و العشاء بالكسر و المد أول ظلام الليل و العشاء بالفتح و المد الطعام الذي يتعشى به وقت العشاء^(١٥) و قال أتنا بعد هذه من الليل و هذه و هداة و هديء و مهدأ و هدوء أي حين هذا الليل و الرجل أو الهدء أول الليل إلى ثلثه^(١٦) و أما السباح فلم أجده فيما عندنا من كتب اللغة و كأنه من السباح ككتاب بمعنى الجماع لأنه وقته أو من السبع لأنه مضى من الليل سبع ساعات أو هو بالياء المثناة التحتانية قال في القاموس بعد سيعاء من الليل بالكسر و كسيرا بعد قطع منه^(١٧) و بعد سوع من الليل و سواع كغراب بعد هذه^(١٨) و قال جنوح الليل إقباله و الجنع بالكسر الجانب و من الليل الطائفة و يضم^(١٩) و قال الراغب في مفرداته الجنع قطعة من الليل مظلمة^(٢٠) و في القاموس هزيع من الليل كأمير طائفة أو نحو ثلثه أو ربه^(٢١) و العفر في بعض النسخ بالعين المهملة و الفاء و في بعضها بالمعجمة و على التقادير أخرى راء مهملة و في بعضها الفقد بالفاء ثم الغين المعجمة و في بعضها بالفاء ثم القاف و في بعضها بالنون ثم القاف و على التقادير أخرى دال مهملة و لم أجد لشيء منها معنى مناسباً و في القاموس يعفور جزء من أجزاء الليل^(٢٢) فالأول أنسب إن لم يكن تصحيفه و في القاموس الزلفة بالضمة الطائفة من الليل و الجمع زلف كزرف و غرفات و غرفات و غرفات أو الزلف ساعات الليل الآخذة من النهار و ساعات النهار الآخذة من الليل^(٢٣) و قال الجوهري الزلفة الطائفة من أول الليل^(٢٤) و قال

- (١) في المصدر: «صلوات».
(٢) في المصدر: «تغلب».
(٣) في المصدر إضافة: «والتقد».
(٤) في المصدر: «والترجل».
(٥) الخصال ج ٢ ص ٤٨٨ باب الاثني عشر حديث ٦٧.
(٦) القاموس المحيط ج ٤ ص ١٦٠.
(٧) القاموس المحيط ج ٤ ص ٣٦٤ و ٣٦٥.
(٨) المصباح المنير ج ٢ ص ٤١٢.
(٩) القاموس المحيط ج ٣ ص ٤٤.
(١٠) القاموس المحيط ج ١ ص ٢٢٦.
(١١) القاموس المحيط ج ٣ ص ١٠٢.
(١٢) القاموس المحيط ج ٢ ص ٤٦.
(١٣) إرشاد القلوب ص ١٢٤.
(١٤) عبارة: «والسباح» ليست في المصدر.
(١٥) في المصدر: «والعقر».
(١٦) في المصدر: «والهجيرة».
(١٧) أقاموس المحيط ج ٣ ص ٢٨١.
(١٨) في المصدر: «كالعشاء أو ما بين».
(١٩) في المصدر: «الغروب».
(٢٠) القاموس المحيط ج ١ ص ٣٥.
(٢١) القاموس المحيط ج ٣ ص ٤٣.
(٢٢) مفردات الراغب ص ٨٩.
(٢٣) القاموس المحيط ج ٣ ص ١٥٣.
(٢٤) الصحاح ج ٣ ص ١٣٧٠.

السحر قبل الصبح والسحرة بالضم السحر الأعلى^(١) وقال الراغب في المفردات السحر والسحرة اختلاط ظلام آخر الليل بضياء النهار وجعل اسما لذلك الوقت يقال لقيته بأعلى سحرين.^(٢) وفي القاموس ابهار الليل انتصف أو تراكبت ظلمته أو ذهب عاتمته أو بقي نحو ثلثه والبهرة بالضم من الليل وسطه^(٣) وقال رائد الضحى ورأه ارتفاعه^(٤) وقال الشرق الشمس ويحرك وإسفارها وشرقت الشمس شرقا وشروقا طلعت كأشرقت^(٥) وقال منع النهار كمنع متوعا ارتفع قبل الزوال والضحى بلغ آخر غايته وهو عند الضحى الأكبر أو ترجل وبلغ الغاية^(٦) وقال ترجل النهار ارتفع^(٧) وقال دلكت الشمس دلوكا غربت أو صفرت أو مالت أو زالت من كبد السماء^(٨) انتهى.

وأقول: قد ورد في الأخبار أن دلوك الشمس زوالها والجنوح لعله هنا بمعنى الميل لميل الشمس إلى المغرب ولم أر بهذا المعنى في كتب اللغة وفي القاموس الهجير والهجرة والهجر والهجرة نصف النهار عند زوال الشمس مع الظهر أو من عند زوالها إلى العصر لأن الناس يستكنون في بيوتهم كأنهم قد تهاجروا شدة الحر^(٩) وقال الظهر ساعة الزوال والظهيرة حد انتصاف النهار وإنما^(١٠) ذلك في القبط^(١١) وقال الراغب الظهيرة وقت الظهر^(١٢) وقال يقال للعشي أصيل وقال الطفل بالتحريك بعد العصر إذا طفلت الشمس للمغرب يقال أنتيه طفلا.^(١٣)

أصيلة^(١٤) وقال الجوهري الأصيل الوقت بعد العصر إلى المغرب وجمعه أصل وأصال^(١٥) وأقول: ورأيت في بعض الكتب^(١٦) أن العرب قسموا كلا من الليل والنهار باثنتي عشرة ساعة وسموا كلا منها باسم فساعات النهار البكور والشرق والغدو والضحى والهجرة والظهيرة والرواح والعصر والقصر والأصيل والعشي والغروب وساعات الليل الشفق والغسق والعتمة والسدقة والجهمة والزلفة والبهرة والسحر والسحرة والفجر والصبح والصبح وبعضهم ذكروا في ساعات النهار الذرور والزيوغ والضحى والغزاة والهجرة والزوال والدلوك والعصر والأصيل والصبوب والحدود والغروب وبعضهم هكذا البكور والشرق والإشراق والراد والضحى والمتوع والهجرة والأصيل والعصر والقصر والطفل والغروب ففي القاموس البكرة بالضم الغدوة كالبركة محركة واسمها الإيبار بكر إليه وعليه وفيه وبكر وابتكر أثناء بكرة وكل من بادر إلى شيء فقد أبكر إليه في أي وقت كان.^(١٧)

وقال الغدوة بالضم البكرة أو ما بين صلاة الفجر والطلوع الشمس كالغداة والغذية والجمع غدوات وغديات وغدايا وغدوا ولا يقال غدايا إلا مع عشايا وغدا عليه غدوا وغدوة بالضم واغتدى بكر^(١٨) وقال الضحو والضحو والضحو والضحية كعشية ارتفاع النهار والضحى فوقه والضضاء بالمد إذا قرب انتصاف النهار^(١٩) وقال الرواح العشي من الزوال^(٢٠) إلى الليل^(٢١) وقال العصر العشي إلى احمرار الشمس^(٢٢) وقال الجوهري قصر الظلام اختلاطه وقد قصر العشي يقصر قصورا إذا أمسيت ويقال أنتيه قصر أي عشا^(٢٣) وقال الشفق بقية ضوء الشمس له^(٢٤) حمرتها في أول الليل إلى قريب من العتمة.^(٢٥) وقال الخليل الشفق الحمرة من غروب الشمس إلى وقت العشاء

(٢) مفردات الراغب ص ٢٢٢.

(٤) القاموس المحيط ج ١ ص ٣٠٤.

(٦) القاموس المحيط ج ٣ ص ٨٦.

(٨) القاموس المحيط ج ٣ ص ٣١٢.

(١٠) في المصدر: «أو أنما».

(١٢) مفردات الراغب ج ٢ ص ٣٢٩.

(١٤) مفردات الراغب ص ١٥.

(١٦) لم تعرف اسم هذا الكتاب.

(١٨) القاموس المحيط ج ٤ ص ٣٧١.

(٢٠) في المصدر: «أو من الزوال».

(٢٢) القاموس المحيط ج ٢ ص ٩٣.

(٢٤) في المصدر: «و» بدل «له».

(١) الصحاح ج ٢ ص ٦٧٨ - ٦٧٩.

(٣) القاموس المحيط ج ١ ص ٣٩٢.

(٥) القاموس المحيط ج ٣ ص ٢٥٧.

(٧) القاموس المحيط ج ٣ ص ٣٩٢.

(٩) القاموس المحيط ج ٢ ص ١٦٤، وفيه «وشدة الحر».

(١١) القاموس المحيط ج ٢ ص ٨٥.

(١٣) الصحاح ج ٣ ص ١٧٥١، وفيه «للغروب».

(١٥) الصحاح ج ٣ ص ١٦٢٣.

(١٧) القاموس المحيط ج ١ ص ٣٩٠.

(١٩) القاموس المحيط ج ٤ ص ٣٥٦.

(٢١) القاموس المحيط ج ١ ص ٢٢٣.

(٢٣) الصحاح ج ٢ ص ٧٩٢ - ٧٩٣.

(٢٥) الصحاح ج ٣ ص ١٥٠١.

الآخرة^(١) فإذا ذهب قيل غاب الشفق وقال العتمة وقت صلاة العشاء^(٢) قال الخليل العتمة هو الثلث الأول من الليل بعد غيبوبة الشفق^(٣) وقد عتم الليل يعتم وعتمته ظلامه. وقال قال الأصمعي السدفة والسدفة في لغة نجد الظلمة وفي لغة غيرهم الضوء وهو من الأضداد وكذلك السدف بالتحريك وقال أبو عبيد بعضهم يجعل السدفة اختلاط الضوء والظلمة معا كوقت ما بين طلوع الفجر إلى الإسفار وقد أسدف الليل أي أظلم^(٤) وقال الفيروزآبادي الجهمة أول ما أخير الليل أو بقية سواده من آخره ويضم^(٥) وقال الفجر ضوء الصباح وهو حمرة الشمس في سواد الليل وقد انفجر الصبح وتفجر وانفجر عنه الليل وأفجروا دخلوا فيه وأنت سفجر إلى طلوع الشمس^(٦) وقال الصبح الفجر أو أول النهار والجمع أصباح وهو الصبيحة والمصباح والإصباح^(٧) انتهى.

وأقول: الظاهر أن مرادهم بالفجر الأول والصبح الثاني وبالصبح الإسفار وللصبح عند العرب أسماء كثيرة الفلق بالتحريك والسطيع والصديع والمغرب والصرام والصريم والشميط والسدف والشق والفتق والذروق من ذرت الشمس تذر ذرورا إذا طلعت وبزوغ الشمس أيضا طلوعها. وفي القاموس الغزاة كسحابة الشمس لأنها تمتد حبالا كأنها تغزل أو الشمس عند طلوعها أو عند ارتفاعها وغزاة الضحى وغزالاته أولها^(٨) أو بعد^(٩) ما تنبسط الشمس وتضحى أو أولها إلى مضي خمس النهار^(١٠) انتهى.

والصوب والحدود لم أرهما معنى مناسباً ويقال للغداة والعشي البردان والأبردان والعصران والصرعان والقرتان والكرتان ويقال وسقى الليل لساعة منه وسهوا الليل ورويته بالفتح والضم يغير هزم اسمان لبعض ساعات الليل والهة بكسر الهاء وتشديد الباء الساعة تبقى من السحر ويقال رأيت بلجة الصبح بالفتح والضم إذا رأيت ضوءه. فهذا ما وجدنا من أسماء ساعات الليل والنهار عند العرب والليل والنهار أيضا عندهم أسماء الدائبان والصرقان والجديدان والأجدان والحاديان والأصرمان والموان والعصران والردفان والصرعان والأترمان والمتباديان والفتيان والظريدان وابنا سبات وابنا جخير وابنا سمير فالدائبان الأعمار والموان من قولهم عشت معه الصرطان لصروف الدهر فيهما والجديدان لحدوثهما وتجددهما ولذلك سمي الأجدان والحاديان لسوقتهما الناس إلى الموت والأصرمان لقطعتهما الأعمار والموان من قولهم عشت معه ملاوة من الدهر أي حينا وبرهة ويقال سكنت مليا أي طويلا والعصران من العصر بمعنى الدهر والردفان لترادفهما وتواليهما والصرعان إبلا ن ترد أحدهما حين تصدر الأخرى والصرعان أيضا المثلاث والأترمان أي القديمان الشائبان فإن الترم سقوط الثنايا من الأسنان والمتباديان من البدو بمعنى الظهور والفتيان لأنهما يتجددان شابين والظريدان لأنهما يطردان ويدفعان سريعا والسبات بالضم الدهر والجدير من قولهم أجبر القوم على الشيء إذا اجتمعوا عليه وهذا جدير القوم أي مجتمعهم والسمير من المسامرة وهو الحديث بالليل والسمير أيضا الدهر وابناء الليل والنهار.

فوائد جلية

الأولى: اعلم أن اليوم نوعان حقيقي وسطي فالحقيقي عند بعض المنجمين من زوال الشمس من دائرة نصف النهار فوق الأرض إلى وصولها إليها وعند بعضهم من زوال مركز الشمس من دائرة نصف النهار تحت الأرض إلى وصولها إليها وعلى التقديرين يكون اليوم بليته بمقدار دورة من المعدل مع المطالع الإستوائية لقوس يقطعه الشمس من فلك البروج بحركتها الخاصة من نصف اليوم إلى نصف اليوم أو من نصف الليل إلى نصف الليل والوسطي هو مقدار دورة من المعدل مع مطالع قوس تقطعه الشمس بالسير الوسطي وبسبب الاختلاف بين الحركة

(٢) كتاب العين ج ٢ ص ٨٢.

(٤) الصحاح ج ٣ ص ١٣٧٢.

(٦) القاموس المحيط ج ٢ ص ١١١.

(٨) في المصدر: «أوله».

(١٠) أقاموس المحيط ج ٤ ص ٢٤ - ٢٥.

(١١) كتاب العين ج ٥ ص ٤٥.

(٣) القاموس المحيط ج ٤ ص ١٤٨.

(٥) القاموس المحيط ج ٤ ص ٩٣.

(٧) القاموس المحيط ج ١ ص ٢٤٠.

(٩) في المصدر: «أو يعيد».

الوسطية والحركة التقويمية يختلف اليوم بالمعنى الأول والثاني اختلافاً يسيراً يظهر في أيام كثيرة لكن اليوم بالاصطلاحين لا يختلف باختلاف الآفاق وبعضهم يأخذون اليوم من طلوع الشمس إلى طلوعها وبعضهم من غروبها إلى غروبها وذلك يختلف باختلاف الآفاق كما تقرر في محله.

قال أبو ریحان البيروني إن اليوم بليته هو عودة الشمس بدوران الكل إلى دائرة فرضت ابتداء لذلك اليوم بليته أي دائرة كانت إذا وقع عليها الاصطلاح وكانت عظيمة لأن كل واحدة من العظام أفق بالقوة أعنى بالقوة أنه يمكن فيها أن يكون أفقا لمسكن ما وبدوران الكل حركة الفلك بما فيه المرتبة من المشرق إلى المغرب على قطبيه.

ثم إن العرب فرضت أول مجموع اليوم والليلة نقط المغارب على دائرة الأفق فصار اليوم عندهم بليته من لدن غروب الشمس عن الأفق إلى غروبها من الغد والذي دعاهم إلى ذلك هو أن شهورهم مبتنية على مسير القمر مستخرجة من حركاته المختلفة^(١) مقيدة بروؤية الأهلة لا الحساب وهي ترى لدى غروب الشمس ورؤيتها عندهم أول الشهر فصارت الليلة عندهم قبل النهار وعلى ذلك جرت عاداتهم في تقديم الليالي على الأيام إذا نسبوا إلى أسماء الأسابيع واحتج لهم من وافقهم على ذلك بأن الظلمة أقدم في المرتبة من النور وأن النور طار على الظلمة فالأقدم أولى أن يبدأ به وغلبوا السكون لذلك على الحركة بإضافة الراحة والدعة^(٢) وأن الحركة لحاجة وضرورة والتعب عقيب الضرورة فالتعب نتيجة الحركة وبأن السكون إذا دام في الأنطقسات مدة لم يولد فساداً فإذا دامت الحركة فيها واستحكمت أفسدت وحدثت الزلازل^(٣) والعواصف والأمواج وأشباهاها فأمّا عند غيرهم من الروم والفرس ومن وافقهم فإن الاصطلاح واقع بينهم على أن اليوم بليته هو من لدن طلوعها من أفق المشرق إلى طلوعها منه بالغد إذا كانت شهورهم مستخرجة بالحساب غير متعلقة بأحوال القمر ولا غيره من الكواكب وابتدائها من أول النهار فصار النهار عندهم قبل الليل واحتجوا بأن النور وجود والظلمة عدم ومقدمو النور على الظلمة يقولون بتغليب الحركة على السكون لأنها وجود لا عدم وحياة لا موت ويعارضونهم بنظائر ما قاله أولئك كقولهم إن السماء أفضل من الأرض وإن العالم والشباب أصح والماء الجاري لا يقبل عفونة كالراكد وأما أصحاب التنجيم فإن اليوم بليته عند جلهم والجمهور من علمائهم هو من لدن موافاة الشمس فلك نصف النهار إلى موافاتها إياه في نهار الغد وهو قول بين القولين فصار ابتداء الأيام بلياليها عندهم من النصف الظاهر من فلك نصف النهار وبنوا على ذلك حسابهم^(٤) واستخرجوا عليها مواضع الكواكب بحركاتها المستوية ومواقعها المقيمة في دقات السنة وبعضهم أثر النصف الخفي من فلك نصف النهار فابتدءوا^(٥) به من نصف الليل كصاحب زيج شهرياران^(٦) ولا بأس بذلك فإن المرجح إلى أصل واحد.

والذي دعاهم إلى اختيار دائرة نصف النهار دون دائرة الأفق هو أمور كثيرة منها أنهم وجدوا الأيام بلياليها مختلفة المقادير غير متفقة كما يظهر ذلك من اختلافها عند الكسوفات ظهوراً بيناً للحس وكان ذلك من أجل اختلاف مسير الشمس في فلك البروج وسرعة فيه مرة وبطء أخرى واختلاف مرور القطع من فلك البروج على الدوائر فاحتاجوا إلى تعديلها لإزالة ما عرض لها من الاختلاف وكان تعديلها بمطالع فلك البروج على دائرة نصف النهار مطرداً في جميع المواضع إذ كانت هذه الدائرة بعض آفاق الكرة المنتصبة وغير متغيرة للوآزم في جميع البقاع من الأرض ولم يجدوا ذلك في دوائر الآفاق لاختلافها في كل موضع وحدوثها لكل واحد من العروض على شكل مخالف لما سواه وتفاوت مرور قطع^(٧) فلك البروج عليها والعمل بها غير تام ولا جار مجلي نظام.

ومنها: أنه ليس بين دوائر أنصاف نهار البلاد إلا ما بينهما من دائرة معدل النهار والمدارات المشبهة بها فأمّا الآفاق فإن ما بينها مركب من ذلك ومن انحرافها إلى الشمال والجنوب وتصحيح أحوال الكواكب ومواقعها إنما هو بالجهة التي يلزم من فلك نصف النهار وتسمى الطول ليس له خط في الجهة الأخرى اللازمة عن الأفق وتسمى

(١) في المصدر إضافة: «وأوائها».

(٢) في المصدر: «وذلك كالزلازل» بدل «وحدثت الزلازل».

(٣) في المصدر: «فابتداء».

(٤) في المصدر إضافة: «إليه».

(٥) في المصدر إضافة: «في الزيجات».

(٦) في المصدر إضافة: «الشاه».

(٧) في المصدر: «القطع من» بدل «قطع».

العرض فلأجل هذا اختاروا الدائرة التي تطرد عليها حساباتهم و أعرضوا عن غيرها على أنهم لو راموا العمل بالآفاق لنهاهم و لأدتهم إلى ما أدتهم إليه دائرة نصف النهار لكن بعد سلوك المسلك البعيد و أعظم الخطأ هو تنكب الطريق المستقيم إلى البعد الأطول على عمد.^(١)

الفائدة الثانية: اعلم أن اليوم قد يطلق على مجموع اليوم و الليلة و قد يطلق على ما يقابل الليل و هو يرادف النهار و لا ريب في أن اليوم و النهار الشرعيين مبدؤهما من طلوع الفجر الثاني إلى غيبوبة قرص الشمس عند بعض و إلى ذهاب الحمرة المشرقية عند أكثر الشيعة و عند المنجمين و أهل فارس و الروم من طلوع الشمس إلى غروبها و خلط بعضهم بين الاصطلاحين فتوهم أن اليوم الشرعي أيضا في غير الصوم من الطلوع إلى الغروب و هذا خطأ و قد أوردنا الآيات و الأخبار الكثيرة الدالة على ما اخترناه في كتاب الصلاة و أجبنا عن شبه المخالفين في ذلك.

قال أبو ريحان بعد إيراد ما تقدم منه هذا الحد هو الذي نحد به اليوم على الإطلاق إذا اشترط الليلة في التركيب فأما على التقسيم و التفصيل فإن اليوم بانفراده و النهار بمعنى واحد و هو من طلوع جرم الشمس إلى غروبه و الليل بخلاف ذلك و عكسه بتعارف من الناس قاطبة فيما بينهم و اتفاق من جمهورهم لا يتنازعون فيه إلا أن بعض علماء الفقه في الإسلام حد أول النهار بطلوع الفجر و آخره بغروب الشمس تسوية منه بينه و بين مدة الصوم و احتج بقوله تعالى ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾^(٢) فادعى أن هذين الحدين هما طرفا النهار و لا تعلق لمن رأى هذا الرأي بهذه الآية بوجه من الوجوه لأنه لو كان أول الصوم أول النهار لكان تحديده ما هو ظاهر بين للناس بمثل ما حده به جاريا مجرى التكلف لما لا معنى له كما لم يعد آخر النهار و أول الليل بمثل ذلك إذ هو معلوم متعارف لا يجهله أحد و لكنه تعالى لما حد أول الصوم بطلوع الفجر و لم. يحد آخره بمثله بل أطلقه بذكر الليل فقط لعلم الناس بأسره أنه غروب قرص الشمس علم أن المراد بما ذكر في الأول لم يكن مبدأ النهار و مما يدل على صحة قولنا قوله تعالى ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةٌ الصَّيَامِ الرَّفْتُ إِلَى نَسَائِكُمْ﴾ إلى قوله تعالى^(٣) ﴿ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾^(٤) فأطلق المباشرة و الأكل و الشرب إلى وقت محدود لا الليل كله كما كان محظورا على المسلمين قبل نزول هذه الآية الأكل و الشرب بعد عشاء الآخرة و ما كانوا يعدون صومهم بيوم و بعض ليلته^(٥) بل كانوا يذكرونها أياما بإطلاق.

فإن قيل: إنه أراد بذلك تعريفهم أول النهار للزم أن يكون الناس قبل ذلك جاهلين بأول الأيام و الليالي و ذلك ظاهر المحال فإن قيل إن النهار الشرعي خلاف النهار الوضعي فما ذلك إلا خلاف في العبارة و تسمية شيء باسم وقع في التعارف على غيره مع تعري الآية عن ذكر النهار و أوله و المشاحة في مثل ذلك مما نعزلها و نوافق الخصوم في العبارات إذا وافقونا في المعاني و كيف يعتقد أمر ظهر للعيان خلافه فإن الشفق من جهة المغرب هو نظير الفجر من جهة المشرق و هما متساويان في العلة متوازيان في الحالة فلو كان طلوع الفجر أول النهار لكان غروب الشفق آخره و قد اضطر إلى قبول ذلك بعض الشيعة و على أن من خالفنا فيما قدمناه يوافقنا في مساواة الليل و النهار مرتين في السنة إحداهما في الربيع و الأخرى في الخريف و يطابق قوله قولنا في أن النهار ينتهي في طوله عند تناهي قرب الشمس من القطب الشمالي و أنه ينتهي في قصره عند تناهي بعدها منه و أن ليل الصيف الأقصر يساوي نهار الشتاء الأقصر و أن معنى قوله ﴿يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ يُولِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾^(٦) و قوله تعالى ﴿يَكُونُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَ يَكُونُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ﴾^(٧) راجع إلى ذلك فإن جهلوا ذلك كله أو تجاهلوا لم يجدوا بدا من كون النصف النهار الأول ست ساعات و النصف الأخير ست ساعات و لا يمكنهم التعامي عن ذلك لشيوع الخبر المأثور في ذكر فضائل السابقين إلى الجامع يوم الجمعة و تفاضل أجورهم بتفاضل^(٨) قصورهم في الساعات الست التي هي أول النهار إلى وقت الزوال و ذلك مقول على الساعات الزمانية المعوجة دون المستوية التي تسمى المعتدلة فلو سامحناهم بالتسليم لهم في دعواهم لوجب أن يكون استواء الليل و النهار حين تكون الشمس بجنتي الانقلاب

١٣
٥٩

١٤
٥٩

(١) الآثار الباقية ص ٥ - ٧.
(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٧.
(٣) كلمة: «تعالى» ليست في المصدر.
(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٧.
(٥) في المصدر: «ليلة».
(٦) سورة الحج، آية: ٦١.
(٧) سورة الزمر، آية: ٥.
(٨) من المصدر.

الشتوي ويكون ذلك في بعض المواضع دون بعض وأن لا يكون الليل الشتوي مساويا للنهار الصيفي وأن لا يكون نصف النهار موافاة الشمس منتصف ما بين الطلوع والغروب وخلافات هذه اللوازم هي القضايا المقبولة عند من له أدنى بصر وليس يتحقق لزوم هذه الشناعات إياهم إلا من له درية يسيرة بحركات الأكر^(١).

فإن تعلق متعلق يقول الناس عند طلوع الفجر قد أصبحنا وذهب الليل فأين هو عن قولهم عند تقارب غروب الشمس واصفرارها قد أمسينا وذهب النهار وجاء الليل وإنما ذلك إنباء عن دنوه وإقباله وإدبار ما هم فيه وذلك جار على طريق المجاز والاستعارة و جائز في اللغة كقول الله تبارك وتعالى ﴿وَإِنِّي أَمُرُّ اللَّهَ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾^(٢) و يشهد لصحة قولنا ما روي. عن النبي ﷺ أنه قال صلاة النهار عجماء. وتسمية الناس صلاة الظهر بالأولى لأنها الأولى من صلاتي^(٣) النهار وتسمية صلاة العصر بالوسطى لتوسطها بين الصلاة الأولى من صلاتي النهار وبين الصلاة الأولى من صلوات الليل وليس قصدي فيما أوردته في هذا الموضع إلا نفي ظن من يظن أن الضروريات تشهد بخلاف ما يدل عليه القرآن ويحتج لإثبات ظنه بقول أحد الفقهاء والمفسرين والله الموفق للصواب^(٤) انتهى كلامه.

وأقول: سيأتي جواب ذلك كله والدلائل الكثيرة الدالة على خلافه وما ذكره على تقدير تمامه لا ينافي ما ادعيته مع أن عرف الشرع بل العرف العام قد استقر على أن ابتداء اليوم والنهار طلوع الفجر الثاني وأكثر ما ذكره يدل على أنه بحسب الحساب والقواعد النجومية أولهما طلوع الشمس ولا مشاحة في ذلك وقوله لو كان أول الصوم أول النهار إلخ فالجواب أنه لما كان أول النهار عند أهل الحساب طلوع الشمس بين سبحانه أن المراد هنا اليوم الشرعي كما أنه لما كانت اليد تطلق على معان قال في آية الوضوء ﴿إِلَى الْفَرَاقِ﴾^(٥) لتعيين أحد المعاني ولما لم يكن في آخر النهار اختلاف في الاصطلاح لم يتعرض لتعيينه وإنما استقر العرف العام والخاص على جعل أول النهار الفجر وأول الليل الغروب لما سيأتي أن الناس لما كانوا في الليل فارغين عن أعمالهم الضرورية للظلمة المانعة فاغتموا شيئا من الضياء لحركتهم وتوجههم إلى أعمالهم الدينية والدنيوية وفي الليل بالعكس لأنهم لما كملوا وملوا من حركات النهار وأعماله اغتموا شيئا من الظلمة لتركههم ذلك فلذا اختلف الأمر في أول النهار وآخره وما وقع في الشرع من أن الزوال نصف النهار فهو على التقريب والتخمين وما ذكره من استواء الليل والنهار في الاعتدالين فمعلوم أنه مبني على اصطلاح المنجمين وسيأتي الكلام في جميع ذلك في كتاب الصلاة إن شاء الله تعالى.

الفائدة الثالثة: لا ريب في أن الليل بحسب الشرع مقدم على اليوم فما ورد في ليلة الجمعة مثلا إنما هي الليلة المتقدمة لا المتأخرة وما يعتبره المنجمون وبعض العرب من تأخير الليلة فهو محض اصطلاح منهم ولا يبتني عليه شيء من أحكام الشريعة وما يدل عليه ما رواه. الكليني في الروضة بسند موثق عن عمر بن يزيد قال قلت لأبي عبد الله^(٦) إن المغيرة يزعمون أن هذا اليوم لهذه الليلة المستقبلة فقال كذبوا هذا اليوم لليلة الماضية إن أهل بطن نخلة حيث رأوا الهلال قالوا قد دخل الشهر الحرام.^(٧)

وتوضيحه: أن المغيرة هم أتباع المغيرة بن سعد الجبلي وهو من المذمومين المطعونين وقد روى الكشي^(٨) أخبارا كثيرة في أنه كان من الكذابين على أبي جعفر^(٩) وروي أنه كان يدعو الناس إلى محمد بن عبد الله بن الحسن وكان من الزيدية التبرية وفي بعض النسخ المغيرة أي الذين غيروا دين الله من المخالفين وقصة بطن نخلة هي ما ذكره المفسرون والمؤرخون أن النبي ﷺ بعث عبد الله بن جحش^(١٠) ومعه ثمانية رهط من المهاجرين وقيل اثنا عشر وأمره أن ينزل نخلة بين مكة والطائف فيرصد قريشا ويعلم أخبارهم فانطلقوا حتى هبطوا نخلة فوجدوا بها عمرو بن الحضرمي في غير تجارة قريش في آخر يوم من جمادى الآخرة وكانوا يرون أنه من جمادى وهو رجب فاختمهم المسلمون فقال قائل منهم هذه غرة^(١١) من عدو وغنم^(١٢) رزقتموه فلا ندري أمن الشهر الحرام هذا اليوم أم

(١) الأكر - كسر د - جمع الكرة.

(٢) سورة النحل: آية: ١.

(٣) في المصدر: «صلاتي».

(٤) الآثار الباقية ص ٧ - ٩.

(٥) سورة المائدة: آية: ٦.

(٦) روضة الكافي ص ٣٣٢ حديث ٥١٧.

(٧) اختيار رجال الكشي ص ١٩١ رقم ٢٣٦ وص ٢٢٣ رقم ٣٩٩ و ٤٠٠.

(٨) الغرة - بكسر الفين - الغفلة. الصحاح ج ٢ ص ٧٦٨.

(٩) في مجمع البيان إضافة: «وهو ابن عمه النبي ﷺ».

(١٠) الغنم - كقفل - الغنمية. راجع الصحاح ج ٥ ص ١٩٩٩.

لا فقال قاتل منهم لا نعلم هذا اليوم إلا من الشهر الحرام ولا ترى أن تستحلوه لطمع أشقيتم عليه فشدوا على ابن الحضرمي فقتلوه وغنموا غيره فبلغ ذلك كفار قريش فركب وقدمهم حتى قدموا على النبي ﷺ فقالوا أيجل القتال في الشهر الحرام فانزل الله تعالى ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ (١) الآية ويظهر من هذا الخبر كما ورد في بعض السير أيضا أنهم إنما فعلوا ذلك بعد رؤية هلال رجب وعلمهم بكونه منه واستشهاده ﷺ بأن الصحابة حكموا بعد رؤية الهلال بدخول رجب فالليل سابق على النهار ومحسوب مع اليوم الذي بعده يوما وما سبق من تقدم خلق النهار على الليل لا ينافي ذلك كما لا يخفى.

الفائدة الرابعة: اعلم أنهم يقسمون كلا من اليوم الحقيقي واليوم الوسطي إلى أربعة وعشرين قسما متساوية يسمونها بالساعات المستوية والمعتدلة وأقسام اليوم الحقيقي تسمى بالحقيقية والوسطي بالوسطية وقد يقسمون كلا من الليل والنهار في أي وقت كان بانتي عشرة ساعة متساوية ويسمونها بالساعات المعوجة لاختلاف مقاديرها باختلاف الأيام طولا وقصرا بخلاف المستوية فإنها تختلف أعدادها ولا تختلف مقاديرها والمعوجة بعكسها وتسمى المعوجة بالساعات الزمانية أيضا لأنها نصف سدس زمان النهار أو زمان الليل وكثير من الأخبار مبنية على هذا الاصطلاح كما أومأنا إليه والساعتان تستويان في خط الإستواء أبدا وعند حلول الشمس أحد الاعتدالين في سائر الأفاق وقد تطلق الساعة في الأخبار على مقدار من أجزاء الليل والنهار مختص بحكم معين أو صفة مخصوصة كساعة ما بين طلوع الفجر والشمس وساعة الزوال والساعة بعد العصر وساعة آخر الليل وأشياء ذلك بل على مقدار من الزمان وإن لم يكن من أجزاء الليل والنهار كالساعة التي تطلق على يوم القيامة كما أن اليوم قد يطلق على مقدار من الزمان مخصوص بواقعة أو حكم كيوم القيامة ويوم حنين وقال تعالى ﴿وَذَكَّرْهُمْ يَوْمَ اللَّهِ﴾ (٢).

١٢- الكافي: عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن محمد بن خالد والحسين بن سعيد جميعا عن النضر عن يحيى الحلبي عن المثني عن أبي بصير عن أبي عبد الله ﷺ في قوله عز وجل ﴿كَأَنَّمَا أَغْشِيَتْ وَجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ (٣) قال أما ترى البيت إذا كان الليل أشد سوادا من خارج فكذلك هم يزدادون سوادا (٤).

١٣- التهذيب: بإسناده عن أحمد بن محمد بن محمد بن عيسى عن علي بن الحكم عن سيف عن أبي بكر الحضرمي قال سألت أبا عبد الله ﷺ قلت متى أصلي ركعتي الفجر قال حين يعترض الفجر وهو الذي تسميه العرب الصديق (٥).

بيان: في القاموس الصديق كأمير الصبح (٦) وفي الأساس ومن المجاز انصدع الفجر وطلع الصديق وهو الفجر (٧).

ما روي في سعادة أيام الأسبوع ونحوستها

باب ١٥

١- الخصال: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن علي بن عبيد (٨) الأشعري عن ابن محبوب عن حبيب السجستاني عن أبي عبد الله ﷺ قال قال رسول الله ﷺ يوم الجمعة يوم عبادة فتعبدا لله عز وجل فيه ويوم السبت لأن محمد ﷺ ويوم الأحد لشيعة يوم الإثنين يوم بني أمية ويوم الثلاثاء يوم لين ويوم الأربعاء لبني العباس وفتحهم ويوم الخميس يوم مبارك بورك لأمتي في بكورها فيه (٩).

بيان: ضمير بكورها راجع إلى الأمة أي مباركتهم في طلب الحوائج وتوجههم إليها بكرة.

(١) مجمع البيان ج ٢ ص ٣١٢ والآية من سورة البقرة: ٢١٧. (٢) سورة إبراهيم، آية: ٥.

(٣) سورة يونس، آية: ٢٧.

(٤) روضة الكافي ص ٢٥٢ - ٢٥٣ حديث ٣٥٥ وهو معلق على سابقه.

(٥) تهذيب الأحكام ج ٢ ص ١٣٣ باب ٨ حديث ٥١٧.

(٦) القاموس المحيط ج ٣ ص ٥١.

(٧) أساس البلاغة ص ٢٥٠.

(٨) الخصال ج ٢ ص ٣٨٢ - ٣٨٣ باب السبعة حديث ٥٩.

(٩) في المصدر: «عبد الله بن إسحاق».

٢- الخصال: عن أبيه عن محمد بن يحيى العطار عن سهل بن زياد عن عمر بن سفيان رفع الحديث إلى أبي عبد الله عليه السلام أنه قال لرجل من مواليه يا فلان ما لك لم تخرج قال جعلت فداك اليوم الأحد قال وما للأحد قال الرجل للحديث الذي جاء عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال احذروا حد الأحد فإن له حدا مثل حد السيف قال كذبوا كذبوا ما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فإن الأحد اسم من أسماء الله عز وجل قال قلت جعلت فداك فالأثنين قال سمي باسمهما قال الرجل سمي باسمهما ولم يكونا فقال له أبو عبد الله عليه السلام إذا حدثت فافهم إن الله تبارك وتعالى قد علم اليوم الذي يقبض فيه نبيه صلى الله عليه وآله واليوم الذي يظلم فيه وصيه فسماه باسمهما قال قلت فالثلاثاء قال خلقت يوم الثلاثاء النار وذلك قوله عز وجل ﴿انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ انْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَبِّ﴾ ^(١) قال قلت فالأربعاء قال بنيت أربعة أركان للنار ^(٢) قال قلت فالخمس قال خلق الله الجمعة ^(٣) يوم الخميس قال قلت فالجمعة قال جمع الله عز وجل الخلق لولايتنا يوم الجمعة قال قلت فالسبت قال سبت الملائكة لربها يوم السبت فوجدته لم يزل واحدا. ^(٤)

بيان: باسمهما أي باسم أبي بكر وعمر والخمسة أصحاب العباء عليهم السلام سبت الملائكة أي قطعت أعمالها للتفكير في ذاته تعالى قال الراغب في مفرداته أصل السبت قطع العمل ^(٥) ومنه سبت السير أي قطعه وسبت شعره حلقه وأنه اصطلمه وقيل سمي يوم السبت لأن الله تعالى ابتداء بخلق السماوات والأرض يوم الأحد فخلقها في ستة أيام كما ذكره فقطع عمله يوم السبت فسمي بذلك. ^(٦)

٣- الخصال: عن محمد بن موسى بن المتوكل عن علي بن إبراهيم عن عبد الله بن أحمد الموصلي عن الصقر بن أبي دلف الكرخي قال لما حمل المتوكل سيدنا أبا الحسن العسكري عليه السلام جثت أسأل عن خبره قال فنظر إلي الزرقاني كان حاجبا للمتوكل فأمر أن أدخل إليه فأدخلت إليه فقال يا صقر ما شأنك فقلت خير أيها الأستاذ فقال اقعد فأخذني ما تقدم وما تأخر وقلت أخطأت في المجيء قال فوحي الناس عنه ثم قال لي ما شأنك وفيه جثت قلت لخبر ما ^(٧) فقال لعلك تسأل عن خبر مولاك فقلت له ومن مولاي أمير المؤمنين فقال أسكت مولاك مولاك ^(٨) هو الحق فلا تحتشمني فإني على مذهبي فقلت الحمد لله قال أتحب أن تراه قلت نعم قال اجلس حتى يخرج صاحب البريد من عنده قال فجلست فلما خرج قال لفلان له خذ بيد الصقر وأدخله إلى الحجرة التي فيها العلوي المحبوس وقل بينه وبينه قال فأدخلني إلى الحجرة ^(٩) وأما إلى بيت فدخلت فإذا هو عليه السلام جالس على صدر حصير وبحذائه قبر محفور قال فسلمت عليه فرد علي ثم أمرني بالجلوس ثم قال لي يا صقر ما أتى بك قلت سيدي جثت أعترف خيرك قال ثم نظرت إلى القبر فبكيت فنظر إلي فقال يا صقر لا عليك لن يصلوا إلينا بسوء الآن فقلت الحمد لله ثم قلت يا سيدي حديث يروى عن النبي صلى الله عليه وآله لا أعرف معناه قال وما هو فقلت قوله لا تعادوا الأيام فتعاديكم ما معناه فقال نعم الأيام نحن ما قامت السماوات والأرض فالسبت اسم رسول الله صلى الله عليه وآله والأحد كناية عن أمير المؤمنين عليه السلام والإثنين الحسن والحسين والثلاثاء علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد والأربعاء موسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وأنا والخميس ابني الحسن بن علي والجمعة ابن ابني وإليه تجتمع عصابة الحق وهو الذي يملأها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا فهذا معنى الأيام فلا تعادوهم في الدنيا فيعاديكم في الآخرة ثم قال عليه السلام ودع وأخرج فلا آمن عليك.

قال الصدوق ره الأيام ليست بأئمة ولكن كني بها عن الأئمة لثلاث يدرك معناه غير أهل الحق كما كنى الله عز وجل بالثنين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين عن النبي وعلي والحسن والحسين وكما كنى عز وجل بالنعاج عن النساء على قول من روى ذلك في قصة داود والخصمين وكما كنى بالسير في الأرض عن النظر في القرآن سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿وَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ ^(١٠) قال معناه أو لم ينظروا في القرآن وكما

(١) في المصدر: «النار اليوم الأربعاء» بدل «لنار».

(٢) الخصال ج ٢ ص ٢٨٣ - ٢٨٤ باب السبعة حديث ٦١.

(٣) مفردات الراغب ص ٢٢٦.

(٤) كلمة: «مولاك» ليست في المصدر.

(٥) سورة الروم، آية: ٩.

(٦) سورة المراتل، آية: ٢٩ - ٣١.

(٧) في المصدر: «الجنة».

(٨) في المصدر: «القطع» بدل «قطع العمل».

(٩) في المصدر: «لخير ما».

(١٠) في المصدر إضافة: «التي فيها العلوي» بين معنيتين.

كنى عز وجل بالسرة عن النكاح في قوله عز وجل ﴿وَلَكِنْ لَّا تُؤَاخِذُوهُمْ سِرًّا﴾^(١) وكما كنى عز وجل بأكل الطعام عن التغوط فقال في عيسى وأمه ﴿كَانَا نَأْكُلُ الطَّامَةَ﴾^(٢) ومعناه أنهما كانا يتغوطان وكما كنى بالنحل عن رسول الله ﷺ في قوله ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾^(٣) ومثل هذا كثير.^(٤)

بيان: فأخذني ما تقدم أي بالسؤال عما تقدم وما تأخر أي عن الأمور المختلفة لاستعلام حالي وسبب مجيئي لذا تدم على الذهاب إليه لئلا يطلع على حاله ومذهبه أو الموصول فاعل أخذني بتقدير أي أخذني التفكير فيما تقدم من الأمور من ظنه التشيع بي وفيما تأخر مما يترتب على مجيئي من المفاسد فوحي الناس أي أشار إليهم أن يبعدوا عنه أو على بناء التفعيل أي عجلهم في الذهاب عنه أو هو على بناء المجرد والناس فاعل أي أسرعوا في الذهاب قال في الصباح الوحي الإشارة والوحي السرعة يمد ويقصر وموت وحي مثل سريع وزنا ومعنى يقال وحيث الذبيحة أحيها من باب وعد ذبحتها ذبحا وحيًا وحي الدواء للموت توحية عجله وأوحاه بالآلف مثله^(٥) انتهى وصاحب البريد الرسول المستعجل إذ البريد يطلق على الرسول وعلى دابته ويحتمل أن يراد به هنا رئيس هذه الطائفة في القاموس البريد المرتب والرسول^(٦) على دوابة البريد^(٧) وفي الصباح البريد المرتب يقال حمل فلان على البريد وصاحب البريد قد أبرد إلى الأمير فهو مبرد والرسول بريد^(٨) وفي النهاية البريد كلمة فارسية يراد بها في الأصل البغل وأصلها بريدة دم أي محذوف الذنب لأن بغال البريد كانت محذوفة الأذنان كالعلامة لها فأعربت وخففت ثم سمي الرسول الذي يركبه بريدًا والمسافة التي بين السكتين بريدًا^(٩) انتهى.

لا عليك أي لا حزن عليك والكتاية عن العسكري ﷺ بالخمس إما لكون إمامته أو ولادته في يوم الخميس وإن كان ضبط بعضهم مخالفًا لذلك إذ الأكثر لم يعينوا خصوص اليوم أو لأن سني إمامته خمس سنين إذ السنة السادسة لم تكمل أو لأنه ﷺ خامس من سمي أو كني بالحسن أو لأنه متصل بالقائم ﷺ المكنى عنه بالجمعة أو لعله أخرى لا نعرفها ولعل هذه من بطون الخير فإن لأخبارهم ﷺ ظهرا وبطنا كالقرآن ويكون ظاهره أيضا مرادا بأن يكون المعنى أن التشؤم والتطير بها يوجب تأثيرها وهذا معنى معادتها لهم فأما المتوكلون على الله المتوسلون بولاء أهل البيت ﷺ فلا تضرهم نحوسة الأيام والساعات كما سيأتي في رواية الشيخ في مجالسه.^(١٠)

٤- العلل: والعيون: والخصال: عن محمد بن عمرو البصري عن محمد بن عبد الله الراعي عن عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي عن أبيه عن الرضا عن آبائه ﷺ قال سأل الشامي أمير المؤمنين ﷺ عن الأيام وما يجوز فيها من العمل فقال ﷺ يوم السبت يوم مكر وخديعة ويوم الأحد يوم عرس^(١١) وبناء ويوم الإثنين يوم سفر وطلب ويوم الثلاثاء يوم حرب ودم ويوم الأربعاء يوم شوم فيه يتطير الناس ويوم الخميس يوم الدخول على الأمراء وقضاء الحوائج ويوم الجمعة يوم خطبة ونكاح.^(١٢)

قال الصدوق ره يوم الإثنين يوم سفر إلى موضع الاستسقاء والطلب للمطر^(١٣)

بيان: يمكن حمل ما ورد في الإثنين على التقية.

٥- العيون: عن أبيه ومحمد بن الحسن عن محمد بن يحيى العطار وأحمد بن إدريس معا عن محمد بن أحمد الأشعري عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي عن أبيه عن بكر بن صالح الجعفري قال سمعت أبا الحسن ﷺ يقول قلموا

(١) سورة البقرة، آية: ٢٣٥.

(٢) سورة النحل، آية: ٦٨.

(٣) المصباح المنير ج ٢ ص ٦٥١-٦٥٢.

(٤) القاموس المحيط ج ١ ص ٢٨٧.

(٥) النهاية ج ١ ص ١١٥-١١٦.

(٦) في العلل والعيون والخصال: «غرس».

(٧) علل الشرائع ص ٥٩٨ باب ٣٨٥ حديث ٤٤، وعيون الأخبار ج ٢ ص ٢٤٧.

(٨) الخصال ج ٢ ص ٣٨٤ باب السبعة حديث ٦٢.

(٩) سورة المائدة، آية: ٧٥.

(١٠) الخصال ج ٢ ص ٣٩٤-٣٩٦ باب السبعة حديث ١٠٢.

(١١) في المصدر: «الرسول».

(١٢) الصباح ج ١ ص ٤٤٧.

(١٣) راجع رقم ٧ من هذا الباب.

أظفاركم يوم الثلاثاء واستحموا يوم الأربعاء وأصيبوا من الحجام حاجتكم يوم الخميس وتطيبوا بأطيب طيبكم يوم الجمعة. (١)

٢٤
٥٩

الخصال: عن أبيه عن محمد العطار عن الأشعري عن البرقي مثله. (٢)

٦- العلل: في خبر ابن سلام أنه سأل النبي ﷺ عن أول يوم خلق الله عز وجل قال يوم الأحد قال ولم سمي يوم الأحد قال لأنه واحد محدود قال فالثنين قال هو اليوم الثاني من الدنيا قال والثلاثاء قال الثالث من الدنيا قال فالأربعاء قال اليوم الرابع من الدنيا قال فالخميس قال هو يوم خامس من الدنيا وهو يوم أنيس لعن فيه إبليس ورفع فيه إدريس قال فالجمعة قال هو يوم مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَ ذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ وَ يوم (٣) شَهِيدٌ وَ مَشْهُودٌ قال فالسبت قال يوم مسبوت وذلك قوله عز وجل في القرآن (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) (٤) فمن الأحد إلى الجمعة ستة أيام والسبت معطل. (٥)

بيان: لأنه واحد محدود لعل المعنى أنه أول زمان حد أوله وآخره فصار يوما لأنه أول يوم خلق فيه العالم وقبلة لم يكن زمان محدود كذلك فيطبق على ما بعده وعلى سائر الأخبار ومشهود أي مشهود فيه أوله وهو شاهد لمن أتى الجمعة يوم مسبوت أي مقطوع فيه خلق العالم.

٢٥
٥٩

٧- مجالس ابن الشيخ: عن أبيه عن أبي محمد الفحام عن محمد بن أحمد المنصوري عن سهل بن يعقوب الملقب بأبي نواس قال قلت للعسكري ﷺ ذات يوم يا سيدي قد وقع إلي اختيارات (٦) الأيام عن سيدنا الصادق ﷺ مما حدثني به الحسن بن عبد الله بن مطهر عن محمد بن سليمان الديلمي عن أبيه عن سيدنا الصادق ﷺ في كل شهر فأعرضه عليك فقال لي أفعلم فلما عرضته عليه وصحته قلت له يا سيدي في أكثر هذه الأيام قواطع عن المقاصد لما ذكر فيها من التحس والمخاوف فتدلتني على الاحتراز من المخاوف فيها فأبنا تدعوني الضرورة إلى التوجه في الحوائج فيها فقال لي يا سهل إن لشيعتنا بولایتنا لعصمة لو سلخوا بها في لجة البحار الغامرة وسبابس البيد الغائرة بين سباع وذئاب وأعادي الجن والإنس لأنموا من مخاوفهم بولایتهم لنا فثق بالله عز وجل وأخلص في الولاء لأئمتك الطاهرين وتوجه حيث شئت وأقص ما شئت إذا أصبحت وقلت ثلاثا:

أصبحت اللهم معصما بدمامك المنيع الذي لا يطاول ولا يحاول من كل طارق وغاشم من سائر ما خلقت ومن خلقت من خلقك الصامت والناطق في جنة من كل مخوف بلباس سابعة ولأهل بيت نبيك محتجزا من كل قاصد إلى أذية بجدار حصين الإخلاص في الاعتراف بحقهم والتمسك بحبلهم جميعا موثقا أن الحق لهم ومعهم وفيهم وبهم وأوالي من والوا وأجانب من جانبوا (٧) فأعذني اللهم بهم من شر كل ما أتقيه يا عظيم حجرت الأعادي عني ببديع السماوات والأرض إنا «جعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون» (٨) وقلتها عشيا ثلاثا حصلت في حصن من مخاوفك وأمن من محذورك فإذا أردت التوجه في يوم قد حذرت فيه فقدم أمام توجهك الحمد لله رب العالمين والمعوذتين وآية الكرسي وسورة القدر وآخر آية في سورة آل عمران وقل اللهم بك يصلو الصائل وبقدرك يطول الطائل ولا حول لكل ذي حول إلا بك ولا قوة يمتارها (٩) ذو قوة إلا منك بصفتك من خلقك وخيرتك من بريتك محمد نبيك وعترته وسلالته عليه وعليهم السلام صل عليهم واكفي شر هذا اليوم وضرره وارزقني خيره ويمنه واقتض لي في مصرفتني بحسن العاقبة وبلوغ المحبة والظفر بالأمنية وكفاية الطاغية الغوية وكل ذي قدرة لي على أذية حتى أكون في جنة وعصمة من كل بلاء ونقمة وأبدلني من المخاوف أمنا ومن العوائق فيه يسرا حتى لا يصدني صاد عن المراد ولا يحل بي طارق من أذى العباد إنك على كل شيء قدير والأمر إليك تصير يا من «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» (١٠).

٢٦
٥٩

(١) عيون الأخبار ج ١ ص ٢٧٩. (٢) الخصال ج ٢ ص ٣٩٢ و ٣٩١ باب السبعة حديث ٨٩.

(٣) سورة ق، آية: ٣٨.

(٤) في المصدر: «اختيار».

(٥) سورة يس، آية: ٩.

(٦) علل الشرائع ص ٤٧١ باب ٢٢٢ حديث ٣٣.

(٧) في المصدر إضافة: «فصل على محمد وآل محمد».

(٨) في المصدر: «يبتازها».

(٩) أمالي الطوسي ص ٢٧٦ - ٢٧٨ مجلس ١٠ حديث ٥٢٩، والآية من سورة الشورى: ١١.

بيان: اللجة بالضم معظم الماء ويقال غمر الماء أي كثر وغمره الماء أي غطاه والسبب المفاضة أو الأرض المستوية البعيدة بلد سبب واسباب والبيد بالكسر جمع البيداء وهي القلابة أي الأرض الخالية لا ماء فيها والغائرة من الغور أي المنخفضة فإنها أهول وفي بعض النسخ بالباء الموحدة من الغبار فإنه لا يهتدى إلى الخروج منها والذمام بالكسر العهد والكفالة والأمان والمطاولة المغالبة في الطول والطول وحاوله رامه والغشم الظلم بلباس سابعة بغير تنوين فيها بالإضافة فالأولى من إضافة الموصوف إلى الصفة والثانية البيانية أو بالتنوين فيها أو في الثاني منها ف قوله ولا بد أو عطف بيان وكذا قوله بجدار حصين يحتمل الإضافة والتوصيف وفي بعض النسخ حصن بغير باء فالإضافة لا غير والحجر المنع والكف «يبديع السماوات والأرض»^(١) أي مبدعها أو بمن سماواته وأرضه بديعتان وصال على قرنه سطا واستطال والامتيار جلب الميرة بالكسر وهي الطعام والسلالة بالضم ما أنسل من الشيء والولد.

٨- الخصال: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن يعقوب بن يزيد عن أبي عمير عن غير واحد عن أبي عبد الله عليه السلام قال السبت لنا والأحد شيعتنا والإثنين لأعدائنا والثلاثاء لبني أمية والأربعاء يوم شرب الدواء والخميس تقضى فيه الحوائج والجمعة للتنظيف^(٢) والتطيب وهو عيد المسلمين وهو أفضل من الفطر والأضحى ويوم غدیر^(٣) أفضل الأعياد وهو الثامن عشر من ذي الحجة وكان يوم الجمعة ويخرج قائما أهل البيت يوم الجمعة وتقوم القيامة يوم الجمعة وما من عمل^(٤) أفضل يوم الجمعة من الصلاة على محمد وآله^(٥).

بيان: لأعدائنا أي لجميع المخالفين وإن كان بنو أمية منهم والثلاثاء لخصوصهم وشيعتهم.

٩- العلل: لمحمد بن علي بن إبراهيم قال العلة في صوم الخميس والأربعاء أن الأعمال ترفع يوم الخميس والنار خلقت يوم الأربعاء^(٦).

١٠- الدر المنثور: عن ابن عباس قال إن الله تعالى خلق يوما فسماه الأحد ثم خلق ثانيا فسماه الإثنين ثم خلق ثالثا فسماه الثلاثاء ثم خلق رابعا فسماه الأربعاء وخلق خامسا فسماه الخميس فخلق الله الأرض يوم الأحد والإثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء ولذلك يقول الناس إنه يوم ثقيل وخلق مواضع الأنهار والشجر والقرى يوم الأربعاء وخلق الطير والوحش والسباع والهوام والآفة يوم الخميس وخلق الإنسان يوم الجمعة وفرغ من الخلق يوم السبت^(٧).

١١- العيون: عن محمد بن علي بن الشاه عن أبي بكر عبد الله^(٨) النيسابوري عن عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي عن أبيه وعن أحمد بن إبراهيم الخوزي^(٩) وإبراهيم بن مروان الخوزي عن جعفر بن محمد بن زياد عن أحمد بن عبد الله الشيباني وعن الحسين بن محمد الأشعري عن علي بن محمد بن مهرويه عن داود بن سليمان جميعا عن الرضا عن أبيه عن جعفر بن محمد عليه السلام قال السبت لنا والأحد لشيعتنا والإثنين لبني أمية والثلاثاء لشيعتهم والأربعاء لبني العباس والخميس لشيعتهم والجمعة لسائر الناس جميعا وليس فيه سفر قال الله تبارك وتعالى و «فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ»^(١٠) يعني يوم السبت^(١١).

صحيحة الرضا: بالإسناد عنه عليه السلام مثله^(١٢).

بيان: فيه مخالفة لسائر الأخبار في ذم الثلاثاء والخميس إلا أن يقال تبرك المخالفين بهما لا يدل على ذمهما إلا إذا اقتصرن بهما شيء آخر كالإثنين ثم على تأويله عليه السلام لعل المراد بقضاء الصلاة العمل بتوابعها ومكملاتها من سائر أعمال يوم الجمعة.

(٢) في المصدر: «لتنظيف».

(٤) في المصدر: «يوم الجمعة أفضل».

(٦) لم نثر على كتاب العلل هذا.

(٨) في المصدر: «محمد بن عبد الله».

(١٠) سورة الجمعة، آية: ١٠.

(١٢) صحيفة الإمام الرضا عليه السلام ص ٢٥٠.

(١) سورة البقرة، آية: ١١٧.

(٣) في المصدر: «يوم الغدير».

(٥) الخصال ج ٢ ص ٢٩٤ باب السبعة حديث ١٠١.

(٧) الدر المنثور ج ٥ ص ٣٦١.

(٩) في المصدر: «الخوزي» - بالراء - وكذا في ما بعد.

(١١) عيون الأخبار ج ٢ ص ٤٢.

١٢- المكارم: عن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام أكره السفر في شيء من الأيام المكروهة الأربعة وغيره قال افتتح سفره بالصدقة وقرأ آية الكرسي إذا بدا لك.
وعن حماد بن عثمان عنه عليه السلام مثله إلا أنه قال افتتح سفره بالصدقة وأخرج إذا بدا لك وقرأ آية الكرسي واحتجم إذا بدا لك. (١)

١٣- في الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام

لنعم اليوم يوم السبت حقا
وفي الأحد البناء لأن فيه
وفي الإثنين إن سافرت فيه
ومن يرد الحجامة فالثلاثاء
وإن شرب امروء يوماء
وفي يوم الخميس قضاء حاج
وفي الجمعات تزويج وعرس
وهذا العلم لا يعلمه إلا

لصيد إن أردت بلا امتراء
تبدي الله في خلق السماء
ستظفر بالنجاح وبالفرأ
ففي ساعاته هرق الدماء
فنعم اليوم يوم الأربعاء
ففيه الله يأذن بالعداء
ولذات الرجال مع النساء
نبي أو وصي الأنبياء (٢)

بيان: لنعم اللام لا ابتداء للتأكيد ولا تدخل على الماضي إلا مع قد في غير نعم وبس والحق ضد الباطل واليقين الثابت وهو مفعول مطلق لفعل لازم الحذف أي أقول قولا حقا أو علمت ذلك حقا يقينا أو حق ذلك حقا والظرف في قوله بلا امتراء متعلق بنعم أو بقوله حقا تبدي أي ابتداء قلبت الهزمة ألفا ويؤيده قول الجوهري إن أهل المدينة يقولون بدينا بمعنى بدأنا (٣) كذا قال الشارح. (٤) وقال بعض الأفاضل ما ذكره لا يوافق اللغة والظاهر أن يكون الأصل في كلامه عليه السلام لأن فيه ابتداء الله على الماضي من الافتعال فأسقط الكتاب الهزمة من أوله حفظا لرعاية الوزن عند القطع عن المصراع الأول ولم ينغظنا لجواز الوصل لتلك الرعاية ثم كتبوا الهزمة الأخيرة بالياء على ما اشتهر من الخطأ في أمثاله بينهم انتهى.

وفيه متعلق بقوله ستظفر والضمير راجع إلى السفر كذا ذكره الشارح ويمكن أن يكون الضمير راجعا إلى الإثنين ويكون تأكيداً أو يكون تقدير الكلام وأقول في الإثنين والثراء كثرة المال وهرق الدماء بالفتح علي المصدر سفكها في المصباح تقول هرقته هرقاً من باب نفع انتهى والمشهور فيه الإهراق ويمكن أن يكون هنا لازماً أي انصباب الدماء والحاج جمع الحاجة ذكره الفيروز آبادي (٥) وقال أذن بالشيء كسم علم به وأذن له في الشيء كسمع إذا بالكسر إباحة وأذن إليه وله كفرح استمع معجياً أو عام (٦) انتهى وعلى التقادير كناية عن استجابة الدعاء والتزويج النكاح والعرس الزفاف أو إطعامه في القاموس العرس بالضم وبضمين طعام الوليمة والنكاح (٧) وقال الشارح قد تقرر في علم النجوم أن السبت متعلق بزحل والأحد بالشمس والإثنين بالقمر والثلاثاء بالريخ والأربعاء بالطارد والخميس بالمشتري والجمعة بالزهرة ومناسبة القمر بالسفر والريخ بالحجامة وسفك الدم والطارد لشرب الدواء والمشتري بقضاء الحاجات والدعاء والزهرة للتزويج والعرس واجتماع الرجال والنساء مسلمة في هذا الفن لكن مناسبة الزحل بالصيد والشمس بالبناء لا تظهران من هذا الفن ولعل تخصيص السبت بالصيد مبني على ما روي عن ابن عباس ومجاهد أن اليهود أمروا باليوم الذي أمرتم به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلاههم الله به وحرم عليهم الصيد فيه فإذا كان يوم السبت شرعت لهم الحيتان ينظرون إليها في البحر فإذا انقضت السبت ذهبت وما عادت إلا في السبت المقبل وذلك بلاء ابتلاههم الله به ووجه التخصيص للأحد بالبناء مذكور في البيت (٨) انتهى.

(٢) لم نعر عليه في الديوان.

(٤) لم نعر على شرح الديوان هذا.

(٦) القاموس المحيط ج ٤ ص ١٩٧.

(٨) لم نعر على شرح الديوان هذا.

(١) مكارم الأخلاق ج ١ ص ٥١٨ رقم ١٨٠٤.

(٣) الصحاح ج ٤ ص ٢٧٧٩.

(٥) القاموس المحيط ج ١ ص ١٩٠.

(٧) القاموس المحيط ج ٢ ص ٢٢٨.

وأقول: لعل تخصيص السبت بالصيد لأن الله رخص لنا فيه و يجب المبادرة إلى رخصة كما يجب المبادرة إلى عزائمه و لذا يستحب الجماع في أول ليلة من شهر رمضان أو مخالفة للسهود في تحريمهم الصيد فيه ثم إن البيت الأخير يدل على أن هذا العلم الذي هو شعبة من علم النجوم مختص بهم ﷺ لا يعلمه غيرهم كما مر في الأخبار.

قال الغزالي في الإحياء المنهي عنه من النجوم أمران أحدهما أن يصدق بأنها فاعلة لآثارها مستقلة بها والثاني تصديق المنجمين في أحكامهم لأنهم يقولونها من جهل و هذا العلم كان معجزة لبعض الأنبياء ﷺ ثم اندرس فلم يبق إلا ما هو مختلط لا يتميز فيه الصواب عن الخطأ فاعتقاد كون الكواكب أسباباً لآثار تحصل بخلق الله ليس قادحاً في الدين بل هو الحق^(١) انتهى و قال علاء الدولة^(٢) من الصوفية إذا أردت أن تعرف أن المطر يحدث بسبب الاتصالات العلوية التي يسميها المنجمون فتش الباب فاقراً قوله تعالى ﴿فَقَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِنَاءٍ مُنْهَرٍ﴾^(٣) و إذا أردت أن تعرف أن علم النجوم علم الأنبياء فاقراً قوله تعالى ﴿فَنَظَرْنَا نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾^(٤) و مراد النبي ﷺ من قوله من آمن بالنجوم فقد كفر أن من آمن بأنها مستقلات بأنفسها في تدبير العالم غير مسخرات بأمر الله تعالى فقد كفر بالله الذي خلقها وسخرها وجعلها مدبرات بأمره وأودع في كل واحد منها خاصية خاصة دون غيره وفي اجتماعها خاصية دون ما اختص به كل واحد قبل الاجتماع انتهى وقد مر الكلام منا في ذلك في باب^(٥).

١٤- المكارم: من كتاب المحاسن عن عبد الله بن سليمان عن أحدهما ﷺ قال كان أبي إذا خرج يوم الأربعاء أو في يوم يكرهه الناس من محاق أو غيره تصدق بصدقة ثم خرج^(٦)
و عن أبي عبد الله ﷺ من تصدق بصدقة إذا أصبح دفع الله عنه نحس ذلك اليوم^(٧)
و من كتاب طب الأئمة عن أبي الحسن ﷺ قال قلموا أظفاركم يوم الثلاثاء و احتجموا يوم الأربعاء و أصيبوا من الحمام يوم الخميس^(٨) و تطيبوا بأطيب طيبكم يوم الجمعة^(٩).

ما ورد في خصوص يوم الجمعة

باب ١٦

١- قرب الإسناد: عن أحمد بن محمد عن عبد الرحمن بن عمر بن أسلم قال رأيت أبا الحسن موسى ﷺ احتجم يوم الأربعاء و هو محموم فلم تتركه الحمى فاحتجم يوم الجمعة فتركته الحمى^(١٠).
٢- العيون: عن محمد بن موسى بن المتوكل عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن إسحاق بن إبراهيم عن مقاتل بن مقاتل قال رأيت أبا الحسن الرضا ﷺ في يوم الجمعة في وقت الزوال على ظهر الطريق يحتجم و هو محرم.
قال الصدوق ره في هذا الحديث فوائد إحداها إطلاق الحجامة في يوم الجمعة عند الضرورة و ليعلم أن ما ورد من كراهة ذلك إنما هو في حالة الاختيار و الفائدة الثانية الإطلاق في الحجامة في وقت الزوال و الفائدة الثالثة أنه يجوز للمحرم أن يحتجم إذا اضطر و لا يحلق مكان الحجامة و لا قوة إلا بالله العلي العظيم^(١١).
٣- الخصال: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن محمد بن عيسى القطيني عن زكريا المؤمن عن محمد بن رباح

(١) راجع إحياء العلوم ج ١ ص ٤٢ باب ٣ في ما يعده العامة من العلوم.

(٢) هو أبو المكارم أحمد بن محمد بن أحمد البياضكي الصوفي المعروف بعلاء السمناني توفي عام ٧٣٦ هـ.

(٣) سورة القمر، آية: ١١.

(٤) سورة الصافات، آية: ٨٨ و ٨٩.

(٥) لم نثر على كتاب علاء الدولة هذا.

(٦) مكارم الأخلاق ج ١ ص ٥٢١ رقم ١٨١٤.

(٧) في المصدر إضافة: «حاجتكم».

(٨) مكارم الأخلاق ج ١ ص ١٢٨ و ١٢٩ رقم ٣١٧.

(٩) عيون الأخبار ج ٢ ص ١٦، و عبارة: «و لا قوة إلا بالله العلي العظيم» ليست فيه.

(١٠) قرب الإسناد ص ٣٠٢ حديث ١١٨٧.

القلاء قال رأيت أبا إبراهيم عليه السلام يحتجم يوم الجمعة فقلت جعلت فداك تحجم يوم الجمعة قال اقرأ آية الكرسي فإذا
 هاج بك الدم ليلا كان أو نهارا فاقرا آية الكرسي واحتجم. (١)

٥- ومنه: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن إبراهيم بن هاشم عن التوفلي عن السكوني عن جعفر بن محمد عن
 آباه عن علي عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ أطرفوا أهاليكم في كل جمعة بشيء من الفاكهة واللحم حتى يفرحوا
 بالجمعة وكان النبي ﷺ إذا خرج في الصيف من بيت خرج يوم الخميس وإذا أراد أن يدخل البيت في الشتاء من
 البرد دخل يوم الجمعة وقد روي أنه كان دخوله وخروجه يوم الجمعة (٢)

٥- ومنه: عن أحمد بن زياد الهمداني عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير و علي بن الحكم معا عن
 هشام بن الحكم عن أبي عبد الله عليه السلام في الرجل يريد أن يعمل شيئا من الخير مثل الصدقة والصوم ونحو هذا قال
 يستحب أن يكون ذلك يوم الجمعة فإن العمل يوم الجمعة يضاعف. (٣)

٦- ومنه: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن أيوب بن نوح عن ابن أبي عمير عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد
 الله عليه السلام قال يكره السفر والسعي في الحوائج يوم الجمعة بكرة من أجل الصلاة فأما بعد الصلاة فجازز يتبرك به. (٤)

٧- ومنه: عن أبيه عن محمد بن يحيى العطار عن محمد بن أحمد الأشعري عن محمد بن حسان الرازي عن أبي
 محمد الرازي عن التوفلي عن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ من قلم أظفاره يوم
 الجمعة أخرج الله من أنامله الداء وأدخل فيه الدواء وروي أنه لا يصيبه جنون ولا جذام ولا برص. (٥)

٨- ومنه: عن أبيه عن محمد العطار عن الأشعري عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي عن محمد بن موسى بن
 الفرات عن علي بن المطر عن السكن الخراز قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لله حق على كل محتلم في كل جمعة
 أخذ شاربه وأظفاره ومس شيء من الطيب. (٦)

٩- المحاسن: عن محمد بن علي عن عبد الرحمن بن أبي هاشم عن إبراهيم بن يحيى المدني عن أبي عبد الله عليه السلام
 قال لا بأس بالخروج في السفر ليلة الجمعة. (٧)

١٠- الخصال: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن محمد بن عيسى اليقطيني عن القاسم بن يحيى عن جده الحسن
 عن أبي بصير و محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال أمير المؤمنين عليه السلام في الجمعة ساعة لا يحتجم
 فيها أحد إلا مات. (٨)

بيان: قد جرب مرارا في الحجامة يوم الجمعة أنه لم يقرأ الدم حتى مات وما ورد من فعلهم عليهم السلام لا
 ينافية لأنهم يعلمون تلك الساعة فيجتنبونها أو هذا فيما إذا لم يقرأ آية الكرسي ولما ذكره الصدوق
 ره من الفرق بين الضرورة وعدمها أيضا وجه.

١١- روضة الواعظين: قال قال رسول الله ﷺ خمس خصال تورث البرص النورة يوم الجمعة و يوم الأربعاء و
 التضي و الاغتسال بالماء الذي تسخنه الشمس و الأكل على الجنابة و غشيان المرأة في حيضها و الأكل على
 الشع. (٩)

بيان: سيأتي عدم كراهة النورة في يوم الجمعة وأن أخبار النهي محمولة على النجاسة.

١٢- المكارم: عن أنس قال كان أحب الأيام إلى رسول الله ﷺ أن يسافر فيه يوم الجمعة. (١٠)

١٣- ومنه: عن أبي عبد الله عليه السلام قال لا تخرج في يوم الجمعة في حاجة فإذا كان يوم السبت و طلعت الشمس
 فأخرج في حاجتك. (١١)

(١) الخصال ج ٢ ص ٣٩٠ باب السبعة حديث ٨٣

(٢) الخصال ج ٢ ص ٣٩٢ باب السبعة حديث ٩٣

(٣) الخصال ج ٢ ص ٣٩١ باب السبعة حديث ٨٨

(٤) الخصال ج ٢ ص ٣٩٢ باب السبعة حديث ٩١

(٥) المحاسن ج ٢ ص ٨٣ حديث ١٢١٨ و الحديث مطلق على رقم ١٢٠٢

(٦) الخصال ج ٢ ص ٦٣٧ باب الأربعين حديث ١٠

(٧) روضة الواعظين ص ٣٠٨ مجلس في ذكر الآداب و أشياء شتى

(٨) مكارم الأخلاق ج ١ ص ٥٦٤ رقم ١٧٨٨

(٩) مكارم الأخلاق ج ١ ص ٥٦٥ رقم ١٧٩٣

١٤- ومنه: عن المفضل بن عمر قال دخلت على الصادق عليه السلام وهو يحتجم يوم الجمعة فقال أو ليس تقرأ آية الكرسي ونهى عن الحجامة مع الزوال في يوم الجمعة.^(١)

باب ١٧ يوم السبت و يوم الأحد

١- الخصال: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن الحسين بن سعيد عن الحسين بن أسد البصري عن الحسين بن سعيد عن رواء عن خلف بن حماد عن رجل عن أبي عبد الله عليه السلام أنه مر بقوم يحتجمون فقال ما كان عليكم لو أخرتموه لعشية^(٢) الأحد فكان يكون أنزل للداء.^(٣)

٢- ومنه: عن محمد بن الحسن بن الوليد عن سعد بن عبد الله عن القاسم بن محمد الأصهباني عن سليمان بن داود المتقري عن حفص بن غياث عن أبي عبد الله عليه السلام قال من كان مسافرا فليساfer يوم السبت فلو أن حجرا زال عن حجر يوم السبت لرده الله تعالى إلى مكانه ومن تعذرت عليه الحوائج فليلتمس طلبها يوم الثلاثاء فإنه اليوم الذي أن الله فيه الحديد لداود عليه السلام.^(٤)

ومنه: عن أبيه عن سعد إلى قوله إلى مكانه.^(٥)

٣- العيون: بالأسانيد الثلاثة المتقدمة في الباب الأول عن الرضا عن آباءه عليهم السلام قال قال رسول الله ﷺ اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم سبتها وخميسها.^(٦)

ومنه عن محمد بن أحمد بن الحسين الوراق عن علي بن محمد بن عنبسة مولى الرشيد عن دارم بن قبيصة عن الرضا عليه السلام مثله.^(٧)

صحيفة الرضا: بالإسناد عنه عليه السلام مثله.^(٨)

٤- الخصال: عن محمد بن الحسن بن الوليد عن محمد بن الحسن الصفار عن يعقوب بن يزيد عن ابن أبي عمير عن أبي أيوب الخزاز قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾^(٩) قال الصلاة يوم الجمعة والانتشار يوم السبت وقال أبو عبد الله عليه السلام أف للرجل المسلم أن لا يفرغ نفسه في الأسبوع يوم الجمعة لأمر دينه فيسأل عنه.^(١٠)

٥- ومنه: عن محمد بن الحسن بن الوليد عن أحمد بن إدريس عن محمد بن أحمد بن يحيى الأشعري عن محمد بن حسان عن أبي محمد الرازي عن التوفلي عن السكوني عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ من قلم أظفاره يوم السبت ويوم الخميس وأخذ من شاربه عوفي من وجع الأضراس وجع العين.^(١١)

٦- المحاسن: عن عثمان بن عيسى عن عبد الله بن سنان وأبي أيوب الخزاز قالا سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ قال الصلاة يوم الجمعة والانتشار يوم السبت وقال السبت لنا والأحد لبني أمية.^(١٢)

٧- جمال الأسبوع: الحديث مشهور عن النبي ﷺ يورك لأمتي في سبتها وخميسها.^(١٣)

(١) مكارم الأخلاق ج ١ ص ١٧٣ رقم ٥٠٩.
(٢) الخصال ج ٢ ص ٣٨٣ باب السبعة حديث ٦٠.
(٣) الخصال ج ٢ ص ٣٩٣ - ٣٩٤ باب السبعة حديث ٩٧.
(٤) عيون الأخبار ج ٢ ص ٣٤.
(٥) لم نثر عليه في العيون وعثرنا عليه في الخصال ج ٢ ص ٣٩٤ باب السبعة حديث ٩٨ والصغير في «منه» راجع إلى الخصال لا إلى العيون.
(٦) صحيفة الإمام الرضا عليه السلام ص ١٠٣.
(٧) الخصال ج ٢ ص ٣٩٣ باب السبعة حديث ٩٦.
(٨) المحاسن ج ٢ ص ٨١ حديث ١٢٠٩.
(٩) مكارم الأخلاق ج ١ ص ١٧٣ رقم ٥٠٩.
(١٠) الخصال ج ٢ ص ٣٨٣ باب السبعة حديث ٦٠.
(١١) الخصال ج ٢ ص ٣٩٣ - ٣٩٤ باب السبعة حديث ٩٧.
(١٢) سورة الجمعة، آية: ١٠.
(١٣) الخصال ج ٢ ص ٣٩٤ باب السبعة حديث ١٠٠.
(١٤) جمال الأسبوع ص ١١٥ فصل ٦.



- ٨- المكارم: عن الكاظم عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ من كان منكم محتجماً فليحتجم يوم السبت. (١)
٩- وقال الصادق عليه السلام الحجامة يوم الأحد فيها شفاء من كل داء. (٢)

باب ١٨ يوم الإثنين و يوم الثلاثاء

١- الخصال: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد بن عيسى عن موسى بن القاسم البجلي عن علي بن جعفر قال جاء رجل إلى أخي موسى بن جعفر عليه السلام فقال له جعلت فداك إني أريد الخروج فادع لي فقال ومتى تخرج قال يوم الإثنين فقال له ولم تخرج يوم الإثنين قال أطلب فيه البركة لأن رسول الله ﷺ ولد يوم الإثنين فقال كذبوا ولد رسول الله ﷺ يوم الجمعة وما من يوم أعظم شوما من يوم (٣) مات فيه رسول الله ﷺ وانقطع فيه وحي السماء وظلما فيه حقنا ألا أدلك على يوم سهل لأن الله لداود فيه الحديد فقال الرجل بلى جعلت فداك فقال أخرج يوم الثلاثاء. (٤)

قرب الإسناد: بإسناده عن علي بن جعفر عن أخيه عليه السلام مثله. (٥)

٢- ومنه: عن الحسن بن ظريف عن الحسين بن علوان عن جعفر عن أبيه عليه السلام قال كان رسول الله ﷺ يسافر يوم الإثنين والخميس ويقعد فيهما الألوكة. (٦)

٣- الخصال: عن أبيه عن أحمد بن إدريس عن محمد بن أحمد الأشعري عن علي بن السندي عن محمد بن عمرو بن سعيد عن يونس بن يعقوب قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول احتجم رسول الله ﷺ يوم الإثنين وأعطى الحجام برا. (٧)
٤- ومنه: عن محمد بن الحسن بن الوليد عن محمد بن يحيى العطار عن محمد بن أحمد الأشعري عن الحسن بن الحسين اللؤلؤي عن محمد بن إسماعيل وأحمد بن الحسن الميثي أو أحدهما عن إبراهيم بن مهزم عن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام قال كان رسول الله ﷺ يحتجم يوم الإثنين بعد العصر. (٨)

٥- ومنه: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن يعقوب بن يزيد ومحمد بن الحسين بن أبي الخطاب عن حماد بن عيسى عن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام قال الحجامة يوم الإثنين من آخر النهار تسهل الداء سلا من البدن. (٩)

٦- ومنه: عن محمد بن الحسن بن الوليد عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي عن أبي الخرزج (١٠) عن سليمان عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ من احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة أو أربع (١١) عشرة أو لإحدى وعشرين من الشهر كانت له شفاء من أدواء السنة كلها وكانت لما سوى ذلك شفاء من وجع الرأس والأضراس والجنون والجذام والبرص. (١٢)

بيان: وكانت لما سوى ذلك أي كانت الحجامة يوم الثلاثاء في غير تلك الأيام من الشهر

٧- الخصال: عن محمد بن الحسن بن الوليد عن محمد بن يحيى العطار عن محمد بن أحمد الأشعري عن العباس بن معروف عن ابن أبي عمير عن أبي حمزة عن عتبة بن بشر الأزدی قال جثت إلى أبي جعفر عليه السلام يوم الإثنين فقال قل فقلت إني صائم فقال كيف صمت قال قلت لأن رسول الله ﷺ ولد فيه فقال أما ما فيه ولد فداك تعلمون وأما ما قبض فيه فنعم ثم قال فلا تصم ولا تسافر فيه. (١٣)

(١) مكارم الأخلاق ج ١ ص ١٧١ رقم ٤٩٨.

(٢) في المصدر إضافة: «الإثنين يوم».

(٣) قرب الإسناد ص ٢٩٩ حديث ١١٧٧.

(٤) الخصال ج ٢ ص ٣٨٤ باب السبعة حديث ٨٣.

(٥) الخصال ج ٢ ص ٣٨٥ باب السبعة حديث ٦٥.

(٦) هو الحسين بن زبرقان أبو الخرزج، ذكره الطوسي في الفهرست ص ٥٩.

(٧) في المصدر: «تسع».

(٨) الخصال ج ٢ ص ٣٨٥ باب السبعة حديث ٦٦.

(٩) الخصال ج ٢ ص ٣٨٦ باب السبعة حديث ٦٨.

٨- مجالس ابن الشيخ: عن أبيه عن المعفيد عن جعفر بن محمد بن قولويه عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن علي بن عمر الطار قال دخلت إلى (١) أبي الحسن العسكري عليه السلام يوم الثلاثاء فقال لم أرك أمس قال كرهت الحركة في يوم الإثنين قال يا علي من أحب أن يقيه الله شر يوم الإثنين فليقرأ في أول ركعة من صلاة الغداة ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ ثم قرأ أبو الحسن عليه السلام ﴿فَوَقَّاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾. (٢)

٩- المحاسن: عن بعض أصحابه يرفعه قال قال أبو عبد الله عليه السلام من كانت له حاجة فليطلبها يوم الثلاثاء فإن الله تبارك وتعالى ألان فيه الحديد لدواد عليه السلام. (٣)

١٠- ومنه: عن أبيه عن القاسم بن محمد عن عبد الرحمن بن عمران عن رجل عن أبي عبد الله عليه السلام قال لا تسافر يوم الإثنين ولا تطلب فيه الحاجة. (٤)

١١- ومنه: عن القاسم بن محمد عن جميل بن صالح عن محمد بن أبي الكرام قال تهيأت الخروج إلى العراق فأتيت أبا عبد الله عليه السلام وأدعته فقال أين تريد قلت أريد الخروج إلى العراق فقال لي في هذا اليوم وكان يوم الإثنين فقلت إن هذا اليوم يقول الناس إنه يوم مبارك فيه ولد النبي صلى الله عليه وآله فقال والله ما يعلمون أي يوم ولد فيه النبي صلى الله عليه وآله وإنه ليوم مشوم فيه قبض النبي صلى الله عليه وآله وانقطع الوحي ولكن أحب [لك] (٥) أن تخرج يوم الخميس وهو اليوم الذي كان يخرج فيه إذا غزا. (٦)

١٢- ومنه: عن عثمان بن عيسى عن أبي أيوب الخزاز قال أردنا أن نخرج فجتنا نسلم على أبي عبد الله عليه السلام فقال كأنكم طلبتم بركة الإثنين فقلنا نعم قال وأي يوم أعظم شوما من يوم (٧) الإثنين يوم فقدنا فيه نبينا وارتفع فيه الوحي (٨) لا تخرجوا يوم الإثنين (٩) وأخرجوا يوم الثلاثاء (١٠) الفقيه: بإسناده عن الخزاز مثله.

الكافي: عن العدة عن البرقي عن عثمان مثله (١١)

١٣- مجمع البيان: في تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ اغْمُلُوا فَسَرَىٰ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (١٢) روى أصحابنا أن أعمال الأمة تعرض على النبي صلى الله عليه وآله في كل يوم الإثنين وخميس فيعرفها وكذلك تعرض على الأئمة القانمين (١٣) مقامه وهم المعنيون بقوله ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾. (١٤)

١٤- جمال الأسبوع: روي من طريق الخاصة أن وقت عرض الأعمال في هذين اليومين عند انقضاء نهارهما. (١٥)

١٥- وروى مسلم في صحيحه قال رسول الله صلى الله عليه وآله تعرض أعمال الناس في كل جمعة مرتين يوم الإثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد مؤمن إلا عبد بينه وبين أخيه شحنة فيقول اتركوا أو أرجئوا هذين حتى يفيئا. (١٦)

١٦- وروى أيضا عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد مؤمن لا يشرك بالله شيئا (١٧)

١٧- تفسير علي بن إبراهيم: قال قال الصادق عليه السلام اطلبوا الحوائج يوم الثلاثاء فإنه اليوم الذي ألان الله فيه الحديد لدواد عليه السلام (١٨)

(١) في المصدر: «علي».

(٢) أمالي الطوسي ص ٢٢٤ مجلس ٨ حديث ٣٨٩ والآية من سورة الدهر: ١ و ١١.

(٣) المحاسن ج ٢ ص ٨٠ حديث ١٢٠٨.

(٤) المحاسن ج ٢ ص ٨٢ حديث ١٢١٥، وفيه: «حاجة».

(٥) من المصدر.

(٦) المحاسن ج ٢ ص ٨٢ حديث ١٢١٦.

(٧) في المصدر إضافة: «عنا».

(٨) أمالي الطوسي ج ٢ ص ٨٣ حديث ١٢١٧.

(٩) سورة التوبة، آية: ١٠٥.

(١٠) مجمع البيان ج ٥ ص ٦٩.

(١١) جمال الأسبوع ص ١١٧ فصل ٧.

(١٢) تفسير علي بن إبراهيم القمي ج ٢ ص ١٩٩.

(١٣) جمال الأسبوع ص ١١٧ فصل ٧.

(١٤) جمال الأسبوع ص ١١٧ فصل ٧.

(١٥) جمال الأسبوع ص ١١٧ فصل ٧.

(١٦) جمال الأسبوع ص ١١٧ فصل ٧.

(١٧) جمال الأسبوع ص ١١٧ فصل ٧.

(١٨) جمال الأسبوع ص ١١٧ فصل ٧.



١٨- رجال الكشي: قال كتب الهادي عليه السلام إلى علي بن مهزيار أسأل الله أن يحفظك من بين يديك ومن خلفك و في كل حالاتك فأبشر فإني أرجو أن يدفع الله عنك والله أسأل أن يجعل لك ^(١) الخيرة فيما عزم لك من الشخصوس في يوم الأحد وأخر ذلك إلى يوم الإثنين إن شاء الله سبحانه في سفرك وخلفك في أهلك وأدى عنك ^(٢) و سلمت بقدرته. ^(٣)

باب ١٩ يوم الأربعاء

١- العلل: والعيون: والخصال: عن محمد بن عمر ^(٤) البصري عن محمد بن عبد الله الواعظ عن عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي عن أبيه عن الرضا عن أبيه عليه السلام في سؤالات الشامي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال أخبرني عن يوم الأربعاء والتطير ^(٥) منه وثقله وأى الأربعاء هو فقال عليه السلام آخر أربعاء في الشهر ^(٦) وهو المحاق وفيه قتل قابيل هابيل أخاه ويوم الأربعاء ألقى إبراهيم عليه السلام في النار ويوم الأربعاء وضعوا ^(٧) المنجنيق ويوم الأربعاء غرق الله فرعون ويوم الأربعاء جعل الله عز وجل أرض قوم ^(٨) لوط عاليها سافلها ويوم الأربعاء أرسل الله عز وجل الريح على قوم عاد ويوم الأربعاء أصبحت كالصريم ويوم الأربعاء سبط الله على نمرود البقة ويوم الأربعاء طلب فرعون موسى ليقتله ويوم الأربعاء خر عليهم السقف من فوقهم ويوم الأربعاء أمر فرعون بذبح الغلمان ويوم الأربعاء خرب بيت المقدس ويوم الأربعاء أحرقت مسجد سليمان بن داود بإصطخر من كورة فارس ويوم الأربعاء قتل يحيى بن زكريا ويوم الأربعاء أظلم قوم فرعون أول العذاب ويوم الأربعاء خسف الله عز وجل بقارون ويوم الأربعاء ابتلى الله أيوب بذهاب ماله ولده ^(٩) ويوم الأربعاء أدخل يوسف عليه السلام السجن ويوم الأربعاء قال الله عز وجل «إِنَّا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمُهُمْ أَجْمَعِينَ» ^(١٠) ويوم الأربعاء أخذتهم الصيحة ويوم الأربعاء عقروا ^(١١) الناقة ويوم الأربعاء أمطر ^(١٢) عليهم حجارة من سجيل ويوم الأربعاء شج ^(١٣) النبي عليه السلام وكسرت ربابيته ويوم الأربعاء أخذت العماليق التابوت ^(١٤) قال الصدوق ره من اضطر إلى الخروج في سفر يوم الأربعاء أو تبيخ به الدم في يوم الأربعاء فاجتاز له أن يسافر أو يحتجم فيه ولا يكون ذلك شوما عليه لا سيما إذا فعل ذلك خلافاً على أهل الطيرة ومن استغنى عن الخروج فيه أو عن إخراج الدم فالأولى أن يتوقى ولا يسافر ولا يحتجم. ^(١٥)

بيان: يحتمل أن يكون وضع المنجنيق في غير يوم الإلقاء في النار ويحتمل اتحادهما ويوم الأربعاء قال الله أي في شأنه وهذا في قصة صالح وقومه وكذا الصيحة لهم وهو ينافي كون عقر الناقة يوم الأربعاء لأنه لم يكن بينهما إلا ثلاثة أيام إلا أن يكون المراد ابتداء إرادتهم وتهيئتهم للعقر وأيضاً شج النبي عليه السلام كان في غزوة أحد والمشهور بين المفسرين والمؤرخين أنها كانت يوم السبت وكل ذلك مما يضعف الرواية وفي القاموس المحاق مثله آخر الشهر أو ثلاث ليال من آخره أو أن يستتر القمر فلا يرى غدوة ولا عشية سمي لأنه طلع مع الشمس فمحقته ^(١٦) وفي القاموس البيخ ثوران الدم وتبيخ الدم هاج وغلب ^(١٧)

(١) في المصدر إضافة: «به عليه».

(٢) اختيار رجال الكشي ص ٥٥١ رقم ١٠٤٠.

(٣) في المصدر: «غيتك».

(٤) في الخصال: «عمرو».

(٥) في المصدر: «الشهور» بدل «الشهر».

(٦) في العيون

(٧) في العيون

(٨) سورة النمل، آية: ٥١.

(٩) في العيون، «بذهاب أهله ولده وماله».

(١٠) في العلل، «عقرت».

(١١) في العلل: إضافة: «وجه».

(١٢) علل الشرائع ص ٥٩٧ باب ٣٨٥ حديث ٤٤، وعيون الأخبار ج ١ ص ٢٤٧.

(١٣) الخصال ج ٢ ص ٣٨٨ - ٣٨٩ باب السبعة حديث ٧٨.

(١٤) القاموس المحيط ج ٣ ص ٢٩١.

(١٥) القاموس المحيط ج ٣ ص ١٠٧.

٢-الخصال: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن يعقوب بن يزيد عن بعض أصحابنا قال دخلت على أبي الحسن علي بن محمد العسكري عليه السلام يوم الأربعاء وهو يحتجم فقلت له إن أهل الحرمين يروون عن رسول الله ﷺ أنه قال من احتجم يوم الأربعاء فأصابه بياض فلا يلومن إلا نفسه فقال كذبوا إنما يصيب ذلك من حملته أمه في طمث^(١) و منه: عن محمد بن الحسن بن الوليد عن محمد بن الحسن الصفار عن أحمد بن محمد بن عيسى عن عبد الرحمن بن عمرو بن أسلم قال رأيت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام احتجم يوم الأربعاء وهو محموم فلم تتركه الحمى فاحتجم يوم الجمعة فتركته الحمى^(٢).

٤-و منه: عن محمد بن الحسن عن محمد بن يحيى العطار عن محمد بن أحمد الأشعري عن السيارى عن محمد بن أحمد الدقاق البغدادي قال كتبت إلى أبي الحسن الثاني عليه السلام أسأله عن الخروج يوم الأربعاء لا يدور فكتب عليه السلام من خرج يوم الأربعاء لا يدور خلافاً على أهل الطيرة وفي كل آفة وعوفي من كل عاة وقضى الله له حاجته. وكتب^(٣) إليه مرة أخرى يسأله^(٤) عن الحجامة يوم الأربعاء لا يدور فكتب عليه السلام من احتجم في يوم الأربعاء لا يدور خلافاً على أهل الطيرة عوفي من كل آفة وفي من كل عاة ولم تخضر محاجمه^(٥).

بيان: الأربعاء لا يدور آخر أربعاء من الشهر والجملة صفة ليوم الأربعاء واللام فيه كاللام في قوله ولقد أمر على اللثيم يسيني.

٥-العيون: عن محمد بن موسى بن المتوكل عن عبد الله بن جعفر الحميري عن إبراهيم بن هاشم عن أحمد بن عامر الطائي قال سمعت الرضا عليه السلام يقول يوم الأربعاء يوم نحس مستمر من احتجم فيه خيف^(٦) أن تخضر محاجمه ومن انتار^(٧) فيه خيف عليه البرص^(٨).

بيان: اخضرار المحاجم فساد محل الحجامة وسواده ومن انتار أي استعمل التورة والأشهر فيه النور وإن كان أصل هذا البناء من اللغات المولدة كما يستفاد من كتب اللغة وفي أكثر النسخ اتر بتشديد التاء واتخاذ من التورة لا يوافق القاعدة وليس له معنى آخر ولعله تصحيف وفي بعض النسخ من تنور وهو أوصوب.

٦-الخصال: عن محمد بن أحمد البغدادي عن علي بن محمد بن عنبسة عن دارم بن قبيصة عن الرضا عن آباءه عليهم السلام قال قال رسول الله ﷺ آخر أربعاء في الشهر يوم نحس مستمر^(٩).

٧-و منه: عن أبيه عن سعد عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسين بن سعيد عن فضالة عن أبان عن الأخول عن بشار بن بشار قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام لأي شيء يصام يوم الأربعاء قال لأن النار خلقت يوم الأربعاء^(١٠).

٨-و منه: عن أبيه عن محمد بن يحيى العطار عن سهل بن زياد عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب عن محمد بن سنان عن حذيفة بن منصور قال رأيت أبا عبد الله عليه السلام احتجم يوم الأربعاء بعد العصر^(١١).

٩-و منه: عن محمد بن الحسن بن الوليد عن أحمد بن إدريس عن محمد بن أحمد الأشعري عن إبراهيم بن إسحاق عن القاسم بن يحيى عن جده الحسن عن أبي بصير عن أبي عبد الله عن آباءه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال توقوا الحجامة والتورة يوم الأربعاء فإن يوم الأربعاء يوم نحس مستمر وفيه خلقت جهنم^(١٢).

١٠-و منه: بالإسناد المتقدم عن الأشعري عن محمد بن عيسى البقطيني عن القاسم بن يحيى عن جده الحسن عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال أمير المؤمنين عليه السلام ينبغي للرجل أن يتوقى التورة يوم الأربعاء فإنه يوم نحس مستمر^(١٣).

- | | |
|--|---|
| (١) الخصال ج ٢ ص ٣٨٦ باب السبعة حديث ٧٠. | (٢) الخصال ج ٢ ص ٣٨٦ باب السبعة حديث ٧١. |
| (٣) في المصدر: «كتبت». | (٤) في المصدر: «أسأله». |
| (٥) الخصال ج ٢ ص ٣٨٦ و ٣٨٧ باب السبعة حديث ٧٢. | (٦) في المصدر إضافة: «عليه». |
| (٧) في المصدر: «تنور». | (٨) العيون ج ١ ص ٢٤٨. |
| (٩) الخصال ج ٢ ص ٣٨٧ باب السبعة حديث ٧٣. | (١٠) الخصال ج ٢ ص ٣٨٧ باب السبعة حديث ٧٤. |
| (١١) الخصال ج ٢ ص ٣٨٧ باب السبعة حديث ٧٥. | (١٢) الخصال ج ٢ ص ٣٨٧ باب السبعة حديث ٧٦. |
| (١٣) الخصال ج ٢ ص ٣٨٨ باب السبعة حديث ٧٧. | |

١١- ومنه: عن محمد بن الحسن بن الوليد عن الحسين بن الحسن بن أبان عن الحسين بن سعيد عن النضر عن هشام بن سالم عن الأخول عن أبي عبد الله عليه السلام أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم خميسين بينهما أربعاء فقال أما الخميس فيوم تعرض فيه الأعمال وأما الأربعاء فيوم خلقت فيه النار وأما الصوم فجنة. (١)

١٢- مشارق الأنوار: عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال عادانا من كل شيء حتى من الطيور الفاخرة ومن الأيام الأربعاء. (٢)

١٣- العلل: لمحمد بن علي بن إبراهيم العلة في صوم الخميس والأربعاء أن الأعمال ترفع يوم الخميس والنار خلقت يوم الأربعاء. (٣)

١٤- الدرر الواقية: عن الصادق عليه السلام أمرنا بصوم الأربعاء من وسط الشهور (٤) لأنه لم يعذب قوم قط إلا فيه فيرد عنا بصومه نحسه. (٥)

١٥- وعن الرضا عليه السلام يوم الأربعاء يوم نحس مستمر لأنه أول الأيام وآخر الأيام التي ذكرها الله تعالى في قوله «سَبَّحْ لِلَّهِ لِيْلًا وَنَهَارًا أَيَّامٌ حُسُومًا». (٦)

١٦- المكارم: عن زيد بن علي عن آبائه عن علي عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ من احتجم يوم الأربعاء فأصابه وضع فلا يلومن إلا نفسه. (٧)

١٧- وعن شعيب العرقوفي: قال دخلت على أبي الحسن عليه السلام وهو يحتجم يوم الأربعاء في الحيس فقلت إن هذا يوم يقول الناس من احتجم فيه أصابه البرص (٨) فقال إنما يخاف ذلك على من حملته أمه في حيضها. (٩)

١٨- كتاب المسلسلات: حدثنا محمد بن جعفر الوكيل من بني هاشم قال حدثني أبو بكر حمد بن أحمد بن الحسين بن زريق البغدادي قال حدثنا محمد بن حمدون السمسار قال حدثني محمد بن حماد بن عيسى قال سمعت الفضل بن الربيع يقول كنت يوما مع مولاي المأمون فأردنا الخروج يوم الأربعاء فقال المأمون يوم مكروه سمعت أبي الرشيد يقول سمعت المهدي يقول سمعت المنصور يقول سمعت أبي محمد بن علي يقول سمعت أبي عليا يقول سمعت أبي عبد الله بن عباس يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول إن آخر الأربعاء في الشهر يوم نحس مستمر. قال المصنف وروي أن معنى مستمر أن يكون النهار نحسا من أوله إلى الليل وقال عليه السلام إن معنى المستمر هو أن لا يذهب نحسه إلى أن يذهب (١٠) من يوم الخميس ساعة. (١١)

يوم الخميس

باب ٢٠

١- قرب الإسناد: عن الحسن بن ظريف عن الحسين بن علوان عن جعفر عن أبيه عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ يسافر يوم الإثنين والخميس ويعقد فيهما الأتوية. (١٢)

٢- ومنه: بالإسناد قال قال رسول الله ﷺ يوم الخميس يوم يحبه الله ورسوله وفيه لأن الله الحديد. (١٣)

٣- وقال قال رسول الله ﷺ اللهم بارك لأمتي في بكورها واجعله يوم الخميس. (١٤)

(١) الخصال ج ٢ ص ٣٩٠ باب السبعة حديث ٨١.

(٢) مشارق أنوار اليقين ص ٩٠.

(٣) في المصدر: «الشهر».

(٤) الدرر الواقية ص ٤٠ فصل ٨ والآية من سورة الحاقة: ٧.

(٥) في المصدر: «فأصابه البرص فلا يلومن إلا نفسه».

(٦) في المصدر: «تذهب».

(٧) كتاب المسلسلات ضمن جامع الأحاديث ص ٢٥٧ - ٢٥٨ حديث ٢٢.

(٨) قرب الإسناد ص ١٢١، حديث ٤٢٧.

(٩) لم نعر على كتاب العلل هذا.

(١٠) الدرر الواقية ص ٤٠ فصل ٨.

(١١) مكارم الأخلاق ج ١ ص ١٧٢ رقم ٥٠٥.

(١٢) مكارم الأخلاق ج ١ ص ١٧٣ رقم ٥١٢.

(١٣) قرب الإسناد ص ١٢١، حديث ٤٢٦.

(١٤) قرب الإسناد ص ١٢٢، حديث ٤٢٨.

بيان: هذا يخالف ظاهرا ما مر من أن إلاتة الحديد كانت في يوم الثلاثاء و يمكن حمل هذا على التفتية لأن راويه من العامة أو يقال وقعت فيها معا.

٤- الخصال: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن يعقوب بن يزيد عن مروك بن عبيد عن محمد بن سنان عن معتب بن المبارك قال دخلت على أبي عبد الله عليه السلام في يوم خميس وهو يحتجم فقلت له يا ابن رسول الله تحتجم في يوم الخميس قال نعم من كان منكم محتجما فليحتجم في يوم الخميس فإن كل عشية جمعة^(١) يتنذر الدم فرقا من القيامة ولا يرجع إلى وكره إلى غداة الخميس وقال أبو عبد الله عليه السلام من احتجم في آخر خميس من الشهر في أول النهار سل عنه^(٢) الداء سلا.^(٣)

٥- العيون: بالأسانيد الثلاثة المتقدمة عن الرضا عن آباءه عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ اللهم بارك لأمتي في بكورها يوم سبتها وخميسها.^(٤)

صحيفة الرضا: بالأسناد عنه عليه السلام مثله.^(٥)

٦- الخصال: عن أبيه عن أحمد بن إدريس عن محمد بن أحمد الأشعري عن أبي عبد الله الرازي عن محمد بن عبد الله عن محمد^(٦) بن عقبة عن زكريا عن أبيه عن يحيى قال قال أبو عبد الله عليه السلام من قص أظافيره يوم الخميس وترك واحدة ليوم الجمعة نفى الله عنه الفقر.^(٧)

٧- العيون: بالأسانيد الثلاثة عن الرضا عن آباءه عليه السلام قال كان رسول الله ﷺ يسافر يوم الخميس ويقول فيه ترفع الأعمال إلى الله عز وجل وتعد فيه الألوية.^(٨)

٨- الخصال: عن محمد بن الحسن بن الوليد عن أحمد بن إدريس عن محمد بن أحمد الأشعري عن محمد بن حسان عن أبي محمد الرازي عن النوفلي عن السكوني عن جعفر بن محمد عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ من قلم أظفاره يوم السبت ويوم الخميس وأخذ من شاربه عوفي من وجع الأضراس وجع العين^(٩)

بيان: الظاهر أن الواو بمعنى أو.

٩- صحيفة الرضا: بالأسناد عنه عن آباءه عليه السلام قال كان رسول الله ﷺ يسافر يوم الإثنين والخميس ويقول فيها ترفع الأعمال إلى الله عز وجل وتعد فيها الألوية.^(١٠)

١٠- محاسبة النفس: للسيد علي بن طائوس ره نقلا من كتاب الأرملة لمحمد بن عمران المرزباني قال كان رسول الله ﷺ يصوم الإثنين والخميس فليل له لم ذلك فقال ﷺ إن الأعمال ترفع في كل إثنين وخميس فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم^(١١)

١١- وبأسناده أيضا عن أبي أيوب قال قال رسول الله ﷺ ما من إثنين ولا خميس إلا ترفع فيه الأعمال إلا عمل المقادير.^(١٢)

١٢- ومنه بإسناده إلى شيخ الطائفة بإسناده إلى عنيسة بن بجاد العابد قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول آخر خميس في الشهر ترفع فيه أعمال الشهر.^(١٣)

بيان: كأن المراد بعمل المقادير الأعمال التي لا اختيار للعبد فيها فإنها ليست محللا للتكليف

١٣- المكارم: عن الصادق عليه السلام أن آدم يجتمع في موضع الحجامة يوم الخميس فإذا زالت الشمس تفرق فخذ حظه من الحجامة قبل الزوال.^(١٤)

(٢) في المصدر: «عشية كل جمعة».

(٤) عيون الأخبار ج ٢ ص ٣٤.

(٦) في المصدر: «إبراهيم» بدل «محمد».

(٨) عيون الأخبار ج ٢ ص ٣٧.

(١٠) صحيفة الرضا ص ٢٢٨.

(١٢) محاسبة النفس ص ٣٠ و ٣١.

(١٤) مكارم الأخلاق ج ١ ص ١٧٣ رقم ٥٠٨.

(١) في المصدر: «عشية كل جمعة».

(٣) الخصال ج ٢ ص ٣٨٩ باب السبعة حديث ٧٩.

(٥) صحيفة الإمام الرضا عليه السلام ج ١ ص ١٠٣.

(٧) الخصال ج ٢ ص ٣٩٠ باب السبعة حديث ٨٢.

(٩) الخصال ج ٢ ص ٣٩٤ باب السبعة حديث ١٠٠.

(١١) محاسبة النفس ص ٣٠.

(١٣) محاسبة النفس ص ٣٠ و ٣١.

فذلـكـة: اعلم أن يوم الجمعة بضم الجيم وسكون الميم وضمها اسم يوم من الأسبوع وكان يسمى في القديم عروبة بفتح العين وضم الراء المهملتين قال الجوهري يوم العروبة يوم الجمعة وهو من أسمائهم القديمة^(١) وقال يوم الجمعة يوم العروبة وكذلك الجمعة بضم الميم ويجمع على جمعات وجمع^(٢) انتهى وقال في المصباح المنير يوم الجمعة سمي بذلك لاجتماع الناس به وضم الميم لغة الحجاز وفتحها لغة بني تميم وإسكانها لغة عقيل وقرأها الأعمش ثم قال وأما الجمعة بسكون الميم فاسم لأيام الأسبوع وأولها^(٣) السبت قال أبو عمرو الزاهد في كتاب المداخل أخبرنا تغلب^(٤) عن ابن الأعرابي قال قال أول الجمعة يوم السبت وأول الأيام يوم الأحد هكذا عند العرب^(٥) وقال في مجمع البيان إنما سميت جمعة لأن الله تعالى فرغ فيه من خلق الأشياء فاجتمعت فيه المخلوقات وقيل لأنه تجتمع فيه الجماعات وقيل إن أول من سماها جمعة كعب بن لوي وهو أول من قال أما بعد وقيل إن أول من سماها جمعة الأنصار^(٦) انتهى وهو أسعد الأيام وأشرفها كما مر وسيأتي في كتاب الصلاة إن شاء الله لكن لما كان يوم عبادة وقربه لا ينبغي أن يرتكب فيه ما ينافيها كالسفر والاشتغال بالأمور الدنيوية وليلته مثل يومه مباركة زاهرة منورة ويستحب فيها التزويج والزفاف وحلق الرأس وأخذ الأطفال والشارب والاستحمام وغسل الرأس بالسدر والخطمي وسائر ما سيأتي في محله فأما التنوير فالظاهر أن المنع فيه محمول على التقية واختلف الأخبار أيضا في الحجامة ولعل الأولى تركها لإمعان الضرورة ولم أر في الفصد نهايا وقال المنجمون يومه متعلق بالزهرة وليلته بالقمر وأما يوم السبت فقال الجوهري السبت الراحة والدهر وحلق الرأس وسبت علاوته سبتا إذا ضرب عنقه ومنه سمي يوم السبت لانقطاع الأيام عنده^(٧) وقال الراغب قبل سمي يوم السبت لأن الله تعالى ابتدأ خلق السموات^(٨) يوم الأحد فخلقها في ستة أيام كما ذكره فقطع عمله يوم السبت فسمي بذلك^(٩) انتهى وقيل لقطع اليهود أعمالهم فيه وقيل لاستراحتهم فيه.

قال السيد الأجل المرتضى ره في الدرر في جواب سائل سأل عن قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾^(١٠) فقال إذا كان السبات هو النوم فكأنه قال وجعلنا نومكم نوما وهذا ما لا فائدة فيه فأجاب ره في هذه الآية بوجوه.

منها: أن يكون المراد بالسبات الراحة والدعة وقد قال قوم إن اجتماع الخلق^(١١) كان في يوم الجمعة والفرغ منه في يوم السبت فسمي اليوم بالسبت للفرغ الذي كان فيه ولأن الله تعالى أمر بني إسرائيل فيه بالاستراحة من الأعمال وقيل وأصل السبات التمدد يقال سبتت المرأة شعرها إذا حلتها من العقص وأرسلته.

ومنها: أن يكون المراد بذلك القطع لأن السبت القطع والسبت أيضا الحلق يقال سبت شعره إذا حلقه وهو يرجع إلى معنى القطع والتعال السبئية التي لا شعر عليها فالمعنى جعلنا نومكم قطعاً لأعمالكم وتصرفكم ومن أجاب بهذا الجواب يقول إنما سمي يوم السبت بذلك لأن بدء الخلق كان يوم الأحد وجمع يوم الجمعة وقطع يوم السبت فترجع التسمية إلى معنى القطع وقد اختلف الناس في ابتداء الخلق فقال أهل التوراة إن الله تعالى ابتدأه في يوم الأحد فكان الخلق يوم الأحد والإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة ثم فرغ في يوم السبت وهذا قول أهل التوراة وقال آخرون إن ابتداء كان في يوم الإثنين إلى السبت وفرغ في يوم الأحد وهذا قول أهل الإنجيل فأما قول أهل الإسلام فهو أن ابتداء الخلق كان في يوم السبت واتصل إلى الخميس و

(٢) الصحاح ج ٣ ص ١١٩٨.

(٤) في المصدر: «تغلب».

(٦) مجمع البيان ج ٩ ص ٢٨٦.

(٨) في المصدر إضافة: «والأرض».

(١٠) سورة التبا: آية ٩.

(١) الصحاح ج ١ ص ١٨٠.

(٣) في المصدر إضافة: «يوم».

(٥) المصباح المنير ج ١ ص ١٠٨ - ١٠٩.

(٧) الصحاح ج ١ ص ٢٥٠.

(٩) مفردات الراغب ص ٢٢٦.

(١١) في المصدر إضافة: «كلهم».

جعلت الجمعة عيداً فعلى هذا القول يمكن أن يسمى اليوم بالسبت من حيث قطع فيه بعض خلق الأرض فقد روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال إن الله خلق التربة^(١) في يوم السبت وخلق الجبال فيها يوم الأحد.^(٢) إلى آخر ما أفاده رده وما ذكره من كون ابتداء الخلق يوم السبت خلاف المشهور بين الفريقين.

وبالجملة يوم السبت يوم مبارك صالح لجميع الأعمال والبكور فيه أسعد وأمين كما عرفت لا سيما للسفر وطلب الحوائج ويومه عند الأحكاميين متعلق بزحل وليلته بالمرخ و اسمه بالعربية القديمة شيار كتاب.

و يوم الأحد وكان يسمى في القديم بالأول و سمي أحداً لأنه أول الأيام أو اليوم الأول من خلق العالم وهو يوم متوسط لأكثر الأعمال و ذمه و مدحه متعارضان بل مدحه أقوى و عند الأحكاميين يومه متعلق بالشمس وليلته بعطارد.

ويوم الإثنين يسمى في اللغة القديمة بأهون قال الجوهري كانت العرب تسمي يوم الإثنين أهون في أسمائهم القديمة أنشدني أبو سعيد قال أنشدني ابن دريد لبعض شعراء الجاهلية.

أؤمل أن أعيش وأن يومي
أم التالي دبار أم فيومي
بأول أو بأهون أو جبار
بمؤنس أو عروبة أو شيار^(٣)

وفي كتاب أبي ربحان^(٤) أو التالي دبار فإن أفته فمؤنس إلخ^(٥).

ووجه التسمية ظاهر مما مر وهو أنحس أيام الأسبوع ولا يصلح لشيء من الأعمال وما ورد في مدحه فمحمول على التقية لتترك المخالفين به اقتفاءً ببني أمية لعنهم الله وأكثر مصائب أهل البيت ﷺ وقع فيه ولذا وضعوا الأخبار للتبرك به كما وضعوها للتبرك بيوم عاشوراء.

و يمكن حمل بعض الأخبار على الضرورة و يمكن حمل بعضها على النسخ أيضاً بأن يكون في الأول مباركا حيث لم يقع بعد فيه ما يصير سبباً لنحوسته فلما فات فيه رسول الله ﷺ و جرت المصائب فيه على أهل البيت ﷺ و تترك المخالفون به صار أنحس الأيام و يكون ذلك أيضاً بإخباره ﷺ لئلا يلزم النسخ بعده ﷺ و يمكن القول بمثله في يوم عاشوراء وهذا وجه قريب للجمع بين الأخبار وإن كان الأول أقرب و عند المنجمين يومه متعلق بالقمر وليلته بالمشتري.

ويوم الثلاثاء يفتح الثاء و قد يضم ثم لام ثم ألف وهو معدود و في اللغة القديمة يسمى الجبار كغراب وهو يوم متوسط لأكثر الأعمال لا سيما صعاب الأمور لأن الله تعالى الآن فيه الحديد لداود ﷺ و في مجمع البيان أن الله خلق فيه الجبال^(٦) و روي أنه سبحانه خلق فيه الأشجار و الأنهار والهوام و ورد فيه النهي عن الحجامة و تجويزها و التجويز أقوى و السفر أيضاً فيه محمود و عند الأحكاميين يومه متعلق بالمرخ وليلته بالزهرة.

ويوم الأربعاء مثلثة الباء ممدودة و في المصباح هو بكسر الباء ولا نظير له في المفردات وإنما يأتي وزنه في الجمع و بعض بني أسد يفتح الباء و الضم لغة قليلة فيه^(٧) انتهى و في اللغة القديمة اسمه دبار في القاموس دبار كغراب و كتاب يوم الأربعاء و في كتاب العين ليلته^(٨) انتهى و في المجمع خلق الله فيه الشجر و العمران و الخراب^(٩) و قيل خلق فيه الطير وهو يوم نحس لا سيما آخر أربعا من الشهر وليست نحوسته كالإثنين و قد مر أن الله خلق فيه النار و قد ورد تجويز بعض الأعمال فيه كالاستحمام و شرب الدواء و منع فيه من الحجامة و التوبة و السفر و عند أرباب النجوم يومه متعلق بعطارد وليلته يزحل.

(١) في المصدر: «الربة».

(٢) الصحاح ج ٤ ص ٢٢١٨.

(٣) الآثار الباقية ص ٩٤ و فيه بعد «فمؤنس»: «أو عروبة أو شيار».

(٤) راجع مجمع البيان ج ٩ ص ٥، ذيل آية ١٠ من سورة فصلت.

(٥) المصباح المنير ج ١ ص ٢١٦.

(٦) راجع مجمع البيان ج ٩ ص ٥، ذيل آية ١٠ من سورة فصلت.

(٧) أمالي المرتضى ج ٢ ص ١٥ و ١٦.

(٨) جاء البيت الأول فيه بمثل ما جاء هنا.

(٩) القاموس المحيط ج ٢ ص ٢٨.



و يوم الخميس كانت العرب تسميه مؤنسا ذكره الجوهري^(١) و هو مناسب لما ورد في الخبر أنه يوم أنيس و هو يوم مبارك صالح لجميع الأعمال لا سيما السفر و طلب الحوائج و البكور فيه أشد بركة و سيأتي فضله و الأعمال المطلوبة فيه في كتاب الصلاة إن شاء الله و قد روي فيه منع عن الحجامة و التجويز أصح و أقوى و أيد المنع بأن الرشيد احتجم فيه و مات و هذا مؤيد لسعادة هذا اليوم و عند الأحكاميين يومه منسوب إلى المشتري و ليلته إلى الشمس و المراد بالليلة في جميع ما نقلنا عنهم الليلة المستقبلية على خلاف أهل الشرع فإنهم يعدون الليلة الماضية من اليوم.

باب ٢١

سعادة أيام الشهور العربية ونحوستها وما يصلح في كل يوم منها من الأعمال

١- الخصال: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن محمد بن عيسى اليقطيني عن القاسم بن يحيى عن جده الحسن عن أبي بصير و محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عن آبائه عليهم السلام قال قال أمير المؤمنين عليه السلام إذا أراد أحدكم أن يأتي أهله فليتوق أول الأهلة و أنصاف الشهور فإن الشيطان يطلب الولد في هذين الوقتين و الشياطين يطلبون الشرك فيهما فيجبنون و يحبلون.^(٢)

٢- المكارم: عن الصادق عليه السلام اتق الخروج إلى السفر يوم^(٣) الثالث من الشهر و الرابع منه و الحادي و العشرين منه و الخامس و العشرين منه فإنها أيام منحوسة^(٤).

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يكره أن يسافر الرجل أو يتزوج و القمر في المحاق.^(٥)

و روي في بعض الكتب عن الحسن بن علي العسكري عليه السلام أن في كل شهر من الشهور العربية يوم نحس لا يصلح ارتكاب شيء من الأعمال فيه سوى الخلوة و العبادة و الصوم و هي الثاني و العشرون من المحرم و العاشر من صفر و الرابع من الربيع الأول و الثامن و العشرون من الربيع الثاني و الثامن و العشرون من جمادى الأولى و الثاني عشر من جمادى الثانية و الثاني عشر من رجب و السادس و العشرون من شعبان و الرابع و العشرون من شهر رمضان و الثاني من شوال و الثامن و العشرون من ذي القعدة و الثامن ذي الحجة.

و يظهر من بعض الروايات نحوسة الثالث و الرابع و الخامس و الثالث عشر و السادس عشر و الحادي و العشرين و الرابع و العشرين و الخامس و العشرين و السادس و العشرين.

و روي المنع من السفر في الثامن من الشهر و الثالث و العشرين منه و روي أنه يصلح السفر في الرابع و في الحادي و العشرين.

و عن بعض الأفاضل: النظم

فلا تتخذ فيهن عرسا و لا سفر
و سادس عشر هكذا جاء في الخبر
و رابع و العشرين و الخمس في الأثر
كأيام عاد لا تبقي و لا تذر
علي ابن عم المصطفى سيد البشر

توق من الأيام سبع كواملا
ثلاثا و خمسا ثم ثالث عشرها
و واحد و العشرين قد شاع ذكره
فتوقها مهما استطعت فإنها
رويناه عن بحر العلوم بهمة

(٢) الخصال ج ٢ ص ٦٣٧ باب السبعة حديث ١٠.

(٤) مكارم الأخلاق ج ١ ص ٥١٧ رقم ١٨٠١.

(١) الصحاح ج ٢ ص ٩٠٥.

(٢) في المصدر: «في يوم الثالث».

(٥) لم نعرف اسم الكتاب هذا.

و أسقط شوال منه الثاني
و توق ما بعده لثمان
و عاشر من صفر بلا نكران
و ثامن عشري ربيع الثاني
ثم ما يتلوه ثاني عشر يأمن حثاني
و السادس و العشرون من شعبان
خبثا من الأيام كل زمان

تخف رابع العشرين من رمضان
و الثامن العشرين من ذي قعدة
و ثاني العشرين شهر محرم
و ربيع رابعة فحاذر يومه
و ثامن عشري جمادى الأولى
و إذا أتى رجب فثاني عشرها
فتوقها مهما استطعت فإنها

٣- المكارم: عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ من احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة أو تسع عشرة أو لإحدى و عشرين كانت له شفاء من داء السنة. (١)

٤- و قال أيضا احتجموا يوم الخميس (٢) لخمس عشرة و سبع عشرة و إحدى و عشرين لا يتبغ بكم الدم فيقتلكم. (٣)

٥- و عن الصادق عليه السلام من احتجم في آخر خميس في الشهر آخر النهار سل الداء سلا. (٤)

٦- و عن النبي ﷺ قال الحجامة يوم الثلاثاء لسبع عشرة تمضي من الشهر دواء لداء سنة. (٥)

٧- و قال عليه السلام الحجامة في سبع و عشر من الشهر شفاء و يوم الثلاثاء صحة للبدن. (٦)
و أقول: روي عن الصادق عليه السلام أخبار في سعادة أيام الشهر و نحوستها جمعت بينها مشيرا إلى مواضعها و مأخذها.

اليوم الأول

الدروع الواقية: قال السيد ره فيما نذكره من الرواية بأدعية ثلاثين فضلا لكل يوم من الشهر فصل منها مروية عن الصادق عليه السلام بروايات متكررة و هي اختيارات الأيام و دعاؤها لكل يوم دعاء جديد إلى أن قال اليوم الأول من الشهر. (٧)

٨- عن الصادق عليه السلام أنه خلق فيه آدم و هو يوم مبارك (٨) لطلب الحوائج و للدخول على السلطان و طلب العلم و التزويج و السفر و البيع و الشراء و اتخاذ الماشية و من هرب فيه أو ضل (٩) قدر عليه إلى ثمانين ليال و المريض (١٠) فيه يبرأ (١١) و المولود يكون (١٢) سمحا مرزوقا (١٣) مباركا عليه (١٤).

و قال سلمان الفارسي ره هو روز هرمزد (١٥) اسم من أسمائه تعالى يوم مختار مبارك يصلح لطلب الحوائج و الدخول على السلطان. (١٦)

٩- قال السيد وفي رواية أخرى بحذف الإسناد عن الصادق عليه السلام و قد سأله سائل عن اختيارات الأيام فقال عليه السلام اليوم الأول خلق فيه آدم عليه السلام يوم صالح مسعود خاطب فيه السلطان و تزوج و أعمل فيه كل شيء تريده من حاجة. (١٧)

١٠- المكارم: عن الصادق عليه السلام سعد يصلح للقاء الأمراء و طلب الحوائج و الشراء و البيع و الزراعة و السفر. (١٨)

١١- زوائد الفوائد: عن الصادق عليه السلام قال هو يوم مبارك محمود فيه خلق الله تعالى آدم و هو يوم سعيد لطلب

(٢) عبارة: «يوم الخميس» ليست في المصدر.

(١١) مكارم الأخلاق ج ١ ص ١٧٢ رقم ٥٠٢.

(٤) مكارم الأخلاق ج ١ ص ١٧٣ رقم ٥٠٧.

(٣) مكارم الأخلاق ج ١ ص ١٧٢ رقم ٥٠٣.

(٦) مكارم الأخلاق ج ١ ص ١٧٤ رقم ٥١٤.

(٥) مكارم الأخلاق ج ١ ص ١٧٤ رقم ٥١٥.

(٧) الدروع الواقية ص ٥٢ و ٥٣ فصل ٢١، و ص ٢٤٠ فصل ٢٣.

(٩) في المصدر: «خرج ما فيه هاريا أو ضالا».

(٨) في المصدر: «محمود».

(١١) في المصدر: «برأ».

(١٠) في المصدر: «من مرض».

(١٣) في المصدر إضافة: «طيبا».

(١٢) في المصدر: «من ولد فيه» بدل «المولود يكون».

(١٥) الدروع الواقية ص ٥٤ فصل ٢١ بتقديم و تأخير.

(١٤) الدروع الواقية ص ٥٤، فصل ٢١.

(١٧) فرهنگ عبيد ص ١٢٤٨.

(١٦) الدروع الواقية ص ٥٤ فصل ٢١.

(١٨) مكارم الأخلاق ج ٢ ص ٢٨٦ رقم ٢٦٦٢.

الحوائج وللدخول على السلطان وابتداء الأعمال والبيع والشراء والأخذ والعطاء ومن ولد فيه كان محبوبا مقبولا مرزوقا مباركا ومن مرض فيه يبرأ بإذن الله تعالى.^(١)

١٢- وفي رواية أخرى من خرج فيه هاربا أو ضالا قدر عليه إلى ثمان ليال.

بيان: ما روي في سياق ما مر وسيأتي عن سلمان رضي الله عنه موافق لما رواه علماء النجوم أصحاب التقاويم عن الفرس لكن في تصحيحها اختلافات تشير إليها قالوا اليوم الأول اسمه أورمزد وبعضهم يسميه فرخ وبعضهم يدرؤز.^(٢)

اليوم الثاني

١٣- الدروع: قال الصادق عليه السلام فيه خلقت حواء من آدم يصلح للتزويج وبناء المنازل وكتب العهد والسفر وطلب الحوائج والاختيار ومن مرض فيه أول النهار خف أمره بخلاف آخره والمولود فيه يكون صالح التربية. وقال سلمان هو روز بهمن^(٣) اسم ملك تحت العرش يوم مبارك للتزويج^(٤) وقضاء الحوائج سعيد.^(٥)

١٤- وفي الرواية الأخرى تزوج وأت فيه أهلك من السفر واشترى وبع وأطلب فيه الحوائج وأتق فيه السلطان.^(٦)

١٥- المكارم: عنه عليه السلام يصلح للسفر وطلب الحوائج.^(٧)

١٦- الزوائد: عن الصادق عليه السلام يوم محمود خلق الله تعالى فيه حواء وهو يوم يصلح للتزويج والتحويل والشراء والبيع والبناء والزرع والفرس والسلف والقرض والمعاملة والدخول بالأهل وطلب الحوائج ولقاء السلطان ومن مرض فيه يبرأ ومن ولد فيه كان مباركا ميمونا.^(٨)

١٧- وفي رواية أخرى أنه يصلح لكتبة العهد ومن مرض في أوله كان مرضه خفيفا وفي آخره كان ثقيلا.^(٩)

اليوم الثالث

١٨- الدروع: عن الصادق عليه السلام أنه يوم نحس مستمر نزع آدم وحواء لباسهما وأخرجا من الجنة فاجعل شغلك فيه صلاح منزلك ولا تخرج من دارك أن أمكنك وأتق فيه السلطان والبيع والشراء وطلب الحوائج والمعاملة والمشاركة والهارب فيه يؤخذ والمريض يجهد والمولود فيه يكون مرزوقا طويل العمر.

وقال سلمان هو روز أردببشت^(١٠) اسم الملك الموكل بالشقاء والسقم يوم تغيب نحس لا يصلح لأمر من الأمور.^(١١)

١٩- وفي الرواية الأخرى عنه عليه السلام يوم نحس فيه سلب آدم وحواء لباسهما ولا تشتري فيه ولا تبع ولا تأت فيه السلطان ولا تطلب فيه حاجة.^(١٢)

٢٠- المكارم: رديء لا يصلح لشيء جملة.^(١٣)

٢١- الزوائد: عنه عليه السلام يوم نحس فيه قتل هابيل قتله أخوه قابيل عليه اللعنة والعذاب السرمذ وهو يوم مذموم لا تسافر فيه ولا تعمل عملا ولا تلق فيه أحدا واستعد بالله من شره بعودة أمير المؤمنين علي عليه السلام ومن ولد فيه كان منحوسا ومن مرض فيه أو في ليلته خيف عليه إلا أن يشاء الله غير ذلك.^(١٤)

٢٢- وفي رواية أخرى أن من ولد فيه كان مرزوقا طويل العمر وفيه سلب آدم وحواء لباسهما وأخرجا من الجنة والهارب فيه يؤخذ والمريض فيه يجهد.^(١٥)

(١) لم نثر على كتاب الزوائد هذا.

(٢) فرهنگ عمید ص ٢٩٢.

(٣) في المصدر إضافة: «وأن يقدم الإنسان من سفره على أهله ويشتري فيه وبيع».

(٤) الدروع الواقية ص ٥٧ فصل ٢١، وفيه: «أعمال السلطان».

(٥) مكارم الأخلاق ج ٢ ص ٣٨٦ رقم ٢٦٦٢.

(٦) لم نثر على كتاب الزوائد هذا.

(٧) فرهنگ عمید ص ١٠٨.

(٨) الدروع الواقية ص ٢٤٠ فصل ٢٣.

(٩) لم نثر على كتاب الزوائد هذا.

(١٠) مكارم الأخلاق ج ٢ ص ٣٨٦ رقم ٢٦٦٢.

(١١) لم نثر على كتاب الزوائد هذا.

أقول: المضبوط عند الفرس أُرديهشت بضم الهمزة وسكون الراء المهملة وكسر الدال المهملة أي الشهر الذي العالم فيه مثل الجنة لاخضرار الأشجار والأراضي وظهور الأزهار.

اليوم الرابع

٢٣- الدروع: عن الصادق عليه السلام أنه يوم صالح للزرع والصيد والبناء واتخاذ الماشية ويكره فيه السفر فمن سافر فيه خيف عليه القتل والسلب أو بلاء يصيبه وفيه ولد هابيل والمولود فيه يكون صالحاً مباركاً ما عاش ومن هرب فيه عسر طلبه ولجأ إلى من يمنعه^(١)

وقال سلمان روز شهر يور^(٢) اسم الملك الذي خلقت فيه الجواهر منه وكل بها وهو موكل ببحر الروم.^(٣)

٢٤- وفي الرواية الأخرى يوم صالح للتزويج والصيد ويذم فيه السفر فمن سافر فيه سلب وفيه ولد هابيل بن آدم عليه السلام^(٤)

٢٥- المكارم: عنه عليه السلام صالح للتزويج ويكره السفر فيه.^(٥)

٢٦- الزوائد: عنه عليه السلام هو يوم متوسط صالح لقضاء الحوائج فيه ولد هبة الله شيث بن آدم ولا تسافر فيه فإنه مكروه ومن ولد فيه كان مباركا ومن مرض فيه شفي ليلته وبرئ بإذن الله تعالى.^(٦)

٢٧- وفي رواية أخرى أن هابيل عليه السلام ولد فيه أيضا ويخاف فيه على المسافرين السلب والقتل وبلاء يصيبه ومن هرب فيه لجأ إلى من يمنعه منه.^(٧)

أقول: اسمه عند الفرس يفتح الشين المعجمة وسكون الهاء وكسر الراء المهملة وسكون الياء وفتح الواو.

اليوم الخامس

٢٨- الدروع: عن الصادق عليه السلام أنه يوم نحس مستمر فيه ولد قابيل الشقي ملعون وفيه قتل أخاه وفيه دعا بالويل على نفسه وهو أول من بكى في الأرض فلا تعمل فيه عملا ولا تخرج من منزلك ومن حلف فيه كاذبا^(٨) عجل له الجزاء ومن ولد فيه صلحت حاله.^(٩)

وقال سلمان روز إسفندار^(١٠) اسم الملك الموكل بالأرضين يوم نحس فلا تطلب فيه حاجة ولا تلق فيه سلطانا.^(١١)

٢٩- وفي الرواية الأخرى عنه عليه السلام ولد فيه قابيل وفيه قتل أخاه ولا تطلب فيه حاجة.^(١٢)

٣٠- المكارم: عنه عليه السلام رديء نحس.^(١٣)

٣١- الزوائد: هو يوم نحس فيه لعن إبليس وهاروت وماروت وكل فرعون وجبار وفيه لعن وعذب وهو يوم نكد عسير لا خير فيه فاستعذ بالله من شره ومن ولد فيه كان مشوماً ثقيلاً نكد الحياة مسير الرزق ومن مرض فيه أو في ليلته ثقل مرضه وخيف عليه.^(١٤)

٣٢- وفي رواية أخرى أن فيه قتل قابيل هابيل وينظر في إصلاح الماشية ومن كذب فيه عجل الله له الجزاء.^(١٥)

أقول: المشهور عند الفرس إسفندار مذ وقد يقال إسفندار وسفندار وسفندار بإلحاق مذ في الجميع.

(١) في المصدر إضافة: «ومن سافر فيه ناله مشقة الطريق». (٢) فرهنگ عميد ص ٧٨٨.

(٣) الدروع الواقعة ص ٦٢ فصل ٢١.

(٤) الدروع الواقعة ص ٢٤٠ فصل ٢٣ وفيه إضافة: «ومن يولد فيه يكون ما عاش صالحاً».

(٥) مكارم الأخلاق ج ٢ ص ٣٨٦ رقم ٢٦٦٢.

(٦) لم نثر على كتاب الزوائد هذا.

(٧) في المصدر: «تربيته».

(٨) فرهنگ عميد ص ١١٩، ويلحق به «مذ» بضم الميم أو فتحه، راجع كلام المؤلف بعد هذا.

(٩) الدروع الواقعة ص ٦٤ فصل ٢١.

(١٠) الدروع الواقعة ص ٢٤٠ فصل ٢٣ وفيه: «ودعا بالويل والثبور على أهله وأدخل عليهم البكاء وهو يوم سوء ملعون» بدل «ولا تطلب فيه حاجة».

(١١) مكارم الأخلاق ج ٢ ص ٣٨٦ رقم ٢٦٦٢.

(١٢) لم نثر على كتاب الزوائد هذا.

(١٣) لم نثر على كتاب الزوائد هذا.

اليوم السادس

٣٣- الدرود: عن الصادق عليه السلام أنه يوم صالح للتزويج ومن سافر فيه في بر أو بحر رجع إلى أهله بما يحبه جيد لشراء الماشية ومن ضل فيه أو أبق وجد ومن مرض فيه برئ ومن ولد فيه صلحت تربيته وسلم من الآفات. وقال سلمان رضي الله عنه روز خرداد^(١) اسم ملك موكل بالجن يصلح للتزويج والمعاش وكل حاجة والأحلام يظهر تأويلها بعد يوم أو يومين.^(٢)

٣٤- وفي الرواية الأخرى يوم الصالح للتزويج والصيد وطلب المعاش وكل حاجة.^(٣)

٣٥- المكارم: عنه عليه السلام مبارك يصلح للتزويج وطلب الحوائج.^(٤)

٣٦- الزوائد: عنه عليه السلام يوم صالح ولد فيه نوح عليه السلام يصلح للحوائج والسلطان والسفر والبيع والشراء والديون والقضاء والأخذ والعطاء والنزهة والصيد ومن ولد فيه كان مباركا ميمونا موسعا عليه في حياته ومن مرض فيه أو في ليلته لم يجاوز مرضه أسبوعا ثم يبرأ بإذن الله.^(٥)

٣٧- وفي رواية أخرى يصلح للتزويج وشراء الماشية.^(٦)

أقول: خرداد عندهم بضم الخاء المعجمة.

اليوم السابع

٣٨- الدرود: عن الصادق عليه السلام أنه يوم صالح لجميع الأمور ومن بدأ بالكتابة أكملها حذقا ومن بدأ فيه بعمارة أو غرس حمدت عاقبته ومن ولد فيه صلحت تربيته وسع عليه رزقه.

وقال سلمان رضي الله عنه روز مرداد^(٧) اسم ملك موكل بالناس وأرزاقهم وهو يوم مبارك سعيد فاعمل فيه ما تشاء من الخير.^(٨)

٣٩- وفي رواية أخرى يوم صالح مثل السادس.^(٩)

٤٠- المكارم: عنه عليه السلام مبارك مختار يصلح لكل ما يراد ويسعى فيه.^(١٠)

٤١- الزوائد: عنه عليه السلام يوم سعيد مبارك فيه ركب نوح عليه السلام السفينة فاركب البحر وسافر في البر والى العدو وأعمل ما شئت فإنه يوم عظيم البركة محمود لطلب الحوائج والسعي فيها ومن ولد فيه كان مباركا ميمونا على نفسه وأبويه خفيف النجم موسعا عيشه ومن مرض فيه أو في ليلته برئ بإذن الله تعالى.^(١١)

٤٢- وفي رواية أخرى يصلح لابتداء الكتابة والعمارة وغرس الأشجار.^(١٢)

أقول: مرداد أيضا بالضم وقال أبو ريحان معناه دوام الخلق أبدا من غير موت ولا فناء.^(١٣)

اليوم الثامن

٤٣- الدرود: عن الصادق عليه السلام أنه يوم صالح لكل حاجة من بيع أو شراء ومن دخل فيه على سلطان قضيت حاجته ويكره فيه ركوب البحر والسفر في البر والخروج إلى الحرب ومن ولد فيه صلحت ولادته^(١٤) ومن هرب فيه لم يقدر عليه إلا بتعب ومن ضل فيه لم يرشد إلا بجهد والمريض فيه يجهد.

وقال سلمان روز نمادر^(١٥) اسم من أسمائه تعالى وهو يوم مبارك سعيد صالح لكل أمر تريد من الخير.^(١٦)

(١) خرداد - بضم الخاء وسكون الراء - يطلق على الشهر الثالث من الشهور الشمسية، فرهنگ عמיד ص ٥٢٥.

(٢) الدرود الواقية ص ٢٤٠ فصل ٢٣ وفيه اختلاف يسير.

(٣) الدرود الواقية ص ٢٤٠ فصل ٢٣.

(٤) مكارم الأخلاق ج ٢ ص ٣٨٦ رقم ٢٦٦٢.

(٥) لم نثر على كتاب الزوائد هذا.

(٦) مرداد - بضم الميم وسكون الراء - الشهر الخامس من الشهور الشمسية، ويقال له «أمرداد» أيضا، فرهنگ عמיד ص ١٠٧٥٤.

(٧) الدرود الواقية ص ٧٠ فصل ٢١.

(٨) مكارم الأخلاق ج ٢ ص ٣٨٦ رقم ٣٦٦٢.

(٩) لم نثر على كتاب الزوائد هذا.

(١٠) مكارم الأخلاق ج ٢ ص ٣٨٦ رقم ٣٦٦٢.

(١١) لم نثر على كتاب الزوائد هذا.

(١٢) في المصدر: «تدبته» بدل «ولادته».

(١٣) الدرود الواقية ص ٧٢ - ٧٣ فصل ٢١.

٤٤- وفي الرواية الأخرى يوم صالح مبارك صالح لكل حاجة إلا السفر.^(١)

٤٥- المكارم: يصلح لكل حاجة سوى السفر فإنه يكره فيه.^(٢)

٤٦- الزوائد: عنه عليه السلام يوم صالح للشراء والبيع فاشتر فيه وبع وخذ وأعط ولا تعرض للسفر فإنه يكره فيه سفر البر والبحر ومن ولد فيه كان متوسط الحال طويل العمر ومن مرض فيه أو في ليلته برئ بإذن الله تعالى.^(٣)

٤٧- وفي رواية أخرى تصلح للقاء السلطان وقضاء الحوائج منه ومن هرب فيه لم يقدر عليه إلا بتعب ومن ضل فيه لم يرشد إلا بجهد وقيل من مرض فيه هلك.^(٤)
أقول: المعروف عندهم ديبازر.

اليوم التاسع

٤٨- الدرود: عن الصادق عليه السلام أنه يوم خفيف صالح لكل أمر تريده فابدأ فيه بالعمل واقترض فيه وازرع واغرس ومن حارب فيه غلب ومن سافر فيه رزق مالا ورأى خيراً ومن هرب فيه نجا ومن مرض فيه ثقل ومن ضل قدر عليه ومن ولد فيه صلحت ولادته ووفق فيه في كل حالته.

وقال سلمان روز آذر^(٥) اسم ملك موكل بالميزان يوم القيامة محمود والأحلام تصح فيه من يومها.^(٦)

٤٩- وفي الرواية الأخرى يوم خفيف صالح لكل أمر يريده والمولود فيه يكون مرزوقاً في معيشته ولا يصيبه ضيق.^(٧)

٦٣
٥٩

٥٠- المكارم: عنه عليه السلام مبارك يصلح لكل ما يريده الإنسان ومن سافر فيه رزق مالا ويرى في سفره كل خير.^(٨)

٥١- الزوائد: عنه عليه السلام يوم صالح محمود فيه ولد سام بن نوح وهو يوم مبارك يصلح للحوائج والدخول على السلطان وجميع الأعمال والدين والقرض والأخذ والعطاء ومن ولد فيه كان محبوباً مقبولاً عند الناس يطلب العلم ويعمل بأعمال الصالحين ومن مرض فيه أو في ليلته برئ بإذن الله تعالى.^(٩)

٥٢- وفي رواية أخرى من سافر فيه رزق ولقي خيراً يصلح للفرس والزرع ومن حارب فيه غلب ومن هرب فيه لجأ إلى سلطان يمنع عليه ومن مرض فيه ثقل.^(١٠)

أقول: عندهم آذر بالألف الممدودة ثم الذال المعجمة المفتوحة اسم للنار والملك الموكل بها وصح بعضهم بضم الذال والأول أشهر.

اليوم العاشر

٥٣- الدرود: عن الصادق عليه السلام أنه ولد^(١١) فيه نوح عليه السلام ومن ولد فيه يكبر ويهرم ويرزق ويصلح للبيع والشراء والسفر والضالة فيه توجد والهارب فيه يظفر به ويحبس وينبغي للمريض فيه أن يوصي وقال سلمان رضي الله عنه روز آبان^(١٢) اسم ملك موكل بالبحار^(١٣) والأودية يوم خفيف مبارك ومن هرب فيه من سلطان أخذ ومن ولد فيه لم يصبه ضيق وكان مرزوقاً والأحلام فيه تظهر في مدة عشرين يوماً.^(١٤)

٥٤- وفي الرواية الأخرى فيه ولد نوح عليه السلام يوم صالح للحراث والزرع والسلف وكل خير.^(١٥)

٥٥- المكارم: صالح لكل حاجة سوى الدخول على السلطان ومن فر فيه من السلطان أخذ ومن ضلت له ضالة وجدها وهو جيد للشراء والبيع ومن مرض فيه برأ.^(١٦)

٦٤
٥٩

(١) الدرود الواقعة ص ٢٤١ فصل ٢٣.

(٢) لم نثر على كتاب الزوائد هذا.

(٣) آذر - بمدّ الألف وفتح الذال - يطلق على الشهر التاسع وعلى اليوم التاسع، فرهنگ عميد ٤٧.

(٤) الدرود الواقعة ص ٧٥ فصل ٢١ وفيه اختلاف.

(٥) الدرود الواقعة ص ٢٤١ فصل ٢٣ وفيه إضافة: «و يمدّ له في عمره ويكون صالحاً».

(٦) مكارم الأخلاق ج ٢ ص ٣٨٧ رقم ٢٦٦٢.

(٧) لم نثر على كتاب الزوائد هذا.

(٨) في المصدر: «وجد».

(٩) آبان - بمدّ الألف - ويقال «آبان» - بفتح الألف - اسم الشهر الثامن، فرهنگ عميد ص ٣٤.

(١٠) في المصدر إضافة: «و المياه».

(١١) الدرود الواقعة ص ٢٤١ فصل ٢٣.

(١٢) مكارم الأخلاق ج ٢ ص ٣٨٧ رقم ٢٦٦٢.

(١٣) الدرود الواقعة ص ٢٤١ فصل ٢٣.

٥٦- الزوائد: عنه عليه السلام يوم محمود رفع الله فيه إدريس مكانا عليا وفيه أخذ موسى التوراة تصلح لكتب الكتب والشروط والعهود وأعمال الدواوين والحساب ومن ولد فيه كان مباركا حلينا صالحا عقيفا ومن مرض فيه أو في ليلته يخاف عليه^(١)

٥٧- وفي رواية أخرى يصلح للبيع والشراء ومن ضلت له ضالة وجدها ويستحب للمريض فيه أن يوصي ومن هرب فيه ظفر به وسجن.^(٢)

اليوم الحادي عشر

٥٨- الدرود: عن الصادق عليه السلام أنه ولد فيه شيث عليه السلام صالح لا يتداء العمل والبيع والشراء والسفر ويحتب فيه الدخول على السلطان ومن هرب فيه رجع طائعا ومن مرض فيه يوشك أن يبرأ فيه ومن ضل فيه سلم ومن ولد فيه طابت عيشته^(٣) غير أنه لا يموت حتى يفتقر ويهرب من سلطان.

وقال سلمان رضي الله عنه روز خور^(٤) اسم ملك موكل بالشمس يوم خفيف مثل الذي تقدمه.^(٥)

٥٩- وفي الرواية الأخرى من هرب فيه^(٦) أخذ ومن ولد فيه يكون مرزوقا في معيشته ويعمر^(٧) حتى يهرم ولا يفتقر أبدا.^(٨)

٦٠- المكارم: عنه عليه السلام يصلح للشراء والبيع ولجميع الحوائج وللسفر ما خلا الدخول على السلطان وإن التواري فيه يصلح.^(٩)

٦١- الزوائد: عنه عليه السلام يوم صالح للشراء والبيع والمعاملة والقرض ويكره فيه الدخول على السلطان ومعاملته والتصرف فيه ومن ولد فيه كان مباركا صالح التربية ومن مرض فيه أو في ليلته برئ بإذن الله تعالى.^(١٠)

أقول: عندهم خور بضم الخاء ومنهم من صححه بالفتح والأول أظهر ويؤيده دخول الواو في الكتابة.

٦٢- وفي رواية أخرى أنه ولد فيه شيث عليه السلام ومن هرب فيه رجع طائعا ومن ضل فيه سلم وذكر أيضا أنه يموت فقيرا أو يهرب من السلطان.^(١١)

اليوم الثاني عشر

٦٣- الدرود: عن الصادق عليه السلام أنه يوم صالح للتزويج وفتح الحوانيت والشركة وركوب البحار ويحتب فيه الوساطة بين الناس والمريض يوشك أن يبرأ والمولود فيه يكون هين^(١٢) التربية.

وقال سلمان رضي الله عنه روز ماه^(١٣) يوم مختار هو^(١٤) اسم ملك موكل بالقمر.^(١٦)

وفي الرواية الأخرى مثل الحادي عشر.^(١٧)

٦٤- المكارم: عنه عليه السلام يوم صالح مبارك فاطلبوا فيه حوائجكم واسعوا لها فإنها تقضى.^(١٨)

٦٥- الزوائد: عنه عليه السلام يوم مبارك فيه قضى موسى الأجل وهو يوم التزويج والمشاركة وفتح الحوانيت وعمارة المنازل والبيع والشراء والأخذ والعطاء ومن ولد فيه كان عقيفا ناسكا صالحا ومن مرض فيه أو في ليلته من حمى خيف عليه إلا أن يشاء الله عز وجل.^(١٩)

- (١) لم نثر على كتاب الزوائد هذا.
- (٢) في المصدر: «طابت تربيته وعيشته».
- (٣) الدرود الواقية ص ٨٤ فصل ٢١.
- (٤) في المصدر: «لا يموت» بدل «يعمر».
- (٥) مكارم الأخلاق ج ٢ ص ٣٨٧ رقم ٢٦٦٢.
- (٦) لم نثر على كتاب الزوائد هذا.
- (٧) ماه أي القمر، ويطلق أيضا على اليوم الثاني عشر، راجع التفهيم ص ٢٣٤.
- (٨) عبارة: «يوم مختار وهو» ليست في المصدر.
- (٩) الدرود الواقية ص ٨٦ فصل ٢١.
- (١٠) مكارم الأخلاق ج ٢ ص ٣٨٧ رقم ٢٦٦٢.
- (١١) لم نثر على كتاب الزوائد هذا.
- (١٢) في المصدر: «كان يسير».
- (١٣) الدرود الواقية ص ٨٦ فصل ٢١.
- (١٤) الدرود الواقية ص ٢٤١ رقم ٢٣.
- (١٥) لم نثر على كتاب الزوائد هذا.
- (١٦) لم نثر على كتاب الزوائد هذا.

٦٦- وفي أخرى يستحب فيه ركوب الماء ولا يرتكب فيه الوسائط يعني الوساطة بين الناس.^(١)

اليوم الثالث عشر

٦٧- الدرود: عن الصادق عليه السلام أنه يوم نحس فاتق فيه المنازعة والحكومة و لقاء السلطان وكل أمر ولا تدهن فيه رأساً ولا تحلق فيه شعراً ومن ضل فيه أو هرب سلم ومن مرض فيه أجهد والمولود فيه ذكر أنه لا يعيش.

وقال سلمان رضي الله عنه روز تير^(٢) اسم ملك موكل بالنجوم يوم نحس رديء فاتق فيه السلطان وجميع الأعمال^(٣) والأحلام تصح فيه بعد تسعة أيام.^(٤)

وفي الرواية الأخرى يوم نحس لا تطلب فيه حاجة.^(٥)

٦٨- المكارم: عنه عليه السلام يوم نحس فاتقوا فيه جميع الأعمال.^(٦)

٦٩- الزوائد: عنه عليه السلام يوم نحس فيه هلك ابن نوح وامرأة لوط وهو يوم مذموم في كل حال فاستعذ بالله من شره ومن ولد فيه كان مشموماً عسير الرزق كثير الحقد نكد الخلق ومن مرض فيه أو في ليلته يخاف عليه والله أعلم.^(٧)

٧٠- وفي رواية أخرى تنقي فيه المنازعات و لقاء السلاطين والحكومات وحلق الرأس ودهن الشعر ومن هرب فيه سلم وإن ولد فيه ذكر لم يعيش.^(٨)

اليوم الرابع عشر

٧١- الدرود: عن الصادق عليه السلام أنه صالح لكل شيء ومن ولد فيه^(٩) يكون غشوماً^(١٠) وهو جيد^(١١) لطلب العلم والبيع والشراء والسفر والاستقراض وركوب البحر ومن هرب فيه أخذ ومن مرض فيه برئ إن شاء الله تعالى.

وقال سلمان رضي الله عنه روز جوش^(١٢) اسم ملك موكل بالأنس والجن^(١٣) والريح يوم سعيد مبارك يصلح لكل شيء^(١٤) ولقاء السلطان وأشراف الناس وعلماهم ومن ولد فيه يكون كاتباً أديباً ويكثر ماله آخر عمره والأحلام تصح بعد ستة وعشرين يوماً.^(١٥)

٧٢- وفي الرواية الأخرى يوم سعيد صالح^(١٦) لكل حاجة ومن ولد فيه عمر طويلاً ويكون مشعوقاً بطلب العلم ويكثر ماله في آخر عمره.^(١٧)

٧٣- المكارم: عنه عليه السلام جيد للحوائج ولكل عمل.^(١٨)

٧٤- الزوائد: عنه عليه السلام يوم صالح لما تريد من قضاء الحوائج و لقاء الملوك و طلب العلم و أعمال الديون ومن ولد فيه عاش سليماً سعيداً وكان في أموره مسدداً محموداً مرزوقاً ومن مرض فيه أو في ليلته برئ من مرضه ولم يطل والله أعلم.^(١٩)

٧٥- وفي رواية أخرى أنه من ولد فيه يكون في آخر عمره كثير المال ويكون غشوماً ظلوماً و يصلح للبيع والشراء والاستقراض والقرض والركوب في البحر ومن هرب فيه يؤخذ.^(٢٠)

أقول: جوش بضم الجيم وسكون الواو.

(١) لم نثر على كتاب الزوائد هذا.

(٢) تير - بكسر التاء وسكون الياء - اسم الشهر الرابع و يطلق على اليوم الثالث عشر من كل شهر، فرهنگ عميد ص ٤٣٤.

(٣) في المصدر إضافة: «ولا تطلب فيه حاجة».

(٤) الدرود الواقية ص ٨٩ فصل ٢١.

(٥) الدرود الواقية ص ٢٤١ فصل ٢٣.

(٦) لم نثر على كتاب الزوائد هذا.

(٧) في المصدر إضافة: «يكثر ماله آخر عمره».

(٨) في المصدر: «صالح».

(٩) جوش - بضم الجيم وسكون الواو، كما في كلام المؤلف بعد هذا، و جاء في التفهيم ص ٢٣٤: «غوش» - بالكاف الفارسية اسم اليوم الرابع عشر.

(١٠) في المصدر: «اسم ملك الموكل بالأنفاس والأكن».

(١١) الدرود الواقية ص ٩٢ - ٩٣ فصل ٢١.

(١٢) في المصدر إضافة: «مبارك».

(١٣) مكارم الأخلاق ج ٢ ص ٣٨٧ رقم ٢٦٦٢.

(١٤) لم نثر على كتاب الزوائد هذا.

(١٥) الدرود الواقية ص ٢٤١ فصل ٢٣.

(١٦) لم نثر على كتاب الزوائد هذا.

اليوم الخامس عشر

٧٦- العدد القوية لدفع المخاوف اليومية: للشيخ رضي الدين علي بن يوسف بن مطهر الحلبي قال مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام إنه يوم مبارك يصلح لكل حاجة والسفر وغيره فاطلبوا فيه الحوائج فإنها مقضية. (١)
٧٧- وفي رواية أخرى محذور نحس في كل الأمور إلا من أراد أن يستقرض أو يقرض أو يشاهد ما يشتري ولد فيه قابيل وكان ملعونا وهو الذي قتل أخاه فاحذروا فيه كل الحذر ففيه خلق الغضب ومن مرض فيه مات. (٢)
٧٨- وفي رواية أخرى من مرض فيه برئ عاجلا ومن هرب فيه ظفر به في مكان قريب (٣) ومن ولد فيه يكون سيئ الخلق. (٤)

٧٩- وفي رواية أخرى من ولد فيه يكون أثلغ أو أخرس أو ثقیل اللسان. (٥)

٨٠- قال أمير المؤمنين عليه السلام من ولد فيه يكون أخرس أو أثلغ. (٦)

وقالت الفرس إنه يوم خفيف. (٧)

وفي رواية أخرى يوم مبارك يصلح لكل عمل وحاجة والأحلام فيه تصح بعد ثلاثة أيام يحمد فيه لقاء القضاة والعلماء والتعليم وطلب ما عند الرؤساء والكتاب. (٨)

وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه ديمهروز (٩) اسم من أسماء الله تعالى. (١٠)

٨١- الدرود: عن الصادق عليه السلام أنه يوم صالح لكل الأمور إلا من أراد أن يستقرض أو يقرض (١١) ومن مرض فيه برئ عاجلا ومن هرب فيه ظفر به (١٢) والمولود فيه يكون أثلغ أو أخرس (١٣).

وقال سلمان رضي الله عنه روز ديبهر اسم من أسمائه تعالى يصلح لكل حاجة والأحلام فيه تصح بعد ثلاثة أيام. (١٤)

وفي الرواية الأخرى يوم صالح لكل أمر والمولود يكون أخرس أو أثلغ. (١٥)

٨٢- المكارم: صالح لكل حاجة تريدها فاطلبوا فيه حوائجكم فإنها تقضى. (١٦)

٨٣- الزوائد: يوم صالح لكل عمل وحاجة ولقاء الأشراف والعظماء والرؤساء فاطلب فيه حوائجك والى سلطانك واعمل ما بدا لك فإنه يوم سعيد ومن ولد فيه يكون أثلغ اللسان أو أخرس ومن مرض فيه أو في ليلته خيف عليه إلا أن يشاء الله عز وجل. (١٧)

٨٤- وفي رواية أخرى يوم محذور يصلح للاستقراض والقرض ومشاهدة ما يشتري ومن مرض فيه برئ بإذن الله تعالى ومن هرب فيه ظفر به في مكان غريب. (١٨)

بيان: اللغز محركة واللغة بالضم تحول اللسان من السين إلى التاء أو من الراء إلى الغين أو اللام أو الياء أو من حرف إلى حرف أو أن لا يتم رفع لسانه وفيه ثقل للغز كفرح فهو أثلغ وتصحيح الاسم عندهم بالذال المفتوحة والياء الساكنة والباء المكسورة (١٩) وفي نسخ الدرود بسقوط الميم وفتح الباء وإنما ابتدأنا النقل من العدد من هذا اليوم لأنه لم يصل إلينا من هذا الكتاب إلا من اليوم الخامس عشر إلى آخر الشهر ومن أول الشهر إلى هذا اليوم كان ساقطا.

- (١) العدد القوية ص ١٩ اليوم الخامس عشر.
- (٢) العدد القوية ص ١٩ اليوم الخامس عشر.
- (٣) في المصدر: «غريب».
- (٤) العدد القوية ص ٢٠ اليوم الخامس عشر.
- (٥) العدد القوية ص ٢٠ اليوم الخامس عشر.
- (٦) العدد القوية ص ٢٠ اليوم الخامس عشر.
- (٧) العدد القوية ص ٢٠ اليوم الخامس عشر.
- (٨) العدد القوية ص ٢٠ اليوم الخامس عشر.
- (٩) كذا في المطبوعة والمصدر، وسيأتي صحيحه وضبطه في «بيان المؤلف» بعد هذا.
- (١٠) العدد القوية ص ٢٠ اليوم الخامس عشر.
- (١١) في المصدر إضافة: «أو يشد ما يشتري».
- (١٢) في المصدر إضافة: «إلا أن شاء الله غير ذلك».
- (١٣) الدرود الواقعة ص ٢٤١ فصل ٢٣.
- (١٤) الدرود الواقعة ص ٢٤١ فصل ٢٣.
- (١٥) لم نثر على كتاب الزوائد هذا.
- (١٦) مكارم الأخلاق ج ٢ ص ٣٨٧ رقم ٢٦٦٢.
- (١٧) لم نثر على كتاب الزوائد هذا.
- (١٨) دي بمر - بفتح الدال وكسر الباء والميم - اسم اليوم الخامس عشر من كل شهر، فراهنگ عبيد ص ٦٠٤.
- (١٩) دي بمر - بفتح الدال وكسر الباء والميم - اسم اليوم الخامس عشر من كل شهر، فراهنگ عبيد ص ٦٠٤.

اليوم السادس عشر

٨٥- العدد: قال مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام إنه يوم نحس مستمر رديء فلا تسافر فيه و من سافر فيه هلك و يناله مكروه فاجتنبوا فيه الحركات و اتقوا فيه الحوائج ما استطعتم فلا تطلبوا فيه حاجة و يكره فيه لقاء السلطان. (١)

٨٦- وفي رواية: يصلح للتجارة و البيع و المشاركة و الخروج إلى البحر و يصلح للأبنية و وضع الأساسات و يصلح لعمل الخير. (٢)

٨٧- و في رواية خلقت فيه المحبة و الشهوة و هو يوم السفر فيه جيد في البر و البحر استأجر فيه من شئت و ادفع فيه إلى من شئت من ولد فيه يكون مجنوناً لا محالة و يكون بخيلاً. (٣)

٨٨- و في رواية من ولد في صبيحته إلى الزوال كان مجنوناً و إن ولد بعد الزوال إلى آخره صلحت حاله و من هرب فيه يرجع و من ضل فيه سلم و من ضلت له ضالة وجدها و من مرض فيه برئ -اجلا. (٤)

٨٩- قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام من مرض فيه خيف عليه الهلاك.

و قالت الفرس إنه يوم خفيف. (٥)

٩٠- و في رواية أنه يوم جيد لكل ما يراد من الأعمال و النيات و التصرفات و المولود فيه يكون عاملاً و هو يوم لجميع ما يطلب فيه من الأمور الجيدة. (٦)

و في رواية أنه يوم نحس من ولد فيه يكون مجنوناً لا بد من ذلك و من سافر فيه يهلك و تصلح لعمل الخير و يتقى فيه الحركة و الأحلام تصح فيه بعد يومين. (٧)

قال سلمان الفارسي رضي الله عنه مهر (٨) روز اسم الملك الموكل بالرحمة. (٩)

٩١- الدرود: عن الصادق عليه السلام أنه يوم نحس (١٠) لا يصلح لشيء سوى الأبنية و الأساسات (١١) من سافر فيه هلك و من هرب فيه رجع و من ضل سلم و من مرض فيه برئ سريعاً و المولود فيه يكون مجنوناً إن ولد قبل الزوال و إن ولد بعد الزوال صلحت حاله.

و قال سلمان رضي الله عنه روز مهر اسم ملك موكل بالرحمة (١٢) و هو يوم نحس (١٣) فاتق فيه الحركة و الأحلام تصح فيه بعد يومين. (١٤)

٩٢- و في الرواية الأخرى يوم نحس و من ولد فيه يكون مجنوناً (١٥) و من سافر فيه هلك. (١٦)

٩٣- المكارم: رديء مذموم لكل شيء. (١٧)

٩٤- الزوائد: عنه عليه السلام يوم نحس رديء مذموم لا خير فيه فلا تسافر فيه و لا تطلب حاجة و توق ما استطعت و تعوذ بالله من شره و من ولد فيه يكون مشوماً عسر التربية منحوساً في عيشه و من مرض فيه أو في ليلته يخاف عليه و يطول مرضه و الله أعلم. (١٨)

٩٥- و في رواية أخرى من سافر فيه هلك و يكره فيه لقاء السلطان و يصلح للتجارة و البيع و المشاركة و الخروج

(١) العدد القوية ص ٩٢ اليوم السادس عشر.

(٢) العدد القوية ص ٩٢ اليوم السادس عشر.

(٣) العدد القوية ص ٩٢ اليوم السادس عشر.

(٤) العدد القوية ص ٩٢ اليوم السادس عشر.

(٥) العدد القوية ص ٩٣ اليوم السادس عشر.

(٦) مهر - بكسر الميم و سكون الهاء - يطلق على الشهر السابع أيضاً على اليوم السادس عشر. فرهنگ عمید ص ١١٥٦.

(٧) العدد القوية ص ٩٣ اليوم السادس عشر.

(٨) في المصدر إضافة: «و يصلح للتجارة و البيع و المشاركة و الخروج إلى البحر».

(٩) في المصدر إضافة: «و من ولد فيه يكون مجنوناً لا بد من ذلك».

(١٠) في المصدر إضافة: «من سافر فيه يهلك و يصلح فيه عمل الخير».

(١١) الدرود الواقعة ص ٩٧ و ٩٨ فصل ٢١.

(١٢) الدرود الواقعة ص ٢٤١ و ٢٤٢ رقم ٢٦٦٢.

(١٣) لم نعر على كتاب الزوائد هذا.

(١٤) في المصدر إضافة: «لا بد منه».

(١٥) مكارم الأخلاق ج ٢ ص ٣٨٧ رقم ٢٦٦٢.

إلى البحر والأنبنة والأساسات والذي يهرب فيه يرجع ومن ضل فيه سلم ومن ولد في صبيحته إلى الزوال كان مجنوناً ومن بعد الزوال تكون أعماله سالحة^(١)
أقول: مهر عندهم بكسر الميم و سكون الهاء.

اليوم السابع عشر

٩٦- العدد: قال مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام إنه يوم صاف مختار لجميع الحوائج و يصلح للشراء و البيع و التزويج و الدخول على السلطان و غير ذلك صالح لكل حاجة فاطلب فيه ما تريد فإنه جيد خلقت فيه القوة و خلق فيه ملك الموت و هو الذي بارك فيه الحق على يعقوب عليه السلام جيد صالح للعمارة و فتق الأنهار و غرس الأشجار و السفر فيه لا يتم.^(٢)

٩٧- و في رواية أخرى هذا اليوم متوسط يحذر فيه المنازعة و من أقرض فيه شيئاً لم يرد إليه فإن رد فيجهد و من استقرض فيه شيئاً لم يرده.^(٣)

٩٨- قال ابن معمر و في رواية أخرى أنه يوم ثقيل لا يصلح لطلب الحوائج فاحذر فيه و أحسن إلى ولدك و عبدك و من مرض فيه يبرأ و الرؤيا فيه كاذبة و الأبق فيه يوجد و من ولد فيه عاش طويلاً و صلحت حاله و تربيته و يكون عيشه طيباً لا يرى فيه فقراً.

و قالت الفرس إنه يوم خفيف.^(٤)

٩٩- و في رواية أخرى أنه يوم ثقيل غير صالح لعمل الخير فلا تلتمس فيه حاجة.^(٥)

١٠٠- و في رواية أخرى يوم جيد مختار يحمد فيه التزويج و الختانة و الشركة و التجارة و لقاء الإخوان و المضاربة للأموال.^(٦)

و قال سلمان الفارسي رضي الله عنه سروس^(٧) روز اسم الملك الموكل بحراسة العالم و هو جبرئيل عليه السلام.^(٨)

١٠١- الدروع: عن الصادق عليه السلام أنه يوم متوسط واحذر فيه المنازعة و القرض و الاستقراض^(٩) فمن أقرض فيه شيئاً لم يرد إليه^(١٠) و من استقرض لم يرده و من ولد فيه صلحت حاله^(١١).

و قال سلمان رضي الله عنه روز سروس اسم ملك موكل بحراسة العالم و هو يوم ثقيل^(١٢) فلا تلتمس فيه حاجة^(١٣). و في الرواية الأخرى يوم صالح.^(١٤)

١٠٢- قال و في رواية أخرى أنه يوم ثقيل لا يصلح لطلب حاجة.^(١٥)

١٠٣- المكارم: عنه عليه السلام صاف^(١٦) مختار فاطلبوا فيه ما شئتم و تزوجوا و بيعوا و اشتروا و ازرعوا و ابنوا و ادخلوا على السلطان في حوائجكم فإنها تقضى.^(١٧)

١٠٤- الزوائد: عنه عليه السلام يوم صالح مختار محمود لكل عمل و حاجة فاطلب فيه الحوائج و اشتر و بيع و الق الكتاب و العمال و من شئت و من ولد فيه كان مباركاً سعيداً في كل أمره و من مرض فيه أو في ليلته خلص و برئ بإذن الله تعالى.^(١٨)

١٠٥- و في رواية أخرى متوسط تحذر فيه المنازعة و القرض و الاستقراض.^(١٩)

أقول: سروس عندهم بالسين و الراء المهملتين المضمومتين.

(١) لم نعر على كتاب الزوائد هذا.

(٢) العدد القوية ص ١٠٢ اليوم السابع عشر.

(٣) العدد القوية ص ١٠٢ اليوم السابع عشر.

(٤) العدد القوية ص ١٠٣ اليوم السابع عشر.

(٥) سروس - بضم السين و الراء - هو اليوم السابع عشر - راجع التفهيم ص ٢٣٤.

(٦) العدد القوية ص ١٠٣ اليوم السابع عشر.

(٧) في المصدر إضافة: «و إن رد فيجهد».

(٨) في المصدر إضافة: «غير صالح لعمل الخير».

(٩) العدد القوية ص ٢٤٢ فصل ٢٣.

(١٠) في المصدر: «صالح».

(١١) مكارم الأخلاق ج ٢ ص ٣٨٧ رقم ٢٦٦٢.

(١٢) لم نعر على كتاب الزوائد هذا.

(١٣) العدد القوية ص ١٠٢ اليوم السابع عشر.

(١٤) العدد القوية ص ١٠٢ اليوم السابع عشر.

(١٥) العدد القوية ص ١٠٣ اليوم السابع عشر.

(١٦) سروس - بضم السين و الراء - هو اليوم السابع عشر - راجع التفهيم ص ٢٣٤.

(١٧) في المصدر إضافة: «و إن رد فيجهد».

(١٨) في المصدر إضافة: «غير صالح لعمل الخير».

(١٩) العدد القوية ص ٢٤٢ فصل ٢٣.

(٢٠) في المصدر: «صالح».

(٢١) مكارم الأخلاق ج ٢ ص ٣٨٧ رقم ٢٦٦٢.

(٢٢) لم نعر على كتاب الزوائد هذا.

اليوم الثامن عشر

١٠٦-العدد: قال مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام إنه يوم مختار جيد مبارك سعيد يصلح للتزويج والسفر ومن سافر فيه قضيت حاجته مبارك لكل ما تريد عمله و لطلب الحوائج صالح لكل حاجة من بيع وشراء وزرع فإنك تربح وأسع في جميع حوائجك فإنها تقضى و اطلب فيه ما شئت فإنك تظفر و يصلح للدخول على السلطان والقضاة والعمال ومن خاصم فيه عدوه ظفر به بإذن الله و غلبه و من تزوج فيه يرى خيرا و من اقترض قرضا رده إلى من اقترض منه و من مرض فيه يوشك أن يبرأ و المولود يصلح حاله و يكون عيشه طيبا و لا يرى فقرا و لا يموت إلا عن توبة.

و قال الفرس إنه يوم خفيف. (١)

١٠٧- و في رواية أخرى تحمد فيه العمارات و الأبنية و يشتري فيه البيوت و المنازل و تقضى فيه الحوائج و المهمات و يصلح للسفر. (٢)

و قال سلمان الفارسي رضي الله عنه رش (٣) روز اسم الملك الموكل بالنيان (٤) ١٠٨-الدروع: عن الصادق عليه السلام أنه يوم سعيد صالح لكل شيء من بيع أو شراء أو زرع أو سفر و من خاصم فيه عدوه ظفر به و القرض فيه يرد و المريض يبرأ و من ولد فيه صلحت حاله.

و قال سلمان رضي الله عنه روز رش اسم ملك (٥) موكل بالنيان (٦) يصلح للسفر و طلب الحوائج. (٧)

١٠٩- و في الرواية الأخرى يوم صالح للسفر و كل ما تريده من حاجة. (٨)

١١٠-المكارم: عنه عليه السلام مختار صالح للسفر و طلب الحوائج و من خاصم فيه عدوه خصمه و غلبه و ظفر به بقدرة الله. (٩)

٧٣
٥٩

١١١-الزوائد: عنه عليه السلام يوم مختار للسفر و التزويج و لطلب الحوائج و من خاصم فيه عدوه خصمه و غلبه و قهره و من ولد فيه كان حسن التربية محمود العيش و من مرض فيه أو في ليلته برئ و نجا بإذن الله تعالى. (١٠)

١١٢- و في رواية أخرى يصلح للبيع و الشراء و الزرع. (١١)

أقول: أكثرهم صححو الاسم بفتح الراء المهملة و سكنون الشين المعجمة و النون و صحح بعضهم رش بغير نون كما في الدروع.

اليوم التاسع عشر

١١٣-العدد: قال مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام إنه يوم خفيف يصلح لكل شيء و السفر فمن سافر فيه قضى حاجته و قضيت أموره و كلما يريد (١٢) يصل إليه صالح للتزويج و المعاش و الحوائج و تعلم العلم و شراء الرقيق و الماشية سعيد مبارك و ولد فيه إسحاق بن إبراهيم عليه السلام و من ضل فيه أو هرب قدر عليه بعد خمسة عشر ليلة و من ولد فيه كان صالح الحال متوقعا لكل خير. (١٣)

١١٤- و في رواية أخرى أنه يوم شديد كثر شره لا تعمل فيه عملا من أعمال الدنيا و ألزم فيه بيتك و أكثر فيه ذكر الله عز و جل و ذكر النبي صلى الله عليه و آله من مرض فيه ينجو و لا تسافر فيه و لا تدفع فيه إلى أحد شيئا و لا تدخل على سلطان و من رزق فيه يكون سيئ الخلق. (١٤)

١١٥- و قال أمير المؤمنين عليه السلام من ولد فيه يكون مرزوقا مباركا.

و قال الفرس يوم ثقيل. (١٥)

(٢) العدد القوية ص ١٦١ اليوم الثامن عشر.

(٤) العدد القوية ص ١٦٢ اليوم الثامن عشر.

(٦) في المصدر: «بالنيان».

(٨) الدروع الواقية ص ٢٤٢ فصل ٢٣ يتصرف.

(١٠) لم نعر على كتاب الزوائد هذا.

(١٢) من المصدر.

(١٤) العدد القوية ص ٢٠٤ اليوم التاسع عشر.

(١) العدد القوية ص ١٦١ اليوم الثامن عشر.

(٣) هكذا جاء في فرهنگ عמיד ص ٦٣١.

(٥) من المصدر.

(٧) الدروع الواقية ص ١٠٣ فصل ٢١.

(٩) مكارم الأخلاق ج ٢ ص ٣٨٧ رقم ٢٦٦٢.

(١١) لم نعر على كتاب الزوائد هذا.

(١٣) العدد القوية ص ٢٠٤ اليوم التاسع عشر.

(١٥) العدد القوية ص ٢٠٤ اليوم التاسع عشر.

١١٦- وفي رواية أخرى أنه يحمد فيه لقاء الملوك والسلاطين لطلب الحوائج و طلب ما عندهم و في أيديهم و هو يوم مبارك.

وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه فروردين^(١) روز اسم الملك الموكل بالأرواح و قبضها و في ليلة تسع عشرة من شهر رمضان يكتب وقد الحاج و يستحب فيه الغسل و في ليلة الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة ضرب مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب^(٢)

١١٧- الدرود: عن الصادق^(٣) أنه يوم سعيد ولد فيه إسحاق و هو صالح للسفر و المعاش و الحوائج و تعلم العلم و شراء الرقيق و الماشية و من ضل فيه أو هرب قدر عليه بعد خمس عشرة ليلة و من ولد فيه يكون صالحا موقفا للخيرات إن شاء الله.

و قال سلمان رضي الله عنه روز فروردين اسم ملك موكل بالأرواح و قبضها و هو يوم مبارك^(٣) و في الرواية الأخرى مثل الثامن عشر.^(٤)

١١٨- المكارم: عنه^(٥) مختار صالح لكل عمل و من ولد فيه يكون مباركا.^(٥)

١١٩- الزوائد: عنه^(٦) يوم مختار مبارك صالح لكل عمل تريد و فيه ولد إسحاق بن إبراهيم^(٦) فاطلب فيه الحوائج و اتق السلطان و اكتب الكتب و اعمل الأعمال و من ولد فيه كان كاتباً مباركا مرزوقا و من مرض فيه أو في ليلته خيف عليه^(٦)

١٢٠- و في رواية أخرى يصلح للسفر و المعاش و طلب العلم و شراء الرقيق و الماشية و من ضل فيه أو هرب يقدر عليه بعد نصف شهر.^(٧)

أقول: فروردين عندهم بفتح الفاء و سكون الراء و فتح الواو ثم سكون الراء و كسر الدال.

اليوم العشرون

١٢١- العدد: قال مولانا جعفر بن محمد الصادق^(٨) إنه يوم جيد مبارك يصلح لطلب الحوائج و السفر فمن سافر فيه كانت حاجته مقضية و البناء و التزويج و الدخول على السلطان و غيره.^(٨)

١٢٢- و في رواية أخرى أنه ولد فيه إسحاق^(٩) محمود العاقبة جيد لطلب الحوائج طالب فيه بحقك و ازرع ما شئت و لا تشتت فيه عبدا.^(٩)

١٢٣- و في رواية أخرى يجتنب فيه شراء العبيد.^(١٠)

١٢٤- و في رواية أخرى أنه يوم متوسط الحال صالح للسفر و البناء و وضع الأساس و حصاد الزرع و غرس الشجر و الكرم و اتخاذ الماشية من هرب فيه كان بعيد الدرك و من ضل فيه خفي أمره و من مرض فيه صعب مرضه.^(١١)

١٢٥- و في رواية من مرض فيه مات و من ولد فيه يكون في صعوبة من العيش و يكون ضعيفا.^(١٢)

١٢٦- و في رواية من ولد فيه كان حليما فاضلا.^(١٣)

١٢٧- قال مولانا أمير المؤمنين^(١٤) من سافر فيه رجع سالما غانما و قضى الله حوائجه و حصنه من جميع المكاره^(١٤)

و قالت الفرس إنه يوم خفيف مبارك.^(١٥)

(١) فرهنگ عمید ص ٨٧٠.

(٢) العدد القوية ص ٢٠٥ اليوم التاسع عشر.

(٣) الدرود الواقية ص ١٠٥ فصل ٢١.

(٤) مكارم الأخلاق ج ٢ ص ٣٨٧ رقم ٢٦٦٢.

(٥) لم نعر على كتاب الزوائد هذا.

(٦) العدد القوية ص ٢١١ اليوم العشرون.

(٧) العدد القوية ص ٢١١ اليوم العشرون.

(٨) العدد القوية ص ٢١١ اليوم العشرون.

(٩) العدد القوية ص ٢١١ اليوم العشرون.

(١٠) الدرود الواقية ص ١٠٥ فصل ٢١.

(١١) مكارم الأخلاق ج ٢ ص ٣٨٧ رقم ٢٦٦٢.

(١٢) لم نعر على كتاب الزوائد هذا.

(١٣) العدد القوية ص ٢١١ اليوم العشرون.

(١٤) العدد القوية ص ٢١١ اليوم العشرون.

(١٥) العدد القوية ص ٢١١ اليوم العشرون.

(١٦) العدد القوية ص ٢١١ اليوم العشرون.

(١٧) العدد القوية ص ٢١١ اليوم العشرون.

(١٨) العدد القوية ص ٢١١ اليوم العشرون.

١٢٨- وفي رواية أخرى أنه يوم محمود يحمد فيه الطلب للمعاش والتوجه بالانتقال والأشغال والأعمال الرضية والابتداءات للأمر^(١)

وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه بهرام^(٢) روز^(٣).

١٢٩- الدروع: عن الصادق^(٤) أنه يوم متوسط^(٥) صالح للسفر وقضاء الحوائج والبناء ووضع الأساس^(٥) و غرس الشجر والكرم واتخاذ الماشية ومن هرب فيه بعد دركه ومن ضل فيه خيف^(٦) أمره ومن مرض فيه صعب مرضه ومن ولد فيه صعب عيشته^(٧).

وقال سلمان رضي الله عنه روز بهرام اسم ملك موكل بالنصر والخذلان والحروب والجدال وهو يوم جيد^(٨) مبارك^(٩).

١٣٠- وفي الرواية الأخرى يوم مبارك يصلح للسفر وطلب الحوائج^(١٠).

١٣١- المكارم: عنه^(١١) جيد مختار للحوائج والسفر والبناء والغرس^(١١) والدخول إلى السلطان يوم مبارك بمشية الله^(١٢).

٧٦
٥٩

١٣٢- الزوائد: عنه^(١٣) يوم جيد محمود صالح مسعود مبارك لما يؤتى فأشتر فيه وبع وأعمل ما شئت ومن ولد فيه نان صويل العمر ملكا يملك بلدا أو ناحية منه ومن مرض فيه أو في ليلته يخلص بإذن الله تعالى^(١٤).

١٣٣- وفي رواية أخرى يوم متوسط يصلح للسفر والحوائج والبناء ووضع الأساسات وغرس الشجر والكرم واتخاذ الماشية ومن هرب فيه كان بعيد الدرك ومن ضل فيه خفي أمره ومن مرض فيه صعب مرضه ومن ولد فيه عاش في صعوبة^(١٥).

أقول: انضبط عندهم بهرام بفتح الباء وسكون الهاء.

اليوم الحادي والعشرون

١٣٤- العدد: قال مولانا جعفر بن محمد الصادق^(١٦) إنه يوم نحس مستمر يصلح فيه إراقة الدماء فاتقوا فيه ما استطعتم ولا تطلبوا فيه حاجة ولا تازعوا فيه فإنه رديء منحوس مذموم ولا تلق فيه سلطانا تنقيه فهو يوم رديء لسائر الأمور ولا تخرج من بيتك وتوق ما استطعت وتجنب فيه اليمين الصادقة وتجنب فيه الهوام فإن من لسع فيه مات ولا تواصل فيه أحدا فهو أول يوم أريق فيه الدم وحاضته فيه حواء ومن سافر فيه لم يرجع وخيف عليه ولم يريح والمريض يشتد علته ولم يبرأ ومن ولد فيه يكون محتاجا فقيرا^(١٧).

١٣٥- وفي رواية أخرى من ولد فيه يكون صالحا قالت الفرس إنه يوم جيد^(١٨).

١٣٦- وفي رواية أخرى يصلح فيه إهراق الدم ولا تطلب فيه حاجة وتقي فيه من الأذى^(١٩).

١٣٧- وفي رواية أخرى يكره فيه سائر الأعمال والنصد والحجامة ولقاء الأجناد والقواد والساسة^(٢٠).

قال سلمان الفارسي رضي الله عنه رام^(٢١) روز^(٢٢).

٧٧
٥٩

(١) العدد القوية ص ٢١١ اليوم العشرون.

(٢) بهرام - بفتح الباء وسكون الهاء - اسم اليوم العشرين من كل شهر، فرهنگ عمید ص ٢٠١.

(٣) العدد القوية ص ٢١٢ اليوم العشرون.

(٤) في المصدر إضافة: «الحال».

(٥) في المصدر إضافة: «و حصاد الزرع».

(٦) في المصدر: «يكون في صعوبة العيش إلا أن يشاء الله غير ذلك».

(٧) في المصدر: «إلا أنه يوم خفيف» بدل «هو يوم جيد».

(٨) الدروع الواقعة ص ٢٤٢ فصل ٢٣.

(٩) في المصدر إضافة: «والعرس».

(١٠) لم نثر على كتاب الزوائد هذا.

(١١) مكارم الأخلاق ج ٢ ص ٣٨٧ رقم ٢٦٦٢.

(١٢) لم نثر على كتاب الزوائد هذا.

(١٣) العدد القوية ص ٢٢٨ اليوم الحادي والعشرين.

(١٤) العدد القوية ص ٢٢٨ اليوم الحادي والعشرين.

(١٥) رام - بالراء والألف - اسم اليوم الحادي والعشرين من كل شهر، فرهنگ عمید ص ٦١٨.

(١٦) العدد القوية ص ٢٢٨ اليوم الحادي والعشرين.

١٣٨- الدروع: عن الصادق عليه السلام أنه يوم نحس ردي^(١) فلا^(٢) تطلب فيه حاجة و اتق فيه السلطان و من سافر فيه^(٣) خيف عليه^(٤) و من ولد فيه يكون فقيرا محتاجا.
و قال سلمان رضي الله عنه روز ماه اسم ملك موكل بالفرح يصلح لإهراق الدماء حسب^(٥).
١٣٩- و في الرواية الأخرى يوم نحس و هو يوم إراقة الدم فلا تطلب فيه حاجة^(٦).
١٤٠- المكارم: عنه عليه السلام يوم نحس مستمر^(٧).

١٤١- الزوائد: عنه عليه السلام يوم نحس مذموم أكل فيه آدم من الشجرة و عصى ربه فأحذرته و لا تطلب فيه حاجة و لا تلق سلطانا و لا تعمل عملا و لا تشارك أحدا و أقعد في منزلك و استعد بالله من شره و من ولد فيه كان ضيق العيش نكد الحياة و من مرض فيه يخاف عليه^(٨).
١٤٢- و في رواية أخرى يتقى فيه السلطان و السفر^(٩).
أقول: المضبوط عندهم رام بفتح الراء المهمة.

اليوم الثاني والعشرون

١٤٣- العدد: قال مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام إنه يوم مختار حسن ما فيه مكروه يصلح لكل حاجة وللشراء والبيع والصيد فيه والسفر ومن سافر فيه ربح ويرجع معافي إلى أهله سالما وطلب الحوائج والمهمات وسائر الأعمال والصدقة فيه مقبولة ومن دخل على سلطان قضيت حاجته ويبلغ بقضاء الحوائج وفي نسخة أخرى ومن قصد السلطان وجد مخافة^(١٠).
١٤٤- و في رواية أخرى خفيف صالح لكل شيء يلتمس فيه و الرؤيا فيه مقصوفة و التجارة فيه مباركة و الآبق فيه يوجد و إن خاصمت فيه كانت الغلبة لك و التزويج فيه جيد و من ولد فيه يكون عيشه طيبا و يكون مباركا و من مرض فيه يبرأ سريعا.

و قالت الفرس إنه يوم ثقيل^(١١).

١٤٥- و في رواية أخرى أنه يحمد فيه كل حاجة و الأعمال السلطانية و سائر التصارييف في الأعمال المرضية و هو يوم خفيف يصلح لكل حاجة يراد قضاؤها^(١٢).

قال سلمان الفارسي رضي الله عنه باد^(١٣) روز^(١٤).

١٤٦- الدروع: عن الصادق عليه السلام أنه يوم صالح لقضاء الحوائج و البيع و الشراء و الدخول على السلطان و الصدقة فيه مقبولة و المريض فيه يبرأ سريعا و المسافرين فيه يرجع معافي.

و قال سلمان رضي الله عنه روز باد اسم ملك موكل بالريح يوم خفيف يصلح لكل حاجة^(١٥).

١٤٧- و في الرواية الأخرى يوم صالح لكل شيء^(١٦).

١٤٨- المكارم: عنه عليه السلام مختار صالح للشراء و البيع و لقاء السلطان و السفر و الصدقة^(١٧).

١٤٩- الزوائد: عنه عليه السلام يوم سعيد مبارك مختار لما تريد من الأعمال فاعمل ما شئت و اتق من شئت فإنه مبارك و من ولد فيه كان مباركا ميمونا سعيدا و من مرض فيه أو في ليلته لا يخاف عليه ويخلص ويستحب فيه الشراء و البيع^(١٨).

(١) كلمة: «ردي» ليست في المصدر.

(٢) في المصدر إضافة: «لم يرجع و».

(٣) الذروع الواقية ص ١١١ فصل ٢١. و فيه إضافة: «فيه إهراق الدم لا تطلب فيه حاجة و يتقى ما فيه من الأذى».

(٤) الدروع الواقية ص ٢٤٢ فصل ٢٣ و فيه إضافة: «ورزقا ما استطعت».

(٥) مكارم الأخلاق ج ٢ ص ٣٨٧ رقم ٢٦٦٢.

(٦) لم نثر على كتاب الزوائد هذا.

(٧) العدد القوية ص ٢٥٩ اليوم الثاني والعشرين.

(٨) جاء في التفهيم ص ٢٣٤: «بأذ - بالياء و الألف و الذال المعجمة - اسم اليوم الثاني والعشرين».

(٩) العدد القوية ص ٢٥٩ اليوم الثاني والعشرين.

(١٠) الدروع الواقية ص ١١٣ - ١١٤ فصل ٢١.

(١١) الدروع الواقية ص ٢٤٢ فصل ٢٣.

(١٢) لم نثر على كتاب الزوائد هذا.

(١٣) مكارم الأخلاق ج ٢ ص ٣٨٧ رقم ٢٦٦٢.

(١٤) في المصدر: «لا».

(١٥) في المصدر إضافة: «هو يوم ردي» لسائر الأمور.

(١٦) العدد القوية ص ٢٥٩ اليوم الثاني والعشرين.

(١٧) لم نثر على كتاب الزوائد هذا.

(١٨) العدد القوية ص ٢٥٩ اليوم الثاني والعشرين.

(١٩) جاء في التفهيم ص ٢٣٤: «بأذ - بالياء و الألف و الذال المعجمة - اسم اليوم الثاني والعشرين».

(٢٠) العدد القوية ص ٢٥٩ اليوم الثاني والعشرين.

(٢١) الدروع الواقية ص ١١٣ - ١١٤ فصل ٢١.

(٢٢) الدروع الواقية ص ٢٤٢ فصل ٢٣.

(٢٣) لم نثر على كتاب الزوائد هذا.

(٢٤) مكارم الأخلاق ج ٢ ص ٣٨٧ رقم ٢٦٦٢.

(٢٥) في المصدر: «لا».

(٢٦) في المصدر إضافة: «هو يوم ردي» لسائر الأمور.

(٢٧) العدد القوية ص ٢٥٩ اليوم الثاني والعشرين.

(٢٨) لم نثر على كتاب الزوائد هذا.

(٢٩) العدد القوية ص ٢٥٩ اليوم الثاني والعشرين.

(٣٠) جاء في التفهيم ص ٢٣٤: «بأذ - بالياء و الألف و الذال المعجمة - اسم اليوم الثاني والعشرين».

(٣١) العدد القوية ص ٢٥٩ اليوم الثاني والعشرين.

(٣٢) الدروع الواقية ص ١١٣ - ١١٤ فصل ٢١.

(٣٣) الدروع الواقية ص ٢٤٢ فصل ٢٣.

(٣٤) لم نثر على كتاب الزوائد هذا.

(٣٥) مكارم الأخلاق ج ٢ ص ٣٨٧ رقم ٢٦٦٢.

بيان: قوله ﷺ ويبلغ بقضاء الحوائج أي حوائج غيره أو هو تأكيد مقصودة أي ينبغي أن يقص
لغيره ليعبرها.

اليوم الثالث والعشرون

١٥٠- العدد: قال مولانا جعفر بن محمد الصادق ﷺ إنه يوم سعيد مختار ولد فيه يوسف النبي الصديق ﷺ يصلح لكل حاجة ولكل ما يريدونه وخاصة للتزويج والتجارات كلها وللدخل على السلطان والسفر ومن سافر فيه غنم وأصاب خيرا جيد لقاء الملوك والأشراف والمهمات وسائر الأعمال وهو يوم خفيف مثل الذي قبله يصلح للبيع والشراء والرؤيا فيه كاذبة والآبق فيه يوجد والضالة ترجع والمريض يبرأ ومن ولد فيه يكون صالحا طيب النفس حسنا محبوبا حسن التربية في كل حالة رخي البال.

وفي نسخة أخرى يوم نحس مشوم من ولد فيه لا يموت إلا مقتولا ولد فيه فرعون.^(١)

١٥١- قال مولانا أمير المؤمنين ﷺ ولد فيه ابن يامين أخو يوسف ومن ولد فيه يكوم مرزوقا مباركا.^(٢)

وقالت الفرس إنه يوم خفيف يحمد فيه التزويج والنقلة والسفر والأخذ والعطاء ولقاء السلاطين صالح لسائر الأعمال ولقضاء الحوائج.^(٣)

وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه ديبدين^(٤) روز اسم الملك الموكل بالنوم واليقظة وحراسة الأرواح حتى ترجع إلى الأبدان ومن رواية أنه اسم من أسماء الله تعالى.^(٥)

١٥٢- الدروع: عن الصادق ﷺ أنه ولد فيه يوسف ﷺ وهو يوم صالح لطلب الحوائج والتجارة والتزويج والدخل على السلطان ومن سافر فيه غنم وأصاب خيرا ومن ولد فيه كان حسن التربية.

وقال سلمان رضي الله عنه روز بندين^(٦) اسم من أسمائه تعالى يوم خفيف صالح لسائر الحوائج.^(٧)

وفي الرواية الأخرى مثل الثاني والعشرين.^(٨)

١٥٣- المكارم: مختار جيد خاصة للتزويج والتجارات كلها والدخول إلى^(٩) السلطان.^(١٠)

١٥٤- الزوائد: عنه ﷺ يوم سعيد مبارك لكل ما تريد للسفر والتحويل من مكان إلى مكان وهو جيد للحوائج لقاء الملوك ومن ولد فيه كان سعيدا وعاش عيشا طيبا ومن مرض فيه أو في ليلته نجا بإذن الله تعالى.^(١١)

١٥٥- وفي رواية أخرى إن يوسف ولد فيه ويصلح للتزويج.^(١٢)

أقول: الاسم عندهم ديبدين يفتح الدال المهملة وسكون الباء المثناة التحتانية وكسر الباء أو فتحها وكسر الدال المهملة ومنهم من صححه ديبادين وفي نسخ الدروع تصحيقات.

اليوم الرابع والعشرون

١٥٦- العدد: قال مولانا جعفر بن محمد بن الصادق ﷺ إنه يوم نحس مستمر مذموم مشوم ملعون ولد فيه فرعون لعنه الله وهو يوم عسير نكد فَاَتَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ لَا ينبغي أن يبتدأ فيه بحاجة ويكره في جميع الأحوال والأعمال نحس لكل أمر يطلب فيه من سافر فيه مات في سفره.^(١٣)

١٥٧- وفي رواية أخرى ومن مرض فيه طالت مرضته^(١٤) ومن ولد فيه يكون سقيما حتى يموت نكدا في عيشه ولا يوفق لخير وإن حرص عليه جهده ويقتل في آخر عمره أو يفرق.^(١٥)

(١) العدد القوية ص ٢٧٠ اليوم الثالث والعشرين.

(٢) العدد القوية ص ٢٧١ اليوم الثالث والعشرين.

(٣) دي بدین - يفتح الدال - اسم اليوم الثالث والعشرين ويقال له: «ديبادين» أيضاً، فرهنگ عید ص ٦٠٣.

(٤) العدد القوية ص ٢٧١ اليوم الثالث والعشرين.

(٥) هكذا في المطبوعة والمصدر: «ديدين»، وراجع كلام المؤلف بعد هذا.

(٦) الدروع الواقية ص ١١٨ فصل ٢١.

(٧) الدروع الواقية ص ٢٤٢ فصل ٢٣.

(٨) مكالم الأخلاق ج ٢ ص ٣٨٨ رقم ٢٦٦٦.

(٩) لم نثر على كتاب الزوائد هذا.

(١٠) العدد القوية ص ٣٠١ اليوم الرابع والعشرين.

(١١) العدد القوية ص ٣٠١ اليوم الرابع والعشرين.

(١٢) العدد القوية ص ٣٠١ اليوم الرابع والعشرين.

(١٣) العدد القوية ص ٣٠١ اليوم الرابع والعشرين.

(١٤) العدد القوية ص ٣٠١ اليوم الرابع والعشرين.

(١٥) العدد القوية ص ٣٠١ اليوم الرابع والعشرين.

١٥٨- وفي رواية أخرى أنه جيد للسفر و الرؤيا فيه كاذبة. (١)

١٥٩- قال أمير المؤمنين عليه السلام في هذا اليوم علا أمره إلا أنه يكون حزينا حقيقا و من مرض فيه طال مرضه. و قالت الفرس إنه يوم خفيف جيد. (٢)

١٦٠- وفي رواية أخرى أنه رديء مذموم لا يطلب فيه حاجة ولد فيه فرعون ذو الأوتاد (٣)

وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه دين (٤) روز اسم الملك الموكل بالسعي و الحركة و في رواية أخرى اسم الملك الموكل بالنوم و اليقظة و حراسة الأرواح حتى ترجع إلى الأبدان. (٥)

١٦١- الدوروع: عن الصادق عليه السلام أنه يوم رديء نحس فيه ولد فرعون فلا تطلب فيه أمرا من الأمور و من ولد فيه نكد عيشه و لم يوفق لخير و يقتل آخر عمره أو يفرق و المريض فيه يطول مرضه و قال سلمان رضي الله عنه روز دين اسم ملك موكل بالنوم و اليقظة و السعي و الحركة و حراسة الأرواح إلى أن ترجع إلى الأبدان يوم نحس مستمر و المولود فيه كما ذكر آنفا. (٦)

١٦٢- و في الرواية الأخرى يوم نحس مستمر (٧) فيه ولد فرعون من ولد فيه يقتل و لا يكون موقفا و إن حرص جهده و يكون ما عاش نكدا. (٨)

١٦٣- المكارم: عنه عليه السلام يوم مشوم. (٩)

١٦٤- الزوائد: عنه عليه السلام يوم نحس مستمر مكروه لكل حال و عمل فاحذره و لا تعمل فيه عملا و لا تلق أحدا و اقع في منزلك و استعذ بالله من شره و من ولد فيه كان منحوسا و من مرض فيه أو في ليلته خيف عليه أو طال مرضه. (١٠)

١٦٥- و في رواية أخرى ولد فيه فرعون و المولود فيه يقتل في آخر عمره إذا حرص في طلب الرزق أو يفرق. (١١)
أقول: دين بكسر الدال و سكون الياء.

اليوم الخامس والعشرون

١٦٦- العدد: قال مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام إنه يوم مذموم نحس و هو اليوم الذي أصاب مصر فيه تسعة ضروب من الآفات فلا تطلب فيه حاجة و احفظ فيه نفسك فإنه اليوم الذي ضرب الله عز و جل فيه أهل الآيات مع فرعون و هو شديد البلاء و الآتي فيه يرجع و لا تحلف فيه صادقا و لا كاذبا و هو يوم سوء من سافر فيه لا يربح و من مرض فيه أجهد و من لم يقف من مرضه فاتقه. (١٢)

١٦٧- و في رواية أخرى من مرض فيه لا يكاد يبرأ و هو إلى الموت أقرب من الحياة و من مرض فيه لا ينجو و من ولد فيه كان ملكا مزوقا نجيبا من الناس تصيبه علة شديدة و يسلم منها. (١٣)

١٦٨- و في رواية أخرى من ولد فيه يكون ققيها عالما. (١٤)

١٦٩- و في رواية أخرى أنه يوم جيد للشراء و البيع و البناء و الزرع و يصلح لقضاء الحوائج و من ولد فيه كان كاذبا ناما لا خير فيه. (١٥)

١٧٠- و قال أمير المؤمنين عليه السلام استعيذوا فيه بالله تعالى. (١٦)

(١) العدد القوية ص ٣٠١ اليوم الرابع والعشرون.

(٢) العدد القوية ص ٣٠١ اليوم الرابع والعشرون.

(٣) دين - بكسر الدال - اسم اليوم الرابع والعشرين، فرهنك عييد ص ٦٠٠.

(٤) الدوروع الواقعة ص ١٢١ و ١٢٢ فصل ٢١.

(٥) العدد القوية ص ٣٠٢ اليوم الرابع والعشرون.

(٦) في المصدر: «مشوم».

(٧) مكارم الأخلاق ج ٢ ص ٣٨٨ رقم ٢٦٦٢. وفيه: «يوم نحس مشوم».

(٨) لم نثر على كتاب الزوائد هذا.

(٩) العدد القوية ص ٣٠٩ اليوم الخامس والعشرون.

(١٠) العدد القوية ص ٣٠٩ اليوم الخامس والعشرون.

(١١) العدد القوية ص ٣٠٩ اليوم الخامس والعشرون.

(١٢) العدد القوية ص ٣٠٩ اليوم الخامس والعشرون.

و قالت الفرس إنه يوم ثقيل رديء مكروه أصيب فيه أهل مصر بسبع ضربات من البلاء و هو يوم نحس تفرغ فيه للدعاء و الصلاة و عمل الخير^(١).

و قال سلمان الفارسي رضي الله عنه أرد^(٢) روز اسم الملك الموكل بالجن و الشياطين.^(٣)

١٧١-الدروع: عن الصادق عليه السلام أنه يوم نحس رديء فاحفظ نفسك فيه و لا تطلب فيه حاجة فإنه يوم شديد البلاء ضرب الله فيه أهل مصر بالآيات مع فرعون و المريض فيه يجهد و المولود فيه يكون مباركا مرزوقا نجيبا و تصيبه علة شديدة و يسلم منها.

و قال سلمان رضي الله عنه روز أرد اسم ملك موكل بالجن و الشياطين يوم نحس ضرب الله فيه أهل مصر بالآيات ففترغ فيه للدعاء و الصلاة و عمل الخير.^(٤)

١٧٢- و في الرواية الأخرى عنه عليه السلام يوم نحس مشوم فيه أصيب أهل مصر بالآيات فاتقه جهدك و من مرض فيه لم يبق من مرضه.^(٥)

١٧٣-المكارم: عنه عليه السلام رديء مذموم يحذر فيه من كل شيء.^(٦)

١٧٤-الزوائد: عنه عليه السلام يوم نحس مكروه ثقيل نكد فلا تطلب فيه حاجة و لا تلق أحدا و لا تسافر فيه و اقعد في منزلك و استعد بالله من شره و من ولد فيه كان ثقيل التربية نكد الحياة و من مرض فيه أو في ليلته يخاف عليه.^(٧)

١٧٥- و في رواية أخرى أنه يوم ضرب الله فيه أهل الآيات مع فرعون و المولود فيه يكون نجيبا مباركا مرزوقا تصيبه علة شديدة و يسلم منها.^(٨)

أقول: المشهور في تصحيح الاسم أنه بفتح الهزة و سكون الراء المهمله ثم الدال المهمله و قد يمد الهزمة و بعضهم صححه بكسر الهزمة.

اليوم السادس والعشرون

١٧٦-العدد: قال مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام إنه يوم مبارك للسيف ضرب موسى عليه السلام فيه البحر فانفلق يصلح لكل حاجة ما خلا التزويج و السفر فاجتنبوا فيه ذلك فإنه من تزوج فيه لم يتم تزويجه و يفارق أهله و من سافر فيه لم يصلح له ذلك فليتصدق.^(٩)

١٧٧- و فيه رواية أخرى يوم صالح للسفر و لكل أمر يراد إلا التزويج فإنه من تزوج فيه فرق بينهما كما انفرق البحر لموسى عليه السلام و يكون^(١٠) عيشهما بغیضاً^(١١) و لا تدخل إذا وردت من سفرك فيه إلى أهلک و النقلة فيه جيدة و من ولد فيه يكون قليل الحظ و يفرق كما غرق فرعون في اليم.^(١٢)

١٧٨- و في رواية أخرى من ولد فيه طال عمره.^(١٣)

١٧٩- فيه رواية أخرى من ولد فيه يكون مجنوناً بخیلاً و من مرض فيه أجهد.^(١٤)

قالت الفرس إنه يوم جيد مختار مبارك و من تزوج فيه لا يتم أمره و يفارق أهله^(١٥).

و قال سلمان الفارسي رضي الله عنه أشتاد^(١٦) روز اسم الملك الذي خلق عند ظهور الدين.^(١٧)

(١) العدد القوية ص ٣٠٩ اليوم الخامس و العشرون.

(٢) أرد - بفتح الهزة أو كسرهما - هو اليوم الخامس و العشرين، فرهنگ عمید ص ١٠٧، و راجع كلام المؤلف بعد هذا.

(٣) العدد القوية ص ٣١٠ اليوم الخامس و العشرون.

(٤) الدروع الواقية ص ١٢٥ فصل ٢١.

(٥) الدروع الواقية ص ٢٤٢ فصل ٢٣.

(٦) لم نعر على كتاب الزوائد هذا.

(٧) العدد القوية ص ٣١٩ اليوم السادس و العشرون.

(٨) في المصدر: «نكد».

(٩) العدد القوية ص ٣١٩ اليوم السادس و العشرون.

(١٠) العدد القوية ص ٣١٩ اليوم السادس و العشرون.

(١١) اشتاد - بفتح الهزة - هو اليوم السادس و العشرين، فرهنگ عمید ص ١٤٢، راجع كلام المؤلف بعد هذا.

(١٢) العدد القوية ص ٣١٩ اليوم السادس و العشرون.

١٨٠- الدرود: عن الصادق عليه السلام أنه يوم صالح يصلح للسفر ولكل أمر يراد إلا التزويج فمن تزوج فيه فارق زوجته لأن فيه انقلب البحر لموسى عليه السلام ولا تدخل فيه على أهلك إذا قدمت من سفر والمريض فيه يجهد والمولود فيه يطول عمره.

وقال سلمان رضي الله عنه روز آشتاد^(١) اسم ملك خلق عند ظهور الدين يوم صالح لكل أمر إلا التزويج.^(٢)
١٨١- وفي الرواية الأخرى عنه عليه السلام فيه فرق الله البحر لموسى عليه السلام وهو يوم صالح لكل أمر إلا للتزويج فمن تزوج فيه فرق بينهما كما فرق الله البحر.^(٣)

١٨٢- المكارم: عنه عليه السلام صالح لكل حاجة سوى التزويج والسفر وعليكم بالصدقة فإنكم تنتفعون بها.^(٤)
١٨٣- الزوائد: عنه عليه السلام يوم صالح متوسط للشراء والبيع والسفر وقضاء الحوائج والبناء والفرس والزرع وهو يوم جيد فساد فيه والحق من شئت تغنم وتقتض حوائجك ومن ولد فيه كان متوسط الحال ومن مرض فيه أو في ليلته برئ بعد مدة ويكره فيه التزويج.^(٥)

١٨٤- وفي رواية أخرى هو يوم ضرب موسى بعصاه البحر فلا تعبر على أهلك إذا أتيت من سفر والمولود يطول عمره والمريض يجهد.^(٦)
أقول: المضبوط عند أكثرهم آشتاد بفتح الهمزة وسكون الشين المعجمة وفتح التاء ثم الألف ثم الدال المهملة ونقل عن السيد ركن الدين الأملي أنه بالسین المهملة.^(٧)

اليوم السابع والعشرون

١٨٥- العدد: قال مولانا أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام إنه يوم مبارك مختار جيد يصلح لطلب الحوائج والشراء والبيع والدخول على السلطان والبناء والزرع والخصومة ولقاء القضاة والسفر والابتداءات والأسباب والتزويج وهو يوم سعيد جيد وفيه ليلة القدر فاطلب ما شئت خفيف لساير الأحوال اتجر فيه وطالب بحقك واطلب عدوك وتزوج وادخل على السلطان والحق فيه من شئت ويكره فيه إخراج الدم ومن مرض فيه مات ومن ولد فيه يكون جميلا حسنا طويل العمر كثير الرزق قريبا إلى الناس محببا إليهم.^(٨)

١٨٦- وفي رواية أخرى يكون غشوما مرزوقا.^(٩)
١٨٧- قال أمير المؤمنين عليه السلام ولد فيه يعقوب عليه السلام من ولد فيه يكون مرزوقا محبوبا عند أهله لكنه تكثر أحزانه ويفسد بصره.^(١٠)

وقالت الفرس إنه يوم جيد يحمده للحوائج وتسهيل الأمور والأعمال والتصرفات ولقاء التجار والسفر والمسافر يحمده فيه أمره من ولد فيه يكون مرزوقا محببا إلى الناس طويلا عمره.^(١١)
وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه روز آسمان^(١٢) اسم الملك الموكل بالطير.^(١٣)

١٨٨- الدرود: عن الصادق عليه السلام أنه يوم صالح لكل أمر والمولود فيه يكون حسنا جميلا طويل العمر كثير الخير قريبا إلى الناس محببا إليهم قال سلمان رضي الله عنه روز آسمان^(١٤) اسم ملك موكل بالطير والمولود فيه كما مر آنفا.^(١٥)
١٨٩- وفي الرواية الأخرى يوم سعيد صالح لكل شيء تريده.^(١٦)

١٩٠- المكارم: جيد مختار للحوائج وكل ما يراد ولقاء السلطان.^(١٧)

(١) في المصدر: «أستاذ».

(٢) الدرود الواقية ص ٢٤٢ فصل ٢٣.

(٣) مكارم الأخلاق ج ٢ ص ٣٨٨ رقم ٢٦٦٦.

(٤) لم نعر على كتاب الزوائد هذا.

(٥) لم نعر على كتاب الزوائد هذا.

(٦) لم نعر على كتاب السيد ركن الدين هذا.

(٧) العدد القوية ص ٣٣٢ اليوم السابع والعشرون.

(٨) العدد القوية ص ٣٣٣ اليوم السابع والعشرون.

(٩) العدد القوية ص ٣٣٣ اليوم السابع والعشرون.

(١٠) العدد القوية ص ٣٣٣ اليوم السابع والعشرون.

(١١) في المصدر: «آسمان روز».

(١٢) آسمان روز يطلق على اليوم السابع والعشرون، فرهنگ عميد ص ٥٥.

(١٣) الدرود الواقية ص ١٣٤ فصل ٢١.

(١٤) مكارم الأخلاق ج ٢ ص ٣٨٨ رقم ٢٦٦٦.

١٩١- الزوائد: عنه ﷺ يوم صاف مبارك من النحوس صالح للحوائج إلى السلطان وإلى الإخوان والسفر إلى البلدان فالق فيه من شتت وسافر إلى حيث أردت ومن ولد فيه كان مباركا خفيف التربية ومن مرض فيه أو في ليلته نجا من مرضه سريعا. (١)

١٩٢- ومن رواية أخرى أنه يكون طويل العمر كثير الخير. (٢)

أقول: آسمان بالآلف الممدود كاسم السماء ولذا قيل اسم ملك موكل بالسماء وقيل موكل بالطير وقيل بالممات والأمور المتعلقة بهذا اليوم. (٣)

اليوم الثامن والعشرون

١٩٣- العدد: قال مولانا أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق ﷺ إنه يوم مختار وصالح لكل حاجة وإخراج الدم هو يوم سعيد مبارك ولد فيه يعقوب ﷺ يصلح للسفر وجميع الحوائج وكل أمر والعمارة والبيع والشراء والدخول على السلطان قاتل فيه أعداءك فإنك تظفر بهم والتزويج. (٤)

١٩٤- وفي رواية أخرى لا تخرج فيه الدم فإنه رديء من مرض فيه يموت ومن أبق فيه رجع ومن ولد فيه يكون حسنا جميلا مرزوقا محبوبا محبا إلى الناس وإلى أهله مشغوقا محزوننا طول عمره ويصيبه الغموم ويتلى في بدنه ويعافى في آخر عمره ويعمر طويلا ويتلى في بصره. (٥)

١٩٥- قال مولانا أمير المؤمنين ﷺ من ولد فيه يكون صبيح الوجه مسعود الجد مباركا ميمونا ومن طلب فيه شيئا تم له وكانت عاقبته محمودة.

وقالت الفرس إنه يوم ثقيل منحوس. (٦)

١٩٦- وفي رواية أخرى يحمد فيه قضاء الحوائج ومبارك فيها وقضاء الأمور والمهمات ودفع الضرورات ولقاء القواد والحجاب والأجناد وهو يوم مبارك سعيد والأحلام تصح في يومها. (٧)

وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه راهبا (٨) روز اسم الملك الموكل بالقضاء بين الخلق وروي اسم الملك الموكل بالسموات. (٩)

١٩٧- الدرر: عن الصادق ﷺ أنه يوم صالح (١٠) لكل أمر ولد فيه يعقوب ﷺ فمن ولد فيه يكون محزوننا وتصيبه الغموم ويتلى في بدنه. (١١)

وقال سلمان رضي الله عنه روز رامباد اسم ملك موكل بالسموات وقيل بالقضاء بين الخلق يوم مبارك سعيد والأحلام تصح في يومها. (١٢)

١٩٨- وفي الرواية الأخرى يوم سعيد ولد فيه يعقوب ﷺ ومن ولد فيه يكون مرزوقا محبا إلى أهله وإلى الناس ويعمر طويلا وتصيبه الغموم ويتلى في بصره. (١٣)

١٩٩- المكارم: ممزوج. (١٤)

٢٠٠- الزوائد: يوم مبارك سعيد لكل عمل وحاجة وسفر وبناء وغرس وأعمل فيه ماشئت والى من شتت فإنه يوم مبارك سعيد ومن ولد فيه يكون مباركا مقبلا ومن مرض فيه أو في ليلته برئ من مرضه. (١٥)

٢٠١- وفي رواية أخرى إن يعقوب ﷺ ولد فيه ومن ولد فيه يكون محزوننا طويلا عمره ويصيبه الغم ويتلى في بدنه. (١٦)

(٢) لم نعر على كتاب الزوائد هذا.

(٤) العدد القوية ص ٣٤٥ اليوم الثامن والعشرون.

(٦) العدد القوية ص ٣٤٥ اليوم الثامن والعشرون.

(٨) هو اليوم الثاني والعشرون.

(١٠) في المصدر إضافة: «مبارك».

(١٢) الدرر الواقعة ص ١٣٨ فصل ٢١.

(١٤) مكارم الأخلاق ج ٢ ص ٢٨٨ رقم ٢٦٦٢.

(١٦) لم نعر على كتاب الزوائد هذا.

(١) لم نعر على كتاب الزوائد هذا.

(٣) ما بين المعقوفين ليس من المصدر.

(٥) العدد القوية ص ٣٤٥ اليوم الثامن والعشرون.

(٧) العدد القوية ص ٣٤٥ اليوم الثامن والعشرون.

(٩) العدد القوية ص ٣٤٦ اليوم الثامن والعشرون.

(١١) في المصدر إضافة: «إلا أن يشاء الله غير ذلك».

(١٣) الدرر الواقعة ص ٢٤٣ فصل ٢٣.

(١٥) لم نعر على كتاب الزوائد هذا.

أقول: المضبوط في الاسم رامياذ بفتح الراء المهملة ثم الألف وسكون الميم والياء المثناة التحتانية ثم الألف ثم الدال المهملة.

اليوم التاسع والعشرون

٢٠٢- العدد: قال مولانا أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام إنه يوم مختار يصلح لكل حاجة وإخراج الدم وهو يوم سعيد لسائر الأمور والحوائج والأعمال فيه بارك الله تعالى على الأرض المقدسة ويصلح للثقة وشراء العبيد والبهائم ولقاء الإخوان والأصدقاء وفعل البر والحركة ويكره فيه الدين والسلف والأيمان من سافر فيه يصيب مالا كثيرا إلا من كان كاتباً فإنه يكره له ذلك والرؤيا فيه صادقة ولا تنقصها إلا بعد يوم والمريض فيه يموت والأيق فيه يوجد ولا تستحلف فيه أحداً^(١) ولا تأخذ فيه من أحد وادخل فيه على السلطان ولا تضرب فيه حرا ولا عبداً ومن ضلت له ضالة وجدها.^(٢)

٢٠٣- وفي رواية من مرض فيه يبرأ ومن ولد فيه يكون صالحاً حليماً.^(٣)

٢٠٤- وفي رواية أخرى أنه متوسط لا محمود ولا مذموم تجتنب فيه الحركة.^(٤)

وقالت الفرس إنه يوم جيد صالح يحمد فيه الثقة والسفر والحركة والمولود فيه يكون شجاعاً وهو صالح لكل حاجة ولقاء الإخوان والأصدقاء والأرداء وفعل الخير والأحلام فيه تصح في يومها.^(٥)

وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه ما إسفند^(٦) روز اسم الملك الموكل بالآوقات والأزمان والعقول والأنعام والبصائر وفي رواية أخرى الموكل بالأنفذة.^(٧)

٢٠٥- الدرود: عن الصادق عليه السلام أنه يوم صالح لكل أمر ومن ولد فيه يكون حليماً ومن سافر فيه أصاب مالا جزيلاً ومن مرض فيه برئ سريعاً ولا تكتب فيه وصية وقال سلمان رضي الله عنه فارسفند^(٨) اسم ملك موكل بالأنفذة والعقول والأنعام والبصائر يصلح للقاء الإخوان والأصدقاء ولكل حاجة^(٩) والأحلام تصح فيه من يومها.^(١٠)

٢٠٦- وفي الرواية الأخرى يوم مبارك صالح لكل حاجة من لقاء السلطان والأصدقاء وفعل البر وغير ذلك.^(١١)

٢٠٧- الصكارم: عنه عليه السلام مختار جيد لكل حاجة ما خلا الكاتب فإنه يكره له ذلك ولا أرى له أن يسعى في حاجة إن قدر على ذلك ومن مرض فيه برئ سريعاً ومن سافر فيه أصاب مالا كثيراً ومن أبق فيه رجع.^(١٢)

٢٠٨- الزوائد: عنه عليه السلام يوم مبارك سعيد قريب الأمر يصلح للحوائج والتصرف فيها ولقاء الملوك والسفر والثقة فاقض فيه كل حاجة وسافر والى من شئت ومن ولد فيه كان مباركا ومن مرض فيه أو في ليلته يخاف عليه.^(١٣)

٢٠٩- وفي رواية أخرى يولد فيه يكون حليماً والمسافر فيه يصيب مالا كثيراً وتكره فيه الوصية.^(١٤)

أقول: الاسم عندهم ما إسفند بفتح الميم ثم الألف والراء الساكنة ثم الهمزة المكسورة والسين المهملة الساكنة والفاء المفتوحة والتون الساكنة وقيل ما إسفندان وقيل إسفند وقيل إسفندان بالياء العجمية فيها.

اليوم الثلاثون

٢١٠- العدد القوية: قال مولانا أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام إنه يوم مختار جيد يصلح لكل شيء والشراء والبيع والزرع والفرس والبناء والتزويج والسفر وإخراج الدم.^(١٥)

(١) في المصدر: «أبدأ».

(٢) العدد القوية ص ٣٦٠ اليوم التاسع والعشرون.

(٣) العدد القوية ص ٣٦٠ اليوم التاسع والعشرون.

(٤) العدد القوية ص ٣٦٠ اليوم التاسع والعشرون.

(٥) العدد القوية ص ٣٦٠ اليوم التاسع والعشرون.

(٦) في المصدر: «مار إسفند».

(٧) العدد القوية ص ٣٦٠ اليوم التاسع والعشرون.

(٨) العدد القوية ص ٣٦٠ اليوم التاسع والعشرون.

(٩) العدد القوية ص ٣٦٠ اليوم التاسع والعشرون.

(١٠) العدد القوية ص ٣٦٠ اليوم التاسع والعشرون.

(١١) العدد القوية ص ٣٦٠ اليوم التاسع والعشرون.

(١٢) العدد القوية ص ٣٦٠ اليوم التاسع والعشرون.

(١٣) العدد القوية ص ٣٦٠ اليوم التاسع والعشرون.

(١٤) العدد القوية ص ٣٦٠ اليوم التاسع والعشرون.

(١٥) العدد القوية ص ٣٦٠ اليوم التاسع والعشرون.

٢١١- وفي رواية أخرى لا تسافر فيه ولا تتعرض لغيره إلا المعاملة وقلل فيه الحركة والسفر فيه رديء ومن ولد فيه يكون حليما مباركا وتعسر تربيته ويسوء خلقه ويرزق رزقا يكون لغيره ويمنع من التمتع بشيء منه.^(١)

٢١٢- وفي رواية أخرى من ولد فيه كفى كل أمر يؤذيه ويكون المولود فيه مباركا صالحا يرتفع أمره ويعلو شأنه ولد فيه إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام وفيه خلق الله العقل وأسكنه رءوس من أحب من عبادته ومن هرب فيه أخذ ومن ضلت منه ضالة وجدها ومن اقترض فيه شيئا رده سريعا ومن مرض فيه برئ سريعا.^(٢)

٢١٣- قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام من ولد فيه يكون حليما مباركا صادقا أميناً يعلو شأنه ومن ضاع له شيء يجده بإذن الله تعالى.^(٣)

قالت الفرس إنه يوم خفيف يحمد فيه سائر الأعمال والتصرفات ويصلح لشرب الأدوية المسهلة.^(٤)

وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه إيران روز اسم الملك الموكل بالدهور والأزمة.^(٥)

٢١٤- الدرود الواقية: عن الصادق عليه السلام أنه يوم جيد للبيع والشراء والتزويج^(٦) ومن ولد فيه يكون حليما مباركا وتعسر تربيته ويسوء خلقه ويرزق رزقا يمنع منه ومن هرب فيه أخذ ومن ضلت له ضالة وجدها ومن اقترض فيه شيئا رده سريعا.

وقال سلمان رضي الله عنه روز أنيران اسم ملك موكل بالدهور والأزمة يوم سعيد مبارك يصلح لكل شيء تريده.^(٧)

٢١٥- وفي الرواية الأخرى يوم سعيد مبارك^(٨) يصلح لكل حاجة تلتص.^(٩)

٢١٦- مكارم الأخلاق: عنه عليه السلام مختار جيد لكل شيء ولكل حاجة من شراء وبيع وزرع وتزويج ومن مرض فيه برئ سريعا ومن ولد فيه يكون حليما مباركا ويرتفع أمره ويكون صادق اللسان صاحب وفاء.^(١٠)

٢١٧- زوائد الفوائد: عن الصادق عليه السلام يوم مبارك ميمون مسعود مفلح منجح فاعمل فيه ما شئت والى من أردت وخذ وأعط وسافر وانتقل وبع واشتر فإنه صالح لكل ما تريد موافق لكل ما يعمل ومن ولد فيه كان مباركا ميمونا مقبلا حسن التربية موسعا عليه ومن مرض فيه أو في ليلته لم تطل علته ونجا سالما بإذن الله تعالى.^(١١)

٢١٨- وفي رواية أخرى يكره فيه السفر والمولود فيه يرزق رزقا واسعا يكون لغيره ويمنع من التمتع بشيء منه ومن هرب فيه أخذ وإذا ضلت فيه ضالة وجدت والقرض فيه يعود سريعا والله أحكم وأعلم.^(١٢)

بيان: الاسم عندهم بفتح الهمزة وكسر النون ثم الباء الساكنة ثم الراء المهملة المفتوحة ثم اعلم أن الظاهر من أكثر هذا الروايات أن المراد بالأيام المذكورة فيها أيام الشهور العربية ويظهر من بعضها كخير سلمان رضي الله عنه أن المراد بها الشهور العجمية وأيامها كما يظهر من أسماؤها وتوافقها لما نقله المنجمون عن الفرس في ذلك ويمكن أن يقال لما كان في بدء خلق العالم شهر فروردين مطابقا على بعض الشهور العربية ابتداء وانتهاء سرت السعادة والنحوسة في أيام الشهرين معا كما نقل أن في أول خلق العالم كان الشمس في الحمل وعند افتراقها سرتا فيهما أو اختصتا بأحدهما ويمكن حمل اختلاف الأخبار أيضا على ذلك بأن يكون ما ورد في سعادة بعض الأيام في بعض الأخبار ونحوسته بعينه في الأخرى بسبب اختلاف المقصود من الشهر فيهما وكون المراد في إحداهما العربية وفي الأخرى الفرسية لكن التعيين والتخصيص مشكل ولو أمكن رعايتهما معا كان أولى وسيأتي تمام القول في ذلك في الباب الآتي إن شاء الله تعالى.

(٢) العدد القوية ص ٣٧٠ اليوم الثلاثون.

(٤) العدد القوية ص ٣٧٠ اليوم الثلاثون.

(١) العدد القوية ص ٣٧٠ اليوم الثلاثون.

(٣) العدد القوية ص ٣٧٠ اليوم الثلاثون.

(٥) العدد القوية ص ٣٧١ اليوم الثلاثون.

(٦) في المصدر إضافة: «لا تسافر منه ولا تتعرض بغيره إلا بالمعاملة».

(٨) في المصدر إضافة: «جيد خفيف وهو يصلح».

(٧) الدرود الواقية ص ١٤٤ فصل ٢١.

(١٠) مكارم الأخلاق ج ٢ ص ٣٨٨ رقم ٢٦٦٢.

(٩) الدرود الواقية ص ٢٣ فصل ٢٣.

(١٢) لم نعر على كتاب الزوائد هذا.

(١١) لم نعر على كتاب الزوائد هذا.

باب ٢٢ يوم النيروز وتعيينه وسعادة أيام شهر الفرس و الروم ونحوستها وبعض النوادر

٩٢
٥٩

١- أقول: رأيت في بعض الكتب المعتبرة روى فضل الله بن علي بن عبيد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن محمد بن الحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسين بن أبي طالب تولى الله في الدارين بالحسن عن أبي عبد الله جعفر بن محمد بن أحمد بن العباس الدورستي عن أبي محمد جعفر بن أحمد بن علي الموسني القمي عن علي بن بلال عن أحمد بن محمد بن يوسف عن حبيب الخير عن محمد بن الحسين الصائغ عن أبيه عن معلى بن خنيس قال دخلت على الصادق جعفر بن محمد عليه السلام يوم النيروز فقال عليه السلام أتعرف هذا اليوم قلت جعلت فداك هذا يوم تعظمه العجم وتتهادى فيه فقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام والبيت العتيق الذي بمكة ما هذا إلا لأمر قديم أفسره لك حتى تفهمه قلت يا سيدي إن علم هذا من عندك أحب إلي من أن يعيش أمواتي وموت أعدائي فقال يا معلى إن يوم النيروز هو اليوم الذي أخذ الله فيه موثيق العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وأن يؤمنوا برسله وحججه وأن يؤمنوا بالآئمة عليهم السلام وهو أول يوم طلعت فيه الشمس وهبت به الرياح وخلقت فيه زهرة الأرض وهو اليوم الذي استوت فيه سفينة نوح عليه السلام على الجودي وهو اليوم الذي أحيا الله فيه الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أخياهم وهو اليوم الذي نزل فيه جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو اليوم الذي حمل فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين عليه السلام على منكبته حتى رمى أصنام قريش من فوق البيت الحرام فهشمها وكذلك إبراهيم عليه السلام وهو اليوم الذي أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه أن يبايعوا علياً عليه السلام بإمرة المؤمنين وهو اليوم الذي وجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام إلى وادي الجن يأخذ عليهم البيعة له وهو اليوم الذي بويع لأمر المؤمنين عليهم السلام فيه البيعة الثانية وهو اليوم الذي ظفر فيه بأهل النهروان وقتل ذا الندية وهو اليوم الذي يظهر فيه قائمنا ولاة الأمر وهو اليوم الذي يظهر فيه قائمنا بالرجال فيصلبه على كناسة الكوفة وما من يوم نيروز إلا ونحن نتوقع فيه الفرج لأنه من أيامنا وأيام شيعتنا حفظته العجم وضيعتموه أنتم.

٩٣
٥٩

وقال إن نبيا من الأنبياء سأل ربه كيف يحيي هؤلاء القوم الذين خرجوا فأوحى الله إليه أن يصب الماء عليهم في مضاجعهم في هذا اليوم وهو أول يوم من سنة الفرس فعاشوا وهم ثلاثون ألفاً فصار صب الماء في النيروز سنة. فقلت يا سيدي ألا تعرفني جعلت فداك أسماء الأيام بالفارسية فقال عليه السلام يا معلى هي أيام قديمة من الشهور القديمة كل شهر ثلاثون يوماً لا زيادة فيه ولا نقصان.

فأول يوم من كل شهر هرمزد روز اسم من أسماء الله تعالى خلق الله عز وجل فيه آدم عليه السلام تقول الفرس إنه يوم جيد صالح للشرب وللفرح ويقول الصادق إنه يوم سعيد مبارك يوم سرور تكلموا فيه الأمراء والكبراء واطلبوا فيه الحوائج فإنها تنجح بإذن الله ومن ولد فيه يكون مباركا وادخلوا فيه على السلطان واشتروا فيه وبيعوا وزارعوا و أغرسوا و ابناو و سافروا فإنه يوم مختار يصلح لجميع الأمور وللتزويج ومن مرض فيه يبرأ سريعا ومن ضلت له ضالة وجدها إن شاء الله.

الثاني: بهمن روز يوم صالح صاف خلق الله فيه هواء عليه السلام وهو ضلع من أضلاع آدم عليه السلام وهو اسم الملك الموكل بحجب القدس والكرامة تقول الفرس إنه يوم صالح مختار ويقول الصادق إنه يوم مبارك تزوجوا فيه وأتوا أهاليكم من أسفاركم و سافروا فيه واشتروا و بيعوا و اطلبوا فيه الحوائج في كل نوع وهو يوم مختار ومن مرض فيه من أول النهار يكون مرضه خفيفا ومن مرض في آخره اشتد مرضه وخيف من موته في ذلك المرض.

الثالث: أردببهشت روز اسم الملك الموكل بالشفاء والسقم يقول الفرس إنه يوم ثقيل ويقول الصادق إنه يوم نحس مستمر فاتقوا فيه الحوائج وجميع الأعمال ولا تدخلوا فيه على السلطان ولا تبيعوا ولا تشتروا ولا تزوجوا ولا تسألوا فيه حاجة ولا تكلفوها أحدا واحفظوا أنفسكم واتقوا أعمال السلطان و تصدقوا ما أمكنكم فإنه من مرض

فيه خيف عليه و هو اليوم الذي أخرج الله عز و جل فيه آدم و حواء من الجنة و سلبا فيه لباسهما و من سافر فيه قطع عليه أبدا.

الرابع: شهر يور روز اسم الملك الذي خلقت فيه الجواهر عنه و وكل بها و هو موكل ببحر الروم و تقول الفرس إنه يوم مختار و يقول الصادق إنه يوم مبارك ولد فيه هابيل بن آدم و هو صالح للتزويج و طلب الصيد في البر و البحر و من ولد فيه يكون رجلا صالحا مباركا و محببا إلى الناس إلا أنه لا يصلح فيه السفر و من سافر فيه خاف القطع و يصيبه بلاء و غم و من مرض فيه يبرأ سريعا إن شاء الله تعالى

الخامس: إسفندارمذ روز اسم الملك الموكل بالأرضين يقول الفرس إنه يوم ثقيل و يقول الصادق إنه يوم نحس رديء ولد فيه قابيل بن آدم و كان ملعونا كافرا و هو الذي قتل أخاه و دعا بالويل و الثبور على أهله و أدخل عليهم الغم و البكاء فاجتنبوه فإنه يوم شوم و نحس و مدموم و لا تطلبوا فيه حاجة و لا تدخلوا فيه على السلطان و ادخلوا في منازلكم و احذروا فيه كل الحذر من السباع و الحديد

السادس: خرداد روز اسم الملك الموكل بالجيال تقول الفرس إنه يوم خفيف و يقول الصادق إنه يوم مبارك صالح للتزويج و لطلب الحوائج لكل ما يسعى فيه من الأمر في البر و البحر و الصيد فيهما و للمعاش و كل حاجة و من سافر فيه رجع إلى أهله سريعا بكل ما يحبه و يريده و بكل غنيمة فجدوا في كل حاجة تريدونها فيه فإنها مقضية إن شاء الله تعالى

السابع: مرداد روز اسم الملك الموكل بالناس و أرزاقهم يقول الفرس إنه يوم جيد و يقول الصادق إنه يوم سعيد مبارك اعملوا فيه جميع ما شئتم من السعي في حوائجكم من البناء و الفرس و الذرو و الزرع و لطلب الصيد و الدخول على السلطان و السفر فإنه يوم مختار يصلح لكل حاجة إن شاء الله تعالى.

الثامن: ديبار روز^(١) اسم من أسماء الله تعالى تقول الفرس إنه يوم جيد و يقول الصادق إنه يوم مبارك صالح لكل حاجة يسعى فيها و للشراء و البيع و الصيد ما خلا السفر فاتقوا فيه و من مرض فيه يبرأ سريعا و ادخلوا فيه على السلطان و غيره فإنه يقضى فيه الحوائج و من دخل فيه على السلطان لحاجة فليساله فيها

التاسع: آذر روز اسم الملك الموكل بالنيران يوم القيامة تقول الفرس إنه يوم خفيف و يقول الصادق إنه يوم صالح خفيف سعيد مبارك من أول النهار إلى آخر النهار يصلح للسفر و لكل ما تريد و من سافر فيه رزق ما لا كثيرا و يرى في سفره كل خير و من مرض يبرأ سريعا و لا يناله في علقته مكروه إن شاء الله تعالى فاطلبوا الحوائج فيه فإنها تقضى لكم بمشية الله تعالى و توفيقه

العاشر: آبان روز اسم الملك الموكل بالبحر و المياه تقول الفرس إنه يوم ثقيل و يقول الصادق إنه يوم صالح لكل شيء ما خلا الدخول على السلطان و هو اليوم الذي ولد فيه نوح عليه السلام و من ولد فيه يكون مرزوقا من معاشه و لا يصيبه ضيق و لا يموت حتى يهرم و لا يبتلى بفقر و من فر فيه من السلطان أو غيره أخذ و من ضلت له ضالة وجدها و هو جيد للشراء و البيع و السفر و من مرض فيه يبرأ سريعا إن شاء الله تعالى

الحادي عشر: خور روز اسم الملك الموكل بالشمس يقول الفرس إنه يوم ثقيل مثل أمسه و يقول الصادق إنه اليوم الذي ولد فيه شيث بن آدم عليه السلام و النبي صلى الله عليه و آله و هو يوم صالح للشراء و البيع و لجميع الأعمال و الحوائج و للسفر ما خلا الدخول على السلطان فإنه لا يصلح و التواري عنه فيه أصلح من الدخول عليه فاجتنبوا فيه ذلك و من ولد فيه يكون مباركا مرزوقا في معاشه طويل العمر و لا يفتقر أبدا فاطلبوا فيه حوائجكم ما خلا السلطان.

الثاني عشر: ماه روز اسم الملك الموكل بالقمر يقول الفرس إنه يوم خفيف يسمى روز به و يقول الصادق إنه يوم صالح جيد مختار يصلح لكل شيء تريدونه مثل اليوم الحادي عشر و من ولد فيه يكون طويل العمر فاطلبوا فيه حوائجكم و ادخلوا على السلطان في أوله و لا تدخلوا في آخره و استعينوا بالله عزوجل فيها فإنها تقضى لكم بمشية الله تعالى.



الثالث عشر: تير روز اسم الملك الموكل بالنجوم يقول الفرس إنه يوم ثقیل شومي جدا ويقول الصادق إنه يوم نحس مستمر فاتقوه في جميع الأعمال ما استطعتم ولا تقصدوا ولا تطلبوا فيه الحاجة أصلاً ولا تدخلوا فيه على السلطان وغيره جهذكم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الرابع عشر: جوش روز اسم الملك الموكل بالبشر والأنعام والمواشي تقول الفرس إنه يوم خفيف ويقول الصادق إنه يوم جيد صالح لكل عمل وأمر يراد ويحمد فيه لقاء الأشراف والعلماء ولطلب الحوائج ومن يولد فيه يكون حسن الكمال مشعوا فطلب العلم ويعمر طويلاً يكثر ماله في آخر عمره ومن مرض فيه يبرأ بمشية الله عز وجل.

الخامس عشر: ديمهر^(١) روز اسم من أساء الله تعالى تقول الفرس إنه يوم خفيف ويقول الصادق إنه يوم صالح مبارك لكل عمل ولكل حاجة تريدها إلا إنه من يولد فيه يكون به خرس أو لثغة فاطلبوا فيه الحوائج فإنها تقضى إن شاء الله.

السادس عشر: مهر روز اسم الملك الموكل بالرحمة تقول الفرس إنه يوم خفيف جيد جدا ويقول الصادق إنه يوم منحوس رديء مذموم فلا تطلبوا فيه حوائجكم ولا تسافروا فيه فإنه من سافر فيه هلك ومن ولد فيه يكون لا بد مجنوناً ومن مرض فيه لا يكاد ينجو فاجهدوا في ترك طلب الحوائج والحركة فإنها وإن قضيت تقضى بمشقة وربما لم يتم فيها المراد فاتقوا ما استطعتم وتصدقوا فيه.

السابع عشر: نمروش^(٢) روز اسم الملك الموكل بخراب العالم وهو جبرئيل عليه السلام يقول الفرس إنه يوم مختار خفيف متوسط ويقول الصادق إنه يوم صالح لكل ما يراد جيد موافق صاف مختار لجميع الحوائج فاطلبوا فيه ما شئتم وتزوجوا وبيعوا واشتروا وأزرعوا وابنوا وادخلوا على السلطان وغيره فإن حوائجكم تقضى بمشية الله تعالى.

الثامن عشر: رش روز اسم الملك الموكل بالنيران يقول الفرس إنه يوم خفيف ويقول الصادق إنه يوم مختار جيد مبارك صالح للسفر والزرع وطلب الحوائج والتزويج وكل أمر يراد ومن خاصم فيه عدوه أو خصمه غلب عليه وظفر فيه بقدرة الله تعالى.

التاسع عشر: فروردین روز اسم الملك الموكل بأرواح الخلائق وقبضها يقول الفرس إنه يوم ثقیل ويقول الصادق إنه يوم مختار صالح جيد للسفر والتزويج وطلب الحوائج ومن خاصم فيه عدوا وظفر به وغلبه بقدرة الله تعالى ويصلح لكل عمل وهو اليوم الذي ولد فيه إسحاق النبي عليه السلام وهو يوم مبارك يصلح لكل ما تريد ومن يولد فيه يكون مباركا إن شاء الله تعالى.

العشرون: بهرام روز اسم الملك الموكل بالنصر والخذلان في الحرب يقول الفرس إنه يوم خفيف ويقول الصادق إنه يوم صالح جيد مختار صاف يصلح لطلب الحوائج والسفر خاصة والبناء والتزويج والعرس والدخول على السلطان وغيره فيه فإنه يوم مبارك يصلح إن شاء الله تعالى.

الحادي والعشرون: رام روز اسم الملك الموكل بالفرح والسرور تقول الفرس إنه يوم جيد يتبرك به ويقول الصادق إنه يوم نحس مستمر وهو يوم إهراق الدماء فاتقوا فيه ما استطعتم ولا تطلبوا فيه حاجة ولا تنازعوا فيه خصماً ومن يولد فيه يكون محتاجاً فقيراً في أكثر أمره ودهره ومن سافر فيه لم يبرح وخيف عليه.

الثاني والعشرون: باد روز اسم الملك الموكل بالرياح يقول الفرس إنه يوم ثقیل ويقول الصادق إنه يوم مختار جيد صاف يصلح لكل حاجة تريدها فاطلبوا فيه الحوائج فإنه يوم جيد خاصة للشراء والبيع وللصدقة فيه ثواب جزيل جليل عظيم ومن يولد فيه يكون مباركا محبوباً ومن مرض فيه يبرأ سريعاً ومن سافر فيه يخلص ويرجع إلى أهله معافى سالماً ومن دخل فيه إلى السلطان بلغ محابه ووجد عنده نجاحاً لما قصد له.

الثالث والعشرون: ديدین روز اسم الملك الموكل بالنوم واليقظة يقول الفرس إنه يوم خفيف ويقول الصادق إنه يوم مختار ولد فيه يوسف عليه السلام يصلح لكل أمر وحاجة ولكل ما تريدهونه وخاصة للتزويج والتجارات كلها و

(١) لقد مرّ في اليوم الخامس عشر من الباب السابق: «دي بهمر» راجع تعليقتنا هناك.

(٢) لقد مرّ في اليوم السابع عشر من الباب السابق «سروش» - بالسین والراء المهملتين - راجع أيضاً اليوم السابع عشر ذیل الرواية الآتية برقم ٤ من هذا الباب.

الدخول على السلطان و التماس الحوائج و من يولد فيه يكون مباركا صالحا و من سافر فيه يغنم و يجد خيرا بمشية الله عز و جل.

الرابع والعشرون: دين روز اسم الملك الموكل بالسعي و الحركة يقول الفرس إنه يوم خفيف جيد و يقول الصادق إنه يوم منحوس ولد فيه فرعون لعنة الله و هو يوم عسر نكد فاتقوا فيه ما استطعتم و من سافر فيه مات في سفره و في نسخة أخرى و من يولد فيه يموت في سفره أو يقتل أو يفرق و يكون مدة عمره محزونا مكدودا نكداء و لا يوفق لخير و من مرض فيه طال مرضه و لا يكاد ينتفع بمقصد و لو جهد جهده.

الخامس والعشرون: أرد روز اسم الملك الموكل بالجن و الشياطين و تقول الفرس إنه يوم ثقيل و يقول الصادق إنه يوم نحس رديء مذموم و هو اليوم الذي أصاب فيه أهل مصر سبعة أضرب من الآفات و هو يوم شديد البلاء و من مرض فيه لم يكد ينج و لا يبرأ و من سافر فيه لا يرجع و لا يريح فلا تطلبوا فيه حاجة و احفظوا فيه أنفسكم و احترزوا و اتقوا فيه جهدكم.

السادس والعشرون: أشتاد روز اسم الملك الموكل الذي خلق عند ظهور الدين تقول الفرس إنه يوم جيد و يقول الصادق إنه يوم صالح مبارك ضرب فيه موسى عليه السلام البحر فانفلق يصلح لكل حاجة ما خلا التزويج و السفر و اجتنبوا فيه ذلك فإنه من تزوج فيه لم يتم أمره و يفارق أهله و فرق بينهما و من سافر فيه لم يصلح و لم يريح و لم يرجع و عليكم بالصدقة فإن المنفعة بها وافرة و لمضاره دافعة بمشية الله و عونه.

السابع والعشرون: آسمان روز اسم الملك الموكل بالسموات يقول الفرس إنه يوم مختار و يقول الصادق إنه يوم جيد مختار يصلح لطلب الحوائج و لكل شيء تريده و من يولد فيه يكون جميلا حسنا مليحا و هو جيد للبنا و الزرع و الشراء و البيع و الدخول على السلطان فاعملوا ما شئتم و اسعوا في حوائجكم.

الثامن والعشرون: رامباد^(١) روز اسم الملك الموكل بالقضاء بين الخلق تقول الفرس إنه يوم ثقيل منحوس و يقول الصادق إنه يوم سعيد مبارك ممدوح ولد فيه يعقوب النبي عليه السلام يصلح للسفر و لجميع الحوائج و من يولد فيه يكون مرزوقا محببا إلى الناس محببا إلى أهله محسنا إليهم إلا أنه يصيبه الغموم و الهموم و يبتلى في آخر عمره و لا يؤمن عليه من ذهاب بصره

التاسع والعشرون: مهر إسفند روز اسم الملك الموكل بالأفنية و الأزمان و العقول و الأسماع و الأبصار تقول الفرس إنه يوم جيد و يقول الصادق إنه يوم مختار جيد يصلح لكل حاجة ما خلا الكاتب فإنه يكره له ذلك و لا أرى له أن يسعى لحاجة فيه إن قدر على ذلك و من مرض فيه يبرأ سريعا و من سافر فيه أصاب مالا كثيرا إلا من كان كاتباً فإنه يكره له ذلك و لا أرى السعي في حاجته إن قدر عليه و من أبقي له فيه أبقي رجوع إليه سريعا و من ضلت له ضالة وجدها.

الثلاثون: أنيران روز اسم الملك الموكل بالأدوار و الأزمان يتبرك فيه الفرس و يقول الصادق إنه يوم مختار جيد صالح لكل شيء و هو اليوم الذي ولد فيه إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما و على ذريتهما و على آلهما يصلح لكل شيء و لكل حاجة من شراء و بيع و زرع و غرس و تزويج و بناء و من مرض فيه يبرأ سريعا إن شاء الله و قال أمير المؤمنين عليه السلام من ولد فيه يكون حكيما حلما صادقا مباركا مرتفعا أمره و يعلو شأنه و يكون صادق اللسان صاحب وفاء و من أبقي له فيه أبقي وجده و من ضلت له فيه ضالة وجدها إن شاء الله تعالى.

٢- المناقب: حكى أن المنصور تقدم إلى موسى بن جعفر عليه السلام بالجلوس للتهنئة في يوم النيروز و قبض ما يحمل إليه فقال إني قد فتشت الأخبار عن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله فلم أجد لهذا العيد خبرا و إنه سنة الفرس و محابا للإسلام و معاذ الله أن نحيا ما محابا للإسلام فقال المنصور إنما نفعل هذا سياسة للجنود فسألتك بالله العظيم إلا جلست فجلس إلى آخر ما أوردته في أبواب تاريخه عليه السلام (٢).

(١) لقد مر في اليوم الثامن والعشرين: «رامباد» - بالزاي - راجع تمليقنا هناك.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣١٩ باب في أمارة أبي إبراهيم موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام .

بيان: هذا الخبر مخالف لأخبار المعلى ويدل على عدم اعتبار النيروز شرعا وأخبار المعلى أقوى سندا وأشهر بين الأصحاب ويمكن حمل هذا على التقيّة لاشتغال خبر المعلى على ما يتفق فيه ولذا يتفق في إظهار التبرك به في تلك الأزمنة في بلاد المخالفين أو على أن اليوم الذي كانوا يعظمونه غير النيروز المراد في خبر المعلى كما سيأتي ذكر الاختلاف فيه.

٣- المتجهّد: روى المعلى بن الخنيس عن مولانا الصادق عليه السلام في يوم النيروز قال إذا كان يوم النيروز فاغتسل ولبس أنظف ثيابك و تطيب بأطيب طيبك و تكون ذلك اليوم صائما ^(١) الخير.

٤- وأقول: وجدت في بعض كتب ^(٢) المنجمين مرويا عن مولانا الصادق عليه السلام في أيام شهور الفرس:

الأول: هرمز وهو اسم الله تعالى وفيه خلق آدم و حواء جيد للتجارة و صحة الملوك و الصيد و البناء و اللبس و لا يصلح الحمام و الفصد و القرض و الحرب و المناظرة.

الثاني: بهمن يوم مبارك يصلح لأكثر الأمور كالشركة و التجارة و السفر و النكاح و التحويل و الزراعة و قطع الجديد و لبسه و لا يصلح للفصد و الحجامة و الحمام.

والثالث: أردببهشت اسم ملك موكل بالشفاء وفيه أخرج آدم و حواء من الجنة فاتق فيه لكنه يصلح للصيد و شراء الدواب و من سافر فيه ذهب ماله و قطع.

والرابع: شهر يور يوم جيد ولد فيه هابيل يصلح للعمارة و البناء و الصلح و النكاح و التجارة و الصيد و لا يصلح للسفر و النقل و التحويل و الحلق.

والخامس: إسفندارمذ يوم نحس فيه قتل قابيل هابيل اتق فيه إلا من العمارة و شرب الدواء و حلق الشعر و احذر الأسوء و المناظرة.

والسادس: خرداد اسم ملك موكل بالجبّال مبارك جيد للصلح و لبس الجديد و التعليم و المناظرة و التزويج و السفر و احذر فيه الفصد و التعليم و الحرب.

والسابع: مرداد اسم ملك موكل بالحيوانات يوم جيد يصلح لكتابة الكتب و إرسال الرسل و العمارة و النكاح و المعالجة و لا يصلح للفصد و الحجامة و الزراعة و الطلاق.

والثامن: ديباذر اسم من أسماء الله تعالى يوم مبارك يصلح للمبيع و الشراء و الضيافة و الفصد و طلب الحوائج و لا يصلح للسفر و الصيد و المناظرة و الحمام.

والتاسع: آذر اسم ملك موكل بالنار أوله جيد و آخره ردي يصلح للقاء الملوك و طلب الحوائج و السفر و الصيد و شرب الدواء و لا يشتري الملك فإنه يخرّب سريعا.

والعاشر: أبان اسم ملك موكل بالبحار فيه ولد نوح عليه السلام يصلح فيه لقاء العلماء و التجار و الأكابر و كتابة الكتب و إرسال الرسل و ليحذر فيه من السفر و الصيد و المعالجة و الصعود على مرتفع فإنه يخاف عليه السقوط.

والحادي عشر: خور اسم ملك موكل بالشمس ولد فيه موسى عليه السلام جيد للقاء الملوك و الزرع و المناظرة و الصيد و البناء و السفر و شراء الدواب ردي للفصد و الحمام و النكاح و لبس الجديد و شراء الممالك.

والثاني عشر: ماه اسم ملك موكل بالأرزاق يقال لهذا اليوم مخزن الأسرار صالح لشرب الدواء و الصيد و الحمام و الزرع و التحويل و ليحذر فيه من الهرب فإنه يظفر به.

والثالث عشر: تير اسم ملك موكل بالكواكب يوم نحس يصلح لمجالسة أهل الصلاح و الاشتغال بالدعاء و ليحذر فيه جميع الأعمال لا سيما لقاء الأكابر.

الرابع عشر: جوش اسم ملك موكل بالبهائم ولد فيه إبراهيم عليه السلام جيد للقاء الأشراف و التجارة و الشركة و المناظرة و الفصد و ليحذر فيه الأعمال السيئة.

(١) لم نعر عليه في مصباح المتجهّد. علما بأن ابن فهد الحلبي أوردته في المهدّب البارع ج ١ ص ١٩١.

(٢) لم نعر على اسم هذا الكتاب.

الخامس عشر: ديمهر اسم ملك موكل بالعرش فيه نجا إبراهيم ﷺ من النار يصلح للتجارة والنكاح والسفر والصيد وليس الجديد وقطعه واحذر فيه الفصد.

والسادس عشر: مهر اسم ملك موكل بالحجيم يوم نحس مستمر صالح لدخول الحمام والحلق ولا يصلح لسائر الأعمال خصوصا السفر فإنه يخاف عليه الهلاك.

والسابع عشر: سروش وهو اسم من أسماء الله تعالى وقيل اسم جبرئيل يوم متوسط يصلح لطلب الحاجات وفعل الخيرات ويحذر سائر الأعمال.

الثامن عشر: رشن اسم ملك موكل بالنار يوم جيد يصلح للسفر والتجارة والشركة والزراعة وقطع الثياب والفصد ويحذر فيه الفسق والفجور والأعمال السيئة.

والتاسع عشر: فروردين هو اسم ملك الموت ولد فيه إسحاق يصلح للصيد والحمام والكتب والرسول التحويل ولقاء الأشراف ويحذر فيه من إخراج الدم وحلق الشعر.

والعشرون: بهرام اسم ملك موكل بالحروب متوسط صالح للسفر والنكاح والفصد وحلق الشعر والمعالجة ويحذر الخصومة والصيد والتقاضي للعرفاء.

والحادي والعشرون: رام اسم ملك موكل بالروح نحس فليذكر الله وليصم وليصدق وليتب وليستغفر الله ويستعصم من المكاره ويحذر الأعمال وفي بعض النسخ اسم ملك موكل بالسحاب يوم مبارك جيد للنكاح والسفر والمناظرة والبيع والشراء والعمارة ردي للصيد والمعالجة ودخول الحمام.

والثاني والعشرون: باد اسم ملك موكل بالسحب يوم مبارك صالح للسفر والنكاح والمناظرة والبيع والشراء والعمارة والصيد وفي بعض النسخ اسم من أسماء الله تعالى يوم جيد جدا صالح للسفر والصيد والنكاح والحمام والحلق ويحذر فيه من الفسق والفجور.

والثالث والعشرون: ديدين اسم من أسماء الله تعالى يوم جيد صالح للسفر والنكاح والفصد والحمام وأخذ الشعر وفي بعض النسخ فيه ولد فرعون صالح للفصد حسب ويحذر فيه من الطعام الردي ومن الأعمال خصوصا السفر.

والرابع والعشرون: دين يوم نحس فيه ولد فرعون لا يصلح إلا للفصد ويحذر الأطعمة وجميع الأعمال سيما السفر وفي بعض النسخ نحس لا يصلح إلا للفصد.

والخامس والعشرون: أرد اسم ملك موكل بالشياطين وفيه هلك أهل مصر يوم نحس ولا يخل فيه بنفسه ويحذر من جميع الأعمال لا سيما السفر والتجارة والنكاح والحمام والصيد.

والسادس والعشرون: أشتاد اسم ملك موكل بالإنس فيه عبر موسى وقومه البحر صالح لطلب الحاجة وغرس الأشجار وشراء الأملاك ويحذر التحويل والسفر والعمارة والفصد والتزويج.

والسابع والعشرون: آسمان اسم ملك موكل بالسموات يوم مبارك جدا صالح للسفر خصوصا في الضحي ودخول الحمام والمناظرة ولتق الفصد والصيد والنكاح وشراء الدواب.

والثامن والعشرون: رامباد^(١) اسم ملك موكل بالأرضين يوم مبارك صالح للسفر والبيع والشراء والمناظرة وشرب الدواء ويحذر الفصد والحمام.

والناسع والعشرون: مار إسفندار اسم ميكائيل ﷺ يوم جيد جدا صالح لقاء الأشراف وتعمير البلاد والنكاح ولا يصلح للسفر وطلب العلم وليس الجديد وقطعه وشراء الدواب.

والثلاثون: أنيران اسم ملك موكل بالأيام فيه ولد إسماعيل ﷺ صالح للسفر والشركة والزرع والفصد والحمام وليجتنب فيه الأعمال السيئة وليعمل الخيرات وفي بعض النسخ اسم ملك موكل بالحروب متوسط صالح للسفر والنكاح والفصد والحلق والمعالجة ويحذر فيه الأعمال السيئة وليشتغل بالخيرات.



٥- رواية أخرى: روى أبو نصر يحيى بن جرير التكريتي في كتاب المختار في الاختيارات^(١) عن أبي الحسن القارئ عن الحسن بن أحمد بن روح عن محمد بن إبراهيم عن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: أول يوم من الشهر خلق الله تعالى آدم فيه و هو يوم سعد يصلح لمناظرة الأمراء. اليوم الثاني: يصلح للتزويج و السفر و البيع و الشراء و كل ابتداء. اليوم الثالث: يوم نحس لا تلق فيه سلطانا و لا تطلب فيه حاجة و لا يبع و لا يشاء. اليوم الرابع: ولد فيه قابيل بن آدم و هو يوم صالح للتزويج و طلب الحوائج غير الدهر فإنه يسلب كما سلب آدم و حواء لباسهما.

اليوم الخامس: ملعون نحس قتل فيه قابيل هابيل و دعا على أهله بالويل. اليوم السادس: صالح للتزويج و السفر و الحجابة و لقاء السلطان في كل حاجة. اليوم السابع: صالح للمناظرة و الخصومة و طلب الحوائج و لقاء القضاة و غيرهم و السفر و كل ابتداء. اليوم الثامن: مثل أمسه سوى السفر فإنه مكروه. اليوم التاسع: يوم سعيد اطلب فيه الحوائج تقضى لك. اليوم العاشر: يوم سعد مثل أمسه.

اليوم الحادي عشر: من سافر فيه غنم و إن هرب من السلطان ظفر به و من ولد فيه رزق رزقا حسنا. اليوم الثاني عشر: صالح لطلب الحوائج و السفر و كل ما يراد. اليوم الثالث عشر: نحس رديء فتوق فيه لقاء السلطان و غيره و احذر فيه الرمي فإنه مشوم. اليوم الرابع عشر: صالح لكل حاجة من يولد فيه يكون غنيا و يكثر ماله في آخر عمره. اليوم الخامس عشر: نحس من سافر فيه هلك و يناله المكروه و من ولد فيه يكون مجتونا لا محالة. اليوم السادس عشر: صالح لكل أمر فاطلب فيه ما تريد. اليوم السابع عشر: صالح لكل حاجة فاطلب فيه ما تريد. اليوم الثامن عشر: صالح لكل حاجة و للسفر من سافر فيه قضيت حوائجه. اليوم التاسع عشر: مثل أمسه في جميع أحواله. اليوم العشرون مثله.

اليوم الحادي والعشرون: يوم نحس وفيه إراقة الدماء فلا تلق فيه سلطانا ولا تخرج من بيتك ولا تطلب فيه حاجة. اليوم الثاني والعشرون: مثل أمسه. اليوم الثالث والعشرون: مثل أمسه.

اليوم الرابع والعشرون: يوم نحس مستمر مشوم من ولد فيه قتل. اليوم الخامس والعشرون: يوم نحس لا ينبغي أن يبدأ فيه بشيء. اليوم السادس والعشرون: صالح فرق الله فيه البحر لموسى فاحذر فيه التزويج فإنه يوجب الفرقة كما انفرق البحر. اليوم السابع والعشرون: صالح للتزويج و قضاء الحوائج و هو يوم سعد فاطلب فيه ما شئت. اليوم الثامن والعشرون: ولد فيه يعقوب عليه السلام يوم سعد من ولد فيه كان محبوبا إلى الناس. اليوم التاسع والعشرون: صالح للسفر و كل حاجة و هو يوم سعد. اليوم الثلاثون: صالح للسفر و طلب الحوائج و إخراج الدم و هو يوم سعد.

٦- أقول و روي أيضا في بعض الكتب^(٢) عن الصادق عليه السلام اختيارات أيام شهور الفرس على وجه آخر هكذا.

(٢) لم نعرف اسم هذا الكتاب.

(١) لم نعرف على كتاب المختار هذا.

اليوم الأول: أرمزد مختار في كل الشهور الاثني عشر لأنه اسم الله تعالى.

الثاني: بهمن وسط في الشهور العشرة الأوائل نحس في بهمن ماه وسط في إسفندارمذ ماه.

الثالث: أردببهشت وسط في فروردين سعد في أردببهشت و خرداد تير وسط في مرداد نحس في شهريور وسط في مهر و دي و بهمن سعد في آذر و إسفندارمذ.

الرابع: شهريور وسط في فروردين و تير و مهر إلى آخر الشهور سعد في خرداد و مرداد و شهريور.

الخامس: إسفندارمذ وسط في فروردين و مرداد و مهر و دي و بهمن سعد في أردببهشت و خرداد و تير و شهريور و آبان و آذر نحس في إسفندارمذ.

السادس: خرداد وسط في فروردين و أردببهشت و مهر و آذر و بهمن سعد في خرداد و تير و مرداد و شهريور و آبان و دي و إسفندارمذ.

السابع: مرداد وسط في فروردين و أردببهشت و خرداد و تير و مهر و آذر و بهمن سعد في مرداد و شهريور و آبان و دي و إسفندارمذ.

الثامن: ديباذر وسط في كل الشهور.

التاسع: آذر نحس في فروردين وإسفندار وسط في أردببهشت ومهر وآبان وآذر سعد في خرداد وتير ومرداد وشهريور ودي وبهمن. 108
59

العاشر: آبان نحس في آبان وسط في سائر الشهور.

الحادي عشر: خور نحس في خرداد وسط في باقي الشهور.

الثاني عشر: ماه مختار في كل الشهور لأنه باسم القمر.

الثالث عشر: تير سعد في فروردين و أردببهشت نحس في تير وسط في سائر الشهور.

الرابع عشر: جوش سعد في أردببهشت و تير و مرداد وسط في باقي الشهور.

الخامس عشر: دي مهر نحس في أردببهشت سعد في آبان وسط في باقي الشهور.

السادس عشر: مهر سعد في أردببهشت و خرداد و مهر و إسفندارمذ وسط في باقي الشهور.

السابع عشر: سروش سعد في آبان و آذر و بهمن وسط في باقي الشهور.

الثامن عشر: رشن سعد في شهريور و مهر وسط في باقي الشهور.

التاسع عشر: فروردين سعد في فروردين و تير و آذر وسط في باقي الشهور..

العشرون: بهرام نحس في مرداد و آذر و دي و سعد في إسفندارمذ وسط في تمامة الشهور.

الحادي والعشرون: رام وسط في خرداد و تير و آذر و دي سعد في تمامة الشهور.

الثاني والعشرون: باد نحس في فروردين و بهمن سعد في مرداد و شهريور و دي وسط في باقي الشهور.

الثالث والعشرون: ديديد سعد في آبان وسط في باقي الشهور.

الرابع والعشرون: دين سعد في فروردين و دي و بهمن و إسفندارمذ وسط في تمامة الشهور.

الخامس والعشرون: أرد سعد في فروردين و أردببهشت و مهر و بهمن و إسفندارمذ وسط في تمامة الشهور.

السادس والعشرون: أشتاد سعد في تير و شهريور و دي وسط في تمامة الشهور.

السابع والعشرون: آسمان وسط في فروردين ومرداد ومهر وآبان وآذر وبهمن وإسفندارمذ سعد في تمامة الشهور.

الثامن والعشرون: رامباد سعد في دي وسط في باقي الشهور.

التاسع والعشرون: ماراسفند وسط في كل الشهور.

الثلاثون: أنيران نحس في خرداد وسط في تمامة الشهور.

أقول: هذه الروايات الأخيرة أخرجه من كتب الأحكاميين والمنجمين لروايتهم عن أئمتنا عليه السلام ولا أعتمد عليها وكانت في النسخ اختلافات كثيرة أشرنا إلى بعضها.

٧- العلل: والعيون: عن أحمد بن زياد الهمداني عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن أبي الصلت الهروي عن علي بن موسى الرضا عن آبائه عليهم السلام قال أتى علي بن أبي طالب عليه السلام قبل مقتله بثلاثة أيام رجل من أشراف ^(١) تميم يقال له عمرو فقال له يا أمير المؤمنين أخبرني عن أصحاب الرس في أي عصر كانوا وأين كانت منازلهم ومن كان ملكهم وهل بعث الله عز وجل إليهم رسولا أم لا وبما ذا أهلكوا فإني أجد ^(٢) في كتاب الله عز وجل ذكرهم ولا أجد خبرهم ^(٣) فقال له علي عليه السلام لقد سألت عن حديث ما سألني عنه أحد قبلك ولا يحدثك به أحد بعدي إلا عني ^(٤) وما في كتاب الله عز وجل آية إلا وأنا أعرف تفسيرها وفي أي مكان نزلت من سهل أو جبل وفي أي وقت من ليل أو نهار وإن هاهنا لعلماء جما وأشار إلى صدره ولكن طلابه يسير وعن قليل يندمون لو قد فقدوني.

كان من قصتهم يا أخا تميم أنهم كانوا قوما يعبدون شجرة صنوبر يقال لها شاه درخت كان يافث بن نوح غرسها على شفير عين يقال لها وشناب ^(٥) كانت أنبسط ^(٦) لنوح عليه السلام بعد الطوفان وإنما سموا أصحاب الرس لأنهم رسوا نبيهم في الأرض وذلك بعد سليمان بن داود عليه السلام وكانت لهم اثنتا عشرة قرية على شاطئ نهر يقال له الرس من بلاد المشرق وبهم سمي ذلك النهر ولم يكن يومئذ في الأرض نهر أغزر منه ^(٧) ولا أعذب منه ^(٨) ولا قرى أكثر ولا أضر منها تسمي إحداهن آبان والثانية أذر والثالثة دي والرابعة بهمن والخامسة إسفندار ^(٩) والسادسة فروردين والسابعة أرديبهشت والثامنة أرداد ^(١٠) والتاسعة مرداد والعاشر تير والحادية عشر مهر والثانية عشر شهريرور وكانت أعظم مدائنهم إسفندار وهي التي ينزلها ملكهم وكان يسمى تركوز ^(١١) بن غابور بن يارش بن سازن بن نمرود بن كنعان فرعون إبراهيم عليه السلام وبها العين والصنوبر ^(١٢) وقد غرسوا في كل قرية منها حبة من طلع تلك الصنوبرة وأجروا إليها نهر من العين التي عند الصنوبرة ^(١٣) فنبتت الحبة وصارت شجرة عظيمة ^(١٤) وحرموها ماء العين والأنهار فلا يشربون منها ولا أنعامهم ومن فعل ذلك قتلوه ويقولون هو حياة ألهتنا فلا ينبغي لأحد أن ينقص من حياتها ويشربون هم وأنعامهم من نهر الرس الذي عليه قراهم وقد جعلوا في كل شهر من السنة في كل قرية عيدا يجتمع إليه أهلها فيضربون على الشجرة التي بها كله من حرير فيها من أنواع الصور ثم يأتون بشاة وبقر فيذبحونها قربانا للشجرة ويشعلون فيها النيران بالحطب فإذا سطع دخان تلك الذبائح وقطارها في الهواء وحال بينهم وبين النظر إلى السماء خروا للشجرة سجدا ويكون ^(١٥) ويتضرعون إليها أن ترضى عنهم فكان الشيطان يجيء فيحرك أغصانها ويصيح من ساقها صباح الصبي إن ^(١٦) قد رضيت عنكم عبادي فطيّبوا نفسا وقروا عينا فيرفعون رءوسهم عند ذلك ويشربون الخمر ويضربون بالمعازف يأخذون الدستبند فيكونون على ذلك يومهم وليلتهم ثم ينصرفون وإنما سمت العجم شهرها بآبان ماه وأذر ماه وغيرها اشتقاقا من أسماء تلك القرى لقول أهلها بعض لبعض هذا عيد شهر كذا وعيد شهر كذا حتى إذا كان عيد قريرتهم العظمى اجتمع إليهم ^(١٧) صغيرهم وكبيرهم ^(١٨) فضربوا عند الصنوبرة والعين سرادقا من ديباج عليه من أنواع الصور له اثنا عشر بابا ^(١٩) كل باب لأهل قرية منهم ويسجدون للصنوبرة خارجا من السرادق ويقربون لها الذبائح أضعاف ما قربوا للشجرة ^(٢٠) في قراهم فيجيء إبليس عند ذلك فيحرك الصنوبرة تحريكا شديدا فيتكلم من جوفها كلاما جهوريا ويعدهم ويمنيهم بأكثر مما وعدتهم و

(١) في اللعل إضافة: «بني».

(٢) في العيون: «غيرهم».

(٣) في اللعل: «روشناب» وفي العيون: «دوشاب».

(٤) كلمة: «منه» ليست في اللعل.

(٥) في اللعل: «إسفندار» وكذا في ما بعد.

(٦) في اللعل والعين: «تركوند».

(٧) عبارة: «وأجروا إليها نهرًا من العين التي عند الصنوبرة» ليست في المصدرين.

(٨) في اللعل إضافة: «وأجروها إليها نهرًا من العين التي عند الصنوبرة وصارت شجرة عظيمة».

(٩) في المصدر: «سجدًا من دون الله عز وجل يكون».

(١٠) في العيون: «إليه» وفي اللعل: «إليها».

(١١) في اللعل: «و جعلوا له اثني عشر بابا».

(١٢) في المصدرين إضافة: «التي».

(١٣) في اللعل: «بني».

(١٤) في اللعل: «غيرهم».

(١٥) في اللعل: «دوشاب».

(١٦) كلمة: «منه» ليست في اللعل.

(١٧) في اللعل: «إسفندار» وكذا في ما بعد.

(١٨) في اللعل والعين: «تركوند».

(١٩) عبارة: «وأجروها إليها نهرًا من العين التي عند الصنوبرة وصارت شجرة عظيمة».

(٢٠) في المصدر: «سجدًا من دون الله عز وجل يكون».

(٢١) في العيون: «إليه» وفي اللعل: «إليها».

(٢٢) في اللعل: «و جعلوا له اثني عشر بابا».

(٢٣) في المصدرين إضافة: «التي».

منتهم الشياطين كلها^(١) فيرفعون رءوسهم من السجود وبهم من الفرح والنشاط ما لا يفوقون ولا يتكلمون من الشرب والعزف فيكونون على ذلك اثني عشر يوما وليلاتها بعدد أعيادهم سائر السنة ثم ينصرفون.

فلما طال كفرهم بالله عز وجل وعبادتهم غيره بعث الله عز وجل إليهم نبيا من بني إسرائيل من ولد يهودا بن يعقوب فلبث فيهم زمنا طويلا يدعوهم إلى عبادة الله عز وجل ومعرفة ربوبيته فلا يتبعونه فلما رأى شدة تماديهم في الغي^(٢) والضلال وتركهم قبول ما دعاهم إليه من الرشد والتجاح وحضر عيد قريتهم العظمى قال يا رب إن عبادك أبوا إلا تكذيبك والكفر بك وغدوا يعبدون شجرة لا تنفع ولا تضر فأبى شجرهم أجمع وأرهم قدرتك وسلطانك فأصبح القوم وقد يبس شجرهم كلها^(٣) فهاهم ذلك وقطع بهم وصاروا فرقتين فرقة قالت سحر آلهتمكم هذا الرجل الذي زعم^(٤) أنه رسول رب السماء والأرض^(٥) ليصرف وجوهكم عن آلهتمكم إلى إلهه وفرقة قالت لا بل غضبت آلهتمكم حين رأت هذا الرجل يعيها ويقع فيها ويدعوكم إلى عبادة غيرها فحجبت حسناتها وبهاها لكي تغضبوا لها فتتصروا منه فأجمع رأيهم على قتله فاتخذوا أنابيب طوالا من رصاص واسعة الأفواه ثم أرسلوها في قرار العين إلى أعلى الماء واحدة فوق الأخرى مثل البرايخ ونزحوا ما فيها من الماء ثم حفروا في قرارها^(٦) بئرا ضيقة المدخل عميقة وأرسلوا فيها نبيهم وألقوا فيها صخرة عظيمة ثم أخرجوا الأنابيب من الماء وقالوا نرجو الآن أن ترضى عنا آلهتنا إذا رأنا قد قتلنا من كان يقع فيها ويصد عن عبادتها ودفناه تحت كبيرها يتشفى^(٧) منه فيعود لنا نورها ونضرتها كما كان فيقوا عامة يومهم يسمعون أنين نبيهم ﷺ وهو يقول سيدي قد ترى ضيق مكاني وشدة كرب^(٨) فأرحم ضعف ركني وقلة حيلتي وعجل يقبض روحي ولا تؤخر إجابة دعوتي^(٩) حتى مات ﷺ فقال الله جل جلاله لجبرئيل ﷺ يا جبرئيل أيلظن عبادي هؤلاء الذين غرهم حلمي وأمنوا مكري وعبدوا غيري وقتلوا رسولي أن يقوموا لغضبي أو يخرجوا من سلطاني كيف وأنا المنتقم ممن عصاني ولم يخش عقابي وإنني حلفت بعزتي وجلالي لأجعلنهم عبرة ونكالا للعالمين فلم يرعهم^(١٠) وهم^(١١) في عيدهم ذلك إلا بريح عاصف شديدة الحمة فتحبروا فيها وذعروا منها وتضام^(١٢) بعضهم إلى بعض ثم صارت الأرض من تحتهم حجر كبريت يتوقد وأظلمتهم سحابة سوداء فألقت^(١٣) عليهم كالقبة جمرا يلتهب^(١٤) فذابت أبدانهم كما يذوب الرصاص في النار فتعوذ بالله تعالى ذكره من غضبه ونزول نعمته ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم^(١٥).

بيان: قال الجوهري رسست رسا أي حفرت بئرا ورس الميت أي قبر^(١٦) انتهى والكلبة بالكسر الستر الرقيق يخاط كالبيت يتوقى فيه من البق والقنار بالضم ريح البخور والقدر والشواء والمعازف الملاهي وكأن المراد بالدستند ما يسمى بالفارسية بالسنج أيضا أو المراد التزين بالأسورة ويقال كلام جهوري أي عال وفي القاموس قطع يزيد كعني فهو مقطوع به عجز عن سفره بأي سبب كان أو حيل بينه وبين ما يؤمله^(١٧) والبريخ بالباء بين الموحدين والخاء المعجمة ما يعمل من الخبز للبئر ومجاري الماء.

فوائد مهمة جلية

الأولى: اعلم أن الأسماء المذكورة في خبر المعلی لأيام الشهر أكثرها موافق لما نقله المنجمون عن الفرس وظاهر في أن المراد بالشهور الواردة فيه هي شهور الفرس القديم لا الشهور العربية وقد تقدم القول فيه وسواكل يوم من

(١) في اللعل: «في تلك الشجرات الآخر للبقاء» بدل «كلها».

(٢) كلمة: «كلها» ليست في العيون.

(٣) في المصدرين إضافة: «إليكم».

(٤) في اللعل: «ليشتفى».

(٥) في اللعل: «دعائي».

(٦) كلمة: «هم» ليست في اللعل.

(٧) في اللعل: «تلتهب».

(٨) علل الشرائع ص ٤٠ - ٤٣ باب ٣٨ حديث ١، عيون الأخبار ج ١ ص ٢٠٥ - ٢٠٩.

(٩) في اللعل: «تلتهب».

(١٠) علل الشرائع ص ٤٠ - ٤٣ باب ٣٨ حديث ١، عيون الأخبار ج ١ ص ٢٠٥ - ٢٠٩.

(١١) في اللعل: «تلتهب».

(١٢) علل الشرائع ص ٤٠ - ٤٣ باب ٣٨ حديث ١، عيون الأخبار ج ١ ص ٢٠٥ - ٢٠٩.

(١٣) في اللعل: «تلتهب».

(١٤) علل الشرائع ص ٤٠ - ٤٣ باب ٣٨ حديث ١، عيون الأخبار ج ١ ص ٢٠٥ - ٢٠٩.

(١٥) في اللعل: «تلتهب».

(١٦) علل الشرائع ص ٤٠ - ٤٣ باب ٣٨ حديث ١، عيون الأخبار ج ١ ص ٢٠٥ - ٢٠٩.

(١٧) في اللعل: «تلتهب».

أيام الخمسة المسترقة أيضا باسم الأول أهتود والثاني أشنود والثالث إسفندمذ والرابع دهشت والخامس هشتويش هذا هو المشهور وذكروا فيها أسماء آخر وذكروا أن كلا منها اسم ملك موكل بذلك اليوم.

ثم إن المحققين اختلفوا في هؤلاء الملائكة فمنهم من حملوها على ظواهرها وقالوا إن الله وكل بكل شيء من المخلوقات ملكا يحفظه ويربيه و يصرفه إلى ما خلق له كما ورد في الأخبار الملك الموكل بالبحار والملك الموكل بالجبال والملائكة الموكلة بالأشجار و سائر النباتات والملائكة الموكلة بالسحب والبرق والصواعق وكل قطرة من الأمطار والملائكة الموكلة بالأيام والليالي والشهور والساعات و به يوجه ما ورد من كلام اليوم والشهر والأرض والقبر وغيرها بأن المراد به كلام الملائكة الموكلة بها ومنهم من حملوها على أرباب الأنواع المجردة التي أنبتها أفلاطون ومن تابعه من الإشرافيين فإنهم أثبتوا لكل نوع من أنواع الأفلاك والكواكب والبسائط العنصرية والمواليد ربا يديره ويربيه ويوصله إلى كماله المستعد له والأول هو الموافق لمسلك المليون وأرباب الشرائع والثاني طريقة من لا يثبت الصانع ويقول بتأثير الطبايع وإن تابعهم بعض من يظهر القول بالصانع أيضا وليس هذا مقام تحقيق هذا الكلام.

قال أبو ريحان كل واحد من شهور الفرس ثلاثون يوما ولكل يوم منها اسم مفرد^(١) بلغتهم وهي ١-هرمز ٢- بهمن ٣- أردبیهشت ٤- شهریور ٥- إسفندارمذ ٦- خرداد ٧- مرداد ٨- دي ٩- باذر ١٠- آذر ١١- آبان ١٢- خرماه ١٣- تیر ١٤- جوش ١٥- دیبهر ١٦- مهر ١٧- سروش ١٨- رشن ١٩- فروردین ٢٠- بهرام ٢١- رام ٢٢- باد ٢٣- دیدین ٢٤- دین ٢٥- آرد ٢٦- آشتاد ٢٧- آسمان ٢٨- رامیاد ٢٩- مارسفند ٣٠- أنیران لا اختلاف بينهم في أسماء هذه الأيام وهي لكل شهر كذلك وعلى ترتيب واحد إلا في هرمز فإن بعضهم يسميه فرخ وفي أنیران فإن بعضهم يسميه بهروز ويكون مبلغ جميعها ثلاثمائة وستين يوما وقد تقدم أن السنة الحقيقية هي ثلاثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم فأخذوا الخمسة الأيام الزائدة عليها و سموها بأسماء غير الموضوعة لأيام كل شهر وهي أهشداگاه اشكدها إسفندگاه إسفندمذگاه بهشیشگاه.^(٢)

أقول: ثم ذكر ما مر مع وجوه كثيرة أخرى فصار^(٣) مبلغ أيامهم ثلاث مائة وخمسة وستين يوما وأهلوا ربع يوم حتى اجتمع من الأرباع أيام شهر تام وذلك في مائة وعشرين سنة فالتقوه بشهور السنة حتى صار شهور تلك السنة ثلاثة عشر و سموها كبيسة و سموا أيام الشهر الزائد بأسماء أيام سائر الشهور وعلى ذلك كانوا يعملون إلى أن زال ملكهم و باد دينهم و أهملت الأرباع بعدهم و لم يكس بها السنون حتى يعود^(٤) إلى حالها الأولى ولا يتأخر عن الأوقات المحدودة^(٥) كثير تأخر من أجل أن ذلك أمر كان يتولاه ملوكهم بمحض الحساب وأصحاب الكتاب و ناقلو الأخبار والرواة و مجمع الهرايزدة و القضاة و اتفاق منهم جميعا على صحة الحساب بعد استحضار من بالأفاق من المذكورين إلى دار الملك و مشاورتهم حتى يتفقوا و اتفاق الأموال الجمة حتى قال العقل في التقدير إنه كان ينفق ألف ألف دينار و كان يتخذ ذلك اليوم أعظم الأعياد قدرا و أشهرها حالا و أمرا و يسمى عيد الكبيسة و يترك الملوك^(٦) لرعيته خراجها و الذي كان يحول بينهم و بين إلحاق ربع يوم في كل أربع سنين يوما واحدا بأحد الشهور أو الخمسة قولهم إن الكيس يقع على الشهور لا على الأعوام لكرهاتهم الزيادة في عدتها و امتناع ذلك في الزمرة لما وجب في الدين من ذكر اليوم الذي يزمزم فيه ليصح إذا زيد في عدد الأيام يوم زائد و كانت الأكاسرة رسمت لكل يوم نوعا من الرياحين و الزهر يوضع بين يديه و لونا من الشراب على رسم منتظم لا يخالفونه في الترتيب و السبب في وضعهم هذه الأيام الخمسة الواحق في آخر آبان ماه ما بينه و بين آذر ماه أن الفرس زعموا أن مبدأ سنتهم من لدن خلق الإنسان الأول و أن ذلك كان روزهرمز و ماه فروردین^(٧) و الشمس في نقطة الاعتدال الربيعي متوسطة السماء و ذلك أول الألف السابع من ألوف سني العالـ عندهم و بمثلها قال أصحاب الأحكام من المنجمين إن السرطان طالع العالم و ذلك أن الشمس في أول أدوار السند هند هي في أول الحمل على منتصف نهايتي العمارة و

(١) جاءت هذه الأسماء ضمن جدول في التفهيم ص ٢٣٤. (٢) الآثار الباقية ص ٤٣.

(٣) من هنا بقية كلام أبي ريحان البيروني في الآثار الباقية. (٤) في المصدر: «تعود».

(٥) في المصدر: «المحدودة». (٦) في المصدر: «الملك».

(٧) في المطبوعة: «روز هرمز، و ماه فروردین» و ما أثبتناه من المصدر.

إذا كانت كذلك كان الطالع السرطان و هو لا ابتداء الدور و النشوء عندهم كما قلنا و قد قيل إنه سمي بذلك لأنه أقرب البروج رأساً من الربيع المعمور و فيه شرف المشتري المعتدل المزاج و النشوء لا يكون إلا إذا عملت الحرارة المعتدلة في الرطوبة فهو إذن أولى أن يكون طالع نشوء العالم و قيل إنما سمي بذلك لأن بطلوعه تتم طلوع الطبائع الأربع و بتماهما تم النشوء و أمثال ذلك من التشبيهات.

قال ثم لما أتى زرادشت و كبس السنين بالشهور المجتمعة من الأرباع عاد الزمان إلى ما كان عليه و أمرهم أن يفعلوا بها بعده كفعله و انتحروا بأمره و لم يسموا شهر الكبيسة باسم على حدة و لم يكرروا اسم شهر بل كانوا يحفظونه على نوب متوالية و خافوا اشتباه الأمر عليهم في موضع النوب^(١) فأخذوا ينقلون الخمسة الأيام و يضعونها عند آخر الشهر الذي انتهت إليه نوبة الكبيسة و لجلالة هذا الأمر و عموم المنفعة فيه للخاص و العام و الرعية و الملك و ما فيه من الأخذ بالحكمة و العمل بموجب الطبيعة كانوا يؤخرون الكبس إذا جاء وقته و أمر الملكة غير مستقيم لحوادث و يهملونه حتى يجتمع منه شهران و يتقدمون بكبيسها بشهرين إذا كانوا يتوقعون وقت الكبس المستأنف ما يشغل عنه كما عمل في زمن يزدجرد بن شاپور أخذاً بالاحتياط و هو آخر الكباس المعمولة تولاه رجل من الدستورين يقال له يزدجرد الهزاري^(٢) و كانت النوبة في تلك الكبيسة لآبان ماه فالحق الخمسة بآخره و بقيت فيه لإهمالهم الأمر^(٣) انتهى و إنما أوردت هذا الكلام لما فيه من تأسيس ما سنورده في الفائدة التالية و مزيد توضيح ما مر في خبر الرضا^(٤) في تقدم النهار على الليل و غير ذلك.

الفائدة الثانية: اعلم أن الشيخ الطوسي قدس سره القدوسي^(٥) و سائر من تأخر عنه ذكروا النيروز و الأعمال المتعلقة به الغسل و الصوم و الصلاة و غيرها و لم يحققوا تعيين اليوم فلا بد من التعرض له و الإشارة إلى الأقوال الواردة فيه قال فحل الفقهاء المدققين محمد بن إدريس رة في السرائر قال شيخنا أبو جعفر في مختصر المصباح يستحب صلاة أربع ركعات و شرح كقيمتها في يوم نيروز الفرس و لم يذكر أي يوم هو من الأيام و لا عينه بشهر من الشهور الرومية و لا العربية و الذي قد حققه بعض محصلي الحساب و علماء الهيئة و أهل هذه الصنعة في كتاب له أن يوم النيروز يوم العاشر من أيار و شهر أيار أحد و ثلاثون يوماً فإذا مضى منه تسعة أيام فهو يوم النيروز يقال نيروز و نوروز لغتان^(٦) انتهى.

و فسر الشهيد رة بأول سنة الفرس أو حلول الشمس برج الحمل أو عاشر أيار.^(٧) قال جمال السالكن أحمد بن فهد الحلبي رة في كتاب المذهب البارع في شرح المختصر النافع يوم النيروز يوم جليل القدر^(٨) و تعيينه من السنة غمض مع أن معرفته أمر مهم من حيث إنه تعلق به عبادة مطلوبة للشارع و الامتثال موقوف على معرفته و لم يتعرض لتفسيره أحد من علمائنا سوى ما قاله الفاضل المنقب محمد بن إدريس و حكايته و الذي قد حققه بعض محصلي أهل الحساب و علماء الهيئة و أهل هذه الصنعة في كتاب له أن يوم النيروز يوم العاشر من أيار.

و قال الشهيد و فسر بأول سنة الفرس أو حلول الشمس في برج الحمل أو عاشر أيار و الثالث إشارة إلى قول ابن إدريس و الأول إشارة إلى ما هو مشهور عند فقهاء العجم في بلادهم فإنهم يجعلونه عند نزول الشمس الجدي و هو قريب مما قاله صاحب كتاب الأنواء و حكايته اليوم السابع عشر من كانون الأول هو صوم اليهود و فيه ترجع الشمس مصعدة إلى الشمال و يأخذ النهار من الليل ثلاث عشر ساعة و هو مقدار ما يأخذ في كل يوم وينزل الشمس برج الجدي قبله بيومين و بعض العلماء جعله رأس السنة و هو النيروز فجعله حكاية عن بعض العلماء و قال بعد ذلك اليوم التاسع من شباط و هو يوم النيروز و يستحب فيه الغسل و صلاة أربع ركعات لما رواه المعلى بن خنيس عن الصادق^(٩) ثم ذكر الخبر فاختار التفسير الأخير و جزم به و الأقرب من هذه التفسير أنه يوم نزول الشمس برج الحمل لوجوه.

(١) في المصدر: «النوبة».

(٢) في المصدر إضافة: «هزار ضبعة من كورة اصطخر بفارس ينسب إليها».

(٣) الآثار الباقية ص ٤٠٤-٤٠٣.

(٤) السرائر ج ١ ص ٣١٥.

(٥) راجع الروضة البهية ج ١ ص ٦٨٦، للأغصان المندوبة، علماً بأن كلام الشهيد سيأتي ضمن كلام ابن فهد الحلبي.

(٦) من المصدر.

الأول: أنه أعرف بين الناس وأظهر في استعمالهم وانصراف الخطاب المطلق الشامل لكل مكلف إلى معلوم في العرف و ظاهر في الاستعمال أولى من انصرافه إلى ما كان على الضد من ذلك ولأنه المعلوم من عادة الشرع و حكمته ألا ترى كيف علق أوقات الصلاة بسير الشمس الظاهر و صوم شهر رمضان بروية الهلال وكذا أشهر الحج و هي أمور ظاهرة يعرفها عامة الناس بل الحيوانات؟

فإن قلت^(١): استعماله في نزول الشمس برج الحمل غير ظاهر الاستعمال في بلاد العجم حتى أنهم لا يعرفونه و ينكرون على معتقده فلم خصصت ترجيح العرف الظاهر في بعض البلاد دون بعض و أيضا فإن ما ذكرته حادث و يسمى النيروز السلطاني و الأول أقدم حتى قيل إنه منذ زمان نوح^(٢).

فالجواب عن الأول: أن العرف إذا تعدد انصرف إلى العرف الشرعي فإن لم تكن فألى أقرب البلاد و اللغات إلى الشرع فيصرف إلى لغة العرب و بلادها لأنها أقرب إلى الشرع و عن الثاني بأن التفسيرين معا متقدمان على الإسلام. الثاني: أنه مناسب لما ذكره صاحب الأنواء من أن الشمس خلقت في الشرطين و هما أول الحمل فيناسب ذلك إعظام هذا اليوم الذي عادت فيه إلى مبدأ كونه.

الثالث: أنه مناسب لما ذكره السيد رضي الدين علي بن طاوس^(٣) أن ابتداء العالم و خلق الدنيا كان في شهر نيسان و لا شك أن نيسان يدخل و الشمس في الحمل و إذا كان ابتداء العالم في مثل هذا اليوم يناسب أن يكون يوم عيد و سرور و لهذا ورد استحباب التطيب فيه بأطيب الطيب و لبس أنظف الثياب و مقابله بالشكر و الدعاء و التأهب لذلك بالفلس و تكميله بالصوم و الصلاة المرسومة له حيث كان فيه ابتداء النعمة الكبرى و هي الإخراج من حيز العدم إلى الوجود ثم تعريض الخلق لوابه الدائم و لهذا أمرنا بتعظيم يوم المبعث و الغدير حيث كان فيه ابتداء منصب النبوة و الإمامة و كذا المولدين.

فإن قلت: نسبتبه إلى الفرس يؤيد الأول لأنهم واضعوه و الثاني وضعه قوم مخصوصون و لن يوافقهم الباقون. قلنا: يكفي في نسبتبه إليهم أن يقول به طائفة منهم و إن قصروا في العدد عمن لم يقل به ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيُوهِنَّ إِنَّ اللَّهَ وَاللَّهُمَّ الْفَرَسُ الْفَرَسُ الْفَرَسُ﴾^(٤) و ليس القائل بذلك كل اليهود و لاكل النصارى و مثله قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا هُمْ أَقْرَبُ إِلَيْنَا أُولَئِكَ﴾^(٥) ليس إشارة إلى أهل الكتاب بأجمعهم بل إلى عبد الله بن سلام و أصحابه.

زيادة^(٥): و مما ورد في فضله و يعضد ما قلناه ما حدثني به المولى السيد المرتضى العلامة بهاء الدين علي بن عبد الحميد النسابة دامت فضائله رواه بإسناده إلى المعلى بن خنيس عن الصادق^(٦) أن يوم النيروز هو اليوم الذي أخذ فيه النبي^(ص) أمير المؤمنين^(ع) العهد بغدير خم فأقروا له بالولاية فطوبى لمن ثبت عليها و الويل لمن نكثها و هو اليوم الذي وجه فيه رسول الله^(ص) عليا^(ع) إلى وادي الجن فأخذ عليهم العهود و الموائق و هو اليوم الذي ظهر فيه بأهل النهروان و قتل ذا الندية و هو اليوم الذي يظهر فيه قائمنا أهل البيت و ولاية الأمر و يظفره الله تعالى بالدجال فيصلبه على كناسة الكوفة و ما من يوم نوروز إلا نحن نتوقع فيه الفرج لأنه من أيامنا حفظة الفرس و ضيعتموه ثم إن نبيا من أنبياء بني إسرائيل سأل ربه أن يحيي القوم الذين خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ هُمْ أَوْفَ حَذَرِ الْمَوْتِ فَأَمَاتَهُمُ اللَّهُ فَأَوْحَى إِلَيْهِ أَنْ سَبِّ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ فِي مَضَاجِعِهِمْ فَصَبَّ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ فِي هَذَا الْيَوْمِ فَعَاشُوا وَ هُمْ ثَلَاثُونَ أَلْفًا فَصَارَ سَبُّ الْمَاءِ فِي يَوْمِ النِّرُوزِ سَنَةً مَاضِيَةً لَا يَعْرِفُ سَبِّهَا إِلَّا الرَّاكِبُونَ فِي الْعِلْمِ وَ هُوَ أَوَّلُ يَوْمٍ مِنْ سَنَةِ الْفَرَسِ قَالَ الْمَعْلَى وَ أَمَلَى عَلَيَّ ذَلِكَ وَ كَتَبْتُهُ مِنْ إِمْلَانِهِ وَ عَنِ الْمَعْلَى أَيْضًا قَالَ دَخَلْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ^(ع) فِي صَبِيحَةِ يَوْمِ النِّرُوزِ فَقَالَ يَا مَعْلَى أَتَعْرِفُ هَذَا الْيَوْمَ قُلْتَ لَا لَكِنَّهُ يَوْمُ عِظَمِ الْعِجْمِ يَتَبَارَكُ فِيهِ قَالَ كَلَّا وَ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ الَّذِي بِيْطْنُ مَكَّةَ مَا هَذَا الْيَوْمَ إِلَّا لِأَمْرِ قَدِيمٍ أَفْسَرَهُ لَكَ حَتَّى تَعْلَمَهُ قُلْتَ تَعْلِمُنِي^(٧) هَذَا مِنْ عِنْدِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعِيشَ أَبَدًا وَ يَهْلِكُ اللَّهُ أَعْدَاءَكُمْ قَالَ يَا مَعْلَى يَوْمُ النِّرُوزِ هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَ لَا يَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَ أَنْ

(١) بقية كلام ابن فهد الحلي.

(٢) سورة التوبة، آية: ٣٠.

(٣) في المصدر: «لعلي».

(٤) بقية كلام ابن فهد الحلي.

(٥) سورة التوبة، آية: ٣٠.

(٦) بقية كلام ابن فهد الحلي.

يدبنوا برسله و حججه و أوليائه و هو أول يوم طلعت فيه الشمس و هبت فيه الرياح الواقع و خلقت فيه زهرة الأرض و هو اليوم الذي استوت فيه سفينة نوح ﷺ على الجودي و هو اليوم الذي أحيا الله فيه القوم الذين خرفوا من ديارهم و هم أوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أخياهم الله و هو اليوم الذي هبط فيه ^(١) جبرئيل ﷺ على النبي ﷺ و هو اليوم الذي كسر فيه إبراهيم ﷺ أصنام قومه و هو اليوم الذي حمل فيه ^(٢) رسول الله ﷺ أمير المؤمنين ﷺ على منكبته حتى رمى أصنام قريش من فوق البيت الحرام و هشمها الخبر بطوله و الشاهد في هذين الحديثين من وجوه:

الأول: قوله إنه اليوم الذي أخذ فيه العهد بغدير خم و هذا تاريخ و كان ذلك سنة عشرة من الهجرة و حسب فوافق نزول الشمس الحمل في التاسع عشر من ذي الحجة على حساب التقويم و لم يكن الهلال رني بمكة ليلة الثلاثين فكان الثامن عشر من ذي الحجة على الرؤية.

الثاني: كون صب الماء في ذلك اليوم سنة شائعة و الظاهر أن مثل هذه السنة العامة الشاملة لسائر المكلفين أن يكون صب الماء في وقت لا ينفر منه الطبع و يأباه و لا يتصور ذلك مع كون الشمس في الجدي لأنه غاية القر ^(٣) في البلاد الإسلامية.

الثالث: قوله في الحديث الثاني و هو أول يوم خلقت فيه الشمس و هو مناسب لما قيل إن الشمس خلقت في الشرطين.

الرابع: قوله و فيه خلقت زهرة الأرض و هذا إنما يكون في الحمل دون الجدي و هو ظاهر ^(٤) انتهى كلامه ره. و أقول: تحقيق الكلام في هذا المقام هو أنك قد عرفت فيما مضى أن السنة الشمسية عبارة عن مدة دورة الشمس بحركتها الخاصة من أي مبدأ فرض و تلك المدة على ما استقر عليه رصد أبرخس و من وافقه من المتقدمين ثلاثمائة و خمسة و ستون يوما و ربع تام من يوم و على سائر الإرصاء المشهورة لا يبلغ الكسر إلى الربع بل أقل منه بدقائق معدودة و هي على ما فصله البيهقي في شرح التذكرة ^(٥) على رصد التبانتي ثلاثة عشر دقيقة و ثلاثة أخماس دقيقة و على حساب المغربي اثنتا عشرة دقيقة و على رصد مراغة إحدى عشرة دقيقة و على رصد بعض المتأخرين تسع دقائق و ثلاثة أخماس دقيقة و على رصد بطليموس أربع دقائق و أربعة أخماس دقيقة فالفرس من زمان جمشيد أو قبله و الروم من عهد إسكندر أو بعده كانوا يعتبرون الكسر ربعا تاما موافقا لرصد أبرخس و إنما الفرق بينهما أن الروم كانوا يكسبون الربع المذكور في كل أربع سنين فيزيدون على الرابعة يوما تصير به ثلاثمائة و ستة و ستين و أن الفرس إلى عهد يزيد جرد آخر ملوك العجم أو بعض الأكاسرة السابقة عليه كانوا يكسبونه في كل مائة و عشرين سنة فيزيدون على الأخيرة ثلاثين يوما تصير به ثلاثمائة و خمسة و تسعين يوما و قد كان يتفق لهم تحديد التاريخ و إسقاط ما مضى من السنة عند جلوس ملك جديد منهم و أما بعد ذلك العهد فكانوا لا يلتفتون إلى كسب الكسر المذكور أصلا فكانت سنوهم دائما ثلاثمائة و خمسة و ستين فمبدأ سني كل من هذه الطوائف كأول تشرين الأول للروم و أول فروردين ماه المسمى بالنيروز لطوائف الفرس و كذا كل جزء من شهرهم كان غير مطابق لمبدأ سني الأخرى و لا لجزء معين منها دائما بل كل جزء من كل من هذه التواريخ لاختلاف طريق حسابهم دائر في كل جزء من الآخر بمرور الأيام و أيضا لم يكن شيء من تلك المبادي و لا سائر الأجزاء مطابقا دائما لمبدأ فصل من الفصول و لا شيء من أجزائها بل كل منها دائر في أجزاء الفصول و بالعكس هكذا الحال إلى عهد السلطان جلال الدين ملك شاه السلجوقي فأحب أن يوضع تاريخ في زمانه باسمه ممتازا عن التواريخ المشهورة فأمر من حضرته من أهل الخبرة بذلك فبنوا الحساب على رصد بطليموس أو من وافقه في نقصان الكسر عن الربع اعتقادا منهم أنه أصح من الرصد المبني عليه التواريخ المذكورة ثم اعتبروا أول السنة حفظا من أن يدور في الفصول يوم انتقال

(١) من المصدر.

(٢) الفر - بالضم - البرد، الصحاح ج ٢ ص ٧٨٩.

(٣) المذهب البارع ج ١ ص ١٩١ - ١٩٦ كتاب الطهارة المتدوبة من الأغسال.

(٤) هو شرح تذكرة الأفلاك لصدر الدين الطوسي - مخطوط -.

(٥) لفظ الجلالة ليس في المصدر.

الشمس إلى الاعتدال الربيعي قبل نصف النهار فكان حينئذ قد اتفق ذلك الانتقال يوم الجمعة عاشر شهر رمضان سنة إحدى وسبعين وأربعمائة وكان مطابقاً للثامن عشر من فروردين ماه اليزدجدي أول سنتهم فجعلوا اليوم المذكور أول فروردين ماه من السنة الجلالية وأسقطوا الأيام السابقة عليه من درجة الاعتبار وسموا هذا اليوم بالنوروز السلطاني فاستقر الأمر في حساب السنين الشمسية على أن يعدوا من النيروز المذكور ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً فيجعلون اليوم السادس نيروز السنة الآتية ثم يكسبون الكسر لكونه أقل من الربع في كل أربع سنين أو خمس سنين فتصير سنة الكبيسة ثلاثمائة وستة وستين يوماً وهذه الطريقة مستمرة إلى زماننا.

إذا عرفت هذا فنقول أولاً أن ما يلوح من توقع ابن إدريس^(١) عن الشيخ أن يعين نيروز الفرس بيوم من الشهور العربية أو الرومية وكذا ما نقله عن بعض المحصلين من تعيينه بعاشر أيار من الشهور الرومية غريب جداً لما عرفت من دوران أيام شهور الفرس قديمهم وحديثهم في العربية والرومية وبالعكس لاختلاف اعتباراتهم في حساب السنين فكيف يتصور تعيين يوم معين أو شهر معين من إحداها بيوم أو شهر من الأخرى على وجه مصون من التغيير والتبديل بمر الدهور فليس لتعيينه بعاشر أيار من بعض المحصلين وجه محصل سوى أنه وجدته مطابقاً له في بعض الأزمنة السابقة كزمان الصادق^(ع) المستند إليه الروايات الواردة في النيروز فتوهم لزوم حفظ تلك المطابقة له دائماً فإنه يستنبط مما سيتضح عن قريب من التواريخ أن اتفاق المطابقة المذكورة كان في أواسط المائة الثانية من الهجرة وهو قريب من أواخر زمان الصادق ومثل هذا التوهم غير عزيز من الناس كما أورد الكفعمي ره في بيان الأعمال المتعلقة بشهر شعبان أن الثالث والعشرين منه هو النيروز المعتضدي^(٢) مضبوطاً بالحادي عشر من حزيران تاسع شهور الروم كما هو مذكور في سرائر ابن إدريس^(٣) مع وجهه ومعلوم أن مثل ذلك لا يمكن أن ينضبط بالشهور العربية لدوران كل منهما في الأخرى.

وثانياً: أن ترديد الشهيد^(٤) ره نيروز الفرس بين أول يوم من سنتهم وبين غيره كأول الحمل وعاشر أيار ترديد غريب شبيه بترديد مبتدئ السنة المعمولة عند العرب بين أول المحرم وبين غيره وذلك لأن كون النيروز أول يوم من سنة الفرس أمر في غاية الظهور ومع ذلك منصوص عليه في أكثر أسانيد الرواية فإنما المطلوب هنا تعيين أول يوم من سنتهم بيوم معروف في زماننا هل هو أول الحمل أو غيره.

وثالثاً: أن ما ذكره ابن فهد ره من شهرة كونه أول سنة الفرس بين فقهاء العجم^(٥) حق موافق للرواية ولكن جعلهم ذلك عند نزول الشمس الجدي مبني على ما ذكرنا من توهم المطابقة الدائمة من اتفاق الموافقة في بعض الأزمنة غفلة عن دورانه في الفصول كما بينا وهكذا حال ما نسب صاحب كتاب الأنواء إلى بعض العلماء من أنه السابع عشر من كانون الأول المطابق لما بعد نزول الشمس الجدي بيومين وكذا ما اختاره من أنه اليوم التاسع من شباط.

وبالجملة: البناء على الغفلة المذكورة من الأغراض العامة لجميع هذه التفسيرات فمناً توهم بعض العلماء الذي نقل مقالته صاحب كتاب الأنواء^(٦) يمكن أن يكون اتفاق الموافقة المذكورة في زمانه إن كان في أواسط المائة الثامنة من الهجرة فإن الضوابط الحسابية كما سيتضح دالة على أن أول فروردين ماه الفرس الموسم بالنيروز عندهم كان في السنة العاشرة من الهجرة قريباً من نزول الشمس أول برج الحمل وكان ذلك موافقاً لأواسط آذار من الرومية و مطابقاً للثامن عشر من العربية يوم عهد النبي^(ص) لأمر المؤمنين^(ع) بالولاية في غدير خم بعد الرجوع عن حجة الوداع كما صرح به في الرواية ثم في السنة الحادية عشر منها بعد رحلة النبي^(ص) انتقلت سلطنة العجم إلى يزدجرد آخر ملوكهم فأسقط ما مضى من السنة وجعل يوم جلوسه أول فروردين ويوم النيروز كما كان رسمهم وكان ذلك موافقاً لأواسط حزيران و مطابقاً للثاني والعشرين من ربيع الأول وقد عرفت أن بناء حساب الفرس في عهد يزدجرد بل قبيله في زمان النبي^(ص) أيضاً على أخذ كل سنة ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً بدون رعاية الكبايس التي كانت متداولة بين قدامتهم فلا محالة كان ينتقل نيروزهم في كل أربع سنين إلى يوم آخر من أيام الشهور

(١) السرائر ج ١ ص ٣١٥.

(٢) مصباح الكفعمي ص ٥١٣، وفيه: «العشرين» بدل «الثالث والعشرين».

(٣) السرائر ج ١ ص ٣١٥.

(٤) مذكر كلامه في ج ٢ ص ١١٧ من المطبوعة.

(٥) مذكر كلامه في ج ١ ص ١١٧ من المطبوعة.

(٦) مذكر كلام صاحب «الأنواء» في ج ١ ص ٥٩ من المطبوعة.

الرومية قبل اليوم الذي كان فيه لا اعتبارهم الكبيسة في كل أربع و قس عليه حال انتقاله بالنسبة إلى موضع الشمس من البروج أيضا فإن التفاوت لو كان لكان في كل سنة بقدر نقصان الكسر عن الربع في الواقع و هو قليل جدا كما مر.

و بالجملة: انتقاله من أواسط حزيان و أواخر الجوزاء التي كان فيها في السنة الحادية عشر من الهجرة إلى أواسط كانون الأول و أوائل الجدي و هو مدة ستة أشهر تقريبا إنما هو في قريب من سبعانة و ثلاثين سنة فيكون في أواسط المائة الثامنة كما ذكرنا.

و أما منشأ توهم صاحب كتاب الأنواء فلا يمكن أن يكون مثله من وقوع المواقفة المذكورة في زمانه لثلا يلزم تقدم زمان الناقل على زمان المنقول عنه فإن انتقاله إلى بعض أيام شباط إنما يكون قبل انتقاله إلى بعض أيام كانون لما عرفت من أن انتقالاته في تلك الشهور و كذا في البروج على خلاف تواليهما لزيادة قدرهما على قدره بمقدار ربع يوم أو قريب منه فغاية توجيهه أن يقال يجوز أن يكون منشأ توهمه موافقا لما مر نقله من بعض المحصلين في اعتبار زمان الصادق عليه السلام فيه و الفرق أن بناء حساب بعض المحصلين كان على اعتبار الإسقاط اليزدجدي لوقوعه على طبق عاداتهم المستمرة و بناء حساب صاحب كتاب الأنواء على عدم اعتباره لوقوعه بعد زمان النبي صلى الله عليه و آله و كونه بمنزلة سائر التغيرات الواقعة في السن و الآداب المعروفة في زمانه فإن ما بين تاسع شباط و عاشر أيار قريب من المدة التي أسقطها يزدجرد كما عرفت.

و رابعا: بأن ما استدلل أولا على ما اختاره من التفسير الستة و هو كونه يوم نزول الشمس برج الحمل بأنه أعرف بين الناس إلى آخره دعوى بين البطلان عند أهل الخبرة بالحساب و التواريخ فإن كون نيروز الفرس دائرا في الفصول سيما من زمان النبي صلى الله عليه و آله إلى زمان ملكشاه أمر لم يسمع خلافه من أحد منهم بل صرح في شروح التذكرة^(١) و غيرها بأن الروم و الفرس كانوا لم يلاحظوا في مبدأ سنينهم موضع الشمس و أن جعل الاعتدال الربيعي مبدأ السنة مخصوص بالتاريخ الملكي و لا يوافق شيء من التواريخ المشهورة فكيف يمكن أن يجعل مثل ذلك مناطا للأحكام الشرعية الثابتة قبل زمان ملكشاه بقريب من خمسمائة سنة و إن ما ذكره من انصراف اللفظ عند فقدان العرف الشرعي إلى لغة العرب مسلم و لكن أين إطلاق لفظ النيروز عند العرب على أول يوم نزول الشمس برج الحمل بل إن بعض أهل اللغة فسره على طبق ما في الرواية بأول سنة الفرس اعتمادا على الشهرة و بعضهم كأحمد بن محمد الميداني و هو من أقدمهم و أنقتهم لم يكتف به بل صرح في كتابه المسمى بالسامي في الأسامي بعد ذكر أسامي شهور الفرس و أيامهم المشهورة بترجمة النيروز بنخست روز از فروردين ماه^(٢) ثم إن أغمضنا عن مثل تلك الحقيقة و التجأنا إلى حمله على العرف فلا شك لمن تتبع من مظانه أن العرف فيه لم يكن متعددا في زمان الخطاب بل إنما تجدد بعده بدهور طويلة فسمى ملكشاه يوم نزول الشمس برج الحمل بالنوروز السلطاني و خوارزم شاه يوم نزولها الدرجة التاسعة عشر منه و هي شرفها عند المنجمين بالنوروز الخوارزم شاهي و آخر يوما آخر بالنوروز المعتضدي و هكذا و إنكار الحدوث في الأول منها بل دعوى التقدم على الإسلام و الإغماض عن تقييده تارة بالسلطاني و تارة بالجلالي و تارة بالملكي نسبة إلى كل من ألقاب السلطان جلال الدين ملكشاه كما هو مضبوط في الدفاتر و التقاويم و محفوظ في مدونات أهل الهيئة و التنجيم مما يقضى منه العجب.

فإن قيل: لعل دعوى التقدم على الإسلام مبنية على ما اشتهر أن مبدأ تاريخهم في عهد جمشيد أو غيره كان موافقا لأول الحمل و انتقاله منه و دورانه في الفصول إنما هو بسبب الكبائس و الإسقاطات التي مر ذكرها.

قلنا: لو سلمنا ذلك فلا ريب أن المراد بنيروزهم يوم يتجدد في كل سنة يعتبرونه أولها لا ما لا يتفق وقوعه إلا نادرا كما يلزم من التزام مطابقته لأول الحمل.

فإن قلت: لا يخرج عن ثلاثة احتمالات إما أول الحمل مطلقا و إما فروردينهم مطلقا و إما أول فروردينهم المطابق لأول الحمل و الثالث ساقط بأنه لا يتفق إلا في مدة مديدة و معلوم أن المراد به ما يتجدد في كل سنة و الثاني أيضا ساقط من جهة الحساب فإنما إذا جمعنا الأيام من فروردينهم المضبوط في تقاويم زماننا إلى ثامن عشر شهر ذي الحجة من السنة العاشرة من الهجرة المنصوص في الرواية أنه كان مطابقا لنيروزهم فقسمنا على أيام سنتهم

(١) هو كتاب تذكرة الأفلak لنصير الدين الطوسي.

(٢) السامي في الأسامي ص ٤٤٢، الباب الخامس في ذكر الشهور و السنين بالفارسية و العربية.

الخالية من الكباس من زمان النبي ﷺ إلى زماننا هو ثلاثمائة وخمسة وستون يبقى اثنان وتسعون أو ثلاث وتسعون فيظهر أن فروردينهم كان بعد التاريخ المذكور بمثل هذه الأيام فإذا سقط الاحتمالان تعين الاحتمال الأول وهو المطلوب مع أنه مؤيد أيضا بالحساب الدال على أن التاريخ المذكور كان قريبا من أول الحمل بيوم أو يومين مع احتمال المطابقة أيضا بنحو المسامحة.

قلنا: سقوط الثاني ممنوع والبيان الحسابي المذكور مبني على غفلة أو تغافل عن الإسقاط اليزدجدي الواقع في السنة الحادية عشر من الهجرة كما مر فإنه لو اعتبر الإسقاط المذكور في الحساب لظهر أن مطابقة فروردينهم اليزدجدي المضبوط في التقاويم لما بعد التاريخ المذكور لا ينافي أن يكون التاريخ المذكور أيضا مطابقا لفروردينهم المتداول قبل يزدجرد فإن جلوس يزدجرد كان في يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشر كما مر وتفاوت التاريخين موافق للمدة المذكورة فتبين أن الحساب لو جعل دليلا على كون المراد به أول فروردين لكان أوفق للمطابقة من جعله دليلا على أول الحمل للتفاوت بيوم أو يومين فإنه قاحد ولو كان قليلا ولو فرضنا مطابقتها أيضا لكان غاية الأمر أن يكون في يوم الغدير اتفق الأمر أن الغير المتقين إلا في مدة مديدة فلا يفيد المطلوب على أن مطابقة يوم الغدير للنيروز بأي معنى كان لا ينفع في المطلوب بدون مطابقة سائر الأيام المذكورة في الروايتين موافقتها له وستضح عن قريب استحالة مطابقتها لأول الحمل دون فروردين.

فإن قيل: يظهر من كلام كوشيار وأبي ریحان في بعض تصانيفهما أن الاعتدال الربيعي معتبر عند الأحكاميين في طالع السنة وحساب الأدوار وفيهم المشهورون من أهل الفرس كزردشت وجاماسب فعلى ذلك يمكن أن يكون المراد بالنيروز المعتبر بأول سنة الفرس في الرواية ذلك الوقت بالاعتبار المذكور.

قلنا: أولا سلمنا اعتبار الوقت المذكور عندهم فيما اعتبروه فيه ولكن لم ينقل أنهم يعبرون عنه بالنيروز أو يتباركون فيه ويجعلونه عيدا كما يفهم من الرواية.

وثانيا: إن التعبير عن الأحكاميين بالفرس بمحض كون بعضهم منهم بعيد جدا بل معلوم لأهل اللسان أن إطلاق الفرس المستعمل في مقابل الروم والعرب ليس إلا على الطائفة العظيمة التي من رعايا الملوك المشهورة من جمشيد وأفريدون إلى كسرى ويزدجرد فالمراد بنيروزهم وأول سنتهم يوم كان جعله عيدا في كل سنة معمولا عند الملوك المذكورة في زمانهم ولا خلاف بين أهل الخبرة في أنه كان أول فروردينهم الدائر في الفصول بالأسباب التي قرنا. وثالثا: أن من تأمل وأنصف علم أن التعبير عن ذلك اليوم بنيروز الفرس تارة وأول سنتهم أخرى لأجل أنه ليس يوما معنا بحسب الفصل وإلا فما المانع من التعبير عنه بأول الربيع وأول الحمل المعلوم لكل أحد بدون احتياج إلى تفسير أصلا.

ورابعا: أن أهل اللغة صرحوا بتفسير النيروز بأول يوم من فروردين الفرس وإطلاقه على أول الربيع من زمان ملك شاه وفي زماننا مجاز بعلاقة ما التزموه من موافقة أول فروردينهم لأول الربيع دائما وجوب انصراف اللفظ إلى الحقيقة سيما المستعمل منه قبل حدوث المجاز مما أطبق عليه أهل اللسان والعلامات المذكورة في الروايتين للنيروز لا يمكن تطبيقها على أول الربيع فيجب حمله على أول فروردين لإمكان التطبيق.

وخامسا: أن ما ذكره بقوله ولأنه المعلوم من عادة الشرع وحكمته إلخ قيام مع الفارق فإن انتقال الشمس من برج الحوت إلى برج الحمل ليس كوصولها إلى نصف النهار وأمثاله المعلومة بالحس والعيان بل محتاج إلى رصد وحساب لا يتيسر تحقيقه لأكثر مهرة فن الهيئة والحساب فضلا عن غيرهم وكفى بذلك عدم توافق رصدتين فيه فإن اليوم المذكور على ما يقتضيه رصد المتأخرين المبني عليه أكثر التقاويم في زماننا مقدم على ما يقتضيه رصد أبرخس بأيام وعلى ما يقتضيه رصد بظلميوس بأقل منها ومؤخر عما يقتضيه رصد المحقق الطوسي بقليل وعما يقتضيه رصد التبانين والمغربي بأكثر فهل يجوز من له أدنى معرفة بعادة الشرع في التكاليفات أن تكون لمعرفة النيروز مكلفين بتتبع آراء هؤلاء ثم التمييز بين الحق والباطل منها أو العمل بمقتضى كل منها مع ظهور التناقض أو اختيار ما شئت منها أو الاتكال على ما اشتهر في زماننا سيما مع علمنا بأنه غير مشهور بل غير مذكور أصلا في زمان النبي ﷺ والأئمة عليه السلام ولهذا ما وقع في أحكام الشريعة من أمثاله ككراهة النكاح والسفر في زمان كون القمر في القرب حمله المحققون على زمان كونه في صورتها المعلوم لأكثر عوام المكلفين لا في برجه المحتاج إلى

استخراج تقويمه فعلى هذا يكون المناسب لعادة الشرع و حكمته التفسير الأول من التفسيرات المذكورة لخلوه عن الكيباس و غنائه عن الاحتياج إلى الارصاد و تيسر حسابه على عامة المكلفين.

١٢٩
٥٩

و سادسا: أن ما ذكره من مناسبة كون الشمس خلقت في الشرطين على ما نقله من صاحب كتاب الأنواء على تقدير حجية المنقول عنه لا يفيد إلا كونها حين الخلقة في أوائل صورة الحمل فإنهما نجمان قريبان من رأسها يعدان منزلا من منازل القمر فلو كان ذلك مناسباً لإعظام اليوم الذي عادت الشمس فيه إلى هذا الموضع لكان ينبغي إعظام يوم كونها فيه و هو في زمان النبي كان في أواسط برج الحمل و في زماننا انتقل إلى أواخره بناء على أن حركة الثوابت و منها كواكب الصور في كل سبعين سنة درجة كما هو المشهور بين أهل الارصاد و بهذا ظهر حال ما ذكره من مناسبة ما قيل من ابتداء خلق العالم في شهر نيسان لعدم مطابقة شيء من أيام شهر نيسان من زمان النبي ﷺ إلى زماننا لأول الحمل الذي هو المطلوب إثباته فتأمل أولا في حاصل قوله و لا شك أن نيسان يدخل و الشمس في الحمل ثم فيما أتبعه تفريعا عليه بقوله و إذا كان إلخ فتحير و اعتبر.

و سابعا: أن ما ذكره من نزول الشمس الحمل في التاسع عشر إلخ فقد عرفت عدم دلالاته على المطلوب على تقدير مطابقتها بحسب الحساب أيضا فضلا عن المخالفة.

و ثامنا: أن ما ذكره من كون صب الماء المستون في ذلك اليوم أوفى لأول الحمل لا الجدي لو ساغ مثله في إثبات مناط الأحكام الشرعية لكان مؤيدا لعاشر آيار لا لأول الحمل فإنه أوفى لذلك من كل من الجدي و الحمل لكونه بعد أول الحمل بقریب من شهرين و كونه أقرب إلى اليوم المرسوم في زماننا آب باشان هذا إذا كان المراد بصب الماء في الرواية رشه على طريق الرسم الجاري في بعض البلاد و لكن يظهر من ابن جمهور أنه حمل سنة صب الماء فيها على استحباب الغسل في النيروز و ذلك ليس ببعيد.

و تاسعا: أن ما ذكره من أن طلوع الشمس فيه كما في الرواية مناسب لأول الحمل بناء على مناسبة خلقها في الشرطين مبني كما مر على الخلط بين صورة الحمل و برجه على أن ما قدمناه من حديث الرضا عليه السلام يدل على أن أول خلق الشمس في موضع شرفها و هو الدرجة التاسعة عشر من الحمل و لا يبعد أن يكون الشرطان أيضا حينئذ في تلك الدرجة فلا يكون ما ذكره صاحب كتاب الأنواء مخالفا للحديث المذكور فيكونان متفقين في عدم مطابقتها لأول الحمل.

كما هو المطلوب ثم إن خلق الشمس غير طلوعها فلما كانت حين خلقها في وسط السماء كما في الحديث المذكور فالظاهر أنه أشار به هاهنا إلى موافقة اليوم التالي لخلقها للنيروز لا يوم خلقها فتدبر.

١٣٠
٥٩

و عاشرا: أن ما ذكره من مناسبة ما في الرواية من خلق زهرة الأرض فيه لأول الحمل دون الجدي غير ظاهر إذ لقاتل أن يقول لعل مبدأ خلقها أول الجدي و ظهورها على وجه الأرض بعده مع أن ذلك متفاوت بحسب البلاد جدا و أيضا كونه غير مناسب للجدي لا يدفع سائر التفسيرات المذكورة للنيروز و لا يتعين بدونه المطلوب فيجوز أن يكون خلق زهرة الأرض و كذا خلق الشمس أو طلوعها في يوم يكون موافقا من جهة الحساب المتداول بين الفرس في سنيهم لأول فروردينهم فجعل يدور في الفصول على طبق دورانه فيها بالأسباب التي ذكرناها غير مرة فلو فرضناه في أول الخلق مطابقا لأول نزول الشمس برج الحمل أيضا لكان مثل مطابقتها حينئذ لسائر الأوضاع الغير المطلوبة كمواضع سائر الكواكب فحفظ تلك المطابقة فيه غير لازم لثلا يختل به ما هو المطلوب مما استقر بينهم إلى زمان النبي ﷺ و استمر بعده إلى زماننا من ضوابط حساب السنين.

فإن قلت: رعاية الكيسة كما نقل عن الفرس دالة على أن مقصود أقدميهم منها محافظة وضع معين للشمس بالنسبة إلى مبدأ سنيهم في الجملة فالملظون أنهم كانوا عتينا لذلك أول الربيع كما قيل لظهور امتيازته عن غيره بالحسن و اعتدال الهواء و قوة النشوء و النماء في معظم المعمورة فيمحض حدوث دورانه في الفصول بحسب تجدد الرسوم الاصطلاحية كيف سقط مقصودهم الأصلي عن درجة الاعتبار بالكلية و صار المعتبر مقتضى ما استقر بينهم من الرسوم الحادثة.

١٣١
٥٩

قلنا: سلمنا قصدهم بدون مضايقة في تعيينهم أول الربيع لذلك أيضا مع أن ما يحصل من ضبط كيبستهم في مائة و عشرين سنة يحصل بدونها أيضا في مدة أكثر منه و الفرق بين القلة و الكثرة في مثلها مشكل و مع أن الروم أيضا مشاركون لهم في رعاية الكيسة بل أضبط منهم فيها بدون التعيين المذكور و لكن نعم أن المصالح متغيرة

بتغير الأزمنة والطبائع والعادات فلعل الباعث لهم على الاتفاق على خلاف ما سبق من بعضهم عروض مصلحة أهم منه لهم و الباعث لاعتبار مقتضى مصلحتهم في نظر الشارع مصلحة وحكمة أخرى خفية محبوبة عن عقولنا فنحن الآن مكلفون في الأحكام بتتبع آثار الصادقين من ظواهر ما نقل إلينا عنهم والاحتياط عن الوقوع في متابعة آرائنا بأمثال تلك الاستحسانات.

قال بعض الأفاضل بعد إيراد جملة مما ذكرنا فتبين أن المراد بنيروز الفرس لا بد أن يكون أول سنتهم الذي هو أول فروردينهم بلا خلاف وأنه دائر في الفصول من قديم الأيام بأسباب شتى وخصوصا من زمان النبي ﷺ بسبب إهمال معاصريهم منهم في حفظ الكبيسة واستقرار أمرهم عليه إلى الآن فيكون أيام سنتهم دائما ثلاثمائة وخمسة وستين بلا عروض وتفاوت فيه قط وأن يوم الغدير في السنة العاشرة من الهجرة كان مطابقا له فإن اعتبر بما وقع بعدها في جلوس يزدجرد من إسقاط ما مضى من سنتهم وتجديد فروردينهم في التاريخ المذكور كما هو الظاهر بناء على أنه على طبق رسمهم المتداول بينهم وأن النيروز مبني على مقتضى رسمهم يكون النيروز المعتبر شرعا هو ما يضبطه المنجمون في التقاويم من أول فروردينهم في كل سنة وهو فيما نحن فيه من الزمان سنة ثمان وثمانين وألف من الهجرة مطابق ليوم الجمعة عاشر شهر شعبان وموافق للثامن والعشرين من أيلول الرومي والثالث والعشرين من مهر ماه الجلالى وإن لم يعتبر بالإسقاط اليزدجدي بناء على أنه وقع بعد زمان النبي ﷺ وإكمال الدين وأن مثل ذلك في حكم المبتدعات الغير المعتبرة في الشرع يكون النيروز المذكور قبل فروردينهم المضبوط عند المنجمين بقدر الأيام الساقطة وعلى كل من الاحتمالين يتقدم في كل أربع سنين بيوم على اليوم المطابق له من أيام شهور الروم وفي كل أربع سنين أو خمس سنين بيوم على ما كان مطابقا له من أيام الشهور الجلالية ويتأخر في كل سنة بأحد عشر يوما غالبا وب عشرة أيام في سني كبائس العرب عما كان موافقا له من أيام الشهور العربية وأيضا يتأخر في كل سنة بيوم عما كان مطابقا له من أيام الأسبوع دائما فظهر من هذا التصوير أن ما اشتهر من مطابقة نيروزهم ليوم انتقال الخلافة الصورية أيضا إلى أمير المؤمنين ع بعد قتل عثمان كمطابقته ليوم الغدير إن كان مستندا إلى نص كما قيل يؤيد الاحتمال الأول فإن كلا من الواقعتين كان في أواخر شهر ذي الحجة الحرام وبينهما خمس وعشرون سنة ولا يمكن أن يتفق ذلك بدون إسقاط إلا في نيف وثلاثين سنة فالنص على كون كل من اليومين مطابقا للنيروز هو في حكم النص على اعتبار الإسقاط المذكور وأيضا ثبوت الواقعتين المذكورتين في النيروز من أوضح الدلائل على بطلان كون المراد به يوم نزول الشمس ببرج الحمل فإن اتفاق نيروزين بهذا المعنى في شهر من الشهور العربية يفاصلة المدة المذكورة غير ممكن قطعا فمن استدلل بثبوت الواقعتين المذكورتين في النيروز على كون المراد به الاعتدال الربيعي فقد جعل ما يدل صريحا على بطلان شيء دليلا على صحته (١) انتهى.

وأقول: مما يؤيد ما مر ما ذكره أبو ريحان في كتاب الآثار الباقية من القرون الخالية حيث قال في عداد التواريخ المشهورة ثم تاريخ ملك يزدجرد بن شهريار بن كسرى أبرويز وهو على سني الفرس غير مكبوسة (٢) وقد استعمل في الأزياج لسهولة العمل به وإنما اشتهر تاريخ هذا الملك من بين سائر ملوك فارس لأنه قام بعد تبدد الملك واستيلاء النساء عليه والمتغلبة ممن لا يستحقه وكان مع ذلك آخر ملوكهم وجرت على يده أكثر الحروب المذكورة والوقائع المشهورة مع عمر بن الخطاب حتى زالت الدولة وانهزم قتل بمرور الشاهجان.

ثم قال ثم تاريخ أحمد بن طلحة المعتضد بالله وهو على سني الروم وشهور الفرس بأخذ آخر وهو أنها تكبس في كل أربع سنين بيوم وكان السبب في ذلك على ما ذكر أبو بكر الصولي (٣) وحزمة بن الحسن الأصهباني (٤) أن المتوكل بنا هو يطوف في متصيد له إذ رأى زعرا لم يدرك بعد ولم يستحصل فقال استأذنني عبيد الله بن يحيى في فتح الخراج وأرى الزرع أخضر فمن أين يعطى الناس الخراج قليل له إن هذا قد أضر بالناس فهم يقرضون ويتسلفون وينجلون عن أوطانهم وكثرت لهم شكاياتهم فقال هذا شيء حدث في أيامي أم لم يزل كذا قليل له بل هو جار على ما أسسه ملوك الفرس من المطالبة بالخراج في إبان النيروز وصاروا به قدوة لملوك العرب فأحضر المؤيد

(١) لم نثر على هذا الكتاب.

(٢) في المصدر إضافة: «في كتاب الأوراق».

(٣) في المصدر إضافة: «في رسالته في الأشعار السائرة في النيروز والمهرجان».

(٤) في المصدر: «المكبوسة».

وقال له قد كثر الخوض في هذا و لست أتعدى رسوم الفرس فكيف كانوا يفتنون^(١) الخراج على الرعية مع ما كانوا عليه من الإحسان والنظر و لم استجازوا المطالبة في هذا الوقت الذي لم تدرك فيه الغلات و الزروع فقال المؤيد وإنهم و إن كانوا يفتنونها في النيروز فما كان يجبى إلا وقت إدراك فقال و كيف ذلك فبين له حال السنين و كمياتها و احتياجها إلى الكيس ثم عرف أن الفرس كانوا يكسونها فلما جاء الإسلام عطل فأضر ذلك بالناس و اجتمع الدهاقنة زمن هشام بن عبد الملك إلى خالد القسري فشرحو له هذا و سألوه أن يؤخروا^(٢) النوروز شهرا فأبى و كتب إلى هشام بذلك فقال إني أخاف أن يكون هذا من قول الله ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾^(٣) فلما كان أيام الرشيد اجتمعوا إلى خالد بن يحيى بن برمك و سألوه أن يؤخروا^(٤) النوروز نحو الشهرين فعزم على ذلك فتكلم أعداؤه فيه و قالوا إنه يتعصب للمجوسية فأضرب عن ذلك و بقي الأمر على حاله فأحضر المتوكل إبراهيم بن العباس الصولي و أمره أن يوافق المؤيد على ما ذكره من النيروز و يحسب الأيام و يجعل له قانونا غير متغير و ينشئ عنه كتابا إلى بلدان المملكة في تأخير النوروز فوق العزم على تأخيره إلى سبعة عشر يوما من حزيران ففعل ذلك و نفذت الكتب إلى الآفاق في المحرم سنة ثلاث و أربعين و مائتين فقال البخري في ذلك قصيدة يمدح فيها المتوكل^(٥) و قتل المتوكل ولم يتم له ما دبر حتى قام المعتضد بالخلافة و استرد بلدان المملكة من المتغلبين عليها و تفرغ للنظر في أمور الرعية فكان أهم شيء إليه أمر الكيسية و إتمامه فاحتذى ما فعله المتوكل في تأخير النوروز غير أنه نظر من جهة أخرى و ذلك أن المتوكل أخذ ما بين سنته و بين أول تاريخ الملك يزيدجرد و أخذ المعتضد ما بين سنته و بين السنة التي زال فيها ملك الفرس بهلاك يزيدجرد ظنا منه أو ممن تولى ذلك له أن إهمالهم أمر الكيس هو من لدن ذلك الوقت فوجده مائتين و ثلاثا و أربعين سنة و حصتها من الأرباع ستون يوما و كسر فزاد ذلك على النوروز في سنة و جعله منتهى تلك الأيام و هو أول يوم من خرداد ماه في تلك السنة و كان يوم الأربعاء وافقه اليوم الحادي عشر من حزيران ثم وضع النوروز على شهور الروم لتكيس شهوره إذا كست الروم شهورها و كان المتولي لإمضاء ما أمر وزيره أبو القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب و قال علي بن يحيى في ذلك شعر:

يوم نيروزك يوم واحد لا يتأخر
من حزيران يوافي أبدا في أحد عشر

و هذا و إن دقق في تحصيله فلم يعد به النوروز إلى ما كان عليه عند الكيس في دولة الفرس و ذلك أن إهمال كبشهم^(٦) كان قبل هلاك يزيدجرد بقریب من سبعين سنة لأنهم كانوا كبسوا السنة في زمان يزيدجرد بن شاپور بشهرين أحدهما لما لزم السنة من التأخر و هو الواجب و وضعوا اللواحق خلفه علامة له و كانت النوبة لآبان ماه كما سنذكره و الشهر الآخر للمستأنف ليكون مفروغا منه إلى مدة طويلة فإذا أسقط عن السنين التي بين يزيدجرد بن شاپور و بينه^(٧) مائة و عشرون سنة بقي بالتقريب سبعون سنة لا بالتحقيق فإن تواريخ الفرس مضطربة جدا و تكون حصّة هذا السبعين سنة من الأرباع قريبا من سبعة عشر يوما فكان يجب بالتحليل من القياس أن يؤخر سبعة و سبعين يوما لا ستين يوما حتى يكون النوروز في ثمانية و عشرين من حزيران و لكن المتولي لذلك ظن أن طريقة الفرس في الكيس كانت شبيهة بالتي يسلكه الروم فيه فحسب الأيام من لدن زوال ملكهم و الأمر فيها على خلاف ذلك كما بينا و سنبين.

ثم قال هذا التاريخ آخر المشهورة و لعل أن يكون للأُم الشاسعة ديارها من ديارنا تواريخ لم تتصل بنا أو متروكة كالمجوس في مجوسيتها فإنها كانت توزخ بقيام ملوكهم أولا فأولا فإذا مات أحدهم تركوا تاريخه و انتقلوا إلى تاريخ القائم بعد منهم^(٨) انتهى ما أردت إيراده من كتابه.

وهذا وإن كان مؤيدا لترك الكيس في زمان يزيدجرد و دوران النيروز في الفصول لكن لا يدل على الإسقاط و ينافي بعض الضوابط المتقدمة و سيأتي مما سننقل عنه ما يؤيد ذلك أيضا.

و بالجملة الأمر في الأخبار الواردة في ذلك مردد بين أمور:

الأول: أن يكون بناؤها على إسقاط الأرباع و الخمسة أيضا كما كانت سنة الملوك البيشدادية أو بعض ملوك الهند

(١) في المصدر: «يفتتون».

(٢) في المصدر: «يؤخرو».

(٣) سورة التوبة، آية: ٣٧.

(٤) جاء في المصدر بعض أبيات هذه القصيدة.

(٥) في المصدر: «الفرس كيبستهم».

(٦) في المصدر: «بين يزيدجرد بن شهريار» بدل «بينه».

(٨) الآثار الباقية ص ٣١ - ٣٤.



كما أومأنا إليهما سابقا و يومي إليه قوله ﷺ في خبر المعلى هي أيام قديمة من الشهور القديمة كل شهر ثلاثون يوما بلا زيادة فيه ولا نقصان و يؤيده الأخبار الكثيرة الدالة على أن السنة ثلاثمائة و ستون يوما فيكون أول الفرودين على هذا الحساب نوروذا.

و يرد عليه أن حوالة النيروز و السنة على اصطلاح متروك لا يعلم تعيينه و لا ابتداء شهورها بعيد عن مقنن القوانين كما عرفت.

الثاني: أن تكون مبنية على^(١) الفرس القديم الذي مر ذكره و هو قوي لكن بناء أمر من الأمور الشرعية على اصطلاح متبدل متغير يتبع في كل زمان رأى سلطان من سلاطين الجور أو غفلتهم أو عدم تمكنهم من الكبس كما وقع بعد يزدجرد بعيد جدا و أيضا الظاهر أن فضل هذا اليوم إما بسبب الأمور المقارنة له و الأحوال الواقعة فيه و كثير من الأمور متعلقة بما قبل زمان يزدجرد و كان قبل ذلك مبنيا على الكبس و بعده سقط ذلك و إما بسبب بعض الأوضاع الفلكية أو الأرضية كدخول برج من البروج أو درجة من درجاتها أو ظهور الأزهار و نبات النباتات و الأشجار و نحو ذلك و شيء منها غير منضبط في النيروز بهذا المعنى و مع جميع ذلك فهو بحسب الدليل كأنه أقوى من الجميع.

الثالث: أن يكون المراد بها النيروز القديم المبني على الكبس في كل مائة و عشرين سنة كما عرفت لأنه الأصل عند الفرس و إنما طرأ إسقاط الكبس لاختلاف أحوالهم و عدم تمكنهم من ضبط قواعدهم و يرد عليه ما مر من أن بناء.

تكليف عام يشترك فيه عوامهم و خواصهم على أمر غامض لا يطلع عليه إلا الأوحدي من المنجمين و الهويين بل لا يمكن معرفته على التحقيق لأحد كما مر بعيد غاية البعد إلا أن يقال أنه علم قاعدته المعلى و لم يروها أو ترك الناس روايتها و هو أيضا بعيد.

الرابع: أن يكون المراد ما اصطلاح عليه الآن المنجمون و هو دخول الشمس برج الحمل بأن يكون ﷺ علم أن قاعدة الفرس في القديم كان كذلك فتركت و أخروا الكبس إلى المائة و العشرين تسهيلا للأمر أو يقال إن نيروز الفرس هو أول فرودين مع رعاية الكبس بأي وجه كان في زمان قصير أو زمان طويل فيشمل النيروز الجلالى عموما و إن لم يحدث بعد خصوص هذا النوع و يؤيده أن الأحكاميين من الفرس و غيرهم جعلوا مبدأ السنة تحويل الشمس إلى الحمل كما قال كوشيار في كتاب مجمل الأصول معلوم أن تحويل سنة العالم هو حلول الشمس أول ثانية من الحمل و طالع ذلك طالع السنة و أمثال ذلك من كلماتهم و قد اشتمل الخبر على أن النيروز أول سنة الفرس و أيد أيضا بما ورد أن ابتداء خلق العالم كان الشمس في الحمل و بأنا إذا حسبنا على القهقرى وجدنا عيد الغدير في السنة العاشرة الهجرة مطابقا لنزول الشمس أول الحمل و الظاهر أن ذلك مبني على بعض الإرصاء و على بعضها يتقدم بيوم كما أومأ إليه ابن فهد رحمه الله و على بعضها بيومين كما أشار إليه غيره و موافقته على بعض الإرصاء كاف في ذلك و بأنه أول نمو أبدان الحيوانات و الأشجار و النباتات كما قال سبحانه «ألم تر أن الله يُخَيِّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا»^(٢) و عنده تظهر قدرة الصانع و حكمته و لطفه و رحمته فهو أولى بأن يشكر فيه الرب الكريم و أن يجعل مبدأ السنة و العيد العظيم و قد مر الكلام في أكثر ذلك فيما مضى.

ومما يدل على عدم كونه مرادا أنه لم يكن هذا مشهورا في زمان الصادق ﷺ و قد قال المعلى دخلت على الصادق ﷺ يوم النيروز^(٣) فلا بد من أن يكون يوما معروفا في ذلك الزمان و لم يكن إلا التاريخ اليزدجدي فلا يستقيم هذا إلا بتكلف أومأنا إليه في أول الكلام و الله يعلم حقائق الأمور.

الفائدة الثالثة: اعلم أنه قد يستشكل في الأحاديث بأن وقوع النيروز بأي تفسير كان في التواريخ الماضية المذكورة في الروايتين المضبوطة عند المؤرخين سنة و شهرا و يوما كيوم المبعث و فتح مكة و نص الغدير غير ممكن لعدم جواز اجتماع يومين في ذلك فضلا عن الجميع لأن المبعث كان قبل الهجرة بقریب من ثلاث عشرة سنة و فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة و نص الغدير في العاشرة منها فكان وضع الأول بالنسبة إلى كل من الأخيرين يقتضي أن تكون الفاصلة بين النيروزين الواقعين فيهما بحسب الشهور العربية أكثر من سبعة أشهر و وضع أحد

١٣٦
٥٩

١٣٧
٥٩

(٢) سورة الحديد، آية: ١٧.

(١) هكذا في المطبوعة.

(٣) مَرَّ بِرَقْم وَاحِدٍ مِنْ هَذَا الْبَابِ.

الأخيرين بالنسبة إلى الآخر يقتضي أن تكون الفاصلة أقل من شهر مع أن الأول كان في أواخر رجب والثاني في أواخر شهر رمضان والثالث في أواخر شهر ذي الحجة.

ويمكن الجواب عنه بوجهين:

الأول: ما ذكره بعض الأفاضل وهو أن يقال من السنة التاسعة عشر من مبعثه ﷺ التي وقع فيها قتل پرويز من ملوك العجم إلى آخر زمانه ﷺ اتفق جلوس ثلاثة من ملوك العجم هم شيرويه وأردشير وتوران دخت وكان الأولان قبل فتح مكة والآخر بعده فيمكن إسقاط كل منهم برهة مما مضى من السنة عند جلوسه كما هو عادتهم المستمرة فكان ذلك منشأ لهذا الاختلاف فهذا أيضا دليل بل لدلائل أخرى مستنبطة من الروايتين المذكورتين على بطلان كون المراد بالنبروز المعتبر شرعا هو الاعتدال الربيعي فإنه على ذلك لا يمكن توجيه التواريخ المذكورة فيهما أصلا وكذا حال سائر ما مر من تفاسيره سوى أول فروردين فتعين أن المراد به أول فروردين كما هو المطلوب^(١) انتهى.

١٣٨
٥٩

الثاني: ما خطر ببالي وهو أنه لم يصرح في الحديث بالمبعث بل قال هبط فيه جبرئيل على النبي ﷺ ولا تلازم بينهما إذ المبعث هو أمر الرسول بتبليغ الرسالة إلى القوم ويمكن أن يكون نزول جبرئيل عليه ﷺ قبل ذلك بسنين كما يومئ إليه بعض الأخبار أيضا.

وأما كون كسر الأصنام في فتح مكة فلا يظهر من هذا الخبر ولا من أكثر الأخبار الواردة فيه بل صريح بعض الأخبار وظاهر بعضها كون ذلك قبل الهجرة فيمكن الجمع بينهما بالقول بتعدد وقوع ذلك ويكون أحدهما موافقا للنبروز كما روي من كشف الغمة من مسند أحمد بن حنبل عن أبي مريم عن علي ﷺ قال انطلقت أنا والنبي ﷺ حتى أتينا الكعبة فقال لي رسول الله ﷺ اجلس واصعد على منكبى فنهضت^(٢) به فرأى بي ضعفا وجلس لي النبي ﷺ وقال لي اصعد على منكبى فصعدت على منكبى قال فنهض بي قال فإنه يختل^(٣) إلي أني لو شئت لملت أفق السماء حتى صعدت على البيت وعليه تمثال صفر أو نحاس فجعلت أزاوله عن يمينه وشماله ومن بين يديه ومن خلفه حتى إذا استمكننت منه قال لي رسول الله ﷺ أقذف به فقفزت به فتكسر كما تكسر القوارير ثم نزلت و انطلقت أنا و رسول الله نستيق حتى توارينا بالبيوت خشية أن يلقانا أحد من الناس^(٤) والأخبار بهذا المضمون كثيرة وقد تقدمت وكلها دالة على أن ذلك كان قبل الهجرة وإلا لم يكن لخوفهما وإخفائهما من القوم معنى فارتفع التنافي على أي تفسير كان لعدم معلومية تاريخ نزول جبرئيل ﷺ ولا كسر الأصنام.

فإن قيل قد صرح في الخبر بأنه اليوم الذي حمل فيه رسول الله ﷺ إلح فحمله على ما وقع في الليل بعيد. قلنا حمل اليوم على ما يشمل الليل شائع وسراية فضل الليلة وبركاتها إلى اليوم كثيرة كمواليد النبي ﷺ والأئمة ﷺ وغير ذلك.

١٣٩
٥٩

فإن قيل: تاريخ فتح نهرवान و قتل ذي الدية أيضا مضبوط في مناقب ابن شهر آشوب بتاسع شهر صفر سنة تسع و ثلاثين^(٥) ولا يوافق أول فروردينهم لكونه في السنة المزبورة قبله في أواسط المحرم أو بعده في أواسط شوال على اختلاف الاعتبارين كما مر ولا أول الربيع لكونه فيها بعده في أواخر شوال ولا يجري فيه شيء من التوجيهين. قلنا: سنة الفتح المذكور مضبوطة عند جمهور المؤرخين بما ذكر أو بثمان و ثلاثين وأما شهره و يومه فهم ساكتون عنهما فلا اعتماد في مثل ذلك على نقل واحد منهم.

الفائدة الرابعة: قال أبو ريحان في الكتاب المذكور^(٦) قال بعض الحشوية إن سليمان بن داود ﷺ لما افتقد خاتمه و ذهب عنه ملكه ثم رد إليه بعد أربعين يوما عاد إليه بهاؤه وأنه الملوك وعكفت عليه الطيور فقالت الفرس نوروز آمد أي جاء اليوم الجديد فسمي التوروز وأمر سليمان الريح فحملته واستقبله الخطاف فقال أيها الملك إن لي عشا فيه بيضات^(٧) فاعدل^(٨) ولما نزل حمل الخطاف في متقاره ماء فرشه بين يديه وأهدى له رجل جرادة فذلك

(١) في المصدر: «فذهبت لأتهض» بدل «فنهضت».

(٢) في المصدر: «تخيل».

(٣) مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٩٠ وفيه: «وكان ذلك لتسمع خلون من صفر سنة ثمان و ثلاثين».

(٤) أي في الآثار الباقية.

(٥) في المصدر: «بيضات».

(٦) لم نثر على كتاب هذا الفاضل.

(٧) في المصدر: «تخيل».

(٨) أي في الآثار الباقية.

(٩) في المصدر إضافة: «لا تحملهما».

سبب رش الماء و الهدايا في النوروز و قالت علماء العجم هو يوم مختار لأنه سمي بهرمز و هو اسم الله عز و جل الخالق الصانع العربي للدنيا و أهلها الذي لا يقدر الواصفون على وصف جزء من أجزاء نعمه و إحسانه.

و قال سعيد بن الفضل^(١) جبل دماوند و هو بفارس ترى عليه كل ليلة نوروز بروق تسطع و تلمع على صحو الهواء و تقيمه على كل حال من الزمان و أعجب من هذا نيران كلواذا و إن كان القلب لا يطمئن إليها دون مشاهدتها فقد أخبرني أبو الفرج الزنجاني الحاسب أنه شاهد ذلك مع جماعة قصدوا كلواذا سنة دخول عضد الدولة بغداد و إذا بها نيران و شموع لا تحصى كثرة تظهر في الجانب الغربي من دجلة بإزاء كلواذا في الليلة التي يكون في صبيحتها النوروز فإن السلطان وضع هناك رصدة يتجسسون الحقيقة كيلا يكون ذلك من المجوس أمراً موهوما فلم يبقوا إلا أنها كلما قربوا منها تباعدت و كلما تباعدوا منها قربت فقلت لأبي الفرج إن يوم النوروز زائل عن مكانه لإهمال الفرس كيبستهم فلم لم يتأخر عنه هذا الأمر و إن لم يجب تأخره فهل كان يتقدم وقت استعمال الكييسة فلم يكن عنده جواب مقنع و قال أصحاب النيرنجات^(٢) من لعق يوم النوروز قبل الكلام إذا أصبح ثلاث لعقات غسل و بخر بثلاث قطع من شمع كان ذلك شفاء من الأدواء و كان النوروز فيه جرى الرسم بتهادي الناس بينهم السكر و السبب فيه كما حكى مؤيد بغداد أن قصب السكر إنما ظهر في مملكة جم يوم النوروز و لم يكن يعرف قبل ذلك الوقت و هو أنه رأى قصبة كثيرة الماء قد مجت شيئاً من عصارتها فذاقها فوجد فيها حلاوة لذيدة فأمر باستخراج مائها و عمل منه السكر فارتفع في اليوم الخامس و تهادوه تبركا به و كذلك استعمل في المهرجان و إنما خصوا وقت الانقلاب الصيفي بالابتداء في السنة لأن الانقلابين أولى أن يوقف عليهما بالآلات و العيان من الاعتدالين و ذلك أن الانقلابين هما أوائل إقبال الشمس إلى أحد قطبي الكل و إدبارها عنه بعينه و إذا رصد الظل المنتصب في الانقلاب الصيفي و الظل البسيط في الانقلاب الشتوي في أي موضع اتفق من الأرض لم يخف على الراصد يوم الانقلاب و لو كان من علم الهندسة و الهيئة بأبعد البعد فأما الاعتدالان فإنه لا يوقف على يومهما إلا بعد تقدم المعرفة بعرض البلد و الميل الكلي ثم لا يكون ذلك ظاهراً إلا لمن تأمل الهيئة و مهر في علمها و عرف آلات الرصد و نصيبها و العمل بها فكان الانقلابان لهذه الأسباب أولى بالابتداء من الاعتدالين و كان الصيفي منهما أقرب إلى سمت الرؤوس الشمالية فأثروه على الشتوي و أيضاً فلأنه هو وقت إدراك الغلات فهو أصوب لافتتاح الخراج فيه من غيره و كثير من العلماء و الحكماء اليونانيين أقاموا الطالع لوقت طلوع كلب الجبار و استفتحوا به السنة دون الاعتدال الربيعي من أجل أن طلوعه فيما مضى كان موافقاً لهذا الانقلاب أو بالقرب منه و قد زال هذا اليوم أعني النوروز عن وقته حتى صار في زماننا يوافق دخول الشمس برج الحمل و هو أول الربيع فجرى الرسم لملوك خراسان فيه أن يخلعوا على أساورتهم أي قواد جيوشهم الخلع الربيعية و الصيفية و اليوم السادس منه و هو روز خرداد منه النوروز الكبير و عند الفرس عيد عظيم الشأن قيل إن فيه فرغ الله عن خلق الخلاق لأنه آخر الأيام الستة المذكورة و فيه خلق المشتري و أسعد ساعاته ساعات المشتري و قال أصحاب النيرنجات من ذاق صبيحة هذا اليوم قبل الكلام السكر و تدهن بالزيت دفع عنه في عامة سنته أنواع البلايا و قالوا أمر جمشيد الناس أن يقتسلوا يوم النوروز بالماء ليتطهروا من الذنوب و يفعلوا ذلك كل سنة ليدفع الله عنهم آفات السنة و زعم بعض الناس أن جم كان أمر بحفر أنهار و أن الماء جرى فيها في هذا اليوم فاستبشر الناس بالخصب و اغتسلوا بذلك الماء المرسل فترك الخلف بمحاكاة السلف و قيل بل السبب في الاغتسال هو أن هذا اليوم لهروزا و هو ملك الماء و الماء يناسبه فلذلك صار الناس يقومون في هذا اليوم عند طلوع الفجر فيعمدون إلى ماء القتا و الحياض و ربما استقبلوا المياه الجارية فيفيضون على أنفسهم منها تبركا و دفعاً للآفات و فيه يرش الناس الماء بعضهم على بعض و سببه هو سبب الاغتسال و لما كان بعد جم جعلت الملوك هذا الشهر أعني فروردين ماه كله أعياداً مقسومة في أسداسه فالخمس الأولى للملوك و الثانية للأشراف و الثالثة لخدام الملوك و الرابعة لحواشييه و الخامسة للعامة و السادسة للرعاة إلى آخر ما قال^(٣).

وأقول: إنما أوردت هذا الهذيانات لتطلع على بعض خرافاتهم و لأن فيها تأكيداً لبعض ما أسلفنا في الفوائد السابقة و وجدت في بعض الكتب المعتمدة اعلم أن جمشيد ملك الدنيا و عمر أقاليم إيران فاستوت له أسبابه

(٢) بقية كلام البيروني في الآثار الباقية.

(١) بقية كلام أبي ريعان البيروني.
(٣) الآثار الباقية ص ٢١٥ - ٢١٨ ملخصاً.

واستقامت له أموره يوم النيروز أول فروردین القديم فصار أول سنة العاجم و هو يوم ولد فيه كيومرث بن هبة الله بن آدم ﷺ و أما النيروز السلطاني يوم نزول الشمس أول دقيقة من برج الحمل فوضع في عهد السلطان جلال الدين ملك شاه بن آلب أرسلان و اتفق يوم الخميس التاسع من شهر رمضان سنة إحدى و سبعين و أربعمائة و المهرجان هو يوم النصف من مهر ماه قصد أفريدون الضحاک و أسره بأرض المغرب و سجنه بجبل دماوند هذا اليوم فقال أفريدون لأصحابه أين کار که من کردم مهرجان بان هست فسمي لذلك مهرجان و أول من وضع رسم التهنة في النيروز و المهرجان أفريدون^(١) انتهى.

و أقول: روى المنجمون و الأحكاميون في كتبهم عن أمير المؤمنين ﷺ أياما منحوسة في الشهر و حلوله على شهر الفرس القديم و هي الثالث و الخامس و الثالث عشر و السادس عشر و الحادي و العشرون و الرابع و العشرون و الخامس و العشرون و جمعوها في هذين البيتين بالفارسية.

هفت روزی نحس باشد در مهي	زان حذر کن تا نيابى هيچ رنج
سه و پنج سيزده با شانزده	بيست و يك با بيست و چار و پنج

و ربما يحمل على الشهور العربية كما مر و روى أيضا عن الصادق ﷺ نحوه بعض أيام شهر الفرس القديمة كما نظمه سلطان المحققين نصير الملة و الدين الطوسي قدس الله سره القدوسي في هذه الأبيات بالفارسية.

ز قول جعفر صادق خلاصه سادات	ز ماه فارسيان هفت روز مذمومت
نخست روز سيم باز پنجم و پس از آن	چه روز سيزدهم روز شانزده شومت
ديگر ز عشر سيم بيست و يك چه بيست و چهار	چه بيست و پنج كه آنهم بنحس مرقومت
بجز عبادت كارى مكن در اين ايام	اگر چه نيك و بدت هم ز رزق مقسومت
بماند بيست و سه روز اى خجسته مختار	كه در عموم حوائج بخير مرسومت
ولى چهار و هشتم سفر مكن زنهار	كه خوف هلك در اين هر دو نص محتومت
بروز پانزدهم پيش پادشاه مرو	اگر چه سنگ دلش بر تو نيز چون مومت
گريز نيز در اين روز ناپسند آمد	كه ره مخوف و هواى خلاص مسمومت
مكن دوازدهم با كسى مناظره اى	كه در خصومت اين روز صلح معدومت
ز روزهاى گزيده همين چهار آنكه	در اين حوائج در سلك نحس منظومت ^(٢)

وروى أيضا عن موسى كليم الله ﷺ أن للشهور الرومية أياما منحوسة من توجه فيها إلى القتال قتل و من سافر فيها لم يظفر بمقصوده و من تزوج لم يتمتع و هي أربعة و عشرون يوما في كل شهر يومان و هي العاشر و العشرون من تشرين الأول و الأول و الخامس عشر من تشرين الآخر و الخامس عشر و السابع عشر من كانون الأول و السابع و الرابع عشر من كانون الأول و السادس عشر و السابع عشر من شباط و الرابع و اليوم العشرون من آزار و العشرون و الثالث من نيسان و السادس و الثامن من آيار و الثالث و الثامن من حزيران و العشرون و السادس من تموز و الرابع و الخامس عشر من آب و الأول و الثالث من أيلول و في بعض النسخ التاسع و العاشر من تشرين الأول و التاسع و الثاني عشر من كانون الأول و الثاني و الرابع عشر من كانون الآخر و الثاني عشر و السادس عشر من شباط و الثالث و العاشر من حزيران و في بعضها و الرابع و الحادي عشر من آب.^(٣)

٨- المكارم: عن أبي الحسن ﷺ قال لا تدع الحجمة في سبع من حزيران فإن فأتك فأربع عشرة.^(٤)

(٢) لم نعر على هذه المنظومة.

(٤) مكارم الأخلاق ج ١ ص ١٧٣ رقم ٥١٠.

(١) لم نعر على هذا الكتاب.

(٣) في المصدر: «فلا ربع عشرة».



أبواب الملائكة

باب ٢٣

حقيقة الملائكة وصفاتهم وشؤونهم وأطوارهم

الآيات:

البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ إِلَىٰ آخِرِ الْآيَاتِ (١)﴾
 وقال تعالى ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ
 لِلْمُؤْمِنِينَ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (٢)﴾
 وقال تعالى ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ (٣)﴾
 آل عمران: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ (٤)﴾
 وقال سبحانه ﴿فَنَادَاهُ الْمَلَائِكَةُ هُوَ فَأَيْمُ بِصَلَّىٰ فِي الْمِحْرَابِ (٥)﴾
 وقال عز وجل ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ (٦) الْآيَةَ﴾
 وقال عز وجل ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ (٧) الْآيَةَ﴾
 الأنعام: ﴿وَقَالُوا لَوْ لَا أَنْزَلْ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ لَكُمْ لَا يُنْظَرُونَ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ (٨)﴾
 وقال سبحانه ﴿وَهُوَ الْغَايُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرَطُونَ (٩)﴾
 وقال تعالى ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ
 عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (١٠)﴾
 وقال تعالى ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ (١١)﴾
 الأنفال: ﴿إِنِّي مُبَشِّرُكُمْ بِالْغَلَبِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ إِلَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَتَبَيَّنُوا الَّذِينَ
 آمَنُوا (١٢)﴾

(٢) سورة البقرة، آية: ٩٧ و ٩٨.

(٤) سورة آل عمران، آية: ١٨.

(٦) سورة آل عمران، آية: ٣٢.

(٨) سورة الأنعام، آية: ٨ و ٩.

(١٠) سورة الأنعام، آية: ٩٣.

(١٢) سورة الأنفال، آية: ١٢٦ و ١٢٧.

(١١) سورة البقرة، آية: ٣٠ و ٣٤.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٤٨.

(٥) سورة آل عمران، آية: ٣٩.

(٧) سورة آل عمران، آية: ٤٥.

(٩) سورة الأنعام، آية: ٦١.

(١١) سورة الأنعام، آية: ١٥٨.

الرعد: ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (١).
 وقال تعالى ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَايِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ (٢).
 الحجر: ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَايِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾ (٣).
 وقال سبحانه ﴿وَوَيْلٌ لَّهْمُ عَنْ ضَيْفٍ إِزْرَاهِمَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا﴾ إلى آخر القصة (٤).
 الإسراء: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَايِكَةٌ يَفْشُونَ مَطْمَئِنِّينَ لَنَرْتَنَّا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكَاءَ رَسُولًا﴾ (٥).
 مريم: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ (٦).
 الحج: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَايِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ (٧).
 الفرقان: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَايِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلُ الْمَلَايِكَةَ تَنْزِيلًا﴾ (٨).
 الأحزاب: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحًا وَجُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ (٩).
 سبأ: ﴿وَيَوْمَ يَخْسِرُهُم جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَايِكَةِ أَهْوَلَاءِ إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرَهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ (١٠).
 فاطر: ﴿جَاعِلِ الْمَلَايِكَةَ رُسُلًا أُولَى أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١١).
 الصافات: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا فَالْزَّاجِرَاتِ زَجْرًا فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ (١٢).
 وقال تعالى ﴿فَاسْتَفْتِهِم الرِّبَّكَ الْبَنَاتِ وَلَهُمُ الْبَنُونَ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَايِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِسْبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ إِلَى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَمَا مِثْلَا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ (١٣).
 الزمر: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمَلَايِكَةِ حَافِيْنَ مِّنْ حَوْلِ الْقُرْئِشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ (١٤).
 السجدة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَاوْا تَنْتَزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَايِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَابْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ نَزَّلْنَا مِنْ غُفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ (١٥).
 وقال سبحانه ﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ (١٦).
 حمعسق: ﴿وَالْمَلَايِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ (١٧).
 الزخرف: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ أَمْ اتَّخَذَ مِثْلًا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ إِلَى قَوْلِهِ وَجَعَلُوا الْمَلَايِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّا شَاهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتَكْتَبُ شَهَادَتَهُمْ وَيُسْتَلُونَ﴾ (١٨).
 وقال ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِثْلَكُمْ مَلَايِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾ (١٩).
 الذاريات: ﴿فَالْمَقْسَمَاتِ أَمْرًا﴾ (٢٠).

- | | |
|------------------------------------|---------------------------------|
| (١) سورة الرعد، آية: ١١. | (٢) سورة الرعد، آية: ١٣. |
| (٣) سورة الحجر، آية: ٨. | (٤) سورة الحجر، آية: ٥٩ - ٦٠. |
| (٥) سورة الإسراء، آية: ٩٥. | (٦) سورة مريم، آية: ١٧. |
| (٧) سورة الحج، آية: ٥٥. | (٨) سورة الفرقان، آية: ٢٢ - ٢٥. |
| (٩) سورة الأحزاب، آية: ٩. | (١٠) سورة السبأ، آية: ٤٠ و ٤١. |
| (١١) سورة فاطر، آية: ١. | (١٢) سورة الصافات، آية: ١ - ٣. |
| (١٣) سورة الصافات، آية: ١٤٩ - ١٦٦. | (١٤) سورة الزمر، آية: ٧٠. |
| (١٥) سورة فصلت، آية: ٣٠ - ٣٢. | (١٦) سورة فصلت، آية: ٢٨. |
| (١٧) سورة الشورى، آية: ٥. | (١٨) سورة الزخرف، آية: ١٥ - ١٩. |
| (١٩) سورة الزخرف، آية: ٦٠. | (٢٠) سورة الذاريات، آية: ٤. |

الحاقة: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَانِهَا﴾ (١)

المعارج: ﴿تَنْزُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (٢)

المدثر: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (٣)

المرسلات: ﴿وَالْمُرْسَلَاتُ عُرْفًا فَأَلْعَافِيَاتُ غَضًّا وَالتَّائِيَاتُ نَشْرًا فَأَلْفَارِقَاتُ فُرْقًا فَأَلْمُغْنِيَاتُ ذِكْرًا عُدْرًا أَوْ نَذْرًا﴾ (٤)

النبا: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ (٥)

النازعات: ﴿وَالنَّازِعَاتُ غُرَقًا وَالتَّائِيَاتُ نَضْطًا وَالسَّائِحَاتُ سِحْبًا فَأَلْسِفَاتُ سَبْعًا فَأَلْمُذِرَاتُ أَثَرًا﴾ (٦)

عبس: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ قَتَلَ الْإِنْسَانَ﴾ (٧)

تفسير:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ (٨) قد مر تفسيرها في المجلد الخامس و تدل الآيات على كثير من أحوال الملائكة ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ (٩) قال الطوسي رحمه الله روي أن ابن سوريا و جماعة من يهود فذك أتوا النبي ﷺ فسأوه عن مسائل فأجابهم فقال له ابن سوريا خصلة واحدة إن قلتها أمنت بك و اتبعتك أي ملك يأتيك بما أنزل الله عليك (١٠) قال فقال جبرئيل قال ذلك عدونا و ينزل بالقتال و الشدة و الحرب و ميكائيل ينزل باليسر و الرخاء فلو كان ميكائيل هو الذي يأتيك لأمننا بك فأنزل الله هذه (١١) الآية ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (١٢) لا من تلقاء نفسه و إنما أضافه إلى قلبه لأنه إذا أنزل عليه كان يحفظه و يفهمه بقلبه و معنى قوله ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بأمر الله و قيل أراد بعلمه أو بإعلام الله إياه ما ينزله على قلبك ﴿مُضْطَرًّا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي من الكتب موافقا لها ﴿وَهَدَىٰ وَبَشَّرَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بمعناه كان فيما أنزله من الأمر بالحرب و الشدة على الكافرين فإنه هدى و بشرى للمؤمنين ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَ الْمَلَائِكَةِ وَ رُسُلِهِ﴾ (١٣) معناه من كان معاديا لله أي يفعل فعل المعادي من المخالفة و العصيان و قيل المراد معادة أوليائه ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ أعاد ذكرهما لفضلهما و لأن اليهود خصوصا بالذكر فإن الله عدو للكَافِرِينَ إنما لم يقل لهم لأنه قد يجوز أن ينتقلوا عن العداوة بالإيمان (١٤) انتهى.

وأقول: الظاهر أن التعبير بالكافرين عنهم لبيان أن هذا أيضا من موجبات كفرهم و تدل الآية على أنه تجب محبة الملائكة و أن عداوتهم كفر.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ (١٥) قال الطبرسي رحمه الله أي نشاهده فنصدقه ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا﴾ على ما اقترحوه لما آمنوا به فاقتضت الحكمة استئصالهم و ذلك معنى قوله ﴿لَقَضَى الْأَمْرُ لَكُمْ لِنَظَرُونَ﴾ و قيل معناه لو أنزلنا ملكا في صورته لقامت الساعة أو وجب استئصالهم ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا﴾ (١٦) أي الرسول و الذي (١٧) ينزل عليه ليشهد بالرسالة كما يطلبون ذلك لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا لَّأَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرَوْا الْمَلَكَ فِي صُورَتِهِ لِأَنَّهُ أَعْيَنُ الْخَلْقِ تَحَارَ عَنْ رُؤْيَةِ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا بَعْدَ التَّجَسُّمِ بِالْأَجْسَامِ الْكَثِيفَةِ وَلِذَلِكَ كَانَتْ الْمَلَائِكَةُ تَأْتِي الْأَنْبِيَاءَ فِي صُورَةِ الْإِنْسَانِ وَكَانَ جِبْرِيلُ ﷺ يَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ فِي صُورَةِ دَحِيَّةِ الْكَلْبِيِّ وَكَذَلِكَ تَبَأُ الْخَصْمُ إِذْ تَسْتَوْرُوا الْخِزَابَ وَ إِيْتَانِهِمْ إِبْرَاهِيمَ وَ لُوطَا فِي صُورَةِ الضِّيْفَانِ مِنَ الْأَدْمِيِّينَ ﴿وَلَلْبَشَرِ لَعَلَّهُمْ مَا يُلَبِّسُونَ﴾ قال الزجاج كانوا هم يلبسون على ضعفهم في أمر النبي ﷺ فيقولون إنما هذا بشر مثلكم فقال لو أنزلنا ملكا فأروهم الملك رجالا لكان يلحقهم فيه من اللبس مثل ما لحق ضعفهم

(١) سورة الحاقة، آية: ١٧.

(٣) سورة المدثر، آية: ٣٠ و ٣١.

(٥) سورة النبا، آية: ٣٨.

(٧) سورة عبس، آية: ١٥ - ١٧.

(٩) سورة البقرة، آية: ٩٧ و ما بعدها.

(١١) إلى هنا كلام الطوسي في تفسير التبيان ج ١ ص ٣٦٣ ذكره الطبرسي في تفسيره، و ذكر أيضا ما جاء بعده.

(١٢) سورة البقرة، آية: ٩٧.

(١٤) مجمع البيان ج ١ ص ١٦٧ ملخصا.

(١٦) سورة الأنعام، آية: ٩ و ما بعدها.

(٢) سورة المعارج، آية: ٤.

(٤) سورة المرسلات، آية: ١ - ٦.

(٦) سورة النازعات، آية: ١ - ٥.

(٨) سورة البقرة، آية: ٣٠.

(١٠) في المصدر: «بما ينزل الله لك».

(١٢) سورة الأنعام، آية: ٨ و ما بعدها.

(١٤) سورة البقرة، آية: ٩٨.

(١٦) في المصدر «أني لو جعلنا الرسول ملكا أو الذي».

منهم و قيل لو أنزلنا ملكا لما عرفوه إلا بالتفكر و هم لا يتفكرون فيقولون في اللبس الذي كانوا فيه و أضاف اللبس إلى نفسه لأنه يقع عند إنزاله الملائكة. (١)

و قال رحمه الله في قوله تعالى ﴿وَوَيْلٌ لَّكَ مِنْ حَفَظَةٍ﴾ (٢) أي ملائكة يحفظون أعمالكم و يحصونها عليكم و يكتبونها و في هذا لطف للعباد لينزجروا عن المعاصي إذا علموا أن عليهم حفظة من عند الله يشهدون بها عليهم يوم القيامة ﴿تَوَفَّنَهُ﴾ أي تقبض روحه ﴿رُسُلَنَا﴾ أي أعوان ملك الموت عن ابن عباس و غيره قالوا و إنما يقبضون بأمره (٣) و لذا أضاف التوفي إليه في قوله ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾ (٤) ﴿وَهُمْ لَا يَفْهَمُونَ﴾ أي لا يضعون أو لا يغفلون و لا يتوانون أو لا يعجزون. (٥)

و قال البيضاوي في قوله سبحانه ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ﴾ (٦) حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه أي و لو ترى الظالمين ﴿فِي غَرَابِ الْمَوْتِ﴾ أي في (٧) شدائده من غمره الماء إذا غشيه ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾ بقبض أرواحهم كالمقتاضي السلط أو بالعذاب ﴿أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي يقولون لهم أخرجوها إلينا من أجسادكم تغليظا تعنيفا عليهم أو أخرجوها من العذاب و خلصوها من أيدينا ﴿الْيَوْمَ﴾ يريد به وقت الإماتة أو الوقت الممتد من الإماتة إلى ما لا نهاية له ﴿تَجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ أي الهوان يريد العذاب المتضمن لشدة و إهانة (٨) انتهى.

﴿لَهُ مَعْقَبَاتٌ﴾ قال الطبرسي رحمه الله اختلف في الضمير الذي في ﴿لَهُ﴾ على وجوه:

أحدها: أنه يعود إلى ﴿مَنْ﴾ في قوله ﴿مَنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾. (٩)

والآخر: أنه يعود إلى اسم الله تعالى و هو ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾. (١٠)

و ثالثها: أنه يعود إلى النبي ﷺ في قوله ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾ (١١) و اختلف في المعقبات على أقوال:

أحدها: أنها الملائكة يتعاقبون تعقب ملائكة الليل ملائكة النهار و ملائكة النهار ملائكة الليل و هم الحفظة يحفظون علي العبد عمله و قال الحسن هم أربعة أملاك يجتمعون عند صلاة الفجر و هو معنى قوله ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (١٢) و قد روي ذلك أيضا عن أئمتنا.

و الثاني: أنهم ملائكة يحفظونه من المهالك حتى ينتهوا به إلى المقادير فيحولون (١٣) بينه و بين المقادير عن علي عليه السلام و قيل هم عشرة أملاك على كل آدمي يحفظونه من بين يديه و من خلفه ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (١٤) أي يطوفون به كما يطوف الملك الموكل بالحفظ و قيل يحفظون ما تقدم من عمله و ما تأخر إلى أن يموت فيكتبونه و قيل يحفظونه من وجوه المهالك و المعاطب و من الجن و الإنس و الهوام و قال ابن عباس يحفظونه مما لم يقدر نزوله فإذا جاء المقدر بطل الحفظ و قيل من أمر الله أي بأمر الله و قيل يحفظونه عن خلق الله فتكون من بمعنى عن قال كعب لو لا أن الله وكل بكم ملائكته يذبون عنكم في مطعمكم و مشربكم و عوراتكم ليخطفنكم الجن (١٥) انتهى.

و قال الرازي في تفسيره روي أنه قيل يا رسول الله أخبرني عن العبد كم معه من ملك فقال ﷺ ملك عن يمينك للحسنات (١٦) هو أمين على الذي على الشمال فإذا عملت حسنة كتب عشرا و إذا عملت سيئة قال الذي على الشمال لصاحب اليمين اكتب قال (١٧) لا لعله يتوب فإذا قال ثلاثا قال نعم اكتب أرحنا الله منه قَبِشَ الْقَرِينِ ما أقل مراقبته لله و استحياه منا فهو (١٨) قوله تعالى ﴿لَهُ مَعْقَبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ و ملك قابض على ناصيته إذا تواضعت

(١) مجمع البيان ج ٤ ص ٢٧٦ ملخصاً.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٦١.

(٣) في المصدر: «وإنما يقبضون الأرواح بأمره و لذلك».

(٤) سورة السجدة، آية: ١١.

(٥) مجمع البيان ج ٤ ص ٢١٣ ملخصاً.

(٦) سورة الأنعام، آية: ٩٣.

(٧) عبارة: «أي في» ليست في المصدر.

(٨) أنوار التنزيل ج ١ ص ٣١٢.

(٩) سورة الرعد، آية: ١٠.

(١٠) سورة الأنعام، آية: ٧٣.

(١١) سورة الرعد، آية: ٧.

(١٢) سورة الإسراء، آية: ٧٨.

(١٣) في المصدر: «فيحولون».

(١٤) سورة الرعد، آية: ١١.

(١٥) مجمع البيان ج ٦ ص ٢٨٠ - ٢٨١.

(١٦) في المصدر: «فيقول».

(١٧) في المصدر: «و ملكان من بين يديك و من خلفك فهو قوله تعالى».

(١٨) في المصدر: «و ملكان من بين يديك و من خلفك فهو قوله تعالى».

لربك رفعك وإن تجبرت قصمك و ملكان على شفتيك يحفظان عليك الصلاة و ملك^(١) على فيك لا يدع أن تدخل الحية في فيك و ملك على عينيك فهؤلاء: عشرة أملاك على كل آدمي ملائكة الليل^(٢) و ملائكة النهار فهم عشرون ملكا على كل آدمي.^(٣)

ثم قال فإن قيل ما الفائدة في جعل هؤلاء الملائكة موكلين علينا قلنا اعلم أن هذا الكلام غير مستبعد و ذلك لأن المنجمين اتفقوا على أن التدبير في كل يوم لكركب على حدة و كذا القول في كل ليلة و لا شك أن تلك الكواكب لها أرواح عندهم فتلك التدبيرات المختلفة في الحقيقة لتلك الأرواح و أما أصحاب الطلسمات فهذا الكلام مشهور في أئمتهم و لذلك فإنهم^(٤) يقولون أخبرني طبائع^(٥) التام و مرادهم بالطبائع التام أن لكل إنسان روحا فلكية تتولى إصلاح مهماته و رفع^(٦) بلياته و آفاته و إذا كان هذا متفقا عليه بين قدماء الفلاسفة و أصحاب الأحكام فكيف يستبعد مجيئه من الشرع و تمام التحقيق فيه أن الأرواح البشرية مختلفة في جواهرها و طبائعها فبعضها خيرة و بعضها شريرة^(٧) و بعضها قوية القهر و السلطان و بعضها سخفة^(٨) و كما أن الأمر في الأرواح البشرية كذلك الأمر^(٩) في الأرواح الفلكية لكنه^(١٠) لا شك أن الأرواح الفلكية في كل باب و صفة أقوى من الأرواح البشرية فكل طائفة من الأرواح تكون مشاركة^(١١) في طبيعة خاصة و صفة مخصوصة فإنها تكون في مرتبة روح من الأرواح الفلكية مشكلة لها في الطبيعة و الخاصية و تكون تلك الأرواح البشرية كأنها أولاد لذلك الروح الفلكي و متى كان الأمر كذلك فإن ذلك الروح الفلكي يكون معينا لها على مهماتها و مرشدا لها إلى مصالحها و عاصما لها من صنوف الآفات فهذا كلام ذكره محققو الفلاسفة و إذا كان الأمر كذلك علمنا أن الذي وردت به الشريعة أمر معقول مقبول عند الكل فكيف يمكن استنكاره من الشريعة.

فإن قيل^(١٢) ما الفائدة في اختصاص هؤلاء الملائكة مع بني آدم و تسليطهم عليهم. قلنا فيه وجه:

الأول: أن الشياطين يدعون إلى الشرور و المعاصي و هؤلاء الملائكة يدعون إلى الخيرات و الطاعات.

الثاني: قال مجاهد ما من عبد إلا و معه ملك موكل يحفظه من الجن و الإنس و الهوام في نومه و يقظته.

الثالث: أنا نرى أن الإنسان قد يقع في قلبه داع قوي من غير سبب ثم يظهر بالآخرة أن وقوع تلك الداعية في قلبه كان سببا من أسباب مصلحته^(١٣) و خيراته و قد ينكشف أيضا بالآخرة أنه كان سببا لوقوعه في آفة أو معصية و مفسدة فظهر أن الداعي إلى الأمر الأول كان مريدا للخير و الراحة و إلى الأمر الثاني كان مريدا للفساد و المحنة و الأول هو الملك الهادي و الثاني هو الشيطان المغوي.

الرابع: أن الإنسان إذا علم أن الملائكة تحصى عليه أعماله كان إلى الحذر من المعاصي أقرب لأن من آمن يعتقد جلالة الملائكة و علو مراتبهم فإذا حاول الإقدام على معصية و اعتقد أنهم يشاهدونها زجرة الحياء منهم عن الإقدام عليها كما يزجره إذا حضر^(١٤) من يعظمه من البشر و إذا علم أن الملائكة^(١٥) يكتبونها كان الردع أكمل.

فإن قيل^(١٦) ما الفائدة في كتب^(١٧) أعمال العباد؟ قلنا: ها هنا مقامان.^(١٨)

(١) عبارة: «و ملك» ليست في المصدر.

(٢) التفسير الكبير ج ١٩ ص ١٨ و ١٩.

(٣) في المصدر: «الطبايع».

(٤) في المصدر إضافة: «و بعضها معزة» و بعضها مذلة.

(٥) في المصدر: «فكذا القول».

(٦) في المصدر و بعض النسخ: «مشاركة».

(٧) في المصدر: «ثم في اختصاص هؤلاء الملائكة و تسليطهم على بني آدم فوائد كثيرة سوى التي ذكرها من قبل. الأول ...».

(٨) في المصدر: «مصلحته».

(٩) في المصدر: «و إذا علم أن الملائكة تحصى عليه الأعمال كان ذلك أيضا رادعا له منها. و إذا علم أن الملائكة يكتبونها ...».

(١٠) في المصدر: «السؤال الخامس».

(١١) في المصدر: «مقامات».

(١٢) في المصدر: «تبدل ملائكة الليل بملائكة النهار».

(١٣) كذا في النسخ و في المصدر: «تراهم يقولون».

(١٤) في المصدر: «و دفع».

(١٥) في المصدر: «ضعيفة سخيفة».

(١٦) في المصدر: «و» بدل «لكنه».

المقام الأول: أن تفسير الكتبة بالمعنى المشهور من الكتب قال المتكلمون الفائدة في تلك الصحف وزنها^(١) فإن رجحت كفة الطاعات ظهر للخلائق أنه من أهل الجنة وبالضد^(٢) قال القاضي هذا بعيد^(٣) لأن الأدلة قد دلت على أن كل أحد قبل مماته عند المعاينة يعلم أنه من السعداء أو من الأشقياء فلا يجوز توقيف حصول تلك المعرفة على الميزان ثم أجاب^(٤) وقال لا يمتنع ما روينا لأمر يرجع إلى حصول سروره عند الخلق العظيم أنه من أولياء الله في الجنة وبالضد من ذلك في أعداء الله.

والمقام الثاني: وهو قول حكماء الإسلام إن الكتبة^(٥) عبارة عن نقوش مخصوصة وضعت بالاصطلاح لتعريف بعض المعاني المخصوصة فلو قدرنا تلك النقوش دالة على تلك المعاني لأعيانها وذواتها كانت تلك الكتبة أقوى وأكمل إذا ثبت هذا فنقول إن الإنسان إذا أتى بعمل من الأعمال مرات وكرات كثيرة متوالية حصلت في نفسه بسبب تكرارها^(٦) ملكة قوية راسخة فإن كانت تلك الملكة نافعة^(٧) في السعادات الروحية عظم ابتهاجه بها بعد الموت وإن كانت تلك الملكة ضارة في الأحوال الروحية عظم ضرره بها بعد الموت إذا ثبت هذا فنقول إن التكرير الكثير لما كان سببا لحصول تلك الملكة الراسخة كان لكل واحد من تلك الأعمال المتكررة أثر في حصول تلك الملكة الراسخة وذلك الأثر وإن كان غير محسوس إلا أنه حاصل في الحقيقة وإذا عرفت هذا ظهر أنه لا يحصل للإنسان لمحة ولا حركة ولا سكون إلا ويحصل منه في جوهر نفسه أثر من آثار السعادة أو أثر من آثار الشقاوة قل أو كثر فهذا هو المراد من كتبة الأعمال عند هؤلاء والله العالم بحقائق الأمور^(٨) انتهى.

وإنما نقلنا كلامه لتطلع على تحريفات الفلاسفة وتأويلاتهم للآيات والأخبار من غير ضرورة سوى الاستيعادات الوهمية وعدم الاعتناء بكلام صاحب الشريعة.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا﴾^(٩) أي العابدين لغير الله والمعبودين ﴿أَهُؤُلَاءِ إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُونَ﴾^(١٠) على الإنكار ليعترفوا بخلافه ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ أي تنزيها لك عن أن يعبد سواك ﴿أَنْتَ وَلَيْسَ﴾ أي ناصرنا وأولى بنا من دونهم أي من دون هؤلاء الكفار وما كنا نرضى بعبادتهم إيانا ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾^(١١) أي إبليس وذريته حيث أطاعوهم فيما دعوهم إليه من عبادة الملائكة وغيرهم ﴿أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ مصدقون بالشیاطين مطيعون لهم.

﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾^(١٢) قال الطبرسي رحمه الله أي إلى الأنبياء بالرسالات والوحي ﴿أَوَّلَىٰ أُخْبِنَ﴾ جعلهم كذلك ليمسكوا بها من العروج إلى السماء ومن النزول إلى الأرض فمنهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة أجنحة ومنهم من له أربعة أجنحة عن قتادة وقال يزيد فيها ما يشاء وهو قوله ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ قال ابن عباس رأى رسول الله جبرئيل ليلة المعراج وله ستمائة جناح وقيل أراد بقوله ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ حسن الصوت وقيل هو الملاحه في العينين وعن النبي ﷺ قال هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن.^(١٣)

وقال الرازي أقل ما يكون لذي الجناح أن يكون له جناحان وما بعدهما زيادة وقال قوم فيه إن الجناح إشارة إلى الجهة وبيانه هو أن الله ليس فوقه شيء وكل شيء فهو تحت قدرته ونعمته والملائكة لهم وجه إلى الله يأخذون منه نعمه ويعطون من دونهم ما أخذوا بإذن الله كما قال تعالى ﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾^(١٤) وقوله ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾^(١٥) وقال تعالى في حقهم ﴿قَالُمُذْ بَرَاتِ أَمْرًا﴾^(١٦) فهما جناحان وفيهم من يفعل الخير بواسطة وفيهم من يفعله لا بواسطة فالفاعل بواسطة فيه ثلاث جهات وفيهم من له أربع جهات وأكثر والظاهر ما ذكرناه أولا وهو الذي عليه إطباق المفسرون.^(١٧)

(١) في المصدر إضافة: «ليعرف رجحان إحدى الكتبتين على الأخرى».

(٢) في المصدر: «يعد».

(٣) في المصدر: «وإن كان بالضد فبالضد».

(٤) كذا في النسخ: وفي المصدر: «أن الكتابة...».

(٥) في المصدر: «ثم أجاب القاضي عن هذا الكلام».

(٦) في المصدر: «تكررها».

(٧) التفسير الكبير ج ١٩ ص ١٩ - ٢١.

(٨) سورة سبأ: آية: ٤٠.

(٩) سورة سبأ: آية: ٤١.

(١٠) مجمع البيان ج ٨ ص ٤٠٠ ملخصاً.

(١١) سورة فاطر: آية: ١.

(١٢) سورة الشعراء: آية: ١٩٣ - ١٩٤.

(١٣) سورة النجم: آية: ٥.

(١٤) سورة النازعات: آية: ٥.

و قال في قوله تعالى ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ الآيات هذه الأشياء الثلاثة المقسم بها يحتمل أن تكون صفات ثلاثة لموصوف واحد و يحتمل أن تكون أشياء ثلاثة متباعدة أما على التقدير الأول ففيه وجوه:

الأول: أنها صفات الملائكة و تقريره أن الملائكة يقفون صفوفًا إما في السماوات لأداء العبادات كما أخبر الله تعالى عنهم أنهم قالوا ﴿وَأِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾^(١) و قيل إنهم يصفون أجنتهم في الهواء و يقفون منتظرين وصول أمر الله إليهم و يحتمل أيضًا أن يقال معنى كونهم صفوفًا أن لكل واحد منهم مرتبة و درجة معينة في الشرف و الفضيلة أو في الذات و العلية و تلك الدرجات المترتبة باقية غير متغيرة و ذلك نسبة^(٢) الصفوف و أما قوله تعالى ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾^(٣) فقال الليث زجرت البعير أجزره زجرًا إذا حثته ليمضي و زجرت فلان عن سوء فأنزجر أي نهيته فانتهى فعلى هذا الزجر للبعير كالحث و للإنسان كالنهى فنقول في وصف الملائكة بالزجر وجوه:

الأول: قال ابن عباس يريد الملائكة التي وكلوا بالسحاب يزجرونها بمعنى أنهم يأتون بها من موضع إلى موضع. الثاني: المراد منه أن الملائكة لهم تأثيرات في قلوب بني آدم على سبيل الإلهامات فهم يزجرونها عن المعاصي زجرًا.

الثالث: لعل الملائكة أيضًا يزجرون الشياطين عن التعرض لبني آدم بالشر و الإيذاء.

وأقول: قد ثبت في العلوم العقلية أن الموجودات على ثلاثة أقسام مؤثر لا يقبل الأثر و هو الله سبحانه و هو أشرف الموجودات و متأثر لا يؤثر و هو عالم الأجسام و هو أخس الموجودات و موجود يؤثر في شيء و يتأثر عن شيء آخر و هو عالم الأرواح و ذلك لأنها تقبل الأثر عن عالم كبرياء الله ثم إنها تؤثر في عالم الأجسام و اعلم أن الجهة التي باعتبارها تقبل الأثر من عالم كبرياء الله غير الجهة التي باعتبارها تستولي على عالم الأجسام و تقدر على التصرف فيها و قوله ﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾^(٤) إشارة إلى الأشرف من الجهة التي باعتبارها يقوى^(٥) على التأثير في عالم الأجسام إذا عرفت هذا فقولوه ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾^(٦) إشارة إلى وقفها صفا صفا في مقام العبودية و الطاعة و الخضوع و الخشوع و هو^(٧) الجهة التي باعتبارها تقبل تلك الجواهر القدسية أصناف الأنوار الإلهية و الكمالات الصمدية و قوله تعالى ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾^(٨) إشارة إلى تأثير الجواهر الملكية في تنوير الأرواح القدسية البشرية و إخراجها من القوة إلى الفعل و ذلك أنه كالقطرة بالنسبة إلى البحر و كالشعلة بالنسبة إلى الشمس و أن هذه الأرواح البشرية إنما تنتقل من القوة إلى الفعل في المعارف الإلهية و الكمالات الروحانية بتأثيرات جواهر الملائكة و نظيره قوله تعالى ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾^(٩) و قوله ﴿وَنَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ﴾^(١٠) و قوله ﴿فَالْمُحْيِيَاتِ ذِكْرًا﴾^(١١).

إذا عرفت هذا فنقول في هذه الآية دقيقة أخرى و هي أن الكمال المطلق للشيء إنما يحصل إذا كان تاما و فوق التام و المراد بكونه تاما أن تحصل الكمالات اللاتقة به حصولا بالفعل و المراد بكونه فوق التام أن يفيض منه أصناف الكمالات و التوالدات^(١٢) على غيره و من المعلوم أن كونه كاملا في ذاته مقدم على كونه مكملًا لغيره إذا عرفت هذا فقولوه ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾^(١٣) إشارة إلى استكمال جواهر الملائكة في ذاتها وقت وقفها في مواقف العبودية و صفوف الخدمة و الطاعة و قوله تعالى ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾^(١٤) إشارة إلى كيفية تأثيراتها في إزالة ما لا ينبغي عن جواهر الأرواح البشرية و قوله تعالى ﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾^(١٥) إشارة إلى كيفية تأثيراتها في إفاضة الجلايا القدسية و الأنوار الإلهية على الأنوار^(١٦) الناطقة البشرية فهذه مناسبات عقلية و اعتبارات دقيقة^(١٧) تنطبق عليها هذه الأنفاظ الثلاثة^(١٨).

(١) في المصدر: «يشبه».

(٢) سورة الصافات، آية: ٣.

(٣) سورة الصافات، آية: ١.

(٤) سورة الصافات، آية: ٢.

(٥) سورة الشعراء، آية: ١٩٣ - ١٩٤.

(٦) في المصدر: «والعبادات».

(٧) سورة الصافات، آية: ٣.

(٨) في المصدر: «الأرواح».

(٩) التفسير الكبير ج ٢٦ ص ١١٤ - ١١٥.

(١٠) سورة الصافات، آية: ١٦٥.

(١١) سورة الصافات، آية: ٢.

(١٢) في المصدر: «تقوى».

(١٣) في المصدر: «و هو».

(١٤) سورة النحل، آية: ٢.

(١٥) سورة المرسلات، آية: ٥.

(١٦) سورة الصافات، آية: ١.

(١٧) سورة الصافات، آية: ٣.

(١٨) في المصدر: «حقيقة».

الثاني: أن تحمل هذه الصفات على النفوس البشرية الطاهرة المقدسة المقبلة على عبودية الله تعالى الذين هم ملائكة الأرض و بيانه من وجهين:

الأول: أن قوله ﴿وَالصَّافَاتِ صَفًّا﴾ المراد به الصفوف الحاصلة عند أداء الصلاة بالجماعة وقوله ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ إشارة إلى قراءة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم كأنهم بسبب قراءة هذه الكلمة يزجرون الشياطين عن إلقاء الوسواس في قلوبهم في أثناء الصلاة وقوله ﴿فَالثَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ إشارة إلى قراءة القرآن في الصلاة وقيل ^(١) إلى رفع الصوت بالقراءة كأنه يزجر الشيطان بواسطة رفع الصوت.

والوجه الثاني: أن المراد بالأول الصفوف الحاصلة من العلماء المحققين الذين يدعون إلى دين الله تعالى و الثاني اشتغالهم بالزجر عن الشبهات والشهوات و الثالث اشتغالهم بالدعوة إلى دين الله و الترغيب في العمل بشرائع الله.

الوجه الثالث: أن نعملها على أحوال الغزاة و المجاهدين في سبيل الله فالمراد بالأول صفوف القتال كقوله ^(٢) تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُبَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾ ^(٣) و الثاني رفع الصوت بزجر الخيل و الثالث اشتغالهم وقت شروعه في محاربة العدو بقراءة القرآن و ذكر الله بالتهليل والتقدس.

والوجه الرابع: أن نجعلها صفات لآيات القرآن فالأول المراد به كونها أنواعا مختلفة بعضها في دلائل التوحيد و بعضها في بيان التكليف و الأحكام و بعضها في تعليم الأخلاق الفاضلة و هذه الآيات مترتبة ^(٤) ترتيبا لا يتغير و لا يتبدل فهي تشبه أشخاصا واقفين في صفوف معينة و بالثاني الآيات الزاجرة عن الأفعال المنكرة و بالثالث الآيات الدالة على وجوب الإقدام على أعمال البر و الخير و وصف الآيات بكونها تالية على قانون ما يقال شعر شاعر و كلام قائل قال تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ ^(٥) و أما الاحتمال الثاني هو أن يكون المراد بهذه الثلاثة أشياء متغايرة فليل المراد بقوله ﴿وَالصَّافَاتِ صَفًّا﴾ ^(٦) الطير من قوله تعالى ﴿وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ﴾ و الزاجرات كل ما زجر عن معاصي الله و التاليات كل ما يتلى من كتاب الله.

وأقول: فيه وجه آخر و هو أن مخلوقات الله إما جسمية و إما روحانية أما الجسمية فإنها مترتبة على طبقات و درجات لا يتغير البتة.

فالأرض وسط العالم و هي محفوفة بكرة الماء و الماء محفوف بالهواء و الهواء ^(٧) بالنار ثم هذه الأربعة ^(٨) بكرات الأفلاك إلى آخر العالم الجسماني فهذه الأجسام كأنها صفوف وافقة على عتبة جلال الله تعالى و أما الجواهر الروحانية الملكية ^(٩) فهي على اختلاف درجاتها و تبين صفاتها مشتركة في صفتين أحدهما التأثير في عالم الأجسام بالتحريك و التصرف ^(١٠) و إليه الإشارة بقوله ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ ^(١١) فإننا بينا أن المراد من هذا الزجر الشوق و التحريك و الثاني الإدراك و المعرفة و الاستغراق في معرفة الله و الثناء عليه و إليه الإشارة بقوله تعالى ﴿فَالثَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ ^(١٢) و لما كان الجسم أدنى منزلة من الأرواح المشتغلة بالتصرف في الجسمانيات و هي أدون منزلة من الأرواح المستغرقة في معرفة جلال الله المقبلة على تسييح الله كما قال ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ ^(١٣) لا جرم بدأ في المرتبة الأولى بذكر الأجسام ثم ذكر ^(١٤) الأرواح المدبرة لأجسام هذا العالم ثم ذكر أعلى الدرجات و هي الأرواح المقدسة المتوجهة بكليتها إلى معرفة جلال الله و الاستغراق في الثناء عليه فهذه احتمالات خظرت بالبال و العالم بأسرار كلام الله ليس إلا الله. ^(١٥)

- (١) في المصدر إضافة: «فالزاجرات زجراً» إشارة.
(٢) سورة الصف، آية: ٤.
(٣) سورة الإسراء، آية: ٩.
(٤) سورة النور، آية: ٤١.
(٥) في المصدر إضافة: «محفوفة».
(٦) في المصدر: «والتصرف».
(٧) سورة الصافات، آية: ٣.
(٨) في المصدر إضافة: «في المرتبة الثانية».
(٩) في المصدر إضافة: «في المرتبة الثانية».
(١٠) في المصدر إضافة: «في المرتبة الثانية».
(١١) في المصدر إضافة: «في المرتبة الثانية».
(١٢) في المصدر إضافة: «في المرتبة الثانية».
(١٣) في المصدر إضافة: «في المرتبة الثانية».
(١٤) في المصدر إضافة: «في المرتبة الثانية».
(١٥) التفسير الكبير ج ٢٦ ص ١١٥ - ١١٧ مع اختلاف سير و تلخيص.

﴿فَاسْتَفْتَيْهِمْ زَيْزَكُ النَّبَاتِ وَلَهُمُ الْبُتُونُ﴾^(١) قال البيضاوي أمر باستفتائهم حيث جعلوا لله البنات ولأنفسهم البنين في قولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء زادوا على الشرك ضلالات أخرى التجسيم وتجويز الفناء على الله فإن الولادة مخصوصة بالأجسام الكائنة الفاسدة وتفضيل أنفسهم عليه على وجه القسمة حيث جعلوا أوضاع الجنسين له وأرفعهما لهم واستهانتهم بالملائكة حيث أنشؤهم ولذلك كرر الله إنكار ذلك وإبطاله في كتابه مرارا وجعله مما تكاد السماوات يتنظرن منه وتتشق الأرض وتجر الجبال هدأً وإنكارها ما مقصور على الآخرين لاختصاص هذه الطائفة بهما ولأن فسادهما مما تدركه العامة بمقتضى طباعهم حيث جعل المعادل للاستفهام على التقسيم «أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ»^(٢) وإنما خص علم الشاهدة لأن أمثال ذلك لا تعلم إلا به^(٣) فإن الأثوة ليست من لوازم ذاتهم ليسكن معرفته بالعقل الصرف مع ما فيه من الاستهزاء والإشعار بأنهم لفرط جهلهم يبنون به كأنهم قد شاهدوا خلقهم «وَالَا إِلَهُمْ مِنْ إِنْكَهَمُ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ»^(٤) لعدم ما يقتضيه وقيام ما ينفيه «وَوَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ» فيما يتدينون به «وَاضْطَلَى النَّبَاتُ عَلَى النَّبِيِّينَ»^(٥) استفهام إنكار واستبعاد والاصطفاء أخذ صفوة الشيء «مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ»^(٦) بما لا يرتضيه عقل «أَفَلَا تَذَكَّرُونَ»^(٧) أنه منزّه عن ذلك «أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ»^(٨) حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بأن الملائكة بناته «فَأَنزَلْنَا بِكُنَايِكُمْ»^(٩) الذي أنزل عليكم «إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» في دعوكم «وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِسْبًا»^(١٠) يعني الملائكة ذكرهم باسم جنسهم وضعا منهم أن يبلغوا هذه المرتبة وقيل قالوا إن الله صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا الله والشيطان أخوان «وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ» أن الكفرة أو الإنس أو الجنة^(١١) إن فسرت بغير الملائكة «لَمُحْضَرُونَ» في العذاب «وَمَا مِثْلًا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ»^(١٢) حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية بالرد^(١٣) على عبادتهم والمعنى وما منا أحد إلا له مقام معلوم في المعرفة والعبادة والانتهاز إلى أمر الله تعالى في تدبير العالم «وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ»^(١٤) في أداء الطاعة ومنازل الخدمة «وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ»^(١٥) المنزهون الله عما لا يليق به ولعل الأول إشارة إلى درجاتهم في الطاعة وهذا في المعارف^(١٦) وقال الطبرسي رحمه الله «وَمَا مِثْلًا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ» هذا قول جبرئيل للنبي ﷺ وقيل إنه قول الملائكة وفيه مضمّر أي وما منا معشر الملائكة ملك إلا وله مقام معلوم في السماوات يعبد الله فيه وقيل معناه أنه لا يتجاوز ما أمر به ورتب له كما لا يتجاوز صاحب المقام مقامه الذي حد له فكيف يجوز له أن يعبد من هو بهذه الصفة وهو عبد مريبوب «وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ» حول العرش تنتظر الأمر والنهي من الله تعالى وقيل القائلون صفوفا في الصلاة قال الكلبي صفوف الملائكة في السماء كصفوف أهل الدنيا في الأرض وقال الجبائي صافون بأجنحتنا في الهواء للعبادة والتسبيح «وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ» أي المصلون المنزهون الرب عما لا يليق به ومنه قيل^(١٧) فرغت من سبحتي أي من صلاتي وذلك لما في الصلاة من تسبيح الله وتعظيمه والمسيحون القائلون سبحان الله على وجه التعظيم لله^(١٨)

وقال في قوله تعالى «وَوَرَى الْمَلَائِكَةُ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ» معناه ومن عجائب أمور الآخرة أنك ترى الملائكة محدين بالعرش يطوفون حوله «وَيُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ» أي ينزهون الله تعالى عما لا يليق به ويذكرونه بصفاته التي هو عليها وقيل يحمدون الله تعالى حيث دخل الموحدون الجنة^(١٩).
وفي قوله «تَنْتَزِلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ» يعني عند الموت روي ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام وقيل تستقبلهم الملائكة إذا

- | | |
|---|-------------------------------------|
| (١) سورة الصافات، آية: ١٤٩. | (٢) سورة الصافات، آية: ١٥٥. |
| (٣) في المصدر: «بها». | (٤) سورة الصافات، آية: ١٥١ و ١٥٢. |
| (٥) سورة الصافات، آية: ١٥٣. | (٦) سورة الصافات، آية: ١٥٤. |
| (٧) سورة الصافات، آية: ١٥٥. | (٨) سورة الصافات، آية: ١٥٦. |
| (٩) سورة الصافات، آية: ١٥٧. | (١٠) سورة الصافات، آية: ١٥٨. |
| (١١) في المصدر: «والجن» بدل «أو الجنة». | (١٢) سورة الصافات، آية: ١٦٤. |
| (١٣) في المصدر: «للرد». | (١٤) سورة الصافات، آية: ١٦٥. |
| (١٥) سورة الصافات، آية: ١٦٦. | (١٦) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٣٠٣ - ٣٠٤. |
| (١٧) في المصدر: «قوله». | (١٨) مجمع البيان ج ٨ ص ٤٦١. |
| (١٩) مجمع البيان ج ٨ ص ٥١١. | |

خرجوا من قبورهم في الموقف بالبشارة من الله تعالى وقيل إن البشرية تكون في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث^(١).

«نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ» أي نحن معاشر الملائكة أنصاركم وأحبائكم «فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» تتولى إيصال الخيرات إليكم من قبل الله تعالى «وَفِي الْآخِرَةِ» نتولاكم بأنواع الإكرام والثبوة وقيل نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا أي نحن نحرصكم في الدنيا وعند الموت وفي الآخرة عن أبي جعفر^(٢).

وقال الرازي في قوله تعالى «نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ» الآية هذا في مقابلة ما ذكره في وعيد الكفار حيث قال «وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ»^(٣) ومعنى كونهم أولياء للمؤمنين أن للملائكة تأثيرات في الأرواح البشرية بالإلهامات والمكاشفات اليقينية والمقامات الحققة^(٤) كما أن للشياطين تأثيرات في الأرواح بإلقاء الوسوس فيها وتخييل الأباطيل إليها وبالجملة فكون الملائكة أولياء للأرواح الطيبة الطاهرة حاصل من جهات كثيرة معلومة لأرباب المكاشفات والمشاهدات فهم يقولون كما أن تلك الولاية كانت حاصلة في الدنيا فهي تكون باقية في الآخرة فإن تلك العلاقة^(٥) لازمة غير قابلة للزوال بل كأنها تصير بعد الموت أقوى وأبقى وذلك لأن جوهر النفس من جنس الملائكة وهي كالشعلة بالنسبة إلى الشمس والقطرة بالنسبة إلى البحر والتعلقات الجسدانية هي^(٦) تحول بينها وبين الملائكة كما.

قال عَلَيْهِ السَّلَام لو لا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماوات.

فإذا زالت العلائق الجسمانية والتدبيرات البدنية فقد زال الغطاء والوطاء فيتصل الأثر بالمؤثر والقطرة بالبحر والشعلة بالشمس فهذا هو المراد من قوله «نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» وفي الْآخِرَةِ» ثم قال والأقرب عندي أن قوله «وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُي أَنْفُسُكُمْ» إشارة إلى الجنة الجسمانية «وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ» إشارة إلى الجنة الروحانية المذكورة في قوله تعالى «دَعَاؤُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»^(٧) انتهى.

«فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ» أي جميع الملائكة أو طائفة مخصوصة منهم وعلي الأول دوام تسييحهم لا ينافي اشتغالهم بسائر الخدمات مع أن تلك الخدمات أيضا نوع من تسييحهم «وَهُمْ لَا يَسْأَلُونَ» أي لا يملون ولا يفترون.

وقال الرازي في قوله تعالى «وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ» اعلم أن مخلوقات الله نوعان نوع^(٨) عالم الجسمانيات وأعظمها السماوات وعالم الروحانيات وأعظمها الملائكة فينب سبحانه كمال عظمته باستيلاء هيئته على الجسمانيات فقال «تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَخَطَّوْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ»^(٩) ثم انتقل إلى ذكر الروحانيات فقال «وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ» والجواهر الروحانية لها تعلقان تعلق بعالم الجلال والكبرياء وهو تعلق القبول فإن الأضواء الصمدية إذا شرقت على الجواهر الروحانية استضاءت جواهرها وأشرقت ماهياتها ثم إن الجواهر الروحانية إذا استفادت تلك القوى الربانية^(١٠) قويت بها على الاستيلاء على عالم^(١١) الجسمانيات وإذا كان كذلك فلها وجهان وجه إلى حضرة الجلال^(١٢) وجه إلى عالم الأجسام والوجه الأول أشرف من الثاني إذا عرفت هذا فنقول أما الجهة الأولى وهي الجهة المقدسة العلوية فقد اشتملت على أمرين أحدهما التسبيح والثاني^(١٣) التحميد لأن التسبيح عبارة عن تنزيه الله تعالى عما لا ينبغي والتحميد عبارة عن وصفه بكونه معظي^(١٤) لكل الخيرات وكونه منزها في ذاته عما لا ينبغي مقدم بالترتبة على كونه فياضا للخيرات والسعادات لأن وجود الشيء^(١٥) وحصوله في نفسه مقدم

١٦٣
٥٩

١٦٤
٥٩

- (١) مجمع البيان ج ٩ ص ١٢.
(٢) في المصدر: «الحقيقية».
(٣) سورة فصلت، آية: ٢٥.
(٤) في المصدر إضافة: «ذاتية».
(٥) التفسير الكبير ج ٢٧ ص ١٢٣، والآية من سورة يونس: ١٠.
(٦) كلمة: «نوع» ليست في المصدر.
(٧) في المصدر: «الروحانية».
(٨) في المصدر: «وجه إلى جانب الكبرياء وحضرة الجلال».
(٩) في المصدر: «مفضيا».
(١٠) مجمع البيان ج ٩ ص ١٣.
(١١) في المصدر: «الحقيقية».
(١٢) في المصدر: «ذاتية».
(١٣) سورة الشورى، آية: ٥.
(١٤) في المصدر: «عوالم».
(١٥) في المصدر: «وثنائهما».
(١٦) في المصدر إضافة: «مقدم على إيجاد غيره».

على تأثيره في حصول غيره فلهذا السبب كان التسبيح مقدما على التحميد ولهذا قال ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ وأما الجهة الثانية وهي الجهة التي تلك الأرواح إلى عالم الجسمانيات فالإشارة إليها بقوله ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ والمراد منها تأثيراتها في نظم أحوال هذا العالم وحصول الطريق الأصوب فيها^(١) انتهى.

واستدل بالآية على عصمة الملائكة لأنهم لو كانوا مذنبين كانوا يستغفرون لأنفسهم قبل استغفارهم لغيرهم وفيه نظر. ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾^(٢) فقالوا الملائكة بنات الله وساء جزءا لأن الولد جزء من الوالد وهو يستلزم التركيب المنافي لوجوب الوجود ﴿لَكَفَّورُ مُبِينٌ﴾ أي ظاهر الكفران ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾ أي بالجنس الذي جعله له مثلا إذ الولد لا بد أن يماثل الوالد ﴿وَطَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ أي صار وجهه أسود في الغاية لما يعتريه من الكآبة ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ أي مملو قلبه من الكرب ﴿أَوْ مَنْ يَتَسَوَّى فِي الْجَلِيلَةِ﴾ أي أو جعلوا له أو اتخذ من يترى في الزينة يعني البنات ﴿وَهُوَ فِي الْخِضَامِ﴾ أي في المجادلة ﴿غَيْرُ مُبِينٌ﴾ أي غير مقرر لما يدعيه من نقصان العقل و ضعف الرأي ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا﴾^(٣) كفر آخر تضمنه مقالهم شنع به عليهم وهو جعلهم أكمل العباد وأكرمهم على الله أنقصهم عقلا وأخصهم صفا ﴿أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ﴾ أي أحضروا خلق الله أيام فشاهدوهم إنانا فإن ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل وتهكم لهم ﴿سَكَتُ شَهِادَتِهِمْ﴾ التي شهدوا بها على الملائكة ﴿وَيَسْتَلُونَ﴾ أي عنها ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

﴿فَالْمُفَسِّنَاتُ أُمَّرٌ﴾^(٤) أي الملائكة يقسمون الأمور بين الخلق على ما أمروا به قال الطبرسي رحمه الله روي أن ابن الكواء سأل أمير المؤمنين عليه السلام وهو يخطب على المنبر فقال ما الداريات ذروا قال الرياح قال فالخامليات وقرأ قال السحاب قال فالجاريات يسرا قال السفن قال فالمفسنات أمرا قال الملائكة وروي ذلك عن ابن عباس ومجاهد^(٥). ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾^(٦) قيل أي كان مقداره من عروج غيرهم خمسين ألف سنة وذلك من أسفل الأرضين إلى فوق السماوات السبع وقيل امتداد ذلك اليوم على بعض الكفار كذلك وقيل معناه أن أول نزول الملائكة في الدنيا بأمره ونهيه وقضائه بين الخلائق إلى آخر عروجهم إلى السماء وهو القيامة هذه المدة.

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾^(٧) قال الطبرسي رحمه الله أي من الملائكة وهم خزنتها مالك^(٨) وثمانية عشر أعينهم كالبرق الخاطف وأنبياهم كالصياصي يخرج لهب النار من أفواههم ما بين منكبَي أحدهم مسيرة سنة تسع كف أحدهم مثل ربيعة ومضر نزعت منهم الرحمة يرفع أحدهم سبعين ألفا فيرميهم حيث أراد من جهنم.

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾^(٩) أي وما جعلنا الموكلين بالنار المتولين تدبيرها إلا ملائكة جعلنا شهوتهم في تعذيب أهل النار ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمُ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي لم نجعلهم على هذا العدد إلا محنة وتشديدا في التكليف^(١٠) لأن الكفار استقلوا هذا العدد وزعموا أنهم يقدرون على دفعهم وقد مر الكلام في تلك الآيات في كتاب المعاد.

﴿وَالْمُرْسَلَاتُ عُرْفًا﴾^(١١) روى الطبرسي عن أبي حمزة الثمالي عن أصحاب علي عنه عليه السلام أنها الملائكة أرسلت بالمعروف من أمر الله ونهيه ﴿وَالْعَاصِفَاتُ عَصْفًا﴾^(١٢) يعني الرياح الشديديات الهبوب ﴿وَالنَّاشِرَاتُ نَشْرًا﴾^(١٣) الملائكة تنتشر^(١٤) الكتب عن الله ﴿وَالْفَارِقَاتُ فَرَقًا﴾^(١٥) هي آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل والهدى والضلal ﴿وَالْمُلْقِيَاتُ ذِكْرًا﴾^(١٦) الملائكة تلقى الذكر إلى الأنبياء وتلقية الأنبياء إلى الأمم^(١٧).

(١) التفسير الكبير ج ٢٧ ص ١٤٤ و ١٤٥ ملخصاً.

(٢) سورة الزخرف، آية: ١٧ و ما بعدها ذيلها.

(٣) سورة الذاريات، آية: ٤.

(٤) سورة المعارج، آية: ٤.

(٥) في المصدر إضافة: «و معه».

(٦) مجمع البيان ج ١٠ ص ٣٨٨ ملخصاً.

(٧) سورة المرسلات، آية: ٢.

(٨) في المصدر: «تنتشر».

(٩) سورة المرسلات، آية: ٥.

(١٠) سورة الزخرف، آية: ١٥.

(١١) سورة الزخرف، آية: ١٩ و ما بعدها ذيلها.

(١٢) مجمع البيان ج ٩ ص ١٥٢.

(١٣) سورة المدثر، آية: ٣٠.

(١٤) سورة المدثر، آية: ٣١ و ما بعدها ذيلها.

(١٥) سورة المرسلات، آية: ١.

(١٦) سورة المرسلات، آية: ٣.

(١٧) سورة المرسلات، آية: ٤.

(١٨) مجمع البيان ج ١٠ ص ٤١٥ ملخصاً مع تقديم وتأخير.

وقال البيضاوي أقسم بطوائف من الملائكة أرسلهن الله^(١) متابعة فعصن عصف الرياح في امتثال أمره ونشرن الشرائع في الأرض أو نشرن النفوس الميتة بالجهل بما أوحين من العلم ففرقن بين الحق والباطل فآلتين إلى الأنبياء ذكرا عددا للمحققين ونذرا للمبطلين أو بآيات القرآن المرسله بكل عرف إلى محمد ﷺ فعصن سائر الكتب أو الأديان بالنسخ ونشرن آثار الهدى والحكم في الشرق والغرب و فرقن بين الحق والباطل فآلتين ذكر الحق فيما بين العالمين أو بالنفوس الكاملة المرسله إلى الأبدان لاستكمالها فعصن ما سوى الحق ونشرن أثر ذلك في جميع الأعضاء و فرقن بين الحق بذاته والباطل بنفسه فأرأون^(٢) كل شيء هالكا إلا وجهه فآلتين ذكرا بحيث لا يكون في القلوب والالسنه إلا ذكرهم^(٣) أو برياح عذاب أرسلن فعصن ورياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن فآلتين ذكرا أي تسببن له فإن العاقل إذا شاهد هوبها أو آثارها ذكر الله تعالى وتذكر كمال قدرته «و عرفا» إما نقيض النكر وانتصابه على العلة أي أرسلن للإحسان والمعروف أو بمعنى المتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحال «عُدْراً أو نُذْراً» مصدران لعذر إذا محا الإساءة وأُذِر إذا خوف أو جمعان لعذر^(٤) بمعنى المَعذرة ونذر^(٥) بمعنى الإنذار أو بمعنى العاذر والمنذر ونصبهما على الأولين بالعلية أي عدرا للمحققين ونذرا للمبطلين أو البديلة من «ذكر» على أن المراد به الوحي أو ما يعم التوحيد والشرك والإيمان والكفر وعلى الثالث بالحالية وقراءهما أبو عمرو و حمزة والكسائي وحضف بالتخفيف.^(٦)

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾^(٧) قال الطبرسي رحمه الله اختلف في معنى الروح هنا على أقوال: أحدها: أن الروح خلق من خلق الله تعالى على صورة بني آدم و ليسوا بناس و ليسوا بملائكة يقومون صفا و الملائكة صفا هؤلاء جند و هؤلاء جند عن مجاهد و قتادة و أبي صالح قال الشعبي هما سماطا رب العالمين يوم القيامة سماط من الروح و سماط من الملائكة.

و ثانيها: أن الروح ملك من الملائكة و ما خلق الله مخلوقا أعظم منه فإذا كان يوم القيامة قام هو وحده صفا و قامت الملائكة كلهم صفا واحدا فيكون عظم خلقه مثل صفهم عن ابن مسعود و عن عطاء عن ابن عباس. و ثالثها: أنه^(٨) أرواح الناس تقوم مع الملائكة فيما بين النفختين قبل أن ترد الأرواح إلى الأجساد عن عطية عن ابن عباس.

ورابعها: أنه جبرئيل ﷺ عن الضحاك و قال وهب إن جبرئيل واقف بين يدي الله عز و جل ترعد^(٩) فرائضه يخلق الله عز و جل من كل رعدة مائة ألف ملك فالملائكة صفوف بين يدي الله تعالى منكسو رؤسهم فإذا أذن الله لهم في الكلام قالوا لا إله إلا أنت ﴿وَأَلَّا صَوَابًا﴾ أي لا إله إلا الله و روى علي بن إبراهيم بإسناده عن الصادق ﷺ قال هو ملك أعظم من جبرئيل و ميكايل.^(١٠)

و خامسها: أن الروح بنو آدم عن الحسن و قوله ﴿صَفًّا﴾ معناه مصطفين.^(١١)

و قال في قوله ﴿وَالنَّازِغَاتِ غَرَقَاءً﴾^(١٢) اختلف في معناه على وجوه:

أحدها: أنه يعني الملائكة الذين ينزعون أرواح الكفار عن أبدانهم بالشدة كما يفرق^(١٣) النازع في القوس فيبلغ بها غاية المد روي ذلك عن علي ﷺ و غيره^(١٤) و قال مسروق هي الملائكة تنزع نفوس بني آدم و قيل هو الموت ينزع النفوس عن مجاهد و روي ذلك عن الصادق ﷺ.

وثانيها: أنها النجوم تنزع من أفق إلى أفق أي تطلع ثم تغيب قال أبو عبيدة تنزع من مطالعها و تغرق في مغاربها.

(٢) في المصدر: «بأوامره».

(٤) في المصدر: «للعذير».

(٦) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٥٥٦ و ٥٥٧.

(٨) في المصدر: «أن».

(١٠) تفسير علي بن إبراهيم القمي ج ٢ ص ٤٠٢.

(١٢) سورة النازعات، آية: ١.

(١٤) في المصدر: «مقاتل و سعيد بن جبير» بدل «غيره».

(١) في المصدر: «بأوامره».

(٣) في المصدر: «ذكر الله».

(٥) في المصدر: «و نذير».

(٦) سورة النبأ، آية: ٣٨.

(٧) في المصدر: «ترتعد».

(١١) مجمع البيان ج ١٠ ص ٤٢٦ و ٤٢٧.

(١٣) أفرق و غرق في القوس.

وثالثها: النزاعات القسي تنزع بالسهم والناشطات الأوهاق^(١) فالقسم بفاعلهما وهم المجاهدون.
﴿وَالنَّاطِقَاتِ نَشْطًا﴾^(٢) فيه أيضا أقوال:
أحدها: ما ذكرناه.

وثانيها: أنها الملائكة تنشط أرواح الكفار ما بين الجلد والأظفار حتى تخرجها من أجوافهم بالكرب والغم عن علي^{عليه السلام} والنشط الجذب يقال نشطت الدلو نشطا نزعته.

وثالثها: أنها الملائكة تنشط أنفس المؤمنين فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير إذا حل عنها عن ابن عباس.
ورابعها: أنها أنفس المؤمنين تنشط عند الموت للخروج عند رؤية موضعه من الجنة عن ابن عباس أيضا.
 وخامسها: أنها النجوم تنشط من أفق إلى أفق أي تذهب يقال حمار ناشط.
﴿وَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾^(٣) فيه^(٤) أقوال أيضا:

أحدها: أنها الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين يسلمونها سلا رفيقا ثم يدعونها حتى تستريح كالسابع بالشيء في الماء يرمى به عن علي^{عليه السلام}.

وثانيها: أنها الملائكة ينزلون عن السماء مسرعين وهذا كما يقال للفرس الجواد سابح إذا أسرع في جريه.
 وثالثها: أنها النجوم تسبح في فلكها وقيل هي خيل الغزاة تسبح في عدوها كقوله ﴿وَالْغَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾^(٥) وقيل هي السفن تسبح في الماء.
﴿وَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾^(٦) فيه^(٧) أيضا أقوال:

أحدها: أنها الملائكة لأنها سبقت ابن آدم بالخير والإيمان والعمل الصالح وقيل إنها تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء وقيل إنها تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة عن علي^{عليه السلام}.

وثانيها: أنها أنفس المؤمنين تسبق إلى الملائكة الذين يقبضونها وقد عاينت السرور شوقا إلى رحمة الله ولقاء نوابه وكرامته.

وثالثها: أنها النجوم يسبق بعضها بعضا في السير.

ورابعها: أنها الخيل يسبق بعضها بعضا في الحرب.

﴿وَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ فيها أيضا أقوال:

أحدها: أنها الملائكة تدبر أمر العباد من السنة إلى السنة عن علي^{عليه السلام}.

وثانيها: أن المراد بذلك جبرئيل وميكائيل وملك الموت وإسرافيل^{عليهم السلام} يدبرون أمور الدنيا فأما جبرئيل^{عليه السلام} فموكل بالرياح والجنود وأما ميكائيل فموكل بالقطر والنبات وأما ملك الموت فموكل بقبض الأنفس وأما إسرافيل فهو يتنزل بالأمر عليهم.

وثالثها: أنها الأفلاك يقع فيها أمر الله تعالى فيجري بها القضاء في الدنيا رواه علي بن إبراهيم^(٨).

وقال في قوله تعالى ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾^(٩) أي هذا القرآن أو هذه التذكرة في كتب معظمة عند الله وهي اللوح المحفوظ وقيل يعني كتب الأنبياء المنزل عليهم ﴿مَرْفُوعَةٍ﴾ في السماء السابعة وقيل مرفوعة قد رفعها الله عن دنس الأنجاس ﴿مُطَهَّرَةٍ﴾ لا يمسها إلا المطهرون وقيل مصونة عن أن تتألفها أيدي الكفرة لأنها في أيدي الملائكة في أعز مكان وقيل مطهرة من كل دنس وقيل مطهرة من الشك والشبهة والتناقض ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ يعني الكبة من الملائكة وقيل يعني السفراء بالوحي بين الله تعالى وبين رسله من السفارة وقال قتادة هم القراء يكتبونها

(١) في المصدر: «الأوهاق».

(٢) سورة النازعات، آية: ٣.

(٣) سورة الغاديات، آية: ١.

(٤) في المصدر: «فيها».

(٥) سورة عبس، آية: ١٣.

(٦) سورة النازعات، آية: ٢.

(٧) في المصدر: «فيها».

(٨) سورة النازعات، آية: ٤.

(٩) مجمع البيان ج ١٠ ص ٤٢٩ - ٤٣٠.

ويقرءونها وروى فضيل بن يسار عن الصادق عليه السلام قال الحافظ للقرآن العامل به مع السفارة الكرام البررة كرام على ربهم بررة مطيعين وقيل كرام عن المعاصي يرفعون أنفسهم عنها بررة أي صالحين متقين. (١)

١- الإحتجاج: بالإسناد إلى أبي محمد العسكري عليه السلام فيما احتج رسول الله صلى الله عليه وآله به على المشركين والمسلك لا تشاهده حواسكم لأنه من جنس هذا الهواء لا عيان منه ولو شاهدتموه بأن يزداد (٢) في قوى أبصاركم لقلتم ليس هذا ملكا بل هذا بشر (٣) الخير.

٢- تفسير علي بن إبراهيم: عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام في خبر المعراج قال النبي صلى الله عليه وآله وصعد جبرائيل وصعدت معه إلى السماء الدنيا وعليها ملك يقال له إسماعيل وهو صاحب الخطفة الذي (٤) قال الله عز وجل «إِلَّا مَنْ خَطَفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَائِبٌ» (٥) وتحت سبعون ألف ملك تحت كل ملك سبعون ألف ملك ثم مرت وساق الحديث إلى قوله حتى دخلت السماء الدنيا فما لقيني ملك إلا إكان (٦) ضاحكا مستبشرا حتى لقيني ملك من الملائكة لم أر خلقا أعظم منه كبريه المنظر ظاهر الغضب فقلت (٧) من هذا يا جبرئيل قال هذا مالك خازن النار ثم ساق الحديث إلى قوله ثم مرت بملك من الملائكة جالس على مجلس (٨) وإذا جميع الدنيا بين ركبتيه وإذا بيده لوح من نور مكتوب فيه كتاب ينظر فيه لا يلتفت يمينا ولا شمالا مقبلا عليه كهيشة الحزين فقلت من هذا يا جبرئيل فقال هذا ملك الموت فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ثم رأيت ملكا من الملائكة جعل الله أمره عجيبا نصف جسده النار والنصف الآخر ثلج فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفى النار وهو ينادي بصوت رفيع ويقول سبحان الذي كف حر هذه النار فلا تذيب الثلج وكف برد هذا الثلج فلا يطفى حر هذه النار اللهم يا مؤلف بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك المؤمنين فقلت من هذا يا جبرئيل فقال ملك وكله الله بأكتاف السماء (٩) وأطراف الأرضين وهو أنصح ملائكة الله لأهل الأرض من عباده المؤمنين يدعو لهم بما تسمع منذ خلق ورأيت ملكين يناديان (١٠) في السماء أحدهما يقول اللهم أعط كل منفق خلفا والآخر يقول اللهم أعط كل ممسك تلقا ثم مرنا بملائكة من ملائكة الله عز وجل خلقهم الله كيف شاء ووضع وجوههم كيف شاء ليس شيء من أطباق أجسادهم إلا وهو يسبح الله ويحمده من كل ناحية بأصوات مختلفة أصواتهم مرتفعة بالتحديد والبكاء من خشية الله فسألت جبرئيل عنهم فقال كما ترى خلقوا إن الملك منهم إلى جنب صاحبه ما كلمه كلمة قط ولا رفعوا رءوسهم إلى ما فوقها ولا خفضوها إلى ما تحتها خوفا لله (١١) وخشوعا ثم صعدنا إلى السماء الثانية فإذا فيها من الملائكة (١٢) وعليهم الخشوع وقد وضع الله وجوههم كيف شاء ليس منهم ملك إلا يسبح الله ويحمده بأصوات مختلفة وكذا السماء الثالثة ثم صعدنا إلى السماء الرابعة وإذا فيها من الملائكة (١٣) الخشوع مثل ما في السماوات فيشرون بالخير لي ولأمتي ثم رأيت ملكا جالسا على سرير وتحت يديه سبعون ألف ملك تحت كل ملك سبعون ألف ملك وساق الحديث إلى قوله ثم صعدنا إلى السماء السابعة قال ورأيت من العجائب التي خلق الله وصور (١٤) على ما أراده ديكا رجلاه في تخوم الأرضين السابعة ورأسه عند العرش وهو ملك من ملائكة الله خلقها (١٥) الله كما أراد رجلاه في تخوم الأرضين السابعة ثم أقبل مصعدا حتى خرج في الهواء إلى السماء السابعة وانتهى فيها مصعدا حتى انتهى (١٦) قرنه إلى قرب العرش وهو يقول سبحان ربي حيث ما كنت لا تدري أين ربك من عظم شأنه و

(١) مجمع البيان ج ١٠ ص ٤٣٨. (٢) في المصدر: «يزاد».

(٣) الإحتجاج ج ١ ص ٥٤ رقم ٢٢. (٤) في المصدر: «التي».

(٥) سورة الصافات، آية: ١٠. (٦) من المصدر.

(٧) في المصدر: «فقال لي مثل ما قالوا من الدعاء إلا أنه لم يضحك ولم أر فيه من الاستبشار ما رأيت ممن ضحك من الملائكة فقلت».

(٨) في المصدر إضافة: «فباني قد فرغت فقال يجوز أن تفرغ منه وكلنا نفرغ منه».

(٩) في المصدر: «هو جالس» بدل «جالس على مجلس». (١٠) في المصدر: «السماوات».

(١١) في المصدر: «و ملكان يناديان» بدل «و رأيت ملكين يناديان».

(١٢) في المصدر: «من الله».

(١٣) في المصدر إضافة: «عليهم من».

(١٤) في المطبوعة: «خلقها الله» بدل «و خلقه»، و ما أثبتناه من المصدر.

(١٥) في المصدر: «استقر».

له جناحان في منكبيه إذا نشرهما جاوز المشرق والمغرب فإذا كان في السحر نشر جناحيه و خفق بهما و صرخ بالتسبيح يقول سبحان الله الملك القدوس سبحان الله الكبير المتعال لا إله إلا الله الحي القيوم و إذا قال ذلك سبحت ديوك الأرض كلها و خفقت بأجنحتها و أخذت بالصراخ^(١) فإذا سكت ذلك الديك في السماء سكت ديوك الأرض كلها و لذلك الديك زغب أخضر و ريش أبيض كأشد بياض ما رأيته قط و له زغب أخضر أيضا تحت ريشه الأبيض كأشد خضرة ما رأيته قط.^(٢)

أقول: الخبر بطوله قد مضى في باب المعراج.

٣- التفسير: عن بعض أصحابه^(٣) يرفعه إلى الأصبع بن نباتة قال قال أمير المؤمنين عليه السلام إن لله ملكا في صورة الديك الأملح الأشهب برائته في الأرض السابعة و عرفه تحت العرش له جناحان جناح بالمشرق و جناح بالمغرب فأما الجناح الذي في المشرق^(٤) فمن تلج و أما الجناح الذي في المغرب^(٥) فمن نار و كلما حضر وقت الصلاة قام على برائته^(٦) و رفع عرفه من تحت العرش ثم أمال أحد جناحيه على الآخر^(٧) يصفق بهما كما يصفق الديكة في منازلكم فلا الذي من الثلج يطفى النار و لا الذي من النار يذيب الثلج ثم ينادي بأعلى صوته أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمدا عبده و رسوله خاتم النبيين و أن وصيه خير الوصيين سيوح قدوس رب الملائكة و الروح فلا يبقى في الأرض ديك إلا أجابه و ذلك قوله ﴿وَ الطُّيُورُ صَافَّاتٌ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَ تَسْبِيحَهُ﴾.^(٨)

ثم ومنه: في قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مِّنْهُنَّ وَ ثَلَاثَ وَ رُبَاعَ﴾^(٩) قال الصادق عليه السلام خلق الله الملائكة مختلفة و قد رأى رسول الله صلى الله عليه و آله جبرئيل و له ستمائة جناح على ساقه الدر مثل القطر على البقل قد ملأ ما بين السماء و الأرض و قال إذا أمر الله ميكائيل بالهبوط إلى الدنيا صارت رجله اليمنى في السماء السابعة و الأخرى في الأرض السابعة و إن لله ملائكة أنصافهم من برد و أنصافهم من نار يقولون يا مؤلف^(١٠) بين البرد و النار ثبت قلوبنا على طاعتك و قال إن لله ملكا بعد ما بين شحمة أذنه^(١١) إلى عينيه مسيرة خمسمائة عام خفقان الطير و قال إن الملائكة لا يأكلون و لا يشربون و لا ينكحون و إنما يعيشون بنسيم العرش و إن لله ملائكة ركعا إلى يوم القيامة و إن لله ملائكة سجدا إلى يوم القيامة ثم قال أبو عبد الله عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه و آله ما من شيء خلقه الله^(١٢) أكثر من الملائكة و إنه ليهبط في كل يوم و في^(١٣) كل ليلة سبعون ألف ملك فيأتون البيت الحرام فيطوفون به ثم يأتون رسول الله صلى الله عليه و آله ثم يأتون أمير المؤمنين عليه السلام فيسلمون عليه ثم يأتون الحسين فيقيمون عنده فإذا كان السحر وضع لهم معراج إلى السماء ثم لا يعودون أبدا.^(١٤)

٥- و قال أبو جعفر عليه السلام إن الله خلق إسرافيل و جبرئيل و ميكائيل من سبعة^(١٥) واحدة و جعل لهم السمع و البصر و موجود^(١٦) العقل و سرعة الفهم.^(١٧)

٦- ومنه: قال أمير المؤمنين عليه السلام في خلقه الملائكة و ملائكة خلقتهم و أسكنتهم سماواتك فليس فيهم فترة و لا عندهم غفلة و لا فيهم محصية هم أعلم خلقك بك و أخوف خلقك منك و أقرب خلقك إليك و أعلمهم بطاعتك و لا يفشاهم نوم العيون و لا سهو العقول و لا فترة الأبدان لم يسكنوا الأصلاب و لم تتضمنهم^(١٨) الأرحام و لم تخلقهم من ماء مهين أنشأتهم إنشاء فأسكنتهم سماواتك و أكرمهم بجوارك و اتضمنتهم على وحيك و جنبتهم الآفات و وقيتهم

(١) في المصدر: «في الصراخ».

(٢) في المصدر: «عن أبي بعض أصحابه»، و قد علقه المؤلف هذا على سابقه.

(٣) في المصدر: «بالمشرق».

(٤) في المصدر: «بالمغرب».

(٥) في المصدر: «بإثني».

(٦) تفسير علي بن إبراهيم القمي ج ٢ ص ١٠٦، والآية من سورة النور: ٤١.

(٧) سورة فاطر، آية: ١.

(٨) في المصدر: «أذنيه».

(٩) في المصدر: «أو في» بدل «وفي».

(١٠) في المصدر: «تسبيحة».

(١١) تفسير علي بن إبراهيم ج ٢ ص ٢٠٦ و ٢٠٧.

(١٢) تفسير علي بن إبراهيم القمي ج ٢ ص ٢٠٦.

(١٣) في المصدر: «جودة».

(١٤) في المصدر: «لم تتضمنهم».

البيات وظهرتهم من الذنوب و لو لا تقويتك^(١) لم يقووا و لو لا تثبتيتك لم يثبتوا و لو لا رحمتك لم يطيعوا و لو لا أنت لم يكونوا أما إنهم على مكانتهم منك و طواعيتهم إياك و منزلتهم عندك و قلة غفلتهم عن أمرك لو عاينوا ما نفي عنهم منك لاحتقروا أعمالهم و لأزروا على أنفسهم و لعلمو أنهم لم يعبدوك حق عبادتك سبحانه خالقا و معبودا ما أحسن بلاءك عند خلقك.^(٢)

بيان: في القاموس الطواغية الطاعة^(٣) و قال زرى عليه زريا و زراية و مزرية عابه و عاتبه كأزرى لكنه قليل.

٧- التفسير: عن أبيه عن القاسم بن محمد عن سليمان بن داود المتقري عن حماد عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سئل هل الملائكة أكثر أم بنو آدم فقال و الذي نفسي بيده للملائكة^(٤) الله في السماوات أكثر من عدد التراب في الأرض و ما في السماء موضع قدم إلا و فيها ملك يسبحه و يقدهس و لا في الأرض شجر و لا مدر إلا و فيها ملك موكل بها يأتي الله كل يوم بعملها و الله أعلم بها و ما منهم أحد إلا و يتقرب كل يوم إلى الله بولایت أهل البيت و يستغفر لمحبيها و يلعن أعداءنا و يدأ الله أن يرسل عليهم العذاب إرسالا.^(٥)

البصائر: عن علي بن محمد عن القاسم بن محمد الأصبهاني مثله.^(٦)

٨- مجالس ابن الشيخ: عن أبيه عن المفيد عن ابن قولويه عن أبيه عن سعد بن أحمد بن محمد بن عيسى عن ابن محبوب عن ابن رثاب عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال ما خلق الله خلقا أكثر من الملائكة و إنه لينزل كل يوم سبعون ألف ملك فيأتون البيت المعمور فيطوفون به فإذا هم طافوا به نزلا فطافوا بالكعبة فإذا طافوا بها أتوا قبر النبي صلى الله عليه وآله فسلموا عليه ثم أتوا قبر أمير المؤمنين عليه السلام فسلموا عليه ثم أتوا قبر الحسين عليه السلام فسلموا عليه ثم عرجوا و ينزل مثلهم أبدا إلى يوم القيامة.^(٧)

٩- و قال عليه السلام من زار أمير المؤمنين عليه السلام عارفا بحقه غير متجبر و لا متكبر كتب الله له أجر مائة ألف شهيد و غفر الله له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر و بعث من الآمنين و هون عليه الحساب و استقبلته الملائكة فإذا انصرف شيعة إلى منزله فإن مرض عادوه و إن مات تبعوه بالاستغفار إلى قبره.^(٨)

١٠- الخصال: عن علي بن محمد بن الحسن القزويني المعروف بابن مقبرة عن محمد بن عبد الله الحضرمي عن أحمد بن يحيى الأحول عن خالد المتقري^(٩) عن قيس عن أبي حصين^(١٠) عن يحيى بن وثاب عن ابن عمر قال كان على الحسن و الحسين عليهما السلام تعويذان حشوهما من زغب جناح جبر عليه السلام كليل^(١١).

١١- و منه: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن أيوب بن نوح عن صفوان بن يحيى عن عبد الله بن مسكان عن محمد بن مروان عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله إن جبرئيل أتاني فقال إنا معشر الملائكة لا ندخل بيتا فيه كلب و لا تمثال جسد و لا إناء بيال فيه^(١٢).

الكافي: عن أبي علي الأشعري عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان مثله^(١٣).

بيان: لعله مخصص بغير الحفظة مع أنه يمكن أن يكونوا مع عدم الدخول أيضا مطلعين على ما يصدر عنه.

١٢- الخصال: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد بن محمد بن عيسى عن ابن محبوب عن محمد بن طلحة بإسناده يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله قال الملائكة على ثلاثة أجزاء فجزة لهم جناحان و جزة لهم ثلاثة أجنحة و جزة لهم أربعة أجنحة.^(١٤)

(١) في المصدر: «قوتك».

(٢) القاموس المحيط ج ٣ ص ٦٢.

(٣) تفسير علي بن إبراهيم القمي ج ٢ ص ٢٥٥.

(٤) أمالي الطوسي ص ٢١٤ - مجلس ٨ حديث ٣٧٢.

(٥) في المصدر: «المقرى».

(٦) الخصال ج ١ ص ٦٧ باب الاثنين حديث ٩٩.

(٧) الكافي ج ٣ ص ٣٩٣ باب «في الصلاة في الكعبة و فوقها في البيع و الكتائب و المواضع التي تكره و الصلاة فيها» حديث ٢٧.

(٨) الخصال ج ١ ص ١٥٣ باب الثلاثة حديث ١٩١.

(٩) تفسير علي بن إبراهيم القمي ج ٢ ص ٢٠٧.

(١٠) في المصدر: «لعدد».

(١١) بصائر الدرجات ص ٨٨ - جزء ٢ باب ٥ حديث ٩.

(١٢) أمالي الطوسي ص ٢١٤ - مجلس ٨ حديث ٣٧٢.

(١٣) في المصدر: «الحسين».

(١٤) الخصال ج ١ ص ١٣٨ باب الثلاثة حديث ١٥٥.

الكافي: عن عدة من أصحابه عن سعد بن زياد و علي بن إبراهيم عن أبيه جميعا عن ابن محبوب عن عبد الله بن طلحة مثله^(١).

بيان: لعل المراد أن أكثر الملائكة كذلك فلا ينافي ما ورد من كثرة أجنحة بعض الملائكة

١٣- التوحيد والخصال: عن أحمد بن الحسن القطان عن محمد^(٢) بن يحيى بن زكريا عن بكر بن عبد الله بن حبيب عن تميم بن بهلول عن نصر بن مزاحم المنقري عن عمرو^(٣) بن سعد عن أبي مخنف لوط بن يحيى عن أبي منصور عن زيد بن وهب قال سئل أمير المؤمنين^(٤) عن قدرة الله جلّت عظمته فقام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن لله تبارك وتعالى ملائكة لو أن ملكا منهم هبط إلى الأرض ما وسعته لعظم خلقه وكثرة أجنحته ومنهم من لو كلفت الجن والإنس^(٥) أن يصفوه ما وصفوه لبعد ما بين مفاصله وحسن تركيب صورته وكيف يوصف من ملائكته من سبعمئة عام ما بين منكببيه وشحمة أذنه ومنهم^(٦) من يسد الأفق بجناح من أجنحته دون عظم يديه^(٧) ومنهم من في^(٨) السماوات إلى حوزته ومنهم من قدمه على غير قرار في جو الهواء الأسفل والأرضون إلى ركبتيه ومنهم من لو أُلقي في نقرة إبهامه جميع المياه لو سعتها ومنهم من لو أُلقيت السفن في دموع عينيه لجرت دهر الداهرين فَنَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ^(٩).

١٤- العيون: عن محمد بن أحمد بن الحسين بن يوسف البغدادي عن علي بن محمد بن عنبسة عن دارم بن قبيصة عن الرضا عن أبياته^(١٠) قال قال رسول الله ﷺ إن لله ديكا عرفه تحت العرش ورجلاه في تخوم الأرض السابعة السفلى إذا كان في الثلث الأخير من الليل سبح الله تعالى ذكره بصوت يسمعه كل شيء ما خلا النقلين الجن والإنس فصيح عند ذلك ديكة الدنيا^(١١).

١٥- الإحتجاج: عن هشام بن الحكم قال سأل الزنديق فيما سأل أبا عبد الله^(١٢) فقال ما علة الملائكة الموكلين بعباده يكتبون عليهم ولهم والله عالم السر وما هو أخفى قال استعبدتهم بذلك وجعلهم شهداء على خلقه ليكون العباد لملازماتهم إياهم أشد على طاعة الله مواظبة أو عن معصيته أشد انتقاضا وكم من عبيدهم بمعصية فذكر مكانها فارغوا وكف يقول ربي يراني وحفظتي علي بذلك تشهد وإن الله برأفته ولطفه أيضا وكلهم بعباده يذوبون عنهم مردة الشياطين وهوام الأرض وأقات كثيرة من حيث لا يرون بإذن الله إلى أن يحيي أمر الله عز وجل^(١٣).

١٦- تفسير علي بن إبراهيم: في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر^(١٤) في قوله «لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ» يقول بأمر الله من أن يقع في ركي أو يقع عليه حائط أو يصيبه شيء حتى إذا جاء القدر خلوا بينه وبينه^(١٥) يدفعونه إلى المقادير وهما ملكان يحفظانه بالليل وملكان يحفظانه بالنهار يتعاقبان^(١٦).

بيان: الركي جمع الركية وهو البشر.

١٧- التفسير: «لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ»^(١٧) إنها قرئت عند أبي عبد الله^(١٨) فقال لقارئها أستمعوا كيف تكون المعقبات من بين يديه وإنا المعقب من خلفه فقال الرجل جعلت فذاك كيف هذا فقال إنما نزلت له معقبات من خلفه و رقيب من بين يديه يحفظونه بأمر الله ومن الذي يقدر أن يحفظ الشيء من أمر الله وهم الملائكة الموكلون بالناس^(١٩).

بيان: قال الطبرسي رحمه الله في الشواذ قراءة أبي البرهسم^(٢٠) لهُ مُعَقَّبَاتٌ^(٢١) مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ

(١) روضة الكافي ص ٢٧٢ حديث ٤٠٣ وهو معلقاً على سابقه.

(٢) في الخصال: «أحمد».

(٣) في الخصال: «أحمد».

(٤) في الخصال: «أحمد».

(٥) في المصدرين: «أذن».

(٦) في المصدرين: «أذن».

(٧) في المصدرين: «أذن».

(٨) في المصدرين: «أذن».

(٩) في المصدرين: «أذن».

(١٠) في المصدرين: «أذن».

(١١) في المصدرين: «أذن».

(١٢) في المصدرين: «أذن».

(١٣) في المصدرين: «أذن».

(١٤) في المصدرين: «أذن».

(١٥) في المصدرين: «أذن».

(١٦) في المصدرين: «أذن».

(١٧) في المصدرين: «أذن».

(١٨) في المصدرين: «أذن».

(١٩) في المصدرين: «أذن».

(٢٠) في المصدرين: «أذن».

(٢١) في المصدرين: «أذن».

ورقباء من خلفه يحفظونه بأمر الله وروي عن أبي عبد الله عليه السلام له معقبات من خلفه ورتيب من بين يديه يحفظونه بأمر الله.

وروي عن علي عليه السلام وابن عباس وعكرمة وزيد بن علي يحفظونه بأمر الله. (١٧)

١٨- التوحيد: عن أحمد بن محمد العطار عن أبيه عن الحسين بن الحسن بن أبان عن ابن أورمة عن زياد القندي عن درست بن أبي منصور عن رجل عن أبي عبد الله عليه السلام قال إن لله تبارك وتعالى ملكا بعد ما بين شحمة أذنه إلى عنقه مسيرة خمسمائة عام خفقا الطير. (١٨)

الكافي: عن العدة عن أحمد بن محمد عن بعض أصحابه عن القندي مثله (١٩)

بيان: قال الجوهري خفقت الراية تخفق وتخفق خفقا وخفقانا وكذلك القلب والسراب إذا اضطربا ويقال خفق الطير (٢٠) أي طار وأخفق إذا ضرب بجناحيه. (٢١)

١٩- التوحيد: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن علي عن يونس بن يعقوب عن عمرو بن مروان عن أبي عبد الله عليه السلام قال إن لله تبارك وتعالى ملائكة أنصافهم من برد وأنصافهم من نار يقولون يا مؤلفا بين البرد والنار ثبت قلوبنا على طاعتك. (٢٢)

٢٠- ومنه: عن علي بن عبد الله بن أحمد الأسواري عن مكي بن أحمد البردعي (٢٣) عن عدي بن أحمد بن عبد الباقي عن أحمد بن محمد بن البراء عن عبد المنعم بن إدريس عن أبيه عن وهب عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال إن لله تبارك وتعالى ديكا رجلاه في تخوم الأرض السابعة (٢٤) السفلى وأرأسه عند العرش باقي عنقه تحت العرش وملك من ملائكة الله خلقه الله تعالى ورجلاه في تخوم الأرض السابعة مضى مصعدا فيها مد الأرضين حتى خرج منها إلى أفق السماء ثم مضى فيها مصعدا حتى انتهى قرنه إلى العرش وهو يقول سبحانك ربي ولذلك (٢٥) الديك جناحان إذا نشرهما جاوزا المشرق والمغرب فإذا كان في آخر الليل نشر جناحيه وخفق بهما وصرخ بالتسبيح وهو يقول سبحان الله الملك القدوس الكبير المتعال لَإِلهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ فإذا فعل ذلك سبحت ديكة الأرض كلها وخفقت بأجنحتها وأخذت في الصراخ فإذا سكن ذلك الديك في السماء سكنت الديكة في الأرض فإذا كان في بعض السحر نشر جناحيه فجاوزا المشرق والمغرب وخفق بهما وصرخ بالتسبيح سبحان الله العزيز (٢٦) سبحان الله العظيم سبحان الله العزيز القهار سبحان الله ذي العرش المجيد سبحان الله ذي العرش الرفيع فإذا فعل ذلك سبحت ديكة الأرض فإذا هاج هاجت الديكة في الأرض تجاوبه بالتسبيح والتقديس لله تعالى ولذلك الديك ريش أبيض كأشد بياض ما رأيته قط له زغب أخضر تحت ريشه الأبيض كأشد خضرة ما رأيته قط فما زلت مشتاقا إلى أن أنظر إلى ريش ذلك الديك. (٢٧)

بيان: قال الجوهري التخم منتهى كل قرية أو أرض والجمع تخوم (٢٨) وملك أي وهو ملك وفي بعض النسخ وملكاً فيكون عطف لتفسير لقوله ديكا والصراخ الصوت والزرغب الشعيرات الصفر على ريش الفرخ ذكره الجوهري. (٢٩)

٢١- التوحيد: بالإسناد المتقدم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال إن لله تبارك وتعالى ملكا من الملائكة نصف جسده الأعلى نار ونصفه الأسفل الثلج فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفئ النار وهو قائم ينادي بصوت له رفيع سبحان الله الذي كف حر هذه النار فلا تذيب هذا الثلج وكف برد هذا الثلج فلا يطفئ حر هذه النار اللهم يا مؤلفا بين الثلج والنار ألفت بين قلوب عبادك المؤمنين على طاعتك. (٣٠)

(١٦) في المصدر: «معاقب».

(١٨) التوحيد ج ٢٨١ باب ذكر عظمة الله جل جلاله حديث ٨.

(٢٠) في المصدر: «الطائر».

(٢٢) التوحيد ص ٢٨٢ باب ذكر عظمة الله جل جلاله حديث ١١.

(٢٣) في المصدر: «البرذعي».

(٢٥) في المصدر: «وإن لذلك الديك جناحين».

(٢٧) التوحيد ص ٢٨٠ باب ذكر عظمة الله جل جلاله حديث ٤.

(٢٩) الصحاح ج ١ ص ١٤٣.

(١٧) مجمع البيان ج ٦ ص ٢٧٩.

(١٩) روضة الكافي ص ٢٧٢ حديث ٤٠٥.

(٢١) الصحاح ج ٣ ص ١٤٦٩.

(٢٤) من المصدر.

(٢٦) عبارة: «سبحان الله العزيز» ليست في المصدر.

(٢٨) الصحاح ج ٤ ص ١٨٧٧.

(٣٠) التوحيد ص ٢٨٠ باب ذكر عظمة الله جل جلاله حديث ٥.

٢٢- ومنه بهذا الإسناد عن النبي ﷺ قال إن لله تبارك وتعالى ملائكة ليس شيء من أطباق أجسادهم إلا وهو يسبح الله تعالى ويحمده من ناحيته بأصوات مختلفة لا يرفعون رءوسهم إلى السماء ولا يخفضونها إلى أقدامهم من البكاء والخشية لله عز وجل.^(١)

٢٣- ومنه: عن محمد بن الحسن بن الوليد عن أحمد بن إدريس عن محمد بن أحمد عن السيارى عن عبد الله بن حماد عن جميل بن دراج قال سألت أبا عبد الله عليه السلام هل في السماء بحار قال نعم أخبرني أبي عن أبيه عن جده عليه السلام قال رسول الله إن في السماوات السبع لبحارا عمق أحدها مسيرة خمسمائة عام فيها ملائكة قيام منذ خلقهم الله عز وجل والماء إلى ربهم ليس منهم ملك إلا وله ألف وأربعمئة جناح في كل جناح أربعة وجوه في كل وجه أربعة السنين ليس فيها جناح ولا وجه ولا لسان ولا فم إلا وهو يسبح الله تعالى بتسبيح لا يشبه نوع منه صاحبه.^(٢)

٢٤- ومنه: عن محمد بن الحسن بن الوليد عن محمد بن يحيى العطار عن الحسين بن الحسن بن أبان عن ابن أورمة عن أحمد بن الحسن الميثمي عن أبي الحسن الشعيري عن سعد بن طريف عن الأصمغ قال جاء ابن الكواء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين والله إن في كتاب الله تعالى لآية قد أفسدت على قلبي وشككتني في ديني فقال له ﷺ تكلمك أمك وعدمك وما تلك الآية قال هو قول الله تعالى ﴿وَ الطَّيْرُ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَ تَسْبِيحَهُ﴾^(٣) فقال له أمير المؤمنين عليه السلام يا ابن الكواء إن الله تعالى خلق الملائكة في صور شتى ألا إن لله تعالى ملكا في صورة ديك أبيض أشبه برائته في الأرضين^(٤) السابعة السفلى وعرفه مني تحت العرش له جناحان جناح في المشرق وجناح في المغرب واحد من نار والآخر من ثلج فإذا حضر وقت الصلاة قام على برائته ثم رفع عنقه من تحت العرش ثم صفق بجناحيه كما تصفق الديوك في منازلكم^(٥) فينادي أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا سيد النبيين وأن وصيه سيد الوصيين وأن الله سبحانه قدوس رب الملائكة والروح قال فتخفق الديكة بأجنحتها في منازلكم فتجيبه عن قوله وهو قوله عز وجل ﴿وَ الطَّيْرُ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَ تَسْبِيحَهُ﴾ من الديكة في الأرض.^(٦)

الإحتجاج: عن الأصمغ مثله^(٧).

بيان: ديك أبيض في بعض النسخ بالياء الموحدة والجيم وهو واسع ماق العين ذكره الجوهري^(٨)

وفي بعضها بالحاء المهملة من البحة وهي غلظة الصوت وقد مر في التفسير ألمح والملحة بياض يخالطه السواد فالأشبه تفسير إذ الشبهة بياض يصدعه سواد والبرثن الكف مع الأصابع ومخلب الأسد والصفق الضرب يسمعه له صوت والآية سيأتي تفسيرها المشهور.

٢٥- التوحيد: عن أحمد بن الحسن القطان عن أحمد بن يحيى بن زكريا عن بكر بن عبد الله بن حبيب عن علي بن زياد عن مروان بن معاوية عن الأعشى عن أبي حيان التيمي عن أبيه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال ليس أحد من الناس إلا ومعه ملائكة حفظة يحفظونه من أن يتردى في بئر أو يقع عليه حائط أو يصيبه سوء فإذا حان أجله خلوا بينه وبين ما يصيبه^(٩) الخبر.

٢٦- البصائر: عن^(١٠) أحمد بن محمد السيارى^(١١) عن عبيد الله بن أبي عبد الله الفارسي وغيره رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال إن الكروبيين قوم من شيعتنا من الخلق الأول جعلهم الله خلف العرش لو قسم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم ثم قال إن موسى عليه السلام لما أن سأل ربه ما سأل أمر واحدا من الكروبيين فتجلى للجليل فجعل دكا.^(١٢)

(١) التوحيد ص ٢٨٠ باب ذكر عظمة الله جل جلاله حديث ٦. (٢) التوحيد ص ٢٨١ باب ذكر الله عظمة الله جل جلاله حديث ٩.

(٣) في الإحتجاج: «فما هذا الصفاغ وما هذه الطيور؟ وما هذه الصلاة؟ وما هذا التسبيح؟ والآية من سورة النور: ٤١.

(٤) في المصدر: «الأرض».

(٥) في المصدر إضافة: «فلا الذي من النار يذيب الثلج ولا الذي من الثلج يطفى النار».

(٦) التوحيد ص ٢٨٢ باب ذكر عظمة الله جل جلاله حديث ١٠. (٧) الإحتجاج ج ١ ص ٥٤١ رقم ١٣٠.

(٨) الصحاح ج ١ ص ٢٩٩، وفيه: «واسع مشق العين».

(٩) التوحيد ص ٣٦٨ باب القضاء والقدر والفتنة والأرزق والأسعار والآجال حديث ٥.

(١٠) في المصدر إضافة: «روى بعض أصحابنا» قبل كلمة «عن».

(١١) في المصدر إضافة: «عن أحمد بن محمد».

(١٢) بصائر الدرجات ج ٢ ص ٨٩ باب ٥ حديث ٢.

٢٧- إكمال الدين: عن محمد بن علي ماجيلويه عن عمه محمد بن أبي القاسم عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي عن محمد بن علي الكوفي عن أبي الربيع الزهراني عن جرير عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد قال قال ابن عباس سمعت رسول الله يقول إن لله تبارك وتعالى ملكا يقال له درداثيل كان له ستة عشر ألف جناح ما بين الجناح إلى الجناح هواء والهواء كما بين السماء والأرض فجعل يوما يقول في نفسه أفوق ربنا جل جلاله شيء فعلم الله تبارك وتعالى ما قال فزاده أجنحة مثلها فصار له اثنان وثلاثون ألف جناح ثم أوحى الله عز وجل إليه أن طر فطار مقدار خمسمائة عام فلم ينل رأسه قائمة من قوائم (٢) العرش فلما علم الله عز وجل إتيابه أوحى إليه أيها الملك عد إلى مكانك فأنا عظيم فوق كل عظيم وليس فوق شيء ولا أوصف بمكان فسلبه الله أجنحته ومقامه من صفوف الملائكة فلما ولد الحسين (عليه السلام) هبط جبرئيل في ألف قبيل من الملائكة لتهنئة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فمر بدردائيل فقال له سل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بحق مولوده أن يشفع لي عند ربي فدعا له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بحق الحسين فاستجاب الله دعاءه ورد عليه أجنحته ورده إلى مكانه. (٣)

أقول: تمامه في باب ولادة الحسين (عليه السلام).

بيان: أفوق ربنا لعله كان ذلك بمحض خطور البال بغير شك لثلا ينافي العصمة والجلالة.

٢٨- الإكمال: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد بن عيسى عن العباس بن موسى الوراق عن يونس عن داود بن فرقد قال قال لي بعض أصحابنا أخبرني عن الملائكة أنيأمون قلت لا أدري قال يقول الله عز وجل «يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ» (٤) ثم قال لا أطرفك عن أبي عبد الله (عليه السلام) بشيء فقلت بلى فقال سئل عن ذلك فقال ما من حي إلا وهو ينام خلا الله وحده عز وجل والملائكة ينامون فقلت يقول الله عز وجل «يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ» قال أنفاسهم تسبيح. (٦)

٢٩- الخرائج: بإسناده عن سعد بن عبد الله عن عبد الله بن عامر عن العباس بن معروف عن عبد الله بن عبد الرحمن البصري عن أبي المغراء عن أبي بصير عن خيثم عن أبي جعفر (عليه السلام) قال نحن الذين تختلف الملائكة إلينا فمننا من يسمع الصوت ولا يرى الصورة وإن الملائكة لتزاحمن على تكأنتنا (٧) وإنا لناخذ من زغبهم فنجعله سخابا لأولادنا. (٨)

بيان: التكاة كهمزة ما يتكأ عليه قاله الجوهري وقال السخاب قلادة تتخذ من سك غيره ليس فيها من الجوهر شيء والجمع سخب. (٩)

٣٠- الخرائج: بإسناده عن سعد بن عبد الله بن عمر عن الربيع بن الخطاب عن جعفر بن بشير عن أبان عن عثمان بن سليمان بن خالد عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قوله تعالى «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا» (١٠) فقال أما والله لربما وسدناهم الوسائد في منازلنا قيل الملائكة تظهر (١١) لكم فقال هم أطف بصبياننا منا بهم وضرب بيده إلى مساور في البيت فقال والله لطلال ما اتكأت عليه (١٢) الملائكة وربما التقطنا من زغبها. (١٣)

بيان: في القاموس المسور كمبر متكأ من آدم كالسورة. (١٤)

- (١) السرائر ج ٣ ص ٥٦٩.
(٢) إكمال الدين ج ١ ص ٢٨٢ - ٢٨٤ حديث ٣٨ بصرف.
(٣) سورة الأنبياء، آية: ٢٠.
(٤) إكمال الدين ج ٢ ص ٦٦٦ باب ٥٨ حديث ٨.
(٥) في المصدر إضافة: «فيه».
(٦) التكاة جمع لتكاة وهي - كما في بيان المؤلف الآتي - ما يتكأ عليه.
(٧) الخرائج والجرائع ج ٢ ص ٨٥١ باب ١٦ رقم ٦٦.
(٨) سورة فصلت، آية: ٣٠.
(٩) في المصدر: «عليها».
(١٠) الخرائج والجرائع ج ٢ ص ٨٥٠ باب ١٦ رقم ٦٥.
(١١) في المصدر: «يظهرون».
(١٢) القاموس المحيط ج ٢ ص ٥٥.

٣١- العياشي: عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله «يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ» (١) أو قال: بأمر الله (٢) ثم قال ما من عبد إلا ومعه ملكان يحفظانه فإذا جاء الأمر من عند الله خليا بينه وبين أمر الله. (٣)
 ٣٢- المناقب: سأل الصادق عليه السلام أبا حنيفة أين مقعد الكاتبين قال لا أدري قال مقعدهما على التاجدين (٤) و الفم الدواة و اللسان القلم و الريق المداد. (٥)

بيان: يحتمل أن يكون المراد فم الملك و لسانه و ريقه و لو كان المراد تلك أعضاء من الإنسان فيمكن أن يكون بمحض تكلمه ينقش في ألواحهم فيكون مخصوصا بالكلام.

٣٣- الكافي: عن علي بن إبراهيم عن صالح بن السندي عن جعفر بن بشير عن صالح (٦) الحذاء عن أبي أسامة قال كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فقال رجل ما السنة في دخول الخلاة قال يذكر (٧) الله و يتعوذ (٨) بالله من الشيطان الرجيم فإذا فرغت قلت الحمد لله على ما أخرج مني (٩) الأذى في يسر و عافية قال رجل (١٠) فالإنسان يكون على تلك الحال و لا يصير (١١) حتى ينظر إلى ما يخرج منه قال إنه ليس في الأرض آدمي إلا ومعه ملكان موكلان به فإذا كان على تلك الحال ثنيا برقبته ثم قال يا ابن آدم انظر إلى ما كنت تكدح له في الدنيا إلى ما هو صائر. (١٢)

٣٤- ومنه: عن العدة عن سهل عن ابن محبوب عن عبد الحميد عن أبي عبد الله عليه السلام قال إذا صعدا ملكا العبد المريض إلى السماء عند كل مساء يقول الرب تبارك و تعالى ما ذا كتبنا لعبدي في مرضه فيقولان الشكاية فيقول ما أنصفت عبدي إن حبسته في حبس من حبسي ثم أمتعه الشكاية أكتبنا لعبدي مثل ما كتبنا تكتبنا له من الخير في صحته لا تكتبنا عليه سيئة حتى أطلقه من حبسي فإنه في حبس من حبسي. (١٣)

٣٥- ومنه: عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي عن درست قال سمعت أبا إبراهيم عليه السلام يقول إذا مرض المؤمن أحيا الله عزوجل إلى صاحب الشمال لا تكتب على عبدي ما دام في حبسي ووثاقي ذنبا ويوحى إلى صاحب اليمين أن أكتب لعبدي ما كنت تكتب له في صحته من الحسنات. (١٤)

٣٦- ومنه: عن العدة عن البرقي عن ابن أبي نجران عن صفوان الجمال عن أبي عبد الله عليه السلام قال من عاد مريضا من المسلمين وكل الله به أبدا سبعين ألفا من الملائكة يغشون رحله و يسبحون فيه و يقدسون و يهللون و يكبرون إلى يوم القيامة تصف صلاتهم لعائد المريض. (١٥)

٣٧- ومنه: عن العدة عن أحمد بن محمد بن عثمان بن عيسى عن مهران بن محمد قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول إن الميت إذا مات بعث الله ملكا إلى أوجع أهله فمسح على قلبه فأشاه لوعة الحزن و لو لا ذلك لم تعمر الدنيا. (١٦)

٣٨- ومنه: عن الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن الحسن بن علي الوشاء عن أبان عن عمرو بن خالد عن أبي جعفر عليه السلام قال قال جبرئيل يا رسول الله إنا لا ندخل بيتا فيه صورة إنسان و لا بيتا يبالي فيه و لا بيتا فيه كلب. (١٧)

٣٩- ومنه: عن علي بن إبراهيم (١٨) بن عمر اليماني عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ حدثني جبرئيل إن الله عز و جل أهدى إلى الأرض ملكا فأقبل ذلك الملك يمشي حتى وقع إلى باب عليه رجل يستأذن على رب الدار فقال له الملك ما حاجتك إلى رب هذه الدار قال أخ لي مسلم زرت في الله تبارك و تعالى قال له الملك ما

(١) سورة الرعد، آية: ١٢.

(٢) تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٠٥ حديث ١٦.

(٣) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢٥٣ باب إمامة أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

(٤) في المصدر: «صباح».

(٥) في المصدر: «تذكر».

(٦) في المصدر: «تعوذ».

(٧) في المصدر: «الرجل».

(٨) في المصدر: «ولا يصير».

(٩) الكافي ج ٣ ص ٦٩ و ٧٠ باب النوادر حديث ٣.

(١٠) الكافي ج ٣ ص ١١٤ باب ثواب المريض حديث ٧.

(١١) الكافي ج ٣ ص ٢٢٧ باب في السلوحة حديث ١.

(١٢) الكافي ج ٣ ص ٣٩٣ باب الصلاة في الكعبة و فوقها في البيع و الكتائب و المواضع التي تترك الصلاة فيها حديث ٢٦.

(١٣) كذا في نسخ البحار، و في المصدر: «علي بن إبراهيم عن أبيه عن حماد بن عيسى عن إبراهيم بن عمر اليماني» و هو الصواب.

جاء بك إلا ذاك فقال ما جاء بي إلا ذاك قال فإني رسول الله إليك وهو يقرئك السلام ويقول وجبت لك الجنة وقال الملك إن الله عز وجل يقول أيما مسلم زار مسلماً فليس إياه زار إياي زار و ثوابه علي الجنة.^(١)

٤٠- ومنه: عن العدة عن أحمد بن محمد بن علي بن الحكم عن إسحاق بن عمار عن أبي قرّة^(٢) قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول من زار أخاه في الله في مرض أو صحة لا يأتيه خداعاً ولا استبدالاً وكل الله به سبعين ألف ملك ينادون في قفاه أن طبت وطابت لك الجنة فأنتم زوار الله وأنتم وفد الرحمن حتى يأتي منزله فقال له يسير جعلت فداك فإن^(٣) كان المكان بعيداً قال نعم يا يسير وإن كان المكان مسيراً^(٤) سنة فإن الله جواد والملائكة كثير^(٥) يشيعونه حتى يرجع إلى منزله.^(٦)

٤١- ومنه: عن محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن ابن بزيغ عن صالح بن عقبة عن عبد الله بن محمد الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قال إن المؤمن ليخرج إلى أخيه يزوره فيوكل الله عز وجل به ملكاً فيضع جناحه في الأرض وجناحه في السماء يطلبه^(٧) فإذا دخل على^(٨) منزله نادى الجبار تبارك وتعالى أيها العبد العظيم لحقي المتبع لأثار نبي حق علي إعظامك سألني أعطك ادعني أجيبك أسكت أبتدئك فإذا انصرف شيعة الملك يظله بجناحه حتى يدخل إلى منزله ثم يناديه تبارك وتعالى أيها العبد العظيم لحقي حق علي إكرامك قد أوجبت لك جنتي و شفتك في عبادي.^(٩)

٤٢- ومنه: عن العدة عن سهل بن يحيى بن المبارك عن ابن جبلة عن إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال إن المؤمنين إذا التقيا فتصافحا أنزل الله عز وجل الرحمة عليها فكانت تسعة وتسعين لأشدهما حباً لصاحبه فإذا توافقا غمرتاهما الرحمة وإذا قعدا يتحدثان قالت الحفظة بعضها لبعض اعتزلوا بنا فلعل لهما سرا وقد ستره الله عليهما فقلت أليس الله عز وجل يقول ﴿مَا يَلْفُظُونَ قَوْلًا إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾^(١٠) فقال يا إسحاق إن كانت الحفظة لا تسمع فإن عالم السر يسمع ويرى.^(١١)

٤٣- ومنه: عن العدة عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي عن أبيه عن محمد بن سنان عن إسحاق بن عمار عن الوصافي عن أبي جعفر عليه السلام قال كان فيما ناجى الله عز وجل به موسى عليه السلام قال يا موسى أكرم السائل ببذل يسير أو برد جميل إنه^(١٢) يأتيك من ليس بإنس ولا جان ملائكة من ملائكة الرحمن يبيلونك فيما خولتك ويسألونك فيما نولتك فانظر كيف أنت صانع يا ابن عمران.^(١٣)

٤٤- ومنه: عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن التوفلي عن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال من كتم صومه قال الله عز وجل لملائكته عيدي استجار من عذابي فأجيروه وكل الله عز وجل ملائكة بالدعاء للصائمين ولم يأمرهم بالدعاء لأحد إلا استجاب لهم فيه.^(١٤)

٤٥- ومنه: عن عدة من أصحابه عن سهل بن زياد عن محمد بن سنان عن منذر بن يزيد عن يونس بن ظبيان قال قال أبو عبد الله عليه السلام من صام لله عز وجل يوماً في شدة الحر فأصابه ظمأ وكل الله به ألف ملك يمسحون وجهه ويشرونه.^(١٥)

٤٦- ومنه: عن أحمد بن محمد بن علي بن الحسن^(١٦) التيملي عن علي بن أسباط عن رجل من أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال إذا كان أيام الموسم بعث الله ملائكة في صورة الآدميين يشترون متاع الحاج والتجار قلت فما يصنعون^(١٧) قال يلقونه في البحر.^(١٨)

(١) الكافي ج ٢ ص ١٧٦ باب زيارة الأخوان حديث ٢. (٢) في المصدر: «غرة».

(٣) في المصدر: «وإن». (٤) في المصدر: «مسيرة».

(٥) في المصدر: «كثيرة». (٦) الكافي ج ٢ ص ١٧٧ باب زيارة الأخوان حديث ٧.

(٧) في المصدر: «يطلبه». (٨) في المصدر: «إلى».

(٩) الكافي ج ٢ ص ١٧٨ باب زيارة الأخوان حديث ١٢. (١٠) سورة ق، آية: ١٨.

(١١) الكافي ج ٢ ص ٢٨١ و ٢٨٢ باب المصافحة حديث ١٤. (١٢) في المصدر: «لأنه».

(١٣) الكافي ج ٤ ص ١٥ باب كراهية رد السائل حديث ٣.

(١٤) الكافي ج ٤ ص ٦٤ باب ما جاء في فضل والصائم حديث ١٠.

(١٥) الكافي ج ٤ ص ٦٤ باب ما جاء في فضل الصوم والصائم حديث ٨.

(١٦) في بعض النسخ: «الحسين»، وفي المصدر: «علي بن إبراهيم التيملي».

(١٧) في المصدر إضافة: «به». (١٨) الكافي ج ٤ ص ٥٤٧ باب نوادر حديث ٣٦.

٤٧- ومنه: عن العدة عن سهل و علي بن إبراهيم عن أبيه جميعا عن ابن محبوب عن داود الرقي عن أبي عبد الله عليه السلام قال ليس خلق أكثر من الملائكة إنه لينزل كل ليلة من السماء سبعون ألف ملك فيطوفون بالبيت الحرام ليلتهم وكذلك في كل يوم. (١)

٤٨- الإختصاص: بإسناده عن المعلى بن محمد رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال إن الله عز وجل خلق الملائكة من نور (٢) الخبر.

٤٩- ومنه: بإسناده عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي عبد الله عليه السلام قال استأذن ملك ربه أن ينزل إلى الدنيا في صورة آدمي فأذن له فمر برجل على باب قوم يسأل عن رجل من أهل الدار فقال الملك يا عبد الله أي شيء تريد من هذا الرجل الذي تطلبه قال هو أخ لي في الإسلام أحببته في الله جئت لأسلم عليه قال ما بينك وبينه رحم ماسة ولا نزعتك (٣) إليه حاجة قال لا إلا الحب في الله عز وجل فجئت لأسلم عليه قال فإني رسول الله إليك وهو يقول قد غفرت لك بحبك إياه في. (٤)

٥٠- كتاب الحسين بن سعيد: عن ابن أبي عمير عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال سمعته يقول إن في السماء ملكين موكلين بالعباد فمن تواضع لله رفعاه ومن تكبر وضعاه. (٥)

٥١- نوادر الراوندي: بإسناده عن موسى بن جعفر عن أبيه عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ أتاني جبرئيل عليه السلام فقال يا محمد كيف تنزل عليكم وأنتم لا تستأذنون ولا تستنجون بالماء ولا تغسلون براحمكم. (٦)

بيان: قال في النهاية فيه من الفطرة غسل البراجم هي المقد التي في ظهور الأصابع يجتمع فيها الوسخ الواحدة برجمة بالضم (٧).

٥٢- مجالس الشيخ: عن جماعة عن أبي الفضل الشيباني عن محمد بن جعفر الرزاز عن محمود (٨) بن عيسى بن عبيد عن أحمد بن الحسن الميثمي عن الفضل بن صالح عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عن أبيه عليه السلام عن النبي ﷺ قال لقي ملك رجلا على باب دار كان ربها غائبا فقال له الملك يا عبد الله ما جاء بك إلى هذه الدار فقال أخ لي أردت زيارته قال أرحم ماسة بينك وبينه أم نزعتك إليه حاجة (٩) قال ما بيننا رحم أقرب من رحم الإسلام وما نزعتي إليه حاجة ولكني زرت في الله رب العالمين قال فأبشر فإني رسول الله إليك وهو يقرئك السلام ويقول لك إياي قصدت وما عندي أردت بصنعك (١٠) فقد أوجبت لك الجنة وعافيتك من غضيبي ومن النار حيث أتيت. (١١)

٥٣- ومنه: عن جماعة عن أبي الفضل عن عبد الله بن سليمان بن الأشعث عن إسحاق بن إبراهيم النهشلي عن زكريا بن يحيى عن مندل بن علي عن الأعمش عن ابن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ يغدو إليه (١٢) علي عليه السلام في الغداة وكان يحب أن لا يسبقه إليه أحد (١٣) فإذا النبي ﷺ في صحن الدار وإذا رأسه في حجر دحية بن خليفة الكلبي فقال السلام عليك كيف أصبح رسول الله قال بخير يا أخا رسول الله ﷺ فقال علي عليه السلام جزاك الله عنا أهل البيت خيرا قال له دحية إني أحبك وإن لك عندي مديحة أهديها إليك أنت أمير المؤمنين وقائد الفر المحجلين وسيد ولد آدم إلى يوم القيامة ما خلا النبيين والمرسلين ولواء الحمد بيدك يوم القيامة تزف أنت وشيعتك مع محمد وحزبه إلى الجنان فقد أفلح من والاك وخاب وخسر من خلاك بحب محمد أحبوك وببغضه أبغضوك (١٤) لا تنالهم شفاعة محمد ﷺ أدن من صفوة الله فأخذ رأس النبي ﷺ فوضعه في حجره فانتبه النبي ﷺ فقال ما هذا

(٢) الإختصاص ص ١٠٩.

(١) روضة الكافي ص ٢٧٢ حديث ٤٠٢.

(٤) الإختصاص ص ٢٢٤.

(٣) في المصدر: «و لا يرغبتك».

(٦) نوادر الراوندي ص ٤٠.

(٥) كتاب الزهد ص ٦٢ حديث ١٦٣.

(٨) في المصدر: «محمد».

(٧) النهاية ج ١ ص ١١٣.

(٩) في المصدر: «لا» بدل قوله من «ما بيننا» حتى «حاجة».

(١١) أمالي الطوسي ص ٥٦٩ مجلس ٢٦ حديث ١٢٣٦، و عبارة: «ومن النار حيث أتيت» ليست فيه.

(١٢) في المصدر: «في بيته فعذا إليه» بدل «يغدو إليه».

(١٤) في المصدر إضافة: «فدخل».

(١٤) في المصدر: «محمّد محمد صلى الله عليه وآله محبّوك ومبغضوك».

الههمة فأخبره الحديث فقال لم يكن دحية كان جبرئيل سماك باسم سماك الله تعالى به وهو الذي ألقى محبتك في قلوب المؤمنين و رهبتك في صدور الكافرين^(١).

٥٤- العلل: لمحمد بن علي بن إبراهيم سئل أبو عبد الله عليه السلام عن الملائكة يأكلون ويشربون وينكحون فقال لا إنهم يعيشون بنسيم العرش قليل له ما العلة في نومهم فقال فرقا بينهم وبين الله عز وجل لأن الذي لا تأخذه سنة و لا نوم هو الله.^(٢)

٥٥- ومنه: قال العلة في الصيحة من السماء كيف يعلمها أهل الدنيا والصيحة هي بلسان واحد و لغات الناس تختلف فقال إن في كل بلد ملائكة مولكون فينادي في كل بلد ملك بلسانهم وكذلك إبليس شياطين مولكون بكل بلدة ينادون فيهم بلسانهم و لغاتهم ألا إن الأمر لعثمان بن عفان.^(٣)

٥٦- الإقبال: في تعقيبات نوافل شهر رمضان وغيرها و صل على جبرئيل وميكائيل وإسرافيل و ملك الموت و مالك خازن النار و رضوان خازن الجنة و روح القدس و الروح الأمين و حملة عرشك المقربين و على منكر و نكير^(٤) و على الملكين الحافظين^(٥) و على الكرام الكاتبين.^(٦)

٥٧- النهج: [نهج البلاغة] عن نوف البكالي قال قال أمير المؤمنين عليه السلام أيها المتكلف لو صف ربك فصف جبرئيل و ميكائيل و جنود الملائكة المقربين في حجرات القدس مرجحين متوالهة^(٧) عقولهم أن يحدوا أحسن الخالقين.^(٨)

بيان: التكلف التجشم و ارتكاب الشيء على مشقة و حجرة القوم بالفتح ناحية دارهم و الجمع حجرات كجمرة و جمرات و في بعض النسخ حجرات بضمين جمع حجرة بالضم و هي الغرفة و قيل الموضع المنفرد و أرجعن الشيء كقشعر أي مال من ثقله و تحرك قال في النهاية أورد الجوهري هذا الحرف في حرف النون على أن التوئين أصلية و غيره يجعلهما زائدة من رجح الشيء كمنع إذا ثقل قال ابن أبي الحديد أي مائلين إلى جهة التحت خضوعا لله سبحانه^(٩) و قال الكيديرى الأرجحان الميل و أرجعن الشيء اهتز^(١٠) انتهى و لعل المراد بحجرات القدس المواضع المعدة لهم في السماوات و هي محال القدس و التنزه عن المعاصي و ذرائل الأخلاق و الوله الحزن و الحيرة و الخوف و متولهة عقولهم على صيغة اسم الفاعل أي محزونة أو حائرة أو خائفة و في بعض النسخ على صيغة اسم المفعول و الأول أظهر أن يحدوا أحسن الخالقين أي يدركوه بكنهه أي يدركوا مبلغ قدرته و علمه أو مقدار عظمته.

٥٨- كتاب النوادر: لعلي بن أسباط عن يعقوب بن سالم الأحمر عن رجل عن أبي جعفر عليه السلام قال لما قبض رسول الله بآل محمد بليلة أطول ليلة ظنوا أنهم لا سماء تظلمهم و لا أرض تغلهم مخافة لأن رسول الله عليه السلام و تر الأقربين و الأبعدين في الله فينبئهم كذلک إذ أتاهم آت لا يرونه و يسمعون كلامه فقال السلام عليكم يا أهل البيت و رحمة الله و بركاته في الله عزاء من كل مصيبة و نجاة من كل هلكة و درك لما فات إن الله اختاركم و فضلكم و طهركم و جعلكم أهل بيت نبيه عليه السلام و استودعكم علمه و أورثكم كتابه و جعلكم تابوت علمه و عصا عزه و ضرب لكم مثلا من نوره و عصمكم من الزلل و آمنكم من الفتن فاعتزوا بعزاء الله فإن الله لم ينزع منكم رحمته و لم يدل^(١١) منكم عدوه فأنتم أهل الله الذين بكم تمت النعمة و اجتمعت الفرقة^(١٢) و انتلفت الكلمة و أنتم أولياء الله من تولاكم نجا و من ظلمكم^(١٣) يزهد مودتكم من الله في كتابه واجبة على عباده المؤمنين و الله على نصركم إذا يشاء قدير فاصبروا لعواقب الأمور فإنها إلى الله تصير فقد قبلكم الله من نبيه عليه السلام وديعة و استودعكم أولياءه المؤمنين في

(١) أمالي الطوسي ص ٦٠٤ مجلس ٢٧ حديث ٢٥٠.

(٢) لم نثر على كتاب العلل هذا.

(٣) عبارة: «و على منكر و نكير» ليست في المصدر.

(٤) في المصدر إضافة: «علي».

(٥) إقبال الأعمال ج ١ ص ٢١٧ باب ٥.

(٦) نهج البلاغة ص ٢٦٢ خطبة ١٨٢.

(٧) في المصدر: «متولهة».

(٨) شرح النهج لابن أبي الحديد ج ١٠ ص ٩١.

(٩) الدولة في العرب: أن تدال إحدى الفتن على الأخرى، الصحاح ج ٤ ص ١٦٩٩.

(١٠) حدائق الحقائق ج ٢ ص ١١٦.

(١١) في المصدر: «الرحمة» بدل «الفرقة».

(١٢) في المصدر إضافة: «حكم».

الأرض فمن أدى أمانته آتاه^(١) الله صدقه فأنتم الأمانة المستودعة والمودة الواجبة ولكم الطاعة المفترضة وبكم تمت النعمة وقد قبض الله نبيه ﷺ وقد أكمل الله به الدين وبين لكم سبيل المخرج فلم يترك للجاهل حجة فمن تجاهل أو جهل أو أنكر أو نسي أو تناسى فعلى الله حسابه والله من وراء حوائجكم فاستعينوا بالله على من ظلمكم واسألوا الله حوائجكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فسأله يحيى بن أبي القاسم فقال جعلت فداك ممن أنتهم التعزية فقال من الله عز وجل^(٢).
أقول: قد مر مثله بأسانيد جمعة في المجلد السادس وسيأتي أيضا في أبواب الجنائز.

٥٩- الكافي: عن الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن الوشاء عن محمد بن الفضل عن أبي جعفر ﷺ قال إن لله عز وجل ديكا رجلاه في الأرض السابعة و عنقه مثنية^(٣) تحت العرش وجناحه في الهواء إذا كان في نصف الليل أو الثلث الثاني من آخر الليل ضرب بجناحه^(٤) وصاح سبح قدوس ربنا الله الملك الحق المبين فلا إله غيره رب الملائكة والروح فتضرب الديكة بأجنحتها وتصيح^(٥).

٦٠- الإحتجاج: في حديث الزنديق الذي سأله أبا عبد الله ﷺ عن مسائل فأسلم إنه سأل ما علة الملائكة الموكلين بعباده يكتبون عليهم ولهم والله عالم السر وأخفى^(٦) فقال ﷺ استعبدكم بذلك وجعلهم شهداء على خلقه لتكون^(٧) العباد لملازمهم إياهم أشد على طاعة الله مواظبة وعن معصيته أشد انقباضا وكم من عبد يهم بمعصيته فذكر مكانها فارغوى وكف ويقول ربي يراني وحفظتي علي بذلك تشهد وإن الله يرأفته ولطفه أيضا وكلهم يذبون عنهم مردة الشياطين وهوام الأرض وأفات كثيرة من حيث لا يرون بإذن الله إلى أن يجيء أمر الله عز وجل^(٨).

بيان: وكلهم بعباده أي جنس الملائكة أو هذا النوع يعني الكتب والأول أوفق بسائر الأخبار الدالة على المغايرة وإن كان الثاني أنسب بسياق هذا الخبر.

٦١- الكافي: عن محمد بن أحمد عن عبد الله بن الصلت عن يونس عن أبي بصير قال قال أبو عبد الله ﷺ يا أبا محمد إن لله عز ذكره ملائكة يسقطون الذنوب عن ظهور شيعتنا كما تسقط الريح الورق من الشجر في أن سقوته وذلك قوله عز وجل «يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا»^(٩) والله ما أراد بهذا غيركم^(١٠).

٦٢- دلائل الإمامة: للطبري عن محمد بن هارون بن موسى عن أبيه عن محمد بن همام عن أحمد بن الحسين المعروف بابن أبي القاسم عن أبيه عن بعض رجاله عن حسن بن شعيب عن محمد بن سنان عن يونس بن ظبيان قال استأذنت على أبي عبد الله ﷺ فخرج إلي معتب فأذن لي فدخلت ولم يدخل معي كما كان يدخل فلما أن صرت في الدار نظرت إلى رجل على صورة أبي عبد الله ﷺ فسلمت عليه كما كنت أفعل قال من أنت يا هذا لقد وردت على كفر أو إيمان وكان بين يديه رجلان كان على رءوسهما الطير فقال ادخل فدخلت الدار الثانية فإذا رجل على صورته ﷺ وإذا بين يديه خلق كثير كلهم صورهم واحدة فقال من تريد قلت أريد أبا عبد الله ﷺ فقال قد وردت على أمر عظيم إما كفر أو إيمان ثم خرج من البيت رجل حين بدأ به البيت^(١١) فأخذ بيدي فأوقفني على الباب وغشي بصري من النور فقلت السلام عليكم يا بيت الله ونوره وحجابه فقال وعليك السلام يا يونس فدخلت البيت فإذا بين يديه طائران يحكيان فكنت أفهم كلام أبي عبد الله ﷺ ولا أفهم كلامهما فلما خرجا قال يا يونس سل نحن محل^(١٢) النور في الظلمات ونحن البيت المعمور الذي مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا نحن عترة^(١٣) الله وكبرياؤه قال قلت جعلت فداك رأيت شيئا عجيبا رأيت رجلا على صورتك قال يا يونس إنا لا نوصف ذلك صاحب السماء الثالثة يسأل أن

(١) في المصدر: «أكاه».

(٢) التوارد لعلي بن أسباط ضمن الأصول الستة عشر ص ١٢٩ - ١٢٢.

(٣) في المصدر: «مثنية».

(٤) روضة الكافي ص ٢٧٢ حديث ٤٠٦.

(٥) في المصدر: «ليكون».

(٦) سورة المؤمن، آية: ٧.

(٧) في المصدر: «بدأ به الشيب».

(٨) في المصدر: «عزة».

(٩) في المصدر: «نجلي».

أستأذن الله له أن يصير مع أخ له في السماء الرابعة قال فقلت فهؤلاء الذين في الدار قال هؤلاء أصحاب القائم من الملائكة قال قلت فهذان قال جبرئيل وميكائيل نزلا إلى الأرض فلن يصعدا حتى يكون هذا الأمر إن شاء الله و هم خمسة آلاف يا يونس بنا أضأت الأبصار و سمعت الآذان و وعث القلوب بالإيمان^(١)

بيان: على كفر أو إيمان أي إن أنكرت ما رأيت كفرت وإن قبلت آمنت كان على رءوسهما الطير أي لا يتحركان.

٦٣-الكافي: عن علي عن أبيه عن النوفلي عن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ إن لله ملكا رجلاه في الأرض السفلى مسيرة خمسمائة عام ورأسه في السماء العليا مسيرة ألف سنة يقول سبحانه حيث كنت فما أعظمك قال فيوحى الله عز وجل إليه ما يعلم ذلك من يحلف بي كاذبا^(٢)

٦٤-ومنه: عن علي عن أبيه ومحمد بن إسماعيل عن الفضل بن شاذان جميعا عن ابن أبي عمير عن إبراهيم بن عبد الحميد عن شيخ من أصحابنا يكنى أبا الحسن عن أبي جعفر عليه السلام قال إن الله تبارك وتعالى خلق ديكا أبيض عنقه تحت العرش ورجلاه في تخوم الأرض السابعة له جناح في المشرق وجناح في المغرب لا تصيح الديوك حتى يصيح فإذا صاح خفق بجناحيه ثم قال سبحانه الله سبحانه الله العظيم الذي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ قال فيجيبه الله تبارك وتعالى فيقول لا يحلف بي كاذبا من يعرف ما تقول^(٣)

٦٥-الدر المنثور: للسيوطي عن أنس قال قال رسول الله ﷺ إن أول من لبي الملائكة قال الله ﷻ «إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ»^(٤) قال فرادوه^(٥) فأعرض عنهم فظافوا بالعرش بست سنين يقولون لبيك لبيك اعتذارا إليك لبيك^(٦) نستغفرك وتوب إليك^(٧)

٦٦-وعن ابن جبير أن عمر سأل النبي ﷺ عن صلاة الملائكة فلم يرد عليه شيئا فاتاه جبرئيل فقال إن أهل السماء الدنيا سجدوا إلى يوم القيامة يقولون سبحانه ذي الملك والملكوت وأهل السماء الثانية ركعوا إلى يوم القيام يقولون سبحانه ذي العزة والجبروت وأهل السماء الثالثة قيام إلى يوم القيامة يقولون سبحانه الحي الذي لا يموت^(٨)

٦٧-وعن ابن عباس قال لما توافق الناس يوم بدر أغشى على رسول الله ﷺ ساعة ثم كشف^(٩) عنه فبشر الناس بجبرئيل في جند من الملائكة ميمنة الناس وميكائيل في جند آخر مسيرة الناس وإسرافيل في جند آخر وإيليس قد تصور في صورة سراقا بن مالك^(١٠) المدلجي يؤيد^(١١) المشركين ويخبر أنه لا غالب لكم اليوم من الناس فلما أبصر عدو الله الملائكة نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون فتثبت^(١٢) به الحرث بن هشام وهو يرى أنه سراقا لما سمع من كلامه ف ضرب في صدر الحرث فسقط الحرث وانطلق إيليس لا يرى حتى سقط في البحر ورفع يديه وقال يا رب موعدك الذي وعدتني^(١٣)

٦٨-وعن الحسن في قوله إني أرى ما لا ترون قال رأى جبرئيل عليه السلام معتجرا بردائه يقود الفرس بين يدي أصحابه ما ركب^(١٤)

٦٩-وعن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أظمت السماء وحق لها أن تظط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته لله ساجدا والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما لتذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله لوددت أني كنت شجرة تعضد^(١٥)

(١) دلائل الإمامة ص ٢٧٠ و ٢٧١ حديث ٢٠٤.
(٢) الكافي ج ٧ ص ٤٣٦ باب اليمين الكاذبة حديث ٥.
(٣) الكافي ج ٧ ص ٤٣٧ باب اليمين الكاذبة حديث ١١.
(٤) سورة البقرة: آية: ٣٠.
(٥) في المصدر: «فزادوا».
(٦) في المصدر: إضافة: «لبيك».
(٧) الدر المنثور ج ١ ص ٤٦.
(٨) الدر المنثور ج ١ ص ٤٦.
(٩) في المصدر: «سرى».
(١٠) في المصدر: «بجبر».
(١١) في المصدر: «بجبر».
(١٢) الدر المنثور ج ٣ ص ١٩٠، وفيه سقط بمقدار سطر واحد.
(١٣) الدر المنثور ج ٣ ص ١٩٠.
(١٤) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٦٥ وفيه «عن أنس» بدل «عن أبي ذر».

بيان: أظت السماء قال في النهاية الأظيط صوت الأتقاب و أظيط الإبل أصواتها و حنيها أي إن كثرة ما فيها من الملائكة قد أظفلها حتى أظت و هذا مثل و إيدان بكثرة الملائكة و إن لم يكن ثم أظيط و إنما هو كلام تقريب أريد منه تقرير عظمة الله^(١) و قال الصعدات الطرق جمع صعد و صعد جمع صعيد كطريق و طرق و طرقات و قيل هي جمع صعدة كظلمة و هي فناء باب الدار و مسر الناس بين الأندية^(٢) انتهى.

وقال الطيبي في شرح هذا الحديث أي فخرجتم إلى الطرقات والصحاري ومسر الناس كفعول المحزون الذي يضيق به المنزل فيطلب الفضاء لبت الشكوى وقال في قوله لوددت أني شجرة تعضد هو بكلام أبي ذر أشبه والنبي ﷺ أعلم بالله من أن يتمنى عليه حالا أوضح عما هو فيه انتهى. وأقول: هو إظهار الخوف منه تعالى وهو لا ينافي القرب منه سبحانه بل يؤكد «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ»^(٣).

٧٠- الدر المنثور: عن ابن عباس قال جعل الله على ابن آدم حافظين في الليل وحافظين في النهار يحفظان عمله ويكتبان أثره^(٤).

٧١- وعن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ إن الله ينهاكم عن التعري فاستحيوا من ملائكة الله الذين معكم الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى ثلاث حاجات الغائط والجنابة والغسل^(٥).

٧٢- وعن رجل من بني تميم قال كنا عند أبي العوام فقرأ هذه الآية «عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ» ألفا قلت لا بل تسعة عشر ملكا فقال ومن أين أنت علمت ذلك قلت^(٦) لأن الله يقول «وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا»^(٧) قال صدقت هم تسعة عشر ملكا بيد كل ملك منهم مرزبة من حديد لها شعبتان فيضرب بها الضربة يهوي بها^(٨) سبعين ألفا بين متكبي كل ملك منهم مسيرة كذا وكذا^(٩).

٧٣- وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به قال فصعدت أنا وجبرئيل إلى السماء الدنيا فإذا أنا بملك يقال له إسماعيل وهو صاحب سماء الدنيا وبين يديه سبعون ألف ملك مع كل ملك جنده مائة ألف وتلا هذه الآية «وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ»^(١٠).

٧٤- وعن ابن عباس قال ما أنزل الله على نبيه آية من القرآن إلا ومعها أربعة حفظة من الملائكة^(١١) يحفظونها حتى يؤدونها إلى النبي ثم قرأ «غَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يَطْفِئُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا» يعني الملائكة الأربعة «لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ»^(١٢).

٧٥- وعن سعيد بن جبير في قوله «فَأِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا» قال أربعة حفظة من الملائكة مع جبرئيل ليَعْلَمَ محمد أن قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ قال وما جاء جبرئيل بالقرآن إلا ومعها أربعة من الملائكة حفظة^(١٣).

٧٦- وعن الضحاك بن مزاحم في قوله «إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا» قال كان النبي ﷺ إذا بعث إليه الملك بعث ملائكة^(١٤) يحرسونه من بين يديه ومن خلفه أن يتشبه الشيطان على صورة الملك^(١٥).

٧٧- وعن ابن عباس في قوله «إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا» قال هي معقبات من الملائكة يحفظون النبي ﷺ من الشياطين حتى يتبين الذي أرسل إليهم^(١٦).

(١) النهاية ج ٣ ص ٢٩.

(٤) الدر المنثور ج ٦ ص ٣٢٣.

(٦) في المصدر: «قلنا».

(٨) في المصدر: «في جهنم» بدل «فيها».

(١٠) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٨٤، والآية من سورة المدثر: ٣١.

(١٢) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٥٧، والآية من سورة الجن: ٢٦ و ٢٧.

(١١) النهاية ج ١ ص ٥٤.

(٣) سورة فاطر، آية: ٢٨.

(٥) الدر المنثور ج ٦ ص ٣٢٣.

(٧) سورة المدثر، آية: ٣١.

(٩) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٨٤.

(١١) في المصدر: «ولا معها أربعة من الأملاك».

(١٣) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٧٥.

(١٤) في المصدر: «إذا بعث إليه الملك بالوحي بعث معه نفر من الملائكة».

(١٥) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٥٧.

(١٦)

٧٨- وعن سعيد بن جبير ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ قال الملائكة ما في السماء موضع إلا عليه ملك إما ساجد وإما قائم حتى تقوم الساعة.^(١)

٧٩- وعن العلاء بن سعد أن رسول الله ﷺ قال يوما لجلسائه أظت السماء وحق لها أن تظت ليس منها موضع قدم إلا عليه ملك رافع أو ساجد ثم قرأ ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾.^(٢)

٨٠- وعن مجاهد ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾^(٣) قال أظت السماء وما تلام أن تظت إن السماء ما فيها موضع شبر إلا عليه جبهة ملك أو قدما.^(٤)

٨١- وعن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أن السماء أظت وحق لها أن تظت ما فيها موضع أربع أصابع إلا ملك واضع جبهته ساجدا لله.^(٥)

٨٢- وعن حكيم بن حزام قال كنا عند رسول الله ﷺ فقال هل تسمعون ما أسمع قلنا يا رسول الله ما تسمع قال أظيط السماء وما تلام أن تظت ما فيها موضع قدم إلا وفيه ملك رافع أو ساجد.^(٦)

٨٣- فردوس الأخبار: عن سعد بن معاذ قال قال النبي ﷺ نقوا أفواهكم بالخلال فيأنها مسكن المالكين الحافظين الكاتبتين وإن مدامها الريق وقلمها اللسان وليس شيء أشد عليهما من فضل الطعام في الفم.^(٧)

٨٤- سعد السعدي: قال بعد أن ذكر المالكين الموكلين بالعبد وفي رواية أنهما إذا أرادا النزول صباحا ومساء ينسخ لهما إسرافيل عمل العبد من اللوح المحفوظ فيعطيها ذلك فإذا صعد صباحا ومساء يديوان العبد قابله إسرافيل بالنسخ التي انتسخ^(٨) لهما حتى يظهر أنه كان كما نسخ منه.^(٩)

تكملة:

اعلم أنه أجمعت الإمامية بل جميع المسلمين إلا من شذ منهم من المتفلسفين الذين أدخلوا أنفسهم بين المسلمين لتخريب أصولهم وتضييع عقائدهم على وجود الملائكة وأنهم أجسام لطيفة نورانية أولي أجنحة مثني وثلاث ورباع وأكثر قادرون على التشكل بالأشكال المختلفة وإنه سبحانه يورد عليهم بقدرته ما يشاء من الأشكال والصور على حسب الحكم والمصالح ولهم حركات صعودا وهبوطا وكانوا يراهم الأنبياء والأوصياء ﷺ والقول بتجردهم وتأويلهم بالعقول والنفوس الفلكية والقوى والطباع وتأويل الآيات المتظافرة والأخبار المتواترة تعويلا على شبهات واهية واستبعادات وهمية زيغ عن سبيل الهدى واتباع لأهل الجهل والعمى.

قال المحقق الدواني في شرح العقائد الملائكة أجسام لطيفة قادرة على التشكلات المختلفة^(١٠) وقال شارح المقاصد ظاهر الكتاب والسنة وهو قول أكثر الأمة إن الملائكة أجسام لطيفة نورانية قادرة على التشكلات بأشكال مختلفة كاملة في العلم والقدرة على الأفعال الشاقة شأنها الطاعة ومسكنها السماوات هم رسل الله تعالى إلى أنبيائه وأمناءه على وجهه ﴿مُسَبِّحُونَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارَ لَا يَفُتُونَ﴾^(١١) ﴿وَلَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.^(١٢)

وقال الملائكة عند الفلاسفة هم العقول المجردة والنفوس الفلكية ويخص باسم الكروبيين ما لا تكون له علاقة مع الأجسام ولو بالتأثير وذهب أصحاب الطلسمات إلى أن لكل فلك روحا كليا - أمره ويتشعب منه أرواح كثيرة مثلا للعرش أعني الفلك الأعظم روح يرى أثره في جميع ما في جوفه يسمى بالنفس الكلية والروح الأعظم ويتشعب منه أرواح كثيرة متعلقة بأجزاء العرش وأطرافه كما أن النفس الناطقة تدبر أمر بدن الإنسان ولها قوة طبيعية وحيوانية ونفسانية بحسب كل عضو وعلى هذا يحمل قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾^(١٣) وقوله

(٢) الدر المنثور ج ٥ ص ٢٩٣.

(٤) الدر المنثور ج ٥ ص ٢٩٣.

(٦) الدر المنثور ج ٥ ص ٢٩٣.

(٨) في المصدر: «بالنسخة التي تنسخ».

(١٠) شرح العقائد الضدية ص ٢٢٢.

(١٢) شرح المقاصد ج ٣ ص ٣٦٨ والآية من سورة التحريم: ٦.

(١) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٩٢.

(٣) سورة الصافات، آية: ١٦٥ - ١٦٦.

(٥) الدر المنثور ج ٥ ص ٢٩٣.

(٧) فردوس الأخبار.

(٩) سعد السعدي ص ٢٢٦.

(١١) سورة الأنبياء، آية: ٢٠.

(١٣) سورة النبأ، آية: ٢٠.

تعالى ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾^(١) وهكذا سائر الأفلاك وأثبتوا لكل درجة روحا يظهر أثره عند حلول الشمس تلك الدرجة وكذا لكل من الأيام والساعات والبحار والجبال والمفاوز والعمران وأنواع النبات والحيوانات وغير ذلك على ما ورد في لسان الشرع من ملك الأرزاق وملك البحار وملك الأمطار وملك الموت ونحو ذلك وبالجمله فكما ثبت لكل من الأبدان البشرية نفس مدبرة فقد أثبتوا لكل نوع من الأنواع بل لكل صنف روحا يدبره يسمى بالطبائع التام لذلك النوع تحفظه عن الآفات والمخافات ويظهر أثره في النوع ظهور أثر النفس الإنسانية في الشخص^(٢) انتهى.

وقال الرازي في تفسيره إنه لا خلاف بين العقلاء في أن أشرف الرتبة للعالم العلوي هو وجود الملائكة فيه كما أن أشرف الرتبة للعالم السفلي هو وجود الإنسان فيه إلا أن الناس اختلفوا في ماهية الملائكة وحقيقتهم وطريق ضبط المذاهب أن يقال الملائكة لا بد وأن تكون ذوات قائمة بأنفسها ثم إن تلك الذوات إما أن تكون متحيزة أو لا تكون أما الأول ففيه أقوال: أحدها: أنها أجسام لطيفة هوائية تقدر على التشكل بأشكال مختلفة مسكنها السماوات وهذا قول أكثر المسلمين وثانيها: قول طوائف من عبدة الأوثان وهو أن الملائكة في الحقيقة^(٣) هو هذه الكواكب الموصوفة بالأسعاد والأنحاس فإنها بزعمهم أحياء ناطقة وأن السعادات منها ملائكة الرحمة والمنحسات منها هي ملائكة العذاب وثالثها: قول معظم المجوس والثنوية وهو أن هذا العالم مركب من أصلين أزليين وهما النور والظلمة وهما في الحقيقة جوهران شفافان حساسان^(٤) مختاران قادران متضادا النفس والصورة مختلفا الفعل والتدبير فجوهر النور فاضل خير نقي طيب الريح كريم النفس يسر ولا يضر وينفع ولا يمتنع ويحيي ولا يبلي وجوهر الظلمة على ضد ذلك ثم إن جوهر النور لم يزل يولد الأولياء وهم الملائكة لا على سبيل التناكح بل على سبيل تولد الحكمة من الحكيم والضوء من المضيء وجوهر الظلمة لم يزل يولد الأعداء وهم الشياطين على سبيل تولد السفه من السفه لا على سبيل التناكح فهذه أقوال من جعل الملائكة أشياء متحيزة جسمانية.

القول الثاني: إن الملائكة ذوات قائمة بأنفسها وليست بمتحيزة ولا أجسام فهانها قولان: أحدهما قول طوائف من النصارى وهو أن الملائكة في الحقيقة هي الأنفس الناطقة بذاتها المفارقة لأبدانها على نعت الصفا والخيرية وذلك لأن هذه النفوس المفارقة إن كانت صافية خالصة فهي الملائكة وإن كانت خبيثة كدرة فهي الشياطين وثانيها: قول الفلاسفة وهي أنها جواهر قائمة بأنفسها ليس بمتحيزة البتة وأنها بالماهية مخالفة لنوع النفوس الناطقة البشرية وأنها أكمل قوة منها وأكثر علما وأنها للنفوس البشرية جارية مجرى الشمس بالنسبة إلى الأضواء ثم إن هذه الجواهر على قسمين منها: ما هي بالنسبة إلى أجرام الأفلاك والكواكب كنفوسنا الناطقة بالنسبة إلى أبداننا ومنها ما هي أعلى شأنًا من تدبير أجرام الأفلاك بل هي مستغرقة في معرفة الله ومحبة ومشتغلة بطاعته وهذا القسم هم الملائكة المقربون ونسبتهم إلى الملائكة الذين يدبرون السماوات كنسبة أولئك المديرين إلى نفوسنا الناطقة فهذا القسمان قد اتفقت الفلاسفة على إثباتهما ومنهم من أثبت أنواعا أخر من الملائكة وهي الملائكة الأرضية المدبرة لأحوال هذا العالم السفلي ثم إن مدبرات هذا العالم إن كانت خيرات فهم الملائكة وإن كانت شريرة فهم الشياطين ثم اختلف أهل العلم في أنه هل يمكن الحكم بوجودها من حيث العقل أو لا سبيل إلى إثباتها إلا بالسمع فالفلاسفة على الأول.

أقول: ثم ذكر بعض دلائلهم فقال وأما الدلائل الثقلية فلا نزاع البتة بين الأنبياء ﷺ في إثبات الملائكة بل ذلك كالأمر المجمع عليه بينهم ثم ذكر كثرة الملائكة وبعض الأخبار في ذلك ثم قال رأيت في بعض كتب التذكير أن النبي ﷺ حين عرج به رأى الملائكة في موضع بمنزلة سوق بعضهم يمشي تجاه بعض فسأل رسول الله ﷺ أنهم إلى أين يذهبون فقال جبرئيل ﷺ لا أدري إلا أنني أراهم منذ خلقت ولا أرى واحدا منهم قد رأيته قبل ذلك ثم سألوا واحدا منهم وقيل له منذ كم خلقت فقال لا أدري غير أن الله تعالى يخلق كوكبا في كل أربعمئة ألف سنة فخلق مثل ذلك الكواكب منذ خلقتي أربعمئة ألف كوكب.

(٢) شرح المقاصد ج ٣ ص ٣٦٦ - ٣٦٨.

(٤) كلمة: «حساسان» ليست في المصدر.

(١) سورة الزمر، آية: ٧٥.

(٣) في المصدر: «هي».

ثم قال و اعلم أن الله ذكر في القرآن أصنافهم و أوصافهم و أما الأصناف فأحدها حملة العرش «وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ» (١) الآية.

و ثانيها: الحافون حول العرش «وَوَرَى الْمَلَائِكَةُ حَافِينَ» (٢) الآية.

و ثالثها: أكابر الملائكة فمنهم جبرئيل و ميكايل لقوله «جِبْرِيلُ وَمِيكَالُ» (٣) ثم إنه وصف جبرئيل بأمر: الأول أنه صاحب الوحي إلى الأنبياء «نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ» (٤) و الثاني أنه قدمه على ميكايل و الثالث جعله ثاني نفسه «فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ» (٥) الرابع سماه روح القدس الخامس ينصر أوليائه و يقهر أعداءه مع آلاف (٦) مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ السادس أنه مدحه بصفات ستة «إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ إِلَى قَوْلِهِ آمِينَ» (٧).

و منهم إسرئيل صاحب الصور و عزرائيل قابض الأرواح و له أعوان عليه.

و رابعها: ملائكة الجنة «وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ» الآية (٨).

و خامسها: ملائكة النار «وَعَلَيْهَا تَسْعَةُ عَشْرَ» (٩) و قوله «وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً» (١٠) و رئيسهم مالك «يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رُبُكَ» (١١) و أسماء جعلتهم الزبانية «سَنَدُّعُ الزَّبَانِيَّةَ» (١٢).

و سادسها: الموكلون ببني آدم لقوله تعالى «عَنِ الْيَمِينِ وَغَنِ الشَّمَائِلِ قَعِيدٌ مَا يَلْفُظُونَ قَوْلًا إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ» (١٣) و قوله تعالى «لَهُ مَعْقَبَاتُ» (١٤) الآية و قوله «وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً» (١٥).

و ثامنها الموكلون بأحوال هذا العالم «وَالصَّافَاتِ صَفًّا» (١٦) و قوله «وَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا» (١٧).

و عن ابن عباس (١٨) قال إن لله ملائكة سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الشجر فإذا أصاب أحدهم عجزه بأرض فلاة فليناد أعينوا عباد الله رحمكم الله.

و أما أوصاف الملائكة فمن وجوه:

أحدها: أنهم رسل الله «جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا» (١٩) و قوله «اللَّهُ يَضْطَرِّي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا» (٢٠).

و ثانيها: قربهم من الله بالشرف و هو المراد من قوله سبحانه «وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ» (٢١) و قوله «بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ» (٢٢).

و ثالثها: وصف طاعاتهم و ذلك من وجوه الأول: قوله تعالى حكاية عنهم «وَوَحْنٌ تُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ تُقَدِّسُ لَكَ» (٢٣) و قولهم «وَأِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ وَ إِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ» (٢٤) و الله تعالى ما كذبهم في ذلك الثاني مبادرتهم إلى امتثال أمر الله و هو قوله «فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ» (٢٥) الثالث أنهم لا يفعلون إلا بوحية و أمره و هو قوله تعالى «لَا يَسْقُوتُ بِهِ يَاقُولُ وَ هُمْ يَأْمُرُهُ بِعَمَلُونَ» (٢٦).

و رابعها: وصف قدرتهم و ذلك بوجوه: الأول أن حملة العرش و هم ثمانية يحملون العرش و الكرسي الذي هو أصغر من العرش أعظم من جملة السماوات السبع لقوله تعالى «وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ» (٢٧) و الثاني أن علو العرش شيء لا يحيط به الوهم و يدل عليه قوله تعالى «تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَ الرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ

- | | |
|----------------------------------|------------------------------------|
| (١) سورة الحاقة: آية: ١٧. | (٢) سورة الزمر: آية: ٥. |
| (٣) سورة البقرة: آية: ٩٨. | (٤) سورة الشعراء: آية: ١٩٣. |
| (٥) سورة التحريم: آية: ٤. | (٦) في المصدر: «الف». |
| (٧) سورة التكاوير: آية: ١٩ - ٢١. | (٨) سورة الرعد: آية: ٢٣. |
| (٩) سورة المدثر: آية: ٣٠. | (١٠) سورة المدثر: آية: ٣١. |
| (١١) سورة الزخرف: آية: ٧٧. | (١٢) سورة العلق: آية: ١٨. |
| (١٣) سورة ق: آية: ١٧ و ١٨. | (١٤) سورة الرعد: آية: ١١. |
| (١٤) سورة الأنعام: آية: ٦١. | (١٥) سورة الصافات: آية: ١. |
| (١٦) سورة النازعات: آية: ٥. | (١٧) بقية كلام الفخر الرازي. |
| (١٧) سورة فاطر: آية: ١. | (٢٠) سورة الحج: آية: ٧٥. |
| (٢١) سورة الأنبياء: آية: ١٩. | (٢٢) سورة الأنبياء: آية: ٢٦. |
| (٢٢) سورة البقرة: آية: ٣٠. | (٢٤) سورة الصافات: آية: ١٦٥ و ١٦٦. |
| (٢٣) سورة ص: آية: ٧٣. | (٢٦) سورة الأنبياء: آية: ٢٧. |
| (٢٤) سورة البقرة: آية: ٢٥٥. | |

أَلْفَ سَنَةٍ^(١) ثم إنهم لشدة قدرتهم ينزلون منه في لحظة واحدة الثالث قوله تعالى ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾^(٢) الآية فصاحب الصور بلغ في القوة إلى حيث إن نبخهة واحدة منه يصعق من في السماوات والأرض وبالثانية منه يعدون أحياء الرابع أن جبرئيل بلغ من قوته أن قلع جبال آل لوط وبلادهم دفعة واحدة.

وخامسها: وصف خوفهم ويدل عليه بوجوه الأول: أنهم مع كثرة عبادتهم وعدم إقدامهم على الزلات يكونون خائفين وجلين حتى كان عباداتهم معاصي قال تعالى ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾^(٣) وقال ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾^(٤).

الثاني قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾^(٥) الآية روي في التفسير أن الله تعالى إذا تكلم بالوحي سمعه أهل السماوات مثل صوت السلسلة على الصفوان ففزعوا فإذا انقضى الوحي قال بعضهم لبعض ما ذا قالَ رَبُّكُمْ فَأَقَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ.

الثالث: روى البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بناحية ومعه جبرئيل عليه السلام إذا انشق أفق السماء فأقبل جبرئيل يتضاءل ويدخل بعضه في بعض. إلى آخر ما سيأتي برواية السيوطي في الباب الآتي^(٦) انتهى.

وأقول: وإن قال في أول كلامه إن أكثر المسلمين قالوا بتجسم الملائكة لكن يظهر من آخر كلامه أن المخالف في ذلك ليس إلا النصارى والفلاسفة الذين لم يؤمنوا بشريعة وتكلموا في جميع أمورهم على آرائهم السخيفة وعقولهم الضعيفة.

وأقول: سئل المرتضى نزول جبرئيل بالوحي في صورة دحية الكلبي كيف كان يتصور بغير صورته^(٧) هو القادر عليها أو القديم تعالى يشكل صورة وليست صورة جبرئيل فإن كان الذي يسمع من القرآن من صورة غير جبرئيل ففيه ما فيه وإن كان من جبرئيل فكيف يتصور بصورة للبشر^(٨) وهذه القدرة قد رويت أن إبليس يتصور وكذلك الجن أريد أن توضح أمر ذلك وما كان يسمعه جبرئيل من الوحي من البارئ تعالى أو من حجاب وكيف كان يبلغه وهل جبرئيل يعلم من صفات البارئ أكثر مما تعلمه أو مثله وأين محله من السماء وهل القديم إذا خطر ببال جبرئيل يكون متحيراً فيه مثلنا ويكون سبحانه لا تدركه الأهوام أو ميزه علينا وجميع الملائكة أيضاً.

فأجاب رحمه الله بأن نزول جبرئيل بصورة دحية كان بمسألة من النبي صلى الله عليه وسلم لله تعالى في ذلك فأما تصويره فليس بقدرته بل الله يصوره كذلك صورة حقيقة لا تشكيل والذي كان يسمعه النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن كان من جبرئيل في الحقيقة وأما إبليس والجن فليس يقدرون على التصور وكل قادر بقدرته فحكمهم سواء في أنهم لا يصح أن يصوروا نفوسهم بل إن اقتضت المصلحة أن يتصور بعضهم بصورة صوره الله للمصلحة فأما جبرئيل عليه السلام وسامعه الوحي فيجوز أن يكلمه الله بكلام يسمعه فيتعلمه ويجوز أن يقرأه من اللوح المحفوظ فأما ما يعلم جبرئيل من صفات الله فطريقه الدليل وهو والعلماء فيه واحد فأما محله من السماء فقد روي أنه في السماء الرابعة^(٩) فأما ما يخطر بباله فلا يجوز أن يتحير فيه لأن جبرئيل معصوم لا يصح أن يفعل قبيحاً^(١٠) انتهى وفي بعض ما أفاده نظر لا يخفى على المتأمل.

وسئل رحمه الله أيضاً إذا حصل أهل الجنة في الجنة ما حكم الملائكة هل يكونون في جنة بني آدم أو غيرها وهل يراهم البشر وهم يأكلون ويشربون مثل البشر أو تسييح وتقدس وهل يسقط عنهم التكليف وكذلك الجن.

فأجاب رحمه الله أنه يجوز أن يكونوا في الجنة مع بني آدم ويجوز أن يكونوا في جنة سواها فإن الجنان كثيرة جنة الخلد وجنة عدن وجنة المأوى وغير ذلك مما لم يذكره الله تعالى فأما رؤية البشر لهم فلا يصلح إلا على أحد وجهين إما أن يقوي الله تعالى شعاع بصر البشر أو يكثف الملائكة فأما الأكل والشرب فتجوز والله تعالى يشبههم

(١) سورة يس: آية: ٥١.

(٢) سورة المؤمنون: آية: ٥٧.

(٣) التفسير الكبير ج ١ ص ١٦٠ - ١٦٤.

(٤) في المصدر: «البشر».

(١) سورة المعارج: آية: ٤.

(٢) سورة النحل: آية: ٥٠.

(٣) سورة سبأ: آية: ٢٣.

(٤) في المصدر إضافة: «ثم».

(٥) في المصدر: «السابقة».

(٦) أجوبة المسائل المصرية ضمن رسائل الشريف المرتضى ج ٤ ص ٢٦ مسألة ١٨.

بما فيه لذتهم فإن جعل لذتهم في الأكل والشرب جاز^(١) وأما التكليف فإنه يسقط عنهم لأنه لا يصح أن يكونوا مكلفين متباينين في حالة واحدة والكلام في الجن يجري هذا المجرى.^(٢)

وقال الشيخ المفيد رحمه الله في كتاب المقالات القول في سماع الأئمة عليهم السلام كلام الملائكة الكرام وإن كانوا لا يرون منهم الأشخاص وأقول بجواز هذا من جهة العقل وأنه ليس بمتع في الصديقين من الشيعة المعصومين من الضلال وقد جاءت بصحته وكونه في الأئمة عليهم السلام وكذا سميت من شيعتهم الصالحين الأبرار الأخيار واضحة الحجة والبرهان وهو مذهب فقهاء الإمامية وأصحاب الآثار منهم وقد أباه بنو نوبخت وجماعة من أهل الإمامة لا معرفة لهم بالأخبار ولم يمتنعوا النظر ولا سلكوا طريق الصواب.^(٣)

وقال رحمه الله في رؤية المحتضر الملائكة جائز من أن يراهم ببصره بأن يزيد الله تعالى في شعاعه ما يدرك به أجسامهم الشفافة الرقيقة.^(٤)

وقال القول في نزول الملكين على أصحاب القبور ومساءلتهما الاعتقاد وأقول إن ذلك صحيح وعليه إجماع الشيعة وأصحاب الحديث وتفسير مجمله أن الله تعالى ينزل على من يريد تنعيمه بعد الموت ملكين اسمهما مبشر وبشير فيسألانه عن ربه جلت عظمتة وعن نبيه ووليه عليه السلام فيجيبهما بالحق الذي فارق الدنيا على اعتقاده والصواب ويكون الغرض في مساءلتهم استخراج العلامة بما يستحقه من النعيم فيجد لذتها^(٥) منه في الجواب وينزل جل جلاله على من يريد تعذيبه في البرزخ ملكين اسمهما^(٦) ناكر وكير فيؤكلهما بعذابه ويكون الغرض في مساءلتهم له استخراج علامة استحقاقه من العقاب بما يظهر في جوابه من التلجلج عن الحق أو الخبر عن سوء اعتقاد أو إبلاسه وعجزه عن الجواب وليس ينزل الملكان من أصحاب القبور إلا على ما ذكرناه.^(٧)

وأما ما ذكره السيد الداماد رحمه الله تبعا للفلاسفة حيث قال من الدائر على الألسن أن وصف القرآن بالنزول التي لا يتصف به إلا المتميز بالذات دون الأعراض وسيما غير القارات كالأصوات إنما هو بتبعية محله سواء أخذ حروفا ملفوظة أو معاني محفوظة وهو الملك الذي يتلقف الكلام من جناب الملك العلام تلقفا سماعيا أو يتلقاه تلقيا روحانيا أو يحتفظه من اللوح المحفوظ ثم ينزل به على الرسول ولا يتمشى هذا النمط إلا على القول بتجسم الملائكة وإنما الخارجون عن دائرة التحصيل مشاهم ذلك فأما ما هو صريح الحق وعليه الحكماء الإلهيون والمحصلون من أهل الإسلام أن الملائكة على قبائل سفلية وعلوية أرضية وسماوية جسمانية وقدسانية وفي القبائل شعوب وطبقات كالقوى المطبوعة والطبائع الجوهرية وأرباب الأنواع والنفوس المفارقة السماوية والجواهر العقلية القادسية بطبقات أنواعها وأنوارها ومنها روح القدس النازل بالوحي النافث في أرواح أولي القوة القدسية بإذن الله سبحانه ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾^(٨) وفي الحديث عنه ﷺ أطت السماء وحق لها أن تظت ما فيها موضع قدم إلا وفيه ملك ساجد أو راقع فالأمر غير خفي اللهم إلا أن يسمى ظهورهم العقلاني لنفوس الأنبياء عليهم السلام نزولا تشبيها للهيولى العقلي والاعتلاق الروحاني بالنزول الحسي والاتصال المكاني فيكون قولنا نزول الملك استعارة تبعية وقولنا نزل الفرقان مجازا مرسلًا بتبعية تلك الاستعارة التبعية قلت لا يطمئن مني أحد من الناس أن أستصح ذلك بجهة من الجهات وأن فيه شقا لعصا الأمة بغرقها المفترقة وأحاديثها المتواترة وخرقا للقوانين العقلية الفلسفية ونسخا للضوابط المقررة البينانية فالأمة مطبقة على أن النبي ﷺ يرى جبرئيل عليه السلام وملائكة الله المقربين ببصره الجسماني ويسمع كلام الله الكريم على لسانهم القدسي بسمعه الجسماني وقواثم الحكمة قائمة بالقسط إنه إنما ملك الرؤية البشرية والإبصار الحسي انطباع الصورة في الحس المشترك وإنما المبصر المرئي بالحقيقة من الشيء المائل بين يدي الحس الصورة الذهنية المطبوعة وأما ذو الصورة بهويته العينية ومادته الخارجية فمبصر بالعرض مرئي بالمجاز وإن كان مثوله العيني شرط الإبصار والجليديتان هما مسلكتا التأدية لا لوحا الانطباع وعلى هذه السنة

(١) في المصدر إضافة: «وإن جعلها في غيره جاز».

(٢) أجوبة المسائل المصريات ضمن رسائل الشريف المرتضى ص ٣٥ مسألة ٢٧.

(٣) أوائل المقالات ص ٦٩ - ٧٠ رقم ٤٤.

(٤) في المصدر: «فيجد لذتها».

(٥) في المصدر: «لسماها».

(٦) أوائل المقالات ص ٧٦ و ٧٧ رقم ٥٣.

(٧) سورة المدثر، آية: ٣١.

(٤) أوائل المقالات ص ٧٥ رقم ٥١.

(٦) في المصدر: «لسماها».

(٦) في المصدر: «لسماها».

(٨) سورة المدثر، آية: ٣١.

شاكلة السمع أيضا والإفاضة مطلقا من تلقاء واهب الصور فإذا كانت النفس وأغلة الهمة في الجنبه الجسدانية طفيفة الانجذاب إلى صقع الحق وعالم القدس لم يكن لنيطاسياها سبيل إلى التطبع بالصورة من تلقاء واهب الصور إلا من مسلك الحاسة الظاهرة و مثول المادة الخارجية بين يديها فأما إذا كانت قدسية الفطرة مستتيرة الغريزة في جوهر جبلتها المفظورة ثم في سجيته المكسوبة صارت نقية الجوهر طاهرة الذات أكيدة العلاقة بعالم العقل شديدة الاستحقاق لعالم الحس قاهرة الملكة قوية المنة على خلع البدن و رفض الحواس و الانصراف إلى صقع القدس حيث شئت و متى شئت بإذن ربها و قوتها المتخيلة أيضا قليلة الانغماس في جانب الظاهر قوية التلقي من عالم الغيب فإنها تخلص من شركة الطبيعة و تعزل اللحظ عن الجسد في البقطة فترجع إلى عالمها و تتصل بروح القدس و بمن شاء الله من الملائكة المقربين و تستفيد من هنالك العلم و الحكمة بالانتقاش على سبيل الرشح كمرأة مجلوة حودي بها شطر الشمس و لكن حيث إنها يومئذ في دار غريبتها بعد بالطبع و لم تتسلخ عن علاقتها الطبيعية بتدبر جيوشها الجسدية و أمورها البدنية تكون مثالها فيما تناله بحسب ذلك الشأن و تلك الدرجة تحول الملك لها على صورة مادية متمثلة في شبح بشري ينطق بكلمات إلهية مسموعة منظومة كما قال عز من قال ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾^(١) و أئني بذلك ارتسام الصورة في لوح الانطباع لا من سبيل الظاهر و الأخذ عن مادة خارجية بل بالانحدار إليه من الباطن و الحصول عن صقع الإفاضة فإذا في السماء و الإبصار المشهورين يرتفع المسموع و المبصر من المواد الخارجية إلى لوح الانطباع ثم منه إلى الخيال و المتخيلة ثم يصعد الأمر إلى النفس العاقلة و في إبطار الملك و سماع الوحي و هما الإبصار و السماع الصريحان يتعكس الشأن فينزل الفيض إلى النفس من عالم الأمر فهي تطالع شيئا من الملكوت مجردة غير مستصحبة لقوة خيالية أو وهمية أو غيرها ثم يفيض عن النفس إلى القوة الخيالية فتخيله مفصلا منضمًا بعبارة منظومة مسموعة فتمثل لها الصورة في الخيال من صقع الرحمة و عالم الإفاضة ثم تتحدر الصورة المتمثلة و العبارة المنتظمة من الخيال و المتخيلة إلى لوح الانطباع و هو الحس المشترك فتسمع الكلام و تبصر الصورة فهذا أفضل ضروب الوحي و الإيحاء و يقال إنه مخاطبة العقل الفعال للنفس بألفاظ مسموعة مفصلة و له أنحاء مختلفة و مراتب متفصلة بحسب درجات للنفس متفاوتة و قد يكون في بعض درجاته لا يتخصص المسموع و المبصر بجهة من جهات العالم بخصوصها بل الأمر يعم الجهات بأسرها في حالة واحدة و في الحديث أن الحارث بن هشام سأل رسول الله كيف يأتيك الوحي قال أحيانا يأتي مثل صلصلة الجرس و هو أشد علي فيفصم عني و قد وعيت عنه ما قال و أحيانا يمثّل إلي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول و ربما تكون النفس المتنورة صفاتها في بعض الأحيان أتم و سلطانها على قهر الصوراف الجسدانية و الشواغل الهيولانية أعظم فيكون عند الانصراف عن عالم الحس و الاتصال بروح القدس استئناسها بجوهر ذاته المجردة منه بالشبح المتمثل فتشاهده ببصر ذاته العاقلة و يستفيد منه و هو في صورته القدسية كما ما ورد في الحديث. أن جبريل أتى النبي ﷺ مرة في صورته الخاصة كأنه طبع الخافقين. ثم دون هذه الضروب لسانر درجاته ما يتفق له من القوة القدسية نصيب مرتبة النبوة أن يرى ملائكة الله و يسمع كلام الله و لكن في النوم لا في البقطة و سبيل القول فيه أيضا ما دريت إلا أن الأمر هناك ينتهي إلى القوة المتخيلة و يقف عندها بمحاكاتها و تنظيمها و تفصيلها لما قد طالعه النفس من عالم الملكوت من دون انحدار الصورة المتمثلة و العبارة المنتظمة منها إلى الحس المشترك. فأما الرؤيا الصالحة لنفوس العرفاء و الصالحين فواقعة في هذا الطريق غير واصله إلى درجة النبوة و بلوغ الغاية و في الحديث أنها جزء من ستة و أربعين أو سبعين جزءا من النبوة على اختلافات الروايات و قصارها في مرتبة الكمال و أقصاها للمحدثين بالفتح على البناء للمفعول من التحديث و هم الذين يرفضون عالم الشهادة و يصعدون إلى عالم الغيب فرميا يسمعون الصوت في البقطة عن سبيل الباطن و لكنهم لا يعاينون شخصا متشبيحا. و في كتاب الحجة من كتاب الكافي لشيخ الدين أبي جعفر الكليني رضي الله عنه باب في الفرق بين الرسول و النبي ﷺ و المحدث و أن الأئمة عليهم السلام محدثون مفهومون^(٢) و إذ قد انصرح لك من المسألة من سبيلها فقد استبان أن قولنا نزل الملك مجاز عقلي مستعمل طرفاه في معنيهما الحقيقيين و التجوز فيه في الإسناد إذ النزول حقيقة منسوب إلى الصورة المتشبهة

المتثلة وقد أسند بالعرض إلى الجوهر المجرد القدسي وهو الملك وليس هو من الاستعارة في شيء أصلاً قولنا تحرك جالس السفينة وقولنا أنا متحرك وأنا ساكن وقولنا رأيت زيدا إذا عنيما به شخصه الموجود في الخارج بهويته العينية لا صورته الذهنية المرئية المنطبعة في الحس المشترك و سائر المقولات في وجود الانصفات بالعرض كلها على هذه الشاكلة وأما نزل الفرقان فمجاز مرسل لا يتبعه استعارة تبعية بل من حيث إن النازل على الحقيقة محله هو تلك الصورة البشرية المشبهة النازلة أو تجوز عقلي لا في شيء من الطرفين بل في الإسناد على أن الأصوات والحروف والألفاظ ليست أعراضاً حالة في لسان المتكلم بل هي تقطيعات عارضة للهواء من تلقاء حركة اللسان.

إن قلت: بنيت الأمر فيما أقدت على القول بالانطباع في باب الرؤية فما سبيل القول هنالك على المذهبين الآخرين وهما خروج الشعاع أي في فيضانه من المبدأ الفياض منبثاً في الهواء المتوسط بين الجليدية و سطح المرئي على هيئة المخروط و حصول الإضافة الإشراقية للنفس المستوجبة للانكشاف الإبصاري ما دامت المقابلة بين المرئي والجليدية على تلك الهيئة.

قلت: لست أكثر ثل ذلك إذ إنما يسمى ذلك الخلاف و تثليث القول في المواد الخارجية و الرؤية من مسلك الجليدية و من مذهب الظاهر لا في الإبصار من سبيل الباطن و مذهب الغيب من دون الأخذ من مادة خارجية ثم الآراء الثلاثة متحايزة الأقدام في تطابق الوازم و اتحاد الأحكام حذو القذة بالقذة و السواد الأعظم على مسلك الانطباع و يشبه أن يكون الحق لا يتعداه و ما يتجشمه فرق من فرق الإضافة الإشراقية من إثبات صور معلقة خيالية في عالم معلق مثالي ليستتب الأمر في صور المرايا و الصور الخيالية و أمور الإحياءات و مواعيد النبوات قلت لا أجد لاتجاه البرهان إليه مساقاً بل أجده بتماثيل الصوفية أشبه منه بقوانين الحكماء و حق القول الفصل فيه على ذمة كتبنا البرهانية^(١) انتهى.

فلعل رحمه الله حاول تحقيق الأمر على مذاق المتفلسفين و مزج رحيق الحق بموهبات آراء المنحرفين عن طرق الشرع المبين مع تباين السبيلين و وضوح الحق من البين و قد اتضح بما أسلفنا صريح الأمر لذي عينين و سنذكر ما يكشف أغشية الشبه رأساً عن العين.

٨٥- أقول رويانا بإسنادنا عن الحسن بن محمد بن إسماعيل بن أشناس البزاز عن محمد بن عبد الله بن المطلب الشيباني عن جعفر بن محمد بن جعفر العلوي عن عبد الله بن عمر بن الخطاب الزيات عن خاله علي بن نعمان الأعلم عن عمير بن المتوكل الثقفي البلخي عن أبيه المتوكل بن هارون عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام عن أبيه الباقر عن جده علي بن الحسين عليه السلام.

و بإسنادنا عن محمد بن أحمد بن علي بن الحسن بن شاذان عن أحمد بن محمد بن عياش الجوهري عن الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن المعروف بابن أبي طاهر العلوي عن محمد بن مطهر الكاتب عن أبيه عن محمد بن شلقان المصري عن علي بن النعمان إلى آخر السند المتقدم قال وكان من دعائه عليه السلام في الصلاة على حملة العرش و كل ملك مقرب اللهم و حملة عرشك الذين لا يفترون من تسيحك و لا يسأمون من تقديسك و لا يستحسرون عن عبادتك و لا يؤثرون التقصير على الجد في أمرك و لا يغفلون عن الوله إليك و إسرافيل صاحب الصور الشاخص الذي ينتظر منك الإذن و حلول الأمر فينبه بالنفخة صرعى رهائن القبور و ميكائيل ذو الجاه عندك و المكان الرفيع من طاعتك و جبرئيل الأمين على وحيك المطاع في أهل سماواتك المكين لديك المقرب عندك و الروح الذي هو على ملائكة الحجب و الروح الذي هو من أمرك اللهم فصل عليهم و على الملائكة الذين من دونهم من سكان سماواتك و أهل الأمانة على رسالاتك و الذين لا يدخلهم سامة من دُوب و لا إعياء من لغوب و لا فتور و لا تشغلهم عن تسيحك الشهوات و لا يقطعهم عن تعظيمك سهو الغفلات الخشع الأبصار فلا يرومون النظر إليك التواكس الأعناق^(٢) الذين قد طالت رغبتهم فيما لديك المستهترون بذكر آلائك و المتواضعون دون عظمتك و جلال كبرياتك و الذين يقولون إذا نظروا إلى جهنم تزفر على أهل معصيتك سبحانه ما عبدناك حق عبادتك فصل عليهم و على الروحانيين من

ملائكتك وأهل الزلفة عنك وحلة الغيب إلى رسلك والمؤمنين على وحيك وقبائل الملائكة الذين اختصتهم لنفسك وأغنيتهم عن الطعام والشراب بتقديسك وأسكنتهم بطون أطباق سماواتك والذين هم على أرجائنا إذا نزل الأمر بتمام وعدك وخزان المطر وزواجر السحاب والذي بصوت زجره يسمع زجل الرعود وإذا سبحت به حفيفه السحاب التمتعت صواعق البروق ومشيعي الثلج والبرد والهابلين مع قطر المطر إذا نزل والقوام على خزان الرياح والمولكين بالجيال فلا تزول والذين عرفتهم مثاقيل المياه وكيل ما تحويه لواجع الأمطار وعوالجها ورسلك من الملائكة إلى أهل الأرض بمكروه ما ينزل من البلاء ومحبوب الرخاء والسفرة الكرام البررة والحفظة الكرام الكاتبين وملك الموت وأعوانه ومنكر ونكير ومبشر وبشير ورومان فتان القبور والطائفين بالبيت المعمور ومالك والخزنة ورضوان وسدنة الجنان والذين ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ والذين يقولون ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ والزبانية الذين إذا قيل لهم ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ ابتدروه سراعا ولم ينظروه ومن أوهنا ذكره ولم نعلم مكانه منك وبأي أمر وكلته وسكان الهواء والأرض والماء ومن منهم على الخلق فصل عليهم يوم تأتي ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ وصل عليهم صلاة تزيدهم كرامة على كرامتهم وطهارة على طهارتهم اللهم وإذا صليت على ملائكتك ورسلك وبلغتهم صلواتنا عليهم فصل علينا بما فتحت لنا من حسن القول فيهم إنك جواد كريم (١)

تبيان: أقول الدعاء مروية برواية الحسيني أيضا في الصحيفة الشريفة الكاملة المشهورة ورواية الشيخ ورواية المطهري كما فصلناه في آخر المجلدات ولنوضحه بعض الإيضاح وإن استقصينا الكلام في شرحه في الفرائد الطريفة (٢) اللهم وحلة عرشك الذين لا يفترقون من تسييحك وفي رواية الحسيني عن تسييحك والواو في قوله وحلة للعطف على الجمل المتقدمة في الدعاء السابق أو من قبيل عطف القصة على القصة وقيل زائدة وقيل استثنائية وقيل عطف بحسب المعنى على قوله اللهم فإنه أيضا جملة لأنه بتأويل أدعوك ولا يخفى بعد ما سوى الأولين وقوله وحلة مبتدأ وخبره مقدر أي هم مستحقون لأن نصلي عليهم ويحتمل أن يكون فصل عليهم خبرا بتأويل مقول في حقه فدخل الفاء إما على مذهب الأخفش حيث جوز دخول الفاء على الخبر مطلقا أو بتقدير أما أو باعتبار الاكتفاء بكون صفة المبتدأ موصولا ويحتمل أن يكون الموصول خبرا لا صفة وكذا صاحب في الثاني وذو الجاه في الثالث والأمين في الرابع وكذا الموصول في الآخرين أو يقدر فيها بقرينة ما سبقهما هما مقربان عندك وقد مضى الكلام في معاني العرش وحملته وإن كان الأظهر هنا كون المراد بالعرش الجسم العظيم وبحملته الملائكة الذين يحملونه والفتور الانكسار والضعف ولا يسأمون من تقديسك سئم من الشيء كعلم مل أي لا يحصل لهم من التسييح والتقدیس سامة وملال بل يتقنون بهما كما مر والتسييح والتقدیس كلاهما بمعنى التنزيه عن العيوب والنقائص ويمكن حمل الأول على تنزيه الذات والثاني على تنزيه الصفات والأفعال ويحتمل وجوها أخرى ولا يستحسنون عن عبادتك الاستحسان استفعال من حسر إذا أعيا وتعب وعدم ملالهم لشدة شوقهم وكون خلقهم خلقا لا يحصل بها لهم الملل بكثرة الأعمال ولا يؤثران التقصير على الجد في أمرك الإيثار الاختيار والجد بالكسر الاجتهاد والسعي ولا يغفلون عن الوله إليك محرقة الحزن أو ذهاب العقل حزنا والحيرة والخوف ولعل المراد هنا التحير في غرائب خلقه سبحانه أول لشدة حبه له تعالى أول للخوف منه جل وعلا والأوسط لعله أظهر.

وإسرائيل هو ملك موكل بنفخ الصور والصور هو قرنه الذي ينفخ فيه كما قال سبحانه ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ (٣) وقال تعالى ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَحْفَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ (٤) وقد مر تفصيله في كتاب المعاد.

(١) الصحيفة السجادية ص ٢٣ - ٢٦، الدعاء الثالث.

(٢) راجع الفرائد الطريفة ص ٢٥٨ فما بعد.

(٣) سورة الزمر، آية: ٦٨.

(٤) سورة يس، آية: ٥٣.

الشخص الذي ينتظر منك الإذن أي شخص يبصره لا يطرف من يوم خلقته انتظارا لما سوف يؤمر به بعد انقضاء أمر الدنيا والمرتعق الماد عنقه لذلك أو الرفيع الشأن والأول أظهر قال الفيروزآبادي شخص كمنع شخوصا ارتفع وبصره فتح عينيه وجعل لا يطرف وبصره رفعه^(١) والإذن في النفخ والأمر أيضا فيه أو المراد أمر القيامة فينبه بالنفخة صرعى رهائن القبور في القاموس الصرع الطرح على الأرض وكأمير المصروع والجمع صرعى^(٢) انتهى والصريع يطلق على الميت وعلى المقتول لأنهما يطرحان على الأرض وفي القاموس الرهن ما وضع عندك لينوب مناب ما أخذ منك وكل ما احتسب به شيء فرهينة وراهن الميت القبر ضمنه إياه والرهينة كسفيته واحد الرهائن^(٣).

أقول: يمكن أن يكون المراد برهائن القبور مودعاتها أي الذين أقاموهم فيها إلى يوم البعث أو من ارتهن بعمله في القبر كما قال تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾^(٤) وروي عن النبي ﷺ أن أنفسكم مرهونة بأعمالكم فكفوها باستغفاركم ومثله في الأخبار كثير فيكون من قبيل الإضافة إلى الظرف لا إلى المفعول كقولهم يا سارق الليلة أهل الدار وكما قيل في «مالك يوم الدين» أي مالك الأشياء يوم الدين ثم اعلم أن أكثر نسخ الصحيفة متفقة على نصب الرهائن فهو إما بدل عن صرعى أو حال أو بيان أو صفة لأن الإضافة لفظية وفي رواية ابن أشناس بالجر بالإضافة والأول أصوب ثم إنه عليه السلام اقتصر على ذكر النفخة الثانية لأنه أشد وأقطع لاتصالها بالقيامة واحتمال كون الكلام مشتملا عليهما بأن يكون في الإذن والأمر إشارة إلى الأولى وقوله فينبه إلى الثانية في غاية البعد.

وميكائيل هو من عظماء الملائكة وروي أنه رئيس الملائكة الموكلين بأرزاق الخلق كملائكة السحب والرعود والبروق والرياح والأمطار وغير ذلك وفي اسمه لغات قال الزمخشري قرئ ميكال بوزن قطار وميكائيل بوزن ميكاعيل وميكئيل كميكعيل وميكائل كميكاعل^(٥) وميكئيل كميكعل قال ابن جني العرب إذا نطقت بالعجمي خلطت فيه^(٦) انتهى والجاه القدر والمنزلة والمكان الرفيع من طاعتك لعل المراد بالمكان المكانة والمنزلة وبالرفعة العلو المعنوي ومن ابتدائية أي رفعة مكانه بسبب إطاعتك أو تبعيضية أي له من درجات طاعتك منزلة رفيعة.

وجبرئيل من أعظم الملائكة وفي سائر روايات الصحيفة جبرئيل بالكسر أو بالفتح وفيه أيضا لغات قال الزمخشري قرئ جبرئيل بوزن فقشليل وجبرئيل بحذف الياء وجبريل بحذف الهزة وجبريل بوزن قنديل وجبرال باللام المشددة وجبرائيل بوزن جبراعيل وجبرائيل بوزن جبراعل انتهى وقيل معناه عبد الله وقيل صفوة عبد الله وقيل صفوة الله وهو عليه السلام حامل الوحي إما على جميع الأنبياء أو إلى أولي العزم منهم أو إلى بعض من غير أولي العزم أيضا والمطاع في أهل سماواتك أي هم جميعا يطيعونه بأمر الله والفقرتان إشارتان إلى قوله تعالى ﴿مُطَاعٌ ثُمَّ آمِينَ﴾^(٨).

المكين لديك المكين ذو المكانة والمنزلة ولدى ظرف مكان بمعنى عند كلدن إلا أنها أقرب مكانا من عند وأخص منه فإن عند يقع على مكان وغيره تقول لي عند فلان مال أي في ذمته ولا يقال ذلك فيها.

والروح الذي هو على ملائكة الحجب قد مر ذكر الحجب ويدل على أن الروح رئيس الملائكة الموكلين بالحجب والسالكين فيها والظاهر أنه شخص واحد موكل بالجميع ويحتمل أن يكون اسم جنس بأن يكون لملائكة كل حجاب رئيس يطلب عليه الروح.

(٢) القاموس المحيط ج ٣ ص ٥١.

(٤) سورة المدثر، آية: ٣٨.

(٦) تفسير الكشاف ج ١ ص ١٧٠.

(٨) سورة التكويد، آية: ٢١.

(١) القاموس المحيط ج ٢ ص ٣١٧.

(٣) القاموس المحيط ج ٤ ص ٢٣١ و ٢٣٢.

(٥) من المصدر.

(٧) تفسير الكشاف ج ١ ص ١٦٩.

والروح الذي هو من أمرك إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾^(١) وظاهر هذه الفقرة أن الروح من جنس الملائكة أو شبيه بهم ذكر بينهم تغليبا لا الإنسان والانساني واختلف المفسرون فيه كما سيأتي في باب النفس والروح فقيل إنه روح الإنسان وقيل إنه جبرئيل وظاهر الدعاء المغايرة وقيل إنه ملك من عظام الملائكة وهو الذي قال تعالى ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾^(٢) وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أن له سبعين ألف وجه لكل وجه سبعون ألف لسان لكل لسان سبعون ألف لغة يسبح الله بتلك اللغات كلها يخلق الله تعالى بكل تسبيحه ملكا يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة ولم يخلق الله خلقا أعظم من الروح غير العرش لو شاء أن يبلغ السماوات والأرضين السبع بلقمة واحدة لفعل والجواب: حينئذ أنه من غرائب خلقه تعالى وقيل خلق عظيم ليس من الملائكة وهو أعظم قدرا منها وهذا أظهر من سائر الأخبار كما رواه الكليني وعلي بن إبراهيم والصفار وغيرهم بالأسانيد الصحيحة عن أبي بصير قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ قال خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل كان مع رسول الله ﷺ وهو مع الأئمة عليهم السلام وهو من الملوك^(٣)

وروى الكليني بإسناده أنه أتى رجل أمير المؤمنين عليه السلام يسأله عن الروح أليس هو جبرئيل فقال له أمير المؤمنين عليه السلام جبرئيل من الملائكة والروح غير جبرئيل فكرر ذلك على الرجل فقال له لقد قلت عظيما من القول ما يزعم أحد أن الروح غير جبرئيل فقال له أمير المؤمنين عليه السلام إنك ضال تروي عن أهل الضلال يقول الله عز وجل لنبيه ﷺ ﴿يَتَزَلُّ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ﴾^(٤) والروح غير الملائكة^(٥)

وقد مرت الأخبار في ذلك فذكره ﷺ الروح في دعاء الملائكة إما تغليبا كما عرفت أو بزعم المخالفين تقية وعلى الملائكة الذين من دونهم أي بحسب المكان الظاهري لأن السابقين كانوا حملة العرش والكرسي والساكنين فيهما وفي الحجب وتلك فوق السماوات السبع أو بحسب المنزلة والرتبة أو بحسبهما معا.

وأهل الأمانة على رسالاتك يدل على عدم انحصار التبليغ في جبرئيل عليه السلام فيمكن أن يكون نزولهم على غير أولي العزم أو إلهم أيضا نادرا كما يدل عليه بعض الأخبار أو المراد بهم الوسائط بينه تعالى وبين جبرئيل كالقلم واللوح وإسرافيل وغيرهم كما مر وفي بعض الأخبار القدسية عن رسول الله ﷺ عن جبرئيل عن ميكائيل عن إسرافيل عن اللوح عن القلم عن الله عز وجل أو المراد بهم الرسل إلى ملائكة السحاب والمطر والعذاب والرحمة وغيرهم من الملائكة الموكلين بأمر العباد والملائكة الحافظين للوحيين الذين أثبت فيهما جميع الكتب السماوية أو الذين ينزلون على الأنبياء والأوصياء في ليلة القدر.

والذين لا تدخلهم سامة من دواب ولا إعياء من لغوب ولا فتور السامة الملالة والتضجر والدواب التعب والإعياء والعجز واللغوب أيضا الإعياء ومنه قوله ﴿وما مستنا من لغوب﴾ ويمكن الفرق باختلاف مراتب التعجب والعجز وهذه الفقرة إما تعميم بعد التخصيص فإن هذا وما سيأتي حال جميع الملائكة فتشمل ملائكة الأرض أيضا بل ملائكة الحجب والعرش والكرسي أو تخصيص بعد التعميم لذكر بعض الصفات الظاهرة الاختصاص ببعضها بعد ولا يتنافى عموم هذه الصفات لأنها كمال لهم أيضا ومجموع الصفات مختصة بهم أو يكون العطف للتفسير لبيان بعض الصفات الآخر الثابتة لهم ولذكر ما يستحقون به الصلاة من الفضائل.

ولا تشغلهم عن تسبيحك الشهوات أي ليست لهم شهوة حتى تشغلهم ولا يقطعهم عن تعظيمك

(٢) سورة النبأ: آية: ٣٨.

(١) سورة الإسراء: آية: ٨٥.

(٣) الكافي ج ١ ص ٢٧٣ باب الروح التي يسددها بها الأئمة عليهم السلام حديث ٣.

(٤) سورة النحل: آية: ٢.

(٥) الكافي ج ١ ص ٢٧٤ باب الروح التي يسددها بها الأئمة عليهم السلام.

سهو الغفلات إضافة السهو إلى الغفلات من قبيل إضافة المسبب إلى السبب أو الجزء إلى الكل أو بيانية أي لا يمنعهم عن ذكر عظمتك أو العبادات المستلزمة لتعظيمك السهو الحاصل من الغفلات أو السهو الذي هو من جملة الغفلات أو هو عينها الخشع الأبصار فلا يرومون النظر إليك في النسخ المشهورة فلا يرومون النظر إليك والخشوع الخضوع وخشوع العين التذلل بها وعدم رفعها عن الأرض أو غسها أو الروم الطلب ولعل المراد أنهم ينظرون إلى جهة أقدامهم حياء أو خوفاً أو إلى الجهة التي جعلها الله قبلهم ولا يرفعون أبصارهم إلى جهة العرش ويحتمل أن يكون المراد النظر القلبي أي لا يتفكرون في كنه ذاتك وصفاتك وما لا يصل إليه عقولهم من معارفك النواكس الأعناق الذين قد طالت رغبتهم فيما لديك في أكثر الروايات النواكس الأذقان وعلى التقديرين هو أن يطاق رأسه وهو أزيد تدللاً من الخشوع والمراد بما لديه الدرجات العالية المرتفعة ويحتمل أن يكون لهم بعض اللذات غير الطعام والشراب والظاهر أن الوصفين لطائفة مخصوصة من الملائكة كما مر في خبر المعراج ويحتمل التعميم.

المستهترون بصيغة المفعول قال الجوهري فلان مستهتر بالشراب أي مولع به لا يسالي ما قيل فيه^(١) والآء النعم واحداً إلى بالفتح وقد يكسر مثل معى وأمعاء أي هم متلذذون حريصون في ذكر نعمائك الظاهرة والباطنة عليهم وعلى غيرهم والمتواضعون دون عظمتك وجلال كبريائك التواضع التذلل^(٢) ودون معناه أدنى مكان من الشيء ثم استعمل بمعنى قدام الشيء وعنده وبين يديه مستعاراً من معناه الحقيقي وهو ظرف لغو متعلق بتواضعون والجلال والكبرياء العظمة والطف والإضافة للتأكيد والمبالغة ويمكن أن يخص العظمة بالذات والكبرياء بالصفات والذين يقولون إذا نظروا إلى جهنم تزفر على أهل معصيتك قال الجوهري الزفير اغتراق النفس للشدة والزفير أول صوت الحمار والشهيق آخره^(٣) وقال الفيروز آبادي زفر يفر زفراً وزفيراً أخرجه نفسه بعد مدة إياه والنار سمع لتوقدها صوت^(٤) انتهى أي إذا سمعوا زفير جهنم على العاصين خافوا من أن يكونوا مقصرين في العبادة فقالوا سبحانه ما عبدناك حق عبادتك أي ننزهك تنزيهاً عن كون عبادتنا لائقاً بجناحك فإنهم لما رأوا شدة عقوباته تعالى نظروا إلى أنفسهم وأعمالهم وإلى عظمتهم وجلاله فوجدوا أفعالهم قاصرة عما يستحقه سبحانه ففزعوا إليه واعترفوا بالتقصير و لجئوا إلى رحمته وعفوه وكرمه أو أنه لما طرأ عليهم الخوف عند سماع صوت العذاب وكان ذلك مظنة أن يكون خوفهم من أن يعاقبهم ظلماً من غير استحقاق لمصمتهم نزوه تعالى عن أن يكون الخوف منه عن تلك الجهة وعللوا الخوف بالتقصير فيما يستحقه من العبادة.

وقال الوالد^(٥) رحمه الله يمكن أن يكون قولهم ذلك للتعجب من مخالفتهم حتى استحقوا العذاب أو من الصوت المهلول على خلاف العادة فهذا توبة لهم من المكروه ويمكن أن يكون ذلك على سبيل الشفاعة لهم بأن ضمو أنفسهم مع العاصين فكأنهم يقولون نحن وهم مقصرون في عبادتك فارحمنا وإياهم.

فصل عليهم يمكن أن يكون خبراً أو كالخبر لقوله ﷺ والذين لا تدخلهم مع ما عطف عليه وأن يكون الموصول في محل الجر عطفًا على سكان سماواتك ويكون قوله فصل تأكيداً للسابق وتهيداً لأن يعطف عليهم غيرهم وعلى هذا يكون قوله الخشع والمستهترون مرفوعين على المدح.

وعلى الروحانيين من ملائكتك قال في النهاية الملائكة الروحانيون يروى بضم الراء وفتحها كأنه نسب إلى الروح والروح وهو نسيم الريح والألف والنون من زيادات النسب ويريد به أنهم أجسام لطيفة لا يدركهم البصر^(٦) انتهى وما قيل من أنهم الجواهر المجردة العقلية والنفسية فهو رجم

(٢) الصحاح ج ٢ ص ٦٧٠.

(٤) القاموس المحيط ج ٢ ص ٤٠ و ٤١.

(١) الصحاح ج ٢ ص ٨٥٩.

(٣) الصحاح ج ٣ ص ١٣٠٠.

(٥) لم نثر على شرح الصيغة السجادية لوالد المؤلف رحمه الله.

(٦) النهاية ج ٢ ص ٢٧٢.

بالغيب وإنما المعلوم أنهم نوع من الملائكة وأهل الزلفة عندك قال الجوهرى الزلفة والزلفى القرب^(١) والمنزلة^(٢) انتهى وهو إما صفة أخرى للروحانيين أو طائفة أخرى غيرهم وحملة الغيب إلى رسلك والمؤمنين على وحيك في أكثر النسخ وحمال الغيب وحمال جمع الحامل والغيب يطلق على الخفي الذي لا يدركه الحس ولا يقتضيه بديهة العقل وهو قسمان القسم الأول لا دليل عليه وهو المعنى بقوله ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾^(٣) وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم الآخر وأحواله كذا ذكره البيضاوي^(٤) والمراد هنا إما الأعم أو الأول والمؤمنين إما تأكيد أو عطف تفسير لسابقه أو المراد بهم طائفة أخرى شأنهم تبليغ الأحكام والشرائع فقط أو مع الثاني إن حملنا الأولى على الأول والظاهر أن هاتين الفقرتين مؤكدتان لما سبق من قوله وأهل الأمانة على رسالتك ويمكن تخصيص ما سبق ببعض المعاني التي ذكرناها هنا وهاتان بالبعض الآخر إذ يمكن أن يكون لحمل الغيب طائفة مخصوصة كملائكة ليلة القدر وغيرهم أو الأول أظهر وتكرير المطلب الواحد بعبارات مختلفة في مقام الدعاء والخطب والمواظ مما يؤكد البلاغة.

وقبائل الملائكة الذين اختصتهم لنفسك القبائل جمع القبيلة وهي الشعوب المختلفة والكلام في التأكيد والتأسيس كما مر والمراد بالاختصاص به تعالى أنهم مشغولون بعبادته بخلاف ما سيأتي ممن له شغل في النزول والعروج وسائر الأمور وإن كان هذه الأمور أيضا عبادة لهم وأنه سبحانه يطلعهم على أسرار لم يطلع عليها غيرهم من الملائكة.

وأغنيهم عن الطعام والشراب بتقديسك أي خلقت الغذاء فهم يتقون بتسيحه وتقديسه وعبادته.

وأسكنهم بطون أهم خلقه لا يحتاجون في بقائهم إلى الغذاء وكما أنا تنقوى بطباق سمواتك الأطباق جمع طبق يقال السماوات أطباق وطباق أي بعضها فوق بعض قال الراغب المطابقة هو أن يجعل الشيء فوق آخر بقدرة ومنه طابقت النعل ثم يستعمل الطباق في الشيء الذي يكون فوق الآخر تارة وفي ما يوافق غيره تارة كسائر الأشياء الموضوعة لمعنيين ثم يستعمل في أحدهما دون الآخر كالكأس والراوية ونحوهما قال الله تعالى ﴿سَبِّحْ سَمَآوَاتٍ طِبَاقًا﴾^(٥) أي بعضها فوق بعض^(٦) انتهى ويدل على الفرجة بين السماوات وكونها مساكن الملائكة كما مر.

والذين هم على أرجائها إذا نزل الأمر بتمام وعدك إشارة إلى قوله سبحانه ﴿وَأُنشِئَتْ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهٍيَّةٌ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾^(٧) قال الطبرسي رحمه الله على أَرْجَائِهَا معناه على أطرافها ونواحيها^(٨) والملك اسم يقع على الواحد والجمع والسماء مكان الملائكة فإذا صارت في نواحيها وقيل إن الملائكة^(٩) على جوانب السماء تنتظر ما يؤمر به في أهل النار من السوق إليها وفي أهل الجنة من التحية والتكرمة فيها^(١٠) انتهى وقيل إنه تمثيل لخراب السماء بخراب البنيان وانضواء أهلها إلى أطرافها وحولها ولقظة إذا ظرفة للمستقبل والباء صلة للأمر ويحتمل السببية وتمام الوعد تمام مدة الدنيا وانقضاؤه وحلول القيامة أو المراد إتمام ما وعده الله من الثواب والعقاب للمطيعين والعاصين وكلمة هم ليست في الروايات المشهورة.

وخزان المطر أي الملائكة الموكلين بالبحر الذي ينزل منه المطر كما يظهر من بعض الأخبار أو الموكلين بتقديرات الأمطار أو الذين يهيجون السحاب بأمره تعالى ولو كان من بخارات الأرض والبحار كما هو المشهور فيكون قوله وزواجر السحاب عطف تفسير له أي ساقطتها من زجر البعير

(٢) الصحاح ج ٣ ص ١٣٧٠.

(٤) أنوار التنزيل ج ١ ص ١٨.

(٦) مفردات الراغب ص ٣١١.

(٨) في المصدر إضافة: «عن الحسن وقادة».

(١٠) مجمع البيان ج ١٠ ص ٢٤٦.

(١) في المصدر: «القربة».

(٣) سورة الأنعام، آية: ٥٩.

(٥) سورة الملك، آية: ٣.

(٧) سورة الحاقة، آية: ١٦ و ١٧.

(٩) في المصدر إضافة: «يومئذ».

إذا ساق وبه فسر قوله تعالى ﴿فَالرَّاجِزَاتِ زَجْرًا﴾^(١) كما مر والسحاب جمع السحابة وهي الغيم والذي بصوت زجره يسمع زجل الرعد قال في النهاية في حديث الملائكة لهم زجل بالتسبيح أي صوت رفيع عال^(٢) وفي القاموس الرعد صوت السحاب أو اسم ملك يسوقه كما يسوق الحادي الإبل بحدانه انتهى والرعد هنا يحتمل الوجهين وإن كان كونه اسماً للملك أظهر وسيأتي تحقيق الرعد والبرق والسحاب في الأبواب الآتية وصيغة الجمع هنا تدل على أن الرعد اسم لنوع هذا الملك إن كان اسماً له وإضافة الرجل إلى الرعد ببيانته إن أريد به الصوت ولا مية إن أريد به الملك.

وإذا سبحت به خفيفة السحاب التمتع صواعق البروق أقول النسخ مختلفة في هذه الفقرة اختلافا فاحشا ففي بعضها سبحت بتشديد الباء وفي بعضها بتخفيفها وحقيقة في بعضها بالحاء المهملة والقوانين وفي بعضها بالحاء المعجمة ثم الفاء ثم القاف وفي بعضها بالمهملة ثم الفاء ثم القاف والسبح الجري والعموم والخفيف أنسب وعلى التشديد يحتمل أن يكون إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَسُبِّحَ الرَّعْدُ بِحَنْدِهِ﴾^(٣) قال الفيروزآبادي سبح بالنهر وفيه كمنع سبحا وسباحة بالكسر عام وأسبحه عومه وسبحان الله تنزيها له عن الصاحبة والولد ونصبه على المصدر أي أبرئ الله من سوء براءة أو معناه السرعة إليه والخفة في طاعته^(٤) وقال حف الفرس حقيقا سمع عند ركضه صوت وكذلك الطائر والشجرة إذا صوتت^(٥) وقال الخفق صوت النعل وخفتت الراية تخفق وتخفق خفقا وخفقانا محركة اضطربت وتحركت وخفق فلان حرك رأسه إذا نكس والطائر طار والخفقان محركة اضطراب القلب وأخفق الطائر ضرب بجناحيه^(٦) وفي النهاية خفق النعال صوتها^(٧) وأما المهملة ثم الفاء ثم القاف كما كان في نسخة ابن إدريس^(٨) رحمه الله بخطه فلم أجد له معنى فيما عندنا من كتب اللغة ولعله من طغيان القلم وفي الصحاح لمع البرق لمعا ولمعانا أي أضأه والتمتع مثله^(٩) ولا يخفى أن هذه الفقرة من تنمة الكلام السابق وليس وصف الملك الآخر وضمير به إما راجع إلى الملك أو إلى زجره أو إلى الرجل والباء للمصاحبة أو للسيربيبة وإضافة الخفيفة إلى السحاب على التقادير من إضافة الصفة إلى الموصوف والتأنيث باعتبار جمعية السحاب وإذا حمل على المصدر فأسناد السبح إليه مجازي أو هو مؤول بذات الخفيفة وعلى المعجمة والفاء أي السحاب الخفيفة سريعة السير والحاصل على التقادير إذا زجرت بسبب الملك أو زجره أو صوته السحاب ذات الصوت أو الاضطراب أو السرعة أضأه الصواعق التي هي من جنس البروق وأشدّها فالإضافة من قبيل خاتم حديد وربما يقال هو من إضافة الصفة إلى الموصوف أي البروق المهلكة قال الجزري^(١٠) الصاعقة الموت وكل عذاب مهلك وصيحة العذاب والمحراق الذي بيد الملك سائق السحاب ولا يأتي على شيء إلا أحرقه أو نار تسقط من السماء وبعثتهم السماء كمنع صاعقة مصدرا كالراعية أصابتهما^(١١) انتهى وفي رواية ابن شاذان وإذا ساق به متراكم السحاب التمتع صواعق البروق.

ومشيعي الثلج والبرد والهابطين مع قطر المطر إذا نزل أي إذا نزل المطر إلى الأرض لا عند نزوله إلى السحاب ويحتمل أن يكون الضمير راجعا إلى كل من الثلج والبرد والمطر لكنه بعيد وقال الولد^(١٢) الظاهر أنه ﷺ أراد بقوله إذا نزل العموم أي كلما نزل ليفيد فائدة يعتد بها وتغيير العبارة في التشيع والهبوط إما لمحض التنقن أو لأن الغالب في الثلج والبرد في أكثر البلاد أنهما للضرر فلم ينسب الضرر إليهم صريحا بخلاف المطر.

(٢) القاموس المحيط ج ١ ص ٣٠٥.

(٤) القاموس المحيط ج ١ ص ٢٣٥.

(٦) القاموس المحيط ج ٣ ص ٢٣٥ - ٢٣٦.

(٨) لم نثر على نسخة ابن إدريس من الصحيفة.

(١) سورة الصافات، آية: ٢.

(٣) سورة الرعد، آية: ١٣.

(٥) القاموس المحيط ج ٣ ص ١٣٢.

(٧) النهاية ج ٢ ص ٥٦.

(٩) الصحاح ج ٣ ص ١٢٨١.

(١٠) في المطبوعة: «الجزري»، ولم نثر عليه، في النهاية وعرنا عليه في القاموس المحيط.

(١١) القاموس المحيط ج ٣ ص ٢٦٢.

(١٢) لم نثر على شرح الصحيفة السجادية لوالد المؤلف رحمه الله.

وأقول: يمكن على ما سيأتي في الخبر أن البرد ينزل من السماء إلى السحاب فتذيبه حتى تصير مطرا أن يكون إشارة إلى ذلك فإن الثلج والبرد يشايعونهما من أول الأمر بخلاف المطر فإنهم يهبطون معه بعد الدوبان أو يقال النكتة إسناد الخير إلى الله والضرر إليهم لأن في التشيع نوع معاونة بخلاف الهبوط.

أقول: قد مر و سيأتي الأخبار في تفاصيل تلك الأمور.

والقوام على خزانة الرياح القوام جمع قائم ككفار وكافر أي الحافظين لها في خزانها المرسلين لها قدر الحاجة بأمره تعالى ويمكن أن يكون كناية عن كون أسياها ييدهم وقيل كل ما ورد في الكتاب الكريم الرياح بلفظ الجمع فهو في الخير كقوله تعالى «أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ»^(١) وكلما كان بلفظ المفرد فهو للشر كقوله سبحانه «وَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ»^(٢) وأقول إذا اطردت القاعدة في تلك العبارة فالنكتة في تخصيص الخير بالذكر ظاهرة و ستأتي الأخبار في أنواع الرياح وأسمائها وصفاتها في الباب المختص بها.

فلا تزول أي الجبال بسبب حفظ الموكلين لها أو هم دائما فيها لا يزولون عنها والأول أظهر والذين عرفتهم مثاقيل المياه المياه جمع الماء وأصلها ماء وقيل موه ولهذا يرد إلى أصله في الجمع والتصغير فيقال مياه ومويه وأمواه وربما قالوا أمواء بالهمزة وماهت الركية كثر ماؤها وكيل ما تحويه أي مقدار ما تجمعه وتحيط به لواعج الأمطار أي شدائدها ومضائرها وما تحرق النباتات وتخرب الأبنية كما أفيد وعوالجها أي متراكمتها.

قال السيد الداماد رحمه الله اللواعج جمع لاعجة أي مشتداتها القوية يقال لاعجه الأمر إذا اشتد عليه والتجع من لاعج الشوق ولواعجه ارتمض واحترق وضرب لاعج أي شديد يلمع الجلد أي يحرقه وكذلك عوالجها جمع عالج يعني متلاطمتها ومتراكمتها وفي الحديث أن الدعاء يلقي البلاء فيعتلجان إلى يوم القيامة يعني أن الدعاء في صعوده يلقي البلاء في نزوله فيعتلجان قال في الفائق أي يصطرعان ويتدافعان^(٣) وفي النهاية في حديث الدعاء ما تحويه عوالج الرمال هي جمع عالج وهو ما تراكم من الرمل ودخل بعضه في بعض^(٤).

ورسلك جمع الرسول من الملائكة بيان للرسل أو من للتبويض وقيل إن الملك اسم مكان والميم فيه غير أصلية بل زائدة فالأصل ملاك ولذلك يجمع على الملائكة والملائكة نقلت حركة الهمزة إلى اللام ثم حذفت لكثرة الاستعمال فقليل ملك وقال بعضهم أصله مآلك بتقديم الهمزة من الألوكة الرسالة فقلبت الهمزة مكانا ثم حذفت في كثرة الاستعمال للتخفيف فقليل ملك وجمع على الملائكة وقد يحذف الهاء فيقال ملائك إلى أهل الأرض متعلق برسلك بمكروه ما ينزل الباء للملايسة أو السببية أي بالذي ينزل وهو مكروه للطبايع.

من البلاء بيان للمكروه والنازل وإنما سمي المكروه النازل على العباد بلاء لا ابتلاء الله تعالى العباد وامتحانهم به هل يصبرون أم لا وإن كان على المجاز ومحجوب الرخاء عطف على مكروه وهو أيضا من إضافة الصفة إلى الموصوف أي الرخاء المحبوب وقيل الإضافة بيبانية والرخاء النعمة يقال رجل رخي البال أي واسع الحال والمراد إما نزولهم لأصل حصول البلاء والرخاء وتسبب أسبابهما أو للإخبار بهما في ليلة القدر وغيرها والسفرة الكرام البررة السفرة كالكتابة لفظا ومعنى جمع سافر والسفر الكتاب قال الجوهرى السفرة الكتابة قال تعالى «بِأَيِّدِي سَفَرَةٍ»^(٥) وقد يظن أنه جمع سفير وهو المصلح بين الناس لكن الغالب في جمع السفير السفراء والكرام ضد اللثام وقيل الكرام على الله الأعزاء عليه وقيل الأسخياء الباذلين الاستغفار للعباد مع تهاديهم في

(٢) سورة الذاريات، آية: ٤١.

(٤) النهاية ج ٣ ص ٢٨٧.

(١) سورة الروم، آية: ٤٦.

(٣) الفائق ج ٣ ص ٢١.

(٥) الصحاح ج ٢ ص ٦٨٥-٦٨٦، والآية من سورة عبس: ١٥.

العصيان والبررة الآتية و قد مر الكلام فيها والمراد هنا الملائكة الكاتبون للوحي المؤدبون إلى غيرهم أو المكونون باللوح المحفوظ وقيل هم الكاتبون لأعمال العباد وما بعده تأكيد له ولا يخلو من بعد الإدخال التأسيس أولى من التأكيد وأيضاً الظاهر أنه إشارة إلى ما ورد في الآية وهي في سياق وصف القرآن كما عرفت سابقاً ينفي هذا الدعاء ما مر من الأقوال في الآية سوى القول بأنهم الملائكة.

والحفظه الكرام الكاتبين إشارة إلى قوله سبحانه ﴿وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَعْمَلُونَ﴾^(١) وقال الطبرسي رحمه الله ﴿وَإِنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ﴾ من الملائكة يحفظون عليكم ما تعملون من الطاعات والمعاصي ثم وصف الحفظة فقال ﴿كِرَامًا﴾ على ربههم ﴿كَاتِبِينَ﴾ يكتبون أعمال بني آدم انتهى^(٢).

و يدل على تعددهم لكل إنسان قوله تعالى ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ مَا يُلْفَظُونَ قَوْلٌ إِلَّا لَدُنِّيهِ رَقِيبٌ عَقِيدٌ﴾^(٣) و يدل كثير من الأخبار على أن ملائكة الليل غير ملائكة النهار كما ورد في تفسير قوله تعالى ﴿إِنْ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾^(٤) أي تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار والحكمة في خلقهم وتوكيلهم على العباد مع كونه سبحانه أعلم بهم منهم كثيرة قد مر بعضها في بعض الأخبار.

وملك الموت وأعوانه اسم ملك الموت عزرائيل و يدل على أن له أعواناً كما دلت عليه الآيات والأخبار فإنه تعالى قال ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾^(٥) وقال سبحانه ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾^(٦) وقال جل وعلا ﴿يَتَوَفَّيْتُهُ رُسُلَنَا وَ هُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(٧) وقال عز وجل ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾^(٨) وقال ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَلِيلِي أَنْفُسِهِمْ﴾^(٩).

و روى الصدوق في التوحيد أن أمير المؤمنين عليه السلام قال في جواب الزنديق المدعي للناتق في القرآن المجيد حيث سأل عن هذه الآيات إن الله يدبر الأمور كيف يشاء و يوكل من خلقه من يشاء بما يشاء أما ملك الموت فإن الله عز وجل يوكله بخاصة من يشاء من خلقه و يوكل رسله من الملائكة خاصة بمن يشاء من خلقه تبارك وتعالى والملائكة الذين سماهم الله عز وجل يوكلهم^(١٠) بخاصة من يشاء من خلقه والله تعالى يدبر الأمور كيف يشاء^(١١) و روى الطبرسي رحمه الله هذا الخبر في الإحتجاج والجواب فيه هكذا هو تبارك وتعالى أجل وأعظم من أن يتولى ذلك بنفسه وفعل رسله وملائكته فعله لأنهم بأمره يعملون فاصطفى جل ذكره من الملائكة رسلاً وسفرة بينه وبين خلقه وهم الذين قال الله فيهم ﴿اللَّهُ يَصْطَلِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمَنْ الثَّانِي﴾^(١٢) فمن كان من أهل الطاعة تولت قبض روحه ملائكة الرحمة ومن كان من أهل المعصية تولت قبض روحه ملائكة النعمة و لملك الموت أعوان من ملائكة الرحمة وملائكة النعمة يصدرون عن أمره وفعلهم فعله وكل ما يأتيه منسوب إليه وإذا كان فعلهم فعل ملك الموت وفعل ملك الموت فعل الله لأنه يتوفى الأنفس على يد من يشاء ويعطي ويمنع ويبش ويعاقب على يد من يشاء وإن فعل أمناه فعله كما قال ﴿وَمَا تَشَاوُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(١٣).

وروى الصدوق في الفقيه عن الصادق عليه السلام أنه قال في ذلك إن الله تبارك وتعالى جعل لملك الموت أعواناً من الملائكة يقبضون الأرواح بمنزلة صاحب الشرطة له أعوان من الإنس يبعثهم في حوائجه فتتوفاهم الملائكة و يتوفاهم ملك الموت عن^(١٤) الملائكة مع ما يقبض هو و يتوفاهم الله عز وجل عن ملك الموت^(١٥).

(١) سورة الانفطار، آية: ١٠ - ١٢.

(٢) سورة ق، آية: ١٧ - ١٨.

(٣) سورة الزمر، آية: ٤٢.

(٤) سورة الأنعام، آية: ٦١.

(٥) سورة النساء، آية: ٩٧.

(٦) التوحيد ص ٣٦٨.

(٧) الإحتجاج ج ١ ص ٥٧٩ رقم ١٣٧ والآية من سورة الدهر: ٣٠.

(٨) في المصدر: هوكلهم.

(٩) سورة الحج، آية: ٧٥.

(١٠) من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٨٢ باب غسل الميت حديث ٢٦.

(١١) في المصدر: «من».

(١٢) مجمع البيان ج ١٠ ص ٤٥٠.

(١٣) سورة الإسراء، آية: ٧٨.

(١٤) سورة السجدة، آية: ١١.

(١٥) سورة النحل، آية: ٢٨.

و منكر و نكير و مبشر و بشير الأخيران لم يكونا في أكثر الروايات و قد مر في كتاب المعاد أن الأسماء لم تكن أو لتوعين من الملائكة يأتیان الميت في قبره للسؤال عن العقائد أو عن بعض الأعمال أيضا فإن كان مؤمنا أتياه في أحسن صورة فيسميان مبشرا و بشيرا وإن كان كافرا أو مخالفا أتياه في أقبح صورة فيسميان منكرا و نكيرا و يحتمل مغايرة هذين التوعين للأولين لكن ظاهر أكثر الأخبار الاتحاد و يؤيده ترك الآخرين هنا في أكثر الروايات بل في أكثر الأخبار عبر عنهما بمنكر و نكير للمؤمن و غيره و قد مضت الأخبار في ذلك و تحقيق القول فيه فيمن يسأل و فيما يسأل عنه و كيفية الإحياء و السؤال قد مر في المجلد الثالث فلا نعيدها حذرا من التكرار.

و رومان فتان القبور أي متحن القبور و المختبر فيها في المسألة و لم أر ذكر هذا الملك في أخبارنا المعتمدة سوى هذا الدعاء و هو مذكور في أخبار المخالفين روى مؤلف كتاب زهرة الرياض (١) عن عبد الله بن سلام أنه قال سألت رسول الله عن أول ملك يدخل في القبر على الميت قبل منكر و نكير قال ﷺ يا ابن سلام يدخل على الميت ملك قبل أن يدخل نكير و منكر يتلأأ وجهه كالشمس اسمه رومان فيدخل على الميت فيدخل روحه ثم يقفده فيقول له اكتب ما عملت من حسنة و سيئة فيقول بأي شيء أكتب أين قلعي و أين دواتي فيقول قلحك إصبعك و مدادك و ربك اكتب فيقول على أي شيء أكتبه و ليس معي صحيفة قال فيمزق قطعة من كفنه فيقول اكتب فيها فيكتب ما عمل في الدنيا من حسنة فإذا بلغ سيئة استحيا منه فيقول له الملك يا خاطئ أفلا كنت تستحيي من خالقك حيث عملتها في الدنيا و الآن تستحيي مني فيكتب فيها جميع حسناته و سيئاته ثم يأمره أن يطويه و يختمه فيقول بأي شيء أختمه و ليس معي خاتم فيقول اختمها بظفرك و يعلقها في عنقه إلى يوم القيامة كما قال الله تعالى ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ لِّزَمَانٍ طَائِرُهُ فِي عُنُقِهِ﴾ (٢) الآية ثم يدخل بعد ذلك منكر و نكير.

و روى شاذان بن جبرئيل رحمه الله في كتاب الفضائل عن أصعب بن نباتة قال إن سلمان رضي الله عنه قال لي اذهب بي إلى المقبرة فإن رسول الله ﷺ قال لي يا سلمان سيكلمك ميت إذا دنت وفاتك فلما ذهبت به إليها و نادى الموتى أجابه واحد منهم فسأله سلمان عما رأى من الموت و ما بعده فأجابه بقصص طويلة و أهوال جلييلة و ردت عليه إلى أن قال لما ودعني أهلي و أرادوا الانصراف من قريي أخذت في الندم فقلت يا ليتني كنت من الراجعين فأجابني مجيب من جانب القبر كذا إنها كلمة هو قائمها و من وزانهم يزخ إلى يوم يُعْتَوْنَ فقلت له من أنت قال أنا منه أنا ملك و كلني الله عز و جل بجميع خلقه لأنهم بعد مماتهم ليكتبوا أعمالهم على أنفسهم بين يدي الله عز و جل ثم إنه جذبني و أجلسني و قال لي اكتب عملك فقلت إني لأحصىه فقال لي أما سمعت قول ربك ﴿أَخْضَأَ اللَّهُ وَ نَسُوهُ﴾ (٣) ثم قال لي اكتب و أنا أملي عليك فقلت أين البياض فجذب جانبا من كفني فإذا هو ورق فقال هذه صحيفةك فقلت من أين القلم فقال سبابتك قلت من أين المداد قال ربك ثم أملى علي ما فعلته في دار الدنيا فلم يبق من أعمالي صغيرة و لا كبيرة إلا أملاها كما قال تعالى ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَ لَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْضَاهَا وَ جَدُّو مَا عَمِلُوا خَاسِرًا وَ لَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (٤) ثم إنه أخذ الكتاب و ختمه بخاتم و طوقه في عنقي فخيل لي أن جبال الدنيا جميعا قد طوقوها في عنقي فقلت له يا منه و لم تفعل بي كذا قال ألم تسمع قول ربك ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ لِّزَمَانٍ طَائِرُهُ فِي عُنُقِهِ وَ نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا أَفْرَاقًا﴾ (٥) كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (٥) فهذا تخاطب به يوم القيامة و يؤتى بك و كتابك بين عينيك منشورا تشهد فيه على نفسك ثم انصرف عني (٦) تمام الخبر.

(١) لم نعرف على زهرة الرياض هذا. علما بأن هذا الكتاب مغاير مع «زهرة الرياض» لابن طاووس.

(٢) سورة الإسراء، آية: ١٣.

(٣) سورة الكهف، آية: ٤٩.

(٤) الفضائل ص ٨٦ - ٨٩.

(٥) سورة الإسراء، آية: ١٣ - ١٤.

(٦) سورة المجادلة، آية: ٦.

وفي رواية ابن شاذان و منكر و رومان فنان القبور و سائر الفقرات فيها بالرفع على سبابة صدر الدعاء و الطائفتين بالبيت المعمور قد مر وصف البيت و طائفيه و مالك و الخزنة أي خزان النار من الملائكة الموكلين بها و يتعذب أهلها و مالك رئيسهم و رضوان بالكسر و في بعض النسخ بالضيم و هو اسم رئيس خزنة الجنان و خدمتها و المشهور في الاسم الكسر و المصدر و جاء بهما في القرآن و اللغة و سدنة الجنان أي خدمتها في القاموس سدن سدنا و سدانة خدم الكعبة أو بيت الصنم و عمل الحجابة فهو سادن و الجمع سدنة^(١)

و الذين «لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون» عطف تفسير لقوله مالك و الخزنة إشارة إلى قوله سبحانه «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ»^(٢) و الذين يقولون عطف تفسير لقوله رضوان و سدنة الجنان فالنشر على ترتيب الف و يحتمل أن يكون هذا حال بعض سدنة الجنان فيكون تخصيصا بعد التعميم كذكر الزبانية بعد خزنة النيران و تقديم أحوال أهل النار فيهما لأن الخوف أصلح بالنسبة إلى غالب الناس من الرجاء لعلية الشهوات الداعية إلى ارتكاب السيئات عليهم «سلام عليكم» إشارة إلى قوله تعالى في وصف أهل الجنة «وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ يَمَّا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ عُقْبَى الدَّارِ»^(٣)

و قال البيضاوي «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ» بشارة بدوام السلامة «يَمَّا صَبَرْتُمْ» متعلق بعليتكم أو بمحذوف أي هذا بما صبرتم لا بسلام فإن الخير فاصل و الباء للسببية أو البدلية^(٤)

«فَنِعَمَ عُقْبَى الدَّارِ» العقبي الجزء أي نعم العقبي عقبى الدار لكم خاصة أيها المؤمنون و روى الكليني و علي بن إبراهيم بأسانيد معتبرة عن أبي جعفر عليه السلام في وصف حال المتقين في القيامة و بعد دخولهم الجنة قال ثم بيعت الله إليه ألف ملك يهتنون بالجنة و يزوجونه الحوراء^(٥) قال فينتهون إلى أول باب من جنانهم فيقولون للملك الموكل بأبواب جنانهم^(٦) استأذن لنا على ولي الله فإن الله بعثنا إليه نهنته^(٧) فيقول لهم الملك حتى أقول للحاجب فيعلمه مكانكم قال فيدخل الملك إلى الحاجب و بينه و بين الحاجب ثلاث جنان حتى ينتهي إلى أول باب فيقول للحاجب إن على باب العرصة^(٨) ألف ملك أرسلهم رب العالمين ليهتوا^(٩) ولي الله و قد سألو أن أذن^(١٠) لهم عليه فيقول الحاجب إنه ليعظم علي أن استأذن لأحد على ولي الله و هو مع زوجته الحوراء قال و بين الحاجب و بين ولي الله جنتان قال فيدخل الحاجب إلى القيم فيقول له إن على باب العرصة^(١١) ألف ملك أرسلهم رب العزة يهتتون ولي الله فاستأذن فيقدم^(١٢) القيم إلى الخدام فيقول لهم إن رسل الجبار على باب العرصة و هم ألف ملك أرسلهم الله يهتتون ولي الله فأعلموه بمكانهم قال فيعلمونه فيؤذن للملائكة فيدخلون على ولي الله و هو في الغرفة و لها ألف باب و على كل باب من أبوابها ملك موكل به فإذا أذن للملائكة بالدخول على ولي الله فتح كل ملك بابها الموكل به قال فيدخل القيم كل ملك من باب من أبواب الغرفة قال فيبلغونه رسالة الجبار جل و عز و ذلك قول الله عز وجل «وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ»^(١٣) أي^(١٤) من أبواب الغرفة «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ» إلى آخر الآية قال و ذلك قوله عز وجل «وَ إِذَا رَأَيْتَ نِعَمًا وَ مَلَكًا كَثِيرًا»^(١٥) يعني بذلك ولي الله و ما هو فيه من الكرامة و النعيم و الملك العظيم الكبير إن الملائكة من رسل الله عز ذكره يستأذنون عليه فلا يدخلون عليه إلا بإذنه فذلك الملك العظيم الكبير الخبير^(١٦)

(١) القاموس المحيط ج ٤ ص ٢٣٥.

(٢) سورة الرعد، آية: ٢٣ - ٢٤.

(٣) في الكافي: «بالحوراء».

(٤) في تفسير علي بن إبراهيم: «مهيئين».

(٥) في تفسير علي بن إبراهيم: «جاءوا ليهتتون».

(٦) في تفسير علي بن إبراهيم: «الغرفة».

(٧) سورة الرعد، آية: ٢٣.

(٨) سورة الدهر، آية: ٢٠.

(٩) روضة الكافي ص ٩٨ ذيل الحديث ٦٩، و تفسير علي بن إبراهيم ج ٢ ص ٢٤٧ و ٢٤٨.

(١٠) سورة التحريم، آية: ٦.

(١١) أنوار التنزيل ج ١ ص ٥٠٦.

(١٢) في تفسير علي بن إبراهيم: «الجنان».

(١٣) في تفسير علي بن إبراهيم: «الغرفة».

(١٤) في تفسير علي بن إبراهيم: «استأذن».

(١٥) في الكافي: «فيقتدم»، و في تفسير علي بن إبراهيم: «فيقوم».

(١٦) كلمة: «أي» ليست في الكافي.

و الزبانية الذين إذا قيل لهم ﴿خذوه فقلوه ثم الجحيم صلوه﴾ الزبانية هم الملائكة التسعة عشر الموكلون بالنار وهم الغلاظ الشداد قال الجوهرى الزبانية عند العرب الشرط و سمي بذلك بعض الملائكة لدفعهم أهل النار إليها قال الأخفش قال بعضهم واحدا زباني و قال بعضهم زابن و قال بعضهم زبينة مثال عفينة و قال و العرب لا تكاد تعرف هذا و تجعله من الجمع الذي لا واحد له مثل أبيابيل و عباديد^(١) و قال صليت اللحم و غيره أصليه صليا مثل رميته رميا إذا شويته و في الحديث أنه أتى بشاة مصلية أي مشوية و يقال أيضا صليت الرجل نارا إذا أدخلته النار و جعلته يصلها فإن أقيته فيها إلقاء كأنك تريد الإحراق قلت أصليته بالالف و صليته تصلية و قرئ ﴿و يصلى سعيরা﴾ و من خفف فهو من قولهم صلي فلان النار بالكسر يصلى صليا احترق و يقال أيضا صلي بالأمر إذا قاسى حره و شدته^(٢) ابتدروه سراعاً أي حالكونهم مسرعين جمع سريع و لم ينظروه أي لم يمهلوه و من أوهنا ذكره أي الملائكة الذين تركنا ذكرهم على الخصوص و إن كانوا داخلين في العموم قال الجوهرى أوهمت الشيء تركته كله يقال أوهم من الحساب مائة أي أسقط وأوهم من صلاته ركعة^(٣) و لم تعلم مكانه منك أي منزلته عندك أو نسبته إلى عرشك و بأي أمر وكلته عطف على قوله مكانه و الظرف متعلق بوكلمته قدم عليه لمزيد الاهتمام لأن المجهول هذا القيد لا أصل التوكيل و المعنى و لم تعلم توكيلك إياه بأي أمر من أمورك و فيه بعض المنافاة لما يظهر من أكثر الأخبار من سعة علمهم ﷺ و إطلاعهم على جميع العوالم أو المخلوقات و إن الله أراهم ملكوت الأرضين و السماوات إلا أن يقال أنه ﷺ قال ذلك على سبيل التواضع و التذلل أو المعنى لا تعلمهم من ظاهر الكتاب و السنة و إن علمنا من جهة أخرى لا مصلحة في إظهارها أو لا تعلم في هذا الوقت خصوص مكانه و عمله فإنه لا استبعاد في عدم علمهم ﷺ ببعض تلك الخصوصيات الحادثة أو قال ﷺ ذلك بلسان غيره ممن يتلو الدعاء فإنه ﷺ جمع الأدعية و أملاها لذلك بل هو من أعظم نعمهم على شيعتهم صلوات الله عليهم.

وسكان الهواء و الأرض و الماء يدل على أن لكل منها سكانا من الملائكة كما روى الشيخ بسنده عن أبي عبد الله ﷺ قال قال أمير المؤمنين ﷺ إنه نهى أن يبول الرجل في الماء الجاري إلا من ضرورة و قال إن للماء أهلا^(٤).

و في وصية النبي ﷺ لعلي ﷺ قال كره الله لأمتي الفسل تحت السماء إلا بمنزلة و كره دخول الأنهار إلا بمنزلة فإن فيها سكانا من الملائكة^(٥).

و في رواية أخرى رواها الصدوق في المجالس قال في الأنهار عمار و سكان من الملائكة^(٦).

و روي أيضا في العلل بإسناده عن أبي جعفر ﷺ قال إن الله عز و جل وكل ملائكة نبات الأرض من الشجر و النخل فليس من شجرة و لا نخلة إلا و معها من الله عز و جل ملك يحفظها و ما كان فيها و لو لا أن معها من يعتمها لأكلها السباع و هوام الأرض إذا كان فيها ثمرها الخبر^(٧).

و من منهم على الخلق أي الملائكة الذين هم مع الخلق أو مستولون عليهم أو موكلون بهم من جملة سائر الملائكة و هم أصناف شتى قد مر أكثرها كالمعقبات و من يثني برقية المتخلي ليعتبر بما صار إليه طعامه و المشيعين لعائد المريض و لزائر المؤمن و من يأتي منهم للسؤال ابتلاء و من يمسح الصائم يده على قلب المصاب ليسكنه و الموكلين بالدعاء للصائمين و الذين يمسحون وجه الصائم في شدة الحر و يبشرونه و الملائكة الساكنين في حرم حائر الحسين ﷺ يشيعون الزائرين و يعودون مرضاهم و يؤمنون على دعائهم و الذين يدفعون وساوس الشياطين عن المؤمنين و أمثال ذلك كثيرة في الأخبار و هذا بناء على أن الخلق بمعنى المخلوق و يمكن حمله على المعنى

(١) الصحاح ج ٤ ص ٢٤٠٣.

(١) الصحاح ج ٤ ص ٢١٣٠.

(٢) تهذيب الأحكام ج ١ ص ٣٤ حديث ٩٠.

(٢) الصحاح ج ٤ ص ٢٠٥٤.

(٣) أمالي الصدوق ص ٢٧٨ مجلس ٥٠ حديث ٣.

(٥) من لا يحضره الفقيه ج ٤ ص ٢٥٨ حديث ٧٢٢.

(٧) علل الشرائع ص ٢٧٨ باب ١٨٥ حديث ١.

المصدري فيكون إشارة إلى ما روي في أخبار كثيرة أن لله ملكين خلاقين فإذا أراد أن يخلق خلقا أمر أولئك الخلائق فأخذوا من التربة التي قال الله تعالى في كتابه ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾^(١) فمجئوها في النطفة المسكنة في الرحم فإذا عجنحت النطفة بالتربة قالوا يا رب ما تخلق قال فيوحي الله تبارك وتعالى ما يريد من ذلك الخبر ﴿فصل عليهم﴾^(٢) ﴿يوم تأتي كل نفس﴾ ﴿يوم﴾ ظرف للصلاة وربما يومئ إلى أن هذا الحكم بعم الملائكة أيضا غير السابق والشهيد وذكر اليوم بهذا الوصف لبيان أن الملائكة في هذا اليوم أيضا لهم أشغال عظيمة أو لبيان أن هذا اليوم يوم الاحتياج إلى الملائكة ﴿مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ هما ملكان أحدهما يسوقه إلى المحشر^(٣) والآخر يشهد بعمله وقيل ملك واحد جامع للوصفين وقيل السابق كاتب السينات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السابق نفسه^(٤) والشهيد جوارحه وأعماله ومحل معها النصب على الحالية من كل لإضافته إلى ما هو في حكم المعرفة ذكره البيضاوي^(٥) عند قوله تعالى ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾^(٦) وفي بعض النسخ قائم مكان السابق والسائق أوفق بالآية ولا يتغير المعنى إذ المراد بالقائم من يقوم بأمره ويسوقه إلى محشره ولعل المراد أقل من يكون مع كل أحد أو المراد بهما الجنس إذا ورد في كثير من الأخبار أنه يشايخ الأخبار آلاف من الملائكة ومع بعض الأخبار أيضا كذلك لشدة تعذيبهم وكذا الشهداء من الملائكة في أكثر الأخبار أكثر من واحد وصل عليهم تأكيد لما سبق صلاة تزيدهم كرامة على كرامتهم أي تصير سببا لمزيد قدرهم ومنزلتهم عند ربهم وطهارة على طهارتهم أي موجبا لمزيد عصمتهم وتقديسهم وتزدهم وإن كانت العصمة عن الكبائر والصغائر لازمة لهم ويمكن أن يكون فائدة هذا الدعاء راجعة إلينا لا إليهم اللهم وإذا صليت في بعض النسخ إذ بدون الألف وعلينهم مكان عليتنا فعلى الأول المعنى كل وقت صليت عليهم وبلغتهم صلواتنا عليهم فصل عليتنا وارجعنا بسبب أنك وقتتنا لذلك وصرنا سببا لهذه الرحمة وأيضا الجواد الكريم يشفع كل نعمة منه بأخرى ولا يكفي بوحدة منها وعلى النسخة الأخرى المعنى لما صليت عليهم وبلغتهم وصلاتنا عليهم فصل عليهم تارة أخرى بسبب أنهم صاروا سببا لتوفيقك إيانا للصلاة عليهم وحسن القول فيهم وفي بعض النسخ إذ وعلينا وهو أظهر والجواد في أسمائه تعالى هو الذي لا يبخل بعطائه ويعطي كلا ما يستحقه والكريم فيها هو الجواد المعطي الذي لا ينفد عطاؤه أو الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل والكريم أيضا الصفوح.

وأقول: إنما أوردت هذا الدعاء الشريف هنا وأعطيت في شرحه بعض البسط لكونه فذلكه لسائر الأخبار والآيات الواردة في أصفانهم ودرجاتهم ومراتبهم مع تواتره سنداً ومتانته لفظاً ومعنى.

وقال التيسابوري في تفسيره روي أن بني آدم عشر الجن والجن وبنو آدم عشر حيوانات البر وهؤلاء كلهم عشر الطيور وهؤلاء عشر حيوان البحر وكلهم^(٧) عشر ملائكة الأرض الموكلين بها وكل هؤلاء عشر ملائكة سماء الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية وعلى هذا الترتيب إلى ملائكة السماء السابعة ثم الكل في مقابلة الكرسي نزر قليل ثم كل هؤلاء عشر ملائكة السرادق الواحد من سرادقات العرش التي عددها ستمائة ألف طول كل سرادق وعرضه وسمكه إذا قوبلت به السماوات والأرض وما فيها فإنها كلها يكون شيئا يسيرا وقدرًا قليلا وما مقدار موضع قدم إلا وفيه ملك ساجد أو راکع أو قائم لهم زجل بالتسبيح والتقدیس ثم كل هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر ولا يعرف عددهم إلا الله ثم^(٨) مع هؤلاء ملائكة اللوح الذين هم أشياع إسرائيل والملائكة الذين هم جنود جبرائيل وهم كلهم سامعون مطيعون لا يَشْتَكِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَأْذِنُونَ^(٩)

(١) سورة طه، آية: ٥٥.

(٢) عبارة: «إلى المحشر» ليست في المصدر.

(٣) في المصدر إضافة: «أو قرينته».

(٤) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٤٢٢.

(٥) سورة ق، آية: ٢١.

(٦) من المصدر.

(٧) تفسير غرائب القرآن ج ١ ص ٢١٤ ذيل تفسير آية ٣٠ من سورة البقرة.

(٨) في المصدر: «و هؤلاء كلهم».

قال بليزاس في كتاب علل الأشياء إن الخالق عز وجل لما ضرب الخلقة بعضها ببعض وطال مكنتها خلق الأرواح المتفكرة القادرة فخلقهم من حرارة الريح ونور النار فمنهم خلق خلقوا من حر الريح الباردة ومنهم خلق خلقوا من نور النار الحارة ومنهم خلق خلقوا من حركة الماء البارد ومنهم خلق خلقوا من حركة الماء الحار ومنهم خلق خلقوا من الماء المالح فخلق الله الخلقة العلوية من هذه الثلاث طبائع وليس فيهم من طبيعة التراب شيء ومن خلق منهم في السفلى فإنها خلقت من الطبائع الثلاث التي ذكرت مفردات غير مركبات إذ لو كانوا مركبين إذا لأدركهم الموت والافتراق فهذه جميع أجناس المتفكرة من الملائكة والجن والشياطين وسكان الريح الباردة والبحر والأرض السود والبيض والكواكب العلوية تشرق بنورها عليهم فتصل أنوارهم بنورها ولا يشغلون مكاناً لأنهم نور ولا يأخذون مكان غيرهم فهم ملئوا الطبائع يدبرونها ويقبلون عليها وكل طبيعة من الطبائع فيها خلق عظيم من الروحانيين ولا يقع عليهم التفصيل والفناء لأنهم ليسوا مركبين وإنما هم من جوهر واحد فذلك صاروا أكثر شيء عدداً لا يسأمون ولا ينامون ولا يملون يعملون دائبين بالليل والنهار بما وكلوا به من حركة الفلك وإدخال بعضها في بعض وحركة الشمس والقمر والكواكب والأمطار والرياح والحر والبرد والإقبال والإدبار في النبات والحيوان والمعادن وأفاعيل الإنس والحيوان وكلهم يعمل دائماً بالأمر الذي وكل به وهم أجناس جنس منهم في الفلك الأعلى وهم قيام على أرجلهم لا يجلسون لأن طبيعتهم روحانية لطيفة فيلطاقفهم لا يقدرون أن يجلسوا لأنها تجذبهم إلى العلو وكلهم يسبحون للذي خلقهم منذ يوم خلقهم لا يعملون ولا يتحركون يمينا ولا شمالا وليس لهم عمل غير التسبيح للرب لهم غلظ وشدة لحدة طبائعهم لأنهم خلقوا من حر النار وعلى فلك المشتري خلق عظيم من الروحانيين كذلك وهم خلق معتدل ساكن لأنهم خلقوا من روح الماء ليس لهم قسوة وقظاظ يدبرون فلك المشتري ويقبلون ويتحركون مع حركته ويمجدون الذي خلقهم وفي فلك المريخ خلق عظيم من النورانيين وهم غلاظ شداد لأنهم خلقوا من نور النار اليابسة فلذلك لا رافة لهم ولا رحمة يدبرون ويقبلون مع المريخ في دوران الفلك لم يملكون غير ذلك لأنهم لا رحمة لهم ولذلك لم يوكلوا بشيء من أعمال الناس وفي فلك الشمس خلق من الكروبيين لهم قسوة وقظاظ لشدة طبائعهم لأنهم خلقوا من الريح والروح ولهم أناة ونور فهم موكلون بأعمال بني آدم على الحرث والنسل وهم الذين يحركون الشمس وبحركتها يخرج البخار والدخان فيرفعون ذلك البخار إلى القمر ثم إلى الشمس ثم يصدونه إلى الكواكب العالية فيكون لهم غذاء وهم على الثمار والزروع ولادة الحيوان وهم المسلطون على جميع الروحانيين من تحتهم يعملون بأمرهم وهم لطاف نورانيون يدورون مع فلك الشمس ويعملون معها ويعملون في إصلاح العالم وتوالد المواليد وهم الذين يحفظون شيعه الشيطان ولده عن فساد العالم وخراجه وحفظ الحيوان منهم وإنما سمو ملائكة لأنهم ملكوا زمام الشيطان لئلا يخربوا العالم وفي فلك الزهرة أيضا خلق من الروحانيين لهم اعتدال وصلاح فهم أحسنهم وجوها ولهم ريح طيب وبشر حسن يحيون الإنس وجميع ما تحتهم من الحيوان جبا شديدا ولهم بهم رافة ورحمة ورقة وهم الذين يسعون في تأليف الذكرا والإناث من كل شيء لمكان النسل والولادة وبذلك وكلوا وفي فلك عطارد روحانيون خلقوا من حر الريح الحارة فاتصلوا بالروحانيين الذين خلقوا من النور وهم بين أيديهم مثل العبيد لا يغيبون عن أعينهم طرفه عين يسارعون في خدمة ملائكة فلك الشمس ويعملون بمسرتهم فهم لهم شبه الوزراء وهم الموكلون بالنبات وإصلاحه وحفظ النبات إذا طلع عن وجه الأرض حتى يتم بتمامه وهم أيضا موكلون بصغار الحيوان والحفظ لهم عن مردة الشياطين وإن القمر جرمه من الشمس وضوءه من نورها وهما دائبان يعملان في الليل والنهار وفلك القمر مملو من الملائكة وهم ملائكة الرحمن مستبشر الوجوه لهم جمال وحسن صور وليس فيهم غضب ولا شدة ولا قسوة على ولد آدم لقربهم منهم وهم أشبه الروحانيين بالأدمنين وهم متعطفون على الحيوان مصلحون للنبات دائبون في مسيرة بني آدم فلاتصلهم بهم ربما ظهروا لهم وكنوهم وهم مسلطون على السماء يحرسون السماء من شيطانك ولده أن يسترقوا السمع من الملائكة الأعلى المتصلين بفلك الشمس وهم الموكلون أيضا بالبحر المبدور في الأرض يحفظونه لئلا تعرض له الشياطين ليفسدونه فإن شيطانك ولده لهم قوة عظيمة في العالم والحرث والنسل وكلما لطف خلقه من الروحانيين ورتق كان أكثر

أجنحة ومنهم من له ستة أجنحة ومنهم من له خمسة أجنحة ومنهم من له أربعة أجنحة وكذلك إلى جناح واحد وأما المفكرة التي في الطبايع حين ظهرت لحقا بالطبايع فهم مستجنون في الماء والتراب والريح لأنهم خلقوا من حر الماء والمالح والريح العاصف والتراب المنتن وهم يسمون شيطانييل وولده وهم عصاة جفاة مفسدون في الأرض لهم خبث عظيم وقوة شديدة ومنظر قبيح وجوه سمجة وأرواحهم قذرة وهم على الفساد والطغيان وفي خراب العالم والخلقة العليا مسلطة عليهم يمنعونهم من خراب العالم وفساده^(١) انتهى.

وأقول: إنما وردت ملخصا من كلامه لتعلم أن أكثر كلمات قدماء الحكماء الذين أخذوا العلوم من الأنبياء موافقة لما ورد في لسان الشرع وإنما أحدث المتأخرون منهم ما أحدثوا بأرائهم العلييلة الفاسدة

باب ٢٤

آخر في وصف الملائكة المقربين

الآيات:

الشعراء: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾^(٢).
النجم: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾^(٣).
التكوير: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾^(٤).

تفسير: ﴿نَزَلَ بِهِ﴾ قال الطبرسي رحمه الله أي نزل الله بالقرآن الروح الأمين يعني جبرئيل عليه السلام وهو أمين الله عليه لا غيره ولا يبدله وسماء روحا لأنه يحيي به الدين وقيل لأنه يحيي به الأرواح بما ينزل من البركات وقيل لأنه جسم روحاني ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ يا محمد وهذا على سبيل التوسع لأنه تعالى يسمعه جبرئيل فيحفظه فينزل به على الرسول فيقرئه عليه فيعيه ويحفظه بقلبه فكانه نزل به على قلبه وقيل معناه لقتك الله حق تلقينه وثبته ﴿على قلبك﴾ وجعل قلبك وعاء له^(٥).

وقال البيضاوي القلب إن أراد به الروح فذاك وإن أراد به العضو فتخصيصه لأن المعاني الروحانية إنما تنزل أولا على الروح ثم تنتقل منه إلى القلب لما بينهما من التعلق ثم تنصعد^(٦) إلى الدماغ فينتش بها لوح المتخيلة والروح الأمين جبرئيل فإنه أمين على وحيه ﴿لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾^(٧) عما يؤدي إلى عذاب من فعل أو ترك^(٨).

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ قال الطبرسي رحمه الله يعني به جبرئيل عليه السلام أي القوي في نفسه وخلقته ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي ذو قوة وشدة في خلقه^(٩) عن الكلبي وقال من قوته أنه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الأسود فرفعهما إلى السماء ثم قلبها ومن شدته صيحه لقوم ثمود حتى أهلكوا^(١٠) وقيل معناه ذو صحة وخلق حسن عن ابن عباس وغيره وقيل شديد القوى في ذات الله ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي صحة في الجسم سليم من الآفات والعيوب وقيل ذو مِرَّةٍ أي ذو مرور في الهواء ذاهبا وجائيا نازلا وصاعدا ﴿فَاسْتَوَى﴾ جبرئيل على الصورة^(١١) التي خلق عليها بعد انحداره إلى محمد ﷺ وهو كناية عن جبرئيل أيضا ﴿بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾ يعني أفق المشرق والمراد بالأعلى جانب المشرق وهو فوق جانب المغرب في صعيد الأرض لا في الهواء قالوا إن جبرئيل عليه السلام كان يأتي النبي ﷺ في صورة آدميين فسأله رسول الله ﷺ أن يريه نفسه على صورته التي خلق عليها فأراه نفسه مرتين مرة في الأرض ومرة في

(٢) سورة الشعراء: آية: ١٩٣ و ١٩٤.

(٤) في المصدر: «تلقته».

(٦) في المصدر إضافة: «منه».

(٨) أنوار التنزيل ج ٢ ص ١٦٦.

(١٠) في المصدر: «هلكوا».

(١) لم نخر على كتاب علل الأشياء هذا.

(٣) سورة النجم، آية: ٥ - ٩.

(٥) مجمع البيان ج ٧ ص ٢٠٤.

(٧) سورة الشعراء، آية: ١٩٤.

(٩) في المصدر: «وخلقته».

(١١) في المصدر: «صورته».

السماء أما في الأرض ففي الأفق الأعلى وذلك أن محمداً كان بحراء فطلع له جبرئيل من المشرق فسد الأفق إلى المغرب فخر النبي مغنياً عليه فنزل جبرئيل في صورة الآدميين فقصه إلى نفسه وهو قوله «ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى» (١) وتقديره ثم دنا أي قرب بعد بعده وعلوه في الأفق الأعلى فدنا من محمد قال الحسن وقناة ثم دنا جبرئيل بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض فنزل إلى محمد وقال الزجاج معنى دنا وتدلّى واحد لأن معنى دنا قرب وتدلّى زاد في القرب وقيل إن المعنى استوى جبرئيل أي ارتفع وعلا إلى السماء بعد أن علم محمداً عن ابن مسيب وقيل استوى أي اعتدل واقفاً في الهواء بعد أن كان ينزل بسرعة ليراه النبي وقيل معناه استوى جبرئيل ومحمد بالأفق الأعلى يعني السماء الدنيا ليلة المعراج «فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ» أي كان ما بين جبرئيل وبين رسول الله قَابَ قَوْسَيْنِ (٢) والقوس ما يرمى به وخَصَتْ بالذكر على عادتهم يقال قَابَ قَوْسٍ (٣) وقيل معناه كان قدر ذراعين كما روي عن النبي فمعنى القوس ما يقاس به والذراع يقاس به أو أدنى قال الزجاج إن العباد قد خطبوا على لغتهم ومقدار فهمهم وقيل لهم في هذا ما يقال للذي يحز (٤) فالعنى فكان على ما تقدرونه أنتم قدر قوسين أو أقل من ذلك وقال عبد الله بن مسعود إن رسول الله رأى جبرئيل وله ستمائة جناح (٥)

وقال في قوله تعالى «إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ» (٦) أي إن القرآن قول رسول كريم على ربه وهو جبرئيل وهو كلام الله أنزله على لسانه «ذِي قُوَّةٍ» أي فيما كلف وأمر به من العلم والعمل وتبليغ الرسالة وقيل ذي قدرة في نفسه ومن قوته قلع ديار قوم لوط بقوادم جناحه حتى بلغ بها السماء ثم قلبها «عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ» (٧) معناه متمكن عند الله صاحب العرش وخالفه رفيع المنزلة عظيم القدر عنده كما يقال فلان مكين عند السلطان والمكانة القرب «مُطَاعٌ ثَمَّ» (٨) أي في السماء تطيعه ملائكة السماء قالوا ومن طاعة الملائكة لجبرئيل أنه أمر خازن الجنة ليلة المعراج حتى فتح لمحمد أبوابها فدخلها ورأى ما فيها وأمر خازن النار ففتح له عنها حتى نظر إليها «أَمِينٌ» أي على وحي الله ورسالته (٩) إلى أنبيائه وفي الحديث أن رسول الله قال لجبرئيل ما أحسن ما أننى عليك ربك «ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٌ» (١٠) فما كانت قوتك وما كانت أمانتك فقال أما قوتي بعثت إلى مدائن لوط فهي (١١) أربع مدائن وفي كل مدينة أربعمائة ألف مقاتل سوى الذراري فحملتهم من الأرض السفلى حتى سمع أهل السماوات أصوات الدجاج ونباح الكلاب ثم هويت بهن قلبتيهن وأما أمانتي فإني لم أؤمر بشيء فعدوته إلى غيره «وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ» (١٢) أي رأى محمداً جبرئيل على صورته التي خلقه الله تعالى عليها حيث تطلع الشمس وهو الأفق الأعلى من ناحية المشرق «وَمَا هُوَ عَلَى الْغُبِّ يَضِينُ» (١٣) قرأ أهل البصرة غير سهل وابن كثير والكسائي بالظاء والباءون بالضاد (١٤) فعلى الأول المعنى أنه ليس على وحي الله تعالى وما يخبر به من الأخبار بمتهم فإن أحواله ناطقة بالصدق والأمانة وعلى الثاني أي ليس ببخيل فيما يؤدي عن الله إذ (١٥) يعلمه كما علمه الله تعالى (١٦)

١- مجالس الصدوق: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي عن أبيه عن خلف بن حماد عن أبي الحسن العبيدي عن الأعمش عن عباية بن ربعي عن عبد الله بن عباس قال إن رسول الله لما أسري به إلى السماء انتهى به جبرئيل إلى نهر يقال له النور وهو قول الله عز وجل «خَلَقَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ» (١٨) فلما انتهى

(١) سورة النجم، آية: ٨.
(٢) سورة النجم، آية: ٩.
(٣) في المصدر: «يحدد».
(٤) سورة التكوين، آية: ١٩.
(٥) سورة التكوين، آية: ٢١.
(٦) سورة التكوين، آية: ٢٠.
(٧) في المصدر: «رسالته».
(٨) في المصدر: «فإني بعثت إلى مدائن لوط وهي».
(٩) مجمع البيان ج ١٠ ص ٤٤٦ ملخصاً، والآية من سورة التكوين: ٢٤.
(١٠) مجمع البيان ج ١٠ ص ٤٥٥.
(١١) مجمع البيان ج ١٠ ص ٤٤٦.
(١٢) سورة الأنعام، آية: ١. علماً بأنه قد جاء في المطبوعة: «خلق الظلمات والنور»، ولم نعر على هذا التعبير في المصحف.

به إلى ذلك النهر قال له جبرئيل يا محمد اعبر على بركة الله فقد نور الله لك بصرك و مد لك أمامك فإن هذا نهر لم يعبره أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل غير أن لي في كل يوم اغتמاسة فيه ثم أخرج منه فأنفض أجنحتي فليس من قطرة تقطر من أجنحتي إلا خلق الله تبارك وتعالى منها ملكا مقربا له عشرون ألف وجه وأربعون ألف لسان كل لسان يلفظ بلفظ لا يفقهها اللسان الآخر.^(١)

٢- تفسير علي بن إِبْرَاهِيم: في خبر المعراج قال جبرئيل أقرب الخلق إلى الله أنا وإسرافيل.^(٢)

٣- ومنه: عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ لما أسري بي إلى السماء رأيت ملكا من الملائكة بيده لوح من نور لا يلتفت يميناً ولا شمالاً مقبلاً عليه ثبة كهنية الحرير فقلت من هذا يا جبرئيل فقال هذا ملك الموت مشغول في قبض الأرواح فقلت أدنني منه يا جبرئيل لأكلمه فأذناني منه فقلت له يا ملك الموت أكل من هو مات أو هو ^(٣) ميت فيما بعد أنت تقبض روحه قال نعم قلت وتحضرهم بنفسك قال نعم ما الدنيا ^(٤) كلها عندي فيما سخره الله لي و مكنتني منها إلا كدرهم في كف الرجل يقبله كيف يشاء وما من دار في الدنيا إلا وأدخلها في كل يوم خمس مرات وأقول إذا بكى أهل البيت على ميتهم لا تبكوا عليه فإن لي إليكم عودة و عودة حتى لا يبقى منكم أحد قال رسول الله ﷺ كفى بالموت طامة يا جبرئيل فقال جبرئيل ما بعد الموت أطم وأعظم من الموت.^(٥)

٤- ومنه: في قوله تعالى ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ قال رأى جبرئيل على ساقه الدر مثل القطر على البقل له ستمائة جناح قد ملأ ما بين السماء والأرض.^(٦)

٥- التوحيد: عن أبيه عن سعد عن القاسم بن محمد الأصفهاني عن سليمان المنقري عن حفص بن غياث أو غيره قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿لَقَدْ رَأَى﴾ الآية وذكر مثله.^(٧)

٦- معاني الأخبار: قال جبرئيل معناه عبد الله و ميكائيل معناه عبيد الله وكذلك معنى إسرافيل عبيد الله.^(٨)

٧- الخصال: عن الحسين بن أحمد بن إدريس عن أبيه عن محمد بن أحمد عن أبي عبد الله الرازي عن الحسن بن علي بن أبي عثمان عن موسى بن بكر عن أبي الحسن الأول قال قال رسول الله ﷺ إن الله تبارك وتعالى اختار من كل شيء أربعة اختار من الملائكة جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل و ملك الموت الخبر.^(٩)

٨- تفسير علي بن إِبْرَاهِيم: عن أبيه عن أحمد بن النضر عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي عبد الله عليه السلام ^(١٠) قال كان بينا رسول الله ﷺ جالسا ^(١١) وعنده جبرئيل عليه السلام إذ حانت من جبرئيل نظرة قبل السماء فانتفع ^(١٢) لونه حتى صار كأنه كرم ^(١٣) ثم لا بد برسول الله ﷺ فنظر رسول الله ﷺ إلى حيث جبرئيل فإذا شيء قد ملأ بين الخافقين مقبلاً حتى كان كقاب من الأرض ثم قال يا محمد إني رسول الله إليك أخيرك أن تكون ملكاً رسولاً أحب إليك أو أن تكون عبداً رسولاً فالتفت رسول الله ﷺ إلى جبرئيل و قد رجع إليه لونه فقال جبرئيل بل كن عبداً رسولاً فقال رسول الله ﷺ بل أكون عبداً رسولاً فرفع الملك رجله اليمنى فوضعها في كبد السماء الدنيا ثم رفع الأخرى فوضعها في الثانية ثم رفع اليمنى فوضعها في الثالثة ثم هكذا حتى انتهت إلى السماء السابعة بعد كل سماء خطوة وكلما ارتفع صغر حتى صار آخر ذلك مثل الصر فالتفت رسول الله ﷺ إلى جبرئيل عليه السلام فقال قد رأيتك ذعراً و ما رأيت شيئاً كان أذعر لي من تغير لونك فقال يا نبي الله لا تلمني أتدري من هذا قال لا قال هذا إسرافيل حاجب الرب و لم ينزل من مكانه منذ خلق الله السماوات والأرض و لما رأيته منحطاً ظننت أنه جاء بقيام الساعة فكان الذي رأيت من تغير لوني لذلك فلما

(١) أمالي الصدوق ص ٤٣٥ مجلس ٥٦ حديث ٥٧٦. (٢) تفسير علي بن إبراهيم ج ٢ ص ١٠.

(٣) كلمة: «هو» ليست في المصدر.

(٤) تفسير علي بن إبراهيم ج ٢ ص ١٦٨.

(٥) تفسير علي بن إبراهيم ج ٢ ص ٣٢٨ والآية من سورة النجم: ١٨.

(٦) التوحيد ص ١١٦ باب ما جاء في الرؤية حديث ١٨.

(٧) معاني الأخبار ص ٤٩ باب معاني أسماء الأنبياء والرسل عليهم السلام وغير ذلك حديث ١.

(٨) الخصال ج ١ ص ٢٢٥ باب الأربعة حديث ٥٧. (٩) في المصدر: «عن أبي جعفر».

(١٠) في المصدر: «قامت».

(١١) الكرم - بضم الكافين و سكن الراء - الزعفران الصحاح ج ٥ ص ٢٠٢١.

رأيت ما اصطفاك الله به رجع إلي لوني و نفسي أما رأيته كلما ارتفع صفر إنه ليس شيء يدنو من الرب إلا صفر لعظمته إن هذا حاجب الرب و أقرب خلق الله منه و اللوح بين عينيه من ياقوته حمراء فإذا تكلم الرب تبارك و تعالى بالوحي ضرب اللوح جيئته فنظر فيه ثم ألقاه^(١) إلينا فنسعى به في السماوات و الأرض إنه لأدنى خلق الرحمن منه و بيني و بينه تسعون^(٢) حجابا من نور تقطع دونها الأبصار ما لا يعد و لا يوصف و إني لأقرب الخلق منه و بيني و بينه مسيرة ألف عام^(٣)

بيان: قال الجوهرى حان له أن يفعل كذا يحين حيناً أي آن و حان حينه أي قرب وقته^(٤) و قال الكسائي امتنع لونه إذا تغير من حزن أو فزع^(٥) قال وكذلك انتقع و بالميم أجود^(٦) و قال الكرم الزعفران^(٧) و قال لا ذ به لوأذا أي لجأ إليه و عاذ به^(٨) و في القاموس الصر طائر كالصفر و أصغر^(٩) يدنو من الرب أي من موضع مناجاته أو من عرشه سبحانه ما لا يعد و لا يوصف أي دونها و قبل الوصول إليها ما لا يعد و لا يوصف انقطع عندها الأبصار و لا تقدر على النظر إليها و في بعض النسخ ما يعد بدون لا فيمكن أن يكون بدلا من تسعون حجابا و ما موصولة أي يحيط به العدد دون الوصف و المراد بالحجب إما الحجب المعنوية كما مر أو المراد بينه و بين عرشه أو بين منتهى خلقه أو بين محل يصدر منه الوحي.

أقول: و رأيت بخط بعض المشايخ هذا الحديث منقولا من كتاب مدينة العلم^(١٠) للصدوق رحمه الله بحذف الإسناد عن جابر مثله.

٩- ومنه: أيضا عن الصادق عليه السلام قال إذا أمر الله ميكائيل بالهبوط إلى الدنيا فيما يأمره به صارت رجله^(١١) في السماء السابعة و الأخرى في الأرض السابعة^(١٢)

١٠- ومنه: عن الصادق عليه السلام قال إن الله خلق حية قد أهدت بالسماوات و الأرض قد جمعت رأسها و ذنبها تحت العرش فإذا رأت معاصي العباد أسفت و استأذنت أن تلع السماوات و الأرض^(١٣)

١١- القصص: بالإسناد المتقدم في باب العوالم عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال إن الله خلق الملائكة روحانيين لهم أجنحة يطرون بها حيث يشاء الله فأسكنهم فيما بين أطباق السماوات يقدسونه الليل و النهار و اصطفى منهم إسرئيل و ميكائيل و جبرئيل^(١٤)

١٢- صحيفة الرضا: عنه عن آباءه عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه و آله لما أسري بي إلى السماء رأيت في السماء الثالثة رجلا قاعدا رجل له في المشرق و رجل له في المغرب و بيده لوح ينظر فيه و يحرك رأسه فقلت يا جبرئيل من هذا قال هذا ملك الموت^(١٥)

١٣- الخرائج: عن سعد بن عبد الله عن محمد بن عيسى اليقطيني عن الحسن بن علي عن جعفر بن بشير^(١٦) عن معتب غلام الصادق عليه السلام قال كنت مع أبي عبد الله عليه السلام بالعرض فجاء يمشي حتى دخل مسجدا كان يعبد الله فيه أبوه وهو يصلي في موضع من المسجد فلما انصرف قال يا معتب ترى هذا الموضع قلت نعم قال بينما أبي عليه السلام قائم يصلي في هذا المكان إذ دخل شيخ يمشي حسن السمات فجلس فيبينما هو جالس إذ جاء رجل آدم حسن الوجه و التمسه فقال للشيخ ما يجلسك ليس بهذا أمرت فقاما و انطلقا^(١٧) و تواريا عني فلم أر شيئا فقال^(١٨) يا بني هل رأيت الشيخ و صاحبه فقلت نعم فمن الشيخ و صاحبه قال الشيخ ملك الموت و الذي جاء فأخرجه جبرئيل^(١٩)

(١) في المصدر: «يلقيه».

(٢) تفسير علي بن إبراهيم ج ٢ ص ٢٧ و ٢٨.

(٣) في المصدر إضافة: «أوربيه».

(٤) الصحاح ج ٤ ص ٢١٨٦.

(٥) الصحاح ج ٢ ص ٥٧٠.

(٦) القاموس المحيط ج ٢ ص ٧١ و فيه: «أصفر» هذا و قد جاء في ج ٦٣ ص ٢٤١ من المطبوعة مثل ما جاء في القاموس.

(٧) لم نثر على كتاب «مدينة العلم» هذا.

(٨) تفسير علي بن إبراهيم ج ٢ ص ٢٠٦.

(٩) قصص الأنبياء ص ٣٦ في ذكر نبينا آدم عليه السلام حديث ١.

(١٠) في المصدر: «عن عمر بن أبان».

(١١) في المصدر إضافة: «أبي».

(١٢) في المصدر: «سبعون».

(١٣) الصحاح ج ٤ ص ٢١٠٦.

(١٤) الصحاح ج ٣ ص ١٢٨٦.

(١٥) الصحاح ج ٢ ص ٥٧٠.

(١٦) في المصدر إضافة: «اليمنى».

(١٧) لم نثر عليه في تفسير التقي و لعله منقول عن مدينة العلم.

(١٨) صحيفة الإمام الرضا عليه السلام ص ١٥٣.

(١٩) في المصدر: «و أنصرفا» بدل «و أنطلقا».

(٢٠) الخرائج و الجرائع ج ٢ ص ٨٥٩ باب ١٦ رقم ٧٣.

١٤- ومنه: عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسين بن سعيد عن فضالة عن أبان بن عثمان عن زرارة قال قال أبو عبد الله عليه السلام بينما أنا في الدار مع جارية لي إذ أقبل رجل قاطب بوجهه فلما رأيته علمت أنه ملك الموت فاستقبله رجل آخر أطلق منه وجهها وأطلق منه ^(١) بشرا فقال له ليس بهذا أمرت فبينما أنا أحدث الجارية ^(٢) إذ قبضت. ^(٣)

بيان: ليس بهذا أمرت أي بالتأخير أو بملاقاة غير المتوفى أو بالقطوب للإمام وفي الخبر السابق يحتمل الجلوس أو قبض الإمام عليه السلام مع الاحتمالين الأولين والله يعلم.

١٥- المتهمج: في تعقيب صلاة أمير المؤمنين وباسم المكتوب على جهة إسرئيل وبقوة ذلك الاسم الذي ينفخ ^(٤) به إسرئيل في الصور وأسألك باسم المكتوب على راحة رضوان خازن الجنان. ^(٥)

١٦- الاختصاص: بإسناده عن ابن عباس قال عبد الله بن سلام للنبي ﷺ فيما سأله من أخبرك قال النبي ﷺ جبرئيل قال عمن قال قال ^(٦) عن ميكائيل قال عمن قال ^(٧) قال عن إسرئيل قال ^(٨) عمن قال ^(٩) قال عن اللوح المحفوظ قال ^(١٠) عمن قال عن القلم قال ^(١١) عمن قال قال ^(١٢) عن رب العالمين قال صدقت ^(١٣) فأخبرني عن جبرئيل في زي الإنثاء أم في زي الذكور ^(١٤) قال في زي الذكور قال فأخبرني ما طعامه ^(١٥) قال طعامه التسييح وشرابه التهليل قال صدقت يا محمد فأخبرني ما طول جبرئيل قال إنه على قدر بين الملائكة ليس بالطويل القصالي ولا بالقصير المتداني له ثمانون ذؤابة وقصة جعدة و هلال بين عينيه أغر أدعج محجل ضوؤه بين الملائكة كضوء النهار عند ظلمة الليل له أربع وعشرون جناحا خضراء مشبكة بالدر والياقوت مخمطة بالؤلؤ وعليه وشاح بطانته الرحمة وأزراره الكرامة ظهرته الوقار ريشه الزعفران واضح الجبين أفتى الأنف سائل الخدين مدور اللحيين حسن القامة لا يأكل ولا يشرب ولا يمل ولا يسهر قام ^(١٦) بوحى الله إلى يوم القيامة قال صدقت يا محمد ثم ساق الحديث إلى أن قال وما الثلاثة قال ﷺ جبرئيل وميكائيل وإسرئيل وهم رؤساء الملائكة وهم على وحي رب العالمين. ^(١٧)

بيان: طعامه التسييح أي يتقوى بالتسييح والتهليل كما يتقوى الإنسان بالطعام والشراب ولا يبقى بدونهما والقصة بالضم شعر الناصية ذكره الجوهري ^(١٨) وقال الغرة بالضم بياض في جهة الفرس فوق الدرهم يقال فرس أغر والأغر الأبيض ورجل أغر أي شريف ^(١٩) وقال الدعج شدة سواد العين مع سعتها والأدعج من الرجال الأسود ^(٢٠) وقال التحجل بياض في قوائم الفرس أو في ثلاث منها أو في رجليه قل أو أكثر بعد أن يجاوز الأرساغ ولا يجاوز الركبتين والعرويين لأنها مواضع الأحجال وهي الخلاخيل والقيود يقال فرس محجل ^(٢١) وقال الوشاح ينسج من أديم عريضا ويرصع بالجوهر وتشده المرأة بين عاتقها وكشحها ^(٢٢) انتهى والمراد بالوشاح إما المعنوي فالصفات ظاهرة أو الصوري فالمعنى أن بطانته علامة رحمة الله له أو للعباد وكذا الباقيتان والفتى أحديداً في الأنف.

١٧- الكافي: عن عدة من أصحابه عن سهل بن زياد عن ابن محبوب عن حنان بن سدير عن أبي جعفر عليه السلام قال قلت له أخبرني عن قول يعقوب لبنيه «اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ» ^(٢٣) أكان يعلم أنه حي وقد فارقه منذ

(٢) في المصدر إضافة: «وأعجب ما رأيته».

(٤) كلمة: «به» ليست في المصدر.

(٦) كلمة: «قال» ليست في المصدر.

(٨) في المصدر إضافة: «إسرئيل».

(١٠) في المصدر إضافة: «اللوح».

(١٢) كلمة: «قال» ليست في المصدر.

(١٤) في المصدر إضافة: «ليس في زي الأثاث».

(١٦) في المصدر: «قائم».

(١٨) الصحاح ج ٢ ص ١٠٥٢.

(٢٠) الصحاح ج ١ ص ٣١٤.

(٢٢) الصحاح ج ١ ص ٤١٥.

(١) كلمة: «منه» ليست في المصدر.

(٣) الخرائج والجرائع ج ٢ ص ٨٦٠ باب ١٦ رقم ٧٤.

(٥) مصباح المتهمج ص ٢٩٤، وفيه: «الجنة» بدل «الجنان».

(٧) كلمة: «قال» ليست في المصدر.

(٩) من المصدر.

(١١) في المصدر إضافة: «القلم».

(١٣) في المصدر إضافة: «يا محمد».

(١٥) في المصدر إضافة: «وشرابه».

(١٧) الاختصاص ص ٤٥ باختصار.

(١٩) الصحاح ج ٢ ص ٧٦٧.

(٢١) الصحاح ج ٣ ص ١٦٦٦.

(٢٣) سورة يوسف، آية: ٨٧.

عشرين سنة قال نعم قال قلت كيف علم قال إنه دعا في السحر و سأل الله أن يهبط عليه ملك الموت فهبط عليه بريال و هو ملك الموت فقال له بريال ما حاجتك يا يعقوب قال له أخبرني عن الأرواح التي تقبضها مجتمعة أو متفرقة قال بل أقبضها متفرقة روحا قال أخبرني فهل^(١) مر بك روح يوسف فيما مر بك قال لا فعلم يعقوب أنه حي فعند ذلك قال لولده «اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ»^(٢)

بيان: «فتحسسوا» التحسس طلب الإحساس أي تعرفوا منهما و تفحصوا عن حالهما تقبضها مجتمعة لعل السؤال عن الاجتماع و التفرق في الأخذ لأنه إذا قبضها مجتمعة يمكن أن يغفل عن خصوص كل واحد بخلاف ما إذا أخذ روحا روحا أو لأنه إذا قبضها مجتمعة يمكن أن تسلم إليه بعد مرور الأيام ليجتمع عدد كثير منها و لما يصل روح يوسف ﷺ إليه بعد ذلك و هذا الملك إما عزرائيل يقبض الأرواح من أعوانه أو غيره و يقبض منه و الأخير أظهر.

١٨- الكافي: عن عدة من أصحابه عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن معاوية بن ميسرة عن الحكم بن عيينة^(٣) عن أبي جعفر^(٤) قال إن في الجنة نهرا يقتسم فيه جبرئيل كل غداة ثم يخرج منه فينفض^(٥) فيخلق الله عز و جل من كل قطرة منه قطرة ملكا.^(٥)

١٩- و منه: عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن علي بن الحكم عن الحسين أبي العلا الخفاف عن أبي عبد الله^(٦) قال لما انهزم الناس يوم أحد و ساق الحديث الطويل إلى أن قال قال النبي ﷺ يا رب وعدتي أن تظهر دينك و إن شئت لم يعيك فأقبل علي^(٧) إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله أسمع دويًا شديدًا و أسمع أقدم حيزوم و ما أمم أضرب أحدًا إلا سقط ميتا قبل أن أضرب^(٨) فقال هذا جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل في الملائكة ثم جاءه جبرئيل فوقف إلى جنب رسول الله ﷺ فقال يا محمد إن هذه هي الواساة فقال إن عليا مني و أنا منه فقال جبرئيل^(٩) و أنا منكما ثم انهزم الناس و ساق الحديث إلى قوله فأتبعهم جبرئيل^(١٠) فكلما سمعوا وقع حوافر فرسه جدوا في السير فكان يتلوهم فإذا ارتحلوا قال^(١١) هو ذا عسكر محمد قد أقبل فدخل أبو سفيان مكة فأخبرهم الخبر و جاء الرعاة و الحطابون فدخلوا مكة فقالوا رأينا عسكر محمد كلما رحل أبو سفيان و نزلوا يقدمهم فارس على فرس أشقر يطلب آجارهم فأقبل أهل مكة على أبي سفيان يوبخونه إلى آخر الخبر.^(٨)

٢٠- و منه: عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن ابن فضال عن داود بن فرقد عن أبي يزيد الحمار عن أبي عبد الله^(١٢) قال إن الله تبارك و تعالي بعث أربعة أملاك في إهلاك قوم لوط جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل و كرويل^(١٣) فمروا بإبراهيم^(١٤) و هم معتمون فسلموا عليه فلم يعرفهم و رأى هيئة حسنة فقال لا يخدم هؤلاء أحدًا إلا أنا بنفسي و كان صاحب أضياف فشوى لهم عجلا سمينا حتى أنضجه ثم قربه إليهم فكلما وضع بين أيديهم و رأى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ تَكْرَهُمْ وَ أَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً فلما رأى ذلك جبرئيل حسر العمامة عن وجهه و عن رأسه فغفره إبراهيم فقال أنت هو فقال نعم و مرت امرأته سارة فيبشرها بإسحاق^(١٥) و مِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يُعْقُوبُ فقالت ما قال الله فأجابوها بما في الكتاب العزيز فقال إبراهيم^(١٦) لهم فيما ذا جئتم قالوا له في إهلاك قوم لوط و ساق الحديث إلى أن قال فأتوا لوطا و هو في زراعة له قرب المدينة فسلموا عليه و هم معتمون فلما رآهم رأى هيئة حسنة عليهم عمام بيض و ثياب بيض فقال لهم المنزل فقالوا نعم فتقدمهم و مشوا خلفه فقدم على عرضه عليهم المنزل و قال أي شيء صنعت آتي بهم قومي و أنا أعرفهم فالتفت إليهم فقال إنكم تأتون شرارا من خلق الله و ساق إلى قوله فلما رأتهم امرأته رأت هيئة حسنة فصعدت فوق السطح و صفقت^(١٧) فلم يسمعا فدخلت فلما رأوا الدخان أقبلوا يهرعون إلى الباب و ساق إلى قوله فكأثروه حتى دخلوا البيت فأهوى^(١٨) جبرئيل نحوهم بإصبعه فذهبت أعينهم و ساق إلى

(١) في المصدر: «قال له فأخبرني هل».

(٢) روضة الكافي ص ١٩٩ حديث ٢٣٨، و الآية من سورة يوسف: ٨٧.

(٣) في المصدر: «عتيبة».

(٤) في المصدر: «فينفض».

(٥) روضة الكافي ص ٢٧٢ حديث ٤٠٤.

(٦) في المصدر: «أضربه».

(٧) في المصدر: «وقصفت».

(٨) روضة الكافي ص ٣١٨ حديث ٥٠٢ باختصار.

(٩) في المصدر: «قال فصاح به جبرائيل يا لوط دعهم يدخلون فلما دخلوا أهوى».

قوله ثم اقتلعها جبرئيل عليه السلام بجناحه من سبع أرضين ثم رفعها حتى سمع أهل السماء الدنيا نباح الكلاب و صياح الديكة ثم قلبها و أمطر عليها و على من حول المدينة حجارةً من سجيل. (١)

٢١- ومنه: عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد و علي بن إبراهيم عن أبيه جميعا عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن أبان بن عثمان عن محمد بن مروان عن رواء عن أبي جعفر عليه السلام قال لما اتخذ الله عز و جل إبراهيم خليلا أتاه بشراه بالخلعة فجاءه ملك الموت في صورة شاب أبيض عليه ثوبان أبيضان يقطر رأسه ماء و دهنا فدخل إبراهيم عليه السلام الدار فاستقبله خارجا من الدار و كان إبراهيم رجلا غيورا و كان إذا خرج في حاجة أغلق بابه و أخذ مفتاحه معه ثم رجع ففتح فإذا هو برجل أحسن ما يكون من الرجال فأخذ بيده و قال يا عبد الله من أدخلك داري فقال ربهما أدخلنيها فقال ربهما أحق بها مني فمن أنت قال أنا ملك الموت ففرغ إبراهيم و قال جئتني لتسلبني روحي قال لا و لكن اتخذ الله عبدا خليلا فنجت لبشارته فقال من هو لعلي أخدمه حتى أموت قال أنت هو فدخل على سارة فقال لها إن الله تبارك و تعالى اتخذني خليلا. (٢)

٢٢- الدر المنثور: عن عدة كتب عن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و معه جبرئيل يناجيه إذ انشق أفق السماء فأقبل جبرئيل يتضائل و يدخل بعضه في بعض و يدنو من الأرض فإذا ملك قد مثل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله فقال يا محمد إن ربك يقرئك السلام و يخبرك بين أن تكون نبيا ملكا و بين أن تكون نبيا عبدا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأشار جبرئيل إلي بيده أن تواضع فعرفت أنه لي ناصح فقلت عبد نبي فخرج ذلك الملك إلى السماء فقلت يا جبرئيل قد كنت أردت أن أسألك عن هذا فرأيت من حالك ما شغلني عن المسألة فمن هذا يا جبرئيل قال هذا إسرائيل خلقه الله يوم خلقه بين يديه صافا قدميه لا يرفع طرفه بينه و بين الرب سبعون نورا ما منها نور يدنو منه أحد (٣) إلا احترق بين يديه اللوح المحفوظ فإذا أذن الله في شيء في السماء أو في الأرض ارتفع ذلك اللوح فضرب جبهته فينظر فيه فإن كان من عملي أمرني به و إن كان من عمل ميكائيل أمره به و إن كان من عمل ملك الموت أمره به قلت يا جبرئيل على أي شيء أنت قال على الرياح و الجنود قلت على أي شيء ميكائيل قال على النبات و القطر قلت على أي شيء ملك الموت قال على قبض الأنفس و ما ظننت أنه هبط إلا لقيام الساعة و ما ذاك الذي رأيت مني إلا خوفا من قيام الساعة. (٤)

٢٣- و عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل الملائكة جبرئيل. (٥)

٢٤- و عن موسى بن أبي عائشة قال بلغني أن جبرئيل إمام أهل السماء. (٦)

٢٥- و عن جابر بن عبد الله قال إن جبرئيل موكل بحاجات العباد فإذا دعاه المؤمن قال يا جبرئيل احبس حاجة عبدي فأني أحبه و أحب صوته و إذا دعا الكافر قال يا جبرئيل اقبط حاجة عبدي فأني أبغضه و أبغض صوته. (٧)

٢٦- و عن شريح بن عبيد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما صعد إلى السماء رأى جبرئيل في خلقته منظوم أجنته بالزبرجد و اللؤلؤ و الياقوت قال فخيّل إلي أن ما بين عيني قد سد الأفق و كنت أراه قبل ذلك على صور مختلفة و أكثر ما كنت أراه على صورة دحية الكلبي و كنت أحيانا أراه كما يرى الرجل صاحبه من وراء الغريال. (٨)

٢٧- و عن حذيفة لجبرئيل جناحان و عليه وشاح من در منظوم و هو براق الشايات أجلي الجبين (٩) و رأسه محبك حبك مثل اللؤلؤ (١٠) كأنه الطلج و قدماه إلى الخصرة. (١١)

بيان: قال في النهاية رأسه محبك أي شعر رأسه متكرر من الجعودة مثل الماء الساكن و الرمل إذا هبت عليهما الرياح فيتجددان و يصيران طرائق. (١٢)

(١) روضة الكافي ص ٣٢٨ حديث ٥٨٩ و هو معلق على سابقه.

(٢) الدر المنثور ج ١ ص ٩١ و ٩٢.

(٣) الدر المنثور ج ١ ص ٩٢.

(٤) الدر المنثور ج ١ ص ٩٢.

(٥) في المصدر: «و رأسه حبك حبك مثل المرجان و هو اللؤلؤ».

(٦) النهاية ج ٥ ص ٩٩١.

(١) روضة الكافي ص ٣٢٨ حديث ٥٠٥.

(٢) كلمة: «أحد» ليست في المصدر.

(٣) الدر المنثور ج ١ ص ٩٣.

(٤) الدر المنثور ج ١ ص ٩٢.

(٥) في المصدر: «الجبيين».

(٦) الدر المنثور ج ١ ص ٩٢.

٢٨- الدر المنثور: عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال ما بين منكبي جبرئيل مسيرة خمسمائة عام للطائر السريع الطيران. (١)

٢٩- وعن وهب أنه سئل عن خلق جبرئيل فذكر أن ما بين منكبيه من ذي إلى ذي خلق الطير سبعمائة عام. (٢)
٣٠- وعن ابن شهاب أن رسول الله ﷺ سأل جبرئيل أن يترأى له في صورته فقال جبرئيل إنك لن تطيق ذلك قال
إني أحب أن تفعل فخرج رسول الله ﷺ إلى المصلى في ليلة مقمرة فأتاه جبرئيل في صورته فغشي على رسول
الله ﷺ حين رآه ثم أفاق و جبرئيل مسنده و واضع إحدى يديه على صدره و الأخرى بين كتفيه فقال رسول
الله ﷺ ما كنت أرى أن شيئا ممن يخلق (٣) هكذا فقال جبرئيل كيف لو رأيت إسرائيل إن له لاثني عشر جناحا
منها جناح في المشرق و جناح في المغرب و إن العرش على كاهله و إنه ليتضاءل الأحياء لعظمة الله حتى يصير مثل
الوصع حتى ما يحمل عرشه إلا عظمته. (٤)

بيان: قال في النهاية فيه إن العرش على منكب إسرائيل و إنه ليتواضع لله حتى يصير مثل الوصع
يروى بفتح الصاد و سكنوها و هو طائر أصغر من العصفور و الجمع و صعان. (٥)

٣١- الدر منثور: عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال إن في الجنة لنهارا ما يدخله جبرئيل من دخلة فيخرج فينتفض
إلا خلق الله من كل قطرة تقطر منه ملكا.

٣٢- قال و روي أن جبرئيل أتى النبي ﷺ و هو يبكي فقال له ما يبكيك قال ما لي لا أبكي فوالله ما جفت لي
عين منذ خلق الله النار مخافة أن أعصيه فيقذفني فيها و قال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار. (٦)
٣٣- و عن عكرمة قال سأل رسول الله ﷺ جبرئيل عن أكرم الخلق على الله فعرج ثم هبط فقال أكرم الخلق
على الله جبرئيل و ميكائيل و إسرائيل و ملك الموت فأما جبرئيل فصاحب الحرب و صاحب المرسلين و أما ميكائيل
فصاحب كل قطرة تسقط و كل ورقة تنبت و كل ورقة تسقط و أما ملك الموت فهو موكل بقبض روح كل عبد في بر
أو بحر و أما إسرائيل فأمين الله بينه و بينهم. (٧)

٣٤- و عن ابن عباس أن جبرئيل وقف على رسول الله ﷺ و عليه عصاية خضراء قد علاها الغبار فقال رسول
الله ﷺ ما هذا الغبار الذي أرى على عصابتك قال إني زرت البيت فازدحمت الملائكة على الركن فهذا الغبار الذي
ترى مما تثير بأجنتها. (٨)

٣٥- و عن ابن عباس قال جلس رسول الله ﷺ مجلسا فأتاه جبرئيل فجلس بين يدي رسول الله ﷺ واضعا
كفيه على ركبتي رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله حدثني عن الإسلام قال الإسلام أن تسلم وجهك لله عز و جل و
أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أن محمدا عبده و رسوله قال فإذا فعلت ذلك فقد أسلمت فقال يا رسول
الله حدثني عن الإيمان قال الإيمان أن تؤمن بالله و اليوم الآخر و الملائكة و الكتاب و النبيين و الموت و الحياة بعد
الموت و تؤمن بالجنة و النار و الحساب و الميزان و تؤمن بالقدر كله خيره و شره قال فإذا فعلت ذلك فقد آمنت قال
يا رسول الله حدثني ما الإحسان قال الإحسان أن تعمل لله كأنك تراه فإن لم يكن تراه فإنه يراك. (٩)

٣٦- و عن أنس و غيره بأسانيد قال بينما رسول الله ﷺ جالسا مع أصحابه إذ جاءه رجل عليه ثياب السفر
يتخلل الناس حتى جلس بين يدي رسول الله ﷺ فوضع يده على ركة رسول الله ﷺ فقال يا محمد ما الإسلام و
سأقوا الحديث مثل ما مر إلى قولهم يا رسول الله متى الساعة قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل و أدير الرجل فذهب
فقال رسول الله ﷺ علي بالرجل فاتبعوه يطلبونه فلم يروا شيئا فقال رسول الله ﷺ ذلك جبرئيل جاءكم ليعلمكم دينكم. (١٠)
٣٧- و عن وهب بن منبه قال خلق الله الصور من لؤلؤة بيضاء (١١) في صفاء الزجاجاة ثم قال للعرش خذ الصور

(٢) الدر المنثور ج ١ ص ٩٢.

(٤) الدر المنثور ج ١ ص ٩٢ - ٩٣.

(٦) الدر المنثور ج ١ ص ٩٣ ملخصاً.

(٨) الدر المنثور ج ١ ص ١٣٢ - ١٣٣.

(١٠) الدر المنثور ج ١ ص ١٧٠.

(١) الدر المنثور ج ١ ص ٩٢.

(٣) في المصدر: «من الخلق».

(٥) الدر المنثور ج ١ ص ٩٢.

(٧) الدر المنثور ج ١ ص ٩٣ - ٩٤.

(٩) الدر المنثور ج ١ ص ٩٢.

(١١) من المصدر.

فتعلق به ثم قال كن فكان إسرائيلي فأمره أن يأخذ الصور فأخذه و به ثقب بعدد كل روح مخلوقة و نفس منفوسة لا تخرج روحان من ثقب واحد و في وسط الصور كوة كاستدارة السماء و الأرض و إسرائيلي واضع فمه على ذلك^(١) الكوة ثم قال له الرب تعالى قد وكلتك بالصور فأنت للنفخة و للصيحة فدخل إسرائيلي في مقدم العرش فأدخل رجله اليمنى تحت العرش و قدم اليسرى و لم يطرف منذ خلقه الله ينظر^(٢) متى يؤمر به.^(٣)

٣٨- و عن ابن عباس عن النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾^(٤) قال الروح الأمين جبرئيل رأيت له ستمائة جناح من لؤلؤ قد نشرهما فيهما مثل^(٥) ريش الطواويس.^(٦)

٣٩- و عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ كيف أنعم و قد التقم صاحب القرن القرن و حنى جبهته و أصفى سمعه ينتظر أن يؤمر أن ينفخ^(٧) فينفخ قال المسلمون فكيف نقول يا رسول الله قال قولوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا.^(٨)

توضيح: قال الجوهرى فيه كيف أنعم و صاحب القرن قد التقمه أي كيف أنتعم من النعمة بالفتح و هي المسرة و الفرح و الترفه.^(٩)

٤٠- الدر المنثور: عن ابن مسعود قال الصور كهيئة القرن ينفخ فيه.^(١٠)

٤١- و عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ ما طرف صاحب الصور من^(١١) وكل به مستعدا ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر بالصيحة قبل أن يترد إليه طرفه كأن عينه^(١٢) كوكبان دريان.^(١٣)

٤٢- و عن أبي سعيد قال إن صاحبي الصور بأيديهما قرنان يلاحظان النظر متى^(١٤) يؤمران.^(١٥)

٤٣- و عنه عن النبي ﷺ قال و ما من صباح إلا و ملكان موكلان بالصور ينتظران متى يؤمران أن ينفخا^(١٦) في الصور فينفخا.^(١٧)

٤٤- و عن كعب قال إسرائيلي له أربعة أجنحة جناحان في الهواء و جناح قد تسرول به و جناح على كاهله و القلم على أذنه فإذا نزل الوحي كتب القلم و درست الملائكة و ملك الصور أسفل منه جاث على إحدى ركبتيه و قد نصب الأخرى فالتقم الصور فحنى ظهره و طرفه إلى إسرائيلي و قد أمر إذا رأى إسرائيلي قد ضم جناحه^(١٨) أن ينفخ في الصور.^(١٩)

و عن عائشة مثله.^(٢٠) ٢٦٣
٥٩

٤٥- و عن ابن عباس قال لما نزلت ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي النَّاقُورِ﴾^(٢١) قال رسول الله ﷺ كيف أنعم و صاحب الصور قد التقم القرن و حنى جبهته يستمع متى يؤمر قالوا كيف نقول يا رسول الله قال قولوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ وَ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا.^(٢٢)

٤٦- عن قتادة ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي النَّاقُورِ﴾ قال فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ.^(٢٣)

٤٧- و عن ابن مسعود «لَقَدْ رَأَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ»^(٢٤) قال جبرئيل في رفر ف أخضر قد سد الأفق.^(٢٥)

٤٨- و عنه أيضا قال رأى جبرئيل له ستمائة جناح قد سد الأفق.^(٢٦)

(٢) في المصدر: «ينظر».

(٤) سورة الشعراء، آية: ١٩٣.

(٦) الدر المنثور ج ٥ ص ٩٤.

(٨) الدر المنثور ج ٥ ص ٣٣٧ و ٣٣٨.

(١١) في المصدر: «منذ».

(١٣) الدر المنثور ج ٥ ص ٣٣٨.

(١٥) الدر المنثور ج ٥ ص ٣٣٨.

(١٧) الدر المنثور ج ٥ ص ٣٣٨.

(١٨) في المصدر: «ضم جناحه» بدل «وقد أمر إذا رأى إسرائيلي قد ضم جناحه».

(٢٠) الدر المنثور ج ٥ ص ٣٣٨.

(٢٢) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٨٢.

(٢٤) سورة التكوين، آية: ٢٣.

(٢٦) الدر المنثور ج ٦ ص ٣٢١.

(١) في المصدر: «تلك».

(٣) الدر المنثور ج ٥ ص ٣٣٨.

(٥) في المصدر: «قد نشرها فهم مثل».

(٧) عبارة: «أن ينفخ» ليست في المصدر.

(٩) لم نثر عليه في الصحاح، و عثرنا عليه في النهاية ج ٥ ص ٨٣.

(١٠) الدر المنثور ج ٥ ص ٣٣٧.

(١٢) في المصدر: «عينية».

(١٤) في المصدر: «حتى».

(١٦) في المصدر: «متى يؤمران فينفخان».

(١٨) في المصدر: «ضم جناحه» بدل «وقد أمر إذا رأى إسرائيلي قد ضم جناحه».

(١٩) الدر المنثور ج ٥ ص ٣٣٨.

(٢١) سورة المدثر، آية: ٨.

(٢٣) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٨٢.

(٢٥) الدر المنثور ج ٦ ص ٣٢١.

٤٩- وعن ابن عباس في الآية قال إنما عنى جبرئيل أن محمداً رآه في صورته عند سدره المنتهى^(١).

٥٠- وعن معاوية بن قره قال قال رسول الله ﷺ لجبرئيل ما أحسن ما أتى عليك ربك ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٌ﴾^(٢) ما كانت قوتك و ما كانت أمانتك قال أما قوتي فإني بعثت إلى مدائن قوم لوط و هي أربع مدائن و في كل مدينة أربعمائة ألف مقاتل سوى الذراري حملتهم من الأرض السفلى حتى سمع أهل السماء أصوات الدجاج و نباح الكلاب و هويت بهن فقتلتهن^(٣) و أما أمانتي فلم أؤمر بشيء فعدوته إلى غيره^(٤).

٥١- وعن أبي صالح في قوله ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾^(٥) قال جبرئيل ﴿مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٌ﴾ قال على سبعين حجاً يا يدخلها بغير إذن^(٦).

٥٢- وعن الخزرج قال سمعت رسول الله ﷺ يقول و نظر إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار فقال يا ملك الموت ارفق بصاحبي فإنه مؤمن فقال ملك الموت طب نفساً و قر عيناً و اعلم بأني بكل مؤمن رفيق و اعلم أنني يا محمد لأقبض روح ابن آدم فإذا صرخ صارخ قمت في الدار و معي روحه فقلت ما هذا الصارخ و الله ما ظلمنا و لا سبقنا أجله و لا استعجلنا قدره و ما لنا في قبضه من ذنب فإن ترضوا بما صنع الله توجروا و إن تسخطوا تأثموا و توزروا و إن لنا عندهم عودة بعد عودة فالحذر الحذر و ما من أهل بيت شعر و لا مدربر و لا فاجر سهل و لا جيل إلا و أنا أتصفهم في كل يوم و ليلة حتى لأنا^(٧) أعرف^(٨) بصغيرهم و كبيرهم منهم بأنفسهم و الله لو أردت أن أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو يأذن بقبضها^(٩).

٥٣- وعن ابن عباس قال و كل ملك الموت بقبض أرواح الآدميين فهو الذي يلي قبض أرواحهم و ملك في الجن و ملك في الشياطين و ملك في الطير و الوحش و السباع و الحيتان و النمل فهم أربعة أملاك و الملائكة يموتون في الصعقة الأولى و إن ملك الموت يلي قبض أرواحهم ثم يموت و أما الشهداء في البحر فإن الله يلي قبض أرواحهم لا يكل ذلك إلى ملك الموت لكرامتهم عليه^(١٠).

٥٤- وعن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال دخل النبي ﷺ على رجل من الأنصار يعودوه فإذا ملك الموت عند رأسه فقال رسول الله ﷺ يا ملك الموت ارفق بصاحبي فإنه مؤمن فقال أبشر يا محمد فإني بكل مؤمن رفيق و اعلم يا محمد إنني لأقبض روح ابن آدم فيصرخ أهله فأقوم في جانب من الدار فأقول و الله ما لي ذنب و إن لي لعودة و عودة الحذر الحذر و ما خلق الله من أهل بيت مدر و لا^(١١) شعر و لا وبر في بر و لا بحر إلا و أنا أتصفهم فيه^(١٢) في كل يوم و ليلة خمس مرات حتى أني لأعرف بصغيرهم و كبيرهم منهم بأنفسهم و الله يا محمد إنني لا أقدر أن أقبض روح بعوضة حتى يكون الله تبارك و تعالی هو^(١٣) الذي يأمر بقبضه^(١٤).

٥٥- الكافي: عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن يونس عن الهيثم بن واقد عن رجل عن أبي عبد الله عليه السلام مثله بأدنى تغيير^(١٥).

٥٦- وعن علي عن أبيه عن ابن محبوب عن المفضل بن صالح عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام مثله أيضاً لكن فيها خمس مرات عند مواقيت الصلوات^(١٦).

بيان: لا يخفى عدم دلالة هذه الأخبار على كون قابض أرواح الحيوانات ملك الموت فإن الغرض منها المبالغة في عدم قدرته على فعل صغير أو كبير بدون إذنه سبحانه فلا ينافي خبر ابن عباس

(١) الدر المنثور ج ٦ ص ٣٢١.

(٢) في المصدر: «ثم هويت بهم فقتلتهن».

(٣) سورة التكاوير، آية: ١٢.

(٤) الدر المنثور ج ٦ ص ٣٢١ فيه: «في قوله: إنه لقول رسول كريم»، قال: جبرئيل مروى عن ابن المنذر عن ابن عباس.

(٥) في المصدر: «أنا».

(٦) الدر المنثور ج ٥ ص ١٧٣.

(٧) من المصدر.

(٨) في المصدر: «لأعرف».

(٩) الدر المنثور ج ٥ ص ١٧٣.

(١٠) كلمة: «فيه» ليست في المصدر.

(١١) الدر المنثور ج ٥ ص ١٧٤.

(١٢) الكافي ج ٣ ص ١٣٦ باب إخراج روح المؤمن و الكافر حديث ٢.

(١٣) الكافي ج ٣ ص ١٣٦ باب إخراج روح المؤمن و الكافر حديث ٣ فيه: «الصلوة» بدل «الصلوات».

لكن ليس في أخبارنا تصريح بأحد الطرفين والتوقف في مثله أحوط وقد مضت الأخبار المناسبة لهذا الباب والذي قبله في كتاب المعاد وغيره.

باب ٢٥

عصمة الملائكة وقصة هاروت وماروت وفي ذكر حقيقة السحر وأنواعه

الآيات:

البقرة: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَا إِبْرَاهِيمُ ۚ إِنَّهُمْ عَلَىٰ آلِهَةٍ عِندَ رَبِّكَ لَا يُعْلَمُونَ بِهَا إِلَّا بِمَا تَدُلُّهُ أَفْئِدَةُ سُلَيْمَانُ ۚ وَلَئِنْ يَسْتَكْبِرُوا عَنْ عِبَادَتِهِ يُؤْخَذُ آلِهَتُهُمْ بِطَرَائِفِ الْحَبَالِ ۖ فَلَا تَصْلُحُ لَهُمْ ۚ فَكَفَرُوا فَبَقِيَ آلُ إِبْرَاهِيمَ يَتَتَّبِعُهُمُ الْغَلْبُ ۚ إِنَّهُمْ كَافِرُونَ ۚ وَلَئِنْ يَسْتَكْبِرُوا عَنْ عِبَادَتِهِ يُؤْخَذُ آلِهَتُهُمْ بِطَرَائِفِ الْحَبَالِ ۖ فَلَا تَصْلُحُ لَهُمْ ۚ فَكَفَرُوا فَبَقِيَ آلُ إِبْرَاهِيمَ يَتَتَّبِعُهُمُ الْغَلْبُ ۚ إِنَّهُمْ كَافِرُونَ ۚ﴾ (١)

٢٦٦
٥٩

النساء: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (٢)

الأعراف: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ (٣)

النحل: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ قَوْلِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (٤)

مريم: ﴿وَمَا تَنْتَهِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ (٥)

الأنبياء: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْزِرُونَ يَسْبُحُونَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ (٦)

وقال تعالى ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَلَذِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (٧)

التحریم: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةُ غُلَاطٍ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (٨)

تفسير: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ أقول هذه الآية مما يومه نفي عصمة الملائكة وللعلماء في تأويلها مسالك تشير إلى بعضها وإن أفضى إلى الإطناب.

قال السيد المرتضى رحمه الله في كتاب الغرر والدرر إن سأل سائل عن قوله عز و علا ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾ إلى قوله تعالى وَلَيْسَ مَا شَرُّوا بِهِ أَنْفُسُهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٩) فقال كيف ينزل الله سبحانه السحر على الملائكة أم كيف تعلم الملائكة الناس السحر والتفريق بين المرء وزوجه وكيف نسب الضرر الواقع عند ذلك إلى أنه بإذنه وهو تعالى قد نهى عنه وحذر من فعله وكيف أثبت العلم لهم ونفاه عنهم بقوله ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ ثم بقوله ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

٢٦٧
٥٩

الجواب: قلنا: في الآية وجوه كل منها يزِيلُ الشبهة الداخلة على من لم يمعن النظر فيها:

أولها: أن يكون «ما» في قوله تعالى ﴿وَمَا نَزَّلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ بمعنى الذي فكانه تعالى خبر (١٠) عن طائفة من

(٢) سورة النساء: آية: ١٧٢.

(٤) سورة النحل: آية: ٤٩-٥٠.

(٦) سورة الأنبياء: آية: ٢٠-١٩.

(٨) سورة التحريم: آية: ٦.

(١٠) في المصدر: «أخبر».

(١) سورة البقرة: آية: ١٠٢.

(٣) سورة الأعراف: آية: ٢٠٦.

(٥) سورة مريم: آية: ٦٤.

(٧) سورة الأنبياء: آية: ٢٦-٢٩.

(٩) سورة البقرة: آية: ١٠٢.

أهل الكتاب بأنهم اتبعوا ما تكذب فيه^(١) الشياطين على ملك سليمان و تضيقه إليه من السحر فبرأه الله عز وجل من قرفهم^(٢) و أكذبهم في قولهم فقال تعالى ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ باستعمال السحر و الترمية على الناس ثم قال ﴿يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّخِرَ وَمَا نَزَّلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ و أراد أنهم يعلمونهم السحر و ما الذي أنزل على الملكين و إنما أنزل على الملكين وصف السحر و ماهيته و كيفية الاحتيال فيه ليعرفا ذلك و يعرفاه الناس فيجتنبوه و يحذروا منه كما أنه تعالى قد أعلمنا ضروب المعاصي و وصف لنا أحوال^(٣) القبايح لنجتنبها لا لنواقعها إلا أن^(٤) الشياطين كانوا إذا علموا ذلك و عرفوه استعملوه و أقدموا على فعله و إن كان غيرهم من المؤمنين لما عرفه اجتنبه و حارزه^(٥) و انتفع باطلاعه على كيفيته ثم قال ﴿وَمَا يُعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ يعني الملكين و معنى «يعلمان» يعلمان و العرب تستعمل لفظة علمه بمعنى أعلمه قال القطامي:

تسعلم أن بسعد الغسي رشدا وأن لتسانك الغمر^(٦) انقشاعا

وقال كعب بن زهير:

تعلم رسول الله أنك مدركي

وأن وعيدا منك كالأخذ باليد

ومعنى تعلم في البيتين معنى اعلم و الذي يدل على أنه هاهنا الإعلام لا التعليم قوله ﴿وَمَا يُعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ أي أنهما لا يعرفان^(٧) صفات السحر و كيفيته إلا بعد أن يقولوا إنما نحن محنة لأن الفتنة بمعنى المحنة من حيث ألقيا إلى الصلكين أمرا لينزجروا عنه و ليستعوا من مواقعتهم و هم إذا عرفوه أمكن أن يستعملوه و يرتكبوه فقالا لمن يطلعهما على ذلك لا تكفر باستعماله و لا تعدل عن الغرض في إلقاء هذا إليك فإنه إنما ألقى إليك و اطلعت عليه لتجتنبه لا لتفعله ثم قال ﴿فَيَعْلَمُونَ مِنْهَا مَا يَفْقَهُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَرَوْحِهِ﴾ أي يعرفون من جهتهما ما يستعملونه في هذا الباب و إن كان الملكان ما ألقياه إليهم لذلك و لهذا قال ﴿وَيَعْلَمُونَ مَا يَفْقَهُونَ وَلَا يَفْقَهُونَ﴾ لأنهم لما قصدوا يتعلموه أن يفعلوه و يرتكبوه لا أن يجتنبوه صار ذلك بسوء اختيارهم ضررا عليهم.

وثانيهما: أن يكون ﴿مَا نَزَّلَ﴾ موضعه موضع جر و يكون معطوفا بالواو علي ﴿مُلْكُ سُلَيْمَانَ﴾ أي و اتبعوا ما تتلوا^(٨) الشياطين على ملك سليمان و على ما أنزل على الملكين و معنى ﴿مَا نَزَّلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾^(٩) أي معهما و على ألسنتهما كما قال تعالى ﴿وَرَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾^(١٠) أي على ألسنتهم و معهم و ليس بمنكر أن يكون ﴿مَا نَزَّلَ﴾ معطوفا على ملك سليمان و إن اعترض بينهما من الكلام ما اعترض لأن رد الشيء إلى نظيره و عطفه على ما هو أولى هو الواجب و إن اعترض بينهما ما ليس منهما و لهذا نظائر في القرآن و كلام العرب كثيرة قال الله تعالى ﴿الْحَدِّ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا﴾^(١١) و قيم من صفات الكتاب حال منه لا من صفة عوج و إن تباعد ما بينهما و مثله ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَ صَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ كُفْرٌ بِهِ وَ الشُّجْدُ الْحَرَامِ﴾^(١٢) فالمسجد الحرام هاهنا معطوف على الشهر الحرام أي يسألونك عن الشهر و عن المسجد الحرام و حكي عن بعض علماء أهل اللغة أنه قال العرب تلف الخبرين المختلفين ثم ترمي بتفسيرهما جملة ثقة بأن السامع يرد إلى كل خبره قوله عز وجل ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾^(١٣) و هذا واضح في مذهب العرب كثير النظائر ثم قال تعالى ﴿وَمَا يُعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾^(١٤) و المعنى أنهما لا يعلمان أحدا بل ينهيان عنه و يبلغ من نهيهما عنه^(١٥) و صدهما عن فعله و استعماله أن يقولوا إنما نحن فتنة ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ باستعمال السحر و الإقدام على فعله و هذا كما يقول الرجل ما أمرت فلانا بكذا و لقد بالغت في نهيه حتى قلت له إنك إن فعلته أصابك كذا و كذا و هذا هو نهاية البلاغة في الكلام و الاختصار الدال مع

(١) في المصدر: «به».

(٢) في المصدر: «أعمال».

(٣) في المصدر: «حاذره».

(٤) في المصدر: «لا يعرفانه».

(٥) سورة البقرة، آية: ١٠٢.

(٦) سورة الكهف، آية: ١.

(٧) سورة القصص، آية: ٧٣.

(٨) كلمة: «عنه» ليست في المصدر.

(٩) في المصدر: «قدفهم».

(١٠) في المصدر: «لأن».

(١١) في المصدر: «لشبابك الغير».

(١٢) في المصدر: «كذب به» بدل «تتلوا».

(١٣) سورة آل عمران، آية: ١٩٤.

(١٤) سورة البقرة، آية: ٢١٧.

(١٥) سورة البقرة، آية: ١٠٢.

اللفظ القليل على المعاني الكثيرة لأنه أشعر^(١) بقوله تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ عن بسط الكلام الذي ذكرناه و لهذا نطائر في القرآن قال الله تعالى ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا أَذْهَبَ كُلَّ إِلَهٍ مِمَّا خَلَقَ﴾^(٢) و مثل قوله تعالى ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾^(٣) أي يقال للذين اسودت وجوههم أكفرت بعد إيمانكم و أمثاله أكثر من أن نورد ثم قال تعالى ﴿فَتَبَعَلُّوْهُمْ مِنْهُمَا مَا يَفْرِقُونَ بَيْنَ الرَّءِ وَرَوْجِهِ﴾ و ليس يجوز أن يرجع الضمير على هذا الجواب إلى الملوكين و كيف يرجع إليهما و قد نفى تعالى عنهما التعليم بل يرجع إلى الكفر و السحر و قد تقدم ذكر السحر و تقدم أيضا ذكر ما يدل على الكفر و يقتضيه في قوله تعالى ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾^(٤) فدل ﴿كفروا﴾ على الكفر و العطف عليه مع السحر جائز و إن كان التصريح وقع بذكر السحر دونه و مثل ذلك قوله تعالى ﴿سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى وَ يَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾^(٥) أي يتجنب الذكرى الأشقى و لم يتقدم تصريح بالذكرى لكن دل عليها قوله ﴿سَيَذَكَّرُ﴾ و يجوز أيضا أن يكون معنى ﴿فَتَبَعَلُّوْهُمْ مِنْهُمَا﴾ أي بدلا مما علمهم الملكان و يكون المعنى أنهم يعدلون عما علمهم و وقفهم عليه الملكان من النهي عن السحر إلى تعلمه و استعماله كما يقول القائل ليت لنا من كذا وكذا كذا^(٦) أي بدلا منه كما قال الشاعر:

جمعت من الخيرات وطبا و علبة
و صرا لأخلاف المزممة^(٧) البزل
و من كل أخلاق الكرام تسمية
و سعيًا على الجار المجاور بالبخل

يريد جمعت مكان الخيرات و مكان أخلاق الكرام هذه الخصال الذميمة و قوله ﴿مَا يَفْرِقُونَ بَيْنَ الرَّءِ وَرَوْجِهِ﴾ فيه وجهان أحدهما أن يكونوا يفوقون أحد الزوجين و يحملونه على^(٨) الشرك بالله تعالى فيكون بذلك قد فارق زوجه الآخر المؤمن المقيم على دينه ليفرق بينهما اختلاف التحلة و الملة و الوجه الآخر أن يسعوا بين الزوجين بالنميمة و الوشاية و الإغراء و التمويه بالباطل حتى يؤول أمرهما إلى الفرقة و البناية.

وثالث: الوجه في الآية أن تحمل ﴿مَا﴾ في قوله تعالى ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ على الجحد و النفي فكانه تعالى قال و اتبعوا ما أتولوا الشياطين على ملك سليمان و ما كفر سليمان^(٩) و ما أنزل الله السحر على الملكين و لكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت و ماروت و يكون قوله تعالى ﴿بِنَابِلٍ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ من المؤخر الذي معناه التقديم فيكون على هذا التأويل هاروت و ماروت رجلين من جملة الناس هذان اسماهما و إنما ذكرنا بعد ذكر الناس تمييزا و تبينا و يكون الملكان المذكوران اللذان نفى تعالى عنهما السحر جبرئيل و ميكائيل لأن سحرة اليهود فيما ذكر كانت تدعي أن الله تعالى أنزل السحر على لسان جبرئيل و ميكائيل إلى سليمان فأكدبهما الله تعالى بذلك و يجوز أن يكون هاروت و ماروت يرجعان إلى الشياطين كأنه تعالى قال ﴿وولكن الشياطين﴾ هاروت و ماروت ﴿كفروا﴾ و يسوغ ذلك كما ساغ في قوله ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾^(١٠) يعني تعالى حكم داود و سليمان و يكون قوله تعالى على هذا التأويل ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾^(١١) راجعا إلى هاروت و ماروت اللذين هما من الشياطين أو من الإنس المتعلمين للسحر من الشياطين و العاملين به و معنى قولهما ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ يكون على طريق الاستهزاء أو التماجن و التخالع كما يقول الماجن من الناس إذا فعل قبيحا أو قال باطلا هذا فعل من لا يفلح و قول من لا ينجو^(١٢) و الله لا حصل إلا على الخسران و ليس ذلك منه على سبيل النصيحة للناس و تحذيرهم من مثل فعل فعله بل على جهة المجون و التهلك و يجوز أيضا على هذا التأويل الذي تضمن الجحد و النفي أن يكون هاروت و ماروت اسمين للملكين و نفى عنهما إنزال السحر بقوله تعالى ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ و يكون قوله تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ يرجع إلى قبيلتين من الجن أو إلى شياطين الجن و الإنس

(١) في المصدر: «أشعرتي» بدل «أشعر».
(٢) سورة آل عمران، آية: ١٠٦.
(٣) سورة الأعلى، آية: ١٠ - ١٢.
(٤) في المصدر: «المزممة».
(٥) كلمة: «سليمان» من المصدر.
(٦) سورة الأنبياء، آية: ٧٨.
(٧) في المصدر: «لا ينجب».
(٨) سورة المؤمنون، آية: ٩١.
(٩) سورة البقرة، آية: ١٠٢.
(١٠) كلمة: «كذا» ليست في المصدر.
(١١) في المصدر إضافة: «الكفروا».
(١٢) سورة الأنبياء، آية: ٧٨.
(١٣) في المصدر: «لا ينجب».

فتحسن التثنية لهذا وقد روي هذا التأويل في حمل «ما» على النفي عن ابن عباس وغيره من المفسرين وحكي عنه أيضا أنه كان يقرأ «على الملكين» بكسر اللام ويقول متى كان العلجان ملكين إنما كانا ملكين وعلى هذه القراءة لا ينكر أن يرجع قوله تعالى «وَمَا يُعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ إِلَيْهِمَا» ويمكن على هذه القراءة في الآية وجه آخر وهو أن لا يحمل قوله تعالى «وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ» على الجحد والنفي وهو أن لا يكون هؤلاء الذين أخبر عنهم اتبعوا ما تتلوا الشياطين وتدعيه على ملك سليمان واتبعوا ما أنزل على هذين الملكين من السحر ولا يكون الإنزال مضافا إلى الله تعالى وإن أطلق لأنه عز وجل لا ينزل السحر بل يكون منزله إليهما بعض الضلال والعصاة وأن يكون معنى «أنزل» وإن كان من الأرض حمل إليهما لا من السماء أنه أتى به عن نبوءة الأرض والبلاد وأعليهما فإن من هبط من نجد من البلاد إلى غورها يقال نزل وهبط وما جرى هذا المجرى.

فأما قوله تعالى «وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ»^(١) فيحتمل وجوها:

منها أن يريد تعالى بالإذن العلم من قولهم أذنت فلانا بكذا وكذا إذا أعلمته وأذنت بكذا وكذا إذا أسعته وعلمته وقال الشاعر.

نسي سماع يأذن الشيخ له

ومنها: أن يكون «إلا» زائدة ويكون المعنى وما هم بضارين به من أحد إلا بأن يخلي الله تعالى بينهم وبينه ولو شاء لمنعهم بالقهر والقسر زائدا على منعهم بالنهي والزجر.

ومنها: أن يكون الضرر الذي عني به أنه لا يكون إلا بإذنه وأضافه إليه ما هو^(٢) يلحق المسحور عن الأدوية والأغذية التي أطعمه إياه السحرة ويدعون أنها موجبة لما يقصدونه فيه من الأمور ومعلوم أن الضرر الحاصل عن ذلك من فعل الله تعالى بالعادة لأن الأغذية لا توجب ضررا ولا نفعاً وإن كان المعرض للضرر من حيث كان كالتفاعل له هو المستحق للذم وعليه يجب العوض.

ومنها: أن يكون الضرر المذكور إنما هو ما^(٣) يحصل من التفريق بين الأزواج لأنه أقرب إليه في ترتيب الكلام والمعنى أنهم إذا أغروا^(٤) أحد الزوجين فكفر فبانت منه زوجته فاستضر بذلك كانوا ضارين له بما حسنوا له من الكفر إلا أن^(٥) الفرقه لم تكن إلا بإذن الله وحكمه لأنه تعالى هو الذي حكم وأمر بالتفريق بين المختلفتين^(٦) الأديان فلهذا قوله^(٧) تعالى «وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» والمعنى أنه لو لا حكم الله تعالى وإذنه في الفرقه بين هذين الزوجين باختلاف الملة لم يكونوا بضارين له هذا الضرر من الضرر الحاصل عند الفرقه ويقوى هذا الوجه ما روي أنه كان من دين سليمان أنه من سحر بانت منه امرأته.

وأما قوله تعالى «وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ» ثم قوله تعالى «لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» ففيه وجوه: أولها: أن يكون الذين علموا غير الذين لم يعلموا ويكون الذين علموا الشياطين أو الذين خبر عنهم بأنهم نبذوا كتاب الله ورآه ظُهُورِهِمْ كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ شَلِيمَانٍ والذين لم يعلموا هم الذين علموا^(٨) السحر وشروا به أنفسهم وثانيها: أن يكون الذين علموا هم الذين لم يعلموا لأنهم^(٩) علموا شيئا ولم يعلموا غيره فكانه تعالى وصفهم بأنهم عالمون بأنه لا نصيب لمن اشترى ذلك ورضيه لنفسه على الجملة ولم يعلموا كنه ما يصير إليه من العقاب الذي لا نفاذ له ولا انقطاع وثالثها: أن تكون الفائدة في نفي العلم بعد إثباته أنهم لم يعملوا بما علموه فكانهم لم يعلموا وهذا كما يقول أحدنا لغيره ما أدعوك إليه خير لك وأعود عليك لو كنت تعقل وتنظر في العواقب وهو يعقل وينظر إلا أنه لم يعمل بموجب علمه فحسن أن يقال له مثل هذا القول وقال كعب بن زهير يصف ذنبا وغراباه تبعاه ليصيبا من زاده:

(١) في المصدر: «هو ما» بدل «ما هو».

(٢) في المصدر: «أغروا».

(٣) في المصدر: «مختلفي».

(٤) في المصدر: «تعلّموا».

(١) سورة البقرة: آية ٨٠٢.

(٢) كلمة: «ما» ليست في المصدر.

(٣) في المصدر: «لأن».

(٤) في المصدر: «قال».

(٥) في المصدر: «إلا أنهم».

فنفى عنهما العلم ثم أثبتة بقوله ألم تعلما أني من الزاد مرمل وإنا المعنى في نفيه العلم عنهما أنهما لم يعملما بما علما^(٢) فكأنهما لم يعملما^(٣) وابعها أن يكون المعنى أن هؤلاء القوم الذين قد علموا أن الآخرة لا حظ لهم فيها مع عملهم القبيح إلا أنهم ارتكبهوا طمعا في طعام الدنيا وزخرفها فقال تعالى ﴿وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(٤) أي الذي آثروه وجعلوه عوضا عن الآخرة لا يتم لهم ولا يبقى عليهم وإنه منقطع زائل ومضمحل باطل وأن المال^(٥) إلى المستحق في الآخرة وكل ذلك واضح بحمد الله^(٦) انتهى.

وأقول: قال في الصحاح والغمرة الشدة والجمع غمر قال القطامي يصف سفينة نوح و حان لتالك الغمر انحسار^(٧) وقال الانحسار الانكشاف^(٨) وقال قشعت الريح السحاب أي كشفته فانقشع وقشع^(٩) وقال الوطب سقاء اللين خاصة^(١٠) وقال العلية محلب من جلد^(١١) وقال صررت الناقة شددت عليها الصرار وهو خيط يشد فوق الخلف والتودية لثلا يرضعها ولدها^(١٢) وقال الخلف بالكسر حلمة ضرع الناقة^(١٣) والمزمنة من الزمام والبزل جمع البازل وهو جمل أو ناقة كمل لها تسع سنين والمادي العسل الأبيض ويقال شرت العسل أي اجتيتها وأشرت لغة ذكره الجوهري واستشهد بالبيت^(١٤)

و قال الرازي في تفسير هذه الآية أما قوله ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ﴾^(١٥) ففيه مسائل المسألة الأولى قوله ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ حكاية عما تقدم ذكره وهم اليهود ثم فيه أقوال أحدها أنهم اليهود الذين كانوا في زمان محمد ﷺ و ثانيها: أنهم الذين تقدموا من اليهود وثالثها: أنهم الذين كانوا في زمن سليمان من السحرة لأن أكثر اليهود ينكرون نبوة سليمان ويعودونه من جملة الملوك في الدنيا فالذين منهم كانوا في زمانه لا يستمتع أن يعتقدوا فيه أنه إنما وجد ذلك الملك العظيم بسبب السحر وابعها أنه يتناول الكل وهذا أولى لأنه ليس صرف اللفظ إلى البعض أولى من صرفه إلى غيره إذ لا دليل على التخصيص وخامسها أنه عائد إلى من تقدم ذكره في قوله ﴿بَنَدَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾^(١٦) قال السدي لما جاءهم محمد ﷺ عارضوا بالتوراة فخاصموه بها فانفتحت التوراة والقرآن فنبذوا التوراة وأخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت و ماروت فلم يوافق القرآن فهذا هو قوله ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ بَنَدَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَزَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ ثم أخبر عنهم بأنهم اتبعوا كتب السحرة.

المسألة الثانية: ذكروا في تفسير ﴿تَتْلُوا﴾ وجهين: أحدهما أن المراد منه التلاوة والإخبار و ثانيهما قال أبو مسلم ﴿تَتْلُوا﴾ أي تكذب على ملك سليمان يقال تلا عليه إذا كذب و تلا عنه إذا صدق وإذا أتهم جاز الأمران والأقرب هو الأول لأن التلاوة حقيقة في الخبر إلا أن المخبر لا^(١٧) يقال في خبره إذا كان كذبا أنه يقول على فلان وإنه قد تلا على فلان ليميز بينه وبين الصدق الذي لا يقال^(١٨) على فلان بل يقال روي عن فلان وأخبر عن فلان و تلا عن فلان^(١٩) وذلك لا يليق إلا بالإخبار والتلاوة ولا يستمتع أن يكون الذي كانوا يخبرون به عن سليمان ما^(٢٠) يتلى ويقرأ فيجتمع فيه كل الأوصاف.

المسألة الثالثة: اختلفوا في الشياطين فقليل المراد شياطين الجن وهو قول الأكثرين وقيل شياطين الإنس وهو

(١) في المصدر: «تعلمانه».

(٢) في المصدر: «يعلماه».

(٣) في المصدر: «وإنا الملك» بدل «وَأَنَّ الْمَالَ».

(٤) سورة البقرة: آية: ١٠٢.

(٥) أمالي السيد المرتضى ج ٢ ص ٧٦ - ٨٣ ملخصاً.

(٦) الصحاح ج ٢ ص ٦٢٩.

(٧) الصحاح ج ١ ص ٢٣٣.

(٨) الصحاح ج ٢ ص ٧١١.

(٩) الصحاح ج ٢ ص ٧٠٤.

(١٠) سورة البقرة: آية: ١٠٢.

(١١) عبارة: «و خامسها» حتى «تبد فريق من الذين أوتوا الكتاب» ليست في المصدر.

(١٢) كلمة: «لا» ليست في المصدر.

(١٣) من المصدر.

(١٤) في المصدر إضافة: «فيه روى».

(١٥) في المصدر: «مما».

قول المتكلمين من المعتزلة وقيل شياطين الإنس والجن معا أما الذين حملوه على شياطين الجن فقالوا إن الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمنون إلى ما سمعوا أكاذيب يلقونها و يلقونها إلى الكهنة وقد دونوها في كتب يقرءونها و يعلمونها الناس و فشا ذلك في زمان سليمان حتى قالوا إن الجن تعلم الغيب فكانوا يقولون هذا علم سليمان و ما تم له ملكه إلا بهذا العلم و به سخر الجن و الإنس و الريح التي تجري بأمره و أما الذين حملوه على شياطين الإنس فقالوا روي في الخبر أن سليمان كان قد دفن كثيرا من العلوم التي خصه الله بها تحت سرير ملكه حرصا على أنه إن هلك الظاهر منها بقي ذلك المدفون فلما مضت مدة على ذلك توصل قوم من المنافقين إلى أن كتبوا في خلال ذلك أشياء من السحر تناسب تلك الأشياء من بعض الوجوه ثم بعد موته و اطلاع الناس على تلك الكتب أو هموا الناس أنه من عمل سليمان و أنه ما وصل إلى ما وصل إليه إلا بسبب هذه الأشياء فهذا معنى «مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ» و احتج القائلون بهذا الوجه على فساد القول الأول بأن شياطين الجن لو قدروا على تغيير كتب الأنبياء و شرائعهم بحيث يبقى ذلك التحريف مخفيا^(١) فيما بين الناس لارتفع الوثوق عن جميع الشرائع و ذلك يفضي إلى الطعن في كل الأديان فإن قيل إذا جوزتم ذلك على شياطين الإنس فلم لا يجوز مثله من شياطين الجن قلنا الفرق أن الذي يفتعله الإنسان لا بد و أن يظهر من بعض الوجوه أما لو جوزنا هذا الافتعال من الجن و هو أن يزيد في كتب سليمان بخط مثل خط سليمان فإنه لا يظهر ذلك و يبقى مخفيا فيفضي إلى الطعن في جميع الأديان.

المسألة الرابعة: أما قوله «عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَانَ»^(٢) فقيل في ملك سليمان عن ابن جريج و قيل على عهد ملك سليمان و الأقرب أن يكون المراد و ابتعوا ما تلتوا الشياطين افتراء على ملك سليمان لأنهم كانوا يقرءون من كتب السحر فيقولون إن سليمان إنما وجد ذلك الملك بسبب هذا العلم فكانت تلاوتهم لتلك الكتب كالافتراء على ملك سليمان و الله أعلم.

المسألة الخامسة: اختلفوا في المراد بملك سليمان فقال القاضي إن ملك سليمان هو النبوة أو يدخل فيها^(٣) النبوة و تحت النبوة الكتاب المنزل عليه و الشريعة فإذا صح ذلك ثم أخرج القوم صحيفة فيها ضروب السحر و قد دفنوها تحت سرير ملكه ثم أخرجوها بعد موته و أوهموا أنها من جهته صار ذلك منهم تقولا على ملكه في الحقيقة و الأصح عندي أن يقال القوم لما ادعوا أن سليمان إنما وجد تلك المملكة بسبب ذلك العلم كان ذلك الادعاء كالافتراء على ملك سليمان و الله أعلم.

المسألة السادسة: السبب في أنهم أضافوا السحر إلى سليمان وجوه: أحدها أنهم أضافوا السحر إلى سليمان تخفيمًا لشأنه و تعظيمًا لأمره و ترغيبًا للقوم في قبول ذلك منهم و ثانيها: أن اليهود ما كانوا يقرءون نبوة سليمان بل كانوا يقولون إنما وجد ذلك الملك بسبب السحر و ثالثها: أن الله تعالى لما سخر الجن لسليمان فكان يخالطهم و يستفيد منهم أسرارًا عجيبة فغلب على الظنون أنه ﷺ استفاد السحر منهم أما قوله تعالى «وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ» فهذا تنزيه له ﷺ عن الكفر و ذلك يدل على أن القوم نسبوه إلى الكفر و السحر و قيل فيه أشياء أحدها: ما روي عن بعض أبحار اليهود أنهم قالوا ألا تعجبون من محمد يزعم أن سليمان كان نبيا و ما كان إلا ساحرا فأنزله الله هذه الآية. و ثانيها: أن السحرة من اليهود زعموا أنهم أخذوا السحر عن سليمان فنزله الله منه و ثالثها: أن قوما زعموا أن قوام ملكه كان بالسحر فبرأه الله منه لأن كونه نبيا ينافي كونه ساحرا كافرا ثم بين تعالى أن الذي برأه منه لاحق^(٤) بغيره فقال «وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا» يشير به إلى ما تقدم ذكره ممن اتخذ السحر كالحرفة لنفسه و ينسبه إلى سليمان ثم بين تعالى ما به كفروا فقد كان يجوز أن يتوهم أنهم كفروا لا^(٥) بالسحر فقال تعالى «يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ»^(٦) و اعلم أن الكلام في السحر يقع من وجوه الأول في البحث عنه بحسب اللغة فنقول ذكر أهل اللغة إنه في الأصل عبارة عما لطف و خفي سببه و السحر بالفتح هو الغذاء لخبائثه و لطف مجاريه قال لبيد:

و نسحر بالطعام و بالشراب.

(٢) سورة البقرة: آية: ١٠٢.

(٤) في المصدر: «لاصق».

(٦) سورة البقرة: آية: ١٠٢.

(١) في المصدر: «محققا».

(٣) في المصدر: «فيه».

(٥) في المصدر: «أولاً».

قيل فيه وجهان أحدهما أنا نعلل ونخدع كال مسحور والمخدوع والآخر نغذي وأني الوجهين كان فمعناه الخفاء وقال:

فإن تسألينا مِمَّ نحن فإننا عصفائر من هذا الأنام المسحر

وهذا الوجه يحتمل من المعنى ما احتمله الأول ويحتمل أيضا أن يريد بالمسحر أنه ذو السحر والسحر هو الرنة وما تعلق بالحلوقوم وهذا أيضا يرجع إلى معنى الخفاء ومنه قول عائشة توفي رسول الله بين سحري ونحري وقوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾^(١) يعني من المجوف^(٢) الذي يطعم ويشرب يدل عليه قولهم ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾^(٣) وقال تعالى حكاية عن موسى ﷺ أنه قال للسحرة ﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ إِنَّ اللَّهَ سَبَّطِلُهُ﴾^(٤) وقال ﴿فَلَمَّا أَفْقَا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرَهُمْ بَوْمُهُمْ﴾^(٥) فهذا هو معنى السحر في أصل اللغة.

الوجه الثاني: اعلم أن لفظ السحر في عرف الشرع مختص بكل أمر مخفي^(٦) سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التويهى والخداع ومتى أطلق ولم يقيد أفاد ذم فاعله قال تعالى ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾^(٨) يعني موهوا عليهم حتى ظنوا أن جبالهم وعصيمهم تسعى وقال تعالى ﴿يُخَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ يَسْحَرُهُمْ أَنَّهُمْ تَسْعَى﴾^(٩) وقد يستعمل مقيدا فيما يمدح ويحمد روي أنه قدم على رسول الله ﷺ الزبيرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم وقال لعمر بن خنيس عن الزبيرقان فقال مطاع في ناديه شديد العارض مانع لما وراء ظهره قال الزبيرقان هو والله يعلم أني أفضل منه فقال عمرو إنه زمر المروءة ضيق العطن أحق الأب لثيم الخال يا رسول الله صدقت فيهما أرضاني فقلت أحسن ما علمت وأسخطني فقلت أسوأ ما علمت فقال رسول الله ﷺ إن من البيان لسحرا فسمى النبي ﷺ بعض البيان سحرا لأن صاحبه يوضح الشيء المشكل ويكشف عن حقيقته بحسن بيانه وبلغ عبارته.

فإن قيل: كيف يجوز أن يسمى ما يوضح الحق وينبئ عنه سحرا وهذا القائل إنما قصد إظهار الخفي لا إخفاء الظاهر ولفظ السحر إنما يكون عند^(١٠) إخفاء الظاهر.

قلنا: إنما سماه سحرا لوجهين: الأول: أن ذلك العذر^(١١) للطفه وحسنه استمال القلوب فأشبهه السحر الذي يستميل القلوب فمن هذا الوجه سمي سحرا لا من الوجه الذي ظننت الثاني: أن المقتدر على البيان يكون قادرا على تحسين ما يكون قبيحا وتقييح ما يكون حسنا فذلك يشبه السحر من هذا الوجه.

في أقسام السحر:

واعلم أن السحر على أقسام: القسم الأول: سحر الكلدانيين والكذابين^(١٢) الذين كانوا في قديم الدهر. وهم قوم يعبدون الكواكب ويزعمون أنها هي المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشروور والسعادة والنحوسة وهم الذين بعث الله تعالى إبراهيم مبطلا لمقاتلتهم ورادا عليهم في مذاهبهم.^(١٣)

وهؤلاء فرق ثلاث^(١٤) الفريق الأول: هم الذين زعموا أن هذه الأفلاك والكواكب واجبة الوجود في ذاتها وأنه لا حاجة بهذية ذاتها وصفاتها إلى موجب ومدبر وخالق وعلّة البتة ثم إنها هي المدبرة لعالم الكون والفساد وهؤلاء هم الصابئة الدهرية. والفريق الثاني: الذين قالوا الجسم يستحيل أن يكون واجبا لذاته. لأن كل جسم مركب وكل مركب فإنه مفترق إلى كل واحد من أجزائه وكل واحد من أجزائه غيره فكل جسم فهو مفترق إلى غيره فهو ممكن لذاته وكل ممكن لذاته فهو مؤثر فله مؤثر وهذه الأجرام الفلكية والكوكبية لا بد لها من مؤثر ثم قالوا ذلك المؤثر إما أن يكون حادثا أو قديما فإن كان حادثا افتقر إلى مؤثر آخر ولزم التسلسل وهو محال وإن كان قديما فإما أن يكون كل ما لا بد منه في مؤثرته حاصلًا في الأزل أو ليس كذلك ويدخل في هذا التقسيم قول من يقول إنه إنما

(١) في المصدر: «فيم».

(٢) في المصدر: «المخلوقين».

(٣) سورة يونس، آية: ٨١.

(٤) في المصدر: «يخفي».

(٥) سورة طه، آية: ٦٦.

(٦) في المصدر: «القدر».

(٧) التفسير ج ٣ ص ٢٠٣ - ٢٠٦.

(٨) من قوله: «وهؤلاء فرق ثلاث» حتى قوله: «فهذا مجموع أقوال الصابئة في تقرير هذا النوع من السحر» ساقط من المصدر.

(٩) سورة الشعراء، آية: ١٥٣ و ١٨٥.

(١٠) سورة الشعراء، آية: ١٥٤.

(١١) سورة الأعراف، آية: ١١٦.

(١٢) سورة الأعراف، آية: ١١٦.

(١٣) في المصدر: «يفيد» بدل «يكون عند».

(١٤) في المصدر: «الكلدانيين والسكانيين».

خلق العالم في الحيز الذي خلقه فيه لأن خلقه في ذلك الحيز أصلح من خلقه في حيز آخر أو لأن خلقه كان موقوفاً على انقضاء الأزل أو لأن خلقه كان موقوفاً على حضور وقت معين إما مقدر أو محقق فإن قلنا إن كل ما لا بد منه في مؤثرته كان حاصلًا في الأزل لزم أن يكون الأثر واجب الترتب عليه في أزل لأن الأزل لو لم يكن واجب الترتب عليه فهو إما ممتنع الترتب عليه فهو ليس بمؤثر البتة وقد فرضناه مؤثرًا هذا خلف وإن كان ممكن الترتب عليه و ممكن اللاترتب عليه أيضًا فلنفرض تارة مصدرًا للأثر بالفعل وأخرى غير مصدر له بالفعل فامتياز الحيز الذي صار المؤثر فيه مصدرًا للأثر بالفعل عن الحيز الذي لم يصر فيه كذلك إما أن يتوقف على انضمام قيد إليه أو لم يتوقف فإن توقف لم يكن الحاصل قبل انضمام هذا القيد إليه كل ما لا بد منه في المؤثرية وقد فرضناه كذلك وهذا خلف وإن لم يتوقف فقد ترجع الممكن من غير مرجح البتة وتجوز به يسد باب الاستدلال بالممكن على وجود الصانع وأما إن قلنا بأن كل ما لا بد منه في المؤثرية ما كان حاصلًا في الأزل فإن استمر ذلك السلب وجب أن لا يصير البتة مؤثرًا لكننا قد فرضناه مؤثرًا في الأزل هذا خلف وإن تغير فقد حدث بعض ما لا بد منه في المؤثرية فإن كان حدوثه لا لأمر فقد وقع الممكن لا عن مؤثر وهو محال وإن كان حدوثه لأمر لم يكن الشيء الذي فرضناه حادثًا أولًا كذلك لأنه حصل قبله حادث آخر وكنا فرضناه حادثًا أولًا وهذا خلف وأيضًا فإننا ننقل الكلام إليه و يلزم التسلسل وهو محال.

قالوا وهذا يقتضي استناد الممكنات إلى مؤثر تام المؤثرية في الأزل ومتى كان كذلك وجب كون الآثار أزلية دائمة فهذا يقتضي أن لا يحصل في العالم شيء من التغيرات البتة لكن التغيرات مشاهدة قطعًا فلا بد من حيلة فنقول ذلك المؤثر القديم الواجب لذاته إلا أن كل حادث مسبوق بحادث آخر حتى يكون انقضاء المتقدم شرطًا لحصول المتأخر عن ذلك المبدأ القديم وعلى هذا الطريق يصير المبدأ القديم مبدأً للحوادث المتغيرة فإذن لا بد من توسط حركة دائمة يكون كل جزء منها مسبوقًا بالآخر لا إلى أول وهذه الحركة يمتنع أن تكون مستقيمة وإلا لزم القول بأبعاد غير متناهية وهو محال فلا بد من جرم متحرك بالاستدارة وهو الفلك ثبت أن حركات الأفلاك كالمبادئ القريبة للحوادث الحادثة في هذا العالم والمذبرات الملاصقة بها فلا جرم قالوا بالهيتها واشتغلوا بعبادتها وتعظيمها واتخذوا لكل واحد منها هيكلًا مخصوصًا وصنما معينًا فاشتغلوا بخدمتها فهذا هو دين عبدة الأصنام والأوثان ثم إن هؤلاء قالوا إن المبدأ الفاعلي لا يكفي وجوده في حصول الفعل بل لا بد من حضور المبدأ القابلي المنفعلي ولا يكفي حضوره أيضًا ما لم تكن الشرائط حاصلة والموانع زائلة وربما حدث أمر مشكل غريب في العالم الأعلى يصلح لإفادة هيئة غريبة في مادة العالم الأسفل فإذا لم تكن المادة السفلية متهيئة لقبول تلك الهيئة من الأشكال العلوية لم تحدث تلك الهيئة ثم إن فوات تلك التهيؤ تارة تكون لأجل كون المادة منومة بالمعوقات المانعة عن قبول ذلك الأثر وتارة لأجل فوات بعض الشرائط لكن لو تهيأت لنا تقدمه المعرفة بطبيعة ذلك التشكل وبوقت حدوثه وبطبيعة الأمور المعتمدة في كون المادة السفلية قابلة لذلك الأثر لكان يمكننا تهيئة المادة لقبول ذلك الأثر وإمطة الموانع عنها وتحصيل المعدات لها حتى يتم ذلك الفيضان ويسري في القابليات لما تقرر أن الفاعل التام متى لقي المنفعل التام ظهر الفعل التام لا محالة فإذا عرفت هذا فالساحر هو الذي يعرف القوى العالية الفعالة بساكناتها ومركباتها ويعرف ما يليق بكل واحد من العوالم السفلية ويعرف المعدات ليعدها والعوائق لينحيها معرفة بحسب الطاقة البشرية فيحنئذ يكون الإنسان متمكنًا من استجذاب ما يخرق العادة ومن دفع ما يدافعها بتقريب المنفعل من الفاعل وهذا معنى قول بطليموس علم النجوم منك ومنها فهذا هو الإشارة إلى خلاصة قوله الفلاسفة الصائبة في حقيقة السحر وماهيته.

الفريق الثالث: الذين أثبتوا لهذه الأفلاك والكواكب فاعلا مختارًا خلقها وأوجدتها بعد العدم إلا أنهم قالوا إنه سبحانه أعطاه قوة عالية نافذة في هذا العالم وفوض تدبير هذا العالم إليهم قالوا الدليل على كون هذه الأجرام الفلكية أحياء وجهان الأول أنه لا شك أن الحياة أشرف من الجمادية فكيف يحسن في الحكمة خلق الحياة في الأجسام الخسيسة نحو أبدان الديدان والخنافس وإخلاء هذه الأجرام الشريفة النورانية الروحانية عن الحياة الثاني أن هذه الأفلاك متحركة بالاستدارة فحركتها إما أن تكون طبيعية أو قسرية أو إرادية لا جازئ أن تكون طبيعية لأن المهروب عنه بالطبع لا يكون بعينه مطلوبًا بالطبع وكل نقطة فرضنا الفلك متحركًا عنه فإن حركته عنها هي عين حركته إليها

فيستحيل كون تلك الحركة طبيعية و لا جائز أن تكون قسرية لأن القسر هو الذي يكون على خلاف الطبيعة فإذا قد بطلت الطبيعية وجب بطلان كونها قسرية و لما بطل القسمان ثبت كونها إرادية فثبت أن الأفلاك و الكواكب أجرام حية عاقلة قالوا إذا ثبت هذا فنقول الوقوف على جميع الطبائع العلوية و السفلية مما لا يفي به وسع البشر و طاقة النفس الناطقة لوجوه أربعة أولها أنه لا سبيل إلى إثبات الكواكب إلا بواسطة القوة الباصرة و لا ارتباط أنها عن إدراك الصغير من البعيد قاصرة فإن أصغر كوكب مما في القدر السابع من الفلك الثامن و هو الذي يمتحن به حدة البصر مثل كرة الأرض بضعة عشر مرة و إن كرة الأرض أعظم من العطارذ كذا ألف مرة فلو تكوّن الفلك الأعظم بكواكب على قدر الكواكب الصغيرة المذكورة من الثوابت فلا شك أن الحس لا يدركه و البصر لا يمتد عليه فضلا عما يكون في مقدار عطارذ أو أصغر منه و على هذا التقدير لا يبعد أن يكون في السماوات كواكب كثيرة فعالة و إن كنا لا نعرف وجودها فضلا عن أن نعرف طبائعها و لهذا نقل صاحب كتاب تتكولشا عن رواي البصر أنه بقي في الفلك وراء الكواكب المرصودة كواكب لم ترصد إما لفرط صغرها أو لخفاء آثارها و أفعالها.

و ثانيها: أن الكواكب التي نراها ليست بأسرها مرصودة بل المرصودة منها ألف و اثنان و عشرون و البواقي غير مرصودة و مما يحقق ذلك ما ثبت بالدلالة أن المجردة ليست إلا أجرام كوكبية صغيرة جدا مرتكزة في فلك الثوابت على هذا سمت المخصوص و ظاهر أن الوقوف على طبائعها متعذرة.

و ثالثها: أن هذه الكواكب المرصودة مما لم يحصل الوقوف التام على طبائعها لأن أقوال الأحكاميين ضعيفة قليلة الحاصل لا سيما في طبائع الثوابت.

و رابعها: أننا بتقدير أن نعرف طبائع هذه الكواكب على بساطتها لكنه لا يمكننا الوقوف على طبائعها حال امتزاجها إلا على سبيل التقريب البعيد عن التحقيق.

ثم إنا نعلم أن الحوادث الحادثة في هذا العالم لا يصدر عن طبائعها البسيطة و إلا لدامت هذه الحوادث بدوام تلك الطبائع بل إنما يحصل عن امتزاجاتها و تلك الامتزاجات غير متناهية فلا سبيل إلى الوقوف عليها على سبيل القياس فقد ثبت. بهذه الوجوه الأربعة تعذر الوقوف على طبائعها الفعالة و أما القوى المنفصلة فالوقوف التام عليها كالمعتذر لأن القبول التام لا يتحقق إلا مع شرائط مخصوصة في القابل من الكم و الكيف و الوضع و الأين و سائر المقولات و المواد السفلية غير ثابتة على حالة واحدة بل هي أبدا في الاستحالة و التغير و إن كان لا يظهر في الحس فقد ظهر بما قررنا أن الوقوف التام على أحوال القوى الفعالة السماوية و القوى الأرضية المنفصلة غير حاصل للبشر و لو حصل ذلك لأحد لوجب أن يكون ذلك الشخص عالما بجميع التفاصيل الحاصلة من الماضية و الآتية و أن يكون متمكنا من إحداث جميع الأمور التي لا نهاية لها.

ثم قالوا: فهذه المباحث و الملامح مما يوهن العقل عن التمكن من هذه الصناعة إلا أنه نعم ما قيل من أن ما لا يدرك كله لا يترك كله فالقوى البشرية و إن قصرت عن اكتناء هذه القوى العالية الفعالة و السافلة المنفصلة و لكن يمكنها الاطلاع على بعض أحوالها و إن كان ذلك القدر تافها حقيرا بالنسبة إلى ما في الوجود لكنه عظيم بالنسبة إلى قدرة الإنسان و قوته لأن الأحكاميين من أهل النجوم قد وقفوا بسبب التجارب المتطاولة قرنا بعد قرن على كثير من أحوال السبعة السيارة و كثير من الثوابت و عرفوا من أحوال البروج و الحدود و الوجوه و المثلثات ما يعظم الانتفاع بمعرفته لمن اطلع عليه و أحاط به و ليس يلزمنا أنه لما تعذر علينا تحصيل اليقين التام بها بواسطة البراهين المنطقية أن يترك الانتفاع بها مع ما تشاهد من صحة قوانينها الكلية كما لا يلزم من عدم قيام الدلائل الطبيعية على طبائع الأغذية و الأدوية البسيطة و المركبة أن لا ينتفع بها بل هذه الصناعة أولى بالرعاية من صناعة الطب و ذلك لأنهما بعد اشتراكهما في عدم البراهين المنطقية على مطالبتها امتازت هذه الصناعة عن صناعة الطب بوصف نافع و ذلك أن الدواء المتناول لو لم ينفع يحصل من تناوله ضرر عظيم و أما هذه الصناعة فلو لن تنفع لم تضر و أما ظن حصول النفع فهو قائم في الموضعين و إذا كان كذلك كانت هذه الصناعة أولى بالرعاية من صناعة الطب.

فإن قال قائل كيف السبيل إلى معرفة طبائع هذه الكواكب و البروج و أما التجربة فهي متعذرة و ذلك لأن أقل ما لا بد منه في التجربة أن يعود الأمر مرتين و عودة الفلك إلى شكله المعين ممتنع عند بعض الفلاسفة و لو أمكن على

بعده فإنما يقع لو عاد جميع الكواكب إلى الموضع الذي كان واقفا عليه في المرة الأولى وذلك مما لا يحصل إلا بعد المدة التي تسمى بعمر العالم فأي عمر يفي بذلك و أي عقل يصل إليه.

الجواب: أنه لا حاجة في هذه التجربة إلى عود الفلك إلى الشكل الأول من جميع الوجوه بل لما رأينا كوكبا حصل في برج و صدر عنه أثر و شاهدنا هذا الأثر مع حصوله في ذلك البرج مدة بعد أخرى غلب على ظننا أن حصوله في ذلك البرج مستعقب لهذا الأثر و هذا القدر كاف في حصول الظن و أيضا قد تحصل معرفة طبائع هذه الكواكب على سبيل الإلهام يحكى عن جالينوس أنه عرف كثيرا من الأمور الطبية برويا رآها و إذا كان ذلك ممكنا فلا سبيل إلى دفعه.

قالوا إذا ثبت ذلك فإن التجارب التي مارسها الأحكاميون من المنجمين دلت على أن لكل اختصاصا بأشياء معينة في هذا العالم من الأمكنة و الأزمنة و الأيام و الساعات و الأغذية و الروائح و الأشكال التي يتعلق بها كوكب معين في وقت يكون الكوكب فيه قويا على ذلك الفعل الذي يطلب منه لم يبعد أن يحصل ذلك الأثر الخارق للعادة لا سيما إذا كان المتولي لمباشرة ذلك العمل القوي النفس صافي الروح بحيث يكون روحه في الاستعلاء و الاستيلاء من جوهر الأرواح السماوية فهناك يتم الأمر و يحصل الغرض فهذا مجموع أقوال الصائبة في تقرير هذا النوع من السحر. أما المعتزلة فقد اتفقت كلمتهم على أن غير الله لا يقدر على خلق الجسم و الحياة و اللون و الطعم و احتجوا بوجود ذكرها القاضي و لخصها في تفسيره و في سائر كتبه و نحن ننقل تلك الوجوه و ننظر فيها:

أولها: و هو النكتة العقلية التي عليها يقولون إن كل ما سوى الله إما متحيز أو قائم بالمتحيز فلو كان غير الله فاعلا للجسم و الحياة لكان ذلك الغير متحيزا و ذلك المتحيز لا بد و أن يكون قادرا بالقدرة إذ لو كان قادرا لذاته لكان كل جسم كذلك بناء على أن الأجسام متماثلة لكن القادر بالقدرة لا يصح منه فعل الجسم و الحياة و يدل عليه وجهان الأول أن العلم الضروري حاصل بأن الواحد منا لا يقدر على خلق الجسم و الحياة ابتداء فقدرتنا مشتركة في امتناع ذلك عليها فهذا الامتناع حكم مشترك فلا بد له من علة مشتركة و لا مشترك هاهنا إلا كوننا قادرين بالقدرة و إذا ثبت هذا وجب في من كان قادرا بالقدرة أن يتعذر عليه فعل الجسم و الحياة.

الثاني: أن هذه القدرة التي لنا لا شك أن بعضها يخالف بعضا فلو قدرنا قدرة صالحة لخلق الجسم^(١) و الحياة لم يكن مخالفتها لهذه القدرة أشد من مخالفة بعض هذه القدرة للبعض فلو كفى ذلك القدر من المخالفة في صلاحيتها لخلق الجسم لوجب في هذه القدرة التي يخالف بعضها بعضا أن تكون صالحة لخلق الجسم و الحياة و لما لم يكن كذلك علمنا أن القادر بالقدرة لا يقدر على خلق الجسم و الحياة.

و ثانيها: أنا لو جوزنا ذلك لتعذر الاستدلال بالمعجزات على النبوات لأننا لما جوزنا استحداث الخوارق بواسطة تمزيق القوى السماوية بالقوى الأرضية لم يمكننا القطع بأن هذه الخوارق التي ظهرت على أيدي الأمناء^(٢) صدرت عن الله تعالى بل يجوز فيها أنهم أتوا بها من طريق السحر و حينئذ يبطل القول بالنبوات من كل الوجوه.

وثالثها: أنا لو جوزنا أن يكون في الناس من يقدر على خلق الجسم و الحياة و الأثران لقدرة ذلك الإنسان على تحصيل الأموال العظيمة من غير تعب لكانا نرى من يدعي السحر متوسلا^(٣) إلى اكتساب الحقيقير من المال بجهد جهيد فعلنا كذبه و بهذا الطريق يعلم فساد ما يدعيه قوم من الكيمياء فإننا نقول لو أمكنهم ببعض الأدوية أن يقبلوا غير الذهب ذهابا لكان إما أن يمكنهم ذلك بالقليل من الأموال فكان ينبغي أن يغنوا أنفسهم بذلك عن المشقة و الذلة أو لا يمكن^(٤) إلا بالألات العظام و الأموال الخطيرة فكان يجب أن يظهروا ذلك للملوك المتمكنين من ذلك بل كان يجب أن يفتن الملوك لذلك لأنه أنفع لهم من فتح البلاد التي لا يتم إلا بإخراج الأموال و الكنوز و في علمنا بانصراف النفوس و الهمم عن ذلك دلالة على فساد هذا القول قال القاضي ثبت بهذه الجملة أن الساحر لا يصح أن يكون فاعلا لشيء من ذلك.

(١) في المصدر إضافة: «و الحياة».

(٢) في المصدر: «الأنبياء عليه السلام».

(٣) في المصدر: «متوسلا».

(٤) في المصدر: «أو لا يمكنهم».

و اعلم أن هذه الدلائل ضعيفة جدا أما الوجه الأول فنقول ما الدليل على أن كل ما سوى الله تعالى إما أن يكون متحيزا أو قائما بالمتحيز أما علمتهم أن الفلاسفة مصرّون على إثبات العقول و النفوس الفلكية و النفوس الناطقة و زعموا أنها في أنفسها ليست بمتحيزة و لا قائمة بالمتحيز فما الدليل على فساد القول بها.
فإن قالوا: لو وجد موجود هكذا لزم أن يكون مثالا لله تعالى:

قلنا: لا نسلم و ذلك لأن الاشتراك في السلوب لا يقتضي الاشتراك في الماهية سلمنا ذلك لكن لم لا يجوز أن يكون بعض الأجسام يقدر على ذلك لذاته قوله الأجسام متساوية^(١) فلو كان جسم كذلك لكان كل جسم كذلك قلنا ما الدليل على تماثل الأجسام.

فإن قالوا: إنه لا معنى للجسم إلا الممتد في الجهات الشاغل للأحياز فلا تفاوت بينها في هذا المعنى.

قلنا: الامتداد في الجهات و الشغل للأحياز صفة من صفاتها و لازم من لوازمها و لا بد^(٢) أن تكون الأشياء المختلفة في الماهية مشتركة في بعض اللوازم سلمنا أنه يجب أن يكون قادرا بالقدرة فلم قلتم إن القادر بالقدرة لا يصح منه خلق الجسم و الحياة قوله لأن القدرة التي لنا مشتركة في هذا الامتناع فهذا الامتناع حكم مشترك فلا بد له من علة مشتركة و لا مشترك سوى كوننا قادرين بالقدرة قلنا هذه المقدمات بأسرها ممنوعة فلا نسلم أن الامتناع حكم معلل و ذلك لأن الامتناع عديمي و العدمي لا يعلل سلمنا أنه أمر وجودي و لكن من مذهبهم أن كثيرا من الأحكام لا يعلل فلم لا يجوز أن يكون هاهنا كذلك سلمنا أنه معلل فلم قلتم إن الحكم المشترك لا بد له عن علة مشتركة أليس أن القبح حصل في الظلم معللا بكونه ظلما و في الكذب بكونه كذبا و في الجهل بكونه جهلا سلمنا أنه لا بد من علة مشتركة لكن لا نسلم أنه لا مشترك إلا كوننا قادرين بالقدرة فلم لا يجوز أن تكون هذه القدرة التي لنا مشتركة في وصف معين و تلك القدرة التي تصلح لخلق الجسم تكون خارجة عن ذلك الوصف فما الدليل على أن الأمر ليس كذلك.

أما الوجه الثاني و هو أنه ليست مخالفة تلك القدرة لبعض هذه القدرة أشد من مخالفة بعض هذه القدرة لبعض فنقول هذا أضعف^(٣) لأننا لا نلعل صلاحيتها لخلق الجسم بكونها مخالفة لهذه القدرة بل لخصوصيتها المعينة التي لأجلها خالفت سائر القدر و تلك الخصوصية معلوم أنها غير حاصلة في سائر القدر و نظير ما ذكره أن يقال ليست مخالفة الصوت للبياض أشد من مخالفة السواد للبياض فلو كانت تلك المخالفة مانعة للصوت من صحة أن يرى لوجب لكون السواد مخالفا للبياض أن يتمتع رؤيته و لما كان هذا الكلام فاسدا فكذا ما قاله و العجب من القاضي أنه لما حكى هذه الوجوه عن الشعرية في مسألة الرؤية زيفها بهذه الأسئلة ثم إنه نفسه تمسك بها في هذه المسألة التي هي الأصل في إثبات النبوة و الرد على من أثبت متوسطا بين الله و بيننا.

أما الوجه الثالث و هو أن القول بصحة النبوات لا يبقى مع تجويز هذا الأصل فنقول إما أن يكون القول بصحة النبوات متفرعا على فساد هذه القاعدة أو لا يكون فإن كان الأول امتنع إفساد هذا الأصل بالبناء على صحة النبوات و إلا وقع الدور و إن كان الثاني فقد سقط هذا الكلام بالكلية.

و أما الوجه الرابع فلقلنا أن يقول الكلام في الإمكان غير و في الوقوع غير و نحن لا نقول بأن هذه الحالة حاصلة لكل أحد بل هذه الحالة لا تحصل للبشر إلا في الأعصار المتباعدة فكيف يلزمنا ما ذكرتموه فهذا هو الكلام في النوع الأول من السحر.^(٤)

النوع الثاني من السحر^(٥) سحر أصحاب الأوهام و النفوس القوية

قالوا: اختلف الناس في أن الذي يشير إليه كل إنسان بقوله أنا ما هو فمن الناس من يقول إنه هو هذه البنية و منهم من يقول إنه جسم سار في هذه البنية و منهم من يقول إنه موجود ليس بجسم و لا جسماني أما إذا قلنا إن الإنسان هو هذه البنية فلا شك أن هذه البنية مركبة من الأخطا الأربعة فلم لا يجوز أن يتفق في بعض الأعصار النادرة أن يكون

(٢) في المصدر: «ولا يبعد».

(٤) التفسير الكبير ج ٣ ص ١٠٦ - ٢٠٨.

(١) في المصدر: «مماثلة».

(٣) في المصدر: «ضعيف».

(٥) بقية كلام الفخر الرازي.

مزاج من الأزمنة في ناحية من النواحي يقتضي القدرة على خلق الجسم والعلم بالأمور الغائبة عنا وهكذا الكلام إذا قلنا إن الإنسان جسم سار في هذه البنية أما إذا قلنا إن الإنسان هو النفس فلم لا يجوز أن يقال النفوس مختلفة فيتنوع في بعض النفوس أن تكون لذاتها قادرة على هذه الحوادث الغريبة المطلعة على الأسرار الغائبة عنا^(١) فهذا الاحتمال مما لم يعم دلالة على فساده سوى الوجوه المتقدمة وقد بان بطلانها.

ثم الذي يؤكد هذا الاحتمال وجوه أولها أن الجذع الذي يتمكن الإنسان من المشي عليه لو كان موضوعا على الأرض لا يمكنه المشي عليه لو كان كالجسر على هاوية تحته وما ذاك إلا لأن تخيل السقوط متى قوي أوجبه و ثانيها: أجمعت الأطباء على نهي المعروف عن النظر إلى الأشياء الحمر والمصروع عن النظر إلى الأشياء القوية اللعان والدوران وما ذاك إلا لأن النفوس خلقت مطبوعة للأوهام وثالثها: حكى صاحب الشفاء عن أرسطو في طبائع الحيوان أن الدجاجة إذا تشبهت كثيرا بالديكة في الصوت وفي الجواب^(٢) مع الديكة نبت على ساقها مثل الشيء النابت على ساق الديك ثم قال صاحب الشفاء وهذا يدل على أن الأحوال الجسمانية تابعة للأحوال النفسانية.

ورابعها: أجمعت الأمم على أن الدعاء مظنة للإجابة وأجمعوا^(٣) على أن الدعاء اللساني الخالي عن المطلب النفسي قليل البركة عديم الأثر فدل ذلك على أن اللهم والنفوس آثارا وهذا الاتفاق غير مختص بملة معينة ونحلة مخصوصة.

وخامسها: أنك لو أنصفت لعلمت أن المبادئ القريبة للأفعال الحيوانية ليست إلا التصورات النفسانية لأن القوة المحركة المخلوقة المطبوعة^(٤) المغروزة في العضلات صالحة للقول وتركه أو ضده ولن يترجح أحد الطرفين على الآخر إلا مرجح وما ذاك إلا تصور كون الفعل جميلا أو لذيذا أو تصور كونه قبيحا أو مؤلما فتلك التصورات هي المبادئ لصيرورة القوى العضلية بمبادئ بالفعل^(٥) لوجود الأفعال بعد أن كانت كذلك بالقوة وإذا كانت هذه التصورات هي المبادئ لمبادئ هذه الأفعال فأى استبعاد في كونها مبادئ للأفعال بأنفسها^(٦) وإلغاء الواسطة عن درجة الاعتبار.

وسادسها: التجربة والعيان شاهدان بأن هذه التصورات مبادئ قريبة لحدوث الكيفيات في الأبدان فإن الغضبان يشتد سخونة مزاجه حتى أنه يفقد سخونة قوية يحكى عن بعض الملوك أنه عرض له فالح فاعيا الأطباء مزاوله علاجه فدخل عليه بعض الحذاق منهم على حين غفلة منه وشافه بالشم والقدرح في العرض فاشتد غضب الملك وقفز من مرقدته فقرة اضطرابية لما ناله من شدة ذلك الكلام فزالت تلك العلة المزمنة والمرضة المهلكة وإذا جاز كون التصورات مبادئ لحدوث الحوادث في البدن فأى استبعاد من كونها مبادئ لحدوث الحوادث خارج البدن.

وسابعها: أن الإصابة بالعين أمر قد اتفق عليها العقلاء وذلك أيضا يحقق إمكان ما قلناه.

إذا عرفت هذا فنقول النفوس التي تفعل هذه الأفعال قد تكون قوية جدا فتستغني في هذه الأفعال عن الاستعانة بالألات والأدوات وقد تكون ضعيفة فتحتاج إلى الاستعانة بهذه وتحقيقه أن النفس إذا كانت قوية^(٧) مستعنية على البدن شديدة الانجذاب إلى عالم السماوات كانت كأنها روح من الأرواح الساموية فكانت قوية على التأثير في مواد هذا العالم أما إذا كانت ضعيفة شديدة التعلق بهذه اللذات البدنية فيحتمل لا يكون لها تصرف البتة إلا في هذا البدن فإذا أراد هذا الإنسان صيرورتها بحيث يتعدى تأثيرها من بدنها إلى بدن آخر اتخذ تماثل ذلك الغير ووضع عند الحس ليشغل الحس به فيتبعه الخيال عليه وأقبلت النفس الناطقة عليه فقويت التأثيرات النفسانية والتصرفات الروحانية ولذلك اجتمعت الأمم على أنه لا بد لمزاو هذه الأعمال من الانقطاع عن المألوفات والمشتهيات وتقليل الغذاء والانقطاع عن مخاطبة القلب فكلما كانت هذه الأمور أتم كان ذلك التأثير أقوى فإذا اتفق أن كانت النفس مناسبة لهذا الأمر نظرا إلى ماهيتها وخاصيتها عظم التأثير والسبب اللهي^(٨) فيه أن النفس إذا اشتغلت بالجانب الواحد استعملت جميع قوتها في ذلك الفعل وإذا اشتغلت بالأفعال الكثيرة تفرقت قوتها وتوزعت على

(١) كلمة: «عنا» ليست في المصدر.

(٢) في المصدر: «الحراب».

(٣) من قوله: «على أن» حتى «وأجمعوا» ليس في المصدر.

(٤) عبارة: «المخلوقة المطبوعة» ليست في المصدر.

(٥) في المصدر: «للفعل».

(٦) في المصدر: «لأفعال أنفسها».

(٨) في المصدر: «المتعين».

(٧) كلمة: «قوية» ليست في المصدر.

تلك الأفعال فنصل إلى كل واحد من تلك الأفعال شعبة من تلك القوة و جدول من ذلك النهر و لذلك ترى أن إنسانين يستويان في قوة الخاطر إذا اشتغل أحدهما بصناعة واحدة و اشتغل الآخر بصناعتين فإن ذا الفن الواحد يكون أقوى من ذي الفنين و من حاول الوقوف على حقيقة مسألة من المسائل فإنه حال تفكره فيها لا يد و إن يفرغ خاطره عما عداه فإنه عند تفرغ الخاطر يتوجه الخاطر بكلية إليه فيكون الفعل أسهل و أحسن و إذا كان كذلك فإذا كان الإنسان مشغول الهم و الهمة بقضاء اللذات و تحصيل الشهوات كانت القوة النفسانية مشغولة بها مستغرقة فيها فلا يكون انجذابها إلى تحصيل الفعل الغريب الذي يحاوله انجذابا قويا لا سيما و هنا أفة أخرى و هي أن مثل هذه النفس اعتادت الاشتغال باللذات من أول أمرها إلى آخره و لم تشتغل قط باستحداث هذه الأفعال الغريبة فهي بالطبع حنون إلى الأول عزوف للثاني^(١) فإذا وجدت مطلوبها من النمط الأول فإني تلتفت إلى الجانب الآخر فقد ظهر من هذا أن مزاوله هذه الأعمال لا تتأني إلا مع التجرد عن الأحوال الجسمانية و ترك مخالطة الخلق و الإقبال بالكلية على عالم الصفا و الأرواح و أما الرقي فإن كانت معلومة فالأمر فيها ظاهر لأن الغرض منها أن حس البصر كما شغلناه بالأمور المناسبة لذلك الغرض فحس السمع نشغله أيضا بالأمور المناسبة لذلك الغرض فإن الحواس متى تطابقت نحو^(٢) التوجه إلى الغرض الواحد كان توجه النفس إليه حينئذ أقوى و أما إذا كانت بالفاظ غير معلومة حصلت للنفس هناك حالة شبيهة بالحيرة و الدهشة و يحصل للنفس في أثناء ذلك انقطاع عن المحسوسات و إقبال على ذلك الفعل و جد عظيم فيقوى التأثير النفساني فيحصل الغرض و هكذا القول في الدخن.

قالوا فقد ثبت أن هذا القدر من القوة النفسانية مستقل.^(٣)

بالتأثير فإن انضم إليه النوع الأول من السحر و هو الاستعانة بالكواكب و تأثيراتها عظم التأثير بل هاهنا نوعان آخران الأول أن النفوس التي فارقت الأبدان قد يكون فيها ما هو شديد المشابهة لهذه النفس في قوتها و في تأثيراتها فإذا صارت هذه النفوس صافية لم يبعد أن ينجذب إليها ما تشابهها من النفوس المفارقة و يحصل لتلك النفوس نوع ما من التعلق بهذا البدن فتعاوض النفوس الكثيرة على ذلك الفعل و إذا كملت القوة تزايدت قوى التأثير الثاني أن هذه النفوس الناطقة إذا صارت صافية عن الكدورات البدنية صارت قابلة للأتوار الفائضة من الأرواح السماوية و النفوس الفلكية فتقوى هذه النفوس بأنوار تلك الأرواح فتقوى على أمور غريبة خارقة للعادة فهذا شرح سحر أصحاب الأوهام و الرقي.^(٤)

النوع الثالث من السحر الاستعانة بالأرواح الأرضية^(٥)

واعلم أن القول بالجن مما أنكره بعض المتأخرين من الفلاسفة و المعتزلة أما أكابر الفلاسفة فإنهم ما أنكروا القول به إلا أنهم سموها بالأرواح الأرضية و هي في أنفسها مختلفة منها خيرة و منها شريرة فالخير منهم^(٦) الجن و الشريرة هم كفار الجن و شياطينهم ثم قال خلق منهم هذا الأرواح جواهر قائمة بأنفسها لا متحيزة و لا حالة في التحيز و هي قادرة عالمة مدركة للجزئيات و اتصال النفوس الناطقة بها أسهل من اتصالها بالأرواح السماوية إلا أن القوة الحاصلة للنفوس الناطقة بسبب اتصالها بهذه الأرواح الأرضية أضعف من القوة الحاصلة لها بسبب اتصالها بتلك الأرواح السماوية إما أن الاتصال أسهل فلأن المناسبة بين نفوسنا و بين هذه الأرواح الأرضية أرسل فإن المشابهة^(٧) و المشاكلة بينها أتم و أشد من المشاكلة بين نفوسنا و بين الأرواح السماوية و إما أن القوة الحاصلة بسبب الاتصال بالأرواح السماوية أقوى فلأن الأرواح السماوية بالنسبة إلى الأرواح الأرضية كالشمس بالنسبة إلى الشعلة و البحر بالنسبة إلى القطرة و السلطان بالنسبة إلى الرعية قالوا و هذه الأشياء و إن لم يرق على وجودها برهان قاهر فلا أقل من الاحتمال والإمكان ثم إن أصحاب الصنعة وأرباب التجربة شاهدوا أن الاتصال بهذه الأرواح الأرضية يحصل بأعمال سهلة قليلة من الرقي والدخن والتجريد فهذا النوع هو المسمى بالعزائم وعمل تسخير الجن.^(٨)

(٢) في المصدر: «على».

(٤) التفسير الكبير ج ٣ ص ٢٠٨ - ٢١٠.

(٦) في المصدر: «فالخير هم مؤمنوا».

(٨) التفسير الكبير ج ٣ ص ٢١٠ - ٢١١.

(١) في المصدر: «عن الثاني».

(٣) في المصدر: «مشتغل».

(٥) بقية كلام الفخر الرازي.

(٧) في المصدر: «أسهل ولأن المشابهة».

النوع الرابع من السحر التخيلات والأخذ بالعيون

فهذا النوع مبني على مقدمات أحدها أن أغلاط البصر كثيرة فإن راكب السفينة إذا نظر إلى الشط رأى السفينة واقفة والشط متحركاً وذلك يدل على أن الساكن يرى متحركاً والمتحرك يرى ساكناً والقطرة النازلة ترى خطاً مستقيماً والزبالة^(١) التي تدار بسرعة ترى دائرة والقبعة^(٢) ترى في الماء كالإجاصة والشخص الصغير يرى في الضباب عظيماً وكبخار الأرض الذي يريك قرص الشمس عند طلوعها عظيماً فإذا فارقت وأرتفعت صغرت وأما رؤية العظيم من البعيد صغيراً فظاهر فهذه الأشياء قد هدت العقول إلى أن القوة الباصرة قد تبصر الشيء على خلاف ما هو عليه في الجملة لبعض الأسباب العارضة.

وثانيها: أن القوة الباصرة إنما تقف على المحسوس وقوفاً تاماً إذا أدركت المحسوس في زمان له مقدار فأما إذا أدركت المحسوس في زمان صغير جداً ثم أدركت بعده محسوساً آخر وهكذا فإنه يختلط البعض ببعض ولا يتميز بعض المحسوسات عن البعض ولذلك فإن الرحي إذا أخرجت من مركزها إلى محيطها خطوطاً كثيرة بألوان مختلفة ثم استدارت فإن الحس يرى لونها واحداً كأنه مركب من كل تلك الألوان.

وثالثها: أن النفس إذا كانت مشغولة بشيء فربما حضر عند الحس شيء آخر فلا يشعر الحس به البتة كما أن الإنسان عند دخوله على السلطان قد يلقاه إنسان^(٣) ويتكلم معه فلا يعرفه ولا يفهم كلامه لما أن قلبه مشغول بشيء آخر وكذا الناظر في المرأة فإنه ربما قصد أن يرى قذاة في عينه فيراها ولا يرى ما هو أكثر^(٤) منها إن كان بوجهه أثر أو بجبهته أو بسائر أعضائه التي تقابل المرأة وربما قصد أن يرى سطح المرأة هل هو مستو أم لا فلا يرى شيئاً مما في المرأة إذا عرفت هذه المقدمات سهل عند ذلك تصور كيفية هذا النوع من السحر وذلك لأن المشعذ الحاذق يظهر عمل شيء يشغل أذهان الناظرين به ويأخذ عيونهم إليه حتى إذا استفرغ عنهم^(٥) الشغل بذلك الشيء والتحديث نحوه عمل شيئاً آخر عملاً بسرعة شديدة فيبقى ذلك العمل خفياً لتعلمون^(٦) الشيئين أحدهما اشتغالهم بالأمر الأول والثاني سرعة الإتيان بهذا العمل الثاني وحينئذ يظهر لهم شيء آخر غير ما انتظروه فيتعجبون منه جداً ولو أنه سكت ولم يتكلم بما يصرف الخواطر إلى ضد ما يريد أن يعمل ولم تتحرك النفوس والأوهام إلى غير ما يريد إخراجها لفظن الناظرون لكل ما يفعله فهذا هو المراد من قولهم إن المشعذ يأخذ بالعيون لأنه بالحقيقة يأخذ بالعيون إلى غير الجهة التي يحتال^(٧) وكلما كان أخذه للعيون والخواطر وجذبها إليها إلى سواء^(٨) مقصوده أقوى كان أحذق في عمله وكلما كانت الأحوال التي تفيد حس البصر نوعاً من أنواع الخلل أشد كان هذا العمل أحسن مثل أن يجلس المشعذ في موضع مضيء جداً فإن الضوء الشديد يفيد البصر كلالاً واختلالاً وكذا الظلمة الشديدة وكذلك الألوان المشرقة القوية تفيد البصر كلالاً واختلالاً والألوان المظلمة قلما تقف القوة الباصرة على أحوالها فهذا مجامع القول في هذا النوع من السحر.^(٩)

النوع الخامس من السحر

الأعمال العجيبة التي تطرأ^(١٠) من تركيب الآلات المركبة على النسب الهندسية تارة وعلى ضروب الخيلاء أخرى مثل فارسين يقتتلان فيقتل أحدهما الآخر وكفارس على فرس في يده بوق كلما مضت ساعة من النهار ضرب البوق من غير أن يسه أحد ومنها الصور التي تصورها الروم وأهل الهند حتى لا يفرق الناظر بينها وبين الإنسان حتى يصورونها ضاحكة وبكية وحتى يفرق فيها بين ضحك السرور وضحك الخجل وضحك الشامت فهذه الوجوه من لطيف أمور التخائيل^(١١) وكان سحر سحرة فرعون من هذا الضرب ومن هذا الباب تركيب صندوق الساعات ويتدرج في هذا الباب علم جر الأثقال وهو أن يجز ثقبلاً عظيماً بآلة خفيفة وهذا في الحقيقة لا ينبغي أن

(١) في المصدر: «الذبالة».

(٢) في المصدر: «أكبر».

(٣) في المصدر: «أكبر».

(٤) في المصدر: «لغاوت».

(٥) في المصدر: «سوى».

(٦) في المصدر: «تظهر».

(٧) في المصدر: «الذبالة».

(٨) في المصدر: «إضافة: «آخر».

(٩) في المصدر: «إذا استفرغهم».

(١٠) في المصدر: «إضافة: «فيها».

(١١) التفسير الكبير ج ٣ ص ٢١١ - ٢١٢.

(١٢) في المصدر: «المخايل».

يعده من باب السحر لأن لها أسبابا معلومة معينة^(١) من أطلع عليها قدر عليها إلا أن الاطلاع عليها لما كان عسرا شديدا لا يصل إليه إلا الفرد بعد الفرد لا جرم عد أهل الظاهر ذلك من باب السحر ومن هذا الباب عمل أرجعانونوس الموسيقات^(٢) في هيكل أورشليم العتيق عند تجديده إياه وذلك أنه اتفق له أن كان مجتازا بفلاة من الأرض فوجد فيها فرخا من فراخ البراصل والبراصل هو طائر عطوف فكان يصفر صغيرا حزينا بخلاف صغير سائر البراصل فكانت البراصل تجيشه بلطائف الزيتون فتطرحها عنده فيأكل بعضها ويفضل بعضها عن حاجته فوقف هذا الموسيقات هناك وتأمل حال هذا الفرخ و علم أن في صغيره المخالف لصغير البراصل ضربا من التوجع والاستعطاف حتى رقت له الطيور وجاءته بما يأكله فتلطفت لعمل^(٣) آلة تشبه الصفارة إذا استقبل الريح بها أدت ذلك الصغير ولم يزل يجرب ذلك حتى وثق بها وجاءته البراصل بالزيتون كما كانت تجيء إلى ذلك الفرخ لأنها تظن أن هناك فرخا من جنسها فلما صح له ما أراد أظهر النسك وعمد إلى هيكل أورشليم وسأل عن الليلة التي دفن فيها أسطرحن^(٤) الناسك القيم بعمارة ذلك الهيكل فأخبر أنه دفن في أول ليلة من آب فأخذ^(٥) صورة من زجاج مجوف على هيئة البرصلة ونصبها فوق ذلك الهيكل وجعل فوق تلك الصورة قبة وأمرهم بفتحها في أول آب فكان يظهر صوت البرصلة بسبب نفوذ الريح في تلك الصورة وكانت البراصل تجيء بالزيتون حتى كانت تمتلئ القبة كل يوم من ذلك الزيتون والناس اعتقدوا أنه من كرامات ذلك المدفون ويدخل في هذا الباب أنواع كثيرة لا يليق شرحها في هذا الموضع.

النوع السادس من السحر

الاستعانة بخواص الأدوية من أن^(٦) يجعل في طعامه بعض الأدوية المبلدة المزيلة للعقل والدخن المسكرة نحو دماغ الحمار إذا تناول الإنسان تبدل عقله وقلت فطنته واعلم أنه لا سبيل إلى إنكار الخواص فإن أثر المغناطيس مشاهد إلا أن الناس قد أكثروا فيه وخطوا الصدق بالكذب والباطل بالحق.^(٧)

النوع السابع من السحر

تعليق القلب وهو أن يدعي الساحر أنه قد عرف الاسم الأعظم وأن الجن يطيعونه ويتقادون له في أكثر الأمور فإذا اتفق أن كان السامع لذلك ضعيف العقل قليل التميز اعتقد أنه حق وتعلق قلبه بذلك وحصل في نفسه نوع من الرعب والخافة فإذا حصل الخوف ضعفت القوى الحساسة فحينئذ يتمكن الساحر من أن يفعل حينئذ ما شاء وإن من جرب الأمور وعرف أحوال العالم^(٨) علم أن لتعلق القلب أثرا عظيما في تنفيذ الأعمال وإخفاء الأسرار.

النوع الثامن من السحر

السعي بالنميمة والتضريب من وجوه خفية لطيفة وذلك شائع في الناس فهذا جملة الكلام في أقسام السحر و شرح أنواعه وأصنافه والله أعلم.^(٩)

المسألة الحادية عشر^(١٠): في أقوال المسلمين أن هذه الأنواع هل هي ممكنة أم لا أما المعتزلة فقد اتفقوا على إنكارها إلا النوع المنسوب إلى التخيل والمنسوب إلى إطعام بعض الأدوية المبلدة والمنسوب إلى التضريب والنميمة وأما الأقسام الخمسة الأولى فقد أنكروها ولعلمهم كفروا من قال بها وجوز وجودها وأما أهل السنة فقد جوزوا أن يقدر الساحر على أن يطير في الهواء ويقلب الإنسان حمارا والحمار إنسانا إلا أنهم قالوا إن الله تعالى هو الخالق لهذه الأشياء عند ما يقرأ الساحر رقي مخصوصة وكلمات معينة فأما أن يكون المؤثر في ذلك هو الفلك والنجوم فلا وأما الفلاسفة والمنجمون والصائبة فقولهم على ما سلف تقريره.

واحتج أصحابنا على فساد قول الصائبة أنه قد ثبت أن العالم محدث فوجب أن يكون موجودة قادرا فإن الشيء الذي حكم العقل بأنه مقدوره إنما يصح أن يكون مقدورا له لكونه ممكنا والإمكان قدر مشترك بين كل الممكنات

(١) في المصدر: «تعيين».

(٢) في المصدر: «أسطرخس».

(٣) في المصدر: «مثل أن».

(٤) في المصدر: «أهل العلم».

(٥) في المصدر: «المسألة الرابعة».

(١) في المصدر: «تعيين».

(٢) في المصدر: «يحمل».

(٣) في المصدر: «فاتخذ».

(٧) التفسير الكبير ج ٣ ص ٢١٢.

(٩) التفسير الكبير ج ٣ ص ٢١٣.

فإذن كل الممكنات مقدور لله و لو وجد شيء من تلك المقدورات بسبب آخر يلزم أن يكون ذلك السبب مزيلا لتعلق قدرة الله تعالى بذلك المقدور فيكون الحادث سببا لعجز الله و هو محال فثبت أنه يستحيل وقوع شيء من الممكنات إلا بقدرة الله و عنده يبطل كل ما قاله الصائفة.

قالوا: إذا ثبت هذا النوع فندعي أنه لا يتمتع وقوع هذه الخوارق بإجراء العادة عند سحر السحرة فقد احتجوا على وقوع هذا النوع من السحر بالقرآن و الخبر أما القرآن فبقوله تعالى في هذه الآية ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا يَذِنُ اللَّهُ﴾ (١) و الاستثناء يدل على حصول الآثار بسببه و أما الأخبار (٢) فأحدها ما روي أنه ﷺ سحر و أن السحر عمل فيه حتى قال إنه ليخيل إلي أنني أقول الشيء و أفعله و لم أقله و لم أفعله و إن امرأة يهودية سحرتة و جعلت ذلك السحر تحت راعوفة البشر فلما استخرج ذلك زال عن النبي ﷺ ذلك العارض و نزلت (٣) المعوذتان بسببه.

و ثانيها: أن امرأة أتت عائشة فقالت لها إني ساحرة فهل لي من توبة فقالت و ما سحرِك فقالت صرت إلى الموضع الذي فيه هاروت و ماروت ببابل أعلم علم السحر (٤) فقالا لي يا أمة الله لا تختاري عذاب الآخرة بأمر الدنيا فأبيت فقالت لي اذهبي فبولي على ذلك الرماذ فذهبت لأبول عليه ففكرت في نفسي فقلت لا فعلت (٥) و جئت إليهما فقلت قد فعلت فقالا لي ما رأيت لما فعلت فقلت ما رأيت شيئا فقالا لي أنت على رأس أمرِك فاتقي الله و لا تفعلِي فأبيت فقالا لي اذهبي فافعلي فذهبت ففعلت فرأيت كأن فارسا مقنعا بالحدديد قد خرج من فرجي فصعد إلى السماء فجتتهما فأخبرتهما فقالا إيمانك قد خرج عنك فقد أحسنت السحر فقلت و ما هو قالا لا تريدن شيئا فتصورينه في وهمك إلا كان فصورت في نفسي حيا من حنطة فإذا أنا بحب فقلت انزع فانزع فخرج من ساعتِه سنبلا فقلت انطنح فانطنح فقلت انخير فانخير و أنا لا أريد شيئا أصوره في نفسي إلا حصل فقالت عائشة ليست لك توبة.

وثالثها: ما يذكرونه من الحكايات الكثيرة في هذا الباب و هي مشهورة أما المعتزلة فقد احتجوا على إنكاره بوجوه أحدها قوله تعالى ﴿وَلَا يَفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ (٦) و ثانيها: قوله تعالى في صفة محمد ﷺ ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَشْهُورًا﴾ (٧) و لو صار مسحورا لما استحقوا الذم بسبب هذا القول و ثالثها: أنه لو جاز ذلك من الساحر فكيف يتميز المعجز من السحر ثم قالوا هذه الدلائل يقينية و الأخبار التي ذكرتموها من باب الآحاد فلا تصلح معارضة لهذه الدلائل.

المسألة الثانية عشر (٨): في أن العلم بالسحر ليس بقبیح و لا محظور.

اتفق المحققون على ذلك لأن العلم لذاته شريف و أيضا لعموم قوله تعالى ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَظْلُمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَظْلُمُونَ﴾ (٩) و لأن السحر لو لم يعلم (١٠) لما أمكن الفرق بينه و بين المعجز و العلم يكون المعجز معجزا واجب و ما يتوقف الواجب عليه فهو واجب فهذا يقتضي أن يكون تحصيل العلم بالسحر واجبا و ما يكون واجبا كيف يصير حراما و قبيحا. (١١)

المسألة الثالثة عشر (١٢): في أن الساحر هل يكفر أم لا؟ اختلف الفقهاء في أن الساحر هل يكفر أم لا؟ روي عن النبي ﷺ أنه قال من أتى كاهنا أو عرافا فصدهما بقول فقد كفر بما أنزل على محمد. و اعلم أنه لا نزاع بين الأمة في أن من اعتقد أن الكواكب هي المدبرة لهذا العالم و هي الخالقة لما فيه من الحوادث و الخيرات (١٣) و الشرور فإنه يكون كافرا على الإطلاق و هذا هو النوع الأول من السحر و أما النوع الثاني و هو أن يعتقد أنه قد يبلغ روح الإنسان في التصفية و القوة إلى حيث يقدر بها على إيجاد الأجسام و الحياة و القدرة (١٤) و تغيير البنية و الشكل فالأظهر

(١) سورة البقرة، آية: ١٠٢.

(٢) في المصدر إضافة: «فهي واردة عنه صلى الله عليه و آله و سلم متواترة و آحادا، أحداها».

(٣) في المصدر: «و أنزل».

(٤) في المصدر: «لطلب علم السحر».

(٥) سورة طه، آية: ٦٩.

(٦) في المصدر: «سورة الفرقان، آية: ٨».

(٧) سورة الزمر، آية: ٩.

(٨) في المصدر: «لو لم يكن يعلم».

(٩) في المصدر: «المسألة السادسة».

(١٠) في المصدر إضافة: «و العقل».

(١١) التفسير الكبير ج ٣ ص ٣١٤.

(١٢) من المصدر.

إجماع الأمة أيضا على تكفيره أما النوع الثالث وهو أن يعتقد الساحر أنه قد يبلغ في التصفية وقراءة الرقي وتدين بعض الأدوية إلى حيث يخلق الله تعالى في عقب أفعاله على سبيل العادة الأجسام والحياة والقدرة وتغيير البنية والشكل فهنا المعتزلة اتفقوا على تكفير من يجوز ذلك قالوا لأنه مع هذا الاعتقاد لا يمكن أن يعرف صدق الأنبياء والرسل وهذا ركيك من القول فإن لقائل أن يقول إن الإنسان لو ادعى النبوة وكان كاذبا في دعواه فإنه لا يجوز من الله تعالى إظهار هذه الأشياء على يده لئلا يحصل التلبس أما إذا لم يدع النبوة وظهرت هذه الأشياء على يده لم يفض ذلك إلى التلبس لأن المحق يتميز عن المبطل بما أن المحق تحصل له هذه الأشياء مع ادعاء النبوة وأما سائر الأنواع التي عددناها من السحر فلا شك أنه ليس بكفر.

فإن قيل: إن اليهود لما أضافوا السحر إلى سليمان قال الله تعالى تنزيها^(١) عنه ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ وهذا يدل على أن السحر على الإطلاق كفر وأيضاً قال ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾^(٢) وهذا أيضا يقتضي أن يكون السحر على الإطلاق كفرا وحكي عن الملكين أنهما لا يعلمان أحدا السحر حتى يقولوا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرُ وهو يدل على أن السحر كفر على الإطلاق.

قلنا: حكاية الحال يكفي في صدقها صورة واحدة فتحملها على سحر من يعتقد إلهية النجوم.

ثم قال بعد إيراد المسألة الرابعة عشر^(٣) في حكم قتل الساحر فهذا هو الكلام الكلي في السحر ولنرجع إلى التفسير: أما قوله تعالى ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾^(٤) فظاهر الآية يقتضي أنهم إنما كفروا لأجل أنهم كانوا يعلمون الناس^(٥) السحر لأن ترتيب الحكم على الوصف مشعر بالعلية وتعليم ما لا يكون كفرا لا يوجب الكفر فصارت الآية دالة على أن تعليم السحر كفر وعلى أن السحر أيضا كفر ولعن منع ذلك أن يقول لا نسلم أن ترتيب الحكم على الوصف مشعر بالعلية بل المعنى أنهم كفروا وهم مع ذلك يعلمون السحر.

فإن قيل: هذا مشكل لأن الله أخبر في آخر الآية أن الملكين يعلمان السحر فلو كان تعليم السحر كفرا لزم تكفير الملكين وأنه غير جائز لما ثبت أن الملائكة بأسرهم معصومون وأيضاً فلائكم دللت على أنه ليس كلما يسمى سحرا فهو كفر.

قلنا: اللفظ المشترك لا يكون عاما في جميع مسمياته فنحن نحمل هذا السحر الذي هو كفر على النوع الأول من الأشياء المسماة بالسحر وهو اعتقاد إلهية الكواكب والاستعانة بها في إظهار المعجزات وخوارق العادات فهذا السحر كفر والشياطين إنما كفروا بإتيانهم بهذا السحر لا بسائر الأقسام وأما الملكان فلا نسلم أنهما إنما علما هذا النوع من السحر بل لعلهما يعلمان سائر الأنواع على ما قال تعالى ﴿فَيَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ وأيضاً في تقدير أن يقال إنهما علما هذا النوع^(٦) إنما يكون كفرا إذا قصد المعلم أن يعتقد المتعلم حقيقته وكونه صوابا فأما أن يعلمه ليحترز عنه فهذا التعليم لا يكون كفرا وتعليم الملائكة كان لأجل أن يصير المكلف محترزا عنه على ما قال تعالى حكاية عنهما ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ وأما الشياطين الذين علموا السحر الناس فكان مقصودهم اعتقاد حقية هذه الأشياء فظهر الفرق^(٧).

المسألة الخامسة عشر^(٨): قرأ نافع وابن كثير وعاصم وأبو عمرو بتشديد ﴿لَكِنَّ﴾ و﴿الشَّيَاطِينَ﴾ بالنصب على أنه اسم لكن والباقون ﴿لَكِنْ﴾ بالتخفيف و﴿الشياطين﴾ بالرفع والمعنى واحد.

أما قوله تعالى ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾^(٩) ففيه مسائل. الأولى ما في قوله ﴿وَمَا أُنْزِلَ﴾ فيه وجهان الأول أنه بمعنى الذي ثم هؤلاء اختلفوا فيه على ثلاثة أقوال أولها أنه عطف على السحر أي يعلمون الناس السحر ويعلمونهم ما أنزل على الملكين أيضا. وثانيها: أنه عطف على قوله ﴿مَا تَلَوَّا الشَّيَاطِينَ﴾ أي واتبعوا

(١) في المصدر إضافة: «له».

(٢) في المصدر: «المسألة السابعة».

(٣) سورة البقرة، آية: ١٠٢.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٠٢.

(٥) في المصدر إضافة: «لكن تعليم هذا النوع».

(٦) في المصدر: «المسألة الثامنة».

(٧) التفسير الكبير ج ٣ ص ٢١٥ - ٢١٧.

(٨) سورة البقرة، آية: ١٠٢.

ما تتلوا الشياطين افتراء على ملك سليمان وما أنزل على الملكتين لأن السحر منه ما هو كفر وهو الذي تتلوا الشياطين ومنه ما تأثيره بالتفريق بين المرء وزوجه وهو الذي أنزل على الملكين فكانه تعالى أخبر عن اليهود بأنهم اتبعوا كلا الأمرين ولم يقتصروا على أحدهما وثالثها: أن موضعه جر عطفاً على «ملك سليمان» وتقديره ما تتلوا الشياطين افتراء على ملك سليمان وعلى ما أنزل على الملكين وهو اختيار أبي مسلم وأنكر في الملكين أن يكون السحر نازلاً عليهما. واحتج عليه بوجه: الأول أن السحر لو كان نازلاً عليهما لكان منزله هو الله تعالى وذلك غير جائز لأن السحر كفر وعبث ولا يليق بالله تعالى إنزال ذلك. الثاني: أن قوله «وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ» يدل على أن تعليم السحر كفر ولو ثبت في الملائكة أنهم يعلمون السحر لزمهم الكفر وذلك باطل. الثالث: كما لا يجوز في الأنبياء أن يبعثوا لتعليم السحر فكذلك في الملائكة بالطريق الأولي. الرابع: أن السحر لا يضاف إلا إلى الكفرة والفسقة والشياطين المردة فكيف يضاف إلى الله ما ينهى عنه ويتوعد عليه بالعقاب وهل السحر إلا الباطل المموء وقد جرت عادة الله تعالى بإبطاله كما قال في قصة موسى ﷺ «مَا جِئْتُمْ بِهِ سِحْرٌ إِنَّ اللَّهَ سَبَّطَهُ» (١).

٣٠٢
٥٩

ثم إنه سلك في تفسير الآية مسلماً آخر يخالف قول أكثر المخالفين (٢) فقال كما أن الشياطين نسبوا السحر إلى ملك سليمان مع أن ملك سليمان كان مبرأ عنه فكذلك نسبوا ما أنزل على الملكين إلى السحر مع أن المنزل عليهما كان مبرأ عن السحر وذلك لأن المنزل عليهما كان هو الشرع والدين والدعاء إلى الخير وأنها كانا يعلمان الناس ذلك مع قولهما «إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ» توكيدا لبعثهم على القبول والتمثل (٣) فكانت طائفة تتمثل (٤) وأخرى تخالف وتعدل عن ذلك «فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا» أي من الفتنة والكفر مقدار ما يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وهذا تقرير مذهب أبي مسلم.

الوجه الثاني: أن يكون «ما» بمعنى الجحد ويكون معطوفاً على قوله «وَمَا كَفَرُ سُلَيْمَانُ» (٥) كأنه قال لم يكفر سليمان ولم ينزل على الملكين سحر لأن السحرة كانت تضيف السحر إلى سليمان وتزعم أنه مما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت فرد الله عليهم في القولين وقوله «وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ» جحد أيضاً أي لا يعلمان أحداً بل ينهيان عنه أشد النهي وأما قوله «حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ» أي ابتلاء وامتحان «فَلَا تَكْفُرْ» فهو كقولك ما أمرت فلانا بكذا حتى قلت له إن فعلت كذا نالك كذا أي ما أمرته به بل حذرته عنه.

واعلم أن هذه الأقوال وإن كانت حسنة إلا أن القول الأول أحسن منها وذلك لأن عطف قوله «وَمَا أَنزَلَ» على ما يليه أولى من عطفه على ما بعد عنه إلا لدليل منفصل أما قوله لو نزل السحر عليهما لكان منزل ذلك السحر هو الله تعالى قلنا تعريف صفة الشيء قد يكون لأجل الترغيب في إدخاله في الوجود وقد يكون لأجل أن يقع الاحتراز عنه كما قال الشاعر.

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه.

قوله ثانياً: إن تعليم السحر كفر لقوله تعالى «وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ» فالجواب أنا بينا أنه واقعة حال فيكون في صدقها صورة واحدة وهي ما إذا اشتغل بتعليم سحر من يقول بالهوية الكواكب ويكون قصده من ذلك التعليم إثبات أن ذلك المذهب حق قوله ثالثاً إنه لا يجوز بعتة الأنبياء لتعليم السحر فكذا الملائكة قلنا لا نسلم أنه لا يجوز بعتة الأنبياء لتعليمه بحيث يكون الغرض من ذلك التعليم التنبيه على إبطاله قوله رابعاً إنما يضاف السحر إلى الكفرة أو المردة فكيف يضاف إلى الله ما ينهى عنه قلنا فرق بين العمل وبين التعليم فلم لا يجوز أن يكون العمل به منها عنه وأما تعليمه لغرض التنبيه على فساد فإنه يكون مأموراً به.

المسألة الثانية: قرأ الحسن الملكين بكسر اللام وهو مروي أيضاً عن الضحاك وابن عباس ثم اختلفوا فقال الحسن كانا عجلين ألقين ببابل يعلمان الناس السحر وقيل كانا رجلين صالحين من الملوك والقراء المشهورين بفتح

٣٠٤
٥٩

(٢) في المصدر: «المفسرين».

(١) سورة يونس، آية: ٨١.

(٤) في المصدر: «تمسك».

(٣) في المصدر: «التمسك».

(٥) سورة البقرة، آية: ١٠٢.

اللام و هما كانا ملكين نزلا من السماء و هاروت و ماروت اسمان لهما ثم قيل هما جبرئيل و ميكائيل و قيل غيرهما أما الذين كسروا اللام فقد احتجوا بوجوه أحدها أنه لا يليق بالملائكة تعليم السحر و ثانيها: كيف يجوز إنزال الملكين مع قوله ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَفُضِّيَ الْأَثَرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾ و ثالثها: لو أنزل الملكين لكان إما أن يجعلهما في صورة رجلين أو لا يجعلهما كذلك فإن جعلهما في صورة رجلين مع أنهما ليسا برجلين كان ذلك تجهيلا و تليسا^(١) و هو غير جائز و لو جاز ذلك فلم لا يجوز أن يكون كل واحد من الناس الذين نشاهدهم لا يكون في الحقيقة إنسانا بل ملكا من الملائكة و إن لم يجعلهما في صورة الرجلين قدح ذلك في قوله تعالى ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ و الجواب عن الأول أنا سنبين وجه الحكمة و إنزال الملائكة لتعليم السحر و عن الثاني أن هذه الآية عامة و قراءة الْمَلَائِكِينَ بفتح اللام متواترة و خاصة و الخاص يقدم على العام و عن الثالث أن الله تعالى ينزلهما^(٢) في صورة رجلين و كان الواجب على المكلفين في زمان الأنبياء أن لا يقطعوا على من صورته صورة الإنسان بكونه إنسانا كما أن في زمان الرسول ﷺ كان الواجب على من شاهد دحية الكلبي أن لا يقطع بكونه من البشر بل الواجب التوقف فيه.

المسألة الثالثة: إذا قلنا بأنهما كانا من الملائكة فقد اختلفوا في سبب نزولهما فروى عن ابن عباس أن الملائكة لما قالت ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾^(٣) فأجابهم الله تعالى بقوله ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ثم إن الله وكل عليهم جمعا من الملائكة و هم الكرام الكاتبون فكانوا يعرجون بأعمالهم الخبيثة فعجبت الملائكة منهم و من تبقية الله إياهم مع ما يظهر منهم من القبائح ثم أضافوا إليها عمل السحر فازداد تعجب الملائكة فأراد الله تعالى أن يتبلي الملائكة فقال لهم اختاروا ملكين من أعظم الملائكة علما و زهدا و ديانة لإنزالهما إلى الأرض فاختبرهما فاختاروا هاروت و ماروت و ركب فيهما شهوة الإنس و أنزلهما و نهاهما عن الشرك و القتل و الزنا و الشرب فنزلا فذهب إليهما امرأة من أحسن النساء و هي الزهرة فراودها عن نفسها فأبت إلا بعد أن يعبدا الصنم و إلا بعد أن يشربا^(٤) فامتعتا أولا ثم غلبت الشهوة عليهما فأطاعا في كل ذلك فعند إقدامهما على الشرب و عبادة الصنم دخل سائل عليهم فقالت إن أظهر هذا السائل للناس ما رأي منا فسد أمرنا فإن أردتما الوصول إلي فاقطلا هذا الرجل فامتعتا منه ثم اشتغلا بقتله فلما فرغا من القتل طلبا المرأة فلم يجدها ثم إن الملكين عند ذلك ندما و تحسرا و تضرعا إلى الله تعالى فخيرهما بين عذاب الدنيا و عذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا و هما معذبان ببابل معلقان بين السماء و الأرض يعلمان الناس السحر.

ثم لهم في الزهرة قولان أحدهما أن الله تعالى لما ابتلى الملكين بشهوة بني آدم أمر الله الكوكب الذي يقال له الزهرة و فلكلها حتى هبط^(٥) إلى الأرض إلى أن كان ما كان فحينئذ ارتفعت الزهرة و فلكلها إلى موضعها من السماء موبخين لهما على ما شاهدها منهما و القول الثاني أن المرأة كانت فاجرة من أهل الأرض و واقعا بعد شرب الخمر و قتل النفس و عبادة الصنم ثم علمها الاسم الذي به كانا يعرجان إلى السماء فتكلمت به و عرجت إلى السماء و كان اسمها بيدخت فمسخها الله تعالى و جعلها هي الزهرة.

و اعلم أن هذه الرواية فاسدة مردودة غير مقبولة لأنه ليس في كتاب الله ما يدل عليها بل فيه ما يبطلها من وجوه الأول: ما تقدم من الدلائل الدالة على عصمة الملائكة عن كل المعاصي و ثانيها: أن قولهم إنها خيرا بين عذاب الدنيا و عذاب الآخرة فاسد بل كان الأولى أن يخيرا بين التوبة و العذاب لأن الله تعالى خير بينهما من أشرك به طول عمره فكيف ييخل عليهما بذلك و ثالثها: أن من أعجب الأمور قولهم إنها يعلمان الناس السحر في حال كونهما معذبين و يدعوان إليه و هما يعاقبان.

ولما ظهر فساد هذا القول فنقول السبب في إنزالهما وجوه أحدها: أن السحرة كثرت في ذلك الزمان و استتبعت أبوابا غريبة و كانوا يدعون النبوة و يتحدون الناس بها فبعت الله تعالى هذين الملكين لأجل أن يعلما الناس أبواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة أولئك الذين كانوا يدعون النبوة كذبا و لا شك أن هذا من أحسن الأغراض و المقاصد.

(٢) في المصدر: «نزلهما».

(٤) في المصدر إضافة: «الخمر».

(١) في المصدر إضافة: «على الناس».

(٣) سورة البقرة، آية: ٣٠.

(٥) في المصدر: «أن أهبط» بدل «حتى هبط».

و ثانيها: أن العلم يكون المعجزة مخالفاً للسحر متوقف على العلم بماهية المعجزة^(١) والناس كانوا جاهلين بماهية السحر فلا جرم تعذرت عليهم معرفة حقيقة المعجزة فبعث الله هذين الملكين لتعريف ماهية السحر لأجل هذا الغرض و ثالثها: لا يتنع أن يقال السحر الذي يوقع الفارقة بين أعداء الله و الألفة بين أولياء الله كان مباحا عندهم أو مندوبا فالله تعالى بعث الملكين لتعليم السحر لهذا الغرض ثم إن القوم تعلموا ذلك منها و استعملوه في الشر و إيقاع الفارقة بين أولياء الله و الألفة بين أعداء الله و رابعها: أن تحصيل العلم بكل شيء حسن و لما كان السحر منهيّا عنه وجب أن يكون متصورا معلوما لأن الذي لا يكون متصورا امتنع النهي عنه و خامسها: لعل الجن كان عندهم أنواع من السحر لم يقدر البشر على الإتيان بمثلها فبعث الله الملائكة ليعلموا البشر أمورا يقدرون بها على معارضة الجن و سادسها: يجوز أن يكون ذلك تشديدا في التكليف من حيث^(٢) إذا علمه ما أمكنه أن يتوصل به إلى اللذات العاجلة ثم منعه من استعمالها كان ذلك في نهاية المشقة فيستوجب به الثواب الزائد كما ابتلى قوم طالوت بالنهر على ما قال فَصْنُ شَرْبِ مِئَةٍ فَلَيْسَ بِيَّيْ وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي ثبِتَ بهذه الوجوه أنه لا يبعد من الله تعالى إنزال الملكين لتعليم السحر. المسألة الرابعة: قال بعضهم هذه الواقعة إنما وقعت في زمان إدريس عليه السلام لأنهما إذا كانا ملكين نزلا بصورة البشر لهذا الغرض فلا بد من رسول في وقتها ليكون ذلك معجزة له و لا يجوز كونهما رسولين لأنه ثبت أنه تعالى لا يبعث الرسول من الملائكة إلى الإنس و الله أعلم.

٣٠٧
٥٩

المسألة الخامسة: هَارُوتَ وَ مَارُوتَ عطف بيان لملكين. علما لهما و هما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف و لو كانا من الهرت و المروت و هو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا و قرأ الزهري هاروت و ماروت بالرفع على هما هاروت و ماروت و أما قوله تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾^(٣) فاعلم أنه تعالى شرح حالهما فقال و هذان الملكان لا يعلمان السحر إلا بعد التحذير الشديد من العمل به و هو قولهما إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ و المراد هاهنا بالفتنة المحنة التي بها يتميز المطيع عن العاصي كقولهم فتنت الذهب بالنار إذا عرض على النار ليميز الخالص عن المشوب و قد بينا الوجوه في أنه كيف يحسن بعثة الملكين لتعليم السحر فالمراد أنهما لا يعلمان أحدا السحر و لا يصفانه لأحد و لا يكشفان له وجوه الاحتيال حتى يبذلا له النصيحة فيقولوا له ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ أي هذا الذي نصفه لك و إن كان الغرض فيه أن يتميز السحر^(٤) من المعجز و لكنه يمكنك أن تتوصل^(٥) إلى المفاسد و المعاصي فإياك بعد و قوفك عليه أن تستعمله فيما نهيت عنه أو تتوصل به إلى شيء من الأغراض العاجلة.

أما قوله ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ﴾ ففيه مسائل:

المسألة الأولى: ذكروا في تفسير هذا التفريق وجهين: الأول: أن هذا التفريق إنما يكون بأن يعتقد أن ذلك السحر مؤثر في هذا التفريق فيصير كافرا و إذا صار كافرا بآت منه امرأته فيحصل التفريق بينهما الثاني يفرق بينهما بالتأميم و التخيل^(٦) و التضريب و سائر الوجوه المذكورة.

٣٠٨
٥٩

المسألة الثانية: أنه تعالى لم يذكر ذلك لأن الذي يتعلمون منها ليس إلا هذا القدر لكن^(٧) هذه الصورة تنبيهها على سائر الصور فإن استنامة^(٨) المرء إلى زوجته و ركونه إليها معروف زائد على كل مودة فنبه بذكر ذلك على أن السحر إذا ما أمكن به هذا الأمر على شدته فغيره به أولى.

أما قوله ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ﴾^(٩) فإنه يدل على ما ذكرناه لأنه أطلق الضرر و لم يقصره على التفريق بين المرء و زوجته فدل ذلك على أنه تعالى إنما ذكره لأنه أعلى مراتبه.

أما قوله ﴿يَا أَيُّهَا اللَّهُ﴾ فاعلم أن الإذن حقيقة في الأمر و الله لا يأمر بالسحر و لأنه تعالى أراد عيبهم و ذمهم و لو كان قد أمرهم به لما جاز أن يذمهم عليه فلا بد من التأويل و فيه وجوه:

(١) في المصدر إضافة: «و بماهية السحر».
(٢) سورة البقرة، آية: ١٠٢.
(٣) في المصدر إضافة: «به».
(٤) في المصدر إضافة: «ذكر».
(٥) سورة البقرة، آية: ١٠٢.
(٦) في المصدر إضافة: «إنه».
(٧) في المصدر: «أن يتميز به الفرق بين السحر و بين المعجز».
(٨) في المصدر: «والحيل».
(٩) في المصدر: «استكانته».

أحدها: قال الحسن المراد منه التخليه يعني الساحر إذا سحر إنسانا فإن شاء الله منعه منه وإن شاء خلى بينه وبين ضرر السحر و ثانيها: قال الأصم المراد إلا يعلم الله وإنا سمي الأذن أدنا لأنه إعلام الناس وقت (١) الصلاة و سمي الأذن أدنا لأن بالحاسة القائمة بذلك يدرك الإذن وكذلك قوله «وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ» (٢) أي إعلام وقوله «فَأَذْنَاوًا يَحْزِبُ مِنَ اللَّهِ» (٣) معناه فاعلموا وقوله «فَقُلْ أَذَنْتُكُمْ» (٤) يعني أعلمتكم و ثالثها: أن الضرر الحاصل عند فعل السحر إنما يحصل بخلق الله تعالى وإيجاده وإيداعه و ما كان كذلك فإنه يصح أن يضاف إلى إذن الله تعالى كما قال «إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» (٥) و رابعها: أن يكون المراد بالإذن الأمر و هذا الوجه لا يليق إلا بأن يفسر التفريق بين المرء و زوجته بأن يصير كافرا و الكفر يقتضي التفريق فإن هذا حكم شرعي و ذلك لا يكون إلا بأمر الله.

أما قوله «وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاءٍ» فغيبه مسائل.

المسألة الأولى: إنما ذكر لفظ الشراء على سبيل الاستعارة لوجوه أحدها: أنهم لما نبيذوا كتاب الله وراء ظهورهم و أقبلوا على التمسك بما تتلوا الشياطين فكأنهم قد اشتروا ذلك السحر بكتاب الله و ثانيها: أن الملكين إنما قصدا بتعليم السحر الاحتراز عنه ليصل بذلك الاحتراز إلى منافع الآخرة فلما استعمل السحر فكأنه اشترى بمنافع الآخرة منافع الدنيا و ثالثها: أنه لما استعمل السحر علمنا أنه إنما تحمل المشقة ليتمكن من ذلك الاستعمال فكأنه اشترى بالمحن التي تحملها قدرته على ذلك الاستعمال.

المسألة الثانية: قال الأكثرون الخلاق النصيب قال القفال يشبه أن يكون أصل الكلمة من الخلق معناه التقدير ومنه خلق الأديم ومنه يقال قدر الرجل كذا درهمًا رزقا على عمل كذا وقال الآخرون الخلاق الخلاص قال أمية (٦) بن أبي صلت:

يدعون بالويل فيها لا خلاق لهم إلا سراويل قطران و أغسل

بقي في الآية سؤال و هو أنه كيف أثبت لهم العلم أولا في قوله «وَلَقَدْ عَلِمُوا» ثم نفاه عنهم في قوله «لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» (٧) و الجواب من وجوه أحدها: أن الذين علموا غير الذين لم يعلموا فالذين علموا هم الذين علموا السحر و دعوا الناس إلى تعلمه و هم الذين قال الله في حقهم «تَبَذَّ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» (٨) و أما الجهال الذين يرغبون في تعلم السحر فهم الذين لا يعلمون و هذا جواب الأخفش و قطرب و ثانيها: لو سلمنا أن القوم واحد ولكنهم علموا أشياء (٩) و جهلوا أشياء أخر علموا أنه ليس لهم في الآخرة خلاق (١٠) ولكنهم جهلوا مقدار ما فاتهم من منافع الآخرة و ما حصل لهم من مضارها و عقوباتها و ثالثها: لو سلمنا أن القوم واحد والمعلوم واحد ولكنهم لم ينتفعوا بعلمهم بل أغرضوا عنه فصار ذلك العلم كالعدم كما سمي الله تعالى الكفار صما وبكما و عميا إذ لم ينتفعوا بهذه الحواس و يقال للرجل في شيء يفعل لكنه لا يضعه موضعه صنعت ولم تصنع (١١) انتهى.

وإنما أوردت أكثر كلامهم في هذا المقام مع طوله و اشتماله على الزوائد الكثيرة لمناسبتها لما سيأتي في بعض الأبواب الآتية و لتطلع على مذاهبهم الواهية في تلك الأبواب و سأل شيخنا البهائي رحمه الله بعض أخلاته عن قول البيضاوي في تفسير هذه الآية (١٢) حيث قال و ما روي من أنهما مثلا بشرين و ركبت فيهما الشهوة فتعرضا لمرأة يقال لها الزهرة فحملتهما على المعاصي و الشرك ثم صعدت السماء بما تعلمت منهما فمحكى عن اليهود و لعنه من رموز الأوائل و حله لا يخفى على ذوي البصائر بينوا حتى نصير من ذوي البصائر (١٣) فأجاب الشيخ رحمه الله بعد أن أورد هذه القصة نحوا مما رواه الرازي (١٤) في هذه القصة هي ما رواه قدامة المفسرين من العامة عن ابن عباس و لم

(١) في المصدر: «لنأس يوقت».

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٧٩.

(٣) سورة النحل، آية: ٤٠.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٠٢.

(٥) في المصدر: «شيئا».

(٦) التفسير الكبير ج ٣ ص ٢١٧ - ٢٢٢.

(٧) أنوار التنزيل ج ١ ص ٧٩.

(٨) سورة التوبة، آية: ٣.

(٩) سورة الأنبياء، آية: ١٠٩.

(١٠) في المصدر: «و منه قول أمية».

(١١) سورة البقرة، آية: ١٠١.

(١٢) من المصدر.

(١٣) أي آية: «و ما أنزل على الملكين».

(١٤) مَرَّتْ رواية الرازي قبل قليل.

يرتض بهذه الرواية متأخروهم وأطنب الفخر الرازي وغيره في تزييفها وقال إنها فاسدة مردودة غير مقبولة لوجوه ثلاثة إلى آخر ما نقلناه من الوجوه في عرض كلامه ثم قال وفي كل من هذه الوجوه نظر أما الأول فلأنه لم يثبت بقاؤهما على العصمة بعد أن مثلتهما الله سبحانه بصورة البشر وركب فيهما قوتي الشهوة والغضب وجعلهما كسائر بني آدم كما يظهر من القصة وأما الثاني فلأن التخيير بين التوبة والعذاب وإن كان هو الأصلح بحالهما لكن فعل الأصلح مطلقا غير واجب عليه سبحانه على مذهب هذا المفسر بل فعل الأصلح الذي من هذا القبيل غير واجب عندنا أيضا فإننا لا نوجب عليه سبحانه كل ما هو أصلح بحال العبد كما ظنه مخالفونا وشنعوا علينا بما شنعوا بل إنما نوجب عليه سبحانه كل أصلح لو لم يفعله كان مناقضا لغرضه كما ذكرته في الحواشي التي علقتها على تفسير البيضاوي^(١) ولعله سبحانه لم يلهمهما التوبة وأغفلهما عنها لمصلحة لا يعلمها إلا هو فلا بخل منه سبحانه على هذا التقدير.

وأما الثالث: فلأن التعليم حال التعذيب غير ممتنع وظني أن تزييف الفخر الرازي لهذه الرواية هو الباعث على عدول البيضاوي عن حمل هذه القصة على ظاهرها وتزيلها على محض الرمز والذي سمعته من والدي رحمه الله في حله أنه إشارة إلى أن شخص العالم العامل الكامل المقرب من حظائر القدس قد يוכל إلى نفسه الغرارة ولا يلحقه التوفيق والعناية فينبذ علمه وراء ظهره ويقبل على مشتبهات نفسه الخبيثة الخسيسة ويطوي كشمه عن اللذات الحقيقية والمراتب العلية فينحط إلى أسفل سافلين والشخص الناقص الجاهل المنغمس في الأوزار قد يختلط بذلك الشخص العالم قاصدا بذلك الفساد والفحشاء فيدركه بذلك التوفيق الإلهي فيستفيد من ذلك العلم ما يضرب بسببه صفحا عن أدناس دار الغرور وأرجاس عالم الزور ويرتفع ببركة ما يعلمه عن حضيض الجهل والخسران إلى أوج العزة والعرافان فيصير به المتعلم في أرفع درج العلاء والمعلم في أسفل درك الشقاء ورأيت في بعض التفاسير أن المراد بالملكين المذكورين الروح والقلب فإنهما من العالم الروحاني اهبطا إلى العالم الجسماني لإقامة الحق فافتتا بزهر الحياة الدنيا ووقعا في شبكة الشهوة فشربا خمر الغفلة وزنيا بغي الدنيا وعبدا صنم الهوى وقتلا نفسهما بحرمانهما من النعيم الباقي فاستحقا أليم النكال وقطيع العذاب^(٢) وهذا وهذه القصة كما رواها علماء العامة عن ابن عباس فقد رواها علمائنا رضوان الله عليهم عن الإمام أبي جعفر الباقر^(٣) وذكرها الشيخ الجليل أبو علي الطبرسي في مجمع البيان^(٤) لكن بين ما رواه العامة وما رواه أصحابنا اختلاف يسير فإن الرواية التي رواها أصحابنا ليس فيها أنهما يعلمان الناس السحر في وقت تعذيبهما بل هي صريحة في أن التعليم كان قبل التعذيب وكذلك ليس فيها أن تلك المرأة تعلمت منهما الاسم الأعظم وصعدت ببركته إلى السماء والحاصل أن هذه القصة مروية من طرقنا و من طرق العامة معا وليس من جملة الحكايات الغير المسندة كما يظهر من كلام الفاضل الدواني في شرح العقائد العضية^(٥) حيث قال إن هذه القصة ليست في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ما يدل على صدقها ثم إنه استدل على أنه من جملة الأكاذيب بأن تمكن تلك المرأة من الصعود إلى السماء بما تعلمته من الملكين أعني الاسم الأعظم وعدم تمكنهما من ذلك مع علمهما به غير معقول ولا يخفى أن دليله هذا إنما يتم لو ثبت أنه جل اسمه لم ينسهما الاسم الأعظم بعد اقترافهما تلك الكبائر العظيمة واستحقاقهما الطرد والخذلان ودون ثبوته خرط القتاد^(٦) انتهى كلامه رحمه الله.

﴿لَا يَسْتَتَكِفُّ أَيُّ لَمْ يَأْتَفْ وَلَمْ يَمْتَعِ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ﴾ أَيُّ مَنْ أَنْ يَكُونَ «عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ»^(٧) أَيُّ وَ لَا هُمْ يَسْتَكْبِرُونَ مِنَ الْإِقْرَارِ بِعِبَادِيَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ قَالَ الطَّبْرَسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ اسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ مِنْ قَالَ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ أَفْضَلُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَالُوا إِنَّ تَأْخِيرَ ذِكْرِ الْمَلَائِكَةِ فِي مِثْلِ هَذَا الْخُطَابِ يَقْتَضِي تَفْضِيلَهُمْ لِأَنَّ الْعَادَةَ لَمْ تَجْرُ بِأَنْ يُقَالَ لَنْ يَسْتَكْفِ الْأَمِيرُ أَنْ يَفْعَلَ كَذَا وَ لَا الْحَارِسُ بَلْ يَقْدَمُ الْأَدُونُ وَ يُؤَخَّرُ الْأَعْظَمُ فَيُقَالُ لَنْ يَسْتَكْفِ الْوَزِيرُ أَنْ يَفْعَلَ كَذَا وَ لَا السُّلْطَانُ^(٨) وَ أَجَابَ أَصْحَابُنَا عَنْ ذَلِكَ بِأَنْ قَالُوا إِنَّمَا أُخِّرَ ذِكْرُ الْمَلَائِكَةِ لِأَنَّ جَمِيعَ الْمَلَائِكَةِ أَفْضَلُ وَ أَكْثَرُ ثَوَابًا مِنَ الْمَسِيحِ وَ هَذَا لَا يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَفْضَلُ مِنْهُ وَ إِنَّمَا الْخِلَافُ فِي ذَلِكَ وَ أَيْضًا فَإِنَّا وَ إِن

(١) لم نعر على هذه الحواشي.

(٢) في المصدر: «فضيع العقاب».

(٣) مجمع البيان ج ١ ص ١٧٠ - ١٧٧.

(٤) شرح العقائد العضية ص ٢٢٨.

(٥) أجوبة ثلاث مسائل تفسيرية - مخطوطة - ورقة ٩٤ - ٩٧.

(٦) سورة النساء، آية: ١٧٢.

(٧) لم نعر على هذه الحواشي.

(٨) مجمع البيان ج ١ ص ١٧٠ - ١٧٧.

(٩) أجوبة ثلاث مسائل تفسيرية - مخطوطة - ورقة ٩٤ - ٩٧.

(١٠) في المصدر إضافة: «و هذا يقتضي فضل الملائكة على الأنبياء».

ذهبنا إلى أن الأنبياء أفضل من الملائكة فإنا نقول مع قولنا بالتفاوت إنه لا تفاوت كثيرا في الفضل بينهما ومع التقارب والتداني يحسن أن يقدم ذكر الأفضل ألا ترى أنه يحسن أن يقال ما يستنكف الأمير فلان ولا الأمير فلان إذا كانا متساويين في المنزلة أو متقاربين^(١).

وقال البيضاوي لعله أراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير لا باعتبار التكبير كقولك أصبح الأمير لا يخالفه رئيس ولا مرءوس^(٢).

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾^(٣) أي مطلق الملائكة أو المقربين منهم ﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ أي يخضعون بالعبادة أو التذلل ولا يشركون به غيره.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾^(٤) قال البيضاوي أي ينقاد انقيادا يعم الانقياد لإرادته وتأثيره طبعاً والانتقاد لتكليفه وأمره طوعاً ليصح إسناده إلى عامة أهل السماوات والأرض وقوله ﴿مِنْ ذَاتِهِ﴾ بيان لهما لأن الديب هو الحركة الجسمانية سواء كان في أرض أو سماء والملائكة عطف على المبين به عطف جبرئيل على الملائكة للتعظيم أو عطف المجرّدات على الجسمانيات وبه احتج من قال إن الملائكة أرواح مجردة أو بيان لما في الأرض والملائكة تكرير لما في السماوات وتعيين له إجلالا وتعظيماً والمراد بهما ملائكتهما من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل للعلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القليلان أولى من إطلاق من تغليبا للعلاء ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن عبادته ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ يخافون أن يرسل عذاباً من فوقهم أو يخافونه وهو فوقهم بالقهر وقوله^(٥) ﴿وَهُوَ الْغَافِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾^(٦) والجملة حال من الضمير في ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أو بيان له وتقرير لأن من خاف الله لم يستكبر عن عبادته ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ من الطاعة والتدبير وفيه دليل على أن الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء^(٧).

وقال في قوله ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾^(٨) حكاية قول جبرئيل حين استبطأه رسول الله ﷺ لما سئل عن أصحاب الكهف وذوي القرنين والروح ولم يدر ما يجيب ورجأ أن يوحى إليه فيه فأبطأ عليه خمسة عشر يوماً وقيل أربعين حتى قال المشركون ودعه ربه وقاهه ثم نزل تبيان ذلك والتنزل النزول على مهل لأنه مطاوع نزل وقد يطلق بمعنى النزول مطلقاً كما يطلق نزل بمعنى أنزل والمعنى وما نزل وقتاً غيب وقت إلا بأمر الله تعالى على ما تقتضيه حكمته ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ وهو ما نحن فيه من الأماكن والأحايين لا تنتقل^(٩) من مكان إلى مكان أو لا تنزل^(١٠) في زمان دون زمان إلا بأمره ومشيئته. ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ أي تاركاً لك أي ما كان عدم النزول إلا لعدم الأمر به ولم يكن ذلك عن ترك الله لك وتوديعه إياك كما زعمت الكفرة وإنما كان لحكمة رآها فيه^(١١).

﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ أي لا يعثبون منها ﴿لَا يُفْتَرُونَ﴾ حال من الواو في ﴿يسبحون﴾. ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾^(١٢) نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله سُخَّانَهُ تنزيه له عن ذلك ﴿بَلْ عِبَادٌ﴾ أي بل هم عباد من حيث هم مخلوقون وليسوا بأولاد ﴿مُكْرَمُونَ﴾ مقربون ﴿لَا يَشْفِقُونَ بِالْقَوْلِ﴾^(١٣) لا يقولون شيئاً حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المقربين ﴿وَهُمْ يَأْمُرُهُمْ بِفَعْلٍ﴾ ولا يعملون قط ما لم يأمرهم به ﴿يَقْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾^(١٤) لا تخفى عليه خافية مما قدموا وأخروا أو هو كالعلة لما قبله والتعهد لما بعده فإنه لإحاطتهم بذلك يضيظون أنفسهم ويراقبون أحوالهم ﴿وَهُمْ مِنْ حَشِيَّتِهِ﴾^(١٥) من عظمته ومهابته ﴿مُشْفِقُونَ﴾ مرتعدون وأصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خص بها العلماء والإشفاق خوف مع اعتناء فإن عدي بمن فمعنى الخوف فيه أظهر وإن عدي بعلى فبالعكس.

(٢) أنوار التنزيل ج ١ ص ٢٥١ مخلصاً.

(٤) سورة النحل، آية: ٤٩.

(٦) سورة الأنعام، آية: ٦١.

(٨) سورة مريم، آية: ٦٤.

(١٠) في المصدر: «ولا تنزل».

(١٢) سورة مريم، آية: ٨٨.

(١٤) سورة البقرة، آية: ٢٥٥.

(١) مجمع البيان ج ٣ ص ١٤٦.

(٣) سورة الأعراف، آية: ٢٠٦.

(٥) في المصدر: «كقوله تعالى».

(٧) أنوار التنزيل ج ١ ص ٥٤٦.

(٩) في المصدر: «لا تنتقل».

(١١) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٣٦.

(١٣) سورة الأنبياء، آية: ٢٧.

(١٥) سورة الأنبياء، آية: ٢٨.

﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ (١) أي من الملائكة أو من الخلاق «كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ» أي من ظلم بالإشراك و ادعاء الربوبية و على تقدير إرجاع الضمير إلى الملائكة لا ينافي عصمتهم فإن الفرض لا ينافي امتناع الوقوع كقوله تعالى ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ (٢).

«عَلَيْهَا» أي على النار «مَلَائِكَةً» يلي أمرها و هم الزبانية «غِلَظُ شِدَادٍ» (٣) غلاظ الأقوال شدداد الأفعال أو غلاظ الخلق شدداد الخلق أقوىاء على الأفعال الشديدة «لَا يَفْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ» فيما مضى «وَيَقْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» فيما يستقبل أو لا يمتنعون عن قبول الأوامر و التزامها و يؤدون ما يؤمرون به.

قال الطبرسي رحمه الله في هذا دلالة على أن الملائكة الموكلين بالنار معصومون عن القبائح لا يخالفون الله في أوامره و نواهيه و قال الجبائي إنما عني أنهم لا يعصونه و يفعلون ما يأمرهم به في دار الدنيا لأن الآخرة ليست بدار تكليف و إنما هي دار جزاء المؤمنين (٤) و إنما أمرهم الله تعالى بتعذيب أهل النار على وجه الثواب لهم بأن جعل سرورهم (٥) و لذاتهم في تعذيب أهل النار كما جعل سرورهم و لذاتهم في الجنة (٦) انتهى.

و أقول: كون الآخرة دار جزاء الملائكة غير معلوم و إنما المعلوم أنها دار جزاء الإنسان فلا ينافي كون الملائكة مكلفين فيها بل يمكن أن يكون جزاؤهم مقارنا لأفعالهم من حصول اللذات الحقيقية و رفع الدرجات الصورية و المعنوية بل أصل خدماتهم و جزاؤهم كما ورد أن طعامهم التسييح و شرايبهم التقديس.

و قال الشيخ المفيد رحمه الله في كتاب المقالات أقول إن الملائكة مكلفون و موعودون و متوعدون قال الله تبارك و تعالى ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (٧) و أقول إنهم معصومون مما يوجب لهم العقاب بالنار و على هذا القول جمهور الإمامية و سائر المعتزلة و أكثر المرجئة و جماعة من أصحاب الحديث و قد أنكر قوم من الإمامية أن تكون الملائكة مكلفين و زعموا أنهم إلى الأعمال مضطرون و واقفهم على ذلك جماعة من أصحاب الحديث. (٨)

١- العلل: عن محمد بن علي بن بشار القزويني عن المظفر بن أحمد القزويني قال سمعت أبا الحسين محمد بن جعفر الأسدي الكوفي يقول في سهل و الزهرة إنها دابتان من دواب البحر المطيف بالدنيا في موضع لا تبلغه سفينة و لا تعمل فيه حيلة و هما المسخاں المذكوران في أصفان المسوخ و يغلف من يزعم أنهما الكوكبان و لو كانا ملكين لعصما فلم يعصيا و إنما سماهما الله عز و جل في كتابه ملكين بمعنى أنهما خلقا ليكونا ملكين كما قال الله عز و جل لنبيه ﷺ ﴿إِنَّكَ مَبْتُّ وَ إِنَّهُمْ مَبْتُونَ﴾ (٩) بمعنى ستكون ميتا و يكونون موتى. (١٠)

بيان: المطيف بالدنيا على بناء الإفعال أي المحيط يقال فلان يرشح للوزارة أي يربى و يؤهل لها ثم إن هذا الكلام إن كان قاله الأسدي من قبل نفسه فيرد عليه أن الملائكة ليست أمرا تحصل لذات بعد أن لم تكن بل الظاهر أنها من الحقائق التي لا تنفك كالإنسانية و الحيوانية إلا أن يكون مراده أنهما لم يكونا من الملائكة بل كانا مما يصلحان ظاهرا أن يخطبا بالملائكة كالشيطان.

٢- تفسير علي بن إِبْرَاهِيم: عن أبيه عن الحسن بن محبوب عن علي بن رثاب عن محمد بن قيس عن أبي جعفر عليه السلام قال سأله عطا و نحن بمكة عن هاروت و ماروت فقال أبو جعفر عليه السلام إن الملائكة كانوا ينزلون من السماء إلى الأرض في كل يوم و ليلة يحفظون أعمال أوساط أهل الأرض من ولد آدم و الجن فيكتبون أعمالهم و يرجون بها إلى السماء قال فضج أهل السماء من معاصي أهل أوساط الأرض فتوامزوا (١١) فيما بينهم مما يسمعون و يرون من افتراءهم الكذب على الله تبارك و تعالى و جرأتهم عليه و نزهاه الله مما يقول فيه خلقه و يصفون فقالت طائفة من

(٢) سورة الأنبيا: آية: ٢٩.

(٣) سورة التهميم: آية: ٦٥.

(٤) كلمة: «المؤمنين» ليست في المصدر.

(٥) مجمع البيان ج ١٠ ص ٣١٨.

(٦) أوائل المقالات ص ٧١ رقم ٤٧.

(٧) علل الشرائع ص ٤٨٧ - ٤٨٨ باب ٢٣٩ حديث ٤.

(٨) سورة الأنبيا: آية: ٢٩.

(٩) سورة التهميم: آية: ٦٥.

(١٠) في المصدر: «سرور المؤمنين».

(١١) سورة الأنبيا: آية: ٢٩.

(١٢) سورة التهميم: آية: ٣٠.

(١٣) في المصدر: «فتوامزوا».

الملائكة يا ربنا ما تغضب مما يعمل خلقك في أرضك و ما يصفون فيك الكذب و يقولون الزور و يرتكبون المعاصي و قد نهيتهم عنها ثم أنت تحلم عنهم و هم في قبضتك و قدرتك و خلال عافيتك قال أبو جعفر عليه السلام فأحب الله أن يري الملائكة القدرة و نافذ أمره في جميع خلقه و يعرف الملائكة ما من به عليهم مما عدله عنهم من صنع خلقه و ما طبعهم عليه من الطاعة و عصمهم به من الذنوب قال فأوحى الله إلى الملائكة أن انتدبوا^(١) منكم ملكين حتى أهبطهما إلى الأرض ثم اجعل فيهما من طبائع الطعام و المشرب و الشهوة و الحرص و الأمل مثل ما جعلته في ولد آدم ثم اختبرهما في الطاعة لي قال فتدبوا لذلك هاروت و ماروت و كانا أشد^(٢) الملائكة قولا في العيب لولد آدم و استشار غضب الله عليهم قال فأوحى الله إليهما أن اهبطا إلى الأرض فقد جعلت فيكما من طبائع الطعام و المشرب و الشهوة و الحرص و الأمل مثل ما جعلت في ولد آدم قال ثم أوحى الله إليهما انظرا أن لا تشركا بي شيئا و لا تقتلا النفس التي حرم الله و لا تزنيا و لا تشربا الخمر قال ثم كشط عن السماوات السبع ليريهما قدرته ثم أهبطهما إلى الأرض في صورة البشر و لباسهم فهبطا ناحية بابل فرفع لهما بناء مشرف^(٣) فأقبلا نحوه فإذا بحضرته امرأة جميلة حسناء مزينة معطرة مسفرة^(٤) مقبلة نحوهما قال فلما نظرا إليها و ناطقها و تأملها وقعت في قلوبهما موقعا شديدا لموضع الشهوة التي جعلت فيهما فرجعا إليها رجوع فتنة و خذلان و راوداها عن نفسها فقالت لهما إن لي ديناً أدين به و ليس أقدر في ديني على أن أجيئكما إلى ما تريدان إلا أن تدخل في ديني الذي أدين به فقالا لها ما دينك قالت لي إله من عبده و سجد له كان لي السبيل إلى أن أجيئ به إلى كل ما سألتني فقالا لها و ما إلهك قالت إلهي هذا الصنم قال فنظر أحدهما إلى صاحبه فقال هاتان خصلتان مما نهينا عنهما الشرك و الزنا لأننا إن سجدنا لهذا الصنم و عبدناه أشركنا بالله و إنما نشرك بالله لنصل إلى الزنا و هو ذا نحن نطلب الزنا فليس تعطى^(٥) إلا بالشرك قال فانتمرا بينهما فغلبتهما الشهوة التي جعلت فيهما فقالا لها نجيبك إلى ما سألت فقالت فدونكما فاشربا هذه الخمر فإنه قربان لكما و به تصلان إلى ما تريدان فانتمرا بينهما فقالا هذه ثلاث خصال مما نهانا ربنا عنها الشرك و الزنا و شرب الخمر و إنما ندخل في شرب الخمر و الشرك حتى نصل إلى الزنا فانتمرا بينهما فقالا ما عظم البلية بك قد أجيئكما إلى ما سألت قالت فدونكما فاشربا من هذه الخمر و اعبدوا هذا الصنم و اسجدوا له فاشربا الخمر و عبدوا الصنم ثم راوداهما^(٦) عن نفسها فلما تهيأت لهما و تهيأت لها دخل عليهما سائل يسأل هذه^(٧) فلما أن رآهما و رأياه ذعرا منه فقال لهما إنكما نابان^(٨) ذعران قد خلوتما بهذه المرأة المعطرة الحسناء إنكما لرجلا سوء و خرج عنهما فقالت لهما لا و إلهي ما تصلان الآن إلي و قد اطلع هذا الرجل على حالكما و عرف مكانكما و يخرج الآن و يخبر بخبركما و لكن بادرا إلى هذا الرجل فاقتلاه قبل أن يفضحكما و يفضحنى ثم دونكما فاقضيا حاجتكما و أنتما مطمئنان أمانان قال فقاما إلى الرجل فأدركاه فقتلاه ثم رجعا إليها فلم يرياها و بدت لهما سواتهما و نزع عنهما رياشهما و أسقطا في أيديهما قال فأوحى الله إليهما أن أهبطكما إلى الأرض مع خلقي ساعة من النهار فعصيتماني بأربع من معاصي كلها قد نهيتكما عنها و تقدمت إليكما فيها فلم تراقباني و لم تستحيياني و قد كنتما أشد من نقم على أهل الأرض المعاصي^(٩) و استجر أسفي و غضبي عليهم لما جعلت فيكما من طبع خلقي و عصيتي إياكما من المعاصي فكيف رأيتما موضع خذلاني فيكما اختارا عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة فقال أحدهما لصاحبه تتمتع من شهواتنا في الدنيا إذ صرنا إليها إلى أن نصير إلى عذاب الآخرة فقال الآخر إن عذاب الدنيا له مدة و انقطاع و عذاب الآخرة دائم لا انقطاع له فلما نختار عذاب الآخرة الدائم الشديد على عذاب الدنيا المنقطع الغاني قال فاختارا عذاب الدنيا فكانا يعلمان الناس السحر في أرض بابل ثم لما علما الناس السحر رفعنا من الأرض إلى الهواء فهما معذبان منكسان معلقان في الهواء إلى يوم القيامة.^(١٠)

العباشي: عن محمد بن قيس مثله^(١١).

(١) في المصدر: «وكانا من أشد».

(٢) من المصدر.

(٣) في المصدر: «راوداها».

(٤) في المصدر: «لامرء».

(٥) في المصدر: «وكانا من أشد».

(٦) في المصدر: «وكانا من أشد».

(٧) في المصدر: «وكانا من أشد».

(٨) في المصدر: «وكانا من أشد».

(٩) في المصدر: «وكانا من أشد».

(١٠) في المصدر: «وكانا من أشد».

(١١) في المصدر: «وكانا من أشد».

(١) في المصدر: «انتخبوا».

(٢) في المصدر: «وقع لهما بناء مشرق».

(٣) في المصدر: «و ليس خطأ».

(٤) كلمة: «هذه» ليست في المصدر.

(٥) في المصدر: «للمعاصي».

(٦) في المصدر: «وكانا من أشد».

(٧) في المصدر: «وكانا من أشد».

(٨) في المصدر: «وكانا من أشد».

(٩) في المصدر: «وكانا من أشد».

(١٠) في المصدر: «وكانا من أشد».

(١١) في المصدر: «وكانا من أشد».

بيان: أن اتندبوا في بعض النسخ أن اتندبوا وهو أصوب إذ الظاهر من كلام أكثر اللغويين أن الانتداب لازم قال الجوهرى نديه إلى الأمر فانتدب أي دعاه فأجاب (١) ونحوه قال الفيروز آبادي (٢) لكن قال في المصباح المنير انتدبته في الأمر فانتدب يستعمل لازما ومتعديا (٣) وقال كشطت البعير كسطا من باب ضرب مثل (٤) سلخت الشاة إذا نحيت جلده وكشطت الشيء كسطا نحيتها (٥) وقال الفيروز آبادي الكشط رفع الشيء (٦) عن الشيء قد غشاه وإذا السماء كسطت قلت كما يقطع السقف وكشط الجبل عن الفرس كشفه (٧) وفي النهاية فيه يراوده عمه على الإسلام أي يراجعه ويرأوده وفي القاموس سقط في يده وأسقط مضمومتين ذل وأخطأ أو ندم وتحير (٨) وقال نكسه قلبه على رأسه كنكسه (٩) انتهى.

وأقول يمكن حمل الخبر على التقية بقرينة كون السائل من علماء العامة.

٣- العيون: و تفسير الإمام: بالإسناد إلى أبي محمد العسكري عن آبائه عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿وَأَتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ﴾ قال «أتبعوا ما تتلو كفرة الشياطين» من السحر والতিরجات «على ملك سليمان» الذين يزعمون أن سليمان به ملك ونحن أيضا به نظهر العجائب حتى يتقاد لنا الناس ونستغني عن الاتقياد لعلي (١٠) وقالوا كان سليمان كافرا ساحرا ماهرا بسحره ملك ما ملك و قدر على ما قدر فرد الله عز وجل عليهم فقال ﴿وَمَا كَفَرُ سُلَيْمَانُ﴾ ولا استعمل السحر كما قال هؤلاء الكافرون ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ (١١) الذي نسبوه إلى سليمان وإلى «مَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ» وكان بعد نوح عليه السلام قد كثر السحرة والمموهون فبعث الله عز وجل ملكين إلى نبي ذلك الزمان يذكر ما يسحر به السحرة وذكر ما يبطل به سحرهم ويرد به كيدهم فلقاه النبي عن الملكين وأداه إلى عباد الله بأمر الله عز وجل وأمرهم أن يلقوا به على السحر وأن يبطلوه ونهاهم أن يسحروا به الناس وهذا كما يدل على السم ما هو وعلى ما يدفع به غائلة السم ثم يقال للمتعلم ذلك هذا السم فمن رأيته يسم فادفع غائلته بكذا وإياك أن تقتل بالسم أحدا (١٢) ثم قال عز وجل ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ (١٣) يعني أن ذلك النبي أمر الملكين أن يظهرها للناس بصورة بشرين ويعلماهما (١٤) ما علمهما الله من ذلك فقال الله عز وجل ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ ذلك السحر وإبطاله حَتَّى يَقُولَا للمتعلم «إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ» امتحان للعباد ليطيعوا الله فيما يتعلمون من هذا ويبطلوا به كيد الساحر (١٥) ولا يسحروهم «فَلَا تَكْفُرْ» باستعمال هذا السحر وطلب الإضرار به ودعاء الناس إلي أن يعتقدوا أنك به تحيي وتميت وتفل ما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل فإن ذلك كفر قال الله عز وجل ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ﴾ يعني طالبي السحر «مِنْهُمَا» يعني مما كتبت الشياطين «عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ» من التيرجات «وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ» يتعلمون من هذين الصنفين «مَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَرَوْجِهِ» هذا من (١٦) يتعلم للإضرار بالناس يتعلمون التضريب (١٧) بضروب الحيل والتمايم والإيهام أنه قد دفن في موضع كذا وعمل كذا ليحبب المرأة إلى الرجل والرجل إلى المرأة أو يؤدي إلى الفراق بينهما ثم قال عز وجل ﴿وَمَا هُمْ بِضَائِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا يَبْذُلُونَ﴾ أي ما المتعلمون لذلك بضارين به من أحد إلا يباذلون الله يعني بتخلية الله وعلمه فإنه لو شاء لمنهم بالجبر والقهر ثم قال ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ لأنهم إذا تعلموا ذلك السحر ليسحروا به ويضروا فقد تعلموا ما يضرهم في دينهم ولا ينفعهم فيه بل ينسلخون عن دين الله بذلك ولقد علم هؤلاء المتعلمون «لَمَنِ اشْتَرَاهُ» بدينه الذي ينسلخ

٣٢٠
٥٩

٣٢١
٥٩

(٢) القاموس المحيط ج ١ ص ١٣٦.

(٤) من المصدر.

(٦) في المصدر: «شيئا».

(٨) القاموس المحيط ج ٢ ص ٣٧٨.

(١٠) ما بين المعقوفين ليس في العيون.

(١٢) ما بين المعقوفين ليس في العيون.

(١٤) في تفسير الإمام: «ويعلمانهم» في العيون: «ويعلماهم».

(١٦) في نسخة من العيون: «ما».

(١) الصحاح ج ١ ص ٢٢٣.

(٣) المصباح المنير ج ٢ ص ٥٩٧.

(٥) المصباح المنير ج ٢ ص ٥٣٤.

(٧) القاموس المحيط ج ٢ ص ٣٩٦.

(٩) القاموس المحيط ج ٢ ص ٢٦٥.

(١١) سورة البقرة: آية: ١٠٢.

(١٣) سورة البقرة: آية: ١٠٢.

(١٥) في العيون: «السحرة».

(١٧) في تفسير الإمام: «التفريق».

عنه بتعلمه ﴿مَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ أي من نصيب في ثواب الجنة ثم قال عز وجل ﴿وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾^(١) وهنوا بالعباد ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أنهم قد باعوا الآخرة وتركوا نصيبهم من الجنة لأن المتعلمين لهذا السحر هم الذين يعتقدون أن لا رسول ولا إله ولا بعث ولا نشور فقال ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ لأنهم يعتقدون أن لا آخرة فهم يعتقدون أنها إذا لم تكن آخرة فلا خلاق لهم في دار بعد الدنيا وإن كان بعد الدنيا آخرة فهم مع كفرهم بها لا خلاق لهم فيها ثم قال ﴿وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ إذ باعوا الآخرة بالدنيا وهنوا بالعباد الدائم أنفسهم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أنهم قد باعوا أنفسهم بالعباد ولكن لا يعلمون ذلك لكفرهم به فلما تركوا النظر في حجج الله حتى يعلموا عذابهم على اعتقادهم الباطل وجحدهم الحق.

قال يوسف بن محمد بن زياد وعلي بن محمد بن سيار عن أبيهما أنها قالوا قلنا للحسن أبي القاسم عليه السلام فإن قوما عندنا يزعمون أن هاروت وماروت ملكان اختارتهما الملائكة لما كثر عصيان بني آدم وأنزلهما الله مع ثالث لهما إلى الدنيا وأنها افتتنا بالزهره وأراد الزنا بها وشربا الخمر وقتلا النفس المحترمة وأن الله تبارك وتعالى يعذبهما ببابل وأن السحرة منهنما يتعلمون السحر وأن الله مسح تلك المرأة هذا الكوكب الذي هو الزهرة فقال الإمام عليه السلام معاذ الله من ذلك إن ملائكة الله معصومون محفوظون من الكفر والقبائح بأطواف الله قال الله عز وجل فيهم ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٢) وقال عز وجل ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ﴾^(٣) يعني من الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يَسُبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾^(٤) وقال عز وجل في الملائكة أيضا ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أِذْنُى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾^(٥) ثم قال عليه السلام لو كان كما يقولون كان الله قد جعل هؤلاء الملائكة خلفاء على الأرض وكانوا كالأنبياء في الدنيا أو كالأئمة فيكون من الأنبياء والأئمة قتل النفس والزنا ثم قال عليه السلام أو لست تعلم أن الله عز وجل لم يخل الدنيا قط من نبي أو إمام من البشر أو ليس الله عز وجل يقول ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ عِنْدَ إِلَى الْخَلْقِ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾^(٦) فأخبر أنه لم يبعث الملائكة إلى الأرض ليكونوا أئمة وحكاما وإنما أرسلوا إلى أنبياء الله قالوا قلنا له فعلى هذا لم يكن إبليس أيضا ملكا فقال لا بل كان من الجن أما تسمعون الله عز وجل يقول ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾^(٧) فأخبر عز وجل أنه كان من الجن وهو الذي قال الله عز وجل ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾^(٨)

قال الإمام الحسن بن علي عليه السلام حدثني أبي عن جدي عن الرضا عن أبياته عن علي عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ إن الله عز وجل اختارنا معاشر آل محمد واختار النبيين واختار الملائكة المقربين وما اختارهم إلا على علم منه بهم أنهم لا يواقعون ما يخرجون به عن ولايته ويتقلعون^(٩) به عن عصمته وينتعمون^(١٠) به إلى المستحقين لعذابه ونقمته قالوا قلنا له فقد روي لنا أن عليا عليه السلام لما نص عليه رسول الله ﷺ بالإمامة^(١١) عرض الله عز وجل ولايته في السماوات على فثام^(١٢) من الناس وفتام من الملائكة فأبوا فمسحهم الله صفادع فقال عليه السلام معاذ الله هؤلاء المكذبون لنا المفترون علينا الملائكة هم رسل الله فهم كسائر أنبياء الله ورسله إلى الخلق فيكون منهم الكفر بالله قلنا لا قال فكذا الملائكة إن شأن الملائكة العظيم وإن خطيهم لجليل^(١٣)

الاحتجاج: بالإسناد إلى أبي محمد العسكري عليه السلام من قوله قلنا للحسن أبي القاسم إلى آخر الخبر^(١٤)
توضيح: قال في النهاية الفقام مهموزا الجماعة الكثيرة^(١٥) انتهى.

- (١) سورة البقرة، آية: ١٠٢.
- (٢) سورة الأنبياء، آية: ١٩.
- (٣) سورة الأنبياء، آية: ٢٨ - ٢٦.
- (٤) سورة الأنبياء، آية: ٢٠.
- (٥) سورة الكهف، آية: ٥٠.
- (٦) سورة الحجر، آية: ٢٧.
- (٧) سورة الحجر، آية: ٢٧.
- (٨) سورة الحجر، آية: ٢٧.
- (٩) في تفسير الإمام: «و ينتقمون».
- (١٠) في تفسير الإمام: «بالولاية والإمامة».
- (١١) في تفسير الإمام: «بالولاية والإمامة».
- (١٢) عيون الأخبار ج ١ ص ٢٦٦ - ٢٧١.
- (١٣) النهاية ج ٣ ص ٤٠٦.
- (١٤) سورة التحريم، آية: ٦.
- (١٥) سورة الأنبياء، آية: ٢٠.
- (١٦) سورة يوسف، آية: ١٠٩.
- (١٧) سورة الحجر، آية: ٢٧.
- (١٨) في تفسير الإمام: «و ينتقمون».
- (١٩) الفقام: الجماعة الكثيرة كما في توضيح المؤلف بعد هذا.
- (٢٠) الاحتجاج ج ٢ ص ٥١٣ - ٥١٦ رقم ٣٣٨.

وأقول: قد فسر في خبر فضل يوم الغدير بمائة ألف.

٤- العيون: عن تميم بن عبد الله القرشي عن أبيه عن أحمد بن علي الأنصاري عن علي بن محمد بن الجهم قال سمعت المأمون يسأل الرضا علي بن موسى عليه السلام عما يرويه الناس من أمر الزهرة وأنها كانت امرأة فتن بها هاروت وماروت وما يروونه من أمر سهيل وأنه كان عشارا باليمن فقال كذبوا في قولهم إنها كوكبان وإنما كانتا دابتين من دواب البحر فقلط الناس وظنوا أنها كوكبان وما كان الله ليمسح أعداء أنوارا مضية ثم يبقها ما بقيت السماء ^(١) والأرض وإن المسوخ لم يبق أكثر من ثلاثة أيام حتى ماتت وما تناسل منها شيء وما على وجه الأرض اليوم مسخ وإن التي وقع عليها اسم المسوخية مثل القردة والخنزير والدب وأشباهها إنما هي مثل ما مسخ الله على صورها قوما غضب عليهم ولعنهم بأنكارهم توحيد الله وتكذيبهم رسله وأما هاروت وماروت فكانا ملكين علما الناس السحر ليجتزوا به من سحر السحرة ويطلوا به كيدهم وما علما أحدا من ذلك إلا قالا له «إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ» فكفر قوم باستعالمهم لما أمروا بالاحتراز منه وجعلوا يفرقون بما يعرفونه ^(٢) بين المرء وزوجه قال الله عز وجل «وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» ^(٣) يعني بعلمه. ^(٤)

٥- العلل: عن أبيه عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن إسماعيل بن مهرا عن محمد بن الحسن زعلان ^(٥) عن أبي الحسن عليه السلام أنه عد المسوخ وساق الحديث إلى أن قال ومسخت الزهرة لأنها كانت امرأة فتن بها هاروت وماروت. ^(٦)

٦- ومنه: بإسناد آخر عن الصادق عليه السلام وأما الزهرة فإنها كانت امرأة تسمى ناهيد وهي التي تقول الناس إنه افتتن بها هاروت وماروت. ^(٧)

٧- ومنه: بإسناد آخر عن الرضا عليه السلام ^(٨) وأما الزهرة فكانت امرأة فتنت ^(٩) بها هاروت وماروت فمسخها الله عز وجل الزهرة. ^(١٠)

٨- ومنه: بإسناد آخر عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال قال النبي صلى الله عليه وآله وأما الزهرة فكانت امرأة نصرانية وكانت لبعض ملوك بني إسرائيل وهي التي فتن بها هاروت وماروت وكان اسمها ناهيل والناس يقولون ناهيد. ^(١١)

أقول: ستذكر الأخبار بأسانيدنا في باب المسوخات إن شاء الله.

٩- العياشي: عن زرارة عن أبي الطفيل قال كنت في مسجد الكوفة فسمعت عليا وهو على المنبر وناداه ابن الكواء وهو في مؤخر المسجد فقال يا أمير المؤمنين ما الهدى قال لعنك الله ولم يسمعه ما الهدى تريد ولكن العمى تريد ثم قال له ادن فدنا منه فسأله عن أشياء فأخبره فقال أخبرني عن هذه الكوكبة الحمراء يعني الزهرة قال إن الله اطلع ملائكته على خلقه وهم على مصيبة من معاصيه فقال الملكان هاروت وماروت هؤلاء الذين خلقت أباهم بيدك وأسجدت له ملائكتك يصصونك قال فلعلكم إذا ابتليتم بمثل الذي ابتلوه ^(١٢) به عصيتموني ^(١٣) كما عصوني قالا لا وعزتك قال فابتلاه ما بمثل الذي ابتلي به بني آدم من الشهوة ثم أمرهما أن لا يشركا به شيئا ولا يقتلا النفس التي حرم الله ولا يزينا ولا يشربا الخمر ثم أهيطها إلى الأرض فكانا يقضيان بين الناس هذا في ناحية وهذا في ناحية فكانا بذلك حتى أتت أحدهما هذه الكوكبة تخاصم إليه وكانت من أحمل الناس فأعجبه فقال لها الحق لك ولا أقضي لك حتى تمكيني من نفسك فواعدت يوما ثم أتت الآخر فلما خاصمت إليه وقعت في نفسه وأعجبه كما أعجبت الآخر فقال لها مثل مقالة صاحبه فواعدته الساعة التي واعدت صاحبه فاتفقا جميعا عندها في تلك الساعة فاستحيا كل واحد من صاحبه حيث رآه وطأ رءوسهما ونكسا ثم نزع الحياء منهما فقال أحدهما لصاحبه يا هذا جاء بي الذي جاء بك قال ثم راوداها عن نفسها فأبت عليهما حتى يسجدا لوثنها ويشربا من شرابها وأبيا عليها و

(١) في المصدر: «السموات».

(٢) سورة البقرة: آية: ١٠٢.

(٣) في المصدر: «بن علان».

(٤) علل الشرايع ص ٤٨٦ باب ٢٣٩ حديث ٢.

(٥) في المطبوعة: «فتنت»، وما أثبتناه من المصدر.

(٦) علل الشرايع ص ٤٨٨ باب ٢٣٩ حديث ٥.

(٧) من المصدر.

(٨) في المصدر: «بما تملؤ».

(٩) عيون الأخبار ج ١ ص ٢٧١.

(١٠) علل الشرايع ص ٤٨٦ باب ٢٣٩ حديث ١ ملخصاً.

(١١) في المصدر: «عن أبي عبدالله عن أبيه عن جده عليه السلام».

(١٢) علل الشرايع ص ٤٨٨ باب ٢٣٩ حديث ٤، وفيه «زهرة».

(١٣) في المصدر: «ابتليتهم».

سألاها فأبت إلا أن يشربا من شرابها فلما شربا صليا لوثنها و دخل مسكين فرأهما فقالت لهما يخرج هذا فيخبر عنكما فقاما إليه فقتلاه ثم راوداهما عن نفسها فأبت حتى يخبراهما بما يصعدان به إلى السماء فأبى^(١) و أبت أن تفعل فأخبراهما فقالت ذلك لتجرب مقالتهما و صعدت فرفعا أبصارهما إليها فرأيا أهل السماء مشرفين عليهما ينظرون إليهما و تناهت إلى السماء فمسخت فهي الكوكبة التي ترى.^(٢)

١٠- و منه: عن الحسن بن محبوب عن أبي ولاد قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام جعلت فداك إن رجلا من أصحابنا ورعا مسلما كثير الصلاة قد ابتلي بحب اللهو و هو يسمع الغناء فقال أيمتنع ذلك من الصلاة لوقتها أو من صوم أو من عيادة مريض أو حضور جنازة أو زيارة أخ قال قلت لا ليس يمنعه ذلك من شيء من الخير و البر قال فقال هذا من خطوات الشيطان مغفور له ذلك إن شاء الله ثم قال إن طائفة من الملائكة عابوا ولد آدم في اللذات و الشهوات أعني ذلكم الحلال ليس الحرام قال فأف الله للمؤمنين من ولد آدم من تعبير الملائكة لهم قال فألقى الله في همه^(٣) أولئك الملائكة اللذات و الشهوات كيلا يعييبوا المؤمنين قال فلما أحسوا ذلك من همهم عجوا إلى الله من ذلك فقالوا ربنا عفوك عفوك ردنا إلى ما خلقتنا له و اخترتنا^(٤) عليه فإننا نخاف أن نصير في أمر مريع قال فنزع الله ذلك من همهم قال فإذا كان يوم القيامة و صار أهل الجنة في الجنة استأذن أولئك الملائكة على أهل الجنة فيؤذن لهم فيدخلون عليهم فيسلمون عليهم ويقولون لهم **«سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ»**^(٥) في الدنيا عن اللذات و الشهوات الحلال.^(٦)

بيان: أنف من الشيء كعلم استنكف و مرج الدين و الأمر خلط و اضطرب.

١١- الإقبال: عن زين العابدين عليه السلام في دعاء عرفة اللهم إن ملائكتك مشفقون من خشيتك سامعون مطيعون لك و هم بأمرك يعملون لا يقترون الليل و النهار يسبحون.^(٧)

١٢- الإحتجاج: سأل الزنديق أبا عبد الله عليه السلام قال فما تقول في الملكين هاروت و ماروت و ما يقول الناس بأنهما يعلمان السحر قال إنهما موضع ابتلاء و موقف فتنة تسيحهما اليوم لو فعل الإنسان كذا و كذا لكان كذا و لو يعالج بكذا و كذا لصار كذا أصناف السحر فيتعلمون منهما ما يخرج منهما فيقولان لهم إنما نحن فتنة فلا تأخذوا عنا ما يضركم و لا ينفعكم.^(٨)

(١) في المصدر: «و كان يقضيان بالنهار، فإذا كان الليل صعدا إلى السماء فأبىا عليها» بدل «فأبىا».

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص ٥٥ حديث ٧٦.

(٣) في المصدر: «هم».

(٤) سورة الرعد، آية: ٢٤.

(٦) تفسير العياشي ج ٢ ص ٢١١ حديث ٤٢.

(٧) إقبال الأعمال ج ٢ ص ١١٣ باب ٣.

(٨) الإحتجاج ج ٢ ص ٢٢١ رقم ٢٢٣.



أبواب العناصر وكائنات الجو والمعادن والجبال والأنهار والبلدان والأقاليم

النار وأقسامها

باب ٢٦

الآيات:

يس: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ﴾^(١)

الواقعة: ﴿وَأَفْرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ أَنْتُمْ أَنْتُمُوهَا شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾^(٢)

٣٢٧
٥٩

تفسير: قال الطبرسي رحمه الله في قوله ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾ أي جعل لكم من الشجر الرطب المطفى للنار ناراً محرقة يعني بذلك المرخ والعفار و هما شجران تتخذ الأعراب زنودها منهما فيبين سبحانه أن من قدر على أن يجعل في الشجر الأخضر^(٣) الذي هو في غاية الرطوبة ناراً حامية مع مضادة النار للرطوبة حتى إذا احتاج الإنسان حرك بعضه ببعض فخرج^(٤) منه النار و يتقدح قدر على الإعادة و تقول العرب في كل شجر نار و استمجد المرخ والعفار و قال الكلبي كل شجر تنقدح منه النار إلا العناب.^(٥)

﴿وَأَفْرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾^(٦) أي تستخرجونها^(٧) بزنادكم من الشجر ﴿وَأَنْتُمْ أَنْتُمُوهَا شَجَرَتَهَا﴾^(٨) التي تنقدح النار منها^(٩) ﴿وَأَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ لها فلا يمكن أحداً أن يقول إنه أنشأ تلك الشجرة غير الله تعالى والعرب تقدح بالزند والزندة و هو خشب يحك بعضه ببعض فتخرج منه النار ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾^(١٠) أي نحن جعلنا هذه النار تذكرة للنار الكبرى فإذا رآها الراي ذكر جهنم واستعاذ بالله منها وقيل تذكرة لقدرة الله تعالى على المعاد ﴿وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ أي بقلعة ومنفعة للمسافرين يعني الذين نزلوا الأرض القي و هو القفر وقيل للمستبشرين بها من الناس أجمعين المسافرين والحاضرين والمعنى أن جميعهم يستضيئون بها في الظلمة و يسطلون في البرد و ينتفعون بها في الطبخ والخبز و على هذا فيكون المقوي من الأضداد أي الذي صار ذا قوة من المال والنعمة والذهب ماله النازل بالقراء من الأرض أي متاعاً للأغنياء والفقراء^(١١) انتهى.

٣٢٨
٥٩

و قال الرازي في شجرة النار وجوه أحدها أنها الشجرة التي توري النار منها بالزند والزندة وثانيها: الشجرة التي تصلح لإيقاد النار كالحطب فإنها لو لم تكن لم يسهل إيقاد النار لأن النار لا تتعلق بكل شيء كما تتعلق بالحطب

(٢) سورة الواقعة، آية: ٧١ - ٧٣.

(٤) في المصدر: «فتخرج».

(٦) سورة الواقعة، آية: ٧١.

(٨) سورة الواقعة، آية: ٧٢.

(١٠) سورة الواقعة، آية: ٧٣.

(١) سورة يس، آية: ٨٠.

(٣) كلمة: «الأخضر» ليست في المصدر.

(٥) مجمع البيان ج ٨ ص ٤٣٥.

(٧) في المصدر إضافة: «و تنقدحونها».

(٩) في المصدر إضافة: «أي أنتم قبيتوها و ابتدأتموها».

(١١) مجمع البيان ج ٩ ص ٢٢٤ ملخصاً.

ونالتهما: أصول شعلها و فروعها شجرتها و لو لا أنها ذات شعب^(١) لما صلحت لإنتاج الأشياء.^(٢)
و قال البيضاوي «نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرَةً» أي تبصرة في أمر البعث أو في الظلام أو تذكيرا^(٣) أو أنموذجا لنار جهنم «وَمَنَاعاً» أي منفعة «لِلْمُتَّقِينَ» للذين ينزلون القوى و هي القفراء و للذين خلت بطونهم أو مزادهم من الطعام من أقوت الدار إذا خلت من ساكنيها^(٤) انتهى.
وقال الجوهري و في المثل في كل شجر نار و استجمد المرخ و العفار أي استكثرا منها كأنهما أخذتا من النار ما هو جسمهما^(٥) و يقال لأنهما يسرعان الوري فشبها بمن يكثر من العطاء طلبا للمجد^(٦) و قال المرخ شجر سريع الوري و العفار الزند و هو الأعلى و المرخ الزندة و هي الأسفل.^(٧)

١- الخصال: عن محمد بن علي ماجيلويه عن محمد بن يحيى العطار عن أحمد^(٨) بن محمد بن يحيى الأشعري عن صالح يرفعه بإسناده قال أربعة القليل منها كثير النار القليل منها كثير^(٩) و النوم القليل منه كثير و المرض القليل منه كثير و العداوة القليل منها كثير.

بيان: النار أي نار القيامة القليل منها كثير في الضرر أو الأعم من نار الدنيا و نار الآخرة فالقليل منها كثير في النفع و الضرر معا فإن قليلا من النار يضيء كثيرا من الأمكنة و ينتفع بها في جميع الأمور و يحرق قليل منها عالما و النوم القليل منه كثير في المنفعة و المرض و العداوة في الضرر فقط و إن احتمل التعميم في الأول بل في الثاني أيضا على تكلف شديد.

٢- الخصال: عن محمد بن الحسن بن الوليد عن محمد بن الحسن الصفار عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب عن محمد بن سنان عن المفضل قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن النيران فقال نار تأكل و تشرب و نار تأكل و لا تشرب و نار تشرب و لا تأكل و نار لا تأكل و لا تشرب فالنار التي تأكل و تشرب فنار ابن آدم و جميع الحيوان و التي تأكل و لا تشرب فنار الوقود و التي تشرب و لا تأكل فنار الشجرة و التي لا تأكل و لا تشرب فنار القداحة و الحباب^(١٠) الخبر.

بيان: فنار ابن آدم أي الحرارة الغريزية في بدن الحيوانات فإنها تحلل الرطوبات و تخرج الحيوان إلى الماء و الغذاء معا و نار الوقود النار التي تقذف في الحطب و تشتعل فإنها تأكل الحطب مجازا أي تكسره و تقنيه و تقلبه و لا تشرب ماء بل هو مضاد لها و نار الشجرة هي الكائمة مادتها أو أصلها في الشجر الأخضر كما في فإنها تشرب الماء ظاهرا و تصير سببا لنمو شجرتها و لا تأكل ظاهرا و إن كان للتراب أيضا مدخل في نموها أو المعنى أن عند احتكاك الغصنين الرطبين يظهر الماء فكان النار الظاهر منها يشربها و القداحة و القداح الحجر الذي يوري النار ذكره الجوهري^(١١) و قال الحباب بالضم اسم رجل يخيل كان لا يوقد إلا نارا ضعيفة مخافة الضيفان فغضبوا بها المثل حتى قالوا نار الحباب لما قدحه الخيل يحوافرها و ربما قالوا نار أبي حباب و هو ذباب يطير بالليل كأنه نار و ربما جعلوا الحباب اسما لتلك النار^(١٢) و قال الفيروزآبادي الحباب بالضم ذباب يطير بالليل له شعاع كالسراج و منه نار الحباب أو هي ما اقتدح من شرر النار في الهواء من تصادم الحجارة أو كان أبو حباب من محارب و كان لا يوقد ناره إلا بالحطب الشخت للآ ترى أو هي من الحبشة الضعف أو هي الشرر يسقط^(١٣) من الزناد^(١٤) انتهى والمراد بهذه النار ما كمن منها أو من مادتها في الحجر و الحديد فإنها لا تصل إليها ماء و لا غذاء أو عند قدحها قبل انقادها في قطن أو حطب لا تصادف ماء و لا شيئا آخر.

- (١) في المصدر: «و قدود شجرتها و لو لا كونها ذات شعل».
(٢) في المصدر: ١٨٤.
(٣) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٤٦٣.
(٤) في المصدر: «حبيهما».
(٥) الصحاح ج ١ ص ٤٣١.
(٦) في المصدر: «عن محمد بن أحمد بن يحيى بن عمران».
(٧) الخصال ج ١ ص ٢٣٨ باب الأربعة حديث ٨٤.
(٨) الخصال ج ١ ص ٢٢٧ باب الأربعة حديث ٦٢ جزء من الحديث.
(٩) الصحاح ج ١ ص ٤٩٤.
(١٠) في المصدر: «الشررة تنسقط».
(١١) التفسير الكبير ج ٢٩ ص ١٨٤.
(١٢) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٤٦٣.
(١٣) الصحاح ج ١ ص ١٠٧.
(١٤) القاموس المحيط ج ١ ص ٥٣.

٣- الإحتجاج: عن هشام بن الحكم عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال الزنديق له أخبرني عن السراج إذا انطفأ أين يذهب نوره قال يذهب ولا يعود قال فما أنكرت أن يكون الإنسان مثل ذلك إذا مات و فارق الروح البدن لم يرجع إليه أبداً^(١) قال لم تصب القياس إن النار في الأجسام كامة و الأجسام قائمة بأعيانها كالحجر و الحديد فإذا ضرب أحدهما الآخر^(٢) سطعت من بينهما نار تقتبس^(٣) منها سراج له الضوء^(٤) فالنار ثابتة في أجسامها و الضوء ذاهب^(٥) الخبير.

٤- تفسير علي بن إبراهيم: «الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقِدُونَ» وهو المرخ و الغفار^(٦) يكون في ناحية بلاد العرب^(٧) فإذا أرادوا أن يستوقدوا أخذوا من ذلك الشجر ثم أخذوا عودا فحركوه فيه فيستوقدوا منه النار.^(٨)

فائدة: اعلم أن المشهور بين الحكماء و المتكلمين أن العناصر أربعة النار و الهواء و الماء و الأرض كما تشهد به الشواهد الحسية و التجربة و التأمل في أحوال التركيبات و التحليلات و لقدمات الفلاسفة فيها اختلافات فمنهم من جعل أصل العناصر واحدا و البواقي تحصل بالاستحالة فقول هو النار و قيل الهواء و قيل الماء و قيل الأرض و قيل البخار و منهم من جعله اثنين فقول النار و الأرض و قيل الماء و الأرض و قيل الهواء و الأرض و منهم من جعله ثلاثة فقول النار و الهواء و الأرض و إنما الماء هواء متكاثف و قيل الهواء و الماء و الأرض و إنما النار هواء شديد الحرارة و هذه الأقوال عندهم ضعيفة و قد مر في الأخبار ما يدل على كون أصل العناصر بل الأفلاك الماء أو هو مع النار أو هما مع الهواء و بالجملة لا ريب في وجود تلك العناصر الأربعة تحت فلك القمر و إنما الإشكال في وجود ذرة النار و على تقدير وجودها هل كانت هواء اقلبت نارا بحركة الفلك أو كانت في الأصل نارا و المشهور أن هذه الأربعة عناصر المركبات التامة و أسطقاتها و منها تتركب و إليها تنحل و قيل النار غير موجودة في المركبات لأنها لا تنزل عن الأثير إلا بالقسر و لا قاصر هناك.

ثم المشهور أن صور البسائط باقية في المركبات و قال الشيخ في الشفاء لكن قوما اخترعوا في قريب من زماننا هذا مذهبا غريبا^(٩) قالوا إن البسائط إذا امتزجت و انفعل بعضها من بعض تأدى ذلك بها إلى أن يخلع صورها فلا تكون لواحد منها صورته الخاصة و ليست^(١٠) حينئذ صورة خاصة واحدة فيصير لها هيولى واحدة و صورة واحدة فمنهم من جعل تلك الصورة أمرا متوسطا بين صورها و منهم من جعلها صورة أخرى من النوعيات و احتج على فساد هذا المذهب بوجوه تركناها.^(١١)

و ذهب انكساغورس و أصحابه إلى الخلط و الكمون و البروز و أنكروا التغيير في الكيفية و الصورة و زعموا أن الأركان الأربعة لا يوجد شيء منها صرفا بل هي تختلط من تلك الطبايع النوعية كاللحم و العظم و العصب و التمر و العسل و العنب و غير ذلك و إنما سمي بالغالب الظاهر منها و يعرض لها عند ملاقة الغير أن يبرز منها ما كان كامنا فيها فيغلب و يظهر للحس بعد ما كان مغلوبا غائبا عنه لا على أنه حدث بل على أنه برز و يكمن فيها ما كان بارزا فيصير مغلوبا و غائبا بعد ما كان غالبا و ظاهرا و بإزائهم قوم زعموا أن الظاهر ليس على سبيل البروز بل على سبيل النفوذ من غيره فيه كالماء مثلا فإنه إنما يتسخن بنفوذ أجزاء نارية فيه من النار و المجاورة له و هذان القولان سخيفان و المشهور عندهم أن العناصر تفعل بعضها في بعض فيستحيل في كفيتهما و تحصل للجميع كيفية متوسطة متشابهة هي المزاج فتستعد بذلك لإفاضة صورة مناسبة لها من المبدأ.

ثم المشهور بينهم أن النار التي تسطع عند ملاقة الحجر و الحديد أو عند احتكاك الخشبين

(١) في المصدر: «كما لا يرجع ضوء السراج إليه أبداً إذا انطفئ». (٢) في المصدر: «بالآخر». (٣) في المصدر: «تقتبس». (٤) في المصدر: «ضوء». (٥) الإحتجاج ج ٢ ص ٢٤٤ رقم ٢٢٣. (٦) في المصدر إضافة: «و». (٧) تفسير علي بن إبراهيم ج ٢ ص ٢١٨. (٨) في المصدر: «و تلبس». (٩) الشفاء - الطبيعيات - ص ١٣٣، الفصل السابع في إبطال مذهب محدث المزاج.

الرطبتين أو اليابستين إنما هي بانقلاب الهواء الذي بينهما نارا بسبب حرارة حدثت فيه من الاصطكاك والاحتكاك لا بأن يخرج من الحجر أو الحديد أو الشجر نار وظواهر الآيات والأخبار المتقدمة لا ينافي ذلك.

وأما قوله ﷺ في حديث هشام أن النار في الأجسام كامنة فالمراد بها إما النار التي تركب الجسم منها ومن سائر العناصر أو المعنى أن ما هو سبب لإحداث النار حاصل في الأجسام وإن انطفت النيران المتولدة منها وانقلبت هواء والأول أظهر والحاصل أن قياسك الروح على نار الفتيلة وغيرها حيث لم يمكن إعادتها إلى الأجسام قياس مع الفارق فإن الروح إما جسم أو جوهر مجرد ثابت محفوظ يمكن إعادته والنار الذي ذكرت انقلبت هواء وذهبت فعلى تقدير استحالة إعادتها لا توجب إعادة الروح بل ما يشبه الروح هو النار الكامنة في الجسم الموجود فيه لا هذا الضوء الذاهب وأما نار الشجرة فذات احتمالات أو مأنأ إليها سابقا.

باب ٢٧ الهواء و طبقاته و ما يحدث فيه من الصبح و الشفق و غيرها

الآيات: الأنعام: ﴿فَالْيَوْمِ الْوَاصِلِ﴾ (١)

المدثر: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرُ﴾ (٢)

التكوير: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسُ﴾ (٣)

الانشقاق: ﴿فَلَا أُفْسِمُ بِالشَّفَقِ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ (٤)

الفجر: ﴿وَالْفَجْرِ﴾ (٥)

تفسير: ﴿إِذَا تَنَفَّسَ﴾ قال الرازي إشارة إلى تكامل طلوع الصبح وفي كيفية المجاز قولان أحدهما أنه إذا أقبل الصبح أقبل بإقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له على المجاز والثاني: أنه شبه الليل المظلم بالمكروب المحزون الذي خنق بحيث لا يتحرك واجتمع الحزن في قلبه وإذا تنفس وجد راحة فها هنا لما طلع الصبح فكأنه تخلص من ذلك الحزن فعبّر عنه بالتنفس وهو استعارة لطيفة (٦)

﴿فَلَا أُفْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ أي بالحرمة التي عند المغرب في الأفق وقيل البياض ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ (٧) أي وما جمع وما ضم مما كان منتشرا بالنهار وقيل وما ساق لأن ظلمة الليل تسوق كل شيء إلى مسكنه وقيل وما طرد من الكواكب فإنها تظهر بالليل وتخفى بالنهار ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ (٨) أي إذا استوى واجتمع وتكامل وسم ﴿وَالْفَجْرِ﴾ (٩) أقسم بفجر النهار وهو انفجار الصبح كل يوم وقيل أراد بالفجر النهار كله.

واعلم أن المذكور في كتب الحكماء والرياضيين هو أن الصبح والشفق الأحمر والأبيض إنما يظهر من وقوع ضوء الشمس على كرة البخار قالوا المستضيء بالشمس من كرة الأرض أكثر من نصفها دائما لما بين في محله أن الكرة الصغرى إذا قبلت الضوء من الكبرى كان المستضيء منها أعظم من نصفها وظل الأرض على هيئة مخروط يلزم رأسه مدار الشمس وينتهي في فلك الزهرة كما علم بالحساب والنهار مدة كون المخروط تحت الأفق والليل مدة كونه فوقه فإذا ازداد قرب الشمس من شرقي الأفق ازداد ميل المخروط إلى غربيه ولا يزال كذلك حتى يرى

(٢) سورة المدثر، آية: ٣٤.

(٤) سورة الانشقاق، آية: ١٦ - ١٨.

(٦) التفسير الكبير ج ٣١ ص ٧٢.

(٨) سورة الانشقاق، آية: ١٨.

(١) سورة الأنعام، آية: ٩٦.

(٣) سورة التكوير، آية: ١٨.

(٥) سورة الفجر، آية: ١.

(٧) سورة الانشقاق، آية: ١٧.

(٩) سورة الفجر، آية: ١.

الشعاع المحيط به وأول ما يرى منه هو الأقرب إلى موضع الناظر لأنه صدق رؤيته وهو موقع خط يخرج من بصره عمودا على الخط المماس للشمس والأرض فيرى الضوء مرتفعا عن الأفق مستطيلا وما بينه وبين الأفق مظلما لقربه من قاعدة المخروط الموجب لبعد الضوء هناك عن الناظر وهو الصبح الكاذب ثم إذا قربت الشمس جدا يرى الضوء معترضا وهو الصبح الصادق ثم يرى محمرا والشفق بعكس الصبح يبدو محمرا ثم مبيضا معترضا ثم مرتفعا مستطيلا فالصبح والشفق متشابهان شكلا ومتقابلان وضعا لأن هيئة آخر غروب الشمس مثل أول طلوع الفجر ويختلفان لونا بسبب اختلاف كيفية الهواء المخلوط فإن لون البخار في جانب المشرق مائل إلى الصفا والبياض لاكتسابه الرطوبة من برودة الليل وفي جانب المغرب مائل إلى الصفرة لغلبة الجزء الدخاني المكتسب بحرارة النهار والجسم الكثيف كلما كثرت صفاته وبياضه ازداد قبوله للضوء وكان الشعاع المتعكس منه أقوى من المنعكس من غيره وقد عرف بالآلات الرصدية أن انحطاط الشمس من الأفق عند طلوع الصبح الأول وآخر غروب الشفق يكون ثمانية عشر درجة من دائرة الارتفاع المارة بمركز الشمس في جميع الأفاق ولكن لاختلاف مطالع قوس الانحطاط تختلف الساعات التي بين طلوع الصبح والشمس وكذا بين غروب الشمس والشفق.

قال العلامة رحمه الله في كتاب المنتهى اعلم أن ضوء النهار من ضياء الشمس وإنما يستضيء بها ما كان كذا في نفسه كثيفا في جوهره كالأرض والقمر وأجزاء الأرض المتصلة والمنفصلة وكلما يستضيء من جهة الشمس فإنه يقع له ظل من ورثته وقد قدر الله تعالى يلفظ حكمته دوران الشمس حول الأرض فإذا كانت تحتها وقع ظلها فوق الأرض على شكل مخروط ويكون الهواء المستضيء بضياء الشمس محيطا بجوانب ذلك المخروط فتستضيء نهايات الظل بذلك الهواء المضيء لكن ضوء الهواء ضعيف إذ هو مستعار فلا ينفذ كثيرا في أجزاء المخروط بل كلما ازداد بعدا ازداد ضعفا فإذا متى تكون في وسط المخروط تكون في أشد الظلام فإذا قربت الشمس من الأفق الشرقي مال مخروط الظل عن سمت الرأس وقربت الأجزاء المستضيئة في^(١) حواشي الظل بضياء الهواء من البصر وفيه أدنى قوة فيدركه البصر عند قرب الصباح وعلى هذا كلما ازدادت الشمس قربا من الأفق ازداد ضوء^(٢) نهايات الظل قربا من البصر^(٣) إلى أن تطلع الشمس وأول ما يظهر الضوء عند قرب الصباح يظهر مستدقا مستطيلا كالعمود ويسمى الصبح الكاذب ويشبه بذنب السرحان لدقته واستطالته ويسمى الأول لسبقه على الثاني والكاذب لكون الأفق مظلمًا أي لو كان يصدق أنه نور الشمس لكان المنير مما يلي الشمس دون ما يبعد منه ويكون ضعيفا دقيقا ويبقى وجه الأرض على ظلامه بظل الأرض ثم يزداد هذا الضوء إلى أن يأخذ طولا وعرضا فينبسط في أرض^(٤) الأفق كنصف دائرة وهو الفجر الثاني الصادق لأنه صدق عن الصبح وبينه لك^(٥).

١- الكافي: عن علي بن محمد ومحمد بن الحسن عن سهل بن زياد عن ابن محبوب عن أبي ولاد قال قال أبو عبد الله عليه السلام إن الله خلق حجابا من ظلمة مما يلي المشرق وكل به ملكا فإذا غابت الشمس اغترف ذلك الملك غرفة بيديه^(٦) ثم استقبل بها المغرب يتبع الشفق ويخرج من بين يديه قليلا قليلا ويعضي فيوافي المغرب عند سقوط الشفق فيسرح في الظلمة ثم يعود إلى المشرق فإذا طلع الفجر نشر جناحيه فاستاق الظلمة من المشرق إلى المغرب حتى يوافي بها المغرب عند طلوع الشمس^(٧).

بيان: هذا الخبر من معضلات الأخبار ولعله من غوامض الأسرار ومن في قوله عليه السلام من ظلمة يحتمل البيان والتبعض والاستباق السوق ولعل الكلام مبني على استعارة تمثيلية لبيان أن شيوخ الظلمة واشتدادها تابعان لقلة الشفق وغيبوته وكذا العكس وأن جميع ذلك بتدبير المدير الحكيم وتقدير العزيز العليم وربما يؤول الخبر بأن المراد بالحجاب الظلماني ظل الأرض المخروطي من الشمس وبالمملك الموكل به روحانية الشمس المحركة لها الدائرة بها وبأحدى يديه القوة المحركة لها بالذات التي هي سبب لنقل ضوئها من محل إلى آخر وبالأخرى القوة

(١) في المصدر: «من» بدل «في».

(٢) عبارة: «قرباً من البصر» ليست في المصدر.

(٣) منتهى المطالب ج ٤ ص ٨٨ - ٨٩ فضل مواقيت الفرائض.

(٤) في المصدر: «عروض».

(٥) في المصدر: «بيده».

(٦) الكافي ج ٣ ص ٢٧٩ باب وقت المغرب والمشاء حديث ٣.

المحركة لظل الأرض بالعرض بتبعية تحريك الشمس التي هي سبب لنقل الظلمة من محل إلى آخر و عوده إلى المشرق إنما هو بعكس البدء بالإضافة إلى الضوء والظل وبالنسبة إلى فوق الأرض وتحتها ونشر جناحيه كأنه كناية عن نشر الضوء من جانب والظلمة من آخر وأقول لعل السكوت عن أمثال ذلك ورد علمها إلى الإمام عليه السلام أحوط وأولى.

٢-الكافي: عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن علي بن أحمد بن أشيم عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال سمعته يقول وقت المغرب إذا ذهبت الحمرة من المشرق وتدرى كيف ذلك قلت لا قال لأن المشرق مظل على المغرب هكذا ورفع يمينه فوق يساره فإذا غابت هاهنا ذهب الحمرة من هاهنا. (١)

بيان: أطل عليه أي أشرف وفي بعض النسخ بالطاء المعجمة والمعنيان متقاربان والمراد بالمشرق إما النصف الشرقي من السماء أو ما قرب من الأفق الشرقي منها والحاصل أن المغرب والمعتبر في دخول وقت الصلاة والإفطار هو غيبوبة القرص وذهاب آثاره من جانب المشرق مطلقا سواء كانت على الجدران والجبال أو على كرة البخار وسيأتي تمام القول في ذلك في كتاب الصلاة إن شاء الله تعالى.

٣-الكافي: عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن الحجال عن ثعلبة بن ميمون عن عمران الحلبي قال سألت أبا عبد الله عليه السلام متى تجب العتمة فقال إذا غاب الشفق والشفق الحمرة فقال عبيد الله أصلحك الله إنه يبقى بعد ذهاب الحمرة ضوء شديد معترض فقال أبو عبد الله عليه السلام إن الشفق إنما هو الحمرة وليس الضوء من الشفق. (٢)

٤-ومنه: عن علي بن إبراهيم عن علي بن محمد القاساني عن سليمان بن حفص المروزي عن أبي الحسن العسكري عليه السلام قال إذا انتصف الليل ظهر بياض في وسط السماء شبه عمود من حديد تضيء له الدنيا فيكون ساعة ثم يذهب ويظلم فإذا بقي ثلث الليل ظهر بياض من قبل المشرق فأضاءت له الدنيا فيكون ساعة ثم يذهب فيكون (٣) وقت صلاة الليل ثم يظلم قبل الفجر ثم يطلع الفجر (٤) الصادق من قبل المشرق وقال ومن أراد أن يصلي صلاة الليل في نصف الليل فذاك له. (٥)

بيان: قوله ويظلم أي البياض مجازا وفي بعض النسخ بالتاء أي الدنيا ويمكن أن يكون المراد بالإضاءة ظهور الأنوار المعنوية للمقربين بسبب فتح أبواب سماء الرحمة ونزول الملائكة لإرشاد العباد وتنبيههم ودأبهم إياهم من ملكوت السماوات كما ورد في سائر الروايات ويمكن أن تكون أنوارا ضعيفة تخفى على أكثر الناس في أكثر الأوقات وتظهر على أبصار العارفين الذين ينظرون بنور الله كما أن الملائكة يراهم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ولا يراهم غيرهم وقد يقال ظهور البياض كناية عن نزول الملك الذي ينزل نصف الليل إلى سماء الدنيا لينادي العباد فتضيء له الدنيا أي يقوم الناس للعبادة فيظهر له نور من الأرض بسبب عبادتهم كما ورد في الخبر أنهم يضيئون لأهل السماء ثم يذهب لأنهم ينامون قليلا كما ورد من سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم يقومون إذا بقي ثلث الليل وظهور البياض من قبل المشرق لأن الملك ينتقل إليه ثم يظلم قبل الفجر أي ينامون قليلا بالجملة الخبر من المتشابهات وعلمه عند من صدر عنه إن لم يكن من الموضوعات.

٥-الخرائج: روي عن صفوان الجمال قال كنت بالبحيرة مع أبي عبد الله عليه السلام إذ أقبل الربيع وقال أجب أمير المؤمنين فلم يلبث أن عاد قلت أسرعرت الانصراف قال إنه سألني عن شيء فاسأل الربيع عنه فقال صفوان وكان بيني وبين الربيع لطف فخرجت إلى الربيع وسألته فقال أخبرك بالعجب إن الأعراب خرجوا يجتنون الكمأة فأصابوا في البر خلقا ملقى فأتوني به فأدخلته على الخليفة فلما رآه قال نحه وادع جعفرًا فدعوته فقال يا أبا عبد الله أخبرني عن الهواء ما فيه قال في الهواء موج مكفوف قال ففيه سكان قال نعم قال وما سكانه قال خلق أبدانهم أبدان الحيتان

(١) الكافي ج ٣ ص ٢٧٨ باب وقت المغرب والعشاء الآخرة حديث ١.

(٢) الكافي ج ٣ ص ٢٨٠ باب وقت المغرب والعشاء الآخرة حديث ١١.

(٣) في المصدر: «وهو».

(٤) من المصدر.

(٥) الكافي ج ٣ ص ٢٨٣ باب وقت الفجر حديث ٦.

ورءوسهم رءوس الطير و لهم أعرفه كأعرفه الديكة و نغانغ كنفانغ الديكة و أجنحة كأجنحة الطير من ألوان أشد بياضا من الفضة المجلوة فقال الخليفة هلم الطشت فجنبت بها و فيها ذلك الخلق و إذا هو و الله كما وصفه جعفر^(١) فلما خرج جعفر قال يا ربيع هذا الشجا المعترض في حلقي من أعلم الناس.^(٢)

بيان: قال الفيروز آبادي الكمة نبات معروف و الجمع أكمؤ و كماء أو هي اسم للجمع أو هي للواحد و الكمة للجمع^(٣) و قال النفع الفرّج ذو الريلات و موضع بين اللهاة و شوارب الحنجر و اللحمة في الحلق عند اللحام^(٤) و الذي يكون عند^(٥) عنق البعير إذا اجتر تحرك^(٦) و قال الديك بالكسر معروف و الجمع ديوك و أدياك و ديكة كقردة^(٧) و قال الشجا ما اعترض في الحلق من عظم و نحوه^(٨) انتهى و لما كان ﷺ مستحقا للخلافة متصفا بشرائطها دونه و لم يمكنه دفعه شبهه بالشجا المعترض في الحلق الذي لا يمكن إساغته و لا دفعه و لعل المراد بالموج المكفوف البحر الموج المكفوف عن السيلان و يحتمل أن يكون إشارة إلى البحر المحيط و يكون هذا الحيوان مما ارتفع منه مع السحاب لكن ظاهر هذا الخبر و الخبر الآتي أنه بحر بين السماء و الأرض غير المحيط.

٦- كشف الغمة: قال محمد بن طلحة إن أبا جعفر محمد بن علي ﷺ لما توفي والده علي الرضا ﷺ و قدم الخليفة إلى بغداد بعد وفاته بسنة اتفق أنه خرج إلى الصيد فاجتاز بطرف البلد في طريقه و الصبيان يلعبون و محمد واقف معهم و كان عمره يومئذ إحدى عشرة سنة فما حولها فلما أقبل المأمون أنصرف الصبيان هاربين و وقف أبو جعفر محمد ﷺ فلم يبرح مكانه فقرب منه الخليفة فنظر إليه و كان الله عز و علا قد ألقى عليه مسحة من قبول فوقف الخليفة و قال له يا غلام ما منعك من الانصراف مع الصبيان فقال له محمد مسرعا يا أمير المؤمنين لم يكن بالطريق ضيق لأوسعهم عليك بذهابي و لم يكن لي جريمة فأخشاها و ظني بك حسن أنك لا تضر من لا ذنب له فوقف فأعجبه كلامه و وجهه فقال له ما اسمك قال محمد قال ابن من أنت قال يا أمير المؤمنين أنا ابن علي الرضا فترحم على أبيه و ساق جواده إلى وجهته و كان معه بزة فلما بعد عن العمارة أخذ بازيا فأرسله على دراجة فغاب عن عينه غيبة طويلة ثم عاد من الجو و في منقاره سمكة صغيرة و بها بقايا الحياة فعجب الخليفة من ذلك غاية العجب ثم أخذها في يده^(٩) إلى داره في الطريق الذي أقبل منه فلما وصل إلى ذلك المكان وجد الصبيان على حالهم فانصرفوا كما فعلوا أول مرة و أبو جعفر لم ينصرف و وقف كما وقف أولا فلما دنا منه الخليفة قال يا محمد قال ليبيك يا أمير المؤمنين قال ما في يدي فألهمه الله عز و جل أن قال يا أمير المؤمنين إن الله تعالى خلق بمشيتيه في بحر قدرته سمكا صغارا تصيدها بزة الملوك و الخلفاء فيختبرون بها سلالة أهل النبوة فلما سمع المأمون كلامه عجب منه و جعل يطيل نظره إليه و قال أنت ابن الرضا حقا و ضاعف إحسانه إليه.

قال علي بن عيسى إني رأيت في كتاب لم يحضرني الآن اسمه أن البراة عادت و في أرجلها حيات خضر و أنه ستل بعض الأئمة فقال قبل أن يفصح عن السؤال إن بين السماء و الأرض حيات خضر تصيدها بزة شهب يمتحن بها أولاد الأنبياء و ما هذا معناه و الله أعلم.^(١٠)

٧- الدلائل للطبري: عن علي بن هبة الله عن الصدوق عن محمد بن موسى بن المتوكل عن علي بن الحسين السعد آبادي عن أحمد البرقي عن أبيه عن محمد بن سنان عن داود بن كثير الرقي عن أبي عبد الله ﷺ أنه لما خرج من عند المنصور نزل الحيرة فبينما هو بها إذ أتاه الربيع فقال أجب أمير المؤمنين فركب إليه و قد كان وجد في الصحراء صورة عجيبه لا تعرف خلقتها ذكر من وجدها أنه رأها و قد سقطت مع المطر فلما دخل عليه قال له يا أبا عبد الله أخبرني عن الهواء أي شيء فيه قال بحر مكفوف قال له فله سكان قال نعم قال و ما سكانه قال أبدانهم أبدان الحيتان

(١) في المصدر إضافة: «فلما نظر إليه جعفر قال: هذا هو الخلق الذي يسكن الموج المكوف فأذن له بالانصراف» بين المعقوفتين.

(٢) الخرائج و الجرائع ج ٢ ص ٦٤٠ فصل في أعلام الإمام الصادق ﷺ حديث ٤٧.

(٣) القاموس المحيط ج ١ ص ٢٨.

(٤) في القاموس: «عند اللحام».

(٥) القاموس المحيط ج ٣ ص ١١٨.

(٦) القاموس المحيط ج ٤ ص ٣٤٩.

(٧) القاموس المحيط ج ٣ ص ٣١٣.

(٨) في المصدر إضافة: «و عاد».

(٩) كشف الغمة ج ٢ ص ٣٤٤ و ٣٤٥.

ورءوسهم رءوس الطير و لهم أعرقة كأعرقة الديكة و نغانغ كنفانغ الديكة و أجنحة كأجنحة الطير من ألوان أشد بياض من الفضة فدعا المنصور بالطست فإذا الخلق فيها لا يزيد و لا ينقص فأذن له فانصرف ثم قال للربيع وملك يا ربيع هذا الشجا المعترض في حلقى من أعلم الناس.^(١)

٨- شرح النهج: [نهج البلاغة] لمحمد بن الحسين الكيدري و لابن ميثم رحمة الله عليهما قالوا روي أن زرارمة و هشاما اختلفا في الهواء أهو مخلوق أم لا فرجع إلى الصادق عليه السلام بعض مواليه و قال إني متحير فإني أرى أصحابنا يختلفون فقال ليس هذا بخلاف يؤدي إلى الكفر و الضلال.^(٢)

بيان: يدل على أن الخطاء في أمثال تلك الأمور التي لا تعلق لها بأصول الدين و لا فروعه لا يوجب ضلالا و وبالا بل يومئ إلى أن العلم بها ليس مما يورث للإنسان فضلا و كمالاته ثم إنه يحتمل أن يكون اختلافهما في وجود الهواء بمعنى الخلا و البعد الذي هو مكان عند المتكلمين كما ذكره ابن ميثم و قد تقدم كلامه في ذلك في الباب الأول و يحتمل أن يراد به الهواء الذي هو أحد العناصر.

فائدة: اعلم أن في عدد طبقات الهواء مع طبقات سائر العناصر بين الحكماء خلافا فقال نصير الملة و الدين في التذكرة طبقات العناصر ثمان طبقة للنار الصرفة ثم طبقة لما يمتزج من النار و الهواء الحار التي تتلاشى فيه الأدخنة المرتفعة من السفلى و تتكون فيها الكواكب ذوات الأذناب و النيازك و ما يشبههما من الأعمدة و ذوات القرون و نحوها و ربما يوجد هذه الأمور المتكونة في هذه الطبقة متحركة بحركة الفلك الأعظم ثم طبقة الهواء الغالب التي تحدث فيها الشهب ثم طبقة الزمهريرية الباردة التي هي منشأ السحب و الرعد و البرق و الصواعق ثم طبقة الهواء الحار الكثيف المجاور للأرض و الماء ثم طبقة الماء و بعض هذه الطبقة منكشفة عن الأرض عناية من الحضرة الإلهية لتكون مسكنا للحيوانات المتنفسة ثم طبقة الأرض المخالطة لغيرها التي تتولد فيها الجبال و المعادن و كثير من النباتات و الحيوانات ثم طبقة الأرض الصرفة المحيطة بالمركز.^(٣)

وقيل إنها تسع ثامناتها الطبقة الطينية التي يخلط فيها الأرض بالماء و تاسعها طبقة الأرض الصرفة و باقي الطبقات على النحو المذكور و قيل إنها سبع الأولى طبقة النار الصرفة ثم الطبقات الخمس التي تحت النار الصرفة على النحو المذكور و سابغ الطبقات هي طبقة الأرض و قيل إنها سبع الأولى طبقة للنار و طبقة للماء و الطبقات الثلاث الأخيرة التي تعلقت بالأرض بحالها على النحو المذكور و الهواء ينقسم إلى طبقتين باعتبار مخالطة الأبخرة و عدمها إحداهما: الهواء اللطيف الصافي من الأبخرة و الأدخنة و الهياث المتصاعدة من كرتي الأرض و الماء بسبب أشعة الشمس و غيرها من الكواكب لأن تلك الهياث تنتهي في ارتفاعها إلى حد لا يتجاوزوه و هو من سطح الأرض و جميع نواحيها أحد و خمسون ميلا و كسر قريب من تسعة عشر فرسخا فمن هذه النهاية إلى كرة الأثير هو الهواء الصافي و هو شفاف لا يقبل النور و الظلمة و الألوان كالأفلاك و ثانيتهما: هي الهواء المتكاثف بما فيها من الأجزاء الأرضية و المائية و شكل هذا الهواء شكل كرة محيطة بالأرض و الماء على مركزها و سطح مواز لسطحها لتساوي غاية ارتفاع الهياث المذكورة عن مركز الأرض في جميع النواحي المستلزم لكرية هذه الطبقة لكنها مختلفة القوام لأن الأقرب إلى الأرض أكثف من الأبعد لأن الألفاظ يتصاعد أكثر من الأكثف لكن لا يبلغ في التكاثف بحيث يحجب ما وراءه عن الإبصار و هذه الكرة تسمى كرة البخار و عالم النسيم يعني مهب الرياح لأن ما فوقها من الهواء الصافي ساكن لا يضطرب و تسمى كرة الليل و النهار إذ هي القابلة للنور و الظلمة بما فيها من الأجزاء الأرضية و المائية القابلة لهما دون ما عداهما من الهواء الصافي.

وقال بعض المحققين منهم الأولى أن يقال طبقات العنصرية سبع أولاها طبقة النار الصرفة و ثانيتهما طبقة الهواء الصافي الذي يصل إليه الدخان و ثالثتها: طبقة الهواء الذي يصل الدخان إليه و لم يصل إليه البخار و يتكون في الطرف الأعلى منه النيازك و شبهها و في الطرف الأدنى منه الشهب و رابعتها طبقة الهواء الذي يصل إليه البخار

(١) دلائل الإمامة ص ٤٩٧ - ٤٩٨ حديث ٢٥٣.

(٢) حدائق الحقائق ج ١ ص ١٣١، و شرح ابن ميثم ج ١ ص ١٤١ ذيل الخطبة الأولى.

(٣) تذكرة الأفلاك مخطوط - ورقة ٩، الفصل الثاني في ترتيب الأجرام.

و يبقى على برودته الحاصلة و هي الطبقة الزمهريرية التي تتكون فيها السحب و الرعد و البرق و الصواعق و خامستها طبقة الهواء الكثيف المجاور للأرض و الماء و سادستها طبقة الماء و سابعتها طبقة الأرض و هو الترتيب المختار عند بعض في تفسير قوله تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ (١) بأن يكون المراد بالأرض غير السماوات و ما فيها و قالوا إن الزرقة التي يظن الناس أنها لون السماء فإنها تظهر في كرة البخار لأنه لما كان الألف من أشد صعودا عن الأكثف كانت الأجزاء القريبة من سطح كرة البخار أقل قبولا للضوء لكثرة البعد و اللطافة من الأجزاء القريبة من الأرض و لهذا تكون كالظلمة بالنسبة إلى هذه الأجزاء فيرى الناظر في كرة البخار لونا متوسطا بين الظلام و الضياء لأن الناظر إذا رأى شيئا مظلما من خلف شيء مضيء رأى لونا مخلوطا من الظلمة و الضياء أو لأن كرة البخار مستضيئة دائما بأشعة الكواكب و ما وراءها لعدم قبول الضوء كالعظم بالنسبة إليها فإذا نفذ نور البصر من الأجزاء المستنيرة بأشعة الكواكب و وصل إلى المظلم رأى الناظر ما فوقه من الجو المظلم بما يمازجه من الضياء الأرضي و الضياء الكوكبي لونا متوسطا بين الظلام و الضياء و هو اللون اللاجوردي كما إذا نظرنا من وراء جسم مشف أحمر مثلا إلى جسم أخضر فإنه يظهر لنا لون مركب من الحمراء و الخضرة و هذا اللون اللاجوردي أشد الألوان مناسبة و تقوية بالنسبة إلى الأبصار فظهوره للأبصار إنما هو من العناية الإلهية ليكون للناظرين المتأملين في السماوات لذة و قوة للأبصار في النظر كما يكون لعقولهم لذة عقلية في التأمل فيها. (٢)

أقول: هذا ما قالوا في ذلك رجما بالغيب و أخذوا بالظن و الله يعلم حقائق مخلوقاته و حججه الكرام ﷺ.

باب ٢٨

السحاب و المطر و الشهب و البرق و الصواعق و القوس و سائر ما يحدث في الجو

الآيات:

البقرة: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَ السَّمَاءَ بِنَاءً وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَتَدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٣) و قال تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ الْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْرَجَ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَ بَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَ تَضْرِبُ الرِّيَاحُ وَ السَّحَابُ الْمُسَحَّرُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٤)

الأنعام: ﴿وَ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَبَاتٍ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (٥)

الأعراف: ﴿وَ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا نَفَالًا سَفْنَا لِبَلَدٍ مَيْتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٦)

الرعد: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَ طَمَعًا وَ يَنْشِئُ السَّحَابَ الثَّقَالَ وَ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَ الْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَ يُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَ هُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَ هُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ (٧)

إبراهيم: ﴿وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ (٨)

الحجر: ﴿إِنَّا مِنْ أَسْتَرَقِ السَّعَةِ فَأَتَيْنَا شِهَابًا مُبِينًا﴾ (٩) و قال تعالى ﴿وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَ مَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ وَ أَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاسْقَيْنَاكُمُوهُ وَ مَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ (١٠)

٣٤٤
٥٩

٣٤٥
٥٩

(٢) لم تعرف اسم هذا البعض.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٦٤.

(٦) سورة الأعراف، آية: ٥٧.

(٨) سورة إبراهيم، آية: ٣٢.

(١٠) سورة الحجر، آية: ٢١ و ٢٢.

(١) سورة الطلاق، آية: ١٢.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٢.

(٥) سورة الأنعام، آية: ٩٩.

(٧) سورة الرعد، آية: ١٢ و ١٣.

(٩) سورة الحجر، آية: ١٨.

النحل: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾^(١) وقال تعالى وَ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَ آيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ.﴾^(٢)

الحج: ﴿و تَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ وَ أُنْبِتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ يَهْبِجُ﴾^(٣)

و قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾^(٤)

المؤمنون: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَ إِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَفَادِرُونَ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَحِيلٍ وَ أَغْنَيْنَا لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهَ كَثِيرَةً وَ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾^(٥)

النور: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْسِجُ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَ يُنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصْبِحُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَ يَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَازِقُهُ يُذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ يَغْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾^(٦)

٣٤٦
٥٩

الفرقان: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا لِنُخْطِي بِهِ بِلَدَّةٍ مُسْتَبَاةٍ وَ نُخْشِفَ بِهَا خَلْقَنَا أَنْعَامًا وَ إِنْسِيًّا كَثِيرًا وَ لَقَدْ قَرَضْنَاَهُمْ بَيْنَهُمْ لِيَذْكُرُوا أَنَايَ أَكْثَرَ النَّاسِ إِلَّا الْكَافِرَاءُ﴾^(٧)

النمل: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ هُمْ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَمَنْ يَرْزُقْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ﴾﴾^(٨)

العنكبوت: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا يَقُولُونَ اللَّهُ﴾^(٩)

الروم: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرْسِجُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَ طَمَعًا وَ يُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْضِ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(١٠) و قال تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَنْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَ يَجْعَلُهُ كَسَافًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَ إِن كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قُبُلِهِ لَمُمْلِسِينَ فَانظُرْ إِلَيَّ أَنَا رَحِمَتُ اللَّهِ كَيْفَ يُخِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيٍ الْمَوْتَى وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَ لَمَّا أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفًا الظُّلُمَاتِ مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾^(١١)

لقمان: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ رَوْحٍ كَرِيمٍ﴾^(١٢)

فاطر: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَمَسْكَنَةً إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَخْبَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ الشُّرُورُ﴾^(١٣)

٣٤٧
٥٩

الصفات: ﴿إِلَّا مَنْ خَطَفَ الْحَظْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾^(١٤)

الزمر: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعُ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زُرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَاهُ مُصْفًى ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(١٥)

المؤمن: ﴿هُوَ الَّذِي يُرْسِجُ أَيْتَانِهِ وَ يُنْزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾^(١٦)

حمعسق: ﴿هُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَطَطُوا وَ يَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَ هُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(١٧)

الزخرف: ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْجَوْنَ﴾^(١٨)

الجاثية: ﴿وَ اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَ النَّهَارُ وَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَ تَصْرِيفَ الرِّيحِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(١٩)

(٢) سورة النحل، آية: ٦٥.

(٤) سورة الحج، آية: ٦٣.

(٦) سورة النور، آية: ٤٣ و ٤٤.

(٨) سورة النمل، آية: ٦٠ - ٦٤.

(١٠) سورة الروم، آية: ٢٤.

(١٢) سورة لقمان، آية: ١٠.

(١٤) سورة الصفات، آية: ١٠.

(١٦) سورة المؤمن، آية: ١٣.

(١٨) سورة الزخرف، آية: ١١.

(١١) سورة النحل، آية: ١٠.

(٣) سورة الحج، آية: ٥.

(٥) سورة المؤمنون، آية: ١٨ - ١٩.

(٧) سورة الفرقان، آية: ٤٨ - ٥٠.

(٩) سورة العنكبوت، آية: ٦٣.

(١١) سورة الروم، آية: ٤٨ - ٥١.

(١٣) سورة فاطر، آية: ٩.

(١٥) سورة الزمر، آية: ٢١.

(١٧) سورة الشورى، آية: ٢٨.

(١٩) سورة الجاثية، آية: ٥.

ق: «وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَخْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مِثْلَ ذَلِكَ الْخُرُوجِ» (١)
 الذاريات: «وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا فَلْيَمْلِكُنَّ أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَا يُمْهِرُ» (٢)
 القمر: «فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَا يُمْهِرُ» (٣)
 الواقعة: «إِذَا فَرَغْتَ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَنْتُمْ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ الْغَمْرِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ» (٤)

٣٤٨
٥٩

الجن: «وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَمَةٌ فَجَعَلْنَا فُجُورًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَهِيَ أَرْبَعُ مِائَةِ أَلْفٍ وَمِائَةٍ أَلْفٍ وَبَعْضٌ مِمَّا يَخْتَفَى فِيهَا» (٥)
 تفسير: «وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» (٦) قال البيضاوي خروج الثمار بقدرة الله ومشيته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا في إخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بأن أجرى عادته بإفاضة صورها وكيفياتها على المادة الممزوجة منهما أو أبدع (٧) في الماء قوة فاعلة وفي الأرض قوة قابلة تتولد من اجتماعها أنواع الثمار وهو قادر على أن يوجد الأشياء كلها بلا أسباب ومواد كما أبدع نفوس الأسباب والمواد ولكن له في إنشائها مدرجا من حال إلى حال صنعا وحكما يحدد فيها أولي الأبصار عبدا وسكونا إلى عظم قدرته ليس في إيجادها دفعة «ومن» الأولى للابتداء سواء أريد بالسماء السحاب فإن ما علاك سماء أو الفلك فإن المطر يبتدىئ من السماء إلى السحاب ومنه إلى الأرض على ما دلت عليه الظواهر أو من أسباب سماوية تثير الأجزاء الرطبة من أعماق الأرض إلى جو الهواء فتتجدد سحابا ماطرا. (٨)

٣٤٩
٥٩

«إِن فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» (٩) قيل إنما جمع السماوات وأفرد الأرض لأن السماوات طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الأرضين «بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ» أي ينفعهم أو بالذي ينفعهم «وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ» (١٠) الأولى للابتداء والثانية للبيان.

وقال البيضاوي السماء يحتمل الفلك والسحاب وجه العلو (١٠) وقال الرازي فإن قيل أفتقولون إن الماء ينزل من السماء على الحقيقة أو من السحاب أو تجوزون ما قاله بعضهم من أن الشمس تؤثر في الأرض فتخرج منها أبخرة متصاعدة فإذا وصلت الجو (١١) بردت فتقلت فنزلت من فضاء المحيط إلى ضيق المركز اتصلت فتولد من اتصال بعض تلك الذرات ببعض قطرات هي قطرات المطر قلنا بل نقول إنه ينزل من السماء كما ذكر الله تعالى وهو الصادق في خبره وإذا كان قادرا على إمساك الماء في السحاب فأى بعد في أن يمسكه في السماء وأما قول من يقول إنه من بخار (١٢) الأرض فهذا ممكن في نفسه لكن القطع بأنه كذلك لا يمكن إلا بعد القول بنفي الفاعل المختار وقدم العالم وذلك كفر لأننا متى جوزنا أن الفاعل المختار قادر على خلق الجسم فكيف يمكننا مع إمكان هذا القسم أن نقطع بما قالوه (١٣) انتهى.

«فَأَخْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ» (١٤) أي بالنبات مجازا «وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ» قال البيضاوي عطف على أنزل كأنه استدل بنزول المطر وتكون النبات به وبث الحيوانات في الأرض أو على «أحياء» فإن الدواب ينمون بالخصب ويعيشون بالحياء والبث النشر والتفريق (١٥).

وقال الرازي في تصريف الرياح وجه الاستدلال أنها مخلوقة على وجه يقبل التصريف وهو الرقة واللطافة ثم إنه

(١) سورة ق: آية: ٩ - ١١.
 (٢) سورة الذاريات: آية: ٤ - ٥.
 (٣) سورة القمر: آية: ١١.
 (٤) سورة الواقعة: آية: ٦٨ - ٧٠.
 (٥) سورة الجن: آية: ١٦ - ١٨.
 (٦) في المصدر: «أودع».
 (٧) سورة البقرة: آية: ١٦٤.
 (٨) في المصدر إضافة: «البارد».
 (٩) التفسير الكبير ج ٤ ص ٢٢٣.
 (١٠) أنوار التنزيل ج ١ ص ٩٧ و ٩٨.
 (١١) سورة الذاريات: آية: ١ - ٤.
 (١٢) سورة الواقعة: آية: ٦٨ - ٧٠.
 (١٣) سورة البقرة: آية: ٢٢.
 (١٤) أنوار التنزيل ج ١ ص ٣٧.
 (١٥) أنوار التنزيل ج ١ ص ٩٧.
 (١٦) في المصدر: «البحار».
 (١٧) سورة البقرة: آية: ١٦٤.

سبحانه يصرفها على وجه يقع بها النفع العظيم في الإنسان والحيوانات ثم^(١) ذلك من وجه أحدها أنها مادة النفس التي لو انقطع ساعة عن الحيوان لمات لا جرم كان وجدانه أسهل من وجدان كل شيء وبعد الهواء الماء لأن الماء لا بد.

فيه من تكلف الاغتراف بخلاف الهواء فإن الآلات المهيأة لجذبه حاضرة أبداً ثم بعد الماء الحاجة إلى الطعام شديدة لكن دون الحاجة إلى الماء فلا جرم كان تحصيل الطعام أصعب من تحصيل الماء و بعد الطعام الحاجة إلى تحصيل المعاجين والأدوية النادرة قليلة فلا جرم عزت هذه الأشياء و بعد المعاجين الحاجة إلى أنواع الجواهر من اليواقيت والزبرجد نادرة جدا ولا جرم كانت في نهاية العزة فثبت أن كلما كان الاحتياج إليه أشد كان وجدانه أسهل و كلما كان الاحتياج إليه أقل كان وجدانه أصعب و ما ذلك إلا رحمة منه على العباد و لما كانت الحاجة إلى رحمة الله أعظم الحاجات ترجو أن يكون وجدانها أسهل من وجدان كل شيء.

و ثانيها: لو لا تحرك الهواء لما جرت الفلك و هذا مما لا يقدر عليه أحد^(٢) إلا الله تعالى فلو أراد كل من في العالم أن يقلب الريح من الشمال إلى الجنوب^(٣) إذا كان الهواء ساكناً أن يحركه لتعذر.^(٤)

﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾^(٥) سمي السحاب سحاباً لانسحابه في الهواء و معنى التسخير التذليل و إنما سماه مسخراً لوجوه أحدها: أن طبع الماء^(٦) يقتضي النزول فكان بقاءه في جو الهواء على خلاف الطبع فلا بد من قاهر يقسره^(٧) على ذلك و لذلك سماه بالمسخر الثاني إن هذا السحاب لو دام لعظم ضرره من حيث إنه يستر ضوء الشمس و يكثر الأمطار و لو انقطع لعظم ضرره لأنه يفضي إلى القحط و عدم العشب الثالث أن السحاب لا يقف في موضع معين بل يسوقه الله تعالى بواسطة تحريك الرياح إلى حيث أراد و شاء و ذلك هو التسخير^(٨) انتهى.

﴿لَا يَأْتِ لِقَوْمٍ يُعَذِّبُونَ﴾ قال البيضاوي يتفكرون فيها و ينظرون إليها بعيون عقولهم و الكلام المجمع في دلالة هذه الآيات على وجود الإله و وحدته أنها أمور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة و أنحاء مختلفة إذ كان من الجائز مثلاً أن لا تتحرك السماوات أو بعضها كالأرض و أن تتحرك بعكس حركتها و بحيث تصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين و أن لا يكون لها أوج و حضيض أصلاً أو على هذا الوجه ليساطتها و تساوي أجزائها فلا بد لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ما تستدعيه حكمته و تقتضيه مشيئة متعالياً عن معارضة غيره إذ لو كان معه إله يقدر على ما يقدر عليه الآخر فإن توافقت إرادتهما فالفعل إن كان لهما لزم اجتماع مؤثرين على أثر واحد و إن كان لأحدهما لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح و عجز الآخر النافي لإبليته و إن اختلفت لزم التمانع و التصادم كما أشار إليه بقوله تعالى ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(٩) انتهى.

و أقول: قد مر في كتاب التوحيد بسط القول في الاستدلال بحدوث تلك الأشياء و إمكانها على افتقارها إلى صانع قديم واجب بذاته و اشتغالها على الحكم المتناهية على قدرته سبحانه و علمه و حكمته و لطفه و بانتظامها و تلازمها على وحدة صانعها فلا نعيد الكلام فيها.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾^(١٠) قال الرازي اختلف الناس فيه فقال الجبائي إنه تعالى ينزل الماء من السماء إلى السحاب و من السحاب إلى الأرض قال لأن ظاهر النص يقتضي نزول المطر من السماء و العدول عن الظاهر إلى التأويل إنما يحتاج إليه عند قيام الدليل على أن إجراء اللفظ على ظاهره غير ممكن و في هذا الموضع لم يقم دليل على امتناع نزول المطر من السماء فوجب إجراء اللفظ على ظاهره و أما قول من يقول إن البخارات الكثيرة تجتمع في باطن الأرض ثم تصعد و ترتفع إلى الهواء فينفذ الغيم منها و يتقاطر و ذلك هو المطر فقد احتج الجبائي على فساده بوجوه الأول: أن البرد قد يوجد في وقت الحر بل^(١١) في صميم الصيف و نجد المطر في أبرد وقت ينزل غير

(١) في المصدر: «و البثا و» بدل «ثم».

(٢) من المصدر.

(٤) التفسير الكبير ج ٤ ص ٢٢٦.

(٣) في المصدر إضافة: «أو».

(٦) في المصدر إضافة: «تقبل».

(٥) سورة البقرة: آية: ١٦٤.

(٨) التفسير الكبير ج ٤ ص ٢٢٨.

(٧) في المصدر: «يقهر».

(١٠) سورة الأنعام: آية: ٩٩.

(٩) أنوار التنزيل ج ١ ص ٩٨.

(١١) من المصدر.

جامد وذلك يطل قولهم الثاني: إن البخارات إذا ارتفعت وتصادت وتفرقت لم يتولد منها قطرات الماء الثالث: لو كان تولد المطر من صعود البخارات فالبخارات دائمة الارتفاع من البحار فوجب أن يدوم هناك نزول المطر و حيث لم يكن الأمر كذلك علمنا فساد قولهم قال فثبت بهذه الوجوه أنه ليس تولد المطر من بخار الأرض.

ثم قال والقوم إنما احتاجوا إلى هذا القول لأنهم اعتقدوا أن الأجسام قديمة وإذا كان الأمر كذلك امتنع دخول الزيادة والنقصان فيها وحينئذ لا معنى لحدوث الحوادث إلا اتصاف تلك الذوات^(١) بصفة بعد أن كانت موصوفة بصفات أخرى فلهذا السبب احتالوا في تكوين كل شيء عن مادة معينة وأما المسلمون فلما اعتقدوا أن الأجسام محدثة وأن خالق العالم فاعل مختار قادر على خلق الأجسام كيف شاء وأراد فعند هذا لا حاجة إلى استخراج هذه التكاليف فثبت أن ظاهر القرآن يدل على أن الماء إنما ينزل من السماء ولا دليل على امتناع هذا الظاهر فوجب القول بحمله على ظاهره فثبت أن الحق سبحانه ينزل المطر من السماء بمعنى أنه يخلق هذه الأجسام في السماء ثم ينزلها إلى السحاب ثم من السحاب إلى الأرض.

والقول الثاني المراد أنزل من جانب السماء ماء.

القول الثالث أنزل من السحاب ماء وسمى الله السحاب سماء لأن العرب تسمي كل ما فوقك سماء كسماء البيت. ثم قال نقل الواحدي في البسيط عن ابن عباس يريد بالماء هاهنا المطر.^(٢)

أقول: ورجع في موضع آخر نزول المطر من السحاب قال لأن الإنسان ربما كان واقفا على قلة جبل عال و يرى الغيم أسفل فإذا نزل من ذلك الجبل يرى ذلك الغيم مائرا عليهم وإذا كان هذا الأمر مشاهدا بالبصر كان النزاع فيه باطلا^(٣) ولا ينزل^(٤) نقطة من المطر إلا ومعها ملك والفلاسفة يحملون ذلك الملك على الطبيعة الحالة في تلك الجسمية الموجبة لذلك النزول^(٥) انتهى.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا﴾^(٦) منهم من قرأ نشرا بضم النون والشين.

جمع نشور مثل رسل ورسول أي رياحا منتشرة مفرقة من كل جانب وقرأ ابن عامر بضم النون وإسكان الشين بتخفيف العين وقرأ حمزة بفتح النون وإسكان الشين مصدر نشرت الثوب ضد طويته وهنا بمعنى المفعول أو بمعنى الحياة فهو بمعنى الفاعل وقرأ عاصم بالباء جمع بشير أي مبشرات بالمطر أو الرحمة ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا نِّقَالًا﴾.

قال الرازي يقال أقل فلان الشيء إذا حملة أي حتى إذا حملت هذه الرياح سحابا ثقلا بما فيها من الماء والمعنى أن السحاب السيسطر بالمياه العظيمة إنما يبقى معلقا في الهواء لأنه تعالى دبر بحكمته أن يحرك الرياح تحريكا شديدا فيحصل منها فوائد أحدها: أن أجزاء السحاب ينضم بعضها إلى بعض ويتراكم ويتعقد السحاب الكثيف الماطر و ثانيها: أن بسبب تلك الحركات الشديدة التي في تلك الرياح يمنة ويسرة يمتنع على تلك الأجزاء المائية النزول فلا جرم يبقى معلقا في الهواء وثالثها: أن بسبب حركات تلك الرياح ينساق السحاب من موضع إلى موضع آخر وهو الموضع الذي علم الله تعالى احتياجهما إلى نزول الأمطار وانتفاعهم بها ورابعها: أن حركة الرياح تارة تكون مفرقة لأجزاء السحاب مبظلة لها وخامسها: أن هذه الرياح تارة تكون مقوية للزرع والأشجار مكملة لما فيها من النشوء والنماء وهي الرياح اللواقع وتارة تكون مبظلة لها كما تكون في الخريف وسادسها: أن هذه الرياح تارة تكون طيبة لذيدة موافقة للأبدان وتارة تكون مهلكة إما بسبب ما فيها من الحرارة الشديدة كما في السموم أو بسبب ما فيها من البرد الشديد كما في الرياح المهلكة جدا وسابعها: أن تلك الرياح تارة تكون شرقية وتارة تكون غربية و شمالية وجنوبية وهذا ضبط ذكره بعض الناس وإلا فالرياح تهب من كل جانب من جوانب العالم ولا ضبط لها ولا اختصاص لجانب من جوانب العالم بها وثامنها: أن هذه الرياح تارة تصعد من قعر الأرض فإن من ركب البحر يشاهد أن البحر يحصل له غليان شديد فيه بسبب تولد الرياح في قعر البحر إلى ما فوق البحر وحينئذ يعظم هبوب الرياح

(٢) التفسير الكبير ج ١٣ ص ١٠٥-١٠٧.

(١) في المصدر: «الذرات».

(٣) التفسير الكبير ج ١٩ ص ١٢٦ ذيل آية ٣٢ من سورة إبراهيم.

(٥) التفسير الكبير ج ١٣ ص ١٠٧.

(٤) من هنا بقية كلام الرازي الذي سبق.

(٧) من المصدر.

(٦) سورة الأعراف، آية: ٥٧.

في وجه البحر و تارة ينزل الريح من جهة الفوق فاختلف الرياح بسبب هذه المعاني أيضا عجيب و عن السدي أنه تعالى يرسل الرياح فيأتي بالسحاب ثم إنه تعالى يبسطه في السماء كيف يشاء ثم يفتح أبواب السماء فيسيل الماء على السحاب ثم يمطر السحاب بعد ذلك و رحمته هو المطر.

إذا عرفت هذا فنقول اختلاف الرياح في الصفات المذكورة مع أن طبيعة الهواء واحدة و تأثيرات الطبايع و الأنجم و الأفلاك واحدة تدل على أن هذه الأحوال لم تحصل إلا بتدبير الفاعل المختار سبحانه و تعالى ثم قال تعالى ﴿سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾^(١) و المعنى أننا نسوق ذلك السحاب إلى بلد ميت لم ينزل فيه غيث و لا تنبت فيه خضرة و السحاب لفظه مذكر و هو جمع سحابة فيجوز فيه التذكير و التأنيث فلذا أتى بهما في الآية و اللام في قوله ﴿لِبَلَدٍ﴾ إما بمعنى إلى أو المعنى سقناه لأجل بلد ميت ليس فيه حب نسيقه^(٢) و الضمير في قوله ﴿به﴾ إما راجع إلى البلد أو إلى السحاب و في قوله ﴿فَأَخْرَجْنَاهُ﴾ عائد إلى الماء و قيل إلى البلد و على القول الأول فالله تعالى إنما يخلق الثمرات بواسطة الماء. و قال أكثر المتكلمين إن الثمار غير متولدة من الماء بل الله تعالى أجرى عادته بخلق النبات ابتداء عقيب اختلاط الماء بالتراب و قال جمهور الحكماء لا يمتنع أن يقال أنه تعالى أودع في الماء قوة و طبيعة ثم إن تلك القوة و الطبيعة توجبان حدوث الأحوال المخصوصة و المتكلمون احتجوا على فساد هذا القول بأن طبيعة الماء و التراب واحدة ثم إنا نرى أنه يتولد في النبات الواحد الأحوال المختلفة مثل العنب فإن قشره بارد يابس و لحمه و ماؤه حار رطب و عجمة بارد يابس فتولد الأجسام الموصوفة بالصفات المختلفة من الماء و التراب يدل على أنها إنما حدثت بإحداث الفاعل المختار لا بالطبع و الخاصة^(٣) انتهى.

﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾^(٤) قال الزمخشري في انتصابهما وجوه الأول: أنه لا يصح أن يكونا مفعولا لهما لأنهما ليسا بفاعل الفعل المعلل به إلا على تقدير حذف المضاف أي إرادة خوف و طمع أو على معنى إخافة و إطماعا الثاني: يجوز أن يكونا منتصبين على الحال من البرق كأنه في نفسه خوف و طمع و التقدير ذا خوف و ذا طمع الثالث أن يكونا حالا من المخاطبين أي خائفين و طامعين.^(٥)

وقال الرازي في كونهما خوفا و طمعا وجوه الأول: أن^(٦) عند لمعان البرق يخاف وقوع الصواعق و يطمع في نزول الغيث الثاني: أنه يخاف من^(٧) المطر من له فيه ضرر كالمسافر و كمن في جرابه التمر و الزبيب و يطمع فيه من له^(٨) نفع الثالث: أن كل شيء يحصل في الدنيا فهو خير بالنسبة إلى قوم و شر بالنسبة إلى آخرين فكذلك المطر خير في حق من يحتاج إليه في أوانه شر في حق من يضره ذلك إما بحسب المكان أو بحسب الزمان.

ثم اعلم أن حدوث البرق دليل عجيب على قدرة الله سبحانه و بيانه أن السحاب لا شك أنه جسم مركب من أجزاء مائية و أجزاء هوائية^(٩) و لا شك أن الغالب عليه الأجزاء المائية و الماء جسم بارد رطب و النار جسم حار يابس فظهور الضد من الضد التام على خلاف العقل فلا بد من صانع مختار يظهر الضد من الضد.

فإن قيل: لم لا يجوز أن يقال إن الريح احتقن في داخل جرم السحاب و استولى البرد على ظاهره فانجمد السطح الظاهر منه ثم إن ذلك الريح يمزقه تمزيقا عنيفا فيتولد من ذلك التمزيق الشديد حركة عنيفة و الحركة العنيفة موجبة للسخونة و هي البرق؟

فالجواب: أن كل ما ذكرتموه على خلاف المعقول و بيانه من وجوه الأول أنه لو كان الأمر كذلك لوجب أن يقال أينما يحصل البرق فلا بد و أن يحصل الرعد و هو الصوت الحادث من تمزق السحاب و معلوم أنه ليس الأمر كذلك فإنه كثيرا ما يحدث البرق القوي من غير حدوث الرعد الثاني أن السخونة الحاصلة بسبب قوة الحركة مقابلة بالطبيعة المائية الموجبة للبرد و عند حصول هذا المعارض القوي كيف تحدث النارية بل نقول النيران العظيمة تنطفئ بصب الماء عليها و السحاب كله ماء فكيف يمكن أن يحدث فيه شعلة ضعيفة نارية الثالث من مذهبيكم أن النار الصرفة لا

(١) في المصدر: «حيث يسقيه».

(٢) سورة الرعد، آية: ١٢.

(٣) من المصدر.

(٤) في المصدر إضافة: «فيه».

(١) سورة الأعراف، آية: ٥٧.

(٢) التفسير الكبير ج ١٤ ص ١٤١ - ١٤٣.

(٣) الكشاف ج ٢ ص ٥٨٨.

(٤) كلمة: «من» ليست في المصدر.

(٥) في المصدر إضافة: «و نارية».

لون لها البتة فهب أنه حصلت النارية بسبب قوة المحاكة الحاصلة في أجزاء السحاب لكن من أين حدث ذلك اللون الأحمر فثبت أن السبب الذي ذكروه ضعيف وأن حدوث النار الخالصة^(١) في جرم السحاب مع كونه ماء خالصا لا يمكن إلا بقدرة القادر الحكيم.^(٢)

﴿وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾^(٣) السحاب اسم الجنس والواحدة سحابة والثقال جمع ثقيلة أي الثقال بالماء واعلم أن هذا أيضا من دلائل القدرة والحكمة وذلك لأن هذه الأجزاء المائية إما يقال إنها حدثت في جو الهواء أو يقال إنها تصاعدت من وجه الأرض فإن كان الأول وجب أن يكون حدوثها بإحداث محدث حكيم قادر وهو المطلوب وإن كان الثاني وهو أن يقال إن تلك الأجزاء تصاعدت من الأرض فلما وصلت إلى الطبقة الباردة من الهواء بردت فثقلت ورجعت إلى الأرض فنقول هذا باطل وذلك لأن الأمطار مختلفة فتارة تكون القطرات كبيرة وتارة تكون صغيرة وتارة تكون متقاربة وأخرى تكون متباعدة تارة تدوم مدة نزول المطر زمانا طويلا وتارة قليلا فاختلاف الأمطار في هذه الصفات مع أن طبيعة الأرض واحدة وطبيعة الأشعة المسخنة للبخارات واحدة لا بد وأن يكون بتخصيص الفاعل المختار وأيضا فالجربة دلت على أن للدعاء والتضرع في نزول الغيث أثرا عظيما ولذلك شرعت صلاة الاستسقاء فعلمنا أن المؤثر فيه هو قدرة الفاعل لا الطبيعة الخاصة^(٤) انتهى.

﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾^(٥) قال الطبرسي ره تسبيح الرعد دلالة على تنزيه الله تعالى وجوب حمده فكأنه هو المسيح وقيل إن الرعد هو الملك الذي يسوق السحاب ويزجره بصوته فهو يسبح الله ويحمده. وروي عن النبي ﷺ أنه قال إن ربكم سبحانه يقول لو أن عبادي أطاعوني لاسقيتهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ولم أسمعهم صوت الرعد وكان ﷺ إذا سمع صوت الرعد قال سبحانه من يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ. وكان ابن عباس يقول سبحانه الذي سبحت له. وروى سالم بن عبد الله عن أبيه قال كان رسول الله ﷺ إذا سمع الرعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك. قال ابن عباس من سمع الرعد فقال «سبحان الذي يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» فإن أصابته صاعقة فعلي ذنبه.^(٦) ﴿وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾^(٧) أي وتسبح الملائكة من خيفة الله تعالى وخشيته قال ابن عباس إنهم خائفون من الله ليس كخوف ابن آدم لا يعرف أحدهم من على يمينه ومن على يساره لا يشغله عن عبادة الله طعام ولا شراب ولا شيء. ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ ويسرفها بمن يشاء إلا أنه حذف. ورووا عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أن الصواعق تصيب المسلم وغير المسلم ولا تصيب ذكرا^(٨) انتهى.

وقال الرازي في قوله تعالى ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ أقوال الأول أن الرعد اسم ملك من الملائكة والصوت المسموع هو صوت ذلك الملك بالتسبيح والتهليل. عن ابن عباس أن اليهود سألت النبي ﷺ عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث يشاء الله تعالى قالوا فالصوت الذي يسمع قال زجرة السحاب. وعن الحسن أنه خلق من الله ليس بملك فعلى هذا القول الرعد اسم للملك الموكل بالسحاب وصوته تسبيح لله تعالى وذلك الصوت أيضا مسمى بالرعد ويؤكد هذا ما روي عن ابن عباس كان إذا سمع الرعد قال سبحانه الذي سبحت له. وعن النبي ﷺ أن الله ينشئ السحاب فينطق أحسن المنطق ويضحك أحسن الضحك فتنطق الرعد وضحه البرق. واعلم أن هذا القول غير مستبعد وذلك لأن عند أهل السنة البنية ليست شرطا لحصول الحياة فلا يبعد من الله تعالى أن يخلق الحياة والعلم والقدرة والنطق في أجزاء السحاب فيكون هذا الصوت المسموع فعلا له فكيف يستبعد ذلك ونحن نرى أن السمنذر^(٩) يتولد في النار والاضفادع تتولد في السحاب^(١٠) والدودة العظيمة ربما تولدت في التلوج القديمة وأيضا إذا لم يبعد تسبيح الجبال في زمن داود ولا تسبيح الحصى في زمن محمد ﷺ فكيف يبعد تسبيح السحاب.

٣٥٧
٥٩

(٢) التفسير الكبير ج ١٩ ص ٢٤.
(٤) التفسير الكبير ج ١٩ ص ٢٤ و ٢٥.
(٦) في المصدر: «دبه».
(٨) مجمع البيان ج ٥ ص ٢٨٣.
(١٠) في المصدر: «في الماء الباردة».

(١) في المصدر: «الحاصلة».
(٣) سورة الرعد، آية: ١٢.
(٥) سورة الرعد، آية: ١٣.
(٧) سورة الرعد، آية: ١٣.
(٩) في المصدر: «السمنذر».

و على هذا القول فهذا الشيء المسمى بالرعد ملك أو ليس بملك فيه قولان أحدهما أنه ليس بملك لأنه عطف عليه الملائكة والثاني أنه لا يبعد أن يكون من جنس الملائكة وأفرد بالذكر على سبيل التشریف.

القول الثاني: إن الرعد اسم لهذا الصوت المخصوص ومع ذلك فإن الرعد يسبح لله تعالى لأن التسبيح والتقديس وما يجري مجراها ليس إلا وجود لفظ يدل على حصول النزاهة والتقديس لله تعالى فلما كان حدوث هذا الصوت دليلاً على وجود موجود^(١) متعال عن النقص والإمكان كان ذلك في الحقيقة تسبيحاً وهو معنى قوله «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِيحُ بِحَمْدِهِ».

الثالث: أن المراد من كون الرعد مسبحاً أن من سمع^(٢) الرعد فإنه يسبح الله تعالى فلهذا المعنى أضيف هذا التسبيح إليه.

الرابع: من كلمات الصوفية الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات أفندتهم والمطر بكأؤهم.

ثم قال واعلم أن المحققين من الحكماء يذكرون أن هذه الآثار العلوية إنما تتم بقوى روحانية فلكية فليسحاب روح معين من الأرواح الفلكية يديره وكذا القول في الرياح وسائر الآثار^(٣) العلوية وهذا غير^(٤) ما نقلنا أن الرعد اسم الملك.

ثم قال أمر الصاعقة عجيب جداً وذلك لأنها نار تتولد في السحاب فإذا نزلت من السحاب فربما غاضت^(٥) البحر وأحرقت الحيتان تحت البحر والحكماء بالغوا في وصف قوتها وجه الاستدلال أن النار حارة باسمة وطبيعتها ضد طبيعة السحاب فوجب أن يكون طبيعتها في الحرارة واليبوسة أضعف من طبيعة النيران الحادثة عندنا على العادة لكنه ليس الأمر كذلك فإنها أقوى من^(٦) نيران هذا العالم فثبت أن اختصاصها بمزيد تلك القوة لا بد وأن يكون بسبب تخصيص الفاعل المختار.

«وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ»^(٧) أي هؤلاء الكفار مع ظهور هذه الدلائل يجادلون في الله وهو يحتمل وجوها أحدها أن يكون المراد الرد على الكافر الذي قال أخبرنا عن ربنا أمن نحاس أم حديد وثانيها: أن يكون المراد الرد على جدالهم في إنكار البعث وإبطال الحشر وثالثها: الرد عليهم في طلب سائر المعجزات ورابعها الرد عليهم في استنزال عذاب الاستئصال.

«وَهُوَ شَدِيدُ الْمُحَالِ» المشهور أن الميم أصلية وقيل زائدة والمعنى شديد القوة وقيل شديد المكر وقيل شديد العقوبة وقيل شديد المغالبة وقيل شديد الجدال^(٨).

«رَزَقًا لَكُمْ»^(٩) قال البيضاوي أي تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول «أخرج» و«مِنْ الثَّرَاتِ» بيان له أو حال عنه ويحتمل عكس ذلك ويجوز أن يراد به المصدر فينتصب بالعلة أو المصدر لأن «أخرج» في معنى «رَزَقَ»^(١٠).

«إِلَّا مَنْ اشْتَرَقَ السَّمْعَ»^(١١) قال البيضاوي بدل من كل شيطان واسترق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفهم السيرة من قطان السماوات لما بينهم من المناسبة في الجوهر أو بالاستدلال من أوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس أنهم كانوا لا يحتجبون عن السماوات فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد ﷺ منعوا من كلها بالشبه ولا يقدح فيه كونها قبل المولد لجواز أن يكون لها أسباب أخر وقيل الاستثناء منقطع أي ولكن من استرق السمع «فَأَتْبَعَهُ شُهَابٌ» أي قبعه ولحقه شهاب «مُبِينٌ» ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق للكوكب والسنان لما فيها من البريق^(١٢) انتهى.

وقال الرازي لقائل أن يقول إذا جوزتم في الجملة أن يصعد الشيطان إلى السماوات ويختلط بالملائكة ويسمع

(١) في المصدر: «يسمع».

(٢) في المصدر: «عين».

(٣) كلمة: «من» ليست في المصدر.

(٤) التفسير الكبير ج ١٩ ص ٢٥ - ٢٨.

(٥) أنوار التنزيل ج ١ ص ٥٢٧.

(٦) أنوار التنزيل ج ١ ص ٥١٩.

(١) من المصدر.

(٢) من المصدر.

(٣) في المصدر إضافة: «في».

(٤) سورة الرعد، آية: ١٣.

(٥) سورة إبراهيم، آية: ٣٢.

(٦) سورة الحجر، آية: ٨.

أخباراً من الغيوب عنهم ثم إنها تنزل وتلقي تلك الغيوب^(١) فعلى هذا التقدير يجب أن يخرج الإخبار عن الغيبات عن كونه معجزاً^(٢) دليلاً على الصدق ولا يقال إن الله تعالى أخبر عن أنهم عجزوا عن ذلك بعد مولد النبي ﷺ لأننا نقول هذا المعجز لا يمكن إثباته إلا بعد القطع بكون محمداً رسولاً والقطع بهذا لا يمكن إلا بواسطة المعجز وكون الإخبار عن الغيب معجزاً لا يثبت إلا بعد إبطال هذا الاحتمال وحينئذ يلزم الدور وهو باطل محال. ويمكن أن يجاب عنه بأننا ثبت كون محمد ﷺ رسلاً بسائر المعجزات ثم بعد العلم بنبوته نقطع بأن الله عجز الشياطين عن تلقف الغيب بهذا الطريق وعند ذلك يصير الإخبار عن الغيب معجزاً وحينئذ يتدفق الدور^(٣) انتهى. وأقول: يمكن أن يقال يجب في لطف الله وحكمته أن لا يمكن الكاذب في دعوى النبوة والإمامة من هذا وإلا لزم الإغراء بالبيع ولو بالنسبة إلى العوام ولذا قيل لا تجري الشعبة أيضاً على يد المدعي الكاذب فتأمل. **﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾**^(٤) قيل أي وما من شيء إلا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه أضعاف ما وجد منه فضرِب الخزان مثلاً لا قدره أو شبه مقدراته بالأشياء المخزونة التي لا يحوج إخراجها إلى كلفة واجتهاد **﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ﴾** من تلك الخزائن **﴿إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾** اقتضته الحكمة وتعلقت به المشية فإن تخصيص بعضها بالإيجاد في بعض الأوقات على بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص حكيم.

٣٦١
٥٩

وقال علي بن إبراهيم الخزاعة الماء الذي ينزل من السماء فينبعث لكل ضرب من الحيوان ما قدر الله له من الغذاء^(٥) وقال بعض المحققين أقول الأول كلام من خلا من التحصيل والثاني تمثيل للتقريب من أفهام الجمهور وتفسير في الظاهر وأما في الباطن والتأويل فالخزان عبارة عما كتبه القلم الأعلى أولاً على الوجه الكلي في لوح القضاء المحفوظ عن التبديل الذي منه يجري ثانياً على الوجه الجزئي في لوح القدر الذي فيه المحو والإثبات تدرجاً على النزول فالإله الأول أشير بقوله **﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾**^(٦) وبقوله **﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾** وإلى الثاني بقوله **﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾** ومنه ينزل ويظهر في عالم الشهادة. وعن السجادة^(٧) أن في العرش تمثال جميع ما خلق الله من البر والبحر قال وهذا تأويل قوله **﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ﴾** الآية أراد^(٨) به ما ذكرناه انتهى. **﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ﴾**^(٩) قيل أي حوامل شبه الريح التي جاءت بخير من إنشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم أو ملقحات للشجر والسحاب ونظيره الطوائع بمعنى المطيحات في قوله ومختلط مما تطيح الطوائع. **﴿فَأَسْقَيْنَا كَوْمَهُ﴾** أي فجعلناه لكم سقياً يقال سقيته حتى روي وأسقيته نهراً أي جعلته شرباً له **﴿وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾** أي قادرين متمكنين من إخراجها نفى عنهم ما أثبتته لنفسه أو حافظين في الغدران والعيون والآبار وذلك أيضاً يدل على المدير الحكيم كما يدل عليه حركة الهواء في بعض الأوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس فإن طبيعة الماء تقتضي الغور فوقه دون حد لا بد له من سبب مخصص **﴿لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ﴾**^(١٠) قيل أي ما تشربونه **﴿ولكم﴾** صلة **﴿أَنْزَل﴾** أو خير **﴿شَرَابٌ﴾** ومن **﴿تبعية متعلقة به وتقديماً يوم حصر المشروب فيه ولا بأس به لأن مياه العيون والآبار منه لقوله ﴿فَسَلَكُوهُ بَنَابِيعَ﴾**^(١١) وقوله **﴿فَأَسْقَيْنَاهُ فِي الْأَرْضِ﴾**^(١٢).

٣٦٢
٥٩

﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ أي ومنه يكون شجر يعني الشجر الذي يرباه المواشي وقيل كل ما ينبت على الأرض شجر **﴿ففيه تَسْمُونُ﴾**^(١٣) أي تروعن مواشيك من سامت الماشية وأسماها صاحبها وأصلها السومة وهي العلامة لأنها تؤثر بالرعي علامات **﴿فَأَخْبَانِيهِ الْأَرْضُ بِدَرٍّ مَوْتَهَا﴾**^(١٤) أثبت فيها أنواع النبات بعد يبسها **﴿لَقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾** أي سماع تدبر وإنصاف. **﴿وَنَزَى الْأَرْضُ هَامِدَةً﴾**^(١٥) أي ميتة يابسة من همدت النار إذا صارت رماًداً **﴿وَهْتَزَّتْ﴾** أي تحركت بالنبات **﴿وَرَبَّتْ﴾** أي انتفتحت **﴿وَأَنْبَتَتْ﴾** على المجاز لأن المنبت هو الله تعالى **﴿مِنْ كُلِّ رَوْحٍ﴾** أي من كل نوع من أنواع النبات **﴿يَهيج﴾** البهجة حسن الشيء ونضارته والبهيج بمعنى المبهج قال المبرد هو الشيء المشرق الجميل^(١٦).

(١) في المصدر إضافة: «على الكهنة».
(٢) التفسير الكبير ج ١٩ ص ١٦٩ و ١٧٠.
(٣) تفسير علي بن إبراهيم ج ١ ص ٣٧٥.
(٤) سورة الحجر، آية: ٢٢.
(٥) سورة الحجر، آية: ٢٢.
(٦) سورة الزمر، آية: ٢١.
(٧) سورة النحل، آية: ١٠.
(٨) سورة النحل، آية: ١٠.
(٩) سورة النحل، آية: ١٠.
(١٠) سورة النحل، آية: ١٠.
(١١) سورة النحل، آية: ١٠.
(١٢) سورة النحل، آية: ١٠.
(١٣) سورة النحل، آية: ١٠.
(١٤) رابع التفسير الكبير ج ٢ ص ٩.
(١٥) سورة النحل، آية: ١٠.
(١٦) رابع التفسير الكبير ج ٢ ص ٩.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾^(١) أي ألم تعلم وقيل المراد الرؤية بالبرص «فَتَصْبِحُ الْأَرْضُ» إنما لم يقل أصبحت ليدل على بقاء أثر المطر زمانا بعد زمان وإنما لم ينصب جوابا للاستفهام لأنه لو نصب لأعطي عكس ما هو الغرض لأن معناه إثبات الاخضرار فينقلب بالنصب إلى نفي الاخضرار «إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ» يصل علمه أو لطفه إلى كل ما جل ودق «خَبِيرٌ» بالتدابير الظاهرة والباطنة.

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾^(٢) قال الرازي من قال إن المراد بالسما السحاب قال إن الله تعالى أصدد الأجزاء المائية من قعر الأرض^(٣) ومن البحار إلى السماء حتى صارت عذبة صافية بسبب ذلك التصعيد ثم إن تلك الذرات تأتلف وتتكيف^(٤) ثم ينزل الله على قدر الحاجة إليه ولو لا ذلك لم ينتفع بتلك المياه لتفرقها في قعر الأرض ولا بقاء البحر لملوحتة ولأنه لا حيلة في إجراء مياه البحار على وجه الأرض لأن البحار هي الغاية في العمق وهذه الوجوه إنما يتملحها من ينكر الفاعل المختار وأما من أقر به فلا حاجة له إلى شيء منها «يَقْدَرُ» أي بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون به إلى المنفعة في الزرع والفرس والشرب وبمقدار ما علمنا من حاجاتهم ومصالحهم «فَأَسْكَنَّا فِي الْأَرْضِ» قيل جعلناه ثابتا في الأرض قال ابن عباس أنزل الله تعالى من الجنة خمسة أنهار سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل ثم يرفعها عند خروج يأجوج ومأجوج ويرفع أيضا القرآن «وَأَنَا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَفَادِرُونَ»^(٥) أي كما قدرنا على إنزاله نقدر على رفعه وإزالته ولما نيه سبحانه على عظم نعمته بخلق الماء ذكر بعده النعم الحاصلة من الماء فقال «فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ»^(٦) وإنما خصهما لكثرة منافعهما فإنهما يقومان مقام الطعام ومقام الإدام ومقام الفاكهة وطبا ويايساً وقوله «لَكُمْ فِيهَا فَوْابِحٌ كَثِيرَةٌ» أي في الجنات فكما أن فيها النخيل والأعناب فيها الفواكه الكثيرة وقوله «وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ» قال الزمخشري يجوز أن يكون هذا من قولهم فلان يأكل من حرفة يحترفها ومن صنعة فعلها يعتون أنها طعمته وجهته التي يحصل منها رزقه كأنه قال وهذه الجنات وجوه أرزاقكم ومعاشكم منها تتعيشون.^(٧)

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ بعين عقلك ولم تعلم «إِنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا»^(٨) أي يسوقه ومنه البضاعة المزجاة فإنها يزجيها كل أحد «ثُمَّ يُؤَفِّقُ بَيْنَهُ» بأن يكون قرعا فيضم بعضها إلى بعض وبهذا الاعتبار صح «بينه» إذ المعنى بين أجزائه «ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا» أي متراكما بعضه على بعض «فَتَرَى الْوَدْقَ» أي المطر «يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ» أي من فتوقه جمع خلل كجبال في جبل «وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ» قيل أي من الغمام وكل ما علاك فهو سماؤك «مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ» قيل أي قطع عظام تشبه الجبال في عظمها أو جمودها «مِنْ بَرَدٍ» بيان للجبال والمفعول محذوف أي ينزل حينئذ ماء من السماء من جبال ويجوز أن تكون «من» الثانية والثالثة للتبعية واقعة موقع المفعول وقيل المراد بالسما المظلة وفيها جبال من برد كما في الأرض جبال من حجر وعليه ظواهر كثير من الأخبار ولم يدل دليل قاطع على نفيه.

قال الرازي قال أهل الطبائع^(٩) إن تكون السحاب والمطر والثلج والبرد والطل والصقيع في أكثر الأمر يكون من تكاثف البخار وفي الأقل من تكاثف الهواء أما الأول فالبخار الصاعد إن كان قليلا وكان في الهواء من الحرارة ما يحلل ذلك البخار فحينئذ ينحل وينقلب هواء وإما إن كان البخار كثيرا ولم يكن في الهواء من الحرارة ما يحلله فتلك الأبخرة المتصاعدة إما أن تبلغ في صعودها إلى الطبقة الباردة من الهواء أو لا تبلغ فإن بلغت فإما أن يكون البرد قويا أو لا يكون فإن لم يكن البرد هناك قويا تكاثف ذلك البخار بذلك القدر من البرد واجتمع وتقاطر فالبخار المجموع هو السحاب والمتقاطر هو المطر والديمة والوايل إنما يكون من أمثال هذه الغيوم وأما إن كان البرد شديدا فلا يخلو إما أن يصل البرد إلى الأجزاء البخارية قبل اجتماعها وانحلالها أو بعد صيرورتها كذلك فإن كان على الوجه الأول نزل لثجا وإن كان على الوجه الثاني نزل بردا وأما إذا لم تبلغ الأبخرة إلى الطبقة الباردة فهي إما أن تكون قليلة أو تكون كثيرة فإن كانت كثيرة فهي تنعقد سحبا ماطرا وقد لا تنعقد أما الأول فذاك لأحد أسباب خاصة. أولها:

(١) سورة الحج، آية: ٦٣. (٢) سورة المؤمنون، آية: ١٨.

(٣) في المصدر: إضافة: «إلى البحار». (٤) في المصدر: «تتكون».

(٥) سورة المؤمنون، آية: ١٨. (٦) سورة المؤمنون، آية: ١٩.

(٧) التفسير الكبير ج ٢٣ ص ٨٨ و ٨٩. (٨) سورة النور، آية: ٤٣.

(٩) تجد هذا البحث في المباحث المشرقية ج ٢ ص ٧٢ الباب الرابع في الكائنات التي لا نفس لها.

إذا منع هبوب الرياح عن تصاعد تلك الأبخرة و ثانيهما: أن تكون الرياح ضاغطة لها إلى اجتماع بسبب وقوف جبال قدام الريح و ثالثها: أن تكون هناك رياح متقابلة متصادفة^(١) فتمنع صعود الأبخرة حينئذ و رابعها أن يعرض للجزء المتقدم وقوف لثقله و بطء حركته ثم تلتصق به سائر الأجزاء الكثيرة المدد و خامسها لشدة برد الهواء القريب من الأرض فقد يشاهد البخار يصعد في الجبال صعودا يسيرا حتى كأنه مكبة موضوعة على وهدة و يكون الناظر إليها فوق تلك الغمامة و الذين يكونون تحت الغمامة يبطرون و الذين يكونون فوقها يكونون في الشمس أما إذا كانت الأبخرة القليلة الارتفاع قليلة لطيفة فإذا ضربها برد الليل و كثفها و عقدما ما يكون محسوسا و نزل نزولا متفرقا لا يحس به إلا عند اجتماع شيء يعتد به فإن لم يجمد كان طلا و إن جمد كان صقيعا و نسبة الصقيع إلى الطل نسبة الثلج إلى المطر.

وإما أن يكون السحاب^(٢) من انقباض الهواء و ذلك عند ما يبرد الهواء و ينقبض و حينئذ تحصل منه الأقسام المذكورة. و الجواب: أنا لما دللنا على حدوث الأجسام و توسلنا بذلك إلى كونه سبحانه قادرا مختارا يمكنه إيجاد الأجسام لم يمكن القطع بما ذكرتموه لاحتمال أنه سبحانه خلق أجزاء السحاب دفعة لا بالطريق الذي ذكرتموه و أيضا فهب أن الأمر كما ذكرتم و لكن الأجسام بالاتفاق ممكنة في ذاتها و لا بد لها من مؤثر ثم إنها متماثلة فاخصاص كل واحد منها بصفته المعينة من الصعود و الهبوط و اللطافة و الكثافة و الحرارة و البرودة لا بد له من مخصص فإذا كان هو سبحانه خالقا لتلك الطبايع و تلك الطبايع مؤثرة في هذه الأحوال و خالق السبب خالق المسبب فكان سبحانه هو الذي يزجي سحابا لأنه هو الذي خلق تلك الطبايع المحركة لتلك الأبخرة من باطن الأرض إلى جو الهواء ثم تلك الأبخرة تراكمت في صعودها و التصق بعضها ببعض فهو سبحانه هو الذي جعله ركاما فثبت أنه على جميع التقديرات وجه الاستدلال بهذه الأشياء على القدرة و الحكمة ظاهر بين^(٣) انتهى.

﴿فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَ يَصْرِفُهُ عَن مَن يَشَاءُ﴾^(٤) الضميران للبرد و الإصابة بإهلاك الزرع و المال و قد يهلك الأنفس أيضا ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ﴾ أي يقرب ضوء برق السحاب أن «يَذْهَبَ بِالْأَبْصَارِ» أبصار الناظرين إليه من فرط الإضاءة ﴿يَقْبَلُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ﴾ بالمعاقبة بينهما أو ينقص أحدهما و زيادة الآخر أو بتغيير أحوالهما بالحر و البرد و الظلمة و النور أو ما يعم ذلك «إِن فِي ذَلِكَ» أي في ما تقدم ذكره «لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ» أي لأولي البصائر و العقول لدلالته على وجود الصانع القديم و كمال قدرته و إحاطة علمه و نفاذ مشيئته و تنزهه عن الحاجة و ما يفضي إليها لمن يرجع إلى بصيرة.

﴿يُسْرَأْ﴾^(٥) قرأ عاصم بالياء المضمومة أي مبشرات جمع بشور و ابن عامر بالنون و السكون أي ناشرات للسحاب و الكسائي يفتح النون مصدرا «يَنِينٌ يَذِي رَحْمَتِهِ» أي المطر كما مر.

﴿مَاءٌ طَهُورٌ﴾^(٦) أي مطرا و هو اسم لما يتطهر به كالوضوء و الوقود و قيل بليغا في الطهارة «لِخُحْيِي بِهِ بَلَدَةٌ مِّنِّي» و النابت و التذكير لأن البلدة في معنى البلد «وَ أَنَاسِي كَثِيرٌ»^(٧) قيل يعني أهل البوادي الذين يعيشون بالحياء و لذلك نكر الأنعام و الأناسي و تخصيصهم لأن أهل المدن و القرى يقيمون بقرب الأنهار و المنابع فيهم و بما حولهم من الأنعام غنية عن سقي السماء.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِيهِمْ﴾^(٨) قال البيضاوي أي صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن و سائر الكتب أو المطر بينهم في البلدان المختلفة و الأوقات المتغيرة و الصفات المتفاوتة من وابل و طل و غيرها و عن ابن عباس ما عام أمطر من عام و لكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء و تلا هذه الآية أو في الأنهار أو في المنابع «لِيَذْكُرُوا» أي ليتفكروا و يعرفوا كمال القدرة و حق النعمة في ذلك و يقوموا بشكره أو ليعتبروا بالصرف عنهم و إليهم «فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا» أي لإكفران النعمة و قلة الاكترت لها أو جحودها بأن يقولوا مطرنا بئوه كذا و من لا يرى الأمطار إلا من الأنواء كان كافرا بخلاف من يرى أنها من خلق الله و الأنواء وسائط أو أمارات يجعله الله تعالى.^(٩)

(١) في المصدر: «متصادمة».
(٢) التفسير الكبير ج ٢٣ ص ١٣ - ١٤.
(٣) سورة الفرقان، آية: ٤٨.
(٤) سورة الفرقان، آية: ٤٨.
(٥) سورة الفرقان، آية: ٤٩.
(٦) أنوار التنزيل ج ٢ ص ١٤٤.
(٧) من المصدر.
(٨) سورة النور، آية: ٤٣.
(٩) سورة الفرقان، آية: ٤٨.
(١٠) سورة الفرقان، آية: ٤٩.
(١١) سورة الفرقان، آية: ٥٠.

﴿فَأَنْبَتْنَاهُ﴾ عدل به عن الغيبة إلى التكلم لتأكيد اختصاص الفعل بذاته والتنبية على أن إنبات الحدائق البهية المختلفة الأنواع المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة لا يقدر عليه غيره تعالى كما أشار إليه بقوله ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا﴾^(١) أي شجر الحدائق وهي البساتين من الأحداق وهو الإحاطة ﴿مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أي بأسباب سماوية وأرضية.

﴿يُرِيكُمْ الْبَرْقَ﴾^(٢) مقدر بأن أو الفعل فيه منزل منزلة المصدر كقولهم تسمع بالمعيدي خير من أن تراه أو صفة لمحذوف تقديره آية يريكم بها البرق ﴿خَوْفًا﴾ من الصاعقة وللمسافر ﴿وَوَطْءًا﴾ في الغيث والمقيم ﴿فَيَبْسُطُهُ﴾^(٣) أي متصلا تارة ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ أو في سمتها ﴿كَيْفَ يَشَاءُ﴾ سائرا وواقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب إلى غير ذلك ﴿وَيَجْعَلُهُ كَسَفًا﴾^(٤) أي قطعاً تارة أخرى ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ أي المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ في التارئين ﴿فَإِذَا أَصَابَ مِنْ مَنِّ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ يعني بلاءهم وأراضيهم ﴿إِذَا هُمْ يَشْتَبِرُونَ﴾ بمجيء الخصب ﴿أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْهِمْ﴾ أي المطر ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ تكرير للتأكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالبطر واستحكام بأسهم وقيل الضمير للمطر أو السحاب أو الإرسال ﴿لِلْمُبَلِّسِينَ﴾^(٥) أي لاسبين قانطين ﴿فَأَنْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ﴾^(٦) أي أثر الغيث من النبات والأشجار وأنواع الثمار ولذلك جمعه ابن عامر وحمة والكسائي وحض ﴿إِنْ ذَلِكَ﴾ يعني الذي قدر على إحياء الأرض بعد موتها ﴿لَمْخِي الْمَوْتِ﴾ لقادر على إحيائهم ﴿فَرَأَوْهُ مُصْفًى﴾^(٧) أي فرأوا الأثر أو الزرع فإنه مدلول عليه بما تقدم وقيل السحاب لأنه إذا كان مصفرا لم يطر واللام موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله ﴿ظَلُّوْا﴾ جواب سد مسد الجزاء^(٨).

﴿مِنْ كُلِّ رَوْحٍ﴾^(٩) أي صنف ﴿كَرِيمٍ﴾ أي كثير المنفعة ﴿فَتَنْبِثُ سَحَابًا﴾^(١٠) على حكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البدئية الدالة على كمال الحكمة ولأن المراد بيان إحداثها بهذه الخاصية ولذلك أسنده إليها ويجوز أن يكون اختلاف الأفعال للدلالة على استمرار الأمر ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ بِالْأَرْضِ﴾ أي بالمطر النازل منه وذكر السحاب كذكره أو بالسحاب فإنه سبب السبب أو الصائر مطرا ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي بعد يسها ﴿كَذَلِكَ الشُّجُورُ﴾^(١١) أي مثل إحياء الموات نشور الأموات في صحة المقدورية إذ ليس بينهما إلا احتمال اختلاف المادة في المقيس وذلك لا مدخل له فيها وقيل في كيفية الإحياء فإنه تعالى يرسل ماء من تحت العرش ينبت منه أجساد الخلق^(١٢).

﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾^(١٣) الخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة و﴿أَتْبَعَ﴾ بمعنى تبع والشهاب ما يرى^(١٤) كوكبا انتقض وما قيل إنه بخار يصعد إلى الأثير فيشتعل فتخمين إن صح لم ينأ ذلك إذ ليس فيه ما يدل على أنه ينتقض من الفلك ولا في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ رَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِضَيْحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾^(١٥) فإن كل نير يحصل في الجو العالي فهو مصباح لأهل الأرض وزينة للسماء من حيث إنه يرى كأنه على سطحه ولا يبعد أن يصير الحادث لما ذكر في بعض الأوقات رجما للشياطين يتصعد إلى قرب الفلك للسمع وما روي أن ذلك حدث بميلاد النبي ﷺ إن صح فلعل المراد كثرة وقوعه أو مصيره دحورا واختلف في أن المرجوم يتأذى به فيرجع أو يحرق به لكن قد يصيب الصاعد مرة وقد لا يصيب كالموج لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون عنه^(١٦) رأسا ولا يقال إن الشيطان من النار فلا يحترق لأنه ليس من النار الصرف كما أن الإنسان ليس من التراب الخالص مع أن النار القوية إذا استولت على الضعيفة استهلكتها ﴿ثَائِبٌ﴾ أي مضيء كأنه يتقب الجو بضوئه^(١٧). ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾^(١٨) قال الرازي وهو المطر وقيل كل ماء كان في الأرض فهو من السماء ثم إنه تعالى

- | | |
|-------------------------------------|-------------------------------------|
| (١) سورة النمل، آية: ٦٠. | (٢) سورة الروم، آية: ٢٤. |
| (٣) سورة الروم، آية: ٤٨. | (٤) سورة الروم، آية: ٤٨. |
| (٥) سورة الروم، آية: ٤٨. | (٦) سورة الروم، آية: ٥٠. |
| (٧) سورة الروم، آية: ٥١. | (٨) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٢٢٣. |
| (٩) سورة لقمان، آية: ١٠. | (١٠) سورة فاطر، آية: ٩. |
| (١١) سورة فاطر، آية: ٩. | (١٢) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٦٢٨ و ٦٢٩. |
| (١٣) سورة الصافات، آية: ١٠. | (١٤) في المصدر إضافة: «كان». |
| (١٥) سورة الملك، آية: ٥. | (١٦) من المصدر. |
| (١٧) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٢٩٠ و ٢٩١. | (١٨) سورة الزمر، آية: ٢١. |

ينزله إلى بعض المواضع ثم يقسمه ﴿فَسَلَكَهُ بَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي فأدخله ونظمه ينابيع في الأرض عيوناً ومسالك ومجاري كالعروق في الأجسام ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ﴾ من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك أو مختلفاً أصنافه من بر وشعر ومسسم ﴿ثُمَّ يَهْبِجُ﴾ وذلك لأنه إذا تم جفافه جاز له أن ينفصل من منابته وإن لن تتفرق أجزاؤه فتلك الأجزاء كأنها هاجت للتفرق ﴿ثُمَّ يَصِيرُ حُطَاماً﴾ فتاتاً^(١) ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ﴾ يعني أن من شاهد هذه الأحوال في النبات علم أن أحوال الحيوان والإنسان كذلك وأنه وإن طال عمره فلا بد له من الانتهاء إلى أن يصير مصفر اللون منحطم الأعضاء والأجزاء ثم عاقبته الموت فإذا كانت مشاهدة هذه الأحوال في النبات مذكرة حصول مثل هذه الأحوال في نفسه وفي حياته فيحسب تعظم نفرتة من الدنيا وطبائنها قال الواحدي الينابيع جمع ينبوع وهو يفوق من نبع وهو نصب بنزع الخافض كان التقدير فسلكه في ينابيع ﴿ثُمَّ يَهْبِجُ﴾ أي يخضر والحطام ما تفتت وتكسر من النبات انتهى.

٣٦٩
٥٩

﴿مِنَ السَّمَاءِ رِزْقاً﴾^(٢) أي أسباب رزق كالظنر ﴿يُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾^(٣) قال البيضاوي أي المطر الذي يغيثهم من الجذب ولذلك خص بالنافع منها ﴿مِنْ بَعْدِ مَا قَطَوْا﴾ أي سوا منه ﴿وَيُنْشِئُ رَحْمَتَهُ﴾ في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ﴾ الذي يتولى عبادته بإحسانه ونشر رحمته ﴿الْحَمِيدُ﴾ المستحق للحمد على ذلك^(٤). ﴿مَاءً يَقْدَرُ﴾^(٥) أي بمقدار ينفع ولا يضر ﴿فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً﴾ مال عنه النماء ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الإنشاء ﴿تُخْرِجُونَ﴾ تنشرون من قبوركم^(٦) ﴿مِنْ رِزْقٍ﴾^(٧) أي من مطر وسماه رزقا لأنه سببه ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ بعد يبسها ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِرَبِّهِ﴾ باختلاف جهاتها وأحوالها^(٨) ﴿مَاءً مُبَارَكاً﴾^(٩) أي كثير المنافع ﴿فَأَنْشَبْنَا بِهِ جَنَّاتٍ﴾ أي أشجارا وثماراً^(١٠) ﴿وَوَحَّيْنَا الْخَيْدَ﴾ أي حب الزرع الذي من شأنه أن يحصد كابلر والشعير ﴿وَوَالْتَحَلَّ بَابِغَاتٍ﴾^(١١) طولا أو حوامل من أسقت الشاة إذا حملت فيكون من أفعل فهو فاعل وإفراده بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها ﴿لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ أي منضود بعضها فوق بعض والمراد تراكم الطلع أو كثرة ما فيه من الثمر ﴿رِزْقاً لِلْعِبَادِ﴾ علة لأنبتنا أو مصدر فإن الإنبات رزق ﴿وَأَخْبَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً﴾ أي أرضا جدت لا نماء فيها ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ كما حيت هذه البلدة يكون خروجكم أحياء بعد موتكم^(١٢).

٣٧٠
٥٩

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءاً﴾^(١٣) قال الطبرسي ره روي أن ابن الكواء سأل أمير المؤمنين عليه السلام وهو يخطف على المنبر فقال ما الذاريات ذرؤاً قال الرياح قال فالحاملات وقرأ قال السحاب قال فالجاريات يسراً قال السفن قال فالمقسّمات أمراً قال الملائكة وروي ذلك عن ابن عباس ومجاهد فالذاريات الرياح تذرو التراب وهشيم النبات أي تفرقه فالحاملات السحاب تحمل ثقلا من الماء من بلد فتصير موقرة به والورق بالكسر ثقل الحمل على ظهر أو في بطن^(١٤) ﴿فَالْجَارِيَاتِ يسراً﴾^(١٥) أي السفن تجري في الماء جريا سهلا إلى حيث سيرت وقيل هي السحاب تجري يسيرا إلى حيث سيرها الله من البقاع وقيل هي النجوم السبعة السيارة ﴿فَالْمَقْسِمَاتِ أمراً﴾ الملائكة يقسمون الأمور بين الخلق على ما أمروا به أقسم الله تعالى بهذه الأشياء لكثرة ما فيها من المنافع للعباد ولما تضمنته من الدلالة على وحدانية الله تعالى وبدائع صنعه وقيل التقدير القسم برب هذه الأشياء^(١٦) انتهى.

﴿بِنَاءٍ مُّهْمَرٍّ﴾^(١٧) أي منصب قال الرازي المراد من الفتح والأبواب والسماء إما حقائقها فنقول للسماء أبواب تفتح وتغلق ولا استبعاد فيه وهو على طريقة الاستعارة فإن الظاهر أن الماء كان من السحاب وعلى هذا فهو كما يقول القائل في المطر الوابل جرت ميازيب السماء وفتح أفواه القرب أي كأنه كان ذلك^(١٨).

- | | |
|-----------------------------|---|
| (١) في المصدر: «بابسا». | (٢) سورة المؤمن: آية: ١٣. |
| (٣) سورة الشورى: آية: ٢٨. | (٤) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٣٦٣ و ٣٦٤. |
| (٥) سورة الزخرف: آية: ١١. | (٦) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٣٦٩. |
| (٧) سورة الباقية: آية: ٥. | (٨) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٣٨٦. |
| (٩) سورة ق: آية: ٩. | (٩) في المصدر: «وأمثارا». |
| (١٠) سورة ق: آية: ١٠. | (١٢) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٤٢١. |
| (١١) سورة الذاريات: آية: ٢. | (١٤) في المصدر إضافة: «والورق ثقل الأذن». |
| (١٢) سورة الذاريات: آية: ٤. | (١٦) مجمع البيان ج ٩ ص ١٥٢ و ١٥٣. |
| (١٣) سورة القمر: آية: ١١. | (١٨) التفسير الكبير ج ٢٩ ص ٣٦ مخلصاً. |

﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾^(١) قال البيضاوي أي العذب الصالح للشرب ﴿مِنْ الْمَزْنِ﴾^(٢) أي من السحاب و قيل هو السحاب الأبيض و ماؤه أعذب ﴿وَأَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾^(٣) بقدرتنا ﴿جَعَلْنَاهُ أَجْسَافًا﴾ أي مالحا ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ أمثال هذه النعم الضرورية^(٤).

﴿لَأَشْقَيْنَاهُم مَاءً غَدَقًا﴾^(٥) أي لوسعنا عليهم الرزق و تخصيص الماء الغدق و هو الكثير بالذكر لأنه أصل المعاش و السعة و عزة وجوده بين العرب^(٦).

أقول: سيأتي تفسير باقي السورة في باب الجن و فيه ما يناسب هذا الباب.

١- تفسير علي بن إبراهيم: عن أبيه عن علي بن الحكم عن سيف بن عميرة عن أبي بكر الحضرمي عن أبي عبد الله عليه السلام قال خرج هشام بن عبد الملك حاجا معه الأبرش الكلبي فلحقا أبا عبد الله في المسجد الحرام فقال هشام للأبرش تعرف هذا قال لا قال هذا الذي تزعم الشيعة أنه نبي من كثرة علمه فقال الأبرش لأسألنه عن مسألة لا يجيبني فيها إلا نبي أو وصي نبي فقال هشام وددت أنك فعلت ذلك فلحق الأبرش أبا عبد الله عليه السلام فقال يا أبا عبد الله أخبرني عن قول الله ﴿وَأَوَّلَ يُزْ لِّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾^(٧) فما^(٨) كان رتقهما و ما^(٩) كان فتقهما فقال أبو عبد الله عليه السلام يا أبرش هو كما وصف نفسه ﴿كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾^(١٠) و الماء على الهواء و الهواء لا يحد و لم يكن يومئذ خلق غيرهما و الماء يومئذ عذب فرات فلما أراد أن يخلق الأرض أمر الرياح فضربت الماء حتى صار موجا ثم أزيد فصار زيدا واحدا فجمعه في موضع البيت ثم جعله جبلا من زيد ثم دحى الأرض من تحته فقال الله تبارك و تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾^(١١) ثم مكث الرب تبارك و تعالى ما شاء فلما أراد أن يخلق السماء أمر الرياح فضربت البحور حتى أزيدتها^(١٢) فخرج من ذلك الموج و الزيد من وسطه دخان ساطع من غير نار فخلق منه السماء و جعل فيها البروج و النجوم و منازل الشمس و القمر و أجراها في الفلك و كانت السماء خضراء على لون الماء الأخضر و كانت الأرض غبراء على لون الماء العذب و كانتا مرتوقيتين ليس لهما أبواب و لم يكن للأرض أبواب و هو النبت و لم تمطر السماء عليها فتنبت فتفتت السماء بالمطر و فتق الأرض بالنبات و ذلك قوله عز و جل ﴿وَأَوَّلَ يُزْ لِّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ فقال الأبرش و الله ما حدثني بمثل هذا الحديث أحد قط أعد علي فأعاد عليه و كان الأبرش ملحدا فقال و أنا أشهد أنك ابن نبي ثلاث مرات^(١٣).

٢- العلل: عن أبيه عن الحميري عن هارون عن ابن صدقة عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال كان علي عليه السلام يقوم في المطر أول مطر يعطر حتى يبتل رأسه و لحيته و ثيابه فيقال له يا أمير المؤمنين الكن الكن فيقول إن هذا ماء قريب العهد بالعرش ثم أنشأ يحدث فقال إن تحت العرش بحرا فيه ماء ينبت به أرزاق الحيوان و إذا أراد الله تعالى أن ينبت به ما يشاء لهم رحمة منه أوحى الله عز و جل فمطر منه ما شاء من سماء إلى سماء حتى يصير إلى السماء الدنيا فتلقيه^(١٤) إلى السحاب و السحاب بمنزلة الغريال ثم يوحى الله عز و جل أن^(١٥) اطحنه و أذيينه ذوبان الملح في الماء ثم انطلق به إلى موضع كذا و كذا و عبا^(١٦) و غير عباب فتقطر عليهم على النحو الذي يأمرها به فليس من قطرة تقطر إلا و معها ملك حتى^(١٧) يضعها موضعها و لم ينزل من السماء قطرة من مطر إلا بقدر معدود و وزن معلوم إلا ما كان يوم الطوفان على عهد نوح عليه السلام فإنه نزل منها ماء^(١٨) منههم بلا عدد و لا وزن^(١٩).

- (١) سورة الواقعة، آية: ٦٨.
(٢) سورة الواقعة، آية: ٦٩.
(٣) سورة الجن، آية: ١٦.
(٤) سورة الأنبياء، آية: ٣٠.
(٥) في المصدر: «وبما».
(٦) سورة آل عمران، آية: ٩٦.
(٧) تفسير علي بن إبراهيم ج ٢ ص ٦٩ - ٧٠.
(٨) في المصدر: «إلى السحاب» بدل «أن».
(٩) كلمة: «حتى» ليست في المصدر.
(١٠) علل الشرائع ص ٤٦٣ باب ٢٢٢ حديث ٨.
(١١) سورة الواقعة، آية: ٦٨.
(١٢) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٤٣٦.
(١٣) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٥٣٥.
(١٤) في المصدر: «فيما».
(١٥) سورة هود، آية: ٧.
(١٦) في المصدر: «أزيدت بها».
(١٧) في المصدر ٦ «فيلقية».
(١٨) في المصدر: «و عباب».
(١٩) كلمة: «ماء» ليست في المصدر.

القرب: عن هارون عن ابن صدقة مثله. (١)

٣- التفسير: في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله «وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ» (٢) فهي الأنهار والعيون والآبار. (٣)

وقال علي بن إبراهيم في قوله تعالى «وَأَلَّمْ تَرَأَى اللَّهُ يَرْجِي سَخَابًا» أي يشيره من الأرض «ثُمَّ يُولِّفُ بَيْنَهُ» فإذا غلظ بعث الله ريحا فتصهره (٤) فينزل منه الماء وهو قوله «فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ» (٥) أي المطر. (٦)

٤- ومنه: عن أبيه عن العزمي عن أبيه عن أبي إسحاق عن حارث الأعور عن أمير المؤمنين عليه السلام قال سئل عن السحاب أين يكون قال يكون على شجر كثيف على ساحل البحر يأوي إليها فإذا أراد الله أن يرسله أرسل ريحا فأناره. (٧)

٥- قرب الإسناد: عن السندي بن محمد عن أبي البخري عن جعفر عن أبيه عليه السلام أن عليا عليه السلام قال السحاب غربال المطر ولو لا ذلك لأفسد كل شيء يقع عليه. (٨)

٦- وقال عليه السلام في قوله تعالى «يَخْرُجُ مِنْهُمَا الْوَلُؤُ وَالْمَرْجَانُ» (٩) قال من ماء السماء ومن ماء البحر فإذا أمطرت فتحت الأصداف أفواها في البحر فيقع فيها من ماء المطر فيخلق (١٠) اللؤلؤة الصغيرة من القطرة الصغيرة واللؤلؤة الكبيرة من القطرة الكبيرة. (١١)

بيان: هذا أحد الوجوه في تأويل الآية الكريمة ورواه المفسرون عن ابن عباس (١٢) ويؤيده أن البحر العذب لا يخرج منه اللؤلؤ على المشهور ولعل الخلق من القطرتين معناه أن لهما مدخلا في خلقهما لا أنهما مادتهما وسيأتي تمام القول في ذلك في محله.

٧- معاني الأخبار: عن الحاكم عبد الحميد بن عبد الرحمن النيسابوري عن أبيه عن عبيد الله بن محمد بن سليمان عن أبي عمرو الضير عن عباد بن عباد المهلي عن موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي (١٣) عن أبيه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فنشأت سحابة فقالوا يا رسول الله هذه سحابة ناشئة فقال كيف ترون قواعدها قالوا يا رسول الله ما أحسنها وأشد تمكنا قال كيف (١٤) ترون بواسقها قالوا يا رسول الله ما أحسنها وأشد تراكها قال كيف ترون جونها قالوا يا رسول الله ما أحسنه وأشد سواده قال كيف ترون رجاها قالوا يا رسول الله ما أحسنها وأشد استدارتها قال فكيف ترون برقها أخفوا أم وميض أم يشق شقا قالوا يا رسول الله بل يشق شقا قال رسول الله الحياء فقالوا يا رسول الله ما أفصحك وما رأينا الذي هو أفصح منك فقال وما يمنعني من ذلك ولبساني نزل القرآن «يَلْسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ» (١٥).

ثم قال حدثنا الحاكم قال حدثني أبي قال حدثني أبو علي الرياحي عن أبي عمرو الضير بهذا الحديث.

وقال أخبرني محمد بن هارون الزنجاني قال حدثنا علي بن عبد العزيز عن أبي عبيد الله قال القواعد هي أصولها المعترضة في أفاق السماء وأحسبها تشبه بقواعد البيت وهي حيطانه والواحدة قاعدة قال الله عز وجل «وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ» (١٦) وأما البواسق ففروعها المستطيلة التي في (١٧) وسط السماء إلى الأفق الآخر وكذلك كل طويل فهو باسق قال الله عز وجل «وَالْتَّخْلُ بِاسْفَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ» (١٨) والجون هو الأسود اليعنومي وجمعه جون وأما قوله فكيف ترون رجاها فإن رجاها استدارة السحابة في السماء ولهذا قيل رعى الحرب

- (١) قرب الإسناد ص ٧٣ حديث ٢٣٥.
- (٢) تفسير علي بن إبراهيم ج ٢ ص ٩١.
- (٣) سورة الروم، آية: ٤٨.
- (٤) تفسير علي بن إبراهيم ج ٢ ص ٢٧٦ وفيه: «وكل به ملائكة يضربونه بالخاريق وهو البرق فيرتفع».
- (٥) سورة الرحمن، آية: ٢٢.
- (٦) قرب الإسناد ص ١٣٦ حديث ٤٧٩.
- (٧) في المصدر: «فتخلق».
- (٨) راجع مجمع البيان ج ٩ ص ٢٠١.
- (٩) في المصدر: «فكيف».
- (١٠) معاني الأخبار ص ٣١٩ - ٣٢٠ باب معنى القواعد والبواسق والجون والغفو والوميض والرجا حديث ١ والآية من سورة النمل: ١٠٣.
- (١١) سورة البقرة، آية: ١٢٧.
- (١٢) سورة ق، آية: ١٠.
- (١٣) في المصدر: «إلى» بدل «أني في».

و هو الموضع الذي يستدار فيه لها و الخفو الاعتراض من البرق في نواحي الغيم و فيه لغتان يقال خفا البرق يخفو خفوا و يخفي خفيا و الوميض أن يلمع قليلا ثم يسكن و ليس له اعتراض و أما الذي شق^(١) شقا فاستطالته في الجو إلى وسط السماء من غير أن يأخذ يميننا و لا شمالا قال الصدوق الحياء المطر.^(٢)

بيان: قال الزمخشري في الفائق سئل النبي ﷺ عن سحائب مرت فقال كيف ترون قواعدها و بواسقتها و رحاها أجون أم غير ذلك ثم سئل عن البرق فقال أخفوا أم وميضاً أم يشق شقا قالوا يشق شقا فقال رسول الله ﷺ جاءكم الحياء أراد بالقواعد ما اعترض منها كقواعد النبين و بالبواسق ما استطال من فروعها و بالرحي ما استدار منها الجون في الجون كالورد في الورد و الخفو و الخفي اعتراض البرق في نواحي الغيم قال أبو عمرو هو أن يلمع من غير أن يستظير و أنشد.

يبعث إذا ما لاح من نحو أرضه سنا البرق يكلأ خفيه و يراقبه

و الوميض لمعة ثم سكونه و منه أومض إذا أومأ و الشق استطالته إلى وسط السماء من غير أن يأخذ يميننا و شمالا أراد أخفو خفوا أم يبيض و ميضاً و لذلك عطف عليه «يشق شقا» و إظهار الفعل هنا بعد إضماره في ما قبله نظير المجيء بالواو في قوله عز و جل «وَوَسَّيْنَاهُمْ كَلْبَهُمْ»^(٣) بعد تركها في ما قبلها^(٤) انتهى.

و أقول: قد مر بعض القول فيه في المجلد السادس.

٨- العلل: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن أيوب بن نوح عن صفوان بن يحيى عن معاوية بن عمار قال قال أبو عبد الله ﷺ الصاعقة لا تصيب المؤمن فقال له رجل فإنا قد رأينا فلانا يصلي في المسجد الحرام فأصابته فقال أبو عبد الله ﷺ إنه كان يرمي حمام الحرم.^(٥)

٩- و بهذا الإسناد قال الصاعقة تصيب المؤمن و الكافر و لا تصيب ذاكرا.^(٦)

بيان: لعل المراد بالمؤمن أولاً الكامل في الإيمان و ثانياً مطلق المؤمن بقرينة أن رمي حمام الحرم لا يخرج عن مطلق الإيمان و يحتمل أن يكون الرامي مخالفاً و أسند الإصابة إلى الرمي تقيّة.

١٠- التفسير: عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله ﷺ في خبر المعراج قال قال رسول الله ﷺ فصعد جبرئيل و صعدت معه إلى السماء الدنيا و عليها ملك يقال له إسماعيل و هو صاحب الخطفة التي قال الله عز و جل «إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ»^(٧) و تحته سبعون ألف ملك تحت كل ملك سبعون ألف ملك^(٨) الخبر.

١١- و منه: «وَوَجَّهْنَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ»^(٩) قال المارد الخبيث «لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَ يَقْدِفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا»^(١٠) يعني الكواكب التي يرمون بها «وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ» أي واجب «إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ» يعني يسمعون الكلمة فيحفظونها «فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ»^(١١) و هو ما يرمون به فيحرقون و في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر ﷺ قال عَذَابٌ وَاصِبٌ أي دائم و جع^(١٢) قد خلس إلى قلوبهم و قوله «شِهَابٌ ثَاقِبٌ» مضى إذا أصابهم بقوة^(١٣)

١٢- العيون: ومعاني الأخبار: عن محمد بن إبراهيم الطالقاني عن أبي عقدة عن علي بن الحسن بن فضال عن أبيه قال قال الرضا ﷺ في قول الله عز و جل «هُوَ الَّذِي يَرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا»^(١٤) قال خوف للمسافر و طمع للمقيم.^(١٥)

(١) في المصدر: «يشق».

(٢) معاني الأخبار ص ٢٣٠ باب (معنى القواعد و البواسق و الجون و الخفو و الوميض و الرجا).

(٣) سورة الكهف، آية: ٢٢.

(٤) علل الشرايع ص ٤٦٢ باب ٢٢٢ حديث ٦.

(٥) علل الشرايع ص ٤٦٢ باب ٢٢٢ حديث ٦.

(٦) سورة الصافات، آية: ١٠.

(٧) سورة الصافات، آية: ٧.

(٨) سورة الصافات، آية: ١٠.

(٩) سورة الصافات، آية: ١٠.

(١٠) تفسير علي بن إبراهيم ج ٢ ص ٢٢١.

(١١) سورة الرعد، آية: ١٢.

(١٢) عيون الأخبار ج ١ ص ٢٩٤، و معاني الأخبار ص ٣٧٤ باب معنى الخوف و الطمع حديث ١.

(١٣) في المصدر: «موجع».

(١٤) سورة الرعد، آية: ١٢.

(١٥) سورة الرعد، آية: ١٢.



١٣- الإحتجاج: والخصال: في ما أجاب الحسن بن علي عليه السلام من أسئلة ملك الروم وقال السائل ما قوس قزح قال ويحك لا تقل قوس قزح فإن قزح اسم شيطان وهو قوس الله وعلامة الخصب وأمان لأهل الأرض من الفرق. (١)

١٤- الإحتجاج: عن الأصمغ قال سأل ابن الكواء أمير المؤمنين عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن قوس قزح قال ثكلتك أمك يا ابن الكواء (٢) لا تقل قوس قزح فإن قزح (٣) اسم الشيطان (٤) ولكن قل قوس الله إذا بدت يبدو الخصب والريف. (٥)

٣٧٩
٥٩

١٥- العلل: عن محمد بن شاذان بن أحمد البرواذي عن محمد بن محمد بن الحرث السمرقندي عن صالح بن سعيد الترمذي عن عبد المنعم بن إدريس عن أبيه عن وهب بن منبه قال أهل الكتابين يقولون لما هبط نوح من السفينة أوحى الله عز وجل إليه يا نوح إنني خلقت خلقي لعبادي وأمرتهم بطاعتي فقد عصوني وعبدوا غيري واستوجبوا بذلك غضبي ففرقتهم وإنني قد جعلت قوسي أماناً لعبادي وبلادي وموثقاً بيني وبين خلقي يأمنون به إلى يوم القيامة من الفرق ومن أوفى بعهد مني ففرح نوح عليه السلام بذلك وتبشر وكانت القوس فيها سهم وتر فنزع الله عز وجل السهم والوتر من القوس وجعلها أماناً لعباده وبلاده من الفرق. (٦)

بيان: هذه الأخبار تدل على أنه ما دام يظهر القوس في الجو لا تصيبهم الطوفان والفرق

١٦- قصص الراوندي: بإسناده إلى الصدوق عن أبيه عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام أن قوماً من بني إسرائيل قالوا لنبي لهم ادع لنا ربك يمطر علينا السماء إذا أردنا فسأل ربه ذلك فوعده أن يفعل فأمطر السماء عليهم كلما أرادوا فزرعوا فتمت زروعهم وحسنت (٧) فلما حصدوا لم يجدوا شيئاً فقالوا إنما سألنا المطر للشفعة فأوحى الله تعالى أنهم لم يرضوا بتدبيره لهم أو نحو هذا. (٨)

١٧- المحاسن: عن أبيه عن علي بن الحكم عن الوشاء عن أبيان الأحمر عن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام قال لو لا أن الله حبس الريح على أهل الدنيا لأخوت الأرض ولو لا السحاب لخربت الأرض فما أثبتت شيئاً ولكن الله يأمر السحاب فيغري الماء فينزل قطراً وإنه أرسل على قوم نوح بغير حساب. (٩)

بيان: لأخوت الأرض أي خلقت من الناس أو من الخير أو خربت وانهدمت قال الفيروزآبادي خوت الدار تهدمت وخوت وخويت خلقت من أهلها وأرض خاوية خالية من أهلها وخوى كرمي تابع (١٠) عليه الجوع والزند لم يور كأخوى والنجوم خيا أمحلت فلم تمطر كأخوت وخوت. (١١)

١٨- الخصال: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن اليقطيني عن القاسم بن يحيى عن جده الحسن عن أبي بصير ومحمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال أمير المؤمنين عليه السلام ما أنزلت السماء قطرة من ماء منذ حبسه الله عز وجل ولو قد قام قائمنا لأنزلت السماء قطرها ولأخرجت الأرض نباتها. (١٢)

٣٧٩
٥٩

١٩- تفسير الإمام: في قوله تعالى ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ (١٣) يعني المطر ينزل مع كل قطرة ملكاً يضعها في موضعها الذي يأمر به ربه عز وجل. (١٤)

٢٠- العياشي: عن يونس بن عبد الرحمن أن داود قال كنا عنده فارتعدت السماء فقال سبحان من يُسجِّع له الرُّعْدُ بِخَدِّهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خَيْفَتِهِ فقال له أبو بصير جعلت فداك إن للرعد كلاماً فقال يا أبا محمد سل عما يعينك ودع ما لا يعينك.

بيان: يدل على أن التفكير في حقائق المخلوقات وأمثالها ما لم يؤمر الخلق به بل لا فائدة لهم فيه.

٢١- العياشي: عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال سألت عن الرعد أي شيء يقول قال إنه بمنزلة الرجل يكون

(١) الإحتجاج ج ٢ ص ١٥ رقم ١٤٩.

(٢) في المصدر: «قزحاً».

(٣) الإحتجاج ج ١ ص ٦١٤ و ٦١٥ رقم ١٣٩ جزء من الحديث.

(٤) علل الشرايع ص ٢٩ و ٣٠ باب ٢٢ حديث ١ جزء من الحديث.

(٥) في المصدر: «خصب».

(٦) المحاسن ج ٢ ص ٣٤ رقم ١١٠٧.

(٧) القاموس المعيط ج ٤ ص ٣٢٧ و ٣٢٨.

(٨) سورة إبراهيم، آية: ٣٢.

(٩) قصص الأنبياء ص ١٨٠ و ١٨١ رقم ٢١٦.

(١٠) في المصدر: «تابع».

(١١) الخصال ج ٢ ص ٢٦٦ حديث الأربعانة.

(١٢) تفسير الإمام العسكري ص ١٥٠.

(١٣) من المصدر.

(١٤) في المصدر: «شيطان».

في الإبل فيزجرها هاي هاي كهيته ذلك قلت فما البرق قال لي تلك مخاريق الملائكة تضرب السحاب فتسوقه إلى
الموضع الذي قضى الله فيه المطر.^(١)
الفقيه: عن أبي بصير مثله.^(٢)

٢٢- قال وروي أن الرعد صوت ملك أكبر من الذباب وأصغر من الزنبور.^(٣)

٢٣- الكافي: عن محمد بن يحيى عن ابن عيسى عن ابن بزيع عن محمد بن الفضل عن الكنانى عن أبي عبد
الله عليه السلام قال يموت المؤمن بكل ميتة إلا الصاعقة لا تأخذه وهو يذكر الله عز وجل.^(٤)

٢٤- ومنه: عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير^(٥) عن ابن أذينة عن بريد قال قال أبو عبد الله عليه السلام إن
الصاعقة^(٦) لا تصيب ذاكرة.^(٧)

٢٥- الكافي: عن علي بن إبراهيم عن هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله عليه السلام قال كان
علي عليه السلام يقوم في المطر أول ما يمطر حتى يبتل رأسه ولحيته وثيابه قليل له يا أمير المؤمنين الكن الكن فقال إن هذا
ماء قريب العهد بالعرش ثم أنشأ يحدث فقال إن تحت العرش بحرا فيه ماء ينبت أرزاق الحيوانات فإذا أراد الله عز
ذكره أن ينبت به ما يشاء لهم رحمة منه لهم أوحى الله إليه فمطر ما شاء من سماء إلى سماء حتى يصير إلى سماء
الدنيا فيما أظن فليقيه إلى السحاب والسحاب بمنزلة الغراب ثم يوحى إلى الريح أن اطحنه وأذيبه ذوبان الماء ثم
انطلق به إلى موضع كذا وكذا فامطري عليهم فيكون كذا وكذا عابا وغير ذلك فتقطر عليهم على النحو الذي
يأمرها به فليس من قطرة تقطر إلا ومعها ملك حتى يضعها موضعها ولم ينزل من السماء قطرة من مطر إلا بعدد
معدود ووزن معلوم إلا ما كان من يوم الطوفان على عهد نوح عليه السلام فإنه نزل من ماء منهمل بلا وزن ولا عدد.^(٨)

٢٦- قال وحدثني أبو عبد الله عليه السلام قال قال لي أبي عليه السلام قال أمير المؤمنين عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله إن الله عز وجل
جعل السحاب غرابيل للمطر هي تذيب البرد حتى يصير ماء لكي لا يضر شيئا يصيبه والذي ترون فيه من البرد و
الصواعق نقمة من الله عز وجل يصيب بها من يشاء من عباده ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا تشيروا إلى المطر ولا
إلى الهلال فإن الله يكره ذلك.^(٩)

العلل: عن أبيه عن عبد الله بن جعفر الحميري عن هارون بن مسلم مثله إلى قوله فإنه نزل منها ماء^(١٠) منهمل بلا
عدد ولا وزن.^(١١) وقد مر في ما تقدم^(١٢).

قرب الإسناد: عن هارون مثله إلى آخر الخبر^(١٣)

بيان: أول ما يمطر أي أول كل ما مطر أو المطر الذي يمطر أول السنة وفي العلل أول مطر يمطر و
هو يؤيد الثاني والكن بالنصب على الإغراء أي أطلبه أو أدخله وهو بالكسر ما يستتر به من بناء و
نحوه في ما أظن ليس هذا في العلل وقرب الإسناد وعلى تقديره هو كلام الراوي أي أظن أن
الصادق عليه السلام ذكر السماء الدنيا ثم يوحى إلى الريح في الكتائب ثم يوحى إلى الله إلى السحاب أن
اطحنه وأذيبه ذوبان الملح في الماء وهذا ظاهر وآخر الخبر صريحا يدل على أن ما ينزل من
السماء برد فإذا أراد أن يصيره مطرا أمر الريح أو السحاب أن يطحنه ويذيبه والآية أيضا تحتل
ذلك بل هو أظهر فيها إذ الظاهر أن مفعول ينزل هو الودق لكن ذكر البحر في أول الخبر لا يلائم ذلك
إلا أن يقال الجبال في ذلك البحر أو يكون مرور ذلك الماء على تلك الجبال فيذلك ينجمد أو يحمل
من ذلك البرد فينزل وعلى ما فتحة المتفلسفون من أبواب التأويل فالأمر هين.

(١) تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٠٧ حديث ٢٢. (٢) تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٠٧ حديث ٢٣.

(٣) الفقيه ج ١ ص ٣٣٤ حديث ١٤٩٩ وفيه: «و ما حال البرق» بدل «فما البرق».

(٤) من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٣٣٤ باب ٨٠ حديث ١١.

(٥) الكافي ج ٢ ص ٥٠٠ باب أن الصاعقة لا تصيب ذاكرة، حديث ١.

(٦) في المصدر: «الصواعق».

(٧) الكافي ج ٢ ص ٥٠٠ باب أن الصاعقة لا تصيب ذاكرة، حديث ٢ وله ذيل.

(٨) روضة الكافي ص ٢٣٩ حديث ٣٢٦.

(٩) روضة الكافي ص ٢٤٠ حديث ٣٢٦.

(١٠) علل الشرايع ص ٤٦٣ باب ٢٢٢ حديث ٨.

(١١) كلمة: «ماء» ليست في المصدر.

(١٢) مَرَّبَرَّ في هذا الباب.

(١٣) قرب الإسناد ص ٧٣ حديث ٢٢٥.

ماء منهر أي منصب سائل من غير تقاطر أو كثير من غير أن يعلم وزنها و عددها الملائكة لا تشير إلى المطر لعل المراد به الإشارة إليهما على سبيل المدح كأن يقول ما أحسن هذا الهلال وما أجود هذا المطر أو أنه ينبغي عند رؤيتهما الاشتغال بالدعاء لا الإشارة إليهما كما يفعله السفهاء أو لا ينبغي عند رؤيتهما التوجه إليهما عند الدعاء والتوسل بهما كما أن بعض الناس يظنون أن للهلال وأمثاله مدخلا في نظام العالم فيتوسلون به ويتوجهون إليه وهذا أظهر بالنسبة إلى الهلال ويؤيده ما روي في الفقيه عن الصادق عليه السلام أنه قال إذا رأيت هلال شهر رمضان فلا تشر إليه ولكن استقبل القبلة و ارفع يديك إلى الله عز وجل و خاطب الهلال^(١) الخير و قبل المراد بالإشارة الإشارة المعنوية و القول بأنهما مؤثران في العالم و قيل هو نهي عن الإشارة إلي كيفية حدوثهما فإن ذلك يضر باعتقاد العامة كما قيل نظيره في قوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾^(٢)

٢٧- الكافي: عن محمد بن يحيى عن ابن عيسى عن الحسين بن سعيد عن ابن العزمي رفعه قال قال أمير المؤمنين عليه السلام و سئل عن السحاب أين تكون قال تكون على شجر على كثيب على شاطئ البحر يأوي إليه فإذا أراد الله عز و جل أن يرسله أرسل ريحا فأتارته و وكل به ملائكة يضربونه بالمخاريق و هو البرق فيرتفع ثم قرأ هذه الآية ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسْقَنَاءُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ الآية^(٣) و الملك اسمه الرعد^(٤)

٣٨٣
٥٩ تفسير علي بن إبراهيم: عن أبيه عن العزمي عن أبي إسحاق عن الحارث الأعور عنه عليه السلام مثله إلى قوله فيرتفع.^(٥)

بيان: تكون على شجر يحتمل أن يكون نوع من السحاب كذلك أو يكون كناية عن اتباعه عن البحر و ما قرب منه و قيل على شجر أي على أنواع منها ما يكون على الكثيب و هو اسم موضع على ساحل البحر اليمن يأتي السحاب إلى مكة منها و في النهاية في حديث علي عليه السلام البرق مخاريق الملائكة هي جمع مخراق و هو في الأصل ثوب يلف و يضرب به الصبيان بعضهم بعضا أراد أنها آلة تزجر بها الملائكة السحاب و تسوقه و يفسره حديث ابن عباس البرق سوط من نور تزجر بها الملائكة السحاب.

٢٨- نوادر الراوندي: بإسناده عن موسى بن جعفر عن آبائه عليه السلام قال قال علي عليه السلام المطر الذي منه أرزاق الحيوان من بحر تحت العرش فمن ثم كان رسول الله صلى الله عليه وآله يستمطر أول مطر و يقوم حتى يبطل رأسه و لحيته ثم يقول إن هذا ماء^(٦) قريب عهد بالعرش و إذا أراد الله تعالى أن يمطر أنزله من ذلك إلى سماء بعد سماء حتى يقع على الأرض و يقال المزن ذلك البحر و تهب ريح من تحت ساق عرش الله تعالى تلقح السحاب ثم ينزل من المزن الماء و مع كل قطرة ملك حتى تقع على الأرض في موضعها.^(٧)

٢٩- مجالس الشيخ: عن الحسين بن عبيد الله الغضائري عن التلعكبري عن محمد بن همام عن عبد الله الحميري عن الطيالسي عن زريق الخلقاني عن أبي عبد الله عليه السلام قال ما برقت قط في ظلمة ليل و لا ضوء نهار إلا و هي ماطرة.^(٨)

الكافي: عن علي بن إبراهيم عن صالح بن السندي عن جعفر بن بشير عن زريق عن أبي العباس عنه عليه السلام مثله^(٩)

بيان: قال الفيروز آبادي برقت السماء بروقا لمعت أو جاءت ببرق و البرق بدا و الرجل تهدد و تودع كأبرق^(١٠) انتهى و الحاصل أن البرق يلزمه المطر و إن لم يمطر في كل موضع يلوح فيه البرق.

(١) من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٦٢ رقم ٢٦٩ وفيه: «و قال أبي رضي الله عنه في رسالته إلي» بدل «عن الصادق عليه السلام».

(٢) سورة البقرة، آية: ١٨٩.

(٣) سورة فاطر، آية: ٩.

(٤) تفسير علي بن إبراهيم ج ٢ ص ٢٧٦.

(٥) روضة الكافي ص ٢١٨ حديث ٢٦٨.

(٦) نوادر الراوندي ص ٤١.

(٧) كلمة: «ماء» ليست في المصدر.

(٨) روضة الكافي ص ٢١٨ حديث ٢٦٧.

(٩) أمالي الطوسي ص ٦٩٧ بالمجلس ٣٩ حديث ١٤٨٩.

(١٠) القاموس المحيط ج ٣ ص ٢١٨.

٣٠- دعوات الراوندي: كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا أصابه المطر مسح به صلته و قال بركة من السماء لم يصبها يد و لا سقاء. (١)

٣١- كتاب الغارات: لإبراهيم الثقفي بإسناده قال سأل ابن الكواء أمير المؤمنين عليه السلام عن قوله تعالى ﴿وَالذَّارِيَاتُ ذُرُوءًا﴾ (٢) قال الرياح وملك قال فما الحاملات وقرأ قال السحاب وملك قال فما الجاريات يسرا قال السفن وملك قال فما المقسمات أمرا قال الملائكة وملك قال فما قوس قزح قال وملك لا تقل قوس قزح فإن قزح الشيطان و لكنها القوس و أمان أهل الأرض فلا غرق بعد قوم نوح. (٣)

٣٢- كتاب جعفر بن محمد بن محمد بن شريح: عن عبد الله بن طلحة عن أبي عبد الله عليه السلام قال إن الصاعقة لا تصيب ذاكرة لله تعالى. (٤)

٣٣- تفسير علي بن إبراهيم: في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأْشَكَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾ (٥) فهي الأنهار و العيون و الآبار. و قال علي بن إبراهيم في قوله ﴿وَأَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْجِي سَحَابًا﴾ (٦) أي يثيره من الأرض ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ فإذا غلظ بعث الله رياحا فتعصره فينزل منه الماء و هو قوله ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ أي المطر. (٧)

٣٤- الكافي: عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن محمد بن إسماعيل عن محمد بن الفضيل عن أبي الصباح الكناني عن أبي عبد الله عليه السلام قال يموت المؤمن بكل ميتة إلا الصاعقة لا تأخذه و هو يذكر الله. (٨)

٣٥- ومنه: عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة عن بريد العجلي قال قال أبو عبد الله عليه السلام إن الصواعق لا تصيب ذاكرة قلت و ما الذاكر قال من قرأ مائة آية. (٩)

٣٦- ومنه: عن حميد بن زياد عن الحسن بن محمد بن سماعه عن وهب (١٠) بن حصص عن أبي بصير قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن ميتة المؤمن قال يموت المؤمن بكل ميتة يموت غرقا و يموت بالهدم و يبتلى بالسبع و يموت بالصاعقة و لا تصيب ذاكرة لله عز و جل. (١١)

٣٧- توحيد المفضل: قال قال الصادق عليه السلام فكر يا مفضل في الصحو و المطر كيف يعتقان (١٢) على هذا العالم لما فيه صلاحه و لو دام واحد منهما عليه كان في ذلك فساده ألا ترى أن الأمطار إذا توالى غتت البقول و الخضز و استرخت أبدان الحيوان و خسر (١٣) الهواء فأحدث ضروبا من الأمراض و فسدت الطرق و المسالك و إن الصحو إذا دام جفت الأرض و احترق النبات و غيض ماء العيون و الأودية فأضر ذلك بالناس و غلب اليبس على الهواء فأحدث ضروبا أخرى من الأمراض فإذا تعاقب على العالم هذا التعاقب اعتدل الهواء و دفع كل واحد منهما عادية الأخرى (١٤) فصلحت الأشياء و استقامت.

فإن قال قائل و لم لا يكون في شيء من ذلك مضرة البتة قيل له ليمض ذلك الإنسان و يؤلمه بعض الأثم فيرعوي عن المعاصي فكما أن الإنسان إذا سقم بذنه احتاج إلى الأدوية المرة الشبعة ليقوم طباعه و يصلح ما فسد منه كذلك إذا طغي و أشر احتاج إلى ما بعضه و يؤلمه ليرعوي و يقصر عن مساويه و يتنبه على ما فيه حظه و رشد.

ولو أن ملكا من الملوك قسم في أهل مملكته قناطير من ذهب و فضة ألم يكن سيغظم عندهم و يذهب له به الصوت فأين هذا من مطرة رواء إذ يعمر به البلاد و يزيد في الغلات أكثر من قناطير الذهب و النضة في أقاليم

(١) دعوات الراوندي ص ١٨٥ باب ٣ حديث ٥١١. (٢) سورة الذاريات، آية: ١.

(٣) الغارات، ج ١ ص ١٧٨ - ١٧٩.

(٤) أصل جعفر بن شريح ضمن الأصول الستة عشر ص ٧٧، وكلمة: «تعالى» ليست فيه.

(٥) سورة المؤمنون، آية: ١٨. (٦) سورة: ٤٣: ٤.

(٧) تفسير علي بن إبراهيم ج ٢ ص ٩١ و ١٠٧. (٨)

(٩) الكافي ج ٢ ص ٥٠٠ باب أن الصاعقة لا تصيب ذاكرة حديث ٢.

(١٠) في المصدر: «وهيب».

(١١) الكافي ج ٢ ص ٥٠٠ باب أن الصاعقة لا تصيب ذاكرة حديث ٣.

(١٢) في المصدر: «يتعاقبان».

(١٣) (١٤) في المصدر: «الأخر».

الأرض كلها ألا ترى المطرة الواحدة ما أكبر قدرها وأعظم النعمة على الناس فيها وهم عنها ساهون وربما عاقت عن أحدهم حاجة لا قدر لها فيذمر ويسخط إثارة للخسيس قدرة على العظيم نفعه جهلا بمحمود العاقبة وقلة معرفة لعظيم الغناء والمنفعة فيها.

تأمل نزوله على الأرض وتدبر في ذلك فإنه جعل ينحدر عليها من علو ليغشى ما غلظ وارتفع منها فيرويه و لو كان إنما يأتيها من بعض نواحيها لما علا الموضع المشرفة منها ولعل ما يزرع في الأرض ألا ترى أن الذي يزرع سيحا أقل من ذلك فالأمطار هي التي تطبق الأرض وربما تزرع هذه البراري الواسعة وسفوح الجبال وذراها فتغل الغلة الكثيرة وبها يسقط عن الناس في كثير من البلدان متونة سباق الماء من موضع إلى موضع وما يجري في ذلك بينهم من التشاجر والتظالم حتى يستأثر بالماء ذو العزة والقوة ويحرمه الضعفاء.

ثم إنه حين قدر أن ينحدر على الأرض انحدارا جعل ذلك قطرا شبيها بالرش ليغور في قعر الأرض فيرويه و لو كان يسقيه انسكابا كان ينزل على وجه الأرض فلا يغور فيها ثم كان يحطم الزرع القائمة إذا اندقق عليها فصار ينزل نزولا رقيقا فينبت الحب والمزروع ويحيي الأرض والزرع القائم وفي نزوله أيضا مصالح أخرى فإنه يلين الأبدان ويجلو كدر الهواء فيترفع البواب الحادث من ذلك ويفسل ما يسقط على الشجر والزرع من الداء المسمى اليرقان إلى أشباه هذا من المنافع.

فإن قال قائل أو ليس قد يكون منه في بعض السنين الضرر العظيم الكثير لشدة ما يقع منه أو برد يكون فيه تحطم الغلات وبخوره يحدثها في الهواء فيتولد كثير من الأمراض في الأبدان والآفات في الغلات قيل بلى قد يكون ذلك الفرط لما فيه من صلاح الإنسان وكفه عن ركوب المعاصي والتمادي فيها فيكون المنفعة فيها يصلح له من دينه أرجح مما عصى أن يردأ في ماله. (١)

بيان: يعتقبان أي يأتي كل منهما عقيب صاحبه وخسر الهواء بكسر الصاد المهملة يقال خسر يومنا أي اشتد برده وماء خاصر بارد وفي أكثر النسخ بالحاء المهملة والسين من خسر أي كل ولا يستقيم إلا بتكلف وتجزؤ وفي بعضها بالحاء المعجمة والثاء المثلثة من قولهم خسر إذا غلظ والبشع الكربة المطعم الذي يأخذ بالحلوق والقطار معيار ويروى أنه ألف ومائتا أوقية ويقال هو مائة وعشرون رطلا ويقال هو ملء مسك الثور ذهباً قوله وَيَذْهَبُ به الصوت أي يملأ صيت كرمه وجوده الآفاق والذمر الملامة والتهديد والحطم الكسر والاندفاق الانصباب واليرقان آفة للزرع وقوله مما عصى أن يردأ من الرزء المصيبة.

٣٨- الدر المنثور: عن ابن عباس قال السحاب الأسود فيه المطر والأبيض فيه الندى وهو الذي ينضج الثمار. (٢)

٣٩- وعن ابن عباس قال ما من عام بأقل مطرا من عام ولكن الله يصرفه حيث يشاء ثم قرأ هذه الآية وَوَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِيْنَهُمْ لِيَذْكُرُوا الآية. (٣)

٤٠- وعن عمر مولى عفرة قال سأل النبي ﷺ جبرئيل فقال إني أحب أن أعلم أمر السحاب فقال جبرئيل هذا ملك السحاب فاسأله فقال تأتينا صكاك مخمجة اسق بلاد كذا وكذا كذا وكذا قطرة. (٤)

٤١- وعن ابن عباس قال إذا رمي الشهاب لم يخط من رمي به وتلا وَفَأَنبِئْهُ شِهَابًا نَّاقِبٌ. (٥)

٤٢- وفي رواية أخرى عنه قال لا يقتلون بالشهاب ولا يموتون ولكنها تخرق وتخرج من غير قتل. (٦)

٤٣- وعن ابن عباس قال ما أرسل الله شيئا من ريع أو ماء إلا بمكيال إلا يوم نوح ويوم عاد فأما يوم نوح فإن الماء طغى على خزانه فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرأ وَإِنَّا لَأَنزَلْنَاهُ نَارًا (٧) وأما يوم عاد فإن الريح عتت على خزانه فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرأ بِرِيحٍ ضَرَضٍ غَائِبَةٍ. (٨) وعن علي ؑ مثله إلا أنه قال لم تنزل قطرة من ماء إلا بمكيال على يد ملك. (٩)

(٢) لم نخر عليه في المصدر.

(٤) الدر المنثور ج ٥ ص ٧٣.

(٦) لم نخر عليه في المصدر.

(٨) سورة الحاقة: آية: ٦.

(١) توحيد المفضل ص ١٤٨ - ١٤٩.

(٣) الدر المنثور ج ٥ ص ٧٣.

(٥) الدر المنثور ج ٥ ص ٢٧١ والآية من سورة الصافات: ١٠.

(٧) سورة الحاقة: آية: ١١.

(٩) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٥٩.

٤٤- وعن الزهري عن علي بن الحسين عليه السلام عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ جالسا في نفر من أصحابه فرمى بنجم فاستنار قال ما كنتم تقولون إذا كان هذا في الجاهلية قالوا كنا نقول يولد عظيم أو يموت عظيم قال فإنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته ولكن ربنا إذا قضى أمرا سبح حملة العرش ثم يسبح أهل السماء الذين يلون حملة العرش فيقول الذين يلون حملة العرش لحملة العرش ما ذا قال ربكم فيخبر أهل كل سماء سماء حتى ينتهي الخبر إلى أهل هذه السماء وتخطف الجن السمع فيرمون فما جاءوا به على وجهه فهو حق ولكنهم يحرفونه ويزيدون فيه قال معمر قلت للزهري أكان يرمى بها في الجاهلية قال نعم قال أرأيت **«أَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعِ آتَانَ يَجِذُّ لُهُ شَيْهَابًا رَصَدَاهُ»** ^(١) قال غلظت وشدت أمرها حين بعث رسول الله ﷺ ^(٢).

تتميم

اعلم أن الفلاسفة أثبتوا عناصر أربعة النار والهواء والماء والأرض وقالوا النار حار يابس والهواء حار رطب والماء بارد رطب والأرض بارد يابس وكرة النار عندهم ملاصقة لكرة فلك القمر متحركة بحركتها بالتبع ولها كرة واحدة وتحتها الهواء وله أربع طبقات الأولى ما يمتزج منه مع النار وهي التي تتلاشى فيها الأدخنة المرتفعة من السفلى وتتكون فيها الكواكب ذوات الأذناب وما يشبهها من النيازك والأعمدة وغيرها الثانية الهواء الصرفة أو القريب من الصرافة وتضمحل فيها الأدخنة اللطيفة ويحصل منها الشهب الثالثة الهواء الباردة بما يخالطه من الأبخرة الباقي على برودته لعدم وصول أثر الشعاع المنعكس من وجه الأرض إليه الرابعة الهواء الكثيف المجاور للأرض والماء الغير الباقي على صرافة برودته المكتسبة لمكان الأشعة المنعكسة.

ثم كرة الماء وهي غير تامة محيطة بثلاثة أرباع الأرض تقريبا ثم الأرض وهي كرة مصمتة وقد أحاط بقريب من ثلاثة أرباعها الماء فالماء على هيئة كرة مجوفة غير تامة قد قطع بعض جوانبها وملئت من الأرض فالآن مجموع الماء والأرض بمنزلة كرة واحدة تامة الهيئة وللماء طبقة واحدة هي البحر المحيط بالأرض ولم يبق على صرافته لنفوذ آثار الأشعة فيه ومخالطته بالأجزاء الأرضية وليس له ما يميز بين أبعاضه بحيث تختلف في الأحكام اختلافا يعتد به والأرض ساكنة في الوسط بحيث ينطبق مركز حجمها على مركز العالم هذا هو المشهور بينهم وزعم بعض الأوائل منهم أن الأرض متحركة حركة وضعية دورية من المغرب إلى المشرق وأن شروق الكواكب وغروبها بسبب ذلك لا بسبب حركة الفلك وهذا قول ضعيف متروك عندهم.

وللأرض ثلاث طبقات الأولى الأرض الصرفة المحيطة بالمركز الثانية الطبقة الطينية وهي المجاورة للماء الثالثة الطبقة المنكشفة من الماء وهي التي تحتبس فيها الأبخرة والأدخنة وتولد فيها المعادن والنباتات والحيوانات وتنقسم إلى البراري والجبال وهي المعروفة بالربع المسكون المنقسم إلى الأقاليم السبعة وأما السبب في انكشافها فقد قيل هو انجذاب الماء إلى ناحية الجنوب لغلبة الحرارة فيها بسبب قرب الشمس لكون حضيض الشمس في البروج الجنوبية وكونها في القرب أشد شعاعا من كونها في البعد وكون الحرارة اللازمة من الشعاع الأشد أقوى لا محالة و شأن الحرارة جذب الرطوبات وعلى هذا يمكن أن تنتقل العمارة من الشمال إلى الجنوب ثم من الجنوب إلى الشمال وهكذا بسبب انتقال الأجور من أحدهما إلى الآخر وتكون العمارة دائما إلى حيث أوج الشمس ثلثا يجتمع في الصيف قرب الشمس من سمت الرأس وقربها من الأرض فتبلغ الحرارة إلى حد النكابة والإحراق ولا البعدان في الشتاء فيبلغ البرد إلى حد النكابة والتفجع وقيل سببه كثرة الوهاد والأغوار في ناحية الشمال باتفاق من الأسباب الخارجة فتتحد المياه إليها بالطبع وتبقى المواضع المرتفعة مكشوفة وقيل ليس له سبب معلوم غير العناية الإلهية ليصير مستقرا للإنسان وغيره من الحيوانات ومادة لما يحتاج إليه من المعادن والنباتات.

ثم إنهم يقولون بأن كلا من تلك العناصر الأربعة قابل للكون والفساد أي ينقلب بعضها إلى بعض بلا توسط أو بتوسط واحد أو أكثر كالماء ينقلب حجر المرمر فإنه يحصل من مياه صافية جارية مشروبة تجتمع في وهاد تتحجر حجرا قريبا الحجم من حجمها في زمان قليل كما ينقل من بعض محال مراغة من بلاد آذربايجان وقيل الحق أن ذلك

إنما هو بخاصية في بعض المواضع من الأرض خلق الله فيها قوة معدنية شديدة التأثير في التحجير إذا صادفتها المياه تجحرت وربما كانت في باطن الأرض فظهرت بالزلازل ومن هذا القبيل ما نقل من انقلاب بعض الناس حجرا وقد شوهدت في بعض البلاد أشباح حجرية على هيئة أشخاص إنسية من رجال ونساء ولدان لا يعوزها من التشكيل والتخطيط شيء وأشخاص بهيمية وسائر أمور تتعلق بالإنسان على حالات مخصوصة وأوضاع يغلب على الظن أنها كانت قوالب إنسية وما يتعلق بها فلا يبعد ظهور مثل هذه القوة على قوم غضب الله عليهم^(١) انتهى.

وقالوا الحجر ينحل بالهيل الإكسيرية ماء سيالا والهواء ينقلب ماء كما يشاهد في قلل الجبال وغيرها أن الهواء بسبب البرد يغلف ويصير سحابا متقاطرا وكما يشاهد من ركوب القطرات على الطاس المكبوب على الجمد والماء ينقلب.

هواء البحر الحاصل من تسخين الشمس أو النار كما يشاهد من البخار الصاعد من الماء المسخن فإن البخار أجزاء هوائية متكونة من الماء مستصحبة لأجزاء مائية لطيفة مختلطة بها والهواء ينقلب نارا كما في كور الحدادين إذا ألح النفخ عليها وسد الطرق التي يدخل منها الهواء الجديد يحدث فيه نار من انقلاب الهواء إليها ومن هذا القبيل الهواء الحار الذي منه السموم المحرقة والنار أيضا تنقلب هواء كما يشاهد في شعلة المصباح فإنها لو بقيت على النارية لتحركت إلى مكانها الطبيعي على خط مستقيم فاحترقت ما حاذها وليس كذلك.

ثم إنهم قالوا إذا تصفرت تلك العناصر وامتزجت وتماست وفعل بعضها في بعض بقواها المتضادة تحصل منها كيفية متوسطة هي المزاج والتركيب قد يكون تاما يحصل به مزاج ويستعد بذلك لإفاضة صورة نوعية تحفظ التركيب زمانا طويلا وقد يكون ناقصا لا يبقى مدة مديدة بل تتحل بأدنى سبب مثل كائنات الجو.

قال صاحب المقاصد المركبات التي لا مزاج لها ثلاثة أنواع لأن حدوثه إما فوق الأرض أعني في الهواء وإما على وجه الأرض وإما في الأرض فالنوع الأول منه ما يتكون من البخار ومنه ما يتكون من الدخان وكلاهما بالحرارة فإنها تحلل من الرطب أجزاء هوائية ومائية وهي البخار ومن اليابس أجزاء أرضية تتخالطها أجزاء نارية وقلما يخلو عن هوائية وهي الدخان فالبخار المتساعد قد يطفئ بتحليل الحرارة أجزاءه المائية فيصير هواء وقد يبلغ الطبقة الزهريرية فيتكاثف فيجتمع سحابا ويتقاطر قطرا إن لم يكن البرد شديدا وإن أصابه برد شديد يجمد السحاب قبل تشكله بشكل القطرات نزل ثلجا أو بعد تشكله بذلك نزل بردا صغيرا مستديرا إن كان من سحاب بعيد لدوبان الزوايا بالحركة والاصطكاك وإلا فكبير غير مستدير في الغالب وإنما يكون البرد في هواء ربيعي أو خريفي لفرط التحليل في الصيفي والجمود في الشتوي وقد لا يبلغ البخار المتساعد الطبقة الزهريرية فإن كثر صار ضبابا وإن قل وتكاثف ببرد الليل فإن انجمد نزل صقيعا وإلا فطلا فنسبة الصقيع إلى الطل نسبة الثلج إلى المطر وقد يكون السحاب الماطر من بخار كثير تكاثف بالبرد من غير أن يتصعد إلى الزهريرية لمانع مثل هبوب الرياح المانعة للأبخرة من التصاعد أو الضاغطة إياها إلى الاجتماع بسبب وقوف جبال قدام الريح وثقل الجزء المتقدم وبطء حركته.

وقد يكون مع البخار المتساعد دخان فإذا ارتفعا معا إلى الهواء البارد وقد انعقد البخار سحابا واحتبس الدخان فيه فإن بقي الدخان على حرارته قصد الصعود وإن برد قصد النزول وكيف كان فإنه يمزق السحاب تمزيقا عنيفا فيحدث من تمزيقه ومصاكنه صوت هو الرعد ونارية لطيفة هي البرق أو كيفية هي الصاعقة.

وقد يشتعل الدخان الغليظ بالوصول إلى كرة النار كما يشاهد عند وصول دخان سراج منطفي إلى سراج مشتعل فيرى فيه الاشتعال فيرى كأنه كوكب انقضى وهو الشهاب وقد يكون لغلظه لا يشتعل بل يحترق ويدوم فيه الاحتراق فيبقى على هيئة ذؤابة أو ذنب أو حية أو حيوان له قرون وربما يقف تحت كوكب ويدور مع النار بدوران الفلك إياها وربما تظهر فيه علامات هائلة حمر وسود بحسب زيادة غلظ الدخان وإذا لم ينقطع اتصال الدخان من الأرض ونزل اشتعاله إلى الأرض يرى كأن تيننا ينزل من السماء إلى الأرض وهو الحريق^(٢) انتهى.

وقال في المواقف وأما الدخان فربما يخالط السحاب فيحرقه إما في صعوده بالطبع أو عند هبوطه للتكاثف

٣٩١
٥٩

٣٩٢
٥٩

بالبرد فيحدث من خرقه له و مصاكنه إياه صوت هو الرعد و قد يشتعل بقوة التسخين الحاصل من الحركة و المصاكة فلطيفه ينطفئ سريعا و هو البرق و كثيفه لا ينطفئ حتى يصل إلى الأرض و هي الصاعقة.^(١)

وقال شارحه و إذا وصل إليها فربما صار لطيفا ينفذ في المتخلخل و لا يحرقه و يذيب الأجسام المندمجة فيذهب الذهب و الفضة في الصرة مثلا و لا يحرقها إلا ما احترق من الذوب و قد أخبرنا أهل التواتر بأن الصاعقة وقعت بشيراز على قبة الشيخ الكبير أبي عبد الله بن حفيظ^(٢) فأذاب قنديلا فيها و لم يحرق شيئا منها و ربما كان كثيفا غليظا جدا فيحرق كل شيء أصابه و كثيرا ما تقع على الجبل فتدكه دكا و يحكي أن صيبا كان في صحراء فأصاب ساقيه صاعقة فسقط رجلاه و لم يخرج منه دم لحصول الكي بحرارتها^(٣).

و قال الرازي في المباحث المشرقية إذا ارتفع بخار دخاني لزج دهني و تصاعد حتى وصل إلى حيز النار من غير أن ينقطع اتصاله عن الأرض اشتعلت النار فيه نازلة فيرى كأن تينا ينزل من السماء إلى الأرض فإذا وصلت إلى الأرض احترقت تلك المادة بالكلية و ما^(٤) يقرّب منها و سبيل ذلك سبيل السراج المنطفي إذا وضع تحت السراج المشتعل فاتصل الدخان من الأول إلى الثاني فانحدر اللهب إلى فتيلته.^(٥)

و قال في شرح المواقف في سبب الهالة و القوس قد تحدث في الجو أجزاء رطبة رشيّة صقيلة كدائرة تحيط تلك الأجزاء بغير رقيق لطيف لا تحجب ما وراءه عن الإبصار فينعكس منها أي من تلك الأجزاء الواقعة على ذلك الوضع ضوء البصر لصلقاتها إلى القمر فيرى في تلك الأجزاء ضوءه دون شكله فإن الصقيل الذي ينعكس منه شعاع البصر إذا صغر جدا بحيث لا ينقسم في الحس أدى الضوء و اللون دون الشكل و التخطيط كما في المرأة الصغيرة و تلك الأجزاء الرشيّة مرابا صغار متراسة على هيئة الدائرة فيرى جميع تلك الدائرة كأنها منورة بنور ضعيف و تسمى الهالة و إنا لا نرى الجزء الأول الذي يقابل القمر من ذلك الغيم لأن قوة الشعاع تخفي حجم السحاب الذي لا يستره فلا يرى فيه خيال القمر كيف و الشيء إنما يرى على الاستقامة نفسه لا شبحه بخلاف أجزائه التي لا تقابله فإنها تؤدي خيال ضوءه كما عرفت قليل و أكثر ما تولد الهالة عند عدم الريح فإن تمزقت من جميع الجهات دلت على الصحو و إن ثخن السحاب حتى بطلت دلت على المطر لأن الأجزاء المائية قد كثرت و إن انخرقت من جهة دلت على ريح تأتي من تلك الجهة و إن^(٦) اتفق أن توجد سحابتان على الصفة المذكورة إحداها تحت الأخرى حدثت هناك هالة تحت هالة و تكون التحتانية أعظم لأنها أقرب إلينا و زعم بعضهم أنه رأى سبع حالات معا.

و اعلم أن هالة الشمس و تسمى الطفاوة^(٧) نادرة جدا لأن الشمس تحلل السحب الرقيقة و مع ذلك فقد زعم ابن سينا أنه رأى حول الشمس هالة تامة في ألوان قوس قزح و رأى بعد ذلك هالة فيها قوسية قليلة و إنما تنفرج هالة الشمس إذا كثف السحاب و أظلم^(٨) و حكى أيضا أنه رأى حول القمر هالة قوسية اللون لأن السحاب كان غليظا فشوش في أداء الضوء و عرض ما يعرض للقوس^(٩) و قد يحدث مثل ذلك الذي ذكرناه من الأجزاء الرشيّة الصقيلة على هيئة الاستدارة في جهة خلاف الشمس و هي قوس قزح.

و تفصيله^(١٠): أنه إذا وجد في خلاف جهة الشمس أجزاء رشيّة لطيفة صافية على تلك الهيئة و كان وراءها جسم كثيف إما جبل أو سحاب كدر و كانت الشمس قريبة من الأفق فإذا أدير على الشمس و نظر إلى تلك الأجزاء انعكس شعاع البصر عنها إلى الشمس و لما كانت صغيرة جدا لم يؤد الشكل بل اللون الذي يكون مركبا من ضوء الشمس في لون المرأة و تختلف ألوانها بحسب اختلاف أجزاء السحاب في ألوانها و بحسب ألوان ما وراءها من الجبال و ألوان ما ينعكس منها الضوء من الأجرام الكثيفة.

و في المباحث المشرقية^(١١) زعم بعضهم أن السبب في حدوث أمثال هذه الحوادث اتصالات فلكية و قوى

(١) المواقف - طبع متناً لشرحه - ج ٧ ص ٢١٣.

(٢) شرح المواقف ج ٧ ص ٢١٤، المرصد الأول من القسم الخامس.

(٣) في المصدر: «وكل ما» بدل «وما».

(٤) في المصدر: «وإذا».

(٥) في المصدر إضافة: «بضم الطاء».

(٦) الشفاء - الطبيعيات - ص ٤٩ فصل المعارف و الآثار العلوية.

(٧) الشفاء - الطبيعيات - ص ٥٠ فصل المعارف و الآثار العلوية.

(٨) بقية كلام السيد الشريف.

(٩) بقية كلام السيد الشريف.

(١٠) بقية كلام السيد الشريف.

(١١) بقية كلام السيد الشريف.

روحانية اقتضت وجودها^(١) وحينئذ لا تكون من قبيل الخيالات وهو أن يرى صورة شيء مع صورة شيء^(٢) آخر مظهر له كالمرآة فيظن أن الصورة الأولى حاصلة في الشيء الثاني ولا يكون فيه بحسب نفس الأمر.

قال الإمام^(٣) هذا الذي ذكره لا ينافي ما ذكرناه فإن الصحة والمرض قد يستندان إلى أسباب عنصرية تارة وإلى اتصالات فلكية وتأثيرات نفسانية أخرى لكن هذا الوجه يؤيد أن أصحاب التجارب شهدوا بأن أمثال هذه الحوادث في الجو تدل على حدوث حوادث في الأرض فلو لا أنها موجودات مستندة إلى تلك الاتصالات والأوضاع لم يستمر هذا الاستدلال^(٤) انتهى.

وقال بعضهم إن الله سبحانه إذا أراد أن يطفئ بقوم أو يغضب عليهم بإحداث حدث في الأرض وتكوين كائن من إبطار مطر أو إرسال ريح وما أشبههما أمر الملائكة السماوية خصوصا الملكين الموكلين بالشمس أن يفعلوا في الأرض بتوسط الملائكة الموكلين بها أفاعيل الملائكة أن يحركوا شيئا منها ويخلطوه حتى يحصل من اختلاطه ما يشاء فإن كل ما يتكون في الجو والأرض إنما يحدث من اختلاط العناصر والأرضيات فأول ما يحدث من ذلك قبل أن يمتزج امتزاجا تاما يحصل بسبب الكيفية الوجدانية المسماة بالمزاج هو البخار والدخان وذلك لأن الملائكة إذا هيجوا بإسخان السماويات الحرارة يهروا من الأجسام المائية ودخوا من الأجسام الأرضية وأثاروا أجزاء إما هوائية ومائية مختلطين وهو البخار وإما نارية وأرضية كذلك وهو الدخان ثم حصل بتوسطهما موجودات شتى غير تامة المزاج من الغيم والمطر والثلج والبرد والضباب والطل والصقيع والرعد والبرق والصاعقة والقوس والهالات والشهب والرياح والزلازل وانفجارات العيون والقنوت والآبار والتزوز كل ذلك بإذن الله سبحانه وتوسط ملائكته كما قال سبحانه إشارة إلى بعض ذلك «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ سَخَابًا» الآية^(٥) والتأمل في بناء الحمام و عوارضه نعم العون على إدراك ماهية الجو وكثير من حوادثه بل التدبر في ما يرتفع من أرض معدة الإنسان إلى زمهرير دماغه ثم ينزل منه في ثقب وجهه يعين على ذلك كسائر الأمور الأنفسية على الأحكام الآفاقية^(٦) انتهى.

وقال بعض المحققين في تحقيق ألوان القوس توضيح المقام يستدعي مقدمتين الأولى: أن سائر الألوان المتوسطة بين الأسود والأبيض إنما تحدث عن اختلاط هذين اللونين وبالجملية الأبيض إذا رثي بتوسط الأسود أو بمخالطة الأسود حدثت عن ذلك الألوان الأخر فإن كان النير هو الغالب رثي الأحمر وإن لم يكن غالبا رثي الكراثي والأرجواني و غلبته في الكراثي أكثر وفي الأرجواني أقل الثانية: أن اللون الأسود هو بمنزلة عدم الإبصار لأننا إذا لم نر الشمس والمضيء ظننا أننا نرى شيئا أسود فالمكان من الغمام الذي يكون الأبيض فيه غالبا على الأسود نراه أحمر والمكان الذي يكون فيه الأسود غالبا نراه أرجوانيا والمكان الذي فيه الأسود بين الغالب والمغلوب نراه كراثيا.

فإذا تمهد هذا فنقول إذا رأى البصر النير بتوسط الغمام على تلك الشرائط رأى القوس على الأكثر ذات ألوان ثلاثة الأول منها وهو الدور الخارج الذي يلي السماء أحمر لقله سواده وكثرة بياضه والثاني وهو الذي دونه كراثي لتوسطه بين الأول والثالث في قلة السواد وكثرته وقلة البياض وكثرته والدور الثالث مما يلي الأرض أرجواني لكثرة سواده وقلة بياضه فأما الدور الأصفر الذي قد يرى أحيانا بين الدور الأحمر والكراثي فإنه ليس يحدث بنحو الانعكاس فإنما يرى بمجاورة الأحمر اللون الكراثي والعلّة في ذلك أن الأبيض إذا وقع على جنب الأسود رثي أكثر بياضا ولما كان الدور الأحمر فيه بياضا والكراثي مائلا إلى السواد رثي طرف الأحمر لقربه من الكراثي أكثر بياضا من الأحمر وما هو أكثر بياضا من الأحمر هو الأصفر فلهذا يرى طرف الدور الأحمر القريب من الكراثي أصفر وقد يظهر أحيانا قوسان معاكلي واحدة منهما ذات ثلاثة ألوان على النحو الذي ذكرناه في الواحدة لكن وضع ألوان القوس الخارجة بالعكس من الداخلة يعني دورها الخارج الذي يلي السماء أرجواني والذي يليه كراثي والذي يتلو هذا أحمر ولا يبعد أن يكون أحد القوسين عكسا للآخر^(٧) انتهى.

(٢) من المصدر.

(١) المباحث المشرقية ج ٢ ص ١٨٦.

(٣) أي الفخر الرازي.

(٤) شرح المواقف ج ٧ ص ٢١٧ المرصد الأول من القسم الخامس، وتجذ كلام الفخر هذا في المباحث المشرقية ج ٢ ص ١٨٦.

(٥) سورة النور، آية: ٤٣.

(٦) لم نعر على كتاب هذا البعض.

وأقول: هذا ما ذكره القوم في هذا المقام وكلها مخالفة لما ورد في لسان الشريعة و لم يكلف الإنسان الخوض فيها والتفكر في حقائقها و لو كان مما ينفع المكلف لم يهمل صاحب الشرع بيانها و قد ورد في كثير من الأخبار النهي عن تكلف ما لم يؤمر المرء بعلمه قال صاحب المواقف و شارحه بعد إيراد هذه المباحث ما ذكرناه كله آراء الفلاسفة حيث نفوا القادر المختار فأحالوا اختلاف الأجسام بالصور إلى استعداد في موادها و أحالوا اختلاف آثارها إلى صورها المتباينة و أمزجتها المتخالفة و كل ذلك إلى حركات الأفلاك و أوضاعها و أما المتكلمون فقالوا الأجسام متجانسة بالذات لتركيبتها من الجواهر الفردة و أنها متماثلة لا اختلاف فيها و إنما يعرض الاختلاف للأجسام لا في ذواتها بل بما يحصل فيها من الأعراض بفعل القادر المختار^(١) انتهى.

ثم اعلم أن ما يشاهد من انعقاد السحب في قلل الجبال و تقاطرها مع أن الواقف على قمة الجبل لا يرى سحابا و لا مطرا و لا ماء و الذين تحت السحاب ينزل عليهم المطر لا يتأفي الظواهر الدالة على أن المطر من السماء بوجهين أولهما أنه يمكن أن ينزل عليهم المطر من السماء إلى السحاب رشحا ضعيفا لا يحس به أو قبل انعقاد السحاب على الموضع الذي يرتفع منه و ثانيهما أن نقول بحصول الوجهين معا و انقسام المطر إلى القسمين فمنه ما ينزل من السماء و منه ما يرتفع من بخار البحار و الأراضي الندية و يؤيده ما رواه شيخنا البهائي قدس الله روحه في كتاب مفتاح الفلاح حيث قال نقل الخاص و العام أن المأمون ركب يوما للصيد فمر ببعض أزقة بغداد على جماعة من الأطفال فخافوا و هربوا و تفرقوا و بقي واحد منهم في مكانه فتقدم إليه المأمون و قال له كيف لم تهرب كما هرب أصحابك فقال لأن الطريق ليس ضيقا فيتسع بذهابي و لا بي عندك ذنب فأخافك لأجله فلائي شيء أهرب فأعجب كلامه المأمون فلما خرج إلى خارج بغداد أرسل صفه فارتفع في الهواء و لم يسقط على وجه الأرض حتى رجع و في متقاره سمكة صغيرة فتعجب المأمون من ذلك فلما رجع تفرق الأطفال و هربوا إلا ذلك الطفل فإنه بقي في مكانه كما في المرة الأولى فتقدم إليه المأمون و هو ضام كفه على السمكة و قال له قل أي شيء في يدي فقال إن الغيم حين أخذ من ماء البحر تدخله سمك صغار فتسقط منه فيصطادها الملوك فيمتحنون بها سلالة النبوة فأدهش ذلك المأمون فقال له من أنت قال أنا محمد بن علي الرضا و كان ذلك بعد واقعة الرضا^(٢) و كان عمره^(٣) في ذلك الوقت إحدى عشرة و قيل عشر سنة فنزل المأمون عن فرسه و قبل رأسه و تذلل له ثم زوجه ابنته^(٤).

أقول: و قد مر في أبواب تاريخه^(٥) و سئل السيد المرتضى الرعد و البرق و الغيم ما هو و قوله تعالى ﴿وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِثْرُ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾^(٦) و هل هناك برد أم لا فأجاب قدس سره أن الغيم جسم كثيف و هو مشاهد لا شك فيه و أما الرعد و البرق فقد روي أنهما ملكان و الذي نقوله هو أن الرعد صوت من اصطكاك أجرام السحاب و البرق أيضا من تصادمهما و قوله ﴿من جبال﴾ إلى آخره لا شبهة فيه أنه كلام الله و أنه لا يمتنع أن تكون جبال البرد مخلوقة في حال ما ينزل البرد^(٧).

الرياح و أسبابها و أنواعها

باب ٢٩

الآيات:

البقرة: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ﴾^(١)

(١) شرح المواقف ج ٧ ص ٢١٩، المرصد الأول من القسم الخامس.

(٢) مفتاح الفلاح ص ١٧١ ذيل دعاء الساعة التاسعة.

(٣) راجع ج ٥٠ ص ٩١ من المطبوعة حديث ٦ من باب فضائل و مكارم أخلاقه^(٤)، و راجع أيضاً ج ٥٩ ص ٣٣٩ من المطبوعة باب الهوا

(٤) سورة النور، آية: ٤٣.

(٥) أجوبة المسائل المصرية ضمن رسائل الشريف المرتضى ج ٤ ص ١٨، المسألة السابعة. هذا آخر ما جاء في الجزء السادس و الخمسين

(٦) سورة البقرة، آية: ١٦٤.

من المطبوعة.

الأعراف: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ (١)

الحجر: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ﴾ (٢)

الإسراء: ﴿فَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ (٣)

الأنبياء: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ (٤)

الفرقان: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ (٥)

النمل: ﴿وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ (٦)

الروم: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيَذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ لِفُكِّكُمْ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِتَعْلَمَكُمُ تُشْكُرُونَ﴾ (٧) وقال تعالى ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا قَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ (٨)

الذاريات: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا﴾ (٩) وقال سبحانه ﴿وَفِي غَاكِ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ (١٠)

القمر: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا ضَرَضًا فِي يَوْمِ نُحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ (١١)

المرسلات: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾ (١٢)

تفسير: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا﴾ (١٣) قال الرازي حد الرّيح أنه هواء متحرك فنقول كون هذا الهواء متحركا ليس لذاته ولا للوازم ذاته وإلا لدامت الحركة بدوام ذاته فلا بد وأن يكون بتحريك الفاعل المختار وهو الله جل جلاله قالت الفلاسفة هاهنا سبب آخر وهو أنه يرتفع من الأرض أجزاء أرضية لطيفة مسخنة تسخيناً قويا شديدا فيسبب تلك السخونة الشديدة ترتفع وتتصاعد فإذا وصلت إلى القرب من الفلك كان الهواء الملتصق بمقعر الفلك متحركا على استدارة الفلك بالحركة المستديرة التي حصلت لتلك الطبقة من الهواء فهي تمنع هذه الأدخنة من الصعود بل تردها عن سمت حركتها فيحينئذ ترجع تلك الأدخنة وتفرق في الجوانب وبسبب ذلك التفرق تحصل الرياح ثم كلما كانت تلك الأدخنة أكثر وكان صعودها أقوى كان رجوعها أيضا أشد حركة فكانت الرياح أشد وأقوى هذا حاصل ما ذكره وهو باطل ويدل على بطلانه وجوه:

الأول: أن سعود الأجزاء الأرضية إنما يكون لشدة تسخينها ولا شك أن ذلك التسخين عرضي (١٤) لأن الأرض باردة يابسة بالطبع فإذا كانت تلك الأجزاء الأرضية متصغرة جدا كانت سريعة الانفعال فإذا تصاعدت ووصلت إلى الطبقة الباردة من الهواء امتنع بقاء الحرارة فيها بل تبرده جدا وإذا بردت امتنع بلوغها في الصعود إلى الطبقة الهوائية المتحركة بحركة الفلك فيطل ما ذكره.

الثاني: هب أن تلك الأجزاء الدخانية صعدت إلى الطبقة الهوائية المتحركة بحركة الفلك لكنها لما رجعت وجب أن تنزل على الاستقامة لأن الأرض جسم ثقيل والثقل إنما يتحرك بالاستقامة والرياح ليست كذلك فإنها تتحرك يمينا ويسرة. الثالث: أن حركة تلك الأجزاء الأرضية النازلة لا تكون حركة قاهرة فإن الرياح إذا أحضرت الغبار الكثير ثم عاد ذلك الغبار ونزل على السطح لم يحس أحد بنزولها وتري هذه الرياح تقلع الأشجار وتهدم الجبال وتموج البحار. الرابع: أنه لو كان الأمر على ما قاله لكانت الرياح كلما كانت أشد وجب أن يكون حصول الأجزاء الغبارية الأرضية أكثر لكنه ليس الأمر كذلك لأن الرياح قد يعظم عصفها وهبوبها في وجه البحر مع أن الحس يشهد بأنه ليس في ذلك الهواء المتحرك العاصف شيء من الغبار والكثرة فيطل ما قاله.

وقال المنجمون إن قوى الكواكب هي التي تحرك هذه الرياح وتوجب هبوبها وذلك أيضا بعيد لأن الموجب

(٢) سورة الحجر، آية: ٢٢.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٨١.

(٦) سورة النمل، آية: ٦٣.

(٨) سورة الفرقان، آية: ٥١.

(١٠) سورة الذاريات، آية: ٤١.

(١٢) سورة المرسلات، آية: ١-٣.

(١٤) في المصدر: «عرض» بدل «عرضي».

(١) سورة الأعراف، آية: ٥٧.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٦٩.

(٥) سورة الفرقان، آية: ٤٨.

(٧) سورة الروم، آية: ٤٦.

(٩) سورة الذاريات، آية: ١.

(١١) سورة القمر، آية: ١٩.

(١٣) سورة الفرقان، آية: ٤٨.

لهبوب الرياح إن كان طبيعة الكواكب وجب دوام الرياح بدوام تلك الطبيعة وإن كان موجب هو طبيعة الكواكب^(١) بشرط حصوله في البرج المعين والدرجة المعينة وجب أن يتحرك هواء كل العالم وليس كذلك وأيضاً قد بينا أن الأجسام متماثلة فاخصاص^(٢) الكوكب المعين والبرج المعين والطبيعة التي لأجلها اقتضت ذلك الأثر الخاص لا بد وأن يكون بتخصيص الفاعل المختار فثبت أن محرك الرياح هو الله سبحانه وثبت بالدليل العقلي أيضاً صحة قوله **وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ**.(٣)

قوله: **«نُشْرِبُ»** أي منتشرة متفرقة فجاء من أجزاء الريح يذهب يمنة وجزء آخر يذهب يسرة وكذا القول في سائر الأجزاء فإن كل واحد منها يذهب إلى جانب آخر فنقول لا شك أن طبيعة الهواء طبيعة واحدة ونسبة الأفلاك والأنجم والطابع إلى كل واحد من الأجزاء^(٤) من ذلك الريح نسبة واحدة فاخصاص بعض أجزاء الريح بالذهاب يمنة والجزء الآخر بالذهاب يسرة وجب أن لا يكون ذلك إلا بتخصيص الفاعل المختار.

«يُنَزِّلُ يَدَيَّ رَحْمَتَهُ»^(٥) أي بين يدي المطر الذي هو رحمته فإن قيل فقد نجد المطر ولا تتقدمه الرياح قلنا ليس في الآية أن هذا التقدم حاصل في كل الأحوال فلم يتوجه السؤال وأيضاً فيجوز أن تتقدمه هذه الرياح وإن كنا لا نشعر بها وعن ابن عمر الرياح ثمان أربع منها عذاب وهو القاصف والعاصف والصرصر والعقيم وأربع منها رحمة الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات. وعن النبي ﷺ نصرت بالصبا وأهلك عاد بالدبور والجنوب من ريح الجنة. وعن كعب لو حبس الله الريح عن عباده ثلاثة أيام لأتنت أكثر الأرض.^(٦)

«فَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ»^(٧) قال الطبرسي ره أي فإذا ركبتم البحر أرسل عليكم ريحا شديدة كاسرة للسفينة وقيل الحاصب الريح المهلكة في البر والقاصف المهلكة في البحر **«فَيَغْرِقُكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ»** من نعم الله.^(٨) **«أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ»** قال البيضاوي أي الشمال والصبا والجنوب فإنها رياح الرحمة وأما الدبور فريح العذاب ومنه قوله ﷺ اللهم اجعلها ريحا ولا تجعلها ريحا وقرأ ابن كثير والحزمة والكسائي **«الريح»** على إرادة الجنس **«مُبَشِّرَاتٍ»** بالمطر **«وَلِيُذَيِّقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ»** يعني المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها أو الروح الذي هو مع هبوبها والعطف على علة محذوفة دل عليها **«مُبَشِّرَاتٍ»** أو عليها باعتبار المعنى أو على **«يُرْسِلُ»** بإضمار فعل ملعل دل عليه **«وَلِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ»**^(٩) يعني تجارة البحر.^(١٠)

«فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا»^(١١) أي فرأوا الأثر والزرع فإنه مدلول عليه بما تقدم وقيل السحاب لأنه إذا كان مصفرا لم يطر واللام موطنه للقسمة دخلت على حرف الشرط وقوله **«لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ»** جواب سد مسد الجزء ولذلك فسر بالاستقبال وهذه الآية ناعية على الكفار بقلة تفتيتهم وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم لعدم تفكرهم وسوء رأيهم فإن النظر السوي يقتضي أن يتوكلوا على الله ويلجئوا^(١٢) إليه بالاستغفار إذا احتبس القطر عنهم ولم يأسأوا من رحمته وأن يبادروا إلى الشكر والاستدامة بالطاعة إذا أصابهم برحمته ولم يغفروا في الاستبشار وأن يصبروا على بلائه إذا ضرب زروعهم بالاصفرار ولم يكفروا نعمة.^(١٣)

أقول: وقد مر تفسير الذاريات بالرياح التي تذر التراب وهشم الثبت.
و^(١٤) قال الطبرسي ره **الرَّيْحُ الْقَيِّمُ** هي التي عمقت عن أن تأتي بخير ومن تشبهه سحب أو تلقيح شجر أو تذرية طعام أو نفع حيوان فهي كالمرأة المنوعة عن الولادة إذ هي ريح الإهلاك.^(١٥)

و قال في قوله تعالى **«رِيحًا صَرَّاءُ»** أي شديدة الهبوب وقيل باردة من الصر وهو البرد **«فِي يَوْمٍ نَخْسٍ»**

(٢) في المصدر: «باخصاص» بدل «فاخصاص».

(٤) في المصدر إضافة: «التي لا تتجزأ».

(٦) التفسير الكبير ج ١٤ ص ١٣٩ - ١٤٢ ملخصاً.

(٨) مجمع البيان ج ٦ ص ٤٢٨.

(١٠) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٢٢٢ - ٢٢٣.

(١٢) في المصدر: «يلجئوا» بدل «يلجئوا».

(١٤) حرف: «و» ليس في المصدر.

(١) في المصدر: «الكوكب» بدل «الكواكب».

(٣) سورة الأعراف، آية: ٥٧.

(٥) سورة الأعراف، آية: ٥٧.

(٧) سورة الإسراء، آية: ٦٩.

(٩) سورة الروم، آية: ٤٦.

(١١) سورة الروم، آية: ٥١.

(١٣) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٢٢٣ - ٢٢٤.

(١٥) مجمع البيان ج ٩ ص ١٥٩.

مُسْتَمَرٍّ^(١) أي دائم الشؤم استمر عليهم بنحوسته «سَنَعُ لَيْالٍ وَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ»^(٢) حتى أتت عليهم و قيل إنه كان^(٣) يوم الأربعاء آخر الشهر لا يدور رواء العياشي بالإسناد عن أبي جعفر^(٤) أقول: وقد مر أيضا تفسير «الْمُرْسَلَاتِ غُرْفًا»^(٥) بالرياح أرسلت متتابعة كعوف الفرس و«قَالَغَاصَاتٍ عَضْفًا»^(٦) بالرياح الشديديات الهبوب و«التَّائِيَرَاتِ نَشْرًا»^(٧) بالرياح التي تأتي بالمطر تنشر السحاب نشرًا للغيث.

١- الفقيه: قال علي^{عليه السلام} للريح رأس و جناحان.^(٨)

بيان: لعل الكلام مبني على الاستعارة أي يشبه الطائر في أنها تطير إلى كل جانب و في أنها في بدء حداثتها قليلة ثم تنتشر كالطائر الذي بسط جناحه و الله يعلم.

٢- الفقيه: عن كامل قال كنت مع أبي جعفر^{عليه السلام} بالبريض فهب ربح شديدة فجعل أبو جعفر^{عليه السلام} يكبر ثم قال إن التكبير يرد الريح^(٩) و قال^{عليه السلام} ما بعث الله ريحا إلا رحمة أو عذابا فإذا أريتموها فقولوا اللهم إنا نسألك خيرا و خير ما أرسلت له و نعوذ بك من شرها و شر ما أرسلت له و كبروا و ارفعوا أصواتكم بالتكبير فإنه يكسرها.^(١٠)

٣- و قال رسول الله^ﷺ ما خرجت ريح قط إلا بمكيال إلا زمن عاد فإنها عنت على خزائنها فخرجت في مثل خرق الإبرة فأهلكت قوم عاد.^(١١)

٤- و قال الصادق^{عليه السلام} نعم الريح الجنوب تكسر البرد عن المساكين و تلعق الشجر و تسيل الأودية.^(١٢)

٥- و قال علي^{عليه السلام} الرياح خمسة منها العقيم فعوذ بالله من شرها^(١٣) و كان النبي^ﷺ إذا هبت ريح صفراء أو حمراء أو سوداء تغير وجهه و اصفر^(١٤) و كان كالخائف الوجل حتى ينزل من السماء قطرة من مطر فيرجع إليه لونه و يقول جاءكم بالرحمة.^(١٥)

٦- توحيد المفضل: قال قال الصادق^{عليه السلام} أنبهك يا مفضل على الريح و ما فيها ألتست ترى ركودها إذا ركدت كيف يحدث الكرب الذي يكاد يأتي على النفوس و يحرض الأصحاء و ينهك المرضى و يفسد الثمار و يغث البقول و يعقب الوباء في الأبدان و الآفة في الغلات ففي هذا بيان أن هبوب الرياح من تدبير الحكيم في صلاح الخلق و أنبهك عن الهواء بخله أخرى فإن الصوت أثر يؤثر اصطكاك الأجسام في الهواء و الهواء يؤديه إلى المسامع و الناس يتكلمون في حوائجهم و معاملاتهم طول نهارهم و بعض ليلهم فلو كان أثر هذا الكلام يبقى في الهواء كما يبقى الكتاب في القرطاس لامتلا العالم منه فكان يكرههم و يفدهم و كانوا يحتاجون في تجديده و الاستبدال^(١٦) به أكثر مما يحتاج إليه في تجديد القراطيس لأن ما يلقى^(١٧) من الكلام أكثر مما يكتب فجعل الخلاق الحكيم جل قدسه هذا الهواء قرطاسا خفيفا يحمل الكلام ريشا يبلغ العالم حاجتهم ثم يمحي فيعود جديدا نقيًا و يحمل ما حمل أبدا بلا انقطاع و حسبك بهذا النسيم المسمى هواء عبدة و ما فيه من المصالح فإنه حياة هذه الأبدان و الممسك لها من داخل بما يستنشقه منه و من خارج بما تتأثر من روحه و فيه تطرد هذه الأصوات فيؤدي بها من البعيد و هو الحامل لهذه الأرايح^(١٨) ينقلها من موضع إلى موضع ألا ترى كيف تأتيك الرائحة من حيث تهب الريح فكذلك الصوت و هو القابل لهذا الحر و البرد اللذين يعتقان^(١٩) على العالم لصلاحه و منه هذه الريح الهابة فالريح تروح عن الأجسام و تزجي السحاب من موضع إلى موضع ليعم نفعه حتى يستكثف فيمطر و تنفض حتى يستخف فيتفشى و تلعق الشجر و

(١) في المصدر إضافة: «أي في يوم شؤم» بين «نحس» و «مستمَر» و الآية من سورة القمر: ١٩.

(٢) سورة الحاقة: آية: ٧.

(٣) في المصدر إضافة: «في».

(٤) مجمع البيان ج ٩ ص ١٩٠.

(٥) سورة المرسلات، آية: ٢.

(٦) من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٣٤٤ باب ٨١، حديث ١٢.

(٧) من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٣٤٤ باب ٨١، حديث ١٤.

(٨) من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٣٤٥ باب ٨١، حديث ١٨.

(٩) في المصدر إضافة: «لونه».

(١٠) في المصدر إضافة: «إلى».

(١١) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٢) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٣) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٤) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٥) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٦) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٧) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٨) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٩) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٢٠) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٢١) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٢٢) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٢٣) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٢٤) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٢٥) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٢٦) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٢٧) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٢٨) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٢٩) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٣٠) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٣١) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٣٢) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٣٣) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٣٤) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٣٥) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٣٦) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٣٧) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٣٨) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٣٩) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٤٠) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٤١) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٤٢) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٤٣) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٤٤) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٤٥) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٤٦) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٤٧) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٤٨) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٤٩) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٥٠) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٥١) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٥٢) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٥٣) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٥٤) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٥٥) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٥٦) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٥٧) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٥٨) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٥٩) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٦٠) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٦١) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٦٢) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٦٣) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٦٤) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٦٥) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٦٦) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٦٧) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٦٨) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٦٩) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٧٠) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٧١) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٧٢) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٧٣) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٧٤) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٧٥) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٧٦) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٧٧) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٧٨) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٧٩) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٨٠) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٨١) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٨٢) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٨٣) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٨٤) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٨٥) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٨٦) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٨٧) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٨٨) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٨٩) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٩٠) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٩١) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٩٢) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٩٣) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٩٤) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٩٥) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٩٦) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٩٧) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٩٨) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(٩٩) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٠٠) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٠١) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٠٢) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٠٣) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٠٤) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٠٥) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٠٦) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٠٧) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٠٨) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٠٩) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١١٠) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١١١) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١١٢) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١١٣) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١١٤) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١١٥) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١١٦) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١١٧) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١١٨) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١١٩) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٢٠) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٢١) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٢٢) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٢٣) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٢٤) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٢٥) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٢٦) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٢٧) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٢٨) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٢٩) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٣٠) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٣١) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٣٢) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٣٣) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٣٤) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٣٥) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٣٦) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٣٧) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٣٨) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٣٩) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٤٠) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٤١) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٤٢) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٤٣) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٤٤) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٤٥) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٤٦) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٤٧) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٤٨) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٤٩) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٥٠) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٥١) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٥٢) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٥٣) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٥٤) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٥٥) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٥٦) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٥٧) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٥٨) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٥٩) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٦٠) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٦١) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٦٢) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٦٣) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٦٤) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٦٥) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٦٦) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٦٧) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٦٨) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٦٩) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٧٠) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٧١) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٧٢) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٧٣) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٧٤) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٧٥) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٧٦) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٧٧) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٧٨) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٧٩) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٨٠) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٨١) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٨٢) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٨٣) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٨٤) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

(١٨٥) في المصدر: «الأرواح» بدل «الأرايح».

تسير السفن و ترخي الأطعمة و تبرد الماء و تشب النار و تجفف الأشياء الندية و بالجملة إنها تحيي كل ما في الأرض فلو لا الريح لذرى النبات و مات الحيوان و حمت الأشياء و فسدت^(١).

بيان: ركود الريح سكنوها و التحريض إفساد البدن و نهكته الحمى أي أضنته و هزلته و قوله والهواء يؤديه يدل على ما هو المذهب المنصور من تكيف الهواء بكيفية الصوت كما فصل في محله و يقال كربه الأمر أي شق عليه و فدحه الدين أي أثقله و ريث ما فعل كذا أي قدر ما فعله و يبلغ إما على بناء المجرد فالعالم فاعله أو على التفعيل فالهواء فاعله و الروح بالفتح الراحة و نسيم الريح و اطرد الشيء تبع بعضه بعضا و جرى و الأرياح جمع جمع للريح و تزجي السحاب على بناء الإفعال أي تسوقه و تقضه أي تفرقه و النفثي الانتشار و ترخي الأطعمة على بناء التفعيل أو الإفعال أي تصيرها رخوة لطيفة و تشب النار أي توقدها.

٧- العلل: عن أبيه عن محمد بن يحيى عن الحسين بن إسحاق التاجر عن علي بن مهزيار عن الحسن بن الحسين^(٢) عن محمد بن فضيل عن العزمي قال كنت مع أبي عبد الله عليه السلام جالسا في الحجر تحت الميزاب و رجل يخاصم رجلا و أحدهما يقول لصاحبه و الله ما تدري من أين تهب الريح فلما أكثر عليه فقال له أبو عبد الله عليه السلام هل تدري أنت من أين تهب الريح فقال لا و لكني أسمع الناس يقولون فقلت أنا لأبي عبد الله عليه السلام من أين تهب الريح فقال إن الريح مسجونة تحت^(٣) الركن الشامي فإذا أراد الله عز و جل أن يرسل منها شيئا أخرجه إما جنوبا فجنوب و إما شمالا فشمالا و إما صباء فصباء و إما دبوراً فدبور ثم قال آية ذلك إنك ترى^(٤) هذا الركن متحركاً أبداً في الصيف و الشتاء و الليل و النهار^(٥).

٩- معاني الأخبار: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد بن عيسى عن العباس بن معروف عن علي بن مهزيار عن محمد بن الحسين^(٦) عن محمد بن الفضيل عن العزمي مثله^(٧) الكافي: عن أبي علي الأشعري عن بعض أصحابه عن محمد بن الفضيل مثله^(٨).

بيان: قوله مسجونة يحتمل أن يكون عن قيام الملائكة الذين بهم تهب تلك الرياح فوقه عند إرادة ذلك ما سيأتي و لعل المراد بحركة الركن حركة الثوب المعلق عليه.

٨- العلل: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن إبراهيم بن هاشم عن النوفلي عن السكوني عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ لا تسبوا الرياح فإنها مأمورة و لا تسبوا الجبال و لا الساعات و لا الأيام و لا الليالي فتأثموا و ترجع عليكم^(٩).

بيان: الغرض النهي عن سب الرياح و البقاع و الجبال و الأيام و الساعات فإنها مقهورة تحت قدرة الله سبحانه مسخرة له تعالى لا يملكون تأخرا عما قدمهم إليه و لا تقدما إلى ما أخرهم عنه فسيهم سب لمن لا يستحقه و لمن من لا يستحق اللعن يوجب رجوع اللعنة على اللاعن بل هو مظنة الكفر و الشرك لو لا غفلتهم عما يؤول إليه كما ورد في الخبر لا تسبوا الدهر فإنه هو الله أي فاعل الأفعال التي تنسبونها إلى الدهر و تسبونه بسببها هو الله تعالى.

٩- تفسير علي بن إبراهيم: «وَفِي غَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْقَوِيمَ»^(١٠) التي لا تلتقح الشجر و لا تنبت النبات^(١١) و في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله «فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ رِيحاً ضَرْباً»^(١٢) و الصرصر الباردة «فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ» أيام مياشيم^(١٣).

(١) توحيد المفصل ص ١٤٠ - ١٤٢.

(٢) في المصدر إضافة: «هذا».

(٣) علل الشرائع ج ٢ ص ٤٤٨ باب العلة التي من أجلها صار الركن الشامي متحركاً، حديث ١.

(٤) في المصدر: «محدث بن الحسين».

(٥) الكافي ج ٨ ص ٢٧١، حديث ٤٠١.

(٦) سورة الذاريات، ٥١.

(٧) سورة فصلت، آية: ١٦.

(٨) في المصدر: «الحسين» بدل «الحسين».

(٩) في المصدر: «لا تزال ترى».

(١٠) علل الشرائع ج ٢ ص ٥٧٧ باب ٣٨٥ باب نواذر المعاني، حديث ١٦.

(١١) علل الشرائع ج ٢ ص ٥٧٧ باب ٣٨٣، حديث ١.

(١٢) تفسير القمي ج ٢ ص ٢٣٠.

(١٣) تفسير القمي ج ٢ ص ٢٦٣.

١١-العلل: عن أبيه عن محمد بن يحيى العطار عن محمد بن أحمد عن السيارى رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال قلت له لم سميت ريح الشمال قال لأنها تأتي من شمال العرش.^(٣)

بيان: كون ريح الشمال من شمال العرش لأنها تهب من قبل الركن الشامي وهو في يسار الكعبة إذا فرضت رجلاً مواجهاً للبنا والحجر الأسود عن يمين الكعبة وقد ورد في الخبر أن العرش محاذ للكعبة فيمينه يمينها ويساره يسارها.

و يوضح ذلك ما رواه الصدوق أيضاً في العلل، بإسناده عن يزيد العجلي قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام كيف صار الناس يستلمون الحجر والركن اليماني ولا يستلمون الركنين الآخرين قال إن الحجر الأسود والركن اليماني عن يمين العرش وإنما أمر الله تبارك وتعالى أن يستلم ما عن يمين عرشه قلت فكيف صار مقام إبراهيم عن يساره قال لأن لإبراهيم مقاماً في القيامة ولمحمد عليه السلام مقاماً في مقام محمد عليه السلام عن يمين عرش ربنا عز وجل ومقام إبراهيم عليه السلام عن شمال عرشه فمقام إبراهيم في مقامه يوم القيامة وعرش ربنا مقبل غير مدبر.

وحاصله أنه ينبغي أن يتصور أن البيت بإزاء العرش وحذائه في الدنيا والآخرة والبيت بمنزلة رجل وجهه إلى الناس ووجهه الطرف الذي فيه الباب فإذا توجه إنسان إلى البيت من جهة الباب كان المقام والركن الشامي عن يمينه والحجر الأسود والركن اليماني عن يساره فإذا فرض البيت إنساناً مواجهاً تنعكس النسبة فيمينه يحاذي يسارنا وبالعكس وعرش ربنا مقبل أي بمنزلة رجل مقبل ويمكن أن يكون تسمية الجانب الذي يلي الشامي شمالاً في خبر السيارى لأنه أضعف جانبي الكعبة كما أن الشمال أضعف جانبي الإنسان لأن أشرف أجزاء الكعبة وهي الحجر والركن اليماني واقعة على الجانب المقابل فهو بمنزلة اليمين.

١٢-العلل: بالإسناد إلى وهب قال إن الرِّيحَ الْعَقِيمَ تحت هذه الأرض التي نحن عليها قد زمت بسبعين ألف زمام من حديد قد وكل بكل زمام سبعون ألف ملك فلما سلطها الله عز وجل على عاد استأذنت خزنة الريح ربهما عز وجل أن تخرج منها في مثل منخر^(٤) الثور ولو أذن الله عز وجل لها ما تركت شيئاً على ظهر الأرض إلا أحرقتها فأوحى الله عز وجل إلى خزنة الريح أن أخرجا منها في مثل ثقب الخاتم فأهلكوا بها وبها ينسف الله عز وجل الجبال نسفاً والتلال والأكام والمدائن والقصور يوم القيامة وذلك قوله عز وجل «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا»^(٥) والقاع الذي لا نبات فيه والصفصف الذي لا عوج فيه والأممت المرتفع وإنما سميت العقيم لأنها تلقت بالعذاب وتعقمت عن الرحمة كتعقم الرجل إذا كان عقيماً لا يولد له خبر.

بيان: قال الجوهري نسفت البناء نسفاً قلعت^(٦) وقال القاع المستوي من الأرضي^(٧) وكذا الصفصف^(٨) وقال الأمت المكان المرتفع^(٩) وقوله تعالى «لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا» أي لا انخفاض فيها ولا ارتفاع.

١٣-قصص الراوندي: بإسناده إلى الصدوق عن أبيه عن سعد عن ابن عيسى عن علي بن الحكم عن زهرة عن سماعة عن أبي عبد الله عليه السلام قال إذا هاجت الرياح فجاءت بالسافي الأبيض والأسود والأصفر فإنه رميم قوم عاد.^(١٠)

بيان: في القاموس سفت الريح التراب تسفيه ذرته أو حملته كأسفته فهو ساف وسفى^(١١) انتهى.

أقول: يمكن تخصيصه ببعض البلاد القريبة من بلادهم كمدينة ضاعف الله شرفها ولا بعد في التعميم أيضاً.

(١) سورة الحجر، آية: ٢٢. (٢) تفسير القمي ج ١ ص ٣٧٥.

(٣) علل الشرائع ص ٥٧٦ باب العلة التي من أجلها سميت ريح الشمال، حديث ١.

(٤) في المصدر: «منخري» بدل «منخر». (٥) سورة طه، آية: ١٠٥-١٠٧.

(٦) الصحاح ج ٣ ص ١٤٣١. (٧) الصحاح ج ٣ ص ١٢٧٤.

(٨) الصحاح ج ٣ ص ١٣٧٨. (٩) الصحاح ج ٣ ص ٢٤١.

(١٠) قصص الأنبياء ص ٩١ باب ٣، حديث ٨٦. (١١) القاموس المحيط ج ٤ ص ٣٤٥.

١٤- العياشي: عن ابن وكيع عن رجل عن أمير المؤمنين عليه السلام قال قال رسول الله لا تسبوا الريح فإنها بشر وإنها نذروا وإنها لواقع فاسألوا الله من خيرها وتعوذوا به من شرها. (١)

بيان: أي إنها مأمورة بمعوة بأمر الله إما للبشارة بالمطر وغيره أو للإنذار أو لإلحاق الأشجار أو لسوق السحب إلى الأقطار كما مر فسبها باطل لا ينفعكم بل يضركم فاسألوا الله الذي بعثها ليجعلها نافعة لكم ويصرف شرها عنكم.

١٥- العياشي: عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال لله رياح رحمة لواقع ينشرها بين يدي رحمتي. (٢)

١٦- الكافي: عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن محبوب عن محمد بن رثاب (٣) و هشام بن سالم عن أبي بصير قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن الرياح الأربع الشمال والجنوب والصبا والدبور و قلت له إن الناس يذكرون أن الشمال من الجنة والجنوب من النار فقال إن لله عز وجل جنودا من رياح يعذب بها من يشاء ممن عصاه فلكل ريح منها ملك موكل بها فإذا أراد الله عز ذكره أن يعذب قوما بنوع من العذاب أوحى إلى الملك الموكل بذلك النوع من الرياح التي يريد أن يعذبهم بها قال فيأمرها الملك فتهب كما يهب الأسد المغضب وقال لكل ريح منهن اسم أما تسمع قوله عز وجل ﴿كَذَبَتْ غَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذَرْنَا أُنَاسًا عَلَيْنَهُمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ (٤) وقال «الرياح العقيم» (٥) وقال «رياح فيها عذاب اليم» (٦) وقال «فأصابها إغصاء فيه ناز فأخترقت» (٧) وما ذكر من الرياح التي يعذب الله بها من عصاه وقال (٨) ولله عز ذكره رياح رحمة لواقع وغير ذلك ينشرها بين يدي رحمتي منها ما يهب السحاب للمطر ومنها رياح تحبس السحاب بين السماء والأرض و رياح تعصر السحاب فتمطر بإذن الله ومنها رياح تفرق السحاب (٩) ومنها رياح مما عدد الله في الكتاب فأما الرياح الأربع الشمال والجنوب والصبا والدبور فإنما هي أسماء الملائكة الموكلين بها فإذا أراد الله أن يهب شمالا أمر الملك الذي اسمه الشمال فيهب على البيت الحرام قدام على الركن الشامي فحضر بجناحه فتفرقت ريح الشمال حيث يريد الله من البر والبحر فإذا أراد الله أن يبعث جنوبا أمر الملك الذي اسمه الجنوب فيهب على البيت الحرام قدام على الركن الشامي فحضر بجناحه فتفرقت ريح الجنوب في البر والبحر حيث يريد الله وإذا أراد الله أن يبعث (١٠) الصبا أمر الملك الذي اسمه الصبا فيهب على البيت الحرام قدام على الركن الشامي فحضر بجناحه فتفرقت ريح الشمال والجنوب والصبا أمر الملك الذي اسمه الجنوب فيهب على البيت الحرام قدام على الركن الشامي فحضر بجناحه فتفرقت ريح الجنوب في البر والبحر وإذا أراد الله أن يبعث دبوراً أمر الملك الذي اسمه الدبور فيهب على البيت الحرام قدام على الركن الشامي فحضر بجناحه فتفرقت ريح الدبور حيث يريد الله من البر والبحر ثم قال أبو جعفر عليه السلام أما تسمع لقوله ريح الشمال و ريح الجنوب و ريح الصبا و ريح الدبور إنما تضاف إلى الملائكة الموكلين بها. (١١)

الخصال: عن محمد بن الحسن بن الوليد عن محمد بن الحسن الصفار عن العباس بن معروف عن ابن محبوب مثله إلى قوله ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذَرٌ﴾ (١٢) وذكر رياحا في العذاب ثم قال فريح الشمال و ريح الصبا و ريح الجنوب و ريح الدبور أيضا تضاف إلى الملائكة الموكلين بها. (١٣)

بيان: قال الفيروز آبادي الشمال بالفتح ويكسر الريح التي تهب من قبل الحجر أو ما استقبلك عن يمينك وأنت مستقبل القبلة (١٤) والصحيح أنه ما مهبه بين مطلع الشمس وبنات النعش أو من مطلع النعش إلى مسقط النسر الطائر ويكون اسما و صفة ولا تكاد تهب ليلا (١٥) وقال الجنوب ريح

(١) تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٣٩، حديث ٤.

(٢) في المصدر: «علي بن رثاب».

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٦٦.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٦٦.

(٥) عبارة: «و منها رياح تفرق السحاب» ليست في المصدر.

(٦) في المصدر: «بجناحه» بدل «بجناحه».

(٧) سورة القمر، آية: ٥٤.

(٨) كلمة: «القبلة» ليست في المصدر.

(٩) تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٣٩، حديث ٥.

(١٠) سورة القمر، آية: ١٨ و ١٩.

(١١) سورة الأحقاف، آية: ٢٤.

(١٢) في المصدر: «قال» بدل «و قال».

(١٣) في المصدر: «رياح الصبا».

(١٤) الكافي ج ٨ ص ٩٢، حديث ٦٣.

(١٥) الخصال ج ١ ص ٢٦٠ باب الأربعة، حديث ١٣٨.

(١٦) القاموس المحيط ج ٣ ص ٤١٤.

تخالف الشمال مهب^(١) من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا^(٢) وقال الصبا ربح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش^(٣) وقال الدبور ربح تقابل الصبا^(٤).

وقال الشهيد قدس سره في الذكرى الجنوب محلها ما بين مطلع سهيل إلى مطلع الشمس في الاعتدالين والصبا محلها ما بين^(٥) الشمس إلى الجدي والشمال محلها من الجدي إلى مغرب الشمس في الاعتدال والدبور محلها من مغرب الشمس إلى مطلع سهيل^(٦) قوله تعالى «وَوُذِّرَ» أي إنذار لهم بالعذاب قبل نزولها أو لمن بعدهم في تعذيبهم والريح العقيم قبل هي الدبور وقيل هي الجنوب وقيل النكباء.

وقال الجوهري الإصصار ربح تثير الغبار إلى السماء كأنه عمود وقيل هي ربح تثير سحابا ذات رعد ويرق^(٧) قوله ﷺ تفترقت ربح الشمال لا يتوهم أنه يلزم من ذلك أن يكون مهب جميع الرياح جهة القبلة وذلك لأنه لعظمة الملك وجناحه يمكن أن يتحرك رأس جناحه بأي موضع أراد ويرسلها إلى أي جهة أمر بالإرسال إليها وإنما أمر بالقيام على الكعبة لشرافها وكونها في محل رحماته تعالى ومصدرها وقيل ضرب الجناح علامة أمر الملك للريح للهبوب قوله ﷺ أما تسمع لقوله أي لقول القائل وكأنه ﷺ استدلل بهذه العبارات الشائعة على ما ذكره من أنها أسماء الملائكة إذ الظاهر من الإضافة كونها لامية والبيان نادرة وإن كان القائلون لم يعرفوا هذا المعنى لأنهم سمعوا ممن تقدمهم وهكذا إلى أن ينتهي إلى من أطلق ذلك على وجه المعرفة.

١٧- الكافي: عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن أبي يحيى الواسطي عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله ﷺ قال إن لله تبارك وتعالى ريحا يقال لها الأريب لو أرسل منها مقدار منخر الثور لأثارت ما بين السماء والأرض وهي الجنوب^(٨).

بيان: قوله وهي الجنوب من كلام بعض الرواة أو من كلامه ﷺ وعلى التقديرين لعل المراد به أنها نوع منها أو قريب منها قال في القاموس الأريب كالأحمر الجنوب والنكباء^(٩) تجري بينها وبين الصبا^(١٠) وقال النكباء ربح انحرفت وقعت بين ريحين أو بين الصبا والشمال أو نكب الرياح الأربع الأريب نكباء الصبا والجنوب والصبا^(١١) وتسمى النكباء أيضا نكباء الصبا والشمال والجرياء نكباء الشمال والدبور وهي نيحة الأريب والهياف نكباء الجنوب والدبور وهي نيحة النكباء^(١٢) ونحوه قال الجوهري وقال كل ربح استطالت أثرا فهبت عليه ريحا طولا فهي نيحة فإن اعترضته فهي نسيجته^(١٣).

١٨- نوادر الراوندي: بإسناده عن جعفر بن محمد عن آبائه ﷺ قال قال رسول الله ﷺ نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وما هاجت الجنوب إلا سقى الله بها غيثا وأسأل بها واديا^(١٤).

١٩- الاحتجاج: قال الصادق ﷺ للزندق الذي سأله مسائل الرياح لو حست أياما ففسدت الأشياء جميعا وتغيرت^(١٥) وسأله عن جوهر الرياح فقال الرياح هواء إذا تحرك سمي ريحا فإذا سكن سمي هواء وبه قوام الدنيا ولو كفت الرياح ثلاثة أيام لفسد كل شيء على وجه الأرض وتنت وذلك أن الرياح بمنزلة المروحة تدب وتدفع الفساد عن كل شيء وتطفيه فهي بمنزلة الروح إذا خرج عن البدن تنت البدن وتغير فتبارك الله أحسن الخالقين^(١٦).

٢٠- الكافي: عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن ابن محبوب عن عبد الله بن سنان عن معروف بن

(٢) القاموس المحيط ج ١ ص ٥١.

(٤) القاموس المحيط ج ٢ ص ٢٧.

(٦) ذكرى الشيعة ص ١٦٢ سطر ٣٠. وفيه: «إلى سهيل».

(٨) الكافي ج ٨ ص ٢١٧. رقم ٢٦٥.

(١٠) القاموس المحيط ج ١ ص ٨٣.

(١٢) القاموس المحيط ج ١ ص ١٣٩.

(١٤) نوادر الراوندي ص ٩.

(١٦) الاحتجاج ج ٢ ص ١٤٥ رقم ٢٢٣.

(١) في القاموس «مهبها» بدل «مهبته».

(٣) القاموس المحيط ج ٤ ص ٣٥٣.

(٥) في المصدر إضافة: «مطلع».

(٧) الصحاح ج ٢ ص ٥٧٠.

(٩) في المصدر: «أو النكباء».

(١١) في المصدر: «الصباية» بدل «الصباية».

(١٣) الصحاح ج ١ ص ١٤٤.

(١٥) الاحتجاج ج ٢ ص ٢٣٠ رقم ٢٢٣.

خربوذ عن أبي جعفر عليه السلام قال إن لله عز وجل رياح رحمته ورياح عذاب فإن شاء الله أن يجعل الرياح من (١) العذاب رحمة فعل قال ولن يجعل الله الرحمة من الريح عذابا قال وذلك أنه لم يرحم قوما قط أطاعوه وكانت طاعتهم إياه وبالا عليهم إلا من بعد تحولهم عن طاعته قال وكذلك فعل يقوم يونس لما آمنوا رحمهم الله بعد ما كان قدر عليهم العذاب وقضاه ثم تداركهم برحمته فجعل العذاب المقدر عليهم رحمة فصرفه عنهم وقد أنزله عليهم وغشيمهم ذلك لما آمنوا به وتضرعوا إليه قال وأما الريح العقيم فإنها ريح عذاب لا تلقي شيئا من الأرحام ولا شيئا من النبات وهي ريح تخرج من تحت الأرضين السبع وما خرجت منها ريح قط إلا على قوم عاد حين غضب الله عليهم فأمر الخزان أن يخرجوا منها على مقدار سعة الخاتم قال فعتت على الخزان فخرج منها على مقدار منخر الثور تغيضا منها على قوم عاد قال فضج الخزان إلى الله عز وجل من ذلك فقالوا ربنا إنها قد عتت عن أمرنا إنا نخاف أن تهلك من لم يعصك من خلقك وعمار بلادك قال فبعث الله إليها جبرئيل فاستقبلها بجنانه فردها إلى موضعها وقال لها اخرجي على ما أمرت به قال فخرجت على ما أمرت به وأهلكت قوم عاد ومن كان يحضرتهم. (٢)

٢١- الشهاب: عن النبي صلى الله عليه وآله قال نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور. (٣)

الضوء: الصبا هي الريح التي تضرب قفا المصلي وبازائها الدبور والشمال التي تضرب يمين المصلي وبازائها الجنوب وقالوا مهب الصبا المستوي أن تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار وزعموا أن الدبور تزج السحاب وتشخصه في الهواء ثم تسوقه فإذا علا كشفت عنه واستقبلته الصبا فوضعت بهضه على بعض حتى تصير كسفا واحدا والجنوب تحلق روادفه به وتده من المدد والشمال تمزق السحاب والتكباء هي التي بين الصبا والشمال والذي في الحديث إشارة إلى نصرته الله تعالى رسوله بالصبا لما أرسلها على الأحزاب. (٤)

٢٢- وعن ابن عمر الرياح ثمانية أربع منها رحمة وأربع عذاب فأما الرحمة فالناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات وأما العذاب فالعقيم والصرصر وهما في البر والعاصف والقاصف في البحر.

٢٣- وروي أنه فتح على عاد من الريح التي أهلكتهم مثل حلقة الخاتم.

٢٤- وعن مجاهد ما بعث الله عز وجل ريحا إلا بمكيال إلا يوم عاد فإنها عتت على الخزنة فلم يدر ما مقدارها.

٢٥- وفي الحديث أن الله تعالى خلق في الجنة ريحا وأن من دونها بابا مغلقا ولو فتح ذلك الباب لأذرت ما بين السماء والأرض وهي الأريب وهي عندكم الجنوب.

٢٦- وعن العوام بن حوشب أنه قال تخرج الجنوب من الجنة فتمر على جهنم فغمها منه وبركتها من الجنة وتخرج الشمال من جهنم فتمر على الجنة فروحها من الجنة وشرها من النار قلت وقد سمعت أن السوم لا تكون إلا الشمال تهب على الرمال المضطربة والأرضين المتوجهة فتكتسي للطفاتها ورتتها منها زيادة الحرارة فتهب نارا ملتبهة تقتتل وتسود الجلود.

٢٧- وقال كعب لو حبس الله الريح من الأرض ثلاثة أيام لأتتن ما بين السماء والأرض.

٢٨- وكان النبي صلى الله عليه وآله إذا رأى الريح قد هاجت يقول اللهم اجعلها ريحا ولا تجعلها ريحا.

وأكثر ما في القرآن من الرياح للخير والريح بالعكس من ذلك وقيل الريح الهواء المتحرك وفائدة الحديث الإنباء بأن الله تعالى خلق نصره في الأحزاب بريح الصبا تكبهم على وجوههم وتثير الساقية في أعينهم فيعجزون عن مقاومة أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وراوي الحديث سعيد بن جبير عن ابن عباس. (٥)

٢٩- الدر المنثور: عن أبي بن كعب قال كل شيء في القرآن من الرياح فهي رحمة وكل شيء في القرآن من الريح فهو عذاب. (٦)

(١) في المصدر: «أن يجعل العذاب من الرياح».

(٢) شهاب الأخبار ص ٢٥٥ رقم ٤١١.

(٣) لم نثر على كتاب الضوء هذا، والظاهر أن ما جاء بعد هذا برقم ٢٢ حتى ٢٨ منقول منه لأننا لم نثر عليها في شهاب الأخبار.

(٤) لم نثر على كتاب النضوء هذا.

(٥) الدر المنثور ج ١ ص ١٦٤.

(٦) الكافي ج ٨ ص ٩٢، حديث الرياح رقم ٦٤.

٣٠- وعن ابن عباس قال الماء والرياح جندان من جنود الله والرياح جند الله الأعظم^(١).

٣١- وعن ابن عباس وعن ابن عمر قالوا الريح ثمان أربع منها رحمة وأربع منها عذاب فأما الرحمة فالناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات وأما العذاب فالعقيم والصرصر وهما في البر والعاصف والقاصف وهما في البحر وفي رواية ابن عباس مكان الذاريات الرخاء^(٢).

٣٢- وفي رواية أخرى الرياح سبع الصبا والدبور والجنوب والشمال والحزوق^(٣) والنكباء وريح القائم فأما الصبا فتجيء من المشرق وأما الدبور فتجيء من المغرب وأما الجنوب فتجيء عن يسار القبلة والشمال^(٤) عن يمين القبلة وأما النكباء فبين الصبا والجنوب وأما الحزوق فبين الشمال والدبور وأما رياح^(٥) القائم أنفاس الخلق^(٦).

٣٣- وعن الحسن قال جعلت الرياح على الكعبة فإذا أردت أن تعلم ذلك فأستدظرهك إلى باب الكعبة فإين الشمال عن شمالك وهي مما يلي الحجر والجنوب عن يمينك وهي مما يلي الحجر الأسود والصبا عن مقابلك وهي مستقبل باب الكعبة والدبور من دبر الكعبة^(٧).

٣٤- وعن حسن^(٨) بن علي الجعفي قال سألت إسرائيل بن يونس على أي شيء سميت الريح قال على القبلة شماله الشمال وجنوبه الجنوب والصبا ما جاء من قبل وجهها والدبور ما جاء من خلفها^(٩).

٣٥- وعن ابن عباس قال الشمال ما بين الجدي ومطلع الشمس والجنوب ما بين مطلع الشمس وسهيل والصبا ما بين مغرب الشمس إلى الجدي والدبور ما بين مغرب الشمس إلى سهيل^(١٠).

٣٦- وعن كعب لو احتبست الرياح عن الناس ثلاثة أيام لأمتن ما بين السماء والأرض^(١١).

٣٧- وعن صفوان بن سليم قال قال رسول الله ﷺ لا تسبوا الريح وعودوا بالله من شرها^(١٢).

٣٨- وعن ابن عباس أن رجلاً لعن الريح فقال له النبي ﷺ لا تلعن الريح فإنها^(١٣) مأمورة فإنه من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت للجنة عليه^(١٤).

٣٩- وعن ابن عباس قال ما هبت ريح قط إلا جثا النبي ﷺ على ركبتيه وقال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً قال ابن عباس تفسير^(١٥) ذلك في كتاب الله ﴿أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً﴾^(١٦) ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ وقال ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ﴾^(١٧) ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾^(١٨).

٤٠- وعن مجاهد قال هاجت ريح فسبوا فقال ابن عباس لا تسبوا فإنها تجيء بالرحمة وتجيء بالعذاب ولكن قولوا اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً^(١٩).

٤١- وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال قال رسول الله ﷺ لا تسبوا الليل والنهار ولا الشمس ولا القمر ولا الريح فإنها تبعث عذاباً على قوم ورحمة على آخرين^(٢٠).

٤٢- وعن ابن عباس قال الريح العقيم الشديد التي لا تلقح الشجر ولا تثير السحاب ولا بركة فيها ولا منفعة ولا ينزل منها غيث ولا يلقح بها شجر^(٢١).

(١) الدر المنثور ج ١ ص ١٦٤. (٢) الدر المنثور ج ١ ص ١٦٤.

(٣) هكذا في المطبوعة وفي المصدر: «الخروق» - بالخاء المعجمة - وكذا في ما بعد، علماً بأن ما ذكره المؤلف تحت «بيان» الآتي نقلاً عن القاموس جاء في حرف الخاء المعجمة منه، راجع «بيان» المؤلف بعد هذا.

(٤) في المصدر: «فيجي عن». (٥) في المصدر: «ريح» بدل «رياح».

(٦) الدر المنثور ج ١ ص ١٦٤. (٧) الدر المنثور ج ١ ص ١٦٤.

(٨) في المصدر: «حسين» بدل «حسن». (٩) الدر المنثور ج ١ ص ١٦٤.

(١٠) أدر المنثور ج ١ ص ١٦٤ ومن قوم «و مطلع الشمس إلى الجدي».

(١١) لم نعر عليه في المصدر. (١٢) الدر المنثور ج ١ ص ١٦٥.

(١٣) في المصدر: «و آيته» بدل «فإنه». (١٤) الدر المنثور ج ١ ص ١٦٥.

(١٥) في المصدر: «وأنه إن تفسير». (١٦) سورة القمر، آية: ١٩.

(١٧) سورة الحجر، آية: ٢٢. (١٨) الدر المنثور ج ١ ص ١٦٥.

(١٩) الدر المنثور ج ١ ص ١٦٥. (٢٠) الدر المنثور ج ١ ص ١٦٥.

(٢١) الدر المنثور ج ٦ ص ١١٥، وهي ثلاث روايات عن ابن عباس جميعها المؤلف - ره - في رواية واحدة.

٤٣- وعن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ الريح مسجنة في الأرض الثانية فلما أراد الله أن يهلك عادا أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحا تهلك عادا قال أي رب أرسل عليهم من الريح قدر منخر الثور قال له الجبال لا إذا تكفأ الأرض ومن عليها ولكن أرسل عليهم بقدر خاتم فهي التي قال الله «مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتُهُ كَالرَّيْمِ» (١).

٤٤- وعن سعيد بن المسيب قال هي الجنوب (٢).

٤٥- وعن علي بن أبي طالب قال لم تنزل قطرة من ماء إلا بمكيال على يد (٣) ملك إلا يوم الطوفان (٤) فإنه أذن لها دون الخزان فخرجت وذلك (٥) قوله «إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ» (٦) ولم ينزل شيء من الريح إلا بمكيال (٧) على يد (٨) ملك إلا يوم عاد فإنه أذن لها دون الخزان فخرجت فذلك قوله «بَرِيحٌ صَرْصَرٌ غَائِبَةٌ» (٩) عنت على الخزان (١٠).

٤٦- وعنه عن النبي ﷺ قال نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وقال ما أمر الخزان أن يرسلوا على عاد إلا مثل موضع الخاتم من الريح فعتت على الخزان فخرجت من نواحي الأبواب فذلك قول الله «بَرِيحٌ صَرْصَرٌ غَائِبَةٌ» قال عتوها عنت على الخزان فبدأت بأهل البادية منهم فحملتهم بمواشيهم وبيوتهم فأقبلت بهم إلى الحاضرة فلما رأوها قالوا هذا غارضٌ مُنْطَرِفٌ فلما دنت الريح أظلمتهم استبقوا (١١) الناس والمواشي فيها فألقت البادية على أهل الحاضرة فقصفتهم (١٢) فهلكوا جميعا (١٣).

٤٧- وعن قبيصة بن ذؤيب قال ما يخرج من الريح شيء إلا عليها خزان يعلمون قدرها وعددها وزنها وكيلها حتى كانت الريح التي أرسلت إلى (١٤) عاد فاندقت منها شيء لا يعلمون قدره ولا وزنه ولا كيله غضبا لله ولذلك سميت غاتية والماء كذلك حتى (١٥) كان أمر نوح ﷺ ولذلك سمي طاغية (١٦).

٤٨- وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله ﷺ الرياح ثمان أربع منها عذاب وأربع منها رحمة فالعذاب منها العاصف والصرصر والعقيم والقاصف والرحمة منها الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات فيرسل الله المرسلات فتثير السحاب ثم يرسل المبشرات فتلقح السحاب ثم يرسل الذاريات فتحمل السحاب فتدركها تدر اللقحة ثم تمطر و هن اللواقح ثم يرسل الناشرات فتشتر ما أراد (١٧).

٤٩- وعن خالد بن عرعة قال قام رجل إلى علي فقال ما العاصفات عصفاء قال الرياح (١٨).

بيان: في القاموس الحزقي (١٩) الريح الباردة الشديدة الهبابة كالحزوق (٢٠) واللينة السهلة ضد الراجعة المستمرة السير أو الطويلة الهبوب (٢١) واللقحة بالفتح والكسر الناقة الحلوب (٢٢).

ذئابة

ذكر الفلاسفة في سبب حدوث الرياح على أصولهم أن البخار إذا ثقل بواسطة البرودة المكتسبة من الطبقة الزمهريرية واندفع إلى أسفل فصار لتسخنه بالحركة الموجبة لتلطيفه هواء متحركا وهو الريح وقد يكون الاندفاع يعرض بسبب تراكم السحب الموجبة لحركة ما يليها من الهواء لا امتناع الغلا فيصير السحاب من جانب إلى جهة أخرى وقد يكون لانبساط الهواء بالتخلخل في جهة واندفاعه من جهة أخرى وقد يكون بسبب يرد الدخان المتصاعد بعد وصوله إلى الطبقة الزمهريرية ونزوله.

(١) الدر المنثور ج ٦ ص ١١٥، والآية من سورة الذاريات: ٤٢.

(٢) الدر المنثور ج ٦ ص ١١٥.

(٣) في المصدر: «يدي ملك».

(٤) في المصدر إضافة: «نوح».

(٥) في المصدر: «... دون الخزان، فطغى الماء على الخزان فخرج، فذلك».

(٦) سورة الحاقة: آية: ١١.

(٧) في المصدر: «يدي ملك» بدل «يد ملك».

(٨) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٥٩.

(٩) في المصدر: «تقصفهم» بدل «تقصفتهم».

(١٠) في المصدر: «علئ» بدل «إلى».

(١١) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٥٩.

(١٢) الدر المنثور ج ٦ ص ٣٠٣.

(١٣) في المطبوعة: «الحزوق» بالحاء المهملة.

(١٤) القاموس المحيط ج ١ ص ٣٥٦.

(١٥) في المصدر: «إلا بمكيال» بدل «إلا بمكيال».

(١٦) سورة الحاقة، آية: ٦.

(١٧) في المصدر: «استبق» بدل «استبقوا».

(١٨) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٥٩.

(١٩) في المصدر: «حين كان» بدل «حتى كان».

(٢٠) الدر المنثور ج ٦ ص ٣٠٣.

(٢١) في المطبوعة: «الحزوق» بالحاء المهملة.

(٢٢) القاموس المحيط ج ٣ ص ٢٣٣، كلمة خرق - بالخاء المعجمة -

قالوا ومن الرياح ما يكون سموها محرقا لاحتراقه في نفسه بالأشعة السماوية أو لحدوثه من بقية مادة الشهب أو لمروده بالأرض الحارة جدا لأجل غلبة نارية عليها وقد يقع تقاوم في ما بين ريحين متقابلتين قويتين تلتقيان فتستديران أو في ما بين رياح مختلفة الجهة حادثة فتدافع تلك الرياح الأجزاء الأرضية المشتملة عليها فتضغط تلك الأجزاء بينها مرتفعة كأنها تلتوي على نفسها فيحصل الدوران المسمى بالزوبعة والإعصار وربما اشتملت الزوابع العظام على قطعة من السحاب بل على بخار مرتفع ترى نارا تدور ومهاب الرياح اثنا عشر وهي حدود الأفق الحاصلة من تقاطعه مع كل من دائرة نصف النهار والموازيتين لها المماسيتين للدائمة الظهور والخفاء ودائرة المشرق والمغرب الاعتداليتين والموازيتين لها المساويتين برأس السرطان والجدي ولكل ربيع منها اسم والسموات عند العرب أربعة ربيع الشمال و ربيع الجنوب و ربيع الصبا وهي الشرقية ربيع الدبور وهي الغربية البواقي تسمى نكباء.

باب ٣٠

الماء وأنواعه والبحار و غرائبها و ما ينقذ فيها وعلة المد والجزر و الممدوح من الأنهار و المذموم منها

الآيات:

إبراهيم: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ (١)
النحل: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تُمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا﴾ (٢)
الفرقان: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ (٣)
النمل: ﴿وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ (٤)
فاطر: ﴿وَمَا يَشْتَوْي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَ تَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَ تَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاجِرَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٥)
حمعسق: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ أَوْ يُوقِفُهُنَّ بِمَآكِسٍ أَوْ يَغْفُ عَنْ كَثِيرٍ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُخَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ (٦)
الجاثية: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكَ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٧)
الطور: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ (٨)
الرحمن: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ فَيَأْتِي آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يُخْرِجُ مِنْهُمَا الْمُلُوءَ وَالْمَرْجَانَ فَيَأْتِي آلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ (٩)
الملك: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَأْوَكُمْ غُورًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ (١٠)
المرسلات: ﴿وَأَشْقَيْنَاكُم مَاءَ فُرَاتٍ﴾ (١١)

- | | |
|--------------------------------|--------------------------------|
| (١) سورة إبراهيم، آية: ٣٢. | (٢) سورة النحل، آية: ١٤ - ١٥. |
| (٣) سورة الفرقان، آية: ٥٣. | (٤) سورة النمل، آية: ٦١. |
| (٥) سورة فاطر، آية: ١٢. | (٦) سورة الشورى، آية: ٣٢ - ٣٥. |
| (٧) سورة الجاثية، آية: ١٢. | (٨) سورة الطور، آية: ٦. |
| (٩) سورة الرحمن، آية: ١٩ - ٢٤. | (١٠) سورة الملك، آية: ٣٠. |
| (١١) سورة المرسلات، آية: ٢٧. | |

تفسير: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ﴾^(١) إنما نسب إليه سبحانه مع أنه من أعمال العباد لأنه لو لا أنه تعالى خلق الأشجار الصلبة التي منها يمكن تركيب السفن و لو لا خلقه الحديد و سائر الآلات و لو لا تعريفه العباد كيف يتخذونها و لو لا أنه تعالى خلق الماء على صفة السلاسة^(٢) التي باعتبارها يصح جري السفينة فيه و لو لا خلقه تعالى الرياح و خلق الحركات القوية فيها و لو لا أنه وسع الأنهار و جعل لها من العمق ما يجوز جري السفن فيها لما وقع الانتفاع بالسفن فصار لأجل أنه تعالى هو الخالق لهذه الأحوال وهو المديبر لهذه الأمور و المسخر لها حسنت إضافته إليه^(٣) و قيل لما كان يجري على وجه الماء كما يشتهي الملاح صار كأنه حيوان مسخر له بأمره أي بقدرته وإرادته.

﴿سَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾^(٤) لما كان ماء البحر قلما ينتفع به في الزراعات لا جرم ذكر تعالى إنعامه على الخلق بتفجير الأنهار و العيون حتى ينبعث الماء منها إلى مواضع الزروع و النبات و أيضا ماء البحر لا يصلح للشرب و الصالح لهذا^(٥) مياه الأنهار^(٦).

﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾^(٧) أي جعلها بحيث يتمكنون من الانتفاع به بالركوب و الاصطياد و الغوص ﴿لِنَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو السمك و وصفه بالطراوة لأنه أرطب لللحم فيسرع إليه الفساد فيسارع إلى أكله و لإظهار قدرته في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق ﴿جَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا﴾ كاللؤلؤ و المرجان ﴿وَنَزَى الْفُلْكَ﴾ أي السفن ﴿مَوَازِرَ فِيهِ﴾ أي جوارى فيه يشقه^(٨) بخرومها من المخر و هو شق الماء و قيل صوت جري الفلك ﴿وَلِنَلْبَثُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي من سعة رزقه بركوبها للتجارة ﴿وَلِنَلْعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي تعرفون نعم الله فتقومون بحقه^(٩).

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾^(١٠) قال الفيضاني خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يمتازجان من مرج دابته إذا خلاها ﴿هَذَا عَذْبٌ فَرَاتٌ﴾ قانع للعطش من فرط عذوبته ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أَحْجَاجٌ﴾^(١١) بليغ الملاحه^(١٢) ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ حاجزا من قدرته ﴿وَحِجْرًا مَخْجُورًا﴾ و تنافرا بليغا كان كلا منهما يقول للآخر ما يقول المتعوذ عليه^(١٣) و قيل حدا محدودا و ذلك كدجلة يدخل البحر فيشقه فيجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمهما^(١٤) و قيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم مثل النيل و بالبحر الملح البحر الكبير و بالبرزخ ما يحول بينهما من الأرض فتكون القدرة في الفصل و اختلاف الصفة مع أن مقتضى طبيعة أجزاء كل عنصر أن تضامت و تلاصقت و تشابهت في الكيفية^(١٥) انتهى و يقال إن نهر أمل تدخل بحر الخزر و يبقى على عذوبته و لا يختلط بالمالح و يأخذون منه الماء العذب في وسط البحر فيمكن على تقدير صحته أن يكون داخلا تحت الآية أيضا.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ﴾^(١٦) ضرب مثل للمؤمن و الكافر و الفرات الذي يكسر العطش و السائغ الذي يسهل انحداره و الأحاج الذي يحرق بملوحته ﴿وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ﴾ استطرد في صفة البحرين و ما فيها^(١٧) أو تمام التمثيل و المعنى كما أنهما و إن اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان من حيث إنهما لا يتساويان في ما هو المقصود بالذات من الماء فإنه خالط أحدهما ما أفسده و غيره عن كمال فطرته لا يساوي المؤمن و الكافر و إن اتفق اشتراكهما في بعض الصفات كالشجاعة و السخاوة لاختلافهما في ما هو الخاصية العظمى و بقاء أحدهما على الفطرة الأصلية دون الآخر أو تفضيل للأحاج على الكافر بما يشارك^(١٨) العذب من المنافع و المراد بالحلية اللأكي و البواقيت^(١٩).

﴿مِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ﴾^(٢٠) قرأ نافع و أبو عمرو «الجواري» بياء في الوصل و الوقف و الباقون بحذفها على التخفيف «كَأَلْغَدَامٍ» أي كالجبال فهذه السفن العظيمة التي تكون كأنها الجبال تجري على وجه الماء عند هبوب

(٢) في المصدر: «السلان» بدل «السلاسة».

(٤) سورة إبراهيم، آية: ٣٢.

(٦) التفسير الكبير ج ١٩ ص ١٢٨.

(٨) في المصدر: «يشقه» بدل «يشقه».

(١٠) سورة الفرقان، آية: ٥٣.

(١٢) في المصدر: «الملوحة» بدل «الملاحه».

(١٤) في المصدر: «طعمها» بدل «طعمهما».

(١٦) سورة فاطر، آية: ١٢.

(١٨) في المصدر إضافة: «فيه».

(٢٠) سورة الشورى، آية: ٣٢.

(١١) سورة إبراهيم، آية: ٣٢.

(٣) التفسير الكبير ج ١٩ ص ١٢٧ - ١٢٨.

(٥) في المصدر إضافة: «المهم».

(٧) سورة النحل، آية: ١٤.

(٩) أنوار التنزيل ج ١ ص ٥٤٠.

(١١) سورة فاطر، آية: ١٢.

(١٣) في المصدر: «عنه» بدل «عليه».

(١٥) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٢٤٤ - ٢٤٥.

(١٧) في المصدر إضافة: «من النعم».

(١٩) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٢٦٩ - ٢٧٠.

الرياح على أسرع الوجوه وعند سكونها تقف فيه دلالة على وجود الصانع المسبب لتلك الأسباب وقدرته الكاملة وحكمته التامة لأنه تعالى خص كل جانب من جوانب الأرض بنوع من الأمتعة وإذا نقل متاع هذا الجانب إلى ذلك الجانب في السفن وبالعكس حصلت المنافع العظيمة في التجارة^(١) ﴿فَيُظَلَّلْنَ رَوَاكِدَهُ أَي فَيُفَيِّقَنَّ ثَوَابِتَ﴾ «عَلَى ظُهُورِهِ أَي ظَهَرَ الْبَحْرِ ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ أَي لِكُلِّ مَنْ وَكَلْهُمَتْهُ وَحَسَّ نَفْسُهُ عَلَى النَّظَرِ فِي آيَاتِ اللَّهِ وَالتَّفَكُّرِ فِي آيَاتِهِ أَوْ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ كَامِلٍ فَإِنَّهُ رَوَى أَنَّ الْإِيمَانَ نَصْفَانِ نَصْفٌ صَبْرٌ وَنَصْفٌ شُكْرٌ ﴿أَوْ يُؤَفِّقَنَّ﴾ أَي يَهْلِكُهُنَّ بِإِرْسَالِ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ الْمَغْرِقَةِ وَالْمَرَادُ إِهْلَاكُ أَهْلِهَا لِقَوْلِهِ ﴿يَمَّا كَسَبُوا﴾ وَأَصْلُهُ أَوْ يَرْسِلُهَا فَيُفَيِّقُهُنَّ لِأَنَّهُ قَسَمَ ﴿يُسْكِنُ الرِّيحَ﴾ فَاقْتَصَرَ فِيهِ عَلَى الْمَقْصُودِ كَمَا فِي قَوْلِهِ ﴿وَيُفِّقُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ إِذِ الْمَعْنَى أَوْ يَرْسِلُهَا عَاصِفَةً فَيُوقِظُ نَاسًا بِذُنُوبِهِمْ وَيُنْجِي نَاسًا عَلَى الْعَفْوِ مِنْهُمْ وَقَرَأَ ﴿يَعْفُوا﴾ عَلَى الْاسْتِنَافِ ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ عَطَفَ عَلَى عِلَّةٍ مُقَدَّرَةٍ مِثْلَ لَيَنْتَقِمُ مِنْهُمْ وَيَعْلَمُ أَوْ عَلَى الْجِزَاءِ وَنَصَبَ نَصْبَ الْوَاقِعِ جَوَابًا لِلْأَشْيَاءِ السَّتَةِ لِأَنَّهُ أَيْضًا غَيْرُ وَاجِبٍ وَقَرَأَ نَافِعٌ وَابْنُ عَامِرٍ بِالرَّفْعِ عَلَى الْاسْتِنَافِ وَقَرَأَ بِالْجِزْمِ عَطْفًا عَلَى ﴿يُفِّقُ﴾ فَيَكُونُ الْمَعْنَى أَوْ يَجْمَعُ بَيْنَ إِهْلَاكِهَا وَإِنْجَاءِ قَوْمٍ وَتَحْذِيرِ آخَرِينَ ﴿مَا لَهُمْ مِنْ مَّجِيصٍ﴾ مِنْ مُحِيدٍ مِنَ الْعَذَابِ^(٢).

﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ﴾^(٣) بَأَنْ جَعَلَهُ أَمْلَسَ السَّطْحِ يَطْفُو عَلَيْهِ مَا يَتَخَلَّلُ كَالْأَشْجَابِ وَلَا يَمْنَعُ الْفُوصَ فِيهِ ﴿لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾ أَي بِتَسْخِيرِهِ وَأَنْتُمْ رَاكِبُوهَا ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ بِالتَّجَارَةِ وَالْفُوصِ وَالصَّيْدِ وَغَيْرِهَا ﴿وَوَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ هَذِهِ النِّعَمُ^(٤).

﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾^(٥) أَي الْمَمْلُوءِ وَهُوَ الْمَحِيطُ أَوْ الْمَوْقِدُ مِنْ قَوْلِهِ ﴿وَإِذَا الْبِحَاُ سُجِّرَتْ﴾ كَمَا^(٦) رَوَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَجْعَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْبَحَارَ نَارًا يَسْجَرُ بِهَا جَهَنَّمَ أَوْ الْمَخْتَلَطُ مِنَ السَّجِيرِ وَهُوَ الْخَلِيطُ^(٧) وَقِيلَ هُوَ بَحْرٌ مَعْرُوفٌ فِي السَّمَاءِ يُسَمَّى بَحْرَ الْحَيَوَانِ.

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾^(٨) أَي أَرْسَلَهُمَا وَالْمَعْنَى أَرْسَلَ الْبَحْرَ الْمِلْحَ وَالْبَحْرَ الْعَذْبَ ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ أَي يَتَجَاوَرَانِ وَتَتِمَّاسُ سَطْوَحُهُمَا أَوْ بَحْرِي فَارَسَ وَالرُّومَ يَلْتَقِيَانِ فِي الْمَحِيطِ لِأَنَّهُمَا خَلِيجَانِ يَتَشَعَّبَانِ مِنْهُ ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ أَي حَاجِزٌ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ مِنَ الْأَرْضِ ﴿لَا يَبْتَغِيَانِ﴾ أَي لَا يَبْغِي أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ بِالْمَازَجَةِ وَإِبْطَالِ الْخَاصِيَةِ أَوْ لَا يَتَجَاوَزَانِ حَدِيدَهُمَا أَوْ^(٩) بِإِغْرَاقِ مَا بَيْنَهُمَا^(١٠) وَقَالَ الطَّبْرِسِيُّ رَه قِيلَ الْمَرَادُ بِالْبَحْرَيْنِ بَحْرُ السَّمَاءِ وَبَحْرُ الْأَرْضِ فَإِنَّ فِي السَّمَاءِ بَحْرًا يَمْسُكُهُ اللَّهُ بِقُدْرَتِهِ يَنْزِلُ مِنْهُ الْمَطَرُ فَيَلْتَقِيَانِ فِي كُلِّ سَنَةٍ وَبَيْنَهُمَا حَاجِزٌ يَمْنَعُ بَحْرَ السَّمَاءِ مِنَ النُّزُولِ وَبَحْرَ الْأَرْضِ مِنَ الصُّعُودِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ وَقِيلَ إِنَّهُمَا بَحْرُ فَارَسَ وَبَحْرُ الرُّومِ فَإِنَّ آخَرَ طَرَفِ هَذَا يَتَصَلُّ بِآخِرِ طَرَفِ ذَلِكَ وَالْبَرْزَخُ بَيْنَهُمَا الْجَزَائِرَ وَقِيلَ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ خَلَطَ طَرَفِيهِمَا عِنْدَ تَقَاتُّمِهِمَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَخْتَلَطَ جَمَلَتُهُمَا ﴿لَا يَبْتَغِيَانِ﴾^(١١) أَي لَا يَطْلُبَانِ أَنْ يَخْتَلَطَا^(١٢).

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾^(١٣) أَي كِبَارُ الدَّرِّ وَصَفَارُهُ وَقِيلَ الْمَرْجَانُ الْخَرَرُ الْأَحْمَرُ وَإِنْ صَحَّ أَنَّ الدَّرَّ يَخْرُجُ مِنَ الْمَالِحِ فَقُلِيَ الْأَوَّلُ إِنَّمَا قَالَ «مِنْهُمَا» لِأَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ مَجْتَمِعِ الْمَالِحِ وَالْعَذْبِ أَوْ لِأَنَّهُمَا لَمَّا اجْتَمَعَا صَارَا كَالشَّيْءِ الْوَاحِدِ وَكَانَ الْخَرَجُ مِنْ أَحَدِهِمَا كَالْخَرَجِ مِنْهَا ذِكْرُهُ الْبَيضَاوِيُّ^(١٤).

وَقَالَ الرَّازِيُّ اللَّوْلُؤُ لَا يَخْرُجُ إِلَّا مِنَ الْمَالِحِ فَكَيْفَ قَالَ «مِنْهُمَا» فَقَوْلُ الْجَوَابِ عَنْهُ مِنْ وَجْهِهِ^(١٥) الْأَوَّلُ ظَاهِرُ كَلَامِ اللَّهِ أَوَّلَى بِالْإِعْتِبَارِ مِنْ كَلَامِ بَعْضِ النَّاسِ الَّذِي لَا يُوَقِّقُ بِقَوْلِهِ وَمِنْ عِلْمِ أَنَّ اللَّوْلُؤَ لَا يَخْرُجُ مِنَ الْمَاءِ الْعَذْبِ غَايَةً عِلْمَكُمْ^(١٦) أَنَّ الْفَوَاصِينَ مَا أَخْرَجُوهُ إِلَّا مِنَ الْمَالِحِ وَلَكِنْ لَمْ قَلْتُمْ إِنَّ الصَّدْفَ لَا يَخْرُجُ اللَّوْلُؤُ بِأَمْرِ اللَّهِ مِنَ الْمَاءِ الْعَذْبِ

(١) التفسير الكبير ج ٢٧ ص ١٧٤ - ١٧٥ بتصرف.
(٢) سورة الجاثية: آية: ١٢.
(٣) سورة الطور: آية: ٦.
(٤) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٣٢٢.
(٥) كلمة: «أو» ليست في المصدر.
(٦) سورة الرحمن: آية: ١٩.
(٧) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٤٥٣.
(٨) مجمع البيان ج ٩ ص ٢٠٩.
(٩) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٤٥٣.
(١٠) في المصدر: «من وجهين» بدل «من وجوه».

إلى الماء المالح^(١) وكيف يمكن الجزم به و الأمور الأرضية الظاهرة خفيت عن التجار الذين قطعوا المفاوز و داروا البلاد فكيف لا يخفى عليهم ما في قعر البحور الثاني أن نقول إن صح قولهم إنه لا يخرج إلا من الماء المالح فنقول فيه وجوه أحدها أن الصدف لا يتولد فيه اللؤلؤ إلا من ماء المطر و هو بحر السماء ثانيها أنه يتولد في ملتقاهما ثم يدخل الصدف في البحر المالح عند انعقاد الدر فيه لحال الملح كالمخوخة التي تشتفي في أوائل الحمل فتقتل هناك فلا يمكنه الدخول في العذب^(٢) ثم ذكر بعض الوجوه المتقدمة.

و قال الطبرسي ره قيل يخرج منهما أي من ماء السماء و ماء البحر فإن القطر إذا جاء من السماء فتفتحت الأصداف فكان من ذلك القطر اللؤلؤ عن ابن عباس و لذلك حمل البحرين على بحر السماء و بحر الأرض و قيل إن العذب و الملح يلتقيان فيكون العذب كاللحاح للملح و لا يخرج اللؤلؤ إلا من الموضع الذي يلتقي فيه العذب و الملح و ذلك معروف عند الملاحين^(٣) انتهى.

أقول: «وَلَهُ الْجَوَارِ» أي السفن جمع جارية «الْمُنَشَّاتُ» أي المرفوعات الشرع أو المصنوعات وقرأ حمزة و أبو بكر بكسر الشين أي الارتفاعات الشرع أو اللاتي ينشئن الأمواج أو السير «كَالْأَغْلَامِ» جمع علم و هو الجبل الطويل «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» من خلق مواد السفن و الإرشاد إلى أخذها و كيفية تركيبها و إجرائها في البحر بأسباب لا يقدر على خلقها و جمعها غيره تعالى.^(٤)

«إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا»^(٥) أي غائرا في الأرض بحيث لا تناله الدلاء مصدر و صف به «بِنَاءٍ مَعِينٍ» أي جار أو ظاهر سهل المأخذ^(٦) «وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا»^(٧) بخلق الأنهار و المنافع فيها.^(٨)

١-العلل: والعيون: عن محمد بن عمرو^(٩) بن علي البصري عن محمد بن عبد الله بن أحمد الواعظ عن عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي عن أبيه^(١٠) عن أبي الحسن الرضا عن أبياته عليه السلام قال سأل رجل من أهل الشام أمير المؤمنين عليه السلام عن المد و الجزر ما هما فقال ملك^(١١) موكل بالبحار يقال له رومان فإذا وضع قدميه في البحر فاض وإذا أخرجهما غاض.^(١٢)

٢-العلل: عن محمد بن علي ماجيلويه عن عمه محمد بن أبي القاسم عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي عن أبيه عن خلف بن حماد عن أبي الحسن العبيدي عن سليمان بن مهران^(١٣) عن عباية بن ربيعي عن ابن عباس أنه سئل عن المد و الجزر فقال إن الله عزوجل وكل ملكا بقاموس البحر فإذا وضع رجله^(١٤) فيه فاض وإذا أخرجهما غاض.^(١٥)

بيان: قال الجزري قاموس البحر وسطه ومعظمه ومنه حديث ابن عباس وسئل عن المد و الجزر وذكر الخبر ثم قال أي زاد ونقص وهو فاعول من القمس^(١٦) انتهى.

وأقول اختلف الحكماء في سبب المد و الجزر على أقوال شتى وليس شيء منها مما يسمن أو يغني من جوع أو يروي من عطش و ما ذكر في الخبر أظهرها وأصحها عقلا أيضا وقد سمعت من بعض الثقات أنه قال إني رأيت شيئا عظيما يمتد من الجو إلى البحر فيمتد ماؤه ثم إذا ذهب ذلك شرع في الجزر وأما ما ذكره الحكماء في ذلك ففي رسائل إخوان الصفا أما علة هيجان البحار و ارتفاع مياهها ومدودها^(١٧) على سواحلها و شدة تلاطم أمواجها و هبوب الرياح في وقت هيجانها إلى الجهات في أوقات مختلفة من الشتاء و الصيف و الربيع و الخريف و أوائل الشهور و

(١) في المصدر: «البحر» بدل «الماء».

(٢) مجمع البيان ج ٩ ص ٢٠١، وفيه «الفواصين» بدل «الملاحين».

(٣) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٥٣٣.

(٤) سورة الملوك، آية: ٣٠.

(٥) سورة المرسلات، آية: ٢٧.

(٦) في العلل: «عمر» بدل «عمرو».

(٧) في العيون: «الملك» من ملائكة الله عز وجل.

(٨) علل الشرائع ج ٢ ص ٩٣٣ باب ٤٤، حديث ج ١ ص ٢٤٢.

(٩) في المصدر: «مرجه».

(١٠) علل الشرائع ج ٢ ص ٥٥٤ باب ٣٤٢، حديث ٢، وفيه: «أخرجهما» بدل «أخرجهما».

(١١) النهاية ج ٤ ص ١٠٨.

(١٢) في المصدر: «بروزها» بدل «مدودها».

وأخراها وساعات الليل والنهار فهي من أجل أن مياهها إذا حُميت من قرارها وسكنت^(١) ولطفت وتخلخلت وطلبت مكانا أوسع مما كان فيه فتدافعت^(٢) بعض أجزائها بعضا إلى الجهات الخمس فوقاً وشرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً للانساع فيكون في الوقت الواحد على سواحلها أمواج^(٣) مختلفة في جهات مختلفة وأما علة هيجانها في وقت دون وقت فهو بحسب تشكل^(٤) الفلك والكواكب ومطارح شعاعاتها على سطوح تلك البحار في الآفاق والأوتاد الأربعة واتصالات القمر بها عند حلوله في منازل الثمانية والعشرين كما هو المذكور في كتب أحكام النجوم وأما علة مدود بعض البحار في وقت طلوعات القمر ومغيبه دون غيرها من البحار فهو من أجل أن تلك البحار في قرارها صخور صلبة وأحجار صلبة فإذا أشرق القمر على سطح ذلك البحر وصلت مطارح شعاعاته إلى تلك الصخور والأحجار التي في قرارها ثم انعكست من هناك راجعة فسخت تلك المياه وحمت ولطفت وطلبت مكانا أوسع وارتفع إلى فوق ودفع بعضها بعضا إلى فوق وتوجت إلى سواحلها وفاضت على سطوحها ورجعت مياه تلك الأنهار التي كانت تنصب إليها إلى خلف راجعة فلا يزال ذلك دأبها ما دام القمر مرتفعا إلى وتد سماءه فإذا انتهى إلى هناك وأخذ ينحط سكن عند ذلك غلبان تلك المياه وبردت وانضمت تلك الأجزاء وغلظت فرجعت إلى قرارها وجرت الأنهار على عادتها فلا يزال ذلك دأبها إلى أن يبلغ القمر إلى الأفق الغربي من تلك البحار ثم يبتدئ المد على عادته وهو في الأفق الشرقي فلا يزال ذلك دأبه حتى يبلغ القمر إلى وتد الأرض فينتهي المد من الرأس ثم إذا زال القمر من وتد الأرض أخذ المد راجعا إلى أن يبلغ القمر إلى أفقه الشرقي من الرأس فإن قيل لم لا يكون المد والجزر عند طلوعات الشمس وإشراقها^(٥) على سطح هذه البحار فقد بينا علل ذلك في رسالة العلل والمعلولات^(٦) انتهى.

وقال المسعودي في مروج الذهب المد هو مضي الماء بسجيته وسنن جريته^(٧) والجزر هو رجوع الماء على ضد سنن مضيته وانعكاس ما يمضي عليه في نهجه وهما يكونان في البحر الحبشي^(٨) الذي هو الصيني والهندي وبحر البصرة وفارس وذلك أن البحار على ثلاثة أصناف منها ما يأتي فيه الجزر والمد ويظهر ظهورا بينا ومنها ما لا يتبين فيه الجزر والمد ويكون خفيا مستترا ومنها ما لا يجزر ولا يمد وقد تنازع الناس في علتها فمنهم من ذهب إلى أن علة ذلك القمر لأنه مجانس للماء وهو يسخنه فيبسط وشبهوا ذلك بالنار إذا سخنت ما في القدر وأغلته وإن الماء يكون فيها على قدر النصف أو الثلثين فإذا غلى الماء انبسط في القدر وارتفع وتدافع حتى ينفور فتضاعف كميته في الحس^(٩) لأن من شرط الحرارة أن تبسط الأجسام ومن شرط البرودة أن تضغطها^(١٠) وذلك أن تغور البحار تحمي فتتولد في أرضها عذوبة وتستحيل وتحمي كما يعرض ذلك في البلايع والآبار فإذا حمى ذلك الماء انبسط وإذا انبسط زاد وإذا زاد دفع^(١١) كل جزء منه صاحبه فطفر عن سطحه^(١٢) وبان عن قعره واحتاج إلى أكثر من وهدهته وإن القمر إذا امتلأ أحمى^(١٣) الجو حميا شديدا فظهر زيادة الماء فسمي ذلك المد الشهري وقالت طائفة أخرى لو كان الجزر والمد بمنزلة النار إذا أسخنت الماء الذي في القدر وبسطته فيطلب أوسع منه فيفيض حتى إذا خلا قعره من الماء طلب الماء بعد خروجه منه عمق الأرض بطبعه فيرجع اضطرابا بمنزلة رجوع ما يغلي من الماء في المرجل والقمقم إذا فاض^(١٤) لكان بالشمس أشد سخونة ولو كانت الشمس علة مده لكان بدؤه مع بدء طلوع الشمس والجزر^(١٥) عند غيوبتها وزعم هؤلاء أن علة

(١) في المصدر: «إذا حيت في قرارها وسخت».

(٢) في المصدر: «رياح» بدل «أمواج».

(٣) في المصدر: «إشراقها» بدل «إشراقاتها».

(٤) رسائل إخوان الصفا ج ٢ ص ٩٥-٩٦. الرسالة الخامسة من الجسائيات الطبيعية.

(٥) في المصدر: «الماء في فيحته وسيحته وسنن جريته».

(٦) في المصدر: «مضيته وانكشاف ما مضي عليه في هيجه وذلك كبحر الحبش الذي».

(٧) في المصدر إضافة: «و ينقص في الوزن».

(٨) في المصدر: «ارتفع فدفع» بدل «دفع».

(٩) في المصدر: «حمي» بدل «أحمى».

(١٠) في المصدر إضافة: «في الأبحر تتولد من».

(١) في المصدر: «أوسع مآكاته فيه قبل فيتدافع».

(٤) في المصدر: «شكل» بدل «تشكل».

(١٠) في المصدر: «تضغها» بدل «تضغها».

(١٢) في المصدر: «فطفا على سطحه».

(١٤) في المصدر إضافة: «و تتابع أجزاء النار عليه بالحمى».

المد والجزر الأبخرة التي تتولد في بطن الأرض فإنها لا تزال تتولد^(١) وتكثف وتكثر فتندفع حينئذ ماء هذا البحر لكثافتها فلا تزال على ذلك حتى تنقص موادها من أسفل فإذا انقطعت موادها من أسفل تراجع الماء حينئذ إلى قعر البحر وكان الجزر من أجل ذلك والمد ليلا ونهارا وشتاء وصيفا وفي غيبوبة القمر وطلوعه وفي غيبوبة الشمس وطلوعها قالوا وهذا يدرك بحس البصر^(٢) لأنه ليس يستكمل الجزر آخره حتى يبدو أول المد ولا يفنى^(٣) آخر المد حتى يبدو^(٤) أول الجزر لأنه لا يفتر تولد تلك البخارات حتى إذا خرجت تولد مكانها غيرها وذلك أن البحر إذا غارت مياهه ورجعت إلى قعره تولدت تلك الأبخرة لمكان ما يتصل منها من الأرض بمائه فكلما عاد تولدت وكلما فاض تنفست^(٥) وذهب آخرون من أهل الديانات أن كل ما لا يعلم له في الطبيعة مجرى ولا يوجد له فيها قياس فله فعل إلهي يدل على توحيد الله عز وجل وحكمته وليس للمد والجزر علة في الطبيعة البتة ولا قياس وقال آخرون ما هيجان ماء البحر إلا كهيجان بعض الطيابع فإنك ترى صاحب الصفراء وصاحب الدم وغيرهما تهتاج طبيعته وتسكن ولذلك مواد تمدها حالا بعد حال فإذا قويت حاجت ثم تسكن قليلا قليلا حتى تعود وذهب طائفة إلى إبطال سائر ما وصفنا من القول وزعموا أن الهواء المطل على البحر يستحيل دائما فإذا استحال عظم ماء البحر وفار^(٦) عند ذلك فإذا فار فاض وإذا فاض فغمد ذلك يستحيل مائه ويتفشى واستحال هواء فعدا^(٧) إلى ما كان عليه وهو الجزر وهو دائم لا يفتر متصل مترادف متعاقب لأن الماء يستحيل هواء والهواء يستحيل ماء وقد يجوز أن يكون ذلك عند امتلاء القمر أكثر لأن القمر إذا امتلأ استحال ماء^(٨) أكثر مما كان يستحيل قبل ذلك وإنما القمر علة لكثرة المد لا للمد نفسه لأنه قد يكون والقمر في محاقه والمد والجزر في بحر فارس يكون على مطالع القمر في أغلب الأوقات وقد ذهب أكثر من أرباب السفن ممن يقطع هذا البحر ويختلف إلى جزائره أن المد والجزر لا يكون في معظم هذا البحر إلا مرتين في السنة مرة يمد في شهر الصيف شرقا وبالشمال ستة أشهر فإذا كان ذلك طما^(٩) الماء في مشارق البحر والصين وما إلى ذلك الصقع ومرة يمد في شهر الشتاء غربا بالجنوب ستة أشهر وإذا كان ذلك طما الماء في مغارب البحر والجزر بالصين وقد يتحرك البحر بتحريك الرياح فإن الشمس إذا كانت في الجهة الشمالية تحرك الهواء إلى الجهة الجنوبية فلذلك تكون البحار في جهة الجنوب في الصيف لهبوب الشمال طامية عالية وتقل المياه في جهة البحور^(١٠) الشمالية وكذلك إذا كانت الشمس في الجنوب وسار^(١١) الهواء من الجنوب إلى جهة الشمال فسأل معه ماء البحر من الجهة الجنوبية إلى الجهة الشمالية. قلت المياه في الجهة الجنوبية وتنقل^(١٢) ماء البحر في هذين الميلين أعني في جهة^(١٣) الشمال والجنوب يسمى جزرا ومدا وذلك أن مد الجنوب جزر الشمال ومد الشمال جزر الجنوب فإن وافق القمر بعض الكواكب السيارة في أحد الميلين تزايد الفعلان وقوي الحر واشتد لذلك^(١٤) انقلاب ماء البحر إلى الجهة المخالفة للجهة التي فيها الشمس وهذا رأي الكندي وأحمد بن الخصب السرخسي في ما حكى عنهما أن البحر يتحرك بتحريك الرياح^(١٥) انتهى.

وجملة القول فيه أن نهر البصرة والأنهار المقاربة له يمد في كل يوم وليلة مرتين وبدور ذلك في اليوم واللييلة ولا يخص وقتا كطلوع الشمس وغروبها وارتفاعها وانخفاضها ويسمى ذلك بالمد واليوم ويكون المد عند زيادة نور القمر أشد ويسمى ذلك بالمد الشهري وهذا المد يمكن استناده إلى القمر لكونه تابعا له في الغالب بمعنى أنه يحصل في أيام زيادة نور القمر لكن الظاهر أنه لو

- (١) في المصدر: «حتى» بدل «و».
- (٢) في المصدر: «لا ينقضي».
- (٣) في المصدر: «نقصت» بدل «تنفست».
- (٤) في المصدر: «و يتنفس فيستحيل هواء فيعود».
- (٥) في المصدر: «طخا» وكذا في ما بعد.
- (٦) في المصدر: «سال».
- (٧) في المصدر: «جهتي».
- (٨) في المصدر: «البحار».
- (٩) في المصدر: «و يتنقل».
- (١٠) في المصدر: «واشتد لذلك سيلان الهواء لذلك انقلاب».
- (١١) في المصدر: «يدرك بالحس».
- (١٢) في المصدر: «يبتدي» بدل «يبدو».
- (١٣) في المصدر: «و فاض عند ذلك» وإذا فاض البحر فهو المد.
- (١٤) في المصدر: «الهواء» بدل «ماء».
- (١٥) في المصدر: «البحار».
- (١٦) في المصدر: «و يتنقل».
- (١٧) في المصدر: «واشتد لذلك سيلان الهواء لذلك انقلاب».
- (١٨) مروج الذهب ج ١ ص ١٢٩ - ١٣٣ ملخصاً.

كانت العلة زيادة نوره لكان هذا المد مقارنا لها أو بعدها بزمان يتم فيه فعل القمر وتأثيره في البحر والظاهر أنه ليس تابعا له بهذا المعنى وعلى تقدير صحة استناده إليه فلا ريب في بطلان ما جعله القائل الأول من أن سخونة البحر بنور القمر لأنه مجانس للماء وكذا سخونة الجو به بل ربما يدعى أن نور القمر يبرد الجو والأجسام كما هو المجرب نعم ربما يجوز العقل تأثير القمر في المد لنوع من المناسبة والارتباط بين نوره وبين الماء وإن لم نعلمها بخصوصها لكن يقدح فيه ما ذكرناه من عدم انضباط المقارنة والتأخر على الوجه المذكور وأما المد اليومي فبطلان استناده إلى القمر واضح واستناده إلى الكواكب على انفرادها أو بمشاركة القمر بعيد غاية البعد وكون الكواكب عللا له من حيث الحرارة ظاهر الفساد وما ذكره الطائفة الثانية من أنه للأخيرة الحادثة في باطن الأرض فيرد عليه أن الأخيرة الكثيرة الكثيفة التي تغور البحر مع عظمتها لخروجها لو اجتمعت واحتبست في باطن الأرض ثم خرجت دفعة كما هو الظاهر من كلامه لزم انشقاق الأرض منها انشقاقا فاحشا ثم التامها في كل يوم وليلة لعله مما لا يرتاب أحد في أنه خلاف الواقع ولا يظهر للعقل سبب لالتئام الأرض بعد الانشقاق وكون كل التئام مستندا إلى انشقاق حادث في موضع آخر من الأرض قريب من موضع الأول في غاية البعد ولو خرجت تدريجا لاستلزمت غلبانا فورانا في البحر دائما لا هذا النوع من الحركة والامتلاء وهو واضح وما ذكره الطائفة الثالثة من أنه كهيجان الطبايع فيرد عليه أنه لو كان المراد أنه والطبايع تهيج بلا سبب فباطل ولو قيل بأن ذلك مقتضى الطبيعة فذلك مما لم يقل به أحد ولو أريد أنه بسبب ولو لم يكن معلوما لنا فذلك مما لا ثمرة له إذ الكلام في خصوص السبب وما ذكره الطائفة الرابعة من أنه للانقلاب فلا يظهر له وجه ولا ينطبق على تلك الخصوصيات فالأوجه أن يقال إنها بقدرة الله وتديره وحكمته إما بتوسط الملك إن صح الخبر أو بما رأى المصلحة فيه من العلل والأسباب فإنه تعالى المسبب لها والمقدر لأوقاتها ولم تكلف بالخوض في عللها وإن أمكنت مدخلية بعض تلك الوجوه التي تقدم ذكرها والعالم بها هو المدير لها ويكفيها ما ظهر لنا من منافعتها وفوائدها.

٣- الخصال: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن هلال عن عيسى بن عبد الله الهاشمي عن أبيه عن آباءه قال قال رسول الله ﷺ أربعة أنهار من الجنة الفرات والنيل وسيحان وجيحان فالفرات الماء في الدنيا والآخرة والنيل العسل وسيحان الخمر وجيحان اللبن. (١)

بيان: الفرات أفضل الأنهار بحسب الأخبار وقد أوردتها في كتاب المزار والنيل بمصر معروف وسيحان وجيحان قال في النهاية هما نهران بالعواصم عند المصيصة والطرسوس (٢) وفي القاموس سيحان نهر بالشام وآخر بالبصرة وسيحون نهر بما وراء النهر ونهر بالهند (٣) وقال جيحون نهر خوارزم وجيحان نهر بالشام والروم معرب جهان (٤) انتهى.

وذكر المولى عبد العلي البرجندي في بعض رسائله أن نهر الفرات يخرج من جبال أرزن الروم ثم يسيل نحو المشرق إلى ملطية ثم إلى مسيساط حتى ينتهي إلى الكوفة ثم تمر حتى ينصب في البطائح.

وقال النيل أفضل الأنهار لبعد منبعه ومروره على الأحجار والحصيات وليس فيه وحل ولا يخضر الحجر فيه كثيره ويمر من الجنوب إلى الشمال وهو سريع الجري وزيادته في أيام نقص سائر المياه ومنبعه مواضع غير معمورة في جنوب خط الإستواء ولذا لم يعلم منبعه على التحقيق ونقل عن بعض حكماء اليونان أن ماءه يجتمع من عشرة أنهار بين كل نهرين منها اثنا عشر وعشرون فرسخا فتصب تلك الأنهار في بحيرة ثم منها يخرج نهر مصر متوجها إلى الشمال حتى ينتهي إلى مصر فإذا جازها وبلغ شطوط انقسم قسمين ينصبان في البحر.

وقال سيحان منبعه من موضع طوله ثمان وخمسون درجة وعرضه أربع وأربعون درجة ويمر في بلاد الروم من الشمال إلى الجنوب إلى بلاد أرمن ثم إلى قرب مصيصة ثم يجتمع مع جيحان

(٢) النهاية ج ١ ص ٢٢٣.

(٤) القاموس المحيط ج ٤ ص ٢١٠.

(١) الخصال ج ١ ص ٢٥٠ باب الأربعة، حديث ١١٦.

(٣) القاموس المحيط ج ١ ص ٢٢٨.

وينصبان في بحر الروم فيما بين أبياس وطرسوس ونهر جيحان متنبه من موضع طولته ثمان وخمسون درجة وعرضه ست وأربعون درجة وهو قريب من نهر الفرات في العظمة ويسمى من الشمال إلى الجنوب بين جبال في حدود الروم إلى أن يمر إلى شمال مصيصة وينصب في البحر^(١) انتهى.

ثم أعلم أن هذه الرواية مروية في طرق المخالفين أيضا إلا أنه ليس فيها فالفرات إلى آخر الخبر و اختلفوا في تأويله قال الطبيب في شرح المشكاة في شرح هذا الخبر سيحان و جيحان غير سيحون و جيحون و هما نهران عظيمان جدا و خص الأربعة لعذوبة مائهما و كثرة منافعها كأنها من أنهار الجنة أو يراد أنها أربعة أنهار هي أصول أنهار الجنة سماها بأسماء الأنهار العظام من أعذب أنهار الدنيا وأفيدها على التشبيه فإن ما في الدنيا من المنافع فتموزات لما في الآخرة وكذا مضارها وقال القاضي معنى كونها من أنهار الجنة أن الإيمان يعم بلادها وأن شاربها صائرة إليها و الأصح أنه على ظاهرها وأن لها مادة من الجنة و في معالم التنزيل أنزلها الله تعالى من الجنة و استدوعها الجبال لقلوه تعالى ﴿فَأَشْكُنَاهُ﴾^(٢) أقول المشبه في الوجه الأول أنهار الدنيا و وجه الشبه العذوبة والهضم والبركة و في الثاني أنهار الجنة و وجهه الشهرة والفائدة والعذوبة و في الثالث وجهه المجاورة والارتفاع^(٣) انتهى.

وأقول: ظاهر الخبر مع التهمة التي في الخصال اشتراك الاسم وإنما سميت بأسماء أنهار الجنة لفضلها وبركتها وكثرة الارتفاع بها و يحتمل أن يكون المعنى أن أصل هذه الأنهار ومادتها من الجنة فلما صارت في الدنيا انقلبت ماء و لا ينافي ذلك معلومية متابعتها إذ يمكن أن يكون أول حدودها بسبب ماء الجنة أو يصب فيها بحيث لا نعلم أو يكون المراد بالجنة جنة الدنيا كما مر في كتاب المعاد و تجري من تحت الأرض إلى تلك المنابع ثم يظهر منها و يؤيد تلك الوجوه في الجملة ما رواه الكليني بسند كالموتى^(٤) عن أبي عبد الله عليه السلام قال يدفق في الفرات في كل يوم دققات من الجنة.^(٥)

و بسند آخر رفعه إلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه قال نهركم هذا يعني ماء الفرات يصب فيه ميزابان من ميازيب الجنة.^(٦)

وعن علي بن الحسين صلوات الله عليهما قال إن ملكا يهبط من السماء في كل ليلة معه ثلاثة مناقيل مسك^(٧) من مسك الجنة فيطرحها في الفرات وما من نهر في شرق الأرض ولا غربها أعظم بركة منه.^(٨)

وأما التأويل بكون أهلها وشاربيها صائرين إلى الجنة فهو في خصوص الفرات ظاهر إذ أكثر القرى و البلاد الواقعة عليه و بقره من الإمامية و المحبين لأهل البيت عليه السلام كما تشهد به التجربة.

وقد روى الكليني بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال ما إخال أحدا يحبك بماء الفرات إلا أحبنا أهل البيت و قال عليه السلام ما سقى أهل الكوفة ماء الفرات إلا لأمر ما و قال يصب فيه ميزابان من الجنة.^(٩)

أقول: قوله عليه السلام لأمر ما أي لرسوخ ولاية أهل البيت عليه السلام في قلوب أهلها. و عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه قال أما إن أهل الكوفة لو حنكوا أولادهم بماء الفرات لكانوا لنا شيعا.^(١٠) وأما الأنهار الثلاثة الأخرى فلم أر لها في غير هذا الخبر فضلا بل روى الكليني عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال ماء نيل مصر بعيت القلب.^(١١)

٤- الدر المنثور: عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال أنزل الله من الجنة إلى الأرض خمسة أنهار سيحون و هو نهر الهند و جيحون و هو نهر بلخ و دجلة و الفرات و هما نهر العراق و النيل و هو نهر مصر أنزلها الله من عين واحدة من

(١) لم نعر على رسائل البرجندي هذا.

(٢) لم نعر على شرح المشكاة هذا.

(٣) الكافي ج ٦ ص ٣٨٨ باب فضل ماء الفرات، حديث ٢.

(٤) الكافي ج ٦ ص ٣٨٩ باب فضل ماء الفرات، حديث ٦.

(٥) في المصدر: «مسكاً».

(٦) الكافي ج ٦ ص ٣٨٨ باب فضل ماء الفرات، حديث ١.

(٧) الكافي ج ٦ ص ٣٩١ باب النوادر، حديث ٣.

(٨) سورة المؤمنون، آية: ١٨.

(٩) الغيبة للطوسي ص ٣٨٩ - ٣٩٠.

(١٠) الكافي ج ٦ ص ٣٨٨ باب فضل ماء الفرات، حديث ٣.

(١١) الكافي ج ٦ ص ٣٨٩ باب فضل ماء الفرات، حديث ٦.

(١٢) الكافي ج ٦ ص ٣٨٩ باب فضل ماء الفرات، حديث ٥.

عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبرائيل فاستودعها الجبال وأجرأها في الأرض وجعلها منافع للناس في أصناف معاشهم فذلك قوله ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾ (١) فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله جبرئيل فرفع من الأرض القرآن والعلم كله والحجر من ركن البيت ومقام إبراهيم و تابوت موسى بما فيه وهذه الأنهار الخمسة فيرفع كل ذلك إلى السماء فذلك قوله تعالى ﴿وَأَنَا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ﴾ فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض فقد أهلها خير الدنيا والآخرة (٢).

٥- شرح النهج: [تهج البلاغة] لابن ميثم قال لما فرغ أمير المؤمنين عليه السلام من حرب الجمل خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ واستغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ثم قال يا أهل البصرة يا أهل المؤتلفة انتفكت بأهلها ثلاثا وعلى الله تمام الرابعة وساق الخطبة كما مر في كتاب الفتن وسيأتي إلى قوله ﷺ سخر لكم الماء يغدو عليكم ويروح صلاحا لمعاشكم والبحر سببا لكثرة أموالكم (٣).

بيان: قوله ﷺ الماء يغدو عليكم ويروح إشارة إلى المد والجزر وقوله صلاحا لمعاشكم إلى فائدتها إذ لو كان الماء دائما على حد النقصان ولم يصل إلى حد المد لما سقي زروعهم ونخيلهم ولو كان دائما على حد الزيادة لغرقت أراضيهم بأنهارهم وفي نقص الأنهار بعد زيادتها فائدة أخرى هي غسل الأتذار وإزالة الخبائث عن شطوطها وربما كان فيها فوائد أخرى كتأثيرهما في حركة السفن ونحو ذلك.

٦- إعلام الوری: بإسناده عن الكليني عن عدة من أصحابه عن أحمد بن محمد بن خالد عن أبيه عن عبد الله بن القاسم عن حيان السراج عن داود بن سليمان الكسائي (٤) عن أبي الطفيل قال سأل في أول خلافة عمر اليهودي من أولاد هارون أمير المؤمنين عليه السلام عن أول قطرة قطرت على وجه الأرض (٥) وأول عين فاضت على وجه الأرض (٦) وأول شجر اهتز على وجه الأرض (٧) فقال ﷺ يا هاروني أما أنتم فتقولون أول قطرة قطرت على وجه الأرض حيث قتل أحد ابني آدم صاحبه وليس كذلك ولكنه حيث طمئت حواء وذلك قبل أن تلد ابنتها وأما أنتم فتقولون أول عين فاضت على وجه الأرض العين التي ببيت المقدس وليس هو كذلك ولكنها عين الحياة التي وقف عليها موسى وفاء ومعهما النون المالح فسقط فيها فجي وهذا الماء لا يصيب ميتا إلا حيي وأما أنتم فتقولون أول شجر اهتز على وجه الأرض الشجرة التي كانت منها سفينة نوح وليس كذلك ولكنها النخلة التي هبطت (٨) من الجنة وهي العجوة ومنها تفرع كل ما ترى من أنواع النخل فقال صدقت والله الذي لا إله إلا هو إني لأجد هذا في كتب أبي هارون عليه السلام كتابة يده (٩) وإملاء عمي موسى عليه السلام (١٠).

٧- إكمال الدين: عن أبيه ومحمد بن الحسن عن سعد بن عبد الله ومحمد بن يحيى العطار وأحمد بن إدريس جميعا عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي ويعقوب بن يزيد وإبراهيم بن هاشم جميعا عن الحسن بن علي بن فضال عن أيمن بن محرز عن محمد بن سماعه عن إبراهيم بن أبي يحيى المدني عن أبي عبد الله عليه السلام مثله إلا أنه قال قال اليهودي أخبرني عن أول شجرة نبتت على وجه الأرض وعن أول عين نبعت على وجه الأرض وعن أول حجر وضع على وجه الأرض فقال أمير المؤمنين عليه السلام أما أول شجرة نبتت على وجه الأرض فإن اليهود يزعمون أنها الزيتون وكذبوا وإنما هي النخلة من العجوة هبط بها آدم معه من الجنة ففرسها وأصل النخلة كله منها وأما أول عين نبعت على وجه الأرض فإن اليهود يزعمون أنها العين التي ببيت المقدس وتحت الحجر وكذبوا هي عين الحياة التي ما انتهى إليها أحد إلا حيي (١١) وكان الخضر على مقدمة ذي القرنين فطلب عين الحياة فوجدها الخضر عليه السلام وشرب منها ولم يجدها ذو القرنين وأما أول حجر وضع على وجه الأرض فإن اليهود يزعمون أنه الحجر الذي ببيت المقدس وكذبوا وإنما هو الحجر الأسود هبط به آدم عليه السلام من الجنة فوضعه في الركن والناس يستلمونه وكان أشد بياضا من الثلج فاسود من خطايا بني آدم (١٢).

(١) سورة المؤمنون، آية: ١٨.

(٢) شرح النهج لابن ميثم ج ١ ص ٢٨٩ - ٢٩٢.

(٣) في المصدر إضافة: «أي قطرة هي؟».

(٤) في المصدر إضافة: «أي شجرة هي؟».

(٥) في المصدر: «كتابت يده».

(٦) في المصدر: «ما انتهى وفاء إليها ففسل فيها السمكة المالحة فحييت وليس من ميت يصيبه ذلك الماء إلا حيي».

(٧) كمال الدين ج ١ ص ٢٩٦ باب ٦٢، حديث ٥.

(٨) الدر المنثور ج ٥ ص ٨.

(٩) في المصدر: «الكتاني» بدل «الكسائي».

(١٠) في المصدر إضافة: «أي عين هي؟».

(١١) في المصدر: «أعطت».

(١٢) إعلام الوری ج ٢ ص ١٦٧.

أقول: الخبران طويلان أوردتهما بأسانيدهما في باب نص أمير المؤمنين عليه السلام على الاثني عشر عليه السلام في المجلد التاسع. كتاب الأقاليم والبلدان والأنهار^(١): للفرات فضائل كثيرة.

٨- روي أن أربعة من أنهار الجنة سيحون وجيحون والنيل والفرات.

٩- وعن علي عليه السلام قال يا أهل الكوفة نهركم هذا ينصب إليه ميزابان من الجنة.

١٠- وروي عن جعفر الصادق عليه السلام أنه شرب من ماء الفرات ثم استزاد وحمد الله تعالى قال ما أعظم بركته لو علم الناس ما فيه من البركة لضربوا على حافتيه القباب ما انغمس فيه ذو عاهة إلا برئ. وعن السدي أن الفرات مد في زمن عمر فألقى رمانة عظيمة منها كرمات الحب فأمر المسلمين أن يقسموها بينهم فكانوا يزعمون أنها من الجنة.

١١- وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النيل يخرج من الجنة و لو التمستم فيه حين يخرج لوجدتم من ورقها. وقال في وصف بعض البحار نقلا عن صاحب كتاب عجائب الأخبار^(٢) هذا البحر فيه طائر مكرم لأبويه فإنهما إذا كبرا وعجزا عن القيام بأمر أنفسهما يجتمع عليهما فرخان من فراخهما فيحملانها على ظهورهما إلى مكان حصين و يبنيان لهما عشا ويتعاهدنهما الزاد والماء إلى أن يموتا فإن مات الفرخان قبلهما يأتي إليهما فرخان آخران من فراخهما و يفعلان بهما كما فعل الفرخان الأولان و هلم جرا و هذا دللهم.

١٢- قرب الإسناد: عن السندي بن محمد عن أبي البخري عن جعفر عن أبيه عليه السلام ^(٣) قال «يُخْرَجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُو وَ الْمَرْجَانُ» ^(٤) قال من ماء السماء و من ماء البحر فإذا أمطرت ففتحت ^(٥) الأصداف أواهاها في البحر فيقع فيها من ماء المطر فتخلق اللؤلؤة الصغيرة من القطرة الصغيرة و اللؤلؤة الكبيرة من القطرة الكبيرة. ^(٦)

١٣- كامل الزبارة: عن أبيه عن الحسن بن متيل عن عمران بن موسى عن الجاموراني عن الحسن بن علي بن أبي حمزة عن أبيه عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال نهران مؤمنان و نهران كافران نهران كافران نهر بلخ و دجلة و المؤمنان نيل مصر و الفرات فحنكوا أولادكم بماء الفرات. ^(٧)

بيان: قال الجزري في النهاية فيه نهران مؤمنان و نهران كافران أما المؤمنان فالنيل و الفرات و أما الكافران فدجلة و نهر بلخ جعلهما مؤمنين على التشبيه لأنهما يفيضان على الأرض فيسقيان الحرث بلا مئونة ^(٨) و جعل الآخرين كافرين لأنهما لا يسقيان و لا ينتفع بهما إلا بمئونة و كلفة فهذان في الخير و النفع كالؤمنين و هذان في قلة النفع كالكافرين ^(٩) انتهى و أقول ربما يوصى التفريع بقوله فحنكوا إلى أن المراد أن للأولين مدخلا في الإيمان و للآخرين في الكفر و هو في الفرات ظاهر كما عرفت و أما في النيل فلعل شقاوة أهله لسوء تربة مصر كما ورد في الأخبار فلو جرى في غيره لم يكن كذلك و نهر بلخ هو نهر جيحون و قال البرجندي و يخرج عموده من حدود بدخشان من موضع طوله أربع و تسعون درجة و عرضه سبع و ثلاثون درجة ثم يجتمع معه أنهار كثيرة و يذهب إلى جهة المغرب و الشمال إلى حدود بلخ ثم يجاوزه إلى ترمذ ثم يذهب إلى المغرب و الجنوب إلى ولاية زم و طوله تسع و ثمانون درجة و عرضه سبع و ثلاثون ثم يمر إلى المغرب و الشمال إلى موضع طوله ثمان و ثمانون درجة و عرضه تسع و ثلاثون ثم يمر إلى أن ينصب في بحيرة خوارزم و نهر دجلة مشهور و يخرج من بلاد الروم من شمال ميارقين ^(١٠) من تحت حصار ذي القرنين و يذهب من جهة الشمال و المغرب إلى جهة الجنوب و المشرق و يمر بمدينة أمد و الموصل و سمرن رأى و بغداد ثم إلى واسط ثم ينصب في بحر فارس. ^(١١)

١٤- العياشي: عن إبراهيم بن أبي العلا عن غير واحد عن أحدهما عليه السلام قال لما قال الله «وَأَرْضُ أِبْلِغَىٰ مَاءٌ وَ يَا

(١) لم نثر على كتاب الأقاليم هذا.

(٢) سورة الرحمن، آية: ٢٢.

(٣) في المصدر إضافة: «عن علي عليه السلام».

(٤) في المطبوعة: «فتحت»، و ما أفتناه من المصدر.

(٥) كامل الزيارات ص ١١١ باب ١٣، حديث ١٧.

(٦) النهاية ج ١ ص ٦٩.

(٧) هكذا في المطبوعة، و الظاهر أنه مصحف «ميا قارين» اسم مدينة ببلاد الروم، راجع معجم البلدان ج ٥ ص ٢٣٥.

(٨) لم نثر على كتاب البرجندي هذا.

(٩) لم نثر على كتاب عجائب الأخبار هذا.

سَمَاءُ أَقْلَعِي ۖ قَالَ الْأَرْضُ إِنَّمَا أَمَرْتُ أَنْ أَبْلُعَ مَائِي أَنَا فَقَطْ وَلَمْ أَوْمَرْ أَنْ أَبْلُعَ مَاءَ السَّمَاءِ قَالَ فَبَلَعْتُ الْأَرْضُ مَاءَهَا وَبَقِيَ مَاءُ السَّمَاءِ فَصِيرَ بَحْرًا حَوْلَ الدُّنْيَا. (١)

١٥- الكافي: عن محمد بن إسماعيل عن الفضل بن شاذان و علي بن إبراهيم عن أبيه جميعا عن ابن أبي عمير عن حفص بن البختري عن أبي عبد الله عليه السلام قال إن جبرئيل عليه السلام كرى برجله خمسة أنهار و لسان الماء يتبعه الفرات و دجلة و نيل مصر و مهران و نهر بلخ فما سقت أو سقي منها فلإمام و البحر المطيف بالدنيا (٢).

بيان: قال البرجندي نهر مهران هو نهر السند يمر أولا في ناحية ملتان ثم يميل إلى الجنوب و يمر بالمنصورة ثم يمر حتى ينصب في بحر ديبيل من جانب المشرق و هو نهر عظيم و ماؤه في غاية العذوبة و يشبه بنيل مصر و يكون فيه التمساح كالنيل و قيل إذا وصل إلى موضع طوله مائة و سبع درجات و عرضه ثلاث و عشرون درجة ينقسم إلى شعبتين ينصب إحداهما في بحر الهند و الأخرى تمر و تنصب فيه بعد مسافة أيضا فما سقت أي بأنفسها أو سقي منها أي سقي الناس منها و هذا الخبر رواه في الفقيه بسند صحيح عن أبي البختري (٣) و زاد في آخره و هو أفسكون و لعله من الصدوق فصار سببا للإشكال لأن أفسكون معرب آيسكون و هو بحر الخزر و يقال له بحر جرجان و بحر طبرستان و بحر مازندران و طوله ثمانمائة ميل و عرضه ستمائة ميل و ينصب فيه أنهار كثيرة منها نهر آتل و هذا البحر غير محيط بالدنيا بل محاط بالأرض من جميع الجوانب و لا يتصل بالمحيط و لعله إنما تكلف ذلك لأنه لا يحصل من المحيط شيء و هو غير مسلم و قرأ بعض الأفاضل المطيف بضم الميم و سكن الطاء و فتح الياء اسم مفعول أو اسم المكان من الطواف و لا يخفى ضعفه فإن اسم المفعول منه مطاف بالضم أو مطوف و اسم المكان كالأول أو مطاف بالفتح و ربما يقرأ مطيف بتشديد الياء المفتوحة و هو أيضا غير مستقيم لأنه بالمعنى المشهور واوي فالمفعول من باب التفعيل مطوف و أيضا كان ينبغي أن يقال المطيف به الدنيا نعم قال في القاموس طيف تطبيقا و طوف أكثر الطواف (٤) انتهى لكن حملة على هذا أيضا يحتاج إلى تكلف شديد و ما في الكافي أظهر و أصوب و المعنى أن البحر المحيط بالدنيا أيضا للإمام عليه السلام.

١٦- نوادر الراوندي: بإسناده عن أبي جعفر عن آبائه عليهم السلام قال قال رسول الله ﷺ شر اليهود يهود بيسان و شر النصارى نصارى نجران و خير ماء نبع على وجه الأرض ماء زمزم و شر ماء نبع على وجه الأرض ماء بروهوت واد بحضرموت يرد عليه هام الكفار و صدامه. (٥)

بيان: في القاموس بيسان قرية بالشام و قرية بعرو و موضع باليمامة (٦) و لعل الأول هنا أظهر و نجران موضع باليمن و في النهاية فيه لا عدوى و لا هامة الهامة الرأس و اسم طائر و هو المراد في الحديث و ذلك أنهم كانوا ينشأون بها و هي من طير الليل و قيل هي البومة و قيل إن العرب كانت تزعم أن روح القتيل الذي لا يدرك بثأره تصير هامة فتقول اسقوني اسقوني فإذا أدرك بثأره طارت و قيل كانوا يزعمون أن عظام الميت و قيل روحه تصير هامة فتطير و يسمونه الصدى فنفاه الإسلام و نهاهم عنه (٧) و في القاموس الصدى الجسد من الآدمي بعد موته و طائر يخرج من رأس المقتول إذا بلي يزعم الجاهلية (٨).

١٧- كتاب الغارات لإبراهيم بن محمد الثقفي رفعه عن الأصمغ بن نباتة قال سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن أول شيء ضج على الأرض قال واد باليمن هو أول واد فار منه الماء. (٩)

١٨- كتاب النوادر: لعلي بن أسباط عن عيسى بن عبد الله عن أبيه عن جده قال قال عليه السلام لو عدل في الفرات لسقي ما على الأرض كله. (١٠)

(١) تفسير العياشي ج ٢ ص ١٤٩، حديث ٣٣.

(٢) الكافي ج ١ ص ٤٠٩، باب أن الأرض كلها للإمام عليه السلام، حديث ٨.

(٣) من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٢٤، حديث ٩١، و فيه: «حفص بن البختري».

(٤) القاموس المحيط ج ٣ ص ١٧٦.

(٥) نوادر الراوندي ص ١٠.

(٦) النهاية ج ٥ ص ٢٨٣.

(٧) القاموس المحيط ج ٢ ص ٢٠٩.

(٨) القاموس المحيط ج ٤ ص ٣٥٣.

(٩) نوادر علي بن أسباط ضمن الأصول الستة عشر ص ١٢٤.

بيان: يحتمل أن يكون المراد بها الأراضي التي على شطه و بالقرب منه.

١٩- الدر المنثور: عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ماء زمزم لما شرب له من شربة لمرض شفاء الله أو لجوع أشبعه الله أو لحاجة قضاه الله.

قال الحكيم الترمذي و حدثني أبي قال دخلت الطواف في ليلة ظلماء فأخذني من البول ما شغلني فجعلت أعصر حتى آذاني و خفت إن خرجت من المسجد أن أطأ بعض تلك الأقدار و ذلك أيام الحاج فذكرت هذا الحديث فدخلت زمزم فتبعت^(١) منه فذهب عني إلى الصبا.^(٢)

٢٠- و منه: عن ابن عباس «مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ» قال أرسل البحرين «بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ» قال حاجر «لَا يَبْيَغِيَانِ» قال لا يختطان. و روي أيضا عنه قال بحر السماء و بحر الأرض يلتقيان كل عام «يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَ الْمَرْجَانُ» قال إذا مطرت السماء فتحت الأصداف في البحر أفواهاها فما وقع فيها من قطر السماء فهو اللؤلؤ.^(٣)

٢١- و عن ابن جبير قال إذا نزل القطر من السماء فتحت^(٤) له الأصداف فكان لؤلؤا.^(٥)

٢٢- و عن علي بن أبي طالب قال المرجان عظام اللؤلؤ.

و عن ابن عباس مثله.^(٦)

٢٣- و في رواية أخرى عنه المرجان اللؤلؤ الصغار.^(٧)

٢٤- و عن ابن مسعود المرجان الخزر الأحمر.^(٨)

٢٥- و عن عمير بن سعد قال كنا مع علي على شط الفرات فمرت سفينة فقرأ هذه الآية «وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ».^(٩)

٢٦- مجمع البيان: روى مقاتل عن عكرمة و عن^(١٠) ابن عباس عن النبي ﷺ قال إن الله تعالى أنزل من الجنة خمسة أنهار سيحون و هو نهر الهند و جيحون و هو نهر بلخ و دجلة و الفرات و هما نهر العراق و النيل و هو نهر مصر أنزلها الله تعالى من عين واحدة و أجراها في الأرض و جعل فيها منافع للناس في أصناف معاشهم و ذلك قوله «وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأْشْكَاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ».^(١١)

٢٧- الكافي: عن محمد بن يحيى عن محمد بن أحمد عن محمد بن عبد الله بن أحمد عن علي بن النعمان عن صالح بن حمزة عن أبان بن مصعب عن يونس بن ظبيان أو المعلى بن خنيس قال قلت لأبي عبد الله ﷺ ما لكم من هذه الأنهار^(١٢) فتبسم و قال إن الله تعالى بعث جبرئيل و أمره أن يخرق بإبهامه ثمانية أنهار^(١٣) في الأرض منها سيحان و جيحان و هو نهر بلخ و الخشوع و هو نهر الشاش و مهران و هو نهر الهند و نيل مصر و دجلة و الفرات فما سقت أو استقت فهو لنا و ما كان لنا فهو لشيعتنا و ليس لعدونا منه شيء إلا ما غصب عليه و إن ولينا لفي أوسع مما بين ذه إلى ذه يعني بين السماء و الأرض ثم تلا هذه الآية «قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»^(١٤) المغصوبين عليها «خَالِصَةً» لهم «يَوْمَ الْقِيَامَةِ» بلا غصب.^(١٥)

توضيح: لعل التيسم لأجل «من» التبعية يخرق كينصر و يضرب أي يشق و يحفر و منهم من حمل الكلام على الاستعارة التمثيلية لبيان أن حدوث الأنهار و نحوها مستندة إلى قدرة الله تعالى ردا على الفلاسفة الذين يسندونها إلى الطبايع و في أكثر النسخ هنا جيحان بالألف و في بعضها

- (١) في المصدر: «فتبلمت» بدل «فتبلمت».
- (٢) الدر المنثور ج ٣ ص ٢٢١.
- (٣) الدر المنثور ج ٦ ص ١٤٢.
- (٤) في المصدر: «فتحت».
- (٥) الدر المنثور ج ٦ ص ١٤٢.
- (٦) الدر المنثور ج ٦ ص ١٤٢.
- (٧) الدر المنثور ج ٦ ص ١٤٢.
- (٨) الدر المنثور ج ٦ ص ١٤٢.
- (٩) الدر المنثور ج ٦ ص ١٤٣، و الآية من سورة الرحمن: ٢٤.
- (١٠) في المصدر: «عن» بدل «و عن».
- (١١) مجمع البيان ج ٧ ص ١٠٢، و الآية من سورة المؤمنون: ١٨.
- (١٢) في المصدر: «الأنهار» بدل «الأرض».
- (١٣) سيأتي في «توضيح» المؤلف بعد هذا الوجه في أنه ﷺ ذكر أولا ثمانية ثم ذكر في التفصيل سبعة.
- (١٤) سورة الأعراف، آية: ٣٢.
- (١٥) الكافي ج ١ ص ٤٠٩ باب أن الأرض كلها للإمام ﷺ، حديث ٥.

بالواو وهو أصوب لما عرفت أن نهر بلخ بالواو وعلى الأول إن كان التفسير من بعض الرواة فيمكن أن يكون اشتباهاً منه ولو كان من الإمام عليه السلام صح الضبط كان الاشتباه من اللغويين والشاش بلد بما وراء النهر كما في القاموس^(١) ونهره على ما ذكره البرجندي بقدر ثلثي الجيخون ومنبعه من بلاد الترك من موضع عرضه اثنتان وأربعون درجة وطوله إحدى وسبعون درجة ويسر إلى المغرب مانلاً إلى الجنوب إلى خجند ثم إلى فاراب ثم ينصب في بحيرة خوارزم^(٢) وتسميته بالخشوع غير مذكور فيما رأينا من كتب اللغة وغيرها فما سقت أي سقته من الأشجار والأراضي والزروع أو استقت أي منه أي أخذت الأنهار منه وهو بحر المطيف بالديا أو بحر السماء فالمقصود أن أصلها وفرعها لنا أو ضمير استقت راجع إلى ما باعتبار تأنيث معناه والتقدير استقت منها وضمير منها المقدر للأنهار فالمراد بما سقت ما جرت عليها من غير عمل وبما استقت ما شرب منها بعمل كالدولاب وشبهه ونسبة الاستسقاء إليها على المجاز كذا خطر بالبال وهو أظهر وقيل ضمير استقت راجع إلى الأنهار على الإسناد المجازي لأن الاستسقاء فعل لمن يخرج الماء منها بالحفر والدولاب يقال استقت من البئر أي أخرجت الماء منها وبالحكمة يعتبر في الاستسقاء ما لا يعتبر في السقي من الكسب والمبالغة في الاعتماد إلا ما غصب عليه على بناء المعلوم و الضمير للعدو أي غصبنا عليه أو على بناء المجهول أي إلا شيء صار مغصوباً عليه يقال غصبه على الشيء أي قهره والاستثناء منقطع إن كان اللام للاستحقاق وإن كان للاستثناء فالاستثناء متصل وذه إشارة إلى المؤنث أصلها ذي قلبت الباء هاء المعصوبين عليها الحاصل أن خالصة حال مقدرة من قبيل قولهم جاءني زيد صائداً صقره غداً.

قال في مجمع البيان قال ابن عباس يعني أن المؤمنين يشاركون المشركين في الطيبات في الدنيا ثم يخلص الله الطيبات في الآخرة للذين آمنوا وليس للمشركين فيها شيء^(٣) انتهى.

ثم أعلم أنه عليه السلام ذكر في الأول ثمانية وإنا ذكر في التفصيل سبعة فيحتمل أن يكون ترك واحداً منها لأنه لم يكن في مقام تفصيل الجميع بل قال منها سيحان الخبر وقيل لما كان سيحان اسماً لنهرين نهر بالشام ونهر بالبرصة أراد هنا كليهما من قبيل استعمال المشترك في معنييه وهو بعيد ولعله سقط واحد منها من الرواة وكأنه كان جيحان وجيخون فظن بعض النساخ والرواة زيادة أحدهما فأسقطه وحينئذ يستقيم التفسير أيضاً.

فائدة:

قال النيسابوري في تفسير قوله تعالى ﴿وَالْفُلُكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَمَّا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾^(٤) قد سلف أن الماء المحيط^(٥) بأكثر جوانب القدر المعمور من الأرض فذلك هو البحر المحيط وقد دخل في ذلك الماء من جانب الجنوب متصلاً بالمحيط الشرقي ومنقطعاً عن الغربي إلى وسط العمارة أربعة خلیجات^(٦) الأول إذا ابتدأ من المغرب الخليج البربري لكونه في حدود بربر من أرض الحبشة طوله من الجنوب إلى الشمال مائة وستون فرسخاً وعرضه خمسة وثلاثون فرسخاً وعلى ضلعه الغربي بلاد كفار الحبشة وبعض الزنج وعلى الشرقي بلاد مسلمي الحبشة والثاني الخليج الأحمر طوله من الجنوب إلى الشمال أربع مائة وستون فرسخاً وعرضه بقرب منتهاه ستون فرسخاً وبين طرفه وفسطاط مصر الذي على شرق النيل مسيرة ثلاثة أيام على البر وعلى ضلعه الغربي بعض بلاد^(٧) البربر وبعض بلاد الحبشة وعلى ضلعه الشرقي سواحل عليها فرضه مدينة الرسول ﷺ لقوافل مصر والحبشة إلى الحجاز ثم سواحل اليمن ثم عدن على الذؤابة^(٨) الشرقية منه الثالث خليج فارس طوله من الجنوب إلى الشمال أربع مائة وستون فرسخاً وعرضه قريب من مائة وثمانين^(٩) فرسخاً وعلى سواحل^(١٠) ضلعه الغربي بلاد عمان ولهذا ينسب البحر هناك إليها وجملة ولاية الغرب وإحيائهم من الحجاز واليمن والطائف وغيرها وبواديهم

(١) القاموس المحيط ج ٢ ص ٢٨٧.

(٢) مجمع البيان ج ٤ ص ٤١٣ ملخصاً.

(٣) في المطبوعة: «المحيط» وما أتينا به من المصدر.

(٤) في المصدر: «بلاد الزنج من» بدل «بعض بلاد».

(٥) في المصدر: «هو عرضه بقرب منتهاه ستون فرسخاً».

(٦) في المصدر: «خلجان» بدل «خليجات».

(٧) في المصدر: «الزاوية» بدل «الذؤابة».

(٨) في المصدر: «سواحل» ليست في المصدر.

بين الضلع الغربي من هذا البحر و الشرقي من الخليج الأحمر فلهذا سميت العمارة الواقعة بينهما جزيرة العرب و فيها مكة زادها الله شرفا و على سواحل ضلعه الشرقي^(١) بلاد فارس ثم هرموز ثم مكران ثم سواحل السند الرابع الخليج الأخضر مثلث الشكل آخذ من الجنوب إلى الشمال ضلعه الشرقي بلاد فارس ثم هرموز ثم مكران متصل بالمحيط الشرقي و ضلعه الغربي خمسمائة فرسخ تقريبا و على سواحل هذا الضلع ولايات الصين و لهذا يسمى بحر الصين^(٢) و من زاويته الغربية إلى زاوية^(٣) من بحر فارس يسمى بحر الهند لكون بعض ولايتهم على سواحل و أيضا فقد دخل إلى العمارة من جانب الغرب خليج عظيم يمر من جانب الجنوب على كثير من بلاد المغرب و يحاذي أرض السودان وينتهي إلى بلاد مصر و الشام و من جانب الشمال على بلاد الروس^(٤) و الجلالقة و الصقالبة إلى بلاد الروم و الشام^(٥) و يتشعب منه شعبة من شمال أرض الصقالبة إلى أرض مسلمي بلغار يسمى بحر ورنك طوله المعلوم مائة فرسخ و عرضه ثلاث و ثلاثون و إذا جاوز تلك النواحي امتد نحو المشرق عما وراء جبال غير مسلوكة و أرض غير مسكونة و تتشعب منه أيضا شعبة يسمى بحر طرابزون فهذه هي البحار المتصلة بالمحيط و أما غير المتصلة فأعظمها بحر طبرستان و جيلان و باب الأبواب و الخزر و أبسيكون^(٦) لكون هذه الولايات على سواحل مستطيل الشكل آخذ من المشرق إلى المغرب بأكثر من مائتين و خمسين فرسخا و من الجنوب إلى الشمال بقرب^(٧) من مائتين و من عجائب البحار الحيوانات المختلفة الأعظام و الأنواع و الأصناف و منها الجزائر الواقعة فيها فقد يقال في بحر الهند من الجزائر العامرة^(٨) ألف و ثلاثمائة و سبعون منها جزيرة عظيمة في أقصى البحر مقابل أرض الهند في ناحية المشرق و عند بلاد الصين تسمى جزيرة سرانديب^(٩) دورها ثلاثة آلاف ميل فيها جبال عظيمة و أنهار كثيرة و منها يخرج الباقوت الأحمر و حول هذه الجزيرة تسع عشرة جزيرة عامرة فيها مدائن. و قرى كثيرة و من جزائر هذا البحر جزيرة كله التي يجلب منها الرصاص القلعي و جزيرة سريرة التي يجلب منها الكافور و غرائب البحر كثيرة و لهذا قيل حدث عن البحر و لا حرج و سئل بعض العقلاء ما رأيت من عجائب البحر قال سلامتي منه^(١٠)

تتمة: قالت الحكماء في سبب انفجار العيون من الأرض أن البخار إذا احتبس في داخل من الأرض لما فيها من ثقب و فرج يميل إلى جهة فيبرد بها فينقلب مياها مختلطة بأجزاء بخارية فإذا كثر لوصول مدد متدافع إليه بحيث لا تسعه الأرض أوجب انشقاق الأرض و انفجرت منها العيون أما الجارية على الولاة فهي إما لدفع تاليها سابقها أو لانجذابها إليه لضرورة عدم الخلاء بأن يكون البخار الذي انقلب ماء و فاض إلى وجه الأرض ينجذب إلى مكانه ما يقوم مقامه لئلا يكون خلاء فينقلب هو أيضا ماء و يفيض و هكذا استتبع كل جزء منه جزء آخر و أما العيون الراكدة فهي حادثة من أبخرة لم تبلغ من كثرة موادها و قوتها أن يحصل منها معاونة شديدة أو يدفع اللاحق السابق و أما مياه القنى^(١١) و الآبار فهي متولدة من أبخرة ناقصة القوة عن أن يشق الأرض فإذا أزيل ثقل الأرض عن وجهها صادفت منفذا تندفع إليه بأدنى حركة فإن لم يجعل هناك مسيل فهو البئر و إن جعل فهو القناة و نسبة القنى إلى الآبار كنسبة العيون السائلة إلى الراكدة و يمكن أن تكون هذه المياه متولدة كما قاله أبو البركات البغدادي^(١٢) من أجزاء مائية متولدة من أجزاء متفرقة في ثقب أعماق الأرض و منافذها إذا اجتمعت بل هذا أولى لكون مياه العيون و الآبار و القنوات تزيد بزيادة التلوج و الأمطار قال الشيخ في النجاة و هذه الأبخرة إذا انبعثت^(١٣) عيوناً أمدت البحار بصب الأنهار إليها ثم ارتفع من البحار و البطائح و الأنهار و بطون الجبال خاصة أبخرة أخرى ثم قطرت ثانيا إليها فقامت بدل ما يتحلل منها على الدور دائما^(١٤)

(١) في المصدر إضافة: «من».

(٢) في المصدر: «الشرقية» بدل «الغربية إلى زاوية».

(٣) في المصدر: «تقريب».

(٤) في المصدر: «سرانديب».

(٥) في المصدر: «تفسير غرائب القرآن ج ١ ص ٤٥٦ - ٤٥٧».

(٦) في المصدر: «جمع القناة، و هي ما يحفر من الأرض ليجري فيها الماء».

(٧) في المصدر: «نبعث».

(٨) في المصدر: «المقالة الخامسة في البركات».

(٩) في المصدر: «البركات».

(١٠) في المصدر: «البركات».

(١١) في المصدر: «البركات».

(١٢) في المصدر: «البركات».

(١٣) في المصدر: «البركات».

(١٤) في المصدر: «البركات».

الأرض وكيفيتها وما أعد الله للناس فيها و جوامع أحوال العناصر وما تحت الأرضين

الآيات:

البقرة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١)

الرعد: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِزْقاً وَاسِعاً وَأَنْهَاراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رِزْقَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِزَاتٌ وَجَنَاطٌ مِنْ أَغْنَابٍ وَرِزْقٌ وَنَخِيلٌ صُنُوفٌ وَغَيْرُ صُنُوفٍ يُشَقَّى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٢)

إبراهيم: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُم مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَطُغْلٌ كَفَّارٌ﴾ (٣)

الحجر: ﴿وَالْأَرْضُ مَدَدْنَاهَا وَالْقَيْنَا فِيهَا رِزْقاً وَاسِعاً وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْرُودٍ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَّنْ سَمٌّ لَهُ بِرِزْقَيْنِ﴾ (٤)

النحل: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالتَّخْلِيلَ وَالْأُغْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَتَبْنِي السَّحَابَ مَسَاجِدَ بَآمِرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلاً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ مُوَاجِرَ فِيهِ وَتَلْتَبَعُوا مِنْ قِبَلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رِزْقاً بِكَمٍّ وَانْهَاراً وَسَبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَعِلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٥)

الكهف: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ رِزْقاً لَهَا لِيَتَلَبَّسُوا بِهِمْ أَتَاهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (٦)

طه: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا يَنْتَهِمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ (٧) وَقَالَ تَعَالَى ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَبَّلَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى كُلُوا وَارْزُقُوا وَأَغْنَاكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (٨)

الأنبياء: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رِزْقاً وَاسِعاً أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سَبِيلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (٩)
الشعراء: ﴿وَلَمْ يَزَلْ إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ رَوْحٍ كَرِيمٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٠)
وقَالَ تَعَالَى ﴿أَتَنْزِلُكُمْ فِي مَا هَاهُنَا آمِينَ فِي جَنَاطٍ وَعُيُونٍ وَرُوحٍ وَنَحْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ وَتَنْجُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ﴾ (١١)

النمل: ﴿وَأَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَبَائِقَ ذَاتٍ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَلْهُو بِكُمْ قَوْمٌ يَغْدِلُونَ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رِزْقاً وَاسِعاً وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ بَلَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٢)

(١) سورة البقرة، آية: ٢١ - ٢٢.

(٢) سورة إبراهيم، آية: ٣٢ - ٣٤.

(٣) سورة النحل، آية: ١٠ - ١٨.

(٤) سورة طه، آية: ٦.

(٥) سورة الأنبياء، آية: ٣١.

(٦) سورة الشعراء، آية: ١٤٦ - ١٤٩.

(٧) سورة الرعد، آية: ٣ - ٤.

(٨) سورة الحجر، آية: ١٩ - ٢٠.

(٩) سورة الكهف، آية: ٧.

(١٠) سورة طه، آية: ٥٣ - ٥٥.

(١١) سورة الشعراء، آية: ٧ - ٨.

(١٢) سورة النمل، آية: ٦٠ - ٦١.

لقمان: «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بَعَثَ عَمَدَ تَرَوْنَهَا وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ» (١)

فاطر: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ» (٢)

يس: «وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا يَأْكُلُونَ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ» (٣)

المؤمن: «اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَ السَّمَاءَ بِنَاءً» (٤)
السجدة: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُخِي الْفُوتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (٥)

حمس: «وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ» (٦)
الزخرف: «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» (٧)

الجاثية: «وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُتَفَكَّرُونَ» (٨)
ق: «وَ الْأَرْضُ مَدَدْنَاهَا وَالْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِيرَةً وَذَكَرَى لِكُلِّ عَدُوٍّ مُنِيبٍ» (٩)
الذاريات: «وَ الْأَرْضُ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» (١٠)

الرحمن: «وَ الْأَرْضُ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ فِيهَا فَالِكِهَةِ وَالتَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْنَامِ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» (١١)

الحديد: «وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» (١٢)
الطلاق: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا» (١٣)

الملك: «هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ» (١٤)
نوح: «وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بَسَاطًا لِيَتَسَلَّكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا» (١٥)

المرسلات: «أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءً وَأَمْواتًا وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا وَنِلًّ يَوْمِيذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» (١٦)
النبا: «أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلْنَا بَيْنَكُمْ سُبُلًا وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا وَبَيَّنَّا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا» (١٧)

الطارق: «وَ الْأَرْضُ ذَاتُ الصَّدْعِ» (١٨)

- | | |
|-----------------------------------|---------------------------------|
| (٢) سورة فاطر، آية: ٢٧ - ٢٨. | (١١) سورة لقمان، آية: ١٠ - ١١. |
| (٤) سورة غافر، آية: ٦٤. | (٣) سورة يس، آية: ٣٣ - ٣٦. |
| (٦) سورة الشورى، آية: ٢٩. | (٥) سورة فصلت، آية: ٣٩. |
| (٨) سورة الجاثية، آية: ١٣. | (٧) سورة الزخرف، آية: ١٠. |
| (١٠) سورة الذاريات، آية: ٤٨ - ٤٩. | (٩) سورة ق، آية: ٧ - ٨. |
| (١٢) سورة الحديد، آية: ١٧. | (١١) سورة الرحمن، آية: ١٠ - ١٣. |
| (١٤) سورة الملك، آية: ١٥. | (١٣) سورة الطلاق، آية: ٢٧. |
| (١٦) سورة المرسلات، آية: ٥ - ٨. | (١٥) سورة نوح، آية: ١٩ - ٢٠. |
| (١٨) سورة الطارق، آية: ١٢. | (١٧) سورة النبا، آية: ٦ - ١٦. |



الغاشية: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِلَهِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ.﴾^(١)

الشمس: ﴿وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاها.﴾^(٢)

تفسير: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾^(٣) قيل إنه تعالى عدد في هذا المقام عليهم خمسة دلائل اثنين من الأنفس و هما خلقهم و خلق أصولهم و ثلاثة من الآفاق بجعل الأرض فراشا و السماء بناء و الأمور الحاصلة من مجموعهما و هي إنزال الماء من السماء و إخراج الثمرات بسببه و سبب هذا الترتيب ظاهر لأن أقرب الأشياء إلى الإنسان نفسه ثم مأمنه و منشؤه و أصله ثم الأرض التي هي مكانه و مستقره يقعدون عليها و ينامون و يتقلبون كما يتقلب أحدهم على فراشه ثم السماء التي^(٤) كالقبة المضروبة و الخيمة المبنية على هذا القرار ثم ما يحصل من شبه الازدواج بين العقلة و المظلة من إنزال الماء عليها و الإخراج به من يطنها أشباه النسل من الحيوان^(٥) ألوان الغذاء. و أنواع الثمار رزقا لبني آدم و أيضا خلق المكلفين أحياء قادرين أصل لجميع النعم و أما خلق الأرض و السماء فذلك إنما ينتفع به بشرط حصول الخلق و الحياة و القدرة و الشهوة و ذكر الأصول مقدم على ذكر الفروع و أيضا كل ما كان في السماء و الأرض من الدلائل على وجود الصانع فهو حاصل في الإنسان بزيادة الحياة و القدرة و الشهوة و العقل و لما كانت وجوه الدلالة فيه أتم كان تقديمه في الذكر أهم.

و الفراش اسم لما يفرض كالسباط لما يسطو و ليس من ضرورات الافتراض أن يكون سطحا مستويا كالفراش على ما ظن فسواء كانت كذلك و على شكل الكرة فافتراض غير مستنكر و لا مدفوع لطعم جرمها و تباعد أطرافها و لكنه لا يتم الافتراض عليها ما لم تكن ساكنة في حيزها الطبيعي و هو وسط الأفلاك لأن الانتقال^(٦) بالطبع تميل إلى تحت كما أن الخفاف بالطبع تميل إلى فوق و الفوق من جميع الجوانب ما يلي السماء و التحت ما يلي المركز فكما أنه يستبعد حركة^(٧) الأرض في ما يليها إلى جهة السماء فكذلك يستبعد هبوطها في مقابلة ذلك لأن ذلك الهبوط صعود أيضا إلى السماء فإذاً لا حاجة في سكون الأرض و قرارها في حيزها إلى علاقة من فوقها و لا إلى دعامة من تحتها بل يكفي في ذلك ما أعطاها خالقها و ركز فيها من الميل الطبيعي إلى الوسط الحقيقي بقدرته و اختياره ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ تَرُودَا وَلَكِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ﴾^(٨).

ومما من الله على عباده في خلق الأرض أن لم تجعل في غاية الصلابة كالحجر و لا في غاية اللين و الانغمار كالماء ليسهل النوم و المشي عليها و أمكنت الزراعة و اتخاذ الأبنية منها و يتأتى حفر الآبار و إجراء الأنهار و منها أن لم تخلق في نهاية اللطافة و الشفيف لتستقر الأثوار عليها و تتسخن منها فيمكن جوازها^(٩) و منها أن جعلت بارزة بعضها من الماء مع أن طبيعتها القوص فيها لتصلح لتعيش الحيوانات البرية عليها و سبب انكشاف ما برز منها و هو قريب من ربعها إن^(١٠) لم تخلق صحيحة الاستدارة بل خلقت هي و الماء بمنزلة كرة واحدة^(١١) يدل على ذلك في ما بين الخافقين تقدم طلوع الكواكب و غروبها للمشرقين على طلوعها و غروبها للمغربيين و في ما بين الشمال و الجنوب ازدياد ارتفاع القطب الظاهر و انحطاط الغفي للواغليين في الشمال و بالعكس للواغليين في الجنوب و تركيب الاختلائين لمن يسير على سمت بين السمتين إلى غير ذلك من الأغراض الخاصة بالاستدارة يستوي في ذلك راكب البر و راكب البحر و هذه الجبال و إن شمخت لا تخرجها عن أصل الاستدارة لأنها بمنزلة الخشونة القاذحة في ملاسة الكرة لا في استدارتها.

و منها الأشياء المتولدة فيها من المعادن و النبات و الحيوان و الآثار العلوية و السفلية و لا يعلم تفاصيلها إلا

(١) سورة الغاشية: آية: ١٧ - ٢٠.

(٢) سورة الشمس: آية: ٦.

(٣) سورة البقرة: آية: ٢١.

(٤) في المصدر إضافة: «هي».

(٥) في المصدر إضافة: «من».

(٦) في المصدر: «التقال».

(٧) في المصدر: «صعود» بدل «حركة».

(٨) سورة فاطر: آية: ٤١.

(٩) في المصدر: «جوارها».

(١٠) في المصدر: «أنها» بدل «أن».

(١١) في المصدر: «و الماء بحيث إذا انجذب الماء بطبيعته إلى المواضع الغائرة و المنخفضة منها بقي شيء منها مكتشفاً و صار مجموع الأرض و الماء بمنزلة كرة واحدة».

موجودها ومنها اختلاف بقاعها في الرخاوة والصلابة والدمائة والوعورة بحسب اختلاف الحاجات والأغراض ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِزَاتٌ﴾^(١) ومنها اختلاف ألوانها ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ﴾^(٢) ومنها انصداعها بالنبات ﴿وَالْأَرْضُ ذَاتُ الصَّدْعِ﴾^(٣) ومنها جذبها للماء المنزل من السماء ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾^(٤) ومنها العيون والأنهار العظام التي فيها ﴿وَالْأَرْضُ مَدَدُنَاهَا﴾^(٥) ومنها أن لها طبع الكرم والساحة تأخذ واحدة وترد سبعاً ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ و منها حياتها وموتها ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا﴾^(٦) ومنها الدواب المختلفة ﴿وَوَبَّتْ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾^(٧) و منها النباتات المتنوعة ﴿وَأَنْشَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ رَوْحٍ نَهْجٌ﴾^(٨) فاختلاف ألوانها دلالة واختلاف طوعها دلالة واختلاف روائحها دلالة فمنها قوت البشر ومنها قوت البهائم ﴿كُلُوا وَارْزُقُوا أَنْعَامَكُمْ﴾^(٩) و منها الطعام ومنها الإدام ومنها الدواء ومنها الفواكه ومنها كسوة البشر نباتية كالقطن والكتان وحيوانية كالشعر والصوف والإبريسم والجلود و منها الأحجار المختلفة بعضها للزينة وبعضها للأبنية فانظر إلى الحجر الذي تستخرج منه النار مع كثرته وانظر إلى الياقوت الأحمر مع عزته وانظر إلى كثرة النفع بذلك الحقيق وقله النفع بهذا الخطير و منها ما أودع الله تعالى فيها من المعادن الشريفة كالذهب والفضة.

ثم تأمل أن البشر استنبطوا الحرف الدقيقة والصنائع الجليلة واستخرجوا السمك من قعر البحر واستنزلوا الطير من أوج الهواء وعجزوا عن اتخاذ الذهب والفضة والسبب فيه أن معظم فائدتها ترجع إلى الثمنية وهذه الفائدة لا تحصل إلا عند العزة والقدرة على اتخاذها تبطل هذه الحكمة فلذلك ضرب الله دونها باباً مسدوداً ومن هاهنا اشتهر في الألسنة من طلب المال بالكيمياء أفلس.

و منها ما يوجد على الجبال والأراضي من الأشجار الصالحة للبناء والسقف والحطب وما اشدت إليه الحاجة في الخبز والطبخ ولعل ما تركناه من الفوائد أكثر مما عددناه فإذا تأمل العاقل في هذه الغرائب والعجائب اعترف بمدير حكيم ومقدر عليم إن كان ممن يسمع و يبصر و يعتبر.

وأما منافع السماء فإن الله تعالى زينها بمصاييح ﴿وَلَقَدْ رَئَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾^(١٠) وبالقمر ﴿وَوَجَّعَ الْقَمَرَ فِيهِ نُورًا﴾^(١١) وبالشمس ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾ وبالعرش ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾^(١٢) وبالكرسي ﴿وَوَسَّعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾^(١٣) وباللوح ﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾^(١٤) وبالقلم ﴿وَالْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾^(١٥) و سماها سقفا محفوظا وسبعا طباقا وسبعا شدادا وذكر أن خلقها مشتمل على حكم بليغة وغايات صحيحة ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾^(١٦) ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(١٧) وجعلها مصعد الأعمال ومهبط الأنوار وقبلة الدعاء ومحل الضياء والصفاء وجعل لونها أنقى الألوان وهو المستدير وشكلها أفضل الأشكال وهو المستدير ونجومها رجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها في ظلمات البر والبحر وقبض للشمس طلوعا وسهل معه الثقل لقضاء الأوطار في الأطراف وغروبا يصلح معه الهدى والقرار في الأكناف لتحصيل الراحة وانبعاث القوة الهاضمة وتنفيذ الغذاء إلى الأعضاء وأيضا لو لا الطلوع لانجمدت المياه وغلبت البرودة والكثافة وأفضت إلى جمود الحرارة الغريزية وانكسار سورتها ولو لا الغروب لحامت الأرض حتى يحترق كل من عليها من حيوان و نبات فهي بمنزلة السراج يوضع لأهل بيت بمقدار حاجتهم ثم يرفع عنهم ليستقروا ويستريحوا فصار النور والظلمة مع تضادهما متظاهرين على ما فيه صلاح قطان الأرض.

- | | |
|-----------------------------|-------------------------------|
| (١) سورة الرعد، آية: ٤. | (٢) سورة فاطر، آية: ٢٧. |
| (٣) سورة الطارق، آية: ١٢. | (٤) سورة المؤمنون، آية: ١٨. |
| (٥) سورة ق، آية: ٧. | (٦) سورة يس، آية: ٣٣. |
| (٧) سورة البقرة، آية: ١٦٤. | (٨) سورة ق، آية: ٧. |
| (٩) سورة طه، آية: ٥٤. | (١٠) سورة الملك، آية: ٥. |
| (١١) سورة نوح، آية: ١٦. | (١٢) سورة النمل، آية: ٢٦. |
| (١٣) سورة البقرة، آية: ٢٥٥. | (١٤) سورة البروج، آية: ٢٢. |
| (١٥) سورة القلم، آية: ١. | (١٦) سورة آل عمران، آية: ١٩١. |
| (١٧) سورة ص، آية: ٢٧. | |

وأما ارتفاع الشمس وانحطاطها فقد جعله الله تعالى سبباً لإقامة الفصول الأربعة ففي الشتاء تغور الحرارة في الشجر والنبات فيتولد منه مواد الثمار ويستكثف^(١) الهواء فيكثر السحاب والمطر وتقوى أبدان الحيوانات بسبب احتقان الحرارة الغريزية في البواطن وفي الربيع تتحرك الطيائع وتظهر المواد المتولدة في الشتاء وينور الشجر ويهيج الحيوان للسفاد وفي الصيف يحتدم الهواء فتضخض الثمار وتحلل فضول الأبدان ويحف وجه الأرض ويتهيأ للعمارة والزراعة وفي الخريف يظهر البرد واليبس فتدرك الثمار وتستعد الأبدان قليلاً قليلاً للشتاء.

وأما القمر فهو تلو الشمس وخليفتها وبه يعلم عدد السنين والحساب وتضبط المواعيت الشرعية ومنه يحصل النماء والرواء وقد جعل الله في طلوعه مصلحة وفي غيبيته مصلحة يحكى أن أعرابياً نام عن جملة ليلاً ففقدته فلما طلع القمر وجده فنظر إلى القمر وقال إن الله صورك ونورك وعلى البروج دورك فإذا شاء نورك وإذا شاء كورك فلا أعلم مزيداً أسأله لك فإن أهديت إلي سروراً فقد أهدى الله إليك نوراً ثم أنشأ في ذلك أبياتاً.

وقال الجاحظ إذا تأملت في هذا العالم وجدته كالبيت المعد فيه كل ما يحتاج إليه فالسما مرفوعة كالسقف والأرض ممدودة كالسطح والنجوم منضودة كالصاييح والإنسان كما لك البيت المتصرف فيه وضروب النبات مهياة لمنافعه وصنوف الحيوان متصرفة في مصالحه فهذه جملة واضحة دالة على أن العالم مخلوق بتدبير كامل وتقدير شامل وحكمة بالغة وقدرة غير متناهية.

ثم إنهم اختلفوا في أن السماء أفضل أم الأرض قال بعضهم السماء أفضل لأنها معبد الملائكة وما فيها بقعة عصي الله فيها ولما أتى آدم بالمعصية أهبط من الجنة وقال الله لا يسكن في جوارى من عصاني وقال تعالى ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾^(٢) وقال ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾^(٣) وورد في الأكثر ذكر السماء مقدماً على ذكر الأرض والسموات مؤثرة والأرضيات متأثرة والمؤثر أشرف من المتأثر.

وقال آخرون بل الأرض أفضل لأنه تعالى وصف بقاعاً من الأرض بالبركة ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾^(٤) ﴿وَفِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾^(٥) ﴿إِلَى الْمَشْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾^(٦) ﴿مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾^(٧) يعني أرض الشام وصف جملة الأرض بالبركة ﴿وَبَارَكْ فِيهَا وَقَدَّرْ فِيهَا أَقْوَانَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾^(٨).

فإن قيل أي بركة في المغاور المهلكة قلت إنها مساكن الوحوش ومراعيها ومساكن الناس إذا احتاجوا إليها ومساكن خلق لا يعلمهم إلا الله تعالى فلهذه البركات قال ﴿فِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٩) تشريفاً لهم لأنهم هم المنتفعون بها كما قال ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١٠) وخلق الأنبياء منها ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾^(١١) وأودعهم فيها ﴿وَفِيهَا نَعِيدُكُمْ﴾ وأكرم نبيه المصطفى فجعل الأرض كلها له مسجداً وطهوراً.

ومعنى إخراج الثمرات بالماء وإنما خرجت بقدرته ومشيته أنه جعل الماء سبباً في خروجها ومادة لها كالنظفة في خلق الولد وهو قادر على إنشاء الأشياء بلا أسباب ومواد كما أنشأ نفوس الأسباب والمواد ولكن له في هذا التدرج والتسبيب حكماً يتبصر بها من يستبصر ويتفطن لها من يعتبر.

ومن في من الثمرات للتبويض كما أنه قصد بتكثير «السَّاء» و«رَزَقاً» معنى البضية فكانه قيل وأزلنا من السماء بعض الماء فأخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم ويجوز أن يكون للبيان كقولك أنفق من الدراهم ألفاً والند المثل المناوي ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ حال من ضمير «فَلَا تَجْعَلُوا» ومفعول «تَعْلَمُونَ» مطروح^(١٢) أي حالكم أنكم من أهل العلم والنظر وأصابه الرأي فلو تأملتم أدنى تأمل اضطر عقلكم إلى إثبات موجد للممكنات منفرد بوجود الذات متعال عن مشابهة المخلوقات أو منوي وهو أنها لا تتأله ولا تقدر على مثل ما يفعله.

(١) في المصدر: «يلطف» بدل «يستكثف».

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٣٢.

(٣) سورة الفرقان، آية: ٦١.

(٤) سورة آل عمران، آية: ٩٦.

(٥) سورة القصص، آية: ٣.

(٦) سورة الإسراء، آية: ١.

(٧) سورة الأعراف، آية: ١٣٧.

(٨) سورة البقرة، آية: ٢٠.

(٩) سورة البقرة، آية: ٢.

(١٠) سورة البقرة، آية: ٢٠.

(١١) سورة طه، آية: ٥٥.

(١٢) تفسير غرائب القرآن ج ١ ص ١٨٢ - ١٨٧ ملخصاً.

«وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ»^(١) قال الرازي أي جعل الأرض^(٢) بذلك المقدار المعين الحاصل^(٣) لا أزيد ولا أنقص والدليل عليه هو أن كون الأرض أزيد مقدارا مما هو الآن أو أنقص منه أمر جائز فاختصاصه بذلك المقدار المعين لا بد وأن يكون بتخصيص مخصص وبتقدير مقدر وقال أبو بكر الأصب^(٤) المد البسط إلى ما لا^(٥) يدرك منتهاه أي جعل حجمها عظيما وإلا لما كمل الانتفاع بها وقال قوم كانت الأرض مدورة فمدها ودحاها من مكة من تحت البيت فذهبت كذا وكذا وهذا إنما يتم إذا كانت الأرض مسطحة لا كرة وهو خلاف ما ثبت بالدليل ومد الأرض لا ينافي كونها كرة ولأن الكرة إذا كانت في غاية الكبر كان كل قطعة منها تشاهد كالسطح.^(٦)

«وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ»^(٧) أي جبالا ثابتة باقية في أحيائها غير منتقلة عن أمكنتها والاستدلال بها على وجود الصانع القادر الحكيم من وجوه: الأول أن طبيعة الأرض طبيعة واحدة فحصول الجبل في بعض جوانبها دون البعض لا بد وأن يكون بتخليق القادر الحكيم قال^(٨) الفلاسفة هذه الجبال إنما تولدت لأن البحار كانت في هذا الجانب من العالم فكان يتولد من البحر طين لزج ثم يقوى تأثير الشمس فيها فينقلب حجرا كما نشاهد في كوز الفقاخ ثم إن الماء كان يغور ويقل فيتجحر البقية فلهذا السبب تولدت هذه الجبال قالوا وإنا كانت البحار حاصلة في هذا الجانب من العالم لأن أوج الشمس وحضيضها متحركان ففي الدهر الأقدم كان حضيض الشمس في جانب الشمال والشمس متى كانت في حضيضها كانت أقرب إلى الأرض فكان التسخين أقوى وشدة السخونة توجب انجذاب الرطوبات فعين كان الحضيض في جانب الشمال كانت البحار في جانب الشمال والآن لما انتقل الأوج إلى جانب الشمال والحضيض إلى جانب الجنوب انتقلت البحار إلى جانب الجنوب فبقيت هذه الجبال في الشمال هذا حاصل كلام القوم في هذا الباب وهو ضعيف من وجوه:

الأول: أن حصول الطين في البحر أمر عام^(٩) فلم حصل الجبل في بعض الجوانب دون بعض.^(١٠)

الثاني: هو أننا نشاهد في بعض الجبال كأن تلك الأحجار موضوعة سافا فسافا كان البناء بناء من لبنات كثيرة موضوع بعضها على بعض ويبعد حصول مثل هذا التركيب من السبب الذي ذكروه.

الثالث: أن أوج الشمس الآن قريب من أول السرطان فعلى هذا من الوقت الذي انتقل أوج الشمس إلى الجانب الشمالي مضى قريبا من تسعة آلاف سنة وبهذا التقدير إن الجبال كانت في هذه المدة الطويلة في التفتت فوجب أن لا يبقى من الأحجار شيء لكن ليس الأمر كذلك فعلما أن السبب الذي ذكروه ضعيف.

والوجه الثاني من الاستدلال بأحوال الجبال على وجود الصانع ذي الجلال ما يحصل فيها من معادن الفلزات السبعة ومواضع الجواهر النفيسة وقد يحصل منها^(١١) معادن الزاجات والأملاح وقد تحصل معادن النفط والقيرو الكبريت فكون الأرض واحدة في الطبيعة وكون الجبل واحدا في الطبيعة^(١٢) وكون تأثير الشمس واحدا في الكل يدل دلالة ظاهرة على أن الكل بتقدير قادر قاهر متعال عن مشابهة الممكنات والمحدثات.

والوجه الثالث أن بسببها تتولد الأنهار على وجه الأرض وذلك لأن الحجر جسم صلب فإذا تصاعدت الأبخرة من قعر الأرض وصلت إلى الجبل احتسبت هناك ولا يزال يتكامل الأمر^(١٣) فيحصل تحت الجبال مياه كثيرة ثم إنها لكثرتها وقوتها تنقب^(١٤) وتخرج وتسيل على وجه الأرض فمنفعة الجبال في تولد الأنهار هو من هذا الوجه ولهذا السبب في أكثر الأمر أينما ذكر الله تعالى الجبال قرن بها ذكر الأنهار مثل هذه الآية ومثل قوله «وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَايِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا»^(١٥)

(١) سورة الرعد، آية: ٣.

(٢) في المصدر إضافة: «له».

(٣) وترجم له ابن حجر في لسان الميزان ج ٣ ص ٥١٩، والداوودي في طبقات المفسرين ج ١ ص ٢٧٤.

(٤) التفسير الكبير ج ١٩ ص ٢ ملخصاً.

(٥) في المصدر: «قالت».

(٦) سورة الرعد، آية: ٣.

(٧) في المصدر إضافة: «و وقوع الشمس عليها أمر عام».

(٨) في المصدر: «فيها» بدل «منها».

(٩) في المصدر: «فلا تزال تتكامل فيحصل».

(١٠) في المصدر: «تنقب».

(١١) سورة المرسلات، آية: ٢٧.

(١٢) في المصدر إضافة: «مختصة».

ثم استدل سبحانه بعجائب خلقه النبات بقوله ﴿وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ إلخ فإن الحبة إذا وقعت^(١) في أرض وأثرت فيها نداوة الأرض ربت وكبرت وبسبب ذلك ينشق أعلاها وأسفلها فيخرج من الشق الأعلى الشجرة الصاعدة ومن الشق الأسفل العروق الغائصة في أسفل الأرض وهذا من العجائب أن^(٢) طبيعة تلك الحبة واحدة وتأثير الطبايع والأفلاك والكواكب فيها واحد ثم إنه خرج من الجانب الأعلى من تلك الحبة جرم صاعد إلى الهواء ومن الجانب الأسفل منه جرم غائص في الأرض ومن المحال أن يتولد من الطبيعة الواحدة طبيعتان متضادتان فعملنا أن ذلك كان بسبب تدبير المدبر الحكيم والمقدر القديم لا بسبب الطبع والخاصية.

ثم إن الشجرة النابتة في تلك الحبة بعضها يكون خشبية وبعضها نورا وبعضها ثمرة ثم إن تلك الثمرة أيضا تحصل فيها أجسام مختلفة الطبايع فالجوز له أربعة أنواع من القشور القشر الأعلى وتحت القشرة الخشبية وتحت القشرة المحيطة باللب وتحت تلك القشرة قشرة أخرى في غاية الرقة تمتاز عما فوقها حال كون الجوز واللوز^(٣) رطباً وأيضاً فقد تحصل في الثمرة الواحدة الطبايع المختلفة فالأترج قشره حار يابس ولحمه حار رطب وحامض بارد يابس^(٤) وبذره حار يابس وكذلك العنب قشره وعجمه باردان يابسان ولحمه وماؤه حار رطب^(٥) فتولد هذه الطبايع المختلفة من الحبة الواحدة مع تساوي تأثيرات الطبايع وتأثيرات الأنجم والأفلاك لا بد وأن يكون لأجل الحكيم القديم^(٦).

والمراد بزوجين اثنين صنفين اثنين والاختلاف إما من حيث الطعم كالحلو والحامض أو الطبيعة كالحر والبارد أو اللون كالأبيض والأسود وفائدة قوله «اثنين» بيان أن كل نوع حصل من فردين كالإنسان من آدم وحواء وهكذا. «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ»^(٧) إنما قال ذلك لأن الفلاسفة يسندون الحوادث إلى اختلاف^(٨) الأشكال الكوكبية فما لم تتم الدلالة على دفع هذا السؤال لا يتم المقصود ودفعه بوجهين الأول أنه إن سلمنا جواز ذلك فلا بد من استناد الأفلاك وأوضاعها إلى واجب الوجود بالذات القادر الحكيم والثاني ما يذكر في الآيات الآتية حيث قال ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَاوِزَاتٌ﴾^(٩) الآية وتقريره من وجهين الأول أنه حصل في الأرض قطع مختلفة بالطبيعة وهي مع ذلك متجاورة فبعضها تكون سبخة وبعضها حرة^(١٠) وبعضها صلبة وبعضها حجرية أو رملية وبعضها طينا لزجا ثم إنها متجاورة وتأثير الشمس وسائر الكواكب في تلك القطع على السوية ودل هذا على اختلافها في صفاتها بتقدير المقدر العليم.

والثاني أن القطعة الواحدة من الأرض تسقى بماء واحد يكون تأثير الشمس فيها متشابهاً^(١١) ثم إن تلك الثمار تجيء مختلفة في الطعم واللون والطبيعة والخاصية حتى إنك قد تأخذ عقودا من العنب وتكون جميع حباته حلوة نضيجة إلا الحبة الواحدة فإنها بقيت حامضة يابسة ونحن نعلم بالضرورة أن نسبة الطبايع والأفلاك إلى الكل على السوية بل نقول ها هنا ما يعد أعجب منه وهو أنه يوجد في بعض أنواع الورد ما يكون أحد وجهيه في غاية الحمرة والوجه الثاني في غاية السواد مع أن ذلك الورد في غاية الرقة والنعومة فيستحيل أن يقال وصل تأثير الشمس إلى أحد طرفيه دون الثاني وهذا يدل دلالة قطعية على أن الكل بتقدير الفاعل المختار لا بسبب الاتصالات الفلكية وهو المراد من قوله تعالى «يُسْقَى بِنَاءٍ وَاحِدٍ وَنَفْضُلٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ»^(١٢) فهذا تمت الحجة فإن هذه الحوادث السفلية لا بد لها من مؤثر وبيننا أن ذلك المؤثر ليس هو الكواكب والأفلاك والطبايع فعند هذا يجب القطع بأنه لا بد من فاعل مختار آخر سوى هذه الأشياء فعند هذا يتم الدليل ولا يبقى بعده للتفكر مقام فهذا قال ها هنا «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» لأنه لا دافع لهذه الحجة إلا أن يقال إنها حدثت لا لمؤثر ولا يقوله عاقل والجنة البستان الذي يحصل فيه النخل والكرم والزرع والصنوان جمع صنو مثل قنوان وقنو والصنوا أن يكون الأصل

(١) في المصدر: «وضعت» بدل «وقعت».

(٢) في المصدر: «لأن» بدل «أن».

(٣) كلمة «اللوز» ليست في المصدر.

(٤) في المصدر: «حار رطب» بدل «حار رطب».

(٥) سورة الباقية، آية: ١٣.

(٦) فيه: «لأجل تدبير الحكيم القادر القديم».

(٧) في المصدر: «حوادث العالم السفلي إلى الاختلافات الواقعة في».

(٨) في المصدر: «رخوة» بدل «حرّة».

(٩) سورة الرعد، آية: ٤.

(١٠) في المصدر: «متساوياً» بدل «متشابهاً».

واحدا و تثبت منه النخلتان والثلاثة وأكثر فكل واحد صنو وعن ابن الأعرابي الصنو المثل أي متشابهة وغير متشابهة وعن الزجاج الأكل الثمر الذي يؤكل وعن غيره الأكل المهيأ للأكل.^(١)

وَاللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ^(٢) مبتدأ وخبر ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ﴾ امتن على عباده بتسخير الفلك لأن انتفاع العباد يتوقف^(٣) عليها لأنه تعالى خص كل طرف من أطراف الأرض بنوع آخر من النعمة^(٤) حتى أن نعمة هذا الطرف إذا نقلت إلى الجانب الآخر من الأرض أو بالعكس كثر الريح في التجارات ولا يمكن هذا إلا بسفن البر وهي الجمال أو بسفن البحر وهي الفلك ونسبة التسخير إلى نفسه لأنه سبحانه خلق الأشجار الصلبة التي منها يمكن تركيب السفن ولو لا خلقه الحديد وسائر الآلات ولو لا تعريفه العباد كيف يتخذونه ولو لا أنه تعالى خلق الماء على صفة السلاسة^(٥) التي باعتبارها يصح جري السفينة ولو لا خلقه تعالى الرياح وخلق الحركات القوية فيها ولو لا أنه وسع الأنهار وجعل لها من العمق ما يجوز جري السفن فيها لما وقع الانتفاع بالسفن فصار لأجل أنه تعالى هو الخالق لهذه الأحوال وهو المدير لهذه الأمور والمسخر لها حسنت إضافته إليه وأضاف التسخير إلى أمره لأن الملك العظيم قل ما يوصف أنه فعل وإنما يقال فيه إنه أمر بكذا تعظيما لشأنه.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأنْهَارَ﴾ لما كان ماء البحر قل ما ينتفع في الزراعات لعمقه وملوحته ذكر تعالى إنعامه على الخلق بتفجير الأنهار والعيون حتى ينبعث الماء منها إلى مواضع الزروع والنباتات وأيضا ماء البحر لا يصلح للشرب ﴿وَأَنَّا كُنتُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾^(٦) قيل أي بلسان حالكم بحسب استعداداتكم وقابلياتكم ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ قال الرازي اعلم أن الإنسان إذا أراد أن يعرف أن الوقوف على أقسام نعم الله متمتع فعليه أن يتأمل في شيء واحد ليعرف عجز نفسه ونحن نذكر منه مثالين:

المثال الأول: أن الأطباء ذكروا أن الأعصاب قسمان منها دماغية ومنها نخاعية أما الدماغية فإنها سبعة ثم أتبعوا أنفسهم في معرفة الحكم الناشئة من كل واحد من تلك الأرواح السبعة ثم مما لا شك فيه أن كل واحد من تلك الأرواح السبعة تنقسم إلى شعب كثيرة وكل واحد من تلك الشعب أيضا إلى شعب دقيقة أدق من الشعر ولكل واحد منها ممر إلى الأعضاء ولو أن شعبة واحدة اختلت إما بسبب الكمية والكيفية أو بسبب الوضع لاختلت مصالح البنية ثم إن تلك الشعب الدقيقة تكون كثيرة العدد جدا ولكل واحد منها حكمة مخصوصة فإذا نظر الإنسان في هذا المعنى عرف أن لله بحسب كل شظية من تلك الشظايا العصبية على العبد نعمة عظيمة لو فاته لعظم الضرر عليه وعرف قطعا أنه لا سبيل له إلى الوقوف عليها والاطلاع على أحوالها وعند هذا يقطع بصحة قوله تعالى ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾^(٧) وكما اعتبرت هذا في الشظايا العصبية فاعتبر مثله في الشرايين والأوردة في كل واحد من الأعضاء البسيطة والمركبة بحسب الكمية والكيفية والوضع والفعل والانفعال وأقسام هذا الباب بحر لا ساحل^(٨) وإذا اعتبرت هذا في بدن الإنسان الواحد فاعرف أقسام نعم الله تعالى في نفسه وفي روحه فإن عجائب عالم الأرواح أكثر من عجائب عالم الأجساد ثم لما اعتبرت حال الحيوان الواحد فعند ذلك اعتبر أحوال عالم الأفلاك والكواكب وطبقات العناصر وعجائب البر والبحر والنبات والحيوان وعند هذا تعرف أن عقول جميع الخلائق لو ركبت وجعلت عقلا واحدا ثم بذلك العقل يتأمل الإنسان في عجائب حكمة الله تعالى في أقل الأشياء لما أدرك منها إلا القليل فسبحانه وتقدس عن أوهام المتوهمين.

المثال الثاني: أنه إذا أخذت اللقمة الواحدة لتضعها في الفم فانظر إلى ما قبلها وما بعدها أما الأمور التي قبلها إن^(٩) تلك اللقمة من الخبز لا تتم ولا تكمل إلا إذا كان هذا العالم بكيته قائما على الوجه الأصوب لأن الحنطة لا بد منها وإنها لا تثبت إلا بمعونة الفصول الأربعة وتركيب الطبائع وظهور الأرياح والأمطار ولا يحصل شيء منها إلا بعد دوران الأفلاك واتصال بعض الكواكب ببعض على وجوه مخصوصة في الحركات وفي كفيتهما في الجهة وفي

(١) التفسير الكبير ج ١٩ ص ٣ - ٨ ملخصاً متفلاً بالمعنى.

(٢) في المصدر: «إنما يكمل بوجود الفلك» بدل «يتوقف».

(٣) في المصدر: «السيلان».

(٤) سورة إبراهيم، آية: ٣٤.

(٥) في المصدر: «فأعرف أن».

(٦) سورة إبراهيم، آية: ٣٤.

(٧) في المصدر: «فأعرف أن».

(٨) في المصدر: «فأعرف أن».

(٩) في المصدر: «فأعرف أن».

السرعة والبطء ثم بعد تكون الحنطة لا بد من آلات الطحن والخبز وهي لا تحصل إلا عند تولد الحديد في أرحام الجبال ثم إن الآلات الحديدية لا يمكن إصلاحها إلا بآلات أخرى حديدية سابقة عليها ولا بد من انتهائها إلى آلة حديدية هي أول هذه الآلات فتأمل أنها كيف تكونت على الأشكال المخصوصة ثم إذا حصلت تلك الآلات فانظر أنه لا بد من اجتماع العناصر الأربعة وهي الأرض والماء والهواء والنار حتى يمكن طبخ الخبز من ذلك الدقيق فهذا هو النظر في ما تقدم على هذه اللقمة.

أما النظر في ما بعد حدوثها^(١) فتأمل في تركيب بدن الحيوان وهو أنه تعالى كيف خلق هذه الأبدان حتى يمكنها الانتفاع بتلك اللقمة وأنه كيف يتضرر الحيوان في الأكل^(٢) وفي أي الأعضاء تحدث تلك المضار ولا يمكن أن تعرف القليل من هذه الأشياء إلا بمعرفة علم التشريح وعلم الطب بالكلية فظهر بما ذكرنا أن الانتفاع باللقمة الواحدة لا يمكن معرفته إلا بمعرفة جملة هذه الأمور والعقول قاصرة عن إدراك ذرة من هذه المباحث فظهر بالبراهين^(٣) الباهرة صحة قوله تعالى ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾^(٤) انتهى كلامه.

وأقول: يمكن سلوك طريق آخر في ذلك أدق وأوسع مما ذكره بأن يقال بعد أن عرفت النعم التي على إنسان واحد كزيد مثلاً من السماوات والكواكب والعرش والكرسي وجميع الأرضيات فإن لها جميعاً مدخلا في وجوده وبقائه ونموه فتقول جميع هذه النعم متعلقة بعمره أيضاً لمدخلتها في وجوده وبقائه أيضاً وكل هذه أيضاً نعمة لزيد لتوقف وجود زيد وبقائه على وجود عمره لكون الإنسان مدنياً بالنوع وكذا بالنسبة إلى بكره وخالده وكذا كل نعمة لله على كل حيوان من الحيوانات التي لها مدخل في نظام أحوال الإنسان فهي نعمة على زيد مرة بذاته ومرة باعتبار كونها نعمة على كل واحد واحد من أفراد البشر لمدخلية وجودهم في وجوده ونظام أحواله فيضرب عدد تلك النعم في عدد الأشخاص والحيوانات مرات لا تتناهى.

ثم لما كان وجود زيد موقوفاً على وجود أبويه فكل نعمة على كل من أبويه وعلى كل من كان في عصر أبويه نعمة عليه وكذا كل نعمة على والدي بكره وخالده نعمة عليه لتوقف وجوده وبقائه ونظام أحواله على وجود بكره وجوده متوقف على وجود والديه وجودهما وبقاؤهما وسائر أمورهما متوقفة على جميع النعم على أهل عصرهما فمن هذه الجهة أيضاً جميعها نعمة عليه فيضرب جميع هذه الأعداد الغير المتناهية في جميع تلك الأعداد الغير المتناهية مرات غير متناهية ثم ننقل الكلام في كل عصر من الأعصار وآباء كل منهم إلى أن يستتهي إلى آدم وحواء^(٥) ويضرب كل من تلك المراتب في ما حصل من المراتب السابقة وهذا حساب لا يحيط به علم البشر ولو اجتمع جميع المحاسبين من الثقلين وأرادوا استيفاء حساب مرتبة من هذه المراتب لا يقدرُونَ عليه مع أن كل قطرة من قطرات البحار وكل ذرة من ذرات الجو والأرض نعمة على كل شخص من الأشخاص فسبحان من لا يقدر على إحصاء شعبة واحدة من شعب نعمة الغير المتناهية إلا هو وله الحمد بعدد كل نعمة له علينا وعلى كل خلق من مخلوقاته.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ﴾^(٥) يظلم النعمة بإغفال شكرها أو يظلم نفسه بأن يعرضها للحرمان «كَفَّارٌ» شديد الكفران وقيل ظلم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع.

﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٌ﴾^(٦) قيل أي بميزان الحكمة ومقدر يقدر الحاجة وذلك أن الوزن سبب معرفة المقدار فأطلق اسم السبب على السبب وقيل أي له وزن وقدر في أبواب النعمة والمنفعة وقيل أراد أن مقاديرها من العناصر معلومة وكذا مقدار تأثير الشمس والكواكب فيها وقيل أي متناسب محكوم عليه عند العقول السليمة بالحسن واللطافة يقال كلام موزون أي متناسب وفلان موزون الحركات وقيل أراد ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس وغيرها من الموزونات كأكثر الفواكه والنبات.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا﴾ أي في الأرض أو في الجبال أو في تلك الموزونات «مَعَايِشَ» ما يتوصل به إلى المعيشة

(١) في المصدر: «حصولها».

(٢) في المصدر: «بهذا البرهان القاهر».

(٤) التفسير الكبير ج ١٩ ص ١٢ - ١٣ ملخصاً ونقلًا بالمعنى، والآية من سورة إبراهيم: ٣٤.

(٥) سورة إبراهيم، آية: ٣٤.

(٦) سورة الحجر، آية: ١٩.

﴿وَمَنْ لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ عطف على محل ﴿لكم﴾^(١) أو على ﴿معاش﴾ أي وجعلنا لكم من لستم له برازقين وأراد بهم العيال والماليك والخدم الذين رازقهم في الحقيقة هو الله وحده لا الآباء والسادات والمخاديم ويدخل فيه بحكم التغليب غير ذوي العقول من الأنعام والدواب والوحوش والطيور كقوله ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾^(٢).
﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ﴾ الذي هو الغذاء الأصلي ﴿وَالزَّيْتُونَ﴾ الذي هو فاكهته من وجهه وغذاه من وجهه لكثرة ما فيه من الدهن ﴿وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ﴾ اللتين هما أشرف الفواكه ثم أشار إلى سائر الثمرات بقوله ﴿وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ قال الزمخشري إنما لم يقل وكل الثمرات لأن كلها لا تكون إلا في الجنة وقيل قدم الغذاء الحيواني في قوله سبحانه ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾^(٣) على الغذاء النباتي لأن النعمة فيه أعظم لأنه أسرع تشبها ببدن الإنسان وفي ذكر الغذاء النباتي قدم غذاء الحيوان وهو الشجر على غذاء الإنسان وهو الزرع وغيره بناء على مكارم الأخلاق وهو أن يكون اهتمام الإنسان بحال من تحت يده أكمل من اهتمامه بحال نفسه.
﴿وَمَا ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾^(٤) أي خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ فإن ذره هذه الأشياء على حاله اختلاف الألوان والأشكال مع تساوي الكل في الطبيعة الجسمية وفي تأثير الفلكيات فيها آية على وجود الصانع تعالى شأنه.

﴿رَوَاسِي﴾ أي جبالا ثوابت ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ أي كراهة أن تميد بكم وتضطرب ﴿وَأَنْهَارًا﴾ أي وجعل فيها أنهارا لأن ﴿الْقَى﴾ فيه معناه ﴿وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٥) لمقاصدكم أو إلى معرفة الله ﴿وَعَلَامَاتٍ﴾ أي معالم تستدل بها السابلة من جبل ومنهل وريح ونحو ذلك ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ بالليل في البراري والبحار ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ﴾ حيث يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكرها ﴿رَجِيمٌ﴾ لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعالكم بالعقوبة على كفرانها.
﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا﴾^(٦) قيل ما على الأرض المواليد الثلاثة المعادن والنباتات والحيوانات وأشرفها الإنسان وقيل لا يدخل المكلف فيه لأن ما على الأرض ليس زينة لها على الحقيقة وإنما هو لأهلها لغرض الابتلاء فالذي له الزينة يكون خارجا عن الزينة ﴿لِتَبْلُوهُمْ إِنَّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ في تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بالكفاف.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾^(٧) قال الرازي مالك لما في السماوات من ملك ونجم وغيرهما وملك لما في الأرض من المعادن والفلات وملك لما بينهما من الهواء وملك لما تحت الثرى فإن قيل الثرى هو السطح الأخير من العالم فلا يكون تحته شيء فكيف يكون الله تعالى مالكا له قلنا الثرى في اللغة هو التراب الندي فيحتمل أن تكون تحته شيء فهو إما الثور أو الحوت أو الصخرة أو البحر أو الهواء على اختلاف الروايات^(٨) انتهى.
وقال الطبرسي ره الثرى التراب الندي يعني وما وارى الثرى من كل شيء وقيل يعني ما في ضمن الأرض من الكنوز والأموات^(٩).

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾^(١٠) أي كالمهد تتمهدونها ﴿وَوَسَّلَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ أي وحصل لكم فيها سبلا بين الجبال والأودية والبراري تسلكونها من أرض إلى أرض لتبلغوا منافعها ﴿وَوَسَّرَ لَكُمُ السَّمَاءَ مَاءً﴾ أي مطرا ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ قيل عدل من لفظ الغيبة إلى التكلم على الحكاية لكلام الله تعالى تنبيها على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة وإيداناً بأنه مطاع تتقاد الأشياء المختلفة بمشيئته ﴿وَأَرْوَاغًا﴾ أي أصنافا ﴿مِنْ ثَبَاتٍ﴾ بيان وصفة ﴿لأزواج﴾ وكذلك ﴿الشتى﴾ ويحتمل أن يكون صفة للنبات فإنه من حيث إنه مصدر في الأصل يستوي فيه الواحد والجمع وهو جمع شتيت كمرريض ومرضى أي متفرقات في الصور والأعراض والمنافع يصلح بعضها للناس وبعضها للبهائم فلذلك قال ﴿كُلُوا وَارْزُقُوا أَنْعَامَكُمْ﴾^(١١) وهو حال من ضمير ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ على إرادة القول أي

(٢) سورة هود، آية: ٦.

(٤) سورة النحل، آية: ٥.

(٦) سورة الكهف، آية: ٧.

(٨) التفسير الكبير ج ٢٢ ص ٨.

(١٠) سورة طه، آية: ٥٣.

(١) سورة الحجر، آية: ٢٠.

(٣) سورة النحل، آية: ١١.

(٥) سورة النحل، آية: ١٥.

(٧) سورة طه، آية: ٦.

(٩) مجمع البيان ج ٢ ص ٢.

(١١) سورة طه، آية: ٥٤.



أخرجنا أصناف النبات قاتلين كُتُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ^(١) والمعنى معديها لاتنقاعكم بالأكل والعلف آذنين فيه ﴿وَأُولَئِي النُّهَى﴾ أي لذوي العقول الناهية عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح جمع نهية وعن الصادق عليه السلام نحن أولو النهي. و عن الباقر عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ خياركم أولو النهي قيل يا رسول الله ومن أولو النهي قال هم أولو الأخلاق الحسنة والأعلام الرزينة وصلة الأرحام والبررة بالأهمات والآباء والمتعهدون للفقراء والجيران واليتامى ويطعمون الطعام ويفشون السلام في العالم و يصلون والناس نيام غافلون.

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾^(٢) فإن التراب أصل خلقه أول آياتكم وأول مواد أبدانكم وسيأتي وجه آخر في الخبر إن شاء الله ﴿وَفِيهَا نُبِيدُكُمْ﴾ بالموت وتكبيك الأجزاء ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ بتأليف أجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الصور السابقة ورد الأرواح فيها.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ أي في الأرض أو في الرواسي ﴿فَجَاجًا سُبُلًا﴾ مسالك واسعة وإنما قدم ﴿فَجَاجًا﴾ وهو وصف له ليصير حالاً يدل على أنه حين خلقها كذلك أو ليدل منها ﴿سُبُلًا﴾ فيدل ضمناً على أنه خلقها وسعها للسابلة مع ما يكون فيه من التأكيد ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ إلى مصالحهم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ﴾^(٣) أي أو لم ينظروا في عجائبا ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ أي محمود كثير المنفعة وهو صفة لكل ما يحمد ويرضى قيل وها هنا يحتمل أن تكون مقيدة لما يتضمن الدلالة على القدرة وأن تكون مبينة منبهة على أنه ما من نبت إلا وله فائدة إما وحده أو مع غيره و ﴿كُلِّ﴾ لإحاطة الأزواج و ﴿كَمْ﴾ لكثرتها ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ أي في إثبات تلك الأصناف أو في كل واحد ﴿لَايَةً﴾ على أن منبتها تام القدرة والحكمة سابع النعمة والرحمة.

﴿أَنْتَرَكُونُ﴾^(٤) إنكار لأن يتركوا كذلك أو تذكير بالنعمة في تخليقه الله إياهم وأسباب تنعمهم آمين ثم فسر بقوله ﴿فِي جَبَاتٍ وَغُبُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَحْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾^(٥) أي لطيف لين للطف التمر أو لأن النخل أنثى وطلع إناث النخل اللطيف وهو يطلع منها كتصل السيف في جوفه شمراخ القنو أو متدل منكسر من كثرة الحمل ﴿فَارِهِينَ﴾ أي حاذقين أو بطرين ﴿حَذَائِقُ ذَاتَ نَهْجَةٍ﴾^(٦) أي ذات منظر حسن يبتهج به من رآه و لم يقل ذوات بهجة لأنه أراد تأنيث الجماعة و لو أراد تأنيث الأعيان لقال ذوات ﴿قَوْمٌ يَبْدُلُونَ﴾ أي يشركون بالله غيره ﴿قَرَارًا﴾ أي مستقراً لا تميل و لا تميد بأهلها ﴿وَجَعَلَ جَلَالُهَا﴾ أي في وسط الأرض وفي مسالكها ونواحيها ﴿أَنْهَارًا﴾ جارية ينبت بها الزرع ويحيي به الخلق ﴿وَجَعَلَ لَهَا زَوَاسِي﴾^(٧) أي ثوابت أثبتت بها الأرض ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ أي مانعاً من قدرته بين العذب والمالح فلا يختلط أحدهما بالآخر ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ قيل أي أجناسها أو أوصافها على أن كلا منها لها أصناف مختلفة أو هيأتها من الصفرة والخضرة ونحوها ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ﴾^(٨) أي ذو جدد و خطوط و طرائق يقال جدة الحمار للخططة السوداء على ظهره ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ بالشدة والضعف ﴿وَعَرَابِيْبٌ سُودٌ﴾ عطف على ﴿بَيْضٌ﴾ أو على ﴿جُدَدٌ﴾ كأنه قيل ومن الجبال ذو جدد مختلف اللون ومنها غرابيب متحدة اللون وهو تأكيد مضمير يفسره فإن الغريب تأكيد للأسود وحق التأكيد أن يتبع المؤكد ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ﴾ أي كاختلاف الثمار والجبال ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٩) إذ شرط الخشية معرفة المخشي والعلم بصفاته وأفعاله فمن كان أعلم به كان أخشى منه ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ تعليق لوجوب الخشية لدلالته على أنه معاقب للمصر على طغيانه غفور للثائب عن عصيانه.

﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾^(١٠) المراد جنس الحب ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ قيل قدم الصلة للدلالة على أن الحب معظم ما يؤكل ويعاش به ﴿مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾^(١١) أي من أنواع النخل والعنب ﴿مِنَ الْغُلُوبِ﴾ أي شيتا من العيون و ﴿مِنْ مَزِيدَةٍ﴾ عند الأفخش ﴿مِنْ ثَمَرَةٍ﴾ أي من ثمر ما ذكر و هو الجنات وقيل الضمير لله على طريقة الالتفات والإضافة إليه لأن الثمر مخلوقة ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾^(١٢) عطف على الثمر والمراد ما يتخذ منه العصير والدبس ونحوهما وقيل ﴿مَا﴾

(١) سورة طه، آية: ٥٥.

(٢) سورة الشعراء، آية: ١٤٦.

(٣) سورة النمل، آية: ٦٠.

(٤) سورة فاطر، آية: ٢٧.

(٥) سورة يس، آية: ٣٣.

(٦) سورة يس، آية: ٣٥.

(١) هكذا في المطبوعة بين معقوفتين.

(٣) سورة الشعراء، آية: ٧.

(٥) سورة الشعراء، آية: ١٤٧ - ١٤٨.

(٧) سورة النمل، آية: ٦١.

(٩) سورة فاطر، آية: ٢٨.

(١١) سورة يس، آية: ٣٤.

نافية والمراد أن الثمر بخلق الله لا بفعلهم ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ أمر بالشكر من حيث إنه إنكار لتركه ﴿خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ ^(١) أي الأنواع والأصناف ﴿مِمَّا تَنْبِتُ الْأَرْضُ﴾ من النبات والشجر ﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمُ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي أزواجاً مما لم يعلمهم الله عليه ولم يجعل لهم طريقاً إلى معرفته.

﴿تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ ^(٢) أي باسطة متظامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل ﴿هَاضِرَةً﴾ أي تحركت بالنبات ﴿وَرَبَّتْ﴾ أي انتفخت وارتفعت قبل أن تنبت وقيل اهتزت بالنبات وربت بكثرة ريعها ﴿وَمَا بَتْ﴾ عطف على السماوات أو الخلق ﴿مِنْ ذَاتِهِ﴾ قيل أي من حي على إطلاق اسم السبب على المسبب أو مما يدب على الأرض وما يكون في أحد الشيتين يصدق أنه فيهما في الجملة ﴿إِذَا بَشَأْهُ﴾ أي في أي وقت يشاء ﴿قَدِيرٌ﴾ متمكن منه.

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ ^(٣) بأن خلقها نافعة لكم ﴿مِنْهُ﴾ حال من ﴿مَا﴾ أي سخر هذه الأشياء كائنة منه أو خبر لمحذوف أي هي جميعاً منه أو لما في السماوات و﴿سَخَّرَ لَكُمُ﴾ تكرير للتأكيد أو لما في الأرض ﴿مِنْ كُلِّ رَوْحٍ يَهْبِجُ﴾ ^(٤) أي من كل صنف حسن ﴿لِكُلِّ عَجْدٍ مُنِيبٍ﴾ أي راجع إلى ربه متفكر في بدائع صنعه. ﴿وَالْأَرْضُ قَرْشَاهَا﴾ ^(٥) أي مهدناها ليستقروا عليها ﴿فَتَبْنُمُ الْمَاهِجُونَ﴾ أي نحن ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا رَوْحَيْنِ﴾ ^(٦) أي نوعين ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فتعلموا أن التعدد من خواص الممكنات وأن الواجب بالذات لا يقبل الانقسام والتعدد روي عن الرضا عليه السلام في خطبة طويلة قد تقدم في كتاب التوحيد مشروحا وبمصادته بين الأشياء عرف أن لا ضده وبمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له ضاد النور بالظلمة واليبس بالبلل والخشن باللين والصرد بالحرور مؤلفاً بين متعادياتها مفرقاً بين متدانياتها دالة بتفريقها على مفرقها وبتأليفها على مؤلفها وذلك قوله ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا رَوْحَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ^(٧)

﴿وَالْأَرْضُ وَضَعَهَا﴾ ^(٨) أي حفظها مدحوة ﴿لِلْأَنَامِ﴾ للخلق وقيل الأنام كل ذي روح ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ﴾ أي ضروب مما يتفكه به ﴿وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ ^(٩) هي أوعية التمر جمع كم أو كل ما يكتم أي يغطي من ليف وسعف وكفرى فإنه ينتفع به كالمكموم وكالجدع ﴿وَالْحَبُّ﴾ كالحنطة والشعير سائر ما يتغذى به ﴿ذُو الْقُصْفِ﴾ هو ورق النبات اليباس كالتين ﴿وَالزَّيْطَانُ﴾ يعني المشموم أو الرزق من قولهم خرجت أطلب ريحان الله وعن الرضا عليه السلام ﴿وَالْأَرْضُ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ قال للناس ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ قال يكبر ثمر النخل في القمع ثم يطلع منه قوله ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعُصْفِ وَالزَّيْطَانُ﴾ قال الحب الحنطة والشعير والحبوب والعصف التين والريحان ما يؤكل منه.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ^(١٠) المخاطبة للثقلين. وفي الحديث أنه في الباطن مخاطبة للأولين والمعنى فبأي النعمتين تكفران بمحمد أم بعلي وفي خبر آخر بالنبي أم بالوصي.

﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ ^(١١) قال الطبرسي ره وفي الأرض خلق مثلهم في العدد لا في الكيفية لأن كيفية السماء مخالفة لكيفية الأرض وليس في القرآن آية تدل على أن الأرضين سبع مثل السماوات إلا هذه الآية ولا خلاف في السماوات أنها سماء فوق سماء وأما الأرضون فقال قوم إنها سبع أرضين طباقاً بعضها فوق بعض كالسماوات لأنها لو كانت مصمتة لكانت أرضاً واحدة وفي كل أرض خلق خلقهم الله تعالى كيف شاء وروى أبو صالح عن ابن عباس أنها سبع أرضين ليس بعضها فوق بعض تفرق بينهما البحار وتظل جميعهن السماء والله سبحانه أعلم بصحة ما استأثر بعلمه واشتبه على خلقه. وقد روى العياشي بإسناده عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن عليه السلام قال بسط كفيه ثم وضع اليمنى عليها فقال هذه الأرض الدنيا والسماء الدنيا عليها قبة والأرض الثانية فوق سماء ^(١٢) الدنيا السماء الثانية فوقها قبة والأرض الثالثة فوق السماء الثانية والسماء الثالثة فوقها قبة حتى ذكر الرابعة والخامسة والسادسة فقال والأرض السابعة فوق السماء السادسة والسماء السابعة فوقها قبة وعرش الرحمن فوق السماء

- (١) سورة يس، آية: ٣٦.
(٢) سورة الجاثية، آية: ١٣.
(٣) سورة الذاريات، آية: ٤٨.
(٤) سورة الذاريات، آية: ٤٩.
(٥) سورة الرحمن، آية: ١٠.
(٦) سورة الرحمن، آية: ١١.
(٧) سورة الطلاق، آية: ١٢.
(٨) سورة فصلت، آية: ٣٩.
(٩) سورة ق، آية: ٧.
(١٠) سورة الذاريات، آية: ٤٩.
(١١) سورة الرحمن، آية: ١٠.
(١٢) سورة الرحمن، آية: ١٣.
(١٣) في المصدر: «السماء».

السابعة وهو قوله ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ (١) وإنما صاحب الأمر النبي ﷺ وهو على وجه الأرض وإنما ينزل (٢) الأمر من فوق من بين السموات والأرضين. فعلى هذا يكون المعنى تنزل الملائكة بأوامره إلى الأنبياء وقيل معناه ينزل (٣) الأمر بين السموات والأرضين من الله سبحانه بحياة بعض وموت بعض وسلامة حي وهلاك آخر وغنى إنسان وقر آخر وتصريف الأمور على الحكمة (٤) انتهى.

وقال الرازي قال الكلبي خلق سبع سماوات بعضها فوق بعض مثل القبة ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ في كونها طبقات (٥) متلاصقة كما هو المشهور أن الأرض ثلاث طبقات طبقة أرضية محضة وطبقة طينية وهي غير محضة وطبقة منكشفة بعضها في البر وبعضها في البحر وهي المعمورة ولا يبعد من قوله ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ كونها سبعة أقاليم على (٦) سبع سماوات وسبعة كواكب فيها وهي السيارة فإن لكل واحد من هذه الكواكب خواص تظهر آثار تلك الخواص في كل أقاليم الأرض فتصير سبعة بهذا الاعتبار فهذه هي الوجوه التي لا يابأها العقل وما عداها من الوجوه المنقولة من أهل التفسير فمما يابأها العقل مثل ما يقال السماوات السبع أولها موج مكفوف وثانيها سحر وثالثها حديد ورابعها نحاس وخامسها فضة وسادسها ذهب وسابعها ياقوت وقول من قال بين كل واحدة منها وبين الأخرى مائة عام (٧) وظل كل واحد منها كذلك كذلك غير معتبر عند أهل التحقيق ويمكن أن يكون أكثر من ذلك والله أعلم بأنه ما هو وكيف هو (٨) انتهى.

وأقول: وقد مر بعض الوجوه في الأرضين السبع في باب الهواء.

﴿لَتَنَلَكُمُوهُ﴾ علة الخلق أو يتنزل أو يعمها فإن كلا منهما يدل على كمال قدرته وعلمه.

﴿ذُلُّوْا﴾ قيل أي لينة فسهل لكم السلوك فيها ﴿فَأَمْسُوا فِي مَنَاجِبِهَا﴾ (٩) أي في جوانبها وجبالها وهو مثل لفرط التدليل فإن منكب البعير ينبو عن أن يطأه الراكب ولا يتدلل له فإذا جعل الأرض في الذل بحيث يمشي في مناكبها لم يبق شيء لم يتدلل ﴿وَكُلُّوْا مِنْ رِزْقِهِ﴾ أي والتمسوا من نعم الله ﴿وَلِلَّهِ الشُّكْرُ﴾ أي المرجع فيسألكم عن شكر ما أنعم عليكم ﴿بِسَاطِطٍ﴾ أي مبسوطة ليمكنكم المشي عليها والاستقرار فيها ﴿سُبُلًا فِجَاجًا﴾ أي طرقا واسعة وقيل طرقا مختلفة عن ابن عباس وقيل سبلا في الصحاري وفجاجا في الجبال.

﴿كَفَاتَا﴾ (١٠) قال الطبرسي ره كفت الشيء يكفته كفتا وكفاتا إذا ضمه ومنه الحديث اكنفوا صبيانك أي ضمهم إلى أنفسكم ويقال للوعاء كفت وكفيت قال أبو عبيد (١١) كفاتا أي أوعية والمعنى جعلنا الأرض كفاتا للعباد تكفتهم أحياء على ظهرها في دورهم ومنازلهم وتكفتهم أمواتا في بطنها أي تحوزهم وتضمهم وروي عن أمير المؤمنين (ع) أنه نظر إلى الجبانة فقال هذه كفات الأموات ثم نظر إلى البيوت فقال هذه كفات الأحياء. وقوله ﴿أَحْيَاءَ وَ أَمْوَاتًا﴾ أي منها ما ينبت ومنها ما لا ينبت فعلى هذا يكون أحياء وأمواتا نصبا على الحال وعلى القول الأول على المفعول به ﴿وَرُؤَسَى شَامِخَاتٍ﴾ (١٢) أي جبالا ثابتة عالية ﴿وَأَسْقِنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾ أي وجعلنا لكم سقيا من الماء العذب عن ابن عباس ﴿وَيُؤْتِي مِزْدًا لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (١٣) بهذه النعم وأنهما من جهة الله. (١٤)

﴿بِهَادًا﴾ (١٥) أي وطاء وقرارا ومهيا للتصرف فيه من غير أذية والمصدر بمعنى المفعول أو الحمل على المبالغة أو المعنى ذات مهاد ﴿وَوَحَلْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ (١٦) أي أشكالا كل واحد شكل للآخر أو ذكرانا وإناثا حتى يصح منكم التناسل ويتمتع بعضكم ببعض أو أصنافا أبيض وأسود وصغيرا وكبيرا إلى غير ذلك ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ (١٧) أي راحة ودعة لأجسادكم أو قطعاً لأعمالكم وتصرفكم أي سباتا ليس بموت على الحقيقة ولا مخرج عن الحياة

(٢) في المصدر: «يتنزل».

(٤) مجمع البيان ج ١٠ ص ٣١٠ - ٣١١.

(٦) في المصدر إضافة: «حسب».

(٨) التفسير الكبير ج ٣٠ ص ٣٩ - ٤٠.

(١٠) سورة المرسلات، آية: ٢٥.

(١٢) سورة المرسلات، آية: ٢٧.

(١٤) مجمع البيان ج ١٠ ص ٤١٧ ملخصا.

(١٦) سورة النبا، آية: ٨.

(١) سورة الطلاق، آية: ١٢.

(٣) في المصدر: «يتنزل».

(٥) في المصدر: «طباقا».

(٧) في المصدر: «خمسائة سنة».

(٩) سورة الملك، آية: ١٥.

(١١) في المصدر: «أبو عبيدة».

(١٣) سورة المرسلات، آية: ٢٨.

(١٥) سورة النبا، آية: ٦.

(١٧) سورة النبا، آية: ٩.

الإدراك ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾^(١) أي غطاء و ستره يستر كل شيء بظلمته و سواده ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾^(٢) أي مطلب معاش أو وقت معاشكم ﴿وَبَيَّنَّا فَوْقَكُمُ سَبْعًا شِدَادًا﴾^(٣) أي سبع سموات محكمة أحكمنا صنعها و أوثقنا بناءها ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾^(٤) يعني الشمس جعلها سبحانه سراجا للعالم وقادا متلألئا بالنور يستضيئون بها و قيل الوهج مجمع النور و الحر ﴿وَوَضَعْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾^(٥) أي من الرياح ذات الأعاصير و ذلك أن الرياح يستدر المطر و قيل المعصرات السحاب إذا أعصرت أي شارفت أن تعصرها الرياح فتعطر كقولهم أصدد الزرع أي حان له أن يحصد ﴿مَاءً تَجَّاجًا﴾ أي منصبا بكثرة ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَ نَبَاتًا﴾^(٦) فالحب كل ما تضمنه كمام الزرع الذي يحصد و النبات الكلا من الحشيش و الزروع و نحوها قيل حبا يأكله الناس و نباتا تنبتة الأرض مما تأكله الأنعام ﴿وَجَعَلْنَا الْفَأَاقِ﴾^(٧) أي بساتين ملتفة بالشجر أو بعضها ببعض و إنما سميت جنة لأن الشجر تجننها أي سترها.

﴿ذَابَ الصَّدْعُ﴾^(٨) أي ما يتصدع عنه الأرض من النبات أو الشق بالنبات و العيون.

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾^(٩) خلقا دالا على كمال قدرته و حسن تدبيره حيث خلقها لجر الثقال إلى البلاد النائية فجعلها عظيمة باركة للحمل ناهضة به مفادة لمن اقتادها طوال الأعنان لتنوء بالأوقار ترعى كل نابت و تحمل العطش إلى عشر فصاعدا ليتأني لها قطع البراري و المفاوز مع ما لها من منافع أخر فلذا خصت بالذكر و لأنها أعجب ما عند العرب من هذا النوع و قيل المراد بها السحاب على الاستعارة ﴿وَوَالِ السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾^(١٠) بلا عمد ﴿وَوَالِ الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾^(١١) فهي راسخة لا تميل ﴿وَوَالِ الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾^(١٢) أي بسطت حتى صارت مهادا ﴿وَمَا طَحَّاهَا﴾^(١٣) أي و من طحيها أو مصدرية و طحوها تسطيحها و بسطها.

١- الاحتجاج: عن هشام بن الحكم قال سأل الزنديق في ما سأل أباعبدالله عليه السلام فقال النهار قبل الليل فقال نعم خلق النهار قبل الليل والشمس قبل القمر والأرض قبل السماء ووضع الأرض على الحوت والحوت في الماء والماء في صخرة مجوفة والصخرة على عاتق ملك والملك على الثرى والثرى على الريح^(١٤) والريح على الهواء والهواء تمسكه القدرة وليس تحت الريح العقيم إلا الهواء والظلمات ولا وراء ذلك سعة ولا ضيق ولا شيء يتوهم ثم خلق الكرسي فحشاها السموات والأرض والكرسي أكبر من كل شيء خلق^(١٥) ثم خلق العرش فجعله أكبر من الكرسي^(١٦).

٢- تفسير علي بن إبراهيم: عن أبيه عن علي بن مهزيار عن علا المكفوف عن بعض أصحابه عن أبي عبدالله عليه السلام قال سئل عن الأرض على أي شيء هي قال^(١٧) الحوت فقيل له فالحوت على أي شيء هو قال على الماء فقيل له فالماء على أي شيء هو قال على الثرى قيل له فالثرى على أي شيء هو قال عند ذلك انقضى علم العلماء^(١٨).

٣- ومنه: عن محمد بن أبي عبد الله عن سهل بن زياد عن ابن محبوب عن جميل بن صالح عن أبان بن تغلب قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الأرض على أي شيء هي قال على الحوت قلت فالحوت على أي شيء هو قال على الماء قلت فالماء على أي شيء هو قال على الصخرة قلت فالصخرة على أي شيء هي قال على قرن ثور أملس قلت فعلى أي شيء الثور قال على الثرى قلت فعلى أي شيء الثرى فقال هيهات عند ذلك ضل علم العلماء^(١٩).

الكافي: عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن ابن محبوب مثله^(٢٠).

- | | |
|-----------------------------|---|
| (١) سورة النبأ: آية: ١٠. | (٢) سورة النبأ: آية: ١١. |
| (٣) سورة النبأ: آية: ١٢. | (٤) سورة النبأ: آية: ١٣. |
| (٥) سورة النبأ: آية: ١٤. | (٦) سورة النبأ: آية: ١٥. |
| (٧) سورة النبأ: آية: ١٦. | (٨) سورة الطارق: آية: ١٢. |
| (٩) سورة الغاشية: آية: ١٧. | (١٠) سورة الغاشية: آية: ١٨. |
| (١١) سورة الغاشية: آية: ١٩. | (١٢) سورة الغاشية: آية: ٢٠. |
| (١٣) سورة الشمس: آية: ٦. | (١٤) في المصدر إضافة: «العقيم». |
| (١٥) في المصدر: «خلق الله». | (١٦) الاحتجاج ج ٢ ص ٢٤٩ رقم ٢٢٣. |
| (١٧) في المصدر: «على». | (١٨) تفسير القمي ج ٢ ص ٥٨. |
| (١٩) تفسير القمي ج ٢ ص ٥٩. | (٢٠) الكافي ج ٧ ص ٨٩، حديث الحوت على أي شيء هو، رقم ٥٥. |

بيان: الأملس الصحيح الظهر و لعل المراد هنا أنه لم يلحقه من هذا الحمل دبر و جراحة في ظهره و في القاموس الثرى الندى و التراب الندى أو الذي إذا بل لم يصير طينا و الخير^(١) انتهى ضل علم العلماء أي غير المعصومين أو المراد بالعلماء هم و المعنى أنهم أمروا بكتمانه عن سائر الخلق فكأنه ضل علمهم عن الخلق و قد يقال المراد بالثرى هنا الخير الكامل يعني القدرة فإن استقرار جميع الأشياء على قدرة الله تعالى و قيل المراد بالثرى هنا ما هو منتهى الموجودات و لما كان تعقل النفي الصرف صعبا على الأفهام قال عند ذلك ضل علم العلماء لألف الناس بالأبعاد الفارة و جسم خلف جسم و لذا ذهب بعض المتكلمين إلى أبعاد موهومة غير متناهية و قالوا بالخلاء.

٤- التفسير: عن أبيه عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن الرضا^(ع) قال قلت لأخبرني عن قول الله ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْحُبُكِ﴾^(٢) فقال هي محبوك إلى الأرض و شبك بين أصابعه فقلت كيف تكون محبوك إلى الأرض و الله يقول ﴿رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾^(٣) فقال سبحان الله أليس يقول ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ قلت بلى فقال فثم عمد و لكن لا ترونها قلت كيف ذلك جعلني الله فداك قال فبسط كفه اليسرى ثم وضع اليمنى عليها فقال هذه أرض الدنيا و السماء الدنيا عليها فوقها قبة و الأرض الثانية فوق السماء الدنيا و السماء الثانية فوقها قبة و الأرض الثالثة فوق السماء الثانية و السماء الثالثة فوقها قبة و الأرض الرابعة فوقها قبة و السماء الخامسة فوق السماء الرابعة و السماء الخامسة فوقها قبة و الأرض السادسة فوق السماء الخامسة و السماء السادسة فوقها قبة و الأرض السابعة فوق السماء السادسة و السماء السابعة فوقها قبة و عرش الرحمن تبارك و تعالى فوق السماء السابعة و هو قول الله ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾^(٤) فأما صاحب الأمر فهو رسول الله ﷺ و الوصي بعد رسول الله ﷺ قائم هو على وجه الأرض فإنما ينزل الأمر إليه من فوق السماء من بين السماوات و الأرضين قلت فما تحتنا إلا أرض واحدة فقال ما تحتنا إلا أرض واحدة و إن الست لهن فوقنا.^(٥)

العياشي: عن الحسين بن خالد مثله.^(٦)

بيان: قال الفيروزآبادي الحُبُكُ الشد و الإحكام و تحسين أثر الصنعة في الثوب يحبكه و يحبكه فهو حبيك و محبوك و الحيك من السماء طرائق النجوم و التحبيك التوثيق و التخطيط^(٧) انتهى فالمراد بكونها محبوك أنها متصلة بالأرض معتمدة عليها و أن كل سماء على كل أرض كالقبة الموضوعة عليها و لما كان هذا ظاهرا مخالفا للحس و العيان فيمكن تأويله بوجهين أولهما و هو أقربهما و أوفقهما للشواهد العقلية أن يكون المراد بالأرض ما سوى السماء من العناصر و يكون المراد نفي توهم أن بين السماء و الأرض خلا بل هو مملو من سائر العناصر و المراد بالأرضين السبع هذه الأرض و ستة من السماوات التي فوقنا فإن الأرض ما يستقر عليه الحيوانات و سائر الأشياء و السماء ما يظلم و يكون فوقهم فسطح هذه الأرض أرض لنا و السماء الأولى سماء لنا تطلنا و السطح المحدث للسماء الأولى أرض للملائكة المستقرين عليها و السماء الثانية سماء لهم و هكذا محدب كل سماء أرض لما فوقها و مقعر السماء الذي فوقها سماء بالنسبة إليها إلى السماء السابعة فإنها سماء و ليست بأرض و الأرض التي نحن عليها أرض و ليست بسماء و السماوات الستة الباقية كل منها سماء من جهة و أرض من جهة و ثانيهما أن يكون المعنى أن السماوات سبع كرات في جوف كل سماء أرض و ليست السماوات بعضها في جوف بعض كما هو المشهور بل بعضها فوق بعض معتمدا بعضها على بعض فالمراد بقوله ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ أي مع الأرض أو إلى أن ينتهي إلى هذه الأرض التي نحن عليها قوله ﷺ فأما صاحب الأمر أي الذي ينزل هذا الأمر إليه.

(٢) سورة الذاريات، آية: ٧.

(٤) سورة الطلاق، آية: ١٢.

(٦) تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٠٣، حديث ٣.

(١) القاموس المحيط ج ٤ ص ٣٠٩.

(٣) سورة الرعد، آية: ٢.

(٥) تفسير القمي ج ٢ ص ٣٢٨.

(٧) القاموس المحيط ج ٣ ص ٣٠٧.

٥- العيون: و العلل، في خبر الشامي أنه سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن الأرض مم خلق قال من زبد الماء. ^(١)

٦- العياشي: عن الخطاب الأعور رفعه إلى أهل العلم والفقه من آل محمد عليهم السلام قال «وَوَيْ فِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِزَاتٌ» يعني هذه الأرض الطيبة يجاورها هذه المالحة وليست منها كما يجاور القوم القوم وليسوا منهم. ^(٢)

٧- الاختصاص: عن ابن عباس سأل ابن النبي صلى الله عليه وآله ما الستون قال الأرض لها ستون عرقا والناس خلقوا على ستين لونا. ^(٣)

٨- معاني الأخبار: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن القاسم بن محمد الأصهباني عن سليمان بن داود المقرئ عن حماد بن عيسى عن أبي عبد الله عليه السلام أنه نظر إلى المقابر فقال يا حماد هذه كفات الأموات ونظر إلى البيوت فقال هذه كفات الأحياء ثم تلا «وَالَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءَ وَآمُوتًا» ^(٤) وروي أنه دفن الشعر والظفر. ^(٥)

٨٢
٦٠

بيان: لعل المعنى أن دفن الشعر والظفر في الأرض لما كان مستحبا فهذا أيضا داخل في كفات الأحياء أو في كفات الأموات لعدم حلول الحياة فيها والأول أظهر.

٩- العيون: عن المفسر بإسناده إلى أبي محمد العسكري عن أبياته عن علي بن الحسين عليه السلام في قوله عز وجل «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً» ^(٦) قال جعلها ملائمة لطباعكم موافقة لأجسادكم ولم يجعلها شديدة الحمى والحرارة فتحرقكم ولا شديدة البرودة فتجمدكم ولا شديدة طيب الريح فتصدع هاماتكم ولا شديدة التشنج فتعطبكم ولا شديدة اللين الكأماء فتغرقكم ولا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم في دوركم وأبنيتكم وقبور موتاكم ولكنه عز وجل جعل فيها من المتانة ما تتنفعون به وتماسك [تماسعون] ^(٧) عليها أبدانكم وبنياتكم وجعل فيها ما تنقاد به لدوركم وقبوركم وكثير من منافعكم فذلك «جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا» ثم قال «وَالسَّمَاءَ بِنَاءً» سقفا محفوظا من فوقكم يدير فيها شمسها وقمرها ونجومها لمنافعكم ثم قال عز وجل «وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» يعني المطر ينزله من علي ليلبغ قلل جبالكم وتلالكم وهضابكم وأهادكم ثم فرقه رذاذا وإبلا وهطلا وطلا لتشفه أروضكم ولم يجعل ذلك المطر نازلا عليكم قطعة واحدة فيفسد أروضكم وأشجاركم وزروعكم وثماركم ثم قال عز وجل «فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ» يعني مما يخرج من الأرض رزقا لكم «فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا» أي أشياها وأمثالا من الأصنام التي لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر ولا تقدر على شيء «وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» أنها لا تقدر على شيء من هذه النعم الجليلة التي أنعمها عليكم ربكم تبارك وتعالى. ^(٨)

الاحتجاج: بالإستناد إلى أبي محمد عليه السلام مثله. ^(٩)

٨٢
٦٠

تفسير الإمام: عليه السلام مثله. ^(١٠)

بيان: «فتصدع» على بناء التفعيل من الصداع وأعطيه أهلكه ^(١١) والرياح كسحاب المطر الضعيف أو الساكن الدائم الصغار القطر كالغيار ^(١٢) والوالب المطر الشديد الضخم ^(١٣) والهطل المطر الضعيف الدائم ^(١٤) والطل المطر الضعيف أو أخف المطر ^(١٥) وأضعفه والتدى أو فوقه ودون المطر كل ذلك ذكره الفيروزآبادي.

١٠- التوحيد: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن إبراهيم بن هاشم وغيره عن خلف بن حماد عن الحسن بن زيد الهاشمي عن أبي عبد الله عليه السلام قال جاءت زينب العطاره الحولاء إلى نساء رسول الله وبناته وكانت تبكي عنهن منهنظر

٨٤
٦٠

(١) عيون الأخبار ج ١ ص ٢٤١، وعلل الشرائع ص ٥٩٢ باب ٣٨٥، حديث ٤٤.

(٢) تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٠٣، حديث ٤.

(٣) الاختصاص ص ٤٨.

(٤) سورة المرسلات، آية: ٢٥ - ٢٦.

(٥) معاني الأخبار ص ٣٤٢ باب معنى الكفات، حديث ١.

(٦) سورة البقرة، آية: ٢٢.

(٧) من المصدر.

(٨) عيون الأخبار ج ١ ص ١٣٧.

(٩) تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص ١٤٢، حديث ٧٢.

(١٠) لم نثر عليه في القاموس المحيط، وعثرنا عليه في الصحاح ج ١ ص ١٨٤.

(١١) القاموس المحيط ج ١ ص ٣٧٦.

(١٢) القاموس المحيط ج ٤ ص ٧٠.

(١٣) القاموس المحيط ج ٤ ص ٧٠.

(١٤) القاموس المحيط ج ٤ ص ٧٠.

فدخل رسول الله ﷺ و هي عندهن فقال إذا أتيتنا طابت بيوتنا فقالت بيوتك بريحك أطيب يا رسول الله فقال إذا بعث فاحشي^(١) ولا تغشي فإنه أتقى وأبقى للمال فقالت ما جئت لشيء^(٢) من بيعي وإنما جئتك أسألك عن عظمة الله قال جل جلاله سأحدثك عن بعض ذلك ثم قال إن هذه الأرض بمن فيها ومن عليها عند التي تحتها كحلقة ملقاة^(٣) في فلاة قي و هاتان ومن فيهما ومن عليهما عند التي تحتها كحلقة في فلاة قي و الثالثة حتى انتهى إلى السابعة ثم تلا هذه الآية «خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ»^(٤) و السبع و من فيهن و من عليهن على ظهر الديك كحلقة في فلاة قي و الديك له جناح بالشرق و جناح بالمغرب و رجلاه في التخوم و السبع و الديك بمن فيه و من عليه على الصخرة كحلقة في فلاة قي و السبع و الديك و الصخرة بمن فيها و من عليها على ظهر الحوت كحلقة في فلاة قي و السبع و الديك و الصخرة و الحوت عند البحر المظلم كحلقة في فلاة قي و السبع و الديك و الصخرة و الحوت و البحر المظلم عند الهواء كحلقة في فلاة قي و السبع و الديك و الصخرة و الحوت و البحر المظلم و الهواء عند الثرى كحلقة في فلاة قي ثم تلا هذه الآية «لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى»^(٥) ثم انقطع الخبر و السبع و الديك و الصخرة و الحوت و البحر المظلم و الهواء و الثرى بمن فيه و من عليه عند السماء الأولى كحلقة في فلاة قي و هذا و السماء الدنيا و من فيها و من عليها عند التي فوقها كحلقة في فلاة قي و هاتان السماوان عند الثالثة كحلقة في فلاة قي و هذا و هذه الثلاث عند الرابعة بمن فيهن و من عليهن كحلقة في فلاة قي حتى انتهى إلى السابعة و هذه السبع و من فيهن و من عليهن عند البحر المكفوف عن أهل الأرض كحلقة في فلاة قي و السبع و البحر المكفوف عند جبال البرد كحلقة في فلاة قي ثم تلا هذه الآية «وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ»^(٦) و هذه السبع و البحر المكفوف و جبال البرد عند حجب النور كحلقة في فلاة قي و هو سبعون ألف حجاب يذهب نورها بالابصار و هذا و السبع و البحر المكفوف و جبال البرد و الهواء و الحجب عند الهواء الذي تحار فيه القلوب كحلقة في فلاة قي و السبع و البحر المكفوف و جبال البرد و الهواء و الحجب في الكرسي كحلقة في فلاة قي ثم تلا هذه الآية «وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ»^(٧) و هذه السبع و البحر المكفوف و جبال البرد و الهواء و الحجب و الكرسي عند العرش كحلقة في فلاة قي ثم تلا هذه الآية «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى»^(٨) ما تحمله الأملاك إلا بقول لا إله إلا الله و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم^(٩)

الكافي: عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن عبد الرحمن بن أبي نجران عن صفوان عن خلف بن حماد مثله^(١٠)
 بيان: «فإنه أتقى» أي أقرب إلى التقوى و أنسب بها أو أحفظ لصاحبه عن مفسد الدنيا الآخرة و قال الجوهري الفلاة المفازة^(١١) و قال القي بالكسر و التشديد فعل من القواء و هي الأرض القفر الخالية^(١٢) و قال التخم منتهى كل قرية أو أرض يقال فلان على تخم من الأرض و الجمع تخوم^(١٣)
 قوله ﷺ ثم انقطع الخبر و في الكافي عند الثرى و المعنى أنا لم نخبر به أو لم نؤمر بالإخبار به قوله المكفوف عن أهل الأرض أي ممنوع عنهم لا ينزل منه ماء إليهم و في الكافي بعد قوله «وَمِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ» هكذا و هذه السبع و البحر المكفوف و جبال البرد عند الهواء الذي تحار فيه القلوب كحلقة في فلاة قي و هذه السبع و البحر المكفوف و جبال البرد و الهواء عند حجب النور كحلقة في فلاة قي و هذه السبع و البحر المكفوف و جبال البرد و الهواء و حجب النور كحلقة في فلاة قي و هذه السبع و البحر المكفوف و جبال البرد و الهواء و حجب النور عند الكرسي إلى قوله و تلا هذه الآية «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى» ثم قال و في رواية الحسن الحجب قبل الهواء الذي تحار فيه القلوب أي كانت الرواية في كتاب الحسن بن محبوب هكذا موافقا لما نقله الصدوق.
 ثم اعلم أن الخبر يدل على أن الأرضين طبقات بعضها فوق بعض و قد يستشكل فيما اشتمل عليه

(١) في المصدر: «فأحشي». (٢) في المصدر: «بشيء». (٣) في المصدر: «كحلقة في فلاة». (٤) سورة الطلاق، آية: ١٢. (٥) سورة طه، آية: ٦. (٦) سورة البقرة، آية: ٢٥٥. (٧) التوحيد ص ٢٧٥ باب ٣٨، حديث ١، و ما بين المعقوفتين ليست فيه. (٨) الكافي ج ٨ ص ١٥٣، حديث زينب الطاطرة رقم ٤٤٣. (٩) الكافي ج ٨ ص ٢٤٥٩. (١٠) الكافي ج ٨ ص ١٥٣، حديث زينب الطاطرة رقم ٤٤٣. (١١) الصحاح ج ٤ ص ٢٤٥٩. (١٢) الصحاح ج ٤ ص ١٨٧٧.

هذا الخبر من أن الأرضين السبع والديك والصخرة والحوث والبحر العظم والهواء والثرى عند السماء الأولى كحلقة في فلاة في فدل على أن جميع ذلك ليس لها قدر محسوس عند ذلك القمر مع أن الأرض وحدها لها قدر محسوس عنده بدلالة الخسوف واختلاف المنظر وغير ذلك مما علم في الأبعاد والأجرام وقد يجاب عن ذلك بأنه لما لم يمكن أن تحمل النسب التي ذكرت بين هذه الموجودات في هذا الحديث على النسب المقدرية التي اعتبر مثلها بين الحلقة والفلاة اللتين هما المشبه بهما في جميع المراتب فإنه خلاف ما دل عليه العقول الصحيحة السليمة بعد التأمل في البراهين الهندسية والحسابية التي لا يحوم حولها الشك أصلا ولا تعتبرها الشبهة قطعا فيمكن أن يأول ويحمل على أن المعنى أن نسبة الحكم والمصالح المرعية في خلق كل من تلك المراتب إلى ما روعي فيما ذكر بعده كنسبة مقدار الحلقة إلى الفلاة ليدل على أن ما يمكننا أن نشاهده أو ندرك من آثار صنعه وعجائب حكمته في الشواهد ليس له نسبة محسوسة إلى أدنى ما هو محبوب عنا فكيف إلى ما فوقه وأجاب آخرون بأن المعنى ارتفاع ثقل كل من تلك الموجودات عما اتصل به فالطبقة الأولى من الأرض رفع الله ثقلها عن الطبقة الثانية فليس ثقلها عليها إلا كثقل حلقة على فلاة سواء كانت أكبر منها حجما أو أصغر وأقول على ما احتملنا سابقا من كون جميع الأفلاك أجزاء من السماء الدنيا داخلة فيها كما هو ظاهر الآية الكريمة يمكن حمل هذا التشبيه على ظاهره من غير تأويل والله يعلم حقائق الموجودات.

١١- توحيد المفضل: قال قال الصادق عليه السلام فكر يا مفضل فيما خلق الله عز وجل عليه هذه الجواهر الأربعة ليتسع ما يحتاج إليه منها فمن ذلك سعة هذه الأرض وامتدادها فلو لا ذلك كيف كانت تتسع لمساكن الناس ومزارعهم ومرابعهم ومنايت أخشابهم وأطبايهم والعقاير العظيمة والمعادن الجسيمة غناؤها ولعل من ينكر هذه الفلوات الخالية^(١) والقفار الموحشة يقول ما المنفعة فيها فهي مأوى هذه الوحوش ومحالها ومرعاه^(٢) ثم فيها بعد متنافس ومضطرب للناس إذا احتاجوا إلى الاستبدال بأوطانهم وكم يبداء وكم دفدفت حالات قصورا وجناتا بانتقال الناس إليها وحلولهم فيها ولو لا سعة الأرض فساحتها لكان الناس كمن هو في حصار ضيق لا يجد مندوحة عن وطنه إذا أحزنه أمر يضطره إلى الانتقال عنه ثم فكر في خلق هذه الأرض على ما هي عليه حين خلقت راتبة راکنة فيكون موطنها مستقرا للأشياء فيتمكن الناس من السعي عليها في مآربهم والجلوس عليها لراحتهم والنوم لهدوتهم والإتيان لأعمالهم فإنها لو كانت رجراجة متكئة^(٣) لم يكونوا يستطيعون أن يتقنوا البناء والتجارة والصناعة وما أشبه ذلك بل كانوا لا يتهنئون بالعيش والأرض ترجع من تحتهم واعتبر ذلك بما يصيب الناس حين الزلازل على قلة مكنتها حتى يصيروا إلى ترك منازلهم والهرب عنها فإن قال قائل فلم صارت هذه الأرض تزلزل قيل له إن الزلزلة وما أشبهها موعظة وتهييب يرهب بها الناس ليرعوا^(٤) عن المعاصي وكذلك ما ينزل بهم من البلاء في أبدانهم وأموالهم يجري في التدبير على ما فيه صلاحهم واستقامتهم ويدخل لهم إن صلحوا من الثواب والعوض في الآخرة ما لا يعدله شيء من أمور الدنيا وربما عجل ذلك في الدنيا إذا كان ذلك في الدنيا صلاحا للعامة والخاصة ثم إن الأرض في طباعها الذي طبعها الله عليه باردة يابسة وكذلك الحجارة وإنما الفرق بينها وبين الحجارة فضل ييس في الحجارة أفرايت لو أن اليبس أفرط على الأرض قليلا حتى تكون حجرا صلدا أكانت تنبت هذا النبات الذي به حياة الحيوان وكان يمكن بها حرث أو بناء أفلا ترى كيف نقصت عن^(٥) ييس الحجارة وجعلت على ما هي عليه من اللين والرخاوة وليتها للاعتماد ومن تدبير الحكيم جل وعلا في خلقه الأرض أن مهب الشمال أرفع من مهب الجنوب فلم يجعل الله عز وجل كذلك إلا لتتحد المياه على وجه الأرض فتسقيها وترويه ثم يفيض آخر ذلك إلى البحر فكما يرفع أحد جانبي السطح ويخفض الآخر لينحدر الماء عنه ولا تقوم عليه كذلك جعل مهب الشمال أرفع من مهب الجنوب لهذه العلة بعينها ولو لا ذلك لبقى الماء متحيرا على وجه الأرض فكان يمنع الناس من أعمالها ويقطع الطرق والمسالك ثم الماء لو لا كثرته وتدفعه في العيون والأودية والأنهار لضاق عما يحتاج الناس إليه

(١) في المصدر: «الخالية» بدل «الخالية».

(٢) في المصدر: «متكئة».

(٣) في المصدر: «من» بدل «عن».

(٤) في المصدر: «مرعاه».

(٥) في المصدر: «إضافة» بدل «يزرع».

لشربهم و شرب أنعامهم و مواشيهم و سقي زروعهم و أشجارهم و أصناف غلاتهم و شرب ما يرد من الوحوش و الطير و السباع و تنقلب فيه الحيتان و دواب الماء و فيه منافع أخر أنت بها عارف و عن عظم موقعها غافل فإنه سوى الأمر الجليل المعروف من^(١) غنائه في إحياء جميع ما على الأرض من الحيوان و النبات يمزج بالأشربة فتلين^(٢) و تطيب لشاربها و به تنظف الأبدان و الأمتعة من الدرن الذي يفساها و به يبل التراب فيصلح للاعمال و به نكف^(٣) عادية النار إذا اضطربت و أشرف الناس على المكروه و به يستحم المتعب الكلال فيجد الراحة من أوصابه إلى أشباه هذا من المآرب التي تعرف عظم موقعها في وقت الحاجة إليها فإن شككت في منفعة هذا الماء الكثير المتراكم في البحار و قلت ما الإرب فيه فاعلم أنه مكتنف و مضطرب ما لا يحصى من أصناف السمك و دواب البحر و معدن اللؤلؤ و الياقوت و العنبر و أصناف شتى تستخرج من البحر و في سواحلها منابت العود اليلنجوج و ضروب من الطب و العقاقير ثم هو بعد مركب الناس^(٤) و محل لهذه التجارات التي تجلب من البلدان البعيدة كمثل ما يجلب من الصين إلى العراق و من العراق إلى العراق فإن هذه التجارات لو لم يكن لها محل إلا على الظهر لبارت^(٥) و بقيت في بلدانها و أيدي أهلها لأن أجر حملها كان يجاوز أثمانها فلا يتعرض أحد لحملها و كان يجتمع في ذلك أمران أحدهما فقد أشياء كثيرة تعظم الحاجة إليها و الآخر انقطاع معاش من يحملها و يتعيش بفضلها و هكذا الهواء لو لا كثرته و سعته لا اختنق هذا الأنام من الدخان و البخار التي^(٦) يتحير فيه و يعجز عما يحول إلى السحاب و الضباب أولاً و لا و قد تقدم من صفته ما فيه كفاية.

والتار أيضاً كذلك فإنه لو كانت مبنوثة كالنسيم و الماء كانت تحرق العالم و ما فيه و لم يكن بد من ظهورها في الأحايين لغنائها في كثير من المصالح فجعلت كالمخزونة في الأخشاب تلتبس عند الحاجة إليها و تمسك بالمادة و الحطب ما احتيج إلى بقائها لئلا تخبوأ فلا هي تمسك بالمادة و الحطب فتقطع المبنوثة في ذلك و لا هي تظهر مبنوثة فتحرق كلما هي فيه بل هي على تهيئة و تقدير اجتمع فيها الاستمتاع بمنافعها و السلامة من ضررها ثم فيها خلة أخرى و هي أنها مما خص به الإنسان دون جميع الحيوان لما له فيها من المصلحة فإنه لو فقد النار لعظم ما يدخل عليه من الضرر في معاشه فأما البهائم فلا تستعمل النار و لا تستمتع بها و لما قدر الله عز و جل أن يكون هذا هكذا خلق للإنسان كفا و أصابع مهياة لفتح النار و استعمالها و لم يعط البهائم مثل ذلك لكنها أغنيت بالصبر على الجفاء و الخلل في المعاش لئلا ينالها في فقد النار ما ينال الإنسان^(٧) و أنبتك من منافع النار على خلة صغيرة عظيم موقعها و هي هذا الصباح الذي يتخذ الناس فيقضون به حوائجهم ما شاءوا من ليهم و لو لا هذه الخللة لكان الناس تصرف أعمارهم بمنزلة من في القبور فمن كان يستطيع أن يكتب أو يحفظ أو ينسج في ظلمة الليل و كيف كانت حال من عرض له وجع في وقت من أوقات الليل فاحتاج إلى أن يعالج ضمادا أو سوفوا أو شيئا يستشفى به فأما منافعها في نضج الأطعمة و دفء الأبدان و تجفيف أشياء و تحليل أشياء و أشياء ذلك فأكثر من أن تحصى و أظهر من أن تخفى.^(٨)

تبيان: العقاقير أصول الأدوية و الفناء بالفتح المنفعة و الخاوية الخالية و القدف القلاة و المكان الصلب الغليظ و المرتفع و الأرض المستوية و الفسحة بالضم السعة و يقال لي عن هذا الأمر مندوحة و مندوح أي سعة و حربه أمر أي أصابه و الراتبة الثابتة و الراكنة الساكنة و هدأ هدأ و هدوءا سكن و قوله ﷺ رجراة أي متزلزلة متحركة و التكفي الانقلاب و التمايل و التحريك و الارتجاج الاضطراب و الارعواء الرجوع عن الجهل و الكف عن القبيح و الصلد و يكسر الصلب الأملس قوله ﷺ إن مهب الشمال أرفع أي بعد ما خرجت الأرض من الكروية الحقيقية صار ما يلي الشمال منها في أكثر المعمورة أرفع مما يلي الجنوب و لذا ترى أكثر الأنهار كدجلة و الفرات و غيرها تجري من الشمال إلى الجنوب و لما كان الماء الساكن في جوف الأرض تابعا للأرض في ارتفاعه و انخفاضه فلذا صارت العيون المنفجرة تجري هكذا من الشمال إلى الجنوب حتى تجري على وجه الأرض و لذا حكموا بقوة الشمال على الجنوب في حكم اجتماع البئر و البالوعة و إذا

(١) في المصدر: إضافة: «عظيم».

(٢) في المصدر: «فتلذ» بدل «فتلين».

(٣) في المصدر: «لنأس».

(٤) في المصدر: «الذي».

(٥) توحيد المفضل ص ١٤٢ - ١٤٨.

(٦) في المصدر: إضافة: «عظيم».

(٧) في المصدر: «فصلح للأعمال» و به يكف.

(٨) بار السوق أو السلعة: كسدت.

(٩) في المصدر إضافة: «عند قددها».

تأملت فيما ذكرنا يظهر لك ما بينه ﷺ من الحكم في ذلك وأنه لا يتنافى كروية الأرض والتدفق
التصبيب قوله ﷺ فإنه سوى الأمر الجليل الضمير راجع إلى الماء وهو أسم إن ويزج خبره أي
للماء سوى النفع الجليل المعروف وهو كونه سببا لحياة كل شيء منافع أخرى منها أنه يمزج مع
الأشربة وقال الجوهرى الحميم الماء الحار وقد استحمت إذا اغتسلت به ثم صار كل اغتسال
استحماما بأي ماء كان^(١) انتهى والوصب محرقة المرض والمكتفب بفتح النون من الكفب بمعنى
الحفظ والإحاطة واكتشفه أي أحاط به ويظهر منه أن نوعا من الباقوت يتكون في البحر وقيل
أطلق على المرجان مجازا ويحتمل أن يكون المراد ما يستخرج منه بالفوص وإن لم يتكون فيه و
اليلنجوج عود البخور ومن العراق أي البصرة إلى العراق أي الكوفة أو بالعكس قوله ﷺ ويعجز أي
لو لا كثرة الهواء لعجز الهواء عما يستحيل الهواء إليه من السحاب والضباب التي تتكون من الهواء
أولا أولا أي تدريجا أي كان الهواء لا يفي بذلك أو لا يتسع لذلك والضباب بالفتح ندى كالقيم أو
سحاب رقيق كال دخان والأحايين جمع أحيان وهو جمع حين بمعنى الدهر والزمان قوله ﷺ فلا
هي تمسك بالمادة والحطب أي دائما بحيث إذا انطفت لم يمكن إعادتها والمادة الزيادة المتصلة و
المراد هنا الدهر ومثله ودفاء الأبدان بالكسر دفع البرد عنها.

١٢- الدر المنثور: سئل عن ابن عباس هل تحت الأرض خلق قال نعم ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾^(٢)

١٣- وعن قتادة في قوله ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾^(٣) قال في كل سماء وكل أرض خلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه^(٤)

١٤- وعن مجاهد في قوله ﴿يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ قال من السماء السابعة إلى الأرض السابعة ملفوفة^(٥)

١٥- وعن الحسن في الآية قال بين كل سماء وأرض خلق وأمر^(٦)

١٦- وعن ابن جريح قال بلغني أن عرض كل سماء^(٧) مسيرة خمسمائة سنة وأن بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة وأخبرت أن الريح بين الأرض الثانية والثالثة والأرض السابعة فوق الثرى واسمها تخوم وأن أرواح الكفار فيها^(٨) فإذا كان يوم القيامة ألقنهم إلى برهوت والثرى فوق الصخرة التي قال الله ﴿في صخرة﴾^(٩) والصخرة على الثور له قرنان وله ثلاث قوائم يتلعب ماء الأرض كلها يوم القيامة والثور على الحوت وذنب الحوت عند رأسه مستدير تحت الأرض السفلى وطرفاه منعقدان تحت العرش ويقال الأرض السفلى عمد بين قرني الثور^(١٠) ويقال بل على ظهره واسمها يهيموت^(١١) وأخبرت أن عبد الله بن سلام سأل النبي ﷺ على ما^(١٢) الحوت قال على ماء أسود وما أخذ منه الحوت إلا كما أخذ حوت من حيتانكم من بحر من هذه البحار وحدث أن إبليس يغفل إلى الحوت فيعظم^(١٣) له نفسه وقال ليس خلق بأعظم منك عز^(١٤) ولا أقوى منك^(١٥) فوجد الحوت في نفسه فتحرك فمته تكون الزلزلة إذا تحرك فبعث الله حوتا صغيرا فأسكنه في أذنه فإذا ذهب يتحرك تحرك الذي في أذنه فيسكن^(١٦)

١٧- وعن ابن عباس في قوله ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾^(١٧) قال سبع أرضين في كل أرض نبي كتيبكم وآدم لك آدم ونوح كنوح وإبراهيم كإبراهيم وعيسى كعيسى^(١٨)

١٨- وعن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ إن الأرضين بين كل أرض والتي تليها مسيرة خمسمائة عام والعليا

(١) الصحاح ج ٤ ص ١٩٠٤.

(٢) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٣٨.

(٣) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٣٨.

(٤) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٣٨.

(٥) في المصدر: «أرض».

(٦) في المصدر: «أرض».

(٧) في المصدر: «أرض».

(٨) في المصدر: «أرض».

(٩) في المصدر: «أرض».

(١٠) في المصدر: «أرض».

(١١) في المصدر: «أرض».

(١٢) في المصدر: «أرض».

(١٣) في المصدر: «أرض».

(١٤) في المصدر: «أرض».

(١٥) في المصدر: «أرض».

(١٦) في المصدر: «أرض».

(١٧) في المصدر: «أرض».

(١٨) في المصدر: «أرض».

(١٩) في المصدر: «أرض».

(٢٠) في المصدر: «أرض».

(٢١) في المصدر: «أرض».

(٢٢) في المصدر: «أرض».

(٢٣) في المصدر: «أرض».

(٢٤) في المصدر: «أرض».

(٢٥) في المصدر: «أرض».

(٢٦) في المصدر: «أرض».

(٢٧) في المصدر: «أرض».

(٢٨) في المصدر: «أرض».

(٢٩) في المصدر: «أرض».

(٣٠) في المصدر: «أرض».

(٣١) في المصدر: «أرض».

(٣٢) في المصدر: «أرض».

(٣٣) في المصدر: «أرض».

(٣٤) في المصدر: «أرض».

(٣٥) في المصدر: «أرض».

(٣٦) في المصدر: «أرض».



منها على ظهر حوت قد التقى طرفاه في السماء والحوث على صخرة وصخرة بيد ملك والثانية مسجن الريح فلما أراد الله أن يهلك عاداً أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحاً يهلك عاداً فقال يا رب أرسل عليهم من الريح قدر منخر الثور فقال له الجبار إذن تكفأ الأرض ومن عليها ولكن أرسل عليهم بقدر خاتم فهي التي قال الله في كتابه ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرَّيْمِ﴾^(١) والثالثة فيها حجارة جهنم والرابعة فيها كبريت جهنم فقالوا يا رسول الله للتلل كبريت قال نعم والذي نفسي بيده إن فيها لأودية من كبريت لو أرسل فيها الجبال الرواسي لساعت وال خامسة فيها حيات جهنم إن أفواها كالأودية تسلع الكافر اللسعة فلا يبقى منه لحم على وضم والسادسة فيها عقارب جهنم إن أدنى عقربة منها كالبالغال المؤكفة تضرب الكافر ضربة ينسيه ضربها حر جهنم والسابعة فيها سقر فيها إبليس مصفد بالحديد يد أمامه ويد خلفه فإذا أراد الله أن يطلقه لما يشاء أطلقه.^(٢)

١٩- وعن أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ كنف الأرض مسيرة خمسمائة عام والثانية^(٣) مثل ذلك وما بين كل أرض^(٤) أرضين مثل ذلك.^(٥)

٢٠- وعن ابن عباس قال سيد السماوات السماء التي فيها العرش وسيد الأرضين الأرض التي نحن فيها.^(٦)

٢١- وعن كعب قال الأرضون السبع على صخرة والصخرة في كف ملك والملك على جناح الحوت والحوث في الماء^(٧) على الريح والريح على الهواء ريح عقيم لا تلقح وإن قرونها معلقة بالعرش.^(٨)

٢٢- وعن أبي مالك قال الصخرة التي تحت الأرض منتهى الخلق على أرجائها أربعة أملاك رءوسهم تحت العرش.^(٩)

٢٣- وعنه قال الصخرة تحت^(١٠) الأرضين على حوث والسلسلة في أذن الحوث.^(١١)

٢٤- وعن ابن عباس قال إن أول شيء خلقه الله القلم فقال له اكتب قال يا رب وما أكتب قال اكتب القدر يجري من ذلك اليوم بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة ثم طوى الكتاب ورفع^(١٢) القلم وكان عرشه على الماء فارتفع بخار الماء ففتقت منه السماوات ثم خلق النون فبسطت عليه الأرض والأرض على ظهر النون فاضطرب النون فمادت الأرض فأثبتت الجبال فإن الجبال لتفخر على الأرض إلى يوم القيامة ثم قرأ ابن عباس ﴿وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾.^(١٣)

٢٥- وعن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ إن أول ما خلق الله القلم والحوث وقال ما أكتب^(١٤) قال كل شيء كائن إلى يوم القيامة ثم قرأ ﴿وَالْقَلَمِ﴾ فالتون الحوث.^(١٥)

٢٦- وعنه قال قال رسول الله ﷺ النون السمكة التي عليها قرار الأرضين والقلم الذي خط به ربنا عز وجل القدر خيره وشده ونفعه وضرره ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ قال الكرام الكاتبون.^(١٦)

بيان: في القاموس ماغ الشيء يبيع جرى على وجه الأرض منبسطة في هيئة والسمن ذاب^(١٧) وقال الوضم محركة ما وقبت^(١٨) به اللحم عن الأرض من خشب وحصير^(١٩) وقال إكاف الحمار كتاب غراب وكافه برذعته وآكف الحمار إيكافاً وأكفه تأكيفا شدة عليه.^(٢٠)

٢٧- نوادر الراوندي: بإسناده عن جعفر بن محمد عن آبائه قال أقبل رجلاً إلى رسول الله ﷺ فقال أحدهما لصاحبه اجلس على اسم الله تعالى والبركة فقال رسول الله ﷺ اجلس على استك فأقبل يضرب الأرض بعصا فقال رسول الله ﷺ لا تضربها فإنها أمكم وهي يكمر برة.^(٢١)

(١) سورة الذاريات، آية: ٤٢.

(٢) في المصدر: «وكنف الثانية».

(٣) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٣٩.

(٤) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٣٩.

(٥) في المصدر: «إن» بدل «الصخرة تحت».

(٦) في المصدر: «فجرى».

(٧) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٤٩ - ٢٥٠ والآية من سورة القلم: ١.

(٨) من المصدر.

(٩) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٥٠.

(١٠) في المصدر: «ما وقبت».

(١١) القاموس المحيط ج ٣ ص ١٢٢.

(١٢) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٣٨.

(١٣) كلمة: «أرض» ليست في المصدر.

(١٤) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٣٨. وفيه: «عليها» بدل «فيها».

(١٥) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٣٩.

(١٦) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٣٩.

(١٧) في المصدر: «أو أرتفع».

(١٨) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٥٠.

(١٩) القاموس المحيط ج ٣ ص ٨٩.

(٢٠) القاموس المحيط ج ٤ ص ١٨٨.

(٢١) نوادر الراوندي ص ٩.

٢٨- وبهذا الإسناد، قال رسول الله ﷺ تمسحوا بالأرض فإنها أمكم و هي بكم برة.^(١)

بيان: قال في النهاية في الحديث تمسحوا بالأرض فإنها بكم برة أي مشفقة عليكم كالوالدة البرة بأولادها يعني أن منها خلقكم وفيها معاشكم وإليها بعد الموت معاذكم^(٢) و التمسح أراد به التيمم وقيل أراد مباشرة ترائها بالجباه في السجود من غير حائل^(٣) انتهى.

وأقول: يحتمل أن يراد به ما يشمل الجلوس على الأرض بغير حائل والأكل على الأرض من غير مأدبة بقرينة الخبر الأول.

٢٩- العلل: لمحمد بن علي بن إبراهيم قال العلة في أن الأرض لا تقبل الدم إنه لما قتل قابيل أخاه هابيل غضب آدم على الأرض فلا تقبل الدم لهذه العلة.^(٤)

٣٠- العلل: عن علي بن أحمد الدقاق عن الكليني عن علان بإسناده رفعه قال أتى علي بن أبي طالب يهودي فسأله عن مسائل فكان فيما سأله أخبرني عن قرار هذه الأرض على ما هو فقال ﷺ قرار هذه الأرض لا يكون إلا على عاتق ملك و قدما ذلك الملك على صخرة و الصخرة على قرن ثور و الثور قوائمه على ظهر الحوت في اليم الأسفل و اليم على الظلمة و الظلمة على العقيم و العقيم على الثرى و ما يعلم تحت الثرى إلا الله عز و جل^(٥) الخبر.

٣١- النهج: [نهج البلاغة] قال أمير المؤمنين ﷺ في خطبة التوحيد لا يجري عليه السكون و الحركة و كيف يجري عليه ما هو أجراه و يعود فيه ما هو أبداه و يحدث فيه ما هو أحدثه إذا لتفاوتت ذاته و لتجزأ أكنهه و لامتنع من الأزل معناه و لكان له وراء إذ وجد له أمام و لالتمس التمام إذ لزمه النقصان.^(٦)

بيان: قال بعض شراح النهج في قوله ﷺ و لتجزأ أكنهه إشارة إلى نفي الجوهر الفرد و قال قوله ﷺ و لكان له وراء إذ كان له أمام يؤكد ذلك لأن من أثبتة يقول يصح أن تحله الحركة و لا يكون أحد وجهيه غير الآخر.

فائدة: اعلم أن الطبيعيين والرياضيين اتفقوا على أن الأرض كروية بحسب الحس و كذا الماء المحيط بها و صاروا بمنزلة كرة واحدة فالماء ليس بتام الاستدارة بل هو على هيئة كرة مجوفة قطع بعض منها و ملئت الأرض على وجه صارت الأرض مع الماء بمنزلة كرة واحدة و مع ذلك ليس شيء من سطحه صحيح الاستدارة أما المحدث فلما فيه من الأمواج و أما المقعر فللتضاريس فيه من الأرض و قد أخرج الله تعالى قريبا من الربع من الأرض من الماء بمحض عنايته الكاملة أو لبعض الأسباب المتقدمة لتكون مسكنا للحيوانات المتنفسة و غيرها من المركبات المحوجة إلى غلبة العنصر اليابس الصلب لحفظ الصور و الأشكال و ربط الأعضاء و الأوصال و مما يدل على كروية الأرض ما أومأنا إليه سابقا من طلوع الكواكب و غروبها في البقاع الشرقية قبل طلوعها و غروبها في الغربية بقدر ما تقتضيه أبعاد تلك البقاع في الجهتين على ما علم من إرصاد كسوفات بعينها لا سيما القمرية في بقاع مختلفة فإن ذلك ليس في ساعات متساوية البعد من نصف النهار على الوجه المذكور و كون الاختلاف متقدرا بقدر الأبعاد دليل على الاستدارة المتشابهة السائرة بحدبتها المواضع التي يتلو بعضها بعضا على قياس واحد بين الخافقين و ازدياد ارتفاع القطب و الكواكب الشمالية و انحطاط الجنوبية للساكنين إلى الشمال و بالعكس للساكنين إلى الجنوب بحسب سيرهما دليل على استدارتها بين الجنوب و الشمال و تركيب الاختلافين يعطي الاستدارة في جميع الامتدادات و يؤيده مشاهدة استدارة أطراف المنكسف من القمر الدالة على أن الفصل المشترك بين المستضيء من الأرض و ما ينبعث منه الظل دائرة و كذلك اختلاف ساعات النهر^(٧) الطوال و القصار في مساكن متفقه الطول إلى غير ذلك و لو كانت أسطوانية قاعدتها نحو القطبين لم يكن لساكني الاستدارة كوكب أبدى الظهور بل إما الجميع طالعة غاربة أو كانت كواكب يكون من كل واحد من القطبين على بعد تستره القاعدتان أبدية الخفاء و الباقية طالعة غاربة و ليس

٩٥
٦١

٩٦
٦١

(٢) النهاية ج ٤ ص ٣٢٧.

(٤) لم نخر على كتاب اللل هذا.

(٦) نهج البلاغة ص ٢٧٢ خطبة ١٨٦.

(١) النهاية ج ١ ص ١١٦.

(٣) نوادر الراوندي ص ٩.

(٥) علل الشرائع ج ١ ص ١ - باب ١ حديث ١ ملخصاً.

(٧) النهر - بضتين - جمع أنهار.

كذلك وأيضاً فالسائر إلى الشمال قد يغيب عنه دائماً كواكب كانت تظهر له وتظهر له كواكب كانت تغيب عنه بقدر إمعانه في السير وذلك يدل على استدارتها في هاتين الجهتين أيضاً ومما يدل على استدارة سطح الماء الواقف طلوع رؤوس الجبال الشامخة على السائرين في البحر أولاً ثم ما يلي رؤوسها شيئاً بعد شيء في جميع الجهات وقالوا التضاريس التي على وجه الأرض من جهة الجبال والأغوار لا تتحد في كرويتها الحسية إذ ارتفاع أعظم الجبال وأرفعها على ما وجدوه فرسخان وثلاث فرسخ ونسبتها إلى جرم الأرض كنسبة جرم سبع عرض شعيرة إلى كرة قطرها ذراع بل أقل من ذلك ويظهر من كلام أكثر المتأخرين أن عدم قdoch تلك الأمور في كرويتها الحسية معناه أنها لا تخل بشكل جملتها كالبيضة ألزقت بها حبات شعير لم يقدح ذلك في شكل جملتها واعترض عليه بأن كون الأرض أو البيضة حينئذ على الشكل الكروي أو البيضي عند الحس ممنوع وكيف يمكن دعوى ذلك مع ما يرى على كل منهما ما يخرج به الشكل مما اعتبروا فيه وعرفوه به وربما يوجه بوجه آخر وهو أن الجبال والوهاد الواقعة على سطح الأرض غير محسوسة عادة عند الإحساس بجملتها كرة الأرض على ما هي عليه في الواقع ببيان أن رؤية الأشياء تختلف بالقرب والبعد فيرى القريب أعظم مما هو الواقع والبعد أصغر منه وهو ظاهر وقد أطبق القائلون بالانطباع وبخروج الشعاع كلهم على أن هذا الاختلاف في رؤية المرئي بسبب القرب والبعد إنما هو تابع لاختلاف الزاوية الحاصلة عند مركز الجليدية في رأس المخروط الشعاعي بحسب التوهم أو بحسب الواقع عند انطباق قاعدته على سطح المرئي فكلما قرب المرئي عظمت تلك الزاوية وكلما بعد صغرت وقد تقرر أيضاً بين محققهم أن رؤية الشيء على ما هو عليه إنما هو في حالة يكون البعد بين الرائي والمرئي على قدر يقتضي أن تكون الزاوية المذكورة قائمة فبناء على ذلك إذا فرضت الزاوية المذكورة بالنسبة إلى مرئي قائمة يجب أن يكون البعد بين رأس المخروط وقاعدته المحيطة بالمرئي بقدر نصف قطر قاعدته على ما تقرر في الأصول فلما كان قطر الأرض أزيد من ألفي فرسخ بلا شبهة لا تكون مرئية على ما هي عليه من دون ألف فرسخ ومعلوم أن الجبال والوهاد المذكورة غير محسوسة عادة عند هذا البعد من المسافة فلا يكون لها قدر محسوس عند الأرض بالمعنى الذي مهدنا^(١)

ثم إنهم استعملوا بزعمهم مساحة الأرض وأجزائها ودوائرها في زمان المأمون وقبله فوجدوا مقدار محيط الدائرة العظمى من الأرض ثمانية آلاف فرسخ وقصرها ألفين وخمسمائة وخمسة وأربعين فرسخاً ونصف فرسخ تقريباً ومضروب القطر في المحيط مساحة سطح الأرض وهي عشرون ألف ألف وثلاثمائة وستون ألف فرسخ وربع ذلك مساحة الربع المسكون من الأرض وأما القدر المعمور من الربع المسكون وهو ما بين خط الاستواء والموضع الذي عرضه بقدر تمام الميل الكلي فمساحته ثلاثة آلاف ألف وسبعمئة وخمسة وستين ألفاً وأربعمائة وعشرين فرسخاً وهو قريب من سدس سطح جميع الأرض وسدس عشرة والفرسخ ثلاثة أميال بالاتفاق وكل ميل أربعة آلاف ذراع عند المحدثين وثلاثة آلاف عند القدماء وكل ذراع أربع وعشرون إصباعاً عند المحدثين واثنان وثلاثون عند القدماء وكل إصبع بالاتفاق مقدار ست شعيرات مضومة بطون بعضها إلى ظهور بعض من الشعيرات المعتدلة.

وذكروا أن للأرض ثلاث طبقات الأولى الأرض الصرفة المحيط بالمركز الثانية الطبقة الطينية وهي المجاورة للماء الثالثة الطبقة المنكشفة من الماء وهي التي تحتبس فيها الأبخرة والأدخنة وتتولد منها المعادن والنباتات والحيوانات وزعموا أن البساط كلها شافة لا تحجب عن أبصار ما وراءها ما عدا الكواكب وأن الأرض الصرفة المتجاورة للمركز أيضاً شافة والطبقتان الأخريان ليستا بسيطتين فهما كقيتان فالأرض جعل الله الطبقة الظاهرة منها ملونة كثيفة غبراء لتقبل الضياء وخلق ما فوقها من العناصر مشقة لطيفة بالطباع لينفذ فيها ويصل إلى غيرها ساطع الشعاع فإن الكواكب وسيما الشمس والقمر أكثر تأثيراتها في العوالم السفلى بوسيلة أشعتها المستقيمة والمنعطفة والمنعكسة بإذن الله تعالى وقالوا الأرض في وسط السماء كالمركز في الكرة فينطبق مركز حجمها على مركز العالم وذلك لتساوي ارتفاع الكواكب وانحطاطها مدة ظهورها وظهور النصف من الفلك دائماً وتطابق أطلال الشمس في وقتي طلوعها وغروبها عند كونها على المدار الذي يتساوى فيه زمان ظهورها وخفائها على خط مستقيم أو عند كونها في جزءين متقابلين من الدائرة التي يقطعها يسيرها الخاص بها وانخساف القمر في مقاطرته^(٢) الحقيقية

للمشمس فإن الأول يمنع ميلها إلى أحد الخافقين والثاني إلى أحد السمتين الرأس والقدم والثالث إلى أحد القطبين والرابع إلى شيء منها أو من غيرها من الجهات كما لا يخفى وكما أن مركز حجمها منطبق على مركز العالم فكذا مركز ثقلها وذلك لأن الثقل تميل بطبعها إلى الوسط كما دلت عليه التجربة فهي إذن لا تتحرك عن الوسط بل هي ساكنة فيه متدافعة بأجزائها من جميع الجوانب إلى المركز تدافعا متساويا فلا محالة ينطبق مركز ثقلها الحقيقي المتحد بمركز حجمها التقريبي على مركز العالم ومستقرها عند وسط العالم لتكافؤ القوى بلا تزلزل واضطراب يحدث فيها لثباتها بالسبب المذكور ولكون الأثقال المنتقلة من جانب منها إلى الآخر في غاية الصغر بالقياس إليها لا يوجب انتقال مركز ثقلها من نقطة إلى أخرى بحركة شيء منها وكذا الأجزاء.

المباينة لها تهوي إليها وهي تقبلها من جميع نواحيها من دون اضطراب هذا ما ذكره في هذا المقام ولا نعرف من ذلك إلا كون الجميع بقدرة القادر العليم وإرادة المدبر الحكيم كما ستعرف ذلك إن شاء الله تعالى.

وقال الشيخ المفيد قدس سره في كتاب المقالات أقول إن العالم هو السماء والأرض وما بينهما وفيهما من الجواهر والأعراض ولست أعرف بين أهل التوحيد خلافا في ذلك^(١) أقول لعل مراده قدس سره بالسموات ما يشمل العرش والكرسي والحجب وغرضه نفي الجواهر المجردة التي تقول بها الحكماء.

ثم قال رحمه الله وأقول إن الفلك هو المحيط بالأرض الدائر عليها وفيه الشمس والقمر وسائر النجوم والأرض في وسطه بمنزلة النقطة في وسط الدائرة وهذا مذهب أبي القاسم البلخي وجماعة كثيرة من أهل التوحيد ومذهب أكثر القدماء والمنجمين وقد خالف فيه جماعة من بصرية المعتزلة وغيرهم من أهل النحل وأقول إن المتحرك من الفلك إنما يتحرك حركة دورية كما يتحرك الدائر على الكرة وإلى هذا ذهب البلخي وجماعة^(٢) من أهل التوحيد والأرض على هيئة الكرة في وسط الفلك وهي ساكنة لا تتحرك وعلّة سكونها أنها في المركز وهو مذهب أبي القاسم وأكثر القدماء والمنجمين وقد خالف فيه الجبائي وابنه وجماعة غيرهما من أهل الآراء والمذاهب من المقلدة والمتكلمين.

ثم قال وأقول إن العالم مملوء من الجواهر وإنه لا خلا فيه ولو كان فيه خلا لما صح فرق بين المجتمع والمتفرق من الجواهر والأجسام وهو مذهب أبي القاسم خاصة من البغداديين ومذهب أكثر القدماء من المتكلمين وخالف فيه الجبائي وابنه وجماعة متكلمي أهل الحشو والجبر والتشبيه.

ثم قال وأقول إن المكان هو ما أحاط بالشيء من جميع جهاته ولا يصح تحرك الجواهر إلا في الأماكن والوقت هو ما جعله الموقت وقتا للشيء وليس بحادث مخصوص والزمان اسم يقع على حركات الفلك فلذلك لم يكن الفعل محتاجا في وجوده إلى وقت ولا زمان وعلى هذا القول سائر الموحدين.^(٣)

وسئل السيد المرتضى رحمه الله الفراغ له نهاية والقديم تعالى يعلم منتهى نهايته وهذا الفراغ أي شيء هو وكذلك الطبقة الثامنة من الأرض^(٤) والثامنة من السماء تقطع أن هناك فراغا أم لا فإن قلت لا طابعتك بما وراء الملا^(٥) القديم تعالى يعلم أن هناك نهاية فإن قلت نعم طابعتك أي شيء وراء النهاية.

فأجاب رحمه الله أن الفراغ لا يوصف بأنه منته ولا أنه غير منته على وجه الحقيقة وإنما يوصف بذلك مجازا واتساعا وأما قوله وهذا الفراغ أي شيء هو فقد علمنا^(٦) أنه لا جوهر ولا عرض ولا قديم ولا محدث ولا هو ذات ولا هو معلوم كالمعلومات وأما الطبقة الثامنة من الأرض فما نعرفها والذي نطق به القرآن «سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا»^(٧) «وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ»^(٨) فأما غير ذلك فلا سبيل للقطع به من عقل ولا شرع^(٩) انتهى.

وأقول بسط الكلام في هذه الأمور خروج عن مقصود الكتاب ومحل علم الكلام.

(١) أوائل المقالات ضمن مصنفات الشيخ المفيد المجلد الرابع ص ٩٩.

(٢) في المصدر إضافة: «من الأوائل وكثير».

(٣) أوائل المقالات ضمن مصنفات الشيخ المفيد المجلد الرابع ص ٩٩ - ١٠٠.

(٤) في المصدر: «الثانية من الأرض» وكذا في ما بعد. والصحيح ما في المتن.

(٥) في المصدر إضافة: «وهل».

(٦) في المصدر: «قلنا».

(٧) سورة نوح، آية: ١٥.

(٨) سورة الطلاق، آية: ١٢.

(٩) أجوبة المسائل المصرية ضمن رسائل الشريف المرتضى ج ٤ ص ٢٤. المسألة الثالثة والعشرون.

في قصة الأرض إلى الأقاليم و ذكر جبل قاف و سائر الجبال و كيفية خلقها و سبب الزلزلة و علتها

الآيات:

- النحل: ﴿وَوَلَّيْنِي فِي الْأَرْضِ زُرَّاسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ (١).
 الكهف: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا إِلَىٰ قَوْلِهِ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ (٢).
 الأنبياء: ﴿وَوَجَّعْنَا فِي الْأَرْضِ زُرَّاسِي أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لِّعَلَّاهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (٣) و قال تعالى
 ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ (٤).
 لقمان: ﴿وَوَلَّيْنِي فِي الْأَرْضِ زُرَّاسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ (٥).
 فاطر: ﴿وَمِنْ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ (٦).
 ص: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعًا يُسَبَّحُنَ بِالْحَمْدِ وَالْإِشْرَاقِ﴾ (٧).
 ق: ﴿وَوَلَّيْنَا فِيهَا زُرَّاسِي﴾ (٨).
 الطور: ﴿وَالطُّورِ﴾ (٩) و قال تعالى ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ (١٠).
 المرسلات: ﴿وَوَجَّعْنَا فِيهَا زُرَّاسِي شَامِخَاتٍ﴾ (١١).
 النبا: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ (١٢).
 الغاشية: ﴿وَالْإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ (١٣).
 التين: ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالزُّبُرُ وَالْطُّورُ سِينِينَ﴾ (١٤).

تفسير: «أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ» قال المبرد أي منع الأرض أن تميد و قيل لأي كراهة أن تميد و قال بعض المفسرين الميد الاضطراب في الجهات الثلاث و قيل إن الأرض كانت تميد و ترجف رجوف السقف بالوطء فتقلها الله بالجبال الزواسي ليمنع من رجوفها و روو عن ابن عباس أنه قال إن الأرض بسطت على الماء فكانت تكفأ بأهلها كما تكفأ السفينة فأرساها الله تعالى بالجبال ثم إنهم اختلفوا في أنه لما صارت الجبال سببا لسكون الأرض على أقوال و ذكروا لذلك وجوها و لنذكر بعضها.

الأول: ما ذكره الفخر الرازي في تفسيره أن السفينة إذا أُلقيت على وجه الماء فإنها تميل (١٦) من جانب إلى جانب و تضطرب فإذا وقعت (١٧) الأجرام الثقيلة فيها (١٨) استقرت على وجه الماء (١٩) فكذا لما خلق الله تعالى الأرض على وجه الماء اضطربت و ماتت فخلق الله تعالى عليها هذه الجبال و ودها بها (٢٠) فاستقرت على وجه الماء بسبب ثقل الجبال (٢١) ثم قال لقائل أن يقول هذا يشكك من وجوه:

- | | |
|--|----------------------------------|
| (٢) سورة الكهف: آية: ٩٣ - ٩٨. | (١٥) سورة النحل: آية: ١٥. |
| (٤) سورة الأنبياء: آية: ٩٦. | (٣) سورة الأنبياء: آية: ٣١. |
| (٦) سورة فاطر: آية: ٢٧. | (٥) سورة لقمان: آية: ١٠. |
| (٨) سورة ق: آية: ٧. | (٧) سورة ص: آية: ١٨. |
| (١٠) سورة الطور: آية: ١٠. | (٩) سورة الطور: آية: ١. |
| (١٢) سورة النبا: آية: ٦ - ١٠. | (١١) سورة المرسلات: آية: ٢٧. |
| (١٤) سورة التين: آية: ١ - ٢. | (١٣) سورة الغاشية: آية: ١٩. |
| (١٦) في المصدر: «تميد». | (١٥) مجمع البيان ج ٦ ص ٣٥٤. |
| (١٨) في المصدر: «في تلك السفينة». | (١٧) في المصدر: «وضعت». |
| (٢٠) في المصدر: «الغالب» بدل «ووتدها بها». | (١٩) في المصدر إضافة: «فاستقرت». |
| | (٢١) التفسير الكبير ج ٢٠ ص ٨. |

الأول: أن هذا المعلل إما أن يقول بأن حركات الأجسام بطباعها أو يقول ليست بطباعها بل هي واقعة بإيجاد الفاعل المختار إياها فعلى التقدير الأول نقول لا شك أن الأرض أثقل من الماء والأثقل يغوص في الماء ولا يبقى طافيا عليه فامتنع أن يقال إنها كانت تמיד وتضطرب بخلاف السفينة فإنها متخذة من الخشب وفي داخل الخشب تجويفات غير مملوءة^(١) فلذلك تמיד وتضطرب على وجه الماء فإذا أرسيت بالأجسام الثقيلة استقرت وسكنت فظهر الفرق وأما على التقدير الثاني وهو أن يقال ليس للأرض والماء طبائع توجب الثقل والرسوب والأرض إنما تنزل لأن الله تعالى أجرى عادته بجعلها كذلك وإنما صار الماء محيطا بالأرض لمجرد إجراء العادة ليس هاهنا طبيعة للأرض ولا للماء توجب حالة مخصوصة فنقول على هذا التقدير علة سكون الأرض هي أن الله تعالى يخلق فيها السكون و علة كونها مائدة مضطربة هو أن الله تعالى يخلق فيها الحركة فيفسد القول بأن الله تعالى خلق الجبال لتبقى الأرض ساكنة فثبت أن التعليل مشكل على كلا التقديرين.

الإشكال الثاني: أن إرساء الأرض بالجبال إنما يعقل لأجل أن تبقى الأرض على وجه الماء من غير أن تמיד وتميل من جانب إلى جانب وهذا إنما يعقل إذا كان الذي استقرت الأرض على وجهه واقفا فنقول فما مقتضى لسكونه في ذلك الحيز المخصوص فإن قلت إن طبيعته توجب وقوفه في ذلك الحيز المعين فحينئذ يفسد القول بأن الأرض إنما وقفت بسبب أن الله تعالى أرساها بالجبال وإن قلت إن المقتضى لسكون الماء في حيزه المعين هو أن الله تعالى أسكن الماء بقدرته في ذلك الحيز المخصوص فنقول فلم لا نقول مثله في سكون الأرض و حينئذ يفسد هذا التعليل أيضا.

الإشكال الثالث: أن مجموع الأرض جسم واحد فيتقدير أن يميل^(٢) بكليته ويضطرب على وجه البحر المحيط لم تظهر تلك الحالة للناس فإن قيل أليس أن الأرض تحركها البخارات المحتقنة في داخلها عند الزلازل وتظهر تلك الحركات للناس قلنا البخارات احتقنت في داخل قطعة صغيرة من الأرض فلما حصلت الحركة في تلك القطعة ظهرت تلك الحركة فإن ظهور الحركة في تلك القطعة المعينة يجري مجرى اختلاج عضو من بدن الإنسان أما لو تحركت كلية الأرض لم تظهر ألا ترى أن الساكن في سفينة لا يحس بحركة كلية السفينة وإن كانت على أسرع الوجوه وأقواها^(٣) انتهى كلامه.

و يمكن أن يجاب عنها: أما عن الإشكال الأول فبأن يختار أنها طالبة بطبعها للمركز لكن إذا كانت خفيفة كان الماء يحركها بأمواجه حركة قسرية و يزيلها عن مكانها الطبيعي بسهولة فكانت تמיד وتضطرب بأهلها وتفوص قطعة منها وتخرج قطعة منها ولما أرساها الله تعالى بالجبال وأثقلها قاومت الماء وأمواجه بقلها فكانت كالأوتاد مثبتة لها ومنه يظهر الجواب عن الإشكال الثاني على أن توقف إرساء الأرض بالجبال على سكون الماء في حيز معين ممنوع وأما عن الإشكال الثالث فبأن يقال ليس الامتنان بمجرد عدم ظهور حركة الأرض حتى يقال أنه على تقدير حركتها بكليتها لا يظهر للناس بل بخروج البقاع من الماء وعدم غرقها بحركة الأرض وميدانها بأهلها على أن الظاهر أن الحركة التي لا تحس إنما هي إذا كانت في جهة مخصوصة وعلى وضع واحد كحركة وضعية مستمرة أو حركة أيئية على جهة واحدة كحركة السفينة إذا كانت سائرة من غير اضطراب وأما إذا تحركت في جهات مختلفة و اضطربت فيحس بها كحركة السفينة عند تلاطم البحر واضطرابه وهذا هو الفرق بين حالة الزلزلة وبين حركة الأرض في الظهور وعدمه فإننا لو فرضنا قطعة منها سائرة غير مضطربة في سيرها لما أحس بها كما لا يحس بحركة كلها بل باضطراب الحركة و كونها في جهات مختلفة تحس الحركة سواء كان محلها كل الأرض أو بعضها.

الوجه الثاني: ما ذكره الفاضل المقدم ذكره أيضا في تفسيره واختاره حيث قال والذي عندي في هذا الموضوع المشكل أن يقال أنه ثبت بالدلائل القينية أن الأرض كره وأن هذه الجبال على سطح هذه الكرة جارية مجرى خشونات وتضريسات تحصل على وجه هذه الكرة إذا ثبت هذا فنقول إذا فرضنا أن هذه الخشونات ما كانت حاصلة بل كانت الأرض كرة حقيقية خالية عن هذه الخشونات والتضريسات^(٤) لصارت بحيث تتحرك بالاستدارة بأدنى

(٢) في المصدر: «تמיד».

(٤) كلمة: «تضريسات» ليست في المصدر.

(١) في المصدر: «ملوءة من الهواء».

(٣) التفسير الكبير ج ٢٠ ص ٨ بتصرف.

سبب لأن الجرم البسيط المستدير وإن لم يجب كونه متحركا بالاستدارة عقلا إلا أنه بأدنى سبب تتحرك على هذا الوجه أما إذا حصل على سطح كرة الأرض هذه الجبال وكانت كالخشونات الواقعة على وجه الكرة فكل واحد من هذه الجبال إنما يتوجه بطبعه إلى مركز العالم وتوجه ذلك الجبل نحو مركز العالم بثقله العظيم وقوته الشديدة يكون جاريا مجرى الود الذي يمنع كرة الأرض من الاستدارة فكان تخليق هذه الجبال على الأرض كالأوتاد المغروزة في الكرة المانعة لها عن الحركة المستديرة وكانت مانعة للأرض عن الميد والميل والاضطراب بمعنى أنها منعت الأرض عن الحركة المستديرة فهذا ما وصل إليه خاطري^(١) في هذا الباب والله أعلم^(٢) انتهى.

١٠٥

واعترض عليه بأن كلامه لا يخلو عن تشويش واضطراب والذي يظهر من أوائل كلامه هو أنه جعل المناطق في استقرار الأرض الخشونات والتضريسات من حيث إنها خشونات وتضريسات وذلك إما لممانعة الأجزاء المائية الملاصقة لتلك التضريسات لاستلزام حركة الأرض زوالها عن مواضعها وحينئذ يكون علة السكون هي الجبال الموجودة في الماء لا ما خلقت في الربع المكشوف من الأرض ولعله خلاف الظاهر في معرض الامتنان بخلق الجبال وهو خلاف الظاهر من قوله تعالى ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رِزْقًا مِنْ فَوْقِهَا﴾ والقول بأن ما في الماء أيضا فوقها فلعل المراد تلك الجبال لا يخلو عن بعد مع أنها ربما كانت معاونة لحركة الأرض كما إذا تحركت كرة الماء بتموجها بأجمعها أو تموج أبعاضها المقاربة لتلك الخشونات وإنما يمانعها عن الحركة أحيانا عند حركة أبعاضها وإما لممانعة الأجزاء الهوائية المقارنة للجبال الكائنة على الربع الظاهر فكانت الأوتاد مثبتة لها في الهواء مانعة عن تحريك الماء بتموجه إياها كما يمانع الجبال المخلوقة في الماء عن تحريك الرياح إياها وحينئذ يكون وجود الجبال في كل منهما معاونا لحركة الأرض في بعض الصور معاوقا عنها في بعضها ولا مدخل حينئذ لثقل الجبال وتركيبها في سكون الأرض واستقرارها والذي يظهر من قوله لأن الجرم البسيط إلخ أن البساطة توجب حركة الأرض إما بانفرادها أو بمشاركة عدم الخشونة ولعله استند في ذلك إلى أن البسيط تتساوى نسبة أجزائه إلى أجزاء المكان وإنما الطبيعة تقتضي انطباق مركز الثقل من الأرض على مركز العالم على أي وضع كان والماء لا يقوى على إخراج الكرة عن مكانها نعم يحركها بالحركة المستديرة بخلاف المركب فإنه ربما كان بعض أجزائه مقتضيا لوضع خاص كمحاذاة أحد القطبين مثلا حتى تكون الفائدة تحصل بتركيب بعض أجزاء الأرض وإن لم يكن هناك جبل وارتفاع فلا يكون الامتنان بخلق الجبل من حيث إنه جبل بل من حيث إنه مركب إلا على تقدير كون المراد أن المقتضي للسكون هو الحالة المركبة من التركيب والتضريس والظاهر من وصف الجبال بالشامخات في الآية مدخلية ارتفاعها في هذا المعنى إلا أن يكون الوصف لترتب فوائد أخر عليها وحينئذ لا مدخل لثقل الجبال في سكون الأرض كما يظهر من قوله أخيرا فكل واحد من هذه الجبال إنما يتوجه بطبعه إلى مركز العالم وتوجه ذلك الجبل نحو مركز العالم بثقله العظيم وقوته الشديدة يكون جاريا مجرى الود الذي يمنع كرة الأرض من الاستدارة ومع ذلك لا ينفع في نفي الحركة المشرقية والمغربية بل يؤيدها ويمكن أن يكون مراده أن العلة هي المجموع من الأمور الثلاثة ولعله جعل الطبيعة الأرضية كافية في استقرارها في مكانها وإنما احتاج إلى المانع عن حركتها بالاستدارة حركة وضعية ولذا قال أخيرا وكانت مانعة للأرض عن الميد والاضطراب بمعنى أنها منعت الأرض عن الحركة المستديرة.

١٠٦

الوجه الثالث: ما يخطر بالبال وهو أن يكون مدخلية الجبال لعدم اضطراب الأرض بسبب اشتباكها واتصال بعضها ببعض في أعماق الأرض بحيث تمنعها عن تفتت أجزائها وتفرقها فهي بمنزلة الأوتاد المغروزة المثبتة في الأبواب المركبة من قطع الخشب الكثيرة بحيث تصير سببا لالتصاق بعضها ببعض وعدم تفرقها وهذا معلوم ظاهر لمن حفر الآبار في الأرض فإنها تنتهي عند المبالغة في حفرها إلى الأحجار الصلبة وأنت ترى أكثر قطع الأرض واقعة بين جبال محيط بها فكانها مع ما يتصل بها من القطعة الحجرية المتصلة بها من تحت تلك القطعات كالظرف لها تمنعها عن التفتت والتفرق والاضطراب عند عروض الأسباب الداعية إلى ذلك.

الوجه الرابع: ما ذكره بعض المتعسف من أنه لما كانت فائدة الود أن يحفظ الموتود في بعض المواضع عن الحركة والاضطراب حتى يكون قارا ساكنا وكان من لوازم ذلك السكون في بعض الأشياء صحة الاستقرار على ذلك

و التصرف عليه و كان من فائدة وجود الجبال و التضريسات الموجودة في وجه الأرض أن لا تكون مغمورة بالماء ليحصل للحيوان الاستقرار و التصرف عليها لا جرم كان بين الأوتاد و الجبال الخارجة من الماء في الأرض اشتراك في كونهما مستلزمين لصحة استقراره مانعين من عدمه لا جرم حسنت نسبة الإيتاد إلى الصخور و الجبال و أما إشعاره بالميدان فلأن الحيوان كما يكون صادقا عليه أنه غير مستقر على الأرض بسبب انغمارها في الماء لو لم يوجد الجبال كذلك يصدق على الأرض أنه غير مستقرة تحته و مضطربة بالنسبة إليه فثبت حينئذ أنه لو لا وجود الجبال في سطح الأرض لكانت مضطربة و مائدة بالنسبة إلى الحيوان لعدم تمكنه من الاستقرار عليها.

١٠٧
٦٠

الوجه الخامس: أن يكون المراد بالجبال الرواسي الأنبياء و الأولياء و العلماء و بالأرض الدنيا أما وجه التجوز بالجبال عن الأنبياء و العلماء فلأن الجبال لما كانت على غاية من الثبات و الاستقرار مانعة لما يكون تحتها من الحركة و الاضطراب عاصمة لما يلتجئ إليها من الحيوان عما يوجب له الهرب فيسكن بذلك اضطرابه و قلقته أشبهت الأوتاد من بعض هذه الجهات ثم لما كانت الأنبياء و العلماء هم السبب في انتظام أمور الدنيا و عدم اضطراب أحوال أهلها كانوا كالأوتاد للأرض فلا جرم صحت استعارة لفظ الجبال لهم و لذلك صح في العرف أن يقال فلان جبل منبع يأوي إليه كل ملهوف إذا كان يرجع إليه في المهمات و الحوائج و العلماء أوتاد الله في الأرض.

الوجه السادس: أن يكون المقصود من جعل الجبال كالأوتاد في الأرض أن يهتدى بها إلى طرقها و المقاصد فيها فلا تميم جهاتها المشبهة بأهلها و لا تميل بهم فيتيهون فيها عن طرقهم و مقاصدهم و هذه الوجه الثلاثة ذكرها بعض المتعسفين و هذا دأبه في أكثر الآيات و الأخبار حيث يثولها بلا ضرورة داعية و علة مانعة عن القول بظواهرها و هل هذا إلا اجتراء على مالك يوم الدين و افتراء على حجج رب العالمين.

الوجه السابع: أن يقال المراد بالأرض قطعاتها و بقاعها لا مجموع كرة الأرض و يكون الجبال أوتادا لها أنها حافظة لها عن الميدان و الاضطراب بالزلزلة و نحوها إما لحركة البخارات المحققة في داخلها بإذن الله تعالى أو لغير ذلك من الأسباب التي يعلمها مبدعها و منشئها و هذا وجه قريب و يؤيده ما سيأتي في باب الزلزلة من حديث ذي القرنين. أقول: و أما حديث ذي القرنين و السد و غيره من أحواله فقد مضى في المجلد الخامس في باب أحواله و لنذكر هنا بعض ما مضى برواية أخرى:

١٠٨
٦٠

قال الثعلبي في العرائس روى وهب بن منبه و غيره من أهل الكتب قالوا كان ذو القرنين رجلا من الروم ابن عوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره و كان اسمه إسكندروس^(١) و يقال كان اسمه عياش^(٢) و كان عبدا صالحا فلما استحكم ملكه و استجمع أمره أوحى الله إليه يا ذا القرنين إني بعثتك إلى جميع الخلق ما بين الخافقين و جعلتك حجتى عليهم و هذا تأويل رؤياك و إني باعثك إلى أمم الأرض كلهم و هم سبع أمم مختلفة أئستهم منهم أمتان بينهما عرض الأرض و أمتان بينهما طول الأرض و ثلاث أمم في وسط الأرض و هم الجن و الإنس و يأجوج و مأجوج فأما الأمتان اللتان بينهما طول الأرض فأمة عند المغرب يقال لها ناسك و أمة أخرى بحيالها عند مطلع الشمس يقال لها منسك و أما اللتان بينهما عرض الأرض فأمة في قطر الأرض الأيمن يقال لها هاويل^(٣) و أمة في قطرة الأرض الأيسر يقال لها قاويل فلما قال الله سبحانه ذلك قال ذو القرنين إلهي إنك قد ندبتني إلى أمر عظيم لا يقدر قدره^(٤) إلا أنت فأخبرني عن الأمم التي بعثتني إليها بأي قوة أكاثهم أو بأي جمع و حيلة أكابهم و بأي صبر أقاسيهم و بأي لسان أناطهم و كيف لي بأن أفهم لغاتهم و بأي سمع أسمع أقوالهم و بأي بصر أنفذهم^(٥) و بأي حجة أخاصهم و بأي عقل أعقل عنهم و بأي قلب و حكمة أدبر أمورهم و بأي قسط أعذل بينهم و بأي حلم أصابهم و بأي معرفة أفصل بينهم و بأي علم أنقن أمورهم و بأي يد أستطيع^(٦) عليهم و بأي رجل أطاهم و بأي طاقة أحصيهم و بأي جند أقاتلهم و بأي رفق أتألفهم و ليس عندي يا إلهي شيء مما ذكرت يقوم لهم و يقوى عليهم و أنت الرؤوف الرحيم الذي لا تكلف نفسا إلا وسعها و لا تكلفها إلا طاقتها فقال الله عز و جل إني سأطوقك ما حملتك أشرح لك

(٢) في المصدر: «عياش».

(٤) في المصدر: «عليه» بدل «قدره».

(٦) في المصدر: «أستطو».

(١) في المصدر: «الإسكندر».

(٣) في المصدر: «تأويل».

(٥) في المصدر: «أنفذهم».

سمعتك فتسمع كل شيء و تعي كل شيء و أشرح لك فهمك فتفقه كل شيء و أبسط لك لسانك فتتق كل شيء و أفتح لك بصرك فتفقه كل شيء و أحصي لك فلا يفوتك شيء و أشد لك عضدك فلا يهولك شيء و أشد لك ركنك فلا يغيبك شيء و أشد لك قلبك فلا يفزعك شيء و أشد لك يدك فتسطو فوق كل شيء و أشد لك وطأتك فتهد^(١) على كل شيء و ألبسك الهيبة فلا يروعك شيء و أسخر^(٢) الظلمة من ورائك فلما قيل له ذلك حدث نفسه بالمسير و ألح عليه قومه بالمقام فلم يفعل و قال لا بد من طاعة الله تعالى.

ثم أمرهم أن يبنوا له مسجداً و أن يجعلوا طول المسجد أربعمئة ذراع^(٣) و أمرهم أن لا ينصبوا^(٤) فيه السواري قالوا كيف نصنع قال إذا فرغتم من بنيان الحائط فاكبسوها بالتراب حتى يستوي الكبس مع حيطان المسجد فإذا فرغتم فرضتم من الذهب على المورس قدره و على المقتر قدره ثم قطعتموه مثل قلامة الظفر ثم خلطتموه بذلك الكبس و جعلتم خشباً من نحاس و وتداً من نحاس و صفائح من نحاس تذيبون ذلك و أنتم تمكنون من العمل كيف شئتم على أرض مستوية و جعلتم طول كل خشبة مائتي ذراع و أربعة و عشرين ذراعاً مائتا ذراع في ما بين الحائطين لكل حائط اثنا عشر ذراعاً ثم تدعون المساكين لنقل التراب فيتسارعون إليه لأجل ما فيه من الذهب و الفضة فمن حمل شيئاً فهو له ففعلوا ذلك فأخرج المساكين التراب و استقر السقف بما عليه و استغنى المساكين فجندهم أربعين ألفاً و جعلهم أربعة أجناد في كل جند عشرة آلاف ثم عرضهم فوجدهم في ما قيل ألف و أربعمئة ألف رجل منهم من جنده ثمانمئة ألف و من جند داراً^(٥) ستمائة ألف و من المساكين أربعين ألفاً ثم انطلق يؤم الأمة التي عند مغرب الشمس فذلك قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَرْغُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾^(٦) أي ذات حمأة و من قرأ «حامية» بالألف من غير همز فمعناه حارة^(٧) فلما بلغ^(٨) مغرب الشمس وجد جمعا و عددا لا يحصيهم إلا الله تعالى و قوة و بأساً لا يطيقه إلا الله عز و جل و رأى ألسنة مختلفة و أهواء متشتتة و ذلك قول الله تعالى ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ يعني ناسا كثيرة يقال لها ناسك فلما رأى ذلك كآثرهم بالظلمة فضرب حولهم ثلاثة عساكر منها فأحاط بهم من كل مكان حتى جمعهم في مكان واحد ثم أخذ عليهم بالنور فدعاهم إلى الله عز و جل و عبادته فمنهم من آمن به و منهم من صد عنه فعمد إلى الذين تولوا عنه فأدخل عليهم الظلمة فدخلت في أفواههم و أنوفهم و آذانهم و أحداقهم و أجوافهم و دخلت في بيوتهم و دورهم و غشيبهم من فوقهم و من كل جانب منهم فهاجوا فيه و تحيروا فلما أشفقوا أن يهلكوا فيها عجزوا إليه بصوت واحد. فكشفها عنهم و أخذهم عنوة فدخلوا في دعوته فجند من أهل المغرب أمما عظيمة فجعلهم جندا واحدا ثم انطلق بهم يقودهم و الظلمة تسوقهم من خلفهم و تحرسهم من خلفهم و النور أمامهم يقوده و يدلّه و هو يسير في ناحية الأرض اليمنى و هو يريد الأمة التي في قطر الأرض الأيمن التي يقال لها هاويل و سخر الله له قلبه و يده و رأيه و عقله و نظره فلا يخطئ إذا عمل عملا فانطلق يقود تلك الأمم و هي تتبعه فإذا هي أتت إلى بحر أو مخاضة بني سقنا من ألواح صغار أمثال البغال فنظمتها في ساعة ثم حمل فيها جميع من معه من تلك الأمم و تلك الجنود فإذا هي قطع الأنهار و البحار فتقها ثم دفع إلى كل رجل منهم لوحا فلم يكرهه حمله فلم يزل ذلك دأبه حتى انتهى إلى هاويل فعلم فيها كفعله في ناسك فلما فرغ منها مضى على وجهه في ناحية الأرض اليمنى حتى انتهى إلى منسك عند مطلع الشمس فعلم فيها و جند جنودا كفعله في الأيمن قبلهما ثم كر مقبلا حتى أخذ ناحية الأرض^(٩) اليسرى و هو يريد قاول^(١٠) و هي الأمة التي بحيان هاويل و هما متقابلتان بينهما عرض الأرض كله فلما بلغها عمل فيها و جند فيها كفعله في ما قبلها فذلك قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّنْ دُونِهَا سَبِيلًا﴾^(١١) يعني مسكنا.

(١) في المصدر: «فتهلك».

(٢) في المصدر إضافة: «لك النور و الظلمة و اجعلهما جنداً من جنودك يهديك النور أمامك و تحوط بك».

(٣) في المصدر إضافة: «و عرضه مائتي ذراع و أساس حائطه أربعة و عشرين ذراعاً في السماء مائة ذراع».

(٤) في المصدر: «ينصبوا» بدل «لا ينصبوا».

(٥) هكذا في المصدر.

(٦) سورة الكهف، آية: ٨٦ و ما بعدها ذيلها.

(٧) غرائس المجالس ص ٣٢٤، باب الحوادث التي كانت في أيام ذي القرنين بعد قتل دارا.

(٨) بقية كلام التعليل في حديث آخر.

(٩) في المصدر: «تأويل».

(١٠) في المصدر: «تأويل».

(١١) سورة الكهف، آية: ٩.

قال قتادة لم يكن بينهم وبين الشمس ستر^(١) وذلك أنهم كانوا في مكان لا يستقر عليه بناء وكانوا يكونون في أسراب لهم حتى إذا زالت الشمس عنهم خرجوا إلى معاشهم وحروثهم وقال الحسن كانت أرضهم أرضا لا تحتمل البناء فكانوا إذا طلعت عليهم الشمس هروا^(٢) في الماء فإذا ارتفعت عنهم خرجوا فتراعوا كما تتراعى البهائم وقال ابن جريج^(٣) وجاءهم جيش مرة وقال لهم أهلها لا يطلع عليكم الشمس وأنتم بها فقالوا ما نبرح حتى تطلع الشمس فتراها فماتوا وقيل فذهبوا بها هاربين في الأرض.

١١٢
١٠

وقال الكلبي هم أمة يقال لها منسك حفاة عمارة عن الحق قال وحدثنا عمرو بن مالك بن أمية قال وجدت رجلا بسمرقند يحدث الناس و هم يجتمعون حوله فسألت بعض من^(٤) سمع فأخبرني أنه حدثهم عن القوم الذين تطلع عليهم الشمس قال قال خرجت حتى إذا جاوزت الصين ثم سألت عنهم فقيل إن بينك وبينهم مسيرة يوم و ليلة فاستأجرت رجلا فسرت بقية عشتي و ليأتي حتى صبحتهم فإذا أحدهم يفرس أذنه و يلبس^(٥) الأخرى و كان صاحبي يحسن لسانهم فسألهم و قال جئنا ننظر كيف تطلع الشمس فبينما نحن كذلك إذ سمعنا كهيفة الصلصلة فغشي علي فأققت و هم مسحوني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء فإذا هو يغلي كهيفة الزيت و إذا طرف السماء كهيفة الفساطط فلما ارتفعت أدخلوني في سرب لهم أنا و صاحبي فلما ارتفع النهار خرجوا إلى البحر فجعلوا يصطادون السمك و يطرحونه بالشمس فينضج^(٦).

ثم قال الثعلبي قالت العلماء بأخبار القدماء لما فرغ ذو القرنين من أمر الأمم الذين هم بأطراف الأرض و طاف الشرق و الغرب عطف فيها^(٧) إلى الأمم التي في وسط الأرض من الجن و الإنس و يأجوج و مأجوج فلما كان في بعض الطريق مما يلي منقطع الترك نحو المشرق قالت له أمة صالحة من الإنس يا ذا القرنين إن بين هذين الجبلين خلقا من خلق الله تعالى ليس فيهم مشابهة للإنس و هم مشابهة البهائم يأكلون العشب و يفترسون الدواب و الوحش كما تفترسها السباع و يأكلون حشرات الأرض كلها من الحيات و العقارب و كل ذي روح مما خلق الله تعالى في الأرض و ليست لله تعالى خلق ينمو نماءهم و لا يزداد كزيادتهم فإن أتت مدة على ما يرى من نمانهم و زيادتهم فلا شك أنهم سيمثلون الأرض و يجلون أهلها منها و يظهرون عليها و يفسدون فيها و ليست تمر بنا سنة مذ جاوزناهم إلا و نحن نتوقعهم أن يطلع علينا أولهم من بين هذين الجبلين ﴿فَهَلْ تَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾^(٨) أي جعلنا و أجرا ﴿وَعَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ حاجزا فلا يصلون إلينا فقال لهم ذو القرنين ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾^(٩) أي ما قواني عليه خير من خرجكم ﴿وَلَكِنْ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ أي حاجزا كالْحَاطِط قالوا و ما تلك القوة قال فعله و صنع يحسنون البناء و العمل و آلة قالوا و ما تلك الآلة قال ﴿آتُونِي زُرِّي الْحَرِيدِ﴾^(١٠) يعني قطعاً واحداً زبرة و آتوني بالنحاس فقالوا و من أين لنا الحديد و النحاس ما يسع هذا العمل قال سأريكم^(١١) على معادن الحديد و النحاس فضرب لهم في جبلين حتى فلقهما ثم استخرج منهما معدنين من الحديد و النحاس قالوا بأي قوة نقطع الحديد و النحاس فاستخرج لهم معدنا آخر من تحت الأرض يقال له السامور^(١٢) و هو أشد ما خلق الله تعالى بياضا و هو الذي قطع به سليمان أساطين بيت المقدس و صخوره و جواهره ثم قاس ما بين الجبلين ثم أوقد على [ما]^(١٣) جمع من الحديد و النحاس النار فصنع منه زبرا أمثال الصخور العظام ثم أذاب النحاس فجعله كالطين و الملاط لتلك الصخور من الحديد ثم بنى و كيفية بنائه على ما ذكر أهل السير هو أنه لما قاس ما بين الجبلين وجد ما بينهما مائة فرسخ فلما أنشأ في عمله حفر له الأساس حتى بلغ الماء ثم جعل عرضه خمسين فرسخا ثم وضع الحطب بين الجبلين ثم نسج عليه الحديد ثم نسج الحطب على الحديد فلم يزل يجعل الحديد على الحطب و الحطب على الحديد ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾^(١٤) و هما الجبلان ثم أمر بالنار فأرسلت فيه ثم ﴿قَالَ أَنْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا﴾ ثم جعل

١١٢
١٠

(٢) في المصدر: «دخلوا».

(١) عبارة: «قال قتادة - حتى - ليست في المصدر».

(٤) في المصدر: «سمع حديثه».

(٣) في المصدر: «جرير».

(٦) عرائس المجالس ص ٣٢٦.

(٥) في المصدر: «و يلبس».

(٨) سورة الكهف، آية: ٩٤.

(٧) في المصدر: «منها».

(١٠) سورة الكهف، آية: ٩٦.

(٩) سورة الكهف، آية: ٩٥.

(١٢) في المصدر: «الساهور».

(١١) في المطبوعة: «سأريكم» و ما أثبتاه من المصدر.

(١٤) سورة الكهف، آية: ٩٦.

(١٣) من المصدر.

يفرغ القطر عليه و هو النحاس المذاب فجعلت النار تأكل الحطب فيصير النحاس مكان الحطب حتى لزم الحديد النحاس فصار كأنه برد حيرة من صفرة النحاس و حرمة و سواد الحديد و غيرته فصار سدا طويلا عظيما حصينا كما قال تعالى ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾^(١) و قال قتادة ذكر لنا أن رجلا قال يا نبي الله قد رأيت سد يأجوج و مأجوج قال انعت لي قال كالبرد الحبر طريقة سوداء و طريقة حمراء قال قد رأيته و يقال إن موضع السد وراء ملاذجرد^(٢) بقرب مشرق الصيف^(٣) بينه و بين الخزرة^(٤) مسيرة اثنتين و سبعين يوما^(٥)

و روي عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال كان ذو القرنين قد ملك ما بين المشرق و المغرب و كان له خليل من الملائكة اسمه رفايل يأتيه و يزوره فيبينما هما ذات يوم يتحدثان إذ قال ذو القرنين يا رفايل حدثني عن عبادتكم في السماء فبكى و قال يا ذا القرنين و ما عبادتكم عند عبادتنا إن في السماء من الملائكة من هو قائم أبدا لا يجلس و منهم الساجد لا يرفع رأسه أبدا و منهم الراكع لا يستوي قائما أبدا يقول سبحان الملك القدوس رب الملائكة و الروح ربنا ما عبدناك حق عبادتك فبكى ذو القرنين بكاء شديدا ثم قال إني لأحب أن أعيش فأبلغ من عبادة ربي حق طاعته فقال رفايل أو تحب ذلك يا ذا القرنين قال نعم فقال رفايل فإن لله تعالى عينا في الأرض تسمى عين الحياة فيها من الله عز و جل عزيمة أنه من شرب منها لم يمت أبدا حتى يكون هو الذي يسأل ربه الموت فقال ذو القرنين هل تعلمون أنتم موضع تلك العين فقال لا غير أنا نتحدث في السماء إن لله تعالى في الأرض ظلمة لا يطوها إنس و لا جان فنحن نظن أن تلك العين في تلك الظلمة فجمع ذو القرنين علماء أهل الأرض و أهل دراسة الكتب و آثار النبوة فقال لهم أخبروني هل وجدتم في ما قرأتم من كتب الله تعالى و ما جاءكم من أحاديث الأنبياء و من كان قبلكم من العلماء أن الله تعالى وضع في الأرض عينا سماها عين الحياة فقالت العلماء لا فقال عالم من العلماء و اسمه فتحيز^(٦) إني قرأت وصية آدم فوجدت فيها إن الله خلق في الأرض ظلمة لم يطأها إنس و لا جان و وضع فيها عين الخلد فقال ذو القرنين صدقت ثم حشد إليه الفقهاء و الأشراف و الملوك و سار يطلب مطلع الشمس فسار اثني عشرة سنة إلى أن بلغ طرف الظلمة فإذا ظلمة تغور مثل الدخان ليست بظلمة ليل فعسكر هناك ثم جمع علماء عسكره فقال إني أريد أن أسلك هذه الظلمة فقال العلماء أيها الملك إنه من كان قبلكم من الأنبياء و الملوك لم يطلبوا هذه الظلمة فلا تطلبها فإننا نخاف أن يفتق^(٧) عليك أمر تكرهه و يكون فيه فساد أهل الأرض فقال لا بد من أن أسلكها فقالوا أيها الملك كف عن هذه الظلمة و لا تطلبها فإننا لو تعلم أنك إن طلبتها ظفرت بما تريد و لم يسخط الله علينا لا تبعناك و لكننا نخاف العنت من الله تعالى و فسادا في الأرض و من عليها فقال ذو القرنين لا بد من أن أسلكها فقالت العلماء شأنك بها فقال ذو القرنين أي الدواب أبصر قالوا الخيل قال فأبصر قالوا الإناث قال فأبصر قالوا البكار^(٨) فأرسل ذو القرنين فجمع له ستة آلاف فرس أنثى بكارة^(٩) ثم انتخب من عسكره أهل الجلد و العقل ستة آلاف رجل فدفع إليهم كل رجل فرسا و عقد للخضر على مقدمته على ألفين و بقي ذو القرنين في أربعة آلاف و قال ذو القرنين للناس لا تبرحوا من معسكركم هذا اثني عشرة سنة فإن نحن رجعنا إليكم و إلا فارجعوا إلى بلادكم فقال الخضر أيها الملك إنا نسلك ظلمة هو لا ندري كم السير فيها و لا يصير بعضنا بعضا فكيف نصنع بالضلال إذا أصابنا فدفع ذو القرنين إلى الخضر خزرة حمراء فقال حيث يصيبكم الضلال فاطرح هذه في الأرض فإذا صاحت فليرجع أهل الضلال إليها أين صاحت فصار الخضر بين يدي ذي القرنين يرتحل الخضر و ينزل ذو القرنين فيبينما الخضر يسير إذ عرض له واد فظن أن العين في الوادي و ألقى في قلبه ذلك فقام على شفير الوادي و قال لأصحابه قفوا و لا يبرحن رجل من موقفه فرمى بالخرزة فمكث طويلا ثم أجابته الخزرة فطلب صوتها فانتهى إليها فإذا هي على جانب العين فنزع الخضر ثيابه ثم دخل العين فإذا ماء أشد بياضا من اللبن و أحلى من الشهد فشرب و اغتسل و توشأ و لبس ثيابه ثم رمى بالخرزة نحو أصحابه فوفقت الخزرة فصاحت فرجع الخضر إلى صوتها و إلى أصحابه فركب و قال لأصحابه سيروا باسم الله.

(١) في المصدر: «زخرد» بدل «ملاذجرد».

(٤) في المصدر: «الخرزة».

(٦) عبارة: «وأسمه فتحيز» ليست في المصدر.

(٨) في المصدر: «البكار».

(١١) سورة الكهف، آية: ٩٧.

(٣) هكذا في المطبوعة، و في المصدر: «مشرق الأرض».

(٥) عرائس المجالس ص ٣٢٧ - ٣٢٨.

(٧) في المصدر: «ينفتح».

(٩) في المصدر: «أبكارا».

و مر ذو القرنين فأخطأ الوادي فسلكوا تلك الظلمة أربعين يوماً و ليلة ثم خرجوا إلى ضوء ليس بضوء شمس ولا قمر و لا أرض حمراء و رملية خشخاشية^(١) أي مصوثة^(٢) فإذا هو بقصر مبني في تلك الأرض طوله فرسخ في فرسخ عليه باب فنزل ذو القرنين بعسكره ثم خرج وحده حتى دخل القصر فإذا حديدة قد وضعت طرفاها على جانب القصر من هاهنا و هاهنا و إذا بطائر^(٣) أسود شبيه بالخفاف مزوم بأنفه إلى الحديدة معلق بين السماء و الأرض فلما سمع الطائر خشخشة ذي القرنين قال من هذا قال أنا ذو القرنين فقال الطائر يا ذو القرنين أما كفك ما وراك حتى وصلت إلي ثم قال الطائر يا ذا القرنين حدثني فقال ذو القرنين سل فقال هل كثر بناء الآجر و الجص في الأرض قال نعم فانتفض الطائر انتفاضة ثم انتفخ فبلغ ثلث الحديدة ثم قال يا ذا القرنين هل كثرت المعازف قال نعم فانتفض الطير و امتلأ حتى ملأ من الحديدة ثلثها ثم قال هل كثرت شهادات الزور في الأرض قال نعم فانتفض الطائر انتفاضة فملأ الحديدة و سد ما بين جداري القصر فخشى و خاف^(٤) ذو القرنين و فرق فرقاً شديداً فقال الطائر يا ذا القرنين لا تخف حدثني قال سل قال هل يترك^(٥) الناس شهادة أن لا إله إلا الله قال لا قال فانضم الطائر ثلثاً ثم قال يا ذا القرنين هل ترك الناس الصلاة المفروضة بعد قال لا قال فانضم الطائر ثلثاً ثم قال يا ذا القرنين هل ترك الناس غسل الجنابة بعد قال لا قال فصار الطائر كما كان ثم قال اسلك يا ذا القرنين هذه الدرجة درجة إلى أعلى القصر فسلكها ذو القرنين و هو خائف و جل لا يدرى على م يهجم حتى استوى على صدر الدرج فإذا سطح ممدود عليه صورة رجل شاب قائم عليه ثياب بيض رافعا وجهه إلى السماء واضعا يديه على فيه فلما سمع خشخشة ذي القرنين قال ما هذا^(٦) قال أنا ذو القرنين قال يا ذا القرنين إن الساعة قد اقتربت و أنا أنتظر أمر ربي يأمرني أن أنفخ فأنفخ^(٧) ثم أخذ صاحب الصور شيئا من بين يديه كأنه حجر فقال خذها يا ذا القرنين فإن شيع هذا شيعت و إن جاع هذا جعت فأخذ ذو القرنين الحجر و نزل إلى أصحابه فحدثهم بأمر الطائر و ما قال له و ما رد عليه و ما قال صاحب الصور ثم جمع علماء عسكره فقال أخبروني عن هذا الحجر ما أمره فقالوا أيها الملك أخبرنا بما قال لك فيه صاحب الصور فقال ذو القرنين إنه قال لي إن شيع هذا شيعت و إن جاع جعت فوضعت العلماء ذلك الحجر في إحدى كفتي الميزان و أخذوا حجرا مثله فوضعه في الكفة الأخرى ثم رفعوا الميزان فإذا الذي جاء به ذو القرنين يميل فوضوا معه آخر و رفعوا الميزان فإذا هو يميل بهن فلم يزالوا يضعون حتى وضوا ألف حجر فرفعوا الميزان فمال بالألف جميعا فقالت العلماء انقطع علمنا دون هذا لا ندري أسحر هذا أم علم ما لا نعلمه فقال الخضر و كان قد وافته نعم أنا أعلمه فأخذ الخضر الميزان بيده ثم أخذ الحجر الذي جاء به ذو القرنين فوضعه في إحدى الكفتين فأخذ حجرا من تلك الحجارة فوضعه في الكفة الأخرى ثم أخذ كفا من تراب فوضعه على الحجر الذي جاء به ذو القرنين ثم رفع الميزان فاستوى فخرت العلماء سجدا لله تعالى و قالوا سبحان الله هذا علم لا يبلغه علمنا و الله لقد وضعنا ألفا فما استقل به فقال الخضر أيها الملك إن سلطان الله عز و جل قاهر لخلقه و أمره نافذ فيهم و حكمه جار عليهم فإن الله تعالى ابتلى خلقه بعضهم ببعض فابتلى العالم بالعالم و الجاهل بالجاهل و العالم بالجاهل و الجاهل بالعالم و إنه ابتلاك بي و ابتلاني بك فقال ذو القرنين صدقت فأخبرنا عن هذا المثل فقال الخضر هذا مثل ضربه لك صاحب الصور إن الله عز و جل مكن لك في البلاد و أعطاك منها ما لم يعط أودا و أوطاك منها ما لم يوطئ أحدا فلم تشيع فأبت نفسك شرها حتى بلغت من سلطان الله ما لم يطاء إنس و لا جان فهذا مثل ضربه لك صاحب الصور إن ابن آدم لا يشيع أبدا دون أن يحثي عليه التراب و لا ملأ جوفه إلا التراب فيكي ذو القرنين ثم قال صدقت يا خضر في ضرب هذا المثل لا جرم لا أطلب أثرا في البلاد بعد مسيري هذا حتى أموت ثم انصرف راجعا حتى إذا كان في وسط الظلمة و طأ الوادي الذي فيه الزبرجد فقال من معه لما سمعوا خشخشة تحت أقدامهم و أقدام دوابهم ما هذا تحتنا يا أيها الملك فقال ذو القرنين خذوا منه فأنه من أخذ ندم و من ترك ندم فمنهم من أخذ الشيء و منهم من تركه فلما خرجوا من الظلمة إذا هو الزبرجد فندم الأخذ و التارك.

قال و كان رسول الله ﷺ يقول رحم الله أخي ذا القرنين لو ظفر بوادي الزبرجد فندم الأخذ و التارك.

(١) في المصدر: «خشخاشية».
(٢) في المصدر: «طائر».
(٣) في المصدر: «ترك».
(٤) في المصدر: «فأنفخ».
(٥) في المصدر: «فأنفخ».
(٦) في المصدر: «من هذا».
(٧) عبارة: «أي مصوثة» ليست في المصدر.
(٨) في المصدر: «ببحث رأي» بدل «فخشى و خاف».

حتى يخرجهم إلى الناس لأنه كان راغباً في الدنيا ولكنه ظفر به وهو زاهد في الدنيا لا حاجة له فيها ثم رجع إلى العراق وملك ملوك الطوائف ومات في طريقه بشهر ربيع^(١) وقال علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ثم إنه رجع إلى دومة الجندل وكان منزله فأقام بها حتى مات.^(٢) انتهى.

وقال الطبرسي ره في قوله تعالى ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾^(٣) فسادهم أنهم كانوا يخرجون فيقتلونهم ويأكلون لحومهم ودوابهم وقيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يدعون شيئاً أخضر إلا أكلوه ولا يابس إلا احتملوه عن الكلبى وقيل أراد أنهم سيفسدون في المستقبل عند خروجهم ورد في الخبر عن حذيفة قال سألت رسول الله ﷺ عن يأجوج ومأجوج فقال يأجوج أمة ومأجوج أمة كل أمة أربع مائة سنة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كل قد حمل السلاح قلت يا رسول الله فصفهم لنا قال هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الأزر قلت يا رسول الله وما الأزر قال شجر بالشام طويل ومنهم طوله وعرضه سواء^(٤) وهؤلاء الذين لا يقوم لهم جبل ولا حديد وصنف منهم يفتش أحدهم أذنيه ويلتحف بالأخرى ولا يميرون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلا أكلوه من مات منهم أكلوه مقدمتهم بالشام وساقطهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية قال وهب ومقاتل إنهم من ولد يافث بن نوح أبي الترك وقال السدي الترك سرية من يأجوج ومأجوج خرجت تغير فجاء ذو القرنين ف ضرب السد فبقيت خارجته^(٥) وقال قتادة إن ذا القرنين بنى السد على إحدى وعشرين قبيلة وبقيت منهم قبيلة دون السد فهم الترك وقال كعب هم نادرة من ولد^(٦) آدم وذلك أن آدم احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء والتراب يأجوج ومأجوج فهم متصلون بنا من جهة الأب دون الأم وهذا بعيد.^(٧) ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَذَبٍ يَنْسِلُونَ﴾^(٨) قال ره أي من كل نسل من الأرض يسرعون يعني أنهم متفرقون في الأرض فلا ترى أكمة إلا وقوم منهم يهبطون منها مسرعين^(٩).

وقال رحمه الله في ق قيل هو اسم الجبل المحيط بالأرض من زمردة خضراء خضرة السماء منها عن الضحاك وعكرمة^(١٠).

وقال رحمه الله في «الطور» أقسم سبحانه بالجبل الذي كلم عليه موسى بالأرض المقدسة وقيل هو الجبل أقسم به لما أودع فيه من أنواع نعمه^(١١).

وفي قوله تعالى ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾^(١٢) أي أفلا يتفكرون في خلق الله سبحانه الجبال أوتادا للأرض ومسكنة لها وإنه لولاهما لمادت الأرض بأهلها.^(١٣)

١- الخصال: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد بن عيسى عن أبي يحيى الواسطي بإسناده رفعه إلى الصادق عليه السلام قال الدنيا سبعة أقاليم يأجوج ومأجوج والروم والصين والزنج وقوم موسى وأقاليم بابل.^(١٤)

بيان: لعل المراد هنا بيان أقاليم الدنيا باعتبار أصناف الناس واختلاف صورهم وألوانهم وطبائعهم والغرض إما حصرهم فيها فأقاليم بابل المراد بها ما يشمل أشباههم من العرب والعجم والصين يشمل جميع الترك والزنج يشمل الهند أو بيان غرائب الأصناف من الخلق وهو أظهر والمراد بقوم موسى أهل جابلقا وجابرسا كما مر.^(١٥)

٢- الخصال: عن القاسم بن محمد بن أحمد بن عبدويه السراج عن علي بن الحسن^(١٦) بن سعيد البزاز عن حميد^(١٧) بن زنجويه عن عبد الله بن يوسف عن خالد بن يزيد بن صبيح عن طلحة بن عمرو الحضرمي عن عطا عن

(٢) عرائس المجالس ص ٣٢٩ - ٣٣٢.

(٤) في المصدر: «وصنف منهم طولهم وعرضهم سواء».

(٦) في المصدر إضافة: «بني».

(٨) سورة الأنبياء، آية: ٩٦.

(١٠) مجمع البيان ج ٩ ص ١٤١.

(١٢) سورة الغاشية، آية: ١٩.

(١٤) الخصال ج ٢ ص ٣٥٧ باب السبعة حديث ٤٠.

(١٦) في بعض نسخ المصدر: «الحسين».

(١) في المصدر: «ومات في طريقه قبل وصوله بشهر».

(٣) سورة الكهف، آية: ٩٤.

(٥) في المصدر: «خارجة».

(٧) مجمع البيان ج ٥ ص ٤٩٤.

(٩) مجمع البيان ج ٦ ص ٩٦.

(١١) مجمع البيان ج ٩ ص ١٦٣.

(١٣) مجمع البيان ج ١٠ ص ٤٨٠.

(١٥) لم نثر على في ما مر.

(١٧) في المصدر: «سعيد».

ابن عباس عن النبي ﷺ قال من الجبال التي تطايرت يوم موسى ﷺ سبعة أجبل فلحقت بالحجاز واليمن منها بالمدينة أحد وورقان وبمكة ثور وثير وحري وباليمن صبر وحضور.^(١)

توضيح: قال الفيروزآبادي وورقان بكسر الراء جبل أسود بين العرج والروثة يمين المصعد من المدينة إلى مكة حرسهما الله تعالى^(٢) وقال ثور جبل بمكة^(٣) وقال ثبير والأشيرة وثير الخضراء والنصح والزنج والأعرج والأحذب وغنياء جبال بظاهر مكة^(٤) وقال حراء ككتاب وكلى عن عياض يؤث و يمنع جبل بمكة فيه غار تحنث فيه النبي ﷺ أي تعبد واعتزل^(٥) وقال الصبر ككتف ولا يسكن إلا في ضرورة شعر جبل مطل على تغز وقال تغز^(٦) كقتل قاعدة اليمن^(٧) وقال حضور كصبور جبل و بلد باليمن.^(٨)

٣-الخصال: عن أبيه و محمد بن الحسن بن الوليد عن أحمد بن إدريس و محمد بن يحيى العطار معا عن محمد بن أحمد الأشعري عن محمد بن الحسين عن أحمد بن علي عن زيد بن مهران عن محمد بن عبد الجبار عن الحسين بن زيد قال بلغني أن الله عز و جل خلق الجبل^(٩) من أربعة أشياء من البحر الأعظم المحدث بالدنيا و من النار و من دموع ملك يقال له إبراهيم و من بشر طيبة^(١٠) و الحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

بيان: خلق الجبل كذا في بعض النسخ بالجيم والباء الموحدة و في أكثر النسخ بالخاء المعجمة و الباء المثناة التحتانية و على التقديرين لعل فيه تجوزا و استعارة مع أن الخير موقوف لم يسند إلى إمام و كان في البئر أيضا تحريفا.

٤- تفسير علي بن إبراهيم: ﴿قَالَ الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ﴾ قال ق جبل محيط بالدنيا وراء يأجوج ومأجوج وهو قسم.^(١١)

٥- و منه: عن أحمد بن علي و أحمد بن إدريس معا عن محمد بن أحمد العلوي عن العمري عن محمد بن الجمهور عن سليمان بن سماعة عن عبد الله بن القاسم عن يحيى بن مسيرة الخثعمي عن أبي جعفر ﷺ قال سمعته يقول ﴿عسق﴾^(١٢) عداد سني القائم و ﴿ق﴾ جبل محيط بالدنيا من زمرد أخضر فخضرة السماء من ذلك الجبل و علم علي كله في ﴿عسق﴾.^(١٣)

٦-العيون: و العلل، في خبر الشامي سأل أمير المؤمنين ﷺ عما خلقت الجبال قال من الأمواج.^(١٤)

٧-البصائر: عن أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن عثمان بن عيسى عن سماعة بن مهران عن أبي بصير عن أبي جعفر ﷺ أنه قال إن عليا ﷺ ملك ما في الأرض و ما تحتها فعرضت له السحابان الصعب و الذلول فاختر الصعب فكان في الصعب ملك ما تحت الأرض و في الذلول ملك ما فوق الأرض و اختار الصعب على الذلول فدارت به سبع أرضين فوجد ثلاث خراب و أربع عوامر.^(١٥)

٨- و منه: عن أحمد بن محمد عن ابن سنان عن أبي خالد و أبي سلام عن سورة عن أبي جعفر ﷺ قال أما إن ذا القرنين قد خير بين السحابين فاختر الذلول و ذخر لصاحبكم الصعب قال قلت و ما الصعب قال ما كان من سحب فيه رعد و صاعقة أو برق فصاحبكم يركبه أما إنه سيركب السحاب و يرقى في الأسباب أسباب السماوات السبع و الأرضين السبع خمس عوامر و اثنتان خرابان.^(١٦)

بيان: لعل الخامسة عمارتها قليلة فعدت في الخبر السابق من الخراب لذلك.

- | | |
|---|---|
| (١) الخصال ج ٢ ص ٣٤٤ باب السبعة حديث ١٠. | (٢) القاموس المحيط ج ٣ ص ٢٩٨. |
| (٣) القاموس المحيط ج ١ ص ٢٩٨. | (٤) القاموس المحيط ج ١ ص ٢٩٦. |
| (٥) القاموس المحيط ج ٤ ص ٣١٨. | (٦) القاموس المحيط ج ٢ ص ٦٩. |
| (٧) القاموس المحيط ج ٢ ص ١٨٩. | (٨) القاموس المحيط ج ٢ ص ١١. |
| (٩) في المصدر: «الغيل». | (١٠) الخصال ج ١ ص ٢٦٠ باب الأربعة حديث ١٣٧. |
| (١١) تفسير علي بن إبراهيم القمي ج ٢ ص ٣٢٣ والآية من سورة ق: ١. | |
| (١٢) في المصدر: «هم عسق». | |
| (١٣) تفسير علي بن إبراهيم القمي ج ٢ ص ٢٦٧، وفيه: «و علم كل شيء في عسق». | |
| (١٤) عيون الأخبار ج ١ ص ٢٤١ و علل الشرائع ص ٥٩٣ باب ٣٨٥ حديث ٤٤. | |
| (١٥) بصائر الدرجات ص ٤٢٩ ج ٨ باب ١٥ حديث ٣. | (١٦) بصائر الدرجات ص ٤٢٩ ج ٨ باب ١٥ حديث ٣. |

٩- البصائر للصفار: ومنتخب البصائر لسعد بن عبد الله، عن سلمة عن أحمد بن عبد الرحمن عن محمد بن سليمان عن يقطين الجواليقي عن قلقة عن أبي جعفر عليه السلام قال إن الله خلق جبلا محيطا بالدنيا من زبرجد أخضر وإنما خضرة السماء من خضرة ذلك الجبل وخلق خلقا لم يفترض عليهم شيئا مما افترض على خلقه من صلاة و زكاة كلهم يلعن رجلين من هذه الأمة و سماها. (١)

١٠- جامع الأخبار: سئل النبي صلى الله عليه وآله عن القاف و ما خلفه قال خلفه سبعون أرضا من ذهب و سبعون أرضا من فضة و سبعون أرضا من مسك خلفه سبعون أرضا سكانها الملائكة لا يكون فيها حر و لا برد و طول كل أرض مسيرة عشرة ألف سنة قيل و ما خلف الملائكة قال حجاب من ظلمة قيل و ما خلفه قال حجاب من ريع قيل و ما خلفه قال حجاب من نار قيل و ما خلفه قال حية محيطة بالدنيا كلها تسبح الله إلى يوم القيامة و هي ملك الحيات كلها قيل و ما خلفه قال حجاب من نور قيل و ما خلفه قال علم الله و قضاؤه (٢) و سئل عليه السلام عن عرض قاف و طولها و استدارته فقال عرضه مسيرة ألف سنة من ياقوت أحمر قضيبه من فضة بيضاء و زجه من زمردة خضراء له ثلاث ذوائب من نور ذؤابة بالشرق و ذؤابة بالمغرب و الأخرى في وسط السماء عليها مكتوب ثلاثة أسطر الأول بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الثاني اَلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الثالث لا إله إلا الله محمد رسول الله. (٣)

١١- الدر المنثور: عن كعب في قوله ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ قال حجاب من ياقوت أخضر محيط بالخلاتق فمنه اخضرت السماء التي يقال لها السماء الخضراء و اخضر البحر من السماء فمن ثم يقال البحر الأخضر. (٤)
و عن ابن مسعود أيضا مثله. (٥)

بيان: الأخبار المنقولة من الكتابين ضعيفة عامية و قد مر أشباهها و بعض القول فيها في باب العوالم.

١٢- كتاب الأقاليم و البلدان: قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله من قرأ ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَ حِينَ تُصْبِحُونَ﴾ إلى ﴿وَكَذَلِكَ نُخْرِجُكَ﴾ كتب له من الحسنات بعد كل ورقة ثلج على جبل سيلان قيل و ما السيلان يا رسول الله قال جبل بأرمينية و آذربيجان عليه عين من عيون الجنة و فيه قبر من قبور الأنبياء. قال أبو حامد الأندلسي على رأس هذا الجبل عين عظيمة مع غاية ارتفاعه ماؤه أبرد من ماء الثلج كأنما يشبه بالعسل لشدة عذوبته و بجوف هذا الجبل ماء يخرج من عين يصلق البيض لحرارته يقصدها الناس لمصالحهم و بحضيض هذا الجبل شجر كثير و مراعى و شيء من حشيش لا يتناول به إنسان و لا حيوان إلا مات لساعته.

قال القزويني و لقد رأيت الخيل و الدواب ترعى في هذا الجبل فإذا قربت من ذلك الحشيش نفرت و ولت منهزمة كالطرودة و قال قال القزويني في قرية من قرى قزوين جبل حدثني من صعد أن عليه صورة كل حيوان من الحيوان على اختلاف أجناسها و صور الآدميين على أنواع أشكالها عدد لا تحصى و قد مسخوا حجارة و فيه الراعي متكئا على عصاه و الماشية حوله كلها حجارة و امرأة تحلب بقرة و قد تحجر و الرجل يجامع امرأته و قد تحجر و امرأة ترضع ولدها و هلم جرا هكذا. (٦)

١٣- و قال حكى أنه دخل على جعفر الصادق عليه السلام رجل من همدان فقال له جعفر الصادق عليه السلام من أين أنت قال من همدان فقال له أتعرف جبلها راوند قال له الرجل جعلت فذاك إنه أروند قال نعم إن فيه عينا من عيون الجنة.

بيان: كان الجبل مسمى بكل الاسمين والصحيح من اسمه راوند وإنما صدقه لأنه هكذا أعرف عندهم.

و قال (٧) جبل قاف محيط بالأرض كإحاطة بياض العين بسوادها و ما وراء جبل قاف فهو من حكم الآخرة لا من حكم الدنيا و قال بعض المفسرين إن لله سبحانه و تعالى من وراء جبل قاف

(١) لم نعرف على كتاب منتخب البصائر هذا و تجده في بصائر الدرجات ص ٥١٢ جزء ١ باب ١٤ حديث ٦.

(٢) جامع الأخبار ص ٣٤٧ فصل ٨٤ حديث ٢.

(٣) جامع الأخبار ص ٣٤٧ فصل ٨٤ حديث ٣.

(٤) الدر المنثور ج ٥ ص ٣٠٩.

(٥) الدر المنثور ج ٥ ص ٣٢٢.

(٦) أي مؤلف كتاب الأقاليم.

(٧) لم نعرف على كتاب الأقاليم هذا.

أرضاً بيضاء كالفضة المجلوة طولها مسيرة أربعين يوماً للشمس و بها ملائكة شاخصون إلى العرش لا يعرف الملك منهم من إلى جانبه من هبة الله تعالى و لا يعرفون ما آدم و ما إبليس هكذا إلى يوم القيامة و قبل إن يوم القيامة تبدل أرضنا هذه بتلك الأرض و الله أعلم.

وقال السرنديب هو جبل بأعلى الصين في بحر الهند و هو الجبل الذي أهبط عليه آدم ﷺ و عليه أثر قدمه غائص في الصخرة طوله سبعون شبراً و علي هذا الجبل ضوء كالبريق و لا يتمكن أحد أن ينظر إليه و لا بد لكل يوم فيه من المطر فيغسل قدم آدم ﷺ و حوله من أنواع اليواقيت و الأحجار النفيسة و أصناف العطر و الأدوية ما لا يوصف فإن آدم خطا من هذا الجبل إلى ساحل البحر خطوة واحدة و هو مسيرة يومين.

و قال حكي عن عبادة بن الصامت قال أرسلني أبو بكر إلى ملك الروم رسولا لأدعوه إلى الإسلام فسرت حتى دخلت بلاد الروم فلاح لنا جبل يعرف بأهل الكهف فوصلنا إلى دير فيه و سألنا أهل الدير عنهم فأوقفونا على سرب في الجبل فوهبنا لهم شيئاً و قلنا نريد أن ننظر إليهم فدخلوا و دخلنا معهم و كان عليهم باب من حديد ففتحوه لنا فأتيناه إلى بيت عظيم محفور في الجبل فيه ثلاثة عشر رجلاً مضطجعين على ظهورهم كأنهم رقود و على كل واحد منهم جبة غبراء و كساء أغبر قد غطوا بها من رءوسهم إلى أقدامهم فلم ندر ما ثيابهم من صوف أو وبر إلا أنها كانت أصلب من الديباج فلمسناها فإذا هي تتعقق من الصفاقة و على أرجلهم الخفاف إلى أنصاف سوقهم مستنعلين بنعال مخصوفة و خفافهم و نعالهم في جودة الخز و لين لجلود ما لم ير مثله قال فكشفنا عن وجوههم رجلاً رجلاً فإذا هم في وضاعة الوجوه و صفاء الألوان و حسن التخطيط و هم كالأحياء بعضهم في نصارة الشباب و بعضهم قد خطه الشيب و بعضهم شعورهم مظفورة و بعضهم شعورهم مضومة و على زي المسلمين فأتيناه إلى آخرهم فإذا فيه مضروب على وجهه بسيف كأنما ضرب في يومه فسالنا عن حالهم و ما يعلمون من أمورهم فذكروا أنهم يدخلون عليهم في كل عام يوماً و يجتمع أهل تلك الناحية على الباب فيدخل عليهم من ينفذ التراب عن وجوههم و أكسيتهم و يقطع أطفارهم و يقص شواربهم و يتركهم على هيئتهم هذه قلنا لهم هل تعرفون من هم و كم مدة هم هاهنا فذكروا أنهم يجدون في كتبهم أنهم كانوا أنبياء بعثوا إلى هذه البلاد في زمان واحد قبل المسيح بأربعمائة سنة و عن ابن عباس أن أصحاب الكهف سبعة. (١)

١٢٤- نوادر علي بن أسباط: عن إبراهيم بن علي المحمودي عن أبيه عن عبد الله بن موسى عن أبيه عن جده جعفر بن محمد عن محمد بن علي ﷺ عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم و نحن في مسجده فقال من هاهنا قلت أنا يا رسول الله و سلمان الفارسي فقال يا سلمان ادع لي مولاك علياً فقد جاءني فيه عزيمة من رب العالمين قال جابر فذهب سلمان فاستخرج علياً من منزله فلما دنا من رسول الله ﷺ خلا به فأطال مناجاته كل ذلك يسر إليه رسول الله ﷺ سرا خفياً عنا و وجه رسول الله ﷺ يقطر عرقاً نكتم الدر يتهلل حسناً ثم قال له لما انصرف من مناجاته قد سمعت و وعيت فاحفظ يا علي ثم قال يا جابر ادع عمر و أباً بكر قال جابر فذهبت إليهما فدعوتهما فلما حضراه قال يا جابر ادع لي عبد الرحمن بن عوف قال جابر فدعوته فلما أتاه قال يا سلمان اذهب إلى بيت أم سلمة فأتني بالبساط الخيري قال جابر فما لبثنا أن جاءنا سلمان بالبساط فأمره أن يسط ثم أمر القوم فجلس كل واحد منهم على ركن من أركانه و كانوا ثلاثة ثم خلا رسول الله ﷺ (٢) فأطال مناجاته و أسر إليه سرا خفياً ثم أمره أن يجلس على الركن الرابع من البساط ثم قال النبي ﷺ يا علي اجلس متوسطاً و قل ما أمرتك به فإنك لو قلت على الجبال لسارت أو قلت على الأرض لتقطع من ورائك و لطويت كل من بين يديك و لو كلمت به الموتى لأجابوك بإذن الله فقال له بعض القوم يا رسول الله هذا لعلي خاصة قال نعم فاعرفوا ذلك له قال جابر فلما أخذ كل واحد مجلسه اختلج البساط فلم أره إلا ما بين السماء و الأرض فلما رجع سلمان خبرني أنهم ساروا ما بين السماء و الأرض لا يدرون أشرقاً أم غرباً حتى انتقض بهم البساط على كهف عظيم عليه باب من حجر

واحد قال سلمان فقامت بالذي أمرني به رسول الله ﷺ قال جابر فقلت لسلمان ما أمرك^(١) رسول الله ﷺ قال أمرني إذا استقر البساط مكانه من^(٢) الأرض و صرنا عند الكهف أن أمر أبأ بكر بالسلام على أهل ذلك الكهف و على الجميع فأمرت فسلم عليهم بأعلى صوته فلم يردوا عليه شيئا ثم سلم أخرى فلم يجب فشهد أصحابه عليه ثم شهدت عليه ثم أمرت عمر فسلم عليهم بأعلى صوته فلم يردوا عليه شيئا ثم سلم أخرى فلم يجب فشهد أصحابه على ذلك و شهدت عليه ثم أمرت عبد الرحمن بن عوف فسلم عليهم فلم يجب فشهدوا أصحابه على ذلك و شهدت عليه ثم قلت أنا فأسمعت الحجارة و الأودية صوتي فلم أجب فقلت لعلي فداك أبي و أمي أنت بمنزلة رسول الله ﷺ حتى ترجع لك و لك السمع و الطاعة و قد أمرني أن آمرك بالسلام على أهل هذا الكهف آخر القوم و ذلك لما يريد الله لك و بك الشرف من شرف الدرجات فقام علي فسلم بصوت خفي فانفتح الباب فسمعنا له صريرا شديدا و نظرنا إلى داخل الفار يتوقد نارا فملئنا رعبا و ولّى القوم فرارا فقلت لهم مكانكم حتى نسلم ما يقال و إنه لا بأس عليكم فرجوا فأعاد علي ﷺ فقال السلام عليكم أيها الغتية الذين آمنوا بربهم فقالوا و عليك السلام يا علي و رحمة الله و بركاته و على من أرسلك بآبائنا و أمهاتنا أنت يا وصي محمد خاتم النبيين و قائد المرسلين و نذير العالمين و بشير المؤمنين أقرته من^(٣) السلام و رحمة الله يا إمام المتقين قد شهدنا لابن عمك بالنبوة و لك بالولاية و الإمامة و السلام على محمد يوم ولد و يوم يموت و يوم يبعث حيا قال ثم أعاد علي ﷺ فقال السلام عليكم أيها الغتية الذين آمنوا بربهم و زدناهم^(٤) هُدًى فقالوا عليك السلام و رحمة الله و بركاته يا مولانا و إمامنا الحمد لله الذي أرانا^(٥) ولايتك و أخذ ميثاقنا بذلك^(٦) و زادنا إيمانا و تثبتنا على التقوى قد سمع من بحضرتك أن الولاية لك دونهم و سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ قال سلمان فلما سمعوا ذلك أقبلوا على علي ﷺ و قالوا شهدنا و سمعنا فاشفع لنا إلى نبينا ليرضى عنا برضاك ثم تكلم علي ﷺ بما أمره رسول الله ﷺ ما درينا أشرق أم غربا حتى نزلنا كالطير الذي يهوي من مكان بعيد و إذا نحن على باب المسجد فخرج إلينا رسول الله ﷺ فقال كيف رأيتم فقال القوم نشهد كما شهد أهل الكهف و نؤمن كما آمنوا فقال إن تفعلوا تهتدوا و ما عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ فَإِنْ لَمْ تفعلوا تخطفوا فمن وافى و افى^(٧) الله له و من نكص فعلى عقبيه ينقلب أفيعد المعرفة و الحجة و الذي نفسي بيده لقد أمرت أن آمركم ببيعته و طاعته فبإيعوه و أطيعوه فقد نزل الوحي بذلك ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ و أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاوْلَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٨) قال جابر فبإيعانه فقال رسول الله ﷺ إن استقمتم على الطريقة لعلي في ولايته أسقيتم ماء غدا و أكلتم من فوق رؤوسكم و من تحت أرجلكم و إن لم تستقيموا اختلفت كلمتكم و شمت بكم عدوكم و لتبعن بني إسرائيل شيئا شيئا لدخلوا حجر ضب لتبعتموهم فيه و طوبى لمن تمسك بولاية علي من بعدي حتى يموت و بلغني^(٩) و أنا عنه راض قال جابر و كان ذهابهم و مجيئهم من زوال الشمس إلى وقت العصر.^(١٠)

١٥- الدر المنثور: عن ابن عباس قال خلق الله تعالى من وراء هذه الأرض بحرا محيط بها ثم خلق من وراء ذلك جبلا يقال له ق السماء الدنيا مترفرة عليه ثم خلق من وراء ذلك الجبل أيضا^(١١) مثل تلك الأرض سبع مرات ثم خلق من وراء ذلك بحرا محيط بها ثم خلق من وراء ذلك جبلا يقال له ق السماء الثانية مترفرة عليه حتى عد سبع أرضين و سبعة أبحر و سبعة أجبل^(١٢) قال و ذلك قوله ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾.^(١٣)

١٦- و عن عبد الله بن بريدة قال ق جبل من زمرد محيط بالدنيا عليه كنف السماء.^(١٤)

١٧- و عن مجاهد قال ق جبل محيط بالأرض.^(١٥)

١٢٦

(١) في المصدر: «و ما الذي كان أمرك به» بدل «لما أمرك».

(٢) في المصدر: «مئي».

(٣) في المصدر: «فأمرني».

(٤) في المصدر: «فأمرني».

(٥) في المصدر: «فمن وفى و فى».

(٦) في المصدر: «و يلقاني».

(٧) نوارد علي بن أسباط ضمن الأصول الستة عشر ص ١٢٨ - ١٣١.

(٨) في المصدر: «أرضاً».

(٩) الدر المنثور ج ٦ ص ١٠١ و الآية من سورة لقمان: ٢٧.

(١٠) الدر المنثور ج ٦ ص ١٠١.

(١١) في المصدر: «و سبع سموات».

(١٢) الدر المنثور ج ٦ ص ١٠١.

(١٣) الدر المنثور ج ٦ ص ١٠٢.

(١٤) الدر المنثور ج ٦ ص ١٠١.

(١٥) الدر المنثور ج ٦ ص ١٠٢.

١٨- وعن ابن عباس قال خلق الله جبلا يقال له ق محيط بالعالم و عروقه إلى الصخرة التي عليها الأرض فإذا أراد الله أن يزلزل قرية أمر ذلك الجبل فحرك العرق الذي يلي تلك القرية فيزلزلها و يحركها فمن ثم تحرك القرية دون القرية. (١)

١٩- العلل و المجالس للصدوق: عن محمد بن علي ماجيلويه عن محمد بن يحيى الططار عن محمد بن أحمد الأشعري عن عيسى بن محمد عن علي بن مهزيار عن عبد الله بن عمر عن عبد الله بن حماد عن أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال إن ذا القرنين لما انتهى إلى السد جاوزه فدخل في الظلمات فإذا هو بملك قائم على جبل طوله خمسمائة ذراع فقال له الملك يا ذا القرنين أما كان خلفك مسلك فقال له ذو القرنين من أنت قال أنا ملك من ملائكة الرحمن موكل بهذا الجبل فليس من جبل خلقه الله عز و جل إلا و له عرق إلى هذا الجبل فإذا أراد الله عز و جل أن يزلزل مدينة أوحى إلي فزلزلتها. (٢)

العياشي: عن جميل بن دراج عن أبي عبد الله عليه السلام قال سألت عن الزلزلة فقال أخبرني أبي عن آبائه قال قال رسول الله ﷺ إن ذا القرنين لما انتهى إلى السد إلى آخر الخبر (٣)
الفقيه: مرسلا مثله. (٤)

بيان: أما كان خلفك مسلك أي لأي شيء جئت هاهنا مع سعة الأرض خلفك.

٢٠- العلل: عن أبيه عن محمد بن يحيى عن محمد بن أحمد الأشعري عن يعقوب بن يزيد عن بعض أصحابه عن محمد بن سنان عن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام قال إن الله عز و جل خلق الأرض فأمر الحوت فحملتها فحملتها بقوتي فبعث الله عز و جل حوتا قدر شبر فدخلت في منخرها فاضطربت أربعين صباحا فإذا أراد الله عز و جل أن يزلزل أرضا تراءت (٥) لها تلك الحوتة الصغيرة فزلزلت الأرض فرقا. (٦)
الفقيه: مرسلا مثله وفيه قدر فتر. (٧)

بيان: الفتر بالكسر ما بين السبابة والإيهام إذا فرقتهما وتأنيث فحملتها وقالت بتأويل الحوتة أو السمكة والفرق بالتحريك الخوف.

٢١- العلل: عن محمد بن الحسن بن الوليد عن محمد بن الحسن الصفار بإسناده رفعه إلى أحدهم عليه السلام أن الله تبارك و تعالي أمر الحوت بحمل الأرض و كل بلدة من البلدان على فلس من فلوسه فإذا أراد الله عز و جل أن يزلزل أرضا أمر الحوت أن يحرك ذلك الفلس فيحركه و لو رفع الفلس لانتقلت الأرض بإذن الله. (٨)
الفقيه: مرسلا عن الصادق عليه السلام مثله. (٩)

بيان: قال الصدوق قدس سره بعد إيراد تلك الأخبار الثلاثة في الفقيه و الزلزلة تكون من هذه الوجوه الثلاثة و ليست هذه الأخبار بمختلفة (١٠) انتهى و الظاهر أن مراده أن الزلزلة قد تكون بالعلة الأولى و قد تكون بالعلة الثانية و قد تكون بالعلة الثالثة و يحتمل اجتماع تلك العلل في كل زلزلة و يمكن أن تكون الثانية في الزلزلة العامة لجميع الأرض كزلزلة القيامة و الثالثة في ما إذا حصل بسببها خسف و انقلاب و تغيير عظيم في الأرض و بالجملة الزلزلة العظيمة و الأولى في الزلازل الجزئية البسيطة و يؤيد الخبر الأول أن أكثر الزلازل تبتدئ من الجبال و كل أرض تكون أقرب من الجبل فهي فيها أشد.

٢٢- الكافي: عن علي بن محمد عن صالح بن أبي حماد عن محمد بن سنان عن ابن مسكان عن أبي بكر

(١) الدر المنثور ج ٦ ص ١٠٢.

(٢) علل الشرايع ص ٥٥٤ باب ٣٤٣ حديث ٢. و أمالي الصدوق ص ٥٥٠ مجلس ٧١ حديث ٧٣٣.

(٣) تفسير العياشي ج ٢ ص ٣٥ حديث ٨٢.

(٤) في المصدر: «نزلت» بدل «تراءت لها».

(٥) من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٣٤٢ حديث ٧.

(٦) من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٣٤٣ باب ٨١ حديث ٨.

(٧) من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٣٤٣ باب ٨١.

(٨) علل الشرايع ص ٥٥٣ باب ٢٤٣ حديث ١.

(٩) علل الشرايع ص ٥٥٤ باب ٣٤٣ حديث ٣.

(١٠) من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٣٤٣ باب ٨١.

الحضرمي عن تميم بن حاتم قال كنا مع أمير المؤمنين عليه السلام فاضطربت الأرض فوجأها^(١) ثم قال لها اسكني ما لك ثم التفت إلينا فقال أما إنها لو كانت التي قال الله لأجابتي ولكنها^(٢) ليست بتلك.^(٣)

٢٣- العلل: عن أحمد بن محمد عن أبيه عن محمد بن أحمد عن يحيى بن محمد بن أيوب عن علي بن مهزيار عن ابن سنان عن يحيى الحلبي عن عمر بن أبان عن جابر قال حدثني تميم بن حذيم قال كنا مع علي عليه السلام حيث توجهنا إلى البصرة قال فبينما نحن نزول إذا اضطربت الأرض فضربها علي عليه السلام بيده ثم قال لها ما لك ثم أقبل علينا بوجهه ثم قال لنا أما إنها لو كانت الزلزلة التي ذكرها الله عز وجل في كتابه لأجابتي ولكنها ليست بتلك.^(٤)

بيان: هذا إشارة إلى ما ورد في الأخبار أن الإنسان في سورة الزلزال هو أمير المؤمنين عليه السلام يقول للأرض ما لك فتحدثه الأرض أخبارها كما روي في العلل، عن فاطمة عليها السلام قالت أصاب الناس زلزلة على عهد أبي بكر وسألت الحديث إلى قولها فقال لهم علي عليه السلام كأنكم قد هالكم ما ترون قالوا وكيف لا يهولنا ولم نر مثلها قط قالت فحرك شفتيه ثم ضرب الأرض بيده ثم قال ما لك إسكني فسكنت فقال أنا الرجل الذي قال الله **﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَنْفَالُهَا وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾**^(٥) فانا الإنسان الذي يقول لها ما لك **﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾**^(٦) إياي تحدث. فهذا معنى قوله عليه السلام أنها لو كانت الزلزلة التي ذكرها الله في كتابه أي في سورة الزلزال وهي زلزلة القيامة لأجابتي أي لحدثت وتكلمت معي ولكنها ليست بتلك أي زلزلة القيامة.^(٧)

٢٤- العلل: بالإسناد المتقدم عن محمد بن أحمد عن إبراهيم بن إسحاق عن محمد بن سليمان الديلمي قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الزلزلة ما هي قال آية قلت وما سببها قال إن الله تبارك وتعالى وكل يعروق الأرض فإذا أراد الله أن يزلزل أرضاً أوحى إلى ذلك الملك أن حرك عروق كذا وكذا قال فيحرك ذلك الملك عروق تلك الأرض التي أمره الله فتتحرك بأهلها قال قلت فإذا كان ذلك فما أصنع قال صل صلاة الكسوف فإذا فرغت خرت ساجداً تقول في سجودك يا من يُعْصِيكَ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكْهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا أَمْسِكْ عَنَّا السَّوءَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.^(٨)

الفقيه: بإسناده عن سليمان الديلمي مثله.^(٩)

بيان: آية أي علامة من علامات غضبه أو قدرته أَنْ تَزُولَا أي كراهة أَنْ تَزُولَا أو لتضعن الإمساك معنى الحفاظ أو المنع عدي به **﴿إِنْ أَمْسَكْهُمَا أَوْ أَمْسَكْهُمَا فِي الْقِيَامَةِ بَعْدَ قَوْلِهِ غَفُورًا يَا مَنْ يُعْصِيكَ السَّمَاوَاتُ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ أَمْسِكْ﴾**.

٢٥- الكافي: عن علي بن محمد عن صالح بن أبي حماد عن بعض أصحابه عن عبد الصمد بن بشير عن أبي عبد الله عليه السلام قال إن الحوت الذي يحمل الأرض أسر في نفسه أنه إنما يحمل الأرض بقوته فأرسل الله عز وجل إليه حوتا أصفر من شبر وأكبر من فتر فدخل في خياشيمه فصنع فكمت بذلك أربعين يوماً ثم إن الله عز وجل رآه به ورحمه وخرج فإذا أراد الله عز وجل بأرض زلزلة بعث ذلك الحوت إلى ذلك الحوت فإذا رآه اضطرب فتزلزلت الأرض.^(١٠)

٢٦- العلل: لمحمد بن علي بن إبراهيم العلة في زلزلة الأرض أن الحوت الذي يحمل الأرض له فلولس فإذا أراد الله عز وجل زلزلة أرضاً أو مكان رفع الحوت الفللس الذي في ذلك الموضع وحركه فتزلزل الأرض.^(١١)

٢٧- توحيد المفضل: قال الصادق عليه السلام فإن قال قائل فلم صارت هذه الأرض تزلزل قيل له إن الزلزلة وما أشبهها موعظة و تهيب يرهب بها الناس ليرعوا و ينزعوا عن المعاصي.^(١٢)

فوائد

الأولى: قسمة المعمور من الأرض بالأقاليم السبعة قالوا الدائرة العظيمة التي تحدث على سطح الأرض إذا فرض

(١) في المصدر: «فوجأها بيده» بدل «فوجأها».

(٢) روضة الكافي ص ٢٥٦ حديث ٣٦٦.

(٣) سورة الزلزلة: آية: ١- ٣.

(٤) علل الشرايع ص ٥٥٦ باب ٣٤٤ حديث ٨.

(٥) من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٣٤٤ باب ٨١ حديث ٩.

(٦) لم نشر على كتاب الملل هذا.

(٧) في المصدر: «و لكن».

(٨) علل الشرايع ص ٥٥٥ باب ٣٤٣ حديث ٥.

(٩) سورة الزلزلة: آية: ٤.

(١٠) علل الشرايع ص ٥٥٦ باب ٣٤٤ حديث ٧.

(١١) روضة الكافي ص ٢٥٥ حديث ٣٦٥.

(١٢) توحيد المفضل ص ١٤٤.

معدل النهار قاطعا للعالم الجسماني تسمى خط الاستواء وإذا فرضت عظمة أخرى على وجه الأرض تمر بقطبها انقسمت الأرض بهما أرباعا أحد القسمين الشماليين هو الربع المسكون والباقية إما غامرة في البحار غير مسكونة وإما غامرة غير معلومة الأحوال وطول كل ربع بقدر نصف الدائرة العظيمة وعرضه بقدر ربعها وهذا الربع المسكون أيضا ليس كله معمورا إذ بعضه في جانب الشمال لفرط البرد لا يمكن لحيوان التعيش فيه وهي المواضع التي يكون عرضها أزيد من تمام الميل الكلي وفي القدر المعمور أيضا بحار كثيرة بعضها متصل بالمحيط وبعضها غير متصل كما عرفت وجبال وأكام وآجام وبطائح ومغايض وبراري لا تقبل العمارة وجدوا في جنوب خط الاستواء قليلا من العمارة من الزنج والسودان لكن لقلتها لم يعدوها من المعمورة ومبدأ العمارة عند المنجمين من جانب الغرب وكانت هناك جزائر تسمى الجزائر الخالدات وهي الآن مغمورة في الماء فجعلها بعضهم مبدأ الطول وآخرون جعلوا ساحل البحر الغربي مبدأ وبينهما عشر درجات ونهاية العمارة من الجانب الشرقي عندهم كنكذر وهو مستقر الشياطين بزعمهم وسما ما بين النهايتين على خط الاستواء قبة الأرض ثم قسموا المعمور من هذا الربع في جانب العرض بسبعة أقاليم بدوائر موازية لخط الاستواء طول كل إقليم ما بين الخافقين وعرضه بقدر تفاضل نصف ساعة في النهار الأطول لأن أحوال كل إقليم متشابهة متناسبة بحسب الحر والبرد والمزاج والألوان والأخلاق فمبدأ الإقليم الأول في العرض عند الأكثر مواضع يكون عرضها اثنتا عشر درجة وثلاث درجة ونهارهم الأطول اثنتا عشر ساعة ونصف وربع ولم يعدوا من خط الاستواء إلى هذه المواضع من المعمورة لقلّة العمارة فيها وبعضهم يجعل مبدأ الإقليم خط الاستواء لكن على التقديرين لا خلاف في أن مبدأ الإقليم الثاني حيث عرضه عشرون درجة ونصف ونهاره الأطول ثلاث عشرة ساعة وربع ومساحة سطح الإقليم الأول على الأول كما ذكره البرجندي ستمائة ألف واثنتان وستون ألف فرسخ وأربعة وأربعون فرسخا ونصف فرسخ والبلاد المشهورة الواقعة فيه نجران وجند وصنعاء وصعدة وصحار وسندان وكولم وعلقي وقال بعضهم وهذا الإقليم يبتدئ في الطول من المشرق وأراضي الصين وتمر هناك على أنهار عظيمة ثم تمر على سواحل البحر الجنوبي وبعض أرض الصين وبعض البلاد الجنوبية من الهند والسند ثم على جزيرة كرك التي والها من قبل ملك اليمن ثم يمر على خليج فارس وجزيرة العرب وعلى أكثر بلاد اليمن كمعلى وحضرموت وصنعاء وزبيد وعدن وشهر وقلهات وطارق وسبأ ومدينة الطيب وصحار^(١) قسبة عمان ثم على الخليج الأحمر ودار ملك الحبشة وبلاد النوبة وعلى غاية معدن الذهب من بلاد السودان المغرب^(٢) ثم على بلاد بربر إلى المحيط المغربي وعدد البلاد المشهورة الواقعة في هذا الإقليم خمسون وفيه من الجبال والأنهار العظيمة عشرون جبلا وثلاثون نهرا ولون أكثر أهل السواد ويزعمون أن هذا الإقليم منسوب إلى زحل ومساحة سطح ما بين خط الاستواء والإقليم الأول ألف ألف فرسخ ومائة وستة عشر ألف فرسخ وسبعمائة وخمسة وثلاثون فرسخا وسدس فرسخ والبلاد المشهورة الواقعة فيها عدن وشوام وحضرموت ومرباط وسقوطرة وجزيرة سرنديب وجزيرة لامري وجزيرة كله وغانه وكوكو وسقالة وبربرا وزغاوة من بلاد الزنج وهدية وزيلع كلاهما من بلاد الحبشة.

ومساحة الإقليم الثاني خمسماية ألف فرسخ واثنتان وسبعون ألف فرسخ وستة وستون فرسخا وثلث فرسخ و البلاد المشهورة فيه مكة والمدينة ضاعف الله شرفهما وتيماء من بلاد الشام وينبع وجدة وخيبر وبطن مر والطائف والفيذ والفرع ويمامة والأحساء وقطيف والبحرين والقطف وصعيد وأسيوط وأسوان وإسنا وعيذاب لمطه من أقصى المغرب وسوس أقصى وسجلماسة وديبل من بلاد السند ومكران وبيرون والمنصورة وصنم صومنا من بلاد الهند وكنبايت وماهورة وقنوج وقال بعضهم هذا الإقليم يأخذ في الطول من بلاد الصين و يمر بمعظم بلاد الهند ومنها دهلي ثم بشمال جبال معروفة في ديارهم و يمر بمعظم ديار السند منها منصوره و يصل إلى عمان و يقطع جزيرة العرب من أرض نجد وتهامة و يمر بالطائف و مكة شرفها الله تعالى و مدينة الرسول ﷺ و يثرب و هجر و قطيف و البحرين و هرمز من كerman و يقطع القلزم و يصل إلى صعيد مصر و يقطع النيل و يأخذ في أرض المغرب و يمر

بأواسط بلاد إفريقية ثم ببلاد البربر ويصل إلى المحيط والبلاد المشهورة الواقعة في هذا الإقليم أيضا خمسون وفيه من الجبال عشرون ومن الأنهار مثلها ولون عامة أهلها بين السواد والسمرة ويزعمون أنه منسوب إلى الشمس.

ومبدأ الإقليم الثالث عرضه سبع وعشرون درجة ونصف ونهاية طول الأيام ثلاث عشرة ساعة وثلاث أرباع ساعة ومساحة سطحه أربعمائة وستون ألف فرسخ وأحد وتسعون فرسخا وخمسا فرسخ والبلاد المشهورة فيه الإسكندرية ومنفلوط من بلاد سعيد وأكثر بلادها الواقعة على النيل ورشيد ودمياط من بلاد مصر وقلم على ساحل بحر اليمن وفسطاط من بلاد مصر وعين الشمس منها وأسفي من أقصى المغرب وسلا وفاس ومراكش ودرعة وميلة و تاهرت وقسطينة و سطيف كلها من بلاد المغرب وتينزرت وتونس وقابس وقيروان ومهدية و صفاقس وأطرابلس وقصر أحمد كلها من بلاد إفريقية وغزة وعسقلان وقيسارية ورملة وبيت المقدس كلها من بلاد فلسطين ونابلس وعكا وبيسان وصور وعمان وكرك وبيروت وصيدا وأدرعات وبصري ودمشق و صرخد كلها من بلاد الشام و هيت والقادسية وحيرة والكوفة والأنبار وبغداد وصرصر والمدائن وبابل و نعمانية ونهروان وقصر ابن هبيرة ونهر الملك كلها من بلاد العراق ونواحيها وبصرة وأبله وعبادان وطيب وسوس و قرقوب وتستر وحبي وعسكر مكرم والأهواز ودورق وأرجان كلها ما عدا الثلاثة الأول من بلاد خوزستان و سيف البحر وجور وأبرقوه وكازرون ونوبندجان وفيروزآباد وشيراز والبيضاء وإصطخر وبسا ودارابجرد كلها من بلاد فارس ونواحيها ويزد وباند وبرديسر وجيرفت وسيرجان وزرند وبم وهرمز كلها من بلاد كرمان و زرنج و شروان وبست كلها من بلاد سيستان وملتان من بلاد الهند وتعبر من بلاد الهند وزيتون من بلاد الصين و أصهبان وأردستان وطبس وبيروزكوه وميمند وغزنة وكابل وقال بعضهم هذا الإقليم يبتدئ من شرقي أرض الصين ودار ملكهم وتمر بوسط مملكة الهند وقندهار وكشمير ويمر بمولتان من أرض الهند وبزابل وبست و سيستان وكيج ويزدهسير مدينة كرمان وخبص ويزد وفارس وأصفهان والأهواز وعسكر وكوفة وبصرة و واسط وبغداد والمدائن وإذا جاوز هذه البلاد يمر بديار ربيعة ومضر ودمشق وحصص وبيت المقدس والصورية والطبرية والقيسارية وعسقلان والمدين و يأخذ طرفا من الأرض مصر فيه دمياط وفسطاط والإسكندرية ثم يمر ببلاد الإفريقية وبلد قيروان والسوس وطرابلس المغرب ثم يقابل السير في أرض المغرب وبلاد طنجة وينتهي إلى المحيط وعدد البلاد المشهورة الواقعة فيه مائة وثمانية وعشرون وفيه من الجبال ثلاثة وثلاثون ومن الأنهار اثنان وعشرون ولون أكثر أهلها السمرة ويزعمون أنه منسوب إلى عطارده أما الإقليم الرابع فعرض أوله ثلاثة وثلاثون درجة وأربعون دقيقة وأطول نهاره أربع عشرة ساعة وربع ومساحة سطحه ثلاثمائة ألف ثمانية وسبعون ألفا وثمانية وثلاثون فرسخا وربع والبلاد المشهورة فيه قصر عبد الكريم وطنجة وبسته وتلمسان و بجاية من بلاد المغرب وبوند وقصر أحمد من بلاد إفريقية وإشبيلية وقرطبة ومالقة وغرناطة وبلنسية كلها من بلاد الشام وتوابعها وجزيرة يابسة وجزيرة مايرقه فيها بحيرة محيطها تسعة أميال وجزيرة سردانية وجزيرة صقلية وجزيرة وسامس وجزيرة رودس وجزيرة قبرس كل هذه الجزائر في بحر الروم وطرسوس وأياس وأرطة ومصيص وبرزبرت وتل حمدون كلها من بلاد أرمن وأطرابلس وبلنبا وبلعبك وعرقة وجبله من بلاد الشام وسيس وصهيون وبغراس وحارم وحصن الأكراد والحصص وحماة وشيزر ومرعش وحصن منصور ومنيح و معرة و قنسرين و سيبساط بعضها من أعمال حلب وبعضها من أعمال الشام و حلب و حران و رقة كلاهما من ديار مضر وماردين من ديار ربيعة وميفارقين من بلاد الجزيرة وقرقيسيا و جيران ونصيبين وجزيرة ابن عمر و سنجان من ديار ربيعة وتل أغفر وموصل والحديثة ودقواء و آمد و عانة وسعرت و تكريت و سامراء و دسكرة و جلولا و خانقين و حلوان بعضها من العراق وبعضها من الجزائر و دلي من بلاد الهند وأنطاليا من بلاد الروم و أرزن و بدليس و أرجليس كلها من أرمنية و سلماس و خوي و مراغة و أوجان و أردبيل و ميانج و مرند و تبريز كلها من بلاد آذربيجان وموقان وإربل و شهرزور وقصرشيرين و صيمرة ودينور و سيروان و ماسبدان و سهرورد و زنجان و نهاوند و همدان و بروجرد و أبهر و ساوه و قزوین و آبة و جرباذقان و قم و طالقان و قاشان و الري و كرج أكثرها من بلاد الجبل ولاهجان و رودبار و سالوس و ناتل و أرجان و أمل و سارية كلها من بلاد طبرستان و سمنان و

دامغان و بسطام و أسترآباد و آيسكون و جرجان و دهستان و خسروجرد و قصبة سبزوار و أسفراين و نيسابور و نسا و طوس و نوقان و أبيورد و قوهستان و قاين و زوزن و جزرد و بوزجان و سرخس و فوشنج و هراة و بادغيس و مالين و شيورغان و أسفرار و مرورود و مرو و شاهجهان و فارياب و شهرستان و سمنجان كلها من خراسان و أعمالها و بدخشان و ترمد و ختلان و وخش و صفانيان و شومان و آئينية كلها من بلاد المغرب و يقال أنه بلد حكماء يونان.

و قال بعض الأفاضل هذا الإقليم وسط الأقاليم و وسط معظم عمارة العالم و يبتدئ من شمال بلاد الصين و يمر ببلاد التبت الداخل و جرجير و خطا و ختن و بجهال كشمير و بدخشان و صفانيان و كابل و يمر بطخارستان و غور و بلخ و ترمد و هرات و مرو و شاهجهان و مرورود و سرخس و جوزجان و فارياب و غرجستان و باورد و نسا و سبزوار و طوس و نيشابور و أسفراين و قهستان و قومس و جرجان و طبرستان و آمد و قم و آمل و كاشان و همدان و أهر و قزوین و الديلم و ساوه و الموت و كرج و كيلان و مازندران و ساري و سمنان و دامغان و أسترآباد و بسطام و نهاوند و دينور و حلوان و شهرزور و زنجان و سلطانية و أردبيل و الموصل و سامرة و أرمينية و مراغة و تبريز و سنجان و نصيبين و سمياط و ملطية و أرزنجان و رأس العين و قالقلا و سميساط و حلب و أنطاكية و قنسرين و طرابلس الشام و حمص و طرسوس و جزيرة قبرس و رودس و يمر بأرض المغرب على بلاد أفرنجة و طنجة و ينتهي إلى المحيط على الرقاق من الأندلس و بلاد المغرب و عدد البلاد المشهورة الواقعة فيه مائتان و اثنا عشر و فيه من الجبال خمسة و عشرون و من الأنهار اثنان و عشرون و لون عامة أهله بين السمرة و البياض و هو منسوب إلى المشتري على الأصح بزعمهم.

و أما الإقليم الخامس فمبدؤه حيث عرضه تسع و ثلاثون درجة و غاية طول نهارهم أربع عشرة ساعة و ثلاثة أرباع ساعة و مساحة سطحه مائتا ألف و تسع و تسعون ألف فرسخ و أربعمائة و ثلاثة و تسعون فرسخا و ثلاثة أعشار فرسخ و من البلاد الواقعة فيها أشبونة و شترين و بظليوس و ماردة و طليطلة و مرسية و دانية و مدينة سالم و سرقسطة و طرطوشة و لاردة و هيكل الزهرة و أربونة و أنقورية و عمورية و آق شهر و قونية و قيسارية و أقسرا و ملطية و سيواس و توقات و أرزن و أرزنجان و موش و ملازجرد و أخلاط و شروان و نشوى و بردعة و شمكور و تغليس و بيلقان و باب الأبواب و كنجة و سلطانية و فراوة و كركنج و كات و زمخشر و هزار أسب و درغان و طواويس و بيكند و كرمينه و نخشب و كش و أرينجن و إشتيخن و سمرقند و كشانية و شاش و بنكت و إيلاتي و أسروشه و ساباط و خجند و شاوكت و تنكت و إمسيكت و كاسان و فرغانة و قباء و ختن و خيوه و رومية الكبرى و ماقذونية من أعمال قسطنطينية.

و قال بعض الأفاضل يبتدئ هذا الإقليم من أقصى بلاد الترك و يمر على مواضع الأتراك المشهورة إلى حد كاشغر و ختن و بيت المقدس و فرغانة و طراز و خجند و يمر بشروان و خوارزم و بخارا و شاش و نسف و سمرقند و كش و ببحر خزر و ديار أرمينية و بعض بلاد الروم كعمورية و قونية و أقسراي و قيصرية و سيواس و أرزن الروم و يمر بساحل بحر الشام و بلاد أندلس إلى أن ينتهي إلى المحيط و عدد البلاد المشهورة الواقعة فيه مائتان و فيه من الجبال ثلاثون و من الأنهار خمسة عشر و لون عامة أهله البياض و هو منسوب إلى الزهرة بزعمهم.

و أما الإقليم السادس فمبدؤه حيث عرضه ثلاث و أربعون درجة و نصف و غاية طول نهاره خمسة عشر ساعة و ربع و مساحة سطحه مائتا ألف و خمسة و ثلاثون ألف فرسخ و أربعة و ثلاثون فرسخا و ثلثا فرسخ و فيه من البلاد المشهورة طيلة و تبلوته و بردال و لمريا و جزيرة تقربيت و أماسية و قسطنطينية و سنوب و جند و فاراب و أسفيجاب و طراز و شلج و خان بالي و كاشغر و سمورة و لتبردية و بيذه و بنديقية و برشان و قسطنطينية و بلنجر و قال بعض المحققين من بلاده معظم الروم و الخزر و التركستان فيبتدئ من المشرق و يمر بمساكن أتراك الشرق و يقطع وسط بحر طبرستان و يمر على خزر و موقان و سقسين و على الصقالية و بلاد آس و أران و باب الأبواب و الروس ثم بمعظم بلاد الروم مثل قسطنطينية و بشمال أندلس و ينتهي إلى المحيط و عدد البلاد المشهورة الواقعة فيه تسعون و فيه من الجبال أحد عشر و من الأنهار أربعون و لون غالب أهله الشقرة و هو عندهم منسوب إلى القمر.

و أما الإقليم السابع فمبدؤه حيث العرض سبع و أربعون درجة و ربع و غاية طول نهاره خمس عشرة ساعة و ثلاثة

أرباع ساعة و مساحة سطحه مائة ألف و سبعة و ثمانون ألف فرسخ و سبعمائة و واحد و عشرون فرسخا و ثلثا فرسخ و في هذا الإقليم العمارة قليلة و البلاد المشهورة فيه كرش و أزرق و صراي و هو مستقر سلطان تتر و أكل و يلار و يقال له بلغار و أفجاکرمان و صاريكرمان و قرقر و صلغات و كفا و صقجي و شنتياقر و هرقله و قال بعضهم هذا الإقليم يأخذ في طوله من المشرق و يمر بنهايات الأثرالك الشرقية و بشمال بلاد يأجوج و مأجوج ثم على غياض و جبال يأوي إليها أترك كالوحوش ثم على بلغار الروس و الصقالبة و يقطع بحر الشام و ينتهي إلى المحيط و عدد بلاد هذا الإقليم اثنان و عشرون و فيه من الجبال أحد عشر و من الأنهار أربعون و لون أهله بين الشقرة و البياض و هو منسوب عندهم إلى المريح و أهل بعض بلاده يسكنون مدة ستة أشهر في الحمامات لشدة البرد و آخر الأقاليم حيث عرضه خمسون درجة و نصف و غاية طول نهاره ست عشرة ساعة و ربع ثم إلى عرض التسعين لا يعدونه من الأقاليم.

و اعلم أن خط الاستواء يتدنى من شرقي أرض الصين و يمر على جزيرة چمکوت ثم ببلاد الصين مما يلي الجنوب و على كندذر الذي من أراضي الصين ثم على جزائر زائرة التي تسمى أرض الذهب و على جنوب جزيرة سرنديب بين جزيرتي كله و سريره و على وسط جزائر ديوبره ثم على شمال جزائر الزنج و معظم بلادهم ثم على شمال جبال القمر و جنوب سودان المغرب إلى المحيط و أما طول النهار لسانر البقاع سوى الأقاليم السبعة فالنهار الأطول يبلغ سبع عشرة ساعة حيث العرض أربع و خمسون درجة و كسر و يبلغ ثمانى عشرة ساعة حيث العرض ثمان و خمسون درجة و يبلغ تسع عشرة ساعة حيث العرض إحدى و ستون درجة و يبلغ عشرين ساعة حيث العرض ثلاث و ستون و هناك جزيرة تسمى تولي يقال إن أهلها يسكنون الحمامات مدة كون الشمس بعيدة عن سمت رءوسهم و المشهور أنها منتهى العمارة في العرض و يبلغ إحدى و عشرين ساعة حيث العرض أربع و ستون درجة و نصف قال بطليموس إن سكان هذا الموضع قوم من الصقالبة لا يعرفون و على هذا يكون هو منتهى العمارة في العرض و يبلغ اثنتين و عشرين ساعة حيث العرض خمس و ستون درجة و كسر و يبلغ ثلاثا و عشرين ساعة حيث العرض ست و ستون درجة و يبلغ أربعاً و عشرين ساعة حيث العرض مثل تمام الميل الكلي و يبلغ شهرا حيث العرض سبع و ستون درجة و ربع و شهرين حيث العرض سبعون درجة إلا ربعا و ثلاثة أشهر حيث العرض ثلاث و سبعون درجة و نصف و أربعة أشهر حيث العرض ثمان و سبعون درجة و نصف و خمسة أشهر حيث العرض أربع و ثمانون درجة و نصف السنة تقريبا حيث العرض ربع الدور و منهم من قسم ما سوى الأقاليم من الربع قسمين قسما لم يدخل في الأقاليم و يدخل في المعمورة و قسما لم يدخل فيهما فالأول مبدؤه حيث عرضه خمسون درجة و ثلث و غاية طول نهاره ست عشرة ساعة و ربع و مساحة سطحه سبعمائة ألف و خمسون ألف فرسخ و مائة و اثنان و ثلاثون فرسخا و ربع فرسخ و فيه جزيرة برطانية و جزيرة صوداق و جزيرة تولي و مدينة يأجوج و مأجوج قالوا عرض تلك المدينة ثلاث و ستون درجة و طولها مائة و اثنان و سبعون درجة و نصف و القسم الثاني مبدؤه حيث عرضه ست و ستون درجة و نصف و غاية طول نهاره سبع و أربعون ساعة و مساحة سطحه أربعمائة ألف و اثنان و عشرون ألف فرسخ و أربعمائة و سبعة فراسخ و خمس فرسخ و قيل في عرض خمس و سبعين درجة موضع أهله يسكنون في الشتاء في الحمامات و لا يفهم كلامهم.

الفائدة الثانية: في ذكر بعض خواص خط الاستواء و الآفاق المائلة فأما خط الاستواء فدوائر آفاق البقاع التي تكون عليه تنصف جميع المدارات اليومية فلذلك يكون النهار و الليل في جميع السنة متساويين و أيضا يكون زمان ظهور كل نقطة على الفلك مساويا لزمان خفائه فإن كان تفاوت كان بسبب اختلاف السير سرعة و بطئا بالحركة الغربية في النصفين و ذلك لا يكون محسوسا و تمر الشمس في السنة الواحدة مرتين بسمت رءوسهم و ذلك عند كونها في نقطتي الاعتدالين و لا تبعد الشمس عن سمت رءوسهم إلا بقدر غاية ميل فلك البروج عن معدل النهار و تكون الشمس نصف السنة تقريبا في جهة من جهتي الشمال و الجنوب و يكون ظل نصف النهار إلى خلاف تلك الجهة و لكون مبدئ الصيف الوقت الذي يكون فيه الشمس إلى سمت الرأس أقرب و مبدئ الشتاء الوقت الذي يكون الشمس منه أبعد يكون وقت كونها في نقطتي الاعتدال مبدأ صيفهم و وقت كونها في نقطتي الانقلاب مبدأ شتائهم و يكون مبادئ الفصولين الأخيرين أوساط الأرباع و يلزم على ذلك أن يكون لهم في كل سنة ثمانية فصول و يكون

دور الفلك هناك دولابيا لأن سطوح جميع المدارات يقطع سطح الأفق على قوائم و يسمى لذلك آفاقها آفاق الفلك المستقيم و الشيخ ابن سينا حكم بأنها أعدل البقاع لأن الشمس لا تمكث على سمت الرأس كثيرا بل إنما يمر به وقتي اجتيازها عن إحدى الجهتين إلى الأخرى و يكون هناك حركتها في الميل و البعد عن سمت رأسهم أسرع ما يكون فلا تكون لذلك حرارة صيفهم شديدة و أيضا لتساوي زماني نهارهم و ليهم دائما تنكسر سورتا كل واحدة من الكيفيتين الحادثتين منهما بالأخرى فيعتدل الزمان و حكم أيضا بأن أحر البقاع صيفا التي تكون عروضها مساوية للميل الكلي فإن الشمس تسامتها و تلبث في قرب مسامتتها قريبا من شهرين و نهارها حينئذ يطول و ليها بقصر و رد الفخر الرازي عليه الحكم الأول بأن قال لبث الشمس في خط الاستواء و إن كان قليلا لكنها لا تبعد كثيرا عن المسامطة فهي طول السنة في حكم المسامطة و نحن نرى بقاعا أكثر ارتفاعات الشمس فيها لا يزيد على أقل ارتفاعاتها بخط الاستواء و حرارة صيفها في غاية الشدة فيعلم من ذلك أن حرارة شتاء خط الاستواء تكون أضعاف حرارة صيف تلك البقاع و حكم بأن أعدل البقاع هو الإقليم الرابع.

و قال المحقق الطوسي ره الحق في ذلك أنه إن عني بالاعتدال تشابه الأحوال فلا شك أنه في خط الاستواء أبلغ كما ذكره الشيخ و إن عني به تكافؤ الكيفيتين فلا شك أن خط الاستواء ليس كذلك يدل عليه شدة سواد لون سكانه من أهل الزنج و الحبشة و شدة جعود شعورهم و غير ذلك مما تقتضيه حرارة الهواء و أضداد ذلك في الإقليم الرابع تدل على كون هوائه أعدل بل السبب الكلي في توفر العمارات و كثرة التوالد و التناسل في الأقاليم السبعة دون سائر المواضع المنكشفة من الأرض يدل على كونها أعدل من غيرها و ما يقرب من وسطها لا محالة يكون أقرب إلى الاعتدال مما يكون على أطرافها فإن الاحتراق و الفجاجة اللازمين من الكيفيتين ظاهران في الطرفين انتهى.

فعلى ما ذكره قدس سره سكان الإقليم الرابع أعدل الناس خلقا و خلقا و أجودهم فطانة و ذكاء و من ثمة كان معدن الحكماء و العلماء و بعدهم سكان الإقليمين الثالث و الخامس و أما سائر الأقاليم فأكثرها ناقصون في الجيلة عما هو أفضل يدل عليه سماجة صورهم و سوء أخلاقهم و شدة احتراقهم من الحر أو فجاعتهم من البرد كالحبشة و الزنج في الأول و الثاني و كياجوج و مأجوج و بعض الصقالبة في السادس و السابع و أما الآفاق التي لها عرض أقل من الربع فهي على خمسة أقسام الأول أن يكون عرضه أقل من الميل الكلي الثاني أن يكون عرضه مساويا للميل الكلي الثالث أن يكون عرضه مساويا لتمام الميل الكلي الرابع أن يكون عرضه أكثر من الميل و أقل من تمامه الخامس أن يكون عرضه أكثر من تمام الميل ففي جميع تلك الآفاق يكون أحد قطبي المعدل فوق الأرض مرتفعا عن الأفق بقدر عرض البلد و الآخر منحطا عن الأفق بهذا المقدار و جميع تلك الآفاق ينصف معدل النهار على زوايا قوائم فيكون دور الفلك هناك حمانيا و تقطع المدارات التي تقطعها بقطعتين مختلفتين و القسي الظاهرة للمدارات الشمالية أعظم من التي تحت الأرض و للجنوبية بالخلاف من ذلك و لا يستوي الليل و النهار فيها إلا عند بلوغ الشمس نقطتي الاعتدال و ذلك في يوم النيروز و المهرجان و المساواة في بعض الأوقات تحقيقي و في بعضها تقريبي و يكون النهار أطول من الليل عند كون الشمس في البروج الشمالية و عند كونها في البروج الجنوبية الأمر بعكس ذلك و كلما كان عرض البلد أكثر كان مقدار التفاوت بين الليل و النهار أكثر و كل مدار بعده عن القطب الشمالي مثل ارتفاع القطب عن الأفق فهو بجميع ما فيه و بجميع ما تحويه دائرته إلى القطب الشمالي من الكواكب و المدارات أبدي الظهور و نظيره من ناحية الجنوب بجميع ما فيه و ما تحويه دائرته إلى القطب الجنوبي أبدي الخفاء و هذه هي الأحوال المشتركة.

و أما ما يختص بالقسم الأول من الأقسام الخمسة المتقدمة و هو ما يكون العرض أقل من الميل الكلي فالمدار الذي يكون بعده عن المعدل من جهة القطب الظاهر بقدر عرض البلد يقطع منطقة البروج على نقطتين متساويتي البعد من المتقلب فإذا وصلت الشمس إلى إحدى هاتين النقطتين لا يكون في نصف نهار هذا اليوم لشيء ظل و ما دامت الشمس في القوس الذي بين تينك النقطتين في جهة القطب الظاهر يقع الظل في أنصاف النهار إلى جهة القطب الخفي و ما دامت الشمس في القوس الآخر يقع الظل في أنصاف النهار إلى جهة القطب الظاهر و لارتفاع الشمس في نقصان غايتان إحداها من جهة القطب الظاهر و هو أكثر و الأخرى من جهة القطب الخفي و هو أقل و لا تكون فصول السنة في تلك الآفاق متساوية بل إذا كانت النقطتان المذكورتان متقاربتين كان صيفهم أطول من غيره لأن الشمس تسامت

رء وسهم مرتين و ليس بعدها على قدر يكون في وسطه فتور للسخونة و إن زادت على الأربعة كما إذا كانت النقطتان متباعدتين لم تكن متشابهة لاختلاف غايته بعد الشمس عن سمت الرأس في الجهتين بخلاف خط الاستواء لتساويهما. وأما القسم الثاني فمدار المنقلب الذي في جهة القطب الظاهر يمر بسمت الرأس ومدار المنقلب الآخر بسمت الرجل ولا يكون لارتفاع الشمس إلا غاية واحدة في جانب النقصان وفي جانب الزيادة يكون تسعين درجة ويكون الظل أبدا عند الزوال في جهة القطب الظاهر إلا في يوم واحد حين كونها في المنقلب الظاهر فإنه لا يكون في هذا اليوم عند الزوال لشيء ظل و يكون أحد قطبي فلك البروج أبدي الظهور و الآخر أبدي الخفاء و ارتفاعات الشمس تتزايد من أحد الانقلابين إلى الآخر ثم ترجع و تتناقص إلى أن تعود إليه و تصير فصول السنة أربعة لا غير و تكون متساوية المقادير. وأما القسم الثالث فلا تنتهي الشمس إلى سمت الرأس ويكون لها ارتفاعان أعلى و هو ما يكون بقدر مجموع الميل الكلي و تمام عرض البلد وأسفل و هو يكون بقدر فضل تمام عرض البلد على الميل الكلي و سائر الأحوال كما مر.

و أما القسم الرابع فيصير مدار المنقلب الذي في جهة القطب الظاهر أبدي الظهور و مدار المنقلب الآخر أبدي الخفاء و يمر مدار قطب فلك البروج الظاهر بسمت الرأس و مدار القطب الآخر بمقابلته و في كل دورة تنطبق منطقة البروج مرة على الأفق ثم يرتفع النصف الشرقي من المنطقة دفعة عن الأفق و ينحط نصفها الآخر عنه كذلك ثم يطلع النصف الخفي جزء بعد جزء في جميع أجزاء نصف الأفق الشرقي و يغيب النصف الظاهر جزء بعد جزء كذلك في جميع نصف الأفق الغربي في مدة اليوم بليته إلى أن يعود وضع الفلك إلى حالة الأولى و يزيد النهار في تلك الأفاق إلى أن يصير مقدار يوم بليته نهارا كلها و ذلك عند وصول الشمس إلى المنقلب الظاهر و هذا إذا اعتبر ابتداء النهار من وصول مركز الشمس إلى الأفق و إن اعتبر ابتداء النهار من ظهور الضوء و اختفاء الثوابت كان نهارهم عند الوصول المذكور شهرا على ما بينه ساودوسيوس في الرسالة التي بين فيها حال المساكن ثم يحدث ليل في غاية القصر بحيث يتداخل الشفق و الفجر و يزيد شيئا فشيئا إلى أن يصير مقدار يوم بليته ليلة كله و بعد ذلك يحدث نهار قصير و هكذا و في هذا القسم نهاية العمارة في جانب الشمال و لا تمكن العمارة بعده لشدة البرد.

و أما القسم الخامس فيكون فيه أعظم المدارات الأبدية الظهور قاطعا لمنطقة البروج على نقطتين يساوي ميلهما في جهة القطب الظاهر و أعظم المدارات الأبدية الخفاء قاطعا لها على نقطتين متقابلتين لهما فتتقسم منطقة البروج لا محالة إلى أربع قسي يتوسطها الاعتدالان و الانقلابان إحدهما أبدي الظهور و هي التي يتوسطها المنقلب الذي في جهة القطب الظاهر و مدة كون الشمس فيها نهارهم الأطول و الثانية أبدي الخفاء و هي التي يتوسطها المنقلب الآخر و مدة كون الشمس فيها ليلهم الأطول و أما القوسان الباقيتان فالتى يتوسطها أول الحمل تطلع معكوسة أي يطلع آخرها قبل أولها و تغرب مستوية أي يغرب أولها قبل آخرها إن كان القطب الظاهر شماليا و تطلع مستوية و تغرب معكوسة إن كان القطب الظاهر جنوبيا و التي يتوسطها أول الميزان يكون بالضد من ذلك و مثلوا تصوير الطلوع و الغروب المعكوسين مثلا لسهولة تصورهما تركناه مع سائر أحكام هذا القسم لقلة الجدوى.

و أما الموضع الذي عرضه ربع الدور و هو تسعون درجة فأوضاعه غريبة جدا و ذلك لا يكون على الأرض إلا عند موضعين يكون أحد قطبي المعدل على سمت الرأس و الآخر على سمت القدم فتصير لا محالة دائرة معدل النهار منطبقه على الأفق و يدور الفلك بالحركة الأولى التابعة للفلك الأعظم رحوية و لا يبقى في الأفق مشرق و لا مغرب باعتبار هذه الحركة أصلا و لا باعتبار غيرها بحيث يتميز أحدهما عن الآخر في الجهة و لا يتعين أيضا نصف النهار بل في جميع الجهات يمكن أن تبلغ الشمس سائر الكواكب غاية ارتفاعها كما يمكن أن تطلع و تغرب فيها فيكون النصف من الفلك الذي يكون من معدل النهار في جهة القطب الظاهر أبدي الظهور و النصف الآخر أبدي الخفاء و الشمس ما دامت في النصف الظاهر من فلك البروج يكون نهارا و ما دامت في النصف الخفي منه يكون ليلا فيكون سنة كلها يوما بلييلة و يفضل أحدهما على الآخر من جهة بطء حركتها و سرعتها و هو تقريبا سبعة أيام بليالها من أيامنا ففي هذه الأزمنة يزيد نهاره عن ليله بمثل هذه المدة و هذا إذا اعتبر النهار من طلوع الشمس إلى غروبها و أما إذا كان النهار من ظهور ضوئها و اختفاء الثوابت إلى ضدهما فيكون نهارهم أكثر من سبعة أشهر بسبعة أيام و ليلهم قريبا من خمسة أشهر إذ من ظهور ضوء الشمس إلى طلوعها خمسة عشر يوما و كذا من غروبها إلى اختفاء الضوء على ما حققه ساودوسيوس و أما إذا كان النهار

من طلوع الصبح إلى غروب الشفق فكان نهارهم سبعة أشهر و سبعة عشر يوما من أيامنا تقريبا.

و قال المحقق الطوسي قدس سره و يكون مدة غروب الشفق أو طلوع الصبح في خمسين يوما من أيامنا و يكون غاية ارتفاع الشمس و غاية انحطاطه بقدر غاية الميل و أطلال المقاييس تفعل دوائر متوازية بالتقريب على مركز أصل المقياس أصغرها إذا كانت الشمس في المنقلب الظاهر و أعظمها إذا كانت عند الأفق بقرب الاعتدالين و لا يكون لشيء من الكواكب طلوع و لا غروب بالحركة الأولى بل يكون طلوعها و غروبها بالحركة الثانية المختصة بكل منها لا في موضع بعينه من الأفق و يكون للكواكب التي يكون عرضها من منطقة البروج ينقص من الميل الكلي طلوع و غروب بالحركة الخاصة و تختلف مدة الظهور و الخفاء بحسب بعد مدارها عن منطقة البروج و قربها إليه فما كان مداره أبعد عنها في جهة القطب الظاهر كان زمان ظهوره أكثر من زمان ظهور ما مداره أقرب منها في هذه الجهة و ينعكس الحكم في الجهة الأخرى و الكواكب التي عرضها مساو للميل كله تماس الأفق في دور واحد من الحركة الثانية مرة واحدة إما من فوق و إما من تحت و لا يكون لها و لا لتي يزيد عرضها في أحد جانبي فلك البروج على الميل الكلي طلوع و لا غروب بل تكون إما ظاهرة أبدا و إما خفية أبدا.

الفائدة الثالثة: قالوا السبب الأكثر في تولد الأحجار و الجبال عمل الحرارة في الطين اللزج بحيث يستحکم انعقاد رطبه يبابسه بإذن الله تعالى و قد يتعقد الماء السيلال حجرا إما لقوة معدنية محجرة أو لأرضية غالبية على ذلك الماء فإذا صادف الحر العظيم طينا كثير الرخا إما دفعة و إما على مرور الأيام تكون الحجر العظيم فإذا ارتفع بأن يجعل الزلزلة العظيمة طائفة من الأرض تلا من التلال أو يحصل من تراكم عمارات تخربت ثم تحجرت أو يكون الطين المتحجر مختلف الأجزاء في الصلابة و الرخاوة فتتفرق أجزاؤه الرخوة بالمياه و الرياح و تغور تلك الحفر بالتدريج غورا شديدا و تبقى الصلبة مرتفعة أو بغير ذلك من الأسباب فهو الجبل و قد يرى بعض الجبال منضودة ساقا فساقا كأنها سافات الجدار فيشبه أن يكون حدوث مادة الفوقاني بعد تحجر التحتاني و قد سأل على كل ساف من خلاف جوهره ما صار حائلا بينه و بين الآخر و قد يوجد في كثير من الأحجار عند كسرها أجزاء الحيوانات المائية فيشبه أن تكون هذه المعمورة قد كانت في سالف الدهر مغمورة في البحر فحصل الطين اللزج الكثير و تحجر بعد الانكشاف و لذلك كثر الجبال و يكون انحطار ما يبيتها بأسباب تقتضيه كالمسيل و الرياح كذا قيل و قد مر بعض الكلام فيه سابقا و الحق أن الله تعالى خلقها بفضله و قدرته إما بغير أسباب ظاهرة أو بأسباب لا نعلمها و هذه الأسباب المذكورة ناقصة و لو كانت هذه أسبابها فلم لا يحدث من الأزمنة التي أحصى الحكماء تلك الجبال إلى تلك الأزمان جبل آخر إلا أن يقال لما كان في بدء خلق الأرض زلزلة و رجفة و اضطراب عظيم في الأرض صارت أسبابا لحدوث تلك الجبال فلما حدثت استقرت الأرض و سكنت فلذلك لا يحدث بعدها مثلها كما دلت عليه الآيات و الأخبار.

ثم اعلم أن منافع الجبال كثيرة منها كونها أوتادا للأرض كما مر و منها أن انبعاث العيون و السحب المستلزمة للخيرات الكثيرة منها أكثر من غيرها بل لا تنفجر العيون إلا من أرض صلبة أو من جوار أرض صلبة كما قال في الشفاء إذا تتبععت الأودية المعروفة في العالم وجدت كلها منبعثة من عيون جبلية^(١) و منها تكون الجواهر المعدنية منها و منها إنباتها النباتات الكثيرة و الأشجار العظيمة و منها المغارات الحادثة فيها فإنها مأوى الحيوانات بل بعض الناس و منها كونها أسبابا لاهتداء الخلق في طرقهم و سبلهم و منها اتخاذ الأحجار منها للأرحية و الأبنية و غيرها إلى غير ذلك من المنافع الكثيرة التي تصل عقول الخلق إلى بعضها و تعجز عن أكثرها قال الصادق عليه السلام في خبر التوحيد الذي رواه عنه المفضل بن عمر انظر يا مفضل إلى هذه الجبال المرومة من الطين و الحجارة التي يحسبها الغافلون فضلا لا حاجة إليها و المنافع فيها كثيرة فمن ذلك أن يسقط عليها الثلوج فتبقى في قلالها لمن يحتاج إليه و يذوب ما ذاب منه فتجري منه العيون الغزيرة التي تجتمع منها الأنهار العظام و تنبت فيها ضروب من النباتات و العقاقير التي لا ينبت منها في السهل و تكون فيها كهوف و مقائل^(٢) للوحوش من السباع العادية و يتخذ منها الحصون و القلاع المنيع للتحرز من الأعداء و ينحت منها الحجارة للبناء و الأرحاء و توجد فيها معادن لضروب من الجواهر و فيها خلال أخرى لا يعرفها إلا المقدر لها في سابق علمه.^(٣)

(١) الشفاء - قسم الطبيعيات - ص ١١ الفصل الثاني في منافع الجبال و تكون السحب.

(٢) توحيد المفضل ص ١٥١.

(٣) في المصدر: «معاقل».

بيان: المقابل كأنه من القيلولة وفي بعض النسخ بالغين المعجمة من الغيل وهو الشجر الملتف وفي بعضها معادل جمع معقل وهو الشجر الملتف.

الفائدة الرابعة: قالوا في علة حدوث الزلزلة والرجفة إذا غلظ البخار وبعض الأدخنة والرياح في الأرض بحيث لا ينفذ في مجاريها لشدة استحصالها وتكاثفها اجتمع طالبا للخروج ولم يمكنه النفوذ فزلزلت الأرض وربما اشتدت الزلزلة فخشفت الأرض فتخرج منه نار لشدة الحركة الموجبة لاشتعال البخار والدخان لا سيما إذا امتزجا امتزجا مقربا إلى الدهنية وربما قويت المادة على شق الأرض فتحدث أصوات هائلة وربما حدثت الزلزلة من تساقط عوالي وهدأت في باطن الأرض فيتموج بها الهواء المحقق فيتزلزل بها الأرض و قليلا ما تتزلزل بسقوط قتل الجبال عليها لبعض الأسباب وقد يوجد في بعض نواحي الأرض قوة كبريتية ينبعث منها دخان وفي الهواء رطوبة بخارية فيحصل من اختلاط دخان الكبريت بالأجزاء الرطبة الهوائية مزاج دهني وربما اشتعل بأشعة الكواكب وغيرها فيرى بالليل شعل مضيئة.

وقال شارح المقاصد قد يعرض لجزء من الأرض حركة بسبب ما يتحرك تحتها فيحرك ما فوقه ويسمى الزلزلة وذلك إذا تولد تحت الأرض بخار أو دخان أو ريع أو ما يناسب ذلك وكان وجه الأرض متكاثفا قديما المسام أو ضيقها جدا وحاول ذلك الخروج ولم يتمكن لكثافة الأرض تحرك في ذاته وحرك الأرض وربما شقتها لقوته وقد يتفصل منه نار محرقة وأصوات هائلة لشدة المحاكاة والمصاكة وقد يسمع منها دوي لشدة الريح ولا يوجد الزلزلة في الأراضي الرخوة لسهولة خروج الأبخرة وقلما تكون في الصيف لقلة تكاثف وجه الأرض والبلاد التي تكثر فيها الزلزلة إذا حفرت فيها آبار كثيرة حتى كثرت مخالصة الأبخرة قلت الزلزلة وقد يصير الكسوف سببا للزلزلة لفقد الحرارة الكائنة عن الشعاع دفعة وحصول البرد الحاقن للرياح في تجاويف الأرض بالتحصيف بقتة ولا شك أن البرد الذي يعرض بقتة يفعل ما لا يفعل العارض بالتدريج قال ذلك وأمثاله نقلا عن الحكماء ثم قال ولعمري إن النصوص الواردة في استناد هذه الآثار إلى القادر المختار قاطعة وطرق الهدى إلى ذلك واضحة لكن مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ^(١) انتهى.

وقال بعض من يدعي اقتفاء آثار الأئمة الأبرار وعدم الخروج عن مدلول الآيات والأخبار ولما كانت الأبخرة والأدخنة المحترقة في تجاويف الأرض بمنزلة عروقها وإنما تتحرك بقوى روحانية ورد في الحديث أن الله سبحانه إذا أراد أن يزلزل الأرض أمر الملك أن يحرك عروقها فيتحرّك بأهلها وما أشبه ذلك من العبارات على اختلافها والعلم عند الله^(٢) انتهى.

وأقول: قد عرفت مرارا أن تأويل النصوص والآثار والآيات والأخبار بلا ضرورة عقلية أو معارضات نقلية جرأة على العزيز الجبار ولا نقول في جميع ذلك إلا ما ورد عنهم صلوات الله عليهم وما لم تصل إليه عقولنا نرد علم ذلك إليهم.

باب ٣٣ تحريم أكل الطين وما يحل أكله منه

١- مجالس الصدوق: عن الحسين بن أحمد بن إدريس عن أبيه عن أحمد بن محمد بن عيسى عن علي بن الحكم عن إسماعيل المنقري عن جده زياد بن أبي زياد عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر^(١) قال من أكل الطين فإنه تقع الحكمة في جسده ويورثه البواسير ويهيج عليه داء السوء ويذهب بال قوة من ساقيه وقدميه وما نقص من عمله في ما بينه وبين صحته قبل أن يأكله حوسب عليه وعذب به^(٢).

مجالس الشيخ: عن أبيه عن الحسين بن عبيد الله الغضائري عن الصدوق إلى آخر السند مثله^(٣).

(١) شرح المقاصد ج ٣ ص ١٩٦ - ٢٠٠، النوع الثالث في ما يحدث في الأرض.

(٢) لم نعرف هذا البض.

(٣) أمالي الصدوق ص ٤٨٢ مجلس ٦٢ حديث ٦٥١.

(٤) أمالي الطوسي ص ٤٣٩ مجلس ١٥ حديث ٩٨١.

ثواب الأعمال: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد بن عيسى مثله.^(١)
المحاسن: عن علي بن الحكم مثله.^(٢)

٢- الخصال: بإسناده إلى أبي عبد الله عن آبائه عليهم السلام في وصايا النبي ﷺ إلى علي عليه السلام يا علي ثلاث (٣) من الوسواس أكل الطين وتقليم الأظفار بالأستان وأكل اللحية. (٤)

٣- ومنه: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن محمد بن عيسى اليقطيني عن عبيد الله الدهقان عن درست عن إبراهيم بن عبد الحميد عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال أربعة من الوسواس أكل الطين و فت الطين و تقليم الأظفار بالأسنان و أكل اللحية. ^(٥)

بيان: «من الوسواس» أي من وسوسة الشيطان أو من الشيطان المسمى بالوسواس كما قال تعالى «الْوَسْوَاسَ الْخَاسِ» ^(٦) قال الجوهري الوسوسة حديث النفس يقال وسوست إليه نفسه وسوسة ووساوسا بكسر الواو والوسواس بالفتح الاسم والوسواس اسم الشيطان ^(٧) انتهى و
الحاصل أنها من الأعمال الشيطانية التي يولم بها الإنسان و يصير عليها تركها.

٥- مجالس ابن الشيخ: عن والده عن علي بن محمد بن حشيش عن محمد بن عبد الله عن أحمد بن محمد بن سعيد عن علي بن الحسن بن فضال عن جعفر بن إبراهيم بن ناجية عن سعد بن سعد^(٩) الأشعري عن أبي الحسن الرضا^(ع) قال سألت عن الطين الذي يأكل تأكله^(١٠) الناس فقال كل طين حرام كالهيئة والدم وما أهل لغير الله به ما خلا طين قبر الحسين^(ع) فإنه شفاء من كل داء.^(١١)

الخرايج: عن ذى الفقار بن معبد الحسنى عن الشيخ أبى جعفر الطوسى عن ابن حشيش مثله. (١٢)

٦- العلل: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد بن أبي عبد الله البرقي عن الحسن بن علي عن هشام بن الحكم عن أبي عبد الله عليه السلام قال إن الله عز وجل خلق آدم من طين فحرم أكل الطين على ذريته. ^(١٣)
المحاسن: عن الحسن بن علي مثله. ^(١٤)

٧- العلل: عن أبيه عن أحمد بن إدريس عن أحمد بن محمد بن عيسى عن أبي يحيى الواسطي عن رجل قال قال أبو عبد الله عليه السلام الطين حرام أكله كلحم الخنزير و من أكله ثم مات فيه لم أصل عليه إلا طين القبر فمن أكله شهوة لم يكن فيه شفاء. (١٥)

بيان: رواه الكليني في الكافي، عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد وابن قولويه في كامل الزيارات، عن الكليني وجماعة من مشايخه بهذا الإسناد وفيهما حرام كله إلى قوله إلا طين القبر فإن فيه شفاء من كل داء ومن أكله بشهوة لم يكن له فيه شفاء. ^(١٦) وعدم صلاته عليه عليه لا ينافي وجوب الصلاة عليه وأمره بغيره بالصلاة عليه وهذا من التأديبات الشرعية لانزجار الناس عن مثلها فإن ذلك من أبلغ التحذيرات.

(۱) ثواب الأعمال ص ۲۹۳ عقاب آكل الطين حديث ۱.

(٣) في المصدر: «ثلاثة».

(٥) الخصا، ج ١ ص ٢٢١ باب الأربعة، حديث ٢٦.

(٧) الصحاح ج ٢ ص ٩٨٨.

(٩) في المصدر: «سعيد» بدل «سعد».

(۱۱) آمالی الطوسی ص ۳۱۹ مجلس ۱۱، حدیث ۹۴.

(۱۳) علل الشرایع ص ۵۳۲ باب ۳۱۷، حدیث ۱.

(۱۵) علل الشرائع ص ۵۳۲ باب ۳۱۷، حدیث ۲.

(۱۶) الکافی ج ۲ ص ۲۶۵ باب (أكل الطين)، حدیث ۱، و کامل الزیارات ص ۴۷۸ باب ۹۵، حدیث ۷۲۸ مثله.

٨- العلل: عن محمد بن موسى بن المتوكل عن عبد الله بن جعفر الحميري عن أحمد بن محمد عن ابن محبوب عن إبراهيم بن مهزم عن طلحة عن أبي عبد الله عليه السلام قال من أكل الطين فقد شرك في دم نفسه. (١)

المحاسن: عن ابن محبوب مثله. (٢)

بيان: قال الجوهري انهك الرجل في الأمر أي جد و لج. (٣)

٩- العلل: عن محمد بن الحسن بن الوليد عن محمد بن الحسن الصفار عن علي بن حسان عن عبد الرحمن بن كثير عن يحيى بن عبد الله بن الحسن عن أبي عبد الله عليه السلام قال من أكل طين الكوفة فقد أكل لحوم الناس لأن الكوفة كانت أجمة ثم كانت مقبرة ما حولها و قد قال أبو عبد الله عليه السلام قال رسول الله ﷺ من أكل الطين فهو ملعون. (٥)

بيان: يدل على عدم جواز أكل طين قبر أمير المؤمنين عليه السلام وكان هذا التعليل لشدة حرمة خصوص طين الكوفة و حولها و يدل على أن طين قبر الحسين عليه السلام أيضا إذا كان من المواضع التي يظن خلط لحوم الناس و عظامهم به لا يجوز أكله و أكثر المواضع القريبة سوى ما اتصل بالضريح المقدس في تلك الأزمنة كذلك.

١٠- العلل: عن محمد بن موسى بن المتوكل عن علي بن الحسين السعدآبادي عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي عن علي بن الحكم عن إسماعيل بن محمد بن أبي زياد عن جده زياد عن أبي جعفران من عمل الوسوسة و أكثر مصائد الشيطان أكل الطين إن أكل الطين يورث السقم في الجسد و يهيج الداء و من أكل الطين فضضفت قوته التي كانت قبل أن يأكله و ضعف عن عمله الذي كان يعمل قبل أن يأكله حوسب على ما بين ضعفه و قوته و عذب عليه. (٦)

ثواب الأعمال: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم مثله. (٧)

المحاسن: عن علي بن الحكم مثله. (٨)

بيان: في الكافي وغيره عن إسماعيل بن محمد عن جده زياد بن أبي زياد وفي الكافي أن التمني عمل الوسوسة و أكثر مكاييد الشيطان (٩) وكان ما في سائر النسخ أظهر وفي المحاسن أكبر بالباء الموحدة.

١١- كامل الزيارة: عن محمد بن الحسن بن الوليد عن محمد بن الحسن الصفار عن عبادة بن سليمان عن سعد بن سعد قال سألت أبا الحسن عليه السلام عن الطين قال فقال أكل الطين حرام مثل الميتة و الدم و لحم الخنزير إلا طين قبر الحسين عليه السلام فإن فيه شفاء من كل داء و أمان من كل خوف. (١٠)

١٢- و منه: عن محمد بن أحمد بن يعقوب عن علي بن الحسن بن فضال عن أبيه عن بعض أصحابه عن أحدهما عليه السلام قال إن الله تبارك و تعالى خلق آدم من الطين فحرم الطين على ولده قال فقلت ما تقول في طين قبر الحسين عليه السلام فقال يحرم على الناس أكل لحومهم و يحل لهم أكل لحومنا و لكن الشيء (١١) منه مثل الحمصة (١٢)

١٣- و منه: روي عن سماعة بن مهران عن أبي عبد الله عليه السلام قال كل طين محرم على ابن آدم ما خلا طين قبر أبي عبد الله عليه السلام من أكله من وجع شفاء الله. (١٣)

١٤- المحاسن: عن عثمان بن عيسى عن طلحة بن يزيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال أكل الطين يورث النفاق. (١٤)

١٥- و منه: عن التوفلي عن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ من أكل الطين فمات فقد أعان على نفسه. (١٥)

- (١) علل الشرائع ص ٥٣٢ باب ٣١٧، حديث ٣.
(٢) الصحاح ج ٣ ص ١٦١٧.
(٣) علل الشرائع ص ٥٣٣ باب ٣١٧، حديث ٤.
(٤) في المصدر: «عبادة» بدل «عبد الرحمن».
(٥) علل الشرائع ص ٥٣٣، باب ٣١٧، حديث ٥.
(٦) المحاسن ج ٢ ص ٣٨٨، حديث ٢٣٧٤.
(٧) ثواب الأعمال ص ٢٩٣، عقاب أكل الطين، حديث ٢.
(٨) الكافي ج ٦ ص ٢٦٦ باب (أكل الطين)، حديث ٦.
(٩) في المصدر إضافة: «اليسير».
(١٠) كامل الزيارات ص ٤٧٨ باب ٩٥، حديث ٢.
(١١) كامل الزيارات ص ٤٧٨ باب ٩٥، حديث ٣.
(١٢) المحاسن ج ٢ ص ٣٨٧، حديث ٢٣٦٩.
(١٣) كامل الزيارات ص ٤٧٩، باب ٩٥، حديث ٤.
(١٤) المحاسن ج ٢ ص ٣٨٧، حديث ٢٣٧٠.

١٦- ومنه: عن ابن فضال عن ابن القداح عن أبي عبد الله عليه السلام قال قيل لعلي عليه السلام في رجل يأكل الطين فنهاه و قال لا تأكله فإنك إن أكلته و مت فقد أعتت على نفسك. (١)

١٧- ومنه: عن محمد بن علي عن كثم بنت مسلم قالت ذكر الطين عند أبي الحسن عليه السلام فقال أترين أنه ليس من مصائد الشيطان إنه من مصائده الكبار و أبوابه العظام. (٢)

١٨- المكارم: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن طين الأرمني أيؤخذ للكسير و المبطون أيحل أخذه قال لا بأس به أما إنه من طين قبر ذي القرنين و طين قبر الحسين عليه السلام خير منه. (٣)

المتهمج: عن محمد بن جمهور العمي عن بعض أصحابه عنه عليه السلام مثله. (٤)
دعوات الراوندي: عنه عليه السلام مثله. (٥)

١٩- و روى سدير عن الصادق عليه السلام أنه قال من أكل طين قبر الحسين عليه السلام غير مستشف به فكأنما أكل من لحومنا. (٦)

٢٠- طب الأئمة: عن بشر بن عبد الحميد الأنصاري عن الحسن بن علي الوشاء عن محمد بن الفضيل عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام أن رجلا شكاه إليه الزحير فقال له خذ من الطين الأرمني و أقله بنار لينة و استشف (٧) منه فإنه يسكن عنك. (٨)

٢١- و عنه عليه السلام أنه قال في الزحير تأخذ جزءا من خربق أبيض و جزءا من بزر القطن (٩) و جزءا من صمغ عربي و جزءا من الطين الأرمني يقلى بنار لينة و تستشف (١٠) منه. (١١)

٢٢- كامل الزيارات: عن محمد بن الحسن بن علي بن مهزيار عن أبيه (١٢) عن جده علي بن مهزيار عن الحسن بن سعيد عن عبد الله الأعمى عن ابن أبي عمير (١٣) عن أبي حمزة الثمالي عن أبي عبد الله عليه السلام في حديثه أنه سئل عن طين الحائر هل فيه شيء من الشفاء فقال يستشفى ما (١٤) بينه و بين القبر على رأس أربعة أميال و كذلك قبر جدي رسول الله عليه السلام و كذلك طين قبر الحسن و علي و محمد فخذ منها فإنها شفاء من كل داء و سقم و جنة مما تخاف و لا يعدها شي من الأشياء الذي يستشفى بها إلا الدعاء و إنما يفسدها ما يخالطها من أوعيتها و قلة اليقين لمن يعالج بها و ذكر الحديث إلى أن قال و لقد بلغني أن بعض من يأخذ من التربة شيئا يستخف بها حتى أن بعضهم يضعها في مخلاة البغل (١٥) و الحمار و في وعاء الطعام و الخرج (١٦) فكيف يستشفى به من هذا حاله عنده. (١٧)

بيان: أقول قال الشيخ الهائي قدس الله روحه في الكشكول ما نقله جدي من خط السيد الجليل الطاهر ذي المناقب و المفاخر السيد رضي الدين علي بن طائوس قدس سره من الجزء الثاني من كتاب الزيارات لمحمد بن أحمد بن داود القمي أن أبا حمزة الثمالي قال للصادق عليه السلام إني رأيت أصحابنا يأخذون من طين قبر الحسين عليه السلام يستشفون (١٨) فهل في ذلك شيء مما يقولون من الشفاء فقال يستشفى ما بينه و بين القبر على رأس أربعة أميال و كذلك قبر رسول الله عليه السلام و كذلك قبر الحسن و علي و محمد فخذ منها فإنها شفاء من كل سقم و جنة مما يخاف ثم أمر بتعظيمها و أخذها باليقين بالبرء و تختمها (١٩) إذا أخذت (٢٠) انتهى.

-
- (١) المحاسن ج ٢ ص ٣٨٨، حديث ٢٣٧١.
(٢) معصباح المتجهج ص ٣٣١ فصل تمام الصلاة في مسجد الكوفة.
(٣) مكارم الأخلاق ج ١ ص ٣٦٢ حديث ١١٨٢.
(٤) دعوات الراوندي ص ١٨٥، حديث ٥١٤.
(٥) دعوات الراوندي ص ١٨٧، حديث ٥١٧.
(٦) طب الأئمة ص ٦٥.
(٧) في المصدر: «و يستف».
(٨) في المصدر: «استف».
(٩) طب الأئمة ص ٦٦.
(١٠) في المصدر: «أبي عمرو شيخ من أهل الكوفة» بدل «ابن أبي عمير».
(١١) في المصدر: «بما».
(١٢) في المصدر: «الطعام و ما يسمح به الأيدي من الطعام و الخرج و الجوانق».
(١٣) كامل الزيارات ص ٤٧٠ باب ٩٣، حديث ٥.
(١٤) في المصدر: «و يخبثها».
(١٥) في المصدر: «إضافة: به».
(١٦) في المصدر: «و يخبثها».
(١٧) في المصدر: «و يخبثها».
(١٨) في المصدر: «و يخبثها».
(١٩) في المصدر: «و يخبثها».
(٢٠) في المصدر: «و يخبثها».

وأقول: هذا الخبر يهذين السنين يدل على جواز الاستشفاء بطين قبر الرسول ﷺ و سائر الأئمة عليه السلام و لم يقل به أحد من الأصحاب و مخالف لسائر الأخبار عموما و خصوصا و يمكن حمله على الاستشفاء بغير الأكل كحملها و التمسح بها و أمثال ذلك و المراد بعلي إما أمير المؤمنين أو السجاء و بمحمد الباقر عليه السلام و يحتمل الرسول ﷺ تأكيداً و إن كان بعيداً.

٢٣- المتجهج: عن حنان بن سدير ^(١) عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال من أكل طين قبر الحسين عليه السلام غير مستشف به فكأنما أكل من لحومنا ^(٢) الحديث.

٢٤- قال و روي أن رجلاً سأل الصادق عليه السلام فقال إني سمعتك تقول إن تربة الحسين عليه السلام من الأدوية المفردة و إنها لا تمر بداء إلا هضمت فقال قد قلت ذلك فما بالك قلت إني تناولتها فما انتفعت بها قال أما إن لها دعاء فمن تناولها و لم يدع به و استعمالها لم يكده ينتفع بها قال فقال له ما يقول إذا تناولها قال تغلبها قبل كل شيء و تضعها على عينيك و لا تناول أكثر من حصّة فإن من تناول ^(٣) أكثر من ذلك فكأنما أكل من لحومنا و دماننا فإذا تناولت فقل و ذكر الدعاء ^(٤).

٢٥- العيون: عن تميم بن عبد الله القرشي عن أبيه عن أحمد بن علي الأنصاري عن سليمان بن جعفر البصري عن عمرو بن واقد عن المسيب بن زهير عن موسى بن جعفر عليه السلام أنه أخبره بموته و دفنه و قال لا ترفعوا قبوري فوق أربع أصابع مفرجات و لا تأخذوا من تربتي شيئاً لتبركوا ^(٥) به فإن كل تربة لنا محرمة إلا تربة جدي الحسين بن علي عليه السلام فإن الله عز و جل جعلها شفاءً لشيعتنا و أوليانا ^(٦) الخير.

٢٦- كامل الزيارات: عن محمد بن عبد الله بن جعفر عن أبيه عن علي بن محمد بن سالم عن محمد بن خالد عن عبد الله بن حماد عن الأصم عن مدّلع عن محمد بن مسلم في حديث أنه كان مريضاً فبعث إليه أبو عبد الله عليه السلام بشراب فشربه فكأنما نشط من عقال فدخل عليه فقال كيف وجدت الشراب فقال لقد كنت آيساً من نفسي فشريته فأقبلت إليك فكأنما نشطت من عقال فقال يا محمد إن الشراب الذي شرّيته كان فيه من طين قبور آبائي ^(٧) و هو أفضل ما تستشفى ^(٨) به فلا تعدل به فإننا نسقيه صبياننا و نساءنا فنرى منه كل الخير ^(٩).

بيان: يدل الخبر على جواز إدخال التربة في الأدوية التي يستشفى بها و الأحوط أن لا يكون الداخل فيما يشربه أكثر من الحصّة و إنما قلنا الأحوط في ذلك لأن في دخول التراب و الطين في المأكولات مع استهلاكها فيها يشكّل الحكم بالحرمه كما سنشير إليه.

٢٧- معاني الأخبار: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي عن المعاذي عن معمر عن أبي الحسن عليه السلام قال قلت له ما يروي الناس في الطين و كراهته قال إنما ذلك المبلول و ذلك المدر ^(١٠).

٢٨- و روي أن رسول الله ﷺ نهى عن أكل المدر حدثني بذلك محمد بن الحسن بن الوليد عن محمد بن الحسن الصفار عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي ^(١١).

بيان: ظاهر الخبر الأول أن حرمة الطين مخصوصة بالطين المبلول دون المدر اليابس كما فهمه الصدوق ظاهراً و هذا مما لم يقل به صريحاً أحد و يمكن أن يحمل على أن المعنى أن المحرم إنما هو المبلول و المدر لا غيرهما مما يستهلك في الدبس و يقع على الثمار و سائر المطعومات و على هذا فالحصر إما إضافي بالنسبة إلى ما ذكرنا أو المراد بالمدر ما يشمل التراب أيضاً و يحتمل أن يكون إلزاماً على المخالفين النافين للاستشفاء بتربة الحسين عليه السلام بأن ما استدللتم من الأخبار على تحريم الطين ظاهراً المبلول و إطلاقه على غيره مجاز فلا يمكنكم الاستدلال بها على تحريم

(١) في المصدر إضافة: «عن أبيه».

(٢) في المصدر إضافة: «منها».

(٣) في المصدر: «لتبركوا».

(٤) في المصدر: «قبل الحسين عليه السلام» بدل «قبور آبائي».

(٥) كامل الزيارات ص ٤٦٢ باب ٩١، حديث ٧ ملخصاً.

(٦) معاني الأخبار ص ٢٦٣ باب (معنى الطين الذي حرّم الله أكله)، حديث ١.

(٧) معاني الأخبار ص ٢٦٤ باب (معنى الطين الذي حرّم الله أكله)، حديث ٢.

(٨) في المصدر إضافة: «عن أبيه».

(٩) في المصدر إضافة: «منها».

(١٠) في المصدر: «لتبركوا».

(١١) في المصدر: «قبل الحسين عليه السلام» بدل «قبور آبائي».

(١٢) كامل الزيارات ص ٤٦٢ باب ٩١، حديث ٧ ملخصاً.

(١٣) معاني الأخبار ص ٢٦٣ باب (معنى الطين الذي حرّم الله أكله)، حديث ١.

(١٤) معاني الأخبار ص ٢٦٤ باب (معنى الطين الذي حرّم الله أكله)، حديث ٢.

التراب والمدر وعلى التقادير الكراهة محمولة على الحرمة وقال المحدث الأسترآبادي إنما المكروه ذاك الطين المتعارف بين الناس مبلولة وبأسة لا طين الحسين ﷺ انتهى^(١).

و أقول: مع قطع النظر عن الشهرة بين الأصحاب بل إجماعهم على تعميم التحريم لم يبعد القول بتخصيصه بالمبلول إذ الظاهر أن الطين في اللغة حقيقة في المبلول وأكثر الأخبار إنما ورد بلفظ الطين وهذا الخبر ظاهره الاختصاص وقال الراغب في المفردات الطين التراب والماء المختلط به وقد يسمى بذلك وإن زال عنه قوة الماء^(٢) انتهى لكن استثناء طين الحسين ﷺ منه مما يؤيد التعميم فإنه معلوم أنه ليس بالاستشفاء بخصوص المبلول بل الغالب عدمه وعلى أي حال لا محيص عن العمل بما هو المشهور في ذلك.

قال المحقق الأردبيلي قدس سره الظاهر أنه لا خلاف في تحريم الطين و ظاهر اللفظ عرفا ولغة أنه تراب مخلوط بالماء و يؤيده صحيحة معمر بن خلاد و ذكر الخبر ثم قال وهذه تدل على أنه بعد البيوسة أيضا حرام و لا يشترط بقاء الرطوبة ولكن لا بد أن يكون متمزجا فلا يحرم غير ذلك للأصل و العمومات و حصر المحرمات و المشهور بين المتفقهة أنه يحرم التراب و الأرض كلها حتى الرمل و الأحجار قال في المسالك^(٣) المراد به ما يشمل التراب و المدر لما فيه من الإضرار بالبدن و الضرر مطلقا غير واضح و لعل وجه المشهور أنه إذا كان الطين حراما و ليس فيه إلا الماء و التراب و معلوم عدم تحريم الماء و لا معنى لتحريم شيء بسبب انضمام محلل فلو لم يكن التراب محرما لم يكن الطين كذلك و إنما التراب جزء الأرض فيكون كلها حراما و فيه تأمل واضح فتأمل و لا تترك الاحتياط^(٤) انتهى.

و أقول: الوجه الذي حمل الخبر عليه غير ما ذكرنا و مع احتمال تلك الوجوه بل أظهرية بعضها يشكل الاستدلال بهذا الوجه ثم الحكم بتحريم ما سوى الطين و التراب من أجزاء الأرض كالحجارة و الياقوت و الزبرجد و أنواع المعادن مما لا وجه له و الآيات و الأخبار دالة على أن الأصل في الأشياء الحل و لم يرد خبر بتحريم هذه الأشياء و قياسها على التراب باطل و أما المستثنى منه و هو حل طين قبر الحسين ﷺ فالظاهر أنه لا خلاف في حله في الجملة و إنما الكلام في شرائطه و خصوصياته و لنشر إليها و إلى بعض الأحكام المستفادة من الأخبار:

الأول: المكان الذي يؤخذ منه التربة ففي بعض الأخبار طين القبر و هي تدل ظاهرا على أنها التربة المأخوذة من المواضع القريبة مما جاور القبر و في بعضها طين حائر الحسين ﷺ فيدل على جواز أخذه من جميع الحائر و عدم دخوله ما خرج منه و في بعضها عشرون ذراعا مكسرة^(٥) و هو أضيق و في بعضها خمسة و عشرون ذراعا من كل جانب من جوانب القبر^(٦) و في بعضها تؤخذ طين قبر الحسين ﷺ من.

عند القبر على سبعين ذراعا^(٧) و في بعضها فيه شفاء و إن أخذ على رأس ميل^(٨) و في بعضها البركة من قبره ﷺ على عشرة أميال^(٩) و في بعضها حرم الحسين ﷺ فرسخ في فرسخ من أربع جوانب القبر^(١٠) و في بعضها حرمه ﷺ^(١١) خمس فراسخ^(١٢) في أربع جوانبه^(١٣) و جمع الشيخ^(١٤) و من تأخر عنه بينها بالحمل على اختلاف مراتب الفضل و تجويز الجميع و هو حسن و الأحوط في الأكل أن لا يجاوز الميل بل السبعين و كلما كان أقرب كان أحوط و أفضل قال المحقق الأردبيلي طيب الله تربته و أما المستثنى فالمشهور أنه تربة الحسين ﷺ فكل ما يصدق عليه التربة يكون

(١) لم نعر على كلام المحدث الأسترآبادي هذا.

(٢) بقية كلام الأردبيلي.

(٣) تهذيب الأحكام ج ٦ ص ٧٢، حديث ١٣٥.

(٤) تهذيب الأحكام ج ٦ ص ٧٤، حديث ١٤٤.

(٥) تهذيب الأحكام ج ٦ ص ٧٢، حديث ١٣٦.

(٦) في التهذيب: «حريم قبر الحسين ﷺ».

(٧) تهذيب الأحكام ج ٦ ص ٧١، حديث ١٣٢.

(٨) مفردات الراغب ص ٣٢٣.

(٩) مجمع الفائدة و البرهان ج ١١ ص ٢٣٤ - ٢٣٥ كتاب الصيد.

(١٠) تهذيب الأحكام ج ٦ ص ٧٢، حديث ١٣٦.

(١١) كامل الزيارات ص ٤٦٢، حديث ٧٠٣.

(١٢) تهذيب الأحكام ج ٦ ص ٧١، حديث ١٣٣.

(١٣) في التهذيب: «من» بدل «في».

(١٤) راجع تهذيب الأحكام ج ٦ ص ٧٢، ذيل الحديث ١٣٥.

مباحا ومستثنى وفي بعض الروايات طين قبر الحسين عليه السلام فالظاهر أن الذي يؤخذ من القبر الشريف حلال ولما كان الظاهر عدم إمكان ذلك دائما فيمكن دخول ما قرب منه وحواليه فيه أيضا ويؤيده ما ورد في بعض الأخبار طين الحائر وفي بعض على سبعين ذراعا وفي بعض على عشرة أميال ^(١) انتهى.

الثاني: شرائط الآخذ فقد ورد في بعض الأخبار شرائط كثيرة من الغسل والصلاة والدعاء ولوزن المخصوص كما سيأتي في كتاب المزار إن شاء الله تعالى ولما كان أكثر الأخبار الواردة في ذلك خالية عن ذكر هذه الشروط والآداب فالظاهر أنها من مكملات فضلها وتأثيرها ولا يشترط الحل بها كما هو المشهور بين الأصحاب.

قال المحقق الأردبيلي ره الأخبار في جواز أكلها للاستشفاء كثيرة والأصحاب مطبقون عليه و هل يشترط أخذه بالدعاء وقراءة «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ» ظاهر بعض الروايات في كتب المزار ذلك بل مع شرائط أخرى حتى ورد أنه قال شخص إنني أكلت وما شفيت فقال عليه السلام له افعل كذا وكذا ورد أيضا أن له غسلًا وصلاة خاصة والآخذ على وجه خاص وربطه وختمه بخاتم يكون نقشه كذا ويكون أخذه مقدارًا خاصًا ويحتمل أن يكون ذلك لزيادة الشفاء وسرعته وتيقنه لا مطلقًا فيكون مطلقًا جائزًا كما هو المشهور وفي كتب الفقه مسطور ^(٢).

الثالث: ما يؤكل له ولا يرب في أنه يجوز للاستشفاء من مرض حاصل وإن ظن إمكان المعالجة بغيره من الأدوية والظاهر الأمراض الجسمانية أي مرض كان وربما يوسع بحيث يشمل الأمراض الروحانية وفيه إشكال وأما الأكل بمحض التبرك فالظاهر عدم الجواز للتصريح به في بعض الأخبار وعموم بعضها لكن ورد في بعض الأخبار جواز إفتار العيد به وإفتار يوم عاشوراء أيضًا به وجوزه فيها بعض الأصحاب ولا يخلو من قوة والاحتياط في الترك إلا أن يكون له مرض يقصد الاستشفاء به أيضًا.

قال المحقق الأردبيلي ره ولا بد أن يكون بقصد الاستشفاء وإلا فيحرم ولم يحصل له الشفاء كما في رواية أبي يحيى وبدل عليه غيرها أيضًا وقد نقل أكله يوم عاشوراء بعد العصر وكذا الإفطار بها يوم العيد ولم تثبت صحته فلا يؤكل إلا للشفاء انتهى.

وقال ابن فهد قدس سره ذهب ابن إدريس ^(٣) إلى تحريم تناول إلا عند الحاجة وأجاز الشيخ في المصباح ^(٤) الإفطار عليه في عيد الفطر وجنح العلامة ^(٥) إلى قول ابن إدريس لعموم ^(٦) النهي عن أكل الطين مطلقًا وكذا المحقق في النافع ^(٧) ثم قال يحرم تناول إلا عند الحاجة عند ابن إدريس ويجوز على قصد الاستشفاء والتبرك وإن لم يكن هناك ضرورة عند الشيخ ^(٨).

الرابع: المقدار المجوز للأكل والظاهر أنه لا يجوز التجاوز في كل مرة عن قدر الحمصة وإن جاز التكرار إذا لم يحصل الشفاء بالأول وقد مر التصريح بهذا المقدار في الأخبار وكان الأحوط عدم التجاوز عن مقدار عدسة.

لما رواه الكليني عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن معاوية بن عمار قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام إن الناس يروون أن النبي صلى الله عليه وآله قال إن العدس بارك عليه سبعون نبيًا فقال هو الذي تسمونه عندكم الحمص ونحن نسميه العدس ^(٩).

وفي الصحيح عن رفاعه عنه عليه السلام قال إن الله عز وجل لما عافى أيوب عليه السلام نظر إلى بني إسرائيل قد ازدعرت فرفع طرفه إلى السماء فقال إلهي وسيدي عبدك أيوب المبتلى عافيته ولم يزدرع شيئًا

(١) مجمع الفائدة والبرهان ج ١١ ص ٢٣٥ - ٢٣٦، كتاب الصيد.

(٢) مجمع الفائدة والبرهان ج ١١ ص ٢٣٦، كتاب الصيد.

(٣) راجع مصباح المتبجح ص ٧٣١.

(٤) في المصدر: «بعموم».

(٥) المهذب البارج ج ٤ ص ٢١٩ - ٢٢٠.

(٦) السرائر ج ٣ ص ١٢٤.

(٧) مختلف الشيعة ج ٢ ص ١٣٤، كتاب الأطعمة والأشربة.

(٨) المختصر النافع ص ٢٤٥.

(٩) الكافي ج ٦ ص ٣٤٢، باب الحمص، حديث ٢.

وهذا لبني إسرائيل زرع فأوحى الله عز وجل إليه يا أيوب خذ من سبحتك كفا فابذره وكانت سبخته فيها ملم فأخذ أيوب كفا منها فبذره فخرج هذا العدس وأنتم تسمونه الحمص ونحن نسميه العدس^(١) لأنهما يدلان على أنه يطلق الحمص على العدس أيضا فيمكن أن يكون المراد بالحمصة في تلك الأخبار العدسة لكن العدول عن الحقيقة لمحض إطلاقه في بعض الأخبار على غيره غير موجه مع أن ظاهر الخبرين أنهم عليه السلام كانوا يسمون الحمصة عدسة لا العكس فتأمل وكذا فهمهما الكليني حيث أوردهما في باب الحمص لا العدس.

الخامس: الطين الأرمني هل يجوز الاستشفاء به واستعماله في الأدوية قليل نعم لأنه ورد في الأخبار المؤيدة بعمومات دلائل حل المحرمات عند الاضطرار وقيل لا لعدم صلاحية تلك الأخبار لتخصيص أخبار التحريم وقد ورد المنع عن التدوي بالحرام والأكثر لم يعتنوا بهذه الأخبار وجعلوا الخلاف فيه فرعا للخلاف في جواز التدوي بالحرام وعدمه ولذا الحقوا به الطين المختوم وإن لم يرد فيه خير.

قال المحقق روح الله روحه في الشرائع وفي الأرمني رواية بالجواز حسنة لما فيه من المنفعة المضطر إليها^(٢) وقال الشهيد الثاني نور الله ضريحه موضع التحريم في تناول الطين ما إذا لم يدع إليه حاجة فإن في بعض الطين خواص ومنافع لا تحصل في غيره فإذا اضطر إليه لتلك المنفعة بأخبار طبيب عارف يحصل الظن بصدقه جاز تناول ما تدعو إليه الحاجة لعموم قوله تعالى ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾^(٣) وقد وردت الرواية^(٤) بجواز تناول الأرمني وهو طين مخصوص يجلب من أرمينية^(٥) تترتب عليه منافع خصوصا في زمن الوباء وللإسهال وغيره مما هو مذكور في كتب الطب ومثله الطين المختوم وربما قيل بالمنع لعموم ما دل على تحريم الطين وقوله عليه السلام ما جعل شفاؤكم في ما حرم عليكم وقوله عليه السلام لا شفاء في محرم وجوابه أن الأمر عام مخصوص بما ذكر وقوله عليه السلام لا ضرر ولا إضرار والخبران قول بموجبهما لأننا نمنع من تحريمه حال الضرورة والمراد ما دام محرما وموضع الخلاف ما إذا لم يخف الهلاك والإجاز بغير إشكال^(٦) انتهى.

وسبأني تمام الكلام في التدوي بالحرام في بابه إن شاء الله تعالى وقال ابن فهدره الطين الأرمني إذا دعت الضرورة إليه عينا جاز تناوله خاصة دون غيره وقيل إنه من طين قبر إسكندر والفرق بينه وبين التربة من وجوه الأول أن التربة يجوز تناولها لطلب الاستشفاء من الأمراض وإن لم يصفها الطبيب بل وإن حذر منها والأرمني لا يجوز تناوله إلا أن يكون موصوفا الثاني أن التربة لا يتجاوز منها قدر الحمصة وفي الأرمني يباح القدر الذي تدعو إليه الحاجة وإن زاد عن ذلك الثالث أن التربة محترمة لا يجوز تقريبها من النجاسة وليس كذلك الأرمني^(٧).

المتهجد: يستحب صوم هذا العشر فإذا كان يوم العاشر أمسك عن الطعام والشراب إلى بعد العصر ثم يتناول شيئا يسيرا من التربة^(٨).

٢٩- الإقبال: رويتا بإسنادهما إلى محمد بن يعقوب الكليني بإسناده إلى علي بن محمد بن سليمان التوفلي قال قلت لأبي الحسن عليه السلام إني أفطرت يوم الفطر على طين وتمر قال لي جمعت بركة وستة قال السيد رضي الله عنه يعني بذلك التربة المقدسة على صاحبها السلام^(٩).

٣٠- دعائم الإسلام: عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه نهى عن أكل الطين وقال إن الله عز وجل خلق آدم من طين فحرم أكل الطين على ذريته ومن أكل الطين فقد أعان على نفسه ومن أكله فمات لم أصل عليه^(١٠).

٣١- وقال جعفر بن محمد عليه السلام أكل الطين يورث النفاق^(١١).

(٢) الشرائع الإسلام ج ٣ ص ٢٢٤.

(١) الكافي ج ٦ ص ٣٤٣ باب الحمص، حديث ٣.

(٤) طب الأئمة ص ٦٥.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٧٣.

(٦) مسائل الإنهاج ج ١٢ ص ٩٦ - ٧٠، كتاب الأطعمة والأشربة.

(٨) مصباح المتجهد ص ٧٧١ شهر محرم.

(٥) في المصدر: «إرمينية».

(١٠) دعائم الإسلام ج ٢ ص ١٥٠.

(٧) المهذب البارع ج ٤ ص ٢٢١.

(٩) إقبال الأعمال ج ١ ص ٤٧٨ فصل ٦.

(١١) دعائم الإسلام ج ٢ ص ١٥٠.

الآيات:

١٦٤
الحجر: ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ (١).
النحل: ﴿وَأَوْ لَمْ يَرْوِ إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَقَّهُوا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ ذَاخِرُونَ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ ذَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٢).
أسرى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (٣).
الأنبياء: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ (٤) و قال تعالى ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غَاصِقَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ (٥).
الحج: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّجَرُ وَالدُّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ (٦).
سبا: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَآتَيْنَاهُ الْحَدِيدَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى وَاسْأَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ (٧).
فاطر: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُعْطِيكَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (٨).
ص: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَمِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ (٩) و قال سبحانه ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهُ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ (١٠).
الحديد: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (١١).

تفسير: ﴿وَأَوْ لَمْ يَرْوِ إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ (١٢) قيل: استفهام إنكار أي قد رأوا أمثال هذه الصنائع فما بالهم لم يفكروا لظهور لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه و «ما» موصولة مبهمة بيانها ﴿يَتَفَقَّهُوا ظِلَالُهُ﴾ أي أو لم ينظروا إلى المخلوقات التي لها ظلال متفتحة «عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ» أي عن أيانها و شمالكها أي جانبي كل واحد منها استعارة عن يمين الإنسان و شماله و لعل توحيد اليمين و جمع الشمائيل لاعتبار اللفظ و المعنى كتوحيد الضمير في ﴿ظِلَالُهُ﴾ و جمعه في قوله ﴿سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ ذَاخِرُونَ﴾ و هما حالان عن الضمير في ﴿ظِلَالُهُ﴾ و المراد من السجود الاقياد و الاستسلام سواء كان بالطبع أو بالاختيار يقال سجدت النخلة إذا مالت لكثرة الحمل و سجد البعير إذا طأطأ رأسه ليركب و قال الشاعر.

سجدا للحوافر (١٣)

ترى الأكم فيها

(٢) سورة النحل، آية: ٤٨ - ٤٩.

(٤) سورة الأنبياء، آية: ٦٩.

(٦) سورة الحج، آية: ١٨.

(٨) سورة فاطر، آية: ٤١.

(١٠) سورة ص، آية: ٣٦.

(١٢) سورة النحل، آية: ٤٨.

(١) سورة الحجر، آية: ١٩.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٤٤.

(٥) سورة الأنبياء، آية: ٧٩ - ٨١.

(٧) سورة السبا، آية: ١٠ - ١٢.

(٩) سورة ص، آية: ١٨.

(١١) سورة الحديد، آية: ٢٥.

(١٣) عبارة: «و قال الشاعر - إلى قوله - للحوافر» ليست في المصدر.

و«سَجَدًا» حال من الظلال «وَهُمْ ذَاخِرُونَ»^(١) من الضمير والمعنى يرجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها أو باختلاف مشارقتها ومغاربيها بتقدير الله تعالى من جانب إلى جانب متفاداً لما قدر لها من التغيُّ أو واقعة على الأرض ملتصقة بها كهيئة الساجد والأجرام في أنفسها أيضاً داخرة أي صاغرة متفاداً لأفعال الله فيها وجمع «ذَاخِرُونَ»^(٢) لأن من جعلتها من يعقل أو لأن الدخور من أوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمال عن يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لأن الكوكب يظهر منه أخذه في الارتفاع والسطوع وشماله هو الجانب الغربي المقابل له^(٣) فإن الأظلال في أول النهار تبتدئ من المشرق واقعة على الربع الغربي من الأرض وعند الزوال يبتدئ من المغرب واقعة على الربع الشرقي من الأرض^(٤) كما ذكره البيضاوي وغيره وقال بعضهم كان الحسن يقول أما ذلك فيسجد لربك وأما أنت فلا تسجد لربك بشئ ما صنعت وعن مجاهد ظل الكافر يصلي وهو لا يصلي وقيل ظل كل شيء يسجد لله وسواء كان ذلك ساجداً لله أم لا.

وقال الطبرسي ره وقيل إن المراد بالظل هو الشخص بعينه قال الشاعر كان في أظلالهن الشمس أي في أشخاصهن^(٥) فعلى هذا يكون تأويل الظلال في الآية تأويل الأجسام التي عنها الظلال «وَهُمْ ذَاخِرُونَ» أي أذلة صاغرون قد نبه الله سبحانه بهذا على أن جميع الأشياء تخضع له بما فيها من الدلالة على الحاجة إلى واضعها ومديرها بما لولاه لبطلت ولم يكن لها قوام طرفه عين فهي في ذلك كالساجد من العباد بفعله الخاضع بذله^(٦) انتهى.

وقال النيسابوري في تأويلها بعد تفسيرها بما مر «إِنِّي مَا خَلَقْتُ اللَّهَ مِنْ شَيْءٍ» هو عالم الأجسام فإن عالم الأرواح خلق من لا شيء «يَتَنَبَّأُ ظِلَالُهُ»^(٧) فإن الأجسام ظلال الأرواح فتارة تميل بعمل أهل السعادة إلى أصحاب اليمين وأخرى تميل بعمل أهل الشقاء إلى أصحاب الشمال «سجداً لله» متقادين لأمره مسخرين لما خلقوا لأجله وإنما وحد اليمين وجمع الشمال^(٨) لكثرة أصحاب الشمال وسجود كل موجود يناسب حالة كما أن تسبيح كل منهم يلائم لسانه^(٩) انتهى.

وأقول: ويحتمل أن يكون المراد بظلاله مثاله على القول بعالم المثال كما مر تحقيقه أو روحه كما عبر في الأخبار الكثيرة عن عالم الأرواح بالظلال فالمراد بالتغيُّ عن اليمين ميلهم إلى السعادة والتشبه بأصحاب اليمين والشمال خلافه وهذا كلام على سبيل الاحتمال في مقابلة ما ذكره من ذلك والله يعلم تفسير كلامه وحججه الكرام.

وَوَلِلَّهِ يَسْجُدُ^(١٠) قال الرازي قد ذكرنا أن السجود على نوعين سجود هو عبادة كسجود المسلمين لله تعالى وسجود هو عبارة عن الانقياد والخضوع ويرجع حاصل هذا السجود إلى أنها في أنفسها ممكنة الوجود والعدم قابلة لها لأنه لا يرجع^(١١) أحد الطرفين على الآخر إلا لمرجع إذا عرفت هذا فتقول من الناس من قال المراد بالسجود المذكور في هذه الآية السجود بالمعنى الثاني وهو التواضع والانقياد والدليل عليه أن اللائق بالدابة ليس إلا هذا السجود ومنهم من قال المراد بالسجود هاهنا هو المعنى الأول لأن اللائق بالملائكة هو السجود بهذا المعنى لأن السجود بالمعنى الثاني حاصل في كل الحيوانات والنباتات والجمادات ومنهم من قال السجود لفظ مشترك بين المعنيتين وحمل اللفظ المشترك لإفادة مجموع معنييه جائز فحمل لفظ السجود في هذه الآية على الأمرين معاً أما في حق الدابة فبمعنى التواضع وأما في حق الملائكة فبمعنى سجود المسلمين لله تعالى وهذا القول ضعيف لأنه ثبت أن استعمال اللفظ المشترك لإفادة جميع مفاهيمه معاً غير جائز قوله «مِنْ ذَابَّةٍ» قال الأخفش يريد من الدواب وقال ابن عباس يريد كل ما دب على الأرض فإن قيل ما الوجه في تخصيص الدواب والملائكة بالذكر قلنا فيه وجوه: الأول: أنه تعالى بين في آية الظلال أن الجمادات بأسرها متفاداة لله تعالى لأن أحسها الدواب وأشرفها الملائكة فلما بين في أحسها وأشرفها كونها متفاداة لله تعالى وبين بهذه الآية أن الحيوانات بأسرها متفاداة لله تعالى كان ذلك دليلاً على أنها بأسرها متفاداة خاضعة لله تعالى والوجه الثاني: قال حكماء الإسلام الدابة اشتقاقها من الديب والديب

(١) في المصدر إضافة: «حال».
(٢) في المصدر إضافة: «من الأرض».
(٣) مجمع البيان ج ٦ ص ٣٦٤.
(٤) في المصدر: «الشمال».
(٥) سورة النحل، آية: ٤٨.
(٦) تفسير غرائب القرآن ج ٤ ص ٢٧٢ قسم التأويل.
(٧) في المصدر: «لا يترجع».
(٨) في المصدر إضافة: «بالواو».
(٩) أنوار التنزيل ج ١ ص ٥٤٦.
(١٠) في المصدر: «أشخاصهن».
(١١) سورة النحل، آية: ٤٨.

عبارة عن الحركة الجسمانية فالدابة اسم لكل حيوان جسماني يتحرك ويدب فلما ميز الله الملائكة من الدابة علمنا أنها ليست مما يدب بل هي أرواح محضة مجردة ويمكن الجواب عنه بأن الطير بالجنات مغاير للديب (١) بدليل قوله تعالى ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ (٢) انتهى.

وأقول: التخصيص بعد التعميم أيضا شائع كعطف جبرئيل على الملائكة كما ذكره البياضوي (٣) وما ذكره من عدم جواز استعمال المشترك في معنييه على تقدير تسليمه لا حاجة في التعميم على حمله على ذلك بل يمكن حمله على معنى الانقياد والتواضع وهو يشمل الانقياد لإرادته وتأثيره طبعاً والالتحاق لتكليفه وأمره طوعاً كما حمل عليه البياضوي (٤) وقال بعضهم هذه الآية تدل على أن العالم كله في مقام الشهود والعبادة لإلاكل مخلوق له قوة التفكير ليس إلا النفوس الناطقة الإنسانية والحيوانية خاصة من حيث أعيان أنفسهم لا من حيث هياكلهم فإن هياكلهم كسائر العالم في التسبيح له والسجود فأعضاء البدن كلها مسبحة ناطقة ألا تراها تشهد على النفوس المسخرة لها يوم القيامة من الجلود والأيدي والأرجل والألسنة والسمع والبصر وجميع القوى فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ (٥) انتهى.

وأقول: والأرواح والنفوس أيضاً لها جهتان فمن جهة مسخرة متقادة لربها في جميع ما أراد منها ومن جهة أخرى عاصية مخالفة لربها بل من هذه الجهة أيضاً مسخرة ساجدة خاضعة لإرادة ربها حيث أقدرها على ما أرادت دالة على وجود صانعها الذي جعلها مختارة مريدة قادرة على الاتيان بما أرادت فهي من هذه الجهة أيضاً مسبحة لربها ذاكرة لها دالة عليها منادية بلسان حالها من جهة إمكانها وحدوثها واقتدارها بأن لي رباً جعلني مريداً مختاراً لحكمته وكمالها وعنايته الأزلية كما قال بعض العارفين بالفارسية عين إنكار منكر إقرار است والكلام في هذا المقام دقيق لا يمكن إجراء أكثر من ذلك منه على الأقلام ويصعب دركها على الأفهام وقد أومأت إلى شيء منه في شرح كتاب توحيد الكافي في توضيح أخيار إرادة الله تعالى وبيان معانيها (٦).

قوله سبحانه ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ﴾ قال النيسابوري قالت العقلاء تسبيح الحي المكلف يكون تارة باللسان بأن يقول سبحان الله وأخرى بدلالة أحواله على وجود الصانع الحكيم وتسبيح غيره لا يكون إلا من القبيل الثاني وقد تقرر في الأصول (٧) أن اللفظ المشترك لا يحمل على معنييه معا في حالة واحدة فتعين (٨) التسبيح.

ها هنا على المعنى الثاني ليشمل الكل هذا ما عليه المحققون وأورد عليه أنه لو كان المراد بالتسبيح ما ذكرتم لم يقل ﴿وَلَكِنْ لَا تَقْفَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ لأن التسبيح بهذا الوجه مفقود معلوم وأجيب بأن دلالة كل شيء على وجود الصانع معلومة على الإجمال دون التفصيل فإنك إذا أخذت تفاحة واحدة فلا شك أنها مركبة من أجزاء لا تتجزأ ولكن عدد تلك الأجزاء وصفة كل منها من الطبع والطعم واللون والحيز والجهة وغيرها لا يعلمها إلا الله وأيضاً الخطاب للمشركين وإنهم وإن كانوا مقرين بالخالق إلا أنهم أثبتوا شريكا وأنكروا قدرته على البعث والإعادة ولم ينظروا في المعجزات الدالة على نبوة محمد فكأنهم لم يفقهوا التسبيح إذ لم يتوسلوا به إلى نتيجة النظر الصحيح ولهذا ختم الآية بقوله ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (٩) حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وزعم بعض الظاهريين أن ما سوى الحي المكلف يسبح لله تعالى باللسان أيضاً كل بلفته ولسانه الذي لا تعرف نحن ولا نفقه وزعم أيضاً أن الحيوان إذا ذبح لا يسبح وكذا غصن الشجرة إذا كسر فأورد عليه أن كونه جماداً لا يمنع من كونه مسبحاً فكيف صار ذبح الحيوان مانعاً عن التسبيح وكذا كسر الفصن ويمكن أن يجاب بأن تسبيح كل شيء لعله يختص بتركيبه الذي خلق عليه فإذا بطل ذلك التركيب وفك ذلك النظم لم يبق مسيحاً مطلقاً أو لا على ذلك النحو (١٠).

وقال في تأويلها لكل ذرة من ذرات الموجودات ملكوت لقوله ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِيرُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (١١) و الملكوت باطن الكون وهو الآخرة والآخرة حيوان لا جماد لقوله ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ (١٢) فلكل ذرة

(١) في المصدر: «بأن الجنات للطيران مغائر للديب».

(٢) أنوار التنزيل ج ١ ص ٥٤٦.

(٣) لم نعرف اسم هذا البعض.

(٤) في المصدر: «في أصول الفقه».

(٥) سورة الإسراء: آية: ٤٤.

(٦) سورة يس: آية: ٨٣.

(٧) التفسير الكبير ج ٢٠ ص ٢٤٣، والآية من سورة الأنعام: ٣٨.

(٨) أنوار التنزيل ج ١ ص ٥٤٦.

(٩) مرآة العقول ج ٢ ص ١٥٨.

(١٠) في المصدر إضافة: «حمل».

(١١) تفسير غرائب القرآن ج ٤ ص ٣٥٣ - ٣٥٤.

(١٢) سورة العنكبوت: آية: ٦٤.

لسان ملكوتي ناطق بالتسبيح والحمد تنزيها لصاحبه و حمداله على ما أولاه من نعمه و بهذا اللسان نطق الحسا في كف النبي ﷺ و به تنطق الأرض يوم القيامة ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾^(١) و به تنطق الجوارح ﴿أَنْطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٢) و به نطق السماوات والأرض ﴿قَالْنَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^(٣) و ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا﴾^(٤) في الأزل إذ أخرج من العدم من يكفر به و يجده «غَفُورًا» لمن تاب عن كفره.^(٥)

﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا﴾ قال الطبرسي هذا مثل فإن النار جماد لا يصح خطابه والمراد أنا جعلنا النار بردا عليه وسلامة لا يصيبه من أذاها شيء كما قال سبحانه ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾^(٦) والمعنى أنه صيرهم كذلك لا أنه خاطبهم وأمرهم بذلك وقيل يجوز أن يتكلم الله سبحانه بذلك ويكون ذلك صلاحا للملائكة ولطفاهم وذكر في كون النار بردا وسلاما على إبراهيم وجوها أحدها أن الله سبحانه أحدث فيها بردا بدلا من شدة الحرارة فيها فلم تؤذها وثانيها أنه سبحانه حال بينها وبين إبراهيم فلم تصل إليه و ثالثها أن الإحراق يحصل بالاعتمادات التي في النار صعدا فيجوز أن يذهب سبحانه تلك الاعتمادات وعلى الجملة فعلنا أن الله سبحانه منع النار من إحراقه وهو أعلم بتفاصيله^(٧) انتهى.

وقال البيضاوي انقلاب النار هواء طيبة^(٨) ليس ببدع غير أنه هكذا على خلاف المعتاد فهو إذن من معجزاته وقيل كانت النار بحالها لكنه تعالى دفع عنه أذاها كما في السمندر^(٩) ويشعر به قوله «على إبراهيم»^(١٠) انتهى. وأقول: على مذهب الأشاعرة لا إشكال في ذلك لأنهم يقولون لا مؤثر في الوجود إلا الله وإنما أجرى عادته بالإحراق عند قرب شيء من النار فإذا أراد غير ذلك لا يخلق الإحراق وأما عند غيرهم من القائلين بتأثير الطباع لزوم الصفات لها فيشكل ذلك عندهم والأولى أن يقال إحراق النار وتبريد الثلج وقتل السموم وغير ذلك من التأثيرات لما كانت مشروطة بشروط كقابلية المادة وغيرها فلم لا يجوز أن تكون مشروطة بعدم تعلق إرادة القادر المختار بخلافه فإذا تعلق. بذلك انتفى تأثيرها كما أن الله تعالى أقدر العباد على أفعالهم لكن بشرط عدم تعلق إرادته القاهرة بخلافه ولذا ورد في الأخبار أنه لا يحدث شيء في السماء والأرض إلا بإذنه سبحانه.

قوله تعالى ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحُونَ وَالطَّيْرَ﴾^(١١) قال الطبرسي ره قيل معناه سيرنا الجبال مع داود حيث سار فعبّر عن ذلك بالتسبيح لما فيه من الآية العظيمة التي تدعو إلى تسبيح الله وتعظيمه وتنزيهه عن كل ما لا يليق به وكذلك تسخير الطير له تسبيح يدل على أن مسخرها قادر لا يجوز عليه ما يجوز على العباد وقيل إن الجبال كانت تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير يسبح^(١٢) بالغداة والعشي معجزة^(١٣) انتهى.

وقال الرازي قال أصحاب المعاني يحتمل أن يكون تسبيح الجبال والطير بمثابة قوله ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾^(١٤) وتخصيص داود بذلك إنما كان بسبب أنه كان يعرف ذلك ضرورة فيزاد يقينا وتعظيما وأما المعتزلة فقالوا لو حصل الكلام في الجبل لحصل إما بفعله أو بفعل الله تعالى فيه والأول محال لأن بنية الجبل لا تحتل الحياة والعلم والقدرة وما لا يكون حيا عالما قادرا يستحيل منه الفعل والثاني أيضا محال لأن المتكلم عندهم من كان فاعلا للكلام لا من كان محلا له فلو كان فاعل ذلك الكلام هو الله^(١٥) تعالى لكان المتكلم هو الله لا الجبل فجعلوا التسبيح من السباحة وبناء التفعيل للتكثير مثل قوله ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾ والحاصل سيري معه.

وعلم أن مدار هذا القول على أن بنية الجبل لا تقبل الحياة وهذا ممنوع وعلى أن التكلم من فعل الله وهو أيضا ممنوع وأما الطير فلا امتناع في أن يصدر عنها الكلام ولكن اجتمعت الأمة على أن المكلفين إما الجن^(١٦) والإنس

(١) سورة الزلزلة، آية ٤.

(٢) سورة فصلت، آية ١١.

(٣) تفسير غرائب القرآن، ج ٤ ص ٣٦٢ - ٣٦٣ قسم التأويل.

(٤) سورة البقرة، آية: ٦٥، والأعراف، آية: ١٦٦.

(٥) في المصدر: «طيباً».

(٦) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٧٤.

(٧) في المصدر: «السمندر».

(٨) سورة الأنبياء، آية: ٧٩.

(٩) مجمع البيان ج ٧ ص ٥٨.

(١٠) في المصدر إضافة: «تعالى».

(١١) سورة الإسراء، آية: ٤٤.

(١٢) في المصدر: «أو» بدل «و».

أو الملائكة فيمتنع فيها أن تبلغ في العقل إلى درجة التكليف بل يكون حاله كحال الطفل في أن يؤمر وينهى وإن لم يكن مكلفا فنصار ذلك معجزة من حيث جعلها في الفهم بمنزلة المراهق وأيضا دلالة على قدرة الله وعلى تنزيهه مما لا يجوز فيكون القول فيه كالقول في الجبال^(١) انتهى.

﴿وَعَلَّمْنَاهُ صِنْتَهُ لِيُؤْتِيَنَا مِنْهُ حَبَابَ بَرٍّ﴾ أي علمناه كيف يصنع الدروع قال قتادة أول من صنع الدروع داود وإنما كانت صفايح جعل الله سبحانه الحديد في يده كالعين فهو أول من سردها وحلقها فجمعت الخفة والتحصين ﴿وَلِسُلَيْمَانَ﴾ أي سخرنا له ﴿الرَّيحَ غَاصِقَةً﴾ أي شديدة الهبوب ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ﴾ لعل المراد بالسجود غاية الخضوع والانتقاد الممكن من الشيء ففي الجمادات والعجم من الحيوانات يحصل منهم غاية الانتقاد الذي يتأتى منهم وكذا الملائكة وصالحو المؤمنين وأما الكفار والفجار فلما لم يتأت منهم غاية الانتقاد أخرجهم وقال ﴿وَكثيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ لأنهم وإن كانوا في الأوامر التكوينية متقادين فليسوا في الأوامر التكليفية كذلك فالسجود محمول على معنى واحد وليس من استعمال المشترك في معنييه كما عرفت سابقا وقال الرازي الرؤية هنا بمعنى العلم وفي السجود وجه: أحدها قال الزجاج أجود الوجوه في سجود هذه الأمور أنها تسجد مطيعة لله تعالى وهو قوله ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا آيَةَ أَنْ تَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ وَإِنْ مِنْهَا لَمَّا يَهْطِئُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴿إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ وَ﴿سَخَّرْنَا نَعْمَ دَاوُدَ الْجَبَالَ﴾ والمعنى أن هذه الأجسام لما كانت قابلة لجميع الأعراض التي يحدثها الله تعالى فيها من غير امتناع البتة أشبهت الطاعة والانتقاد وهو السجود.

وأما قوله ﴿وَكثيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ ففيه وجه أحدها أن السجود بالمعنى الذي ذكرناه وإن كان عاما في حق الكل إلا أن بعضهم تمرد وتكبر وترك السجود في الظاهر فهذا الشخص وإن كان ساجدا بذاته لكنه متمرد بظاهره أما المؤمن فإنه ساجد بذاته و بظاهره فلأجل هذا الفرق حصل التخصيص بالذكر وثانيها أن تقطع قوله ﴿وَكثيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ عما قبله ثم فيه ثلاثة أوجه الأول أن تقول تقدير الآية ولله يسجد من في السماوات والأرض ويسجد له كثير من الناس فيكون السجود الأول بمعنى الانتقاد والثاني بمعنى الطاعة والعبادة لئلا يلزم استعمال المشترك في معنييه جميعا الثاني أن يكون قوله ﴿وَكثيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ مبتدأ خبره محذوف وهو مثاب لأن خبر مقابله يدل عليه وهو قوله ﴿حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ والثالث أن يبالغ في تكثير المحققين بالعذاب فيعطف «كثير» على «كثير» ثم يخبر عنهم ﴿حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ وثالثها من يجوز استعمال اللفظ المشترك في مفهوميه جميعا يقول إن المراد بالسجود في حق الأحياء العقلاء السجود^(٢) وفي حق الجمادات الانتقاد فإن قيل قوله ﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾^(٣) لفظ العموم فيدخل فيه الناس فلم قال مرة أخرى ﴿وَكثيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ قلنا لو اقتصر على ما تقدم لأوهم أن كل الناس يسجدون فبين أن كثيرا منهم يسجدون طوعا دون كثير منهم فإنه يمتنع عن ذلك.

القول الثاني: في تفسير السجود أن كل ما سوى الله تعالى فهو ممكن لذاته والممكن لذاته لا يرجع وجوده على عدمه إلا عند الانتهاء إلى الواجب لذاته كما قال ﴿وَأَنِّي إِلَى رَبِّكَ الْمُتَّبِعُ﴾^(٤) وكما أن الإمكان لازم للممكن حال حدوثه وبقائه فافتقاره إلى الواجب حاصل حال حدوثه وحال بقاءه وهذا الافتقار الذاتي اللازم للماهية أدل على الخضوع والتواضع من وضع الجبهة على الأرض فإن ذلك علامة وضعية للافتقار وقد ينظر إلى إليه الصدق والكذب أما نفس الافتقار الذاتي فإنه تمتنع التغير والتبدل فجميع الممكنات ساجدة بهذا المعنى لله أي خاضعة متذللة معترفة بالفاقة إليه والحاجة إلى خلقه وتكوينه وعلى هذا تأولوا قوله ﴿وَأَنِّي مِنَ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾^(٥) وهذا قول القفال القول الثالث أن سجود هذه الأشياء سجود ظلها كقوله تعالى ﴿يَقْنُوتُوا ظِلَالَهُ﴾ الآية وهذا قول مجاهد^(٦) انتهى.

قوله تعالى ﴿أَوْبِي مَعَهُ﴾ قال البيضاوي أي أرجعي معه التسبيح على الذنب أو النوحة وذلك إما بخلق صوت مثل

(١) التفسير الكبير ج ٢٢ ص ١٩٩ - ٢٠٠.

(٢) في المصدر: «العبادة» بدل «السجود».

(٣) سورة النجم، آية: ٤٢.

(٤) التفسير الكبير ج ٢٣ ص ١٩ - ٢٠ مع اختلاف يسير.

(٥) التفسير الكبير ج ٢٢ ص ١٩٩ - ٢٠٠.

(٦) في المصدر: «لفظه لفظ».

(٧) سورة الإسراء، آية: ٤٤.

صوته فيها^(١) أو بحملها إياه على التسبيح إذا تأمل فيها أو سيري معه حيث سار و«الطَّيْرُ» عطف على محل «الجبال» و«وَأَلَّنَا لَهُ الْحَدِيدَ» جعلناه في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير أحماء وطرق بآلاته أو بقوة^(٢) «وَعَيْنَ الْقَطْرِ» أي النحاس المذاب أسأل^(٣) له من معدنه فنيع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سماء عينا وكان^(٤) ذلك باليمن^(٥).

«إِنَّ اللَّهَ يُفْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا» أي كراهة أن تزولا فإن الممكن حال بقائه لا بد له من حافظ أو ينعمهما أن تزولا لأن الإمساك منع «وَلَيْسَ زَالَتَانِ أَمْسَكُهُمَا» أي ما أمسكهما «مِنْ أَخَذٍ مِنْ بَعْدِهِ» أي من بعد الله أو من بعد الزوال والجملة سادة مسد الجوابين و«مِنْ» الأولى مزيدة والثانية للابتداء «إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا» حيث أمسكهما و«كانتا جديرتين أن تهذا هذا لأعمال العباد»^(٦)

قوله تعالى «فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ» فإن آلات الحرب متخذة عنه^(٧) «وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ» إذ ما من صنعة إلا والحديد آلتها^(٨) «وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ مَنْ يُنْصِرُهُ وَرُسُلُهُ» باستعمال الأسلحة ومجاهدة^(٩) الكفار والعطف على محذوف دل عليه ما قبله فإنه حال يتضمن تعليلا أو اللام صلة لمحذوف أي أنزله ليعلم الله «بِالْقُتْبِ» حال من المستكن في «يُنْصِرُهُ» «إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ» على إهلاك من أراد إهلاكه «غَزِيرٌ» لا يفتقر إلى نصره وإنا أمرهم بالجهاد لينتفعوا به و يستوجبوا ثواب الامتثال فيه^(١٠).

وقال الرازي وأما حديد ففيه البأس الشديد فإن آلات الحرب متخذة منه وفيه أيضا منافع كثيرة منها قوله تعالى «وَوَعَلَّمْنَاهُ صِنْعَهُ لِيُؤْتِيَنَا لَكُمْ» ومنها أن مصالح العالم إما أصول وإما فروع أما الأصول فأربعة الزراعة والحياكة وبناء البيوت والسلطنة وذلك لأن الإنسان يضطر إلى طعام يأكله و ثوب يلبسه وبناء يسكن فيه والإنسان مدني بالطبع فلا تتم مصلحته إلا عند اجتماع جمع من أبناء جنسه ليستغل كل واحد منهم بهمهم خاص فحينئذ ينظم من الكل مصالح الكل وذلك الانتظام لا بد وأن يفرض إلى المزاحمة ولا بد من شخص يدفع ضرر البعض عن البعض وذلك هو السلطان فثبت أنه لا تنظم مصلحة العالم إلا بهذه الأصول^(١١) الأربعة أما الزراعة فمحتاجة إلى الحديد وذلك من كرب الأرض وحفرها ثم عند تكون هذه الحبوب وتولدها لا بد من جزها^(١٢) وتنقيتها وذلك لا يتم إلا بالحديد^(١٣) ثم لا بد من خبزها ولا يتم إلا بالنار ولا بد فيها من المقدحة الحديدية وأما الفواكه فلا بد من تنظيفها من قشورها وقطعها على الوجوه الموافقة للأكل ولا يتم ذلك إلا بالحديد ثم يحتاج في آلات الحياكة إلى الحديد ثم نزع^(١٤) في قطع الثياب وخياطتها إلى الحديد والذهب لا يقوم مقام الحديد في شيء من هذه المصالح فلو لم يوجد الذهب في الدنيا ما كان يختل شيء من مصالح الدنيا ولو لم يوجد الحديد لاختل جميع مصالح الدنيا ثم إن الحديد لما كانت الحاجة إليه شديدة جعله سهل الوجدان كثير الوجود والذهب لما قلت الحاجة إليه جعله عزيز الوجود وعند هذا يظهر أثر جود الله ورحمته على عبده فإن كل ما كانت حاجاتهم إليه أكثر جعل وجدانه أسهل ولهذا قال بعض الحكماء إن أعظم الأمور حاجة إليه هو الهواء فإنه لو انقطع وصوله إلى القلب لحظة مات الإنسان في الحال فلا جرم جعله الله أسهل الأشياء وجدانا وهيا أسباب التنفس وآلاته حتى أن الإنسان يتنفس دائما بمقتضى طبعه من غير حاجة فيه إلى تكلف عمل وبعد الهواء الماء إلا أنه لما كانت الحاجة إلى الماء أقل من الحاجة إلى الهواء جعل تحصيل الماء أشق قليلا من تحصيل الهواء وبعد الماء الطعام ولما كانت الحاجة إلى الطعام أقل من الحاجة إلى الماء جعل تحصيل الطعام أشق من تحصيل الماء ثم تتفاوت الأطعمة في درجات الحاجة والعزة فكل ما كانت الحاجة إليه أكثر كان وجدانه أسهل وكل ما كان وجدانه أعسر كانت الحاجة إليه أقل والجواهر لما كانت الحاجة

(١) في المصدر: «ما فيها».

(٢) في المصدر: «أسأله».

(٣) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٢٥٧.

(٤) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٢٧٥: «لأعمال العباد» ليست فيه.

(٥) في المصدر: «آلات الحروب متخذة منه».

(٦) في المصدر: «في مجاهدة» بدل «ومجاهدة».

(٧) في المصدر: «الحروف» بدل «الأصول».

(٨) في المصدر إضافة: «ثم الحبوب لا بد من طحنها وذلك ولا يتم إلا بالحديد».

(٩) في المصدر: «يحتاج» بدل «نزع».

(١٠) في المصدر: «و طرق بآلاته أو بقوة».

(١١) من المصدر.

(١٢) في المصدر: «آلاتها».

(١٣) أنوار التنزيل ج ٢ ص ٤٧١.

(١٤) في المصدر: «خبزها» بدل «جزها».

إليها قليلة جدا لا جرم كانت عزيزة جدا فعلما أن كل شيء كانت الحاجة إليه أكثر كان وجدانه أسهل و لما كانت الحاجة إلى رحمة الله أشد من الحاجة إلى كل شيء فخرجوا من رحمة الله أن يجعلها أسهل الأشياء وجدانا. (١)

١- العلل: عن محمد بن علي ماجيلويه عن عمه محمد بن أبي القاسم عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي عن علي بن محمد القاساني عن إبراهيم بن محمد الثقفي عن علي بن المعلی عن إبراهيم بن الخطاب بن الفراء رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال شكت أسافل الحيطان إلى الله عز وجل من ثقل أعاليها فأوحى الله عز وجل إليها يحمل بعضك بعضا. (٢) الكافي: عن العدة عن البرقي عن إبراهيم الثقفي مثله. (٣) المحاسن: عن القاساني مثله إلا أن فيه يحمل بعضها بعضا. (٤)

بيان: لعل الشكاية بلسان الافتقار والاضطرار والوحي بالخطاب التكويني كما قيل في قوله تعالى ﴿وَإِنَّا أَنَاكُم مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ أي بلسان استعداداتكم وقابلياتكم أو يكون استعارة تمثيلية لبيان أن الله تعالى خلق الأجزاء الأرضية والترابية بحيث يلتصق بعضها ببعض ولا يكون ثقل الجميع على الأسافل فنشهد سريعا.

٢- المحاسن: عن علي بن أسباط عن داود البرقي عن أبي عبد الله عليه السلام قال سألته عن قوله تعالى ﴿وَإِن مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (٥) قال نقض الجدر تسييحها. (٦) الكافي: عن العدة عن سهل بن زياد عن ابن أسباط مثله إلا أن فيه تنقض الجدر. (٧)

٣- المحاسن: عن ابن أسباط عن علي بن أبي حمزة عن أبي بصير قال سألت أبا عبد الله عن قول الله عز وجل ﴿وَإِن مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ قال نقض الجدر تسييحها قلت نقض الجدر تسييحها قال نعم. (٨)

٤- العياشي: عن أبي الصلاح (٩) قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ﴿وَإِن مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ قال كل شيء يسبح بحمده وإنا نرى أن تنقض الجدار هو تسييحها. (١٠) ومنه: في رواية الحسين بن سعيد عنه عليه السلام مثله. (١١)

٥- ومنه: عن زرارة قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله ﴿وَإِن مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ قال إنا نرى أن تنقض الحيطان تسييحها. (١٢)

٦- ومنه: عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام أنه دخل عليه رجل فقال له فداك أبي وأمي إني أجد الله يقول في كتابه ﴿وَإِن مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ فقال هو كما قال فقال له أتسبح الشجرة اليابسة فقال نعم أما سمعت خشب البيت تنقض وذلك تسييحه فسبحان الله على كل حال. (١٣)

٧- العلل: لمحمد بن علي بن إبراهيم قال بكاء السماء احمرارها من غير غيم وبكاء الأرض زلزالها وتسبيح الشجر حركتها من غير ريح وتسبيح البحار زيادتها ونقصانها وتسبيح الشجر نموه ونشوؤه وقال أيضا ظله يسبح الله. (١٤)

بيان: قد مضى من البيان في تفسير الآيات ما يمكن به فهم هذه الأخبار والحاصل أن تنقض الجدار لدلالاتها على حدوث التغير فيها وفنائها نداء منها بلسان حالها على افتقارها إلى من يوجدها ويبقيها منزها عن صفاتها المحوجة إلى ذلك وأيضا نقصانات الخلائق دلالت على

(١) التفسير الكبير ص ٢٤١ - ٢٤٢. (٢) علل الشرائع ص ٤٦٥ باب ٢٢٢، حديث ١٥. (٣) الكافي ج ٦ ص ٥٣٢ كتاب الزي والتجمل، باب النوادر، حديث ١٠. (٤) المحاسن ج ٢ ص ٤٦٢، حديث ٢٥٩٩. (٥) سورة الإسراء، آية: ٤٤. (٦) المحاسن ج ٢ ص ٤٦٢، حديث ٢٥٩٧. (٧) الكافي ج ٦ ص ٥٣١ كتاب الزي والتجمل، باب النوادر، حديث ٤. (٨) المحاسن ج ٢ ص ٤٦٢، حديث ٢٥٩٨. (٩) في المصدر: «الصباح» بدل «الصالح». (١٠) تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٩٣، حديث ٧٩. (١١) تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٩٤، حديث ٨٠. (١٢) تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٩٤، حديث ٨٤. (١٣) لم نعرف على كتاب الملل هذا. (١٤)

كمالات الخالق وكثرتها واختلافاتها ومضاداتها شواهد وحدانيته وانتفاء الشريك عنه والندو الضد له كما قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه بتشهيره المشاعر عرف أن لا شعر له وبتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له^(١) وبضادته بين الأشياء^(٢) عرف أن لا ضد له وبمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له^(٣) والحاصل أن جميع المصنوعات والممكنات وبصفتها ولوازمها وأثارها دالة على صانعها وبارئها ومصورها وعلمه وحكمته شاهدة بتتزه عن صفاتها المستلزمة للعجز والنقصان مطبوعة لربها في ما خلقها له وأمرها به من مصالح عالم الكون موجه إلى ما خلقت له فسكون الأرض خدمتها وتسييحها وصرير الماء وجريه تسييحها وطاعته وقيام الأشجار والنباتات ونموها وجري الريح وأصواتها وهذه الأنبياء وسقوطها وتحريق النار ولهبها وأصوات الصواعق وإضاءة البروق وجلجل الرعد وجري الطيور في الجو ونعماتها كلها طاعة لخالقها وسجدة وتسييح وتزيه له سبحانه.

قال بعض العارفين خلق الله الخلق ليوحده فأنطقهم بالتسييح والثناء عليه والسجود فقال «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ»^(٤) وقال أيضا «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّجَرُ وَالْأَنْعَامُ»^(٥) وخاطب بهاتين الآيتين نبيه الذي أشهده ذلك ورأه فقال «أَلَمْ تَرَ» ولم يقل ألم تروا فإنما ما رأيته فهو لنا إيمان ولمحمد عيان فأشهد سجود كل شيء وتواضعه لله وكل من أشهده الله ذلك ورأه دخل تحت هذا الخطاب وهذا تسييح فطري وسجود ذاتي عن تجل تجلي لهم فأحيوه فانبعثوا إلى النشاء عليه من غير تكليف بل اقتضاء ذاتي وهذه هي العبادة الذاتية التي أقامهم الله فيها بحكم الاستحقاق الذي يستحقه.

وفي القاموس تنقض البيت تشقق فسمع له صوت^(٦) وقوله بكاء السماء احمرارها أي خارجا عن العادة فإنه من علامات غضبه تعالى فكانه يبكي على من استحق الغضب أو على من يستحق العباد له الغضب كما وقع بعد شهادة الحسين عليه السلام وقوله حركتها من غير ربح أي عند الزلزلة أو بالنمو فيكون ما بعده تأكيدا له.

٨- تفسير علي بن إبراهيم: في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله «وَأَنْبِئْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ»^(٧) فإن الله تبارك وتعالى أنبت في الجبال الذهب والفضة والجوهر والصفرة والنحاس والحديد والرصاص والكحل والزرنيخ وأشباه هذه لا تباع إلا وزنا.^(٨)

بيان: لعل المراد بالجواهر الأحجار كالياقوت والعقيق والفيروزج وأشباهاها.

٩- تفسير علي بن إبراهيم: «وَأَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَكَّرُونَ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجْدًا لِلَّهِ وَهُمْ ذَاخِرُونَ»^(٩) قال تحويل كل ظل خلقه الله هو سجوده لله لأنه ليس شيء إلا له ظل يتحرك بتحريكه وتحويله سجوده.^(١٠)

١٠- ومنه: في قوله تعالى «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ»^(١١) فحركة كل شيء تسييح لله عز وجل.^(١٢)

١١- ومنه: في قوله «وَالشَّجَرِ وَالْأَنْبَاءِ»^(١٣) لفظ الشجر واحد ومعناه جمع.^(١٤)

وفي قوله تعالى «وَأَسْلَمْنَا لَهُ الْغُتْرَ» قال الصفر.^(١٥)

(١) عبارة: «وبتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له» ليست في النهج.

(٢) في النهج: «الأمور» بدل «الأشياء».

(٣) سورة النور، آية: ٤١.

(٤) القاموس المحيط ج ٢ ص ٣٦٠.

(٥) تفسير القتي ج ١ ص ٣٧٤.

(٦) تفسير القتي ج ١ ص ٣٨٦، وفيه: «تحريكه» بدل «تحويله».

(٧) سورة الإسراء، آية: ٤٤.

(٨) سورة الحج، آية: ١٨.

(٩) تفسير القتي ج ٢ ص ١٩٩.

(١٠) تفسير القتي ج ٢ ص ٢٠.

(١١) تفسير القتي ج ٢ ص ٨٠.

(١٢) تفسير القتي ج ٢ ص ٨٠.

(١٣) تفسير القتي ج ٢ ص ٨٠.

(١٤) تفسير القتي ج ٢ ص ٨٠.

(١٥) تفسير القتي ج ٢ ص ٨٠.

١٢- المناقب لابن شهر آشوب: قال قال ضباع^(١) بن نصر الهندي للرضا عليه السلام ما أصل الماء قال أصل الماء خشية الله بعضه من السماء ويسلكه في الأرض ينابيع وبعضه ماء عليه الأرضون وأصله واحد عذب فرات قال فكيف منها عيون نفط وكبريت وقار^(٢) وملح وأشباه ذلك قال غيره الجوهر وانقلبت كاتقلاب العصور خمرًا وكما انقلبت الخمر فصارت خلا وكما يخرج من بين قُرْبٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا قال فمن أين أخرجت أنواع الجواهر قال انقلبت منها كاتقلاب النطفة علقه ثم مضغة ثم خلقه مجتمعة مبنية على المتضادات الأربع قال^(٣) إذا كانت الأرض خلقت من الماء والماء بارد رطب فكيف صارت الأرض باردة يابسة قال سلبت الندوة فصار يابسة قال الحر أنفع أم البرد قال بل الحر أنفع من البرد لأن الحر من أحر الحياة والبرد من برد الموت وكذلك السموم القاتلة الحارة منها أسلم وأقل ضررا من السموم الباردة^(٤).

توضيح: قوله خشية الله إشارة إلى ما ورد في بعض الكتب السماوية أن الله تعالى خلق أولًا درة بيضاء فنظر إليها بعين الهيبة فصار ماء ماء عليه الأرضون أي البحر الأعظم وغيره الجوهر أي جوهر الأرض التي نبع منها من حر الحياة أي من جنسه لأن الروح الحيواني والحرارة الغريزية سببان للحياة وزوالهما سبب للموت وفيه إشارة إلى ما ذكره الحكماء في تولد المعادن فلنذكر ما ذكره في ذلك.

قالوا المركبات التي لها مزاج ثلاثة أنواع تسمى بالمواليد وهي المعادن والنباتات والحيوانات وجه الحصر أنه إن تحقق فيه مبدأ التغذية فأما مع تحقق مبدأ الحس والحركة الإرادية فهو الحيوان أو بدونه وهو النبات وإن لم تحقق ذلك فيه فالمعدن وقال بعضهم وإنما قلنا مع تحقق الحس والحركة لأنه لا قطع بعدهما في النبات والمعدن بل ربما يدعي حصول الشعور والإرادة للنبات لأمارات تدل على ذلك مثل ما يشاهد في ميل النخلة الأتني إلى الذكر وتشققها به بحيث لو لم تلقح منه لم تثمر وميل عروق الأشجار إلى جهة الماء وميل أغصانها في الصعود من جانب الموانع إلى الفضاء ثم ليس هذا بعيد عن القواعد الفلسفية فإن تباعد الأمزجة عن الاعتدال الحقيقي إنما هو على غاية من التدرج فانقراض استحقاق الصور الحيوانية وخواصها لا بد أن يبلغ قبل الانتفاء إلى حد الضعف والخفاء وكذا النباتية ولهذا اتفقوا على أن من المعدنيات ما وصل إلى أفق النباتية ومن النباتات ما وصل إلى أفق الحيوانية كالنخلة وإليه الإشارة بقوله ﷺ أكرموا عمتكم النخلة وقال بعضهم أخرى طبقات المعادن متصلة بأولى طبقات النباتات كما أن المرجان التي هي من المعادن ينمو في قعر البحر وهو قريب من النباتات التي تنبت في فصل الربيع وتذبل وتفتن سريعا وأخرى طبقات النبات تتصل بأولى طبقة الحيوانات كالنخل فإنها شبيهة بالحيوان في أنها إذا غرقت في الماء أو تقطع رأسها تموت ولا تثمر كثيرا بدون اللقاح ورائحة طلعها شبيهة برائحة المني وتشقق بعضها بعضا بحيث لا تحمل إلا إذا صب فيها من طلعها ويميل بعضها إلى بعض وهي قريبة من الحيوانات المتولدة في الأراضي الندية كالخراطيم وأشباهها وأخرى طبقة الحيوانات تتصل بأفق الإنسان كالغليظ والقردة فإنهما تتعلمان بأدنى تعليم وفي كثير من الصفات شبيهة بالإنسان وهي قريبة من بعض أفراد الإنسان كالسودان والأتراك الذين ليس فيهم من الإنسانية إلا الأكل والشرب والنوم والسفاد.

ثم إنهم قالوا إن الأبخرة والأدخنة المحتبسة في باطن الأرض إذا كثرت يتولد منها ما مر من الرجفة والزلزلة وانفجار العيون وإذا لم تكن كثيرة اختلطت على ضروب من الاختلاطات المختلفة في الكم والكيف والمزج بحسب الأمكنة والأزمنة والإعدادات فتكون منها الأجسام المعدنية بإذن الله تعالى وهي أول ما يحدث من المركبات العنصرية التامة المزاجية ثم إذا غلب البخار على الدخان تولد مثل البشم والبلور والزبيق وغيرها من الجواهر المشقة وإن غلب الدخان يتولد الملح والزاج والكبريت والنوشار ثم من اختلاط بعض هذه مع بعض يتولد غيرها من المعادن وأصنافها خمسة لأنها إما ذاتية أو غير ذاتية والذاتية إما منطوقة أو غير منطوقة والغير

(١) في المصدر: «صباح» بدل «ضباع».

(٢) في المصدر: «و» منها قار».

(٣) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣٥٤ فصل (علمه ﷺ).

(٤) في المصدر: «قال عمران».

المنطرقة إما مشتعلة أو غير مشتعلة وغير الذائبة إما عدم ذوبانه لفرط الرطوبة أو لفرط الجيوسة فأقسامها ذائب منطرقي وذائب مشتمل وذائب غير منطرقي ولا مشتمل وغير ذائب لفرط الرطوبة وغير ذائب لفرط الجيوسة.

فالذائب المنطرق هو الجسم الذي انجمد فيه الرطب والياس بحيث لا يقدر النار على تفريقهما مع بقاء دهنية قوية بسببها يثقل ذلك الجسم الانطراق وهو الاندفاع في السحق بانسباط يعرض للجسم في الطول والعرض قليلا دون انفصال شيء والذوبان سيلان الجسم بسبب تلازم رطبه وبياسه والمشهور من أنواع الذائب المنطرق سبعة الذهب والفضة والرصاص والأسرب والحديد والنحاس والخاصصيني وقيل الخاصصيني هو جوهر شبيه بالنحاس يتخذ منها مرايا لها خواص وذكر بعضهم أنه لا يوجد في عهدنا والذي يتخذ منه المرايا يسمى بالحديد الصيني والهفتجوش فجوهر مركب من بعض الفلزات وليس بالخاصصيني والذوبان في غير الحديد ظاهر وأما في الحديد فيكون بالحيلة كما يعرفه أرباب الصنعة وشهدت الأمارات بأن مادة الأجساد السبعة الزئبق والكبريت واختلاف الأنواع والأصناف عائد إلى اختلاف صفاتها واختلاطهما وتأثر أحدهما عن الآخر أما الأمارات فهي أنها سيما الرصاص يذوب إلى مثل الزئبق والزئبق يستند برائحة الكبريت إلى مثل الرصاص والزئبق يتعلق بهذه الأجساد وأما كيفية تكون تلك الأجساد منها فهي أنه إذا كان الزئبق والكبريت صافيين وكان انطباخ أحدهما بالآخر تاما فإن كان الكبريت مع بقاءه أبيض غير محترق تكونت الفضة وإن كان أحمر وفيه قوة صباغة لطيفة غير محترقة تكون الذهب وإن كانا قبيين وفي الكبريت قوة صباغة لكن وصل إليه قبل كمال النضج برد مجمد عاقد تكون الخاصصيني وإن كان الزئبق تقياً والكبريت ردياً فإن كان مع الرداء فيه قوة إحراقية تكون النحاس وإن كان غير شديد المخالطة بالزئبق بل متداخلا إياه سافاً فسافاً تولد الرصاص وإن كان الزئبق والكبريت رديين فإن قوي التركيب وفي الزئبق تخلخل أرضي وفي الكبريت إحراق تكون الحديد وإن ضعف التركيب تكون الأسرب ويسمى الرصاص الأسود قال صاحب المواقف بعد إيراد مثل هذا التقسيم وأنت خير بأن القسمة غير حاصرة وأن التكون على هذا الوجه لا سبيل فيه إلى اليقين ولا يرجي له إلا الحدس والتخمين وإن سلم فنكونها على غير هذا الوجه مما لم يقم على امتناعه دليل كيف والمهوسون بالكيمياء لهم في الأجساد السبعة والأرواح التي تفيد الصورة الذهبية والفضية تفنن والكل عندنا للفاعل المختار من غير إحالة على شيء مما ذكره^(١) انتهى.

والثاني أي الذائب المشتعل هو الجسم الذي فيه رطوبة دهنية مع جيوسة غير مستحكم المزاج لذلك يقوى النار على تفريق رطبه عن بياسه وهو الاشتعال وذلك كالكبريت المتولد من مائية تخمرت بالأرضية والهوائية تخمر شديداً بالحرارة حتى صارت تلك المائية دهنية وانعقدت بالبرد وقيل دخانية تخمر بها بخارية تخمر شديداً بالحر حتى حصل فيها دهنية ثم انعقدت بالبرد كالزرنخ وهو كذلك إلا أن الدهنية فيه أقل.

والثالث أي الذائب الذي لا ينطرق ولا يشتمل ما ضعف امتزاج رطبه وبياسه وكثرت رطبه المنعقدة بالحر والبيس كالزجاجات وتولدها من ملحية وكبريتية وحجارة وفيها قوة بعض الأجساد الذائبة كالأملاح وتولدها من ماء خالطه دخان حار لطيف كثير النارية وانعقد بالبيس مع غلبة الأرضية الدخانية ولهذا يتخذ الملح من الرماد المحترق بالطبخ والتصفية.

والرابع أي الذي لا يذوب ولا ينطرق لرطوبته ما استحكم الامتزاج بين أجزائه الرطبة الغالية والأجزاء اليابسة بحيث لا يقول النار على تفريقهما كالزئبق وهو مركب من مائية صافية جدا خالطها دخانية كبريتية لطيفة مخالطة شديدة بحيث لا ينفصل منه سطح إلا ويغشاء من تلك الجيوسة شيء فلذلك لا يعلق باليد ولا ينحصر انحصاراً شديداً بشكل ما يحويه ومثاله قطرات الماء الالفة على تراب في غاية النفاذة فإنه يحيط بالقطرة سطح ترابي حاصر للماء كالعنقل له

بحيث تبقى القطرة على شكلها في وجه التراب وإذا تلاقط قطرتان منهما فربما ينخرق الغلافان و يصير الماءان في غلاف واحد و يياض الزبيق لصفاء المائية و يياض الارضية و مازجة الهوائية. والخامس أي الذي لا يذوب و لا ينطرق ليبوسة ما اشتد الامتزاج بين أجزائه الرطبة و الأجزاء اليابسة المستوية بحيث لا يقدر النار على تفريقهما مع إحالة البرد للمائية إلى الأرضية بحيث لا تبقى رطوبة حسية دهنية ولذا لا ينطرق و لما كان تعقده باليبس لا يذوب إلا بالحيلة بحيث لا يبقى ذلك الجوهر بخلاف الحديد المذاب و ذلك كالياقوت و اللؤلؤ و الزبرجد و نحو ذلك من الأحجار.

ثم إن من المعادن ما يتولد بالصنعة بتهيئة المواد و تكميل الاستعداد كالنوشادر و الملح و إن منها ما يعمل له شبيه يعسر التمييز في بادئ النظر كالذهب و الفضة و اللؤلؤ و كثير من الأحجار المعدنية و هل يمكن أن يعمل حقيقة هذه الجواهر بالصنعة من غير جهة الإعجاز فذهب كثير من العقلاء إلى أن تكون الذهب و الفضة بالصنعة واقع ذهب ابن سينا إلى أنه لم يظهر له إمكان فضلا عن الوقوع لأن الفصول الذاتية التي بها تصير هذه الأجساد أنواعا أمور مجهولة و المجهول لا يمكن إيجادها نعم يمكن أن يعمل النحاس بصنع الفضة و الفضة بصنع الذهب و أن يزال عن الرصاص أكثر ما فيه من النقص لكن هذه الأمور المحسوسة يجوز أن لا تكون هي الفصول بل عوارض و لوازم و أوجب بأننا لا نسلم اختلاف الأجسام بالفصول و الصور النوعية بل هي متماثلة لا تختلف إلا بالعوارض التي يمكن زوالها بالتدبير و لو سلم فإن أريد بمجهولية الصور النوعية و الفصول الذاتية أنها مجهولة من كل وجه فممنوع كيف و قد علم أنها مباد لهذه الخواص و الأعراض و إن أريد أنها مجهولة بحقائقها و تفاصيلها فلا نسلم أن الإيجاد موقوف على العلم بذلك و أنه لا يكفي العلم بجميع المواد على وجه حصل الظن بفيضان الصور عنده لأسباب لا تعلم على التفصيل كالحية من الشعر و المقرّب من البادروج و نحو ذلك و كفى بصنعة الترياق و ما فيه من الخواص و الآثار شاهدة على إمكان ذلك نعم الكلام في الوقوع و في العلم بجميع المواد و تحصيل الاستعداد و لهذا جعل الكيمياء في اسم بلا مسمى.

أقول: و يظهر من بعض الأخبار تحققه لكن علم غير المعصوم به غير معلوم و من رأينا و سمعنا ممن يدعي علم ذلك منهم أصحاب خديعة و تدليس و مكر و تلبيس و لا يتبعهم إلا مخدوع و صرف العمر فيه لا يُسْمَنُ وَ لَا يُغْنِي مِنْ جُوع.

١٣- توحيد المفضل: قال قال الصادق عليه السلام لو فطنوا ^(١) طالبوا الكيمياء لما في العذرة لاشتروها بأنفس الأثمان و غالبا بها. ^(٢)

١٤- الكافي: عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن ابن فضال عن عبد الله بن عبد الرحمن عن يحيى الحلبي عن الثمالي قال مررت مع أبي عبد الله عليه السلام في سوق النحاس فقلت جعلت فداك هذا النحاس أيش ^(٣) أصله فقال فضة إلا أن الأرض أفسدتها فمن قدر على أن يخرج الفساد منها انتفع بها. ^(٤)

١٥- المعجزة النبوية للرؤضي: قال قال رسول الله ﷺ في ^(٥) الجبل ظهورها حرز و بطونها كنز. قال السيد ره هذا القول خارج عن طريق المجاز لأن بطون الجبل ^(٦) على الحقيقة كنز و إنما أراد أن أصحابها يستخرجون منها من الأفلاد ^(٧) ما تنمي به أموالهم و تحسن معه أحوالهم و ظهورها حرز أراد أنها منجاة من المعاطب و ملجأ عند المهارب. ^(٨)

١٦- الخرائج: روى أحمد بن عمر الحلال قال قلت لأبي الحسن الثاني عليه السلام جعلت فداك إني أخاف عليك من هذا صاحب الرقة قال ليس علي منه بأس إن لله بلادا تنبت الذهب قد حماها بأضعف خلقه بالذر فلو أرادت الفيلة ما وصلت إليها قال الوشاء إني سألت عن هذه البلاد و قد سمعت الحديث قبل مسألتني فأخبرت أنه بين البلخ و التبت

(١) في المصدر: «فلو فطن».

(٢) في المصدر: «أي شيء» بدل «أيش».

(٣) في المصدر: «الخيّل» بدل «الجبل».

(٤) في المصدر: «الخيّل» بدل «الجبل».

(٥) في المصدر: «الأفلا».

(٦) في المصدر: «الأفلا».

(٧) في المصدر: «الأفلا».

(٨) في المصدر: «الأفلا».

وأنها تنبت الذهب وفيها نمل كبار أشباه الكلاب على حلقها^(١) قلس لا^(٢) يمر بها الطير فضلا عن غيره تكمن بالليل في جحرها وتظهر بالنهار فربما غزاا الموضوع على الدواب التي تقطع ثلاثين فرسخا في ليلة لا يعرف شيء من الدواب يصبر صبرا فيوقرون أحماهم ويخرجون فإذا النمل خرجت في الطلب فلا تلحق شيئا إلا قطعتة فتشبه بالريح من سرعتها وربما شغلهم^(٣) باللحم يتخذ لها إذا لحقتهم يطرح لها في الطريق^(٤) إن لحقتهم قطعتهم ودوابهم^(٥)

بيان: الرقة بلد على الفرات والمراد بصاحبها هارون لأنه كان في تلك الأيام فيها والقلس جبل ضخم من ليف أو خوص أو غيرهما وكأنه وصف المشبه به أي الكلاب المعلمة.

١٧-الكافي: عن علي بن إبراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس عن ذكره قال قيل للرضا عليه السلام إنك تتكلم بهذا الكلام والسيف يقطر دما فقال إن لله واديا من ذهب حماه بأضعف خلقه النمل فلو رامته البخاتي لم تصل إليه^(٦)

١٨-توحيد المفضل: قال قال الصادق عليه السلام فكر يا مفضل في هذه المعادن وما يخرج منها من الجواهر المختلفة مثل الجص والكلس والجيسين والزرانج^(٧) والمرتك والقونيا^(٨) والزبيق والنحاس والرصاص والفضة والذهب والزربرد والياقوت والزمرد وضروب الحجارة وكذلك ما يخرج منها من القار والموميا والكبريت والنفط وغير ذلك مما يستعمله الناس في مآربهم فهل يخفى على ذي عقل أن هذه كلها ذخائر ذخرت للإنسان في هذه الأرض ليستخرجها فيستعملها عند الحاجة إليها ثم قصرت حيلة الناس عما حاولوا من صنعها على حرصهم واجتهادهم في ذلك فإنهم لو ظفروا بما حاولوا من هذا العلم كان لا محالة سيظهر ويستفيض في العالم حتى تكثر الفضة والذهب ويسقطا عند الناس فلا يكون لهما قيمة ويبطل الانتفاع بهما في الشرى والبيع والمعاملات ولا كان يجبي السلطان الأموال ولا يدخرهما أحد للأعقاب وقد أعطي الناس مع هذا صنعة الشبه من النحاس والزجاج من الرمل والفضة من الرصاص والذهب من الفضة وأشياء ذلك مما لا مضرة فيه فانظر كيف أعطوا إرادتهم في ما لا ضرر فيه ومنعوا ذلك في ما كان ضارا لهم لو ناولوه^(٩) ومن أوغل في المعادن انتهى إلى واد عظيم يجري منطلعا بماء غزير لا يدرك غوره ولا حيلة في عبوره ومن ورائه أمثال الجبال من الفضة تفكر الآن في هذا من تدبير الخالق الحكيم فإنه أراد جل ثناؤه أن يرى العباد مقدرته^(١٠) وسعة خزائنه ليعلموا أنه لو شاء أن يمنحهم كالجبال من الفضة لفعل لكن لا صلاح لهم في ذلك لأنه لو كان فيكون فيها كما ذكرنا سقوط هذا الجوهر عند الناس وقلة انتفاعهم به واعتبر ذلك بأنه قد يظهر الشيء الطريف^(١١) مما يحدثه الناس من الأواني والأمتعة فما دام عزيزا قليلا فهو نفيس جليل آخذ الثمن فإذا فشا وكثر في أيدي الناس سقط عندهم وخست قيمته ونفاسة الأشياء من عزتها^(١٢)

بيان: الكلس بالكسر الصاروج والجبس بالكسر الجص وفي أكثر النسخ الجيسين ولم أجدّه في ما عندنا من كتب اللغة لكن في لغة الطب كما في أكثر النسخ والمرتك كمقعد المرداسنج والقونيا بالياء الموحدة أو الباء المثناة من تحت ولم أجدّها في كتب اللغة لكن في القاموس القونة القطعة من الحديد أو الصفر يرقع بها الإناء^(١٣) وفي بعض النسخ والتوتياء وفي كتب اللغة أنه حجر يكتحل به والقار القير وجبي الخراج جباية جمعه والإيغال المبالغة في الدخول والذهاب وانصلت مضى وسبق.

تتميم نفعه عميم

اعلم أن الذي يستفاد من الآيات المتظافرة والأخبار المتواترة هو أن تأثيره سبحانه في الممكنات لا يتوقف على المواد والاستعدادات وإِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وهو سبحانه جعل للأشياء منافع وتأثيرات و

(٢) في المصدر: «فليس» بدل «قلس لا».

(٤) في المصدر إضافة: «فتشتغل به عنهم».

(٦) الكافي ج ٢ ص ٥٩ باب (فضل اليقين)، حديث ١١.

(٨) في المصدر: «والتوتياء».

(١٠) في المصدر: «قدرته».

(١٢) توحيد المفضل ص ١٥١ - ١٥٣.

(١) في المصدر: «خلقها».

(٣) في المصدر: «شغلوها».

(٥) الخرائج والجرائح ج ١ ص ٣٦٩ باب ٩، حديث ٢٧.

(٧) في المصدر: «والزرانج».

(٩) في المصدر: «لو ناولوه».

(١١) في المصدر: «الطريف».

(١٣) القاموس المحيط ج ٣ ص ٢٦٣.

خواص أودعها فيها وتأثيراتها مشروطة بإذن الله تعالى وعدم تعلق إرادته القاهرة بخلافها كما أنه أجرى عادته بخلق الإنسان من اجتماع الذكر والأنثى وتولد النطفة منهما وقرارها في رحم الأنثى وتدرجها علقه ومضغة وهكذا فإذا أراد غير ذلك فهو قادر على أن يخلق من غير أب كعيسى ومن غير أم أيضا كآدم وحواء وكخفاش عيسى وطير إبراهيم وغير ذلك من المعجزات المتواترة عن الأنبياء في إحياء الموتى وجعل الإحراق في النار فلما أراد غير ذلك قال للنار كوني يزدًا وسلامًا على إبراهيم وجعل التقييل يرسل في الماء وينحدر من الهواء فأظهر قدرته بمشي كثير على الماء ورفعهم إلى السماء وجعل في طبع الماء الانحدار فأجرى حكمه عليه بأن تقف أمثال الجبال منه في الهواء حتى تعبر بنو إسرائيل من البحر ومع عدم القول بذلك لا يمكن تصديق شيء من المعجزات الیقينية المتواترة عن الأنبياء والأوصياء ^{١٨٩} وكذا جرى عادته على انعقاد الجواهر في المعادن بأسباب من المؤثرات الأرضية والسموية لبعض المصالح فإذا أراد إظهار كمال قدرته ورفع شأن وليه يجعل الحصى في كفه دفعة جوهرا ثمينا والحديد في يده نبيه عجينا ويخرج الأجساد البالية دفعة من التراب في يوم الحساب فهذه كلها وأمثالها لا تستقيم مع الإذعان بقواصدهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة.

^{١٩٠} ولو قال بعضهم حذرا من التتهير والتفكير بإعادة النفس إلى بدن مثل بدن الذي كان لها في الدنيا مخلوق من سنخ هذا البدن بعد مفارقتها عنه في القيامة كما نظقت به الشريعة ممكن غير مستحيل ولا استبعاد أيضا فيها ولا يلزم أن يكون حدوث لياقته واستعداده لتعلقها مما يحصل له شيئا فشيئا ككونه أولا نطفة ثم علقه ثم مضغة ثم عظاما ثم طفلا إلى تمام الخلقة حسب ما يقتضيه التوالد والتناسل فإن ذلك نحو خاص من الحدوث والحدوث لا ينحصر للإنسان في هذا النحو لجواز أن يتكون دفعة تاما كاملا لأجل خصوصية بعض الأزمنة والأوقات والأوضاع الفلكية ترجع إرادة الله تعالى في إيجاد الناس وتكوين أجسادهم دفعة واحدة ونفخ أرواحهم في أجسادهم المتكونة نفخة واحدة بتوسط بعض ملائكته فرد الله تعالى بواسطة واهب الصور تلك الصور إلى موادها لحصول المزاج الخاص مرة أخرى كما تتكون ألوف كثيرة من أصناف الحيوانات كالذباب وغيرها في الصيف من الغفونات تكونا دفعا ولا يلزم أن يكون نحو التعلق واحدا في المبدأ والإعادة بل يجوز أن يكون التعلق الأخرى إلى البدن على وجه لا يكون مانعا من حصول الأفعال الغريبة والآثار العجيبة ومشاهدة أمور غيبية لم يكن من شأن النفس مشاهدتها إياها في النشأة الدنيوية وكذا اقتدارها على إيجاد صور عجيبة غريبة حسنة أو قبيحة مناسبة لأوصافها وأخلاقها ^{١٩١} انتهى وأنت تعلم إذا تأملت في مجاري كلامه أنه مع إعمال التيقية فيه لوح إلى مرامه.

ونقل بعض قداما الأطباء عن جالينوس في بيان تشريح الأعضاء وفوائدها أنه قال وشعر الحاجبين أيضا مما لم يقصر فيه ولم يتوان عنه وهو والأشعار دون سائر الشعر جعل له مقدار يقف عنده فلا يطول أكثر منه وأما شعر الرأس واللحية فإنه يطول كثيرا والسبب في ذلك أن شعر الرأس واللحية له منفعتان إحداها تغطية ما تحته من الأعضاء وسترها والأخرى إفاء الفضول الغليظة ومنفعة من جهة التغطية والستر تختلف على وجه شتى وذلك لأن حاجتنا إلى التغطية والستر تختلف بقدر اختلاف الأسنان وأزمان السنة والبلدان وإخراج البدن لأن حاجة الرجل التام إلى طول الشعر ليست كحاجة الصبي الصغير إلى ذلك ولا كحاجة الشيخ الفاني ولا كحاجة المرأة وكذلك أيضا ليست الحاجة إلى طول الشعر في الصيف والشتاء سواء ولا في البلاد الحارة والباردة ولا حاجة من كانت عينه معتلة من الرمذ أو كان رأسه يصعد إلى ذلك كحاجة من هو صحيح البدن لا علة به فاحتاج لذلك أن تكون نحن نجعل طول الشعر في الأوقات المختلفة بأقدار مختلفة بحسب ما يوافق كل وقت منها وأما الحاجبان والأشعار فإنه إن زيد فيه أو نقص منه فسدت منفعته وذلك أن الأشعار تحوط العين بمنزلة الجدار ليحجب عنها ويمنع من أن يسقط فيها شيء من الأجرام الصغار إذا كانت مفتوحة وشعر الحاجبين جعل يلقي ما ينحدر من الرأس قبل وصوله إلى العين بمنزلة الصور المانع فتى قصرت من طوله أو قللت من عدده أكثر مما ينبغي كان ما يدخل على منفعته من الفساد بحسب ما ينقص من المقدار الذي يحتاج إليه وذلك أن الأشعار حينئذ تطلق ما قد كانت تمنعه قبل نقصان من الوصول إلى العين وشعر الحاجبين يرسل ما قد كان يحبس ويمنعه من الوصول إلى العين من الأشياء التي تسيل من

الرأس فإن أنت طولت هذا الشعر وكرتته فوق المقدار الذي ينبغي لم يقم حينئذ للعين مقام الحاجب ولا مقام السور المانع لكنه يغطي العين و يعلو عليها حتى يصير منه في مثل حبس ضيق و ذاك أنه يستر الحدقة و يحجبها حتى تظلم و الحدقة أوج الحواس كلها إلى أن لا تحجب و لا يحال بينها و بين ما يدركه البصر و إذا كان الأمر على ما وصفت فما الذي ينبغي أن نقول فيه أنقول إن الخالق أمر هذا الشعر أن يبقى على مقدار واحد و لا يطول أكثر منه و إن الشعر قبل ذلك الأمر فأطاع فيبقى لا يخالف ما أمر به إما للفرع و الخوف من المخالفة لأمر الله و إما للمجاملة و الاستحياء من الله الذي أمره بهذا الأمر و إما لأن الشعر نفسه يعلم أن هذا أولى به و أحد من فعله أما موسى فهذا رأيه في الأشياء الطبيعية و هذا الرأي عندي أحمد و أولى أن يتمسك به من رأى أفيقورس إلا أن الأجود الإضراب عنهما جميعا و الاحتفاظ بأن الله هو مبدئ خلق كل شيء كما قال موسى و زيادة البعد الذي من المادة فإن خالفنا إنما جعل الأشفار و شعر الحاجبين يحتاج أن يبقى على مقدار واحد من الطول لأن هكذا كان أوفق و أصلح فلما علم أن هذا الشعر كان ينبغي أن يجعل على هذا جعل تحت الأشفار جرما صلبا يشبه الغضروف يمتد في طول الجفن و فرش تحت الحاجبين جلدة صلبة ملزقة بغضروف الحاجبين و ذلك أنه لم يكن يكتفي في بقاء الشعر على مقدار واحد من الطول بأن يشاء الخالق أن يكون هكذا كما أنه لو شاء أن يجعل الحجر دفعه إنسانا لم يكن ذلك بممكن و الفرق في ما بين إيمان موسى و إيماننا و أفلاطون و سائر اليونانيين هو هذا موسى يزعم أنه يكتفي بأن يشاء الله أن يزين المادة و يهيئها لا غير فيتزين و يتهيأ على المكان و ذاك أنه يظن أن الأشياء كلها ممكنة عند الله فإنه لو شاء الله أن يخلق من الرماد فرسا أو ثورا دفعة لفعل و أما نحن فلا نعرف هذا و لكننا نقول إن من الأشياء أشياء في أنفسها غير ممكنة و هذه الأشياء لا يشاء الله أصلا أن تكون و إنما يشاء أن تكون الأشياء الممكنة و أيضا لا يختار إلا أجودها و أوفقها و أفضلها و لذا لما كان الأصلح و الأوفق للأشفار و شعر الحاجبين أن يبقى على مقداره من الطول على عدده الذي هو عليه دائما أبدا لسنا نقول في هذا الشعر إن الله إنما شاء أن يكون على ما هو عليه فصار من ساعته على ما شاء الله و ذاك أنه لو شاء ألف مرة أن يكون هذا الشعر على هذا لم يكن ذلك أبدا بعد أن يجعل منشؤه من جلدة رخوة إلا أنه لو لم يغرر أصول الشعر في جرم صلب لكان مع ما يتغير كثير مما هو عليه لا يبقى أيضا قائما منتصبا و إذا كان هذا هكذا فإنا نقول إن الله سبب لأمرين أحدهما اختيار أجود الحالات و أصلحها و أوفقها لما يفعل و الثاني اختيار المادة الموافقة و من ذلك أنه لما كان الأصلح و الأجود أن يكون شعر الأشفار قائما منتصبا و أن يدوم بقاءه على حالة واحدة في مقدار طول و في عدده جعل مغرس الشجر و مركزه في جرم صلب ولو أنه غرسه في جرم رخو لكان أجهل من موسى و أجهل من قائد جيش سخيض يضع أساس سور مدينة أو حصنه على أرض رخوة غارقة بالماء و كذلك بقاء شعر الحاجبين و دوامه على حالة واحدة إنما جاء من قبل اختياره للمادة و كما أن العشب و سائر النبات ما كان منه ينبت في أرض رطبة سمينة خصبة فإنه يطول و ينشأ نشوءا حسنا و ما كان منه في أرض صخرية جافة فإنه لا ينمو و لا يطول كذلك أحد الأمرين^(١) انتهى كلامه ضاعف الله عذابه و انتقامه.

و أقول: قد لاح من الكلام الرديء المشتغل على الكفر الجلي أمور:

الأول: ما أسلفنا من أن الأنبياء المخبرين عن وحي السماء لم يقولوا بتوقف تأثير الصانع تعالى شأنه على استعداد المواد ولا استحالة تعلق إرادته بإيجاد شيء من شيء بدون مرور زمان أو إعداد وله أن يخلق كل شيء كان من أي شيء أراد.

الثاني: أن الحكماء لم يكونوا يعتقدون نبوة الأنبياء و لم يؤمنوا بهم و إنهم يزعمون أنهم أصحاب نظر و أصحاب آراء مثلهم يخطئون و يصيبون و لم يكن علومهم مقتبسة من مشكاة أنوارهم كما زعمه أتباعهم.

الثالث: أنهم كانوا منكرين لأكثر معجزات الأنبياء ﷺ فإن أكثرها مما عدوها من المستحيلات.

الرابع: أنهم كانوا في جميع الأعصار معارضين لأرباب الشرائع و الديانات كما هم في تلك الأزمنة كذلك.

قال الشيخ المفيد قدس سره في كتاب المقالات أقول إن الطبايع معان تحل الجسم يتهيأ بها للانفعال^(٢) كالبصر و

ما فيه من الطبيعة التي بها يتهيأ لحلول الحس فيه والإدراك ثم قال وإن ما يتولد بالطبع فإنما هو لمسببه بالفعل في المطبوع وإنه لا فعل على الحقيقة لشيء من الطباع وهذا مذهب أبي القاسم الكعبي وهو خلاف مذهب المعتزلة في الطباع وخلاف الفلاسفة الملحدين أيضاً في ما ذهبوا إليه من أفعال الطباع ثم قال قد ذهب كثير من الموحدين إلى أن الأجسام كلها مركبة من الطباع الأربع وهي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة واحتجوا في ذلك بانحلال كل جسم إليها وما يشاهدونه من استحالتها كاستحالة الماء بخاراً والبخار ماء والموت حيواناً والحيوان مواتاً ووجود النار والمائية والهوائية والترابية في كل جسم وإنه لا ينفك جسم من الأجسام من ذلك ولا يعقل على خلافه ولا ينحل إلا إليه وهذا ظاهر مكشوف لست أجد لدفعه حجة أعتمد عليها ولا أراه مفسداً لشيء من التوحيد أو العدل أو الوعيد أو النبوات أو الشرائع فاطرحه لذلك بل هو مؤيد للدين مؤكداً لأدلة الله تعالى على ربوبيته وحكمته وتوحيده ومن دان به من رؤساء المتكلمين النظام وذهب إليه البلخي ومن اتبعه في المقال^(١)

وقال الشيخ الرضي أمين الدين الطبرسي نور الله مرقدته في مجمع البيان في تفسير سورة الفيل بعد إيراد القصة المشهورة وفيه حجة لائحة قاصدة لظهور الفلاسفة والملحدين والمنكرين للآيات الخارقة للعادات فإنه لا يمكن نسبة شيء مما ذكره الله من أمر أصحاب الفيل إلى طبع وغيره كما نسبوا الصيحة والريح القيم والخسف وغيرها مما أهلك الله تعالى به الأمم الخالية إلى ذلك إذ لا يمكنهم أن يروا في أسرار الطبيعة إرسال جماعات من الطير معها أحجار معدة مهياة لهلاك أقوام معينين قاصدات إياهم دون من سواهم فترميمهم بها حتى تهلكهم وتدمر عليهم لا يتعدى ذلك إلى غيرهم ولا يشك من له مسكة من عقل ولب أن هذا لا يكون إلا من فعل الله تعالى مسبب الأسباب ومذل الصعاب وليس لأحد أن ينكر هذا لأن نبينا ﷺ لما قرأ هذه السورة على أهل مكة لم ينكروا ذلك بل أقروا به وصدقوه مع شدة حرصهم على تكذيبه واعتنائهم بالرد عليه وكانوا قريبي العهد بأصحاب الفيل فلو لم يكن لذلك عندهم حقيقة وأصل لأنكروه وجحدوه وكيف وأنهم قد أرخوا بذلك كما أرخوا ببناء الكعبة وموت قصي بن كعب وغير ذلك وقد أكثر الشعراء ذكر الفيل ونظموه وقلته الرواة عنهم^(٢)

وأقول: هذه الجناية على الدين وتشهير كتب الفلاسفة بين المسلمين من بدع خلفاء الجور المعاندين لأئمة الدين ليسفروا الناس عنهم وعن الشرع المبين ويدل على ذلك ما ذكره الصفي في شرح لامية العجم أن المأمون لما هادن بعض ملوك النصراني أظنه صاحب جزيرة قبرس طلب منهم خزائن كتب اليونان وكانت عندهم مجموعة في بيت لا يظهر عليه أحد فجمع الملك خواصه من ذوي الرأي واستشارهم في ذلك فكلهم أشار بعدم تجهيزها إليه إلا مطران واحد فإنه قال جهزها إليهم ما دخلت هذه العلوم على دولة شرعية إلا أقسدت وأوقعت الاختلاف بين علمائها وقال في موضع آخر أن المأمون لم يتكبر النقل والتعريب أي لكتب الفلاسفة بل نقل قبله كثير فإن يحيى بن خالد بن برمك عرب من كتب الفرس كثيراً مثل كليله ودمنة وعرب لأجله كتاب المجسطي من كتب اليونان والمشهور أن أول من عرب كتب اليونان خالد بن يزيد بن معاوية لما أولع بكتب الكيمياء ويدل على أن الخلفاء وأتباعهم كانوا مائلين إلى الفلسفة وأن يحيى البرمكي كان محباً لهم ناصرًا لمذهبهم ما رواه الكشي بإسناده عن يونس بن عبد الرحمن قال كان يحيى بن خالد البرمكي قد وجد على هشام شيئاً من طعنه على الفلاسفة فأحب أن يغري به هارون ويضربه على القتل ثم ذكر قصة طويلة في ذلك أوردناها في باب أحوال أصحاب الكاظم عليه السلام وفيها أنه أخفى هارون في بيته ودعا هشاماً لينظر العلماء وجروا الكلام إلى الإمامة وأظهر الحق فيها وأراد هارون قتله فهرب ومات من ذلك الخوف رحمه الله وعد أصحاب الرجال من كتبه كتاب الرد على أصحاب الطباع وكتاب الرد على أرسطاطاليس في التوحيد وعد الشيخ منتجب الدين في فهرسه من كتب قطب الدين الراوندي كتاب تهافت الفلاسفة^(٣) وعد النجاشي من كتب الفضل بن شاذان كتاب رد على الفلاسفة^(٤) وهو من أجلة الأصحاب وطعن عليهم الصدوق ره في مفتتح كتاب إكمال الدين.

(١) أوائل المقالات ضمن المجلد ٤ من مصنفات الشيخ المفيد ص ١٠١ - ١٠٢.

(٢) مجمع البيان ج ١٠ ص ٥٤٣.

(٤) رجال النجاشي ص ٣٠٧ رقم ٨٤٠.

وقال الرازي عند تفسير قوله تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾^(١) فيه وجوه ثم ذكر من جملة الوجوه أن يريد علم الفلاسفة والدهريين من بني يونان وكانوا إذا سمعوا بوحى الله صفروا علم الأنبياء إلى علمهم وعن سقراط أنه سمع بموسى ﷺ و قيل له أو هاجرت إليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة إلى من يهذبنا^(٢) وقال الرازي في المطالب العالية أظن أن قول إبراهيم لأبيه ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾^(٣) إنما كان لأجل أن أباه كان على دين الفلاسفة وكان ينكر كونه تعالى قادرا و ينكر كونه تعالى عالما بالجزئيات فلا جرم خاطبه بذلك الخطاب^(٤).

نادر

باب ٣٥

١- الخصال: عن أبيه عن محمد بن يحيى العطار عن محمد بن أحمد عن هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عن أبيه ﷺ أن النبي ﷺ قال ما خلق الله عز وجل خلقا إلا وقد أمر عليه آخر يغلبه به وذلك أن الله تبارك وتعالى لما خلق السحاب^(٥) فخرت وزحرت وقالت أي شيء يغلبني فخلق الله عز وجل الفلك فأدارها بها^(٦) وذلكها ثم إن الأرض فخرت وقالت أي شيء يغلبني فخلق الجبال فأثبتها في ظهرها أوتادا منعها من أن تميد بما عليها فذلت واستقرت ثم إن الجبال فخرت على الأرض فشمخت واستطالت وقالت أي شيء يغلبني فخلق الله الحديد فقطعها فقرت الجبال وذلت ثم إن الحديد فخر على الجبال وقال أي شيء يغلبني فخلق الله النار فأذابت الحديد فذل الحديد ثم إن النار زفرت وشهقت وفخرت وقالت أي شيء يغلبني فخلق الماء فأطفأها فذلت ثم إن الماء فخر وزخر وقال أي شيء يغلبني فخلق الريح فحركت أمواجه وأثارت ما في قعره وحبسته عن مجاريه فذل الماء ثم إن الريح فخرت وعصفت وأرخت أذيالها وقالت أي شيء يغلبني فخلق الإنسان فاحتال واتخذ ما يستتر به من الريح وغيرها فذلت الريح ثم إن الإنسان طغى وقال من أشد مني قوة فخلق الموت فقهره فذل الإنسان ثم إن الموت فخر في نفسه فقال الله جل جلاله لا تغرر فأني أدبحك^(٧) بين الفريقين أهل الجنة والنار ثم لا أميئك أبدا فذل وخاف^(٨).

بيان: فخلق الله الفلك فأدارها بها لعل المعنى أن الأفلاك بأجرامها النيرة مسلطة على السحاب تبعثها وتشيرها وتدنيها وتفرقها وقد مر^(٩) برواية الكليني هكذا ذلك أن الله تبارك وتعالى لما خلق البحار السفلى فخرت وزحرت وقالت أي شيء يغلبني فخلق الأرض فسطحها على ظهرها فذلت ثم إن الأرض فخرت إلى آخر الخبر^(١٠) وهو الظاهر بل لا يستقيم ما في الخصال كما لا يخفى وقد سبق شرح الخبر في الباب الأول^(١١).

٢- الخصال: عن أبيه عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي نجران عن عاصم بن حميد عن محمد بن قيس عن أبي جعفر ﷺ في ما سأل رسول معاوية لأسئلة ملك الروم الحسن بن علي ﷺ قال وأما عشرة أشياء بعضها أشد من بعض فأشد شيء خلقه الله عز وجل الحجر وأشد من الحجر الحديد يقطع به الحجر وأشد من الحديد النار تذيب الحديد وأشد من النار الماء يطفى النار وأشد من الماء السحاب يحمل الماء وأشد من السحاب الريح يحمل السحاب وأشد من الريح الملك الذي يرسلها وأشد من الملك ملك الموت الذي يميت الملك وأشد من ملك الموت الموت الذي يميت ملك الموت وأشد من الموت أمر الله^(١٢) رب العالمين الذي يميت الموت^(١٣).

(١) التفسير الكبير ج ٢٧ ص ٩١ بتصرف.

(١) سورة غافر، آية: ٨٣.

(٢) سورة مريم، آية: ٤٢.

(٤) المطالب العالية ج ٣ ص ١٦٤ نهاية الفصل السادس في كونه تعالى عالما بالجزئيات.

(٥) في المصدر: «البحار» بدل «السحاب».

(٦) في المصدر: «به» بدل «بها».

(٨) الخصال ج ٢ ص ٤٤٢ باب العشرة، حديث ٣٤.

(١٠) الكافي ج ٨ ص ١٤٨، حديث ١٢٩.

(١٢) من المصدر.

(٩) مر في ج ٥٧ ص ٩٩ من المطبوعة.

(١١) في باب حدوث العالم.

(١٣) الخصال ج ٢ ص ٤٤٢ باب العشرة، حديث ٣٣.

٣- كتاب الفارات لإبراهيم بن محمد التفقي، عن الشعبي قال قال ابن الكواء لأُمير المؤمنين عليه السلام أي شيء ^(١) خلق الله أشد قال إن أشد خلق الله عشرة الجبال الرواسي والحديد تحت به الجبال والنار تأكل الحديد والماء يطفى النار والسحاب المسخر بين السماء والأرض تحمل الماء والرياح تقل السحاب والإنسان يغلب الريح يتقيها بيديه و يذهب لحاجته والسكر يغلب الإنسان والنوم يغلب السكر والهم يغلب النوم فأشد خلق ربك الهم. ^(٢)

٤- العلل: عن أحمد بن محمد العلوي عن محمد بن إبراهيم بن أسباط عن أحمد بن محمد بن زياد عن أحمد بن محمد بن عبد الله عن عيسى بن جعفر العلوي العمري عن آبائه عن عمر بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام أنه سئل مما خلق الله عز وجل الذر الذي يدخل في كوة البيت فقال إن موسى عليه السلام لما قال رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قال الله عز وجل إن استقر الجبل لنوري فإنك ستقوى على أن تنظر إلي وإن لم يستقر فلا تطيق إبصاري لضعفك فلما تجلى الله تبارك وتعالى للجبل قطع ثلاث قطع فقطعة ارتفعت في السماء وقطعة غاضت تحت الأرض وقطعة تفتت الأرض وقطعة تفتت فهذا الذر من ذلك الغبار غبار الجبل. ^(٣)

بيان: هذا الخبر على تقدير صحته وصدوره عن الإمام لعل المعنى أن له أيضا مدخلية في تلك الذرات في بعض البلاد أو كلها بأن تكون تفرقت بقدرة الله تعالى في جميع البلاد.

الممدوح من البلدان والمذموم منها وغرائبها

باب ٣٦

الآيات:

يونس: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبْوَأَ صِدْيَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾. ^(٤)

الأنبياء: ﴿وَنَجِّنَاهُ وَلَوْطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾. ^(٥) وقال تعالى وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا. ^(٦)

المؤمنون: ﴿وَأَوْثَقْنَاهُمَا إِلَى رِبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾. ^(٧)

القصص: ﴿أَنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾ إلى قوله تعالى ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾. ^(٨)

سبا: ﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً﴾. ^(٩)

النازعات: ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾. ^(١٠)

البلد: ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ وَأَنْتَ جَلُّ هَذَا الْبَلَدِ﴾. ^(١١)

التين: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾. ^(١٢)

تفسير: ﴿مَبْوَأَ صِدْيَ﴾ أي مكانا محمودا حسنا وهو بيت المقدس والشام وقيل يريد به مصر وقال علي بن إبراهيم ردهم إلى مصر وغرق فروع ^(١٣) ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي النعم اللذيذة ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ قيل هي أرض الشام أي نجينا إبراهيم ولوطا من كوثا إلى الشام وإنما قال ﴿بَارَكْنَا فِيهَا﴾ لأنها بلاد خصب وقيل إلى أرض بيت المقدس لأن بها مقام الأنبياء والحاصل أن أكثر أنبياء بني إسرائيل بعثوا في الشام وبيت

(٢) الفارات ج ١ ص ١٨٢ - ١٨٣.

(١) كلمة: «شيء» ليست في المصدر.

(٣) على الشرائع ص ٤٩٧ باب ٢٥١، حديث ١.

(٥) سورة الأنبياء، آية: ٧١.

(٧) سورة المؤمنون، آية: ٥٠.

(٩) سورة سبا، آية: ١٥ - ١٨.

(١١) سورة البلد، آية: ١ و ٢.

(١٣) تفسير القمي ج ١ ص ٣١٦.

(١٢) سورة التين، آية: ١ - ٣.

(٤) سورة يونس، آية: ٩٣.

(٦) سورة الأنبياء، آية: ٨١.

(٨) سورة القصص، آية: ٢٩ - ٣٠.

(١٠) سورة النازعات، آية: ١٦.

(١٢) سورة التين، آية: ١ - ٣.

المقدس فانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي مبادئ الخيرات الدينية والدينية وقيل نجاهما إلى مكة كما قال ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾^(١) روي ذلك عن ابن عباس «إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا» وهي أرض الشام لأنها كانت مأواه كما ذكره المفسرون.

﴿وَأَوَّيْنَاهُمَا﴾ أي عيسى وأمه «إِلَى رُبُوعٍ» قال الطبرسي ره أي جعلنا مأواهما مكانا مرتفعا مستويا واسعا والرُبوع هي الرملة من فلسطين عن أبي هريرة وقيل دمشق عن سعيد بن المسيب وقيل مصر عن ابن زيد وقيل بيت المقدس عن قتادة وكعب قال كعب وهي أقرب الأرض إلى السماء وقيل هي حيرة الكوفة وسوادها والقرار مسجد الكوفة والمعين الفرات عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام وقيل ذات قرار أي ذات موضع قرار أي هي أرض مستوية يستقر عليها ساكنوها وقيل ذات ثمار لأنه لأجل الثمار يستقر فيها ساكنوها وَمَعِينُ ماء جار وظاهر للعيون^(٢).

﴿فِي الثُّغَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾ قال الطبرسي ره هي البقعة التي قال فيها لموسى «فَاخْلُغْ نَعْلُكَ إِيَّاكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى» وإنما كانت مباركة لأنها معدن الوحي والرسالة وكلام الله تعالى وقيل مباركة كثيرة الثمار والأشجار^(٣) والخير والنعم بها والأول أصح^(٤) انتهى.

وأقول: روي في التهذيب عن الصادق عليه السلام أنه قال شاطئي الوَادِ الْأَيْتَنِ الذي ذكره الله في القرآن هو الفرات والثُّغَةُ الْمُبَارَكَةُ هي كربلاء^(٥) «بِلَدَةٍ طَيِّبَةٍ» قيل أي هذه بلدة نزهة أرضها غذية تخرج النبات وليست بسيخة وليس فيها شيء من الهوام المؤذية وقيل أراد به صحة هوائها وعذوبة مائها وسلامة تربتها وأنه ليس فيها حر يؤذي في القيظ وبرد يؤذي في الشتاء ﴿وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ أي بالتوسعة على أهلها أو بما مر وهي قرى الشام وفي تفسير علي بن إبراهيم هي مكة^(٦) «قُرًى ظَاهِرَةً» أي متواصلة يظهر بعضها لبعض وقد مر تأويل «الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا» بالاثمة عليه السلام و«القرى الظاهرة» برواة أخبارهم وقهقهة شيعتهم و«السير» بالعلم «أَمِينِينَ» من الشك والضلal «بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ» أي المطهر «طَوًى» اسم الوادي الذي كلم الله فيه موسى عليه السلام.

﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ قال الطبرسي ره أجمع المفسرون على أن هذا قسم بالبلد الحرام ﴿وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ وأنت يا محمد مقيم به وهو محلك وهذا تنبيه على أن شرف البلد يشرف من حل فيه من الرسول الداعي إلى توحده وإخلاص عبادته وبيان أن تعظيمه له وقسمه به لأجله عليه السلام ولكونه حالا فيه كما سميت المدينة طيبة لأنها طابت به حيا وميتا وقيل معناه لا أقسم بهذا البلد وأنت حل فيه متتهك الحرمة فلم يبق للبلد حرمة حيث هتك^(٧) حرمتك عن أبي مسلم.

وهو مروى عن أبي عبد الله عليه السلام قال كانت قریش تعظم البلد وتستحل محمدا فيه فقال لا أقسم بهذا البلد وأنت حلٌّ بهذا البلد يريد أنهم استحلوك فيه فكذبوك وشتموك وكانوا لا يأخذ الرجل منهم فيه قاتل أبيه ويتقلدون لحاء شجر الحرم فيأمنون بتقليدهم إياه فاستحلوا من رسول الله عليه السلام ما لم يستحلوا من غيره فعاب الله ذلك عليهم^(٨).

وقال قدس سره في قوله سبحانه ﴿وَالزَّيْتُونِ﴾ أقسم الله سبحانه بالتين الذي يؤكل والزيتون الذي يعصر منه الزيت عن ابن عباس وغيره وقيل التين الجبل الذي عليه دمشق والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس عن قتادة وقال عكرمة هما جبلان وإنما سماهما بهما لأنها ثبتا^(٩) بهما وقيل التين مسجد دمشق والزيتون بيت المقدس عن كعب الأحبار وغيره وقيل التين مسجد نوح عليه السلام الذي بنى على الجودي والزيتون بيت المقدس عن ابن عباس وقيل التين مسجد الحرام والزيتون المسجد الأقصى عن الضحاک يعني الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام عن الحسن وسنين وسيناء واحد وقيل إن سنين معناه المبارك الحسن كأنه قيل جبل الخير الكثير لأنه إضافة تعريف عن مجاهد و قتادة وقيل معناه كثير النبات والشجر عن عكرمة وقيل إن كل جبل فيه شجر مشر فهو سنين وسيناء بلغة النبط عن مقاتل وروي عن موسى بن جعفر عليه السلام و طور سيناء ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ يعني مكة

(٢) مجمع البيان ج ٧ ص ١٠٨.

(٤) مجمع البيان ج ٧ ص ٢٥١.

(٦) تفسير القمي ج ٢ ص ٢٠١.

(٨) مجمع البيان ج ١٠ ص ٤٩٢ - ٤٩٣.

(١) سورة آل عمران، آية: ٩٦.

(٣) في الجمع: «الكثرة الأشجار والثمار».

(٥) تهذيب الأحكام ج ٦ ص ٣٨، حديث ٨٠.

(٧) في المصدر: «هتكت».

(٩) في المصدر: «يثبتان».

البلد الحرام يأمن فيه الخائف في الجاهلية والإسلام فالأمين بمعنى المؤمن مؤمن^(١) من يدخله وقيل هو بمعنى الأمن ويؤيده قوله «أَنَا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا»^(٢)

١- الكشي: قال وجدت بخط جبرئيل بن أحمد حدثني محمد بن عيسى عن محمد بن الفضيل عن عبد الله بن عبد الرحمن عن الهيثم بن واقد عن يميون بن عبد الله عن أبي عبد الله عليه السلام قال إن عليا لما أراد الخروج من البصرة قام على أطرافها ثم قال لعنك الله يا أتنن الأرض ترابا وأسرعا خرابا وأشدها عذابا فيك الداء الدوي قيل ما هو يا أمير المؤمنين قال كلام القدر الذي فيه القرية على الله وبغضا أهل البيت وفيه سخط الله وسخط نبيه وكذبهم علينا أهل البيت واستحللهم الكذب علينا^(٣)

٢- معاني الأخبار: والخصال، عن الحسين بن إدريس عن أبيه عن محمد بن أحمد الأشعري عن أبي عبد الله الرازي^(٤) عن الحسن بن علي بن أبي عثمان عن موسى بن بكر عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله إن الله اختار من البلدان أربعة فقال عز وجل «وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ»^(٥) فالتين المدينة والزيتون بيت المقدس وطور سينين الكوفة وهذا البلد الأمين مكة الخير^(٦)

بيان: لعله إنما كنى عن المدينة بالتين لوفوره وجودته فيها أو لكونها من أشرف البلاد كما أن التين من أفاضل الثمار كما سيأتي وكنى عن الكوفة بطور سينين لأن ظهرها وهو النجف كان محل مناجاة سيد الأوصياء كما أن الطور كان محل مناجاة الكليم أو لأن الجبل الذي سأل عليه موسى الرؤية تنقطع وقع جزء منه هناك كما ورد في بعض الأخبار أو أنه لما أراد ابن نوح أن يعتصم بهذا الجبل تنقطع فصار بعضها في طور سيناء أو أنه هو طور سيناء حقيقة وغلط فيه المفسرون واللغويون كما روى الشيخ في التهذيب بإسناده عن الثمالى عن أبي جعفر عليه السلام قال كان في وصية أمير المؤمنين عليه السلام أن أخرجوني إلى الظهر فإذا تصوبت أقدامكم واستقبلتكم ريح فادفوني وهو أول طور سيناء ففعلوا ذلك^(٧)

٣- المجالس: لابن الشيخ عن أبيه عن المعفيد عن أحمد بن محمد بن الوليد عن أبيه عن الصفار عن أحمد بن محمد بن عيسى عن ابن أبي عمير عن الحسن^(٨) عن أبي فاختة عن أبي عبد الله عليه السلام قال لما قتل الحسين عليه السلام يكت عليه السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن ومن يتقلب في الجنة والنار وما يرى وما لا يرى إلا ثلاثة أشياء البصرة ودمشق وآل الحكم بن العاص الخير^(٩)

بيان: بكاء البلاد والباق بكاء أهلها وظهور آثار الحزن فيها.

٤- العلل: في خبر الشامي أنه سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن أكرم واد على وجه الأرض فقال له واد يقال له سرانديب سقط فيه آدم من السماء وسأله عن شر واد على وجه الأرض فقال واد باليمن يقال له برهوت وهو من أودية جهنم^(١٠)

بيان: قال في النهاية في حديث علي شرب في الأرض برهوت هي بفتح الباء والراء بثر عميقة بحضرموت لا يستطيع النزول إلى قعرها وقيل^(١١) برهوت بضم الباء وسكون الراء فتكون تاؤها على الأول زائدة وعلى الثاني أصلية أخرجه الهروي عن علي وأخرجه الطبراني في المعجم^(١٢)

(١) في المصدر: «يؤمن».

(٢) مجمع البيان ج ١٠ ص ٥١٠ - ٥١١، والآية من سورة العنكبوت: ٦٧.

(٣) اختيار معرفة الرجال ص ٣٩٣ رقم ٧٤١.

(٤) في المعاني: «عن أبيه، عن محمد بن يحيى الطار، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أبي عبد الله الرازي».

(٥) سورة التين، آية: ١ - ٣.

(٦) معاني الأخبار ص ٣٦٥ باب (معنى التين والزيتون وطور سينين)، حديث ١، والخصال ج ١ ص ٢٢٥ باب الأربعة، حديث ٥٨.

(٧) تهذيب الأحكام ج ٦ ص ٣٤، حديث ٦٩.

(٨) في المصدر: «الحسين» بدل «الحسن».

(٩) أمالي الطوسي ص ٥٤ مجلس ٢، حديث ٤٢ ملخصاً.

(١٠) علل الشرائع ص ٥٩٣ باب ٣٨٥، حديث ٤٤.

(١١) رابع المعجم الوسيط ج ٩ ص ٦٠ رقم ٨١٢٥.

عن ابن عباس عن النبي ﷺ (١) وقال الفيروز آبادي برهوت واد و بئر بحضرموت (٢) انتهى و
كونه من أودية جهنم لشباهته بها و لتعذيب أرواح الكفار فيه كما ورد في الأخبار و يحتمل أن
يكون لجهنم طريق إليه.

٥- الخصال: عن أحمد بن الحسن القطان و علي بن أحمد بن موسى عن أحمد بن يحيى بن زكريا القطان عن بكر
بن عبد الله بن حبيب عن تميم بن بهلول عن أبي معاوية الضرير عن الأعمش عن جعفر بن محمد ﷺ قال ستة عشر
صنفا من أمة جدي لا يحبونا و لا يحبونا إلى الناس إلى أن قال و أهل مدينة تدعى سجستان هم لنا أهل عداوة و
نصب و هم شر الخلق و الخليقة عليهم من العذاب ما على فرعون و هامان و قارون و أهل مدينة تدعى الري هم
أعداء الله و أعداء رسوله و أعداء أهل بيته يرون حرب أهل بيت رسول الله ﷺ جهادا و ما لهم مغنما و لهم عذاب
الخزي في الحياة الدنيا و الآخرة و لَهُمْ عَذَابٌ مُّقيمٌ و أهل مدينة تدعى الموصل هم شر من على وجه الأرض و أهل
مدينة تسمى الزوراء تبني في آخر الزمان يستشفون بدمائنا و يتقربون ببغضنا يوالون في عداوتنا و يرون حربنا
فرضا و قتالنا حتما يا بني فأحذر هؤلاء ثم أحذرهم فإنه لا يخلو اثنان منهم بأحد من أهلك إلا هموا بقتله الخير. (٣)

بيان: الموصل بفتح الميم و سكون الواو معروف و الزوراء يطلق على دجلة بغداد و على بغداد لأن
أبوابها الداخلة جعلت مزورة عن الخارجة و يمكن أن تتبدل أحوال أهل هذه البلاد باختلاف
الأزمنة و يكون ما ذكر في الخبر حالهم في ذلك الزمان.

٢٠٧
١٠

٦- العلل: عن علي بن عبد الوراق عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد بن عيسى و الفضل بن عامر عن
سليمان بن مقبل عن محمد بن زياد الأزدي عن عيسى بن عبد الله الأشعري عن الصادق جعفر بن محمد ﷺ قال
حدثني أبي عن جدي عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ لما أسري بي إلى السماء حملني جبرئيل على كتفه الأيمن
فنظرت إلى بقعة بأرض الجبل حمراء أحسن لونا من الزعفران و أطيب ريحا من المسك فإذا فيها شيخ على رأسه
برنس فقلت لجبرئيل ما هذه البقعة الحمراء التي هي أحسن لونا من الزعفران و أطيب ريحا من المسك قال بقعة
شيعةك و شيعة علي فقلت من الشيخ صاحب البرنس قال إبليس قلت فما يريد منهم قال يريد أن يصددهم عن
ولاية أمير المؤمنين و يدعوهم إلى الفسق و الفجور فقلت يا جبرئيل أهو بنا إليهم فأهوى بنا إليهم أسرع من البرق
الخاطف و البصر اللامع فقلت قم يا ملعون فشارك أعداءهم في أموالهم و أولادهم و نساءهم فإن شيعة علي
ليس لك عليهم سلطان فسميت قم. (٤)

بيان: البرنس قلنسوة طويلة كان النساك يلبسونها في صدر الإسلام ذكره الجوهري. (٥)

٧- الإختصاص: روى علي بن محمد العسكري عن أبيه عن جده عن أمير المؤمنين ﷺ قال قال رسول الله ﷺ
لما أسري بي إلى السماء الرابعة نظرت إلى قبة من لؤلؤ لها أربعة أركان و أربعة أبواب كأنها من إستبرق أخضر قلت
يا جبرئيل ما هذه القبة التي لم أر في السماء الرابعة أحسن منها فقال حبيبي محمد هذه صورة مدينة يقال لها قم
يجتمع فيها عباد الله المؤمنون ينتظرون محمدا و شفاعته للقيامة و الحساب يجري عليهم الغم و الهم و الأحزان و
المكاره قال فسألت علي بن محمد العسكري ﷺ متى ينتظرون الفرج قال إذا ظهر الماء على وجه الأرض. (٦)

تاريخ قم: عن أبي مقاتل الديلمي عنه ﷺ مثله. (٧)

٢٠٨
١٠

بيان: المراد به إما ظهور الماء في أصل البلد أو لم يكن في هذا الزمان فيه ماء جار أصلا كما ذكر
في تاريخ قم مبدأ حدوث الوادي بقم و إنه كانت فيه قنوات و لم يكن فيه نهر جار.

٨- تفسير علي بن إبراهيم: عن الحسين بن عبد الله السكيني عن أبي سعيد البجلي عن عبد الملك بن هارون
عن أبي عبد الله عن آبائه صلوات الله عليهم قال لما بلغ أمير المؤمنين ﷺ أمر معاوية و أنه في مائة ألف قال من أي

(٢) راجع القاموس المحيط ج ٤ ص ٢٨٣.

(٤) علل الشرائع ص ٥٧٢ باب ٣٧٣، حديث ١.

(٦) الإختصاص ص ١٠١.

(١) النهاية ج ١ ص ٩٢٢.

(٣) الخصال ج ٢ ص ٥٠٦ أبواب الستة عشر، حديث ٤.

(٥) الصحاح ج ٢ ص ٩٠٨.

(٧) تاريخ قم - بالفارسية - ص ٩٦.

القوم قالوا من أهل الشام قال لا تقولوا من أهل الشام ولكن قولوا من أهل الشوم هم أبناء^(١) مصر^(٢) لعنوا على لسان داود^(٣) فجعل الله منهم^(٤) القردة^(٥) والخنازير^(٦) الخبر.

بيان: يمكن الجمع بين الآيات والأخبار الواردة في مدح الشام ومصر وذهبه بما أومأنا إليه سابقا من اختلاف أحوال أهلها في الأزمان فإنه كان في أول الزمان محل الأنبياء والصالحين فكان من البلاد المباركة الشريفة فلما صار أهلها من أشقى الناس وأكفرهم صار من شر البلاد كما أن يوم عاشوراء كان من الأيام المتبركة كما يظهر من بعض الأخبار فلما قتل فيه الحسين^(٧) صار من أنحس الأيام.

٩- قرب الإسناد: عن أحمد بن محمد بن عيسى عن البرنظي قال قلت للرضا^(٨) إن أهل مصر يزعمون أن بلادهم مقدسة قال وكيف ذلك جعلت فداك يزعمون أنه يحشر من جيلهم سبعون ألفا يذبحون الجثة...

يُفْتَرِ حساب قال لا لعربي ما ذاك كذلك وما غضب الله على بني إسرائيل إلا أدخلهم مصر ولا رضي عنهم إلا أخرجهم منها إلى غيرها ولقد أوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى^(٩) أن يخرج عظام يوسف منها فاستدل موسى على من يعرف القبر فدل على امرأة عبياء زمرة فسألها موسى أن تدله عليه فأبتهت إلا على خصلتين فيدعو الله فيذهب زمانها^(١٠) ويصيرها معه في الجنة في الدرجة التي هو فيها فأعظم ذلك موسى فأوحى الله إليه وما يعظم عليك من هذا أعطها ما سألت ففعل فتوعدته^(١١) طلوع القمر فحسب الله القمر حتى جاء موسى لموعده فأخرجه من النيل في سبط مرمر فحملة موسى^(١٢) ولقد قال رسول الله^(١٣) لا تغسلوا رءوسكم بطينها ولا تأكلوا في فخارها فإنه يورث الذلة ويذهب الفيرة قلنا له قد قال ذلك رسول الله^(١٤) فقال نعم^(١٥).

العباشي: عن علي بن أسباط عن الرضا^(١٦) مثله.

١٠- البصائر: عن أحمد بن محمد بن ابن فضال عن أبي جميلة عن محمد الحلبي عن أبي عبد الله^(١٧) قال إن الله عرض ولايتنا على أهل الأمصار فلم يقبلها إلا أهل الكوفة^(١٨).

بيان: أي قولوا كاملا كما في الخبر الآتي.

١١- البصائر: عن يعقوب بن يزيد عن ابن سنان عن عتيبة بن يباع القصب عن أبي بصير قال سمعت أبا عبد الله^(١٩) يقول إن ولايتنا عرضت على السماوات والأرض والجبال والأمصار ما قبلها قبول أهل الكوفة^(٢٠).

١٢- النهج: [تهج البلاغة] من كلام له^(٢١) في ذكر الكوفة كأنني بك يا كوفة تمدين مد الأديم العكاظي تعركين بالنوازل وتركبين بالنوازل وإني لأعلم أنه ما أراد بك جبار سوء إلا ابتلاه الله بشاغل ورماء بقاتل^(٢٢).

بيان: الأديم الجلد أو مذبوغة وعكاظ بالضم موضع بناحية مكة كانت العرب تجتمع في كل سنة ويقعون به سوقا مدة شهر ويتعاطون أي يتفاخرون ويتناشدون وينسب إليه الأديم لكثرة البيع فيه والأديم العكاظي مستحکم الدباغ شديد المد وذلك وجه الشبه والعرك ذلك والحك وعركه أي حمل عليه الشر وعركت القوم في الحرب إذا مارسهم حتى أتعبتهم والنوازل المصائب والشدائد والزلازل البلايا وتركبين على بناء المجهول كالفلعين السابقين أي تجعلين مركوبة لها أو بها على أن تكون البلاء للسببية كالسابقة والشدائد التي أصابت الكوفة وأهلها معروفة مذكورة في السير وروي عن أمير المؤمنين^(٢٣) أنه قال هذه مدينتنا ومحلنا ومقر شيعتنا وعن الصادق^(٢٤) أنه قال تربة تجبنا ونحباؤه عنه^(٢٥) اللهم ارم من رماها وعاد من عادها وقال محمد الحسين الكيدري في شرح النهج فمن الجبايرة الذين ابتلاهم الله بشاغل فيها زياد وقد جمع الناس في المسجد ليلعن عليا صلوات الله عليه فخرج الحاجب وقال انصرفوا فإن الأمير مشغول وقد أصابه الفالج في هذه الساعة وابنه عبيد الله بن زياد وقد أصابه الجذام^(٢٦) والحجاج بن يوسف و

(١) في المصدر: «هم من أبناء».

(٢) تفسير القمي ج ٢ ص ٢٦٨.

(٣) في المصدر: «فوعده».

(٤) تفسير العبّاشي ج ١ ص ٣٠٤، حديث ٧٣.

(٥) بصائر الدرجات ج ٩٧ ص ٢ النوادر من الأبواب، حديث ٤.

(٦) في المصدر إضافة: «و عبد الله بن مطيع قد اهتز».

(٧) في المصدر: «مصر».

(٨) في المصدر: «يزمانتها».

(٩) قرب الإسناد ص ٣٧٤، حديث ١٣٣٠.

(١٠) بصائر الدرجات ج ٩٦ ص ٢ النوادر من الأبواب، حديث ١.

(١١) نهج البلاغة ص ٨٦ خطبة ٤٧.

قد تولدت الحيات في بطنه حتى هلك و عمر^(١) بن هبيرة و ابنه يوسف و قد أصابهما البرص و خالد القسري و قد حبس فطولب حتى مات جوعا و أما الذين رماهم الله بقاتل فعبد الله^(٢) بن زياد و مصعب بن الزبير^(٣) و أبو السرايا و غيرهم قتلوا جميعا و يزيد بن المهلب قتل على أسوأ حال^(٤)

١٣-القصص: بالإسناد إلى الصدوق بإسناده عن ابن محبوب عن داود الرقي عن أبي عبد الله^(٥) قال كان أبو جعفر صلوات الله عليهما يقول نعم الأرض الشام و بشس القوم أهلها اليوم و بشس البلاد مصر أما إنها سجن من سخط الله عليه من بني إسرائيل و لم يكن دخل بنو إسرائيل مصر إلا من سخطه و معصية منهم لله لأن الله عز و جل قال ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾^(٦) يعني الشام فأبوا أن يدخلوها و عصوا فتأهوا في الأرض أربعين سنة قال و ما كان خروجهم من مصر و دخولهم الشام إلا من بعد توبتهم و رضا الله عنهم ثم قال أبو جعفر صلوات الله عليه إني أكره أن أكل شيئا طبخ في فخار مصر و ما أحب أن أغسل رأسي من طينها مخافة أن تورثني تربتها الذل و تذهب بغيرتي^(٧) العياشي: عن داود مثله^(٨)

١٤-القصص: بالإسناد إلى الصدوق عن أبيه عن سعد عن ابن أبي الخطاب عن ابن أسباط عن الحسين بن أحمد عن أبي إبراهيم الموصلي قال قلت لأبي عبد الله^(٩) إن بني^(١٠) ينازعني مصر فقال ما لك و مصر أما علمت أنها مصر الحتوف و لا أحسبه إلا قال يساق إليها أقصر الناس أعمارا^(١١)

١٥-ومنه: بهذا الإسناد عن ابن أسباط عن أحمد بن محمد بن الحضير^(١٢) عن يحيى بن عبد الله بن الحسن رفعه قال قال رسول الله^(١٣) انتحوا مصر و لا تطلبوا المكث فيها و لا أحسبه إلا قال و هو يورث الديانة^(١٤) بيان: قال في القاموس نجاه قصده كاتجاه^(١٥)

١٦-القصص: بالإسناد المتقدم عن ابن أسباط عن أبي الحسن^(١٦) قال لا تأكلوا في فخارها و لا تغسلوا رءوسكم بطينها فإنها تورث الذلة و تذهب بالغيرة^(١٧)

١٧-كامل الزبارة: عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن الحسين بن عبيد الله عن الحسن بن علي بن أبي عثمان عن عبد الجبار عن أبي سعيد عن الحسين بن ثوير^(١٨) و يونس و أبي سلمة السراج و المفضل بن عمر قالوا سمعنا أبا عبد الله^(١٩) يقول لما مضى أبو عبد الله الحسين بن علي صلوات الله عليهما بكى عليه جميع ما خلق الله إلا ثلاثة أشياء البصرة و دمشق و آل عثمان^(٢٠)

١٨-الكشي: عن محمد بن مسعود و علي بن محمد معا عن الحسين بن عبيد الله^(٢١) عن عبد الله بن علي عن أحمد بن حمزة عن عمران القمي عن حماد الشاب قال كنا عند أبي عبد الله^(٢٢) و نحن جماعة إذ دخل عليه عمران بن عبد الله القمي فسأله و بره و بشه فلما أن قام قلت لأبي عبد الله^(٢٣) من هذا الذي بررت به هذا البر فقال من أهل البيت النجباء يعني أهل قم^(٢٤) ما أرادهم جبار من الجبابة إلا قصمه الله^(٢٥)

١٩-ومنه: بهذا الإسناد عن أحمد بن حمزة عن المرزبان بن عمران عن أبان بن عثمان قال دخل عمران بن عبد الله على أبي عبد الله^(٢٦) فقال له كيف أنت و كيف ولدك و كيف أهلك و كيف بنو عمك و كيف أهل بيتك ثم حدثه مليا فلما خرج قيل لأبي عبد الله^(٢٧) من هذا قال هذا نجيب قوم النجباء ما نصب لهم جبار إلا قصمه الله. قال حسين عرضت هذين الحديثين على أحمد بن حمزة فقال أعرفهما و لا أحفظ من رواهما لي^(٢٨)

(٢) في المصدر: «فعبيد الله».

(١) في المصدر: «وعمر».

(٤) حذائق الحقائق في شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٢٩٦ - ٢٩٧.

(٣) في المصدر إضافة: «والمختار الثقفي».

(٦) قصص الأنبياء ص ١٨٦ باب ٩، حديث ٢٢٣.

(٥) سورة المائدة، آية: ٢١.

(٨) في المصدر: «نفسى» بدل «بني».

(٧) تفسير العياشي ج ١ ص ٣٠٥، حديث ٧٥.

(١٠) في المصدر: «الحضرمي» بدل «الحضير».

(٩) قصص الأنبياء، ص ١٨٦ باب ٩، حديث ٢٣٠.

(١٢) القاموس المحيط ج ٤ ص ٣٩٦.

(١١) قصص الأنبياء ص ١٨٦ باب ٩، حديث ٢٣١.

(١٤) في المصدر: «عن» بدل «و».

(١٣) قصص الأنبياء ص ١٨٦ باب ٩، حديث ٢٣٢.

(١٦) في المصدر: «عبد الله».

(١٥) كامل الزيارات ص ١٦٦ باب ٢٦، حديث ٦.

(١٨) اختيار معرفة الرجال ص ٣٣٣ رقم ٦٠٨.

(١٧) عبارة: «يعني أهل قم» ليست في المصدر.

(٢٠) اختيار معرفة الرجال ص ٣٣٣ رقم ٦٠٩.

(١٩) في المصدر إضافة: «فقره أبو عبد الله».

٢٠- كتاب تاريخ قم تأليف الحسن بن محمد بن الحسن القمي، قال روى سعد بن عبد الله بن أبي خلف عن الحسن بن محمد بن سعد عن الحسن بن علي الخزازي عن عبد الله بن سنان سئل أبو عبد الله عليه السلام أين بلاد الجبل فإنا قد رويناه أنه إذا رد إليكم الأمر يخسف بعضها فقال إن فيها موضعاً يقال له بحر و يسمى بقم و هو معدن شيعتنا فأما الري فويل له من جناحيه و إن الأمن فيه من جهة قم و أهله قيل و ما جناحاه قال عليه السلام أحدهما بغداد و الآخر خراسان فإنه تلقى فيه سيوف الخراسانيين و سيوف البغداديين فيعجل الله عقوبتهم و يهلكهم فيأوي أهل الري إلى قم فيؤويهم أهلهم ثم ينتقلون منه إلى موضع يقال له أردستان^(١).

٢١- و بإسناد عن عبد الواحد البصري عن أبي وائل عن عبد الله الليثي عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال كنت ذات يوم جالساً عند النبي صلى الله عليه وآله إذ دخل عليه علي بن أبي طالب عليه السلام فقال عليه السلام إني يا أبا الحسن ثم اعتقه و قبل ما^(٢) بين عيني و قال يا علي إن الله عز اسمه عرض ولايتك على السماوات فسبقت إليها السماء السابعة فزينها بالعرش ثم سبقت إليها السماء الرابعة فزينها بالبيت المعمور ثم سبقت إليها السماء الدنيا فزينها بالكواكب ثم عرضها على الأرضين فسبقت إليها مكة فزينها بالكعبة ثم سبقت إليها المدينة فزينها بي ثم سبقت إليها الكوفة فزينها بك ثم سبق إليها قم فزينها بالعرب و فتح إليه باباً من أبواب الجنة^(٣).

٢٢- و عن محمد بن قتيبة الهمداني و الحسن بن علي الكشمارجاني عن علي بن النعمان عن أبي الأكراد علي بن ميمون الصائغ عن أبي عبد الله عليه السلام قال إن الله احتج بالكوفة على سائر البلاد و بالمؤمنين من أهلها على غيرهم من أهل البلاد و احتج ببلدة قم على سائر البلاد و بأهلها على جميع أهل المشرق و المغرب من الجن و الإنس و لم يدع الله قم و أهله مستضعفاً بل وقهم و أيدهم ثم قال إن الدين و أهله بقم ذليل و لو لا ذلك لأسرع الناس إليه فخرّب قم و بطل أهلها فلم يكن حجة على سائر البلاد و إذا كان كذلك لم تستقر السماء و الأرض و لم ينظروا طرفة عين و إن البلياء مدفوعة عن قم و أهله و سيأتي زمان تكون بلدة قم و أهلها حجة على الخلائق و ذلك في زمان غيبة قائمنا عليه السلام إلى ظهوره و لو لا ذلك لساخت الأرض بأهلها و إن الملائكة لتدفع البلياء عن قم و أهله و ما قصده جبار بسوء إلا قصمه قاصم الجبارين و شغله عنهم بدهاية أو مصيبة أو عدو و ينسي الله الجبارين في دولتهم ذكر قم و أهله كما نسوا ذكر الله^(٤).

٢٣- ثم قال و روي بأسانيد عن الصادق عليه السلام أنه ذكر كوفة و قال ستخلو كوفة من المؤمنين و يأزر عنها العلم كما تأزر الحية في جحرها ثم يظهر العلم ببلدة يقال لها قم و تصير معدناً للعلم و الفضل حتى لا يبقى في الأرض مستضعف في الدين حتى المخدرات في الحجال و ذلك عند قرب ظهور قائمنا فيجعل الله قم و أهله قائمين مقام الحجة و لو لا ذلك لساخت الأرض بأهلها و لم يبق في الأرض حجة فيفيض العلم منه إلى سائر البلاد في المشرق و المغرب فيتم حجة الله على الخلق حتى لا يبقى أحد على الأرض لم يبلغ إليه الدين و العلم ثم يظهر القائم عليه السلام و يسير سبباً لنقمة الله و سخطه على العباد لأن الله لا ينتقم من العباد إلا بعد إنكارهم حجة^(٥).

٢٤- و عن أبي مقاتل الديلمي نقيب الري قال سمعت أبا الحسن علي بن محمد عليه السلام يقول إنما سمي قم به لأنه لما وصلت السفينة إليه في طوفان نوح عليه السلام قامت و هو قطعة من بيت المقدس^(٦).

٢٥- و عن الحسن بن يوسف عن خالد بن يزيد^(٧) عن أبي عبد الله عليه السلام قال إن الله اختار من جميع البلاد كوفة و قم و تغليس^(٨).

٢٦- و عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن محبوب عن أبي جميلة المفضل بن صالح عن رجل عن أبي عبد الله عليه السلام قال إذا عمت البلدان الفتن فعليكم بقم و حواليتها و نواحيها فإن البلاء مدفوع عنها^(٩).

(١) من المصدر.

(٢) تاريخ قم - بالفارسية - ص ٩٥.

(٣) تاريخ قم - بالفارسية - ص ٩٦.

(٤) تاريخ قم - بالفارسية - ص ٩٧.

(١) تاريخ قم - بالفارسية - ص ٩٣.

(٢) تاريخ قم - بالفارسية - ص ٩٤.

(٣) تاريخ قم - بالفارسية - ص ٩٥.

(٤) في المصدر: «خالد أبي يزيد».

(٥) تاريخ قم - بالفارسية - ص ٩٧.

- ٢٧- وعن أحمد بن خزرج بن سعد عن أخيه موسى بن خزرج قال قال لي أبو الحسن الرضا عليه السلام أتعرف موضعا يقال له ورادهاه قلت نعم و لي فيه ضيعتان فقال الزمه و تمسك به ثم قال ثلاث مرات نعم الموضع ورادهاه. (١)
- ٢٨- وعن أحمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن خالد البرقي عن سعد بن سعد الأشعري عن جماعة عن أبي عبد الله عليه السلام قال إذا عمت البلايا فالأمن في كوفة ونواحيها من السواد وقم من الجبل ونعم الموضع قم للخائف الطائف. (٢)
- ٢٩- وعن محمد بن سهل بن اليسع عن أبيه عن جده عن أبي عبد الله عليه السلام قال إذا فقد الأمن من العباد و ركب الناس على الخيول و اعتزلوا النساء و الطيب فالهرب الهرب عن جوارهم فقلت جعلت فداك إلى أين قال إلى الكوفة و نواحيها أو إلى قم و حوالها فإن البلاء مدفوع عنهما. (٣)
- ٣٠- و عن يعقوب بن يزيد عن محمد بن أبي عمير عن جميل بن دراج عن زرارة بن أعين عن الصادق عليه السلام قال أهل خراسان أغلامنا و أهل قم أنصارنا و أهل كوفة أوتادنا و أهل هذا السواد منا و نحن منهم. (٤)
- ٣١- و عن سهل بن زياد عن عبد العظيم الحسين عن إسحاق الناصح عليه السلام (٥) مولى جعفر عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال قم عش آل محمد و مأوى شيعتهم و لكن سيهلك جماعة من شبابهم بمعضية آبائهم و الاستخفاف و السخرية بكبرائهم و مشايخهم و مع ذلك يدفع الله عنهم شر الأعادي و كل سوء. (٦)
- ٣٢- و عن سهل عن الحسين بن محمد الكوفي عن محمد بن حمزة بن القاسم العلوي عن عبد الله بن العباس الهاشمي عن محمد بن جعفر عن أبيه الصادق عليه السلام قال إذا أصابكم بلية و عناء فعليكم بقم فإنه مأوى الفاطميين و مستراح المؤمنين و سيأتي زمان ينفر أولياؤنا و محبونا عنا و يبعدون منا و ذلك مصلحة لهم لكيلا يعرفوا بولايتنا و يحقنوا بذلك دماءهم و أموالهم و ما أراد أحد بقم و أهله سوءا إلا أذله الله و أبعدته من رحمته. (٧)
- ٣٣- و عن سهل عن أحمد بن عيسى البزاز القمي عن أبي إسحاق العلاف النيشابوري عن واسط بن سليمان عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال إن للجنة ثمانية أبواب و لأهل قم واحد منها فطوبى لهم ثم طوبى لهم ثم طوبى لهم. (٨)
- ٣٤- وعن أحمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن خالد عن بعض أصحابه عليه السلام (٩) عن أبي عبد الله عليه السلام قال كنا عند جالسين إذ قال مبتدئا خراسان خراسان سجستان سجستان كأنني أنظر إلى أهلها راكبين على الجمال مسرعين إلى قم. (١٠)
- ٣٥- و عن يعقوب بن يزيد عن أبي الحسن الكرخي عن سليمان بن صالح قال كنا ذات يوم عند أبي عبد الله عليه السلام فذكر فتن بني عباس و ما يصيب الناس منهم فقلنا جعلنا فداك فأين المفزع و المفر في ذلك الزمان فقال إلى الكوفة و حوالها و إلى قم و نواحيها ثم قال في قم شيعتنا و موالينا و تكثر فيها العارة و يقصده الناس و يجتمعون فيه حتى يكون الجمر بين بلدتهم. (١١)
- و في بعض روايات الشيعة أن قم يبلغ من العمارة إلى أن يشتري موضع فرس بألف درهم. (١٢)
- ٣٦- و في خطبة الملاحم لأمر المؤمنين عليه السلام التي خطب بها بعد وقعة الجمل بالبصرة قال يخرج الحسني صاحب طبرستان مع جم كثير من خيله و رجله حتى يأتي نيسابور فيفتحها و يقسم أبوابها ثم يأتي أصهبان ثم إلى قم فيقع بينه و بين أهل قم وقعة عظيمة يقتل فيها خلق كثير فينهزم أهل قم فينهض الحسني أموالهم و يسبي ذراريهم و نساءهم و يخرب دورهم فيفزع أهل قم إلى جبل يقال لها ورادهاه فيقيم الحسني ببلدهم أربعين يوما و يقتل منهم عشرين رجلا و يصلب منهم رجلين ثم يرحل عنهم. (١٣)
- ٣٧- و عن علي بن عيسى عن أيوب بن يحيى الجندل عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال رجل من أهل قم يدعو الناس إلى الحق يجتمع معه قوم كزبر الحديد لا تزلهم الرياح العواصف و لا يملون من الحرب و لا يجنون و على الله يتوكلون و الغابئة للمؤمنين. (١٤)

- (١) تاريخ قم - بالفارسية - ص ٩٧.
 (٢) تاريخ قم - بالفارسية - ص ٩٧.
 (٣) تاريخ قم - بالفارسية - ص ٩٧.
 (٤) تاريخ قم - بالفارسية - ص ٩٧.
 (٥) في المصدر: «إسحاق بن ناصح».
 (٦) تاريخ قم - بالفارسية - ص ٩٨.
 (٧) في المصدر: «أصحابنا».
 (٨) تاريخ قم - بالفارسية - ص ٩٩.
 (٩) تاريخ قم - بالفارسية - ص ٩٩.
 (١٠) تاريخ قم - بالفارسية - ص ٩٩.
 (١١) تاريخ قم - بالفارسية - ص ٩٩.
 (١٢) تاريخ قم - بالفارسية - ص ٩٩.
 (١٣) تاريخ قم - بالفارسية - ص ٩٩ - ١٠٠.
 (١٤) تاريخ قم - بالفارسية - ص ١٠٠.

٣٨- وبإسناده عن ^(١) عفان البصري عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال لي أندري لم سمي قم قلت الله ورسوله وأنت أعلم قال إنما سمي قم لأن أهله يجتمعون مع قائم آل محمد صلوات الله عليه ويقومون معه ويستقيمون عليه وينصرونه. ^(٢)

٣٩- وعن علي بن عيسى عن علي بن محمد ^(٣) الربيع عن صفوان بن يحيى بباع السابري قال كنت يوما عند أبي الحسن عليه السلام فجرى ذكر قم وأهله وميلهم إلى المهدي عليه السلام فترحم عليهم وقال رضي الله عنهم ثم قال إن للجنة ثمانية أبواب واحد منها لأهل قم وهم خيار شيعتنا من بين سائر البلاد خمر الله تعالى ولايتنا في طينتهم. ^(٤)

٤٠- وروى بعض أصحابنا قال كنت عند أبي عبد الله عليه السلام جالسا إذ قرأ هذه الآية **وَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَاسٍ شَدِيدِ فَجَاسُوا خِلَالِ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا** فقلنا جعلنا فداك من هؤلاء فقال ثلاث مرات هم والله أهل قم. ^(٥)

٤١- وروي عن عدة من أهل الري أنهم دخلوا على أبي عبد الله عليه السلام وقالوا نحن من أهل الري فقال مرحبا بإخواننا من أهل قم فقالوا نحن من أهل الري فأعاد الكلام قالوا ذلك مرارا وأجابهم بمثل ما أجاب به أولا فقال إن لله حرما وهو مكة وإن للرسول حرما وهو المدينة وإن لأمر المؤمنين حرما وهو الكوفة وإن لنا حرما وهو بلدة قم وستدفن فيها امرأة من أولادي تسمى فاطمة فمن زارها وجبت له الجنة قال الراوي وكان هذا الكلام منه قبل أن يولد الكاظم عليه السلام. ^(٦)

٤٢- وفي روايات الشيعة أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما أسري به رأى إبليس باركا بهذه البقعة فقال له قم يا ملعون فسميت بذلك. ^(٧)

٤٣- وروي عن الأئمة عليهم السلام لو لا القيمون لضاع الدين. ^(٨)

٤٤- وروي مرفوعا إلى محمد بن يعقوب الكليني بإسناده إلى علي بن موسى الرضا عليه السلام قال إذا عمت انبيلدان الفتن فليعلمك بقم وحواليها ونواحيها فإن البلاء مرفوع عنها. ^(٩)

٤٥- وقال عليه السلام لذكر بن آدم القمي حين قال الشيخ عنده يا سيدي إني أريد الخروج عن أهل بيتي فقد كثرت السفهاء فقال لا تفعل فإن البلاء يدفع بك عن أهل قم كما يدفع البلاء عن أهل بغداد بأبي الحسن الكاظم عليه السلام. ^(١٠)

٤٦- وعن سهل بن زياد عن علي بن إبراهيم الجعفري عن محمد بن الفضيل عن عدة من أصحابه عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال إن لعلي قم ملكا رفرف عليها بجناحيه لا يريد بها جبار بسوء إلا أذابه الله كذوب الملح في الماء ثم أشار إلى عيسى بن عبد الله فقال سلام الله على أهل قم يستقي الله بلادهم الفيث وينزل الله عليهم البركات ويبدل الله سيئاتهم حسنات هم أهل ركوع وسجود وقيام وقعود هم الفقهاء العلماء الفهماء هم أهل الدراية والرواية وحسن العبادة. ^(١١)

٤٧- وقال أبو عبد الله الفقيه الهمداني في كتاب البلدان إن أبا موسى الأشعري روى أنه سأل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن أسلم المدن وخير المواضع عند نزول الفتن وظهور السيف فقال أسلم المواضع يومئذ أرض الجبل فإذا اضطربت خراسان وقعت الحرب بين أهل جرجان وطبرستان وخرت سجستان فأسلم المواضع يومئذ قصبه قم تلك البلدة التي يخرج منها أنصار خير الناس أبا وأما وجدة وعمامة تلك التي تسمى الزهراء بها موضع قدم جبرئيل وهو الموضع الذي نبع منه الماء الذي من شرب منه أمن من الداء ومن ذلك الماء عجن الطين الذي عمل منه كهية الطير ومنه يغتسل الرضا عليه السلام ومن ذلك الموضع يخرج كيش إبراهيم وعصا موسى وخاتم سليمان. ^(١٢)

٤٨- ومن روايات الشيعة في فضل قم وأهلها ما رواه الحسن بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه بأسانيد

(١) في المصدر إضافة: «أبي».
(٢) في المصدر إضافة: «بن».
(٣) تاريخ قم - بالفارسية - ص ١٠٠ والآية من سورة الإسراء: ٥.
(٤) تاريخ قم - بالفارسية - ص ١٠٠.
(٥) تاريخ قم - بالفارسية - ص ٢١٤ - ٢١٥.
(٦) تاريخ قم - بالفارسية - ص ٢٥.
(٧) لم نثر على هذه الرواية في الفصل الثامن في فضل قم من تاريخ قم - بالفارسية - راجع ص ٩٧ منه.
(٨) تاريخ قم - بالفارسية - ص ٩٧، وفيه: «عن أبي عبد الله عليه السلام».
(٩) تاريخ قم - بالفارسية - ص ٢٧٨.
(١٠) تاريخ قم - بالفارسية - ص ٩٨.
(١١) تاريخ قم - بالفارسية - ص ٩٨.
(١٢) تاريخ قم - بالفارسية - ص ٩٠.

ذكرها عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أن رجلا دخل عليه فقال يا ابن رسول الله إني أريد أن أسألك عن مسألة لم يسألك أحد قبلي ولا يسألك أحد بعدي فقال عساك تسألني عن الحشر والنشر فقال الرجل إي والذي بعث محمدا بالحق بشيرا ونذيرا ما أسألك إلا عنه فقال محشر الناس كلهم إلى بيت المقدس إلا بقعة بأرض الجبل يقال لها قم فإنهم يحاسبون في حفرهم ويحشرون من حفرهم إلى الجنة ثم قال أهل قم مغفور لهم قال فوثب الرجل على رجليه وقال يا ابن رسول الله هذا خاصة لأهل قم قال نعم ومن يقول بمقاتلتهم ثم قال أزيدك قال نعم حدثني أبي عن أبيه عن جده قال قال رسول الله ﷺ نظرت إلى بقعة بأرض الجبل خضراء أحسن لونا من الزعفران وأطيب رائحة من السكك وإذا فيها شيخ بارك على رأسه برنس فقلت حبيبي جبرئيل ما هذه البقعة قال فيها شيعة وصيك علي بن أبي طالب قلت فمن الشيخ البارك فيها قال ذلك إبليس اللعين عليه اللعنة قلت فما يريد منهم قال يريد أن يصدهم عن ولاية وصيك علي ويدعوهم إلى الفسق والفجور فقلت يا جبرئيل أهو بنا إليه فأهوى بنا إليه في أسرع من برق خاطف فقلت له قم يا ملعون فشارك المرجة في نسايتهم وأموالهم لأن أهل قم شيعتي وشيعة وصيي علي بن أبي طالب^(١)

٤٩- وروى محمد بن الحسين بن أبي الخطاب عن محمد بن الحسن الحضرمي عن محمد بن بهلول عن أبي مسلم^(٢) العبدي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال تربة قم مقدسة وأهلها منا ونحن منهم لا يريدهم جبار بسوء إلا عجلت عقوبته ما لم يخونوا إخوانهم فإذا فعلوا ذلك سلط الله عليهم جبابرة سوء أما إنهم أنصار قائمنا ودعاة^(٣) حقنا ثم رفع رأسه إلى السماء وقال اللهم اعصمهم من كل فتنة ونجم من كل هلكة^(٤)

ثم ذكر صاحب التاريخ المشاهد والقبور الواقعة في بلدة قم فقال منها قبر فاطمة بنت موسى بن جعفر عليه السلام وروى أن زيارتها تعادل الجنة.

و روى مشايخ قم أنه لما أخرج المأمون علي بن موسى الرضا عليه السلام من المدينة إلى العرو في سنة مائتين خرجت فاطمة أخته في سنة إحدى ومائتين تطلبه فلما وصلت إلى ساوه مرضت فسألت كم بيني وبين قم قالوا عشرة فراسخ فأمرت خادمها فذهب بها إلى قم وأزلها في بيت موسى بن خزرج بن سعد والأصح أنه لما وصل الخبر إلى آل سعد اتفقوا وخرجوا إليها أن يطلبوا منها النزول في بلدة قم فخرج من بينهم موسى بن خزرج فلما وصل إليها أخذ بزمام ناقته وجرها إلى قم وأزلها في داره فكانت فيها ستة^(٥) عشر يوما ثم مضت إلى رحمة الله ورضوانه فدفنها موسى بعد التفسير والتكفين في أرض له وهي التي الآن مدفنها وبنى على قبرها سقفا من البواري إلى أن بنت زينب بنت الجواد عليها قبة وحدثني الحسين بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه عن محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد أنه لما توفيت فاطمة رضي الله عنها وغسلوها وكفنوها ذهبوا بها إلى بابلان ووضعوها على سرداب حفروه لها فاختلف آل سعد بينهم في من يدخل السرداب ويدفنها فيه فاتفقوا على خادم لهم شيخ كبير صالح يقال له قادر فلما بعثوا إليها رأوا راكبين سريعين متلثمين يأتیان من جانب الرملة فلما قربا من الجنابة نزلا وصليا عليها ودخلا السرداب وأخذوا الجنابة فدفنها ثم خرجا وركبا وذهبا ولم يعلم أحد من هما والمحارب الذي كانت فاطمة عليها السلام تصلي إليها موجود إلى الآن في دار موسى بن الخزرج ثم ماتت أم محمد بنت موسى بن محمد بن علي الرضا عليه السلام فدفنها في جنب فاطمة رضي الله عنهما ثم توفيت ميمونة أختها فدفنها هناك أيضا وبنوا عليهما أيضا قبة ودفن فيها أم إسحاق جارية محمد وأم حبيب جارية محمد بن أحمد الرضا وأخت محمد بن موسى^(٦) ثم قال ومنها قبر أبي جعفر موسى بن محمد بن علي الرضا عليه السلام قال وهو أول من دخل من السادات الرضوية قم وكان مبرقا دائما فأخرجه العرب من قم ثم اعتذروا منه وأدخلوه وأكرموا واشتروا من أموالهم له دارا ومزارع وحسن حاله واشترى من ماله أيضا قرى ومزارع فجاءت إليه أخواته زينب وأم محمد وميمونة بنات الجواد عليهن السلام ثم بريهة بنت موسى فدفن كلهن عند فاطمة رضي الله عنها وتوفي موسى ليلة الأربعاء ثامن شهر ربيع الآخر من سنة ست وتسعين ومائتين ودفن في الموضع المعروف أنه مدفنه^(٧) ومنها قبر أبي علي محمد بن أحمد بن موسى بن محمد

(٢) في المصدر: «سلم» بدل «مسلم».

(٤) تاريخ قم - بالفارسية - ص ٩٢.

(٦) تاريخ قم - بالفارسية - ص ٢١٣ - ٢١٤.

(١) تاريخ قم - بالفارسية - ص ٩١ - ٩٢.

(٣) في المصدر: «رعاة».

(٥) في المصدر: «سبعة عشر».

(٧) تاريخ قم - بالفارسية - ص ٢١٥ - ٢١٦.

بن علي الرضا عليه السلام توفي في سنة خمس عشر وثلاثمائة ودفن في مقبرة محمد بن موسى ثم ذكر مقابر كثير من السادات الرضوية وكثير من أولاد محمد بن جعفر الصادق عليه السلام وكثير من أحفاد علي بن جعفر وقبور كثير من السادات الحسينية وكان أكثر أهل قم من الأشعريين وقال رسول الله ﷺ اللهم اغفر للأشعريين صغيرهم وكبيرهم. ^(١) وقال الأشعريون مني وأنا منهم. ^(٢) وروي عن أحمد بن محمد بن عيسى عن محمد بن خالد عن أبي البخري عن محمد بن إسحاق عن الزهري قال قال رسول الله ﷺ الأزدي والأشعريون وكندة مني لا يعدلون ولا يجبنون. ^(٣) وبهذا الإسناد عن أبي البخري عن الزهري عن زيد بن أسلم قال قال رسول الله ﷺ للأشعريين لما قدموا أنتم المهاجرون إلى الأنبياء من ولد إسماعيل. ثم ذكر أخبارا كثيرة في فضائلهم ثم قال من مفاخرهم إن أول من أظهر التشيع بقم موسى بن عبد الله بن سعد الأشعري. ^(٤)

ومنها أنه قال الرضا عليه السلام لذكرى بن آدم بن عبد الله بن سعد الأشعري إن الله يدفع البلاء بك عن أهل قم كما يدفع البلاء عن أهل بغداد بقرم موسى بن جعفر عليه السلام ^(٥) ومنها أنهم وقفوا المزارع والعقارات الكثيرة على الأئمة عليهم السلام ومنها أنهم أول من بعث الخمس إليهم ومنها أنهم عليهم السلام أكرموا جماعة كثيرة منهم بالهدايا والتحف والأفغان كأبي جرير ذكرى بن إدريس و زكريا بن آدم وعيسى بن عبد الله بن سعد وغيرهم ممن يطول بذكرهم الكلام وشرفوا بعضهم بالخواتيم والخلع وأنهم اشتروا من دعيال الخزاعي ثوب الرضا عليه السلام بألف دينار من الذهب ومنها أن الصادق عليه السلام قال لعمران بن عبد الله أظلك الله يوم لا ظل إلا ظله ^(٦) انتهى ما أخرجه من تاريخ قم ومؤلفه من علماء الإمامية.

بيان: يظهر من هذا التاريخ أن ورادها اسم بعض رساتيق قم وتوابعه وقال فيه سبع عشرة قرية وكان من رساتيق أصبهان فالحق بقم والجمر اسم نهر من الأنهار التي كانت قبل بناء بلدة قم كما يلوح من التاريخ.

وروى الكشي خبر زكريا بن آدم عن محمد بن قولويه عن سعد بن عبد الله عن محمد بن حمزة عن زكريا بن آدم قال قلت للرضا عليه السلام إني أريد الخروج عن أهل بيتي فقد كثر السفهاء فيهم فقال لا تفعل فإن أهل بيتك يدفع عنهم بك كما يدفع عن أهل بغداد بأبي الحسن الكاظم عليه السلام. ^(٧)

٥٠. المجازات النبوية: قال النبي ﷺ أمرت بقرية تأكل القرى تنفي الخبث كما ينفي الكبر خبث الحديد. يريد عليه السلام الهجرة إلى المدينة قال السيد ره فقلوه أمرت بقرية تأكل القرى مجاز والمراد أن أهلها يقهرون أهل القرى فيملكون بلادهم وأموالهم ^(٨) فكانهم بهذه الأحوال يأكلونهم وخرج هذا القول على طريقة للعرب معروفة لأنهم يقولون أكل فلان جاره إذا عدا عليه فانتهك حرمة و اصطفي حريته وعلى ذلك قول علقمة بن عقيل بن علقمة ^(٩) لأبيه في أبيات:

أكلت بيتك ^(١٠) أكل الضب حتى وجدت مدارة الكل ^(١١) الويل

ومن ذلك قوله عليه السلام ^(١٢) في غزوة الحديبية وبع قريش أكلهم ^(١٣) الحرب يريد أنها قد أفنت رجالهم وانتهكت ^(١٤) أموالهم فكانت من هذا الوجه كأنها أكلت لهم قال ذلك في حديث طويل والمراد بقوله تنفي الخبث كما ينفي الكبر خبث الحديد إن أهلها يتمحصون ^(١٥) فتنفي عنها الأشرار ويبقى فيها الأخيار ويفارقها الأخلاط والأفشاء ^(١٦) ولا يصبر عليها إلا الصميم واللباب فيكون بمنزلة الكبر الذي ينفي الأخياف والأدران ويخلص الرصاص ^(١٧) وهذا أيضا

- (١) تاريخ قم - بالفارسية - ص ٢٧٣.
- (٢) تاريخ قم - بالفارسية - ص ٢٧٤.
- (٣) تاريخ قم - بالفارسية - ص ٢٧٨.
- (٤) تاريخ قم - بالفارسية - ص ٢٧٩.
- (٥) اختيار رجال الكشي ص ٥٩٤، رقم ١١١١.
- (٦) في المصدر: «علقة».
- (٧) في المصدر: «مرارة الكلا» بدل «مدارة الكل».
- (٨) في المصدر: «لقد أكلتهم».
- (٩) في المصدر: «يتمحصون».
- (١٠) في المصدر: «وخلص المصاص والتضار».
- (١١) تاريخ قم - بالفارسية - ص ٢٧٤.
- (١٢) تاريخ قم - بالفارسية - ص ٢٧٨.
- (١٣) تاريخ قم - بالفارسية - ص ٢٧٩.
- (١٤) في المصدر: «ويفتنون أموالهم».
- (١٥) في المصدر: «ينفيك».
- (١٦) في المصدر: «عليه الصلاة والسلام».
- (١٧) في المصدر: «انتهت».
- (١٨) في المصدر: «والأوشاب».

مجاز^(١) وقد ورد هذا الخبر بلفظ آخر ذكره عمر بن عبد العزيز قال سمعنا عن رسول الله ﷺ أنه قال المدينة تنفي خبث الرجال كما ينفي الكبر خبث الحديد والمعنى في اللفظين واحد^(٢).

٥١- كتاب جعفر بن محمد بن شريح: عن المعلی الطحان عن محمد بن زياد عن ميمون عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه كان إذا دخل عليه أناس من اليمن قال مرحبا برهط شعيب وأخبار موسى^(٣).

٥٢- وعنه قال سمعت قيس بن الربيع يرفعه إلى النبي ﷺ قال حضرموت خير من الحارثيين^(٤).

٥٣- مجالس الشيخ: عن أحمد بن عبيدون عن علي بن محمد بن الزبير عن علي بن الحسن بن فضال عن العباس بن عامر عن عبد الله بن الوليد قال دخلنا على أبي عبد الله ﷺ فسلمنا عليه وجلسنا بين يديه فسأنا من أتم قلنا من أهل الكوفة فقال أما إنه ليس من بلد من البلدان أكثر محبا لنا من أهل الكوفة ثم هذه العصابة خاصة إن الله هداكم لأمر جهله الناس أحببتونا وأبغضنا الناس وصدقتمونا وكذبنا الناس واتبعتمونا وخالفنا الناس فجعل الله محياكم محيانا ومماتكم مماتنا الخير^(٥).

بيان: ثم هذه العصابة أي هم فيها أكثر من غيرها من البلدان والمراد عصابة الشيعة فإن المحب أعم منها والعصابة بالكسر الجماعة من الناس.

٥٤- مجالس الشيخ: عن الحسين بن عبيد الله الغضائري عن التلعكبري عن محمد بن همام عن عبد الله الحميري عن الطيالسي عن زريق^(٦) الخلقاني قال كنت عند أبي عبد الله ﷺ يوما إذ دخل عليه رجلان من أهل الكوفة من أصحابنا فقال أبو عبد الله ﷺ أتعرفهما قلت نعم هما من مواليك فقال نعم والحمد لله الذي جعل أجلة موالي بالعراق^(٧) الخير.

٥٥- أقول: وجدت بخط الشيخ محمد بن علي الجباعي رحمه الله قال الشيخ محمد بن مكي قدس الله روحه وجد بخط جمال الدين ابن المطهر وجدت بخط والدي ره قال وجدت رقعة عليها مكتوب بخط عتيق ما صورته بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هذا ما أخبرنا به الشيخ الأجل العالم عز الدين أبو المكارم حمزة بن علي بن زهرة الحسيني الحلبي إملأه من لفظه عند نزوله بالحلة السيفية وقد وردها حاجا سنة أربع وسبعين وخمسائة ورأيت يلتفت يمنة ويسرة فسألته عن سبب ذلك قال إنني لأعلم أن لمدينتكم هذه فضلا جزيلا قلت وما هو قال أخبرني أبي عن أبيه عن جعفر بن محمد بن قولويه عن الكليني قال حدثني علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن أبي حمزة الثمالي عن الأصبغ بن نباتة قال صحبت مولاي أمير المؤمنين ﷺ عند وروده إلى صفين وقد وقف على تل عرير ثم أوما إلى أجمة ما بين بابل والتل وقال مدينة وأي مدينة فقلت له يا مولاي أراك تذكر مدينة أكان هاهنا مدينة وانمحت آثارها فقال لا ولكن ستكون مدينة يقال لها الحلة السيفية يمدنها رجل من بني أسد يظهر بها قوم أخيار لو أقسم أحدهم على الله لأبر قسمه^(٨).

بيان: عرير بالمهملتين أي مفرد وفي القاموس العرير الغريب في القول^(٩) أو بالمعجمتين أي منبع رفيع والحلة بالكسر بلدة معروفة وصفها بالسيفية لأنها بناها سيف الدولة.

٥٦- ووجدت أيضا بخط الشيخ المتقدم نقلا من خط الشهيد قدس سره قال الراوندي قال الباقر ﷺ إن الله وضع تحت العرش أربعة أساطين وسماه الضراح ثم بعث ملائكة فأمرهم ببناء بيت في الأرض بمثاله وقدره فلما كان الطوفان رفع فكانت الأنبياء يحجونه ولا يعلمون مكانه حتى بوأه الله لإبراهيم فأعلمه مكانه فبناه من خمسة أجبل من حراء ونبير ولبنان وجبل الطور وجبل الخمر. قال الطبري وهو جبل بدمشق^(١٠).

(٢) المجازات النبوية ص ٣٢٦، حديث ٢٥٥.

(٤) كتاب جعفر بن شريح ضمن الأصول الستة عشر ص ٨١.

(٦) في المصدر: «زريق».

(٨) لم نعر على هذا الخط.

(١٠) لم نعر على هذا الخط.

(١) في المصدر إضافة: «ثان».

(٣) كتاب جعفر بن شريح ضمن الأصول الستة عشر ص ٨١.

(٥) أمالي الطوسي ص ٦٧٨ مجلس ٣٧، حديث ١٩.

(٧) أمالي الطوسي ص ٦٩٨ مجلس ٣٩، حديث ٣٣.

(٩) القاموس المحيط ج ٢ ص ٩٠ وفيه: «القوم» بدل «القول».

بيان: قال الفيروز آبادي الخمر بالتحريك جبل بالقدس^(١) وقال لبنان بالضم جبل بالشام.^(٢)

٥٧- كنز الكواجكي: قال روى الشريف أبو محمد الحسن بن محمد الحسيني عن علي بن عثمان^(٣) الأشج المعروف بأبي الدنيا قال حدثني أمير المؤمنين^(٤) قال قال رسول الله ﷺ من أحب أهل اليمن فقد أحبني ومن أبغضهم فقد أبغضني.^(٥)

٥٨- شرح النهج لابن ميثم: قال لما فرغ أمير المؤمنين^(٦) من حرب الجمل خطب الناس بالبصرة فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي^(٧) ثم قال يا أهل البصرة^(٨) يا أهل المؤتفة انتفتك بأهلها ثلاثا وعلى الله تمام الرابعة يا جند المرأة وأغوان الهيمة رغا فاجتتم وعقر فانهزمت أخلاقكم دقاق ودينكم نفاق وماؤم زعاق^(٩) بلادكم أنتم بلاد الله تربة وأبعدها من السماء بها تسعة أعشار الشر المحتبس فيها بذنبه والخارج منها بغفو الله كأنني أنظر إلى قريبتكم هذه وقد طبّقها الماء حتى ما يرى منها إلا شرف المسجد كأنه جَوْجُ طير في لجة بحر وساق إلى قوله إذا هم رأوا البصرة قد تحولت أعضاها دورا وأجامها قصورا فالهرب الهرب فإنه لا بصرة لكم يومئذ.

ثم التفت عن يمينه فقال كم بينكم وبين الأئمة فقال له المنذر بن الجارود فذاك أبي وأمي أربعة فراسخ قال له صدقت فو الذي بعث محمدا وأكرمهم بالنبوة وخصه بالرسالة وعجل بروحه إلى الجنة لقد سمعت منه كما تسمعون مني أن قال يا علي هل علمت أن بين التي تسمى البصرة والتي تسمى الأئمة أربعة فراسخ وسيكون في التي تسمى الأئمة موضع أصحاب العشور يقتل في ذلك الموضع من أمتي سبعون ألف شهيد هم يومئذ بمنزلة شهداء بدر.

فقال له المنذر يا أمير المؤمنين ومن يقتلهم فذاك أبي وأمي قال يقتلهم إخوان وهم جيل كأنهم الشياطين سود أرواحهم شديد كلبهم قليل سلبهم طوبى لمن قتلوه ينفر لجهادهم في ذلك الزمان قوم هم أدلة عند المتكبرين من أهل ذلك الزمان مجهولون في الأرض معروفون في السماء تبكي السماء عليهم وسكانها والأرض وسكانها ثم هملت عيناه بالياء ثم قال ويحك يا بصرة من جيش لا رجع له ولا حس فقال له المنذر يا أمير المؤمنين وما الذي يصيبهم من قبل الفرق مما ذكرت وما الويح فقال هما بابان فالويح باب رحمة والويل باب عذاب يا ابن الجارود نعم تارات عظيمة منها عصبة يقتل بعضها بعضا ومنها فتنة يكون بها إخراج منازل وخراب ديار وانتهاك أموال وسب ساء يذبحن ذبحا يا ويل أمرهن حديث عجيب ومنها أن يستحل بها الدجال الأكبر الأعور الممسوح العين اليمنى والأخرى كأنها مزوجة بالدم لكانها في الحمرة علقه نائتي الحديقة كهينة حبة العنب الطافية على الماء فيتبعه من أهلها عدة من قتل بالأئمة من الشهداء أناجيلهم في صدورهم يقتل من يقتل ويهرب من يهرب ثم رجف ثم قذف ثم خسف ثم مسخ ثم الجوع الأغبر ثم الموت الأحمر وهو الفرق.

يا منذر إن للبصرة ثلاثة أسماء سوى البصرة في الزبر الأول لا يعلمها إلا العلماء منها الخريبة ومنها تدمر ومنها المؤتفة وساق إلى أن قال يا أهل البصرة^(١٠) إن الله لم يجعل لأحد من أمصار المسلمين خطة شرف ولا كرم إلا وقد جعل فيكم أفضل ذلك وزادكم من فضله بمنه ما ليس لهم أنتم أقوم الناس قبلة قبلكم على^(١١) المقام حيث يقوم الإمام بسكة وقارئكم أقرأ الناس وجاهدكم أزهد الناس وعابذكم أبعد الناس وتاجرکم أنجر الناس وأصدقهم في تجارته ومتصدقكم أكرم الناس صدقة وغنيكم أشد الناس بذلا وتواضعا وشريفكم أحسن الناس خلقا وأنتم أكثر الناس جوارا وأقلهم تكلفا لما لا يعنيه وأحرصهم على الصلاة في جماعة ثمرتكم أكثر الثمار وأموالكم أكثر الأموال وصغاركم أكيس الأولاد ونساؤكم أمتع النساء وأحسنهن تبعا سخر لكم الماء يقدو عليكم ويروح صلاحا لمعاشكم والبحر سببا لكثرة أموالكم فلو صبرتم واستقمتم لكانت شجرة طوبى لكم مقيلا وظلًا ظليلا غير أن حكم الله ماض وقضاء نافذ لنا مُعَقَّبٌ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْجِسَابِ يقول الله ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ

(١) القاموس المحيط ج ٢ ص ٢٣.

(٢) القاموس المحيط ج ٤ ص ٢٦٦.

(٣) في المصدر إضافة: «المعمر».

(٤) كنز الغرائد ج ٣ ص ١٥٤.

(٥) في المصدر إضافة: «واستغفر المؤمنين والمسلمين والمسلمات».

(٦) عبارة: «يا أهل البصرة» ليست في المصدر.

(٧) من قوله: «و ساق إلى قوله» - إذا هم» حتى «يا أهل البصرة» ليست في المصدر.

(٨) في المصدر: «عن» بدل «على».

(٩) في المصدر: «و ماؤم زعاق» قيل عبارة «و دينكم نفاق».

الْقِيَامَةِ أَوْ مَعْدُوبَهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا^(١) ثم ساق الخطبة إلى قوله إن رسول الله ﷺ قال لي يوما وليس معه غيري إن جبرئيل الروح الأمين حملني على منكبيه الأيمن حتى أراني الأرض ومن عليها وأعطاني أقاليدها وعلمني ما فيها وما قد كان على ظهرها وما يكون إلى يوم القيامة ولم يكبر ذلك علي^(٢) كما لم يكبر علي أبي آدم علمه الأسماء كلها ولم تعلمها الملائكة المقربون وإني رأيت بقعة على شاطئ البحر تسمى البصرة فإذا^(٣) هي أبعد الأرض من السماء وأقربها من الماء وإنها لأسرع الأرض خرابا وأخشنها ترابا وأشدّها عذابا ولقد خسف بها في القرون الخالية مرارا وليأتين عليها زمان وإن لكم يا أهل البصرة وما حولكم من القرى من الماء ليومًا عظيمًا بلاؤه وإني لأعلم موضع منفجره من قرينكم هذه ثم أمور قبل ذلك تدهمكم عظيمة أخفيت عنكم وعلماها فمن خرج عنها عند دنو غرقها فبرحة من الله سبقت له ومن بقي فيها غير مرابط بها فبذنبه وما الله بظلامٍ لبلعيب^(٤).

توضيح: المؤتلفة المنقلبة والانتقال هنا إما حقيقة كقرى قوم لوط أو لأنها غرقت كأنها انقلبت طبقتها الماء بالتشديد أي غطاها وعما والأخصاص جمع خص بالضم بيت يعمل من الخشب والقصب والآجام جمع أجمة بالتحريك وهي منبت القصب وقيل هي الشجر الكثير الملفن والأبلة بضم الهمزة والباء وتشديد اللام الموضع الذي به مدينة البصرة اليوم وكان من قرى البصرة وبساتينها يومئذ وكانوا يعدونه إحدى الجنات الأربع وفي الأبلة اليوم موضع العشارين حسب ما أخبر به والجيل بالكسر الصف من الناس وقيل كل قوم يختصون بلغة فهم جيل والأرواح جمع الريح بمعنى الرائحة والكلب بالتحريك الشر والأذى وشبه جنون يعرض لمن عضه الكلب والكلب والسلب بالتحريك ما يأخذه أحد القرنين في الحرب من قرنه مما يكون عليه ومعه من سلاح وثياب ودابة وغيرها ينفر لجهادهم أي يخرج لقتالهم ويقال هملت عينه أي فاضت بالدمع والرهج بالتحريك الغبار والحس بالكسر صوت المشي والصوت الخفي وهو إشارة إلى صاحب الزنج كما مر والتارات جمر التارة بمعنى المرة أي فتن عظيمة مرة بعد أخرى والعصبة بالضم الجماعة أو بالتحريك بمعنى الأقرباء وانتهاك الأموال أخذها بما لا يحل وسبب النساء بالكسر والمدأسرهن ويستحل بها الدجال أي يتخذها منزلا ويسكنها والدجال من الدجل وهو الخلط والتلبيس والكذب وصفه بالأكبر يدل على تعدد من يدعي الأباطيل والأعور من ذهب إحدى عينيه والممسوح صفة مخصصة للأعور والثاني المرتفع وطفا على الماء علا ولم يرسب والجفة الزلزلة والاضطراب والقذف الرمي بالحجارة ونحوها والخسف الذهاب في الأرض وخسف المكان أن يغيب في الأرض والمسح تحويل صورة إلى ما هو أفتح منها وصف الجوع بالأغبر إما لأن الجوع يكون في السنين المجدة وسوا الجذب تسمى غيرا لاغيرا آفاقها من قلة الأمطار وأرضها من عدم النبات أو لأن وجه الجائع يشبه الوجه المغبر والموت الأحمر يعبر به في الأكثر عن القتل وفسر هنا بالفرق والخريبة بضم الخاء المعجمة وفتح الراء المهملة والباء الموحدة علم محلة من محال البصرة كانوا يسمونها البصرة الصغرى وتدمر كنتصر من الدمار بمعنى الهلاك وفي اللغة أنها بلد بالشام والخطبة بالضم الأمر والقصة والأقاليد جمع أقليد بالكسر وهو المفتاح ولم يكبر ذلك علي أي قويت عليه وقدرت أو لم أستظلمها من فضل ربي والتوبين في زمان لتفخيم أي زمان شديد فظيع والمرابطة الإرصاء لحفظ الثغر.

٥٩- أقول: وروى القاضي نور الله التستري قدس الله روحه في كتاب مجالس المؤمنين عن الصادق عليه السلام أنه قال إن لله حرما وهو مكة ألا إن لرسول الله حرما وهو المدينة ألا وإن لأمير المؤمنين حرما وهو الكوفة ألا وإن قم الكوفة الصغيرة ألا إن للجنة ثمانية أبواب ثلاثة منها إلى قم تقبض فيها امرأة من ولدي اسمها فاطمة بنت موسى وتدخل بشفاعتها شيعة الجنة بأجمعهم^(٥).

(١) من المصدر.

(٢) شرح النهج لابن ميثم ج ١ ص ٢٨٩ - ٢٩٢.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٥٨.

(٤) في المصدر: «فإذن».

(٥) مجالس المؤمنين ج ١ ص ٨٣.

٦٠- وعن سعد بن سعد عن الرضا عليه السلام قال يا سعد من زارها فله الجنة. (١)

٦١- وعنه قال إذا عمت البلدان القتن و البلايا فليكنم بقم و حواشيها و نواحيها فإن البلايا مدفوع (٢) عنها. (٣)

٦٢- وعن الرضا عليه السلام قال للجنة ثمانية أبواب فثلاثة منها لأهل قم فطوبى لهم ثم طوبى لهم. (٤)

٦٣- وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال صلوات الله على أهل قم و رحمة الله على أهل قم سقى الله بلادهم الغيث إلى آخر ما مر عن الصادق عليه السلام. (٥)

٦٤- وأقول روى الشيخ الأجل عبد الجليل الرازي في كتاب القصص بإسناده عن النبي صلى الله عليه وآله قال لما عرج بي إلى السماء مررت بأرض بيضاء كافورية شممت بها رائحة طيبة فقلت يا جبرئيل ما هذه البقعة قال يقال لها آبة عرضت عليها رسالتك وولاية ذريتك فقبلت وإن الله يخلق منها رجالا يتولونك ويتولون ذريتك فبارك الله عليها وعلى أهلها. (٦)

٦٥- معجم البلدان: قال روي أنه في التوراة (٧) مكتوب الري باب من أبواب الأرض و إليها متجر الخلق.

و قال الأصمعي الري عروس الدنيا و إليها متجر الناس.

قال و روي عن جعفر الصادق عليه السلام أن الري و قزوین و ساوه ملعونات مشحومات. (٨)

٦٦- كشف الغمة: عن ابن أعثم الكوفي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال ويحيا للطالقان فإن لله تعالى بها كنوزا ليس من ذهب و لا فضة و لكن بها رجال مؤمنون عرفوا الله حق معرفته و هم أنصار المهدي في آخر الزمان. (٩)

٦٧- وأقول وجدت في أصل عتيق من أصول أصحابنا أظن أنه لوالد الصدوق أو ممن عاصره عن عبد العزيز بن جعفر بن محمد عن عبد العزيز بن يونس الموصلي عن إبراهيم بن الحسين عن محمد بن خلف عن موسى بن إبراهيم عن الكاظم عن أبيه عن آبائه عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله قزوین باب من أبواب الجنة. (١٠)

٦٨- الدر المنثور: من عدة كتب عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لمكة ما أطيبك من بلده و أحبك إلي لو لا أن قومك أخرجنني منك ما خرجت.

و في رواية أخرى ما سكنت غيرك. (١١)

٦٩- وعن عبد الرحمن بن سابط قال لما أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن ينطلق إلى المدينة استلم الحجر و قام وسط المسجد و التفت إلى البيت فقال إني لأعلم ما وضع الله في الأرض بيتا أحب إليه منك و ما في الأرض بلد أحب إليه منك و ما خرجت عنك رغبة و لكن الذين كفروا هم أخرجنني. (١٢)

٧٠- كتاب قسمة أقاليم الأرض و بلدانها تأليف بعض المخالفين قال بلد المهدي مدينة حسنة حصينة بناها المهدي الفاطمي و حصنها و جعل لها أبوابا من حديد في كل باب ما يزيد على المائة قطار و لما بناها و أحكمها قال الآن أمنت على الفاطميين. (١٣)

بيان: أقول لهذه المدينة قصة طويلة غريبة أوردها في كتاب الغيبة. (١٤)

٧١- و من كتاب المذكور: قال دخل ذو القرنين جزيرة عظيمة فوجد بها قوما قد أنحلثهم العبادة حتى صاروا كالحم السود فسلم عليهم فردوا عليهم فقال إني لأعلم ما وضع الله في الأرض بيتا أحب إليه منك و ما في الأرض بلد أحب إليه منك و ما خرجت عنك رغبة و لكن الذين كفروا هم أخرجنني. (١٥)

(١) مجالس المؤمنين ج ١ ص ٨٣.

(٢) مجالس المؤمنين ج ١ ص ٨٣.

(٣) مجالس المؤمنين ج ١ ص ٨٣.

(٤) في المصدر: «التوراة».

(٥) معجم البلدان ج ٣ ص ١١٨، و فيه: «مشحومات» بدل «شومات».

(٦) كشف الغمة ج ٢ ص ٢٧٨ فصل ذكر خروج المهدي عجل الله فرجه.

(٧) الدر المنثور ج ١ ص ١٢٣.

(٨) الدر المنثور ج ١ ص ١٢٣.

(٩) لم نثر على كتاب قسمة أقاليم الأرض هذا.

(١٠) أورد المؤلف رحمه الله قصة الجزيرة ج ٥٢ ص ١٥٩ - ١٧٤ من المطبوعة.

(١١) كذا في المصدر.

(١٢) مجالس المؤمنين ج ١ ص ٨٣.

(١٣) لم نثر على هذا الكتاب.

إلى راد لا نهاية لطوله و عرضه و هو متضد من ألوان الدر و الباقوت و الزبرجد و البلخش و الأحجار التي لم ترفى الدنيا و الجواهر التي لا تقوم و رأى شيئا لا يحتمله العقول و لا يوصف و لو اجتمع العالم على نقله أو بعضه لعجزوا فقال لا إله إلا الله و سبحان من له الملك العظيم و يخلق الله ما لا يعلمه الخلائق ثم انطلقوا به من شفير ذلك الوادي حتى أتوا به إلى مستو واسع من الأرض به أصناف الأشجار و أنواع الثمار و ألوان الأزهار و أجناس الطيور و خرب الأنهار و أفياء و ظلال و نسيم ذو اعتدال و نزه و رياض و جنات و غياض فلما رأى ذو القرنين ذلك سبى الله العظيم و استصغر أمر الوادي و ما به من الجواهر عند ذلك المنظر البهيح الزاهر فلما تعجب قالوا له في ملك ملك في الدنيا بعض ما ترى قال لا و حق عالم السر و النجوى فقالوا كل هذا بين أيدينا و لا تميل أنفسنا إلى شيء من ذلك و اقتنعنا بما نقوى به على عبادة الرب الخالق و من ترك لله شيئا عوضه الله خيرا منه فسر عنا و دعنا بحالنا أرشدنا الله و إياك ثم ودعوه و فارقوه و قالوا له دونك و الوادي فاحمل منه ما تريد فأبى أن يأخذ من ذلك شيئا قال ثم أتى ذو القرنين جزيرة عظيمة فرأى بها قوما لباسهم ورق الشجر و بيوتهم كهوف في الصخر و الحجر فسألهم عن مسائل في الحكمة فأجابوه بأحسن جواب و أنطف خطاب فقال لهم سلوا حوائجكم لتقتضى فقالوا له نسألك الخلد في الدنيا أني فقال و أني به نفسي و من لا يقدر على زيادة نفس من أنفاسه كيف يبلغكم الخلد فقال كبيرهم نسألك صحة في أبداننا ما بقينا قاتل و هذا أيضا لا أقدر عليه فقالوا فعرنا بقية أعمارنا فقال لا أعرف ذلك لروحي فكيف بكم فقالوا له فرغنا نطلب ذلك ممن يقدر على ذلك و أعظم من ذلك و جعل الناس ينظرون إلى كثرة جنوده و عظمة موكبهم و بينهم شيخ صعلوك لا يرفع رأسه فقال له ذو القرنين ما لك لا تنظر إلى ما ينظر إليه الناس قال الشيخ ما أعجبنى الملك الذي رأيته قبلك حتى أنظر إليك و إلى ملكك فقال و ما ذاك قال الشيخ كان عندنا ملك و آخر صعلوك فماتا في يوم واحد ثم جئت إليهما و اجتهدت أن أعرف الملك من الصعلوك فلم أعرفه قال فتركهم ذو القرنين و انصرف عنهم.^(١)

٢٢١
٦١
٧٢- العيون: عن تميم بن عبد الله القرشي عن أبيه عن أحمد بن علي الأنصاري عن أبي الصلت الهروي قال كنت عند الرضا عليه السلام فدخل عليه قوم من أهل قم فسلموا عليه فرد عليهم و قريهم ثم قال لهم مرحبا بكم و أهلا فأنتم شيعتنا حقا فسيأتي عليكم يوم تزورون فيه تربتي بطوس ألا فمن زارني و هو على غسل خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه.^(٢)

٧٣- ومنه: عن محمد بن أحمد السناني عن محمد بن جعفر الأسدي عن سهل بن زياد عن عبد العظيم بن عبد الله الحسيني قال سمعت علي بن محمد العسكري عليه السلام يقول أهل قم و أهل آية مغفور لهم لزيارتهم لجدي علي بن موسى الرضا بطوس ألا و من زاره فأصابه في طريقه قطرة من السماء حرم الله جسده على النار.^(٣)

٢٢٢
٦١
٧٤- الكافي: عن أبي علي الأشعري عن محمد بن سالم و علي بن إبراهيم عن أبيه جميعا عن أحمد بن النضر و محمد بن يحيى عن محمد بن أبي القاسم عن الحسين بن أبي قتادة جميعا عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال خرج رسول الله ﷺ لعرض الخيل و ساق الحديث إلى قوله فمر بفرس^(٤) فقال عينة بن حصين إن من أمر هذا الفرس كيت و كيت فقال رسول الله ﷺ ذرنا فأننا أعلم بالخيل منك فقال و أنا أعلم بالرجال منك فغضب رسول الله ﷺ حتى ظهر الدم في وجهه فقال له فأني الرجل أفضل فقال عينة بن حصين رجال يكونون بسنجد يضعون سيوفهم على عواتقهم و رماحهم على كواثب خيلهم ثم يضربون بها قدما^(٥) فقال رسول الله ﷺ كذبت بل رجال أهل اليمن أفضل الإيمان يمني و الحكمة يمانية و لو لا الهجرة لكنت امرأة من أهل اليمن الجفاء و القسوة في الفدادين أصحاب الوبر ربيعة و مضر من حيث يطلع قرن الشمس و مذحج أكثر قبيل يدخلون الجنة و حضرموت خير من عامر بن صعصعة و روى بعضهم خير من الحرث بن معاوية و بجيلة خير من رعل و ذكوان و إن يهلك لحيان فلا أبالي ثم قال لعن الله الملوك الأربعة جمدا و مخوسا و مشرحا و أبضعة و أختهم العمردة و ساق الحديث إلى قوله لعن الله رعلا و ذكوان و عضلا و لحيان و المجذمين من أسد و غطفان و أباسفيان بن حرب و شهبلا ذا الأسنان و ابني مليكة بن جزي و مروان و هودة و هونة.^(٦)

(١) لم نثر على هذا الكتاب.

(٢) عيون الأخبار ج ٢ ص ٢٦٠.

(٣) في المصدر إضافة: «قدما».

(٤) الكافي ج ٨ ص ٧٠-٧٢، حديث النبي صلى الله عليه و آله حين عرضت عليه الخيل، رقم ٢٧.

(٥) في المصدر: «فمر به فرس».

٧٥- كتاب جعفر بن محمد بن شريح: عن معلى الطحان عن بريد^(١) بن يزيد بن جابر عن عبد الله بن بشير^(٢) عن ابن عيينة بن حصين قال عرض رسول الله ﷺ يوما خيلا و عنده أبي عيينة بن حصين بن حذيفة بن بدر فقال رسول الله ﷺ أنا أبصر بالخيول منك فقال عيينة و أنا أبصر بالرجال منك يا رسول الله فقال النبي ﷺ كيف قال فقال إن خير الرجال الذين يضعون أسياهم على عواتقهم و يعرضون رماحهم على منابك خيولهم من أهل نجد فقال النبي ﷺ كذبت إن خير الرجال أهل اليمن و الإيمان يمان و أنا يمانى و أكثر قبائل دخول الجنة يوم القيامة مذبح و حرموت خير من بني الحرث بن معاوية حي من كندة إن يهلك لحيان^(٣) فلا أبالي فلعن الله الملوك الأربعة جمدا و مخوسا و مشرحا و أبضعة^(٤) و أختهم العمدة^(٥).

بيان: قال الجوهري قال أبو عبيدة يقال كان من الأمر كيت و كيت بالفتح و كيت و كيت بالكسر و التاء فهما هاء في الأصل فصارت تاء^(٦) و في النهاية الكواكب جمع كائبة و هي من الفرس مجتمع كنيفه قدام السرج^(٧) و قال رجل قدم بضمين أي شجاع و مضى قدما أي لم يرجع^(٨) و لم ينتن و قال فيه الإيمان يمان و الحكمة يمانية إنما قال ذلك لأن الإيمان بدا من مكة و هي من تهامة و تهامة من أرض اليمن و لهذا يقال الكعبة اليمانية و قيل إنه قال هذا القول للأنصار لأنهم يمانون و هم نصروا الإيمان و المؤمنين و آوهم فنسب الإيمان إليهم^(٩) و قال الجوهري اليمن بلاد للعرب و النسبة إليهم يمني و يمان مخففة و الألف عوض من ياء النسب فلا يجتمعان قال سيبويه و بعضهم يقول يمانى بالتشديد^(١٠) انتهى و قال في شرح السنة هذا ثناء على أهل اليمن لإسراعهم إلى الإيمان و حسن قبولهم إياه^(١١).

قوله ﷺ لو لا الهجرة لعل المعنى لو لا أني هجرت عن مكة لكنت اليوم من أهل اليمن إذ مكة منها أو المراد أنه لو لا أن المدينة كانت أولا دار هجرتي و اخترتها بأمر الله لا اتخذت اليمن وطننا أو الغرض أنه لو لا أن الهجرة أشرف لعددت نفسي من الأنصار و في النهاية فيه إن الجفاء و القسوة في الفدادين الفدادون بالتشديد هم الذين تعلقوا أصواتهم في حروثهم و مواشيهم واحدهم فداد يقال فد الرجل يفد فديدا إذا اشتد صوته و قيل هم المكثرون من الإبل و قيل هم الجمالون و البقارون و الحمارون و الرعيان و قيل إنما هو الفدادين مخففا واحدها فدان مشددا و هي البقر التي يحرث بها و أهلها أهل جفاء و قسوة^(١٢) انتهى.

قوله أصحاب الوبر أي أهل البوادي فإن بيوتهم يتخذونها منه قوله من حيث يطلع قرن الشمس قال الجوهري قرن الشمس أعلاها و أول ما يبدو منها في الطلوع^(١٣) انتهى و لعل المراد أهل البوادي من هاتين القيليتين الكائنيتين في مطلع الشمس أي في شرقي المدينة و روي في شرح السنة بإسناده عن عقبة بن عمرو قال أشار رسول الله ﷺ بيده نحو اليمن فقال الإيمان يمان هاهنا إلا أن القسوة و غلظ القلوب في الفدادين عند أصول أذناب الإبل حيث يطلع قرن الشيطان في ربيعة ومضر^(١٤) و بإسناده عن ابن عمر أنه قال رأيت رسول الله ﷺ يشير إلى المشرق و يقول إن الفتنة هاهنا إن الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان^(١٥) و قال النووي قرن الشيطان قبل المشرق أي جمعا المعغويان أو شيعته من الكفار يريد مزيد تسلطه في المشرق و كان ذلك في عهده ﷺ و يكون حين يخرج الدجال من المشرق و هو في ما بين ذلك منشأ الفتن العظيمة و مشار الترك^(١٦) العاتية^(١٧) انتهى و لا يبعد أن يكون في هذا الخبر أيضا قرن الشيطان فصحف و قال

(١) في المصدر: «يزيد» بدل «بريد».

(٢) في المصدر: «الحيان».

(٣) في المصدر: «حيدا» و مشرحا و محوصا و الصدء.

(٤) كتاب جعفر بن محمد بن شريح ضمن الأصول الستة عشر ص ٨٠ - ٨١.

(٥) النهاية ج ٣ ص ١٥٢.

(٦) الصحاح ج ١ ص ٦٦٣.

(٧) النهاية ج ٤ ص ٢٦.

(٨) الصحاح ج ٤ ص ٢٢١٩.

(٩) النهاية ج ٣ ص ٤١٩، و فيه: «أهل جفاء و غلظة».

(١٠) شرح السنة ج ٨ ص ١٥٣.

(١١) في المصدر: «ومشار الكفرة الترك الفاشمة العاتية».

(١٢) شرح صحيح مسلم ج ٢ ص ٣٤ باب (تفاضل أهل الإيمان) ملخصاً.

الجوهري مذبح كمسجد أبو قبيلة من اليمن^(١) وقال حضرموت اسم بلد وقبيلة أيضا و هما اسمان جعلا واحدا إن شئت بنيت الاسم الأول على الفتح و أعربت الثاني بإعراب ما لا ينصرف قلت هذا حضرموت وإن شئت أضفت الأول إلى الثاني قلت هذا حضرموت أعربت حضرا و خفضت موتا و كذلك القول في سام أيرص و رام هرمز^(٢) و قال عامر بن صعصعة أبو قبيلة هو عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن^(٣) و في القاموس بقبيلة كسيفينة حي باليمن من معد^(٤) و رعل و ذكوان قبيلتان من بني سليم^(٥) و قال لحيان أبو قبيلة^(٦) و قال مخوس كمنبر و مشرح و جمد و أبضعة بنو معد يكرب الملوك الأربعة الذين لعنهم رسول الله ﷺ و لعن أختهم العمردة وفدوا مع الأشعث فأسلموا ثم ارتدوا فقتلوا يوم النجير فقالت نانتحتهم يا عين بكى للملوك^(٧) الأربعة^(٨) و قال العمرد كعملس الطويل من كل شيء إلى أن قال و بهاء أخت^(٩) الذين لعنهم النبي ﷺ^(١٠) انتهى و المجذمين لعل المراد بهم المنسوبون إلى جذيمة و لعل أسدا و غطفان كلتهما منسوبتان إليها قال الجوهري جذيمة قبيلة من عبد القيس ينسب إليهم جذمي بالتحريك و كذلك إلى جذيمة بني أسد^(١١) و قال الفيروز آبادي غطفان محركة حي من قيس^(١٢) و لعل شهلا بالشين المعجمة و الباء الموحدة و في بعض النسخ بالسین المهملة و الباء المثناة اسم و كذا ما بعده إلى آخر الخبر أسماء رجال و أقول قد مضت الأخبار الكثيرة في ذم البصرة في كتب الفتن و سباني أخبار مدح الكوفة و الغري و كربلاء و طوس و مكة و المدينة في كتاب المزار و كتاب الحج لم نوردنا هاهنا حذرا من التكرار.

٧٦- إكمال الدين: عن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب عن أحمد بن محمد بن عبد الله بن زيد الشمراني من ولد عمار بن ياسر رضي الله عنه يقول حكى أبو القاسم محمد بن القاسم البصري^(١٣) أن أبا الحسن^(١٤) حمادويه بن أحمد بن طولون كان قد فتح عليه من كنوز مصر ما لم يرزق أحد قبله فأغرى بالهرمين فأشار عليه ثقافته و حاشيته و بطانته أن لا يتعرض لهدم الأهرام فإنه ما تعرض أحد لها فطال عمره فلج^(١٥) في ذلك و أمر ألفا من الفعلة أن يطلبوا الباب و كانوا يعملون سنة حواله حتى ضجروا و كلوا فلما هموا بالانصراف بعد الإيأس منه و ترك العمل وجدوا سريا فقدروا أنه الباب الذي يطلبونه فلما بلغوا آخره وجدوا بلاطة قائمة من مرمر فقدروا أنها الباب فاحتالوا فيها إلى أن قلعوها و أخرجوها^(١٦) فإذا عليها كتابة يونانية فجمعوا حكماء مصر و علماءها فلم يهتدوا لها و كان في القوم رجل يعرف بأبي عبد الله المدائني أحد حفاظ الدنيا و علمائها فقال لأبي الحسن^(١٧) حمادويه بن أحمد أعرف في بلد الحبشة أسفا قد عمر و أتى عليه ثلاثمائة و ستون سنة يعرف هذا الخط و قد كان عزم على أن يعلمني فبحرصي على علم العرب لم أقم عليه و هو باق فكتب أبو الحسن إلى ملك الحبشة يسأله أن يحمل هذا الأسقف إليه فأجابه أن هذا قد طعن في السن و حطمه الزمان و إنما يحفظه هذا الهواء^(١٨) و يخاف عليه أن نقل إلى هواء آخر و إقليم آخر و لحقته حركة و تعب و مشقة السفر أن يتلف و في بقاءه لنا شرف و فرح و سكينه فإن كان لكم شيء يقرأه أو يفسره أو مسألة تسألونه فالكبت بذلك^(١٩) فحملت البلاطة في قارب إلى بلد أسوان من الصعيد الأعلى و حملت من أسوان على العجلة إلى بلاد الحبشة و هي قريبة من أسوان فلما وصلت قرأها الأسقف و فسر ما فيها بالحبشية ثم نقلت إلى العربية فإذا فيها مكتوب أنا الريان بن دومغ فستل أبو عبد الله عن الريان من هو قال هو والد العزيز ملك يوسف ﷺ و اسمه^(٢٠) الريان بن دومغ و قد كان عمر العزيز سبعمائة سنة و عمر الريان والده ألف و سبعمائة سنة و عمر دومغ ثلاثة آلاف سنة فإذا فيها:

- (١) الصحاح ج ١ ص ٣٤٠.
 (٢) الصحاح ج ٢ ص ٣٤٣.
 (٣) القاموس المحيط ج ٣ ص ٣٤٣.
 (٤) القاموس المحيط ج ٤ ص ٣٨٧.
 (٥) القاموس المحيط ج ٢ ص ٢٢٠.
 (٦) القاموس المحيط ج ١ ص ٣٢٩.
 (٧) القاموس المحيط ج ٣ ص ١٨٧.
 (٨) في نسخة من المصدر: «أبا الجيش» و كذا في ما بعد.
 (٩) في المصدر: «فألق».
 (١٠) في المصدر إضافة: «قال محدث بن المظفر: و جدوا من ورائها بناء منصبا لا يقدروا عليه فأخرجوها ثم نظفوها».
 (١١) في المصدر: «الحيش» بدل «الحسن».
 (١٢) في المصدر: «فاكتب لي بذلك».
 (١٣) في المصدر: «فألق».
 (١٤) في المصدر إضافة: «قال محدث بن المظفر: و جدوا من ورائها بناء منصبا لا يقدروا عليه فأخرجوها ثم نظفوها».
 (١٥) في المصدر: «الحيش» بدل «الحسن».
 (١٦) في المصدر: «فاكتب لي بذلك».

أنا الريان بن دومغ خرجت في طلب علم النيل لأعلم فيضه ومنبعه إذ كنت أرى مغيضه^(١) فخرجت ومعى ممن صحبت أربعة آلاف ألف رجل^(٢) فسرت ثمانين سنة إلى أن انتهيت إلى الظلمات والبحر المحيط بالدنيا فرأيت النيل يقطع البحر المحيط ويعبر فيه ولم يكن له^(٣) منفذ وتماوت أصحابي وبقيت في أربعة آلاف رجل فخشيت على ملكي فرجعت إلى مصر وبنيت الأهرام والبرابي^(٤) وبنيت الهرمين وأودعتهما كنوزي وذخائري وقلت في ذلك شعرا:

ولا علم لي بالغيب والله أعلم
وأحكمته والله أقوى وأحكم
فأعجزني والمصر بالعجز ملجم
وحولي بنو حجر وجيش عرمم
وعارضي لج من البحر مظلم
لذي^(٥) هيئة بعدي ولا مستقدم
بمصر ولا الأيام بؤس وأنعم
وباني بربابيه^(٦) بها والمقدم
على الدهر لا تبلى ولا تتهدم
وللسدر أسر مرة وتهجم
ولي لربي آخر الدهر يسجم^(٨)
ولا بد أن يعلو ويسمو به السم
وتسعون أخرى من قاتل وملجم
وتلك البرابي^(٩) تستخر وتهدم
أرى كسل هذا أن يفرقه الدم
سفتني^(١١) وأفنى بعدها ثم أعدم

وأذكرك علمي بعض ما هو كائن
وأتقنت ما حاولت إتقان صنعه
وحاولت علم النيل من بدء فيضه
ثمانين شاهورا قطعت مسائحا
إلى أن قطعت الجن والإنس كلهم
فأيقنت أن لا مستفذا بعد منزلي
فأبت إلى ملكي وأرست ناديا^(١٢)
أنا صاحب الأهرام في مصر كلها
تركت بها آثار كفي وحكمتي
وفيها كنوز جسة وعجائب
سيفتح أقفالي ويبدى عجائبي
بأكناف بيت الله تبدو أموره
ثمان وتسع واثنان وأربع
ومن بعد هذا كرت تسعون تسعة
وتبدي كنوزي كلها غير أنني
رمزت^(١٣) مقالتي في صخور قطعها

فحينئذ قال أبو الحسن حمادويه بن أحمد هذا شيء ليس لأحد فيها حيلة إلا القاتم من آل محمد^(١٤) وردت البلاطة مكانها كما كانت ثم إن أبا الحسن بعد ذلك بسنة قتله طاهر الخادم على فراشه وهو سكران ومن ذلك الوقت عرف خبر الهرمين ومن بناهما فهذا أصح ما يقال في خبر النيل والهرمين.^(١٥)

بيان: السرب بالتحريك الحفير تحت الأرض^(١٦) والبلاطة بالفتح الحجارة التي تفرش في الدار^(١٧) والقارب السفينة الصغيرة^(١٨) والأسوان بالضم ويفتح بلد بالصعيد^(١٩) بمصر كل ذلك ذكره الفيروز آبادي وقال الهرمان بالتحريك بناء أوليان^(٢٠) بناهما إدريس^(٢١) لحفظ العلوم فهما عن الطوفان أو بناء ستان بن المششل أو بناء الأوائل لما علموا بالطوفان من جهة النجوم وفيهما كل طب وطلسم وهالك إهرام صغار كثيرة^(٢٢) انتهى وقال أبو ربحان في كتاب الآثار الباقية إن الفرس وعامة المجوس أنكروا الطوفان بكلية وزعموا أن الملك متصل فيه من لدن كيومرث گل شاه الذي هو الإنسان الأول عندهم واقفهم على إنكارهم إياه الهند والصين وأصناف الأمم الشرقية وأقر به بعض الفرس وصفوه بغير الصفة الموصف بها في كتب الأنبياء وقالوا كان من ذلك شيء بالشام والمغرب في زمان طهمورث لم يعم العمران كلها ولم يغرق فيه إلا أمم قليلة وإنه

(١) في المصدر: «مغيضة».

(٢) في المصدر: «لي».

(٣) في المصدر: «همة» وفي بعض النسخ منه «نبهة» وفي البعض الآخر «هيئة».

(٤) في المصدر: «برابيه».

(٥) في المصدر: «برابي».

(٦) في المصدر: «سفتني».

(٧) في المصدر: «زبرت».

(٨) كمال الدين ج ٢ ص ٥٦٢ - ٥٦٥ باب ٥٤ ذكر المصيرين.

(٩) القاموس المحيط ج ٢ ص ٣٦٤.

(١٠) القاموس المحيط ج ٤ ص ٣٠١.

(١١) القاموس المحيط ج ٤ ص ١٩١.

(١٢) في المصدر: «أزليان بمصر» بدل «أوليان».

لم يجاوز عقبة حلوان ولم يبلغ ممالك المشرق وقالوا إن أهل المغرب لما أنذروهم بنوا أبنية كالهرمين المبنيتين في أرض مصر وقالوا إذا كانت الآفة من السماء دخلناها وإذا كانت من الأرض صعدناها فزعوا أن آثار ماء الطوفان وتأثيرات الأمواج بيئة على أنصاف هذين الهرمين لم يجاوزهما وقيل إن يوسف عليه السلام بناهما وجعل فيهما الطعام والميرة سني القسط وقالوا إن طهمورت لما اتصل به الإنذار وذلك قبل كونه بمائتين وإحدى وثلاثين سنة أمر باختيار موضع في مملكته صحيح الهواء والتربة فلم يجدوا أحق بهذه الصفة من أصهبان فأمر بتجديد العلوم ودفعها في أسلم المواضع منه وقد يشهد لذلك ما وجد في زماننا يجيء من مدينة أصهبان من التلال التي انشقت عن بيوت مملوءة أعدالا كثيرة من لحاء الشجرة التي يلبس بها القسي والسرسة ويسمى التوز مكتوبة بكتابة لم يدر ما هي وما فيها^(١) انتهى.

٧٧- المناقب: عن محمد بن الفيض عن أبي عبد الله عليه السلام قال أبو جعفر الدوانيقي للصادق عليه السلام تدرى ما هذا قال و ما هو قال جبل هناك يقطر منه في السنة^(٢) قطرات فيجمد^(٣) فهو جيد للبياض يكون في العين يكحل به فيذهب بإذن الله تعالى قال نعم أعرفه وإن شئت أخبرتك باسمه وحاله هذا جبل كان عليه نبي من أنبياء بني إسرائيل هاربا من قومه فعبد الله عليه فعلم قومه قتلوه وهو يبيكي على ذلك النبي وهذه القطرات من بكائه له ومن الجانب الآخر عين تنبع من ذلك الماء بالليل والنهار ولا يوصل إلى تلك العين^(٤).

٧٨- الدر المنثور: قال أخرج الزبير بن بكار في الموقفيات عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال عجائب الدنيا أربعة امرأة كانت معلقة بمنارة الإسكندرية فكان يجلس الجالس تحتها فيبصر من بالقسطنطينية وبينهما عرض البحر وفرس كان من نحاس بأرض أندلس^(٥) قائلا بكفه كذا باسط يده أي ليس خلفي مسلك فلا يطأ تلك البلاد أحد إلا أكلته النمل ومنارة من نحاس عليها راكب من نحاس بأرض عاد فإذا كانت الأشهر الحرم أكرم هطل منه الماء وسقوا^(٦) وصبوا في الحياض فإذا انتقضت الأشهر الحرم انقطع ذلك الماء وشجرة من نحاس عليها سودانية من نحاس بأرض رومية فإذا كان أوان الزيتون صرفت السودانية التي من نحاس فتجيء كل سودانية من الطيارات بثلاث زيتونات زيتونتين برجلها وزيتونة بمنقارها حتى تلقيه على تلك السودانية التي هي من نحاس فيعصر أهل رومية ما يكفيهم لإدامهم و سرجهم سنتهم إلى قابل^(٧).

٧٩- الكافي: عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن أبي يحيى الواسطي عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال إن من وراء اليمن واديا يقال له وادي بروهو ولا يجاوز ذلك الوادي إلا الحيات السود واليوم من الطير^(٨) في ذلك الوادي يثر يقال لها بلموت^(٩) يغذى ويراح إليها بأرواح المشركين يسقون من ماء الصديد خلف ذلك الوادي قوم يقال لهم الذريح لما أن بعث الله عز وجل محمدا صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم صاح عجل لهم فيهم وضرب بذنبه ونادى فيهم يا آل الذريح بصوت فصيح أتى رجل بتهامة يدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله قالوا لأمر ما أنطق الله هذا العجل قال فنادى فيهم ثانية فزعوا على أن يبنوا سفينة فبنوها ونزل فيها سبعة منهم وحملوا من الزاد ما قذف الله في قلوبهم ثم رفعوا شراعا^(١٠) وسيبوا في البحر فما زالت تسير بهم حتى رمت بهم بجدة فأتوا النبي صلى الله عليه وآله فقال لهم النبي صلى الله عليه وآله أنتم أهل الذريح نادى فيكم العجل قالوا نعم قالوا اعرض علينا يا رسول الله الدين والكتاب فعرض عليهم رسول الله الدين والكتاب والسنن والقرائض والشرائع كما جاء من عند الله عز ذكره وولى عليهم رجلا من بني هاشم سيره معهم فما بينهم اختلاف حتى الساعة^(١١).

٨٠- حياة الحيوان: الأهرام من عجائب أبنية الدنيا وهي قبور الملوك أرادوا أن يتميزوا^(١٢) على سائر الملوك بعد مماتهم كما تميزوا عليهم في حياتهم قيل إن المأمون لما وصل إلى مصر أمر بنقب أحد الهرمين فنقب بعد جهد

(٢) من المصدر.

(٤) مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢٣٦ فصل (خرق العادة له صلى الله عليه وآله).

(١) الآثار الباقية.

(٢) في المصدر: «فتجد».

(٥) في المصدر: «الأندلس».

(٦) في المصدر: «فإذا كانت الأشهر الحرم هطل منه الماء فثرب الناس وسقوا».

(٧) الدر المنثور ج ٣ ص ٩٧.

(٨) في المصدر: «الطيور».

(١٠) في المصدر: «شراعا».

(٩) في المصدر: «بلموت».

(١٢) في المصدر إضافة: «بها».

(١١) الكافي ج ٨ ص ٢٦١ قصلة آل ذريح، حديث ٣٧٥.

جهيد^(١) و غرامة نفقة عظيمة فوجد داخله مرق دمها و يعسر سلوكها و وضع في أعلاها بيت مكعب طول كل ضلع من أضلاعه ثمانية أذرع و في وسطه حوض فيه مائة^(٢) رمة بالية قد أتت عليها العصور فكف عن نقب ما سواه و نقل أن هرمس الأول أخنوخ و هو إدريس عليه السلام استدل من أحوال الكواكب على كون الطوفان فأمر ببنيان الأهرام و يقال أنه ابتناها في مدة ستة أشهر و كتب فيها قل لمن يأتي بعدنا يهدمها في ستمائة عام و الهدم أيسر من البنيان و كسناها الديباج فليكسها الحصر والحصر أيسر من الديباج و قال ابن الجوزي في كتاب سلوة الأحرار ومن عجائب الهرمين أن سمك كل واحد منهما أربعمئة ذراع من رخام وزمرد وفيها مكتوب أنا بنتها بملكي فمن ادعى قوة فليهدمها فإن الهدم أيسر من البناء قال ابن المنادي بلغنا أنهم قدروا خراج الدنيا مرارا فإذا هو لا يقوم بهدمها والله أعلم.^(٣)

نادر

باب ٣٧

أقول: وجدت في بعض الكتب القديمة^(٤) هذه الرواية فأوردتها بلفظها و وجدتها أيضا في كتاب ذكر الأقاليم و البلدان و الجبال و الأنهار و الأشجار^(٥) مع اختلاف يسير في المضمون و تبين كثير في الألفاظ أشرت إلى بعضها في سياق الرواية و هي هذه.

مسائل عبدالله بن سلام وكان اسمه إسماعيل فسماه النبي ﷺ عبدالله عن ابن عباس رضي الله عنه قال لما بعث النبي ﷺ أمر عليا أن يكتب كتابا إلى الكفار وإلى النصارى وإلى اليهود فكتب كتابا أسماه جبرئيل على النبي ﷺ فكتب:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من محمد رسول الله إلى يهود خيبر أما بعد ف إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ..

و الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ وَ السَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى وَ لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم ختم الكتاب و أرسله إلى يهود خيبر فلما وصل الكتاب إليهم أتوا إلى شيخهم ابن سلام فقالوا يا ابن سلام هذا كتاب محمد إليك فاقراه علينا فقرأ عليهم فقال لهم ما تريدون من هذا الكلام و قد أرى فيه علامات وجدنا في التوراة أن هذا الذي بشرنا به موسى بن عمران فقالوا ينسخ كتابنا و يحرم علينا ما أحل لنا من قبل فقال لهم ابن سلام يا قوم اخترتم الدنيا على الآخرة و العذاب على المغفرة فقالوا يا ابن سلام لو كان محمد على ديننا لكان أحب إلينا من غيره فقال أنا أروح إليه و أسأله عن أشياء من التوراة فإن أجابني عنها دخلت في دينه و خلعت دين اليهودية و قام و أخذ التوراة و استخرج منها ألف مسألة و أربعمئة مسألة و أربع مسائل من غامض المسائل فأخذها و أتى بها إلى محمد و هو في مسجده فقال السلام عليك يا محمد و على أصحابك فقالوا و عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى السلام و رحمة الله و بركاته من أنت يا هذا الرجل قال أنا عبد الله بن سلام و أنا من رسل بني إسرائيل و ممن قرأ التوراة و أنا رسول اليهود إليك مع شيء لتبينه لنا ما هو و أنت من المحسنين فقال النبي ﷺ اجلس يا ابن سلام و سل عما شئت و إن شئت أخبرتك عما تسألني عنه فقال أخبرني يا محمد فأني أزداد فبكى فقال يا ابن سلام جئت تسألني عن ألف مسألة و أربعمئة مسألة و أربع مسائل نسختها من التوراة فنكس عبد الله بن سلام رأسه و بكى و قال صدقت يا محمد فقال أ نبي أنت أم رسول فقال يا ابن سلام إن الله بعثني نبيا و رسولا و أنا خاتم النبيين أفما قرأت في التوراة ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَزَاهُمْ رُكْعًا سَجْدًا^(٦) الآية و أنزل على ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾^(٧) قال صدقت يا محمد أخبرني أكليم أنت أم وحي قال يا ابن سلام بل وحي يأتيني به جبرائيل عن رب العالمين قال صدقت يا محمد أخبرني كم خلق الله نبيا من بني آدم قال يا ابن سلام

(١) في المصدر: «شديد» بدل «جهيد».

(٢) حياة الحيوان ج ١ ص ٤٥١ كلمة «الدابة». نقلًا عن وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٩٣ ترجمة الربيع بن سليمان الجيزي.

(٣) لم نعر على كتاب «ذكر الأقاليم» هذا.

(٤) سورة الفتح، آية: ٢٩.

(٥) سورة الأحزاب، آية: ٤٠.

خلق الله مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي قال صدقت يا محمد أخبرني كم المرسلون منهم قال يا ابن سلام كان المرسلون ثلاثمائة وثلاثة عشر قال صدقت يا محمد فأخبرني من كان أول الأنبياء قال آدم قال صدقت يا محمد أخبرني آدم كان نبيا مرسلا قال نعم أفصا قرأت في التوراة ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾^(١) الآية قال صدقت يا محمد فأخبرني عن رسل العرب كم كانوا قال ستة أولهم إبراهيم وإسماعيل ولوط وصالح وشعيب ومحمد قال صدقت يا محمد فأخبرني كم كان بين موسى وعيسى من نبي قال ألف قال صدقت يا محمد فعلى أي دين كانوا قال على دين الله تعالى ودين ملائكته ودين الإسلام قال وما الإسلام وما الإيمان قال أما الإسلام فتشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له والإقرار بأن محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم شهر رمضان والحج إلى بيت الله الحرام إن استطعت إليه سبيلا وأما الإيمان فتؤمن بالله وملائكته والكتب والنبيين والبعث بعد الموت والقدر خيره وشره من الله تعالى قال صدقت يا محمد أخبرني كم من دين الله تعالى قال دين واحد وهو الإسلام قال صدقت يا محمد فبم كانت الشرائع قال كانت مختلفة في الأمم الماضية قال صدقت يا محمد فأهل الجنة يدخلون بالإسلام أم بالإيمان أم بأعمالهم قال يا ابن سلام استوجبوا الجنة بالإيمان ويدخلون برحمة الله ويقسمونها بأعمالهم قال صدقت يا محمد فأخبرني كم أنزل الله كتابا قال يا ابن سلام أنزل الله مائة كتاب وأربعة كتب قال صدقت يا محمد فأخبرني على من أنزلت هذه الكتب قال يا ابن سلام أنزل الله عز وجل على آدم أربعة عشرة صحيفة وأنزل على إبراهيم عشرين صحيفة وفي قول أربعة عشرة صحيفة وعلى شيث بن آدم خمسين صحيفة وأنزل على إدريس ثلاثين صحيفة وأنزل الزبور على داود وأنزل التوراة على موسى وأنزل الإنجيل على عيسى وأنزل علي الفرقان قال صدقت يا محمد فهل أنزل عليك كتابا قال نعم قال وأي كتاب هو قال الفرقان قال يا محمد لم سماء الرب فرقانا قال يا ابن سلام لأنه يفرق الآيات والسور وأنزل بغير الألواح وغير الصحف والتوراة والإنجيل والزبور كلها جملة في الألواح قال صدقت يا محمد فهل في كتابك شيء من هذه الصحف قال نعم يا ابن سلام قال ما هو يا محمد فقرأ النبي ﷺ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ إلى قوله ﴿صُحُفٌ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾^(٢) قال صدقت يا محمد فأخبرني ما ابتداء القرآن وما ختمه قال يا ابن سلام ابتداءه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وختمه صدق الله العلي العظيم قال صدقت يا محمد فأخبرني عن خمسة أشياء خلقها الله بيده ما هي قال يا ابن سلام إن الله عز وجل خلق جنة عدن بيده وعرس شجرة طوبى بيده وصور آدم بيده وكتب التوراة بيده وبنى السماوات بيده قال صدقت يا محمد و﴿السَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ قال صدقت قال يا ابن سلام أما سمعت قوله تعالى ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾^(٣) قال صدقت يا محمد أخبرني من أخبرك بهذا قال أخبرني جبرائيل قال عن من قال عن ميكائيل قال عن من قال عن إسرافيل قال عن من قال عن اللوح المحفوظ قال عن من قال عن القلم قال عن من قال عن رب العالمين قال وكيف ذلك يا محمد قال النبي ﷺ يأمر الله القلم يكتب في اللوح وينزل في اللوح على إسرافيل ويبلغ إسرافيل ميكائيل ويبلغ ميكائيل جبرائيل قال صدقت يا محمد فأخبرني عن جبرائيل في زي الذكران أم في زي الإناث قال يا ابن سلام بل هو في زي الذكران قال فأخبرني ما طعامه وما شرابه قال يا ابن سلام طعامه التيسيح وشرابه التهليل قال صدقت يا محمد فأخبرني ما طوله وما عرضه وما صفته وما لباسه قال يا ابن سلام على قدر الملائكة لا بالطويل الأعلى ولا بالقصير الأدنى أغر مكحول ضوءه كضوء النهار عند ظلمة الليل له أربعة وعشرون جناحا خضراء مكللة بالدر والياقوت مخنومة باللؤلؤ عليه وشاح بطانته من إستبرق وظهارته الوقار والكرامة وجهه كالزعران أفتى الأنث مدور الحدق لا يأكل ولا يشرب ولا يمل ولا يسهر وهو قائم بوحى الله تعالى إلى يوم القيامة قال صدقت يا محمد فأخبرني عن بدء خلق الدنيا وأخبرني عن بدء خلق آدم كيف خلقه الله تعالى قال نعم يا ابن سلام إن الله سبحانه وتعالى تقدست أسماؤه ولا إله غيره خلقه من طين بيده وخلق الطين من الزبد وخلق الزبد من الموج وخلق الموج من الماء قال صدقت يا محمد فأخبرني عن آدم لم سمي آدم قال يا ابن سلام لأنه خلق من طين الأرض وأديمها قال صدقت يا محمد فأدّم خلق من الطين كله أو بعضه أو من طين واحد قال يا ابن سلام بل خلقه الله من الطين كله ولو أن آدم خلق من طين واحد لما عرف بعضهم بعضا وكانوا على صورة واحدة

قال صدقت يا محمد هل لهم مثل بذلك في الدنيا قال نعم يا ابن سلام أفما تنظر إلى التراب منه أبيض و منه أسود و منه أحمر و منه أصفر و منه أشقر و منه أغبر و منه أزرق و فيه عذب و خشن و فيه لين و كذلك بنو آدم فيهم خشن و فيهم لين و فيهم عذب كذلك التراب قال صدقت يا محمد فأخبرني من آدم لما خلقه الله عز و جل من أين دخلت الروح فيه قال يا ابن سلام دخلت من فيه قال صدقت يا محمد أدخلت فيه على رضا أم على كره قال يا ابن سلام أدخله الله كرها و يخرجها كرها قال صدقت يا محمد ما قال الله لآدم قال يا ابن سلام قال الله لآدم يا آدم اسكن أنت و زوجك الجنة و كلأ منها رغداً حيث شئتما و لا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين قال صدقت يا محمد فكم أكل منها حبة قال حيتين قال و كم أكلت حواء قال حيتين قال صدقت يا محمد فأخبرني ما صفة الشجرة و كم لها غصن و كم كان طول السنبلة قال يا ابن سلام كان لها ثلاثة أغصان و كان طول كل سنبلة ثلاثة أشبار قال صدقت يا محمد فكم سنبلة فرك منها آدم قال سنبلة واحدة قال صدقت يا محمد فكم كان في السنبلة من حبة قال كان فيها خمس حبات قال فأخبرني ما صفة الحبة قال يا ابن سلام كانت بمنزلة البيض الكبار قال فأخبرني عن الحبة التي بقيت مع آدم ما صنع بها قال يا ابن سلام أنزلت مع آدم من الجنة فزرع آدم تلك الحبة فتناسل من تلك الحبة البركة قال صدقت يا محمد فأخبرني عن آدم أين أهيط من الأرض قال أهيط بالهند قال صدقت يا محمد فأين أهيطت حواء قال بجدة قال صدقت يا محمد فأين أهيطت الحبة قال بأصبهان قال صدقت يا محمد فأين أهيط إيليس قال ببيسان^(١) قال صدقت يا محمد قال ما أغزر علمك و ما أصدق لسانك فأخبرني ما كان لباس آدم لما أهيط من الجنة قال ثلاث أوراق من ورق الجنة متوشحا بالواحدة متزرا بالأخرى متعصما بالثالثة قال صدقت يا محمد فأخبرني في أي مكان اجتمعوا قال بعرفات.

قال صدقت يا محمد فأخبرني خلقت حواء من آدم أم آدم من حواء قال يا ابن سلام خلقت حواء من آدم و لو أن خلق من حواء لكان الطلاق بيد النساء و لم يكن بيد الرجال قال فأخبرني خلقت من كله أم من بعضه قال خلقت من بعضه و لو خلقت من كله لكان القضاء في النساء و لم يكن في الرجال قال صدقت يا محمد فأخبرني عن باطنه خلقت أم من ظاهره قال يا ابن سلام بل خلقت من باطنه و لو خلقت من ظاهره لكشفت النساء من أبدانهن كما تكشف الرجال.

قال فمن يمينه خلقت أم من شماله قال بل خلقت من شماله و لو خلقت من يمينه لكان حظ الأثني مثل حظ الذكر و شهادتها كشهادته و من أجل ذلك جعل الله للذكر مثل حظ الأنثيين قال فأخبرني من أي موضع خلقت قال يا ابن سلام خلقت من ضلعه الأنصر قال صدقت يا محمد فأخبرني من كان يسكن الأرض قبل آدم قال الجن قال فبعد الجن قال الملائكة قال فبعد الملائكة قال آدم و ذريته قال و كم كان بين الجن و بين آدم قال سبعة آلاف سنة قال صدقت يا محمد فأخبرني عن آدم فهل حج إلى بيت الله الحرام قال نعم قال فمن خلق رأس آدم قال جبرئيل قال صدقت يا محمد فأخبرني هل اختن آدم أم لا قال نعم يا ابن سلام ختن نفسه بيده قال صدقت يا محمد فأخبرني عن الدنيا لم سميت دنيا قال يا ابن سلام لأن الدنيا خلقت من دون الآخرة و لو خلقت مع الآخرة لم تكن كما لم تكن الآخرة قال صدقت يا محمد فأخبرني عن القيامة لم سميت قيامة قال يا ابن سلام لأن مقام الخلاق فيها للحساب قال فأخبرني لم سميت الآخرة آخرة قال لأنها متأخرة عنها بعد الدنيا لا يوصف سنوها و لا تحصى أيامها و لا يموت ساكنها قال صدقت يا محمد فأخبرني عن أول يوم خلق الله تعالى الدنيا فيه قال يوم الأحد قال و لم سماه أحدا قال لأن الله واحد أحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة و لا ولدا قال صدقت يا محمد فالأثنين لم سمي إثنين قال لأنه ثاني يوم الدنيا قال فالثلاثة لم سمي ثلاثة قال لأنه ثالث يوم الدنيا قال فالأربعة لم سمي أربعة قال لأنه رابع يوم الدنيا قال فالخميس لم سمي خميسا قال لأنه خامس يوم الدنيا قال فالجمعة لم سمي جمعة قال لأنه يوم مجشوع^(٢) له الناس و ذلك يوم مشهود و هو سادس يوم من أيام الدنيا قال فالسبت لم سمي سبتا قال يا ابن سلام لأنه يوم يوكل فيه ملك لأنه مع كل عبد ملكان ملك عن يمينه و ملك عن شماله فالذي عن يمينه يكتب الحسنات و الذي عن شماله يكتب السيئات قال صدقت يا محمد فأخبرني عن مقعد الملكين من العبد و ما قلمهما و ما دواتهما و ما لوحهما و ما مدادهما قال يا ابن سلام مقعدهما على كتفيه و قلمهما لسانه و دواتهما فوه و مدادهما ريقه و لوحهما فؤاده يكتبان أعماله إلى مماته قال صدقت يا محمد فأخبرني ما خلق الله في ذلك اليوم قال هن و القلم و ما يسطرون^(٣) قال

٢٤٦

٢٤٧

فأخبرني كم طول القلم وكم عرضه وكم أسنانه قال يا ابن سلام طول القلم خمسمائة عام و له ثلاثون سنا يخرج المداد من بين أسنانه و يجري في اللوح المحفوظ ما يكون و ما هو كائن إلى يوم القيامة بأمر الله عز و جل قال صدقت يا محمد كم لحظة لله عز و جل في كل يوم و ليلة قال يا ابن سلام ثلاثمائة و ستون لحظة يمضي و يقضي و يرفع و يضع و يسعد و يشقي و يعز و يذل و يعلي و يقهر و يغني و يفقر قال صدقت يا محمد فأخبرني ما خلق الله تعالى بعد ذلك قال يا ابن سلام السماء السابعة مما يلي العرش و أمرها أن ترتفع إلى مكانها فارتفعت ثم خلق الستة الباقية و أمر كل سماء أن تستقر مكانها فاستقرت قال صدقت يا محمد فلم سماها سماء قال لا ارتفاعها قال فأخبرني ما بال سماء الدنيا خضراء قال يا ابن سلام اخضرت من جبل قاف قال صدقت يا محمد فأخبرني مم خلقت قال خلقت من موج مكفوف قال و ما الموج المكفوف قال يا ابن سلام ماء قائم لا اضطراب له و كانت الأصل دخانا قال صدقت يا محمد فأخبرني عن السماوات ألها أبواب قال نعم لها أبواب و هي مغلقة و لها مفاتيح و هي مخزونة قال صدقت يا محمد فأخبرني عن أبواب السماء ما هي قال ذهب قال فما أقالها قال من نور قال فمفاتيحها قال بسم الله العظيم قال صدقت يا محمد فأخبرني عن طول كل سماء و عرضها و كم ارتفاعها و ما سكانها قال يا ابن سلام طول كل سماء خمسمائة عام و عرضها كذلك و بين كل سماء إلى سماء خمسمائة عام و سكان كل سماء جند من الملائكة لا يعلم عددهم إلا الله تعالى قال صدقت يا محمد فأخبرني عن السماء الثانية مما خلقت قال من الغمام قال صدقت يا محمد فأخبرني عن السماء الثالثة مم خلقت قال من زبرجدة خضراء قال فالرابعة قال من ذهب أحمر قال صدقت يا محمد فالخامسة قال من ياقوتة حمراء قال فالسادسة قال من فضة بيضاء قال فالسابعة قال من ذهب قال صدقت يا محمد فأخبرني ما فوق السماء السابعة قال بحر الحيوان قال فما فوقه قال بحر الظلمة قال فما فوقه قال بحر النور قال فما فوقه قال الحجاب قال فما فوقه قال سدرة المنتهى قال فما فوق سدرة المنتهى قال جنة المأوى قال فما فوق جنة المأوى قال حجاب المجد قال فما فوق حجاب المجد قال حجاب الحمد قال فما فوق حجاب الحمد قال حجاب الجبروت قال حجاب العز قال فما فوق حجاب العز قال حجاب العظمة قال فما فوق حجاب العظمة قال حجاب الكبرياء قال فما فوق حجاب الكبرياء قال الكرسي قال صدقت يا محمد قال قد أوتيت علوم الأولين و الآخرين و إنك لتنتق بالحق اليقين قال فما فوق الكرسي قال العرش قال فما فوق العرش قال الله تعالى و هو فوق الفوق و علمه تحت التحت قال صدقت يا محمد قال فأخبرني هل يستوي مخلوق على عرشه قال معاذ الله يا ابن سلام قال صدقت يا محمد فأخبرني عن الشمس و القمر أهما مؤمنان أم كافران قال يا ابن سلام بل هما مؤمنان طائعان لله عز و جل مسخران تحت قهر المشية قال صدقت يا محمد قال فأخبرني ما بال الشمس و القمر لا يستويان في الضوء و النور قال يا ابن سلام إن الله محا آية الليل و جعل آية النهار مبصرة نعمة من الله و فضلا و لو لا ذلك ما عرف الليل من النهار و لا النهار من الليل. قال صدقت يا محمد فأخبرني عن الليل لم سمي ليلا قال لأنه يلايل الرجال من النساء جعله الله ألفا و لباسا قال صدقت يا محمد فأخبرني لم سمي النهار نهارا قال يا ابن سلام لأن فيه كل من الخلق يطلب معاشه قال صدقت يا محمد قال فأخبرني عن النجوم كم جزءا هي قال يا ابن سلام ثلاثة أجزاء جزء منها بأركان العرش يصل ضوؤها إلى السماء السابعة و الجزء الثاني بسماء الدنيا كأمثال القناديل المعلقة و هي تضيء لسكانها و ترمي الشياطين بشرها إذا استرقوا السمع و الجزء الثالث معلقة في الهواء و هي ضوء البحار و ما فيها و ما عليها قال صدقت يا محمد فأخبرني ما بال النجوم تبار صفارا و كبارا قال يا ابن سلام لأن بينها و بين سماء الدنيا بحارا تضرب الرياح أمواجها فتبار من تحتها صفارا أو كبارا و مقدار النجوم كلها مقدار واحد قال صدقت يا محمد فأخبرني كم ريحا بيننا و بين سماء الدنيا قال ثلاثة أرياح الريح العقيم التي أرسلت على قوم عاد حملت الأشجار و الثمار و الريح التي هي سوداء مظلمة يعذب بها أهل النار و ريح تحمل البحار و ريح لأهل الأرض بها حملت الأشجار و الثمار تغدو في جوانبها و لو لا تلك الريح لاحتقرت الأرض و الجبال من حر الشمس قال صدقت يا محمد فأخبرني عن حملة العرش كم هم صنفا قال ثمانون صنفا طول كل صنفا ألف ألف فرسخ و عرضه خمسمائة عام و رؤسهم تحت العرش و أقدامهم تحت سبع أرضين و لو أن طائرا يطير من أذن أحدهم اليمنى إلى اليسرى ألف سنة من سنين الدنيا لم يبلغ إلى الأذن الآخر حتى يموت هرما أي شيخا لهم ثياب من در و ياقوت شعرهم كالزعفران طعامهم التسبيح و شرابهم التهليل و الصنف الأول نصفه ثلج و نصفه نار لا يذيب النار الثلج و لا

الثلج يطفئ النار والصنف الثاني نصفه رعد ونصفه برق والصنف الثالث نصفه ماء ونصفه مدر لا الماء يذيب المدر ولا المدر يذيب الماء والصنف الرابع نصفه ريع ونصفه ماء لا الريح يهيج الماء ولا الماء يسبق الريح قال صدقت يا محمد فأخبرني عن طائر يطير بين السماء والأرض ليس له في السماء مكان ولا في الأرض مسكن ما هم يا محمد قال يا ابن سلام تلك حيات أعرفها كأعراف الخيل تبيض في الجو على أذناها وتفرخ على مناكبها في الهواء إلى يوم القيامة قال صدقت يا محمد فأخبرني عن مولود أشد من أبيه قال يا ابن سلام ذلك الحديد يولد من الحجر وهو أشد من الحجر قال صدقت يا محمد قال فأخبرني عن بقعة أصابتها الشمس مرة واحدة فلا تعود إليها إلى يوم القيامة قال يا ابن سلام ذلك موضع أغرق الله فيه فرعون حين انقلب البحر وانطبق عليه قال صدقت يا محمد فأخبرني عن بيت له اثنا عشر باباً أخرج منه اثنا عشر عينا لاثنين عشر سبطا قال النبي ﷺ لما جاوز موسى بني إسرائيل البحر ودخل بهم إلى البرية فشكوا إلى موسى العطش فمر بحجر مربع فأوحى الله إليه أن اضرب بقصاك الحَجَر فضر به موسى فانفجر منه اثنتا عشرة عَيْنًا لاثنين عشر سبطا من بني إسرائيل قال صدقت يا محمد فأخبرني عن نبي لا من الجن والإنس ولا من الطير ولا من الوحش قال يا ابن سلام ذلك النملة التي أنذرت قومها حين قالت ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾^(١) قال صدقت يا محمد فأخبرني عن من أوحى الله إليه لا من الجن ولا من الملائكة ولا من الإنس ولا من الوحش ما هو قال يا ابن سلام النحل أوحى الله إليها ﴿أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾^(٢) قال صدقت يا محمد قال فأخبرني ما أوحى الله إليه من الأرض ما هو قال يا ابن سلام أوحى الله إلى جبل طور سيناء أن ارفع موسى إلى السماء حتى يتناول الألواح من رب العالمين قال صدقت يا محمد فأخبرني عن مخلوق أوله عود وآخره روح قال يا ابن سلام تلك عصا موسى بن عمران أمره الله أن يلقيا في بيت المقدس فَأَلْفَاها فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى قال صدقت يا محمد فأخبرني عن ثلاث ذكور لم يولدوا عن فعل قال يا ابن سلام ذلك عيسى ابن مريم وآدم وكبش وإسماعيل قال صدقت يا محمد فأخبرني عن وسط الدنيا في أي موضع هو قال بيت المقدس قال وكيف ذلك قال لأن فيه المحشر والمنشر والصراط والميزان قال صدقت يا محمد قال فأخبرني عن القلک المشحون ما هو قال يا ابن سلام السفن المبنية في البحر أما قرأت في التوراة ﴿وَحَمَلْنَا عَلَى ذَاتِ الْوِاحِ وَدُسِرَ﴾^(٣) قال صدقت يا محمد قال ما الألواح قال الأشجار التي سقت طولاً هي الألواح فأخبرني عن الدر قال يا ابن سلام السامير والعوارض من الحديد قال صدقت يا محمد قال فأخبرني كم كان طول السفينة وكم عرضها وكم كان ارتفاعها قال يا ابن سلام كان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها مائة وخمسين ذراعاً وارتفاعها مائتي ذراع قال صدقت يا محمد قال فأخبرني من أين ركبها نوح قال من العراق قال أين ثبت قال طافت بالبيت العتيق أسبوعاً وبيت المقدس أسبوعاً واشتوت على الجودي قال صدقت يا محمد قال فأخبرني عن البيت المعمور أين كان لما أغرق الله الدنيا قال يا ابن سلام رفعه الله تعالى إلى السماء السابعة قبل الطوفان قال صدقت يا محمد قال فأخبرني أين كانت الصخرة وقت الطوفان قال وأمر الله تعالى أبا قبيس أن يحمل الصخرة في بطنه قال فاليبت المقدس لما أغرق الله الدنيا أين كان قال في جبل أبي قبيس قال صدقت يا محمد فأخبرني عن مولود لم يشبه أباه وربما أشبه خاله وربما أشبه عمه قال يا ابن سلام إذا جامع الرجل امرأته فإن غلبت شهوة المرأة على شهوة الرجل خرج الولد إلى خاله وإن غلبت شهوة الرجل على شهوة المرأة خرج إلى عمه وإن استويا خرج الولد إلى أمه وأبيه قال صدقت يا محمد.^(٤)

أقول: في الرواية الأخرى هكذا قال فأخبرني عن المولود إذا لم يشبه أباه وربما يشبه خاله وعمه قال إذا جامع الرجل امرأته فإن غلبت شهوة الرجل شهوة المرأة خرج الرجل بأبيه أشبه وإن غلبت شهوة المرأة خرج الولد بأمه أشبه وإن استويا خرج شبيهاً بهما فإن سبقت شهوة الرجل خرج الولد بعمه أشبه وإن سبقت شهوة المرأة كان الولد بخاله أشبه قال صدقت رجعتا إلى الرواية الأولى:

٢٥٠

٢٥١

٢٥٢

(١) سورة النمل، آية: ٦٨.

(٢) سورة القمر، آية: ١٣.

(٣) سورة النمل، آية: ١٨.

(٤) سورة القمر، آية: ١٣.

(٤) لم نثر على هذا الكتاب.

عبادي وإيماني من ربكم وما دينكم وما أعمالكم فيقولون اللهم أنت ربنا وأنت خالقنا ولم تكن شيئاً وأمتنا ولم تجعل لنا لساناً نتلق به ولا عقلاً نتقل به ولا قوة في الأعضاء نتعبد بها ولا علم لنا إلا ما علَّمتنا فيقول الله لهم وهو أجل قائل فالآن لكم ألسنة وعقول وقوة للحركة في الأعضاء فإن أمرتكم بأمر يا عبادي فتفعلوه فيقولون السمع والطاعة لك يا إلهنا وخالقنا ورازقنا ومالكنا فيأمر الله تعالى مالكا فتزجر جهنم حتى تغور ويأمر أطفال المشركين ألقوا أنفسكم في تلك النار فمن سبق له في علم الله أن يكون سعيداً ألقى نفسه فيها فتكون النار عليه برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم خليل الرحمن ومن سبق له في علم الله أن يكون شقيماً امتنع أن يلقي نفسه في تلك النار فيكونون تبعاً لآبائهم وأمهاتهم في النار والفرقة الأخرى يخرجون إلى الجنة مع المؤمنين قال صدقت قال بررت وبينت وأزلت المسك يا محمد فزديني يقيناً فأخبرني عن الأرض لم سميت أرضاً قال لأنها أرض يداس عليها قال فمم خلقت قال من زبرجد قال فالزبرجدة مم خلقت قال من الموج قال فالموج مم خلق قال من البحر قال صدقت يا محمد فكيف ذلك قال إن الله عز وجل لما خلق البحر أمر الريح أن تضرب الأمواج بعضها في بعض فاضطرب الأمواج حتى ظهر الزبد ثم أمرها أن تتجمع فاجتمعت ثم أمرها أن تلين فلانت ثم أمرها أن تعتدل فاعتدلت ثم أمرها أن تمتد فامتدت فصارت أرضاً قال صدقت يا محمد فأخبرني من أين سكنها قال من جبل قاف وهو أصل أوتاد الأرض التي نحن عليها قال فأخبرني ما تحت هذه الأرض قال تحتها ثور قال وما صفته قال يا ابن سلام له أربع قوائم وهو قائم على صخرة بيضاء قال فأخبرني ما صفته قال يا ابن سلام له أربعون قرناً وأربعون سناً رأسه بالشرق وذنبه بالمغرب وهو ساجد لله تعالى إلى يوم القيامة من القرن إلى القرن مسيرة خمسين ألف سنة قال صدقت يا محمد فأخبرني ما تحت الصخرة قال تحتها جبل يقال له الصعود قال ولعن ذلك الجبل قال لأهل النار يصعدوه المشركون إلى يوم القيامة وهو مسيرة ألف سنة حتى إذا بلغوا أعلى ذلك الجبل ضربوا بمقامع فيسقطون إلى أسفله فيسحبون على وجوههم قال صدقت يا محمد فأخبرني ما تحت ذلك الجبل قال أرض قال وما اسمها قال جارية قال وما تحتها قال بحر قال وما اسمه قال سهك قال صدقت يا محمد قال فما تحت ذلك البحر قال أرض قال وما اسمها قال ناعمة قال وما تحتها قال بحر قال وما اسمه قال الزاخر قال وما تحتها قال أرض قال وما اسمها قال فسيحة قال فصف لي هذه الأرض قال يا ابن سلام هي أرض بيضاء كالشمس وريحها كالمسك وضوؤها كالقمر ونباتها كالزعران يحشرون عليها المتقون يوم القيامة قال صدقت يا محمد قال فأخبرني أين تكون هذه الأرض التي نحن عليها اليوم قال النبي ﷺ يا ابن سلام تبدل هذه الأرض غيرها قال صدقت يا محمد فأخبرني ما تحت تلك الأرض قال البحر قال وما اسمه قال القمقام قال وما فيه قال الحوت قال وما اسمه قال يهومت قال صدقت يا محمد قال فصف لي الحوت قال يا ابن سلام رأسه بالشرق وذنبه بالمغرب قال فما على ظهره قال الأرض والبحار والظلمة والجبال قال فما بين عينيه قال سبعة أبحر في كل بحر سبعون ألف مدينة في كل مدينة ألف لواء تحت كل لواء سبعون ألف ملك قال فما يقولون قال يقولون لا إله إلا الله وحده لا شريك له لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْخَزَائِفُ وَيُحْيِي وَيُمِيتُ وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير قال صدقت يا محمد فأخبرني ما تحت الريح قال الظلمة قال فما تحت الظلمة قال الثرى قال فما تحت الثرى قال لا يعلمه إلا الله عز وجل قال صدقت يا محمد فأخبرني عن ثلاث من رياض الجنة في الأرض أين تكون قال يا ابن سلام أولها مكة وثانيها بيت المقدس وثالثها مدينة محمد قال صدقت يا محمد فأخبرني عن أربع مدائن من مدائن الجنة في الدنيا قال أولها إرم ذات العماد والثانية المنصورية وهي مدينة بالشام والثالثة قيسارية وهي مدينة بساحل البحر في الشام والرابعة هي البلقاء وهي أرمينية قال صدقت يا محمد فأخبرني عن أربع منابر من منابر الجنة في الدنيا أي موضع هي قال يا ابن سلام أولها قيروان وهي إفريقية والثانية باب الأبواب وهي بأرض أرمينية والثالثة عبادان وهي بأرض العراق والرابعة بخراسان وهي خلف نهر يقال له جيحون قال صدقت يا محمد فأخبرني عن أربع مدائن من مدائن جهنم في الدنيا قال يا ابن سلام أولها مدينة فرعون في أرض مصر والثانية أنطاكية وهي بأرض الشام والثالثة بأرض سيجان وهي بأرض أرمينية الرابعة المدائن وهي بأرض العراق قال صدقت يا محمد قال فأخبرني عن أربعة أنهار في الدنيا وهي من أنهار الجنة قال أولها الفرات وهو بأرض الشام والثاني النيل وهو بأرض مصر والثالث نهر سيجان وهو نهر الهند والرابع جيحون وهو بأرض بلخ قال صدقت يا محمد فأخبرني عن شيء لا شيء وشيء بعض شيء وشيء لا يفنى منه شيء قال يا ابن

سلام أما شيء لا شيء فهي الدنيا يذهب نعيمها ويموت ساكنها ويخمد ضوءها وأما الشيء بعض الشيء وقوف الخلائق في صعيد واحد فهو شيء بعض شيء وأما شيء لا يفنى منه شيء فالجنة والنار لا يفنى.
من الجنة نعيمها ولا ينقص من النار عذابها فمن قال من العباد أن نعيمها يفنى أو عذاب الله ينقضي فهو كاذب بالله في كل شيء قال صدقت يا محمد فأخبرني عن جبل قاف ما خلفه وما دونه قال يا ابن سلام خلفه أرض ذهب وسبعون أرضاً من فضة وسبعة أراضين من مسك.

٢٥٥
٦٠

قال فما سكان هذه الأراضين قال الملائكة قال كم طول كل أرض منها وكم عرضها قال طول كل أروض منها عشرة آلاف سنة وعرضها كذلك قال صدقت يا محمد فما وراء ذلك قال حجاب الريح قال فما وراء ذلك قال من صح كيف محيط بالدنيا كلها تسبح الله تعالى قال صدقت يا محمد فأخبرني عن أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يتغوطون ولا يبولون قال نعم يا ابن سلام مثلهم في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمه يأكل مما تأكل أمه ويشرب مما تشربه ولا يبول ولا يتغوط ولو رأت في بطنها وبال لانشق بطنها قال صدقت يا محمد فأخبرني عن أنهار الجنة ما هي قال يا ابن سلام لبن لم يتغير طعمه وتمر وعسل مصفى وماء غير آسن قال صدقت يا محمد فجمادة هي أم جارية قال بل جارية بين أشجارها قال فهل تنقص أم تزيد قال لا يا ابن سلام قال فهل لذلك مثل في الدنيا قال نعم قال وما هو قال يا ابن سلام انظر إلى البحار تاطر فيها السماء وتمدها الأنهار من الأرض فلا تزيد ولا تنقص قال صف لي أنهار الجنة قال يا ابن سلام في الجنة نهر يقال له الكوثر راحته أطيب من رائحة المسك الأذفر والعنبر حصاة الدر والياقوت عليه ختام من اللؤلؤ الأبيض وهو منزل أولياء الله تعالى.

٢٥٦
٦٠

قال صدقت يا محمد فصف لي أشجار الجنة قال في الجنة شجرة يقال لها طوبى أصلها من در وأغصانها من الزبرجد وثمرها الجوهر ليس في الجنة غرفة ولا حجرة ولا موضع إلا وهي متدلية عليه قال صدقت يا محمد فهل في الدنيا لها من مثل قال نعم الشمس المشرقة تشرق على بقاع الدنيا ولا يخلو من شعاعها مكان قال صدقت يا محمد فهل في الجنة ريح قال نعم يا ابن سلام فيها ريح واحدة خلقت من نور مكتوب عليها الحياة واللذات يقال لها البهاء فإذا اشتاق أهل الجنة أن يزوروا ربهم هبت تلك الريح عليهم التي لم تخلق من حر ولا من برد بل خلقت من نور العرش تنفخ في وجوههم فتبهي وجوههم وتطيب قلوبهم ويزدادوا نوراً على نورهم وتضرب أبواب الجنان وتجري الأنهار وتسبح الأشجار وتفرد الأطياف فلو أن من في السماوات والأرض قيام يسمعون ما في الجنة من سرور وطرب لمات الخلائق شوقاً إلى الجنة والملائكة يدخلون عليهم فيقولون كما قال الله عز وجل في محكم كتابه العزيز ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (١) ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِنَا صَلَبْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٢) قال صدقت يا محمد.

قال فأخبرني عن أرض الجنة ما هي قال يا ابن سلام أرضها من ذهب وترابها المسك والعنبر ورضاضها (٣) الدر والياقوت وسقفها عرش الرحمن قال صدقت يا محمد فأخبرني مما يأكل أهل الجنة إذا دخلوها قال يا ابن سلام يأكلون من كبد الحوت الذي يحمل الأرض وما عليها واسمه بهموت قال صدقت يا محمد قال فأخبرني عن أهل الجنة كيف يصرفون ما يأكلون من ثمارها وكيف يخرج من أجوافهم قال يا ابن سلام ليس يخرج من أجوافهم شيء بل عرقاً صلباً أطيب من المسك وأزكى من العنبر ولو أن عرق رجل من أهل الجنة مزج به البحار لأسكر ما بين السماء والأرض من طيب راحته قال صدقت يا محمد فأخبرني عن لواء الحمد ما صفته وكم طوله وكم ارتفاعه قال يا ابن سلام طوله ألف سنة وأسنانه من ياقوتة حمراء وياقوتة خضراء قوائمه من فضة بيضاء له ثلاث ذوات من نور ذؤابة بالشرق وذؤابة بالمغرب والثالثة في وسط الدنيا قال صدقت يا محمد فأخبرني كم سطر فيه مكتوب قال ثلاثة أسطر السطر الأول يسم الله الرحمن الرحيم والسطر الثاني الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ والسطر الثالث لا إله إلا الله محمد رسول الله قال صدقت يا محمد فأخبرني عن الجنة والنار أيتها خلق الله قبل قال يا ابن سلام خلق الله الجنة قبل النار ولو خلق النار قبل الجنة لخلق العذاب قبل الرحمة قال فأخبرني عن الجنة أين هي قال في السماء السابعة والنار في تخوم الأرض السفلى قال صدقت يا محمد فأخبرني كم للجنة من باب وكم للنار من باب قال يا ابن سلام للجنة ثمانية أبواب وللنار سبعة أبواب قال فأخبرني كم بين الباب والباب من الجنة قال مسيرة

٢٥٧
٦٠

ألف سنة قال وكم ارتفاعه قال خمسمائة عام عليه سراق من ذهب بظانته من زمرد على كل باب جند من الملائكة لا يحصي عددهم إلا الله تعالى قال فأخبرني فما يقولون قال يقولون طوبى لأهل الجنة وما يلقون من نعيم الله قال ففصف لي من يدخل الجنة قال يا ابن سلام يدخلونها أبناء ثلاثين وبنات ثلاثين سنة في حسن يوسف وطول آدم وخلق محمد قال ففصف لي بعض نعيم أهل الجنة قال إن أدنى من في الجنة وليس في الجنة دني لو نزل به جميع من في الأرض لأوسعهم طعاما ولا ينقص منه شيء ولو أن رجلا من أهل الجنة يصبق في البحار المالحة لعذبت ولو نزل من ذوابته من السماء إلى الأرض بلغ ضوؤها كضوء الشمس ونور القمر قال صدقت يا محمد ففصف لي الحور العين قال يا ابن سلام الحور العين بيض الوجوه فحام العين^(١) بمنزلة جناح النسر صفاؤه كصفاء اللؤلؤ الأبيض الذي في الصدف الذي لم تمسه الأيدي قال نصف لي النار قال يا ابن سلام أوقد عليها ألف عام حتى احمرت وألف عام حتى ابيضت وألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلمة مزروجة بقضب الله تعالى لا يهدأ لهيبها ولا يخمد جمرها يا ابن سلام لو أن جمرة من جمرها ألقيت في دار الدنيا لألهبت ما بين المشرق والمغرب لعظم خلقها وهي سبعة أطباق الطبقة الأولى للمنافقين والثانية للمجوس والثالثة للنصارى والرابعة لليهود والخامسة سقر والسادسة السعير وأمسك النبي ﷺ.

عن السابعة وبكى حتى ارفضت دموعه على لحيته وقال أما السابعة وهي أهونها لأهل الكباثر من أمتي قال صدقت يا محمد فأخبرني عن القيامة وكيف تقوم قال يا ابن سلام إذا كان يوم القيامة كورت الشمس واسودت وطمست النجوم وسيرت الجبال وعطلت العشار^(٢) وبدلت الأرض غير الأرض قال صدقت يا محمد قال النبي ﷺ يقوم الخلاق لفصل القضاء ويمد الصراط وينصب الميزان وتشر الدواوين ويرز الرب لفصل القضاء قال صدقت يا محمد فأخبرني كيف يبيت الله الخلاق يوم القيامة قال يا ابن سلام يأمر الله ملك الموت فيقف على صخرة بيت المقدس فيضع يمينه على السماوات ويده اليسرى تحت الثرى ويصبح بهم صيحة واحدة فلا يبقى ملك مقرب ولا إنس ولا جان ولا طائر يطير إلا آخر ميتا فتبقي السماوات خالية من سكانها والأرض خرابا من عمارها والعشار معطلة والبحار جامدة حيتانها والجبال مدكدكة^(٣) والشمس منكسفة والنجوم منطمسة قال صدقت يا محمد فأخبرني عن ملك الموت هل يذوق الموت أم لا قال يا ابن سلام إذا أمات الله الخلاق ولم يبق شيء له روح يقول الله عز وجل يا ملك الموت من أبقته من خلقي وهو أعلم فيقول يا رب أنت أعلم مني بما بقي من خلقك ما خلق إلا وقد ذاق الموت إلا عبدك الضعيف ملك الموت فيقول الله عز وجل يا ملك الموت أذقت عبادي وأنبياي وأوليائي ورسلي الموت وقد سبق في علمي القديم وأنا علام الغيوب أن كل شيء هالك إلا وجهي وهذه نوبتك فيقول إلهي وسيدي ارحم عبدك ملك الموت فإنه ضعيف فيقول الله عز وجل له يا ملك الموت ضع يمينك تحت خدك الأيمن بين الجنة والنار وم.

قال عبد الله بن سلام بأبي أنت وأمي يا رسول الله وكم بين الجنة والنار قال مسيرة ثلاثين ألف سنة من سنين الدنيا فيضطجع ملك الموت على يمينه ويضع يده اليمنى تحت خده الأيمن ويده الشمال على وجهه ويصرخ صرخة فلو أن أهل السماوات والأرض أحياء لماتوا لشدة صرخته قال صدقت يا محمد فأخبرني ما يصنع الله بالسماوات إذا مات سكانها قال يطوبها يمينه كطي السجل للكتب ثم يقول الله جل جلاله وتقدست أسماؤه ولا إله غيره ولا معبود سواه أين الملوك وأبناء الملوك أين الجبابرة وأبناء الجبابرة فلا يجيبه أحد ثم يقول لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد فيرد على نفسه الملك لله الواحد القهار اليوم تجزئ كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب قال صدقت يا محمد فأخبرني كيف يحشر الله الخلاق يوم القيامة بعد موتهم قال النبي ﷺ يا ابن سلام يحيي الله إسرافيل وهو أول من يحييه من خدمه وهو صاحب الصور أولا فيأمره الله عز وجل أن ينفخ في الصور قال فأخبرني ما يقول إسرافيل في الصور قال يا ابن سلام يقول أينها العظام البالية والأعضاء المتفرقة والشعور المنفصلة هلموا إلى العرض على الله تعالى الملك الجبار خالق السماوات والأرض ثم ينفخ في الصور أخرى فإذا هم قيام ينظرون قال فكم طول كل نفخة قال مسيرة أربعين ألف سنة قال صدقت يا محمد فكم كلمة يتكلم فيها إسرافيل قال ست كلمات قال وما تلك الكلمات قال الكلمة الأولى يكون الناس طينا والثانية يكونون صورا والكلمة الثالثة تستوي الأبدان والكلمة الرابعة يجري الدم في العروق والكلمة الخامسة ينبت الشعر والكلمة السادسة قوموا فإذا

(١) سيأتي معنى «فحام العين» في «توضيح» المؤلف بعد هذا. (٢) سيأتي معنى «عشار» في «توضيح» المؤلف بعد هذا.

(٣) سيأتي معنى «المدكدك» في «توضيح» المؤلف بعد هذا.

هُم قِيَامٌ يَنْظُرُونَ قال صدقت يا محمد فأخبرني كيف يقوم الخلائق يوم القيامة من القبور قال يا ابن سلام يقومون عراة حفاة أبدانهم خالية بطونهم ظلمة أبصارهم وجلة قال الرجال ينظرون إلى النساء والنساء ينظرون إلى الرجال قال هيهات يا ابن سلام لكل أمرئ منهم يُؤْتَمَدُّ شَأْنُ يُغْنِيهِ من شدة هول القيامة قال صدقت يا محمد ثم أمسك ابن سلام عن الكلام قال النبي ﷺ سل عما شئت يا ابن سلام فقال الحمد لله الذي من علي بالنظر إلى وجهك المليح فأخبرني إذا كان يوم القيامة أين يحشر الخلائق قال النبي ﷺ يحشر الله الخلائق إلى بيت المقدس قال وكيف ذلك قال يأمر الله عز وجل نارا فتحيط بالدنيا وتضرب وجوه الخلائق فيهبون منها ويمرون على وجوههم فيجتعون إلى بيت المقدس قال صدقت يا محمد فأخبرني ما يصنع الله بالطفل الصغير والشيخ الكبير قال يا ابن سلام من كان مؤمنا بالله سارت به الملائكة وانقضت^(١) النار عن وجهه ومن كان كافرا تلفح وجهه النار حتى يؤتى به إلى بيت المقدس قال صدقت يا محمد فأخبرني كم تكون صفوف الخلائق قال يا ابن سلام مائة وعشرون صفا قال فكم طول كل صف وكم عرضه قال يا ابن سلام طوله مسيرة أربعين ألف سنة وعرضه عشرون ألف سنة قال صدقت يا محمد فأخبرني كم صف المؤمنين وكم صف الكافرين قال صفوف المؤمنين ثلاث صفوف ومائة وسبعة عشر صفا للكافرين قال صدقت يا محمد قال فما صفة المؤمنين وما صفة الكافرين قال يا ابن سلام أما المؤمنون فغفر محجلون من أثر الوضوء والسجود وأما الكافرون فمسودون الوجوه فيؤتى بهم إلى الصراط قال وكم طول الصراط قال مسيرة ثلاثون ألف سنة قال صدقت يا محمد فأخبرني كيف تمر الخلائق على الصراط قال يا ابن سلام يكسو الله الخلائق نورا فأما نور المسلمين ونور المؤمنين فمن نور العرش ونور الملائكة من نور الكرسي ونور الجنة فلا يطفأ نورهم أبداً وأما الكافرون فمن الأرض والجبال قال فأخبرني عن أول من يجوز على الصراط قال المؤمنون قال صدقت يا محمد فصف لي ذلك قال يا ابن سلام في المؤمنين من يجوز على الصراط عشرين عاما فإذا بلغ أولهم الجنة تركب الكفار على الصراط حتى إذا توسطوا أطفا الله نورهم فيبقون بلا نور فينادون بالمؤمنين انظرونا فنقبس من نوركم فيقال لهم أليس فيكم الأنبياء والأصحاب والإخوة فيقولون أو لم تكن معكم في دار الدنيا قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وازنتم وعزكم الأماشي حتى جاء أمر الله وعزكم بالله الغرور فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا وما أولئك النار هي مولاكم وبئس المصير^(٢) فيأمر الله عز وجل جهنم فتصيح بهم صيحة على وجوههم فيقعون في النار حيارى ناديين وينجو المؤمنين ببركة الله وعونه قال صدقت يا محمد فأخبرني ما يصنع الله بالموت قال يا ابن سلام إذا استوى أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار أتى بالموت كأنه كيش ألمح فيوقف بين الجنة والنار فيقال لأهل الجنة يا أولياء الله هذا الموت أعرفونه فيقولون نعم فيقولون لهم نذبحه فيقولون نعم يا ملائكة ربنا أذبحوه حتى لا يكون موت أبداً فيقولون لأهل النار يا أعداء الله هذا الموت هل تعرفونه فيقولون نعم فتقول الملائكة نذبحه فيقولون يا ملائكة ربنا لا تذبحوه ودعوه لعل الله يقضي علينا بالموت فنستريح قال النبي ﷺ و يذبح الموت بين الجنة والنار فيبأس أهل النار من الخروج منها وتطمئن قلوب أهل الجنة للخلود فيها فعندي لك أن تسلم قال صدقت يا محمد ونهض على قدميه وقال امدد يدك الشريفة أنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنك رسول الله وأن الجنة حق والميزان حق والحساب حق والساعة آتية لا ريب فيها وأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ فكبرت الصحابة عند ذلك وسماه رسول الله عبد الله بن سلام وصار من الصحابة ونقمة على اليهود.

توضيح: إنما أوردت هذه الرواية لاشتهارها بين الخاصة والعامة وذكر الصدوق ره وغيره من أصحابنا أكثر أجزائها بأسانيدهم في مواضع وقد مر بعضها وإنما أوردتها في هذا المجلد لمناسبة أكثر أجزائه لأبوابه وفي بعضها مخالفة ما لسائر الأخبار فهي إما محمولة على أنه ﷺ أخبره موافقا لما في كتبهم ليصير سببا لإسلامه أو غير ذلك من الوجوه والمحامل التي تظهر على الناقد البصير وفي بعضها تصحيقات نرجو من الله الظفر بنسخة أخرى لتصحيحها.

قوله كان نبيا مرسلانا المعنى هل كان في الجنة نبيا مرسلا فأجاب ﷺ بأنه كان نبيا مرسلا على الملائكة حيث أمر بابائهم وفي عد إبراهيم من رسل العرب مخالفة للمشهور قوله فتشهد أي ظاهرا قوله فتؤمن أي باطنا وقلبا.

قوله أربعة كتاب لا يوافق الإجمال التفصيل و لعل في أحدهما خطأ أو تصحيحا و سؤاله هل أنزل عليك كتاب بعد قوله و أنزل علي الفرقان لا يخلو من شيء إلا أن يكون حمل ذلك على أنه قدر أنه سينزل و ختمه صدق الله يعني أنه ينبغي أن يختم به لأنه جزؤه و في القاموس بيسان قرية بالشام و قرية بمر و موضع بالممامة^(١).

أقول: و في بعض النسخ بالنون و الأول أظهر و له شواهد و لم يكن في الرجال أي مختصا بهم قوله لأن الله واحد كأنه على هذا يعني يوم الأحد يوم الله قوله لأنه يوم لعل المعنى أول يوم مع أن وجه التسمية لا يلزم اطراد قوله و علمه تحت التحت أي أحاط علمه بكل تحت و لا يتنافى ارتفاع ذاته و علوه على كل شيء إحاطة علمه بكل شيء مما في العرش أو تحت الثرى.

و في القاموس غرد الطائر كفرح و غرد تغريدا و أغرد و تغرد رفع صوته و طرب به^(٢) و في النهاية الرضراض الحصا الصغار^(٣) قوله فحام العيون لعله من الفحمة بمعنى السواد و في القاموس العشاء من النوق التي مضت لحملها عشرة أشهر أو ثمانية أو هي كالنفساء من النساء و الجمع عشراوات و عشار و العشار اسم يقع على النوق حتى ينتج بعضها و بعضها ينتظر نتاجها^(٤) و قال الدكدك و يكسر من الرمل^(٥) ما تكبس و استوى و ما التبذ منه بالأرض أو هي أرض فيها غلظ و أرض مدكدكة مدعوك^(٦) كثر بها الناس فكثرت آثار المال و الأبوال حتى تفسدها^(٧) انتهى و انقضاء النار عن وجهه كناية عن سرعة ذهابها عنه و عدم إضرارها به كما ينقض الطائر أو الكوكب في الهواء و تلفح وجهه النار أي تحرقه و قال في النهاية فيه أمتي الغر المحجلون أي يبيض مواضع الوضوء من الأيدي و الأقدام استعمار أثر الوضوء في الوجه و اليدين و الرجلين للإنسان من البياض الذي يكون في وجه الفرس و يديه و رجليه^(٨).

(١) القاموس المحيط ج ٢ ص ٢٠٩.
(٢) القاموس المحيط ج ٢ ص ٩٣.
(٣) النهاية ج ٢ ص ٢٢٩.
(٤) القاموس المحيط ج ٣ ص ٣١٢.
(٥) القاموس المحيط ج ١ ص ٣٤٦.
(٦) القاموس المحيط ج ٢ ص ٢٠٩.
(٧) القاموس المحيط ج ٢ ص ٢٠٩.
(٨) القاموس المحيط ج ٢ ص ٢٠٩.



فهرست المجلد الرابع عشر: كتاب السماء والعالم (القسم الأول)

أبواب كلييات أحوال العالم وما يتعلق بالسماء

- باب ١ حدوث العالم وبده خلقه وكيفيته وبعض كلييات الأمور ٦
- تفهم و تتميم نفعه عميم بعون الله الواهب الكريم ١٠٣
- باب ٢ العوالم ومن كان في الأرض قبل خلق آدم ﷺ ومن يكون فيها بعد انتضاء القيامة وأحوال جابلقاوجابرسا ١٣٧
- باب ٣ أنه لم سميت الدنيا دنيا والآخرة آخرة ١٥٤
- باب ٤ القلم واللوح المحفوظ والكتاب المبين والإمام المبين وأم الكتاب ١٥٤
- باب ٥ العرش والكرسي وحملتهما ١٦٣
- باب ٦ الحجب والأستار والسرادات ١٨١
- باب ٧ سدرة المنتهى ومعنى عليين وسجين ١٨٤
- باب ٨ البيت المعمور ١٨٧
- باب ٩ السماوات وكيفياتها وعددها والنجوم وأعدادها وصفاتها والمجرة ١٩٠
- باب ١٠ الشمس والقمر وأحوالهما وصفاتهما والليل والنهار وما يتعلق بهما ٢١٥
- باب ١١ علم النجوم والعمل به وحال المنجمين ٢٦١
- باب ١٢ آخر في النهي عن الاستمطار بالأثواء والطيرة والعدوى ٣٠٥
- باب ١٣ ما يتعلق بالنجوم ويناسب أحكامها من كتاب دانيال عليه السلام وغيره ٣١٤

أبواب الأزمنة وأنواعها وسعادتها ونحوستها وسائر أحوالها

- باب ١٤ السنين والشهور وأنواعها والفصول وأحوالها ٣١٨
- باب ١٥ الأيام والساعات والليل والنهار ٣٤٠
- باب ١٥ ما روي في سعادة أيام الأسبوع ونحوستها ٣٤٨
- باب ١٦ ما ورد في خصوص يوم الجمعة ٣٥٤
- باب ١٧ يوم السبت ويوم الأحد ٣٥٦
- باب ١٨ يوم الإثنين ويوم الثلاثاء ٣٥٧
- باب ١٩ يوم الأربعاء ٣٥٩
- باب ٢٠ يوم الخميس ٣٦١

باب ٢١	سعادة أيام الشهور العربية ونحوستها وما يصلح في كل يوم منها من الأعمال	٣٦٥
باب ٢٢	يوم النيروز وتعيينه وسعادة أيام شهور الفرس والروم ونحوستها وبعض النوادر	٣٨٧

أبواب الملائكة

باب ٢٣	حقيقة الملائكة وصفاتهم وشئونهم وأطوارهم	٤١١
باب ٢٤	آخر في وصف الملائكة المقربين	٤٥٨
باب ٢٥	عصمة الملائكة وقصة هاروت وماروت وفيه ذكر حقيقة السحر وأنواعه	٤٦٨

أبواب العناصر وكائنات الجو والمعادن والجبال والأنهار والبلدان والأقاليم

باب ٢٦	النار وأقسامها	٤٩٧
باب ٢٧	الهواء وطبقاته وما يحدث فيه من الصبح والشفق وغيرهما	٥٠٠
باب ٢٨	السحاب والمطر والशهاب والبروق والصواعق والقوس وسائر ما يحدث في الجو	٥٠٥
باب ٢٩	الرياح وأسبابها وأنواعها	٥٣٠
باب ٣٠	الماء وأنواعه والبحار وغرائبها وما يتعقد فيها وعلة المد والجزر والممدوح من الأنهار والمذموم منها	٥٤١
باب ٣١	الأرض وكيفيتها وما أعد الله للناس فيها وجوامع أحوال العناصر وما تحت الأرضين	٥٥٥
باب ٣٢	في قسمة الأرض إلى الأقاليم وذكر جبل قاف وسائر الجبال وكيفية خلقها وسبب الزلزلة وعلتها	٥٧٩
باب ٣٣	تحريم أكل الطين وما يحل أكله منه	٦٠١
باب ٣٤	المعادن وأحوال الجمادات والطبائع وتأثيراتها وانتقالات الجواهر وبعض النوادر	٦٠٩
باب ٣٥	نادر	٦٢٤
باب ٣٦	الممدوح من البلدان والمذموم منها وغرائبها	٦٢٥
باب ٣٧	نادر	٦٤٥

